

شرح لباب النقول في أسباب النزول

COMMENTARY ON LUBAB AL-NUQUL FI ASBAB AL-NUZUL

(THE CREAM OF REPORTS RELATING TO CIRCUMSTANCES FOR QUR'ANIC
REVELATION)

إعداد
محمد حسن محمد الخولي

By

MOHAMMED HASSAN MOHAMED ELKOLY

التقديم وفق المقتضيات لنيل درجة الدكتوراة
في الدراسات الإسلامية بجامعة جنوب إفريقيا

Submitted in accordance with the requirements of the degree of

DLitt et Phil
(δοχτοραλ οφ αρτσ)

in the subject

ISLAMIC STUDIES

at the

UNIVERSITY OF SOUTH AFRICA

إشراف البروفسور يوسف دادو

SUPERVISOR: PROF Y DADOO

May 2014

شرح لباب النقول

في

أسباب النزول

[صفوة التعليقات المتعلقة

بأحوال نزول القرآن]

إعداد

محمد حسن محمد الخولي

التقديم وفق المقتضيات لنيل درجة الدكتوراة

في الدراسات الإسلامية

بجامعة جنوب إفريقيا

إشراف البروفسور يوسف دادو

في شهر مايو 2014

COMMENTARY ON LUBAB AL-NUQUL

FI ASBAB AL-NUZUL

(THE CREAM OF REPORTS RELATING TO CIRCUMSTANCES FOR QUR'ANIC
REVELATION)

By

MOHAMMED HASSAN MOHAMED ELKOLY

Submitted in accordance with the requirements of the degree of

DLitt et Phil
(δοχτοραλ οφ αρτσ)

in the subject

ISLAMIC STUDIES

at the

UNIVERSITY OF SOUTH AFRICA

SUPERVISOR: PROF Y DADOO

May 2014

كلمة الشكر

قال صلى الله عليه وسلم « من لم يشكر الناس لم يشكر الله » فأشكر الله الذي كل فلاح وتوفيق فمنه وإليه، ثم والدي الذين طالما شاركوني بدعائهما واهتمامهما كذلك أشكر لأستاذتي ومشايخي والهيئة التعليمية بجامعة يونسنا بجنوب إفريقيا، وعلى رأسهم أستاذتي فضيلة الدكتور البروفسور يوسف دادو الذي أمدني على مدار أعوام في رسالتي الماجستير والدكتوراة بالنصائح والإرشادات التي كانت لي بمثابة المنار الذي أضاء لي حتى أكملت هذه المرحلة التعليمية التي طالما كنت أحلم بها. وأرجو من الله تعالى أن ينفع بهذا الجهد المتواضع وأن يرزقنا البر والتقوى.

محمد حسن محمد

فهرس المحتو

يات والآيات

1	فهرس المحتويات
12	DECLARATION
13	ملخص الرسالة
14	المصطلحات الواردة في الدراسة
14	SUMMARY
Error! Bookmark not defined.	FREQUENTLY CITED TERMS
15	مقدمة
16	احتوت خطة البحث على النقاط التالية
17	مجال التحقيق
17	أسباب اختيار الموضوع
18	الهدف من الرسالة
18	3- أسئلة حيوية في هذه الدراسة
19	4- أهمية الرسالة
20	حدود البحث
20	معايير التصحيح والتضعيف في هذا الرسالة
20	منهجية البحث
21	7- الدراسات السابقة
21	مقارنة بين كتاب لباب النقول والكتب الأخرى
22	أقسام فصول وأبواب الكتاب
22	تفصيل الأبواب للفصل الأول كالتالي
23	الفصل الثاني
23	ترجمة الإمام السيوطي
23	نسبه:

23	مولده وحياته العلمية:
23	مكانه وحفظه:
23	مؤلفاته:
24	مذهبه:
24	وفاته:
25	الفصل الثالث في بيان معنى أسباب النزول
25	التعريف اللغوي:
25	التعريف الاصطلاحي:
25	الفصل الرابع في بيان نشأت أسباب النزول
26	الفصل الخامس في بيان أقسام أسباب النزول
26	الفصل السادس في معرفة فوائد علم أسباب النزول
27	الفصل السابع في بيان أن أسباب النزول قد تتعدد للآية الواحدة
27	الفصل الثامن في بيان صحة نسبة الكتاب إلى مصنفه
28	الفصل العاشر في شرح كتاب لباب النقول
28	سورة البقرة
28	قوله تعالى: (ذلك الكتاب لا ريب فيه) - الآيات
29	قوله تعالى: (إن الذين كفروا سواء عليهم) - الآية
30	قوله تعالى: (وإذا لقوا الذين آمنوا)
31	قوله تعالى: (أو كصيب) - الآية
32	قوله تعالى: (إن الله لا يستحي أن يضرب مثلاً) - الآية
32	قوله تعالى: (أتأمرون الناس بالبر)
33	قوله تعالى: (إن الذين آمنوا والذين هادوا)
35	قوله تعالى: (وإذا لقوا) - الآية
35	قوله تعالى: (فويل للذين يكتبون الكتاب بأيديهم)
36	قوله تعالى: (وقالوا لن تمسنا النار) - الآية
37	قوله تعالى: (وكانوا من قبل يستفتحون) - الآية
38	قوله تعالى: (قل إن كانت لكم الدار الآخرة)
38	قوله تعالى: (قل من كان عدوا لجبريل) - الآية
40	قوله تعالى: (ولقد أنزلنا إليك) - الآيتين
40	قوله تعالى: (واتبعوا ما تنزلوا) - الآية
42	قوله تعالى: (يا أيها الذين آمنوا لا تقولوا راعنا)
43	قوله تعالى: (ما ننسخ) - الآية
44	قوله تعالى: (أم تريدون) - الآية
45	قوله تعالى: (وقالت اليهود) - الآية
45	قوله تعالى: (ومن أظلم) - الآية
46	قوله تعالى: (ولله المشرق والمغرب)
48	قوله تعالى: (وقال الذين لا يعلمون) - الآية
49	قوله تعالى: (إنا أرسلناك) - الآية
49	قوله تعالى: (ولن ترضى) - الآية
50	قوله تعالى: (واتخذوا من مقام إبراهيم مصلى)
52	قوله تعالى: (ومن يرغب عن ملة إبراهيم) - الآية
52	قوله تعالى: (وقالوا كونوا هوداً) - الآية
53	قوله تعالى: (سيفول السفهاء من الناس) - الآيات
54	قوله تعالى: (وكذلك جعلناكم أمه وسطاً) - الآية
55	قوله تعالى: (ومن حيث خرجت فول وجهك شطر المسجد) - الآية
55	قوله تعالى: (ولا تقولوا لمن يقتل) - الآية
56	قوله تعالى: (إن الصفا والمرورة) - الآية
58	قوله تعالى: (إن الذين يكتُمون) - الآية
59	قوله تعالى: (إن في خلق السموات) - الآية
60	قوله تعالى: (وإذا قيل لهم اتبعوا) - الآية
61	قوله تعالى: (إن الذين يكتُمون) - الآية
61	قوله تعالى: (ليس البر) - الآية
62	قوله تعالى: (يا أيها الذين آمنوا كتب عليكم القصاص) - الآية
63	قوله تعالى: (وعلى الذين يطيقونه) - الآية
64	قوله تعالى: (وإذا سألك عبادي عني) - الآية
65	قوله تعالى: (أحل لكم ليلة الصيام الرفث) - الآية
67	قوله تعالى: (من الفجر)
68	قوله تعالى: (ولا تباشروهن) - الآية
68	قوله تعالى: (ولا تأكلوا) - الآية
69	قوله تعالى: (يسألونك عن الأهلة)
69	قوله تعالى: (وليس البر الآية)
71	قوله تعالى: (وقاتلوا في سبيل الله)
72	قوله تعالى: (الشهر الحرام) - الآية
73	قوله تعالى: (وانفقوا في سبيل الله ولا تلقوا بأيديكم إلى التهلكة)
74	قوله تعالى: (واتموا الحج والعمرة لله)
74	قوله تعالى: (فمن كان منكم مريضاً) - الآية
75	قوله تعالى: (وتزودوا) - الآية

- 76 قوله تعالى: (ليس عليكم جناح)- الآية .
- 77 قوله تعالى: (ثم أفيضوا) قوله تعالى: (فإذا قضيتم) - الآية .
- 78 قوله تعالى: (ومن الناس من يعجبك) - الآية .
- 80 قوله تعالى: (ومن الناس من يشري نفسه) - الآية .
- 81 قوله تعالى: (يا أيها الذين آمنوا أدخلوا في السلم) - الآية .
- 82 قوله تعالى: (أم حسبتم أن تدخلوا الجنة)- الآية .
- 82 قوله تعالى: (يسألونك ماذا ينفقون) - الآية .
- 83 قوله تعالى: (يسألونك عن الشهر الحرام) - الآية .
- 84 قوله تعالى: (يسألونك عن الخمر) يأتي حديثها في سورة المائدة .
- 85 قوله تعالى: (ويسألونك ماذا ينفقون) .
- 85 قوله تعالى: (ويسألونك عن اليتامى) .
- 86 قوله تعالى: (ولا تتكحوا الشركات حتى يؤمن) .
- 87 قوله تعالى: (ويسألونك عن المحيض) - الآية .
- 88 قوله تعالى: (ولا تجعلوا الله عرضة لأيمانكم) - الآية .
- 91 قوله تعالى: (والمطلقات يتربصن) - الآية .
- 92 قوله تعالى: (الطلاق مرتان) - الآية .
- 93 قوله تعالى: (ولا يحل لكم) .
- 94 قوله تعالى: (فإن طلقها) - الآية .
- 94 قوله تعالى: (وإذا طلقتم النساء فبلغن أجلهن فأمسكوهن بمعروف) - الآية .
- 95 قوله تعالى: (ولا تتخذوا آيات الله هزواً) .
- 96 قوله تعالى: (وإذا طلقتم النساء) - الآية .
- 96 قوله تعالى: (حافظوا على الصلوات) - الآية .
- 97 قوله تعالى (وقوموا لله قانتين) .
- 98 قوله تعالى: (والذين يتوفون منكم ويذرون أزواجاً) - الآية .
- 99 قوله تعالى: (وللمطلقات متاع بالمعروف) - الآية .
- 99 قوله تعالى: (من ذا الذي يقرض الله) - الآية .
- 100 قوله تعالى: (لا اكراه في الدين) .
- 101 قوله تعالى: (الله ولي الذين آمنوا)- الآية .
- 102 قوله تعالى: (يا أيها الذين آمنوا أنفقوا من طيبات ما كسبتم) - الآية .
- 103 قوله تعالى: (ليس عليكم هداهم) - الآية .
- 104 قوله تعالى: (الذين ينفقون أموالهم بالليل والنهار) - الآية .
- 104 قوله تعالى: (يا أيها الذين آمنوا اتقوا الله وذروا ما بقي من الربا) - الآية .
- 105 قوله تعالى: (أمن الرسول) - الآية .
- 106 قوله تعالى: (سورة آل عمران) .
- 107 قوله تعالى (الم الله لا إله إلا هو الحي القيوم) - الآيات .
- 107 قوله تعالى: (قل للذين كفروا ستغلبون)-الآية .
- 108 قوله تعالى: (ألم تر إلى الذين أتوا) - الآية .
- 108 قوله تعالى: (قل اللهم مالك الملك) - الآية .
- 109 قوله تعالى: (لا يتخذ) - الآية .
- 110 قوله تعالى: (قل إن كنتم تحبون الله)- الآية .
- 111 قوله تعالى: (ذلك نلوه عليك)- الآية .
- 112 قوله تعالى: (يا أهل الكتاب لم تحاجون) الآية .
- 113 قوله تعالى (وقالت طائفة) - الآية .
- 113 قوله تعالى (ولا تؤمنوا إلا لمن تبع دينكم)- الآية .
- 114 قوله تعالى: (إن الذين يشترون) - الآية .
- 115 قوله تعالى: (ما كان لبشر) - الآية .
- 115 قوله تعالى: (كيف يهدي الله قوماً) الآيات .
- 116 قوله تعالى: (ومن كفر فإن الله غني) - الآية .
- 117 قوله تعالى: (يا أيها الذين آمنوا إن تطيعوا) - الآية .
- 117 قوله تعالى: (ليسوا سواء) - الآية .
- 118 قوله تعالى: (يا أيها الذين آمنوا لا تتخذوا)
- 119 قوله تعالى: (وإذ غدوت) - الآية .
- 120 قوله تعالى: (ليس لك من الأمر شيء) - الآية .
- 121 قوله تعالى: (يا أيها الذين آمنوا) - الآية .
- 122 قوله تعالى: (ويتخذ منكم شهداء)- الآية .
- 123 قوله تعالى: (ولقد كنتم) - الآية .
- 124 قوله تعالى: (وما محمد إلا رسول) - الآية .
- 124 قوله تعالى: (ثم أنزل عليكم) - الآيات .
- 125 قوله تعالى: (وما كان لنبي أن يغفل) - الآية .
- 126 قوله تعالى: (أو لما أصابتكم مصيبة) - الآية .
- 127 قوله تعالى: (ولا تحسبن) - الآية .
- 128 قوله تعالى: (الذين استجابوا) - الآية .
- 129 قوله تعالى: (لقد سمع الله) - الآية .
- 131 قوله تعالى: (ولتسمعن) - الآية .
- 132 قوله تعالى: (لا تحسبن الذين يفرحون) - الآية .
- 133 قوله تعالى: (إن في خلق السموات) الآية .
- 134

- 135 قوله تعالى: (فاستجاب لهم) - الآية.
- 135 قوله تعالى: (وإن من أهل الكتاب) - الآية.
- 136 **سورة النساء**
- 136 قوله تعالى: (وأتوا النساء صدقاتهن نحلة) .
- 137 قوله تعالى: (للرجال نصيب) .
- 137 قوله تعالى: (يوصيكم الله) - الآية.
- 139 قوله تعالى: (يا أيها الذين آمنوا لا يحل لكم أن ترثوا النساء كرهاً) .
- 141 قوله تعالى: (والمحصنات) الآية.
- 142 قوله تعالى: (ولا جناح) - الآية.
- 142 قوله تعالى: (ولا تتمنوا) .
- 143 قوله تعالى: (والذين عاقدت أيمانكم) الآية.
- 144 قوله تعالى: (الرجال قوامون) .
- 145 قوله تعالى: (الذين يبخلون) - الآية.
- 146 قوله تعالى: (يا أيها الذين آمنوا لا تقربوا) - الآية.
- 148 قوله تعالى: (ألم تر) - الآية.
- 149 قوله تعالى: (يا أيها الذين أتوا الكتاب) - الآية.
- 149 قوله تعالى: (إن الله لا يغفر أن يشرك به) .
- 150 قوله تعالى: (ألم تر إلى الذين يزكون) - الآية.
- 151 قوله تعالى: (ألم تر إلى الذين أتوا) - الآية.
- 152 قوله تعالى: (إن الله يأمركم) - الآية.
- 153 قوله تعالى: (يا أيها الذين آمنوا أطيعوا الله) - الآية.
- 154 قوله تعالى: (ألم تر إلى الذين يزعمون) - الآية.
- 155 قوله تعالى: (فلا وربك لا يؤمنون حتى يحكموك) - الآية.
- 156 قوله تعالى: (ولو أنا كتبنا عليهم أن اقتلوا) - الآية.
- 157 قوله تعالى: (ومن يطع الله) - الآية.
- 158 قوله تعالى: (ألم تر إلى الذين قيل لهم كفوا أيديكم) - الآية.
- 159 قوله تعالى: (وإذا جاءهم) - الآية.
- 160 قوله تعالى: (فما لكم في المنافقين) - الآية.
- 161 قوله تعالى: (إلا الذين يصلون) - الآية.
- 162 قوله تعالى: (وما كان لمؤمن) - الآية.
- 163 قوله تعالى: (ومن يقتل مؤمناً متعمداً) - الآية.
- 164 قوله تعالى: (يا أيها الذين آمنوا إذا ضربتم) - الآية.
- 166 قوله تعالى: (لا يستوي القاعدون) - الآية.
- 167 قوله تعالى: (إن الذين توفاهم الملائكة) - الآية.
- 168 قوله تعالى: (ومن يخرج من بيته) - الآية.
- 169 قوله تعالى: (وإذا ضربتم) - الآية.
- 170 قوله تعالى: (وإذا كنت فيهم فأقمت لهم الصلاة) - الآية.
- 171 قوله تعالى: (إنا أنزلنا) الآية.
- 173 قوله تعالى: (ليس بأمانكم) - الآية.
- 174 قوله تعالى: (ويستفتونك في النساء) الآية.
- 175 قوله تعالى: (وإن امرأة) - الآية.
- 177 قوله تعالى: (يا أيها الذين آمنوا كونوا قوامين) - الآية.
- 177 قوله تعالى: (لا يحب الله الجهر) - الآية.
- 178 قوله تعالى: (يسألك أهل الكتاب) - الآية.
- 179 قوله تعالى: (إنا أوحينا إليك) - الآية.
- 179 قوله تعالى: (لكن الله يشهد) - الآية.
- 180 قوله تعالى: (يستفتونك قل الله يفتيكم في الكلاله) - الآية.
- 180 **سورة المائدة**
- 180 قوله تعالى: (لا تحلوا شعائر الله) - الآية.
- 182 قوله تعالى: (حرمت عليكم الميتة) - الآية.
- 182 قوله تعالى: (يسألونك ماذا أحل لهم) - الآية.
- 183 قوله تعالى: (يا أيها الذين آمنوا إذا قمتم إلى الصلاة) - الآية.
- 185 قوله تعالى: (يا أيها الذين آمنوا اذكروا نعمة الله عليكم) - الآية.
- 186 قوله تعالى: (يا أهل الكتاب قد جاءكم رسولنا) - الآية.
- 187 قوله تعالى: (وقالت اليهود) - الآيات.
- 188 قوله تعالى: (إنما جزاء الذين يحاربون) - الآية.
- 189 قوله تعالى: (والسارق والسارقة) - الآية.
- 189 قوله تعالى: (يا أيها الرسول) - الآية.
- 191 قوله تعالى: (وأن احكم بينهم بما أنزل الله) - الآية.
- 192 قوله تعالى: (يا أيها الذين آمنوا لا تتخذوا) - الآية.
- 193 قوله تعالى: (إنما وليكم الله) - الآية.
- 194 قوله تعالى: (يا أيها الذين آمنوا لا تتخذوا الذين اتخذوا دينكم) - الآية.
- 195 قوله تعالى: (وقالت اليهود) - الآية.
- 195 قوله تعالى: (يا أيها الرسول بلغ) - الآية.
- 197 قوله تعالى: (قل يا أهل الكتاب) - الآية.
- 197 قوله تعالى: (ولتجدن أقربهم مودة) - الآية.
- 198 قوله تعالى: (يا أيها الذين آمنوا لا تحرموا) - الآية.

- 199 قوله تعالى: (يا أيها الذين آمنوا إنما الخمر) - الآية.
- 201 قوله تعالى: (قل لا يستوي) - الآية.
- 201 قوله تعالى: (يا أيها الذين آمنوا لا تسألوا) - الآية.
- 203 قوله تعالى: (يا أيها الذين آمنوا شهادة بينكم) - الآية.
- 204 **سُورَةُ الْأَنْعَامِ**
- 204 قوله تعالى: (قل أي شيء أكبر شهادة) - الآية.
- 205 قوله تعالى: (وهم ينهون عنه وينأون عنه) - الآية.
- 206 قوله تعالى: (قد نعلم إنه ليحزنك) - الآية.
- 206 قوله تعالى: (ولا تطرد) - الآية.
- 208 قوله تعالى: (قل هو القادر) - الآيات.
- 208 قوله تعالى: (الذين آمنوا الآية) - الآية.
- 209 قوله تعالى: (وما قدروا الله) - الآية.
- 210 قوله تعالى: (ومن أظلم) - الآية.
- 211 قوله تعالى: (ولقد جتتمونا فرادى) - الآية.
- 211 قوله تعالى: (ولا تسبوا) - الآية.
- 212 قوله تعالى: (وأقسموا بالله جهد أيمانهم لئن جاءتهم آية) - الآية.
- 212 قوله تعالى: (فكلوا مما ذكر اسم الله عليه) - الآية.
- 213 قوله تعالى: (أومن كان ميتا) - الآية.
- 214 قوله تعالى: (واتوا حقه يوم حصاده ولا تسرفوا) - الآية.
- 214 **سُورَةُ الْأَعْرَافِ**
- 215 قوله تعالى: (يا بني آدم خذوا زينتكم عند كل مسجد) - الآية.
- 215 قوله تعالى: (أو لم يفكروا) - الآية.
- 216 قوله تعالى: (يسألونك عن الساعة) - الآية.
- 216 قوله تعالى: (وإذا قرئ القرآن) - الآية.
- 217 **سُورَةُ الْأَنْفَالِ**
- 217 قوله تعالى: (يسألونك عن الأنفال - الآية).
- 219 قوله تعالى: (كما أخرجك) - الآية.
- 219 قوله تعالى: (إذ تستغيثون) - الآية.
- 220 قوله تعالى: (وما رميت) - الآية.
- 221 قوله تعالى: (إن تستفتحوا) - الآية.
- 222 قوله تعالى: (يا أيها الذين آمنوا لا تخونوا الله) - الآية.
- 223 قوله تعالى: (وإذ يمكر) - الآية.
- 224 قوله تعالى: (وإذا تتلى) - الآية.
- 224 قوله تعالى: (وإذ قالوا اللهم) - الآية.
- 225 قوله تعالى: (وما كان صلاتهم) - الآية.
- 226 قوله تعالى: (إن الذين كفروا) - الآية.
- 227 قوله تعالى: (ولا تكونوا) - الآية.
- 227 قوله تعالى: (إذ يقول المنافقون) - الآية.
- 228 قوله تعالى: (إن شر الدواب عند الله الذين كفروا) - الآية.
- 229 قوله تعالى: (وإما تخافن) - الآية.
- 229 قوله تعالى: (يا أيها النبي حسبك الله) - الآية.
- 230 قوله تعالى: (إن يكن منكم عشرون صابرون) - الآية.
- 230 قوله تعالى: (ما كان لنبي) - الآية.
- 231 قوله تعالى: (يا أيها النبي قل لمن في أيديكم) - الآية.
- 232 قوله تعالى: (والذين كفروا) - الآية.
- 233 قوله تعالى: (وأولوا الأرحام) - الآية.
- 233 **سُورَةُ التَّوْبَةِ**
- 233 قوله تعالى: (قاتلوهم يعذبهم الله) - الآية.
- 235 قوله تعالى: (ما كان للمشركين) - الآيات.
- 236 قوله تعالى: (ويوم حنين) - الآية.
- 237 قوله تعالى: (وإن خفتم عيلة) - الآية.
- 237 قوله تعالى: (وقالت اليهود) - الآية.
- 238 قوله تعالى: (إنما النسبي) - الآية.
- 239 قوله تعالى: (يا أيها الذين آمنوا ما لكم إذا قيل لكم) - الآية.
- 240 قوله تعالى: (انفروا خفافا وثقالا) - الآية.
- 240 قوله تعالى: (عفا الله عنك) - الآية.
- 241 قوله تعالى: (ومنهم من يقول انذن لي) - الآية.
- 241 قوله تعالى: (إن تصيبك حسنة) - الآية.
- 242 قوله تعالى: (قل أنفقوا) - الآية.
- 242 قوله تعالى: (ومنهم من يلزمك) - الآية.
- 243 قوله تعالى: (ومنهم الذين يؤذون النبي) - الآية.
- 244 قوله تعالى: (ولئن سألتهم ليقولن إنما كنا نخوض ونلعب) - الآيات.
- 245 قوله تعالى: (يحلِفون بالله ما قالوا) - الآية.
- 246 قوله تعالى: (ومنهم من عاهد الله) - الآية.
- 248 قوله تعالى: (الذين يلمزون المطوعين) - الآية.
- 248 قوله تعالى: (فرح المخلفون) - الآية.
- 249 قوله تعالى: (ولا تصل على أحد منهم) - الآية.

- 250 قوله تعالى: (ليس على الضعفاء) - الآية.
- 250 قوله تعالى: (ومن الأعراب من يؤمن بالله) - الآية.
- 251 قوله تعالى: (وأخرون اعترفوا) - الآية.
- 252 قوله تعالى: (والذين اتخذوا مسجداً ضراراً) - الآية.
- 254 قوله تعالى: (إن الله اشترى من المؤمنين) - الآية.
- 254 قوله تعالى: (ما كان للنبي) - الآية.
- 256 قوله تعالى: (لقد تاب الله على النبي) - الآيات.
- 258 قوله تعالى: (وما كان المؤمنون لينفروا كافة) - الآية.
- 259 **سُورَةُ يُوسُفَ**
- 259 قوله تعالى: (أكان للناس عجباً)
- 260 **سُورَةُ هُودٍ**
- 261 قوله تعالى: (ولئن أخرنا عنهم العذاب) - الآية.
- 261 قوله تعالى: (وأقم الصلاة طرفي النهار) - الآية.
- 262 **سُورَةُ يُوسُفَ**
- 262 قوله تعالى: (نحن نقص عليك أحسن القصص) - الآية.
- 263 **سُورَةُ الرِّعْدِ**
- 263 قوله تعالى: (الله يعلم ما تحمل كل أنثى) - الآية.
- 264 قوله تعالى: (ويسبح الرعد بحمده) - الآية.
- 264 قوله تعالى: (ولو أن قرأنا سيرت به الجبال) - الآية.
- 265 قوله تعالى: (ولقد أرسلنا رسلاً من قبلك وجعلنا لهم أزواجاً وذرية) - الآية.
- 265 **سُورَةُ إِبْرَاهِيمَ**
- 266 قوله تعالى: (ألم تر إلى الذين بدلوا نعمة الله كفراً) - الآية.
- 266 **سُورَةُ الْحَجَرِ**
- 266 قوله تعالى: (ولقد علمنا) - الآية.
- 267 قوله تعالى: (إن المتقين) - الآية.
- 267 قوله تعالى: (ونزغنا ما في صدورهم من غل) - الآية.
- 268 قوله تعالى: (نبي عبادي) - الآية.
- 268 قوله تعالى: (إنا كفييناك المستهزئين) - الآية.
- 269 **سُورَةُ النَّحْلِ**
- 269 قوله تعالى: (أتي أمر الله) - الآية.
- 270 قوله تعالى: (وأقسموا) - الآية.
- 270 قوله تعالى: (والذين هاجروا) - الآية.
- 271 قوله تعالى: (ضرب الله مثلاً) - الآية.
- 272 قوله تعالى: (يعرفون نعمة الله) - الآية.
- 272 قوله تعالى: (وأوفوا) - الآية.
- 273 قوله تعالى: (ولا تكونوا) - الآية.
- 273 قوله تعالى: (ولقد نعلم) - الآية.
- 274 قوله تعالى: (إلا من أكره وقلبه مطمئن بالإيمان) - الآية.
- 276 قوله تعالى: (وإن عاقبتكم) - الآية.
- 276 **سُورَةُ الْإِسْرَاءِ**
- 276 قوله تعالى: (ولا تزر وازرة وزر أخرى) - الآية.
- 277 قوله تعالى: (وأنت ذا القربى) - الآية.
- 278 قوله تعالى: (وإما تعرضن) - الآية.
- 278 قوله تعالى: (ولا تجعل يدك) - الآية.
- 279 قوله تعالى: (وإذا قرأت القرآن) - الآية.
- 280 قوله تعالى: (قل ادعوا) - الآية.
- 280 قوله تعالى: (وما منعنا) - الآية.
- 281 قوله تعالى: (وما جعلنا الرؤيا) - الآية.
- 282 قوله تعالى: (وإن كادوا ليفتنونك) - الآية.
- 284 قوله تعالى: (وإن كادوا ليستفزونك) - الآية.
- 284 قوله تعالى: (وقل ربي أدخلني) - الآية.
- 285 قوله تعالى: (ويسألونك عن الروح) - الآية.
- 286 قوله تعالى: (قل لئن اجتمعت الأنس والجن على أن يأتوا) - الآية.
- 286 قوله تعالى: (وقالوا لن نؤمن لك) - الآية.
- 288 قوله تعالى: (قل ادعوا الله) - الآية.
- 289 قوله تعالى: (وقل الحمد لله) - الآية.
- 290 **سُورَةُ الْكَهْفِ**
- 290 قوله تعالى: (فاملك باخع نفسك على آثارهم إن لم يؤمنوا بهذا الحديث) - الآية.
- 291 قوله تعالى: (ولا تقولن لشيء) - الآية.
- 291 قوله تعالى: (واصبر نفسك) - الآية. تقدم سبب النزول في سورة الأنعام في حديث خباب.
- 291 قوله تعالى: (ولا تطع) - الآية.
- 292 قوله تعالى: (قل لو كان البحر) - الآية.
- 293 قوله تعالى: (فمن كان يرجو لقاء ربه) - الآية.
- 293 **سُورَةُ مَرْيَمَ**
- 294 قوله تعالى: (وما ننزل إلا بأمر ربك) - الآية.
- 294 قوله تعالى: (أفرأيت الذي كفر بآياتنا) - الآية.
- 295 قوله تعالى: (إن الذين آمنوا وعملوا الصالحات سيجعل لهم الرحمن وداً).

295	سُورَةُ طه
296	قوله تعالى: (ويسألونك عن الجبال)- الآية.
297	قوله تعالى: (ولا تعجل بالقرآن)- الآية.
297	قوله تعالى: (ولا تمدن عينيك)- الآية.
297	سُورَةُ الْأَنْبِيَاءِ
298	قوله تعالى: (ما آمنت قبلكم من قرية) - الآية.
298	قوله تعالى: (وما جعلنا لبشر من قبلك الخلد) - الآية.
298	قوله تعالى: (وإذا رءاك الذين كفروا إن يتخذونك) - الآية.
299	قوله تعالى: (إن الذين سبقتم لهم منا الحسنَى) - الآية.
299	سُورَةُ الْحَجِّ
300	قوله تعالى: (ومن الناس من يجادل)- الآية.
300	قوله تعالى: (ومن الناس من يعبد الله على حرف)- الآية.
301	قوله تعالى: (هذان خصمان)- الآية.
302	قوله تعالى: (ومن يرد فيه بالحداد)- الآية.
302	قوله تعالى: (وعلى كل ضامر)- الآية.
303	قوله تعالى: (لن ينال الله لحومها)- الآية.
303	قوله تعالى: (أذن للذين يقاتلون)- الآية.
304	قوله تعالى: (وما أرسلنا)- الآية.
305	قوله تعالى: (ومن عاقب بمثل ما عوقب به)- الآية.
305	سُورَةُ الْمُؤْمِنُونَ
305	قوله تعالى: (الذين هم في صلاتهم خاشعون) - الآية.
306	قوله تعالى: (ثم خلقنا النطفة علقة) - الآية.
306	قوله تعالى: (مستكبرين به سامراً) - الآية.
307	قوله تعالى: (ولقد أخذناهم بالعذاب) - الآية.
307	سُورَةُ التَّوْر
307	قوله تعالى: (الزاني لا ينكح إلا زانية) .
309	قوله تعالى: (والذين يرمون أزواجهم)- الآيات.
310	قوله تعالى: (إن الذين جاءوا بالإفك)- الآيات.
312	قوله تعالى: (ولا يأتل أولوا الفضل منكم) - الآية.
313	قوله تعالى: (الخبيثات للخبيثين) - الآية.
314	قوله تعالى: (يا أيها الذين آمنوا لا تدخلوا بيوتا)- الآية.
314	قوله تعالى: (وقل للمؤمنات)- الآية.
316	قوله تعالى: (والذين يبتغون الكتاب)- الآية.
316	قوله تعالى: (وإذا دعوا)- الآية.
317	قوله تعالى: (وعد الله الذين آمنوا)- الآية.
318	قوله تعالى: (ليس على الأعمى)- الآية.
319	قوله تعالى: (إنما المؤمنون)- الآية.
320	قوله تعالى: (لا تجعلوا)- الآية.
320	سُورَةُ الْفُرْقَانِ
321	قوله تعالى: (تبارك الذي إن شاء جعل لك خيرا من ذلك) - الآية.
321	قوله تعالى: (وما أرسلنا قبلك من المرسلين) - الآية.
322	قوله تعالى (ويوم يعرض الضال على يديه) - الآية.
323	قوله تعالى: (وقال الذين كفروا لولا أنزل عليه القرآن جملة واحدة) - الآية.
323	قوله تعالى: (والذين لا يدعون مع الله الهاً آخر) - الآية.
324	قوله تعالى: (إلا من تاب وأمن وعمل عملاً صالحاً) - الآية.
325	سُورَةُ الشُّعْرَاءِ
325	قوله تعالى: (أفأريت إن متعناهم سنين) - الآية.
325	قوله تعالى: (وأنذر عشيرتكَ الأقربين) - الآية.
326	قوله تعالى: (والشعراء يتبعهم الغاوون) - الآية.
327	سُورَةُ الْقَصَصِ
327	قوله تعالى: (ولقد وصلنا لهم القول) - الآية.
328	قوله تعالى: (إنك لا تهدي من أحببت)- الآية.
328	قوله تعالى: (وقالوا إن نتبع الهدى معك)- الآية.
329	قوله تعالى: (أقمن وعدناه)- الآية.
329	قوله تعالى: (إن الذي فرض عليك القرآن)- الآية.
330	سُورَةُ الْعَنْكَبُوتِ
330	قوله تعالى: (أحسب الناس أن يتركوا) - الآية.
331	قوله تعالى: (وإن جهادك)- الآية.
332	قوله تعالى: (ومن الناس من يقول آمنا بالله)- الآية. تقدم سبب نزولها في سورة النساء.
333	قوله تعالى: (وليحملن أثقالهم)- الآية.
333	قوله تعالى: (أولم يكفهم)- الآية.
334	قوله تعالى: (وكأين من دابة)- الآية.
334	قوله تعالى: (أولم يروا)- الآية.
335	سُورَةُ الرُّومِ
335	قوله تعالى: (ألم غلبت الروم) - الآيات.
337	قوله تعالى: (وهو الذي يبدأ الخلق ثم يعيده) - الآية.
337	قوله تعالى: (ضرب لكم مثلاً من أنفسكم) - الآية.

- 337..... **سُورَةُ لُقْمَانَ**.....
 338..... قوله تعالى: (ومن الناس من يشتري لهو الحديث) - الآية.
 338..... قوله تعالى: (ولو أنما في الأرض من شجرة أقلام) - الآية.
 339..... قوله تعالى: (إن الله عنده علم الساعة) - الآية.
 340..... **سُورَةُ السَّجْدَةِ**.....
 340..... قوله تعالى: (تتجافي جنوبهم عن المضاجع) - الآية.
 340..... قوله تعالى: (أفمن كان مؤمناً كمن كان فاسقاً) - الآية.
 341..... قوله تعالى: (ويقولون متى هذا الفتح) - الآية.
 342..... **سُورَةُ الْأَحْزَابِ**.....
 342..... قوله تعالى: (يا أيها النبي اتق الله ولا تطع) - الآية.
 342..... قوله تعالى: (ما جعل الله لرجل) - الآية.
 343..... قوله تعالى: (ادعوهم لأبائهم) - الآية.
 344..... قوله تعالى: (يا أيها الذين آمنوا اذكروا نعمة الله عليكم) - الآية.
 345..... قوله تعالى: (وإذ يقول المنافقون والذين في قلوبهم مرض) - الآية.
 346..... قوله تعالى: (من المؤمنين رجال) - الآية.
 347..... قوله تعالى: (يا أيها النبي قل لأزواجك) - الآية.
 347..... قوله تعالى: (إن المسلمين) - الآية.
 348..... قوله تعالى: (وما كان لمؤمن) - الآيات.
 349..... قوله تعالى: (وإذ تقول) - الآيات.
 350..... قوله تعالى: (ما كان محمد أباً أحد من رجالكم) - الآية.
 351..... قوله تعالى: (هو الذي يصلي عليكم) - الآية.
 351..... قوله تعالى: (وبشر المؤمنين) - الآية.
 352..... قوله تعالى: (يا أيها النبي إنا أحللتنا لك) - الآية.
 353..... قوله تعالى: (ترجى من تشاء) - الآية.
 354..... قوله تعالى: (لا يحل لك النساء من بعد) - الآية.
 354..... قوله تعالى: (يا أيها الذين آمنوا لا تدخلوا) - الآية تقدم حديث عمر في سورة البقرة.
 357..... قوله تعالى: (إن الذين يؤذون الله ورسوله) - الآية.
 357..... قوله تعالى: (يا أيها النبي قل لأزواجك وبناتك) - الآية.
 358..... **سُورَةُ سَبَأٍ**.....
 358..... قوله تعالى: (لقد كان لسبإ) - الآية.
 359..... قوله تعالى: (وما أرسلنا في قرية من نذير) - الآية.
 359..... **سُورَةُ فَاطِمَةَ**.....
 360..... قوله تعالى: (أفمن زين له سوء عمله فرآه حسناً) - الآية.
 360..... قوله تعالى: (إن الذين يتلون كتاب الله) - الآية.
 361..... قوله تعالى: (الذي أحلنا دار المقامة) - الآية.
 361..... قوله تعالى: (وأقسموا بالله جهد أيمانهم لئن جاءهم نذير) - الآية.
 362..... **سُورَةُ يَسِّ**.....
 362..... قوله تعالى: (يس والقرآن الحكيم) - الآيات.
 363..... قوله تعالى: (إنا جعلنا في أعناقهم أغلالاً) - الآية.
 363..... قوله تعالى: (إنا نحن نحي الموتى) - الآية.
 364..... قوله تعالى: (أولم ير الإنسان أنا خلقناه من نطفة) - الآية.
 365..... **سُورَةُ الصَّافَّاتِ**.....
 365..... قوله تعالى: (أنها شجرة تخرج في أصل الجحيم) - الآية.
 366..... قوله تعالى: (وجعلوا بينه وبين الجنة نسباً) - الآية.
 366..... قوله تعالى: (وإنا لنحن الصاففون).....
 367..... قوله تعالى: (أفبعذابنا يستعجلون).....
 367..... **سُورَةُ صَ**.....
 367..... قوله تعالى: (أجعل الآلهة إلهاً واحداً) - الآية.
 368..... **سُورَةُ الزُّمَرِ**.....
 368..... قوله تعالى: (والذين اتخذوا) - الآية.
 368..... قوله تعالى: (أمن هو قانت آناء الليل) - الآية.
 369..... قوله تعالى: (فبشر عبادي) - الآية.
 370..... قوله تعالى: (الله نزل) - الآية تقدم سببها في سورة يوسف.
 370..... قوله تعالى: (ويخوفونك) - الآية.
 371..... قوله تعالى: (وإذا ذكر الله) - الآية.
 371..... قوله تعالى: (قل يا عبادي الذين أسرفوا) - الآية تقدم حديث الشيخين في سورة الفرقان.
 372..... قوله تعالى: (قل أفغير الله تأمروني أعبد) - الآية سيأتي سبب نزولها في سورة الكافرون.
 373..... قوله تعالى: (وما قدروا الله حق قدره والأرض جميعاً قبضته) - الآية.
 374..... **سُورَةُ غَافِرٍ**.....
 374..... قوله تعالى: (ما يجادل في آيات الله إلا الذين كفروا) - الآية.
 374..... قوله تعالى: (إن الذين يجادلون في آيات الله) - الآية.
 375..... قوله تعالى: (قل إني نهيت أن أعبد الذين تدعون من دون الله) - الآية.
 375..... **سُورَةُ فَصَّلَتْ**.....
 376..... قوله تعالى: (وما كنتم تستترون أن يشهد) - الآية.
 376..... قوله تعالى: (إن الذين يلحدون في آياتنا) - الآية.
 377..... قوله تعالى: (ولو جعلناه قرءاناً أعجيباً) - الآية.
 377..... **سُورَةُ الشُّورَى**.....

- 377 قوله تعالى: (والذين يحاجون في الله من بعد ما استجيب له) - الآية .
- 378 قوله تعالى: (ذلك الذي يبشر الله عباده) - الآية .
- 379 قوله تعالى: (ولو بسط الله الرزق لعباده) - الآية .
- 380 **سُورَةُ الزُّخْرُفِ**
- 380 قوله تعالى: (وجعلوا الملائكة الذين هم عباد الرحمن) - الآية .
- 380 وتقدم في سورة يونس سبب قوله: (وقالوا لولا نزل (- الآيتين
- 381 قوله تعالى: (ومن يعش عن ذكر الرحمن نقيض له شيطانا) - الآية .
- 381 قوله تعالى: (ولما ضرب ابن مريم مثلاً) - الآية .
- 382 قوله تعالى: (أم يحسبون أنا لا نسمع سرهم ونجواهم) - الآية .
- 382 **سُورَةُ الدُّخَانِ**
- 382 قوله تعالى: (فارتقب يوم تأتي السماء بدخان مبين)
- 383 قوله تعالى: (إن شجرة الزقوم طعام الإثيم)
- 384 قوله تعالى: (ذق إنك أنت العزيز الكريم)
- 384 **سُورَةُ الْجَاثِيَةِ**
- 384 قوله تعالى: (أفرءيت من اتخذ إليه هواه) - الآية .
- 385 قوله تعالى: (وقالوا ما هي إلا حياتنا الدنيا) - الآية .
- 385 **سُورَةُ الْأَحْقَافِ**
- 386 قوله تعالى: (قل أرأيتم إن كان من عن الله وكفرتم به) - الآية .
- 387 قوله تعالى: (وقال الذين كفروا للذين آمنوا لو كان خيراً) - الآية .
- 388 قوله تعالى: (والذي قال لوالديه أف لكما) - الآية .
- 388 قوله تعالى: (وإذ صرفنا إليك نفراً من الجن) - الآية .
- 389 **سُورَةُ مُحَمَّدٍ**
- 389 قوله تعالى: (الذين كفروا وصدوا عن سبيل الله أضل أعمالهم) - الآية .
- 389 قوله تعالى: (فإذا لقيتم الذي كفروا فضرب الرقاب) - الآية .
- 390 قوله تعالى: (وكأين من قرين هي أشد قوة) - الآية .
- 390 قوله تعالى: (ومنهم من يستمع إليك حتى إذا خرجوا) - الآية .
- 391 قوله تعالى: (يا أيها الذين آمنوا أطيعوا الله وأطيعوا الرسول ولا تبطلوا) - الآية .
- 391 **سُورَةُ الْفَتْحِ**
- 392 قوله تعالى: (إنا فتحنا لك فتحاً مبيناً)
- 392 قوله تعالى: (ليغفر الله لك ما تقدم من ذنبك) - الآيات .
- 393 قوله تعالى: (لقد رضي الله عن المؤمنين) - الآية .
- 395 قوله تعالى: (هم الذين كفروا وصدوكم عن المسجد الحرام) - الآية .
- 396 قوله تعالى: (لقد صدق الله رسولاً بالحق) - الآية .
- 397 **سُورَةُ الْحُجُرَاتِ**
- 397 قوله تعالى: (يا أيها الذين آمنوا لا تقدموا) - الآيتين .
- 399 قوله تعالى: (يا أيها الذين آمنوا لا ترفعوا أصواتكم) - الآية .
- 400 قوله تعالى: (إن الذين يغضون أصواتهم عند رسول الله) - الآية .
- 400 قوله تعالى: (إن الذين ينادونك) - الآيتين .
- 401 قوله تعالى: (يا أيها الذين آمنوا إن جاءكم فاسق) - الآية .
- 402 قوله تعالى: (وإن طائفتان) - الآية .
- 403 قوله تعالى: (ولا تنازروا بالألقاب) - الآية .
- 405 قوله تعالى: (ولا يغتب بعضكم بعضاً) - الآية .
- 406 قوله تعالى: (يا أيها الناس إنا خلقناكم من ذكر وأنثى) - الآية .
- 407 قوله تعالى: (يمنون عليك أن أسلموا) - الآية .
- 407 **سُورَةُ قٍ**
- 408 قوله تعالى: (ولقد خلقنا السموات والأرض في ستة أيام وما مسنا) - الآية .
- 408 قوله تعالى: (نحن أعلم بما يقولون) - الآية .
- 409 **سُورَةُ الدَّارِيَاتِ**
- 409 قوله تعالى: (وفي أموالهم حق للسائل والمحروم)
- 409 قوله تعالى: (فتول عنهم فما أنت بملوم) - الآية .
- 410 **سُورَةُ الطُّورِ**
- 410 قوله تعالى: (أم يقولون شاعر نترصد به) - الآية .
- 410 **سُورَةُ النَّجْمِ**
- 410 قوله تعالى: (الذين يجتنبون كبار الإثم) - الآية .
- 411 قوله تعالى: (أفرءيت الذي تولى) - الآيات .
- 412 قوله تعالى: (وأنتم سامدون)
- 413 **سُورَةُ الْقَمَرِ**
- 413 قوله تعالى: (اقتربت الساعة وانشق القمر)
- 413 قوله تعالى: (سيهزم الجمع ويولون الدبر)
- 414 قوله تعالى: (إن المجرمين في ضلال وسعر)
- 414 **سُورَةُ الرَّحْمَنِ**
- 414 قوله تعالى: (ولمن خاف مقام ربه جنتان)
- 415 **سُورَةُ الْوَاقِعَةِ**
- 415 قوله تعالى: (ثلثة من الأولين) - الآيات .
- 417 قوله تعالى: (وأصحاب اليمين ما أصحاب اليمين)
- 417 قوله تعالى: (فلا أقسم بمواقع النجوم) - الآيات .
- 418 **سُورَةُ الْحَدِيدِ**

- 418 قوله تعالى: (ألم بأن للذين آمنوا أن تخشع) - الآية
- 419 قوله تعالى: (يا أيها الذين آمنوا اتقوا الله وأمنوا برسوله) - الآية
- 420 قوله تعالى: (لئلا يعلم أهل الكتاب ألا يقدرون) - الآية
- 421 **سُورَةُ الْمُجَادَلَةِ**
- 421 قوله تعالى: (قد سمع الله قول التي تجادلك) - الآية
- 422 قوله تعالى: (ألم تر إلى الذين نهوا عن النجوي) - الآية
- 424 قوله تعالى: (يا أيها الذين آمنوا إذا قيل لكم تفسحوا) - الآية
- 425 قوله تعالى: (أشفقتم أن تقدموا بين يدي نجواكم صدقات) - الآية
- 426 قوله تعالى: (ألم تر إلى الذين تولوا قوما غضب الله عليهم) - الآية
- 427 قوله تعالى: (يوم يبعثهم الله جميعاً) - الآية
- 427 قوله تعالى: (لا تجد قوما يؤمنون بالله واليوم الآخر يوادون من حاد) - الآية
- 429 **سُورَةُ الْحَشْرِ**
- 429 قوله تعالى: (سبح لله ما في السمات وما في الأرض) - الآية
- 429 قوله تعالى: (ما قطعتم من لينة) - الآية
- 430 قوله تعالى: (والذين تبوءوا الدار والإيمان) - الآية
- 432 **سُورَةُ الْمَمْتَحِنَةِ**
- 432 قوله تعالى: (يا أيها الذين آمنوا لا تتخذوا عدوي وعدوكم أولياء) - الآية
- 433 قوله تعالى: (لا ينهاكم الله عن الذين لم يقاتلوكم) - الآية
- 434 قوله تعالى: (يا أيها الذين آمنوا إذا جاءكم المؤمنات مهاجرات فامتحنوهن) - الآية
- 435 قوله تعالى: (وإن فاتكم شيء من أزواجكم) - الآية
- 436 قوله تعالى: (يا أيها الذين آمنوا لا تتولوا قوماً غضب الله عليهم) - الآية
- 436 **سُورَةُ الصَّفِّ**
- 437 قوله تعالى: (سبح لله ما في السموات وما في الأرض) - الآية
- 438 قوله تعالى: (يا أيها الذين آمنوا هل أدلكم على تجارة) - الآية
- 439 **سُورَةُ الْجُمُعَةِ**
- 439 قوله تعالى: (وإذا رأوا تجارة أو لهواً) - الآية
- 440 **سُورَةُ الْمُنَافِقُونَ**
- 440 قوله تعالى: (وإذا قيل لهم تعالوا يستغفر لكم) - الآية
- 440 قوله تعالى: (سواء عليهم أستغفرت لهم أم لم تستغفر لهم) - الآية
- 441 قوله تعالى: (يقولون لئن رجعنا إلى المدينة) - الآية
- 442 **سُورَةُ التَّغَابُنِ**
- 442 قوله تعالى: (يا أيها الذين آمنوا إن من أزواجكم وأولادكم عدوا لكم) - الآية
- 443 قوله تعالى: (فاتقوا الله ما استطعتم) - الآية
- 444 **سُورَةُ الطَّلَاقِ**
- 444 قوله تعالى: (يا أيها النبي إذا طلقتم النساء) - الآية
- 445 قوله تعالى: (فإذا بلغن أجلهن فأمسكوهن بمعروف أو فارقوهن) - الآية
- 446 قوله تعالى: (والائتي بيئن من المحيض من نسائكم) - الآية
- 447 **سُورَةُ التَّحْرِيمِ**
- 447 قوله تعالى: (يا أيها النبي لم تحرم ما أحل الله لك)
- 448 قوله تعالى: (قد فرض الله لكم تحلة إيمانكم) - الآية
- 449 قوله تعالى: (عسى ربه إن طلقكن) - الآية
- 450 **سُورَةُ الْقَلَمِ**
- 450 قوله تعالى: (ما أنت بنعمة ربك بمجنون)
- 451 قوله تعالى: (وإن لك لأجرأ غير ممنون)
- 451 قوله تعالى: (ولا تطع كل حلاف مهين) - الآيات
- 452 قوله تعالى: (إنا بلوناهم كما بلونا أصحاب الجنة) - الآية
- 453 **سُورَةُ الْحَاقَّةِ**
- 454 قوله تعالى: (لنجعلها لكم تذكرة وتعيها) - الآية
- 454 **سُورَةُ الْمَعَارِجِ**
- 454 قوله تعالى: (سأل سائل بعداب واقع)
- 455 قوله تعالى: (للكافرين ليس له دافع)
- 455 **سُورَةُ الْجِنِّ**
- 455 قوله تعالى: (قل أوحى إلي أنه استمع نفر) - الآية
- 456 قوله تعالى: (وأنه كان رجلاً من الإنس) - الآية
- 457 قوله تعالى: (وأن لو استقاموا على الطريقة) - الآية
- 458 قوله تعالى: (وأن المساجد لله) - الآية
- 458 قوله تعالى: (قل لن يجيرني من الله أحد) - الآية
- 459 **سُورَةُ الْمُرْمَلِ**
- 459 قوله تعالى: (يا أيها المزمّل)
- 460 قوله تعالى: (قم الليل إلا قليلاً)
- 461 **سُورَةُ الْمُدَّثِّرِ**
- 461 قوله تعالى: (يا أيها المدثر) - الآيات
- 462 قوله تعالى: (ذرني ومن خلقت وحيداً)
- 463 قوله تعالى: (عليها تسعة عشر) - الآيات
- 464 قوله تعالى: (بل يريد كل امرئ منهم)
- 464 **سُورَةُ الْقِيَامَةِ**
- 464 قوله تعالى: (لا تحرك به لسانك) - الآيات

465	قوله تعالى: (أولى لك فأولى) - الآيات
466	سُورَةُ الْإِنْسَانِ
466	قوله تعالى: (ويطعمون الطعام)
467	قوله تعالى: (وإذ رأيت ثم رأيت نعيماً وملكاً كبيراً)
467	قوله تعالى: (فاصبر لحكم ربك) - الآية
468	سُورَةُ الْمُرْسَلَاتِ
468	قوله تعالى: (وإذا قيل لهم اركعوا لا يركعون)
468	سُورَةُ النَّبَأِ
468	قوله تعالى: (عم ينساءلون) - الآيات
469	سُورَةُ النَّازِعَاتِ
469	قوله تعالى: (تلك إذا كرة خاسرة)
469	قوله تعالى: (يسئلونك عن الساعة أيان مرساها) - الآيات
470	سُورَةُ عَبَسَ
470	قوله تعالى: (عبس وتولى أن جاءه الأعمى)
471	قوله تعالى: (قتل الإنسان ما أكفره)
471	سُورَةُ التَّكْوِيْرِ
471	قوله تعالى: (وما تشاءون إلا أن يشاء الله رب العالمين)
472	سُورَةُ الْإِنْفِطَارِ
472	قوله تعالى: (يا أيها الإنسان ما غرك بربك الكريم)
472	سُورَةُ الْمُطَفِّفِيْنَ
473	قوله تعالى: (ويل للمطففين)
473	سُورَةُ الطَّارِقِ
473	قوله تعالى: (والسماء والطارق)
474	سُورَةُ الْأَعْلَى
474	قوله تعالى: (سنقرئك فلا تنسى)
474	سُورَةُ الْغَاشِيَةِ
475	قوله تعالى: (أفلا ينظرون إلى الإبل كيف خلقت)
476	سُورَةُ الْفَجْرِ
476	قوله تعالى: (يا أيها النفس المطمئنة)
477	سُورَةُ اللَّيْلِ
477	قوله تعالى: (والليل إذا يغشى) - الآيات
479	سُورَةُ الضُّحَى
479	قوله تعالى: (والضحى والليل إذا سجى) - الآيات
480	قوله تعالى: (وللآخرة خير لك من الأولى) - الآيات
481	سُورَةُ الشَّرْحِ
481	قوله تعالى: (إن مع العسر يسراً)
481	سُورَةُ النَّبِيْنَ
481	قوله تعالى: (ثم رددناه أسفل سافلين)
482	سُورَةُ الْعَلَقِ
482	قوله تعالى: (كلا إن الإنسان ليطغى) - الآيات
483	قوله تعالى: (أرأيت الذي ينهى عبداً إذا صلى)
483	قوله تعالى: (فليدع ناديه سندع الزبانية)
483	سُورَةُ الْقَدْرِ
484	قوله تعالى: (إننا أنزلناه في ليلة القدر) - الآيات
485	سُورَةُ الزَّلْزَلَةِ
485	قوله تعالى: (فمن يعمل مثقال ذرة - الآيات)
485	سُورَةُ الْعَادِيَّاتِ
485	قوله تعالى: (والعاديات ضبحاً)
486	سُورَةُ التَّكْوِيْرِ
486	قوله تعالى: (ألهاكم التكائر) - الآيات
487	سُورَةُ الْهُمَزَةِ
487	قوله تعالى: (ويل لكل همزة لمزة)
488	سُورَةُ قُرَيْشٍ
488	قوله تعالى: (إيلاف قریش)
489	سُورَةُ الْمَاعُونِ
489	قوله تعالى: (فويل للمصلين) - الآيات
490	سُورَةُ الْكَوْثِرِ
490	قوله تعالى: (إننا أعطيناك الكوثر) - الآية
491	سُورَةُ الْكَافِرُونَ
491	قوله تعالى: (قل يا أيها الكافرون) - الآيات
492	سُورَةُ النَّصْرِ
492	قوله تعالى: (إذا جاء نصر الله والفتح)
493	سُورَةُ الْمَسَدِ
493	قوله تعالى: (تبت يدا أبي لهب وتب) - الآيات
494	سُورَةُ الْإِخْلَاصِ
494	قوله تعالى: (قل هو الله أحد) - الآيات
496	سُورَةُ الْفَلَقِ

496.....	سُورَةُ النَّاسِ
496.....	سورتا المعوذتين
498.....	الباب الختامي: النتائج والمقترحات
498.....	المراجع مرتبة على حروف المعجم حسب أسماء المؤلفين

DECLARATION

I declare that "Commentary on" *Lubab al-Nuqul fi Asbab al-Nuzul* " (The Cream of Reports relating to circumstances for Qur'anic revelation) is my own work and that all the resources that I have used or quoted have been indicated and acknowledged by means of complete references.

Mohammed Hassan Elkoly

Date: 15 March 2014

ملخص الرسالة

إن أهمية هذا البحث تظهر من أهمية الموضوع المتعلق به وهو " أسباب نزول القرآن " فبدون معرفة سبب النزول يخفي علينا كثير من المعاني التي أرادها الله جل في علاه من تنزيله القرآن، وقد مثلت لذلك من خلال هذه الدراسة.

وقد خدمت هذا الكتاب الذي هو (لباب النقول في أسباب النزول) للإمام السيوطي، نظراً لما له من الأهمية والشمولية في هذا الباب دون غيره من كتب أسباب النزول.

وقد جاءت خدمتي لهذا الكتاب فيما يلي ملخصاً.

فذكرت تعريفاً ملخصاً بالإمام السيوطي حتى تتضح شخصية مؤلف الكتاب، ثم حققت الكتاب من النسخة المخطوطة والتي حصلت عليها من مكتبة الملك فيصل بالرياض.

ثم قارنت بين هذه النسخة المخطوطة وبين عدة من النسخ المطبوعة وذلك للتأكد من صحة النصوص الواردة في هذه الرسالة، ثم حكمت على الأحاديث والآثار الواردة في هذا الكتاب من حيث الصحة والضعف والحسن والإرسال والإعضال حتى يتمكن القارئ من الوقوف على درجة الأحاديث أو الأثر، ثم استدركت على الإمام السيوطي ما فاتته من أسباب النزول المتعلقة بالآيات التي أوردتها - لا الآيات التي لم يوردها - ثم رجحت سبب النزول على وفق ما جاء من قواعد الترجيح وكثيراً ما أميل إلى الجمع بين الآثار ما وجدت إلى ذلك سبيلاً فأحمل الآية على عمومها مبيناً أن سبب النزول داخل في معنى الآية، إلا إذا وجدت العلماء المعترين قد رجحوا سبباً من هذه الأسباب فأرجع في ذلك إلى كقولهم.

ثم ذكرت تفسير الآيات القرآنية الواردة في أسباب النزول تفسيراً ملخصاً حتى يتمكن القارئ من معرفة معنى الآية معرفة كاملة مع معرفة سبب نزولها. وكذلك بينت معنى بعض الكلمات الغريبة الواردة في الكتاب، وكذلك فقد ترجمت لبعض العلماء غير المعرفين في هذه الرسالة.

المصطلحات الواردة في الدراسة

سورة
 صحيح
 حسن
 حسن لغيره
 صحيح لغيره
 غريب الحديث
 الضعيف
 تعليق
 لا بأس به
 الإسناد
 سبب النزول
 مرسل
 المخطوطة
 المعضل (وهو الساقط من إسناده روايات على التوالي)
 التعليق

SUMMARY

The importance of this research is evident from the field related to it; namely, that of reports about circumstances for Qur'anic revelations. Without a comprehensive knowledge of it, many of the subtleties and nuances of Qur'anic discourse remain concealed from us.

For this purpose, I used al-Suyuti's "*Lubab al-Nuqul fi Asbab al-Nuzul*" for the pivotal and comprehensive role it occupies among works dealing with this discipline. Briefly, my methodology was the following:

I first presented a summary of the author's biography. Secondly, I edited the manuscript I had obtained of this book from the King Faisal Library in Riyadh, Saudi Arabia. Thirdly, I made comparisons between this version and numerous printed versions of this book in order to verify the authenticity of textual information I presented in this

(15)

thesis by categorising Prophetic and other reports at the levels of their soundness and weakness so that the reader may obtain a firm insight into their status levels. Fourthly, I amended reports that al-Suyuti had omitted in relation to verses he had cited. Fifthly, I graded different reports on a topic according to established criteria in this subject; often reconciling them where it was possible. I interpreted verses in their general purport by indicating that the report/s relating to the circumstances for revelation was/were already embodied in their signification. I only deviated from this norm where I found that a body of reliable scholars had given preference to a particular report vis-à-vis a certain verse; in which case I adopted their opinion. Sixthly, I attached brief commentaries to relevant verses to enable the reader to gain a more comprehensive grasp of text within its context. Finally, I defined some peculiar terminology found in this book for the benefit of unfamiliar researchers.

Most commonly used terms

Qur'ānic chapter

Authentic report

Good report

Weak report

Commentary

Unobjectionable report

Narratorial chain

Unobjectionable Prophetic report

Transmission of narration

perplexing Prophetic report; meaning one from whose chain the names of two or more consecutive narrators are missing.

مقدمة

الحمد لله الذي أنزل على عبده الكتاب ولم يجعل له عوجًا، قيمًا لينذر بأسًا شديدًا من لدنه ويبشر المؤمنين الذين يعملون الصالحات أن لهم أجرًا حسنًا، وأصلى وأسلم على من بعثه الله معلمًا وموضحًا مراده من آياته، كما أرسله رحمة وهدى، فمن أسباب الرحمة فهم مراد الله تعالى من كلامه وبعد:

فإن من أهم العلوم علم أسباب النزول، فإن معرفة سبب نزول الآيات يساعد على فهم المعنى فهما عميقًا، ولما نظرت في كتاب (لباب النقول في أسباب النزول) للإمام السيوطي وجدته من أجمع الكتب التي اهتمت بجمع أسباب النزول غير أنه في حاجة إلى خدمة من شرح وتحقيق وتخريج إلى غير ذلك حتى تكتمل الفائدة من الكتاب، وللأسف مع شهرة هذا الكتاب لم أجد من شرحه شرحًا يليق به مع إعطاء الأحكام على الأحاديث والآثار، مما أثار في نفسي وحفني إلى خدمة هذا الكتاب الجليل

واخترت هذا الكتاب دون غيره من الكتب المؤلفة في هذا الموضوع _ مثل كتاب الواحدي _ الذي يعتبر من أشهر الكتب في هذا الباب لأسباب منها: سعة جمع الإمام السيوطي وهذا ظاهر من مؤلفاته رحمه الله، وهو من المشتهرين بذلك. ومنها: أنه تلميذ للإمام الحافظ ابن حجر فاستفاد من تأليفه في أسباب النزول، فزاد على ما أورده الحافظ في كتابه (العجاب في بيان الأسباب). وليس كما ادعى بعضهم أن السيوطي إنما نقل كتاب ابن حجر في كتابه، وهذا افتراء على هذا الإمام الجليل جلالاً، ومنها: أنني قد اطلعت على بعض التحقيقات لهذا السفر الثمين، فوجدت فيها أخطاء كثيرة، وذلك نظراً لأن بعضهم أحال على بعض دون رجوع إلى الأصل مع التحقيق الهامشي للأحاديث والآثار، فلا يستطيع القارئ أن يعرف صحة من ضعف ما يقرأ، وبعض هذه التحقيقات قامت في عزوها إلى كتب التخريج ما اهتم منها بتخريج الآثار والأحاديث في التفسير مثل كتاب (الدر المنثور) للسيوطي، ومعلوم أن هذه الكتب وأمثالها ليست أصول يرجع إليها القارئ، فأردت أن أخدم هذا الكتاب بأن أحقق نصوصه وأحاديثه مع التعليق إن لزم الأمر حتى يكون القارئ وطالب العلم على دراية بصحة أو ضعف الحديث والأثر وبيان بعض عللها بعبارة مختصرة من غير إخلال ومن غير إملال مع العزو إلى أصول أهل السنة والجماعة من الصحاح والسنن والمسانيد والمعجم والأجزاء والتواريخ والتفاسير دون العزو إلى كتب التخريج فيكون تحصيل حاصل دون تبين حالة الحديث والأثر.

والله أسأل أن يجعل عملنا لوجهه خالصاً موافقاً لما جاء عن سيد البشر، وأن لا يجعل تنافساً فيها من أجل تحصيل عرض أو غرض أو نيل مرتبة عند البشر، وأن يقبل مني هذا العمل وسائر العمل، إنه أفضل من أعطى وأجزل، وصلى الله وسلم وبارك على النبي محمد أفضل البشر وعلى آله وصحبه ومن تبعهم بإحسان إلى يوم الدين.

كتبه

محمد حسن محمد

احتوت خطة البحث على النقاط التالية

- 1- سبب اختيار الموضوع.
- 2- الهدف من البحث.
- 3- أسئلة مهمة في هذه الرسالة.
- 4- أهمية هذا البحث.
- 5- حدود البحث.
- 6- منهج البحث.
- 7- الدراسات السابقة.
- 8- مقاطع السور والآيات
- 9- المراجع التمهيدية

مجال التحقيق

أولاً: تحقيق نص المؤلف من المخطوط. وقد تقصبت كل النسخ المطبوعة لكتاب [لباب النقول] فلم أجد أحداً من المحققين اعتمد على كتاب مخطوط، وقد قارنت بين المخطوطة التي حصلت عليها وبين النسخ المطبوعة لاستخراج النص الموثوق للمؤلف.

ثانياً: تحقيق كل الآثار والأحاديث الواردة في الكتاب، فعزوت كل حديث وأثر إلى من أخرجه من أصحاب الكتب المعتمدة، مثل الصحاح الستة والمسانيد والمعجم وغيرها.

ثالثاً: الحكم على كل الأحاديث والآثار بما تستحق من الصحة والضعف بما هو معروف عند علماء الحديث من ضوابط التصحيح والتضعيف.

رابعاً: علقت على أسباب النزول مستدرکاً ما فات المؤلف في أسباب نزول الآية المذكورة، وجامعاً أحياناً ومرجعاً أحياناً لسبب النزول، ثم ذكرت تفسير آيات سبب النزول تفسيراً موجزاً لفهم معنى الآية مع سبب نزولها.

أسباب اختيار الموضوع

- 1- أسباب النزول للآيات مخصوصة من القرآن الكريم بصفة مستمرة تتضمن اللبنة الأساسية لعلوم القرآن الكريم، وعلى الرغم من ذلك فإن كتاب [لباب النقول في أسباب النزول] للعلامة السيوطي، لم يدرس ولم يصدر بخدمة شاملة حتى الآن.
- 2- على الرغم من استفادته من شيخه الإمام ابن حجر العسقلاني، فإن كتاب الإمام السيوطي ليس مجرد اقتباس من شيخه، بل قد برع فر زيادات جاءت كإسهامات جديدة في هذا المجال.
- 3- وعلى الرغم من ذلك وجدت كثيراً من الأخطاء في كتاب الإمام السيوطي. يمكن أن تعزي هذه المشكلة إلى العلماء من العصور التالية المستندين إلى التصريحات النبوية المفقرة إلى الصحة والثقة. اعتمد بعض العلماء على النقول والأخبار الواهية المستخدمة في التفسير القرآني مثل [الدر المنثور] للإمام السيوطي.
- 4- العمل الأكاديمي في هذا المجال نادر جداً على الرغم من كثرة فوائده.

الهدف من الرسالة

مما تقدم في النقطة السابقة فإن موضوع الرسالة يمكن أن ينقسم إلى أصناف عامة وخاصة. بصفة إجمالية أود أن أقدم التصريحات النبوية المتعلقة بهذا الموضوع من حيث الصحة والضعف، ومن هذا المنطلق أحب كذلك أن أسهل هذا الموضوع حتى يكون مرجعاً يسهل الرجوع إليه عند الحاجة.

إن مساهمتي الخاصة في هذا المجال تتجه بشكل مباشر للتثبت من الأحاديث النبوية التي استخدمها، والتي تساعد العلماء في المستقبل على إدراك الأسباب الصحيحة من الزائفة. قد عازمت على عمل تعليق قصير ومناسب للعمل الأكاديمي، وكذلك في عملي فسوف أشرح وأستشهد بالشروح المعترف بها عند علماء المسلمين لتوثيق الأحاديث النبوية الوارد التنبيه عليها سابقاً، وذلك لتعزيز الناحية التاريخية لزمان وقوع الأسباب.

3- أسئلة حيوية في هذه الدراسة

- أ- ما هو معنى سبب النزول؟
- ب- ما هي مكانة مؤلف هذا الكتاب من وجهة نظر علماء الإسلام؟
- ج- هل شروح هذا الكتاب بصفة خاصة مستعملة كبحت في هذا المجال؟
- د- هل غطى هذا الفن جميع الآيات القرآنية، وإذا لم تغطي ما هي نوع الآيات التي عالجتها؟
- هـ- هل هذا العلم حقاً يفيد الباحث في العلوم القرآنية؟
- و- لماذا اخترت هذا الكتاب على وجه الخصوص من بين الكتب للدراسة والنشر؟

4- أهمية الرسالة

تعلم فن أسباب النزول يساعد في حسم النزاع الوارد في فهم الآيات القرآنية في سياق معين ولنضرب لذلك مثلاً. روي الترمذي وغيره عن أبي عمران التجيبي قال: كنا بمدينة الروم فأخرجوا إلينا صفا عظيماً من الروم فخرج إليهم من المسلمين مثلهم أو أكثر على أهل مصر عقبة بن عامر وعلى الجماعة فضالة بن عبيد فحمل رجل من المسلمين على صف الروم حتى دخل فيهم فصالح الناس وقالوا سبحان الله لقي بيديه إلى التهلكة فقام أبو أيوب فقال يا أيها الناس أنكم تتأولون هذه الآية هذا التأويل وإنما أنزلت هذه الآية فينا معشر الأنصار لما أعز الله الإسلام وكثر ناصروه فقال بعضهم لبعض سرا دون رسول الله صلى الله عليه وسلم إن أموالنا قد ضاعت وإن الله قد أعز الإسلام وكثر ناصروه فلما أقمنا في أموالنا فأصلحنا ما ضاع منها فأنزل الله على نبيه صلى الله عليه وسلم يرد علينا ما قلنا (وأنفقوا في سبيل الله ولا تلقوا بأيديكم إلى التهلكة) فكانت التهلكة الإقامة على الأموال وإصلاحها وتركها الغزو فما زال أبو أيوب شاخصاً في سبيل الله حتى دفن بأرض الروم⁽¹⁾. فانظر كيف فهم الناس قوله تعالى (ولا تلقوا بأنفسكم إلى التهلكة على غير المعنى التي نزلت من أجله، فلما عرف سبب النزول زال الإشكال وعرّفنا معنى التهلكة.

فقد عرفت وفقنا الله وإياك أهمية هذا العلم وأنه لا يستغنى عنه عالم في معرفة تفسير الآيات القرآنية. وهناك نواحي متعددة دعت إلى اختيار هذا الكتاب مع اختيار "الموضوع الذي هو أسباب نزول القرآن الكريم".

(1) سنن الترمذي (212/5) المؤلف: محمد بن عيسى أبو عيسى الترمذي السلمي الناشر: دار إحياء التراث العربي - بيروت تحقيق: أحمد محمد شاكر وآخرون عدد الأجزاء: 5

حدود البحث

هذا البحث يخدم بصفة خاصة الباحثين في العلوم التفسيرية والقرآنية بحيث يستطيعون بسرعة وسهولة الوصول إلى مراجع موثوق منها مع معرفة صحيح من ضعيف الأحاديث الواردة في أسباب النزول خاصة.

معايير التصحيح والتضعيف في هذا الرسالة

أقول بأن معايير التصحيح والتضعيف التي اعتمدت عليها.

- 1- صحة وضعف إسناد الحديث حيث أبحث في كتب الرجال بحثاً عن أحوالهم من العدالة أو التضعيف كما هو حال المتقدمين من العلماء بعد جمع كل طرق الحديث أو الأثر والمقارنة بينها وبين أحوال رواتها. وهذا مجال كما أشرت بأنه كبير.
- 2- الاعتماد على تصحيح أو تضعيف المتقدمين من العلماء أمثال الإمام البخاري وعلى بن المديني وابن معين وغيرهم ممن عرف بالتخصص في مجال التوثيق والتضعيف.
- 3- الاعتماد على تصحيح أو تضعيف العلماء المعاصرين المتخصصين في علم الحديث هذا إذا لم أصل إلى النتيجة من خلال البحث في الرجال والأسانيد مع الإشارة إلى من صحح أو ضعف هذا الحديث

منهجية البحث

- 1- شرح مختصر للأحاديث المتعلقة بالآيات القرآنية.
- 2- مقارنة بين النسخة المخطوطة والمطبوعة للتحقق من صحة النص.
- 3- تتبع الأحاديث النبوية من المصادر المعتمدة والتعليق عليها بما تستحق من الصحة والضعف.
- 4- وضع جميع التعليقات على الأحاديث في الحاشية حتى يتبين صحتها من ضعفها.
- 5- ترجمة مختصرة لأعلام العلماء المعبرين والغير معرفين لدي كثير من القراء.
- 6- تعليق كامل على الأحاديث من حيث الصحة والضعف في الحاشية.
- 7- ترقيم الأحاديث والأخبار المتعلقة بأسباب النزول.
- 8- ترقيم الآيات القرآنية ووضعها بين قوسين وذلك لتسهيل الرجوع إليها.
- 9- ما يتعذر فيه الرجوع إلى الأصل، وذلك إما لعدم وجود الكتاب عندي أو وجوده مع عدم الحصول على الأثر، فإني أنظر في إسناده في أحد الكتب التي اهتمت بالإسناد كتفسير ابن كثير، فإن لم أجد حكمت على الأحاديث حسب ما ذكره المؤلف من كونه مرسلًا، فإن كان متصلًا وتعذر النظر في إسناده ذكرت ذلك في الحاشية.
- 10- ميزت بين الشرح والمتمن حيث جعلت الشرح بخط مختلف الحجم عن المتن.

(21)

- 11- أن الرسالة ليست تحقيقاً للكتاب بل هي شرح وتعليق على الكتاب ويفهم هذا من العنوان [شرح لباب النقول في أسباب النزول]
- 12- لم أكتب الكتاب لتحقيق نصوصه إنى اعتمدت على نسخة مخطوطة و عدة نسخ مطبوعة للتأكد من صحة النص.
- 13- إنما خرجت الأحاديث تخريجاً يستطيع القارئ به أن يصل إلى الوثوق في الحديث من حيث وجوده في الكتب المعتمدة ولم أرد الأطالة بذكر كل المراجع ولم أشرط ذلك في كتابي وقد علقت على الأحاديث الواردة بالصحة أو الضعف أو الحسن على حسب درجته.
- 14- أني إنما وضعت شرح الآيات لكي يكون أمام القارئ إماماً بمعاني الآية فلا يحتاج أن ينظر في تفسير لفظة غريبة ولا إلى معنى غائب ، فالمراد من دراسة مواد الشريعة هو الفهم.
- 15- إن المنهج الذي سلكته في غاية الوضوح وهو في جميع الآيات ، فقد بدأت بجمع ما فات الإمام السيوطي من الرويات في أسباب النزول ثم المقارنة بينها ثم الترجيح بينها وهذا هو المنهج المتبع في جميع الرسالة.
- 16- إنني عزوت إلى رقم الصفحة والمجلد وهذا هو المنهج المتبع في جميع الكتب وزدت بيانات الكتاب إذا ذكر في أول مرة اتباعاً لإرشادات المشرف على الرسالة البرفسور يوسف دادو.

7- الدراسات السابقة

- 1- [أسباب النزول] للإمام علي بن المديني وهو أول كتاب أوقف في هذا الفن.
- 2- [أسباب النزول] لمطرف الأندلسي.
- 3- [أسباب النزول] لمحمد بن أسعد القرافي
- 4- [أسباب النزول] لأبي الحسن علي بن أحمد الواحدي وهو أشهر كتاب في هذا الفن.
- 5- [أسباب النزول] لأبي الفرج عبد الرحمن بن الجوزي البغدادي.
- 6- [أسباب النزول] لشهاب الدين أحمد بن علي بن حجر العسقلاني.

مقارنة بين كتاب لباب النقول والكتب الأخرى

وسوف أعقد لهذا الباب فقرتين. فالمقارنة الأولى عددية، والثانية كيفية.

أولاً: مقارنة عددية بين كتاب لباب النقول للإمام السيوطي وأسباب النزول للإمام الواحدي.

تحدثنا فيما سبق عن موسوعة الإمام السيوطي واستيعابه الأحاديث التي لم يجمعها غيره، وكذلك الحال في أسباب النزول فقد جمع الإمام السيوطي في أسباب النزول عدد ألف وثلاثمائة وعشرين سبباً، بينما جمع الإمام الواحدي تسعمائة وخمسة وخمسين سبباً. مما جعل لكتاب الإمام السيوطي الأفضلية في هذا الشأن.

ثانياً: مقارنة كيفية مقارنة بين كتاب الإمام السيوطي وكتاب الإمام ابن حجر [العجاب في بيان الأسباب]

ما ذكرت في فضل كتاب الإمام السيوطي على غيره من الكتب فقد فاق غيره من الكتب من حيث الكم وليس فقط بل كذلك من حيث الكيف. وسأقارن بينه وبين كتاب الإمام ابن حجر في ذلك الباب. فإن الإمام ابن حجر وهو تميم لكتاب الواحدي في هذا الفن، فقد قام الحافظ رحمه الله بتلخيص كلامه وتتبع ما فاتته من محذوف الأسانيد مع بيان حال الأحاديث والآثار من حيث الصحة والحسن والضعف والوهاء، يبدأ غالباً بكلام الواحدي ثم المغازي التي استفادها من كلام الجعبري، ثم بما التقطه من كتب غيرهما، ككتب التفسير والمسانيد والسنن والآثار والأجزاء المتفرقة ناسباً كل رواية قبيل التأويل ونسبتها لمخرجها مكتفياً بأسباب النزول الظاهرة معرضاً عما كان في المصحف. فألفه حسب السور على ترتيبها، لكنه لم يتمه فقد وصل فيه إلى نهاية الجزء الخامس فأكمل سورة النساء ولم يتم الكتاب. أما كتاب الإمام السيوطي فقد جمعه من كتب شتى وأكمل فيه القرآن كاملاً، وقد أوضح في مقدمته منهجه في الكتاب، وأوضح أنه على الرغم من استفادته من كتاب الإمام الواحدي غير أنه لم يتقيد به، فقد جمع كتابه من كتب شتى غير كتاب الإمام الواحدي ككتاب التفسير للإمام [ابن جرير الطبري] والتفسير [لابن أبي حاتم] وتفسير [ابن المنذر] تفسير [ابن مردويه] وغيرهم ممن سبق في هذا الفن فجاء الكتاب أكثر فائدة للقارئ وأكثر جمعاً للأسباب النزول.

أقسام فصول وأبواب الكتاب

هذه الأطروحة تنقسم إلى قسمين

الفصل الأول: سوف يتضمن أبواباً مختصرة، بينما يتضمن الفصل الثاني تعليقاً مختصراً على [لباب النقول] جميع المناقشات سوف تتبع بتعليقات متعاقبة متبوعة بالمراجع.

تفصيل الأبواب للفصل الأول كالتالي

الباب الأول: المقدمة [تمهيد لموضوع الرسالة كموجز لخطة البحث].

الباب الثاني: ترجمة الإمام السيوطي مؤلف كتاب [لباب النقول].

الباب الثالث: رفع الخلاف المتعلق بنسبة هذا الكتاب إلى مؤلفه.

الباب الرابع: أسباب نزول القرآن وينقسم إلى:

أ- التعريف اللغوي والاصطلاحي لأسباب النزول.

ب- الظروف المختلفة لأسباب النزول [متضمنة أغلب الآيات القرآنية التي نستطيع أن نفهمها من السياق، بينما باقي الآيات فإنها تحتاج إلى توضيح وبيان.

ج- فائدة هذه الدراسة [التعرف على المرجع الصحيح، التعرف على أسلوب التفسير القرآني، التقدير الوظيفي المتميز بين التشريع الواسع والضيق للقرآن الكريم من حيث العلاقة بينهما، تسهيل وصلات بين المراجع القرآنية بحيث يسهل العزو إليها وإدراكها.

الفصل الثاني

ويشتمل على جميع الآيات التي أورد فيها الإمام السيوطي أسباباً من أسباب النزول.

ترجمة الإمام السيوطي

له ترجمة في شذرات الذهب وغيره⁽²⁾ وأنا أذكر ملخص ترجمته.

نسبه:

هو الحافظ جلال الدين أبو الفضل⁽³⁾ عبد الرحمن بن أبي بكر بن محمد بن ساق الدين أبي بكر بن عثمان بن محمد بن خضر بن أيوب بن محمد بن الشيخ همام الدين الخضير السيوطي.

مولده وحياته العلمية:

ولد بعد مغرب ليلة الأحد مستهل رجب سنة تسع وأربعين وثمانمائة، وتوفي والده وله من العمر خمس سنوات وسبعة أشهر، وقد وصل في القرآن إذ ذاك إلى سورة التحريم، وأسند وصايته إلى جماعة منهم الكمال بن الهمام، وختم القرآن العظيم وله من العمر دون ثمان سنين، ثم حفظ عمدة الأحكام ومنهاج النووي وألفية ابن مالك ومنهاج البيضاوي وعرض ذلك على علماء عصره وأجازوه، وأخذ عن الجلال المحلي والزين العقبلي وأحضره والده مجلس الحافظ ابن حجر، وشرع في الاشتغال بالعلم من ابتداء ربيع الأول سنة أربع وستين وثمانمائة، فقرأ على الشمس السيرامي صحيح مسلم إلا قليلاً منه والشافا وألفية ابن مالك فما أتمها إلا وقد صنف وأجازته بالعربية وقرأ عليه قطعة من التسهيل وسمع عليه الكثير من ابن المصنف والتوضيح وشرح الشذور والمغني في أصول فقه الحنفية وشرح العقائد للفتازاني، وقرأ على الشمس المرزباني الحنفي الكافية وشرحها للمصنف ومقدمة إيساغوجي وشرحها للكاتب وسمع عليه من المتوسط والشافية وشرحها للجاربردي ومن ألفية العراقي ولزمه حتى مات سنة سبع وستين، وقرأ في الفرائض والحساب على علامة زمانه الشهاب الشارمساحي ثم البلقيني من شوال سنة خمس وستين، فقرأ عليه ما لا يحصى كثرة ولزم أيضاً الشرف المناوي إلى أن مات، وقرأ عليه ما لا يحصى ولزم دروس محقق الديار المصرية سيف الدين محمد بن محمد الحنفي ودروس العلامة التقي الشمني ودروس الكافيي، وقرأ على العز الكناني وغيرهم وأجيز بالإفتاء والتدريس.

ذكانه وحفظه:

وكان آية كبرى في سرعة التأليف حتى قال تلميذه الداودي: عاينت الشيخ وقد كتب في يوم واحد ثلاثة كراريس تأليفاً وتحريراً، وكان مع ذلك يملئ الحديث ويجيب عن المتعارض منه بأجوبة حسنة، وكان أعلم أهل زمانه بعلم الحديث وفنونه رجالاً وغريباً ومتناً وسنداً واستنباطاً للأحكام منه، وأخبر عن نفسه أنه يحفظ مائتي ألف حديث قال ولو وجدت أكثر لحفظته.

مؤلفاته:

ذكر ابن العماد أن مؤلفات السيوطي تزيد على خمسمائة مؤلف.

قلت منها:

1. جمع الجوامع
2. تدريب الراوي

(2) شذرات الذهب (51/4) المؤلف: عبد الحي بن أحمد بن محمد العكري الحنبلي سنة الولادة 1032هـ/ سنة الوفاة 089هـ تحقيق: عبد القادر الأرناؤوط، محمود الأرناؤوط الناشر: دار بن كثير

3. الدر المنثور
4. تنوير الحوالك
5. الديباج على صحيح مسلم
6. شرح سنن النسائي
7. إسعاف المبطأ
8. شرح سنن ابن ماجة
9. تفسير الجلالين بالاشتراك مع جلال الدين المحلي
10. طبقات النحاة
11. الخصائص الكبرى
12. الحاوي المزهري
13. النقاية
14. إتمام الدراية
15. ومقامات السيوطي
16. الإقتان، تاريخ الخلفاء
17. الإكليل
18. حمائل الزهر
19. لباب النقول

وغير ذلك كثير من مؤلفات مطولة ومختصرة ومنظومة، فله ألفية في مصطلح الحديث، وله منظومة على نخبة الفكر سماها قصب السكر، وغير ذلك، وكذلك فقد صنف في الطب والنحو، وذلك فضل الله يؤتيه من يشاء والله ذو الفضل العظيم.

مذهبه:

قلت: كان الشيخ رحمه الله شافعي المذهب، وأما بالنسبة للعقيدة ففيه تأويل خفيف وجد في كثير من علماء عصره، كالحافظ ابن حجر رحمه الله والجلال المحلي ولكنه لا يبلغ حد الاعتزال، وقد وجدنا في كلام كثير من الأئمة نحو ذلك مثل القرطبي، وهم مجتهدون رحمهم الله.

وفاته:

ولما بلغ أربعين سنة أخذ في التجرد للعبادة والانقطاع إلى الله تعالى والاشتغال به صرفاً والإعراض عن الدنيا وأهلها كأنه لم يعرف أحداً منهم، وشرع في تحرير مؤلفاته، وترك الإفتاء والتدريس، واعتذر عن ذلك في مؤلف سماه [بالتنقيس] وأقام في روضة المقياس، فلم يتحول منها إلى أن مات ولم يفتح طاقات بيته التي على النيل من سكناه، وتوفي في سحر ليلة الجمعة تاسع عشر جمادى الأولى في منزله بروضة المقياس بعد أن تمرض سبعة أيام بورم شديد في ذراعه الأيسر عن إحدى وستين سنة وعشرة أشهر وثمانية عشر يوماً، ودفن في حوش قوصون خارج باب القرافة.

الفصل الثالث: في بيان معنى أسباب النزول

لفظ أسباب النزول مركب إضافي من كلمتين سأتكلم عن هاتين الكلمتين من الناحية اللغوية، ثم أخلص منها إلى الناحية الاصطلاحية المقصودة هنا،

التعريف اللغوي:

فالأَسباب جمع سبب والسبب كل ما يتوصل به إلى غيره، قال صاحب القاموس المحيط: " والسبب الحبل وما يتوصل به إلى غيره ويجمع على أسباب، وأسباب السماء مراقيها أو نواحيها أو أبوابها، وقطع الله به السبب الحياة ". وقال صاحب لسان العرب بعد كلام طويل: " السبب هو الحبل الذي يتوصل به إلى الماء، ثم استعير إلى كل ما يتوصل به إلى شيء كقوله تعالى: (وَتَقَطَّعَتْ بِهِمُ الْأَسْبَابُ) (1) (البقرة: 166) أي الوصل والموادات ".

التعريف الاصطلاحي:

وقد استعير السبب إلى الحادثة التي من أجلها نزلت آية أو آيات من القرآن، لأنه يتوصل به إلى تفسير الآية والوقوف على قصتها وإزالة الإشكال عنها.

والنزول: مصدر نزل ينزل نزولا وهو الحلول والانحطاط من أعلى، قال الراغب الأصفهاني في مفرداته: " نزل: النزول في الأصل هو الانحطاط من علو، يقال: نزل عن دابته ونزل في مكان كذا حط رحله فيه، وأنزله غيره، قال تعالى: (أَنْزَلْنِي مُنْزَلًا مُبَارَكًا وَأَنْتَ خَيْرُ الْمُنْزِلِينَ) (المؤمنون: 29) ونزل بكذا وأنزله بمعنى، وإنزال الله نعمه ونقمه على الخلق إعطاؤهم إياها، وذلك إما بإنزال الشيء نفسه كإنزال القرآن، وإما بإنزال أسبابه والهداية إليه كإنزال الحديد واللباس ونحو ذلك " (4).

الفصل الرابع: في بيان نشأت أسباب النزول

لتعلم أن علم أسباب النزول كعلم له صفاته وخصوصيته لم يكن موجوداً في العصر الأول شأنه كشأن باقي العلوم التي كانت منتشرة في صدور الرجال، ولما انتشر تدوين العلوم في القرن الثاني والثالث ظهر تدوين علم أسباب النزول. جاء في مجلة البحوث الإسلامية أن أول من ألف في أسباب النزول هو الإمام [ابن المدينة] المتوفي سنة 234 هـ لكنه لم يصل إلينا لكن جاء في كتاب المحرر أن أول المؤلفات في ذلك هو كتاب [تفصيل لأسباب التنزيل] المؤلف [ميمون بن مهران] المتوفي سنة 117 هـ وقال بأنه مخطوط (5). وعلى كل حال فإن أشهر كتب أسباب النزول المتقدمة هو كتاب الإمام الواحدي المتوفي سنة 468 هـ ثم توالى المؤلفات في هذا الباب.

(4) مجلة البحوث الإسلامية (38/ 179) مجلة دورية تصدر عن الرئاسة العامة لإدارات البحوث العلمية والإفتاء والدعوة والإرشاد معها ملحق بترجم الأعلام والأمكنة المؤلف: الرئاسة العامة لإدارات البحوث العلمية والإفتاء والدعوة والإرشاد

عدد الأجزاء: 79 جزءا
(5) المحرر في أسباب النزول 41/1 المؤلف د/ خالد المزيني الناشر: دار ابن الجوزي، الدمام المملكة العربية السعودية الطبعة: الأولى، (1427 هـ 2006 م) عدد الأجزاء: 2

الفصل الخامس: في بيان أقسام أسباب النزول

ونزول القرآن على قسمين:

الأول: ما نزل ابتداء من غير سبب، وهو أكثر القرآن.

والثاني: ما نزل مرتبطاً بسبب، وهو أقل القرآن.

ومن هذا التمهيد أنتقل إلى الاصطلاح لسبب النزول: وهو الحادثة التي تقع في زمن النبي ﷺ، أو السؤال يوجه إليه فتتنزل الآية أو الآيات أيام وقوع ذلك مبينة لحكم تلك الحادثة أو مجيبة على ذلك السؤال ومعنى التقييد بأيام وقوع ذلك أن الحادثة أو السؤال لا يعتبران سبباً لنزول الآية أو الآيات إلا إذا نزلت عقب ذلك مباشرة، كما في حادثة خولة بنت ثعلبة التي ظاهر منها زوجها أوس بن الصامت فنزلت بسببها آيات الظهار في أول سورة المجادلة (1)، أو تأخر نزولها يسيراً لحكمة، كما في حادثة الإفك، فقد نزلت الآيات بعدها بشهر كما رواها البخاري عن عائشة في حديث طويل نقتطف منه قول السيدة عائشة رضي الله عنها « وقد لبث شهراً لا يوحى إليه في شأني » الحديث.

أما الحوادث القديمة، وقصص الأنبياء السابقين، فلا تعتبر أسباباً للنزول، لأنها لم تقع في زمن النبي ﷺ، لذا أخذ على الإمام الواحدي جعله قدوم الأحباش إلى البيت الحرام بالفيلة سبباً لنزول سورة الفيل. قال الإمام السيوطي: " والذي يتحرر في سبب النزول، أنه ما نزلت الآية أيام وقوعه ". انتهى. ليخرج ما ذكره الواحدي في تفسيره في سورة الفيل من أن سببها قصة قدوم الحبشة به، فإن ذلك ليس من أسباب النزول في شيء بل هو من باب الإخبار عن الوقائع الماضية كذكر قصة قوم نوح، وعاد، وثمود⁽⁶⁾.

الفصل السادس: في معرفة فوائده علم أسباب النزول

- 1- بيان معنى الآية، وذلك لأنه قد يكون للآية معنى لا يفهم إلا بمعرفة أسباب النزول، وكم أشكل علينا في ذلك فما عرفنا معناه إلا بعد الاطلاع على سبب النزول.
- 2- بيان ما قد يحدث في الآية من إشكال للبعض كما حدث في قصة مروان بن الحكم لما أشكل عليه قوله تعالى: (لا تحسبن الذين يفرحون بما أتوا ويحبون أن يحمدوا بما لم يفعلوا) - الآية [سورة آل عمران] فقال لابن عباس: لئن كان كل من فرح بما أوتي وأحب أن يحمد بما لم يفعل لنعذبن أجمعين، فبين له أنها نزلت في أهل الكتاب لما سألهم النبي ﷺ عن شيء فكتموه ففرحوا بكتمانهم إياه وأحبوا أن يحمدوا بذلك.

(27)

3- دفع توهم الحصر عما يفيد بظاهرة الحصر نحو قوله سبحانه في سورة الأنعام: (قل لا أجد في ما أوحى إلي محرماً على طاعم يطعمه إلا أن يكون ميتة أو دماً مسفوحاً أو لحم خنزير فإنه رجس أو فسقاً أهل لغير الله به) - [الأنعام]. ذهب الإمام الشافعي إلى أن الحصر في هذه الآية غير مقصود، واستعان على دفع توهمه بأنها نزلت بسبب أولئك الكفار الذين أبوا إلا أن يحرّموا ما أحل الله ويحلوا ما حرم الله عناداً منهم ومحادة لله ورسوله، فنزلت الآية بهذا الحصر الصوري مشادة لهم ومحادة من الله ورسوله لا قصدًا إلى حقيقة الحصر، فكأنه تعالى قال: لا حرام إلا ما أحلّتموه من الميتة والدم ولحم الخنزير وما أهل لغير الله به ولم يقصد حل ما وراءه إذ القصد إثبات التحريم لا إثبات الحل.

4- معرفة أن سبب النزول غير خارج عن حكم الآية إذا ورد مخصص لها، وذلك لقيام الإجماع على أن حكم السبب باق قطعاً فيكون التخصيص قاصراً على ما سواه، فلو لم يعرف سبب النزول لجاز أن يفهم أنه مما خرج بالتخصيص، مع أنه لا يجوز إخراجها قطعاً للإجماع المذكور.

5- معرفة من نزلت فيه الآية على التعيين حتى لا يشتبه بغيره فيتهم البريء ويبرأ المريب مثلاً. ولهذا ردت عائشة على مروان حين اتهم أخاها عبد الرحمن بن أبي بكر بأنه الذي نزلت فيه قوله تعالى: (والذي قال لوالديه أف لكما) الآية [سورة الأحقاف] وقالت: والله ما هو به ولو شئت أن أسميه لسميته - إلى آخر تلك القصة.

6- تيسير الحفظ وتسهيل الفهم وتثبيت الوحي في ذهن كل من يسمع الآية إذا عرف سببها. وذلك لأن ربط الأسباب بالمسببات والأحكام بالحوادث والأشخاص بالأزمنة والأمكنة كل أولئك من دواعي تقرر الأشياء وانتقاشها في الذهن وسهولة استذكارها عند استذكار مقارناتها في الفكر، وذلك هو قانون تداعي المعاني المقرر في علم النفس⁽⁷⁾. هذا وقد ذكر فوائد غير ما ذكر لا داعي للإطالة بذكرها والله الموفق .

الفصل السابع: في بيان أن أسباب النزول قد تتعدد للآية الواحدة

قد يتعدد سبب النزول في الآية الواحدة وهذا لا إشكال فيه، فقد وردت عدة أحاديث تدل على ذلك. ومن ذلك ما رواه الإمام البخاري قال عروة بن الزبير: سألت عائشة زوج النبي ﷺ، فقلت لها: أ رأيت قول الله: (إِنَّ الصَّافَا وَالْمَرْوَةَ مِنْ شَعَائِرِ اللَّهِ) [البقرة: 158] إلى آخر الآية، فقلت لعائشة: فو الله ما على أحد جناح إلا يطوف بين الصفا والمروة. فقالت عائشة: بئس ما قلت يا بن أختي، إن هذه الآية لو كانت على ما أولتها عليه، كانت "فلا جناح عليه أن لا يطوف بهما" ولكنها إنما أنزلت في الأنصار قبل أن يسلموا كانوا يهلون لمناة الطاغية التي كانوا يعبدون عند المشلل، وكان من أهل لها يتخرج ان يطوف بين الصفا والمروة، فلما [أسلموا] سألوا رسول الله ﷺ عن ذلك، وقالوا يا رسول الله: إنا كنا نتخرج ان نطوف بالصفا والمروة، فأنزل الله: (إِنَّ الصَّافَا وَالْمَرْوَةَ مِنْ شَعَائِرِ اللَّهِ فَمَنْ حَجَّ الْبَيْتَ أَوْ اعْتَمَرَ فَلَا جُنَاحَ عَلَيْهِ أَنْ يَطُوفَ بِهِمَا) [البقرة: 158] قالت عائشة: ثم قد سن رسول الله ﷺ الطواف بهما 1، فليس لأحد أن يترك الطواف بهما 2.

قال الزهري: ثم أخبرت أبا بكر بن عبد الرحمن بن الحارث بن هشام بالذي حدثني عروة عن عائشة، فقال أبو بكر: إن هذا لعلم، وإني ما كنت سمعته ولقد سمعت رجالات من أهل العلم يزعمون أن الناس إلا من ذكرت عائشة ممن كان يهل لمناة، كانوا يطوفون كلهم بالصفا والمروة، فلما ذكر الله الطواف بالبيت في القرآن ولم يذكر الطواف بالصفا والمروة، فأنزل الله جل ذكره (إِنَّ الصَّافَا وَالْمَرْوَةَ مِنْ شَعَائِرِ اللَّهِ فَمَنْ حَجَّ الْبَيْتَ أَوْ اعْتَمَرَ فَلَا جُنَاحَ عَلَيْهِ أَنْ يَطُوفَ بِهِمَا) [البقرة: 158]. قال أبو بكر: فاسمع هذه نزلت في الفريقين كليهما في الذين كانوا يتخرجون في الجاهلية أن يطوفوا بالصفا والمروة، ثم تخرجوا أن يطوفوا بهما في الإسلام من أجل أن الله أمرنا بالطواف بالبيت، ولم يذكرهما حين ذكر ذلك بعدما ذكر الطواف بالبيت⁽⁸⁾.

الفصل الثامن: في بيان صحة نسبة الكتاب إلى مصنفه

(7) انظر جواهر القرآن (1/81) وما قبلها المؤلف: أبو حامد محمد بن محمد الغزالي (450 505 هـ = 1058 1111 م)

الناشر: دار إحياء العلوم بيروت الطبعة الأولى، 1985 تحقيق: د. محمد رشيد رضا القبانى عدد الأجزاء: 1
(8) صحيح البخاري (2/194) المؤلف: محمد بن إسماعيل بن إبراهيم بن المغيرة البخاري، أبو عبد الله (المتوفى: 256 هـ) حسب ترقيم فتح الباري الناشر: دار الشعب - القاهرة الطبعة: الأولى، 1407 - 1987 عدد الأجزاء: 9

ولا شك أن كتاب [لباب النقول في أسباب النزول] من تأليف الإمام جلال الدين السيوطي حيث يقول رحمه الله في كتابه المسمى أسباب ورود الحديث: وقد صنّف فيه الأئمة كتباً في أسباب نزول القرآن، واشتهر منها كتاب الواحدي ولي فيه تأليف جامع يسمى [لباب النقول في أسباب النزول].
وقال صديق بن حسن القنوجي: وألف فيه السيوطي كتاباً حافلاً سماه [لباب النقول في أسباب النزول]⁽⁹⁾.
وقال نفسه في الإتقان: وألف فيه شيخ الإسلام أبو الفضل بن حجر كتاباً مات عنه مسودة، فلم تقف عليه كاملاً، وقد ألفت فيه كتاباً حافلاً موجزاً محرراً لم يُؤلف مثله في هذا النوع سمّيته [لباب النقول في أسباب النزول].

الفصل العاشر: في شرح كتاب لباب النقول

بدأت في هذا الكتاب شرحاً من بداية سورة البقرة منتهياً إلى سورة الناس على ترتيب المؤلف رحمه الله.

سُورَةُ الْبَقَرَةِ

(الْم ١ ذَلِكَ الْكِتَابُ لَا رَيْبَ فِيهِ هُدًى لِّلْمُتَّقِينَ ٢ الَّذِينَ يُؤْمِنُونَ بِالْغَيْبِ وَيُقِيمُونَ الصَّلَاةَ وَمِمَّا رَزَقْنَاهُمْ يُنْفِقُونَ ٣ وَالَّذِينَ يُؤْمِنُونَ بِمَا أُنزِلَ إِلَيْكَ وَمَا أُنزِلَ مِن قَبْلِكَ وَبِالْآخِرَةِ هُمْ يُوقِنُونَ ٤ أُولَئِكَ عَلَىٰ هُدًى مِّن رَّبِّهِمْ وَأُولَئِكَ هُمُ الْمُفْلِحُونَ ٥)

قوله تعالى: (ذلك الكتاب لا ريب فيه) - الآيات

1- أخرج الفريابي وابن جرير عن مجاهد، قال: «أربع آيات من أول البقرة نزلت في المؤمنين وآيات⁽¹⁰⁾ في الكافرين وثلاث عشرة آية في المنافقين⁽¹¹⁾». «.

[تعليق]

⁽⁹⁾ أبجد العلوم (2/ 498) المؤلف: صديق بن حسن القنوجي الناشر: دار الكتب العلمية بيروت، 1978 تحقيق: عبد الجبار زكار عدد الأجزاء: 3

⁽¹⁰⁾ في المخطوطة [واثنتان]

⁽¹¹⁾ تفسير الطبري/1/ 103 تأليف محمد بن جرير بن يزيد بن كثير بن غالب الأملي، أبو جعفر الطبري (المتوفى: 310هـ) تحقيق: أحمد محمد شاكر الناشر: مؤسسة الرسالة الطبعة: الأولى، 1420 هـ 2000 م عدد الأجزاء: 24 إسنادهم كلهم ثقات، ولكن أفته رواية بن أبي نجیح عن مجاهد فقد صرح يحيى بن سعيد وابن حبان فيما نقله عنهم الحفاظ في التهذيب/6/ 49 بأنه لم يسمع التفسير من مجاهد، وكذلك فقد نقل العلاني في جامع التحصيل عن ابن عيينة فيما حكاه عنه ابن معين، وتردد ابن معين في ذلك فقال: كذا قال بن عيينة ولا أدري أحق ذلك أم لا، وضح في تفسير سفيان الثوري من قوله كما ذكر عن مجاهد.

سورة البقرة سورة مدنية بل هي أول سورة نزلت بالمدينة، وحكى ابن حجر في شرح البخاري الاتفاق عليه⁽¹²⁾. فأما الأربع آيات في المؤمنين فقوله تعالى: (الَّذِينَ يُؤْمِنُونَ بِالْغَيْبِ وَيُقِيمُونَ الصَّلَاةَ وَمِمَّا رَزَقْنَاهُمْ يُنْفِقُونَ ٣ وَالَّذِينَ يُؤْمِنُونَ بِمَا أُنزِلَ إِلَيْكَ وَمَا أُنزِلَ مِنْ قَبْلِكَ وَبِالْآخِرَةِ هُمْ يُوقِنُونَ ٤ أُولَئِكَ عَلَى هُدًى مِنْ رَبِّهِمْ وَأُولَئِكَ هُمُ الْمُفْلِحُونَ ٥). وأما الآيتان في الكافرين فهما: (إِنَّ الَّذِينَ كَفَرُوا سَوَاءٌ عَلَيْهِمْ ءَأَنْذَرْتَهُمْ أَمْ لَمْ تُنذِرْهُمْ لَا يُؤْمِنُونَ ٦ خَتَمَ اللَّهُ عَلَى قُلُوبِهِمْ وَعَلَى سَمْعِهِمْ وَعَلَى أَبْصَارِهِمْ غِشَاةٌ وَلَهُمْ عَذَابٌ عَظِيمٌ ٧) ثم الثلاثة عشر آية في المنافقين فمن قوله تعالى (٧) وَمِنَ النَّاسِ مَنْ يَقُولُ آمَنَّا بِاللَّهِ وَبِالْيَوْمِ الْآخِرِ وَمَا هُمْ بِمُؤْمِنِينَ ٨) إلى قوله تعالى (يَكَادُ الْبُرْقُ يُخطفُ أَبْصَرَهُمْ كُلَّمَا أَضَاءَ لَهُمْ مَنشُورًا فِيهِ وَإِذَا أَظْلَمَ عَلَيْهِمْ قَامُوا وَلَوْ شَاءَ اللَّهُ لَذَهَبَ بِسَمْعِهِمْ وَأَبْصَرَهُمْ إِنَّ اللَّهَ عَلَى كُلِّ شَيْءٍ قَدِيرٌ ٢٠).

وكان الاستطراد في ذكر المنافقين وصفاتهم في هذه الآية تحذيراً من شرهم لأنهم أشد خطراً على المؤمنين من الكافرين، وذلك لأن الكافر معلوم الهوية والاتجاه أما المنافق فهو يظهر للمؤمنين ما لا يبطن، فجاءت الآيات إشارة إلى شدة خطرهم وتنبئها للنبي ﷺ مما سيلقاه في المنافقين كعبد الله بن أبي بن سلول وأمثاله فقد ورد أن عبد الله بن أبي سلول كان يقوم كل جمعة إذا جلس رسول الله ﷺ فيقول: أيها الناس هذا رسول الله بين أظهركم أكرمكم الله به فانصروه وعزروه، واسمعوا له وأطيعوا، ثم يجلس، حتى إذا صنع يوم أحد ما صنع، قام يفعل ذلك كما كان يفعله، فأخذ المسلمون بثيابه من نواحيه وقالوا: اجلس يا عدو الله لست لذلك بأهل، وقد صنعت ما صنعت! فخرج يتخطى رقاب الناس، فلقبه رجل من الأنصار فقال: ويلك أرجع يستغفر لك رسول الله، قال: والله ما أبغي أن يستغفر لي.

وقد واجه النبي ﷺ من المنافقين شيئاً كبيراً من خذلانهم للمسلمين كما وقع في غزوة أحد حيث رجع بثلاث الجيش. ومواقف عديدة لا تحصى وكان النبي ﷺ مع ذلك صابراً متحماً أذاهم حتى إنه لما مات عبد الله بن أبي بن سلول صلى عليه النبي ﷺ حتى نزل قول الحق (وَلَا تُصَلِّ عَلَى أَحَدٍ مِنْهُمْ مَاتَ أَبَداً وَلَا تَقُمْ عَلَى قَبْرِهِ إِنَّهُمْ كَفَرُوا بِاللَّهِ وَرَسُولِهِ وَمَاتُوا وَهُمْ فَسِقُونَ ٨٤)⁽¹³⁾ التوبة نعوذ بالله من النفاق.

[تفسير مختصر للآيات]

(الذين يؤمنون) يُصَدِّقُونَ (بالغيب) بما غاب عنهم من الجنة والنار والبعث. (ويقيمون الصلاة) يُدِيمُونَهَا ويحافظون عليها (ومِمَّا رزقناهم) أعطيناهم مما ينتفعون به. (ينفقون) يُخْرِجُونَهُ فِي طَاعَةِ اللَّهِ تَعَالَى. (والذين يؤمنون بما أنزل إليك) نزلت في مؤمني أهل الكتاب يؤمنون بالقرآن (وما أنزل من قبلك) يعني التوراة (وبالآخرة) يعني: وبالدار الآخرة (هم يوقنون) يعلمونها علماً باستدلال. (أولئك) يعني: الموصوفين بهذه الصفات (على هدى) ببيانٍ وبصيرة (من ربهم) أي: من عند ربهم (وأولئك هم المفلحون) الباقون في النعيم المقيم.

(ومن الناس من يقول آمنا بالله وباليوم الآخر....) الآية، نزلت في المنافقين حين أظهرها كلمة الإيمان، وأسروا الكفر، فنفى الله سبحانه عنهم الإيمان بقوله: (وما هم بمؤمنين) فدل أن حقيقة الإيمان ليس الإقرار فقط. (يخادعون الله والذين آمنوا) أي: يعملون عمل المخادع بإظهار غير ما هم عليه؛ ليدفعوا عنهم أحكام الكفر [وما يمدعون إلا أنفسهم] لأن وبال خداعهم عاد عليهم بإطلاع الله تعالى نبيه (عليه السلام والمؤمنين) على أسرارهم وافتضحهم (وما يشعرون) وما يعلمون ذلك. (في قلوبهم مرض) شك ونفاق (فزادهم الله مرضاً) أي: بما أنزل من القرآن فشكوا فيه كما شكوا في الذي قبله، (ولهم عذاب أليم) مؤلّم (بما كانوا يكذبون) بتكذيبهم آيات الله عز وجل ونبيه ﷺ. (ومن قرأ: (يُكذِّبُونَ) فمعناه: يكذبهم في ادعائهم الإيمان. (وإذا قيل لهم) لهؤلاء المنافقين (لا تفسدوا في الأرض) بالكفر وتعويق الناس عن الإيمان (قالوا إنما نحن مصلحون) أي: الذين نحن عليه هو صلاح عند أنفسنا، فرد الله تعالى عليهم ذلك، فقال: (ألا إنهم هم المفسدون ولكن لا يشعرون) لا يعلمون أنهم مفسدون. (وإذا قيل لهم آمنوا كما آمن الناس) هم أصحاب محمد ﷺ (قالوا أنؤمن كما آمن السفهاء) أي: لا نفعل كما فعلوا، وهذا القول كانوا يقولونه فيما بينهم، فأخبر الله تعالى به عنهم⁽¹⁴⁾.

(إِنَّ الَّذِينَ كَفَرُوا سَوَاءٌ عَلَيْهِمْ ءَأَنْذَرْتَهُمْ أَمْ لَمْ تُنذِرْهُمْ لَا يُؤْمِنُونَ ٦)

قوله تعالى: (إن الذين كفروا سواء عليهم) - الآية

2- [ك] وأخرج ابن جرير من طريق ابن إسحاق عن محمد بن أبي محمد عن عكرمة عن سعيد ابن جبير

(12) التحرير والتنوير (1/ 199) المؤلف: محمد الطاهر بن محمد بن محمد الطاهر بن عاشور التونسي (المتوفى: 1393هـ) الناشر: مؤسسة التاريخ العربي، بيروت - لبنان الطبعة: الأولى، 1420هـ/2000م

(13) عن ابن عمر قال لما توفي عبد الله بن أبي بن سلول جاء ابنه عبد الله بن عبد الله إلى رسول الله ﷺ فسأله أن يُعطيَه قميصة أن يكفن فيه أباه فأعطاه ثم سأله أن يصلي عليه فقام رسول الله ﷺ ليصلي عليه فقام عمر فأخذ يتوب رسول الله ﷺ فقال يا رسول الله أنصلي عليه وقد نهاك الله أن تصلي عليه فقال رسول الله ﷺ « إنما خيرني الله فقال استغفر لهم أو لا تستغفر لهم إن تستغفر لهم سبعين مرة وسأريد على سبعين ». قال إنه منافق. فصلى عليه رسول الله ﷺ وأنزل الله عز وجل (ولا تصل على أحد منهم مات أبداً ولا تقم على قبره). صحيح مسلم - (7/ 116) المؤلف: أبو الحسين مسلم بن الحجاج بن مسلم القشيري النيسابوري وفاة 261هـ الناشر: دار الجيل بيروت + دار الأفاق الجديدة - بيروت عدد الأجزاء: ثمانية أجزاء في أربع مجلدات

(14) الوجيز للواحد (4) المؤلف: أبو الحسن علي بن أحمد بن محمد بن علي الواحدي، النيسابوري، الشافعي (المتوفى: 468هـ) تحقيق: صفوان عدنان داوودي دار النشر: دار الفلم، الدار الشامية دمشق، بيروت الطبعة: الأولى، 1415 هـ عدد الأجزاء: 1

عن ابن عباس في قوله: (إن الذين كفروا) - الآيتين: «أنهما نزلتا في يهود المدينة»⁽¹⁵⁾.
 3- [ك] وأخرج عن الربيع بن أنس، قال: «آيتان نزلتا في قتال الأحزاب»⁽¹⁶⁾: (إن الذين كفروا سواء عليهم) إلى قوله (ولهم عذاب عظيم)». «

[تعليق]

هذه الآيات في وصف الكافرين، وسواء نزلت في اليهود أو في قتال الأحزاب فإن هذا لا يخرج الآية من عمومها فتشمل كل كافر، ولكن من كتب الله عليه أن يموت على الكفر - لأن بعض الكفار يؤمن بالله قبل موته - فهؤلاء لا تشملهم هذه الآيات. على أن في كلا الأثرين ضعيفا الإسناد فتبقي الآية على عموم وصفها لكل كافر كتب الله عليه أن يموت على الكفر والله أعلم.

[تفسير مختصر للآية]

(إن الذين كفروا) استروا ما أنعم الله عزَّ وجلَّ به عليهم من الهدى والآيات فجحدوها، وتركوا توحيد الله تعالى (سواء عليهم): معتدل ومتساوٍ عندهم (أنذرتهم): أعلمتهم وخوفتهم (أم لم تنذرهم) أم تركت ذلك (لا يؤمنون) نزلت في أبي جهل وخمسة من أهل بيته.

(وَإِذَا لَقُوا الَّذِينَ آمَنُوا قَالُوا آمَنَّا وَإِذَا خَلَوْا إِلَىٰ شِيَابِئِهِمْ قَالُوا إِنَّا مَعَكُمْ إِنَّمَا نَحْنُ مُسْتَهْزِءُونَ ﴿٤﴾)

قوله تعالى: (وإذا لقوا الذين آمنوا) - الآية.

4- أخرج الواحدي والثعلبي من طريق محمد بن مروان السدي الصغير عن الكلبي عن أبي صالح عن ابن عباس قال: «نزلت هذه الآية في عبد الله بن أبي وأصحابه، وذلك أنهم خرجوا ذات يوم فاستقبلهم نفر من أصحاب رسول الله ﷺ فقال عبد الله بن أبي: انظروا كيف أرد عنكم هؤلاء السفهاء، فذهب فأخذ بيد أبي بكر، فقال: مرحباً بالصديق سيد بني تيم وشيخ الإسلام وثاني رسول الله في الغار البازل نفسه وماله لرسول الله، ثم أخذ بيد عمر فقال: مرحباً بسيد بني عدي بن كعب الفاروق القوي في دين الله البازل نفسه وماله لرسول الله، ثم أخذ بيد علي فقال: مرحباً بابن عم رسول الله وختنه سيد بني هاشم ما خلا رسول الله، ثم افترقوا فقال عبد الله لأصحابه: كيف رأيتموني فعلت؟ فإذا رأيتموهم فافعلوا كما فعلت فأنتموا عليه خيراً، فرجع المسلمون إلى النبي صلى الله عليه وسلم وأخبروه بذلك، فنزلت هذه الآية⁽¹⁷⁾. « هذا الإسناد واهٍ جداً، فإن السدي الصغير كذاب وكذا الكلبي وأبو صالح ضعيف.

[تعليق]

حكم المصنف رحمه الله على الأثر بكونه واهٍ جداً، وهو كما قال فقد ذكره الكناني كتابه في الموضوعات⁽¹⁸⁾. قال الإمام السيوطي أخرج ابن جرير، وابن أبي حاتم عن ابن عباس في قوله (وإذا لقوا الذين آمنوا) الآية، قال: كان رجال من اليهود إذا لقوا أصحاب النبي أو بعضهم قالوا: أنا على دينكم (وإذا خلوا إلى شياطينهم) وهم إخوانهم (قالوا إنا معكم) أي على مثل ما أنتم عليه (إنما نحن مستهزؤون) قال: ساخرون بأصحاب محمد (الله يستهزئ بهم) قال: يسخر بهم للنفمة منهم (ويمدهم في طغيانهم) قال: في كفرهم (يعمهمون) قال يترددون. انتهى وأخرج البيهقي في الأسماء عن ابن عباس في قوله (وإذا لقوا الذين آمنوا قالوا آمنا) وهم منافقوا أهل الكتاب⁽¹⁹⁾. أما أثر ابن عباس الأول: ففي إسناد بشر بن عماره ضعفه النسائي وغيره⁽²⁰⁾. وأما الأثر الثاني: ففي إسناده محمد بن السائب الكلبي وهو ضعيف جداً قال الحافظ ابن حجر متهم بالكذب. على ذلك فحمل الآية على عمومها أولى فتكون نزلت في كل منافق هذه صفته وهو الحال في جميع المنافقين إذا لقوا الذين آمنوا ادعوا الإيمان ثم إذا خلوا إلى أمثالهم وأقرانهم استهزؤا بالمؤمنين وأظهروا لهم الولاء.

(15) تفسير الطبري/1/ 108 وله علتان الأولى: محمد بن حبان التميمي شيخ الطبري وهو ضعيف قاله الحافظ في التقریب قال: وكان ابن معين حسن الرأي فيه، والعلة الثانية: محمد بن إسحاق وفيه كلام معروف وتدلسه لا يخفي وقد عنعن في الأثر

(16) تفسير الطبري/1/ 109 قال فيه الطبري رحمه الله: حدثت عن عمارة بن الحسن وفي إسناده أبو جعفر الرازي قال عنه الحافظ صدوق سيء الحفظ وكذلك ولده عبد الله بن جعفر قال فيه: صدوق يخطون قال الحافظ بن كثير وقال: أبو جعفر الرازي عن الربيع بن أنس عن أبي العالية فيبلغ بع أبا العالية ولم يعزه إلى أحد

(17) أثر ضعيف جداً أخرجه الواحدي في أسباب النزول 31 تأليف: أبو الحسن علي بن أحمد النيسابوري.

الناشر: مؤسسة الحلبي وشركاه للنشر والتوزيع

(18) تنزيه الشريعة المرفوعة (2/ 397) المؤلف: أبو الحسن علي بن محمد بن العراق الكناني المحقق: عبد الله بن محمد بن الصديق الغماري الناشر: دار الكتب العلمية

الطبعة: الثانية 1981 عدد الأجزاء: 2

(19) الدر المنثور في التفسير بالمأثور للسيوطي (1/ 165) المؤلف: عبد الرحمن بن أبي بكر السيوطي ت: (911 هـ)

تحقيق: مركز هجر للبحوث الناشر: دار هجر - مصر سنة النشر: [1424 هـ - 2003 م] عدد الأجزاء: [15]

(20) تاريخ الإسلام ت بشار (4/ 586) المؤلف: شمس الدين أبو عبد الله محمد بن أحمد بن عثمان بن قايماز الذهبي (المتوفى: 748 هـ) المحقق: الدكتور بشار عواد معروف الناشر: دار الغرب الإسلامي الطبعة: الأولى، 2003 م عدد الأجزاء: 15

[تفسير مختصر للآية]

(وإذا لقوا الذين آمنوا) إذا اجتمعوا مع المؤمنين، ورأوهم (قالوا آمناً) (وإذا خلوا) من المؤمنين وانصرفوا (إلى شياطينهم) كبرائهم وقادتهم (قالوا إننا معكم) أي: على دينكم (إنما نحن مستهزئون) مظهرون غير ما نضمروه. (الله يستهزئ بهم) يجازيهم جزاء استهزائهم (ويمدّهم) يمهلهم ويطول أعمارهم (في طغيانهم) في إسرافهم ومجاوزتهم القدر في الكفر (يعمهون) يترددون مُتَحِيرِينَ⁽²¹⁾.

(أَوْ كَصَيْبٍ مِّنَ السَّمَاءِ فِيهِ ظُلُمَاتٌ وَرَعْدٌ وَبَرْقٌ يَجْعَلُونَ أَصْبَعَهُمْ فِي آذَانِهِمْ مِّنَ الصَّوْعِقِ حَذَرَ الْمَوْتِ وَاللَّهُ مُحِيطٌ بِالْكَافِرِينَ (١٩)

قوله تعالى: (أو كصيب) - الآية .

5- [ك] أخرج ابن جرير، من طريق السدي الكبير، عن أبي مالك، وأبي صالح، عن ابن عباس، وعن مرة، عن ابن مسعود، وناس من الصحابة قالوا: « كان رجلاً من المنافقين من أهل المدينة، هرباً من رسول الله ﷺ إلى المشركين فأصابهما هذا المطر الذي ذكر الله فيه رعد شديد وصواعق وبرق، فجعلوا كلما أصابهما الصواعق جعلوا أصابعهما في آذانهم من الفرق أن تدخل الصواعق في مسامعهما فتقتلها، وإذا لمع البرق مشياً إلى ضوئه، وإذا لم يلمع لم يبصرأ قاما مكانهما يمشيان فجعلوا يقولان: ليتنا قد أصبحنا فنأتي محمداً فنضع أيدينا في يده، فأتياه فأسلما ووضعاً أيديهما في يده وحسن إسلامهما، فضرب الله شأن هذين المنافقين الخارجين مثلاً للمنافقين الذين بالمدينة، وكان المنافقون إذا حضروا مجلس النبي ﷺ جعلوا أصابعهم في آذانهم فرقاً من كلام النبي ﷺ أن ينزل فيهم شيء أو يذكروا بشيء فيقتلوا، كما كان ذلك المنافقان الخارجان يجعلان أصابعهما في آذانهما، وإذا أضاء لهم مشوا فيه، فإذا كثرت أموالهم وولدهم وأصابوا غنيمة أو⁽²²⁾ فتحاً مشوا فيه وقالوا: إن دين محمد حينئذ صدق واستقاموا عليه كما كان ذلك المنافقان يمشيان إذا أضاء لهما البرق، وإذا أظلم عليهم قاموا، وكانوا إذا هلكت أموالهم وولدهم وأصابهم البلاء قالوا: هذا من أجل دين محمد وارتدوا كفاراً كما قال ذلك المنافقان حين أظلم البرق عليهما⁽²³⁾ .»

[تعليق]

هذا أثر ضعيف الإسناد فلا يصح كسب نزول، لكن هذا المثال الذي ذكره الله تعالى في المنافقين يعم كل منافق هذا حاله، فالمنافق دوماً يستبشر بالخير إذا جاءه ثم إذا أصابه شيء من الفتنة أو البلاء رجع عن الإسلام كما وصف الله حالهم في قوله (وَمِنَ النَّاسِ مَن يَعْبُدُ اللَّهَ عَلَىٰ حَرْفٍ فَإِنْ أَصَابَهُ خَيْرٌ اطْمَأَنَّ بِهِ وَإِنْ أَصَابَتْهُ فِتْنَةٌ انْقَلَبَ عَلَىٰ وَجْهِهِ خَسِرَ الدُّنْيَا وَالْآخِرَةَ ذَلِكَ هُوَ الْخُسْرَانُ الْمُبِينُ (١١) [الحج]) وقال تعالى: (وَإِنَّ مِنْكُمْ لَمَن لَّيْبَطُنَّ فَإِنْ أَصَابَكُمْ مُصِيبَةٌ قَالُوا قَدْ أَتَعَمَّ اللَّهُ عَلَيْنَا إِذْ لَمْ أَكُنْ مَعَهُمْ شَاهِدِينَ ٧٢ وَلَئِن أَصَابَكُمْ فَضْلٌ مِّنَ اللَّهِ لَيَقُولُنَّ كَأَن لَّمْ تَكُنْ بَيْنَكُمْ وَبَيْنَهُ مَوَدَّةٌ يَلْبِئْتَنِي كُنْتُ مَعَهُمْ فَأَفُورٌ قَوْرًا عَظِيمًا (٧٣) [النساء] .

فحمل الآية على عمومها أولى والله تعالى أعلم.

[تفسير مختصر للآية]

(أَوْ كَصَيْبٍ) أو كأصحاب مطر شديد (من السماء) : من السحاب (فيه) : في ذلك السحاب .

(ظلماتٌ ورعدٌ) وهو صوت ملكٍ موكلٍ بالسحاب .

(وبرق) وهي النار التي تخرج منه .

(يجعلون أصابعهم في آذانهم) يعني: أهل هذا المطر .

(من الصواعق) من شدة صوت الرعد يسدون آذانهم بأصابعهم كيلا يموتوا بشدة ما يسمعون من الصوت، فالمطر مثلٌ للقرآن لما فيه من حياة القلوب، والظلمات مثلٌ لما خوفوا به من الوعيد وذكر النار، والبرق مثلٌ لحجج القرآن وما فيه من البيان، وجعل الأصابع في الأذان حذر الموت مثلٌ لجعل المنافقين أصابعهم في آذانهم كيلا يسمعو القرآن مخافة ميل القلب إلى القرآن، فيؤدى ذلك إلى الإيمان بمحمد ﷺ، وذلك عندهم كفر، والكفر موت.

(والله محيط بالكافرين) مهلكهم وجامعهم في النار⁽²⁴⁾ .

(إِنَّ اللَّهَ لَا يَسْتَحْيِي أَن يَضْرِبَ مَثَلًا مَّا بَعُوضَةٌ فَمَا فَوْقَهَا فَأَمَّا الَّذِينَ ءَامَنُوا فَيَعْلَمُونَ أَنَّهُ الْحَقُّ مِن رَّبِّهِمْ وَأَمَّا الَّذِينَ

(21) الوجيز للواحد (6)

(22) في المخطوط [وفتحاً] بالواو

(23) تفسير الطبري/ 1/ 154 وفي إسناده أسباط بن نصر قال عنه الحافظ في التقریب: صدوق كثير الخطأ يغرّب، وقد أكثر عن السدي بهذه السلسلة التي ذكرها المؤلف، والسدي أيضاً متكلم فيه والأكثر على تضعيفه كما في تهذيب ابن حجر وانتقد على الأمام مسلم الإخراج له وعن أحمد بن محمد قال: قلت لأبي عبد الله: السدي كيف هو؟ قال: أخبرك أن حديثه لمقارِب وإنه لحسن الحديث إلا أن هذا التفسير الذي يجيء به أسباط عنه فجعل يستعظمه، وقد أكثر الإمام ابن جرير إخراج هذه السلسلة التي ذكرها المؤلف، وأخرجها الحاكم في مستدرکه في حديث قال فيه صحيح على شرط الشيخين، فالحمد لله تعالى أعلم

(24) الوجيز للواحد (8)

كَفَرُوا فَيَقُولُونَ مَاذَا أَرَادَ اللَّهُ بِهَذَا مَثَلًا يُضِلُّ بِهِ كَثِيرًا وَيَهْدِي بِهِ كَثِيرًا وَمَا يُضِلُّ بِهِ إِلَّا الْفَاسِقِينَ (٢٦)

قوله تعالى: (إن الله لا يستحي أن يضرب مثلاً) - الآية

- 6- [ك] أخرج ابن جرير عن السدي بأسانيده: «لما ضرب الله هذين المثليين للمنافقين قوله: (مثلهم كمثل الذي استوقد ناراً) وقوله: (أو كصيب من السماء) قال المنافقون: الله أعلى وأجل من أن يضرب هذه الأمثال، فأنزل الله: (إن الله لا يستحي أن يضرب مثلاً) إلى قوله (هم الخاسرون)»⁽²⁵⁾.
- 7- وأخرج الواحدي من طريق عبد الغني بن سعيد الثقفي، عن موسى بن عبد الرحمن، عن ابن جريج، عن عطاء، عن ابن عباس قال: «إن الله ذكر آلهة المشركين فقال: (وإن يسلبهم الذباب شيئاً) [سورة الحج] وذكر كيد الآلهة فجعله كبيت العنكبوت فقالوا: رأيت حيث ذكر الله الذباب والعنكبوت فيما أنزل من القرآن على محمد أي شيء كان يصنع بهذا؟ فأنزل الله هذه الآية»⁽²⁶⁾. عبد الغني واه جداً.
- 8- وقال عبد الرزاق في تفسيره: أخبرنا معمر، عن قتادة: «لما ذكر الله العنكبوت والذباب، قال المشركون ما بال العنكبوت والذباب يذكران؟ فأنزل الله هذه الآية»⁽²⁷⁾. وأخرج ابن أبي حاتم عن الحسن قال: «لما نزلت (يا أيها الناس ضرب مثل) قال المشركون: ما هذا من الأمثال فيضرب أو ما يشبه هذه الأمثال فأنزل الله (إن الله لا يستحي أن يضرب مثلاً) - الآية»⁽²⁸⁾. قلت: القول الأول أصح إسناداً، وأنسب بما تقدم أول السورة، وذكر المشركين لا يلائم كون الآية مدنية، وما أوردناه عن قتادة والحسن حكاه عنهما الواحدي بلا إسناد بلفظ «قالت اليهود» وهو أنسب.

[تعليق]

ذكر المؤلف رحمه الله في سبب نزول هذه الآية ثلاث آثار وكلها لا يصح منها شيء. فأما الأول فقد ضعفه المؤلف بعبد الغني بن سعيد الثقفي فقد ضعفه ابن يونس وغيره⁽²⁹⁾. وأما الأثر الثاني فمن رواية معمر عن قتادة وروايته عنه ضعيفة تكلم فيها مالك بن أنس وضعفه الدراقطني في العلق⁽³⁰⁾. وأما أثر الحسن فمرسل وروى عن السدي نحوه وقد علق المؤلف عليه بكونه غير لائق بنزول الآية لأن ذكر المشركين لا يلائم سبب نزول الآية لكونها مدنية أقول: مع كونها مدنية لو صح إسنادها فلا مانع من قول المشركين ذلك لإمكان بلوغ الآية المشركين وهم بمكة. فيكون سبب النزول في منافقي أهل المدينة والمشركين معاً.

[تفسير مختصر للآية]

(إنَّ الله لا يَسْتَحْيِي) الآية. لما ضرب الله سبحانه المثل للمشركين بالذباب والعنكبوت في كتابه ضحكت اليهود، وقالوا: ما يشبه هذا كلام الله سبحانه، فأنزل الله تعالى: (إنَّ الله لا يَسْتَحْيِي) لا يترك ولا يخشى (أن يضرب مثلاً) أن يبيِّن شيئاً (ما بعوضاً) " ما " زائدة مؤكدة، والبعض: صغار البق، الواحدة: بعوضة. (فما فوقها) يعني: فما هو أكبر منها، والمعنى: إنَّ الله تعالى لا يترك ضرب المثل ببعوضة فما فوقها إذا علم أنَّ فيه عبرة لمن اعتبر، وحجَّةٌ على مَنْ جحد واستكبر (فأمَّا الذين آمنوا فيعلمون) أنَّ المثل وقع في حقه، (وأمَّا الذين كفروا فيقولون ماذا أراد الله بهذا مثلاً) أي: أي شيء أراد الله بهذا من الأمثال؟ والمعنى أنهم يقولون: أي فائدة في ضرب الله المثل بهذا؟ فأجابهم الله سبحانه فقال: (يضلُّ به كثيراً) أي: أراد الله بهذا المثل أن يضلَّ به كثيراً من الكافرين، وذلك أنهم يُنكرونه ويكذبونه (ويهدي به كثيراً) من المؤمنين، لأنهم يعرفونه ويصدقونه (وما يضلُّ به إلا الفاسقين) الكافرين الخارجين عن طاعته⁽³¹⁾.

(أَتَأْمُرُونَ النَّاسَ بِالْبِرِّ وَتَنْسَوْنَ أَنْفُسَكُمْ وَأَنْتُمْ تَتْلُونَ الْكِتَابَ أَفَلَا تَعْقِلُونَ ٤٤)

قوله تعالى: (أتأمرون الناس بالبر) .

9. أخرج الواحدي والثعلبي من طريق الكلبي عن أبي صالح عن ابن عباس قال: «نزلت هذه الآية في

(25) أخرجه ابن جرير في تفسيره 177 ج:1 من طريق السدي وقد تقدم الكلام فيه وفي أسباط بن نصر، والأثر إلى أسباط صحيح الإسناد.

(26) أسباب النزول للواحدى 33 وعبد الغني بن سعيد وثقه ابن حبان وضعفه ابن يونس، له ترجمة في لسان الميزان، قال ابن حجر: ابن يونس اعلم به.

(27) تفسير عبد الرزاق الصنعاني/1 41 المؤلف: عبد الرزاق بن همام الصنعاني المتوفى سنة 211 هجرية

الناشر: دار الكتب العلمية الطبعة: الأولى عدد الأجزاء: 3 تفسير الطبري/1 177 وهو من طريق معمر عن قتادة كما ذكر المصنف، وفي رواية معمر عن العراقيين نظر وفتادة عراقي

(28) تفسير ابن أبي حاتم 69 ج:1 المؤلف: الإمام الحافظ أبو محمد عبد الرحمن بن أبي حاتم الرازي

دار النشر: المكتبة العصرية - صيدا عدد الأجزاء/ 10 تحقيق: أسعد محمد الطيب مرسل وذكر نحوه عن السدي مرسلأ

(29) تاريخ الإسلام (5/ 623)

(30) علل الدراقطني 4/ 40 ألف: الحافظ أبي الحسن علي بن عمر ابن أحمد بن مهدي الدارقطني 306 385 هجرية الناشر: دار طيبة الرياض شارع عسير الطبعة الاولى

1405 هـ 1985 م تحقيق وتخري/ د. محفوظ الرحمن زين الله

(31) الوجيز للواحدى (9)

يهود أهل المدينة، كان الرجل منهم يقول لصهره ولدوني قراباته ولمن بينه وبينهم رضاع من المسلمين: اثبت على الدين الذي أنت عليه وما يأمرك به هذا الرجل فإن أمره حق، وكانوا يأمرون الناس بذلك ولا يفعلونه⁽³²⁾».

[تعليق]

تقدم القول في إسناد هذا الأثر. فالكلبي كذاب وأبي صالح ضعيف. والآية توبيخ لكل من يأمر الناس بالطاعة والبر والخير ثم هو لا يأتيه على سبيل الاستهانة. وقد ذكر ابن كثير عن السدي وقتادة قالاً: كان بنو إسرائيل يأمرون الناس بطاعة الله ويتقوا وبالبر، ويخالفون، فعيرهم الله عز وجل⁽³³⁾.

[تفسير مختصر للآية]

(أتأمرون الناس بالبر) كانت اليهود تقول لأقربائهم من المسلمين: اثبتوا على ما أنتم عليه، ولا يؤمنون به، فأنزل الله تعالى توبيخاً لهم: (أتأمرون الناس بالبر) بالإيمان بمحمد □ (وتنسون) وتتركون أنفسكم فلا تأمرونها بذلك (وأنتم تتلون الكتاب) تقرأون التوراة وفيها صفة محمد □ ونعته (أفلا تعقلون) أنه حق فنتبعونه⁽³⁴⁾!.

(إِنَّ الَّذِينَ ءَامَنُوا وَالَّذِينَ هَادُوا وَالنَّصْرَىٰ وَالصَّبِيَّةَ مَن ءَامَنَ بِاللَّهِ وَالْيَوْمِ الْآخِرِ وَعَمِلَ صَالِحًا فَلَهُمْ أَجْرُهُمْ عِنْدَ رَبِّهِمْ وَلَا خَوْفٌ عَلَيْهِمْ وَلَا هُمْ يَحْزَنُونَ ٦٢)

قوله تعالى: (إن الذين آمنوا والذين هادوا).

10. [ك] أخرج ابن أبي حاتم والعدني في مسنده من طريق ابن أبي نجيح عن مجاهد قال: « قال سلمان: سألت النبي صلى الله عليه وسلم عن أهل دين كنت معهم، فذكرت من صلاتهم وعبادتهم فنزلت: (إن الذين آمنوا والذين هادوا) الآية⁽³⁵⁾».
11. وأخرج الواحدي من طريق عبد الله بن كثير عن مجاهد قال: « لما قص سلمان على رسول الله قصة أصحابه قال: « هم في النار » قال سلمان: فأظلمت علي الأرض فنزلت: (إن الذين آمنوا والذين هادوا) إلى قوله (يحزنون) قال: فكأنما كشف عني جبل⁽³⁶⁾».
12. وأخرج ابن جرير وابن أبي حاتم عن السدي قال: « نزلت هذه الآية في أصحاب سلمان الفارسي⁽³⁷⁾ ».

[تعليق]

ذكر المؤلف رحمه ثلاثة آثار في كون هذه الآية نزلت في سلمان الفارسي، وكل من هذه الآثار لا يخلو إسنادها من مقال، وقد ذكر الإمام ابن جرير أثر السدي مطولاً وأنا أذكره هنا بطوله للفائدة.

قال ابن جرير: حدثني موسى بن هارون قال: ثنا عمرو قال: ثنا أسباط بن نصر عن السدي: (إن الذين آمنوا والذين هادوا) الآية قال: نزلت هذه الآية في أصحاب سلمان الفارسي، وكان سلمان من جند نيسابور، وكان من أشرافهم، وكان ابن الملك صديقاً له مواخياً لا يقضي واحد منهما أمراً دون صاحبه، وكانا يركبان إلى الصيد جميعاً، فبينما هما في الصيد إذ رفع لهما بيت من خباء، فأتياه فإذا هما فيه برجل بين يديه مصحف يقرأ فيه وهو يبكي، فسألاه ما هذا فقال: الذي يريد أن يعلم هذا لا يقف موقفكما، فإن كنتما تتريدان أن تعلمما ما فيه فأنزلا حتى أعلمكما، فنزلا إليه فقال لهما: هذا كتاب جاء من عند الله أمر فيه بطاعته ونهى عن معصيته، فيه أن لا تزني ولا تسرق ولا تأخذ أموال الناس بالباطل، فقص عليهما ما فيه وهو الإنجيل الذي أنزله الله على عيسى، فوقع في قلوبهما وتابعاه فأسلما، وقال لهما: إن ذبيحة قومكما عليكم حرام، فلم يزا معه كذلك يتعلمان منه، حتى كان عيد للملك فجعل طعاماً، ثم جمع الناس والأشراف وأرسل إلى ابن الملك، فدعاه إلى صنيعه ليأكل مع الناس فأبى الفتى، وقال: إني عنك مشغول فكل أنت وأصحابك، فلما أكثر عليه من الرسل أخبرهم أنه لا يأكل من طعامهم، فبعث الملك إلى ابنه فدعاه وقال: ما أمرك هذا؟ قال: إنا لا نأكل من ذبائحكم إنكم كفار ليس تحل ذبائحكم، فقال له الملك من أمرك بهذا؟ فأخبره أن الراهب أمره بذلك، فدعا الراهب فقال: ماذا يقول ابني؟ قال: صدق ابنك، قال له: لولا أن الدم فينا عظيم لقتلتك، ولكن أخرج من أرضنا فأجله أجلاً، فقال سلمان: فقمنا نبكي عليه فقال لهما: إن كنتما صادقين فإننا في بيعة بالموصل مع سنتين رجلاً نعبد الله فيها فأتونا فيها، فخرج الراهب

(32) أسباب النزول للواحدي ص 33 والكلبي الذي روي الحديث من طريقة كذاب وأبي صالح ضعيف وقد تقدم قول المؤلف فيهما

(33) تفسير ابن كثير (246/1) المؤلف: أبو الفداء إسماعيل بن عمر بن كثير القرشي الدمشقي [700 - 774 هـ]

المحقق: سامي بن محمد سلامة الناشر: دار طيبة للنشر والتوزيع الطبعة: الثانية 1420 هـ 1999 م عدد الأجزاء: 8

(34) الوجيز للواحدي (14)

(35) تفسير ابن أبي حاتم 1/126 مجاهد لم يسمع من سلمان، كذلك رواية ابن أبي نجيح عنه مرسله وقد تقدم

(36) أخرجه الواحدي في أسباب النزول ص 34 وإسناده ضعيف، وله شاهد عند الطبري في التفسير 1/323 عن مجاهد قوله: (إن الذين آمنوا والذين هادوا) - الآية قال

سلمان الفارسي للنبي عن أولئك النصاري: «وما رأى من أعمالهم؟ قال: لم يموتوا على الإسلام، قال سلمان: فأظلمت علي الأرض وذكر اجتهدهم، فنزلت هذه الآية، فدعا

سلمان فقال: نزلت هذه الآية في أصحابك» وهو مرسل أيضاً.

(37) رواه ابن جرير في تفسيره 1/321

13. أخرج ابن جرير عن مجاهد قال: « قام النبي □ يوم قريظة تحت حصونهم فقال « يا إخوان القردة ويا إخوان الخنازير ويا عبدة الطاغوت » فقال بعضهم لبعض: من أخبر بهذا محمداً ما خرج هذا إلا منكم، أتحدثونهم بما فتح الله عليكم ليكون لهم حجة عليكم، فنزلت الآية⁽⁴⁰⁾».
14. وأخرج من طريق عكرمة عن ابن عباس قال: « كانوا إذا لقوا الذين آمنوا قالوا: أمانا أن صاحبكم رسول الله، ولكنه إليكم خاصة، وإذا خلا بعضهم إلى بعض قالوا: أتحدثوا العرب بهذا، فإنكم كنتم تستفتحون به عليهم فكان منهم، فأنزل الله (وإذا لقوا الذين) ⁽⁴¹⁾ - الآية ».
15. وأخرج عن السدي قال: « نزلت في ناس من اليهود آمنوا ثم نافقوا، وكانوا يأتون المؤمنين من العرب بما تحدثوا به، فقال بعضهم لبعض: أتحدثونهم بما فتح الله عليكم من العذاب ليقولوا نحن أحب إلى الله منكم وأكرم على الله منكم⁽⁴²⁾؟ ».

[تعليق]

ذكر المؤلف رحمه الله تعالى في تفسير هذه الآية ثلاث آثار وكل واحد منها لا يصح إسناده. فالسبب الأول والثالث واحد - وهو أن الله تعالى ابتلاهم بكفرهم وعاقبهم بأن جعل منهم قردة وخنازير وعبد الطاغوت وكانوا يخفون ذلك فلما حدثوا المؤمنين بما فتح الله عليهم - والفتح المراد به هنا القضاء والحكم، قالوا أتحدثون المؤمنين بما قضى الله عليكم ليكون لهم حجة عليكم. والسبب الثاني أن بعضهم شهد بأن محمد □ حق ولكنه خاص بالعرب، فقال بعضهم لبعض إنكم كنتم تستفتحون بمحمد قبل بعثته عليهم. كما روى الإمام ابن جرير قال: « فَكَانُوا يَقُولُونَ: إِنَّ نَبِيًّا يَبْعَثُ الْآنَ نَتَّبِعُهُ قَدْ أَظَلَّ زَمَانُهُ، تَقْتُلُكُمْ مَعَهُ قَتْلَ عَادٍ وَإِرَمَ⁽⁴³⁾ ». انتهى

فكان هذا حجة للمؤمنين عليهم ففتنواها فيما بينهم أن يتحدثوا بمثل هذا.

[تفسير مختصر للآية]

(وإذا لقوا الذين آمنوا) يعني: منافقي اليهود (قالوا أمانا) بمحمد، وهو نبي صادق نجده في كتبنا (وإذا خلا بعضهم إلى بعض) يعني: إذا رجع هؤلاء المنافقون إلى رؤسائهم لاموهم فقالوا: (أتحدثونهم) أتخبرون أصحاب محمد □ - (بما فتح الله عليكم) من صفة النبي المُنْبَشَّرِ به (ليحاجوكم) ليجادلوكم ويخاصموكم (به) بما قلتم لهم (عند ربكم) في الآخرة، يقولون: كفرتم به بعد أن وقفتم على صدقة (أفلا تعقلون) أفليس لكم ذهن الإنسانيّة؟⁽⁴⁴⁾.

(فَوَيْلٌ لِلَّذِينَ يَكْتُبُونَ الْكِتَابَ بِأَيْدِيهِمْ ثُمَّ يَقُولُونَ هَذَا مِنْ عِنْدِ اللَّهِ لَيْسَتْ رَأْيَ بِنَا قَلِيلًا
فَوَيْلٌ لَهُمْ مِمَّا كَتَبَتْ أَيْدِيهِمْ وَوَيْلٌ لَهُمْ مِمَّا يَكْسِبُونَ ٧٩)

قوله تعالى: (فويل للذين يكتبون الكتاب بأيديهم) - الآية.

16. [ك] أخرج النسائي عن ابن عباس قال: « نزلت هذه الآية في أهل الكتاب⁽⁴⁵⁾ ».
17. [ك] وأخرج ابن أبي حاتم من طريق عكرمة، عن ابن عباس قال: « نزلت في أحبار اليهود، وجدوا صفة النبي صلى الله عليه وسلم مكتوبة في التوراة، أكحل أعين ربعة جعد الشعر حسن الوجه فمحوه حسداً منهم وبغياً وقالوا: نجده طويلاً أزرق سبط الشعر⁽⁴⁶⁾ ».

[تعليق]

ذكر رحمه الله في سبب نزول هذه الآية أثرين: أما الأول منهما فصحيح الإسناد. وأما الثاني ففي إسناده مقال غير أنه

(40) تفسير الطبري 1/371 مرسل ضعيف في إسناده الحسين بن داود سنيد ضعيف

(41) ابن جرير 1/369 وفي إسناده محمد بن حميد شيخ ابن جرير وهو ضعيف، وكذلك محمد بن إسحاق مدلس وقد عنعن في الرواية، وشيخ ابن إسحاق محمد بن أبي محمد قال الحافظ عنه في التقريب: مجهول

(42) تفسير ابن أبي حاتم 1/150 تفسير الطبري 1/371 وفي إسناده أسباط بن نصر عن السدي وكلاهما متكلم فيه بما تقدم

(43) تفسير الطبري 310 (دار هجر) (2/237)

(44) الوجيز للواحد (22)

(45) السنن الكبرى للنسائي 6/286 ح (10991) المؤلف: أبو عبد الرحمن أحمد بن شعيب بن علي الخراساني، النسائي (المتوفى: 303هـ) حقه وخرج أحاديثه: حسن عبد المنعم شلبي أشرف عليه: شعيب الأرنؤوط قدم له: عبد الله بن عبد المحسن التركي الناشر: مؤسسة الرسالة - بيروت الطبعة: الأولى، 1421 هـ - 2001 م عدد الأجزاء: (10 و 2 فهارس) خلق أفعال العباد 1/92 ح (301) المؤلف: محمد بن إسماعيل بن إبراهيم بن المغيرة البخاري، أبو عبد الله (المتوفى: 256هـ) المحقق: د. عبد الرحمن عميرة الناشر: دار المعارف السعودية - الرياض عدد الأجزاء: 1 وعبد الرحمن بن علقمة الراوي عن ابن عباس من الطبقة الرابعة قال الحافظ في التقريب: ثقة.

(46) دلائل النبوة للأصبهاني 1/157 ح (179) المؤلف: إسماعيل بن محمد بن الفضل التيمي الأصبهاني [535 457] المحقق: محمد محمد الحداد الناشر: دار طيبة - الرياض الطبعة: الأولى، 1409 عدد الأجزاء: [تفسير ابن أبي حاتم 1/154 رواه في الدلائل من طريق الحافظ الحسن بن علي بن شبيب المعمرى له ترجمة في تاريخ بغداد ولسان الميزان وغيرهما، قال الدارقطني: صدوق حافظ انظر لسان الميزان 221/2 المؤلف: أبو الفضل أحمد بن علي بن محمد بن أحمد بن حجر العسقلاني (المتوفى: 852هـ) المحقق: عبد الفتاح أبو غدة الناشر: دار البشائر الإسلامية الطبعة: الأولى، 2002 م

عدد الأجزاء: 10 العاشر فهارس وفي إسناده شبيب بن بشير قال النسائي في الوجدان: لا نعلم أحداً روي عنه غير أبي عاصم قلت: لم أرى أحداً ذكره بضعف أو توثيق فهو على قاعدة المحدثين مجهول.

شاهد للأثر الأول لأن أخبار اليهود هم من أهل الكتاب وتفسير الآية على ما يلي:
وعد الله تعالى في هذه الآية أولئك المحرفين للكتاب، المبدلين للشرائع، الخائنين لأمانة العلم والدين: بالويل والويل هو الهلاك والعذاب وقيل واد في جهنم، فقد حرفوا بالزيادة والنقصان، وقالوا هذا من عند الله كذباً وزوراً، وغرضهم بذلك التحريف أن ينالوا من حطام الدنيا الفانية، وذلك يتمثل بأمور عدة:

أولاً: جاه الدنيا بالاحتفاظ بمناصب الرئاسة التي كان يتمتع بها كبراء اليهود وأخبارهم قال البغوي رحمه الله: " وذلك أن أخبار اليهود خافوا ذهاب مآكلتهم، وزوال رياستهم، حين قدم النبي ﷺ المدينة، فاحتالوا في تعويق اليهود عن الإيمان به، فعمدوا إلى صفته في التوراة، وكانت صفته فيها: حسن الوجه، حسن الشعر، أكحل العينين، ربعة، فغيروها وكتبوا مكانها: طوال، أزرق، سبط الشعر، فإذا سألهم سفلتهم عن صفته قرءوا ما كتبوا فيجدونه مخالفاً لصفته، فيكذبونه وينكرونها، قال الله تعالى: (فَوَيْلٌ لَهُمْ مِمَّا كَتَبَتْ أَيْدِيهِمْ) يعني ما كتبوا (47) " انتهى.

وقال القرطبي رحمه الله: " قال ابن إسحاق والكلبي: كانت صفة رسول الله ﷺ في كتابهم ربعة أسمر، فجعلوه آدم سبطاً طويلاً، وقالوا لأصحابهم وأتباعهم: انظروا إلى صفة النبي ﷺ الذي يبعث في آخر الزمان ليس يشبهه نعت هذا، وكانت للأخبار والعلماء رئاسة ومكاسب، فخافوا إن بينوا أن تذهب مآكلهم ورياستهم، فمن ثم غيروا (48) " انتهى.
ثانياً: المال القليل مقابل صحف وكتب كتبها بعض أخبار أهل الكتاب بأيديهم لبيعها على بعض جهلة الناس فيتكسبوا من وراء ذلك، وكان من بخلهم وخيانتهم أن غشوه في كلام الله عز وجل، فقالوا هذه الكتب من عند الله وما هي من عند الله.
قال قتادة رحمه الله: " كان ناس من بني إسرائيل كتبوا كتاباً بأيديهم ليتأكلوا الناس، فقالوا: هذا من عند الله، وما هو من عند الله " انتهى.

ويقول السدي رحمه الله: " كان ناس من اليهود كتبوا كتاباً من عندهم يبيعونه من العرب، ويحدثونهم أنه من عند الله، ليأخذوا به ثمناً قليلاً (49) " انتهى.

وذكر العلامة الطاهر بن عاشور رحمه الله وجهين آخرين من أوجه الأطماع الدنيوية التي حملت بعض أهل الكتاب على تحريف كتبهم، فقال رحمه الله: " الثمن المقصود هنا هو إرضاء العامة، بأن غيروا لهم أحكام الدين على ما يوافق أهواءهم. أو انتحال العلم لأنفسهم مع أنهم جاهلون، فوضعوا كتباً تافهة من القصص والمعلومات البسيطة ليتفهبوا بها في المجمع ؛ لأنهم لما لم تصل عقولهم إلى العلم الصحيح، وكانوا قد طمعوا في التصدر والرئاسة الكاذبة، لفقوا تنفاً سطحية، وجمعوا موضوعات وفراغات لا تثبت على محك العلم الصحيح، ثم أشاعوها، ونسبوا إلى الله ودينه، وهذه شئنة الجهلة المتطلعين إلى الرئاسة عن غير أهلية، ليظهروا في صور العلماء لدى أنظار العامة ومن لا يميز بين الشحم والورم (50) " انتهى.

[تفسير مختصر للآية]

(فَوَيْلٌ لِّلَّذِينَ يَكْتُمُونَ الْكِتَابَ بِأَيْدِيهِمْ) أي: من قَبِلَ أنفسهم من غير أن يكون قد أنزل (ثم يقولون هذا من عند الله) الآية يعني اليهود، عمدوا إلى صفة محمد ﷺ وكتبوا صفته على غير ما كانت في التوراة، وأخذوا عليه الأموال فذلك قوله تعالى: (وويلٌ لهم مما يكسبون) من حطام الدنيا (51).

(وَقَالُوا لَنْ نَمَسَّنَا النَّارَ إِلَّا أَيَّامًا مَّعْدُودَةً قُلْ أَتَّخَذْتُمْ عِنْدَ اللَّهِ عَهْدًا فَلَنْ يُخْلِفَ اللَّهُ عَهْدَهُمْ أَمْ تَقُولُونَ عَلَى اللَّهِ مَا لَا تَعْلَمُونَ (٨٠))

قوله تعالى: (وقالوا لن تمسنا النار) - الآية.

18. أخرج الطبراني في الكبير وابن جرير وابن أبي حاتم من طريق ابن إسحاق، عن محمد بن أبي محمد، عن عكرمة أو سعيد بن جبير، عن ابن عباس قال: « قدم رسول الله ﷺ المدينة ويهود تقول: إنما مدة الدنيا سبعة آلاف سنة، وإنما يعذب الناس بكل ألف سنة من أيام الدنيا يوماً واحداً في النار من أيام الآخرة، فإنما هي سبعة أيام ثم ينقطع العذاب، فأنزل الله في ذلك: (وقالوا لن تمسنا النار) إلى قوله (فيها خالدون) (52) » .

19. وأخرج ابن جرير من طريق الضحاك عن ابن عباس أن اليهود قالوا: « لن ندخل النار إلا تحلة بقسم الأيام التي عبدنا فيها العجل أربعين ليلة فإذا انقضت انقطع العذاب فنزلت الآية ». وأخرج عن عكرمة وغيره.

(47) معالم التنزيل (115/1) المؤلف: محيي السنة، أبو محمد الحسين بن مسعود البغوي (المتوفى: 510هـ) المحقق: حققه وخرج أحاديثه محمد عبد الله النمر عثمان جمعة ضميرية سليمان مسلم الحرش الناشر: دار طيبة للنشر والتوزيع الطبعة: الرابعة، 1417 هـ - 1997 م عدد الأجزاء: 8

(48) تفسير القرطبي (9/2)

(49) جامع البيان (271:270/2)

(50) التحرير والتنوير (577/1)

(51) الوجيز للواحد (22)

(52) ضعيف عن ابن عباس، وروي عن مجاهد بسند ضعيف أيضاً، أخرجه الطبري 1/382 1/383 من طريق ابن حميد، وقد تقدم ضعفه، وفي إسناده محمد بن إسحاق عن محمد بن أبي محمد قال الحافظ عنه مجهول كما تقدم، وأخرجه الحاكم في المستدرک على الصحيحين 2/654 عن محمد بن إسحاق عن محمد بن عكرمة، والصواب محمد بن أبي محمد، ففعل الخطأ في النسخة، والصواب عن محمد بن عكرمة، وفي سنده محمد بن حميد الرزي وهو ضعيف كما تقدم، وأيضاً فيه محمد بن إسحاق، كما رواه ابن جرير عن مجاهد من طريق ابن أبي نجيب، وقد تقدم أنه لم يسمع التفسير من مجاهد.

ذكر المؤلف رحمه الله هذين الأثرين في سبب نزول هذه الآية وهما ضعيفا الإسناد وقد ذكر الإمام القرطبي رحمه الله أن هذه الآية مختلف في سبب نزولها فقال: إن النبي ﷺ قال لليهود: "من أهل النار." قالوا: نحن، ثم تخلفونا أنتم. فقال: "كذبتم لقد علمتم أنا لا نخلفكم" فنزلت هذه الآية⁽⁵³⁾. انتهى

قلت قد روي هذا الحديث من غير ذلك سبب النزول عند البخاري وغيره

روى الإمام البخاري عن أبي هريرة، رضي الله عنه، قال: لما فتحت خيبر أهديت لرسول الله صلى الله عليه وسلم شاة فيها سم، فقال رسول الله صلى الله عليه وسلم: "اجمعوا لي من كان من اليهود هاهنا" فقال لهم رسول الله صلى الله عليه وسلم: "من أبوكم؟" قالوا: فلان. قال: "كذبتم، بل أبوكم فلان." فقالوا: صدقت وبررت، ثم قال لهم: "هل أنتم صادقي عن شيء إن سألتكم عنه؟" قالوا: نعم، يا أبا القاسم، وإن كذبناك عرفت كذبنا كما عرفت في أبينا. فقال لهم رسول الله صلى الله عليه وسلم: "من أهل النار؟" فقالوا: نكون فيها يسيراً ثم تخلفونا فيها. فقال لهم رسول الله صلى الله عليه وسلم: "أخسأوا، والله لا نخلفكم فيها أبداً." ثم قال لهم رسول الله صلى الله عليه وسلم: "هل أنتم صادقي عن شيء إن سألتكم عنه؟" قالوا: نعم يا أبا القاسم. فقال: "هل جعلتم في هذه الشاة سمّاً؟" فقالوا: نعم. قال: "فما حملكم على ذلك؟" فقالوا: أردنا إن كنت كاذباً أن نستريح منك، وإن كنت نبياً لم يضررك.⁽⁵⁴⁾ انتهى

قلت: وسواء نزلت هذه الآية في السبب الأول أو الثاني فما لا شك فيه أنها أنزلت في اليهود لأن الله تعالى يتحدث في الآية عن أقوام بأعيانهم ورواية الأمام البخاري رحمه الله شاهد لهذا القول والله تعالى أعلم.

[تفسير مختصر للآية]

(قالوا لن تمسنا النار إلا أياماً معدودة) قليلة، ويعنون الأيام التي عبد أبائهم فيها العجل، فكذبهم الله سبحانه فقال: قل لهم يا محمد: (أخذتم عند الله عهداً) أخذتم بما تقولون من الله ميثاقاً؟ (فلن يخلف الله عهده) والله لا ينقض ميثاقه (أم تقولون على الله الباطل جهلاً منكم)⁽⁵⁵⁾.

(وَلَمَّا جَاءَهُمْ كِتَابٌ مِّنْ عِندِ اللَّهِ مُصَدِّقٌ لِّمَا مَعَهُمْ وَكَانُوا مِن قَبْلُ يَسْتَفْتِحُونَ عَلَى الَّذِينَ كَفَرُوا فَلَمَّا جَاءَهُمْ مَا عَرَفُوا كَفَرُوا بِهِ فَلَعْنَةُ اللَّهِ عَلَى الْكَافِرِينَ ٨٩)

قوله تعالى: (وكانوا من قبل يستفتحون) - الآية.

20. أخرج الحاكم في المستدرک والبيهقي في الدلائل بسند ضعيف، عن ابن عباس قال: « كانت يهود خيبر تقاتل غطفان، فكلما التقوا هزمت يهود، فعادت بهذا الدعاء: اللهم إنا نسألك بحق محمد النبي الأمي الذي وعدتنا أن تخرجه لنا في آخر الزمان إلا نصرتنا عليهم، فكانوا إذا التقوا دعوا بهذا الدعاء فيهزمون غطفان، فلما بعث النبي ﷺ كفروا به، فأنزل الله (وكانوا من قبل يستفتحون) أي: بمحمد ﷺ على الكافرين⁽⁵⁶⁾.

21. [ك] وأخرج ابن أبي حاتم من طريق سعيد أو عكرمة عن ابن عباس: « أن يهود كانوا يستفتحون على الأوس والخزرج برسول الله صلى الله عليه وسلم قبل مبعثه، فلما بعثه الله من العرب كفروا به وجدوا ما كانوا يقولون فيه فقال لهم معاذ بن جبل وبشر بن البراء وداود بن سلمة: يا معشر يهود اتقوا الله وأسلموا فقد كنتم تستفتحون علينا بمحمد ﷺ ونحن أهل شرك وتخبروننا بأنه مبعوث وتصفونه بصفته، فقال سلام بن مشكم أحد بني النضير: ما جاءنا بشيء نعرفه وما هو بالذي كنا نذكر لكم، فأنزل الله: (ولما جاءهم كتاب من عند الله) - الآية⁽⁵⁷⁾ ». »

[تعليق]

ذكر المؤلف رحمه الله أثرين في إسنادهما مقال. وعليه فإن حمل الآية على عمومها أولى فيكون أهل الكتاب استفتحوا بمحمد ﷺ على الأوس والخزرج وكذلك على غطفان. ومعنى الاستفتاح كما تقدم - هو طلب الحكم والقضاء - والاستنصار يعني طلب النصير والظفر على الأعداء بمحمد ﷺ. ويشهد لذلك كذلك ما روى الإمام ابن جرير قال: «فكانوا يقولون: إِنَّ نَبِيًّا يَبْعَثُ الْآنَ نَتَّبِعُهُ قَدْ أَظَلَّ زَمَانُهُ، نَتَّقُلُكُمْ مَعَهُ قَتْلَ عَادٍ وَإِرَمَ»⁽⁵⁸⁾.

(53) تفسير القرطبي - (10/2)

(54) صحيح البخاري (4/121)

(55) الوجيز للواحد (23)

(56) أخرجه الحاكم في المستدرک على الصحيحين 289/2 ح (3042) والبيهقي في دلائل النبوة من طريق عبد الملك بن هارون بن عنترة، قال البخاري في تاريخه: منكر الحديث وله ترجمة أيضا عند ابن أبي حاتم في الجرح والتعديل وابن عدي في الكامل وضعفاء العقيلي وميزان الاعتدال ولسان الميزان وغير ذلك قال الحاكم عقب إخرجه: أدت الضرورة إلى إخرجه في التفسير وهو غريب من حديثه.

(57) تفسير ابن أبي حاتم 1/172 في إسناد محمد بن أبي محمد مجهول.

(58) تقدم رقم 29

(ولما جاءهم كتاب يعني: القرآن (مصتق) موافقاً (لما معهم) (وكانوا) يعني: اليهود (من قبل) نزول الكتاب (يستفتحون) يستنصرون (على الذين كفروا) بمحمد عليه السلام وكتابه، ويقولون: اللهم انصرنا بالنبي المبعوث في آخر الزمان (فلما جاءهم ما عرفوا) يعني: الكتاب وبعثة النبي (كفروا) ثم ذم صنيعهم فقال: (بنس ما اشتروا به أنفسهم) أي: بنس ما باعوا به حظ أنفسهم من الثواب بالكفر بالقرآن (بغياً) أي: حسداً (أن ينزل الله) أي: إنزال الله (من فضله على من يشاء من عباده) وذلك أن كفر اليهود لم يكن من شك ولا اشتباه، وإنما كان حسداً حيث صارت النبوة في ولد إسماعيل عليه السلام (فباؤوا) فانصرفوا واحتملوا (بغضب) من الله عليهم لأجل تضييعهم الثروة (على غضب) لكفرهم بالنبي محمد □ والقرآن⁽⁵⁹⁾.

(قُلْ إِنْ كَانَتْ لَكُمْ الدَّارُ الآخِرَةُ عِنْدَ اللَّهِ خَالِصَةً مِّنْ دُونِ النَّاسِ فَتَمَنَّوْا الْمَوْتَ إِنْ كُنْتُمْ صَادِقِينَ ٩٤)

قوله تعالى: (قل إن كانت لكم الدار الآخرة) - الآية.

22. أخرج ابن جرير عن أبي العالية قال: « قالت اليهود لن يدخل الجنة إلا من كان هوداً، فأُنزل الله: (قل) إن كانت لكم الدار الآخرة عند الله خالصة) - الآية⁽⁶⁰⁾.

[تعليق]

هذا الأثر في إسناده أبو جعفر الرازي وهو صدوق سيئ الحفظ ويخلط في الأحاديث، وروى عن قتادة بإسناد صحيح قوله: (قل إن كانت لكم الدار الآخرة عند الله خالصة من دون الناس) وذلك أنهم قالوا: (لن يدخل الجنة إلا من كان هوداً أو نصارى) وقالوا: (نحن أبناء الله وأحباؤه) فقيل لهم: (فتمنوا الموت إن كنتم صادقين). قلت: هذا أحد ادعاءات اليهود فهم يدعون ما ليس لهم عليه دليل، فقال الله لهم إن كنتم صادقين في دعواكم بأنه لن يدخل الجنة غيركم (فتمنوا الموت إن كنتم صادقين) وهم لن يتمنوا الموت أبداً كما وصفهم الله بذلك فثبت بذلك بطلان ادعائهم لأنهم لو كانوا سيدخلون الجنة فالأصل لهم الموت من إيثار البقاء في الدنيا. وهذا هو أحد وجهي تفسير هذه الآية. الوجه الثاني: أنا هذا من باب المباهلة يعنى عندما ادعوا أنهم أصحاب الجنة طالبهم النبي □ بالاجتماع للمباهلة والمباهلة هو أن يجتمع كل من الطرفين فيدعوا على الكاذب منهما. وقد ذكر الوجهين الإمام ابن جرير في تفسيره⁽⁶¹⁾.

[تفسير مختصر للآية]

(قل إن كانت لكم الدار الآخرة عند الله خالصة من دون الناس فتمنوا الموت إن كنتم صادقين) كانت اليهود تقول: لن يدخل الجنة إلا من كان هوداً، فقيل لهم: إن كنتم صادقين فتمنوا الموت، فإن من كان لا يشك في أنه صائر إلى الجنة، فالجنة أتر عنده. (ولن يتمنوه أبداً) لأنهم عرفوا أنهم كفرة، ولا نصيب لهم في الجنة، وهو قوله تعالى: (بما قدمت أيديهم) أي: بما عملوا من كتمان أمر محمد □، وتغيير نعتهم (والله عليم بالظالمين) فيه معنى التهديد⁽⁶²⁾.

(قُلْ مَنْ كَانَ عَدُوًّا لِجِبْرِيلَ فَإِنَّهُ نَزَّلَهُ عَلَى قَلْبِكَ بِإِذْنِ اللَّهِ مُصَدِّقًا لِّمَا بَيْنَ يَدَيْهِ وَهُدًى وَبُشْرَىٰ لِلْمُؤْمِنِينَ ٩٧)

قوله تعالى: (قل من كان عدوا لجبريل) - الآية.

23. [ك] روى البخاري عن أنس قال: « سمع عبد الله بن سلام مقدم رسول الله □ وهو في أرض يخرتف، فقام فأتى النبي □ فقال: إني سائلك عن ثلاث لا يعلمهن إلا نبي، ما أول أشرط الساعة؟ وما أول طعام أهل الجنة؟ وما ينزع الولد إلى أبيه أو إلى أمه؟ قال: « أخبرني بهن جبريل أنفا » قال: جبريل؟ قال « نعم » قال: ذاك عدو اليهود من الملائكة فقراً هذه الآية: (قل من كان عدوا لجبريل فإنه نزله على قلبك)⁽⁶³⁾.

قال شيخ الإسلام ابن حجر في فتح الباري⁽⁶⁴⁾: ظاهر السياق أن النبي صلى الله عليه وسلم قرأ الآية رداً

(59) الوجيز للواحد (25)

(60) تفسير الطبري/ 1/ 425

(61) تفسير الطبري 310 (دار هجر) (267/2)

(62) الوجيز للواحد (26)

(63) صحيح البخاري 3/1211 ح (3151) مسند أحمد 3/189 ح (12993) صحيح ابن حبان بترتيب ابن بلبان 16/117 ح (7161) المؤلف: محمد بن حبان بن أحمد

أبو حاتم التميمي البستي الوفاة 354 الناشر: مؤسسة الرسالة - بيروت

الطبعة الثانية، 1414 - 1993 تحقيق: شعيب الأرنؤوط عدد الأجزاء: 18 السنن الكبرى للنسائي 5/ 338 ح (9074) مسند أبي يعلى 6/139 ح (3414) المحقق: حسين سليم أسد الناشر: دار المأمون للتراث - دمشق الطبعة: الأولى، 1404 - 1984 عدد الأجزاء: 13 المنتخب من مسند عبد بن حميد 408 ح (1389) المؤلف: عبد بن حميد بن نصر الكلبى، أبو محمد قيل: اسمه عبد الحميد وبذلك جزم ابن جبان وغير واحد (المتوفى: 249هـ) أرقام هذه النشرة تتفق مع طبعة عالم الكتب

المشكول نسخة جامع السنّة. الأحاديث الطوال للطبراني 205 وغيرهم.

(64) فتح الباري 8/166 المؤلف: أحمد بن علي بن حجر أبو الفضل العسقلاني الشافعي الناشر: دار المعرفة - بيروت، 1379 تحقيق: أحمد بن علي بن حجر أبو الفضل

العسقلاني الشافعي عدد الأجزاء: 13

على اليهود، ولا يستلزم ذلك نزولها حينئذ، قال: وهذا هو المعتمد، فقد صح في سبب نزول الآية قصة غير قصة عبد الله بن سلام،

24. فأخرج أحمد والترمذي والنسائي من طريق بكر بن شهاب عن سعيد بن جبيرة عن ابن عباس قال: «أقبلت يهود إلى رسول الله فقالوا: يا أبا القاسم إنا نسألك عن خمسة أشياء، فإن أنبأتنا بهن عرفنا أنك نبي؟! - فذكر الحديث وفيه: أنهم سألوه عما حرم إسرائيل على نفسه، وعن علامة النبي، وعن الرعد وصوته، وكيف تُدكر المرأة وتوث، وعن يأتيه بخبر السماء - إلى أن قالوا: فأخبرنا من صاحبك؟ قال: «جبريل»، قالوا: جبريل؟! ذاك ينزل بالحرب والقتال والعذاب عدونا، لو قلت ميكائيل الذي ينزل بالرحمة والنبات والقطر لكان خيراً فنزلت⁽⁶⁵⁾».

25. وأخرج إسحاق بن راهوية في مسنده وابن جرير من طريق الشعبي: «أن عمر كان يأتي اليهود فيسمع من التوراة، فيتعجب كيف تصدق ما في القرآن قال: فمر بهم النبي □ فقلت: نشدتكم بالله أتعلمون أنه رسول الله؟ فقال عالمهم: نعم نعلم أنه رسول الله، قلت: فلم لا تتبعونه؟ قالوا: سألناه من يأتيه بنبوته؟ فقال: عدونا جبريل لأنه ينزل بالغلظة والشدة والحرب والهلاك، قلت: فمن رسولكم⁽⁶⁶⁾ من الملائكة؟ قالوا: ميكائيل ينزل بالقطر والرحمة، قلت: وكيف منزلتهما من ربهما؟ قالوا أحدهما عن يمينه والآخر عن الجانب الآخر، قلت: فإنه لا يحل لجبريل أن يعادي ميكائيل، ولا يحل لميكائيل أن يسالم عدو جبريل، وأنتي أشهد أنهما وربهما سلم لمن سالموا، وحرب لمن حاربوا، ثم أتيت النبي □ وأنا أريد أن أخبره، فلما لقيتاه قال: «ألا أخبرك بآيات أنزلت علي؟» فقلت: بلى يا رسول الله، فقرأ: (من كان عدواً لجبريل) حتى بلغ (للكافرين) قلت: يا رسول الله، والله ما قمت من عند اليهود إلا إليك لأخبرك بما قالوا لي وقلت لهم، فوجدت الله قد سبقني⁽⁶⁷⁾» إسناده صحيح إلى الشعبي لكنه لم يدرك عمر، وقد أخرجه ابن أبي شبيب وابن أبي حاتم من طريق آخر عن الشعبي، وأخرجه ابن جرير من طريق السدي عن عمر ومن طريق قتادة عن عمر وهما أيضاً منقطعان.

26. [ك] وأخرج ابن أبي حاتم من طريق آخر عن عبد الرحمن بن أبي ليلى: «أن يهودياً لقي عمر بن الخطاب فقال: إن جبريل الذي يذكر صاحبكم عدو لنا، فقال عمر: من كان عدواً لله وملائكته ورسوله وجبريل وميكايل فإن الله عدوه، قال: فنزلت على لسان عمر. فهذه طرق يقوي بعضها بعضاً، وقد نقل ابن جرير الإجماع على أن سبب نزول الآية ذلك.

[تعليق]

ذكر المؤلف رحمه الله تعالى في سبب نزول هذه الآية أربعة أثار وهي صحيحه يشهد بعضها لبعض وقد عرفت أن ابن جرير رحمه الله نقل الإجماع على أن هذه الآية نزلت في عداوة اليهود لجبريل عليه السلام وجبريل هو سيد الملائكة. وأما تفسير الآية فقد قال الإمام ابن كثير في تفسيره: فقله تعالى (قل من كان عدواً لجبريل فإنه نزل على قلبك بإذن الله) أي من عادى جبرائيل فليعلم أنه الروح الأمين الذي نزل بالذکر الحكيم على قلبك من الله له في ذلك فهو رسول من رسل الله ملكي ومن عادى رسولا فقد عادى جميع الرسل كما أن من آمن برسول فإنه يلزمه الإيمان بجميع الرسل وكما أن من كفر برسول فإنه يلزمه الكفر بجميع الرسل كما قال تعالى (إن الذين يكفرون بالله ورسوله ويريدون أن يفرقوا بين الله ورسوله ويقولون نؤمن ببعض ونكفر ببعض) الآيتين فحكم عليهم بالكفر المحقق إذا آمنوا ببعض الرسل وكفروا ببعضهم وكذلك من عادى جبرائيل فإنه

(65) مسند أحمد 1/276 ح (2483) المؤلف: أبو عبد الله أحمد بن محمد بن حنبل بن هلال بن أسد الشيباني (المتوفى: 241هـ) المحقق: السيد أبو المعاطي النوري الناشر: عالم الكتب - بيروت الطبعة: الأولى، 1419هـ - 1998م عدد الأجزاء: 6 سنن النسائي الكبرى 5/336 ح (9072) سنن الترمذي 5/294 ح (3117) المؤلف: محمد بن عيسى أبو عيسى الترمذي (209، 279هـ) السلمي الناشر: دار إحياء التراث العربي - بيروت تحقيق: أحمد محمد شاكر وآخرون عدد الأجزاء: 5 وقال: حسن غريب المعجم الكبير 12/45 ح (12429) والضياء في المختارة 10/68 ح (61) تأليف: الحافظ أبو عبد الله محمد بن عبد الواحد بن أحمد الحنبلي المقدسي المشهور بالضياء المقدسي اسم المحقق: عبد الملك بن عبد الله بن دهيش. دار النشر: مكتبة النهضة الحديثة. مدينة النشر: مكة المكرمة. سنة النشر: 1410 الطبعة: الأولى. كلهم من طريق بكر بن شهاب هكذا بالتصغير في النسخ المعزولة إليها وهو مقبول، قال الهيثمي في مجمع الزوائد 8/241 رجاله ثقافت قلت: وله شاهد عند الطيالسي في مسنده/1 356 ح (2731) لكتاب: مسند أبي داود الطيالسي المؤلف: سليمان بن داود أبو داود الفارسي البصري الطيالسي وفاة 204هـ الناشر: دار المعرفة بيروت عدد الأجزاء: 1 والطبراني في المعجم الصغير 360 (38/1) المؤلف: سليمان بن أحمد الطبراني الناشر: المكتب الإسلامي، دار عمار بيروت، عمان الطبعة الأولى، 1405هـ - 1985م تحقيق: محمد شكور محمود الحاج أمير عدد الأجزاء: 2

من طريق عبد الحميد بن بهرام عن شهر بن حوشب عن ابن عباس، وصرح شهر بالتحديث من ابن عباس، فانتفت تهمة الإرسال، وروى ابن جرير عن القاسم ابن أبي بزة ومجاهد نحو ذلك في سبب النزول.

(66) في المخطوط [سلمك]

(67) تفسير ابن أبي حاتم 1/181 وفي إسناده مجالد بن سعيد ضعيف وتفسير الطبري 1/433 رواه ابن جرير بأسانيد عن داود بن أبي هند عن الشعبي، ولكن الشعبي كما ذكر المؤلف لم يدرك عمر، كما رواه أيضاً نحوه بإسناد صحيح عن قتادة عن عمر، وقتادة أيضاً لم يدرك عمر، وفيه قال: قتادة ذكر لنا أن عمر - وذكر الأثر، وأيضاً رواه عن السدي عن عمر من طريق أسباط بن نصر عن السدي، وقد تقدم الكلام في أسباط وفي السدي، كما أخرج ابن جرير عن عبد الرحمن بن أبي ليلى في قوله: (من كان عدواً لجبريل) قال: قالت اليهود للمسلمين: لو أن ميكائيل كان الذي ينزل عليكم لتبعناكم فإنه ينزل بالرحمة والغيث، وإن جبريل ينزل بالعذاب والنقمة وهو لنا عدو قال: فنزلت هذه الآية: (من كان عدواً لجبريل).

قلت: حكاية الإجماع على نزول الآية التي ذكرها المؤلف عن ابن جرير إنما تعني أن سبب نزول الآية هو قول اليهود في جبريل أنه عدو اليهود من الملائكة، لا أن السبب مناظرة عمر مع اليهودي، فإن إسنادهما كما ترى ليس مما ينتهض للجزم بأن سبب ذلك المناظرة هذه، وأما حديث ابن عباس فإنه أصح إسناداً وأوصل والله تعالى أعلم

عدو لله لأن جبرائيل لا ينزل بالأمر من تلقاء نفسه وإنما ينزل بأمر ربه كما قال (وما ننزل إلا بأمر ربك) الآية، وقال تعالى (وإنه لتنزيل رب العالمين نزل به الروح الأمين على قلبك لتكون من المنذرين) وقد روى البخاري في صحيحه⁽⁶⁸⁾ عن أبي هريرة قال قال رسول الله ﷺ من عادى لي ولياً فقد بارزني بالحرب ولهذا غضب الله لجبرائيل على من عاداه فقال تعالى (من كان عدوا لجبريل فإنه نزله على قلبك بإذن الله مصدقاً لما بين يديه) أي من الكتب المتقدمة (وهدى وبشرى للمؤمنين) أي هدى لقلوبهم وبشرى لهم بالجنة وليس ذلك إلا للمؤمنين كما قال تعالى (قل هو للذين آمنوا هدى وشفاء) الآية وقال تعالى (ونزل من القرآن ما هو شفاء ورحمة للمؤمنين) الآية⁽⁶⁹⁾ انتهى

[تفسير مختصر للآية]

(قُلْ مَنْ كَانَ عَدُوًّا لِجِبْرِيلَ) سألت اليهود نبي الله ﷺ عن مَنْ يَأْتِيهِ مِنَ الْمَلَائِكَةِ؟ فقال: جبريل، فقالوا: هو عدونا، ولو أتاك ميكائيل أمناً بك، فأنزل الله هذه الآية، والمعنى: قُلْ مَنْ كَانَ عَدُوًّا لِجِبْرِيلَ فَلَيْمَتَ غِيظًا (فإنه نزله) أي: نَزَلَ الْقُرْآنَ (على قلبك بإذن الله) بأمر الله (مصدقاً) موافقاً لما قبله من الكتب (وهدى) وبشرى للمؤمنين) ردُّ على اليهود حين قالوا: إِنَّ جِبْرِيلَ يَنْزِلُ بِالْحَرْبِ وَالشَّدَّةِ، فقيل: إِنَّهُ - وَإِنْ كَانَ يَنْزِلُ بِالْحَرْبِ وَالشَّدَّةِ عَلَى الْكَافِرِينَ - فَإِنَّهُ يَنْزِلُ بِالْهُدَى وَالْبَشْرَى لِلْمُؤْمِنِينَ⁽⁷⁰⁾.

(وَاقَدْ أَنْزَلْنَا إِلَيْكَ آيَاتٍ بَيِّنَاتٍ وَمَا يَكْفُرُ بِهَا إِلَّا الْفَاسِقُونَ ٩٩ أَوْ كَلَّمَا عَاهَدُوا عَهْدًا نَبَذَهُ فَرِيقٌ مِّنْهُمْ بَلْ أَكْثَرُهُمْ لَا يُؤْمِنُونَ ١٠٠)

قوله تعالى: (ولقد أنزلنا إليك) - الآيتين.

27. أخرج ابن أبي حاتم من طريق سعيد أو عكرمة عن ابن عباس قال: « قال ابن سوريا للنبي ﷺ: يا محمد ما جئتنا بشيء نعرفه، وما أنزل الله عليك من آية بينة، فأنزل الله في ذلك: (ولقد أنزلنا إليك آيات بينات) - الآية، وقال مالك بن الصيف حين بعث رسول الله ﷺ وذكر ما أخذ عليهم من الميثاق وما عهد إليهم في محمد: والله ما عهد إلينا في محمد ولا أخذ علينا ميثاقاً، فأنزل الله تعالى (أو كلما عاهدوا) - الآية⁽⁷¹⁾ ». »

[تعليق]

هذا أثر ضعيف الإسناد لجهالة محمد بن أبي محمد الراوي عن سعيد بن جبيرة. قال الإمام ابن جرير: (ولقد أنزلنا إليك آيات) أي أنزلنا إليك يا محمد علامات واضحات دلالات على نبوتك. وتلك الآيات هي ما حواه كتاب الله الذي أنزله إلى محمد ﷺ من خفايا علوم اليهود ومكنون سرائر أخبارهم وأخبار أوائلهم من بني إسرائيل، والنبأ عما تضمنته كتبهم التي لم يكن يعلمها إلا أخبارهم وعلماؤهم - وما حرفه أوائلهم وأواخرهم وبدلوهم، من أحكامهم التي كانت في التوراة. فأطلعها الله في كتابه الذي أنزله على نبيه محمد ﷺ. انتهى⁽⁷²⁾

[تفسير مختصر للآية]

(ولقد أنزلنا إليك آيات بينات) دلالات واضحات، وهذا جواب لابن سوريا حين قال: يا محمد، ما أنزل عليك من آية بينة فنبتك بها (وما يكفر بها إلا الفاسقون) الخارجون عن أديانهم، واليهود خرجت بالكفر بمحمد ﷺ عن شريعة موسى عليه السلام، ولما ذكر محمد ﷺ لهم ما أخذ الله تعالى عليهم من العهد فيه قال مالك بن الصيف: والله ما عهد إلينا في محمد ﷺ عهد ولا ميثاق⁽⁷³⁾.

(وَأَتَّبَعُوا مَا تَتْلُوا الشَّيْطَانُ عَلَىٰ مَلِكِ سُلَيْمَانَ وَمَا كَفَرَ سُلَيْمَانُ وَلَكِنَّ الشَّيْطَانَ كَفَرُوا يُعَلِّمُونَ النَّاسَ السِّحْرَ وَمَا أُنزِلَ عَلَى الْمَلَكَيْنِ بِبَابِلَ هُرُوتَ مُرُوتَ وَمَا يُعَلِّمَانِ مِنْ أَحَدٍ حَتَّى يَقُولَا إِنَّمَا نَحْنُ فِتْنَةٌ فَلَا تَكْفُرْ فَيَتَعَلَّمُونَ مِنْهُمَا مَا يُفَرِّقُونَ بِهِ بَيْنَ الْمَرْءِ وَزَوْجِهِ وَمَا هُمْ بِضَارِّينَ بِهِ مِنْ أَحَدٍ إِلَّا بِإِذْنِ اللَّهِ وَيَتَعَلَّمُونَ مَا يَضُرُّهُمْ وَلَا يَنْفَعُهُمْ وَلَقَدْ عَلَّمُوا لِمَنْ أُشْرِكُ بِهِ فِي الْأَخْرَةِ مِنْ خَلْقٍ وَلَيْسَ مَا سُورُوا بِهِ أَنْفُسَهُمْ لَوْ كَانُوا يَعْلَمُونَ ١٠٢)

قوله تعالى: (واتبعوا ما تتلو) - الآية.

28. [ك] أخرج ابن جرير عن شهر بن حوشب قال: « قالت اليهود: انظروا إلى محمد يخلط الحق بالباطل

(68) البخاري (6502)

(69) تفسير ابن كثير (341 / 1)

(70) الوجيز للواحد (26)

(71) تفسير الطبري 1/ 441 تفسير ابن أبي حاتم 1/ 138، وعزه ابن كثير لابن إسحاق من طريقه عن محمد بن أبي محمد عن سعيد بن جبيرة أو عكرمة عن ابن عباس ومحمد بن أبي محمد مجهول.

(72) جامع البيان (تفسير الطبري) (397 / 2)

(73) الوجيز للواحد (27)

(41)

يذكر سليمان مع الأنبياء، أفما كان ساحراً يركب الريح؟! فأنزل الله تعالى: (واتبعوا ما تتلو الشياطين) - الآية (74)».

29. وأخرج ابن أبي حاتم عن أبي العالية: « أن اليهود سألوا النبي صلى الله عليه وسلم زماناً عن أمور من التوراة، لا يسألونه عن شيء من ذلك إلا أنزل الله عليه ما سألوا عنه فيخصمهم، فلما رأوا ذلك قالوا: هذا أعلم بما أنزل إلينا منا، وأنهم سألوه عن السحر وخصموه به، فأنزل الله: (واتبعوا ما تتلو الشياطين) (75)».

[تعليق]

ذكر المؤلف رحمه الله تعالى أثرين في سبب نزول هذه الآية.

أما الأول فقد رواه ابن جرير عن شهر بن حوشب، وشهر متكلم فيه وكذلك فإنه أرسله ولفظه عند ابن جرير حدثنا القاسم قال: ثنا الحسين قال: حدثني حجاج عن أبي بكر عن شهر بن حوشب قال: (لما سلب سليمان ملكه، كانت الشياطين تكتب السحر في غيبة سليمان، فكتبت من أراد أن يأتي كذا وكذا فليستقبل الشمس وليقل كذا وكذا، ومن أراد أن يفعل كذا وكذا فليستدير الشمس وليقل كذا وكذا، فكتبت وجعلت عنوانه هذا ما كتب آصف بن برخيا للملك سليمان بن داود من ذخائر كنوز العلم، ثم دفنته تحت كرسيه، فلما مات سليمان قام إبليس خطيباً فقال: يا أيها الناس إن سليمان لم يكن نبياً وإنما كان ساحراً، فالتمسوا سحره في متاعه وبيوته، ثم دلهم على المكان الذي دفن فيه، فقالوا: والله لقد كان سليمان ساحراً، هذا سحره بهذا تعبدنا وبهذا قهرنا: فقال المؤمنون: بل كان نبياً مؤمناً، فلما بعث الله النبي محمداً جعل يذكر الأنبياء حتى ذكر داود وسليمان، فقالت اليهود: انظروا إلى محمد يخلط الحق بالباطل، يذكر سليمان مع الأنبياء وإنما كان ساحراً يركب الريح، فأنزل الله عذر سليمان: (واتبعوا ما تتلو الشياطين على ملك سليمان) - الآية.

وروي نحوه عن ابن إسحاق من طريق شيخه محمد بن حميد. ومحمد بن حميد ضعيف.

الأثر الثاني: كذلك أخرجه ابن جرير وابن أبي حاتم قال ابن جرير حدثت عن عمارة ابن الحسن قال: حدثنا ابن أبي جعفر عن أبيه عن الربيع فهو مرسل من طرفيه، وفيه أبو جعفر الرازي قد تقدم الكلام فيه.

وقد ذكر الواحدي كذلك عدة آثار في سبب نزول هذه الآية أذكرها هنا إتماماً للفائدة.

عن عمران بن الحارث قال: بينما نحن عند ابن عباس إذ قال: إن الشياطين كانوا يسترقون السمع من السماء، فيجئ أحدهم بكلمة حق فإذا جرب من أحدهم الصدق كذب معها سبعين كذبة فيبشر بها قلوب الناس، فاطلع على ذلك سليمان، فأخذها فدفنها تحت الكرسي، فلما مات سليمان قام شيطان الطريق فقال: ألا أدلكم على كنز سليمان المنيع الذي لا كنز له مثله؟ قالوا: نعم، قال: تحت الكرسي، فأخرجوه، فقالوا: هذا سحر سليمان سحر به الامم، فأنزل الله عذر سليمان - واتبعوا ما تتلو الشياطين على ملك سليمان، وما كفر سليمان.

وقال الكلبي: إن الشياطين كتبوا السحر والنار نجيات على لسان آصف: هذا ما علم آصف بن برخيا الملك، ثم دفنوها تحت مصلاه حين نزع الله ملكه، ولم يشعر بذلك سليمان، ولما مات سليمان استخرجوه من تحت مصلاه، وقالوا للناس: إنما ملككم سليمان بهذا فتعلموه، فلما علم علماء بني إسرائيل قالوا: معاذ الله أن يكون هذا علم سليمان، وأما السفلة فقالوا: هذا علم سليمان، وأقبلوا على تعلمه، ورفضوا كتب أنبيائها، ففشت الملامة لسليمان، فلم تزل هذه حالهم حتى بعث الله محمداً ﷺ، وأنزل الله عذر سليمان على لسانه ونزل براءته مما رمى به فقال - واتبعوا ما تتلو الشياطين - الآية.

عن عثمان بن بشير عن حصيفة قال: كان سليمان إذا نبتت الشجرة قال: لاي داء أنت؟ فتقول لكذا وكذا، فلما نبتت شجرة الخروبة قال: لاي شيء أنت؟ قالت لخراب بيتك، قال: تخر بينه؟ قالت: نعم، قال: بنس الشجرة أنت، فلم يلبث أن توفي، فجعل الناس يقولون في مرضاهم: لو كان مثل سليمان، فأخذت الشياطين فكتبوا كتاباً وجعلوه في مصلى سليمان وقالوا: نحن ندلكم على ما كان سليمان يداوى به، فانطلقوا فاستخرجوا ذلك فإذا فيه سحر ورقى - فأنزل الله تعالى - واتبعوا ما تتلو الشياطين على ملك سليمان - إلى قوله - فلا تكفر - قال السري: إن الناس في زمن سليمان كتبوا السحر فاشتغلوا بتعلمه، فأخذ سليمان تلك الكتب فدفنها تحت كرسيه ونهاهم عن ذلك، ولما مات سليمان وذهب به كانوا يعرفون دفن الكتب، فتمثل شيطان على صورة إنسان فأتى نفراً من بني إسرائيل وقال: هل أدلكم على كنز لا تأكلونه أبداً؟ قالوا نعم، قال: فاحفروا تحت الكرسي فحفروا فوجدوا تلك الكتب، فلما أخرجوها قال الشيطان: إن سليمان ضبط الجن والانس والشياطين والطيور بهذا، فأخذ بنو إسرائيل تلك الكتب، فذلك أكثر ما يوجد السحر في اليهود، فبرأ الله عز وجل سليمان من ذلك، وأنزل هذه الآية (76).

وأخرج ابن جرير عن ابن عباس، قال: كان سليمان، عليه السلام، إذا أراد أن يدخل الخلاء، أو يأتي شيئاً من نسائه، أعطى الجرادة وهي امرأة خاتمه. فلما أراد الله أن يبني سليمان، عليه السلام، بالذي ابتلاه به، أعطى الجرادة ذات يوم خاتمه، فجاء الشيطان في صورة سليمان فقال لها: هاتي خاتمي. فأخذة فلبسه. فلما لبسه دانته له الشياطين والجن والانس. قال: فجاءها سليمان، فقال: هاتي خاتمي فقالت: كذبت، لست سليمان. قال: فعرف سليمان أنه بلاه ابتلي به. قال: فانطلقت الشياطين فكتبت في تلك الأيام كتباً فيها سحر وكفر. ثم دفنوها تحت كرسي سليمان، ثم أخرجوها وقرؤها على الناس، وقالوا: إنما كان سليمان يغلب الناس بهذه الكتب. قال: فَبَرَّئِ النَّاسَ مِنْ سُلَيْمَانَ، عَلَيْهِ السَّلَامُ، وَأَكْفِرُوهُ حَتَّى بَعَثَ اللَّهُ مُحَمَّدًا ﷺ وَأَنْزَلَ عَلَيْهِ: (وَمَا كَفَرَ سُلَيْمَانُ وَلَكِنَّ الشَّيَاطِينَ كَفَرُوا) (77).

(74) تفسير الطبري/1/450

(75) تفسير ابن جرير 1/445 تفسير ابن أبي حاتم 1/186

(76) أسباب النزول للواحدي (19) الناشر مؤسسة الحلبي وشركاه

(77) تفسير الطبري 310 (دار هجر) (2/324)

[تفسير مختصر للآية]

جاءت في سياق الحديث عن اليهود الذي بدأ من قول الله تبارك وتعالى، خطاباً للمؤمنين: (أَقْتَطَمُونَ أَنْ يُؤْمِنُوا لَكُمْ وَقَدْ كَانَ فَرِيقٌ مِنْهُمْ يَسْمَعُونَ كَلَامَ اللَّهِ ثُمَّ يُحَرِّفُونَهُ مِنْ بَعْدِ مَا عَقَلُوهُ وَهُمْ يَعْلَمُونَ) [البقرة: 75]. ومجمل ما ذكره المفسرون فيها باختصار: أن اليهود اتبعوا وصدقوا ما تنقله الشياطين والفجرة على ملك سليمان، وإنما كان ساحراً يستمد العون من سحره، وأن سحره هذا هو الذي وطد له الملك وجعله يسيطر على الجن والطير والرياح، فنسبوا بذلك الكفر لسليمان، وما كفر سليمان، ولكن هؤلاء الشياطين الفجرة هم الذين كفروا؛ إذ تقوّلوا الأقاويل وأخذوا يعلمون الناس السحر من عندهم، ومن آثار ما أنزل ببابل على الملكين هاروت وماروت، مع أن هذين الملكين ما كانا يعلمان أحداً حتى يقولوا له: إنما نعلمك ما يؤدي إلى الفتنة والكفر فاعرفه واحذره، واجتنب العمل به. ولكن الناس لم يأخذوا بهذه النصيحة فاستخدموا مما تعلموه منهما ما يفرقون به بين المرء وزوجه. لقد كفر هؤلاء الفجرة، إذ تقوّلوا هذه الأقاويل، واتخذوا من أقاويلهم وأساطيرهم ذريعة لتعليم اليهود السحر، وما هم بضارين به أحداً إلا بإذن الله، فهو الذي يأذن بالضر إن شاء، وإن ما يؤخذ عنهم من سحر ليضر من تعلمه في دينه ودنياه، ولا يفيد شيئاً، وهم أنفسهم يعلمون يقيناً أن من اتجه هذا الاتجاه لن يكون له حظ أو نصيب في نعيم الآخرة، ولن يس ما اختار لنفسه لو كان يعلم. ومن هذا العرض ومن النص القرآني قبله يتبين لنا أن السحر وتعلمه واستخدامه كفر، ولا يجوز تعلمه للإنسان العادي، فكيف بأنبيا الله تعالى. وأنه لا يقع شيء في هذا الكون إلا بإذن الله؛ فإذن الله تفعل الأسباب فعلها، وتنشئ آثارها وتحقق نتائجها، كما قال تعالى: (وَمَا هُمْ بِضَارِينَ بِهِ مِنْ أَحَدٍ إِلَّا بِإِذْنِ اللَّهِ) [البقرة: 102] ويبدو من الآية الكريمة أنه كانت هناك قصة معروفة عن الملكين هاروت وماروت، وكان اليهود أو الشياطين يدعون أنهما كانا يعرفان السحر ويعلمانه للناس، ويزعمان أن هذا السحر أنزل عليهما لنشره بين الناس ليعملوا به، فنفي القرآن الكريم تلك الفرية؛ ثم بين الحقيقة، وهي أن هذين الملكين كانا هناك فتنة وابتلاء واختباراً للناس لحكمة غيبية أرادها الله سبحانه وتعالى، وأنهما كانا يقولان لكل من يأتي إليهما طالباً منهما أن يعلماه السحر: (إِنَّمَا نَحْنُ فِتْنَةٌ فَلَا تَكْفُرْ) [البقرة: 102].

(يَا أَيُّهَا الَّذِينَ ءَامَنُوا لَا تَقُولُوا رُعِنَا وَقُولُوا انظُرْنَا وَاسْمَعُوا وَلِلْكَافِرِينَ عَذَابٌ أَلِيمٌ ١٠٤)

قوله تعالى: (يا أيها الذين آمنوا لا تقولوا راعنا).

30. [ك] أخرج ابن المنذر عن السدي قال: « كان رجلان من اليهود، مالك بن الصيف، ورفاعة بن زيد، إذا لقيا النبي صلى الله عليه وسلم قالوا له وهما يكلمانه: راعنا سمعك، وسمع غير مسمع، فظن المسلمون أن هذا الشيء كان أهل الكتاب يعظمون به أنبياءهم، فقالوا للنبي ﷺ ذلك، فأنزل الله تعالى: (يا أيها الذين آمنوا لا تقولوا راعنا وقولوا انظرننا واسمعوا) (78) ». »
31. وأخرج أبو نعيم في الدلائل، من طريق السدي الصغير عن الكلبى عن أبي صالح عن ابن عباس قال: « راعنا بلسان اليهود السب القبيح، فلما سمعوا أصحابه يقولونه، أعلنوا بها له، فكانوا يقولون ذلك ويضحكون فيما بينهم، فنزلت فسمعها منهم سعد بن معاذ فقال لليهود: يا أعداء الله لئن سمعتها من رجل منكم بعد هذا المجلس لأضربن عنقه (79) ». »
32. [ك] وأخرج ابن جرير عن الضحاك قال: « كان الرجل يقول ارعني سمعك، فنزلت الآية (80) ». »
33. [ك] وأخرج عن عطية قال: « كان أناس من اليهود يقولون: ارعنا سمعك حتى قالها أناس من المسلمين، فكره الله لهم ذلك، فنزلت (81) ». »
34. [ك] وأخرج عن قتادة قال: « كانوا يقولون: راعنا سمعك، فكان اليهود يأتون فيقولون مثل ذلك، فنزلت (82) ». »
35. وأخرج عن عطاء قال: « كانت لغة الأنصار في الجاهلية، فنزلت (83) ». »
36. وأخرج، عن أبي العالية قال: « إن العرب كانوا إذا حدث بعضهم يقول أحدهم لصاحبه: ارعني سمعك، فنهوا عن ذلك (84) ». »

[تعليق]

ذكر المؤلف في سبب نزول هذه الآية عدة روايات ولا يخلوا إسناد كل واحد منها من ضعف لكن على سبيل الأجمال فسبب النزول حسب هذه الروايات ثلاثة.

(78) تفسير الطبري/1/ 471 من طريق أسباط عن السدي فهو مرسل في إسناده لين.

(79) دلائل النبوة لأبي نعيم وإسناده تالف وقد تقدم الكلام عليه

(80) إسناده ضعيف رواه الطبري في التفسير/1/ 469 عن شيخه الحسين بن الفرج، وهو ضعيف وكذلك فقد أرسله ابن جرير رحمه الله فقال: حدثت عن الحسين بن الفرج انظر

ترجمته في الجرح والتعديل ولسان الميزان وتاريخ بغداد

(81) تفسير الطبري/1/ 469 وفي إسناده فضيل بن مرزوق متكلم فيه وكذلك شيخه عطية العوفي

(82) تفسير الطبري/1/ 470

(83) تفسير الطبري/1/ 470 وفي إسناده هشيم مصرحا بالتحديث من عبد الرزاق

(84) تفسير الطبري/1/ 470 من طريق المثني بن الصباح شيخ ابن جرير ضعيف، وفيه أبو جعفر الرازي وقد تقدم ما فيه.

الأول: أنها نزلت في رجل معين من اليهود قال هذه الكلمة فأخذها الصحابة عنه فنهو أن يقولوها.
 الثاني: أنها نزلت في اليهود وكانوا يقولون راعنا بلسانهم ومعناه [السب القبيح] فأخذها الصحابة منهم فنهو عن ذلك.
 الثالث: أنها نزلت في الأنصار الذين كانوا يقولون هذه الكلمة قبل الإسلام فأخذها عنهم اليهود فكانوا يقولونها، فنهو عن ذلك.
 هذا هو ملخص الأقوال لكن كل ما ورد من هذه الآثار إما مرسل وإما ضعيف الإسناد لكن يشهد بعضها لبعض لا سيما وسياق الآيات التي نزلت قبل هذه الآية كان في اليهود، فنهي الله الصحابة عن أن يقولوا مثل أقوالهم.
 فمضى الآية: أن النهي عن قول: (راعنا) إنما كان؛ لما فيه من احتمال معنى: ارعنا نرعاك؛ لأن صيغة (المفاعلة) لا تكون إلا من اثنين، كما يقول القائل: حادثنا، وجالسنا، بمعنى: اعمل بنا ونفعل بك. ومعنى: أرعنا سمعك، حتى نفهمك وتفهم عنا. فنهي الله تعالى ذكره الصحابة أن يقولوا ذلك كذلك، وأن يترثوا عند سؤالهم النبي ﷺ، ليعقلوا عنه بتبجيل منهم له وتعظيم، وأن لا يسألوه ما سألوه من ذلك على وجه الجفاء والتجهم منهم له، ولا بالفظاظ والغلظة، تشبها منهم باليهود في خطابهم نبي الله ﷺ، بقولهم له: (واسمع غير مسمع وراعنا لياً بألسنتهم وطعنا في الدين) [النساء:46].
 وإذا كانت الآية الكريمة تأمر المؤمنين بتوقير نبيهم ﷺ وتعظيمه عند مخاطبتهم إياه، وأن يتخيروا لخطابه من الألفاظ أحسنها، ومن المعاني أرقها، وتنهاهم أن يقولوا له من القول ما فيه جفاء وغلظة، فماذا ينبغي أن يكون موقف المؤمنين اليوم ممن يسيئون القول والفعل لشخص الرسول ﷺ بدعوى حرية التعبير وحرية الرأي.

[تفسير مختصر للآية]

(يا أيها الذين آمنوا لا تقولوا راعنا) كان المسلمون يقولون للنبي ﷺ: راعنا سمعك، وكان هذا بلسان اليهودية سباً قبيحاً، فلما سمعوا هذه الكلمة يقولونها لرسول الله ﷺ أعجبهم، فكانوا يأتونه ويقولون ذلك ويضحكون فيما بينهم، فنهي الله تعالى المؤمنين عن ذلك، وأنزل هذه الآية، وأمرهم أن يقولوا بدل راعنا (انظرنا) أي: انظر إلينا حتى نفهمك ما نقول (واسمعوا) أي: أطيعوا واطيعوا هذه الكلمة؛ لأن الطاعة تجب بالسمع⁽⁸⁵⁾.

(مَا نَنْسَخْ مِنْ آيَةٍ أَوْ نُنسِهَا نَأْتِ بِخَيْرٍ مِّثْلَهَا أَوْ مِثْلَهَا أَلَمْ تَعْلَمْ أَنَّ اللَّهَ عَلَىٰ كُلِّ شَيْءٍ قَدِيرٌ ۝ ١٠٦)

قوله تعالى: (ما ننسخ) - الآية.

37. [ك] أخرج ابن أبي حاتم من طريق عكرمة عن ابن عباس قال: « كان ربما ينزل على النبي ﷺ الوحي بالليل ونسيه بالنهار، فأنزل الله (ما ننسخ) - الآية⁽⁸⁶⁾ ».

[تعليق]

ذكر المؤلف رحمه الله هنا أثراً واحداً عن ابن عباس وهو ضعيف جداً، في إسناده حجاج الرقي. قال أبو زرعة الرازي: لا أعرفه⁽⁸⁷⁾، وأيضاً محمد بن الزبير الرقي إمام مسجد حران منكر الحديث، أنظر الكامل في ضعفاء الرجاء المعزو إليها. وقد ذكر غير واحد من المفسرين: أن المشركين قالوا: أترون إلى محمد يأمر أصحابه، بأمر ثم ينهاهم عنه ويأمرهم بخلافه ويقول اليوم قولاً ويرجع عنه غداً ما هذا القرآن إلا كلام محمد يقول من تلقاء نفسه وهو كلام يناقض بعضه بعضاً فأنزل الله: (وَإِذَا بَدَلْنَا آيَةً مَكَانَ آيَةٍ) [النحل: 101]. الآية: وأنزل أيضاً: (مَا نَنْسَخْ مِنْ آيَةٍ أَوْ نُنسِهَا نَأْتِ بِخَيْرٍ مِثْلَهَا) الآية⁽⁸⁸⁾. أما معنى الآية فعلى ما قال إمام المفسرين ابن جرير الطبري رحمه الله: (ما ننسخ من آية) ما ننقل من حكم آية، إلى غيره فنبدله ونغيره. وذلك أن يحول الحلال حراماً، والحرام حلالاً والمباح محظوراً، والمحظور مباحاً. ولا يكون ذلك إلا في الأمر والنهي، والحظر والإطلاق، والمنع والإباحة. فأما الأخبار، فلا يكون فيها ناسخ ولا منسوخ.
 وأصل "النسخ" من "نسخ الكتاب"، وهو نقله من نسخة إلى أخرى غيرها. فكذلك معنى "نسخ" الحكم إلى غيره، إنما هو تحويله ونقل عبارته عنه إلى غيرها. فإذا كان ذلك معنى نسخ الآية، فسواء - إذا نسخ حكمها فغير وبدل فرضها، ونقل فرض العباد عن اللازم كان لهم بها - أقر خطها فترك، أو محي أثرها، فعقبي ونسي، إذ هي حينئذ في كلتا حالتها منسوخة، والحكم الحادث المبدل به الحكم الأول، والمنقول إليه فرض العباد، هو الناسخ. يقال منه: "نسخ الله آية كذا وكذا ينسخه نسخاً، و"النسخة" الاسم⁽⁸⁹⁾. انتهى

[تفسير مختصر للآية]

(ما ننسخ من آية أو ننسها) أي: ما نرفع آية من جهة النسخ بأن نبتل حكمها، أو بالإنشاء لها بأن نحوها عن القلوب (نأت بخير منها) أي: أصلح لمن تبعد بها، وأنفع لهم وأسهل عليهم، وأكثر لأجرهم (أو مثلها) في المنفعة والثبوت (ألم تعلم أن الله على كل شيء) من النسخ والتبديل وغيرهما (قدير)⁽⁹⁰⁾.

(أَمْ تُرِيدُونَ أَنْ تَسْأَلُوا رَسُولَكُمْ كَمَا سُئِلَ مُوسَىٰ مِنْ قَبْلُ وَمَنْ يَتَّبِعِ الْكُفْرَ بِالْإِيمَانِ فَقَدْ ضَلَّ سَوَاءَ السَّبِيلِ ۝ ١٠٨)

(85) الوجيز للواحد (28)

(86) تفسير ابن أبي حاتم 1/200 الكامل في ضعفاء الرجال/6 238 المؤلف: أبو أحمد عبد الله بن عدي الجرجاني (المتوفى: 365هـ) الناشر: دار الكتب العلمية الطبعة الأولى 1418 هـ - 1997 م تاريخ دمشق 53/39

(87) الجرح والتعديل 3/169 المؤلف: أبو محمد عبد الرحمن بن أبي حاتم محمد بن إدريس بن المنذر الحنظلي الرازي. والوفاء 327 عدد الأجزاء: 1.

(88) أسباب النزول للواحد (21)

(89) تفسير الطبري (472 / 2)

(90) الوجيز للواحد (29)

وَدَّ كَثِيرٌ مِّنْ أَهْلِ الْكِتَابِ لَوْ يَرُدُّونَكُمْ مِّنْ بَعْدِ إِيمَانِكُمْ كُفَّارًا حَسَدًا مِّنْ عِنْدِ أَنفُسِهِمْ مِّنْ بَعْدِ مَا تَبَيَّنَ لَهُمُ الْحَقُّ فَاعْتَرُوا وَاصْفَحُوا حَتَّىٰ يَأْتِيَ اللَّهُ بِأَمْرٍ إِنَّ اللَّهَ عَلَىٰ كُلِّ شَيْءٍ قَدِيرٌ (١٠٩)

قوله تعالى: (أم تريدون) - الآية.

38. [ك] أخرج ابن أبي حاتم من طريق سعيد أو عكرمة عن ابن عباس قال: « قال رافع بن حريملة وهو ببن زيد لرسول الله ﷺ : يا محمد انتنا بكتاب تنزله علينا من السماء نقرؤه أو فجر لنا أنهاراً نتبعك ونصدقك، فأنزل الله في ذلك، (أم تريدون أن تسألوا رسولكم) إلى قوله (سواء السبيل)، وكان حيي بن أخطب وأبو ياسر بن أخطب لمن أشد اليهود حسداً للعرب إذ خصهم الله برسوله، وكانا جاهدين في رد الناس عن الإسلام ما استطاعا، فأنزل الله فيهما (ود كثير من أهل الكتاب) - الآية⁽⁹¹⁾».
39. [ك] وأخرج ابن جرير عن مجاهد قال: « سألت قريش محمداً أن يجعل لهم الصفا ذهباً فقال: « نعم وهو لكم كالمائدة ليني إسرائيل إن كفرتم » فأبوا ورجعوا، فأنزل الله: (أم تريدون) - الآية⁽⁹²⁾».
40. وأخرج عن السدي قال: «سألت العرب محمداً صلى الله عليه وسلم، أن يأتيهم الله فيروه جهرة فنزلت⁽⁹³⁾».
41. [ك] وأخرج عن أبي العالية قال: « قال رجل: يا رسول الله لو كانت كفاراتنا ككفارات بني إسرائيل؟ فقال النبي ﷺ « ما أعطاكم الله خير كانت بنو إسرائيل إذا أصاب أحدهم الخطيئة وجدها مكتوبة على بابيه وكفارتها، فإن كفرها كانت له خزيًا في الدنيا، وإن لم يكفرها كانت له خزيًا في الآخرة، وقد أعطاكم الله خير من ذلك قال تعالى (ومن يعمل سواء أو يظلم نفسه) - الآية. [النساء 110] والصلوات الخمس والجمعة إلى الجمعة كفارات لما بينهن فأنزل الله: (أم تريدون أن تسألوا رسولكم) - الآية⁽⁹⁴⁾».

[تعليق]

ذكر المؤلف في سبب نزول هذه الآية عدة آثار وكذلك فإن أسانيدنا لا تخلو من ضعف وهي يخالف بعضها بعضاً في السبب.

فالأول: أنها نزلت في اليهود أنهم سألو النبي ﷺ أن ينزل عليهم كتاباً أن يفجر الأرض أنهاراً

الثاني: أنها نزلت في قريش خاصة عندما سألو النبي ﷺ أن يحول لهم الأرض ذهباً.

الثالث: أنها نزلت في العرب عندما طلبوا أن يروا الله جهرة.

الرابع: أنها نزلت في شأن الرجل الذي سأل النبي ﷺ عن كفارة الذنوب.

قلت: وإن كان معنى الآية يحتمل أن يكون تأخر نزول الآية عن هذه الأسئلة ثم نزلت الآية في جميع هذا، والحمل على العموم أولى من الحمل على الخصوص.

[تفسير مختصر للآية]

يخبر تعالى راداً على الطاعنين في تشريعه الحكيم الذين قالوا إن محمداً يأمر أصحابه اليوم بأمر وينهى عنه غداً أنه تعالى ما ينسخ من آية تحمل حكماً شاقاً على المسلمين إلى حكم أخف كنسخ الثبوت لعشرة في قتال الكافرين إلى الثبوت إلى إثنتين. أو حكماً خفيفاً إلى شفا زيادة في الأجر كنسخ يوم عاشوراء بصايم رمضان، أو حكماً خفيفاً إلى حكم خفيف مثله كنسخ القبلة من بيت المقدس إلى الكعبة، أو حكماً إلى غير حكم آخر كنسخ صدقة من أراد أن ينجي رسول الله ﷺ فإن الحكم رفع ولم يشرع حكم آخر بدلاً عنه، أو نسخ الآية بازالتها من التلاوة ويبقى حكمها كآية الشيخ والشيخة إذا زنيا فارجموهما البتة نكالاً من الله فقد نسخ اللفظ من التلاوة وبقي الحكم. أو بنسخ الآية وحكمها. وهذا معنى قوله أو ننسها وهي قراءة نافع، فقد ثبت أن قرآناً نزل وقرأه رسول الله ﷺ وبعض أصحابه ثم نسخه الله تعالى لفظاً ومعنى فمحاء من القلوب بالمرّة فلم يقدر على قراءته أحد. وهذا مظهر من مظاهر القدرة الإلهية الدال عليه قوله: (ألم تعلم أن الله على كل شيء قدير)، وهو أيضاً مظهر من مظاهر التصرف الحكيم الدال عليه قوله: (ألم تعلم أن الله له ملك السموات والأرض) فهو تعالى يتصرف فينسخ ويبقي ويأتي بخير مما نسخ أو بمثلها بحسب حاجة الأمة ومتطلبات حياتها الروحية والمادية فسبحان من إله قدير حكيم: ينسي ما يشاء وينسخ ما يريد.

أما قوله تعالى (أم تريدون أن تسألوا رسولكم)، فهو توبيخ لمن طالب الرسول ﷺ بأمر ليس في مكنته، وإعلام بأن من يجري على أسلوب التعنت وسوء الأدب مع الرسول ﷺ قد يصاب بزيف القلب فيكفر، دلّ على هذا قوله تعالى: (ومن يتبدل الكفر بالإيمان فقد ضل سواء السبيل)⁽⁹⁵⁾.

(91) تفسير الطبري/1/483 تفسير ابن أبي حاتم 1/200 من طريق ابن إسحاق عن محمد بن أبي محمد وقد تقدم أنه مجهول

(92) تفسير الطبري/1/484 أخرجه ابن جرير عن مجاهد من طريقين الأول: عن شيخه القاسم بن الحسن، عن الحسين بن داود وهو المعروف بسنيد وهو ضعيف الحديث، عن حجاج ابن محمد وهو مختلط عن ابن جريج ولم يصرح بالتحديث فتبقي تهمة تدليسه قائمة، عن مجاهد به فهو مرسل إسناده ضيف، والطريق الثاني: من رواية ابن أبي نجيع عن مجاهد وتقدم أنه لم يسمع التفسير منه، على أن الطريق إليه لا تخلو من نظر فهو مرسل منقطع ضعيف

(93) تفسير الطبري/1/484 من طريق أسباط بن نصر عنه وتقدم ضعف ذلك بالإضافة إلى إرساله.

(94) تفسير الطبري/1/484 من طريق المثني ابن الصباح وهو ضعيف، وفيه أبو جعفر الرازي تقدم الكلام عنه

(95) أيسر التفاسير للجزائري (46/1)

(45) وَقَالَتِ الْيَهُودُ لَيْسَتْ النَّصْرَىٰ عَلَىٰ شَيْءٍ وَقَالَتِ النَّصْرَىٰ لَيْسَتْ الْيَهُودُ عَلَىٰ شَيْءٍ وَهُمْ يَتْلُونَ الْكِتَابَ كَذَلِكَ قَالَ الَّذِينَ لَا يَعْلَمُونَ مِثْلَ قَوْلِهِمْ فَاللَّهُ يَحْكُمُ بَيْنَهُمْ يَوْمَ الْقِيَامَةِ فِيمَا كَانُوا فِيهِ يَخْتَلِفُونَ (١١٣)

قوله تعالى: (وقالت اليهود) - الآية.

42. أخرج ابن أبي حاتم من طريق سعيد أو عكرمة عن ابن عباس قال: « لما قدم أهل نجران من النصارى على رسول الله ﷺ ، أتتهم أحبار يهود فتنازعوا، فقال رافع بن حريملة: ما أنتم على شيء، وكفر بعيسى والإنجيل، فقال رجل من أهل نجران لليهود: ما أنتم على شيء، وجد نبوة موسى وكفر بالتوراة، فأنزل الله في ذلك: (وقالت اليهود ليست النصارى على شيء) - الآية⁽⁹⁶⁾ .»

[تعليق]

ذكر المؤلف في سبب نزول هذا الأثر وفي إسناده محمد بن أبي محمد مولى زيد بن ثابت، قال الإمام ابن حجر مجهول وذكره ابن حبان في الثقات لكن المعنى المحكم من الآية أن اليهود والنصارى اتهم كل منهما الآخر بأنه ليس على شيء بغض النظر عن أن سبب نزول الآية وقد نجران مع اليهود أو غير ذلك.

[تفسير مختصر للآية]

(وقالت اليهود ليست النصارى على شيء) أي كفر اليهود بعيسى وقالوا: ليس النصارى على دين صحيح معتد به فدينهم باطل. (وقالت النصارى ليست اليهود على شيء) أي وقال النصارى في اليهود مثل ذلك، ليس اليهود على دين صحيح، ودينهم باطل. (وهم يتلون الكتاب) أي والحال أن اليهود يقرأون التوراة، والنصارى يقرأون الإنجيل فقد كفروا عن علم. [كذلك قال الذين لا يعلمون مثل قولهم] أي كذلك قال مشركو العرب مثل قول أهل الكتاب قالوا: ليس محمد على شيء. [فأنزل الله يوم القيامة فيما كانوا فيه يختلفون] أي يحكم بين اليهود والنصارى وسائر الخلائق، ويفصل بينهم بقضائه العادل، فيما اختلفوا فيه من أمر الدين⁽⁹⁷⁾ .

(وَمَنْ أَظْلَمُ مِمَّنْ مَنَعَ مَسْجِدَ اللَّهِ أَنْ يُذْكَرَ فِيهَا اسْمُهُ وَسَعَىٰ فِي خَرَابِهَا ۗ
أُولَٰئِكَ مَا كَانَ لَهُمْ أَنْ يَدْخُلُوهَا إِلَّا خَائِفِينَ لَهُمْ فِي الدُّنْيَا خِزْيٌ لَهُمْ فِي الْآخِرَةِ عَذَابٌ عَظِيمٌ (١١٤))

قوله تعالى: (ومن أظلم) - الآية.

43. أخرج ابن أبي حاتم من الطريق المذكور « أن قريشاً منعوا النبي صلى الله عليه وسلم الصلاة عند الكعبة في المسجد الحرام، فأنزل الله: (ومن أظلم ممن منع مساجد الله) - الآية⁽⁹⁸⁾ .»
44. وأخرج ابن جرير عن زيد قال: « نزلت في المشركين حين صدوا رسول الله عن مكة يوم الحديبية⁽⁹⁹⁾ .»

[تعليق]

ذكر المؤلف رحمه الله هنا أثريين في سبب نزول هذه الآية، وعند الواحدي من رواية الكلبي عن ابن عباس: نزلت في ططلوس الرومي وأصحابه من النصارى، وذلك أنهم غزوا بني إسرائيل، وقتلوا مقاتلتهم، وسبوا ذراريهم، وحرقوا التوراة، وخرّبوا بيت المقدس، وقذفوا فيه الجيف⁽¹⁰⁰⁾ .
وعنده أيضاً عن قتادة: هو بختنصر وأصحابه غزوا اليهود وخرّبوا بيت المقدس، وأعانته على ذلك النصارى من أهل الروم⁽¹⁰¹⁾ .
فتحصل من تلك الآثار أربعة أسباب وإن كان إسناده كل واحد منها لا يخلو من مقال.
فالأول: في كفار قريش منعوا النبي ﷺ من الصلاة عند البيت.
الثاني: في كفار قريش صدوا المسلمين عن المسجد يوم الحديبية.
الثالث: في ططلوس الرومي حينما حارب بيت المقدس.
الرابع: في بختنصر في تخريبه بيت المقدس.

وكل هذه الأسباب محتملة من الآية وهو الذي رجحه الإمام القرطبي حيث قال في تفسيره: وقيل: المراد من منع من كل مسجد إلى يوم القيامة، وهو الصحيح، لأن اللفظ عام ورد بصيغة الجمع، فتخصيصها ببعض المساجد وبعض الأشخاص ضعيف، والله تعالى اعلم.

(96) أخرجه الطبري في تفسيره 1/495 تفسير ابن أبي حاتم 1/208 وفي إسناده محمد بن أبي محمد مولى زيد بن ثابت مجهول.

(97) صفوة التفاسير - للصابوني (52/1)

(98) تفسير ابن أبي حاتم 1/210 بالإسناد السابق وقد تقدم الكلام عليه، وروى ابن جرير بعده أن المراد بالآية الكريمة النصارى ورجحه.

(99) تفسير الطبري 1/499 ابن زيد المذكور هو عبد الرحمن بن زيد بن أسلم، وعبد الرحمن هذا قال عنه الحافظ في التقریب: ضعيف

(100) أسباب النزول للواحدي (22)

(101) أسباب النزول للواحدي (23)

الثالثة- خراب المساجد قد يكون حقيقياً كتحريب بخت نصر والنصارى بيت المقدس على ما ذكر أنهم غزوا بني إسرائيل مع بعض ملوكهم - قيل: اسمه نطوس بن اسبيساتوس الرومي فيما ذكر الغزنوي - فقتلوا وسبوا، وحرقوا التوراة، وقذفوا في بيت المقدس العذرة وخربوه.

ويكون مجازاً كمنع المشركين المسلمين حين صدوا رسول الله ﷺ عن المسجد الحرام، وعلى الجملة فتعطيل المساجد عن الصلاة وإظهار شعائر الإسلام فيها خراب لها⁽¹⁰²⁾.

[تفسير مختصر لآية]

(ومن أظلم ممن منع مساجد الله أن يذكر فيها اسمه) أي: لا أحد أظلم وأشد جرمًا، ممن منع مساجد الله، عن ذكر الله فيها، وإقامة الصلاة وغيرها من الطاعات.

(وَسَعَى) أي: اجتهد وبذل وسعه (فِي خَرَابِهَا) الحسي والمعنوي، فالخراب الحسي: هدمها وتحريبها، وتقديرها، والخراب المعنوي: منع الذاكرين لاسم الله فيها، وهذا عام، لكل من اتصف بهذه الصفة، فيدخل في ذلك أصحاب الفيل، وقريش، حين صدوا رسول الله عنها عام الحديبية، والنصارى حين أخرجوا بيت المقدس، وغيرهم من أنواع الظلمة، الساعين في خرابها، محادة لله، ومشاققة، فجازاهم الله، بأن منعهم دخولها شرعاً وقدرًا، إلا خائفين ذليلين، فلما أخافوا عباد الله، أخافهم الله، فالمشركون الذين صدوا رسوله، لم يلبث رسول الله ﷺ إلا يسيرًا، حتى أذن الله له في فتح مكة، ومنع المشركين من قربان بيته، فقال تعالى: (يَا أَيُّهَا الَّذِينَ آمَنُوا إِنَّمَا الْمُشْرِكُونَ نَجَسٌ فَلَا يَقْرَبُوا الْمَسْجِدَ الْحَرَامَ بَعْدَ عَامِهِمْ هَذَا) . وأصحاب الفيل، قد ذكر الله ما جرى عليهم، والنصارى، سلط الله عليهم المؤمنين، فأجلوهم عنه.

وهكذا كل من اتصف بوصفهم، فلا بد أن يناله قسطه، وهذا من الآيات العظيمة، أخبر بها البراري قبل وقوعها، فوعدت كما أخبر.

واستدل العلماء بالآية الكريمة، على أنه لا يجوز تمكين الكفار من دخول المساجد.

(لَهُمْ فِي الدُّنْيَا خِزْيٌ) أي: فضيحة كما تقدم (وَلَهُمْ فِي الآخِرَةِ عَذَابٌ عَظِيمٌ) .

وإذا كان لا أظلم ممن منع مساجد الله أن يذكر فيها اسمه، فلا أعظم إيمانًا ممن سعى في عمارة المساجد بالعمارة الحسية والمعنوية، كما قال تعالى: (إِنَّمَا يَعْمُرُ مَسَاجِدَ اللَّهِ مَنْ آمَنَ بِاللَّهِ وَالْيَوْمِ الآخِرِ) .

بل قد أمر الله تعالى برفع بيوتها وتعظيمها وتكريمها، فقال تعالى: (فِي بُيُوتِ الَّذِينَ اللَّهُ أَنْ يُرْفَعَ وَيُذْكَرَ فِيهَا اسْمُهُ) (103). انتهى

(وَلِلَّهِ الْمَشْرِقُ وَالْمَغْرِبُ فَأَيْنَمَا تُولُوا فَتَمَّ وَجْهَ اللَّهِ إِنَّ اللَّهَ وَسِعَ عِلْمَهُ) (١١٥)

قوله تعالى: (والله المشرق والمغرب) .

45. أخرج مسلم والترمذي والنسائي عن ابن عمر قال: « كان النبي ﷺ يصلي على راحلته تطوعاً أينما توجهت به وهو جاء من مكة إلى المدينة، ثم قرأ ابن عمر: (والله المشرق والمغرب) وقال: في هذا نزلت هذه الآية⁽¹⁰⁴⁾ .»

46. وأخرج الحاكم عنه قال: « أنزلت فأينما تولوا فثم وجه الله، أن تصلي حيثما توجهت بك راحلتك في التطوع »⁽¹⁰⁵⁾. وقال صحيح على شرط مسلم هذا أصح ما ورد في الآية إسناداً، وقد اعتمده جماعة، لكنه ليس فيه تصريح بذكر السبب بل قال: « أنزلت في كذا » وقد تقدم ما فيه، وقد ورد التصريح بسبب نزولها.

47. فأخرج ابن جرير وابن أبي حاتم من طريق علي بن أبي طلحة عن ابن عباس: « أن رسول الله ﷺ لما هاجر إلى المدينة أمره الله أن يستقبل بيت المقدس، ففرحت اليهود فاستقبلها بضعة عشر شهراً، وكان يحب قبلة إبراهيم وكان يدعو الله وينظر إلى السماء، فأنزل الله: (فولوا وجوهكم شطره) فارتاب في ذلك اليهود، قالوا: ما ولاهم عن قبلتهم التي كانوا عليها، فأنزل الله (قل لله المشرق والمغرب) وقال: (فأينما تولوا فثم وجه الله)⁽¹⁰⁶⁾ إسناده قوي، والمعنى أيضاً يساعده فليعتمد. وفي الآية روايات أخر

(102) تفسير القرطبي - (77 / 2)

(103) تفسير السعدي (63)

(104) أخرجه مسلم 1/486 ح (700) سنن الترمذي 5/ 205 ح (2958) وقال حسن صحيح سنن النسائي الصغرى 1/244 ح (491) مسند أحمد 2/ 20 ح (4714) سنن البيهقي الكبرى 2/4 ح (2033) مسند أبي يعلى 10/17 ح (5647) سنن الدارقطني 1/271 المؤلف: أبو الحسن علي بن عمر بن أحمد بن مهدي بن مسعود بن النعمان بن دينار البغدادي الدارقطني (المتوفى: 385هـ) حققه وضبط نصه وعلق عليه: شعيب الارنؤوط، حسن عبد المنعم شليبي، عبد اللطيف حرز الله، أحمد برهوم الناشر: مؤسسة الرسالة، بيروت - لبنان الطبعة: الأولى، 1424 هـ - 2004 م

عدد الأجزاء: 5 السنة للمروزي 1/102 ح (377) المؤلف: محمد بن نصر بن الحجاج المروزي أبو عبد الله [202 - 294] المحقق: سالم أحمد السلفي الناشر: مؤسسة الكتب الثقافية - بيروت الطبعة: الأولى، 1408 هـ

عدد الأجزاء: [تفسير ابن جرير 1/ 503 كل هـ] أخرجه من طريق عبد الملك بن أبي سليمان العزمي عن سعيد بن جبيرة عن ابن عمر

(105) مستدرک الحاكم 2/292 ح (3053) بنفس الإسناد السابق وما أدري ما وجه قوله: إنه أصح إسناداً وكذلك أخرجه ابن خزيمة 2/ 253 ح (1269)

(106) تفسير ابن أبي حاتم 1/248 وابن جرير في مواضع منها 1/502 سنن البيهقي الكبرى 2/12 المؤلف: أبو بكر أحمد بن الحسين بن علي البيهقي الوفاة 458 مؤلف الجوهر النقي: علاء الدين علي بن عثمان المارديني الشهير بابن التركماني المحقق: الناشر: مجلس دائرة المعارف النظامية الكائنة في الهند ببلدة حيدر آباد الطبعة: الطبعة: الأولى - 1344 هـ

عدد الأجزاء: 10 مصدر الكتاب: موقع وزارة الأوقاف المصرية وقد أشاروا إلى جمعية المكنز الإسلامي وابن عبد البر في التمهيد 53 / 17 المؤلف: أبو عمر يوسف بن عبد الله بن محمد بن عبد البر بن عاصم النمري القرطبي (المتوفى: 463هـ) المحقق: مصطفى بن أحمد العلوي ومحمد عبد الكبير البكري الناشر: مؤسسة القرطبية قول المصنف بأن إسناده قوي ليس بجيد، فإن مدار الحديث على عبد الله بن صالح كاتب الليث بن سعد وهو كثير الغلط، والعلّة الأخرى هي عدم سماع علي بن أبي طلحة من ابن عباس قال: العلاني في جامع التحصيل 240 المؤلف: أبو سعيد بن خليل بن كيكدي أبو سعيد العلاني المتوفى الوفاة 761 هـ المحقق: حمدي عبد المجيد السلفي

48. فأخرج الترمذي وابن ماجة والدارقطني من طريق أشعث السمان عن عاصم بن عبد الله عن عبد الله بن عامر بن ربيعة عن أبيه قال: « كنا مع النبي ﷺ في سفر في ليلة مظلمة فلم ندر أين القبلة، فصرى كل رجل منا على حياله، فلما أصبحنا ذكرنا ذلك لرسول الله ﷺ، فنزلت: (فأينما تولوا فثم وجه الله) (107) ». قال الترمذي غريب وأشعث يضعف في الحديث.
49. وأخرج الدارقطني وابن مردويه من طريق العزمي عن عطاء عن جابر قال: « بعث رسول الله صلى الله عليه وسلم سرية كنت فيها فأصابتنا ظلمة فلم نعرف القبلة، فقالت طائفة منا: قد عرفنا القبلة هي هاهنا قبل الشمال، فصلوا وخطوا خطوطاً، وقال بعضنا: القبلة هاهنا قبل الجنوب فصلوا وخطوا خطوطاً، فلما أصبحوا وطلعت الشمس أصبحت تلك الخطوط لغير القبلة، فلما قلنا من سفرنا سألنا النبي ﷺ فسكت، وأنزل الله (ولله المشرق والغرب) - الآية (108) ».
50. [ك] وأخرج ابن مردويه من طريق الكلبي عن أبي صالح عن ابن عباس: « أن رسول الله صلى الله عليه وسلم بعث سرية فأخذتهم ضيابة فلم يهتدوا إلى القبلة فصلوا ثم استبان لهم بعد ما طلعت الشمس أنهم صلوا لغير القبلة، فلما جاءوا إلى رسول الله ﷺ حدثوه فأُنزل الله هذه الآية: (ولله المشرق والغرب) - الآية (109) ».
51. وأخرج ابن جرير عن قتادة: أن النبي صلى الله عليه وسلم قال: « إن أبا لكم قد مات يعني النجاشي فصلوا عليه، قالوا نصلي على رجل ليس بمسلم؟! فنزلت: (وإن من أهل الكتاب لمن يؤمن بالله) - الآية [آل عمران: 199]. قالوا فإنه كان لا يصلي إلى القبلة، فأُنزل الله (ولله المشرق والغرب) - الآية (110) ». غريب جداً، وهو مرسل أو معضل.
52. [ك] وأخرج ابن جرير أيضاً عن مجاهد قال: « لما نزلت (ادعوني استجب لكم) [غافر: 60] قالوا: إلى أين؟ فنزلت: (أينما تولوا فثم وجه الله) (111) ».

[تعليق]

- ذكر المؤلف رحمه الله في سبب نزول هذه الآية ثمانية آثار بعضها قوي الإسناد وبعضها ضعيف، ويتلخص لنا من خلال هذه الآثار أن هذه الآية نزلت في:
- 1- الأثرين الأولين في التوجه في صلاة النافلة حيثما توجهت بك رحلتك وليس فيه التصريح بسبب النزول كما ذكر المصنف.
 - 2- الأثر الثالث في اعتراض اليهود على توجه النبي ﷺ قبل مكة وفيه التصريح أن الآية نزلت لهذا السبب لذلك اعتمده المؤلف.
 - 3- الأثر الرابع والخامس والسادس: أن الآية نزلت عندما أخطأ الصحابة القبلة وصلوا إلى غير القبلة اجتهاداً، فنزلت الآية لتدل على أن صلاتهم التي صلوا إليها غير القبلة صحيحة طالما كان ذلك اجتهاد منهم، وهي مسألة فقهية وحاصلها أنه إذا صلى المرء إلى غير القبلة مجتهداً ثم تبين له الخطأ بعد ذلك فليس عليه أن يعيد الصلاة على مذهب الحنفية والمالكية، ووفق الحنابلة بين السفر والحضر، أما الشافعية فقالوا بالإعادة على كل حال. وهذه الآثار تدل على عدم الإعادة.
 - 4- الأثر السابع أنها نزلت في شأن الصلاة على النجاشي عندما كان يصلي لغير القبلة اجتهاداً فنزلت الآية مبينة صحة صلاته.
 - 5- الأثر الثامن أنها نزلت في الدعاء حيثما كنت فثم وجه الله.

الناشر: عالم الكتب - بيروت الطبعة: الثانية 1407 - 1986 عدد الأجزاء: 1 على بن أبي طلحة قال: دحيم لم يسمع التفسير من بن عباس، وقال أبو حاتم: علي بن أبي طلحة عن بن عباس مرسل إنما يروي عن مجاهد والقاسم بن محمد، قلت: إذا ثبت كون الواسطة مجاهد لا يضر، ولكن الأفة في كون علي لم يسمع الأثر من مجاهد بل سمعه من غيره، ولو كان سمعه منه لصاح بذلك فإن مجاهد راوية ابن عباس وتصحيح رواية علي عن ابن عباس اعتماداً على ذلك إنما هو تصحيح بالتوهم والشرع لا يؤخذ بالتوهم إنما يؤخذ بالتثبت

(107) تفسير ابن جرير/سنن الترمذي 5/205 ح (2957) سنن ابن ماجة 1/326 ح (1020) المؤلف: ابن ماجة أبو عبد الله محمد بن يزيد القزويني (المتوفى: 273 هـ) كتب حواشيه: محمود خليل الناشر: مكتبة أبي المعاطي عدد الأجزاء: 5 مسند أبي داود الطيالسي 156 ح (1145) مسند البزار 9/268 ح (3812) المؤلف: أبو بكر أحمد بن عمرو بن عبد الخالق البزار المتوفى: 292 هـ المحقق: محفوظ الرحمن زين الله، (حقوق الأجزاء من 1 إلى 9) وعادل بن سعد (حقوق الأجزاء من 10 إلى 17) وصبري عبد الخالق الشافعي (حقوق الجزء 18) الناشر: مكتبة العلوم والحكم - المدينة المنورة الطبعة: الأولى، (بدأت 1988م، وانتهت 2009م) المعجم الأوسط 1/145 ح (460) المؤلف: أبو القاسم سليمان بن أحمد الطبراني المتوفى 360 هـ الناشر: دار الحرمين - القاهرة، 1415 تحقيق: طارق بن عوض الله بن محمد، عبد المحسن بن إبراهيم الحسيني عدد الأجزاء: 10 سنن البيهقي الكبرى 2/11 ح (2075) وما ذكره الإمام الترمذي رحمه الله من أن الحديث لا يعرف إلا من رواية أشعث السمان، فقد تابع فيه أشعث عمرو بن قيس عند الطيالسي وأخرجه البيهقي من طريقة والعله في هذا الإسناد عاصم بن عبيد الله، فإنه ضعيف

(108) سنن الدارقطني 1/271 سنن البيهقي الكبرى 2/11 ح (2076) كلاهما من طريق أحمد بن عبيد الله بن الحسن قال: الحافظ في ترجمته من لسان الميزان 1/218 أحمد بن عبيد الله بن الحسن العنبري عن أبيه وعنه الحسن بن علي المعمر بن إبراهيم بن حماد وعلي بن سعيد الرازي وآخرون، قال ابن القطان مجهول، قلت: وذكره ابن حبان في الثقات فقال: روى عن ابن عبيدة وعنه ابن الباغندي ولم تثبت عدالته، وابن القطان تبع بن حزم في إطلاق التحجيل على من لا يطلعون حاله، وهذا الرجل بصري شهير وهو ولد عبيد الله القاضي المشهور، انتهى قلت: العلة ليست في كون أحمد هذا مجهولاً ولكن الانقطاع بينه وبين أبيه حيث قال: وجدت في كتاب أبي، وكذلك عبد الله بن أبي سليمان قال: فيه الحافظ في تربيته صدوق له أو هام

(109) أخرجه ابن مردويه قال الحافظ ابن كثير في تفسيره: إسناده ضعيف وفيه الكلي، وقد تقدم كلام المصنف فيه وكذلك شيخه أبو صالح

(110) تفسير ابن جرير 1/405 وإسناده صحيح غير أنه مرسل قتادة لم يذكر الواسطة بينه وبين النبي ﷺ

(111) تفسير ابن جرير 1/505 وهو مرسل وفي إسناده الحسين بن داود وهو المعروف بسنيد ضعيف

وهذه الآثار ما صح منها فهو غير صريح في سبب النزول فقولُه " ثم قرأ ابن عمر (والله المشرق والمغرب) ليس فيه دلالة على أن ذلك سبب النزول، وكذلك الأثر الثاني عنه فهي فتوى وليس إخباراً بأن ذلك سبب نزول للآية والله أعلم. أما أثر ابن عباس وإن رجحه المؤلف لكنه من رواية على بن أبي طلحة عن ابن عباس وهي رواية منقطعة. أما بقية الآثار فلا تخلو من مقال في إسناده.

فالترجيح أن تحمل الآية على عمومها وهذا ما رجحه إمام المفسرين ابن جرير حيث قال في تفسيره: فأما القول في هذه الآية ناسخة أم منسوخة، أم لا هي ناسخة ولا منسوخة؟ فالصواب فيه من القول أن يقال: إنها جاءت مجيء العموم، والمراد الخاص، وذلك أن قوله: (فَأَيُّمًا تُولُوا فَتَمَّ وَجْهُ اللَّهِ)، محتمل: أيما تولوا في حال سيركم في أسفاركم، في صلاتكم التطوع، وفي حال مسافرتكم عدوكم، في تطوعكم ومكتوبتكم، فتم وجه الله، كما قال ابن عمر والنخعي، ومن قال ذلك ممن ذكرنا عنه آنفاً⁽¹¹²⁾.

[تفسير مختصر للآية]

يخبر سبحانه أن المشرق والمغرب ملك لله تعالى، فاللام في (فله) للاختصاص، (فأينما تولوا) يعني حيثما توجهتم قبل المشرق أو المغرب سواء في السفر أو الحضر (فتم وجه الله) يعني جهة الله تعالى وقد أثبت فريق من أهل العلم بهذه الآية صفة الوجه لله تعالى، لكن حمل الآية على الجهة هو قول أكثر أهل العلم كما قال ابن جرير في تفسيره: " فَأَيُّمًا تُولُوا مِنْ أَرْضِ اللَّهِ فَتَكُونُوا بِهَا فَتَمَّ قِبْلَةُ اللَّهِ الَّتِي تُوجَّهُونَ وَجُوهَكُمْ إِلَيْهَا ؛ لِأَنَّ الْكَعْبَةَ مُمَكِّنٌ لَكُمْ التَّوَجُّهَ إِلَيْهَا مِنْهَا⁽¹¹³⁾ .

(وَقَالَ الَّذِينَ لَا يَعْلَمُونَ لَوْلَا يُكَلِّمُنَا اللَّهُ أَوْ تَنْزِيلًا آيَةٌ كَذَلِكَ قَالَ الَّذِينَ مِنْ قَبْلِهِمْ مِثْلَ قَوْلِهِمْ تَشَابَهَتْ قُلُوبُهُمْ قَدْ بَيَّنَّا الْآيَاتِ لِقَوْمٍ يُوقِنُونَ (١١٨))

قوله تعالى: (وقال الذين لا يعلمون) - الآية.

53. أخرج ابن جرير وابن أبي حاتم من طريق سعيد أو عكرمة عن ابن عباس قال: « قال رافع بن حريملة لرسول الله: إن كنت رسولا من الله كما تقول، فقل لله: فيكلمنا حتى نسمع كلامه. فأنزل الله في ذلك، (وقال الذين لا يعلمون) - الآية⁽¹¹⁴⁾ .»

[تعليق]

ذكر المؤلف رحمه الله أثراً واحداً في سبب نزول هذه الآية. ورافع بن حريملة - وقيل: حرمله، وقيل: خزيمه، من بني قنينا.

أحد أخبار ورؤساء اليهود الذين عاصروا النبي ﷺ عند بزوغ فجر الإسلام. كان شريراً بغياً كثير النفاق والشقاق، ومن ألد خصوم النبي ﷺ والمسلمين، وكان يحسد النبي ﷺ على نبوته. ادعى كذباً ونفاقاً بأنه أسلم، فكان يحضر مع جمع من المنافقين في مسجد النبي ﷺ، فيستمعون أحاديث المسلمين، فيسخرون منهم ويستهزئون بهم. لما هلك قال النبي ﷺ: « قد مات اليوم عظيم من عظماء المنافقين ». وإسناد هذا الأثر ضعيف لذلك رجح ابن جرير أن الآية نزلت في النصاري لأن سياق الآيات يدل عليه. قال ابن جرير رحمه الله عن مجاهد: « أنها نزلت في النصاري ». وقال آخرون: أنها في اليهود. ثم ذكر هذا الأثر الذي ذكره الإمام السيوطي، ثم قال: وقال آخرون: أنها نزلت في مشركي العرب، وأسند في ذلك عن قتادة والربيع والسدي، ثم رجح كونها في النصاري قال:

وأولى هذه الأقوال بالصحة والصواب قول القائل: إن الله تعالى عنى بقوله: (وقال الذين لا يعلمون)، النصاري دون غيرهم. لأن ذلك في سياق خبر الله عنهم، وعن افتراءهم عليه وادعائهم له ولدا. فقال جل ثناؤه، مخبراً عنهم فيما أخبر عنهم من ضلالتهم أنهم مع افتراءهم على الله الكذب بقوله: (اتخذ الله ولداً)، تمنوا على الله الأباطيل، فقالوا جهلاً منهم بالله وبمنزلتهم عنده وهم بالله مشركون: (لولا يكلمنا الله)، كما يكلم رسوله وأنبياءه، أو تأتينا آية كما أنتهم؟ ولا ينبغي لله أن يكلم إلا أوليائه، ولا يؤتي آية معجزة على دعوى مدع إلا لمن كان محققاً في دعواه وداعياً إلى الله وتوحيده، فأما من كان كاذباً في دعواه وداعياً إلى الفرية عليه وادعاء البنين والبنات له، فغير جائز أن يكلمه الله جل ثناؤه، أو يؤتيه آية معجزة تكون مؤيدة لكذبه وفريته عليه.

وأما الزاعم: أن الله عنى بقوله: (وقال الذين لا يعلمون) العرب، فإنه قائل قولاً لا خير بصحته، ولا برهان على حقيقته في ظاهر الكتاب. والقول إذا صار إلى ذلك كان واضحاً خطؤه، لأنه ادعى ما لا برهان على صحته، وادعاء مثل ذلك لن يتعذر على أحد⁽¹¹⁵⁾. انتهى

[تفسير مختصر للآية]

قال العلامة ابن سعدي رحمه الله في تفسيره: أي: قال الجهلة من أهل الكتاب وغيرهم: هلا يكلمنا، كما كلم الرسل، (أو تأتينا

(112) جامع البيان (تفسير الطبري) (2/ 533)

(113) تفسير الطبري 310 (دار هجر) (2/ 456)

(114) تفسير ابن أبي حاتم 1/215 وابن جرير في تفسيره 1/512 وقال فيه رافع بن حريملة، وفي إسناده محمد بن أبي محمد مجهول، وكذلك ابن حميد شيخ الطبري ضعيف.

(115) جامع البيان (تفسير الطبري) (2/ 552)

(49)

آية) يعنون آيات الاقتراح، التي يقترحونها بعقولهم الفاسدة، وآرائهم الكاسدة، التي تجرأوا بها على الخالق، واستكبروا على رسله كقولهم: (لَنْ نُؤْمِنَ لَكَ حَتَّى نَرَى اللَّهَ جَهْرَةً) (يسألُك أهلُ الكتابِ أن تُنزلَ عليهم كتابًا من السماء فقد سألوا موسى أكبر من ذلك) الآية، وقالوا: (لولا أنزل إليه ملك فيكون معه نذيرًا أو يلقى إليه كنز أو تكون له جنة) الآيات وقوله: (وقالوا لنؤمن لك حتى تفجر لنا من الأرض ينبوعًا) الآيات.

فهذا دأبهم مع رسلهم، يطلبون آيات التعنت، لا آيات الاسترشاد، ولم يكن قصدهم تبين الحق، فإن الرسل، قد جاءوا من الآيات، بما يؤمن بمثله البشر، ولهذا قال تعالى: (قَدْ بَيَّنَّا الْآيَاتِ لِقَوْمٍ يُوقِنُونَ) فكل موقن، فقد عرف من آيات الله الباهرة، وبراهينه الظاهرة، ما حصل له به اليقين، واندفع عنه كل شك وريب⁽¹¹⁶⁾.

(إِنَّا أَرْسَلْنَاكَ بِالْحَقِّ بَشِيرًا وَنَذِيرًا وَلَا تُسْئَلُ عَنْ أَصْحَابِ الْجَحِيمِ 119)

قوله تعالى: (إنا أرسلناك) - الآية.

54. قال عبد الرزاق: أنبأنا الثوري عن موسى بن عبيدة عن محمد بن كعب القرظي قال: « قال رسول الله

□ : « ليت شعري ما فعل أبواي؟ ». فنزلت: (إنا أرسلناك بالحق بشيرًا ونذيرًا ولا تسأل عن أصحاب الجحيم) فما ذكرها حتى توفاه الله⁽¹¹⁷⁾.

55. وأخرج ابن جرير من طريق ابن جريج قال: أخبرني داود بن أبي عاصم: « أن النبي □ قال ذات يوم: « أين أبواي؟ » فنزلت مرسل أيضًا⁽¹¹⁸⁾.

[تعليق]

ذكر المؤلف رحمه الله في سبب نزول هذه الآية أنها نزلت في أبوي النبي □. وهذا الآثار مرسله وقد ذكرك الإمام القرطبي رحمه الله في تفسيره عن مقاتل بن حيان: إن النبي □ قال: "لو أنزل الله بأسه باليهود لأمنوا"، فأنزل الله تعالى: (ولا تسأل عن أصحاب الجحيم⁽¹¹⁹⁾). انتهى

قلت: وقراءة الجمهو (تسأل) بضم التاء وقال الأخفش [تسأل] بفتح التاء⁽¹²⁰⁾.

قال الإمام ابن جرير في الفرق في المعنى بين القراءتين: قرأت عامة القراء: (ولا تسأل عن أصحاب الجحيم) بضم "التاء" من "تسأل"، ورفع "اللام" منها على الخبر، بمعنى: يا محمد إنا أرسلناك بالحق بشيرًا ونذيرًا، فبلغت ما أرسلت به، وإنما عليك البلاغ والإنذار، ولست مسئولًا عن كفر بما أتيت به من الحق، وكان من أهل الجحيم. وقرأ ذلك بعض أهل المدينة: (ولا تسأل) جزمًا. بمعنى النهي، مفتوح "التاء" من "تسأل"، وجزم "اللام" منها. ومعنى ذلك على قراءة هؤلاء: إنا أرسلناك بالحق بشيرًا ونذيرًا لتبلغ ما أرسلت به، لا لتسأل عن أصحاب الجحيم، فلا تسأل عن حالهم⁽¹²¹⁾.

(وَلَنْ تَرْضَىٰ عَنْكَ الْيَهُودُ وَلَا النَّصَارَىٰ حَتَّىٰ تَتَّبِعَ مِلَّتَهُمْ قُلْ إِنَّ هُدَىٰ اللَّهِ هُوَ الْهُدَىٰ وَلَئِنَّ آتِيتَهُمْ هَوَاءَهُمْ بَعْدَ الَّذِي جَاءَكَ مِنَ الْعِلْمِ مَا لَكَ مِنَ اللَّهِ مِن وَلِيٍّ وَلَا نَصِيرٍ 120)

قوله تعالى: (ولن ترضى) - الآية.

56. أخرج الثعلبي عن ابن عباس قال: « إن يهود المدينة ونصارى نجران كانوا يرجون أن يصلي النبي

□ إلى قبلتهم، فلما صرف الله القبلة إلى الكعبة شق ذلك عليهم وأيسوا أن يوافقهم على دينهم، فأنزل الله (ولن ترضى عنك اليهود ولا النصارى) - الآية⁽¹²²⁾.

[تعليق]

ذكر في سبب نزول هذه الآية هذا الأثر الوحيد عن ابن عباس، ولم أجد له إسنادًا، قال ابن حجر: وذكره الجعبري بلفظ قال ابن عباس «كانوا يودون ثبوت النبي على الصلاة إلى الصخرة⁽¹²³⁾» انتهى.

وقد ورد كذلك في سبب نزولها ما رواه الواحدي من غير إسناد قال: قال المفسرون: إنهم كانوا يسألون النبي - □ - الهدنة، ويطمعونه أنه إن هادنهم وأمهلهم اتبعوه ووافقوه، فأنزل الله تعالى هذه الآية⁽¹²⁴⁾.

وفي سبب نزولها أثر آخر عن مقاتل ذكره الإمام ابن حجر في العجائب عن مقاتل: قال: « كان اليهود من أهل المدينة

(116) تفسير السعدي (64)

(117) تفسير عبد الرزاق 1/59 تفسير ابن جرير 1/516 وبالإضافة إلى إرساله، ففيه موسى بن عبيدة وهو يضعف في الحديث

(118) ابن جرير المصدر السابق وبالإضافة إلى إرساله ففيه سنيد وتقدم أنه ضعيف

(119) تفسير القرطبي - (92/2)

(120) تفسير القرطبي - (92/2)

(121) جامع البيان (تفسير الطبري) (2/558)

(122) لم أقف على إسناده.

(123) العجائب في بيان الأسباب (1/373) المؤلف: شهاب الدين أبي الفضل أحمد بن علي الناشر: دار ابن الجوزي - الدمام الطبعة الأولى، 1997

(124) أسباب النزول - تح الفحل (16/4)

والنصارى من أهل نجران دعوا النبي إلى دينهم وزعموا إنهم على الهدى فنزلت»⁽¹²⁵⁾.
فيكون في سبب نزول هذه الآية ثلاثة أقوال.

الأول: الأول في شأن الكعبة.

الثاني: في المهادنة.

الثالث: في دعوتهم النبي □ إلى دينهم.

أقول: بما أننا لم نقف على إسناد صحيح لسبب نزول هذه الآية فحملها على عمومها أولى فاليهود والنصارى في كل زمان ومكان لا يرضون عن النبي □ لا عن دينه ولا عن حملة دينه حتى يتبع دينهم.

قال إمام المفسرين ابن جرير جامع البيان وليست اليهود، يا محمد، ولا النصارى براضية عنك أبداً، فمدح طلب ما يرضيهم ويوافقهم، وأقبل على طلب رضا الله في دعائهم إلى ما بعثك الله به من الحق، فإن الذي تدعوهم إليه من ذلك هو السبيل إلى الاجتماع فيه معك على الألفة والدين القيم. ولا سبيل لك إلى إرضائهم باتباع ملتهم، لأن اليهودية ضد النصرانية، والنصرانية ضد اليهودية، ولا تجتمع النصرانية واليهودية في شخص واحد في حال واحدة، واليهود والنصارى لا تجتمع على الرضا بك، إلا أن تكون يهودياً نصرانياً، وذلك مما لا يكون منك أبداً، لأنك شخص واحد، ولن يجتمع فيك دينان متضادان في حال واحدة. وإذا لم يكن إلى اجتماعهما فيك في وقت واحد سبيل، لم يكن لك إلى إرضاء الفريقين سبيل. وإذا لم يكن لك إلى ذلك سبيل، فالزم هدى الله الذي لجمع الخلق إلى الألفة عليه سبيل⁽¹²⁶⁾. انتهى

[تفسير مختصر للآية]

(ولن ترضى عنك اليهود ولا النصارى حتى تتبع ملتهم) يعني: دينهم وتصلي إلى قبلتهم (قل إن هدى الله هو الهدى) أي: الصراط الذي دعا إليه، وهدى إليه هو طريق الحق (ولئن اتبعت أهواءهم) يعني: ما كانوا يدعونه إليه من المهادنة والإمهال (بعد الذي جاءك من العلم) أي: البيان بأن دين الله عز وجل هو الإسلام وأنهم على الضلالة (مالك من الله من ولي ولا نصير) ⁽¹²⁷⁾.

(وَإِذْ جَعَلْنَا الْبَيْتَ مَثَابَةً لِّلنَّاسِ وَأَمْنَا وَاتَّخِذُوا مِن مَّقَامِ إِبْرَاهِيمَ مُصَلًّى وَعَهِدْنَا إِلَىٰ إِبْرَاهِيمَ وَإِسْمَاعِيلَ أَنَّ طَهِّرَا بَيْتِيَ لِلطَّائِفِينَ وَالْقَائِمِينَ وَالرُّكَّعِ السُّجُودِ ١٢٥)

قوله تعالى: (واتخذوا من مقام إبراهيم مصلى).

57. روى البخاري وغيره عن عمر، قال: « وافقت ربي في ثلاث، قلت يا رسول الله: لو أخذت من مقام إبراهيم مصلى، فنزلت: (واتخذوا من مقام إبراهيم مصلى). وقلت يا رسول الله: إن نساءك يدخل عليهن البر والفاجر، فلو أمرتهن أن يحتجن فنزلت: آية الحجاب. واجتمع على رسول الله □ نساؤه في الغيرة، فقلت لهن: (عسى ربه إن طلقك أن يبدله أزواجا خيراً منكن) [التحريم: 5] فنزلت كذلك⁽¹²⁸⁾». له طرق كثيرة منها:

58. ما أخرجه ابن أبي حاتم وابن مردويه عن جابر قال: « لما طاف النبي □ قال له عمر: هذا مقام أبينا إبراهيم؟ قال: « نعم » قال: أفلا نتخذ مصلى؟ فأنزل الله (واتخذوا من مقام إبراهيم مصلى) ⁽¹²⁹⁾».

59. وأخرج ابن مردويه من طريق عمرو بن ميمون عن عمر بن الخطاب: « أنه مر بمقام إبراهيم فقال: يا رسول الله أليس نقوم مقام خليل ربنا؟ قال: « بلى » قال: أفلا نتخذ مصلى؟ فلم نلبث إلا يسيراً حتى نزلت: (واتخذوا من مقام إبراهيم مصلى) ⁽¹³⁰⁾».

وظاهر هذا وما قبله أن الآية نزلت في حجة الوداع.

(125) العجائب في بيان الأسباب (1/ 373)

(126) جامع البيان (تفسير الطبري) (2/ 563)

(127) الوجيز للواحد (32)

(128) صحيح البخاري 1/157 ح (393) صحيح مسلم مختصراً 4/1865 ح (2399) سنن الدارمي 2/67 ح (1849) المؤلف: عبدالله بن عبدالرحمن أبو محمد الدارمي الوفاة 280 هـ الناشر: دار الكتاب العربي - بيروت الطبعة الأولى، 1407 تحقيق: فواز أحمد زمرلي، خالد السبع العلمي عدد الأجزاء: 2 مسند أحمد 1/23 ح (157) صحيح ابن حبان 319/15 ح (6896) سنن البيهقي الكبرى 7/87 ح (13282) المعجم الصغير 2/110 ح (868) مسند أبي داود الطيالسي ص 9 ح (41) فضائل الصحابة لابن حنبل 1/315 ح (434) المؤلف: أحمد بن حنبل أبو عبد الله الشيباني (164 - 241) المحقق: د. وصي الله محمد عباس الناشر: مؤسسة الرسالة - بيروت الطبعة: الأولى، 1403 - 1983 سنن سعيد بن منصور 2/607 ح (215) المؤلف: سعيد بن منصور المتوفى: 227 هـ طبع الكتاب على ثلاث طبعات: 1 - كتاب الفرائض: المحقق: حبيب الرحمن الأعظمي الناشر: دار الكتب العلمية - بيروت الطبعة: الأولى، 1985 م عدد المجلدات: 2 - كتاب التفسير: المحقق: سعد بن عبد الله آل حميد الناشر: دار الصميعي - الرياض الطبعة: الأولى، 1993 م عدد المجلدات: 5 - 3 - تكملة كتاب التفسير: المحقق: فريق من الباحثين بإشراف سعد الحميد، وخالد الجريسي الناشر: دار الألوكة للنشر - الرياض الطبعة: الأولى، 2012 م عدد المجلدات: 3 تفسير الطبري 1/534

(129) تفسير ابن أبي حاتم 1/226 فيه ابن جرير وهو معروف بالتدليس وقد عنعن في الإسناد

(130) ذكر ابن كثير إسناده عن ابن مردويه وفيه غيلان بن عبد الصمد لم أجد له ترجمة وباقى إسناده ثقات وله شاهد في حلية الأولياء/4 145 المؤلف: أبو نعيم أحمد بن عبد الله الأصبهاني [ت: 430] الناشر: دار الكتاب العربي - بيروت الطبعة: الرابعة، 1405 عدد الأجزاء: 10 رواه من طريق أبي بكر بن أبي شيبة عن أبي أسامة عن زكريا عن أبي إسحاق عن أبي ميسرة قال: قال عمر - وساق الحديث نحو حديث عمرو بن ميمون عن عمر، وله شاهد آخر عند ابن الجعد في مسنده/1 370 المؤلف: علي بن الجعد بن عبيد أبو الحسن الجوهري البغدادي (134 - 230 هـ). الطبعة: الثانية 1417 - 1996 عدد الأجزاء: 1

أرقام هذه النشرة تتفق مع طبعة دار الكتب العلمية تفرواه من طريق أبي إسحاق عن طلحة ابن مصرف قال: قال عمر: وذكر قريباً منه في المعنيوله أيضاً شاهد في أخبار مكة/1 449 ح (985) المؤلف: أبو عبد الله محمد بن إسحاق بن العباس المكي الفاكهي (المتوفى: 272 هـ) المحقق: د. عبد الملك عبد الله دهيش الناشر: دار خضر - بيروت الطبعة: الثانية، 1414 عدد الأجزاء: 6 أجزاء في 3 مجلدات بإسناد منقطع عن عمر

[تعليق]

ذكر المؤلف في سبب نزول هذه الآية هذه الأحاديث الصحيحة، وهي تدل على أن سبب نزول الآية كان بسبب سؤال عمر بن الخطاب رضي الله عنه، لكن هنا عدة مسائل سوف أشير إليها إشارة مختصرة ليتضح لنا المعنى الكامل للآية الكريمة.

المسألة الأولى:

اختلفت القراءات في قوله تعالى (واتخذوا) قرأها نافع وابن عامر بفتح الخاء بمعنى الفعل الماضي فيكون معطوفاً على قوله تعالى (جعلنا البيت) أي (واتخذوا) فيكون المعنى هنا الإخبار عن الأمم السابقة فلا يناسب ذلك سبب النزول. القراءة الثانية (واتخذوا) بالكسر فعل أمر، وهي قراءة الجمهور، وهي القراءة التي تناسب سبب النزول بأن عمر رضي الله عنه سأل ذلك فقال " أفلا نتخذ من مقام إبراهيم مصلى " فأنزل الله الآية.

والجمع بين القراءتين أن يقال بأن الأمم التي كانت على ملة إبراهيم عليه السلام كانت قد اتخذت من مقام إبراهيم مصلى، ثم لما عم الشرك ترك، فلما رجع الإسلام وكان سؤال عمر أمروا بأن يجعل مقام إبراهيم مصلى. والله تعالى أعلم.

ولابن خلدون توجيه آخر لمعنى القراءتين حيث قال: قوله تعالى: (وَاتَّخَذُوا مِنْ مَقَامِ إِبْرَاهِيمَ مُصَلًّى). يقرأ بكسر الخاء وفتحها. فالحجة لمن كسر: أنهم أمروا بذلك. ودليله قول عمر: «أفلا نتخذة مصلى؟»، فأنزل الله ذلك موافقاً به قوله. والحجة لمن فتح: أن الله تعالى، أخبر عنهم بذلك بعد أن فعلوه.

فإن قيل: فإن الأمر ضد الماضي، وكيف جاء القرآن، بالشيء وضده؟ فقل: إن الله تعالى أمرهم بذلك مبتدئاً، ففعلوا ما أمروا به، فأنتى بذلك عليهم وأخبر به، وأنزله في العرصة الثانية⁽¹³¹⁾. انتهى

قلت: وهذا القول بناء على أن القرآن الكريم أنزل على سبعة أحرف. فأنزل أولاً بأمرهم باتخاذ مصلى، ثم أنزل ثانياً بالبناء للفعل الماضي على سبيل أنهم لما امتثلوا الأمر واتخذوا مقام إبراهيم مصلى أتى الله عليه بهذا. والله تعالى أعلم.

المسألة الثانية:

معنى قوله تعالى (مثابة).

يحتمل أن يكون أصله من ثاب إذا رجع بمعنى أن الناس يرجعون إليه كلما ذهبوا عنه.

ويحتمل أن يكون بمنى الثواب يعني أن الناس يكثر ثوابهم إذا حضروا وشهدوا البيت كما في مسند أحمد وغيره عن جابر بن عبد الله رضي الله عنهما قال: قال رسول الله صلى الله عليه وسلم: " صَلَاةٌ فِي مَسْجِدِي هَذَا أَفْضَلُ مِنْ مِائَةِ أَلْفِ صَلَاةٍ فِيمَا سِوَاهُ إِلَّا الْمَسْجِدَ الْحَرَامَ، وَصَلَاةٌ فِي الْمَسْجِدِ الْحَرَامِ أَفْضَلُ مِنْ مِائَةِ صَلَاةٍ فِي مَسْجِدِي " ⁽¹³²⁾.

المسألة الثالثة:

استدل العلماء بقوله تعالى (وأمناً) على أن من دخل الحرم فهو آمن ولا يجوز إقامة الحد عليه وهو قول الإمام أبي حنيفة رحمه الله وعدة من أهل العلم ⁽¹³³⁾.

المسألة الرابعة: ما هو مقام إبراهيم الذي أمرنا أن نتخذة مصلى؟

قال الحافظ ابن كثير رحمه الله: المراد بالمقام إنما هو الحجر الذي كان إبراهيم عليه السلام، يقوم عليه لبناء الكعبة، لما ارتفع الجدار أنه إسماعيل، عليه السلام، به ليقوم فوقه ويناله الحجاره فيضعها بيده لرفع الجدار، كلما كمل ناحية انتقل إلى الناحية الأخرى، يطوف حول الكعبة، وهو واقف عليه، كلما فرغ من جدار نقله إلى الناحية التي تليها هكذا، حتى تم جدارات الكعبة ⁽¹³⁴⁾.

انتهى

قلت وقد ورد في فضله آثار كثيرة ليس هذا الكتاب محل ذكرها.

[تفسير مختصر للآية]

(وإذ جعلنا البيت) يعني: الكعبة (مثابة للناس) معاداً يعودون إليه لا يقضون منه وطراً، كلما انصرفوا اشتاقوا إليه (وأمناً) أي: مؤمناً، وكانت العرب يرى الرجل منهم قاتل أبيه في الحرم فلا يتعرض له، وأمناً اليوم فلا يُهاج الجاني إذا التجأ إليه عند أهل العراق، وعند الشافعي: الأولى أن لا يُهاج، فإن أخيف بإقامة الحد عليه جاز. وقد قال كثير من المفسرين: من شاء آمن، ومن شاء لم يؤمن، كما أنه لما جعله مثابة، من شاء ثاب، ومن شاء لم يثب.

(واتخذوا) أي: الناس (من مقام إبراهيم) وهو الحجر الذي يُعرف بمقام إبراهيم، وهو موضع قدميه (مصلى) وهو أنه تُسنن الصلاة خلف المقام، فُرى على هذا الوجه على الخبر، وقرىء بالكسر على الأمر. (وعهدنا إلى إبراهيم وإسماعيل) أمرناهما وأوصينا إليهما

(أن طهراً بيتي) من الأوثان والربيب (للطنافين) حوله، وهم النزاع إليه من آفاق الأرض (والعاكفين) أي: المقيمين فيه، وهم سكان الحرم (والركع) جمع راع و (السجود) جمع ساجد؛ مثله: قاعد وقعود ⁽¹³⁵⁾.

(وَمَنْ يَرْغَبْ عَنْ مِلَّةِ إِبْرَاهِيمَ إِلَّا مَنْ سَفِهَ نَفْسَهُ وَلَقَدْ اصْطَفَيْنَاهُ فِي الدُّنْيَا وَإِنَّهُ فِي الْآخِرَةِ لَمِنَ الصَّالِحِينَ (١٣٠)

(131) الحجة في القراءات السبع (87) ط دار الرسالة (الأولى، 1421 هـ - 2000 م)

(132) مسند أحمد بن حنبل (3/343) وانظر تفسير الآية من تفسير ابن عطية 1/151 فقد ذكرته بتصرف

(133) تفسير القرطبي - (2/111)

(134) تفسير ابن كثير (1/417)

(135) الوجيز للواحد (34)

قوله تعالى: (ومن يرغب عن ملة إبراهيم) - الآية.

60. قال ابن عساکر: روى « أن عبد الله بن سلام دعا ابني أخيه سلمة ومهاجراً إلى الإسلام، فقال لهما: قد علمتما أن الله تعالى قال في التوراة: «إني باعث من ولد إسماعيل نبياً اسمه أحمد، فمن آمن به، فقد اهتدى ورشد، ومن لم يؤمن به فهو ملعون. فأسلم سلمة، وأبي مهاجر، فنزلت فيه - الآية (136) ». »

[تعليق]

ذكر المؤلف رحمه الله تعالى هذا الأثر في سبب نزول هذه الآية، وهو في تفسير مقاتل بلفظ (ومن يرغب عن ملة إبراهيم)، وذلك أن عبد الله بن سلام دعا ابني أخيه سلمة ومهاجراً إلى الإسلام، فقال لهما: ألستما تعلمان أن الله عز وجل قال لموسى: إني باعث نبياً من ذرية إسماعيل يقال له: أحمد، يحمي أمته عن النار، وأنه ملعون من كذب بأحمد النبي، وملعون من لم يتبع دينه؟ فأسلم سلمة، وأبي مهاجر، ورغب عن الإسلام، فأُنزل الله عز وجل: (ومن يرغب عن ملة إبراهيم) (137). قلت: وهذا الأثر مرسل. فحمل الآية على عمومها أولى فيكون سبب النزول أيضاً داخلاً في عموم الآية. والله تعالى أعلم.

[تفسير مختصر للآية]

(وَمَنْ أَيْ لَا يَرْغَبُ عَنْ مِلَّةِ إِبْرَاهِيمَ) فَيَبْتَغِيهَا (إِلَّا مَنْ سَفِهَ نَفْسَهُ) جَهْلٌ أَنَّهَا مَخْلُوقَةٌ لِلَّهِ يَجِبُ عَلَيْهَا عِبَادَتُهُ أَوْ اسْتِخْفَافُهَا وَامْتِنَانُهَا (وَلَقَدْ اصْطَفَيْنَاهُ) اخْتَرْنَاهُ (فِي الدُّنْيَا) بِالرَّسَالَةِ وَالْخَلْقَةِ (وَأَنَّهُ فِي الْآخِرَةِ لِمِنَ الصَّالِحِينَ) الَّذِينَ لَهُمُ الدَّرَجَاتُ الْعُلَى (138). انتهى

(وقالوا كونوا هوداً أو نصرى تهتدوا قل بل ملة إبراهيم حنيفاً وما كان من المشركين (١٣٥))

قوله تعالى: (وقالوا كونوا هوداً) - الآية.

61. أخرج ابن أبي حاتم من طريق سعيد أو عكرمة عن ابن عباس قال: « قال ابن سوريا للنبي صلى الله عليه وسلم، ما الهدى إلا ما نحن عليه، فاتبعنا يا محمد تهتد. وقالت النصارى مثل ذلك، فأنزل الله فيهم: (وقالوا كونوا هوداً أو نصرى تهتدوا) (139) ». »

[تعليق]

ذكر المؤلف هنا هذا الأثر عن ابن عباس، وقد ذكر الواحدي أثراً آخر في سبب نزول هذه الآية ولم يذكر له إسناداً. قال الإمام الواحدي رحمه الله: قال ابن عباس: نزلت في رءوس يهود المدينة: كعب بن الأشرف، ومالك بن الصيف، وأبي ياسر ابن أخطب، وفي نصارى أهل نجران، وذلك أنهم خاصموا المسلمين في الدين كل فرقة تزعم أنها أحق بدين الله تعالى من غيرها، فقالت اليهود: نبينا أفضل الأنبياء، وكتابنا التوراة أفضل الكتب، وديننا أفضل الأديان، وكفرت بعبسى والإنجيل ومحمد والقرآن، وقالت النصارى: نبينا أفضل الأنبياء، وكتابنا الإنجيل أفضل الكتب، وديننا أفضل الأديان، وكفرت بمحمد والقرآن (140). انتهى

قلت: معنى الأثرين متقارب على فرض صحة الإسناد، فالأولى حملة على العموم. فمقولة اليهود والنصارى (وقالوا كونوا هوداً أو نصرى تهتدوا) محمولة على اليهود والنصارى في كل زمان ومكان. فهم يظنون أن دينهم أفضل الأديان لذلك قالوا مقالتهم.

[تفسير مختصر للآية]

(وقالوا كونوا هوداً أو نصرى تهتدوا) أي: دعا كل من اليهود والنصارى المسلمين إلى الدخول في دينهم، زاعمين أنهم هم المهتدون وغيرهم ضال.

قل له مجيباً جواباً شافياً: (بل) نتبع (ملة إبراهيم حنيفاً) أي: مقبلاً على الله، معرضاً عما سواه، قائماً بالتوحيد، تاركاً للشرك والتنديد.

فهذا الذي في اتباعه الهداية، وفي الإعراض عن ملته الكفر والغواية (141).

(136) هكذا قال المصنف عن ابن عينة ولم يعزه إلى أحد الكتب، وهو منقطع بين ابن عينة وعبد الله بن سلام، وعزه ابن حجر في كتابه العجاب إلى الثعلبي والزمخشري ووجدته عند البغوي في تفسيره أيضاً بدون إسناد

(137) تفسير مقاتل بن سليمان (79/1) المؤلف: أبو الحسن مقاتل بن سليمان بن بشير الأزدي بالولاء البلخي والوفاة 105 هـ دار الكتب العلمية لبنان/ بيروت 1424 هـ

2003 م

(138) تفسير الجلالين (138/1) المؤلف: جلال الدين محمد بن أحمد المحلي (المتوفى: 864 هـ) وجلال الدين عبد الرحمن بن أبي بكر السيوطي (المتوفى: 911 هـ) الناشر:

دار الحديث - القاهرة الطبعة: الأولى عدد الأجزاء: 1

(139) تفسير ابن جرير 1/564 من طريق ابن إسحاق عن محمد بن أبي محمد وإسناده ضعيف لجهالة محمد

(140) أسباب النزول للواحدي (25)

(141) تفسير السعدي (67) المؤلف: عبد الرحمن بن ناصر بن عبد الله السعدي (المتوفى: 1376 هـ) المحقق: عبد الرحمن بن معلا اللويحق الناشر: مؤسسة الرسالة

الطبعة: الأولى 1420 هـ - 2000 م عدد الأجزاء: 1

(سَيَقُولُ السُّفَهَاءُ مِنَ النَّاسِ مَا وَلَّهُمْ عَن قِبَلِنَاهُمْ الَّتِي كَانُوا عَلَيْهَا قُلْ اللَّهُ الْمَشْرِقُ وَالْمَغْرِبُ يَهْدِي مَنْ يَشَاءُ إِلَى صِرَاطٍ مُسْتَقِيمٍ ٤٢)

قوله تعالى: (سيقول السفهاء من الناس) - الآيات.

62. قال ابن إسحاق: حدثني إسماعيل بن أبي خالد عن أبي إسحاق عن البراء قال: « كان رسول الله صلى الله عليه وسلم يصلي نحو بيت المقدس ويكثر النظر إلى السماء ينتظر أمر الله، فأنزل الله (قد نرى تقلب وجهك في السماء فلنولينك قبلة ترضاها فول وجهك شطر المسجد الحرام) [البقرة: 144] فقال رجال من المسلمين: وددنا لو علمنا علم من مات منا قبل أن يصرف إلى القبلة، وكيف بصلاتنا قبل بيت المقدس فأنزل الله: (وما كان الله ليضيع إيمانكم) وقال السفهاء من الناس ما ولاهم عن قبلتهم التي كانوا عليها، فأنزل الله: (سيقول السفهاء من الناس) - إلى آخر الآية (142) ». له طرق نحو

[تعليق]

ذكر المؤلف في سبب نزول هذه الآية هذا الحديث، وهو حديث صحيح، فتكون هذه الآية نزلت في اليهود، وهم السفهاء من الناس، لكن وقع بعض الاعتراضات على ذلك. فقال بعض أهل العلم: المراد السفهاء من الناس، المشركون عامة أو المنافقون. لأن القرآن عندما يذكر الناس فإنما المراد منهم المشركون أو الناس عامة. قال ابن عاشور: فقد عرف في اصطلاح القرآن النازل بمكة أن لفظ الناس يراد به المشركون كما روي ذلك عن ابن عباس ولا يظهر أن يكون المراد به اليهود أو أهل الكتاب، لأنه لو كان ذلك لناسب أن يقال سيقولون بالإضمار لأن ذكرهم لم يزل قريباً من الآي السابقة إلى قوله: (وَلَا تُسْأَلُونَ) [البقرة: 134] الآية وبعضنا في هذا ما ذكر الفخر عن ابن عباس والبراء بن عازب والحسن أن المراد بالسفهاء المشركون. وذكر القرطبي أنه قول الزجاج، ويجوز أن يكون المراد بهم المنافقين وقد سبق وصفهم بهذا في أول السورة فيكون المقصود المنافقين الذين يبتغون الشرك، والذي يبعثهم على هذا القول هو عين الذي يبعث المشركين عليه وقد روي عن السدي أن السفهاء هنا هم المنافقون.

أما الذين فسروا (السُّفَهَاءُ) باليهود، فقد وقعوا في حيرة من موقع هذه الآية لظهور أن هذا القول ناشئ عن تغيير القبلة إلى بيت المقدس وذلك قد وقع الأخبار به قبل سماع الآية الناسخة للقبلة، لأن الأصل موافقة التلاوة للنزول فكيف يقول السفهاء هذا القول قبل حدوث داعي إليه، لأنهم إنما يطعنون في التحول عن استقبال بيت المقدس لأنه مسجدهم وهو قبلتهم في قول كثير من العلماء، ولذلك جزم أصحاب هذا القول بأن هذه الآية نزلت بعد نسخ استقبال بيت المقدس، ورووا ذلك عن مجاهد. وروى البخاري في كتاب الصلاة، من طريق عبد الله بن رجاء عن إسرائيل عن أبي إسحاق عن البراء حديث تحويل القبلة ووقع فيه «فقال السفهاء - وهم اليهود - (ما ولاهم عن قبلتهم التي كانوا عليها قل لله المشرق والمغرب يهدي من يشاء إلى صراط مستقيم)»

(143)

قلت: أما كون الآية المراد منها المشركون أو المنافقون فهو بعيد وذلك لثلاثة أسباب.

الأول: صحة الحديث الوارد بأنهم اليهود.

الثاني: أن اليهود هو الذين يهتمون بأمر القبلة لأن النبي ﷺ كان يصلى إلى قبلتهم ثم تحول عنها.

الثالث: أن سياق الآيات قبل هذه الآية في اليهود. فناسب أن تكون هذه الآية كذلك فيهم.

وما اعترض على كون السين في قوله تعالى (سيقول) للاستقبال وقد نزلت الآية قبل إخبارهم فتأولها بعضهم بأنها للاستقبال لكنها تفيد الماضي فاعترض ليس في محله لأن الله تعالى يخبر عن ما شاء بما شاء، فكما أخبر أن أبا لهب تبت يده في قوله: (تبت يدا أبي لهب وتب) بالماضي وهو إخبار عن مصيره في المستقبل) فالله تعالى يصرف الآيات على ما يريد. وقد صح سبب نزول هذه الآية أنها في اليهود. ومن قال بالعموم فهو على قاعدة «العبرة بعموم اللفظ لا بخصوص السبب». والله تعالى أعلم.

[تفسير مختصر للآية]

قد اشتملت الآية الأولى على معجزة، وتسليية، وتطمين قلوب المؤمنين، واعتراض وجوابه، من ثلاثة أوجه، وصفة المعترض، وصفة المسلم لحكم الله دينه.

فأخبر تعالى أنه سيعترض السفهاء من الناس، وهم الذين لا يعرفون مصالح أنفسهم، بل يضيعونها ويبيعونها بأبخس ثمن، وهم اليهود والنصارى، ومن أشبههم من المعترضين على أحكام الله وشرائعه، وذلك أن المسلمين كانوا مأمورين باستقبال بيت المقدس، مدة مقامهم بمكة، ثم بعد الهجرة إلى المدينة، نحو سنة ونصف - لما لله تعالى في ذلك من الحكم التي سيشير إلى بعضها، وكانت حكمته تقتضي أمرهم باستقبال الكعبة، فأخبرهم أنه لا بد أن يقول السفهاء من الناس: (مَا وَلاَهُمْ عَن قِبَلِنَاهُمْ الَّتِي كَانُوا عَلَيْهَا) وهي استقبال بيت المقدس، أي: أي شيء صرفهم عنه؟ وفي ذلك الاعتراض على حكم الله وشرعه، وفضله وإحسانه، فسلامه، وأخبر بوقوعه، وأنه إنما يقع ممن اتصف بالسفه، قليل العقل، والحلم، والديانة، فلا تبالوا بهم، إذ قد علم مصدر هذا الكلام، فالعاقل لا يبالي باعتراض السفهيه، ولا يلقي له ذهنه. ودلت الآية على أنه لا يعترض على أحكام الله، إلا سفيه جاهل معاند، وأما الرشيد المؤمن العاقل، فيتلقى أحكام ربه بالقبول، والانقياد، والتسليم كما قال تعالى: (وَمَا كَانَ لِمُؤْمِنٍ وَلَا لِمُؤْمِنَةٍ إِذَا قَضَى اللَّهُ وَرَسُولُهُ أَمْرًا أَنْ يَكُونَ لَهُمُ الْخِيَرَةُ مِنْ أَمْرِهِمْ) (فَلَا وَرَبِّكَ لَا يُؤْمِنُونَ حَتَّى يُحَكِّمُوكَ فِيمَا شَجَرَ بَيْنَهُمْ) الآية، (إِنَّمَا كَانَ قَوْلَ الْمُؤْمِنِينَ إِذَا دُعُوا

(142) طريق ابن إسحاق على ما ذكر المصنف إسناده صحيح.

(143) التحرير والتنوير (6/2)

إِلَى اللَّهِ وَرَسُولِهِ لِيَحْكُمَ بَيْنَهُمْ أَنْ يَقُولُوا سَمِعْنَا وَأَطَعْنَا) وقد كان في قوله (السفهاء) ما يغني عن رد قولهم، وعدم المبالاة به. ولكنه تعالى مع هذا لم يترك هذه الشبهة، حتى أزالها وكشفها مما سيرعرض لبعض القلوب من الاعتراض، فقال تعالى: (قُلْ لَهُمْ مَحِيبًا: (اللَّهُ الْمَشْرِقُ وَالْمَغْرِبُ يَهْدِي مَنْ يَشَاءُ إِلَى صِرَاطٍ مُسْتَقِيمٍ) أي: فإذا كان المشرق والمغرب ملكا لله، ليس جهة من الجهات خارجة عن ملكه، ومع هذا يهدي من يشاء إلى صراط مستقيم، ومنه هدايتكم إلى هذه القبلة التي هي من ملة أبيكم إبراهيم، فلا شيء يعترض المعترض ببتوليتكم قبلة داخله تحت ملك الله، لم تستقبلوا جهة ليست ملكا له؟ فهذا يوجب التسليم لأمره، بمجرد ذلك، فكيف وهو من فضل الله عليكم، وهدايته وإحسانه، أن هداكم لذلك فالمعترض عليكم، معترض على فضل الله، حسدا لكم وبغيا. ولما كان قوله: (يَهْدِي مَنْ يَشَاءُ إِلَى صِرَاطٍ مُسْتَقِيمٍ) والمطلق يحمل على المقيد، فإن الهداية والضلال، لهما أسباب أوجبتها حكمة الله وعمله، وقد أخبر في غير موضع من كتابه بأسباب الهداية، التي إذا أتى بها العبد حصل له الهدى كما قال تعالى: (يَهْدِي بِهِ اللَّهُ مَنِ اتَّبَعَ رِضْوَانَهُ سُبُلَ السَّلَامِ) ذكر في هذه الآية السبب الموجب لهداية هذه الأمة مطلقا بجميع أنواع الهداية⁽¹⁴⁴⁾.

(وَكَذَلِكَ جَعَلْنَاكُمْ أُمَّةً وَسَطًا لِتَكُونُوا شُهَدَاءَ عَلَى النَّاسِ وَيَكُونَ الرَّسُولُ عَلَيْكُمْ شَهِيدًا وَمَا جَعَلْنَا الْقِبْلَةَ الَّتِي كُنْتُمْ عَلَيْهَا إِلَّا لِنَعْلَمَ مَنِ يَتَّبِعُ الرَّسُولَ مِمَّنْ يَنْقَلِبُ عَلَيَّ عَاقِبَةً وَإِنْ كَانَتْ لَكَبِيرَةً إِلَّا عَلَى الَّذِينَ هَدَى اللَّهُ وَمَا كَانَ اللَّهُ لِيُضِيعَ إِيمَانَكُمْ إِنَّ اللَّهَ بِالنَّاسِ لَرَعُوفٌ رَحِيمٌ ١٤٣)

قوله تعالى: (وكذلك جعلناكم أمة وسطاً) - الآية.

63. وفي الصحيحين عن البراء: « مات على القبلة قبل أن تحول رجال وقتلوا فلم ندر ما نقول فيهم، فأنزل الله: (وما كان الله ليضيع إيمانكم)⁽¹⁴⁵⁾ ».

[تعليق]

ذكر المؤلف هنا هذا الأثر عن البراء، وهو أثر صحيح، أخرجه البخاري مطولاً عن البراء بلفظ: «أن النبي صلى الله عليه وسلم كان أول ما قدم المدينة نزل على أجداده أو قال أخواله من الأنصار، وأنه صلى قبل بيت المقدس ستة عشر شهراً أو سبعة شهراً، وكان يعجبه أن تكون قبلته قبل البيت، وأنه صلى أول صلاة صلاها صلاة العصر وصلى معه قوم، فخرج ممن صلى معه فمر على أهل مسجد وهم راكعون فقال: أشهد بالله لقد صليت مع رسول الله صلى الله عليه وسلم قبل مكة، فداروا كما هم قبل البيت وكانت اليهود قد أعجبهم إذ كان يصلي قبل بيت المقدس وأهل الكتاب فلما ولي وجهه قبل البيت أنكروا ذلك». قال زهير حدثنا أبو إسحاق عن البراء في حديثه هذا: «أنه مات على القبلة قبل أن تحول رجال وقتلوا فلم ندر ما نقول فيهم فأنزل الله تعالى: (وكان الله ليضيع إيمانكم⁽¹⁴⁶⁾)».

وقد أخرج الواحدي أثراً آخر من طريق الكلبي عن ابن عباس قال: « كان رجال من أصحاب رسول الله ﷺ قد ماتوا على القبلة الأولى، منهم أسعد بن زرارة وأبو أمامة أحد بني النجار، والبراء بن معرور أحد بني سلمة، وأناس آخرون، جاءت عشائرهم فقالوا: يا رسول الله توفى إخواننا وهم يصلون إلى القبلة الأولى، وقد صرفك الله تعالى إلى قبلة إبراهيم، فكيف بإخواننا فأنزل الله: (وما كان الله ليضيع إيمانكم) - الآية⁽¹⁴⁷⁾.

والمراد بقوله تعالى (وما كان الله ليضيع إيمانكم) يعني صلاتكم التي صليتم قبل نزول تحويل القبلة. وقد بوب الإمام البخاري في صحيحه باب الصلاة من الإيمان وقول الله تعالى: (وما كان الله ليضيع إيمانكم) يعني صلاتكم عند البيت⁽¹⁴⁸⁾. فاستدل رحمه الله على أن الصلاة من الإيمان بهذه الآية الكريمة.

[تفسير مختصر للآية]

(وَكَذَلِكَ) بعدما هديناكم (جعلناكم أُمَّةً وَسَطًا) أي خبيراً (شُهَدَاءَ عَلَى النَّاسِ) أي تشهدون يوم القيامة بإبلاغ الرسل إلى قومهم (عَلَيْكُمْ شَهِيدًا) أي بأعمالكم، (القبلة التي كُنْتُمْ عَلَيْهَا) فيها قولان: أحدهما: أنها الكعبة، وهو قول ابن عباس. والآخر: هو بيت المقدس، وهو قول قتادة وطاء والسدي، وهذا مع ظاهر قوله: كنت عليها؛ لأن النبي ﷺ كان يصلي إلى بيت المقدس، ثم انصرف عنه إلى الكعبة، وأما قول ابن عباس: فتأويله بوجهين: الأول: أن كنت بمعنى أنت، والثاني: قيل: إن النبي ﷺ صلى إلى الكعبة قبل بيت المقدس، وإعراب (التي كنت عليها) مفعول بجعلنا، أو صفة للقبلة، ومعنى الآية على القولين: اختبار وقتنة للناس بأمر القبلة، وأما على قول قتادة: فإن الصلاة إلى هذا: ما جعلنا صرف القبلة، أما على قول ابن عباس: فإن الصلاة إلى الكعبة فتنة لليهود؛

(144) تفسير السعدي (70)

(145) أخرجه البخاري 1/23 ح (40) ومسلم 1/374 ح (525) والنسائي 1/242 ح (488) والترمذي 2/169 ح (340) وابن ماجه 1/322 ح (1010) وأحمد في المسند 4/283 ح (18519) وابن حبان في صحيحه 4/617 ح (1716) وابن خزيمة في صحيحه 1/222 ح (428) المؤلف: محمد بن إسحاق بن خزيمة أبو بكر السلمي النيسابوري الوفاة 311 هـ الناشر: المكتب الإسلامي - بيروت، 1390 - 1970 تحقيق: د. محمد مصطفى الأعظمي عدد الأجزاء: 4 والبيهقي في السنن الكبرى 2/2 ح (2023) مسند الطيالسي 98 ح (719) المنتقى من السنن الممسدة 51 ح (165) المؤلف: محمد بن إسحاق بن خزيمة أبو بكر السلمي النيسابوري الناشر: المكتب الإسلامي - بيروت، 1390 - 1970 تحقيق: د. محمد مصطفى الأعظمي عدد الأجزاء: 4 مسند ابن الجعد 374 ح (2570) المؤلف: علي بن الجعد بن عبيد أبو الحسن الجوهري البغدادي (134 - 230 هـ). الطبعة: الثانية 1417 - 1996 عدد الأجزاء: 1 مصنف ابن أبي شيبة 1/294 ح (3371) المصنف: أبو بكر عبد الله بن محمد بن أبي شيبة العسبي الكوفي (159 - 235 هـ) تحقيق: محمد عوامة. ملاحظات: - رقما الجزء والصفحة يتوافقان مع طبعة الدار السلفية الهندية القديمة. - ترقيم الأحاديث يتوافق مع طبعة دار القبلة وغيرهم مع اختلاف في الألفاظ واتفاق في المعاني يزيد بعضهم على بعض.

(146) صحيح البخاري - تح البغا (1/23)

(147) أسباب النزول للواحدى (26)

(148) صحيح البخاري (16/1)

لأنهم يعظمون بيت المقدس، وهم مع ذلك ينكرون النسخ، فأنكروا صرف القبلة، أو فتنة لضعفاء المسلمين؛ حتى رجع بعضهم عن الإسلام حين صرفت القبلة (لِنَعْلَمَ) أي العلم الذي تقوم به الحجة على العبد وهو إذا ظهر في الوجود ما علمه الله (يَنْقَلِبُ عَلَى عَقِبَيْهِ) عبارة عن الارتداد عن الإسلام، وهو تشبيه بمن رجع يمشي إلى وراء (وَإِنْ كَانَتْ) إن مخففة من الثقيلة واسم كان ضمير الفعلة وهي التحول عن القبلة (إِيْمَانِكُمْ) قيل صلاتكم إلى بيت المقدس واستدل به من قال إن الأعمال من الإيمان، وقيل: معناه ثبوتكم على الإيمان حين انقلب غيركم بسبب تحويل القبلة⁽¹⁴⁹⁾.

(وَمِنْ حَيْثُ خَرَجْتَ فَوَلِّ وَجْهَكَ شَطْرَ الْمَسْجِدِ الْحَرَامِ وَحَيْثُ مَا كُنْتُمْ فَوَلُّوا وُجُوهَكُمْ شَطْرَهُ لِئَلَّا يَكُونَ لِلنَّاسِ عَلَيْكُمْ حُجَّةٌ إِلَّا الَّذِينَ ظَلَمُوا مِنْهُمْ فَلَا تَخْشَوْهُمْ وَاخْشَوْنِي وَلَا تَمَّ نِعْمَتِي عَلَيْكُمْ وَلَعَلَّكُمْ تَهْتَدُونَ (١٥٠)

قوله تعالى: (ومن حيث خرجت فول وجهك شطر المسجد) - الآية.

64. وأخرج ابن جرير من طريق السدي بأسانيده، قال: « لما صرف النبي صلى الله عليه وسلم نحو الكعبة بعد صلاته إلى بيت المقدس، قال المشركون من أهل مكة: تحير على محمد دينه فتوجه بقبلته إليكم وعلم أنكم أهدى منه سبيلا ويوشك أن يدخل في دينكم، فأنزل الله: (لئلا يكون للناس عليكم حجة) - الآية⁽¹⁵⁰⁾ ».

[تعليق]

ذكر المؤلف رحمه الله أثراً واحداً في سبب نزول هذه الآية ولم أجد غيره، واختلف العلماء في المراد بالناس في هذه الآية. فذكر الإمام ابن جرير عن قتادة والربيع بن أنس أم المراد بهم أهل الكتاب، وذكر عن مجاهد والسدي والربيع وعطاء وقتادة: أنهم مشركوا مكة. وردة بعضهم بأن المشركين ليس لهم حجة وأجاب ابن جرير على ذلك بأن المراد بالحجة الخصومة بالباطل⁽¹⁵¹⁾. وقد ذكر الإمام الطبري أثراً أطول من هذا الذي ذكره المؤلف كذلك من طريق أسباط عن السدي قال: « كان النبي يصلي قبل بيت المقدس فنسختها الكعبة، فلما وجه قبل المسجد الحرام اختلف الناس فيها فكانوا أصنافاً فقال المنافقون: ما بالهم كانوا على قبلة زمانا ثم تركوها وتوجهوا إلى غيرها؟! وقال المسلمون: لبيت شعرنا عن إخواننا الذين ماتوا وهم يصلون قبل بيت المقدس هل تقبل الله منا ومنهم أو لا؟ وقالت اليهود: إن محمداً اشتاق إلى بلد أبيه ومولده، ولو ثبت على قبلتنا لكننا نرجو أن يكون هو صاحبنا الذي ننتظر، وقال: المشركون من أهل مكة تحير على محمد دينه فتوجه بقبلته إليكم وعلم أنكم كنتم أهدى منه، ويوشك أن يدخل في دينكم. فأنزل الله جل ثناؤه في المنافقين: (سيفول السفهاء من الناس ما ولاهم عن قبلتهم التي كانوا عليها) إلى قوله (وإن كانت لكبيرة إلا على الذين هدى الله) وأنزل في الآخرين الآيات بعدها⁽¹⁵²⁾. انتهى قلت: وحمل الآية على عمومها هنا أليق فيكون المراد بالناس أهل الكتاب من اليهود وكذلك مشركوا العرب أو المنافقون.

[تفسير مختصر للآية]

من تفسير الجلالين: (وَمِنْ حَيْثُ خَرَجْتَ فَوَلِّ وَجْهَكَ شَطْرَ الْمَسْجِدِ الْحَرَامِ وَحَيْثُ مَا كُنْتُمْ فَوَلُّوا وُجُوهَكُمْ شَطْرَهُ) كرره للتأكيد " لِئَلَّا يَكُونَ لِلنَّاسِ " اليهود أو المشركين " عَلَيْكُمْ حُجَّةٌ " أي مجادلة عن التولي إلى غيره لتنتفي مجادلتهم لكم من قول اليهود يجد ديننا ويتبع قبلتنا وقول المشركين يدعي ملة إبراهيم ويخالف قبلته (إِلَّا الَّذِينَ ظَلَمُوا مِنْهُمْ) بالعناد فإنهم يقولون ما تحول إليها إلا ميلا إلى دين آبائهم والاستثناء متصل والمعنى: لا يكون لأحد عليكم كلام إلا كلام هؤلاء. (فَلَا تَخْشَوْهُمْ) تخافوا جدالهم في التولي إليها (وَاخْشَوْنِي) بامتثال أمري (وَلَا تَمَّ نِعْمَتِي عَلَيْكُمْ) عطف على لئلا يكون (نِعْمَتِي عَلَيْكُمْ) بالهداية إلى معالم دينكم (وَلَعَلَّكُمْ تَهْتَدُونَ) إلى الحق⁽¹⁵³⁾. انتهى.

(وَلَا تَقُولُوا لِمَنْ يُقْتَلُ فِي سَبِيلِ اللَّهِ أَمْوَاتٌ ۚ بَلْ أَحْيَاءٌ وَلَكِنْ لَا تَسْعُرُونَ (١٥٤)

قوله تعالى: (ولا تقولوا لمن يقتل) - الآية

65. أخرج ابن منده في الصحابة من طريق السدي الصغير عن الكلبي عن أبي صالح عن ابن عباس قال: « قتل تميم بن الحمام ببدر، وفيه وفي غيره نزلت: (ولا تقولوا لمن يقتل في سبيل الله أموات) - الآية⁽¹⁵⁴⁾ ».

(149) التسهيل لعلوم التنزيل لابن جزي (72) بتصريف يسير المؤلف: أبو القاسم، محمد بن أحمد بن محمد بن عبد الله، ابن جزي الكلبي الغرناطي (المتوفى: 741هـ)

المحقق: الدكتور عبد الله الخالدي الناشر: شركة دار الأرقم بن أبي الأرقم - بيروت الطبعة: الأولى - 1416 هـ

(150) تفسير ابن جرير 2/33 واقتصر المصنف رحمه الله على ذكر السدي في هذا الإسناد ولم يذكر باقي السلسلة قال ابن جرير: حدثني موسى بن هارون قال: ثنا عمرو بن حماد قال: ثنا أسباط عن السدي فيما يذكر عن أبي مالك، عن أبي صالح عن ابن عباس، وعن مرة الهمداني عن ابن مسعود وعن ناس من أصحاب رسول الله قالوا - وذكر الحديث وقد تقدم أن أسباط يروي عن السدي هذه السلسلة، وقد تقدم الكلام في رواية أسباط عن السدي لهذه السلسلة وأنها غريبة

(151) تفسير الطبري 310 (دار حجر) (2/687 وما بعدها)

(152) تفسير الطبري 2/12

(153) تفسير الجلالين (1/158)

(154) إسناده ضعيف جدا وذكره الحافظ في الإصابة

قال أبو نعيم: اتفقوا على أنه عمير بن الحمام، وأن السدي صحفه.

[تعليق]

ذكر المؤلف رحمه الله أثراً واحداً في سبب نزول هذه الآية وهو من طريق الكلبى وقد تقدم القول فيه. وذكر الإمام الواحدي أثراً آخر أنها نزلت في قتلى بدر، وكانوا بضعة عشر رجلاً، ثمانية من الأنصار وستة من المهاجرين، وذلك أن الناس كانوا يقولون للرجل يقتل في سبيل الله مات فلان وذهب عنه نعيم الدنيا ولذتها فأُنزل الله هذه الآية⁽¹⁵⁵⁾. كذلك أخرجه البغوي في معالم التنزيل ولم يذكر له إسناداً⁽¹⁵⁶⁾. وقد سُمى الخازن في تفسيره هؤلاء الشهداء فقال: وكانوا أربعة عشر رجلاً ستة من المهاجرين وهم: عبيدة بن الحارث بن عبد المطلب وعمير بن أبي وقاص بن أهب بن عبد مناف بن زهرة الزهري أخو سعد بن أبي وقاص وذو الشمالين واسمه عمير بن عبد عمرو بن العاص بن نضلة بن عمرو بن خزاعة ثم بني غبشان وعافل بن البكير من بني سعد بن ليث بن كنانة ومهجع مولى لعمر بن الخطاب، وصفوان بن بيضاء من بني الحارث بن فهر ومن الأنصار ثمانية، وهم سعد بن خبثمة ومبشر ابن عبد بن المنذر، ويزيد بن الحارث بن قيس بن فسح وعمير بن الحمام ورافع بن المعلى وجارثة بن سراقه، وعوف ومعوذ ابنا الحارث بن رفاعة بن سواد وهما ابنا عفراء وهي أمهما⁽¹⁵⁷⁾. ثم ذكر سبباً آخر في نزول هذه الآية فقال: وقيل: إن الكفار والمنافقين قالوا: إن الناس يقتلون أنفسهم ظلماً لمرضاة محمد من غير فائدة فنزلت هذه الآية⁽¹⁵⁸⁾. انتهى

وقال الثعالبي في تفسيره: سببها أن الناس قالوا فيمن قتل بيدر وأحد من المؤمنين: مات فلان، مات فلان، فكره الله سبحانه؛ أن تُحط منزلة الشهداء إلى منزلة غيرهم، فنزلت هذه الآية، وأيضاً: فإن المؤمنين صَغِبَ عليهم فراق إخوانهم وقراباتهم، فنزلت الآية مسلية لهم، تعظم منزلة الشهداء، وتخبر عن حقيقة حالهم، فصاروا مغبوطين لا محزوناً لهم⁽¹⁵⁹⁾. انتهى قلت: يتلخص مما تقدم من أسباب النزول كرم الشهداء ونهي المؤمنين بأن يطلقوا عليهم لفظ أموات وذلك لأن الشهيد في الحقيقة حي عند الله تعالى كما روى الإمام مسلم وغيره عن مسروق، قال: سألتنا عبد الله عن أرواح الشهداء ولولا عبد الله ما وجدنا أحداً يحدثنا فقال: «إن أرواح الشهداء عند الله في حواصل طير خضر تسرح في أنهار الجنة حيث شاءت ثم تأوي إلى قناديل تحت العرش فيقول لهم عز وجل: ما تريدون؟ فيقولون: ما نريد شيئاً، ويقولها ثلاثاً، إلا أن نرد إلى الدنيا فنقتل⁽¹⁶⁰⁾». نسأل الله أن يجعلنا منهم.

[تفسير مختصر للآية]

يأمر الله تعالى المؤمنين بالاستعانة بالصبر والصلاة على المصائب، وكان النبي ﷺ إذا حزبه أمر فزع إلى الصلاة، وكذلك قال لبلال أرحنا بها يا بلال يعني بالصلاة. وكما قال النبي ﷺ أقرب ما يكون العبد من ربه وهو ساجد. فمن قرعته قارعة أو نزل به نازل ففي الصلاة راحة للقلوب وشفاء للأرواح.

ثم يخبر الله تعالى بمعني الصابرين وهذه منزلة عظيمة لا يبلغها إلا لمن ذاق حلاوة الصبر على المصائب. ثم ينهي الله عز وجل المؤمنين بأن يقولوا للشهداء أموات. قال حقي في تفسيره: (ولا تقولوا) نزلت في شهداء بدر وكانوا أربعة عشر رجلاً ستة من المهاجرين وثمانية من الأنصار وكان الناس يقولون (لمن يقتل) في سبيل الله مات فلان وذهب عنه نعيم الدنيا ولذتها فانزل الله تعالى ولا تقولوا لمن يقتل القتل نقض البنية الحيوانية (في سبيل الله) وهو الجهاد لأنه طريق إلى ثواب الله ورحمته (أموات) أي هم أموات (بل أحياء) أي كالأحياء في الحكم لا ينقطع ثواب أعمالهم لأنهم قتلوا لنصرة دين الله فما دام الدين ظاهراً في الدنيا وأحد يقاتل في سبيل الله فلهم ثواب ذلك لأنهم سوا هذه السنة (ولكن لا تشعرون) كيف حالهم في حياتهم وفيه رمز إلى أنها ليست مما يشعر به بالمشاعر الظاهرة من الحياة الجسمانية وإنما هي أمر روحاني لا يدرك بالعقل بل بالوحي⁽¹⁶¹⁾. انتهى

(إِنَّ الْأَصْفَا وَالْمَرْوَةَ مِنْ شَعَائِرِ اللَّهِ فَمَنْ حَجَّ الْبَيْتَ أَوْ اعْتَمَرَ فَلَا جُنَاحَ عَلَيْهِ أَنْ يَطُوفَ بِهِمَا وَمَنْ تَطَوَّعَ خَيْرًا فَإِنَّ اللَّهَ شَاكِرٌ عَلِيمٌ (١٥٨))

قوله تعالى: (إن الصفا والمروة) - الآية.

66. أخرج الشيخان وغيرهما، عن عروة عن عائشة. قال: قلت: «أرأيت قول الله: (إن الصفا والمروة من شعائر الله فمن حج البيت أو اعتمر فلا جناح عليه أن يطوف بهما) فما أرى على أحد شيئاً أن لا يطوف بهما، فقالت عائشة: بنس ما قلت يا ابن أختي، إنها لو كانت على ما أولتها عليه كانت، فلا جناح عليه أن لا يطوف بهما، ولكنها إنما أنزلت لأن الأنصار قبل أن يسلموا كانوا يهلون لمناة الطاغية، وكان من أهل لها يتحرج أن يطوف بالصفا والمروة، فسألوا عن ذلك رسول الله، فقالوا: يا رسول الله إنا كنا

(155) أسباب النزول للواحدي (27)

(156) تفسير البغوي (168/1) المؤلف: محيي السنة، أبو محمد الحسين بن مسعود البغوي (المتوفى: 510هـ) المحقق: حققه وخرج أحاديثه محمد عبد الله النمر - عثمان جمعة ضميرية - سليمان مسلم الحرش الناشر: دار طيبة للنشر والتوزيع الطبعة: الرابعة، 1417 هـ - 1997 م عدد الأجزاء: 8

(157) تفسير الخازن (93/1) المؤلف: علاء الدين علي بن محمد بن إبراهيم البغدادي الشهير بالخازن

القرن: الثامن الوفاة 741 الناشر: دار الكتب العلمية - بيروت سنة الطبع: 1415 هـ تحقيق: تصحيح محمد علي شاهين عدد الأجزاء: 4

(158) تفسير الخازن (93/1)

(159) تفسير الثعالبي (336/1) المؤلف: أبو زيد عبد الرحمن بن محمد بن مخلوف الثعالبي (المتوفى: 875هـ) المحقق: الشيخ محمد علي معوض والشيخ عادل أحمد عبد

الموجود الناشر: دار إحياء التراث العربي - بيروت الطبعة: الأولى - 1418 هـ

(160) صحيح مسلم - (38/6)

(161) تفسير حقي (346/1)

تخرج أن تطوف بالصفاء والمروة في الجاهلية، فأنزل الله: (إن الصفا والمروة من شعائر الله) إلى قوله (فلا جناح عليه أن يطوف بهما)⁽¹⁶²⁾ .

67. وأخرج البخاري عن عاصم بن سليمان أنه قال: «سألت أنسا عن الصفا والمروة؟ قال: كنا نرى أنهما من أمر الجاهلية، فلما جاء الإسلام أمسكنا عنهما، فأنزل الله: (إن الصفا والمروة من شعائر الله)»⁽¹⁶³⁾.

68. وأخرج الحاكم عن ابن عباس قال: «كانت الشياطين في الجاهلية تعزف الليل أجمع بين الصفا والمروة، وكانت بينهما أصنام لهم، فلما جاء الإسلام، قال المسلمون: يا رسول الله ألا تطوف بين الصفا والمروة، فإنه شيء كنا نصنعه في الجاهلية؟ فأنزل الله هذه الآية»⁽¹⁶⁴⁾.

[تعليق]

ذكر المؤلف رحمه الله هنا ثلاثة آثار في قول الله تعالى (فلا جناح عليه أن يطوف بهما) ونفي الجناح يفيد الأباحة لا الوجوب -على ظاهر الآية دون النظر إلى سبب نزولها- وليس الأمر كذلك لأن الطواف بين الصفا والمروة واجب وهو من أركان الحج والعمرة. والجواب على ذلك في حديث عائشة رضي الله عنها. لأن عروة بن الزبير -وهو ابن اختها- استشكل من الآية ما يستشكله بعض من لا يعرف سبب النزول، فأوضحت له أم المؤمنين عائشة رضي الله عنها الوجه الصحيح، وأن سبب نزول الآية في الأنصار الذين كانوا يهلون للصنم في الجاهلية، فلما دخلوا في الإسلام تخرجوا أن يطوفوا بهما فسألوا النبي ﷺ فنزلت الآية إباحة لما كانوا يتخرجون منه في الجاهلية من الطواب بينهما.

وقد ذكر الإمام القرطبي في تفسيره سبباً آخر فقال: وقال آخرون من الأنصار: إنما أمرنا بالطواف [بالببيت] ولم نؤمر به بين الصفا والمروة، فأنزل الله تعالى: (إِنَّ الصَّفَاَ وَالْمَرْوَةَ مِنْ شَعَائِرِ اللَّهِ) قال أبو بكر بن عبد الرحمن: فأراها قد نزلت في هؤلاء وهؤلاء. قال: « هذا حديث حسن صحيح». أخرجه البخاري بمعناه⁽¹⁶⁵⁾. انتهى

وذكر هنا سبباً آخر للنزول: وهو الله تعالى لما ذكر الطواف بالببيت ولم يذكر الصفا والمروة ظن الصحابة أنه ليس عليهم أن يطوفوا بهما فأنزل الله الآية.

وذكر الإمام الطبري سبباً ثالثاً فقال: وقال آخرون: بل أنزل الله تعالى ذكره هذه الآية، في سبب قوم كانوا في الجاهلية لا يسعون بينهما، فلما جاء الإسلام تخوفوا السعي بينهما كما كانوا يتخوفونه في الجاهلية.

ثم أسند عن قتادة، قوله: (إن الصفا والمروة من شعائر الله) الآية، فكان حي من تهامة في الجاهلية لا يسعون بينهما، فأخبرهم الله أن الصفا والمروة من شعائر الله، وكان من سنة إبراهيم وإسماعيل الطواف بينهما⁽¹⁶⁶⁾.

ثم قال: والصواب من القول في ذلك عندنا أن يقال: إن الله تعالى ذكره قد جعل الطواف بين الصفا والمروة من شعائر الله، كما جعل الطواف بالببيت من شعائره.

فأما قوله: (فلا جناح عليه أن يطوف بهما)، فجانز أن يكون قبل لكلا الفريقين اللذين تخوف بعضهم الطواف بهما من أجل الصنمين اللذين ذكرهما الشعبي، وبعضهم من أجل ما كان من كراهتهم الطواف بهما في الجاهلية، على ما روي عن عائشة⁽¹⁶⁷⁾. انتهى

قلت: فتحصل لنا في سبب نزول هذه الآية ثلاثة أسباب.

الأول: في قوم كانوا يطوفون بهما في الجاهلية، ثم لما كان الإسلام تخرجوا من الطواف بهما.

الثاني: في قوم لم يكونوا يطوفون بهما في الجاهلية، فلما كان الإسلام تخوفوا أن يطوفوا بهما كما كان المشركون يفعلون.

الثالث: لما نزل الطوف البيت ولم ينزل الطواف بالصفاء والمروة فسألوا عن ذلك فأنزلت الآية.

ولا مانع من حمل الآية على عمومها. فتكون أنزلت في كل هذه الأسباب. والله تعالى أعلم.

[تفسير مختصر للآية⁽¹⁶⁸⁾]

⁽¹⁶²⁾ صحيح البخاري 2/ 592 ح (1561) وفي مواضع من صحيحه، صحيح مسلم 2/928 ح (1277) سنن أبي داود 2/ 181 ح (1901) المؤلف: أبو داود سليمان بن الأشعث السجستاني (المتوفى: 275هـ) المحقق: محمد محيي الدين عبد الحميد الناشر: دار الفكر عدد الأجزاء: 2/4 سنن النسائي 5/ 237 ح (2967) المؤلف: أبو عبد الرحمن أحمد بن شعيب بن علي الخراساني، النسائي (المتوفى: 303هـ) الناشر: مكتب المطبوعات الإسلامية - حلب الطبعة: الثانية، 1406 - 1986 عدد الأجزاء: 8 سنن الترمذي 5/208 ح (2965) سنن ابن ماجه 2/994 ح (2986) موطأ مالك 1/ 373 ح (832) المؤلف: مالك بن أنس الوفاة 179هـ المحقق: محمد مصطفى الأعظمي الناشر: مؤسسة زايد بن سلطان آل نهيان =

= الطبعة: الأولى 1425هـ - 2004م عدد الأجزاء: 8 مسند أحمد 6/162 ح (25337) صحيح ابن حبان ترتيب بن بلبان 9/147 ح (3839) صحيح بن خزيمة 4/233 ح (2766) سنن البيهقي الكبرى 5/96 ح (9140) مسند إسحاق بن راهويه 2/186 ح (690) المؤلف: إسحاق بن إبراهيم بن مخلد بن راهويه الحنظلي الوفاة 238 الناشر: مكتبة الإيمان - المدينة المنورة الطبعة الأولى، 1412 - 1991 تحقيق: د. عبد الغفور بن عبد الحق البلوشي عدد الأجزاء: 5 المعجم الأوسط 5/192 ح (5052) مسند أبي يعلى 8/ 175 ح (4730)

⁽¹⁶³⁾ صحيح البخاري 2/594 ح (1565) صحيح مسلم 2/930 ح (1278) سنن الترمذي 5/209 ح (2966) كذلك أخرجه الحاكم 2/297 ح (3070) وقال صحيح على شرط الشيخين ولم يخرجاه وقد وهم في ذلك، فقد أخرجه البخاري من طريق سفيان عن عاصم عن أنس كما أخرجه الحاكم من هذا الطريق باختلاف يسير في اللفظ، وكذلك أخرجه النسائي في السنن الكبرى 2/ 410 ح (3959) والبيهقي في السنن الكبرى 5/97 ح (9144) وغيرهم

⁽¹⁶⁴⁾ أخرجه الحاكم في المستدرک 2/298 ح (3073) من طريق أسباط بن نصر عن السدي عن أبي مالك عن ابن عباس وقال: صحيح على شرط مسلم ولم يخرجاه وهو عنده: « بلفظ كانت في الجاهلية الشياطين تعزف الليل كله وذكر الأثر»

⁽¹⁶⁵⁾ تفسير القرطبي - (178 / 2)

⁽¹⁶⁶⁾ جامع البيان (تفسير الطبري) (236 / 3)

⁽¹⁶⁷⁾ جامع البيان (تفسير الطبري) (239 / 3)

⁽¹⁶⁸⁾ أيسر التفاسير للجزائري (67 / 1) المؤلف: جابر بن موسى بن عبد القادر بن جابر أبو بكر الجزائري معاصر الناشر: مكتبة العلوم والحكم، المدينة المنورة، المملكة العربية السعودية الطبعة: الخامسة، 1424هـ/2003م عدد الأجزاء: 5

(الصفاء والمروة): جبل مقابل البيت في الجهة الشرقية الجنوبية، والمروة جبل آخر مقابل الصفا من الجهة الشمالية والمسافة بينهما قرابة (760) ذراعاً.

(شعائر الله): أعلام دينه جمع شعيرة وهي العلامة على عبادة الله تعالى فالسعي بين الصفا والمروة شعيرة لأنه دال على طاعة الله تعالى.

(الحج): زيارة بيت الله تعالى لأداء عبادات معينة تسمى نسكاً.

(العمرة): زيارة بيت الله تعالى للطواف به والسعي بين الصفا والمروة والتحلل بخلق شعر الرأس أو تقصيره.

(الجناح): الأثم وما يترتب على المخالفة بترك الواجب أو بفعل المنهى عنه.

(يطوّف): يسعى بينهما ذاهباً جائياً.

(خيراً): الخير اسم لكل ما يجلب المسرة، ويدفع المضرة والمراد به هنا العمل الصالح.

معنى الآية الكريمة: يخبر تعالى مقررأ فرضية السعي بين الصفا والمروة، ودافعاً ما توهمه بعض المؤمنين من وجود إثم في السعي بينهما نظراً إلى أنه كان في الجاهلية على الصفا صنم يقال له إساف، وآخر على المروة يقال له نائلة يتمسح بهما من يسعى بين الصفا والمروة فقال تعالى: إن الصفا والمروة يعني السعي بينهما من شعائر الله أي عبادة من عباداته إذ تعبد بالسعي بينهما نبيه إبراهيم وولده إسماعيل والمسلمون من ذريتهما. فمن حج البيت لأداء فريضة الحج أو اعتمر لأدائه واجب العمرة فليسع بينهما إداء لركن الحج والعمرة ولا إثم عليه في كون المشركين كانوا يسعون بينهما لأجل الصنمين: إساف ونائلة.

ثم أخبر تعالى واعدأ عباده المؤمنين أن من يتطوع منهم بفعل خير من الخيرات يجزه به وثبه عليه، لأنه تعالى يشكر بعباده المؤمنين أعمالهم الصالحة وثيبهم عليها لعلمه بتلك الأعمال ونيات أصحابها، هذا معنى قوله تعالى: (فمن تطوع خيراً فإن الله شاكر عليم).

(إِنَّ الَّذِينَ يَكْتُمُونَ مَا أَنْزَلْنَا مِنَ الْبَيِّنَاتِ وَالْهُدَىٰ مِنْ بَعْدِ مَا بَيَّنَّ لِلنَّاسِ فِي الْكِتَابِ أُولَٰئِكَ يَلْعَنُهُمُ اللَّهُ وَيَلْعَنُهُمُ
الْعَالَمُونَ ١٥٩)

قوله تعالى: (إن الذين يكتُمون) - الآية.

69. [ك] أخرج ابن جرير وابن أبي حاتم من طريق سعيد أو عكرمة عن ابن عباس قال: « سأل معاذ بن

جبل وسعد بن معاذ وخارجة بن زيد، نفرأ من أبحار يهود عن بعض ما في التوراة فكتموهم إياه وأبوا

أن يخبروهم، فأنزل الله فيهم: (إن الذين يكتُمون ما أنزلنا من البينات والهدى) - الآية (169) ».

[تعليق]

ذكر المؤلف رحمه الله تعالى هذا الأثر الواحد عن ابن عباس، وهو يدل على أن الآية نزلت في أهل الكتاب. وقد بين الإمام الواحدي هذا الشيء الذي سأل الصحابة عنه أنه الرجم وأمر النبي ﷺ.

قال الإمام ابن حجر: قال الواحدي نزلت في علماء الكتاب وكتمانهم آية الرجم وأمر محمد.

قلت: [يعني ابن حجر] ذكره مقاتل بن سليمان أتم من هذا قال: إن معاذ بن جبل وسعد بن معاذ وخارجة بن زيد سألوا اليهود عن أمر محمد وعن الرجم وغيره فكتموهم. منهم كعب بن الأشرف وابن سوريا يعني أمر محمد. وذكره الماوردي: فزاد فيهم كعب بن أسيد وزيد بن التابوت. وأخرجه عبد بن حميد من طريق شيبان عن قتادة دون ذكر الرجم. وأخرج الطبري من طريق محمد بن إسحاق بسنده المتكرر إلى ابن عباس قال: سأل معاذ بن جبل أخو بني سلمة وسعد بن معاذ أخو بني عبد الأشهل وخارجة بن زيد أخو بني الحارث بن الخزرج نفرا من أبحار يهود عما في التوراة فكتموهم إياه وأبوا أن يخبروهم عنه. فأنزل الله عز وجل فيهم (إن الذين يكتُمون ما أنزلنا من البينات والهدى) الآية.

ومن طريق الربيع بن أنس قال: كتّموا محمدا وهم يجدونه مكتوبا عندهم حسدا.

ومن طريق أسباط عن السدي: زعموا أن رجلا من اليهود كان له صديق من الأنصار يقال له ثعلبة بن عنمة قال له هل تجدون محمدا عندكم؟ قال لا. قال: والبيّنات هو محمد عليه الصلاة والسلام. وأخرج ابن أبي حاتم من طريق الربيع بن أنس عن أبي العالية قال: هم أهل الكتاب كتّموا محمداً و نعتهم وهم يجدونه مكتوباً عندهم، وكتّموا ما أنزل الله من أمره وصفته (170). انتهى

قلت: وإن كان سبب النزول كما ذكر على ضعف في إسناد حديث ابن عباس وإرسال في الروايات الأخرى. فمعنى الآية عام فيشمل كل من يكتّم ما أنزل الله تعالى، وعلى هذا تأول أبو هريرة، فروي البخاري ومسلم وغيرهما عن أبي هريرة قال: «إِنَّ النَّاسَ يُقُولُونَ أَكْثَرَ أَبُو هُرَيْرَةَ، وَلَوْلَا آيَاتُنَا فِي كِتَابِ اللَّهِ مَا حَدَّثْتُ حَدِيثًا، ثُمَّ يَتْلُو (إِنَّ الَّذِينَ يَكْتُمُونَ مَا أَنْزَلْنَا مِنَ الْبَيِّنَاتِ) إِلَى قَوْلِهِ (الرَّجِيمِ) إِنَّ إِخْوَانَنَا مِنَ الْمُهَاجِرِينَ كَانُوا يَسْغَلُهُمُ الصَّفْقُ بِالْأَسْوَاقِ، وَإِنَّ إِخْوَانَنَا مِنَ الْأَنْصَارِ كَانُوا يَسْغَلُهُمُ الْعَمَلُ فِي أَمْوَالِهِمْ، وَإِنَّ أَبَا هُرَيْرَةَ كَانَ يَلْزَمُ رَسُولَ اللَّهِ - ﷺ - بِسَبْعِ بَطْنِهِ وَيَحْضُرُ مَا لَا يَحْضُرُونَ، وَيَحْفَظُ مَا لَا يَحْفَظُونَ (171) ».

[مسألة]

(169) تفسير ابن جرير 53 / 2 من طريق محمد بن إسحاق عن شيبان محمد بن أبي محمد

(170) العجائب في بيان الأسباب (1/ 411) المؤلف: أبو الفضل أحمد بن علي بن محمد بن أحمد بن حجر العسقلاني (المتوفى: 852هـ) المحقق: عبد الحكيم محمد

الأنيس الناشر: دار ابن الجوزي

(171) صحيح البخاري (1/ 40)

تكلم العلماء عن مسألة لعن الكافر المعين استدلالاً بهذه الآية (أولئك يلعنهم الله ويلعنهم اللاعنون) وفيها خلاف بين أهل العلم.

قال الحافظ ابن كثير فصل: لا خلاف في جواز لعن الكفار، وقد كان عمر بن الخطاب، رضي الله عنه، وعمن بعده من الأئمة، يلعنون الكفرة في القنوت وغيره؛ فأما الكافر المعين، فقد ذهب جماعة من العلماء إلى أنه لا يلعن لأنا لا ندري بما يختم له، واستدل بعضهم بهذه الآية: (إِنَّ الَّذِينَ كَفَرُوا وَمَاتُوا وَهُمْ كُفَّارًا أُولَئِكَ عَلَيْهِمْ لَعْنَةُ اللَّهِ وَالْمَلَائِكَةِ وَالنَّاسِ أَجْمَعِينَ) وقالت طائفة أخرى: بل يجوز لعن الكافر المعين. واختار ذلك الفقيه أبو بكر بن العربي المالكي، ولكنه احتج بحديث فيه ضعف، واستدل غيره بقوله، عليه السلام، في صحيح البخاري في قصة الذي كان يؤتى به سكران فيحده، فقال رجل: لعنه الله، ما أكثر ما يؤتى به، فقال رسول الله ﷺ: " لا تلغنه فإنه يحب الله ورسوله " قالوا: فعلة المنع من لعنه؛ بأنه يحب الله ورسوله فدل على أن من لا يحب الله ورسوله يلعن، والله أعلم⁽¹⁷²⁾.

[تفسير مختصر للآية]

قال الإمام الواحدي (إن الذين يكتفون ما أنزلنا) يعني: علماء اليهود (من البيئات) من الرجم والحدود والأحكام (والهدى) أمر محمد ﷺ ونعته (من بعد ما بيناه للناس) لبني إسرائيل (في الكتاب) في التوراة (أولئك يلعنهم الله ويلعنهم اللاعنون) كل شيء إلا الجن والإنس⁽¹⁷³⁾.

(إِنَّ فِي خَلْقِ السَّمَوَاتِ وَالْأَرْضِ وَاخْتِلَافِ اللَّيْلِ وَالنَّهَارِ وَالْفُلْكِ الَّتِي تَجْرِي فِي الْبَحْرِ بِمَا يَنْفَعُ النَّاسَ وَمَا أَنْزَلَ اللَّهُ مِنَ السَّمَاءِ مِنْ مَاءٍ فَأَحْيَا بِهِ الْأَرْضَ بَعْدَ مَوْتِهَا وَبَثَّ فِيهَا مِنْ كُلِّ دَابَّةٍ وَتَصْرِيفِ الرِّيْحِ وَالسَّحَابِ الْمُسَخَّرِ بَيْنَ السَّمَاءِ وَالْأَرْضِ لَآيَاتٍ لِقَوْمٍ يَعْقِلُونَ (١٦٤)

قوله تعالى: (إن في خلق السموات) - الآية.

70. أخرج سعيد بن منصور في سننه والفريابي في تفسيره والبيهقي في شعب الإيمان عن أبي الضحى قال: « لما نزلت (وإلهكم إله واحد لا إله إلا هو الرحمن الرحيم) [البقرة 163] تعجب المشركون وقالوا: إلهها واحداً؟! لنن كان صادقاً فليأتنا بآية، فأنزل الله: (إن في خلق السموات والأرض) إلى قوله (لقوم يعقلون)⁽¹⁷⁴⁾ ». قلت: هذا معضل لكن له شاهد.

71. أخرج ابن أبي حاتم وأبو الشيخ في كتاب العظمة عن عطاء، قال: « نزل على النبي ﷺ بالمدينة: (وإلهكم إله واحد لا إله إلا هو الرحمن الرحيم) فقال كفار قريش بمكة: كيف يسع الناس إله واحد؟ فأنزل الله: (إن في خلق السموات والأرض) إلى قوله (لقوم يعقلون)⁽¹⁷⁵⁾ ».

72. [ك] وأخرج ابن أبي حاتم وابن مردويه من طريق جيد موصول عن ابن عباس قال: « قالت قريش للنبي ﷺ: ادع الله أن يجعل لنا الصفا ذهباً نتقوى به على عدونا، فأوحى الله إليه إني معطيهم ولكن إن كفروا بعد ذلك عذبتهم عذاباً لا أعذبه أحداً من العالمين، فقال: رب دعني وقومي، فأدعوهم يوماً بيوم، فأنزل الله هذه الآية: (إن في خلق السموات والأرض واختلاف الليل والنهار)، وكيف يسألونك الصفا وهم يرون من الآيات ما هو أعظم⁽¹⁷⁶⁾ ».

[تعليق]

ذكر المؤلف رحمه الله ثلاثة آثار في سبب نزول هذه الآية، فالأول والثاني بسبب تعجب الكفار من أن يكون للكون إله واحد، فأنزل الله تعالى لهم الآية حثاً لهم على التفكير في مخلوقات الله، فإن النظر في السموات والأرض وهذه الآيات الكونية التي خلقها الله تعالى دليل على أن لها صانع واحد مدبر. وأما الأثر الثالث في تعنت الكافرين في سؤالهم النبي ﷺ أن يأتي بالآيات كان يحول لهم الصفا ذهباً أو غير ذلك، فأنزل الله لهم هذه الآية ليتفكروا فيما هو أعظم من تحويل الصفا ذهباً.

وقد ذكر الإمام ابن جرير أثراً آخر قال: عن سعيد قال: سألت قريش اليهود فقالوا: حدثونا عما جاءكم به موسى من الآيات! فحدثوهم بالعصا وبيده البيضاء للناظرين. وسألوا النصاري عما جاءهم به عيسى من الآيات، فأخبروهم أنه كان يُبرئ الأكمة والأبرص ويحيي الموتى بإذن الله. فقالت قريش عند ذلك للنبي ﷺ: ادع الله أن يجعل لنا الصفا ذهباً، فنزداد يقيناً، ونتقوى به

(172) تفسير ابن كثير (1/ 474)

(173) الوجيز للواحدي (41)

(174) تفسير ابن جرير 2/61 شعب الإيمان للبيهقي 1/130 ح (104) المؤلف: أحمد بن الحسين بن علي بن موسى الخُسْرُو جردي الخراساني، أبو بكر البيهقي (المتوفى: 4

58هـ) حققه وراجع نصوصه وخرج أحاديثه: الدكتور عبد العلي عبد الحميد حامد أشرف على تحقيقه وتخرجه أحاديثه: مختار أحمد الندوي، صاحب الدار السلفية ببومباي - الهند الناشر: مكتبة الرشد للنشر والتوزيع بالرياض بالتعاون مع الدار السلفية ببومباي بالهند الطبعة: الأولى، 1423 هـ - 2003 م

عدد الأجزاء: 14 (13)، ومجلد للفهارس) كتاب العظمة لأبي الشيخ 1/253 ح (31) المؤلف: عبد الله بن محمد بن جعفر بن حيان الأصبهاني أبو محمد الوفاة 369هـ. الناشر: دار العاصمة - الرياض الطبعة الأولى، 1408 تحقيق: رضاء الله بن محمد إدريس المباركفوري عدد الأجزاء: 5 كتاب الاعتقاد للبيهقي 1/38 سنن سعيد بن منصور 2/ 639 ح (239) وقول المصنف بأنه معضل يعني أنه سقط منه راويان على التوالي من منتصف الإسناد.

(175) تفسير ابن أبي حاتم 1/272 تفسير ابن جرير 2/61 العظمة 1/414 ح (116) وإسناده مرسل ومنقطع

(176) تفسير الطبري/2 62 تفسير ابن أبي حاتم 1/273 وفي إسناده عنده يعقوب بن عبد الله الأشعري قال الحافظ: صدوق يهيم المعجم الكبير للطبراني 12/12 ح (12322) وفي إسناده يحيى بن عبد الحميد الحماني ضعفه الجمهور ووثقه ابن معين وقال ابن عدي: أرجو أن لا بأس به ويقال بأنه أول من صنف المسند قال ابن حجر في التقریب: اتهموه بالكنب ولأحمد كلام شديد في تضعيفه انظر ترجمته في تهذيب التهذيب

على عدونا. فسأل النبي ﷺ ربه، فأوحى إليه إني مُعطيهم، فأجعل لهم الصفا ذهباً، ولكن إن كذبوا عذبتهم عذاباً لم أعذبه أحدًا من العالمين. فقال النبي ﷺ: ذرني وقومي فأدعوهم يوماً بيوم. فأنزل الله عليه: (إِنَّ فِي خَلْقِ السَّمَاوَاتِ وَالْأَرْضِ)، الآية (177).
ثم رجح الإمام ابن جرير عموم الآية فقال: والصواب من القول في ذلك، أن الله تعالى ذكره نَبَّه عباده على الدلالة على وحدانيته وتفرده بالالوهية، دون كل ما سواه من الأشياء بهذه الآية. وجائز أن تكون نزلت فيما قاله عطاء، وجائز أن تكون فيما قاله سعيد بن جببر وأبو الضحى، ولا خبر عندنا بتصحيح قول أحد الفريقين يقطع العذر، فيجوز أن يقضي أحد لأحد الفريقين بصحة قول على الآخر. وأي القولين كان صحيحاً، فالمراد من الآية ما قلت (178).

[تفسير مختصر للآية]

(إِنَّ فِي خَلْقِ السَّمَاوَاتِ وَالْأَرْضِ) مع عظمها وكثرة أجزائها (واختلاف الليل والنهار) ذهابها ومجئها (والفلك) السفن (التي تجري في البحر بما ينفع الناس) من التجارات (وما أنزل الله من السماء من ماء) من مطر (فأحيا به الأرض) أخصبها بعد جدوبتها (وبث) وفرق (فيها من كل دابة وتصريف الرياح) تقلبها مرة جنوباً ومرة شمالاً، وباردة وحارة (والسحاب المسخر) المذلل لأمر الله (بين السماء والأرض لآيات) لدلالات على وحدانية الله (لقوم يعقلون) فعلمهم الله عز وجل بهذه الآية كيفية الاستدلال على الصانع وعلى توحده، وردهم إلى التفكر في آياته والنظر في مصنوعاته، ثم أعلم أن قوماً بعد هذه الآيات والبيئات يتخذون الأنداد مع علمهم أنهم لا يأتون بشيء مما ذكر (179).

(وَإِذَا قِيلَ لَهُمُ اتَّبِعُوا مَا أَنْزَلَ اللَّهُ قَالُوا بَلْ نَتَّبِعُ مَا آَلَفْنَا عَلَيْهِ آبَاءَنَا أُولَئِكَ كَانَ آبَاؤُهُمْ لَا يَعْقِلُونَ شَيْئاً وَلَا يَهْتَدُونَ ۝ ١٧٠)

قوله تعالى: (وَإِذَا قِيلَ لَهُمُ اتَّبِعُوا) - الآية.

73. [ك] أخرج ابن أبي حاتم من طريق سعيد أو عكرمة عن ابن عباس، قال: «دعا رسول الله ﷺ اليهود إلى الإسلام ورجبهم فيه وحذرهم عذاب الله ونقمته، فقال رافع بن حريملة ومالك بن عوف: بل نتبع يا محمد ما وجدنا عليه آبائنا، فهم كانوا أعلم وخيراً منا، فأنزل الله في ذلك: (وَإِذَا قِيلَ لَهُمُ اتَّبِعُوا مَا أَنْزَلَ اللَّهُ) - الآية (180)».

[تعليق]

ذكر المؤلف هنا هذا الأثر وهو أثر ضعيف الإسناد، وإن كان سياق الآيات في اليهود، ولكن معنى العموم أولى من تخصيصه باليهود. قال القرطبي هم كفار العرب والآية معطوفة على قوله تعالى: (ومن الناس من يتخذ من دون الله أنداداً) فيكون العطف (وَإِذَا قِيلَ لَهُمْ --- الآية (181)).

[تنبيه]

استدل أهل العلم بهذه الآية على ذم التقليد الأعمى من غير بينة قال العلامة الشنقيطي في أضواء البيان: "لَا شَكَّ أَنَّ التَّقْلِيدَ الْأَعْمَى الَّذِي ذَمَّ اللَّهُ بِهِ الْكُفَّارَ فِي آيَاتٍ مِنْ كِتَابِهِ تَدُلُّ هَذِهِ الْآيَةَ وَغَيْرَهَا مِنَ الْآيَاتِ عَلَى مَنْعِهِ، وَكُفْرٍ مُتَّبِعِهِ؛ كَقَوْلِهِ: (وَإِذَا قِيلَ لَهُمُ اتَّبِعُوا مَا أَنْزَلَ اللَّهُ قَالُوا بَلْ نَتَّبِعُ مَا آَلَفْنَا عَلَيْهِ آبَاءَنَا أُولَئِكَ كَانَ آبَاؤُهُمْ لَا يَعْقِلُونَ شَيْئاً وَلَا يَهْتَدُونَ) (182). انتهى

[تفسير مختصر للآية]

يقول تعالى: (وَإِذَا قِيلَ) لهؤلاء الكفرة من المشركين: (اتَّبِعُوا مَا أَنْزَلَ اللَّهُ) على رسوله، واتركوا ما أنتم فيه من الضلال والجهل، قالوا في جواب ذلك: (بَلْ نَتَّبِعُ مَا آَلَفْنَا) أي: وجدنا (عَلَيْهِ آبَاءَنَا) أي: من عبادة الأصنام والأنداد. قال الله تعالى منكرًا عليهم: (أُولَئِكَ كَانَ آبَاؤُهُمْ) أي: الذين يقتدون بهم ويقتفون أثرهم (لَا يَعْقِلُونَ شَيْئاً وَلَا يَهْتَدُونَ) أي: ليس لهم فهم ولا هداية (183)!

إِنَّ الَّذِينَ يَكْتُمُونَ مَا أَنْزَلَ اللَّهُ مِنَ الْكِتَابِ وَيَسْتُرُونَ بِهِ تَمَنَّا قَلِيلًا أُولَئِكَ مَا يَأْكُلُونَ فِي بُطُونِهِمْ إِلَّا النَّارَ وَلَا يُكَلِّمُهُمُ اللَّهُ يَوْمَ الْقِيَمَةِ وَلَا يُزَكِّيهِمْ وَلَهُمْ عَذَابٌ أَلِيمٌ ۝ ١٧٤

(177) جامع البيان (تفسير الطبري) (270/3)

(178) جامع البيان (تفسير الطبري) (270/3)

(179) الوجيز للواحد (42)

(180) تفسير الطبري 2/78 وفي إسناده محمد بن أبي محمد مولى زيد بن ثابت مجهول، وقال فيه رافع بن خزيمة، وهكذا ذكر المؤلف في الدر المنثور.

(181) تفسير القرطبي - (2/210)

(182) أضواء البيان في إيضاح القرآن بالقرآن (146/3) المؤلف: محمد الأمين بن محمد المختار بن عبد القادر الجكني الشنقيطي (المتوفى: 1393هـ) الناشر: دار الفكر

للطباعة والنشر والتوزيع بيروت - لبنان عام النشر: 1415 هـ - 1995 م

(183) تفسير ابن كثير (480/1)

قوله تعالى: (إن الذين يكتُمون) - الآية.

74. أخرج ابن جرير عن عكرمة في قوله (إن الذين يكتُمون ما أنزل الله من الكتاب)، والتي في آل عمران (إن الذين يشترُونَ بعهد الله) (آل عمران: 77) « نزلنا جميعاً في يهود (184) ».
75. وأخرج الثعلبي من طريق الكلبي عن أبي صالح عن ابن عباس قال: « نزلت هذه الآية في رؤساء اليهود وعلماهم، كانوا يصيبون من سفلتهم الهدايا والفضل، وكانوا يرجون أن يكون النبي المبعوث منهم، فلما بعث محمد □ من غيرهم، خافوا ذهاب ما كلفتهم وزوال رياستهم، فعمدوا إلى صفة محمد □ فغيروها، ثم أخرجوها إليهم، وقالوا: هذا نعت النبي الذي يخرج في آخر الزمان، لا يشبه نعت هذا النبي، فأنزل الله: (إن الذين يكتُمون ما أنزل الله من الكتاب) - الآية (185) ».

[تعليق]

ذكر هنا هذين الأثرين وهما يدلان على أن الآية نزلت في اليهود لكتماهم صفة النبي □، وهو قول غير واحد من السلف منهم عطاء والسدي وغيرهم وهو ما قاله ابن جرير في تفسيره (186).

[تفسير مختصر للآية]

يقول تعالى: (إِنَّ الَّذِينَ يَكْتُمُونَ) [مما يشهد له بالرسالة] (مَا أَنْزَلَ اللَّهُ مِنَ الْكِتَابِ) يعني اليهود الذين كتموا صفة محمد □ في كتبهم التي بأيديهم، مما تشهد له بالرسالة والنبوة (إِنَّ الَّذِينَ يَكْتُمُونَ مَا أَنْزَلَ اللَّهُ مِنَ الْكِتَابِ وَيَشْتَرُونَ بِهِ ثَمَنًا قَلِيلًا) وهو عرض الحياة الدنيا (أُولَئِكَ مَا يَأْكُلُونَ فِي بُطُونِهِمْ إِلَّا النَّارَ) أي: إنما يأكلون ما يأكلونه في مقابلة كتمان الحق نارا تأجج في بطونهم يوم القيامة. ثم قال تعالى مخبرا عنهم: (أُولَئِكَ الَّذِينَ اشْتَرُوا الضَّلَالَةَ بِالْهَدَى) أي: اعتاضوا عن الهدى، وهو نشر ما في كتبهم من صفة الرسول وذكر مبعثه والبشارة به من كتب الأنبياء واتباعه وتصديقه، استبدلوا عن ذلك واعتاضوا عنه بالضلالة، وهو تكذيبه والكفر به وكتمان صفاته في كتبهم (وَالْعَذَابُ بِالْمُغْفَرَةِ) أي: اعتاضوا عن المغفرة بالعذاب وهو ما تعاطوه من أسبابه المذكورة. وقوله تعالى: (فَمَا أَصْبَرَهُمْ عَلَى النَّارِ) يخبر تعالى أنهم في عذاب شديد عظيم هائل، يتعجب من رآهم فيها من صبرهم على ذلك، مع شدة ما هم فيه من العذاب، والنكال، والأغلال عياداً بالله من ذلك.

وقوله: (ذَلِكَ بِأَنَّ اللَّهَ نَزَلَ الْكِتَابَ بِالْحَقِّ) أي: إنما استحقوا هذا العذاب الشديد لأن الله تعالى أنزل على رسوله محمد □ وعلى الأنبياء قبله كتبه بتحقيق الحق وإبطال الباطل، وهؤلاء اتخذوا آيات الله هزواً، فكتابهم يأمرهم بإظهار العلم ونشره، فخالفوه وكذبوه. وهذا الرسول الخاتم يدعوهم إلى الله تعالى، ويأمرهم بالمعروف وينهاهم عن المنكر، وهم يكذبونه ويخالفونه ويجحدونه، ويكتمون صفته، فاستهزؤوا بآيات الله المنزلة على رسوله؛ فهذا استحقوا العذاب والنكال؛ ولهذا قال: (ذَلِكَ بِأَنَّ اللَّهَ نَزَلَ الْكِتَابَ بِالْحَقِّ وَإِنَّ الَّذِينَ اخْتَلَفُوا فِي الْكِتَابِ لَفِي شِقَاقٍ بَعِيدٍ) (187).

(لَيْسَ الْبِرَّ أَنْ تُولُوا وَجُوهَكُمْ قِبَلَ الْمَشْرِقِ وَالْمَغْرِبِ وَلَكِنَّ الْبِرَّ مَنْ ءَامَنَ بِاللَّهِ وَالْيَوْمِ الْآخِرِ وَالْمَلَائِكَةِ وَالْكِتَابِ وَالنَّبِيِّينَ وَءَاتَى الْمَالَ عَلَى حُبِّهِ ذَوِي الْقُرْبَىٰ وَالْيَتَامَىٰ وَالْمَسْكِينِ وَآوَى السَّبِيلِ وَالسَّائِلِينَ وَفِي الرِّقَابِ وَأَقَامَ الصَّلَاةَ وَءَاتَى الزَّكَاةَ وَالْمُوفُونَ بِعَهْدِهِمْ إِذَا عَاهَدُوا وَالصَّابِرِينَ فِي الْبَأْسَاءِ وَالضَّرَّاءِ وَحِينَ الْبَأْسِ أُولَئِكَ الَّذِينَ صَدَقُوا وَأُولَئِكَ هُمُ الْمُتَّقُونَ (١٧٧))

قوله تعالى: (ليس البر) - الآية.

76. [ك] قال عبد الرزاق: أنبأنا معمر عن قتادة قال: « كانت اليهود تصلي قبل المغرب، والنصارى قبل المشرق، فنزلت: (ليس البر أن تولوا وجوهكم) - الآية (188) ».
77. وأخرج ابن أبي حاتم عن أبي العالية: « مثله ».
78. وأخرج ابن جرير وابن المنذر عن قتادة قال: « ذكر لنا أن رجلاً سأل النبي □ عن البر، فأنزل الله هذه الآية: (ليس البر أن تولوا) فدعا الرجل فتلاها عليه، وكان قبل الفرائض إذا شهد أن لا إله إلا الله وأن محمداً عبده ورسوله، ثم مات على ذلك يرجى له ويطمع له في خير، فأنزل الله: (ليس البر أن تولوا وجوهكم قبل المشرق والمغرب) وكانت اليهود توجهت قبل المغرب والنصارى قبل المشرق (189) ».

[تعليق]

ذكر المؤلف رحمه الله أثرتين يشتملان على سببين لنزول هذه الآية.

(184) تفسير ابن جرير 2/89 وفي إسناده الحسين بن داود سنيدي ضعيف في الحديث، وفيه أيضا عن عنة ابن جريج بالإضافة إلى إرساله

(185) عزاه المصنف للثعلبي وإسناده ضعيف فالكلبي كذاب وأبو صالح ضعيف وضعفه في الدر المنثور

(186) تفسير الطبري 310 (دار هجر) (3/65)

(187) تفسير ابن كثير (1/483 وما بعدها) بتصرف.

(188) تفسير عبد الرزاق 1/66 تفسير ابن جرير ص 2/95:94 من طريق عبد الرزاق عن معمر عن قتادة، ومن طريق سعيد عن قتادة وهو إسناد نظيف لكنه مرسل، وكذلك

روي عن الربيع بن أنس نحوه

(189) تفسير ابن جرير المصدر السابق

فالأول: أنها نزلت في اليهود في تولي كل واحد منهم قبلة غير قبلة صاحبه، فنزلت فيهم الآية إخباراً لهم أن البر ليس في التوجه إلى الجهات إنما البر هو الإيمان بالله مع الأشياء المذكورة في الآية.
والثاني: أنها نزلت في مسألة رجل عن معنى البر، فنزلت الآية مخبرة عن معناه.
قلت: كلا الأثرين مرسل، ومعنى الآية عام والله تعالى أعلم.

[تفسير مختصر للآية]

(ليس البر أن تولوا وجوهكم قبل المشرق والمغرب) أي ليس فعل الخير وعمل الصالحات محصوراً في أن يتوجه الإنسان في صلاته جهة المشرق أو المغرب
(ولكن البر من آمن بالله واليوم الآخر) أي ولكن الطاعة، والبر الصحيح هو الإيمان بالله واليوم الآخر
(والملائكة والكتب والنبیین) أي وأن يؤمن بالملائكة والكتب والرسول
(وآتى المال على حبه ذوي القربى) أي أعطى المال على محبته له ذوي قرابته، فهم أولى بالمعروف
(واليتامى والمساكين وابن السبيل) أي وأعطى المال أيضاً لليتامى الذين فقدوا آباءهم والمساكين الذين لا مال لهم، وابن السبيل المسافر المنقطع عن ماله
(والسائلين وفي الرقاب) أي الذين يسألون المعونة بدافع الحاجة، وفي تخلص الأسرى والأرقاء بالفداء
(وأقام الصلاة وآتى الزكاة) أي وأتى بأهم أركان الإسلام وهما: الصلاة، والزكاة
(والموفون بعهدهم إذا عاهدوا) أي ومن يوفون بالعهد، ولا يخلفون الوعود
(والصابرين في البأساء والضراء وحين البأس) أي الصابرين على الشدائد، وحين القتال في سبيل الله، وهو منصوب على المدح
(أولئك الذين صدقوا وأولئك هم المتقون) أي أهل هذه الأوصاف الحميدة، هم الذين صدقوا في إيمانهم، وأولئك هم الكاملون في التقوى، وفي الآية ثناء على الأبرار، وإيحاء إلى ما سيقولونه من اطمئنان وخيرات حسان⁽¹⁹⁰⁾.

(يَا أَيُّهَا الَّذِينَ آمَنُوا كُتِبَ عَلَيْكُمُ الْقِصَاصُ فِي الْقَتْلِ الْحُرُّ بِالْحُرِّ وَالْعَبْدُ بِالْعَبْدِ وَالْأُنثَىٰ بِالْأُنثَىٰ فَمَنْ عُفِيَ لَهُ مِنْ أَخِيهِ شَيْءٌ فَاتَّبِعْ بِالْمَعْرُوفِ وَأَدَاءٌ إِلَيْهِ بِإِحْسَنٍ ذَلِكَ تَخْفِيفٌ مِّن رَّبِّكُمْ وَرَحْمَةٌ مِّنْ أَعْتَدَىٰ بَعْدَ ذَلِكَ فَلَهُ عَذَابٌ أَلِيمٌ (١٧٨))

قوله تعالى: (يا أيها الذين آمنوا كتب عليكم القصاص) - الآية.

79. [ك] أخرج ابن أبي حاتم عن سعيد بن جبیر قال: « أن حين من العرب اقتتلوا في الجاهلية قبل الإسلام بقليل، وكان بينهم قتل وجراحات حتى قتلوا العبيد والنساء، فلم يأخذ بعضهم من بعض حتى أسلموا، فكان أحد الحيين يتناول على الآخر في العدد والأموال، فحلفوا أن لا يرضوا حتى يقتل بالعبد منا الحر منهم وبالمراة منا الرجل منهم، فنزل فيهم: (الحر بالحر والعبد بالعبد والأنثى بالأنثى)⁽¹⁹¹⁾ ». »

[تعليق]

هذا الأثر في إسناده ابن لهيعة وهي لا يحتج به في الحديث. قال الذهبي ضعفه⁽¹⁹²⁾، وروى نحوه الواحدي عن الشعبي ولم يذكر له إسناده⁽¹⁹³⁾. قال ابن جرير عن قتادة قوله: (كتب عليكم القصاص في القتل الحر بالحر والعبد بالعبد والأنثى بالأنثى) قال، كان أهل الجاهلية فيهم بغي وطاعة للشيطان، فكان الحي إذا كان فيهم عُدَّة وَمَنَعَةٌ، فقتل عبد قوم آخرين عبداً لهم، قالوا: لا نقتل به إلا حراً! تعزراً، لفضلهم على غيرهم في أنفسهم. وإذا قتلت لهم امرأة قتلتها امرأة قوم آخرين قالوا: لا نقتل بها إلا رجلاً! فأنزل الله هذه الآية يخبرهم أن العبد بالعبد والأنثى بالأنثى، فنهاهم عن البغي⁽¹⁹⁴⁾.
وروى ابن جرير عن ابن عباس قوله: (والأنثى بالأنثى)، وذلك أنهم كانوا لا يقتلون الرجل بالمرأة، ولكن يقتلون الرجل بالرجل والمرأة بالمرأة، فأنزل الله تعالى: (النفس بالنفس)، فجعل الأحرار في القصاص سواء فيما بينهم، في العمد رجالهم ونسأؤهم، في النفس وما دون النفس. وجعل العبيد مستويين فيما بينهم في العمد، في النفس وما دون النفس، رجالهم ونسأؤهم⁽¹⁹⁵⁾. انتهى

(190) صفة التفسير - للصابوني (71/1) المؤلف: سماحة الشيخ/ محمد علي الصابوني الأستاذ بكلية الشريعة والدراسات الإسلامية مكة المكرمة - جامعة الملك عبد العزيز، دار

الصابوني عدد الأجزاء/ 3

(191) تفسير ابن أبي حاتم 1/293

(192) الذهبي ديوان الضعفاء (225) المؤلف: شمس الدين أبو عبد الله محمد بن أحمد بن عثمان بن قايماز الذهبي (المتوفى: 748هـ) المحقق: حماد بن محمد الأنصاري

الناشر: مكتبة النهضة الحديثة - مكة الطبعة: الثانية، 1387 هـ - 1967 م عدد الأجزاء: 1

(193) أسباب النزول للواحدي (30)

(194) ابن جرير/ 2/ 103

(195) جامع البيان (تفسير الطبري) (363/3)

قلت: تعددت أسباب النزول في هذه الآية لكن كلها تدور حول معنى واحد وهو أن الله تعالى سوي في القصاص بين الرجل والمرأة والعبد والحر. وفي مسألة قتل الحر بالعبد فقال أبو حنيفة رحمه الله: يقتل به. وقال الجمهور: يقتل الذكر بالأنثى وتفصيل هذه المسألة في كتب الفقه.

[تفسير مختصر للآية]

يقول الله جل ثناؤه ما معناه: يا أيها الذين آمنوا فرض عليكم أن تقتصوا للقتيل من قاتله، ولا يبيغين بعضكم على بعض، فإذا قتل الحرُّ الحرًّا فاقتلوا فقط، وإذا قتل العبدُ العبدَ فاقتلوه به، وإذا قتلت الأنثى الأنثى فاقتلوا بها مثلاً بمثل بالعدل والمساواة، ودعوا الظلم الذي كان بينكم فلا تقتلوا أحراراً، ولا بالعبد حرّاً، ولا بالأنثى رجلاً، فإن ذلك ظلم وعدوان، واستعلاء وطغيان، فمن ترك له شيء من القصاص إلى الدية، وعفا عنه ولي القتل فلم يقتص منه وقبل منه الدية، فليحسن الطالب في الطلب من غير إرهاب ولا تعنيف، وليحسن الدافع في الأداء من غير ماطلة ولا تسويق، ذلك الذي شرعته لكم - أيها المؤمنون - من العفو إلى الدية، تخفيف من ربكم ورحمة، خفف به عنكم ليظهر فضله عليكم، على عكس من سبقكم من اليهود حيث لم يكن في شرعهم إلا القصاص، فمن تجاوز منكم بعد أخذ الدية وقتل القاتل، فله عذاب أليم عند الله، لأنه ارتكب جريمة بنقضه العهد وهدره بالقاتل بعد أن أعطاه الأمان، وأخذ منه المال⁽¹⁹⁶⁾.

(يَا أَيُّهَا الَّذِينَ ءَامَنُوا كُتِبَ عَلَيْكُمُ الصِّيَامُ كَمَا كُتِبَ عَلَى الَّذِينَ مِن قَبْلِكُمْ لَعَلَّكُمْ تَتَّقُونَ ١٨٣ أَيَّامًا مَّعْدُودَاتٍ فَمَن كَانَ مِنكُم مَّرِيضًا أَوْ عَلَى سَفَرٍ فَعِدَّةٌ مِّنْ أَيَّامٍ أُخَرَ وَعَلَى الَّذِينَ يُطِيقُونَهُ فِدْيَةٌ طَعَامُ مَسْكِينٍ فَمَن تَطَوَّعَ خَيْرًا فَهُوَ خَيْرٌ لَهُ وَأَن تَصُومُوا خَيْرٌ لَّكُمْ إِن كُنتُمْ تَعْلَمُونَ ١٨٤)

قوله تعالى: (وعلى الذين يطيقونه) - الآية.

80. أخرج ابن سعد في طبقاته عن مجاهد قال: « هذه الآية نزلت في مولاي قيس بن السائب: (وعلى الذين يطيقونه فدية طعام مسكين) فافطر وأطعم لكل يوم مسكينا⁽¹⁹⁷⁾ ». »

[تعليق]

ذكر المؤلف رحمه الله أثراً واحداً عن مجاهد في سبب نزول هذه الآية، وفيها أقوال أخر في سبب نزولها فعن مقاتل بن سليمان (يا أيها الذين آمنوا عليكم الصيام)، وذلك أن لبيد الأنصاري من بني عبد الأشهل كبر فعجز عن الصوم، فقال للنبي ﷺ: ما على من عجز عن الصوم، فأنزل الله عز وجل: (يا أيها الذين آمنوا عليكم الصيام)⁽¹⁹⁸⁾. وأخرج أحمد وغيره عن من رواية عبد الرحمن بن أبي ليلي عن معاذ بن جبل في حديث «أحيلت الصلاة ثلاثة أحوال، والصوم ثلاثة أحوال قال: "وأما أحوال الصيام: فإن رسول الله صلى الله عليه وسلم قدم المدينة فجعل يصوم من كل شهر ثلاثة أيام، وقال يزيد: فصام تسعة عشر شهراً من ربيع الأول إلى رمضان من كل شهر ثلاثة أيام، وصام يوماً عاشوراء ثم إن الله فرض عليه الصيام، فأنزل الله (يا أيها الذين آمنوا عليكم الصيام كما كتب على الذين من قبلكم) إلى هذه الآية (وعلى الذين يطيقونه فدية طعام مسكين) قال: فكان من شاء صام، ومن شاء أطعم مسكيناً، فأجزأ ذلك عنه قال: ثم إن الله عز وجل أنزل الآية الأخرى (شهر رمضان الذي أنزل فيه القرآن) إلى قوله (فمن شهد منكم الشهر فليصمه) قال: فأنبت الله صيامه على المقيم الصحيح، ورخص فيه للمريض والمسافر وتبأت الإطعام للكبير الذي لا يستطيع الصيام⁽¹⁹⁹⁾». وفي الآية أحكام كثيرة ذكرها الإمام القرطبي في تفسيره عند تفسير هذه الآية.

[تفسير مختصر للآية]

يخبر تعالى بما من به على عباده، بأنه فرض عليهم الصيام، كما فرضه على الأمم السابقة، لأنه من الشرائع والأوامر التي هي مصلحة للخلق في كل زمان. وفيه تنشيط لهذه الأمة، بأنه ينبغي لكم أن تنافسوا غيركم في تكميل الأعمال، والمسارعة إلى صالح الخصال، وأنه ليس من الأمور الثقيلة، التي اختصيتم بها. ثم ذكر تعالى حكمته في مشروعية الصيام فقال: (لَعَلَّكُمْ تَتَّقُونَ) فإن الصيام من أكبر أسباب التقوى، لأن فيه امتثال أمر الله واجتناب نهيه. فمما اشتمل عليه من التقوى: أن الصائم يترك ما حرم الله عليه من الأكل والشرب والجماع ونحوها، التي تميل إليها نفسه، متقرباً بذلك إلى الله، راجياً بتركها، ثوابه، فهذا من التقوى. ومنها: أن الصائم يدرّب نفسه على مراقبة الله تعالى، فيترك ما تهوى نفسه، مع قدرته عليه، لعلمه باطلاع الله عليه،

(196) روائع البيان في تفسير آيات الأحكام (70) للشيخ الصابوني. محمد علي الصابوني طبع على نفقة: حسن عباس الشربتلي الناشر: مكتبة الغزالي - دمشق، مؤسسة مناهل العرفان - بيروت الطبعة: الثالثة، 1400 هـ - 1980 م
(197) الطبقات الكبرى لابن سعد 5/446 المؤلف: محمد بن سعد أبو عبد الله البصري 230 هـ المحقق: إحسان عباس الناشر: دار صادر - بيروت الطبعة: 1 - 1968 م عدد الأجزاء: 8 وفي إسناده عبد الحميد بن عمران قال الحافظ عنه: مستور: ووثقه ابن حبان وشيخ ابن سعد لم أجد له ترجمة فيما بين يدي من المراجع
(198) تفسير مقاتل بن سليمان (96/1) المؤلف: أبو الحسن مقاتل بن سليمان بن بشير الأزدي بالولاء البخلي دار النشر: دار الكتب العلمية - لبنان/ بيروت - 1424 هـ
(199) 2003 م الطبعة: الأولى عدد الأجزاء/ 3 مسند أحمد (246/5)

ومنها: أن الصيام يضيق مجاري الشيطان، فإنه يجري من ابن آدم مجرى الدم، فبالصيام، يضعف نفوذه، وتقل منه المعاصي، ومنها: أن الصائم في الغالب، تكثر طاعته، والطاعات من خصال التقوى، ومنها: أن الغني إذا ذاق ألم الجوع، أو جب له ذلك، مواساة الفقراء المعدمين، وهذا من خصال التقوى.

ولما ذكر أنه فرض عليهم الصيام، أخبر أنه أيام معدودات، أي: قليلة في غاية السهولة. ثم سهل تسهيلا آخر. فقال: (فَمَنْ كَانَ مِنْكُمْ مَرِيضًا أَوْ عَلَى سَفَرٍ فَعِدَّةٌ مِنْ أَيَّامٍ أُخَرَ) وذلك للمشقة، في الغالب، رخص الله لهما، في الفطر.

ولما كان لا بد من حصول مصلحة الصيام لكل مؤمن، أمرهما أن يقضياه في أيام أخر إذا زال المرض، وانقضى السفر، وحصلت الراحة.

وفي قوله: (فَعِدَّةٌ مِنْ أَيَّامٍ) فيه دليل على أنه يقضي عدد أيام رمضان، كاملا كان، أو ناقصا، وعلى أنه يجوز أن يقضي أياما قصيرة باردة، عن أيام طويلة حارة كالعكس.

وقوله: (وَعَلَى الَّذِينَ يُطِيقُونَهُ) أي: يطيقون الصيام (فِدْيَةٌ) عن كل يوم يفطرونه (طَعَامُ مَسْكِينٍ) وهذا في ابتداء فرض الصيام، لما كانوا غير معتادين للصيام، وكان فرضه حتما، فيه مشقة عليهم، درجهم الرب الحكيم، بأسهل طريق، وخير المطبق للصوم بين أن يصوم، وهو أفضل، أو يطعم، ولهذا قال: (وَأَنْ تَصُومُوا خَيْرٌ لَكُمْ).

ثم بعد ذلك، جعل الصيام حتما على المطبق وغير المطبق، يفطر ويقضيه في أيام أخر [وقيل: (وَعَلَى الَّذِينَ يُطِيقُونَهُ) أي: يتكلفونه، ويشق عليهم مشقة غير محتملة، كالشيخ الكبير، فدية عن كل يوم مسكين⁽²⁰⁰⁾.

(وَإِذَا سَأَلَكَ عِبَادِي عَنِّي فَإِنِّي قَرِيبٌ أُجِيبُ دَعْوَةَ الدَّاعِ إِذَا دَعَانِ فَلْيَسْتَجِيبُوا لِي وَلْيُؤْمِنُوا بِي لَعَلَّهُمْ يَرْشُدُونَ (١٨٦)

قوله تعالى: (وإذا سألك عبادي عني) - الآية.

81. أخرج ابن جرير وابن أبي حاتم وابن مردويه وأبو الشيخ وغيرهم، من طرق عن جرير بن عبد الحميد، عن عبدة السجستاني، عن الصلت بن حكيم بن معاوية بن حيدة، عن أبيه، عن جدة قال: « جاء أعرابي إلى النبي ﷺ فقال: أقریب ربنا فنناجیه أم بعيد فننادیه؟ فسکت عنه، فأنزل الله: (وإذا سألك عبادي عني فإني قريب) الآية⁽²⁰¹⁾ ».

82. وأخرج عبد الرزاق عن الحسن قال: « سأل أصحاب رسول الله ﷺ، النبي ﷺ: أين ربنا؟ فأنزل الله: (وإذا سألك عبادي عني فإني قريب) الآية⁽²⁰²⁾ ».

مرسل وله طرق أخرى.

83. وأخرج ابن عساکر عن علي قال: « قال رسول الله صلى الله عليه وسلم « لا تعجزوا عن الدعاء، فإن الله أنزل علي (أدعوني أستجب لكم) ». فقال رجل: يا رسول الله ربنا يسمع الدعاء أم كيف ذلك؟ فأنزل الله: (وإذا سألك عبادي عني) الآية⁽²⁰³⁾ ».

84. وأخرج ابن جرير عن عطاء بن أبي رباح أنه بلغه: « لما نزلت (وقال ربكم ادعوني أستجب لكم) قالوا: لا نعلم أي ساعة ندعوا، فنزلت: (وإذا سألك عبادي عني) إلى قوله (يرشدون)⁽²⁰⁴⁾ ».

[تعليق]

ذكر المؤلف في سبب نزول هذه الآية أربعة آثار أما الأول في سؤال الأعرابي أقریب ربنا... ففي إسناده الصلت بن حكيم، قال الحافظ في لسان الميزان: مجهول. وروي مرسلأ عن سفيان عن أبيه عند عبد الله بن أحمد في السنة. وأما الثاني في سؤال الصحابة عن الله تعالى، فهو صحيح عن الحسن البصري لكنه مرسل. وأما أثر علي، فقد رواه ابن عساکر مطولاً فقال عن عروة عن أبيه قال: « سمعت علي بن أبي طالب يقول: سمعت رسول الله ﷺ وسأله رجل عن دمشق وقال: عن الآثارات بدمشق فقال بها لها جبل يقال له قاسيون فيه قتل ابن آدم أخاه، وفي أسفله في الغرب ولد إبراهيم وفيه أوى الله تعالى عيسى بن مريم من اليهود، وما من عبد أتى معقل روح الله فاغتسل فصلى ودعا، لم يرد الله تعالى خائباً، فقال رجل: يا رسول الله صفه لنا، قال هو بالغوطة مدينة يقال لها دمشق وهو جبل كلمه الله تعالى فيه ولد أبي إبراهيم فيمن أتى فلا يعجز في الدعاء، فقام رجل قال: يا رسول الله أكان ليحيى زاد؟ قال: نعم احترس فيه يحيى من هذا الرجل من قوم عاد في الغار الذي تحت دم ابن آدم المقتول، وفيه احترس إلياس من ملك قومه وفيه صلى إبراهيم ولوط وموسى وعيسى وأيوب، فلا تعجزوا في الدعاء فيه فإن الله تعالى أنزل علي: (ادعوني أستجب لكم) وربنا يسمع الدعاء قالوا: وكيف ذلك؟ فأنزل الله تعالى: (وإذا سألك عبادي عني فإني قريب) فقال رجل: يا رسول الله ربنا سمع الدعاء أم كيف؟ ذلك فأنزل الله تعالى: (وإذا سألك عبادي عني فإني قريب أحبب دعوة الداعي إذا دعان). قلت: في إسناده الوليد بن مسلم من المدليس وقد عنعن، وفيه أيضاً شيخه ابن جرير مشهور بالتدليس وقد عنعن عن عروة، وفيه

(200) تفسير السعدي (86)

(201) تفسير ابن أبي حاتم 1/314 تفسير ابن جرير 1/158 العظمة 2/535 أحمد في السنة 1/277

(202) تفسير ابن جرير 1/158 تفسير عبد الرزاق 1/73 وهو مرسل صحيح الإسناد

(203) تاريخ ابن عساکر 2/329/328 أبو القاسم علي بن الحسن بن هبة الله المعروف بابن عساکر (المتوفى: 571 هـ) (المحقق: عمرو بن غرامة العمري الناشر: دار الفكر للطباعة والنشر والتوزيع عام النشر 1415 هـ - 1995 م عدد الأجزاء 74 80: و 6 مجلدات فهارس

(204) تفسير ابن جرير 2/158

أيضا على بن أحمد بن زهير قال الحافظ في ليس يوثق به⁽²⁰⁵⁾، وفيه أيضا من لم أجد له ترجمه فهو إسناد تالف نازل. وأما الأثر الرابع فهو مرسل وفيه ابن جريج مدلس وقد عنعن وفي رواية قال: زعم عطاء - وذكر الأثر، وفي إسناده الحسين بن داود سنيد ضعيف. وقد ذكر في سبب نزول هذه الآية آثار أخر.

فروى البغوي وغيره من طريق الكلبي عن أبي صالح عن ابن عباس قال: قال يهود أهل المدينة: يا محمد كيف يسمع ربنا دعاءنا وأنت تزعم أن بيننا وبين السماء مسيرة خمسمائة عام وإن غلط كل سماء مثل ذلك، فنزلت هذه الآية⁽²⁰⁶⁾. وروى نصر بن محمد بن إبراهيم السمرقندي عن مقاتل: إن عمر واقع امرأته بعدما صلى العشاء، فندم على ذلك وبكى إلى رسول الله ﷺ فأخبره بذلك ورجع من عنده مغتماً، وكان ذلك قبل الرخصة، فنزلت هذه الآية: (وَإِذَا سَأَلَكَ عِبَادِي عَنِّي فَإِنِّي قَرِيبٌ)⁽²⁰⁷⁾. وقال القرطبي وقيل: لما وجب عليهم في الابتداء ترك الأكل بعد النوم فأكل بعضهم ثم ندم، فنزلت هذه الآية في قبول التوبة ونسخ ذلك الحكم⁽²⁰⁸⁾. وكل هذه الأقوال محتملة في سبب نزول هذه الآية لفظ (عبادي) لفظ شامل فيدخل فيه كل ما ورد في سبب نزول هذه الآية.

[تفسير مختصر للآية]

(وإذا سألك عبادي عني فإني قريب) أي أنا معهم أسمع دعاءهم، وأرى تضرعهم، وأعلم حالهم كقوله سبحانه: (ونحن أقرب إليه من حبل الوريد)! (أجيب دعوة الداع إذا دعان) أي أجيب دعوة من دعاني إذا كان عن إيمان وخشوع قلب (فليستجيبوا لي وليؤمنوا بي لعلهم يرشدون) أي إذا كنت أنا ربكم الغني عنكم، أجيب دعاءكم، فاستجيبوا أنتم لدعوتي، بالإيمان بي وطاعتي، ودوموا على الإيمان لتكونوا من السعداء الراشدين⁽²⁰⁹⁾.

(أَحَلَّ لَكُمْ لَيْلَةَ الصِّيَامِ الرَّفَثُ إِلَى نِسَائِكُمْ هُنَّ لِبَاسٌ لَكُمْ وَأَنْتُمْ لِبَاسٌ لَهُنَّ عَلِمَ اللَّهُ أَنَّكُمْ كُنْتُمْ تَخْتَانُونَ أَنْفُسَكُمْ فَتَابَ عَلَيْكُمْ وَعَفَا عَنْكُمْ فَالآنَ بَاشِرُوهُنَّ وَأَبْتَغُوا مَا كَتَبَ اللَّهُ لَكُمْ وَكُلُوا وَاشْرَبُوا حَتَّى يَتَبَيَّنَ لَكُمُ الْخَيْطُ الْأَبْيَضُ مِنَ الْخَيْطِ الْأَسْوَدِ مِنَ الْفَجْرِ ثُمَّ أَتُمُوا الصِّيَامَ إِلَى اللَّيْلِ وَلَا تُبَشِّرُوهُنَّ وَأَنْتُمْ عَاكِفُونَ فِي الْمَسَجِدِ تِلْكَ حُدُودُ اللَّهِ فَلَا تَقْرَبُوهَا كَذَلِكَ يُبَيِّنُ اللَّهُ لِّلنَّاسِ لَعَلَّهُمْ يَتَّقُونَ (١٨٧)

قوله تعالى: (أحل لكم ليلة الصيام الرفث) - الآية.

85. روى أحمد وأبو داود والحاكم من طريق عبد الرحمن بن أبي ليلى عن معاذ بن جبل قال: « كانوا يأكلون ويشربون ويأتون النساء ما لم يناموا، فإذا ناموا امتنعوا، ثم إن رجلاً من الأنصار يقال له قيس بن صرمة صلى العشاء ثم نام فلم يأكل ولم يشرب حتى أصبح، فأصبح مجهوداً، وكان عمر قد أصاب من النساء بعدما نام، فأتى النبي ﷺ فذكر ذلك له، فأنزل الله: (أحل لكم ليلة الصيام الرفث إلى نساءكم) إلى قوله (ثم أتموا الصيام إلى الليل)⁽²¹⁰⁾ ». هذا الحديث مشهور عن ابن أبي ليلى لكنه لم يسمع من معاذ، وله شواهد.

86. فأخرج البخاري عن البراء قال: « كان أصحاب النبي ﷺ إذا كان الرجل صائماً فحضر الإفطار فنام قبل أن يفطر لم يأكل ليلته ولا يومه حتى يمسي، وإن قيس بن صرمة الأنصاري كان صائماً، فلما حضر الإفطار أتى امرأته فقال هل عندك طعام؟ فقالت لا، ولكني أنطلق فأطلب لك، وكان يومه يعمل فغلبته عينه وجاءته امرأته فلما رأته قالت: خيبة لك فلما انتصف النهار غشي عليه، فذكر ذلك للنبي صلى الله عليه وسلم فنزلت هذه الآية: (أحل لكم ليلة الصيام الرفث إلى نساءكم) ففرحوا بها فرحاً شديداً، ونزلت: (وكلوا واشربوا حتى يتبين لكم الخيط الأبيض من الخيط الأسود من الفجر)⁽²¹¹⁾ ». «

87. وأخرج البخاري عن البراء قال: « لما نزل صوم شهر رمضان، كانوا لا يقربون النساء رمضان

(205) لسان الميزان 4/194 المؤلف: أحمد بن علي بن حجر العسقلاني شهرته: ابن حجر العسقلاني المحقق: عيد الفتاح أبو غدة دار النشر: مكتب المطبوعات الإسلامية

عدد الأجزاء: 10 (9+ فهارس)

(206) تفسير البغوي (1/204)

(207) بحر العلوم (1/156) المؤلف: أبو الليث نصر بن محمد بن إبراهيم السمرقندي الفقيه الحنفي عدد الأجزاء: 3

دار النشر: دار الفكر - بيروت تحقيق: د. محمود مطرجي

(208) تفسير القرطبي - (2/308)

(209) صفوة التفاسير - للصابوني (1/74)

(210) مسند أحمد 5/246 ح (22177) سنن أبي داود 1/139 ح (506) سنن البيهقي الكبرى 1/420 ح (1830) المعجم الكبير 20/133 ح (270) مستدرک الحاكم

2/301 ح (3085) وقال: صحيح الإسناد ولم يخرجاه وأعله المؤلف بعدم سماع ابن أبي ليلى من معاذ.

(211) أخرجه البخاري 2/676 ح (1816) والترمذي 5/210 ح (2968) سنن الدارمي 2/10 ح (1693) مسند أحمد 4/295 ح (18634) صحيح ابن حبان 8/240 ح

(3460) صحيح ابن خزيمة 3/200 ح (1904) سنن البيهقي الكبرى 4/201 ح (7689) وغيرهم

كله، فكان رجال يخونون أنفسهم، فأنزل الله (علم الله أنكم كنتم تختانون أنفسكم فتأب عليكم وعفا عنكم) الآية⁽²¹²⁾».

88. وأخرج أحمد وابن جرير وابن أبي حاتم، من طريق عبد الله بن كعب بن مالك عن أبيه قال: «كان الناس في رمضان إذا صام الرجل فأمسى فنام حرم عليه الطعام والشراب والنساء حتى يفطر من الغد، فرجع عمر من عند النبي ﷺ وقد سمر عنده فأراد امرأته فقالت: إني قد نمت قال: ما نمت ووقع عليها، وصنع كعب مثل ذلك، فغدا عمر إلى النبي ﷺ فأخبره فنزلت الآية⁽²¹³⁾».

[تعليق]

ذكر المؤلف رحمه الله في سبب نزول هذه الآية أربعة آثار، وفي بعضها أنه كان حراماً عليهم الطعام والشراب والجماع إذا ناموا قبل أن يفطروا، ثم نزل تحليل ذلك رحمة من الله بهم، وفي رواية البراء عند البخاري وهي الرواية الثالثة " لما نزل صوم شهر رمضان " فهذه الرواية تدل على أن الجماع كان ممنوعاً في كل شهر رمضان، فيكون الأكل والشرب حراماً إذا نام قبل أن يأكل ويشرب والجماع حرام على كل حال، لكن باقي الروايات ليس فيها تفريق بين الأمرين قال الإمام ابن حجر: حديث الباب أن الجماع كان ممنوعاً في جميع الليل والنهار بخلاف الأكل والشرب فكان مأذوناً فيه ليلاً ما لم يحصل النوم لكن بقية الأحاديث الواردة في هذا المعنى تدل على عدم الفرق كما سأذكرها بعد فيحمل قوله كانوا لا يقربون النساء على الغالب جمعا بين الأخبار⁽²¹⁴⁾. انتهى

أما قوله " كان رجال يخونون أنفسهم " سمي في بعض الروايات عمر بن الخطاب وفي بعضها كعب بن مالك، فأخرج ابن جرير وغيره عن كعب بن مالك قال كان الناس في رمضان إذا صام الرجل فنام حرم عليه الطعام والشراب والنساء حتى يفطر من الغد فرجع عمر بن الخطاب من عند النبي ﷺ ذات ليلة وقد سمر عنده فوجد امرأته قد نامت فأيقظها وأرادها فقالت: إني قد نمت فقال: ما نمت ثم وقع بها، وصنع كعب بن مالك مثل ذلك فغدا عمر بن الخطاب إلى النبي ﷺ فأخبره فأنزل الله (علم الله أنكم كنتم تختانون أنفسكم)⁽²¹⁵⁾. انتهى

قلت: ولا مانع من تعدد سبب النزول فيكون نزل في عمر بشأن الجماع وكذلك كعب بن مالك ونزل في قيس بن سعد في شأن الطعام.

[تنبهات]

الأول: قد روي في بعض هذه الروايات أن عمر جامع بعد ما نام. وفي الرواية الأخرى أنه جاء بعد ما نامت امرأته لما سمر عند النبي ﷺ. وقد روي أنه وقع على جارية له. كما سأذكره في التنبه الثالث. قال الإمام ابن حجر، قال ابن عطية حكى النحاس ومكي أن عمر نام ثم وقع بامرأته وهذا عندي بعيد على عمر⁽²¹⁶⁾. قال ابن حجر وإسناد حديث عمر صحيح.

الثاني: روي في بعض طرق هذه الآثار أن تحريم الأكل والشرب كان بعد أن ينام الرجل، فذكر ابن كثير في تفسيره بسند قال عنه الحافظ ابن حجر في العجائب صحيح، عن ابن عباس، قال: «إن الناس كانوا قبل أن ينزل في الصوم ما نزل فيهم يأكلون ويشربون، ويحل لهم شأن النساء، فإذا نام أحدهم لم يطعم ولم يشرب ولا يأتي أهله حتى يفطر من القابلة، فبلغنا أن عمر بن الخطاب بعدما نام ووجب عليه الصوم وقع على أهله، ثم جاء إلى النبي ﷺ فقال: أشكو إلى الله وإليك الذي صنعت. قال: "وماذا صنعت؟" قال: إني سؤلت لي نفسي، فوقعت على أهلي بعد ما نمت وأنا أريد الصوم. فزعموا أن النبي ﷺ قال: "ما كنت خليفاً أن تفعل". فنزل الكتاب: (أَجَلٌ لَكُمْ لَيْلَةُ الصَّيَامِ الرَّفَقْتُ إِلَى نِسَائِكُمْ)⁽²¹⁷⁾. انتهى

وهذه الرواية موافقة لرواية الصحيح. وفي بعضها أن تحريم الأكل والشرب والجماع بعد أن يصلي العشاء، فروى الواحدي قال: قال ابن عباس في رواية الوالبي: وذلك أن المسلمين كانوا في شهر رمضان إذا صلوا العشاء حرّم عليهم النساء والطعام إلى مثلها من القابلة ثم أن ناساً من المسلمين أصابوا من الطعام والنساء في شهر رمضان بعد العشاء، منهُم: عمر بن الخطاب، فشكوا ذلك إلى رسول الله - ﷺ - فأنزل الله هذه الآية. ولا شك أن رواية الصحيح أولى بالترجيح والله تعالى أعلم.

الثالث: ورد في سبب نزول هذه الآية عدة روايات غير التي ذكرها الإمام السيوطي وفي بعضها اتفاق فأكتفي بذكر بعض الروايات التي قد يكون فيها زيادة لا توجد في الروايات الأخرى.

روى ابن جرير عن السدي، قال: «كُتِبَ على النصارى رَمَضان، وكُتِبَ عليهم أن لا يأكلوا ولا يشربوا بعد النوم، ولا ينكحوا النساء شهر رمضان، فكتب على المؤمنين كما كُتِبَ عليهم، فلم يزل المسلمون على ذلك يصنعون كما تصنع النصارى، حتى أقبل رجل من الأنصار يقال له أبو قيس بن صرمة، وكان يعمل في حيطان المدينة بالأجر فأتى أهله بتمر فقال لامرأته: استبدلي بهذا التمر طحيناً فاجعليه سخينة، لعلني أن آكله، فإن التمر قد أحرق جوفني! فانطلقت فاستبدلت له، ثم صنعت فأبطأت عليه فنام، فأيقظته، فكره أن يعصي الله ورسوله، وأبى أن يأكل، وأصبح صائماً؛ فرآه رسول الله ﷺ بالعشي، فقال: ما لك يا أبا قيس!

(212) صحيح البخاري 4/1639 ح (4238)

(213) تفسير الطبري 2/165 مسند أحمد 3/460 ح (15833) وفي إسناده ابن لهيعة وهو يضعف في الحديث، لكن ما مر من الأحاديث في تفسير الآية شواهد له

(214) فتح الباري ابن حجر (8/181)

(215) تفسير الطبري 310 (دار هجر) (3/236)

(216) العجائب في بيان الأسباب (1/436)

(217) تفسير ابن كثير (1/511)

أمسيّت طليحاً؟ فقص عليه القصة.

وكان عمر بن الخطاب وقع على جارية له في ناس من المؤمنين لم يملكو أنفسهم- فلما سمع عمر كلام أبي قيس، رهب أن ينزل في أبي قيس شيء، فتذكر هو، فقام فاعتذر إلى رسول الله ﷺ، فقال: يا رسول الله إني أعوذ بالله إني وقعت على جاريّتي، ولم أملك نفسي البارحة! فلما تكلم عمر، تكلم أولئك الناس، فقال النبي ﷺ: ما كنت جديراً بذلك يا ابن الخطاب! فنسخ ذلك عنهم، فقال: "أجلّ لكم ليلة الصيام الرفث إلى نساتكم هُن لباسٌ لكم"⁽²¹⁸⁾. انتهى

قلت: في هذه الرواية أن الله تعالى كتب على النصاري صيام رمضان. لكن إسناد هذه الرواية مرسل، نعم كتب الله عليهم الصيام عموماً أما صوم رمضان ففي صحة الروايات فيه نظر. وقد روى عن ابن عباس وغيره. وكذلك في هذه الرواية ما أشرت إليه في التنبيه الثاني من أن عمر وقع علي جارية له والصحيح أنه امرأته وسند هذه الرواية مرسل كما تقدم.

الرابع: وقع اضطراب في بعض روايات أسباب النزول في اسم الصحابة الذي نام قبل أن يأكل فقيل: قيس بن صرمة كما ذكره المؤلف وقيل صرمة بن مالك وصرمة بن قيس وأبو قيس بن صرمة وأبو قيس بن عمر وأنس بن صرمة. فالراجح أنه واحد، وأن أكثر الرواة لم يضبطوا اسمه.

[تفسير مختصر للآية]

قال الشيخ ابن سعدي رحمه الله: كان في أول فرض الصيام، يحرم على المسلمين في الليل بعد النوم الأكل والشرب والجماع، فصلت المشقة لبعضهم، فخفف الله تعالى عنهم ذلك، وأباح في ليالي الصيام كلها الأكل والشرب والجماع، سواء نام أو لم ينام، لكونهم يختانون أنفسهم بترك بعض ما أمروا به.

(فتاب الله) (عليكم) بأن وسع لكم أمراً كان - لولا توسعته - موجبا للإثم (وعفا عنكم) ما سلف من التخون.

(فالآن) بعد هذه الرخصة والسعة من الله (باشروهن) وطأ وقبلة ولمسا وغير ذلك.

(وابتغوا ما كتب الله لكم) أي: انبوا في مباشرتكم لزوجاتكم التقرب إلى الله تعالى والمقصود الأعظم من الوطء، وهو حصول الذرية وإعفاف فرجه وفرج زوجته، وحصول مقاصد النكاح.

ومما كتب الله لكم ليلة القدر، الموافقة لليالي صيام رمضان، فلا ينبغي لكم أن تشغلوا بهذه اللذة عنها وتضيعوها، فاللذة مدركة، وليلة القدر إذا فاتت لم تدرك⁽²¹⁹⁾. انتهى

قوله تعالى: (من الفجر).

89. روى البخاري عن سهل بن سعد قال: « أنزلت: (وكلوا واشربوا حتى يتبين لكم الخيط الأبيض من الخيط الأسود) ولم ينزل (من الفجر)، فكان رجال إذا أرادوا الصوم ربط أحدهم في رجله الخيط الأبيض والخيط الأسود فلا يزال يأكل ويشرب حتى يتبين له رؤيتهما، فأنزل الله بعد: (من الفجر) فعملوا إنما يعني الليل والنهار⁽²²⁰⁾ ». «

[تعليق]

ذكر المؤلف هنا هذا الحديث في سبب النزول، وقد أشكل على الصحابة رضي الله عنهم معرفة الخيط الأبيض من الخيط الأسود، وظنوا أن ذلك هو الخيط المعروف، فلما نزل قوله تعالى (من الفجر) علموا بذلك أن المراد بالخيطين بياض النهار وظلام النهار. وقد روى البخاري عن عدي بن حاتم قال قلت: يا رسول الله، ما الخيط الأبيض من الخيط الأسود أهما الخيطان؟ قال: "إنك لعريض القفا إن أبيضت الخيطين - ثم قال - لا بل هو سواد الليل وبياض النهار"⁽²²¹⁾ وعن عدي أيضاً: لما نزلت هذه الآية (حتى يتبين لكم الخيط الأبيض من الخيط الأسود) أخذت عقالا أبيض وعقالا أسود فوضعتها تحت سادتي فنظرت فلم أتبين فذكرت ذلك للنبي صلى الله عليه وسلم فضحك وقال: « إن وسادك إذا لعريض طويل إنما هو الليل⁽²²²⁾ ».

[تفسير مختصر للآية]

(وكلوا واشربوا حتى يتبين لكم الخيط الأبيض من الخيط الأسود) أباح الله تعالى في هذه الآية الأكل والشرب في يوم الصوم والأمر هنا في (وكلوا واشربوا) للإباحة وغاية الأكل والشرب أن يتبين ويتضح الخيط الأبيض من الخيط الأسود والخيط الأبيض هو بياض النهار والأسود هو سواد الليل على ما ذكره ابن جرير وذكر قولاً آخر أن الخيط الأبيض هو ضوء الشمس والأسود سواد الليل⁽²²³⁾.

(من الفجر) أصل الفجر الشق فالفجور شق ستر الديانة انكشاف ظلمة الليل عن نور الصباح. ذكره ابن حجر عن الراغب⁽²²⁴⁾. وهما

(218) جامع البيان (تفسير الطبري) (3/ 502)

(219) تفسير السعدي (87)

(220) صحيح البخاري 2/677 ح (1818) صحيح مسلم 2/767 ح (1091) سنن النسائي الكبرى 6/297 ح (11022) سنن البيهقي الكبرى 4/215 ح (7789) مسند أبي يعلى 13/ 533 المعجم الكبير 6/145 شرح معاني الآثار 2/ 53 المؤلف: أبو جعفر أحمد بن محمد بن سلامة بن عبد الملك بن سلمة الأزدي الحجري المصري المعروف بالطحاوي (المتوفى: 321هـ) حققه وقدم له: (محمد زهري النجار - محمد سيد جاد الحق) من علماء الأزهر الشريف راجعه ورقم كتبه وأبوابه وأحاديثه: د يوسف عبد الرحمن المرشلي - الباحث بمركز خدمة السنة بالمدينة النبوية الناشر: عالم الكتب الطبعة: الأولى - 1414 هـ، 1994 م عدد الأجزاء: 5 (4 وجزء للفهارس) وغيرهم.

(221) صحيح البخاري (6/ 31)

(222) صحيح البخاري (6/ 31)

(223) جامع البيان (تفسير الطبري) (3/ 517)

(224) فتح الباري ابن حجر (10/ 508)

فجران أحدهما المستطيل وهو الكاذب والآخر المستطير المنتشر في الأفق وهو الصادق ويقال طريق فجر واضح.⁽²²⁵⁾

قوله تعالى: (ولا تباشروهن) - الآية.

90. أخرج ابن جرير عن قتادة قال: « كان الرجل إذا اعتكف فخرج من المسجد، جامع إن شاء، فنزلت: (ولا تباشروهن وأنتم عاكفون في المساجد)⁽²²⁶⁾. »

[تعليق]

ذكر المؤلف هنا هذا الأثر عن قتادة وقد روي عن الضحاك وابن عباس نحوه⁽²²⁷⁾. وروى مقاتل: أنها نزلت في علي بن أبي طالب، رضي الله عنه، وعمار بن ياسر، وأبي عبيدة بن الجراح، كان أحدهم يعتكف، فإذا أراد الغائط من السحر رجع إلى أهله بالليل، فببأشروهن ويجمع امرأته ويغتسل ويرجع إلى المسجد، فأنزل الله عز وجل: (ولا تباشروهن وأنتم عاكفون في المساجد)⁽²²⁸⁾.

[مسألتان مهمتان]

الأولى: يأخذ من الآية الكريمة تحريم الجماع في وقت الاعتكاف. قال القرطبي وأجمع أهل العلم على أن من جامع امرأته وهو معتكف عامداً لذلك في فرجها أنه مفسد لا اعتكافه⁽²²⁹⁾.
المسألة الثانية: في الآية دليل على أنه لا يصلح الاعتكاف إلا في المسجد واختلفوا في المراد بالمساجد التي يجوز فيها الاعتكاف فقال بعضهم بأنه عام في كل مسجد، وقال آخرون في المسجد الحرام والنبوي والأقصى، وقال آخرون في مسجد تقام فيه الجمعة. وتفصيل هذه المسألة كتبها الفقهاء وللمزيد انظر تفسير القرطبي⁽²³⁰⁾.

[تفسير مختصر للآية]

(وَلَا تُبَاشِرُوهُنَّ) أي نساءكم، وحقبة المباشرة: مس كل بشرة الآخر: أي ظاهر جلده، والمراد به الجماع (وَأَنْتُمْ عَاكِفُونَ) الاعتكاف: لغة: اللبث وملازمة الشيء، وشرعا: المكث في المسجد طاعة لله وتقربا إليه⁽²³¹⁾.

(وَلَا تَأْكُلُوا أَمْوَالَكُمْ بَيْنَكُمْ بِالْبُطْلِ وَتُدْخِلُوا بِهَا إِلَى الْحُكَّامِ لِتَأْكُلُوا فَرِيقًا مِّنْ أَمْوَالِ النَّاسِ بِالْإِثْمِ وَأَنْتُمْ تَعْلَمُونَ)
(١٨٨)

قوله تعالى: (ولا تأكلوا) - الآية.

91. أخرج ابن أبي حاتم عن سعيد بن جبيرة قال: « إن امرأ القيس بن عابس وعبدان بن أشوع الحضرمي اختصما في أرض، وأراد امرأ القيس أن يحلف، ففيه نزلت: (ولا تأكلوا أموالكم بينكم بالباطل)⁽²³²⁾ ». »

[تعليق]

ذكر المؤلف رحمه الله أثراً واحداً في سبب نزول هذه الآية، وهو مرسل الإسناد وذكره مختصراً، وذكره السمرقندي بأطول من هذا فقال: وهذه الآية نزلت في شأن امرأ القيس بن عابس الكندي وعبدان بن أشوع الحضرمي، اختصما إلى رسول الله ﷺ فادعى أحدهما على صاحبه شيئاً، فأراد الآخر أن يحلف بالكذب، فقال رسول الله ﷺ: « إِنَّكُمْ تَخْتَصِمُونَ إِلَيَّ وَلَعَلَّ بَعْضَكُمْ أَلْحَنُ بِحُجَّتِهِ مِنْ بَعْضٍ، فَمَنْ قَضَيْتُ لَهُ بِحَقِّ أَخِيهِ وَأَرَى أَنَّهُ مِنْ حَقِّهِ، وَأَنَّهُ لَا يَرَى أَنَّهُ مِنْ حَقِّهِ فَإِنَّمَا أَقْضِي لَهُ بِقِطْعَةٍ مِنَ النَّارِ » فنزلت هذه الآية فيهما، وصارت عامة لجميع الناس⁽²³³⁾. انتهى

[تفسير مختصر للآية]

قلت: في الآية دليل على تحريم أكل مال الغير والتعبير بالأكل في الآية مجازي، والمراد منه العموم سواء كان إتلافاً أو غصباً أو سرقة أو شهادة زور أو غير ذلك، وسواء كان المال لبيتم أو قريب أو بعيد. فحرام أكل مال الغير بكل حال. قوله تعالى [بالباطل] خرج به إذا ما أكله بحقه سوء كان ذلك بمعاملة أو كان عن طريق الظفر [وهو أن يجد حقه عند شخص قد أخذه منه فيسترده منه].

قال السمرقندي قوله: (وَلَا تَأْكُلُوا أَمْوَالَكُمْ بَيْنَكُمْ بِالْبِاطِلِ)، أي بالظلم وشهادة الزور. (وَتُدْخِلُوا بِهَا إِلَى الْحُكَّامِ)، يقول

⁽²²⁵⁾ المعجم الوسيط (2/ 675) المؤلف: إبراهيم مصطفى - أحمد الزيات - حامد عبد القادر - محمد النجار دار النشر: دار الدعوة تحقيق: مجمع اللغة العربية عدد الأجزاء:

⁽²²⁶⁾ تفسير الطبري 2/180 وإسناده صحيح لكنه مرسل، وكذلك روي عن الضحاك نحوه بإسناد فيه المثني بن الصباح، وكذلك روي مرسلًا عن ابن عباس من طريق ابن

جرير عنه وفي إسناده سنيد

⁽²²⁷⁾ العجائب في بيان الأسباب (1/ 450)

⁽²²⁸⁾ تفسير مقاتل بن سليمان (1/ 99)

⁽²²⁹⁾ تفسير القرطبي - (2/ 332)

⁽²³⁰⁾ تفسير القرطبي - (2/ 333)

⁽²³¹⁾ التفسير المنير للزحيلي (2/ 148) المؤلف: د هبة بن مصطفى الزحيلي معاصر الناشر: دار الفكر المعاصر - دمشق الطبعة: الثانية، 1418 هـ عدد الأجزاء:

30

⁽²³²⁾ ابن أبي حاتم مرسلًا.

⁽²³³⁾ بحر العلوم (1/ 159)

(69)

تَلْجُوا بِالْخُصُومَةِ إِلَى الْحَاكِمِ. وَقَالَ الزَّجَاجُ: تَعْمَلُونَ بِمَا يُوْجِبُهُ ظَاهِرُ الْحُكْمِ، وَتَتْرَكُونَ مَا عَلِمْتُمْ أَنَّهُ الْحَقُّ. (لِتَأْكُلُوا فَرِيقًا)، يَعْنِي طَائِفَةً (مَنْ أَمْوَالِ النَّاسِ بِالْإِثْمِ)، أَي بِالْيَمِينِ الْكَاذِبَةِ وَشَهَادَةِ الزُّورِ. وَيُقَالُ: بِالْإِثْمِ أَي بِالْجُورِ. (وَأَنْتُمْ تَعْلَمُونَ) أَنَّهُ جُورٌ. وَيُقَالُ: إِنَّكُمْ تَعْمَلُونَ أَنْكُمْ تَأْخُذُونَ بِالْبَاطِلِ⁽²³⁴⁾.

(يَسْأَلُونَكَ عَنِ الْأَهْلِ قُلْ هِيَ مَوْقِيتٌ لِلنَّاسِ وَالْحَجُّ وَلَيْسَ الْبِرُّ بِأَنْ تَأْتُوا الْبُيُوتَ مِنْ ظُهُورِهَا وَلَكِنَّ الْبِرَّ مَنْ اتَّقَى وَآتَى الْبُيُوتَ مِنْ أَبْوَابِهَا وَاتَّقُوا اللَّهَ لَعَلَّكُمْ تُفْلِحُونَ ١٨٩)

قوله تعالى: (يسألونك عن الأهله).

92. [ك] أخرج ابن أبي حاتم من طريق العوفي عن ابن عباس قال: «سأل الناس رسول الله ﷺ عن الأهله، فنزلت هذه الآية⁽²³⁵⁾».

93. وأخرج ابن أبي حاتم عن أبي العالية قال: «بلغنا أنهم قالوا: يا رسول الله لم خلقت الأهله؟ فأنزل الله (يسألونك عن الأهله)⁽²³⁶⁾».

94. وأخرج أبو نعيم وابن عساكر في تاريخ دمشق من طريق السدي الصغير عن الكلبي عن أبي صالح عن ابن عباس «أن معاذ بن جبل وثعلبة بن غنمة قالوا: يا رسول الله ما بال الهلال يبدو أو يطلع دقيقاً مثل الخيط ثم يزيد حتى يعظم ويستوي ويستدير ثم لا يزال ينقص ويدق حتى يعود كما كان لا يكون على حال واحد؟ فنزلت: (يسألونك عن الأهله)⁽²³⁷⁾».

[تعليق]

نزلت هذه الآية عام الحديبية في عمرة القضاء على ما ذكره ابن عاشور⁽²³⁸⁾. وذكر المؤلف ثلاثة آثار في سبب نزولها. أما أول: ففيه أن الناس سألوا رسول الله ﷺ عن الأهله فنزلت الآية، ولم يبين المراد من الناس، وأما الثاني: ففيه أن الصحابة هم الذين سألوا رسول الله ﷺ عن الأهله ولم يبين من من الصحابة، وأما الأثر الثالث: ففيه أن معاذ وثعلبة بن غنمة هما اللذان سألا عن الأهله، ولكن في إسناده الكلبي وهو ضعيف جداً. وكذلك الأثران الأولان في إسنادهما ضعف، وقد روى الواحد أن اليهود هم الذين سألوا عن ذلك، فروى أثراً بغير إسناده، فقال قوله: (يسألونك عن الأهله) الآية، قال معاذ بن جبل: يا رسول الله إن اليهود تغشانا ويكثرن مسألتنا عن الأهله، فأنزل الله تعالى هذه الآية. وقال قتادة: ذكر لنا أنهم سألوا نبي الله ﷺ: لم خلقت هذه الأهله؟ فأنزل الله تعالى (قل هي مواقيت للناس والحج)⁽²³⁹⁾. انتهى وذكر السمرقندي قال: وقال الضحاك في معنى الآية: إن المسلمين سألوا رسول الله ﷺ عن خرص النخيل والتصرف في زيادة الشهر ونقصانه، فنزلت هذه الآية: (يسألونك عن الأهله)⁽²⁴⁰⁾. قلت: وكل ذلك محتمل من الآية، وليس في الآية تخصيص السؤال بأحد مما ذكر في هذه الآثار وهذه الآثار كما علمت ليس منها أثر قوي نستطيع أن نحكم به، فيحتمل أن يكون الصحابة هو الذين سألوا أو اليهود أو غيرهم والله تعالى أعلم.

[تفسير مختصر للآية]

قوله تعالى: (يسألونك عن الأهله). الأهله: جمع هلال واشتقاقه من قولهم: استهل الصبي إذا صاح؛ وأهل بالحج: أي رفع صوته بالتلبية. وكذلك الهلال يسمى هلالاً، لأنه يهل الناس بذكره أي يرفعون الصوت عند رؤيته؛ وإنما سمي الشهر شهراً لشهرته. (قُلْ هِيَ مَوَاقِيتُ لِلنَّاسِ وَالْحَجِّ) أي هي: علامات للناس في حل ديونهم وصومهم وفطرمهم وعدة نسائهم ووقت الحج⁽²⁴¹⁾.

قوله تعالى: (وليس البر الآية).

95. روى البخاري عن البراء قال: «كانوا إذا أحرموا في الجاهلية أتوا البيت من ظهره فأنزل الله: (وليس البر بأن تأتوا البيوت من ظهورها) - الآية⁽²⁴²⁾».

96. وأخرج ابن أبي حاتم والحاكم وصححه عن جابر قال: «كانت قريش تدعى الحمس، وكانوا يدخلون من الأبواب في الإحرام، وكانت الأنصار وسائر العرب لا يدخلون من باب في الإحرام، فبينما رسول الله ﷺ في بستان إذ خرج من بابه وخرج معه قطبة بن عامر الأنصاري فقالوا: يا رسول الله إن قطبة بن عامر

(234) بحر العلوم (1/ 159)

(235) تفسير ابن أبي حاتم 1/322 وأخرجه ابن جرير عن قتادة نحوه بإسناد صحيح لكنه مرسل 2/ 185

(236) تفسير ابن أبي حاتم 1/322 وأخرجه ابن جرير المصدر السابق عن الربيع بن أنس ولم يبلغ به أبا العالية، وعلى كل فهو مرسل وفي إسناده المثني وروى عن ابن جريح

نحوه بإسناد ضعيف

(237) تاريخ ابن عساكر 1/25 وإسناده مظلم.

(238) التحرير والتنوير (2/ 190)

(239) أسباب النزول للواحدى (32)

(240) بحر العلوم (1/ 160)

(241) بحر العلوم (1/ 160)

(242) أخرجه البخاري 4/1640 ح (4242) صحيح ابن حبان 9/263 ح (3947) سنن النسائي الكبرى 6/267 ح (11025) تفسير الطبري 2/186

رجل فاجر وإنه خرج معك من الباب فقال له: "ما حملك على ما فعلت"؟ قال: رأيتك فعلته ففعلت كما فعلت، قال: «إني رجل أحمسي»⁽²⁴³⁾ قال له: فإن ديني دينك، فأنزل الله: (وليس البر بأن تأتوا البيوت من ظهورها) - الآية⁽²⁴⁴⁾.

97. وأخرج ابن جرير من طريق العوفي عن ابن عباس نحوه⁽²⁴⁵⁾.

98. وأخرج الطيالسي في مسنده عن البراء قال: «كانت الأنصار إذا قدموا من سفر لم يدخل الرجل من قبل بابه، فنزلت هذه الآية⁽²⁴⁶⁾».

99. وأخرج عبد بن حميد عن قيس بن حبتر النهشلي قال: «كانوا إذا أحرموا لم يأتوا بيتاً من قبل بابه، وكانت الحمس بخلاف ذلك، فدخل رسول الله صلى الله عليه وسلم حائطاً ثم خرج من بابه، فأتبعه رجل يقال له رفاعة بن تابوت ولم يكن من الحمس فقالوا: يا رسول الله نافق رفاعة فقال: «ما حملك على ما صنعت»؟ قال: تبعتك قال: «إني من الحمس» قال: فإن ديننا واحد فنزلت: (وليس البر بأن تأتوا البيوت من ظهورها)⁽²⁴⁷⁾».

[تعليق]

لما ذكر الله تعالى السؤال عن الأهلة استطرد في ذكر شيء آخر فتكون الواو في (وليس البر) للاستئناف يعني ليس لها علاقة بما قبلها في المعنى، وربما تكون عاطفة فيكونوا قد سألوا عن الأهلة وسألوا كذلك عن دخول البيوت من ظهورها فأجابهم الله تعالى أنه ليس من البر. وقد ذكر البيضاوي في تفسيره أوجه أخرى في توجيه العطف في الآية فينظر.

ذكر المؤلف رحمه الله في سبب نزول هذه الآية أربعة آثار. وهي مختلفة الأسباب وإن كان المعنى المختصر واحد. فالأثر الأول: فيه أنهم كانوا إذا أحرم أحدهم قبل الإسلام كانوا لا يدخلون البيت الحرام من بابه—فنزلت الآية. وفي سبب عدم دخول البيوت من بابه أربعة أقوال ذكرها الإمام ابن الجوزي: أحدها: أنهم كانوا يفعلون ذلك لأجل الإحرام، قاله ابن عباس، وأبو العالية، والنخعي، وقتادة، وقيس النهشلي. والثاني: لأجل دخول الشهر الحرام، قاله البراء بن عازب. والثالث: أن أهل الجاهلية كانوا إذا هم أحدهم بالشيء فاحتبس عنه؛ لم يأت بيته من بابه حتى يأتي الذي كان هم به، قاله الحسن. والرابع: أن أهل المدينة كانوا إذا رجعوا من عيدهم فعلوا ذلك، رواه عثمان بن عطاء عن أبيه⁽²⁴⁸⁾.

والأثر الثاني: كذلك يدل على نفس المعنى لكن خص منه قريش فكانوا يدخلون الحرم من بابه لشرفهم. وأما الأثر الثالث: وهو أنهم إذا كانوا في سفر فرجع أحدهم إلى بيته لم يدخل من بابه فيكون هذا الأثر عام من وجه وخاص من وجه آخر، فأما عمومه فمن جهة أنهم إذا كانوا في سفر لم يدخلوا البيوت من أبوابها ولم يخص ذلك بالحرم، وأما خصوصية فمن كون الأنصار هم الذين كانوا يفعلون ذلك وفي الأثر الأول الأنصار وغيرهم ما عدا الحمس الذين هم قريش، ويمكن الجمع بين السببين بأن نقول بأن عدم دخول الحرم من بابه كانت عادة جميع أهل الجاهلية بما فيهم الأنصار، وأما عدم دخول البيوت من أبوابها فكانت عادة الأنصار إذا رجعوا من السفر.

وأما الأثر الأخير فهو بمعنى الأثر الثاني. لكن وقع في تسمية الرجل الذي دخل مع النبي □ من الباب أنه رفاعة بن التابوت ورجح ابن حجر أنه قطبة بن عامر⁽²⁴⁹⁾.

وقد روى في سبب نزول هذه الآية أسباب آخر وبعضها مخالف لهذه الروايات فالرواية الثالث والأخيرة تدل على أن النبي □ كان قد نهاهم عن دخول البيت من بابه إلى أن نزلت الآية فأبطلت ذلك⁽²⁵⁰⁾.

لكن روى ابن جرير وغيره عن السدي: قوله: (وليس البر بأن تأتوا البيوت من ظهورها) فإن ناساً من العرب كانوا إذا حجوا لم يدخلوا بيوتهم من أبوابها كانوا يتقربون في أدبارها، فلما حج رسول الله □ حجة الوداع، أقبل يمشي ومعه رجل من أولئك وهو مسلم. فلما بلغ رسول الله □ باب البيت احتبس الرجل خلفه وأبى أن يدخل، قال: يا رسول الله، إني أحمس! - يقول: إني محرم - وكان أولئك الذين يفعلون ذلك يسمون "الحمس"، قال رسول الله □: وأنا أيضاً أحمس! فدخل الرجل، فأنزل الله تعالى ذكره: (وتأتوا البيوت من أبوابها)⁽²⁵¹⁾. انتهى

ظاهر هذه الرواية أن الحمس هم الذين كانوا لا يدخلون البيوت من أبوابها، وهذا مخالف للروايات السابقة، وكذلك فإن النبي □ هو الذي أنكر على الرجل الأحمسي عدم دخوله من الباب. فهذه الرواية كما ترى عن السدي مخالفة لسائر الروايات: قلت شد السدي بهذه الرواية فخالف في زمان نزول الآية، وخالف في من كان يفعل ذلك فزعم أنهم الحمس والمحفوظ أنهم غير الحمس وخالف في أن الصحابي امتنع حتى أذن له النبي

(243) الحمس هم قريش ومن ولنته قريش وكنانة وجديلة قيس سموا حمسا لانهم تحمسوا في دينهم أى تشددوا وقيل سموا حمسا بالكعبة لانها حمساء حجرها أبيض يضرب

إلى السواد شرح النووي على مسلم (8/197)

(244) تفسير ابن أبي حاتم 1/323 مستدرک الحاكم 1/657 ح (1777) قال: صحيح على شرط الشيخين ولم يخرجاه، وفيه نظر فإن أبا الجواب وشيخه عمار بن رزيق أخرج لهما مسلم دون البخاري

(245) تفسير الطبري 2/188 وإسنادها ضعيف وروي ابن جرير عن غير واحد من التابعين مثل ذلك

(246) صحيح البخاري ح (1709) صحيح مسلم 4/2319 ح (3026) سنن النسائي الكبرى 2/479 ح (4251) سنن البيهقي الكبرى 5/261 ح (10159) مسند أبي يعلى

274/3 ح (1732) مسند الطيالسي 98/1 ح (717)

(247) مرسل قد تقدم معناه وقيس بن حبتر تابعي أخرج له الجماعة.

(248) زاد المسير في علم التفسير (1/179) المؤلف: عبد الرحمن بن علي بن محمد الجوزي الوفاة 597 هـ الناشر: المكتبة الإسلامية - بيروت الطبعة الثالثة، 1404

عدد الأجزاء: 9

(249) العجائب في بيان الأسباب (1/460)

(250) التحرير والتنوير (2/194)

(251) جامع البيان (تفسير الطبري) (3/559)

والمحفوظ أنه صنع فأنكر عليه⁽²⁵²⁾.

وفي سبب نزول الآية أقوال أخر منها.

ما أخرجه ابن أبي حاتم عن محمد بن كعب القرظي يقول: كان الرجل إذا اعتكف لم يدخل منزله من باب البيت، فأُنزل الله

(وليس البر بان تاتوا البيوت من ظهورها)⁽²⁵³⁾.

ومنها ما حكاه ابن حجر عن الماوردي - ما حاصله - إنه قيل أنها نزلت في من كان يأتي النساء من غير قبلهن وكنى عن

النساء بالبيوت للإيواء إليهن وعن الوطاء في غير القبل بالإتيان من جهة الظهر، ونسبه لابن زيد. و حكاه مكي والمهدي عن ابن

الأنباري أيضا ورده ابن عطية مستبعداً له⁽²⁵⁴⁾.

ومنها ما أخرجه ابن أبي حاتم عن عطاء قال: « كان أهل يثرب إذا رجعوا من عيدهم دخلوا البيوت من ظهورها ويرون

أن ذلك أدنى إلى البر فقال الله تعالى: (وليس البر بان تاتوا البيوت من ظهورها). قوله: (ولكن البر من اتقى)⁽²⁵⁵⁾».

ومنها ما قاله ابن حجر: ذكره الماوردي عن ابن بحر قال: «نزلت في النسيء كانوا يؤخرون الحج، فيجعلون الشهر

الحرام حلالاً والحلال حراماً، فعبير البيوت وإتيانها من ظهورها عن المخالفة في أشهر الحج و المخالفة إتيان الأمر من خلفه

والخلف والظهر في اللغة واحد⁽²⁵⁶⁾».

يتلخص لنا مما تقدم من أسباب نزول هذه الآية:

- 1- كانوا إذا أحرموا في الجاهلية أتوا الباب من ظهره فنزلت.
- 2- في قريش كانوا يدخلون الحرم من بابه وسائر العرب من غير بابه فنزلت.
- 3- في الأنصار إذا قدموا من سفر لم يدخلوا البيت من بابه، فنزلت.
- 4- نزلت في النبي مع قطبة بن عامر، وكان النبي يدخل من بابه لأنه من الحمس، فدخل قطبه مثله فلما أنكر عليه والنبي □ نزلت الآية.
- 5- في النبي □ مع رجل من الصحابة امتنع أن يدخل البيت لأنه أحسسي فأنكر عليه النبي □ عدم دخوله فنزلت. وهو عكس السبب المتقدم.
- 6- أنها نزلت فيمن يأتي المرأة من غير قبلها. فيكون هنا على معنى الكناية.
- 7- أنها نزلت في أهل يثرب عندما يرجعون من العيد يأتون البيوت من ظهورها فنزلت.

[تفسير مختصر للآية]

قال أبو جعفر ابن جرير: وليس البر أيها الناس بأن تاتوا البيوت في حال إحرامكم من ظهورها، ولكن البر من اتقى الله

فخافه وتجنب محارمه، وأطاعه بأداء فرائضه التي أمره بها، فأما إتيان البيوت من ظهورها فلا برٌ لله فيه، فأتوها من حيث شئتم

من أبوابها وغير أبوابها، ما لم تعتقدوا تحريم إتيانها من أبوابها في حال من الأحوال، فإن ذلك غير جائزٍ لكم اعتقاده، لأنه مما لم

أحرمه عليكم⁽²⁵⁷⁾.

(وَقَاتِلُوا فِي سَبِيلِ اللَّهِ الَّذِينَ يُقَاتِلُونَكُمْ وَلَا تَعْتَدُوا إِنَّ اللَّهَ لَا يُحِبُّ الْمُعْتَدِينَ (١٩٠))

قوله تعالى: (وقاتلوا في سبيل الله).

100. أخرج الواحدي من طريق الكلبي عن أبي صالح عن ابن عباس قال: « نزلت هذه الآية في صلح

الحديبية، وذلك أن رسول الله □ لما صد عن البيت، ثم صالحه المشركون على أن يرجع عامه

القابل، فلما كان العام القابل تجهز هو وأصحابه لعمرة القضاء وخافوا أن لا تفي قريش بذلك وأن

يصدوهم عن المسجد الحرام ويقاتلوهم وكره أصحابه قتالهم في الشهر الحرام، فأُنزل الله ذلك⁽²⁵⁸⁾».

[تعليق]

ذكر المؤلف رحمه الله هذا الأثر هنا وهو أثر شديد الضعيف، وقد ضعفه الحافظ ابن حجر في العجائب تبعاً لابن جرير،

ورجح كون هذه الآية متقدمة في النزول، وأنها أول آية نزلت في الإذن بقتال الكفار، فروى ابن أبي حاتم عن أبي العالية (وقاتلوا

في سبيل الله الذين يقاتلونكم) قال: هذه أول آية نزلت في القتال بالمدينة فلما نزلت كان رسول الله □ يقاتل من قاتله ويكف عن

من كف عنه حتى نزلت سورة براءة⁽²⁵⁹⁾، ثم اختلف هل هي منسوخة أم لا فهذا الأثر يدل على أنها منسوخة بأية براءة وكذلك ما

رواه ابن جرير: قال ابن زيد في قوله: "وقاتلوا في سبيل الله الذين يقاتلونكم" إلى آخر الآية، قال: قد نسخ هذا، وقرأ قول الله: (

وَقَاتِلُوا الْمُشْرِكِينَ كَمَا يُقَاتِلُونَكُمْ كَافَّةً) [سورة التوبة: 36] وهذه النسخة، وقرأ: (بَرَاءَةٌ مِّنَ اللَّهِ وَرَسُولِهِ) حتى بلغ: (فَإِذَا أَسْلَخَ

الْأَشْهُرَ الْحُرْمَ فَاقْتُلُوا الْمُشْرِكِينَ حَيْثُ وَجَدْتُمُوهُمْ) إلى: (إِنَّ اللَّهَ عَفُورٌ رَّحِيمٌ) [سورة التوبة: 1-5]⁽²⁶⁰⁾.

(252) قال الإمام ابن حجر العجائب في بيان الأسباب (459 / 1)

(253) تفسير ابن أبي حاتم - (324 / 1) وفي إسناده موسى بن عبيدة الربيذي وهو متكلم فيه.

(254) العجائب في بيان الأسباب (463 / 1)

(255) تفسير ابن أبي حاتم - (324 / 1)

(256) العجائب في بيان الأسباب (464 / 1)

(257) جامع البيان (تفسير الطبري) (560 / 3)

(258) أسباب النزول للواحدي 53 وقد علقه عن الكلبي وإسناده شديد الضعف.

(259) تفسير ابن أبي حاتم - (325 / 1)

(260) تفسير الطبري 310 (دار هجر) (290 / 3)

وقال آخرون منهم ابن عباس عمر بن عبد العزيز⁽²⁶¹⁾ بأن هذه الآية محكمة غير منسوخة، وهذا هو ترجيح شيخ المفسرين ابن جرير. فيكون الأمر بالقتال معناه هنا على ما ذكره الإمام القرطبي: أي قاتلوا الذين هم بحالة من يقاتلونكم، ولا تعتدوا في قتل النساء والصبيان والرهبان وشبههم⁽²⁶²⁾. انتهى.

[تفسير مختصر للآية]

(وَقَاتِلُوا فِي سَبِيلِ اللَّهِ الَّذِينَ يُقَاتِلُونَكُمْ وَلَا تَعْتَدُوا إِنَّ اللَّهَ لَا يُحِبُّ الْمُعْتَدِينَ) .
 هذه الآيات، تتضمن الأمر بالقتال في سبيل الله، وهذا كان بعد الهجرة إلى المدينة، لما قوي المسلمون للقتال، أمرهم الله به، بعد ما كانوا مأمورين بكف أيديهم، وفي تخصيص القتال (في سبيل الله) حدث على الإخلاص، ونهي عن الاقتتال في الفتن بين المسلمين. (الَّذِينَ يُقَاتِلُونَكُمْ) أي: الذين هم مستعدون لقتالكم، وهم المكلفون الرجال، غير الشيوخ الذين لا رأي لهم ولا قتال. والنهي عن الاعتداء، يشمل أنواع الاعتداء كلها، من قتل من لا يقاتل، من النساء، والمجانين والأطفال، والرهبان ونحوهم والتمثيل بالقتلى، وقتل الحيوانات، وقطع الأشجار [ونحوها]، لغير مصلحة تعود للمسلمين. ومن الاعتداء، مقاتلة من تقبل منهم الجزية إذا بذلوا، فإن ذلك لا يجوز⁽²⁶³⁾.

(الشَّهْرُ الْحَرَامُ بِالشَّهْرِ الْحَرَامِ وَالْحُرُمَاتُ قِصَاصٌ فَمَنْ أَعْتَدَى عَلَيْكُمْ فَأَعْتَدُوا عَلَيْهِ بِمِثْلِ مَا أَعْتَدَى عَلَيْكُمْ وَأَتَّقُوا اللَّهَ وَاعْلَمُوا أَنَّ اللَّهَ مَعَ الْمُتَّقِينَ (١٩٤)

قوله تعالى (الشهر الحرام) الآية

101. وأخرج ابن جرير عن قتادة قال: « أقبل نبي الله ﷺ وأصحابه معتمرين في ذي القعدة ومعهم الهدى، حتى إذا كانوا بالحديبية صدهم المشركون وصالحهم النبي صلى الله عليه وسلم على أن يرجع من عامه ذلك ثم يرجع من العام المقبل، فلما كان العام المقبل أقبل وأصحابه حتى دخلوا مكة معتمرين في ذي القعدة، فأقام بها ثلاث ليال، وكان المشركون قد فخروا عليه حين ردوه فأقصه الله منهم فأدخله مكة في ذلك الشهر الذي كانوا ردوه فيه، فأنزل الله: (الشهر الحرام بالشهر الحرام والحرمات قصاص)⁽²⁶⁴⁾».

[تعليق]

ذكر المؤلف هنا هذا الأثر عن قتادة. فتكون هذه الآية متأخرة النزول عن الآية التي ذكرت في سبب النزول السابق، لأن عمرة الحديبية كانت قبل عام الفتح، وروى ابن جرير نحو هذا عن ابن عباس ومجاهد والسدي والربيع وعطاء⁽²⁶⁵⁾.

[قول آخر في سبب النزول]

قال الإمام الماوردي في تفسيره النكت والعيون: أن سبب نزولها أن مشركي العرب، قالوا للنبي ﷺ: «أنهيت يا محمد عن قتالنا في الشهر الحرام؟ فقال نعم، فأرادوا أن يقاتلوه في الشهر الحرام، فأنزل الله تعالى: (الشَّهْرُ الْحَرَامُ بِالشَّهْرِ الْحَرَامِ وَالْحُرُمَاتُ قِصَاصٌ) أي إن استحلوا قتالكم في الشهر الحرام، فاستحلوا منهم مثل ما استحلوا منكم، وهذا قول الحسن البصري⁽²⁶⁶⁾.

[تفسير مختصر للآية]

قال ابن جرير رحمه الله يعني بقوله جل ثناؤه: (الشهر الحرام بالشهر الحرام) ذا القعدة، وهو الشهر الذي كان رسول الله ﷺ اعتمر فيه عمرة الحديبية، فصده مشركو أهل مكة عن البيت ودخل مكة، سنة ست من هجرته، وصالح رسول الله ﷺ المشركين في تلك السنة، على أن يعود من العام المقبل، فيدخل مكة ويقيم ثلاثاً، فلما كان العام المقبل، وذلك سنة سبع من هجرته، خرج معتمراً وأصحابه في ذي القعدة - وهو الشهر الذي كان المشركون صدوه عن البيت فيه في سنة ست- وأخلى له أهل مكة البلد حتى دخلها رسول الله ﷺ، ففرض حاجته منها، وأتم عمرته، وأقام بها ثلاثاً، ثم خرج منها منصرفاً إلى المدينة، فقال الله جل ثناؤه لنبيه ﷺ ولللمسلمين معه "الشهر الحرام" يعني ذا القعدة، الذي أوصلكم الله فيه إلى حرمه وبيته، على كراهة مشركي قريش ذلك، حتى قضيت منه وطركم "بالشهر الحرام"، الذي صدكم مشركو قريش العام الماضي قبله فيه حتى انصرفتم عن كره منكم عن الحرم، فلم تدخلوه، ولم تصلوا إلى بيت الله، فأفصاكم الله أيها المؤمنون من المشركين بإدخالكم الحرم في الشهر الحرام على كره منكم لذلك، بما كان منهم إليكم في الشهر الحرام من الصد والمنع من الوصول إلى البيت⁽²⁶⁷⁾. انتهى.

قال ابن جرير: قال ابن ظفر حرمت الدين لا يدخلها قصاص وإنما المراد حرمت الناس أضاعوا حرمة قاصدي بيت الله بمنعهم منه فأقص الله منهم بأن أمكنهم من دخوله وأخرج الذين كانوا يمنعونهم منه ثلاثة أيام⁽²⁶⁸⁾.

(261) أخرج الأثرين ابن جرير المصدر السابق

(262) تفسير القرطبي - (2/348)

(263) تفسير السعدي (89)

(264) تفسير الطبري 2/197 مرسل صحيح الإسناد، وروى نحوه عن مجاهد من طريق ابن أبي نجيب عنه، وتقدم أنه لم يسمع منه التفسير

(265) تفسير الطبري 310 (دار هجر) (3/304) وما بعدها

(266) تفسير الماوردي النكت والعيون (1/252) دار الكتب العلمية بيروت/ لبنان

(267) جامع البيان (تفسير الطبري) (3/575)

(268) العجائب في بيان الأسباب (1/469)

(وَأَنْفَقُوا فِي سَبِيلِ اللَّهِ وَلَا تُلْقُوا بِأَيْدِيكُمْ إِلَى التَّهْلُكَةِ وَأَحْسِنُوا إِنَّ اللَّهَ يُحِبُّ الْمُحْسِنِينَ (١٩٥))

قوله تعالى: (وأنفقوا في سبيل الله ولا تلقوا بأيديكم إلى التهلكة).

102. روى البخاري عن حذيفة قال: « نزلت هذه الآية في النفقة⁽²⁶⁹⁾ »

103. وأخرج أبو داود والترمذي وصححه وابن حبان والحاكم وغيرهم عن أبي أيوب الأنصاري قال: « نزلت هذه الآية فينا معشر الأنصار، لما أعز الله الإسلام وكثر ناصروه قال بعضنا لبعض سراً: إن أموالنا قد ضاعت، وإن الله قد أعز الإسلام فلو أقمنا في أموالنا فأصلحنا ما ضاع منها، فأنزل الله يرد علينا ما قلنا: (وأنفقوا في سبيل الله ولا تلقوا بأيديكم إلى التهلكة) فكانت التهلكة الإقامة على الأموال وإصلاحها وتركنا الغزو⁽²⁷⁰⁾ ».

104. وأخرج الطبراني بسند صحيح عن أبي جبير بن الضحاك قال: « كانت الأنصار يتصدقون ويعطون ما شاء الله، فأصابتهم سنة فأمسكوا، فأنزل الله: (ولا تلقوا بأيديكم إلى التهلكة) - الآية⁽²⁷¹⁾ ».

105. وأخرج أيضاً بسند صحيح عن النعمان بن بشير قال: « كان الرجل يذنب الذنب فيقول لا يغفر لي، فأنزل الله: (ولا تلقوا بأيديكم إلى التهلكة)⁽²⁷²⁾ ». وله شاهد عن البراء أخرجه الحاكم⁽²⁷³⁾.

[تعليق]

ذكر المؤلف هنا أربعة آثار، فأما الثلاثة الأولى فهي في النفقة وأما الرابع ففي الذنب، وروى في سبب نزولها أثر آخر أخرجه أبو داود والترمذي وغيرهما عن أسلم أبو عمران، مولى تجيب قال: كنا بقسطنطينية وعلى أهل مصر عقبة بن عامر الجهني، وعلى أهل الشام فضالة بن عبيد الأنصاري، فخرج صف عظيم من الروم فصفقنا لهم صفا عظيماً من المسلمين، فحمل رجل من المسلمين على صف الروم حتى دخل فيهم، ثم خرج إلينا مقبلاً فصاح في الناس، فقالوا: سبحان الله ألقى بيده إلى التهلكة، فقال أبو أيوب الأنصاري صاحب رسول الله ﷺ: أيها الناس: إنكم تتأولون هذه الآية على هذا التأويل، وإنما أنزلت فينا معشر الأنصار، إنا لما أعز الله دينه وكثر ناصريه قال بعضنا لبعض سراً من رسول الله ﷺ: إن أموالنا قد ضاعت فلو أقمنا فيها فأصلحنا منها، فرد الله علينا ما هممنا به قال: فأنزل الله تبارك وتعالى: (وأنفقوا في سبيل الله ولا تلقوا بأيديكم إلى التهلكة) فكانت التهلكة في الإقامة على أموالنا التي أردنا فأمرونا بالغزو، فمزال أبو أيوب غازياً في سبيل الله حتى قبضه الله عز وجل⁽²⁷⁴⁾. وكذلك روى عن ابن عباس، قال: « نزلت في أناس من الأعراب سألوا رسول الله صلى الله عليه وسلم، فقالوا: بماذا نتجهز؟ فوالله ما لنا زاد⁽²⁷⁵⁾ ».

فيكون عندنا خمسة آثار في النفقة وواحد في القنوط من رحمه الله عند ارتكاب الذنب، وهذه الآية مكونة من مقطعين، الأول (وأنفقوا في سبيل الله) الثاني (ولا تلقوا بأيديكم إلى التهلكة) . فالأول: أمر بالنفقة في سبيل الله تعالى فيشمل جميع الآثار الواردة في النفقة.

الثاني: النهي عن الإلقاء بالنفس في التهلكة. فيكون المراد بالتهلكة هنا واحد من أربعة أمور ذكرها الإمام ابن الجوزي رحمه الله. أحدها: أنها ترك النفقة في سبيل الله، قاله حذيفة، وابن عباس، والحسن، وابن جبير، وعكرمة، ومجاهد، وقتادة، والضحاك، والثاني: أنها القعود عن الغزو شغلاً بالمال، قاله أبو أيوب الأنصاري. والثالث: أنها القنوط من رحمة الله، قاله البراء، والنعمان بن بشير، وعبيدة. والرابع: أنها عذاب الله، رواه ابن أبي طلحة عن ابن عباس⁽²⁷⁶⁾.

⁽²⁶⁹⁾ صحيح البخاري 4/1642 ح (4244) سنن البيهقي الكبرى 9/45 ح (17702) المعجم الأوسط 2/202 ح (1724)

⁽²⁷⁰⁾ سنن الترمذي 5/212 ح (2972) وقال حسن صحيح غريب صحيح ابن حبان 11/9 ح (4711) مستدرک الحاكم 2/ 302 ح (3088) وقال صحيح على شرط الشيخين ولم يخرجاه، سنن النسائي الكبرى 6/298 ح (11028) سنن البيهقي الكبرى 9/45 ح (17704) وإسناده صحيح قال ابن حبان رحمه الله: أخبرنا أحمد بن علي بن المثنى قال حدثنا عمرو بن الضحاك بن مخلد قال حدثنا أبي قال حدثنا حيوة بن شريح قال سمعت يزيد بن أبي حبيب يقول حدثني أسلم أبو عمران مولى الكندة قال كنا بمدينة الروم فأخرجوا إلينا صفا عظيماً من الروم وخرج إليهم مثله أو أكثر وعلى أهل مصر عقبة بن عامر صاحب رسول الله ﷺ فحمل رجل من المسلمين على صف الروم حتى دخل فيهم فصاح به الناس وقالوا سبحان الله تلقى بيدك إلى التهلكة فقام أبو أيوب الأنصاري - وذكر الحديث قلت ذكرت هذا الإسناد لأن فيه التصريح بالسمع فانتفتت شبهت التندليس والإرسال بحمد الله وشيخ ابن حبان أحمد بن علي بن المثنى هو أبو يعلى الموصلي صاحب المسند، وشيخه قال الحافظ في التقریب ثقة

⁽²⁷¹⁾ المعجم الكبير 22/390 ح (969) قال حدثنا عبيد بن غنم ثنا أبو بكر بن أبي شيبة ثنا عبد الله بن إدريس عن داود بن أبي هند عن الشعبي عن أبي جبير بن الضحاك الأنصاري قال - ذكر الحديث « قلت: أبو جبير بن الضحاك ذكره في الصحابة، وهو مقل له هذا الحديث في سبب نزول الآية، وذكروا له حديثاً في سبب نزول قول الله تعالى: (ولا تنابزوا بالألقاب) انظر ترجمته في تهذيب الكمال والإصابة وأما عن سماع الشعبي منه فصحيح ثابت عند أحمد وغيره وإسناده هذا الحديث حسن وأما عبيد بن غنم شيخ الطبراني فقد قال فيه الذهبي في سير أعلام النبلاء/ 13/ 558 المؤلف: شمس الدين أبو عبد الله محمد بن أحمد الذهبي المحقق: مجموعة محققين بإشراف شعيب الأرنؤوط الناشر: مؤسسة الرسالة عدد الأجزاء: 23 عبيد بن غنم ابن القاضي حصص بن غياث الإمام المحدث الصادق أبو محمد النخعي الكوفي قيل اسمه عبد الله حدث عن أبي بكر بن أبي شيبة ومحمد بن عبد الله بن نمير وجبارة - ابن المغلس وعلي بن حكيم الأودي وأبي كريب وعده حدث عنه أبو العباس بن عقدة ويزيد بن محمد بن إياس الموصلي وأبو القاسم الطبراني وأبو بكر عبيد الله بن يحيى الطلحي وآخرون وكان مكثراً عن ابن أبي شيبة مولده في سنة إحدى عشرة ومئتين قاله ابن عقدة ومات في نصف ربيع الآخر سنة سبع وتسعين ومئتين وتآليف أبي نعيم مشحونة بحديث ابن غنم وهو ثقة وبقي إسناده ثقات مشهورين.

⁽²⁷²⁾ المعجم الأوسط 6/21 ح (5672) وإسناده حسن، قال الهيثمي في مجمع الزوائد 6/ 317 المؤلف: أبو الحسن نور الدين علي بن أبي بكر بن سليمان الهيثمي (المتوفى: 807هـ) المحقق: حسام الدين القدسي الناشر: مكتبة القدسي، القاهرة

عام النشر: 1414 هـ، 1994 م عدد الأجزاء: 10 رجاله رجال الصحيح قال الإمام الطبراني حدثنا محمد بن عبد الله الحضرمي قال ثنا هذبة بن خالد قال ثنا حماد بن سلمة عن سماك بن حرب عن النعمان بن بشير - به قلت: إسناده على شرط مسلم

⁽²⁷³⁾ تفسير ابن جرير 2/203 مستدرک الحاكم 2/302 ح (3089) وإسناده صحيح وليس فيه التصريح بسبب النزول.

⁽²⁷⁴⁾ سنن أبي داود (320 /2) سنن الترمذي (212 /5)

⁽²⁷⁵⁾ تفسير البحر المحيط - (37 /2)

⁽²⁷⁶⁾ زاد المسير في علم التفسير (185 /1)

[تفسير مختصر للآية]

(وأنفقوا في سبيل الله في طاعة الله تعالى من الجهاد وغيره (ولا تلقوا بأيديكم إلى التهلكة) ولا تُمسكوا عن الإنفاق في الجهاد (وأحسنوا) أي: الظن بالله تعالى في الثواب والإخلاف عليكم⁽²⁷⁷⁾ .

(وَأْتِمُوا الْحَجَّ وَالْعُمْرَةَ لِلَّهِ فَإِنْ أُحْصِرْتُمْ فَمَا اسْتَيْسَرَ مِنَ الْهَدْيِ وَلَا تَحْلِقُوا رُءُوسَكُمْ حَتَّىٰ يَبْلُغَ الْهَدْيُ مَحَلَّهُ فَمَنْ كَانَ مِنْكُمْ مَّرِيضًا أَوْ بِهَ أذىً مِنْ رَأْسِهِ فَفِدْيَةٌ مِنْ صِيَامٍ أَوْ صَدَقَةٍ أَوْ نُسُكٍ فَإِذَا أَمِنْتُمْ فَمَنْ تَمَتَّعَ بِالْعُمْرَةِ إِلَى الْحَجِّ فَمَا اسْتَيْسَرَ مِنَ الْهَدْيِ فَمَنْ لَمْ يَجِدْ فَصِيَامٌ ثَلَاثَةَ أَيَّامٍ فِي الْحَجِّ وَسَبْعَةً إِذَا رَجَعْتُمْ تِلْكَ عَشْرَةٌ كَامِلَةٌ ذَلِكَ لِمَنْ لَمْ يَكُنْ أَهْلَهُ حَاضِرِي الْمَسْجِدِ الْحَرَامِ وَانْفُوا اللَّهَ وَعَلَّمُوا أَنَّ اللَّهَ شَدِيدُ الْعِقَابِ ١٩٦)

قوله تعالى: (وأتموا الحج والعمرة لله).

106. أخرج ابن أبي حاتم عن صفوان ابن أمية قال: « جاء رجل إلى النبي صلى الله عليه وسلم متضخماً⁽²⁷⁸⁾ بالزعران عليه جبة، فقال: كيف تأمرني يا رسول الله في عمري؟ فأنزل الله: (وأتموا الحج والعمرة لله) فقال: « أين السائل عن العمرة؟ » قال: ها أنذا، فقال له □ : « ألق عنك ثيابك ثم اغتسل واستنشق ما استطعت، ثم ما كنت صانعاً في حجك فاصنعه في عمرك⁽²⁷⁹⁾ » .

[تعليق]

ذكر المؤلف هذا الأثر في سبب نزول هذه الآية، قال الهيثمي: رجاله رجال الصحيح وفي إسناده أبو الزبير المكي وهو مدلس وقد عنعن، وهذه القصة مروية في الصحيح من غير ذكر سبب نزول الآية، وهذا يدل على ضعفها أيضاً. قال الإمام الطبراني حدثنا أحمد قال حدثنا محمد بن سابق قال حدثنا إبراهيم بن طهمان عن أبي الزبير عن عطاء بن أبي رباح عن صفوان بن يعلى بن أمية عن أبيه قال - فذكره .

وذكر القرطبي سبباً آخر عن مقاتل قال: وقال مقاتل: إتمامها ألا تستحلوا فيهما ما لا ينبغي لكم، وذلك أنهم كانوا يشركون في إحرامهم فيقولون: لبيك اللهم لبيك، لا شريك لك إلا شريكاً هو لك، تملكه وما ملك. فقال: فأتموهما ولا تخلطوهما بشيء آخر⁽²⁸⁰⁾ . انتهى

صرح الحافظ بأنه قول آخر في أسباب النزول وهو غير صريح بالإضافة أنه مرسل. فالآية أمر من الله تعالى للمؤمنين بإتمام الحج والعمرة وفي إتمامها عدة أقوال لأهل العلم.

قال ابن الجوزي: وفي إتمامها أربعة أقوال. أحدها: أن معنى إتمامها: أن يفصل بينهما، فيأتي بالعمرة في غير أشهر الحج، قاله عمر بن الخطاب، والحسن، وعطاء. والثاني: أن يحرم الرجل من ديرة أهله، قاله علي بن أبي طالب، وطاوس، وابن جبير. والثالث: أنه إذا شرع في أحدهما لم يفسخه حتى يتم، قاله ابن عباس.

والرابع: أنه فعل ما أمر الله فيهما، قاله مجاهد⁽²⁸¹⁾ .

قوله تعالى: (فمن كان منكم مريضاً) - الآية.

107. روى البخاري عن كعب بن عجرة: « أنه سئل عن قوله (ففدية من صيام) قال: حملت إلى النبي □ والقمل يتناثر على وجهي فقال: « ما كنت أرى أن الجهد بلغ بك هذا، أما تجد شاة؟ » قلت: لا قال: « صم ثلاثة أيام وأطعم ستة مساكين لكل مسكين نصف صاع من طعام واحلق رأسك »، فنزلت في خاصة وهي لكم عامة⁽²⁸²⁾ . »

108. وأخرج أحمد عن كعب قال: « كنا مع النبي صلى الله عليه وسلم بالحديبية ونحن محرمون، وقد حصر المشركون، وكانت لي وفره فجعلت الهوام تساقط على وجهي، فمر بي النبي □ فقال « أيؤذيك هوام رأسك » فأمره أن يحلق قال: ونزلت هذه الآية: (فمن كان منكم مريضاً أو به أذى من رأسه ففدية من صيام أو صدقة أو نسك)⁽²⁸³⁾ .

109. وأخرج الواحدي من طريق عطاء عن ابن عباس قال: « لما نزلنا الحديبية جاء كعب بن عجرة تنثر هوام

(277) الوجيز للواحدي (50)

(278) (ضمخ) جسده وغيره بالطيب وغيره ضمخاً لطحه به المعجم الوسيط (1/543)

(279) تفسير ابن أبي حاتم 1/334 المعجم الأوسط 2/226 ح (1815) التمهيد لابن عبد البر 2/251

(280) تفسير القرطبي - (2/366)

(281) زاد المسير في علم التفسير (1/185)

(282) صحيح البخاري 2/645 ح (1721) صحيح مسلم 2/859 ح (1201) سنن أبي داود 2/172 ح (1860) سنن الترمذي 5/212 ح (2973) سنن النسائي 5/194 ح

(2851) سنن ابن ماجه 1/1028 ح (3079) موطأ مالك 1/417 ح (973) مسند أحمد 4/242 ح (18134) صحيح ابن حبان 9/296 ح (3984) صحيح ابن خزيمة

4/196 ح (2677) النسائي الكبرى 2/448 ح (4113) سنن البيهقي الكبرى 5/169 ح (9574) المعجم الكبير 19/112 ح (230) كذلك أخرجه في الأوسط مسند

الطيالسي 1/143 ح (1062) مسند ابن الجعد 1/102 ح (607) تفسير الطبري 2/230 وغيرهم.

(283) مسند أحمد 4/241 ح (18126) وهو في الصحيح وغيره بمعناه

رأسه على وجهه فقال: يا رسول الله هذا القمل قد أكلني، فأنزل الله في ذلك الوقت: (فمن كان منكم مريضاً) - الآية (284) «.

[تعليق]

ذكر المؤلف ثلاثة آثار وسبب النزول فيها واضح أنها نزلت في الصحابي كعب بن عجرة، لكن حكمها عام لجميع الأمة، وهذه الفدية المذكورة في الآية هي فدية الأذى وهي فدية لا رتكاب الحاج محظوراً من محظورات الإحرام، كلبس المخيط أو التطيب أو قص الشع والأظافر أو تغطية الرأس متعمداً، والفدية هي إما: صيام ثلاثة أيام في أي مكان، أو إطعام ستة مساكين من فقراء الحرم، أو ذبح شاة تذبح وتوزع على فقراء الحرم. وهو بالخيار حسب استطاعته بين هذه الثلاثة، لقوله تعالى (فمن كان منكم مريضاً أو به أذى من رأسه ففدية من صيام أو صدقة أو نسك) وأو هنا للتخير والله تعالى أعلم.

[تفسير مختصر للآيات السابقة]

(وأتموا الحج والعمرة لله) بمناسكهما وحدودهما وسننهما، وتأدية كل ما فيهما (فإن أحصرتم) حبستم ومنعتم دون تمامهما (فما استيسر) فواجب عليكم ما تيسر (من الهدى) وهو ما يهدي إلى بيت الله سبحانه، أعلاه بدنة، وأوسطه بقرة، وأدناه شاة، فعليه ما تيسر من هذه الأجناس (ولا تحلقوا رؤوسكم) أي: لا تحلقوا من إحرامكم (حتى يبلغ الهدى محلّه) حتى يُنحر الهدى بمكة في بعض الأقوال، وهو مذهب أهل العراق، وفي قول غيرهم: محلّه حيث يحلّ ذبحه ونحره، وهو حيث أحصر، وهو مذهب الشافعي (فمن كان منكم مريضاً أو به أذى من رأسه) [يعني الهوام تقع في الشعر وتكثر] فحلق (ففدية من صيام) وهو صيام ثلاثة أيام (أو صدقة) وهي إطعام ستة مساكين لكل مسكين مدان (أو نسك) ذبيحة (فإذا أمنتم) أي: من العدو، أو كان حج ليس فيه خوف من عدو (فمن تمتع بالعمرة إلى الحج) أي: قدم مكة محرماً واعتمر في أشهر الحج، وأقام حلالاً بمكة حتى ينشئ منها الحج عامه ذلك، واستمتع بمحظورات الإحرام؛ لأنه حلّ بالعمرة، فمن فعل هذا (ف) عليه (ما استيسر من الهدى) فمن لم يجد ثمن الهدى (فصيام ثلاثة أيام في) أشهر (الحج وسبعة إذا رجعت) أي: بعد الفراغ من الحج (تلك عشرة كاملة ذلك) أي: ذلك الفرض الذي أمرنا به من الهدى أو الصيام (لمن لم يكن أهله حاضري المسجد الحرام) أي: لمن لم يكن من أهل مكة (285).

(الْحَجُّ أَشْهُرٌ مَّعْلُومَةٌ فَمَنْ فَرَضَ فِيهِنَّ الْحَجَّ فَلَا رَفْتٌ وَلَا فُسُوقٌ وَلَا جِدَالٌ فِي الْحَجِّ وَمَا تَفَعَّلُوا مِنْ خَيْرٍ يَعْلَمَهُ اللَّهُ وَتَزَوَّدُوا فَإِنَّ خَيْرَ الزَّادِ التَّقْوَى وَاتَّقُوا يَا أُولِي الْأَلْبَابِ (197))

قوله تعالى: (وتزودوا) - الآية

110. روى البخاري وغيره عن ابن عباس قال: «كان أهل اليمن يحجون ولا يتزودون ويقولون نحن متوكلون، فأنزل الله: (وتزودوا فإن خير الزاد التقوى)» (286) «.

[تعليق]

ذكر المؤلف رحمه الله هذا الأثر عن ابن عباس، وقد روى عدة روايات عن التابعين ما يوافق هذا القول. وفي بعضها العموم يعني ليس مخصوصاً بأهل اليمن فروى الطحاوي عن مجاهد، في قوله عز وجل: " (وتزودوا فإن خير الزاد التقوى) "، قال: كان أهل الأفاق يخرجون إلى الحج يتوصلون الناس بغير زاد، فأمرُوا أَنْ يَتَزَوَّدُوا (287) " وعن مقاتل قال: وذلك أن ناساً من أهل اليمن وغيرهم كانوا يحجون بغير زاد، وكانوا يصيبون من أهل الطريق ظلماً، فأنزل الله عز وجل: (وتزودوا) من الطعام ما تكفون به وجوهكم عن الناس وطلبهم (288).

قلت: يعلم مما تقدم كون الآية نزلت في أهل اليمن وغيرهم، ممن كانوا يحجون ولا يأخذون الزاد ما يكفيهم، ثم إذا قدموا مكة تكفوا الناس، فأنزل الله عز وجل الآية أمراً لهم بأخذ الزاد. فعلى هذا القول المراد " بالزاد " هو الزاد الحسي يعني الطعام وغيره للحج.

وروى بعض المفسرين أن المراد " بالزاد " التقوى. يعني تزودوا التقوى ورده الحافظ ابن حجر فقال: وقد شد بعض العلماء فقال معناه تزودوا التقوى. قالوا المشهور من قول المفسرين أنه التزود بالمطعمات (289).

[تفسير مختصر للآية]

قال أصحابنا الجليلين:

(وَتَزَوَّدُوا) مَا يُبَلِّغُكُمْ لِسَفَرِكُمْ .
(فَإِنَّ خَيْرَ الزَّادِ التَّقْوَى) مَا يَبْقَى بِهِ سُؤَالَ النَّاسِ وَغَيْرِهِ .
(وَاتَّقُوا يَا أُولِي الْأَلْبَابِ) ذَوِي الْعُقُولِ .

(284) أسباب النزول للواحدى 56 وهو مع نزول إسناده ففيه من لم أجد له ترجمة

(285) الوجيز للواحدى (51)

(286) صحيح البخاري 2/554 ح (1451) سنن أبي داود 2/141 ح (1730) صحيح ابن حبان 6/409 ح (2691) سنن النسائي الكبرى 5/243 ح (8790) سنن البيهقي

الكبرى 4/332 ح (11033) تفسير الطبري 2/279

(287) أحكام القرآن للطحاوي (36/2) المؤلف: أبو جعفر أحمد بن محمد بن سلامة بن عبد الملك بن سلمة الأزدي الحجري المصري المعروف بالطحاوي (المتوفى:

321هـ) تحقيق: الدكتور سعد الدين أوناى الناشر: مركز البحوث الإسلامية التابع لوقف الديانة التركي، استانبول الطبعة: الأولى المجلد 1: 1416 هـ - 1995 م المجلد 2: 1418 هـ - 1998 م

(288) تفسير مقاتل بن سليمان (1/105)

(289) العجائب في بيان الأسباب (1/499)

(لَيْسَ عَلَيْكُمْ جُنَاحٌ أَنْ تَبْتَغُوا فَضْلًا مِّن رَّبِّكُمْ فَإِذَا أَفَضْتُمْ مِّنْ عَرَفَاتٍ فَاذْكُرُوا اللَّهَ عِنْدَ الْمَشْعَرِ الْحَرَامِ وَاذْكُرُوهُ كَمَا هَدَاكُمْ وَإِنْ كُنْتُمْ مِّن قَبْلِهِ لَمِن الضَّالِّينَ ١٩٨ ثُمَّ أَفِيضُوا مِنْ حَيْثُ أَفَاضَ النَّاسُ وَاسْتَغْفِرُوا اللَّهَ إِنَّ اللَّهَ غَفُورٌ رَّحِيمٌ (١٩٩))

قوله تعالى: (ليس عليكم جناح)- الآية.

111. روى البخاري عن ابن عباس قال: « كانت عكاظ ومجنته وذو المجاز (290) أسواقاً في الجاهلية، فتأثموا أن يتجروا في الموسم فسالوا رسول الله صلى الله تعالى عليه وسلم عن ذلك، فنزلت: (ليس عليكم جناح أن تبتغوا فضلاً من ربكم) في مواسم الحج (291) ». «

112. وأخرج أحمد وابن أبي حاتم وابن جرير والحاكم وغيرهم من طرق عن أبي أمامة التيمي، قال: « قلت لابن عمر إنا نكري فهل لنا من حج؟ فقال ابن عمر جاء رجل إلى النبي ﷺ فسأله عن الذي سألتني عنه فلم يجبه حتى نزل عليه جبريل بهذه الآية: (ليس عليكم جناح أن تبتغوا فضلاً من ربكم)، فدعاه النبي صلى الله عليه وسلم فقال « أنتم حجاج (292) »

[تعليق]

ذكر المؤلف رحمه الله حديثين في سبب نزول هذه الآية وكلاهما صحيح، وهما يدلان على أنهم كانوا يتجرون ويكروا في الجاهلية في مواسم الحج - وهي شوال وذو القعدة وعشر ذو الحجة وقيل كل ذي الحجة- فلما كانوا في الإسلام خافوا أن يفعلوا شيئاً حراماً في الإسلام مما كانوا يفعلونه في الجاهلية، فأنزل الله تعالى إباحة البيع والشراء والكراء في مواسم الحج، فليس على من حج أو اعتمر حرج في فعل هذه الأشياء.

والرواية الثانية: فيها أن سبب النزول كان بسبب سؤال رجل عن الكراء. وقد أخرجها الواحدي بسياق أطول من هذا فقال: عن أبي أمامة التيمي قال: سألت ابن عمر فقلت: إنا قوم ذوو كرى في هذا الوجه، وإن قوما يزعمون أنه لا حج لنا قال: أستم تلبون، أستم تطوفون بين الصفا والمروة، أستم أستم؟ قال بلى، قال إن رجلاً سأل النبي ﷺ عما سألت عنه فلم يرد عليه حتى نزلت (ليس عليكم جناح أن تبتغوا فضلاً من ربكم) فدعا قتلاً عليه حين نزلت (293). انتهى والرواية الأولى مخرجة في الصحيح والثانية إسنادها صحيح وبين الروايتين تعارض، لكن يمكن الجمع بأن يقال بأن الرجل المبهم في رواية ابن عباس هو أحد من سأل عن التجارة في مواسم الحج لأن الكراء كذلك في مواسم الحج نوع من أنواع التجارة، ويمكن في لسان العرب أن يسأل الواحد ثم يعبر عنه بالجمع، ورواية ابن عمر جواب لسؤال وهذا السؤال هل يجوز التجارة في الحج والتجارة تشمل البيع والشراء والكراء وغير ذلك، فابن عمر أجمل ما هو مفصل في رواية ابن عباس وأجاب عن السؤال عن الكراء الذي هو أحد أفراد العموم المذكور في رواية ابن عباس.

وقد ذكر الدكتور خالد المزيني في كتابه المحرر في أسباب النزول وجه الاختلاف ورجح رواية ابن عمر على رواية ابن عباس رغم أنه ذكر أن رواية ابن عباس في الصحيح ومن طرق الترجيح بين الروايات أن يكون الحديث مخرج في الصحيح كما هو معلوم من طرق الترجيح وأنا أذكر كلامه هنا إتماماً للفائدة.

قال: والتأمل تبين أن بين السببين اختلافًا، فهل يمكن الجمع بينهما أو لا بد من الترجيح؟

لم أجد من أهل العلم من تطرق لهذا ونظر فيه لكن لعل من أمثل ما يُجمع به بين السببين أن يقال: إن ابن عباس - رضي الله عنهما - علم ما حصل في القصة المذكورة التي رواها ابن عمر ثم ساقها على وجه الإجمال كما في حديثه، لكن يعكّر على هذا أن المذكور في حديث ابن عباس أسواق الجاهلية المشهورة وفيها البيع والشراء بخلاف المذكور في حديث ابن عمر فإنه الإجارة وبدون ذكر الأسواق.

ويمكن أن يقال بأن مراد ابن عباس بقوله: (فنزلت) ليس النزول المصطلح عليه عند العلماء وهو النزول عند حدوث واقعة أو إيراد سؤال فنزلت الآية جواباً لهذا لكن مراده أن الجمع بين التجارة والعبادة في الحج يتناول حكمه لفظ الآية وأنه مما أذن الله فيه لكن يعكّر على هذا قوله: فتأثموا أن يتجروا في المواسم فنزلت. فإن هذا اللفظ لا يسعف هذا الفهم.

فإذا تعذر الجمع بينهما فلا بد من الترجيح وحينئذ هل يقدم حديث ابن عباس - رضي الله عنه - لأن راويه البخاري، بخلاف حديث

(290) قال القسطلاني [عكاظ] بضم العين وتخفيف الكاف آخره طاء معجمة منونة، ولأبي ذر: عكاظ بغير تنوين [ومجنته] بكسر الميم وفتح الجيم وتشديد = النون، ولأبي ذر:

ومجنته بفتح الميم [وذو المجاز] بفتح الميم والجيم وبعد الألف زاي (أسواقاً في الجاهلية) فسوق مجنة هو سوق هجر. قال البكري: على أميال يسيرة من مكة بناحية من الظهران وكان سوقه عشرة أيام آخر ذي القعدة والعشرون قبلها سوق عكاظ وذو المجاز يقوم بعد هلال ذي الحجة شرح القسطلاني إرشاد الساري لشرح صحيح البخاري

(6/4) المؤلف: أحمد بن محمد بن أبي بكر بن عبد الملك القسطلاني القتيبي المصري، أبو العباس، شهاب الدين (المتوفى: 923هـ) الناشر: المطبعة الكبرى الأميرية، مصر الطبعة: السابعة، 1323 هـ عدد الأجزاء: 10

(291) صحيح البخاري 2/628 ح (1681) سنن أبي داود 2/ 142 ح (1734) صحيح ابن حبان 9/205 ح (3894) صحيح بن خزيمة 4/351 ح (3054) مستدرک الحاكم 1/618 ح (1648) بلفظ عن بن عباس: « أن الناس في أول الحج كانوا يتبايعون بمني وعرفة وسوق ذي المجاز و مواسم الحج، فخافوا البيوع وهم حرم، فأنزل الله تبارك وتعالى: { لا جناح عليكم أن تبتغوا فضلاً من ربكم } في مواسم الحج قال: فحدثني عبيد بن عمير أنه كان يقرأها من المصحف قال: هذا حديث صحيح على شرط الشيخين ولم يخرجاه انظر أيضاً سنن البيهقي الكبرى 3/333 ح (8441) المعجم الكبير 11/113 ح (11213) تفسير الطبري 2/283 وغيرهم.

(292) تفسير ابن أبي حاتم 1/351 مسند أحمد 2/155 ح (6434) سنن الدارقطني 2/293 ح (254) تفسير ابن جرير ص 282:2/ صحيح ابن خزيمة 4/350 ح (3051) مسند الطيالسي 1/259 ح (1909) إسناده صحيح وله متابعة. قال الإمام أحمد رحمه الله حدثنا عبد الله حدثني أبي ثنا أسباط ثنا الحسن بن عمرو الفقيمي عن أبي أمامة التيمي قال قلت لآب ابن عمر - فذكره - وقال ابن خزيمة رحمه الله ثنا الحسن بن محمد الزعفراني ثنا مروان بن معاوية ثنا العلاء بن المسيب عن أبي أمامة التيمي قال قلت

لابن عمر - به

(293) أسباب النزول للواحدي (38)

ابن عمر فراويه أحمد وأبو داود وقد أجمعت الأمة على أن أصح كتاب بعد كتاب الله تعالى الجامع الصحيح للبخاري؟
يشكل على هذا أن حديث ابن عمر صحيح لا مطعن فيه بوجه من الوجوه.
فما الجواب الفصل لحل هذا الإشكال؟

فالجواب: أن الحديث المقدم في السببية هو حديث ابن عمر - صَلَّى اللهُ عَلَيْهِ وَسَلَّمَ - وبيان ذلك أن الحديث فصل الحديث تفصيلاً يدل على الضبط والإتقان فقول ابن عمر - رَضِيَ اللهُ عَنْهُمَا -: جاء رجل إلى النبي - صَلَّى اللهُ عَلَيْهِ وَسَلَّمَ - فسأله عن الذي سألتني. يبين أن سؤاله كسؤال النبي - صَلَّى اللهُ عَلَيْهِ وَسَلَّمَ - فالقضية فيها سؤال، والسؤال أيضاً عن الكراء في الحج ثم قوله: فلم يجبه حتى نزل عليه جبريل بهذه الآية، دليل صريح على أن الآية نزلت بسبب سؤال الرجل.
وقوله: فدعاه النبي - صَلَّى اللهُ عَلَيْهِ وَسَلَّمَ - دليل على ما تقدم إذ لو كانوا جماعة كما في حديث ابن عباس لما قال الراوي (دعاه).
ثم مما يؤيد هذا ويؤكد أن الأسواق الثلاثة تنتهي، قبل الحج وحينئذ تنفك التجارة عن العبادة فلا يبقى إشكال يُسأل عنه.
فإن قيل: كيف قال ابن عباس: فتأتموا فنزلت الآية؟

فالجواب: ربما فهم ابن عباس هذا من قوله تعالى: (لَيْسَ عَلَيْكُمْ جُنَاحٌ أَنْ تَبْتَغُوا فَضْلاً مِنْ رَبِّكُمْ) والجناح هو الإثم والحرَج كما في قوله تعالى: (إِنَّ الصَّفَا وَالْمَرْوَةَ مِنْ شَعَائِرِ اللَّهِ فَمَنْ حَجَّ الْبَيْتَ أَوْ اعْتَمَرَ فَلَا جُنَاحَ عَلَيْهِ أَنْ يَطُوفَ بِهِمَا) - الآية.

النتيجة:

أن سبب نزول الآية هو حديث ابن عمر - رَضِيَ اللهُ عَنْهُمَا - في قصة سؤال الرجل لرسول الله - صَلَّى اللهُ عَلَيْهِ وَسَلَّمَ - عن الكراء في الحج، فلم يجبه حتى نزل عليه جبريل - عليه السلام - بهذه الآية، والآية بعموم لفظها تتناول جميع التجارات في الحج وليست مقصورة على صورة السبب وذلك لصحة سند الحديث، وتصريحه بالنزول، وموافقته للفظ الآية والله أعلم⁽²⁹⁴⁾. انتهى
هذا ما ذكره صاحب المحرر في أسباب النزول. وقوله أن سوق عكاظ ومجنة تنتهي قبل الحج هذا صحيح لكنها كانت في مواسم الحج ومعلوم أنهم كانوا يحرُمون في مواسم الحج وهي شوال وذو القعدة وعشر ذي الحجة وقيل كل ذي الحجة.
كذلك تفرقه بين الكراء وبين التجارة ليس بجيد لأن الكراء أحد أنواع التجارة ومما يؤيد ذلك ما أخرجه عبد بن حميد عن أبي أميمة قال سمعت ابن عمر سئل عن الرجل يحج فيتجر فقال لا بأس بذلك وتلا (ليس عليكم جناح أن تبتغوا فضلاً من ربكم) انتهى⁽²⁹⁵⁾.

فهذه فتوي ابن عمر وهو راوي أثر سبب النزول الذي فيه الكراء، فتبين منه عدم التفرقة بين التجارة والكراء.
وقد ورد في سبب نزول الآية سبب آخر ذكره الإمام ابن حجر في العجَاب وعزاه إلى عبد بن حميد. وقال عبد بن حميد حدثنا أبو نعيم ثنا عمر بن ذر عن مجاهد: كان ناس يحجون ولا يتجرون فنزلت. (ليس عليكم جناح أن تبتغوا فضلاً من ربكم) فرخص لهم في المتجر والركوب والزيادة⁽²⁹⁶⁾.
ففي هذا السبب أن الرخصة كانت لامتناعهم عن التجارة فنزلت الآية مبيحة للتجارة والسبب الأول كان لأنهم كانوا يتاجرون في الجاهلية فسألوا عن التجارة في مواسم الحج في الإسلام فرخص لهم في ذلك.
ووجه الجمع سهل، أن يقال بأنهم هم أنفسهم الذين كانوا يتاجرون في الجاهلية في مواسم الحج، فلما جاء الإسلام تخرجوا من التجارة فامتنعوا منها، حينئذ سألوا النبي ﷺ، فنزلت الرخصة في ذلك والله تعالى أعلم.
وقد ورد في سبب نزول هذه الآية آثار أخرى لكنها لا تخرج في المعنى عن ما تقدم فلذلك أكتفي بما ذلك وبالله التوفيق.

[تفسير مختصر للآيات]

(ليس عليكم جناح...) الآية. كان قومٌ يزعمون أنه لا حجٌ لتاجر ولا جَمَالٍ، فأعلم الله تعالى أنه لا حرج في ابتغاء الرزق بقوله: (ليس عليكم جناح أن تبتغوا فضلاً من ربكم) أي: رزقاً بالتجارة في الحج⁽²⁹⁷⁾.

قوله تعالى: (ثم أفيضوا) .

113. أخرج ابن جرير عن ابن عباس قال: « كانت العرب تقف بعرفه، وكانت قريش تقف دون ذلك بالمزدلفة، فأنزل الله (ثم أفيضوا من حيث أفاض الناس)⁽²⁹⁸⁾ » .
114. وأخرج ابن المنذر عن أسماء بنت أبي بكر قالت: « كانت قريش يقفون بالمزدلفة ويقف الناس بعرفة إلا شيبه بن ربيعة فأنزل الله (ثم أفيضوا من حيث أفاض الناس)⁽²⁹⁹⁾ » .

[تعليق]

ذكر المؤلف رحمه الله هنا هذين الأثرين. وفيما أن سبب النزول كان في قريش حيث كانوا يقفون بمزدلفة - كبراً واستعلاء - وذلك قبل الإسلام ومن المعلوم أن مناسك الحج كانت في العرب قبل الإسلام، أخرج عبد بن حميد من طريق معمر عن الزهري: "كان الناس يقفون بعرفة إلا قريشاً وأحلافها وهم الحمس فقال بعضهم لبعض: لا تعظموا إلا الحرم، فإنكم إن عظمت

(294) المحرر في أسباب نزول القرآن من خلال الكتب التسعة (1/ 257) المؤلف: خالد بن سليمان المزني الناشر: دار ابن الجوزي، الدمام - المملكة العربية السعودية

الطبعة: الأولى، (1427 هـ - 2006 م) عدد الأجزاء: 2

(295) العجَاب في بيان الأسباب (1/ 501)

(296) العجَاب في بيان الأسباب (1/ 501)

(297) الوجيز للواحد (52)

(298) تفسير ابن جرير 2/292 ورجاله رجال الصحيح قال حدثني أحمد بن محمد الطوسي قال ثنا أبو توبة قال ثنا أبو إسحاق الفزاري عن سفيان عن حسين بن عبيد الله عن

عكرمة عن بن عباس به

(299) لم أقف على إسناده.

غير الحرم أو شك أن يتهاون الناس بحرمكم فقصروا عن موقف الحق فوقفوا بجمع، فأمرهم الله أن يفيضوا من حيث أفاض الناس⁽³⁰⁰⁾.

وفي هذا الأثر دليل على أنهم إنما فعلوه استعلاءً، ويشهد له ما رواه ابن جرير عن ابن أبي نجيح، قال: كانت قريش - لا أدري قبل الفيل أم بعده - ابتدعت أمر الحمس، رأيا رأوه بينهم، قالوا: نحن بنو إبراهيم وأهل الحرم وولاية البيت، وقاطنو مكة وساكنتوها، فليس لأحد من العرب مثل حقنا ولا مثل منزلنا، ولا تعرف له العرب مثل ما تعرف لنا، فلا تعظموا شيئاً من الحل كما تعظمون الحرم، فإنكم إن فعلتم ذلك استخفت العرب بحرمكم. وقالوا: قد عظموا من الحل مثل ما عظموا من الحرم، فتركوا الوقوف على عرفة، والإفاضة منها، وهم يعرفون ويقرون أنها من المشاعر والحج ودين إبراهيم، ويرون لسائر الناس أن يقفوا عليها، وأن يفيضوا منها، إلا أنهم قالوا: نحن أهل الحرم، فليس ينبغي لنا أن نخرج من الحرم، ولا نعظم غيرها كما نعظمها نحن الحمس - والحمس: أهل الحرم.

ثم جعلوا لمن ولدوا من العرب من ساكني الحل مثل الذي لهم بولادتهم إياهم، فيحل لهم ما يحل لهم، ويحرم عليهم ما يحرم عليهم. وكانت كنانة وخزاعة قد دخلوا معهم في ذلك. ثم ابتدعوا في ذلك أموراً لم تكن، حتى قالوا: «لا ينبغي للحمس أن يأفطوا الأقط، ولا يسألوا السمن وهم حرم، ولا يدخلوا بيتاً من شعر، ولا يستظلوا إلا في بيوت الأدم ما كانوا حراماً». ثم رفعوا في ذلك فقالوا: «لا ينبغي لأهل الحل أن يأكلوا من طعام جاءوا به معهم من الحل في الحرم، إذا جاءوا حجاً أو عمارة، ولا يطوفون بالبيت إذا قدموا أول طوافهم إلا في ثياب الحمس، فإن لم يجدوا منها شيئاً طافوا بالبيت عراة». فحملوا على ذلك العرب فدانته، وأخذوا بما شرعوا لهم من ذلك، فكانوا على ذلك حتى بعث الله محمداً ﷺ، فأنزل الله - حين أحكم له دينه وشرع له حجه: " ثم أفيضوا من حيث أفاض الناس واستغفروا الله إن الله غفور رحيم" - يعني قريشاً، و"الناس" العرب - فرفعهم في سنة الحج إلى عرفات، والوقوف عليها، والإفاضة منها. فوضع الله أمر الحمس - وما كانت قريش ابتدعت منه - عن الناس بالإسلام حين بعث الله رسوله⁽³⁰¹⁾. انتهى

[قول آخر في سبب نزول الآية]

أخرج ابن جرير وقال آخرون: المخاطبون بقوله: (ثم أفيضوا)، المسلمون كلهم، والمعني بقوله: (من حيث أفاض الناس)، من جمع، وب (الناس)، إبراهيم خليل الرحمن عليه السلام⁽³⁰²⁾. انتهى
ثم أسند عن الضحاك، قال: هو إبراهيم. ثم رجح ابن جرير القول الأول وهو الراجح لصحة الحديث الوارد فيها وأثر الضحاك مرسل. والله تعالى أعلم.

[تفسير مختصر للآية]

(ثم أفيضوا من حيث أفاض الناس) يعني: العرب وعامة الناس إلا قريشاً، وذلك أنهم كانوا لا يقفون بعرفات وإنما يقفون بالمزدلفة ويقولون: نحن أهل حرم الله، فلا نخرج منه، فأمرهم الله أن يقفوا بعرفات، كما يقف سائر الناس حتى تكون الإفاضة معهم منها⁽³⁰³⁾.

(فَإِذَا قَضَيْتُمْ مَنَسِكَكُمْ فَادْكُرُوا اللَّهَ كَذِكْرِكُمْ ءَابَاءَكُمْ أَوْ أَشَدَّ ذِكْرًا فَمِنَ النَّاسِ مَن يَقُولُ رَبَّنَا ءَاتِنَا فِي الدُّنْيَا وَمَا لَهُ فِي الْآخِرَةِ مِن خَلْقٍ) (٢٠٠)

قوله تعالى: (فإذا قضيتم) - الآية

115. أخرج ابن أبي حاتم عن ابن عباس قال: «كان أهل الجاهلية يقفون في الموسم، يقول الرجل منهم: كان أبي يطعم ويحمل الحملات ويحمل الديات، ليس لهم ذكر غير فعال آبائهم، فأنزل الله: (فإذا قضيتم مناسككم فاذكروا الله) - الآية⁽³⁰⁴⁾».

116. وأخرج ابن جرير عن مجاهد قال: «كانوا إذا قضوا مناسكهم وقفوا عند الجمرة وذكروا آباءهم في الجاهلية وفعال آبائهم فنزلت هذه الآية⁽³⁰⁵⁾».

117. وأخرج ابن أبي حاتم عن ابن عباس قال: «كان قوم من الأعراب يجيئون إلى الموقف فيقولون: اللهم اجعله عام غيث و عام خصب و عام ولاء و حسن، لا يذكرون من أمر الآخرة شيئاً فأنزل الله فيهم: (فمن الناس من يقول ربنا آتنا في الدنيا وما له في الآخرة من خلاق)، ويجيء بعدهم آخرون من المؤمنين فيقولون: (ربنا آتنا في الدنيا حسنة وفي الآخرة حسنة وقنا عذاب النار) فأنزل الله فيهم: (

(300) العجابه في بيان الأسباب (1/ 506)

(301) جامع البيان (تفسير الطبري) (4/ 189)

(302) جامع البيان (تفسير الطبري) (4/ 189)

(303) الوجيز للواحد (53)

(304) تفسير ابن أبي حاتم 2/355 والضيء في المختارة 10/111 ح (108) وإسناده لا بأس به، قال الضياء رجع الله وبه أخبرنا أبو بكر أحمد بن موسى ثنا محمد بن أحمد بن إبراهيم ثنا أبو سعيد الدشتكي ثنا أبي قال حدثني أبي عن أبيه عن أشعث بن إسحاق عن جعفر بن أبي المغيرة عن سعيد بن جبير عن ابن عباس - به وفيه من اللطائف رواية الابن عن أبيه عن أبيه عن أبيه، أحمد بن عبد الرحمن بن عبد الله بن سعد بن عثمان الدشتكي فكلهم ذرية بعضها من بعض في حمل حديث الرسول ﷺ، ورواه ابن جرير 2/296 من حديث أنس بن مالك بمعناه، وفي إسناده القاسم بن عثمان ذكره العقيلي في كتابه الضعفاء وقال: لا يتابع على حديثه، وذكره البخاري في التاريخ وابن أبي حاتم ولم يذكره بجرح وذكره ابن حبان في الثقات لهو روى ابن جرير معناه عن مجاهد وقادة وغيرهما

(305) تفسير ابن جرير 2/296 وفيه راو مبهم وذكر له عدة روايات ولا تخلو كل رواية من نظر بالإضافة إلى إرساله فإن مجاهد أرسله

[تعليق]

ذكر المؤلف رحمه الله ثلاثة آثار في سبب نزول هذه الآيات، فأما الأولان فهما متعلقان بقوله تعالى (فأذكروا الله كذركم آباءكم أو أشد ذكراً) والثالث متعلق بقوله تعالى: (فَمِنَ النَّاسِ مَن يَقُولُ رَبَّنَا آتِنَا فِي الدُّنْيَا وَمَا لَهُ فِي الْآخِرَةِ مِنْ خَلَقٍ) وقد ورد الجمع بينهما في بعض الآثار، وهذا هو السبب الذي جعلني أجمع بينهما في سبب نزول هذه الآية.

وهذه الآثار سبب نزولها ما كان عليه أهل الجاهلية- وقيل قوم من الأعراب كما في رواية مجاهد الثانية - فكانوا يذكرون مناقب وكرم وآثار آبائهم، ولا يذكرون الله تعالى. فأمر الله تعالى المؤمنين في عدم التأسى بأفعالهم، بل يكون ذكر الله تعالى هو الغالب على قلب الحاج دون ذكر غيره.

وأخرج الطبري في تفسيره عن أنس في هذه الآية، قال: «كانوا يذكرون آباءهم في الحج، فيقول بعضهم: كان أبي يطعم الطعام، ويقول بعضهم: كان أبي يضرب بالسيف! ويقول بعضهم: كان أبي جز نواصي بني فلان» (307).

وأما محل ذكر الآباء فقد اختلف في موضعه. فبعض الآثار وردت في أثناء الحج كالآثر الأول وبعضها ورد عند قضاء الحج.

فأخرج الطبراني في كتاب الدعاء من طريق أبي سعد البقال عن أبي عون الثقفي قال شهدت خطبة عبد الله بن الزبير - فنذكر قصة طويلة - وفيها وكانوا إذا فرغوا من جههم تفاخروا بالآباء فأنزل الله عز وجل (فأذكروا الله كذركم آباءكم أو أشد ذكراً) (308). وقد ورد كذلك أن محل هذا الذكر كان يوم النحر فروى الطبري عن مجاهدًا يقول ذلك يوم النحر، حين ينحرون. قال: قال (فأذكروا الله كذركم آباءكم) قال: كانت العرب يوم النحر حين يفرغون يتفاخرون بفعال آبائهم، فأمروا بذكر الله عز وجل مكان ذلك (309).

وكل هذا محتمل. فهم كانوا يذكرون الآباء في أول الحج أو آخره أو يوم النحر. لكن سياق الآيات يدل على أن محل هذا الذكر كان آخر الحج لقوله تعالى (فإذا قضيتم مناسككم) والله تعالى أعلم.

[قول آخر في سبب النزول]

ورد أن سبب النزول في قول الصبيان: أبي أبي. فيكون المعنى فأذكروا الله كذركم الصبيان آبائهم وأمهاتهم عند الصغر، فكما أن الطفل الصغير يكثر من قوله " أبي " " أمي " فكذلك كونوا أنتم.

فروى الطبري عن عطاء أنه قال في هذه الآية: " كذركم آباءكم " قال: هو قول الصبي: يا أباه! وعن الضحاك: " فأذكروا الله كذركم آباءكم " يعني بالذكر، ذكر الأبناء والآباء (310). والله أعلم.

[قول آخر في سبب النزول]

روى ابن أبي حاتم عن أبي الجوزاء، قال: قلت لابن عباس: قول الله: (كذركم آباءكم أو أشد ذكراً) قال: إن الرجل ليأتي عليه اليوم وما يذكر أباه. قال: انه ليس بذلك. ولكن يقول تغضب لله إذا عصي، أشد من غضبك إذا ذكر والدك بسوء، أو أشد (311).

قلت: فيكون المراد بالذكر هنا الغضب لله كما تغضب للابيك إذا ذكر بسوء.

ووجه الجمع بين كل هذه الآثار محتملة.

وأما ترجيح الإمام الطبري حيث قال في تفسيره: والصواب من القول عندي في تأويل ذلك أن يقال: إن الله جل ثناؤه أمر عباده المؤمنين بذكره بالطاعة له في الخضوع لأمره والعبادة له، بعد قضاء مناسكهم. وذلك "الذكر" جائز أن يكون هو التكبير الذي أمر به جل ثناؤه بقوله: (وَادْكُرُوا اللَّهَ فِي أَيَّامٍ مَّعْدُودَاتٍ) [سورة البقرة: 203] الذي أوجبه على من قضى نسكه بعد قضائه نسكه، فألزمه حينئذ من ذكره ما لم يكن له لازماً قبل ذلك، وحث على المحافظة عليه محافظة الأبناء على ذكر الآباء في الآثار منه بالاستكانة له والتضرع إليه بالرغبة منهم إليه في حوائجهم كتضرع الولد لوالده، والصبي لأمه وأبيه، أو أشد من ذلك، إذ كان ما كان بهم وبآبائهم من نعمة فمنه، وهو وليه (312). انتهى

قلت: فهذا تفسير لمعنى الآية لا في سبب النزول.

وأما الأثر الثالث: وهو متعلق بقوله تعالى (فَمِنَ النَّاسِ مَن يَقُولُ رَبَّنَا آتِنَا فِي الدُّنْيَا وَمَا لَهُ فِي الْآخِرَةِ مِنْ خَلَقٍ) وفيه أنها نزلت في قوم من الأعراب كانوا إذا حجوا لم يسألوا الله تعالى شيئاً من أمور الآخرة، إنما همهم الشاغل هو السؤال عن حاجات الدنيا الزائلة. فأمرهم الله تعالى أن يسأوا في المسألة بين أمور الدنيا والآخرة فقال لهم (ومن الناس من يقول ربنا آتينا في الدنيا حسنة وفي الآخرة حسنة وقتنا عذاب النار) فهذه الآية فيها ثناء على أولئك الذين يدعون الله تعالى لأخرتهم كما يدعون لدنياهم، وحث لهم على أن يدعوا كدعائهم.

أخرج الطبراني في الدعاء عن عبد الله بن الزبير بسند فيه أبو سعد البقال، ضعفه الحافظ، قال عن أبي عون محمد بن عبيد الله الثقفي قال: « شهدت خطبة عبد الله بن الزبير فنذكر قصة طويلة - وفيها: إذا وكانوا إذا وقفوا عند المشعر الحرام دعوا فقال أحدهم: اللهم ارزقني مالاً، وقال الآخر: اللهم ارزقني إبلاً، وقال الآخر ارزقني غنماً. فأنزل الله تعالى (فمن الناس من يقول

(306) تفسير ابن أبي حاتم 2/357 والضياء في المختارة 10/112 ح (109) نفس الإسناد السابق

(307) جامع البيان (تفسير الطبري) (4/196) إسناده لا بأس به وهو شاهد لآثار الباب

(308) العجائب في بيان الأسباب (1/514)

(309) جامع البيان (تفسير الطبري) (4/198)

(310) جامع البيان (تفسير الطبري) (4/198)

(311) تفسير ابن أبي حاتم - (2/355)

(312) جامع البيان (تفسير الطبري) (4/200)

ربنا أتنا في الدنيا إلى قوله و الله سريع الحساب) (313).
وروى الطبري عن السدي: (فإذا قُضيت مناسككم فاذكروا الله كذكركم آباءكم أو أشد ذكراً)، قال: كانت العرب إذا قُضت مناسكها، وأقاموا بمنى، يقوم الرجل فيسأل الله ويقول: "اللهم إن أبي كان عظيم الجفنة عظيم القبة، كثير المال، فأعطني مثل ما أعطيت أبي!"، ليس يذكر الله، إنما يذكر آباءه، ويسأل أن يُعطي في الدنيا (314).»

[تفسير مختصر للآية]

(فإذا قُضيت مناسككم) أي: فرغتم من عبادتكم التي أمرتم بها في الحجّ (فاذكروا الله كذكركم آباءكم) كانت العرب إذا فرغوا من حجّهم ذكروا مفاخر آبائهم، فأمرهم الله عزّ وجلّ بذكره (أو أشدّ ذكراً) يعني: وأشدّ ذكراً (فمن الناس...) الآية، وهم المشركون كانوا يسألون المال والإبل والغنم، ولا يسألون حظاً في الآخرة؛ لأنهم لم يكونوا مؤمنين بها، والمسألون يسألون الحظ في الدنيا والآخرة، وهو قوله:
(ومنهم من يقول ربنا أتنا في الدنيا حسنة...) الآية. [ومعنى: (في الدنيا حسنة): العمل بما يرضي الله، (وفي الآخرة حسنة): الجنة].
(أولئك لهم نصيب مما كسبوا) أي: ثواب ما عملوا (والله سريع الحساب) مع هؤلاء؛ لأنه يغفر سيئاتهم ويضاعف حسناتهم (315).

(وَمِنَ النَّاسِ مَن يُعْجِبُكَ قَوْلُهُ فِي الْحَيَاةِ الدُّنْيَا وَيُشْهَدُ اللَّهُ عَلَىٰ مَا فِي قَلْبِهِ وَهُوَ أَلَدُّ الْخِصَامِ ٢٠٤)

قوله تعالى: (ومن الناس من يعجبك) - الآية.

118. أخرج ابن أبي حاتم من طريق سعيد أو عكرمة عن ابن عباس قال: « لما أصيبت السرية التي فيها عاصم ومرثد، قال رجلان من المنافقين: يا ويح هؤلاء المفتونين الذين هلكوا هكذا، لا هم قعدوا في أهليهم ولا هم أدوا رسالة صاحبهم، فأنزل الله: (ومن الناس من يعجبك قوله) - الآية (316) ».»
119. وأخرج ابن جرير عن السدي قال: « نزلت في الأحنس بن شريق، أقبل إلى النبي ﷺ وأظهر له الإسلام فأعجبه ذلك منه، ثم خرج فمر بزرع لقوم من المسلمين وحمر فأحرق الزرع وعقر الحمر فأنزل الله الآية (317) ».»

[تعليق]

ذكر المؤلف رحمه الله أثنين. الأول أثر ابن عباس في سرية " الرجيع " وعزاه البيهقي للواقدي قال: وغزوة الرجيع كانت في صفر على رأس ستة وثلاثين شهرا والرجيع على سبعة أميال من عسفان (318)، وأمر السرية جاء في الصحيح لكن ليس فيه سبب النزول هذا، وإسناد أثر ابن عباس غير صحيح.
الأثر الثاني: عن السدي أنها نزلت في الأحنس بن شريق، وقد روى بسياق أطول من هذا عن السدي نزلت في الأحنس بن شريق الثقفي، وهو حليف بني زهرة أقبل إلى النبي ﷺ - إلى المدينة، فأظهر له الإسلام وأعجب النبي ﷺ - ذلك منه، وقال: إنما جئت أريد الإسلام، والله يعلم إنني صادق، وذلك قوله: (وَيُشْهَدُ اللَّهُ عَلَىٰ مَا فِي قَلْبِهِ) ثم خرج من عند رسول الله ﷺ - فمر بزرع لقوم من المسلمين وحمر فأحرق الزرع وعقر الحمر. فأنزل الله تعالى فيه: (وَإِذَا تَوَلَّى سَعَى فِي الْأَرْضِ لِيُفْسِدَ فِيهَا وَيُهْلِكَ الْحَرْثَ وَالنَّسْلَ) (319).
وهذا الأثر مرسل كما ترى وكذلك الأحنس بن شريق لم يدخل الإسلام، قال ابن عطية: قال القاضي أبو محمد عبد الحق رضي الله عنه: ما ثبت قط أن الأحنس أسلم (320).
وأسنده الطبري عن الربيع قوله: (ومن الناس من يعجبك قوله في الحياة الدنيا ويشهد الله على ما في قلبه وهو ألد الخصام)، قال: هذا عبد كان حسن القول سيئ العمل، يأتي رسول الله ﷺ فيحسن له القول، (وإذا تولى سعى في الأرض ليؤفسد فيها) (321).»

والراجح أن هذه الآية عامة في كل من يظهر الإسلام ويبطن الكفر، فهي في المنافقين.
قال ابن عطية: وقال قتادة ومجاهد وجماعة من العلماء: نزلت هذه الآيات في كل مبطن كفر أو نفاق أو كذب أو إضرار وهو يظهر بلسانه خلاف ذلك، فهي عامة، وهي تشبه ما ورد في الترمذي أن في بعض كتب الله تعالى: « أن من عباد الله قوماً ألسنتهم أحلى من العسل وقلوبهم أمر من الصبر، يلبسون للناس جلود الضأن من اللين، يجترونها بالدنيا بالدين، يقول الله تعالى: أبي يغترون وعلي يجترون؟ حلفت لأسلطن عليهم فتنة تدع الحليم منهم حيران (322) ».»

[تفسير مختصر للآيات]

(313) العجاب في بيان الأسباب (1/ 517)

(314) جامع البيان (تفسير الطبري) (4/ 199)

(315) الوجيز للواحد (53)

(316) تفسير ابن أبي حاتم 2/363 تفسير ابن جرير 2/313 وفي إسناده محمد بن أبي محمد مولى زيد بن ثابت مجهول

(317) تفسير ابن جرير 2/312 من رواية أسباط عن السدي وأسباط له غرائب عن السدي فما لم يتابع فيه لا يحتج به وبالإضافة إلى إرسال الأثر فالسدي تابعي.

(318) دلائل النبوة - للبيهقي (3/ 323)

(319) أسباب النزول للواحد (39)

(320) المحرر الوجيز (1/ 227)

(321) جامع البيان (تفسير الطبري) (4/ 233)

(322) المحرر الوجيز (1/ 227)

(81)

يخبر تعالى رسوله والمؤمنين عن حال المنافقين، والمؤمنين الصادقين فقال تعالى مخاطباً الرسول □ : ومن الناس رجل منافق يحسن القول وإذا قال يعجبك قوله لما عليه من طلاء ورونق وذلك إذا تكلم في أمور الحياة الدنيا بخلاف أمور الآخرة فإنه يجهلها وليس له دافع ليقول فيها لأنه كافر، وعندما يحدث يشهد الله أنه يعتقد ما يقول فيقول للرسول □ يعلم الله أنني مؤمن وأنني احبك، ويشهد الله أنني كاذب... وإذا قام من مجلسك وانصرف عنك (سعى في الأرض) أي مشى فيها بالفسد ليهلك الحرث والنسل بارتكاب عظام الجرائم فيمنع المطر وتيبس المحاصيل الزراعية وتمحل الأرض وتموت البهائم وينقطع لانسول وعمله هذا مبعوض لله تعالى فلا يحبه ولا يحب فاعله. كما أخبر تعالى أن هذا المنافق إذا أمر بمعروف أو نهي عن منكر ففيل له اتق الله لا تفعل كذا أو اترك كذا تأخذه الأنفة والحمية بسبب ذنوبه التي هو متلبس بها فلا يتقي الله ولا يتوب إليه فيكفيه جزاء على نفاقه وشره وفساده جهنم يمتهدا فراشا ولا يبرح منها أبداً ولبئس المهاد جهنم⁽³²³⁾.

(وَمِنَ النَّاسِ مَن يَشْرِي نَفْسَهُ ابْتِغَاءَ مَرْضَاتِ اللَّهِ وَاللَّهُ رَءُوفٌ بِالْعِبَادِ ٢٠٧)

قوله تعالى: (ومن الناس من يشري نفسه) - الآية.

120. أخرج الحارث بن أبي أسامة في مسنده وابن أبي حاتم عن سعيد بن المسيب قال: «أقبل صهيب مهاجراً إلى النبي صلى الله عليه وسلم فاتبعه نفر من قريش فنزل عن راحلته وانتحل ما في كنانته ثم قال: يا معشر قريش لقد علمتم أنني من أركامكم رجلاً، وأيم الله لا تصلون إلي حتى أرمي كل سهم معي في كنانتي ثم أضرب بسيفي ما بقي في يدي منه شيء ثم افعلوا ما شئتم، وإن شئتم دللتكم على مالي بمكة وخليتم سبيلي قالوا: نعم، فلما قدم على النبي □ المدينة، قال: «ربح البيع أبا يحيى ربح أبي يحيى»، ونزلت: (ومن الناس من يشري نفسه ابتغاء مرضاة الله والله رؤوف بالعباد)⁽³²⁴⁾.
121. وأخرج الحاكم في المستدرک نحوه من طريق ابن المسيب عن صهيب موصولاً⁽³²⁵⁾.
122. وأخرج أيضاً نحوه من مرسل عكرمة⁽³²⁶⁾.
123. وأخرجه أيضاً من طريق حماد بن سلمة عن ثابت عن أنس، وفيه التصريح بنزول الآية⁽³²⁷⁾، وقال صحيح على شرط مسلم. [حسن]
124. وأخرج ابن جرير عن عكرمة قال: «نزلت في صهيب وأبي ذر وجندب بن السكن أحد أهل أبي ذر⁽³²⁸⁾».

[تعليق]

ذكر المؤلف رحمه الله هذه الآثار. فأما الأول والثاني فكلهما في إسناده ضعف وأما الثالث فمرسل، وأما الرابع فإسناده حسن وأما الخامس أنها نزلت في صهيب وأبي ذر وجندب فإسناده ضعيف بالإضافة إلى إرساله. ذكر الحافظ عن الثعلبي عن ابن عباس أنها نزلت في الزبير والمقداد حين أنزلا خبيب بن عدي من على خشبته حينما صلب.

وقيل نزلت في علي بن أبي طالب عندما نام في فراش النبي □ .
وقيل نزلت في الأمر بالمعروف والنهي عن المنكر. قال الواحدي: قال أبو الخليل: سمع عمر بن الخطاب إنساناً يقرأ هذه الآية فقال عمر: إنا لله قام رجل يأمر بالمعروف وينهى عن المنكر فقتل⁽³²⁹⁾.
قلت: والعموم في سبب النزول هنا أليق. فتكون الآية عامة في كل من يشري نفسه ابتغاء مرضان الله، ومعنى يشري أي: يبيع. قال ابن عطية⁽³³⁰⁾

و (يشري) معناه يبيع ، ومنه (وشروه بثمن بخس) [يوسف : 20] ، ومنه قول يزيد بن مفرغ الحميري :
وَشَرِيْتُ بَرْدًا لَيْتِي... مِنْ بَعْدِ بَرْدِ كُنْتُ هَامَهُ

قلت: فيشمل الأمر بالمعروف والنهي عن المنكر، أو الهجرة في سبيل الله، أو التضحية للدين بأي شكل من الأشكال والله

(323) أيسر التفاسير للجزائري (1/ 95)

(324) مسند الحارث 2/694 ح (679) المؤلف: نور الدين الهيثمي [807] المحقق: د. حسين أحمد صالح الباكري

الناشر: مركز خدمة السنة والسيرة النبوية - المدينة المنورة الطبعة: الأولى، 1413 - 1992

عدد الأجزاء: 2 تفسير ابن أبي حاتم 2/368 وهو مرسل وفي إسناده علي بن زيد بن جدهان فيه ضعف.

(325) مستدرک الحاكم 3/452 ح (5706) قال: أخبرنا أبو العباس إسماعيل بن عبد الله بن محمد بن ميكال أنا عیدان الأهوازي ثنا زيد بن الحريش ثنا يعقوب بن محمد الزهري ثنا حصين بن حذيفة بن صيفي بن صهيب حدثني أبي وعمومي عن سعيد بن المسيب عن صهيب ليس فيه التصريح بسبب النزول وفيه مجاهيل والمعجم الكبير 8/31 ح (7296) أرسله سعيد عن صهيب.

(326) مستدرک الحاكم 3/450 ح (5700) قال: أخبرنا أبو عبد الله محمد بن عبد الله الزاهد ثنا إسماعيل بن إسحاق القاضي ثنا سليمان بن حرب ثنا حماد بن زيد عن أيوب عن عكرمة -به.

(327) مستدرک الحاكم 3/450 ح (5700) أخبرنا أبو عبد الله محمد بن عبد الله الزاهد ثنا إسماعيل بن إسحاق القاضي ثنا سليمان بن حرب عن حماد -به وإسماعيل القاضي هو إسماعيل بن إسحاق بن إسماعيل بن حماد قال الخطيب في تاريخ بغداد وكان إسماعيل فاضلاً عالماً متقناً فقيهاً على مذهب مالك بن أنس شرح مذهبه ولخصه واحتج له

وصنف المسند وكتب عدة في علوم القرآن وذكره ابن حبان في الثقات، أما شيخ الحاكم فهو أبو عبد الله محمد بن عبد الله الصغار الأصبهاني له ترجمة في سير أعلام النبلاء وغيره قال الذهبي: هو الإمام القدوة المحدث، قال الحاكم، هو محدث عصره كان مجاب الدعوة لم يرفع رأسه إلى السماء كما بلغنا نيفا وأربعين سنة، وكان وراقه أبو العباس المصري خانه واختزل عيون كتبه وأكثر من خمس مئة جزء من أصوله فكان أبو عبد الله يجاملها جاهداً في استرجاعها فلم ينجح فيه فذهب علمه بدعاء الشيخ عليه انظر سير أعلام النبلاء 15/438 وأخرج الطبراني في الكبير بإسناد شديد الضعف عن صهيب نحوه.

(328) تفسير ابن جرير 2/321 وفي إسناده عدة علل الإرسال فرواه عن عكرمة مرسلًا، والتدليس ففيه ابن جريج مدلس قد عنعن، والضعف ففيه سنيد وهو معروف بالضعف

(329) أسباب النزول للواحدى (40)

(330) المحرر الوجيز (1/ 229)

[تفسير مختصر للآية]

(ومن الناس من يشري أي: يبيع (نفسه) يعني: يبذلها لأوامر الله تعالى (ابتغاء مرضاة الله) لطلب رضا الله⁽³³¹⁾).

(يَأْيُهَا الَّذِينَ ءَامَنُوا اَدْخُلُوا فِي السَّلَامِ كَافَّةً وَلَا تَتَّبِعُوا خُطُوَاتِ الشَّيْطَانِ إِنَّهُ لَكُمْ عَدُوٌّ مُّبِينٌ ٢٠٨)

قوله تعالى: (يا أيها الذين آمنوا أدخلوا في السلم) - الآية.

125. أخرج ابن جرير عن عكرمة قال: « قال عبد الله بن سلام وثعلبة وابن يامين وأسد وأسيد ابنا كعب وسعيد بن عمرو وقيس بن زيد كلهم من يهود: يا رسول الله يوم السبت يوم كنا نعظمه، فدعنا فلنسبت فيه وإن التوراة كتاب الله، فدعنا فننقم بها بالليل فنزلت: (يا أيها الذين آمنوا أدخلوا في السلم كافة) - الآية⁽³³²⁾ ».

[تعليق]

ذكر المؤلف رحمه الله هذا الأثر عن عكرمة وهو مرسل ضعيف الإسناد، وهو يدل على أن الآية نزلت في أناس من أهل الكتاب أرادوا أن يعملوا بشرائعهم بعد إسلامهم، ويشهد له ما أخرجه الواحد من حديث ابن عباس قال: نزلت هذه الآية في عبد الله بن سلام وأصحابه، وذلك أنهم حين آمنوا بالنبى - قاموا بشرائعه وشرائع موسى، فعظموا السبت وكرهوا لحمان الإبل وألبانها بعدما أسلموا، فأذكر ذلك عليهم المسلمون، فقالوا: إنا نقوي على هذا وهذا وقالوا للنبى - إن التوراة كتاب الله فدعنا فلنعمل بها، فأنزل الله تعالى هذه الآية⁽³³³⁾.

في إسناده موسى بن عبد الرحمن الصنعاني وهو شديد الضعيف. قال عنه ابن حبان دجال وضع على ابن جرير عن عطاء عن ابن عباس كتاباً في التفسير. وقال ابن عدي: منكر الحديث يعرف بأبي محمد المفسر⁽³³⁴⁾.

وروى الطبري عن الضحاك قال في قول الله عز وجل: (ادخلوا في السلم كافة)، قال: يعني أهل الكتاب⁽³³⁵⁾.

قلت: ذكر ابن جرير الاختلاف في قراءة (السلم) بالفتح والكسر. وكذلك المراد بالسلم فقيل: الإسلام، وقيل العمل بطاعة الله⁽³³⁶⁾. ورجح كون الخطاب عام فقال: والصواب من القول في ذلك عندي أن يقال: إن الله جل ثناؤه أمر الذين آمنوا بالدخول في العمل بشرائع الإسلام كلها، وقد يدخل في (الذين آمنوا) المصدقون بمحمد ، وبما جاء به، والمصدقون بمن قبله من الأنبياء والرسل، وما جاءوا به، وقد دعا الله عز وجل كلا الفريقين إلى العمل بشرائع الإسلام وحدوده، والمحافظة على فرائضه التي فرضها، ونهاهم عن تضييع شيء من ذلك، فالآية عامة لكل من شمله اسم "الإيمان"، فلا وجه لخصوص بعض بها دون بعض⁽³³⁷⁾. قلت: الذي قاله الإمام ابن جرير رحمه الله هو المتجه، فسبب النزول مع ضعفه لا يقوى على مقاومة عموم الآية والله تعالى أعلم.

[تفسير مختصر للآية]

(يا أيها الذين آمنوا أدخلوا في السلم) أي: في الإسلام (كافة) أي: جميعاً، أي: في جميع شرائعه. (ولا تتبعوا خطوات الشيطان) أي: آثاره ونزغاته (إنه لكم عدوٌّ مبين) . ظاهر العداوة.

يأمر الله عباده بالدخول في الإسلام والعمل بطاعة الله بدون استثناء، فلا يحق لنا أن نؤمن ببعض ونكفر ببعض، أو أن نأخذ بطاعة وندع أخرى بل يجب علينا قبول كل ما جاء عن الله تعالى، ونهانا الله عز وجل عن اتباع طرق ووسائل الشيطان، وعلل ذلك بأنه عدو مبين ظهر بين العداوة لا يدخر حيلة في إضلال المؤمنين عن طريق الله، أعاننا الله والمؤمنين والمؤمنات من طرق الشيطان⁽³³⁸⁾.

أَمْ حَسِبْتُمْ أَنْ تَدْخُلُوا الْجَنَّةَ وَلَمَّا يَأْتِكُمْ مَثَلُ الَّذِينَ خَلَوْا مِنْ قَبْلِكُمْ مَسْتَهْمِ الْبِئْسَاءُ وَالضَّرَّاءُ وَزُلْزَلُوا حَتَّى يَقُولَ الرَّسُولُ وَالَّذِينَ ءَامَنُوا مَعَهُ مَتَى نَصْرُ اللَّهِ أَلَا إِنَّ نَصْرَ اللَّهِ قَرِيبٌ ٢١٤)

قوله تعالى: (أم حسبتم أن تدخلوا الجنة) - الآية.

126. قال عبد الرزاق أنبأنا معمر عن قتادة قال: «نزلت هذه الآية في يوم الأحزاب، أصاب النبي ﷺ وأصحابه

(331) الوجيز للواحدى (55) .

(332) تفسير الطبري 2/324 مرسل ضعيف الإسناد.

(333) أسباب النزول للواحدى (40)

(334) لسان الميزان ت أبي غدة (210 / 8)

(335) جامع البيان (تفسير الطبري) (256 / 4)

(336) جامع البيان (تفسير الطبري) (252 / 4)

(337) جامع البيان (تفسير الطبري) (257 / 4)

(338) الوجيز للواحدى (55)

[تعليق]

ذكر المؤلف رحمه الله هذا الأثر عن قتادة وهو يدل على أن الآية نزلت في غزوة الأحزاب. وذكر ابن جرير كذلك عن السدي ما يوافق هذا القول (340). وذكر الواحدي سبباً آخر فقال: وقال عطاء: لما دخل رسول الله ﷺ وأصحابه المدينة اشتد الضر عليهم، بأنهم خرجوا بلا مال وتركوا ديارهم وأموالهم بأيدي المشركين، وآثروا رضا الله ورسوله، وأظهرت اليهود العداوة لرسول الله ﷺ وأسروا قوم من الأغنياء النفاق، فأنزل الله تعالى تطيباً لقلوبهم (أم حسبتم) - الآية (341). قلت: كلا القولين محتمل من الآية، ولم أجد أحداً من أهل العلم رجح أحدهما على الآخر، وقد ذكر الإمام الطبري القول الأول: أنها نزلت في غزوة الخندق ولم يذكر الثاني. والله تعالى أعلم.

[تفسير مختصر للآية]

(أم حَسْبُكُمْ) : خطاب للمؤمنين على وجه التشجيع لهم، والأمر بالصبر على الشدائد. (وَلَمَّا يَأْتِكُمْ) أي لا تدخلوا الجنة حتى يصيبكم مثل ما أصاب من كان قبلكم. (مَثَلُ الَّذِينَ) أي حالهم؛ وعبر عنه بالمثل لأنه في شدته يضرب به المثل. (وَرُزِلُوا) بالتخويف والشدائد (أَلَا إِنَّ نَصْرَ اللَّهِ قَرِيبٌ) يحتمل أن يكون جواباً للذين قالوا: متى نصر الله؟ وأن يكون إخباراً مستأنفاً، وقيل: إن الرسول قال ذلك لما قال الذين معه: متى نصر الله (342). قلت: في الآية حث للمؤمنين على الصبر على البلاء والضراء، لا سيما إذا كان في سبيل الدعوة إلى الله، فإن أمر الدعوة محفوف بالبلاء والضراء، وهو طريق المرسلين وأتباعهم إلى يوم الدين، يبتلون ثم تكون لهم العاقبة. ونصر الله تعالى قريب من المؤمنين جعلنا الله منهم.

(٢١٤) يَسْأَلُونَكَ مَاذَا يُنْفِقُونَ قُلْ مَا أَنْفَقْتُمْ مِنْ خَيْرٍ فَلِلْوَالِدَيْنِ وَالْأَقْرَبِينَ وَالْيَتَامَى وَالْمَسْكِينِ وَابْنِ السَّبِيلِ وَمَا تَفَعَّلُوا مِنْ خَيْرٍ فَإِنَّ اللَّهَ بِهِ عَلِيمٌ (٢١٥)

قوله تعالى: (يسألونك ماذا ينفقون) - الآية.

127. أخرج ابن جرير عن ابن جريج قال: «سأل المؤمنون رسول الله ﷺ: أين يضعون أموالهم؟ فنزلت: يسألونك ماذا ينفقون قل ما أنفقتم من خير) - الآية (343)».

128. وأخرج ابن المنذر عن أبي حيان « أن عمرو بن الجموح، سأل النبي صلى الله عليه وسلم: ماذا تنفق من أموالنا وأين نضعها؟ فنزلت (344)»

[تعليق]

ذكر المؤلف رحمه الله أثرين في سبب نزول هذه الآية أما الأول في أن المؤمنين سألوا النبي ﷺ أين يضعون أموالهم، فنزلت الآية إرشاداً لهم، فهذا الأثر مرسل وروى ابن جرير نحوه عن قتادة ومجاهد فيما ذكره الحافظ ابن حجر رحمه الله. وأما الأثر الثاني في أنها نزلت في عمرو بن الجموح. فقد روى الواحدي من طريق ابن عباس من رواية أبي صالح عنه: أنها نزلت في عمرو بن الجموح الأنصاري، وكان شيخاً كبيراً ذا مال كثير، فقال: يا رسول الله بماذا نتصدق؟ وعلى من ننفق؟ فنزلت هذه الآية (345). وهو شاهد لما قبله لكن إسناده ضعيف.

وروي سبب ثالث: أنها نزلت في رجل أتى النبي ﷺ فقال: "إن لي ديناراً فقال: أنفقه على نفسك، فقال: إن لي دينارين، فقال: إنفقهما على أهلك، فقال: إن لي ثلاثة، فقال: أنفقهما على خادمك، فقال إن لي أربعة، فقال: أنفقهما على والدك، فقال: إن لي خمسة، فقال: أنفقهما على قرابتك، فقال: إن لي ستة فقال: أنفقهما في سبيل الله، وهو أحسها». رواه الواحدي من رواية عطاء (346). قلت: والجمع بين هذه الروايات بأن يقال الرواية الأولى أبهت السائل ثم ذكرته بصيغة الجمع وهذا سائغ في لغة العرب، ثم إن هذا السائل جاء مبيناً في الرواية الثانية وهو عمرو بن الجموح. والرواية الثالثة على فرض صحتها فكذلك أبهم السائل فيها وهو مبين في الرواية الثانية لكن هذه الرواية ضعيفة الإسناد، قال الحافظ أخرجه عبد الوهاب بن سعيد الثقفي بسنده الواهي (347). وقد قيل بأن هذه الآية منسوخة بآية الزكاة، قال ابن جرير وهذا لا دليل عليه.

قلت: هو محتمل من الآية لأن الوالدين لا يجوز أن يخرج لهم من الزكاة، ولكن كذلك يحتمل أن تكون النفقة هنا عامة فتشمل الزكاة وغيرها والله تعالى أعلم.

(339) تفسير الصنعاني 1/83 تفسير الطبري 2/341 مرسل ضعيف الإسناد

(340) جامع البيان (تفسير الطبري) (4/289)

(341) أسباب النزول للواحدي (40)

(342) التسهيل لعلوم التنزيل لابن جزي (106)

(343) تفسير ابن جرير 2/343 مرسل ضعيف فيه سنيد، وقد تكرر هذا الإسناد كثيراً وبيننا علله في أكثر من موضع

(344) ابن المنذر مرسل.

(345) أسباب النزول للواحدي (40)

(346) أسباب النزول للواحدي (41)

(347) العجائب في بيان الأسباب (1/535)

[تفسير مختصر للآية]

(قُلْ مَا أَنْفَقْتُمْ مِنْ خَيْرٍ فَلِلَّهِ وَالَّذِينَ الْأَقْرَبِينَ وَالْيَتَامَى وَالْمَسَاكِينِ وَإِنَّ السَّبِيلَ) أي: اصرفوها في هذه الوجوه. كما جاء في الحديث: "أمك وأباك، وأختك وأخاك، ثم أدناك أدناك".
ثم قال تعالى: (وَمَا تَفْعَلُوا مِنْ خَيْرٍ فَإِنَّ اللَّهَ بِهِ عَلِيمٌ) أي: مهما صدَرَ منكم من فعل معروف، فإن الله يعلمه، وسيجزىكم على ذلك أوفر الجزاء؛ فإنه لا يظلم أحداً مثقال ذرة⁽³⁴⁸⁾.

(يَسْأَلُونَكَ عَنِ الشَّهْرِ الْحَرَامِ قِتَالٍ فِيهِ قُلْ قِتَالٌ فِيهِ كَبِيرٌ وَصَدُّ عَنْ سَبِيلِ اللَّهِ وَكَفْرٌ بِهِ وَالْمَسْجِدِ الْحَرَامِ وَإِخْرَاجُ أَهْلِهِ مِنْهُ أَكْبَرُ عِنْدَ اللَّهِ وَالْفِتْنَةُ أَكْبَرُ مِنَ الْقَتْلِ وَلَا يَزَالُونَ يَقْتُلُونَكُمْ حَتَّى يَرُدُّوكُمْ عَنْ دِينِكُمْ إِنْ سَتَّعُوا وَمَنْ يَرْتَدِدْ مِنْكُمْ عَنْ دِينِهِ فَيَمُتْ وَهُوَ كَافِرٌ فَأُولَئِكَ حَبِطَتْ أَعْمَلُهُمْ فِي الدُّنْيَا وَالْآخِرَةِ وَأُولَئِكَ أَصْحَابُ النَّارِ هُمْ فِيهَا خَالِدُونَ (٢١٧))

قوله تعالى: (يسألونك عن الشهر الحرام) - الآية

129. أخرج ابن جرير وابن أبي حاتم والطبراني في الكبير والبيهقي في سننه عن جندب بن عبد الله: «أن رسول الله ﷺ بعث رهطاً، وبعث عليهم عبد الله بن جحش، فلقوا ابن الحضرمي فقتلوه، ولم يدروا أن ذلك اليوم من رجب أو من جمادى، فقال المشركون للمسلمين: قتلتم في الشهر الحرام فأنزله الله تعالى: (يسألونك عن الشهر الحرام قتال فيه) - الآية. فقال بعضهم: إن لم يكونوا أصابوا وزراً فليس لهم أجر فأنزله الله: (إن الذين آمنوا والذين هاجروا وجاهدوا في سبيل الله أولئك يرجون رحمة الله والله غفور رحيم⁽³⁴⁹⁾)». [البقرة 218] وأخرجه ابن منده في الصحابة من طريق عثمان بن عطاء عن أبيه عن ابن عباس.

[تعليق]

ذكر المؤلف رحمه الله هذه الرواية في سبب نزول هذه الآية، وذكر الحافظ ابن حجر في العجائب أن إسناده حسن، وله عدة شواهد، وقد رويت بسياق أطول من هذا رواها الإمام ابن جرير في تفسيره فقال: عن عروة بن الزبير، قال: بعث رسول الله ﷺ عبد الله بن جحش في رجب مَقْفَلًا من بدر الأولى، وبعث معه بثمانية رهط من المهاجرين، ليس فيهم من الأنصار أحد، وكتب له كتاباً، وأمره أن لا ينظر فيه حتى يسير يومين ثم ينظر فيه فيمضي لما أمره، ولا يستكره من أصحابه أحداً. وكان أصحاب عبد الله بن جحش من المهاجرين من بني عبد شمس أبو حذيفة [بن عتبة] بن ربيعة - ومن بني أمية - بن عبد شمس، ثم من حلفائهم: عبد الله بن جحش بن رئاب، وهو أمير القوم، وعكاشة بن محصن بن خُرثان أحد بني أسد بن خزيمه - ومن بني نوفل بن عبد مناف عتبة بن غزوان حليف لهم - ومن بني زهرة بن كلاب: سعد بن أبي وقاص - ومن بني عدي بن كعب عامر بن ربيعة حليف لهم، وواقف بن عبد الله بن مناة بن عرين بن ثعلبة بن يربوع بن حنظلة، وخالد بن الكبير أحد بني سعد بن ليث حليف لهم - ومن بني الحارث بن فهر: سهيل بن بضاء. فلما سار عبد الله بن جحش يومين فتح الكتاب ونظر فيه، فإذا فيه: "إذا نظرت إلى كتابي هذا، فسر حتى تنزل نخلة بين مكة والطائف، فترصد بها قريشاً، وتعلم لنا من أخبارهم". فلما نظر عبد الله بن جحش في الكتاب قال: "سمعا وطاعة"، ثم قال لأصحابه: قد أمرني رسول الله ﷺ أن أمضي إلى نخلة فأرصد بها قريشاً حتى آتية منهم بخبر، وقد نهاني أن أستكره أحداً منكم، فمن كان منكم يريد الشهادة ويرغب فيها فليطلق، ومن كره ذلك فليرجع، فأما أنا فماض لأمر رسول الله ﷺ فمضى ومضى معه أصحابه، فلم يتخلف عنه [منهم] أحد، وسلك على الحجاز، حتى إذا كان بمغدين فوق الفرع يقال له بخران، أضل سعد بن أبي وقاص وعتبة بن غزوان بغيراً لهما كانا عليه يعتقبانه، فتخلفا عليه في طلبه، ومضى عبد الله بن جحش وبقيته أصحابه حتى نزل بنخلة، فمرت به عير قريش تحمل زبيباً وأماً وتجارة من تجارة قريش فيها منهم عمرو بن الحضرمي، وعثمان بن عبد الله بن المغيرة، وأخوه نوفل بن عبد الله بن المغيرة المخزوميان، والحكم بن كيسان مولى هشام بن المغيرة فلما رأهم القوم هابوهم، وقد نزلوا قريباً منهم، فأشرف لهم عكاشة بن محصن، وقد كان حلق رأسه، فلما رآه أمنوا وقالوا: عمار! فلا بأس علينا منهم. ونشاور القوم فيهم، وذلك في آخر يوم من جمادى، فقال القوم: والله لئن تركتم القوم هذه الليلة ليدخلن الحرم فليمتعن به منكم، ولئن قتلتموهم لتقتلنهم في الشهر الحرام! فتردد القوم فهابوا الإقدام عليهم، ثم شجعوا عليهم، وأجمعوا على قتل من قدروا عليه منهم، وأخذ ما معهم. فرمى واقف بن عبد الله التميمي عمرو بن الحضرمي بسهم فقتله، واستأسر عثمان بن عبد الله، والحكم بن كيسان، وأفلت نوفل بن عبد الله فاعجزهم.

وقدم عبد الله بن جحش وأصحابه بالعبير والأسيرين، حتى قدموا على رسول الله ﷺ بالمدينة وقد ذكر بعض آل عبد الله بن جحش أن عبد الله بن جحش قال لأصحابه: إن لرسول الله ﷺ مما غنمتم الخمس وذلك قبل أن يفرض الخمس من الغنائم، فعزل لرسول الله ﷺ

(348) تفسير ابن كثير (1/ 572)

(349) تفسير ابن جرير 2/350 سنن النسائي الكبرى 5/249 ح (8803) سنن البيهقي الكبرى 9/11 ح (17523) المعجم الكبير 2/162 ح (1670) مسند أبي يعلى 3/102 ح (1534) في إسناده حضرمي بن لاحق وهو مجهول، وأبهمه النسائي في روايته، وفرق الحافظ في تهذيب التهذيب بينه وبين الحضرمي بن لاحق وقال: انهما اثنان ونقل عن ابن حبان الفرق بينهما، فقال الذي يروي عنه سليمان التيمي لا أدري من هو، ونقل عن ابن المديني قوله مجهول، انظر ترجمته في تهذيب التهذيب 2/340 قال البيهقي في مجمع الزوائد: رجاله ثقات قلت: له شاهد عند الطبري في التفسير من رواية أبي مالك الأشعري وفي إسناده أبو جعفر الرازي قال الطبري: حدثت عن عمار بن الحسن فيه انقطاع وضعف، وروي مرسل عن قتادة بنفس إسناده ابن جرير، وكذلك عن مجاهد مختصراً بسند ضعيف وعن الزهري أيضاً وأخرج له شاهد أيضاً عن ابن عباس بسند ضعيف جداً أبناء عن آباء.

خُمس العير، وقسم سائرهما على أصحابه فلما قدموا على رسول الله ﷺ قال: ما أمرتكم بقتال في الشهر الحرام! فوقف العير والأسيرين، وأبى أن يأخذ من ذلك شيئاً فلما قال رسول الله ﷺ ذلك، سُقط في أيدي القوم، وظنوا أنهم قد هلكوا، وعنفهم المسلمون فيما صنعوا، وقالوا لهم: صنعتم ما لم تؤمروا به وقتلتم في الشهر الحرام ولم تؤمروا بقتال! وقالت قريش: قد استحل محمد وأصحابه الشهر الحرام، فسفكوا فيه الدم، وأخذوا فيه الأموال وأسروا. [فيه الرجال] فقال من يرد ذلك عليهم من المسلمين ممن كان بمكة إنما أصابوا ما أصابوا في جمادى! وقالت يهود -تتفاءل بذلك على رسول الله ﷺ -: عمرو بن الحضرمي قتله واقد بن عبد الله! عمرو، عمريت الحرب! والحضرمي، حَصْرَت الحرب! وواقد بن عبد الله، وقدت الحرب! فجعل الله عليهم ذلك وبهم.

فلما أكثر الناس في ذلك أنزل الله جل وعز على رسوله: "يسألونك عن الشهر الحرام قتال فيه⁽³⁵⁰⁾". انتهى وقد روي في سبب نزول هذه الآية روايتان أخريان.

قال الإمام القرطبي: وري أن سبب نزولها أن رجلين من بني كلاب لقيبا عمرو بن أمية الضمري وهو لا يعلم أنهما كانا عند النبي ﷺ وذلك في أول يوم من رجب فقتلتهما، فقالت قريش: قتلتهما في الشهر الحرام، فنزلت الآية⁽³⁵¹⁾. ثم قال والقول بأنها نزلت في قصة عبد الله بن جحش أشهر وأكثر.

الرواية الثالثة: أخرجها ابن أبي حاتم وابن جرير عن ابن عباس: «إن المشركين صدوا رسول الله ﷺ وردوه عن المسجد الحرام، في شهر حرام، ففتح الله على نبيه في شهر حرام من العام المقبل، فعاب المشركون على رسول الله ﷺ القتال في شهر حرام، فقال الله: (قل قتال فيه كبير وصد عن سبيل الله وكفر به والمسجد الحرام وإخراج أهله منه أكبر) ومن القتال فيه⁽³⁵²⁾. قال الإمام ابن جرير: ولا خلاف بين أهل التأويل جميعاً أن هذه الآية نزلت في سبب قتل ابن الحضرمي⁽³⁵³⁾. قلت هذا ما رجحه ابن جرير رحمه الله، ينضم إليه قول الإمام القرطبي المتقدم.

[مسألة]

اختلف العلماء في حكم القتال في الأشهر الحرم هل تحريمه باق أو نسخ؛ فالجمهور: على أنه نسخ تحريمه، ونص على نسخه الإمام أحمد وغيره من الأئمة. وذهبت طائفة من السلف منهم عطاء: إلى بقاء تحريمه، ورجحه بعض المتأخرين واستدلوا بأية المائدة، والمائدة من آخر ما نزل من القرآن، وقيل ليس فيها منسوخ، وفي المسند والحاكم وصححه على شرط الشيخين أن عائشة رضي الله عنه قالت: [هي آخر سورة نزلت فما وجدتم فيها من حلال فاستطوه و ما وجدتم فيها حرام فحرموه⁽³⁵⁴⁾] وروى الإمام أحمد في مسنده بإسناد صحيح عن جابر قال: [لم يكن رسول الله صلى الله عليه وسلم يغزو في الشهر الحرام إلا أن يغزى ويغزو فإذا حضره أقام حتى ينسلخ⁽³⁵⁵⁾] وذكر بعضهم أن النبي صلى الله عليه وسلم حاصر الطائف في شوال فلما دخل ذو القعدة لم يقاتل بل صابروهم ثم رجع وكذلك في عمرة الحديبية لم يقاتل حتى بلغه أن عثمان قتل فبايع على القتال ثم لما بلغه أن ذلك لا حقيقة له كف واستدل الجمهور بأن الصحابة اشتغلوا بعد النبي صلى الله عليه وسلم بفتح البلاد ومواصلة القتال والجهاد ولم ينقل عن أحد منهم أنه توقف عن القتال وهو طالب له في شيء من الأشهر الحرم وهذا يدل على إجماعهم على نسخ ذلك والله أعلم⁽³⁵⁶⁾.

[تفسير مختصر للآية]

(يسألونك) يعني: المشركين. وقيل: هم المسلمون (عن الشهر الحرام قتال فيه) أي: وعن قتال فيه (قل قتال فيه كبير) ثم ابتدأ فقال: (و صد) ومنع (عن سبيل الله) أي: طاعته يعني: صد المشركين رسول الله ﷺ وأصحابه عن البيت الحرام عام الحديبية (وكفر به) بالله (والمسجد الحرام) أي: وصد عن المسجد الحرام (وإخراج أهله) أي: أهل المسجد يعني: رسول الله ﷺ وأصحابه حين أخرجوا من مكة (منه أكبر) وأعظم وزراً (عند الله والفتنة) أي: والشرك (أكبر من القتل) يعني: قتل السرية المشركين في رجب (ولا يزالون) يعني: المشركين (يقاتلونكم حتى يردوكم عن دينكم) إلى الكفر (إن استطاعوا ومن يردد منكم عن دينه) الإسلام، أي: يرجع فيموت على الكفر (فأولئك حبطت أعمالهم...) الآية. [بطلت أعمالهم⁽³⁵⁷⁾].

(يَسْأَلُونَكَ عَنِ الْخَمْرِ وَالْمَيْسِرِ قُلْ فِيهِمَا إِثْمٌ كَبِيرٌ وَمَنْفَعٌ لِلنَّاسِ وَإِثْمُهُمَا أَكْبَرُ مِنْ نَفْعِهِمَا وَيَسْأَلُونَكَ مَاذَا يُنْفِقُونَ قُلِ الْعَفْوَ كَذَلِكَ يُبَيِّنُ اللَّهُ لَكُمْ الْآيَاتِ لَعَلَّكُمْ تَتَفَكَّرُونَ ٢١٩ فِي الدُّنْيَا وَالْآخِرَةِ يَسْأَلُونَكَ عَنِ الْيَتَامَى قُلْ إِصْلَاحٌ لَهُمْ خَيْرٌ وَإِنْ تُخَالِطُوهُمْ فَآخِذُواْ بِكُمُ وَاللَّهُ يَعْلَمُ الْمُفْسِدَ مِنَ الْمُصْلِحِ وَلَوْ شَاءَ اللَّهُ لَأَعْنَتَكُمْ إِنَّ اللَّهَ عَزِيزٌ حَكِيمٌ (٢٢٠)

قوله تعالى: (يسألونك عن الخمر) يأتي حديثها في سورة المائدة.

قوله تعالى: (ويسألونك ماذا ينفقون).

130. أخرج ابن أبي حاتم من طريق سعيد أو عكرمة عن ابن عباس: «أن نفرًا من الصحابة حين أمروا بالنفقة في سبيل الله، أتوا النبي ﷺ فقالوا: إنا لا ندري ما هذه النفقة التي أمرنا بها في أموالنا، فما

(350) جامع البيان (تفسير الطبري) (4/303)

(351) تفسير القرطبي - (3/41)

(352) تفسير ابن أبي حاتم - (2/385)

(353) جامع البيان (تفسير الطبري) (4/301)

(354) المسند 6/188 والحاكم 2/311

(355) أحمد في مسنده 3/345، 334

(356) منقول

(357) الوجيز للواحدى (57)

ننفق منها فأنزل الله: (ويسألونك ماذا ينفقون قل العفو⁽³⁵⁸⁾) «. **131.** وأخرج أيضاً عن يحيى أنه بلغه « أن معاذ بن جبل وثعلبة أتيا رسول الله ﷺ فقالا: يا رسول الله إن لنا أرقاء وأهلين، فما ننفق من أموالنا؟ فأنزل هذه الآية⁽³⁵⁹⁾ ». «

[تعليق]

قد تقدم في قوله تعالى (يسألونك ماذا ينفقون قل ما أنفقتم من خير فللوالدين والأقربين) - الآية. وهنا (ويسألونك ماذا ينفقون قل العفو) والمراد "بالعفو" الفضل: يعني المال الزائد عن الحاجة قال الواحدي أي: ما فضل من المال عن العيال⁽³⁶⁰⁾. وذكر هنا أثرين الأول أثر ابن عباس «أن نفرأ من الصحابة سألوا». والثاني أن السؤال كان بواسطة معاذ بن جبل وثعلبة، وقد ذكر الإمام القرطبي أنها نزلت في عمرو بن الجموح لما نزلت (قُلْ مَا أَنْفَقْتُمْ مِنْ خَيْرٍ فَلِلْوَالِدَيْنِ) [البقرة: 215] قال: كم أنفق؟ فنزل⁽³⁶¹⁾.

قلت: فيكون الآية الأولى سؤال عن مستحقي الصدقة فيبين الله تعالى مستحقي الصدقة بقوله (قُلْ مَا أَنْفَقْتُمْ مِنْ خَيْرٍ فَلِلْوَالِدَيْنِ) - الآية. وهنا عن مقدار الصدقة. فأمرهم الله تعالى أن ينفقوا الزائد عن حاجة العيال. واختلف أهل العلم في تفسير قوله تعالى (العفو) على خمسة أقوال. أحدها: أنه ما يفضل عن حاجة المرء وعياله، رواه مقسم عن ابن عباس. الثاني: ما تطيب به أنفسهم من قليل وكثير، رواه عطية عن ابن عباس. الثالث: أنه القصد بين الإسراف والإقتار، قاله الحسن، وعطاء، وسعيد بن جبيرة. الرابع: أنه الصدقة المفروضة، قاله مجاهد. الخامس: أنه ما لا يتبين عليهم مقداره، من قولهم: عفا الأثر إذا خفي ودرس⁽³⁶²⁾. كذلك اختلفت القراءة في قوله تعالى (العفو) فقراءت بالضم وهي قراءة أبو عمرو البصري (العفو) وقراءت بالفتح (العفو).

وتوجيه القراءتين كالآتي:

فقراءة النصب معناها (يسألونك ماذا ينفقوا) (فقل ينفقون العفو: أي الزائد، فيكون منصوب بفعل محذوف على أنه مفعول به. والقراءة الثانية بالرفع على أنه خبر لمبتدأ محذوف أي: هو العفو والله أعلم⁽³⁶³⁾. كذلك اختلف أهل العلم في هذه الآية منسوخة بأية الزكاة أم لا؟ قال الإمام ابن الجوزي: وقد تكلم علماء الناسخ والمنسوخ في هذه الآية، فروى السدي عن أشياخه أنها نسخت بالزكاة، وأبى نسخها آخرون⁽³⁶⁴⁾.

[تفسير مختصر للآية]

(يسألونك ماذا ينفقون) فهو سؤال نشأ عن استجابتهم لقول الله تعالى: (وأنفقوا في سبيل الله) فأرادوا أن يعرفوا الجزء الذي ينفقونه من أموالهم في سبيل الله فأجابهم الله تبارك وتعالى بقوله: (قل العفو) أي ما زاد على حاجتكم وفضل عن نفقتكم على أنفسكم. ومن هنا قال الرسول ﷺ « خير الصدقة ما كان عن ظهر غنى » وراه البخاري⁽³⁶⁵⁾.

قوله تعالى: (ويسألونك عن اليتامى).

132. أخرج أبو داود والنسائي والحاكم وغيرهم عن ابن عباس قال: « لما نزلت: (ولا تقربوا مال اليتيم إلا بالتي هي أحسن) [الأنعام 152] و(إن الذين يأكلون أموال اليتامى) - الآية. انطلق من كان عنده يتيم فعزل طعامه من طعامه وشرابه من شرابه، فجعل يفضل له الشيء من طعامه، فيحبس له حتى يأكله أو يفسد، فاشتد ذلك عليهم، فذكروا ذلك لرسول الله صلى الله عليه وسلم فأنزل الله: (ويسألونك عن اليتامى) - الآية⁽³⁶⁶⁾ ». «

[تعليق]

ذكر المؤلف رحمه الله هذا الأثر عن ابن عباس، ورجح الحافظ كونه مرسل، وذكر له طريقاً أخرى مرسلة عن سعيد بن

⁽³⁵⁸⁾ تفسير ابن أبي حاتم - (381/2).

⁽³⁵⁹⁾ تفسير ابن أبي حاتم 2/393 معضل.

⁽³⁶⁰⁾ الوجيز للواحدي (58)

⁽³⁶¹⁾ تفسير القرطبي - (61/3)

⁽³⁶²⁾ زاد المسير في علم التفسير (1/213)

⁽³⁶³⁾ التفسير المنير للزحيلي (2/268)

⁽³⁶⁴⁾ : زاد المسير في علم التفسير (1/213)

⁽³⁶⁵⁾ أيسر التفاسير للجزائري (1/105)

⁽³⁶⁶⁾ سنن أبي داود 3/114 ح (2871) سنن النسائي 6/256 ح (3669) مسند أحمد 1/325 ح (3002) المستدرک علی الصحیحین 2/113 ح (3184) سنن البيهقي الكبرى 5/258 ح (10140) المعجم الكبير 12/251 ح (13020) من رواية عطاء بن السائب وهو من المختلطين، وقد روي عنه جرير وهو ممن روي عنه بعد الاختلاط، كذلك إسرائيل بن يونس وغيره ممن روي عنه بعد لاختلاط، وخص الأئمة بعض الرواة فقالوا: بأن روايتهم عنه قبل الاختلاط منهم السفينان والحمدان وشعبة وليس من روي هذا الحديث عنه من هؤلاء، وله شاهد أخرجه الطبراني عن ابن عباس أيضاً، وفي إسناده علي بن أبي طلحة لم يسمع التفسير من ابن عباس، وكذلك فيه عبد الله بن صالح كاتب الليث بن سعد متكلم فيه.

جبير لكن سياقها أتم مما ذكره المؤلف. عن سعيد بن جبير قال: " كان أهل البيت يكون عندهم الأيتام في حجورهم فيكون لليتيم الصرمة من الغنم ويكون الخادم لأهل البيت فيبعثون خادمهم فيرعى غنم الأيتام أو يكون لأهل اليتيم الصرمة من الغنم ويكون الخادم للأيتام فيبعثون خادم الأيتام فيرعى غنمهم فإذا كان الرسل وضعوا أيديهم جميعاً أو يكون الطعام للأيتام ويكون الخادم لأهل البيت فيأمرهم فيصنع الطعام ويكون الخادم للأيتام فيأمرهم أن يصنع الطعام فيضعون أيديهم جميعاً فلما نزلت هذه الآية (إن الذين يأكلون أموال اليتامى ظلماً) [النساء الآية 10] الآية، قالوا: هذه موجبة فاعتزلوهم وفرقوا ما كان من خلطتهم فشق عليهم ذلك فشكوا ذلك إلى رسول الله ﷺ فقالوا: إن الغنم قد بقيت ليس لها راع والطعام ليس له من يصنعه، فقال: قد سمع الله قولكم فإن شاء أجابكم، فنزلت هذه الآية (ويسألونك عن اليتامى) (367). وذكر الحافظ له شواهد عن الشعبي وقتادة وغيرهما (368).

وفي سبب نزول هذه الآية قول آخر ذكره الإمام الطبري في تفسيره فقال:

وقال آخرون: بل كان اتقاء مال اليتيم واجتنابه من أخلاق العرب، فاستفتوا في ذلك لمشقته عليهم، فأفتوا بما بيّنه الله في كتابه. ثم أسند عن الضحاك في قوله: (ويسألونك عن اليتامى)، كانوا في الجاهلية يعظمون شأن اليتيم، فلا يمسون من أموالهم شيئاً، ولا يركبون لهم دابة، ولا يطعمون لهم طعاماً. فأصابهم في الإسلام جهْدٌ شديد، حتى احتاجوا إلى أموال اليتامى، فسألوا نبي الله ﷺ عن شأن اليتامى وعن مخالطتهم، فأنزل الله: (وإن تخالطوهم فأخوانكم)، يعني "بالمخالطة": ركوب الدابة، وخدمة الخادم، وشرب اللبن (369). وأخرج له شواهد عن ابن عباس وغيره وسقت هذا الأثر لأن لفظه أتم.

[تفسير مختصر للآية]

قال أبو جعفر: فتأويل الآية إذا: ويسألك يا محمد أصحابك عن مال اليتامى، وخطبهم أموالهم به في النفقة والمطاعمة والمشاركة والمساكنة والخدمة، فقل لهم: تفضلكم عليهم بإصلاحكم أموالهم - من غير مَرزئة شيء من أموالهم، وغير أخذ عوض من أموالهم على إصلاحكم ذلك لهم - خيرٌ لكم عند الله وأعظمُ جامع البيان لكم أجراً، لما لكم في ذلك من الأجر والثواب وخيرٌ لهم في أموالهم في عاجل دنياهم، لما في ذلك من توفر أموالهم عليهم "وإن تخالطوهم" فتشاركوهم بأموالكم أموالهم في نفقاتكم ومطاعمكم ومشارككم ومساكنكم، فتصمّموا من أموالهم عوضاً من قيامكم بأموالهم وأسبابهم وإصلاح أموالهم، فهم إخوانكم، والإخوان يعين بعضهم بعضاً، ويكنف بعضهم بعضاً، فذو المال يعين ذا الفاقة، وذو القوة في الجسم يعين ذا الضعف. يقول تعالى ذكره: فأنتم أيها المؤمنون وأيتامكم كذلك، إن خالطتموهم بأموالكم فخلطتم طعامكم بطعامهم، وشرايكم بشرايهم، وسائر أموالكم بأموالهم، فأصبتم من أموالهم فضل مرفق بما كان منكم من قيامكم بأموالهم وولائهم، ومعاناة أسبابهم، على النظر منكم لهم نظر الأخ الشفيق لأخيه، العامل فيما بينه وبينه بما أوجب الله عليه وألزمه فذلك لكم حلالاً، لأنكم إخوان بعضكم لبعض (370).

(وَلَا تَتَّكِحُوا الْمُشْرِكِينَ حَتَّىٰ يُؤْمِنُوا وَلَا أُمَّةً مُّؤْمِنَةً حَيْرٌ مِّنْ مُّشْرِكَةٍ وَلَا أَعْبِيْتُمْ وَلَا تُنْكِحُوا الْمُشْرِكِينَ حَتَّىٰ يُؤْمِنُوا وَلَعَبْدٌ مُّؤْمِنٌ خَيْرٌ مِّنْ مُّشْرِكٍ وَلَا أَعْبِيْتُمْ أَوْلِيَّكُمْ أَوْلِيَّكُمْ يَدْعُونَ إِلَى النَّارِ وَاللَّهُ يَدْعُو إِلَى الْجَنَّةِ وَالْمَغْفِرَةِ بِإِذْنِهِ وَيُبَيِّنُ آيَاتِهِ لِلنَّاسِ لَعَلَّهُمْ يَتَذَكَّرُونَ (٢٢١))

قوله تعالى: (ولا تتكحوا المشركين حتى يؤمنوا).

133. أخرج ابن المنذر وابن أبي حاتم والواحدى عن مقاتل قال: « نزلت هذه الآية في ابن أبي مرثد الغنوي، استأذن النبي ﷺ في عناق أن يتزوجها وهي مشركة، وكانت ذات حظ وجمال فنزلت » (371).

قوله تعالى: (ولأمة مؤمنة) - الآية.

134. أخرج الواحدى من طريق السدي عن أبي مالك عن ابن عباس قال: « نزلت هذه الآية في عبد الله بن رواحة، كانت له أمة سوداء، وأنه غضب عليها فلطمها، ثم أنه فزع فأتى النبي ﷺ فأخبره، وقال: لأعتقنها ولاتزوجنها ففعل، فطعن عليه ناس وقالوا: ينكح أمة، فأنزل الله هذه الآية (372) ». وأخرج ابن جرير عن السدي منقطعاً.

[تعليق]

ذكر المؤلف رحمه الله أثريين الأول عن مقاتل وهو متعلق بقوله تعالى (ولا تتكحوا المشركين). والثاني متعلق بقوله تعالى (ولأمة مؤمنة خير من مشركة). أما الأثر الأول فله شاهد أخرجه الواحدى من طريق الكلبي عن ابن عباس أن رسول الله - ﷺ بعث رجلاً من غني يقال له: مرثد بن أبي مرثد حليفاً لبني هاشم إلى مكة، ليخرج ناساً من المسلمين بها أسراء؛ فلما قدمها سمعت به امرأة يقال لها: عناق، وكانت خليفة له في الجاهلية، فلما أسلم أعرض عنها، فأنته فقالت: ويحك يا مرثد ألا تخلو؟ فقال لها: إن الإسلام قد حال بيني وبينك وحرمه علينا، ولكن إن شئت تزوجتك، إذا رجعت إلى رسول الله - ﷺ - استأذنته في ذلك ثم

(367) قال المؤلف رحمه الله في الدر المنثور: الدر المنثور في التفسير بالمأثور للسيوطي (559/2)

(368) العجائب في بيان الأسباب (549/1)

(369) جامع البيان (تفسير الطبري) (4/353)

(370) تفسير الطبري (4/355)

(371) تفسير ابن أبي حاتم 2/398 أسباب النزول للواحدى 65 وقد وردت هذه القصة عند تأويل قوله تعالى (الزاني لا ينكح إلا زانية أو مشركة) - الآية، وأما هنا ففي إسناده من لم أجد له ترجمة وهو خالد بن معروف الراوي عن مقاتل وعلى كل حال فهو مرسل.

(372) أسباب النزول للواحدى 65 تفسير الطبري 2/378 وفي إسناده عمر بن حماد قال الحافظ في لسان الميزان: متروك وفيه أيضاً أسباب بن نصر عن السدي.

تزوجتك، فقالت له: أبي تتبرم؟ ثم استعانت عليه فضربوه ضرباً شديداً ثم خلوا سبيله، فلما قضى حاجته بمكة انصرف إلى رسول الله - ﷺ - راجعاً وأعلمه الذي كان من أمره وأمر عناق وما لقي في سببها، فقال: يا رسول الله، أتحل أن أتزوجها؟ فأنزل الله ينهاه عن ذلك قوله: (وَلَا تَتَّخِجُوا الْمُشْرِكَاتِ) (373).
وأما الأثر الثاني فهو من طريق السدي عن ابن عباس. وقد تقدم الكلام عن هذا الأسناد. ولا شك أن الأمة المؤمنة خير من الحرة المشركة لهذه الآية.

[مسألة]

اختلف أهل العلم في قوله تعالى (ولا تتكحوا المشركات) هل هو منسوخ أو ناسخ، وسبب ذلك ورود آية المائدة (يسألونك ماذا أحل لهم --- إلى قوله تعالى --- والمحصنات من الذين أتوا الكتاب من قبلكم) فأحلت آية المائدة مؤمنة أهل الكتاب - وهي العفيفة - فقال بعض أهل العلم بأن آية المائدة ناسخة لآية البقرة، وهو الصحيح لكون آية المائدة متأخرة النزول، وهذا هو قول جمهور أهل العلم. قال الإمام ابن قدامة مسألة: قال: وحرائر نساء أهل الكتاب وذبايحهم حلال للمسلمين ليس بين أهل العلم بحمد الله اختلاف في حل حرائر نساء أهل الكتاب. وممن روي عنه ذلك عمر وعثمان وطلحة وحذيفة وسلمان وجابر وغيرهم. قال ابن المنذر: ولا يصح عن أحد من الأوائل أنه حرم ذلك. وروى الخلال بإسناده أن حذيفة وطلحة والجارود بن المعلّى وأذينة العبدي تزوجوا نساء من أهل الكتاب (374). قال: والذي قال بالتحريم الإمامية.

[تفسير مختصر للآية]

قال الحافظ ابن كثير: هذا تحريم من الله عز وجل على المؤمنين أن يتزوجوا المشركات من عبدة الأوثان. ثم إن كان عمومها مراداً، وأنه يدخل فيها كل مشركة من كتابية وثنية، فقد خص من ذلك نساء أهل الكتاب بقوله: (وَالْمُحْصَنَاتُ مِنَ الْمُؤْمِنَاتِ وَالْمُحْصَنَاتُ مِنَ الَّذِينَ أُوتُوا الْكِتَابَ مِنْ قَبْلِكُمْ إِذَا آتَيْتُمُوهُنَّ أَجُورَهُنَّ مُحْصِنِينَ غَيْرَ مُسَافِحِينَ وَلَا مُتَّخِذِي أَخْدَانٍ) [المائدة: 5] (375).
(ولأمة مؤمنة خير من مشركة ولو أعجبتكم) يعني لو أعجبتكم الكافرة بمالها وجمالها وحسبها ونسبها.

(وَيَسْأَلُونَكَ عَنِ الْمَحِيضِ قُلْ هُوَ أَذَى فَأَعْتَزَلُوا النِّسَاءَ فِي الْمَحِيضِ وَلَا تَقْرَبُوهُنَّ حَتَّى يَطْهُرْنَ فَإِذَا تَطَهَّرْنَ فَأْتُوهُنَّ مِنْ حَيْثُ أَمَرَكُمُ اللَّهُ إِنَّ اللَّهَ يُحِبُّ التَّوَّابِينَ وَيُحِبُّ الْمُتَطَهِّرِينَ (٢٢٢))

قوله تعالى: (ويسألونك عن المحيض) - الآية

135. روى مسلم والترمذي عن أنس: « أن اليهود كانوا إذا حاضت المرأة منهم لم يؤاكلوها ولم يجامعوها في البيوت، فسأل أصحاب النبي ﷺ فأنزل: (ويسألونك عن المحيض) - الآية « اصنعوا كل شيء إلا النكاح (376) ».

136. وأخرج البارودي (377) في الصحابة من طريق ابن إسحاق عن محمد بن أبي محمد عن عكرمة أو سعيد عن ابن عباس: « أن ثابت بن الدحداح سأل النبي ﷺ، فنزلت (ويسألونك عن المحيض) - الآية ».

137. وأخرج ابن جرير عن السدي نحوه (378).

[تعليق]

ذكر المؤلف رحمه الله هذين الأثرين في سبب نزول هذه الآية.
أما السبب الأول فهو في صحيح مسلم وفيه أن الصحابة سألوا النبي ﷺ وقد رواه المؤلف هنا مختصراً وهو بطوله كما يلي
عن أنس: أن اليهود كانوا إذا حاضت المرأة فيهم لم يؤاكلوها ولم يجامعوها في البيوت، فسأل أصحاب النبي ﷺ النبي ﷺ، فأنزل الله تعالى: (وَيَسْأَلُونَكَ عَنِ الْمَحِيضِ قُلْ هُوَ أَذَى فَأَعْتَزَلُوا النِّسَاءَ فِي الْمَحِيضِ) إلى آخر الآية، فقال رسول الله ﷺ: "اصنعوا كل شيء إلا النكاح" فبلغ ذلك اليهود، فقالوا: ما يريد هذا الرجل أن يدع من أمرنا شيئاً إلا خالفنا فيه، فجاء أسيد بن حضير وعباد بن بشر فقال: يا رسول الله، إن اليهود تقول كذا وكذا، أفلا نجتمعن؟ فتغير وجه رسول الله ﷺ، حتى ظننا أن قد وجد عليهما، فخرجا فاستقبلهما هدية من لبن إلى رسول الله ﷺ، فأرسل في آثارهما فسقاها، فعرفا أن لم يجد عليهما.
والسبب الثاني أن السائل هو ثابت بن الدحداح، وفي إسناده ضعف، لكن على فرض صحته فالجمع بينه وبين السبب

(373) أسباب النزول للواحدى (45)

(374) المغني في فقه الإمام أحمد بن حنبل الشيباني (7/ 500) المؤلف: عبد الله بن أحمد بن قدامة المقدسي أبو محمد الوفاة 620 هـ الناشر: دار الفكر - بيروت الطبعة

الأولى، 1405 عدد الأجزاء: 10

(375) تفسير ابن كثير (1/ 582)

(376) صحيح مسلم 1/246 ح (302) سنن أبي داود 2/250 ح (2165) مسند أحمد 3/132 ح (12376) سنن النسائي الصغرى 1/152 ح (288) سنن الترمذي 5/214 ح (2977) سنن الدارمي 1/261 ح (1053) سنن ابن ماجه 1/211 ح (644) صحيح ابن حبان 4/195 ح (1362) مسند أبي يعلى 6/238 ح (3533) سنن البيهقي الكبرى 1/313 ح (1396) مسند الطيالسي 1/273 ح (2052)

(377) [البارودي] هو أبو منصور محمد بن سعد الباوردي نسبة إلى باورد ويقال إبيورد بليدة بخراسان بين سرخس ونساء، وهو من شيوخ أبي عبد الله محمد بن يحيى بن منده

الأصبهاني المتوفى سنة إحدى وثلاثمائة نظر الرسالة المستطرفة/ 128 المؤلف: محمد بن جعفر الكتاني الوفاة 1345 هـ الناشر: دار البشائر الإسلامية - بيروت الطبعة

الرابعة، 1406 - 1986 تحقيق: محمد المنتصر محمد الزمعي الكتاني عدد الأجزاء: 1

(378) إسناده البارودي الذي ذكره المؤلف فيه محمد ابن أبي محمد مجهول، وأما ابن جرير فرواه عن السدي 2/381 وفي إسناده عمرو بن حماد تقدم أنه متروك

الأول بأن يقال: ثابت من الصحابة، وعبر عنه بالجمع، وهذا سائغ معروف من لغة العرب.
وروى أن ذلك كان فعل العرب قبل الإسلام.

فأخرج عبد بن حميد من طريق شيبان عن قتادة: " كان أهل الجاهلية إذا حاضت المرأة لم يجامعوها في بيت و لم يؤكلوها في إثناء، فأنزل الله تعالى في ذلك و حرم فرجها و أحل ما سوى ذلك⁽³⁷⁹⁾ ".
قال الواحدي: وقال المفسرون: كانت العرب في الجاهلية إذا حاضت المرأة لم تؤاكلها ولم تشاربها ولم تساكلها في بيت كفعل المجوس، فسأل أبو الدحداح رسول الله ﷺ عن ذلك فقال: يا رسول الله ما نضع بالنساء إذا حضن؟ فأنزل الله هذه الآية⁽³⁸⁰⁾.

[من أحكام الآية]

تدل هذه الآية مع الآثار الواردة معها على حرمة إتيان النساء في وقت الحيض، وقد اتفق العلماء على حرمة وطء الحائض، لقوله سبحانه وتعالى: (فَاعْتَرَلُوا النِّسَاءَ فِي الْمَحِيضِ وَلَا تَقْرَبُوهُنَّ حَتَّى يَطْهَرْنَ فَإِذَا تَطَهَّرْنَ فَأْتُوهُنَّ مِنْ حَيْثُ أَمَرَكُمُ اللَّهُ إِنَّ اللَّهَ يُحِبُّ التَّوَّابِينَ وَيُحِبُّ الْمُتَطَهِّرِينَ) [البقرة: 222]
قال ابن كثير: (فَاعْتَرَلُوا النِّسَاءَ فِي الْمَحِيضِ) يعني: الفرج .

وروى أبو داود عن معاذ بن جبل رضي الله عنه أنه سأل رسول الله ﷺ: ما يحل للرجل من امرأته وهي حائض؟ قال: ما فوق الإزار.

وفي صحيح مسلم أن النبي ﷺ قال: «اصنعوا كل شيء إلا النكاح».

وفي البخاري عن ميمونة قالت: «كان رسول الله ﷺ إذا أراد أن يباشر امرأة من نسائه وهي حائض أمرها أن تأتزر ثم يباشرها».

فمجموع هذه الأحاديث يدل على حرمة الجماع في الفرج، وبيح للزوج أن يستمتع بزوجه وهي حائض، فيما فوق السرة وتحت الركبة، والاستمتاع بهذه الصورة هو قول الحنفية والمالكية والشافعية، وقد استفادوا هذا التحديد من إباحة النبي ﷺ الاستمتاع بما فوق الإزار، لأن الإزار هو الثوب الذي يستتر وسط الجسم وما دونه، وهو ما بين السرة والركبة غالباً، وعلّة منع الاستمتاع بما بين السرة والركبة أنه داعية إلى الجماع، ووسيلة إليه، والوسائل لها حكم المقاصد .

فقد ورد في الصحيحين من حديث النعمان بن بشير رضي الله عنه أن النبي ﷺ قال: "ومن وقع في الشبهات وقع في الحرام، كراع يرعى حول الحمى يوشك أن يواقعها» .

وذهب الحنابلة إلى أنه يجوز للرجل أن يستمتع بزوجه، وهي حائض كيف شاء، ما عدا الجماع، لما سبق من قوله ﷺ: «اصنعوا كل شيء إلا النكاح».

لكن قول الجمهور أرجح وأحوط، وأنسب لحال الناس، فإن منهم من قد لا يملك نفسه إذا باشر قريباً من الفرج .

أما ما يجب على من جامع زوجته وهي حائض، فالجمهور من الحنفية والمالكية والشافعية على أنه لا شيء عليه إلا التوبة، لأن الأصل براءة الذمة، ولا ينتقل عنها إلا بدليل، ولأنه وطء حرم للأذى فلم تتعلق به الكفارة كالوطء في الدبر، وهذا القول مروى عن الإمام أحمد أيضاً .

وذهب الإمام أحمد في رواية أخرى، وهي أرجحها عند الحنابلة إلى أنه يجب عليه كفارة: دينار أو نصف دينار، لما روى أبو دود والنسائي وابن ماجه عن ابن عباس رضي الله عنهما أن النبي ﷺ قال في الذي يأتي امرأته وهي حائض: "يتصدق بدينار أو بنصف دينار" والدينار زنته أربعة جرامات وربع الجرام من الذهب تقريباً.

[تفسير مختصر للآية]

يذكر الله تعالى سؤال الصحابة للنبي ﷺ عن المحيض، فقال له: (قل هو أذى) أي: قدرٌ ودمٌ (فاعتزلوا النساء في المحيض) أي: مجامعتهن إذا حضن (ولا تقربوهن) أي: ولا تجامعوهن (حتى يطهرن) أي: يغتسلن، ومن قرأ: (يَطْهَرْنَ) بالتخفيف، أي: يقطع عنهنّ الدم، أي: توجد الطهارة وهي الغسل (فإذا تطهرن) اغتسلن (فأتوهن) أي: جامعوهن (من حيث أَمَرَكم الله) بتجنّبهن في الحيض - وهو الفرج - (إن الله يحب التوابين) من الذنوب و (المتطهرين) بالماء من الأحداث والجنابات⁽³⁸¹⁾.

(نَسَاؤُكُمْ حَرِّثَ لَكُمْ فَأْتُوا حَرِّثَكُمْ أَنِّي سِنِّمٌ وَقَدِّمُوا لِأَنفُسِكُمْ وَأَتَّقُوا اللَّهَ وَاعْلَمُوا أَنَّكُمْ مُقْتَدُونَ وَبَشِّرِ الْمُؤْمِنِينَ (٢٢٣)

قوله تعالى: (نساؤكم حرث لكم) - الآية.

138. روى الشيخان وأبو داود والترمذي عن جابر قال: « كانت اليهود تقول إذا جامعها من ورائها جاء

الولد أحول! فنزلت: (نساؤكم حرث لكم فأتوا حرثكم أنى شئتم⁽³⁸²⁾) .»

139. وأخرج أحمد والترمذي عن ابن عباس قال: « جاء عمر إلى رسول الله ﷺ فقال يا رسول الله

(379) العجائب في بيان الأسباب (1/ 553)

(380) أسباب النزول للواحدي (46)

(381) الوجيز للواحدي (60)

(382) تفسير الطبري 2/398 صحيح البخاري 4/1645 ح (4254) صحيح مسلم 2/1058 ح (1435) سنن أبي داود 2/249 ح (2163) سنن الترمذي 5/215 ح (2978) سنن النسائي الكبرى 5/313 ح (8973) سنن ابن ماجه 1/620 ح (1925) سنن الدارمي 1/275 ح (1132) صحيح ابن حبان 9/512 ح (4197) مسند أبي عوانة 3/84 تأليف: الإمام أبي عوانة يعقوب بن إسحاق الأسفرائني - سنة الوفاة 316 هـ الناشر: دار المعرفة مكان النشر: بيروت عدد الأجزاء: 5 سنن البيهقي الكبرى 7/195 ح (13880) مصنف ابن أبي شيبة 3/517 ح (16662) المؤلف: أبو بكر بن أبي شيبة، عبد الله بن محمد بن إبراهيم بن عثمان بن خواستي العبسي (المتوفى: 235 هـ) المحقق: كمال يوسف الحوت الناشر: مكتبة الرشد - الرياض الطبعة: الأولى، 1409 عدد الأجزاء: 7 مسند الحميدي 2/532 ح (1263) الكتاب: مسند الحميدي المؤلف: عبدالله بن الزبير أبو بكر الحميدي الوفاة 219 هـ الناشر: دار الكتب العلمية، مكتبة المتنبى - بيروت، القاهرة تحقيق: حبيب الرحمن الأعظمي عدد الأجزاء: 2 مسند أبي يعلى 4/21 ح (2024) مسند ابن الجعد 1/251 ح (251) المعجم الأوسط 1/179 ح (571)

هلكت، قال: « وما أهلكك »؟ قال: حولت رحلي الليلة⁽³⁸³⁾ فلم يرد عليه شيئاً، فأنزل الله الآية (نساؤكم حرث لكم فأتوا حرثكم أنى شئتم) « أقبل وأدبر وائق الدبر والحیضة⁽³⁸⁴⁾ ».

140. وأخرج ابن جرير وأبو يعلى وابن مردويه من طريق زيد بن أسلم عن عطاء بن يسار عن أبي سعيد الخدري: « أن رجلاً أتى امرأته في دبرها، فأنكر الناس عليه ذلك، فأنزلت: (نساؤكم حرث لكم) - الآية⁽³⁸⁵⁾ ».

141. وأخرج البخاري عن ابن عمر قال: « أنزلت هذه الآية في إتيان النساء في أدبارهن⁽³⁸⁶⁾ »

142. وأخرج الطبراني في الأوسط بسند جيد عنه قال: « إنما أنزلت على رسول الله ﷺ: (نساؤكم حرث لكم) رخصة في إتيان الدبر⁽³⁸⁷⁾ ».

143. وأخرج أيضاً عنه " أن رجلاً أصاب امرأة في دبرها في زمن رسول الله ﷺ، فأنكر ذلك الناس، فأنزل الله: (نساؤكم حرث لكم)⁽³⁸⁸⁾ ».

144. وأخرج أبو داود والحاكم عن ابن عباس قال: « إن ابن عمر والله يغفر له وهِمَ إنما كان أهل هذا الحي من الأنصار وهم أهل وثن، مع هذا الحي من يهود وهم أهل كتاب، كانوا يرون لهم فضلاً عليهم في العلم، فكانوا يقتدون بكثير من فعلهم، وكان من أمر أهل الكتاب أنهم لا يأتون النساء إلا على حرف⁽³⁸⁹⁾، وذلك أستر ما تكون المرأة، وكان هذا الحي من الأنصار قد أخذوا بذلك، وكان هذا الحي من قريش يشرحون النساء شرحاً ويتلذذون منهن مقبلات ومدبرات ومستلقيات، فلما قدم المهاجرون المدينة تزوج رجل منهم امرأة من الأنصار فذهب يصنع بها ذلك فأكرته عليه وقالت: إنما كنا نوتى على حرف فسرى أمرهما، فبلغ ذلك رسول الله ﷺ، فأنزل الله: (نساؤكم حرث لكم فأتوا حرثكم أنى شئتم)، أي مقبلات ومدبرات ومستلقيات يعني بذلك موضع الولد⁽³⁹⁰⁾ ».

قال الحافظ بن حجر في شرح البخاري: السبب الذي ذكره ابن عمر في نزول الآية مشهور، وكان حديث أبي سعيد لم يبلغ ابن عباس، وبلغه حديث ابن عمر فوهمه فيه.

[تعليق]

ذكر المؤلف رحمه سبعة آثار في سبب نزول هذه الآية.

الأول: أنها نزلت في قول اليهود: إذا جامعها من الخلف جاء الولد أحول.

الثاني: أنها نزلت في عمر بن الخطاب عندما جامع امرأته من الخلف في القبل.

الثالث والرابع والخامس والسادس: عن أبي سعيد وابن عمر في الرخصة في إتيان النساء في أدبارهن. وذكر الحافظ ابن حجر روايات عدة عن ابن عمر في أن الآية نزلت في إتيان النساء في أدبارهن، وتأوله كثيرون بأنه إباحة للجماع في الدبر لا القبل، والقول بأن سبب نزول الآية الإتيان في الدبر مشهور عن ابن عمر، وورد عنه كذلك عدم الرخصة في ذلك على ما ذكره الإمام ابن كثير: عن سعيد بن يسار: أنه سأل ابن عمر فقال له: يا أبا عبد الرحمن، إنا نشترى الجوارى أفنحمض لهن؟ فقال: وما التحميض؟ فنكر له الدبر. فقال ابن عمر: أف! أف! أيفعل ذلك مؤمن - أو قال: مسلم⁽³⁹¹⁾.

السابع: في إنكار ابن عباس على ابن عمر تأويله للآية وإثبات أن الآية نزلت في إتيان النساء من أدبارهن لكن في موضع الحرب، ويوافقه ما أخرجه الإمام الدارمي عن ابن سابط، قال: سألت حفصة بنت عبد الرحمن هو ابن أبي بكر، فقلت لهما: إني أريد

⁽³⁸³⁾ هذه كناية عن إتيان النساء من الخلف لكن في القبل ليس في الدبر انظر معناه في تحفة الأحوذى (258/8) الناشر: دار الكتب العلمية بيروت

⁽³⁸⁴⁾ تفسير ابن جرير 397/2 سنن النسائي الكبرى 314/5 ح (8977) سنن الترمذي 216/5 ح (2980) وقال: حسن غريب الأحاديث المختارة 10/100 ح تأليف: الحافظ أبو عبد الله محمد بن عبد الواحد بن أحمد الحنبلي المقدسي المشهور بالضياء المقدسي اسم المحقق: عبد الملك بن عبد الله بن دهب. دار النشر: مكتبة النهضة الحديثة. مدينة النشر: مكة المكرمة. سنة النشر: 1410 الطبعة: الأولى. (96) صحيح ابن حبان 9516/9 ح (4202) مسند أحمد 1297/1 ح (2703) سنن البيهقي الكبرى 7/198 ح (13903) مسند أبي يعلى 5/121 ح (2736) المعجم الكبير 12/10 ح (12317) قلت: في إسناده كلا من يعقوب القمي وجعفر بن أبي المغيرة وكلاهما قال الحافظ عنه في التقريب: صدوق بهم وصححه الحافظ في الفتح 191/8.

⁽³⁸⁵⁾ تفسير ابن جرير 2/395 عن عطاء مرسل شرح معاني الآثار 3/40 ح (4056) مسند أبي يعلى/2 354 ح (1103) وهو حديث معلول أعلاه أبو حاتم قال ابن أبي حاتم: سألت أبي عن حديث رواه لنا محمد بن عبد الله بن عبد الحكم عن أبي بكر بن أبي أويس عن سليمان بن بلال عن زيد بن أسلم عن ابن عمر عن النبي ﷺ في قوله عز وجل: (نساؤكم حرث لكم) قال أبي: رواه عبد الله بن نافع الصائغ عن داود بن قيس عن زيد بن أسلم عن عطاء بن يسار عن أبي سعيد عن النبي ﷺ - في ذلك قال أبي هذا أشبه، وهذا أيضاً منكر وهو أشبه من حديث ابن عمر، لأن الناس أقبلوا قبل نافع فيما حكى عن ابن عمر في قوله: (نساؤكم حرث لكم) في الرخصة فلو كان عند زيد بن أسلم عن ابن عمر لكانوا لا يولعون بنافع وأول ما رأيت حديث ابن عبد الحكم استغربه ثم تبين لي علته انظر علل ابن أبي حاتم 1/408 المؤلف/ الحافظ أبي عبد الله محمد بن أحمد بن عبد الهادي المقدسي دار النشر: أضواء السلف - السعودية/ الرياض - 1423 هـ - 2003م عدد الأجزاء/ 1 الطبعة: الأولى تحقيق: سامي بن محمد بن جاد الله تقديم: عبد الله بن عبد الرحمن السعد

⁽³⁸⁶⁾ تفسير الطبري 2/394 صحيح البخاري 1645/4 ح (4253) ولكن ليس بهذا اللفظ الذي ذكره المصنف إنما هو عن نافع قال: « كان بن عمر رضي الله عنهما إذا قرأ القرآن لم يتكلم حتى يفرغ منه، فأخذت عليه يوماً فقرأ سورة البقرة حتى انتهى إلى مكان قال: تدري فيما أنزلت؟ قلت: لا قال أنزلت في كذا وكذا»

⁽³⁸⁷⁾ المعجم الأوسط 144/4 ح (3827) رواه عن شيخه علي بن سعيد الرازي قال الدارقطني: حدث بأحاديث لا يتابع عليها انظر تذكرة الحفاظ 2/750

⁽³⁸⁸⁾ المعجم الأوسط 6/242 ح (6298) وفي إسناده محمد بن علي الصائغ شيخ الطبراني ذكره ابن حبان في الثقات وياقي الإسناد ثقات قال الطبراني: لم يروه عن ابن أبي ذئب إلا أبو صفوان، وأبو صفوان هذا هو عبد الله بن سعيد بن عبد الملك سماه في الرواية قال الحافظ في التقريب: ثقة.

⁽³⁸⁹⁾ قال القاضي عياض: على حرف أي: على جانب غير مستقلة ولا محيية

مشارك الأنوار على صحاح الآثار (188/1) دار النشر: المكتبة العتيقة ودار التراث

⁽³⁹⁰⁾ سنن أبي داود 2/249 ح (2164) مستدرک الحاكم 2/212 ح (2791) وقال: هذا حديث صحيح الإسناد على شرط مسلم ولم يخرجاه بهذه السبابة إنما اتفقا على حديث

محمد بن المنكدر عن جابر في هذا الباب سنن البيهقي الكبرى 7/195 ح (13885)

⁽³⁹¹⁾ ابن كثير تفسير ابن كثير (597/1)

أَنْ أَسْأَلَكَ عَنْ شَيْءٍ وَأَنَا اسْتَحْبِي أَنْ أَسْأَلَكَ عَنْهُ؟ قَالَتْ: سَلْ يَا ابْنَ أَخِي عَمَّا بَدَا لَكَ. قَالَ: أَسْأَلُكَ عَنْ إِيْتَانِ النِّسَاءِ فِي أَدْبَارِهِنَّ. فَقَالَتْ: حَدَّثَنِي أُمُّ سَلْمَةَ رَضِيَ اللَّهُ عَنْهَا، قَالَتْ: كَانَتْ الْأَنْصَارُ لَا تُحْبِي، وَكَانَتْ الْمُهَاجِرُونَ يُحْبِي، فَتَزَوَّجَ رَجُلٌ مِنَ الْمُهَاجِرِينَ امْرَأَةً مِنَ الْأَنْصَارِ، فَجَبَّاهَا، فَأَبَتْ الْأَنْصَارِيَّةُ، فَأَتَتْ أُمَّ سَلْمَةَ، فَذَكَرَتْ ذَلِكَ لَهَا، فَلَمَّا أَنْ جَاءَ النَّبِيُّ صَلَّى اللَّهُ عَلَيْهِ وَسَلَّمَ اسْتَحْبَتِ الْأَنْصَارِيَّةُ وَخَرَجَتْ، فَذَكَرَتْ ذَلِكَ أُمَّ سَلْمَةَ لِلنَّبِيِّ صَلَّى اللَّهُ عَلَيْهِ وَسَلَّمَ فَقَالَ: «ادْعُوها لي» فَدَعَيْتُ لَهُ، فَقَالَ لَهَا (نِسَاؤُكُمْ حَرَّتْ لَكُمْ فَأْتُوا حَرَّتْكُمْ أَنِّي سَنُتِّمُ) [البقرة: 223] «صِمَامًا وَاجِدًا» وَالصِّمَامُ: السَّبِيلُ الْوَاحِدُ⁽³⁹²⁾.

وأخرج الواحدي عن سعيد بن المسيب أنه سئل عن قوله - (فأتوا حرثكم أنى شئتم) - قال: نزلت في العزل⁽³⁹³⁾. انتهى. يعنى إباحة العزل عن النساء، قال الحافظ وإسناده ضعيف⁽³⁹⁴⁾. وفي رواية عند الإمام الطبري عن سعيد بن المسيب: (فأتوا حرثكم أنى شئتم)، إن شئتم فاعزلوا، وإن شئتم فلا تعزلوا⁽³⁹⁵⁾.

وروى الطبري رحمه الله عن ابن عباس قال: إن شئت فاعزل، وإن شئت فلا تعزل⁽³⁹⁶⁾. واختلف الرواية عن مجاهد رحمه الله قال الحافظ: وجاء نحو ذلك من مرسل خصيف عن مجاهد أخرجه عبد بن حميد من طريقه ولفظه كانوا "يجتنبون النساء في المحيض فلا يجامعونهن في فروجهن وياتونهم في أدبارهن" فسألوا النبي عن ذلك. فأنزل الله (نساؤكم حرث لكم) الآية هكذا قال خصيف والمحفوظ عن مجاهد التشديد في ذلك لا الرخصة.

يتلخص مما تقدم في سبب نزول هذه الآية في إباحة إتيان النساء من جهة الدبر. وقد اختلفت الروايات في سبب النزول فقيل نزلت في عمر بن الخطاب، وهو في صحيح البخاري فهذا السبب مقدم على غيره، وقيل في سؤال أحد الصحابة، وقيل في تحريم اليهود ذلك، فنزلت الآية مبيحة، وقيل في العزل.

وكل هذه الآثار يمكن الجمع بينها، فيقال بأن الآية تأخر نزولها حتى جامع عمر زوجته من جهة دبرها وحتى سأل الصحابة النبي □ .

أما العزل الوارد في رواية ابن عباس ورواية سعيد، فعلى فرض صحته فهو تأويل لعموم الآية لا سبب نزول الآية فعموم الآية يدل على جواز العزل لأن قوله تعالى " أنى شئتم " عام يشمل أوضاع الجماع وكذلك العزل أو عدمه. والله تعالى أعلم

[حكم إتيان النساء من الدبر]

تقدم رأي عبد الله بن عمر رضي الله عنه في ذلك وأنه كان يرى جواز إتيان النساء من الدبر والقول بالجواز هو قول لم يقل به أحد من الأئمة الأربعة على ما ذكره شيخ الإسلام ابن تيمية وأنا أذكر كلامه هنا للفائدة.

قال رحمه الله "الوطء في الدبر" حرام في كتاب الله وسنة رسوله □ وعلى ذلك عامة أئمة المسلمين، من الصحابة والتابعين وغيرهم، فإن الله تعالى قال في كتابه: (نِسَاؤُكُمْ حَرَّتْ لَكُمْ فَأْتُوا حَرَّتْكُمْ أَنَّى شِئْتُمْ) [البقرة: 223].

وقد ثبت في الصحيح، أن اليهود كانوا يقولون إذا أتى الرجل امرأته في قبلها من دبرها جاء الولد أحول، فسأل المسلمون عن ذلك النبي □ فأنزل الله هذه الآية: (نِسَاؤُكُمْ حَرَّتْ لَكُمْ فَأْتُوا حَرَّتْكُمْ أَنَّى شِئْتُمْ) [البقرة: 223].

و"الحرث" موضع الزرع، والولد إنما يزرع في الفرج لا في الدبر، "فأتوا حرثكم" وهو موضع الولد "أنى شئتم" أي من أين شئتم، من قبلها ومن دبرها وعن يمينها وعن شمالها، فانه تعالى سمى النساء حرثاً، وإنما رخص في إتيان الحروث، والحرث إنما يكون في الفرج، وقد جاء في غير أثر: أن الوطء في الدبر هو اللوطية الصغرى، وقد ثبت عن النبي □ أنه قال: إن الله لا يستحي من الحق.. لا تأتوا النساء في حشوشهن. و"الحش" هو الدبر وهو موضع القدر، والله سبحانه حرم إتيان الحائض مع أن النجاسة عارضة في فرجها، فكيف بالموضع الذي تكون فيه النجاسة المغلظة؟! و"أيضاً" فهذا من جنس اللواط، ومذهب أبي حنيفة وأصحاب الشافعي وأحمد وأصحابه أن ذلك حرام لا نزاع بينهم. وهذا هو الظاهر من مذهب مالك وأصحابه⁽³⁹⁷⁾. انتهى

[تفسير مختصر للآية]

(نساؤكم حرث لكم) أي: مزرع ومنبت للولد

(فأتوا حرثكم أنى شئتم) أي: كيف شئتم ومن أين شئتم بعد أن يكون في صمام واحد.

(وقدموا لأنفسكم) أي: العمل لله بما يحب ويرضى [وقيل قدموا لأنفسكم يعنى مقدمات الجماع]

(واتقوا الله) فيما حد لكم من الجماع وأمر الحائض

(واعلموا أنكم ملاقوه) أي: راجعون إليه (وبشر المؤمنين) الذين خافوه وحذروا معصيته⁽³⁹⁸⁾

(وَلَا تَجْعَلُوا اللَّهَ عُرْضَةً لِأَيْمَانِكُمْ أَنْ تَبَرُّوا وَتَتَّقُوا وَتُصَلِّحُوا بَيْنَ النَّاسِ وَاللَّهُ سَمِيعٌ عَلِيمٌ (٢٢٤)

قوله تعالى: (ولا تجعلوا الله عرضة لأيمانكم) - الآية.

145. أخرج ابن جرير من طريق ابن جريج قال: "حدثت أن قوله: (ولا تجعلوا الله عرضة لأيمانكم) - الآية

(392) سنن الدارمي (1/ 724)

(393) أسباب النزول للواحدي (48)

(394) العجائب في بيان الأسباب (1/ 563)

(395) جامع البيان (تفسير الطبري) (4/ 408)

(396) جامع البيان (تفسير الطبري) (4/ 408) إسناده جيد لكن فيه أبو إسحاق السبيعي مدلس.

(397) مجموع الفتاوى (32/ 268) دار الوفاء الطبعة: الثالثة، 1426 هـ/ 2005 م

(398) الوجيز للواحدي (60)

نزلت في أبي بكر في شأن مسطح⁽³⁹⁹⁾ ."

[تعليق]

ذكر المؤلف رحمه الله هنا سبباً واحداً لنزول الآية، وأنها نزلت في أبي بكر رضي الله عنه عندما حلف أن لا ينفق على مسطح، ومسطح هو مسطح بن أثانة بن عبادة بن المطلب المطلبي، وكان مسطح من الفقراء فذلك كان أبو بكر ينفق عليه، فلما خاض في عرض أم المؤمنين عائشة في حادثة الإفك وبرأها الله تعالى، حلف أبو بكر أن لا ينفق عليه. وقد ذكر في سبب نزول هذه الآية أسباب أخرى.

فقيل: نزلت في عبد الله بن رواحة قال الواحدي قال الكلبي: نزلت في عبد الله ابن رواحة ينهاه عن قطيعة خنته بشر بن النعمان، وذلك أن ابن رواحة حلف أن لا يدخل عليه أبداً، ولا يكلمه، ولا يصلح بينه وبين امرأته، ويقول: قد حلفت بالله أن لا أفعل، ولا يحل إلا أن أبر في يميني، فأنزل الله تعالى هذه الآية⁽⁴⁰⁰⁾.

وقيل نزلت في أبي بكر رضي الله عنه مع ابنه عبد الرحمن. قال مقاتل بن سليمان:

نزلت في أبي بكر الصديق، رضي الله عنه، وفي ابنه عبد الرحمن، حلف أبو بكر، رضي الله عنه، ألا يصله حتى يسلم⁽⁴⁰¹⁾.

وقيل: نزلت في الصديق أيضاً حين حلف ألا يأكل مع الأضياف⁽⁴⁰²⁾. قاله الإمام القرطبي رحمه الله.

وقيل نزلت في أن الرجل كان يحلف بالله أن لا يصل رحمه، ولا يصلح بين الناس، فنزلت هذه الآية، قاله الربيع بن

أنس⁽⁴⁰³⁾.

وقيل نزلت في تحريم الحلف بالله وإن كان صادقاً، روى ذلك عن عائشة رضي الله عنها: فروى الطبري عن عائشة في قوله: "ولا تجعلوا الله عرضة لأيمانكم أن تبروا وتتقوا وتصلحوا بين الناس"، قالت: لا تحلفوا بالله وإن بررتم⁽⁴⁰⁴⁾. وهذا ليس سبباً للنزول ولكن تفسير للآية ولكن ذكره الإمام بن حجر على أنه قول آخر في سبب النزول.

وكل هذه الأسباب مراسيل والموصول منها في إسناده مقال، ويمكن حمل الآية على كل ما ورد فيها من أسباب النزول، ففقول تأخر نزول هذه الآية حتى كان من شأن أبي بكر مع ابنه ومسطح وكذلك عبد الله بن رواحة وما كان من شأن من حلف بالله أن لا يصل رحمه، ثم أنزل الله الآية، مرشدة إلى ما ينبغي عليهم.

قال الإمام الطبري: وأولى التأويلين بالآية، تأويل من قال: معنى ذلك: لا تجعلوا الحلف بالله حجة لكم في ترك فعل الخير فيما بينكم وبين الله وبين الناس⁽⁴⁰⁵⁾.

[تفسير مختصر للآية]

(ولا تجعلوا الله عرضة لأيمانكم) أي: لا تجعلوا اليمين بالله سبحانه علة مانعة من البر والتقوى من حيث تتعمدون اليمين لتعتلوا بها.

(أن تبروا) أي: في أن لا تبرؤا، أو لدفع أن تبرؤا، ويجوز أن يكون قوله: (أن تبروا) ابتداءً، وخبره محذوف على تقدير: أن تبرؤا وتتقوا وتصلحوا بين الناس أولى، أي: البر والتقوى أولى.

(والله سميعٌ عليمٌ) يسمع أيمانكم، ويعلم ما تقصدون بها.

(وَالْمُطَلَّقَاتُ يَتَرَبَّصْنَ بِأَنْفُسِهِنَّ ثَلَاثَةَ قُرُوءٍ وَلَا يَحِلُّ لَهُنَّ أَنْ يَكْتُمْنَ مَا خَلَقَ اللَّهُ فِي أَرْحَامِهِنَّ إِنْ كُنَّ يُؤْمِنَنَّ بِاللَّهِ وَالْيَوْمِ الْآخِرِ وَيُعَوِّظُهُنَّ أَحَقُّ بِرَدِّهِنَّ فِي ذَلِكَ إِنْ أَرَادُوا إِصْلَاحًا وَلَهُنَّ مِثْلُ الَّذِي عَلَيْهِنَّ بِالْمَعْرُوفِ وَلِلرِّجَالِ عَلَيْهِنَّ دَرَجَةٌ وَاللَّهُ عَزِيزٌ حَكِيمٌ (٢٢٨)

قوله تعالى: (والمطلقات يتربصن) - الآية.

146. أخرج أبو داود وابن أبي حاتم عن أسماء بنت يزيد بن السكن الأنصارية قالت: « طلقت على عهد رسول الله صلى الله عليه وسلم، ولم يكن للمطلقة عدة فأنزل الله العدة للطلاق: (والمطلقات يتربصن بأنفسهن ثلاثة قروء) ⁽⁴⁰⁶⁾ ».

147. وذكر الثعلبي وهبة الله بن سلامة في الناسخ عن الكلبي ومقاتل: « أن إسماعيل بن عبد الله الغفاري طلق امرأته قتيلة على عهد رسول الله صلى الله عليه وسلم، ولم يعلم بحملها ثم علم فراجعها فولدت فماتت ومات ولدها، فنزلت (والمطلقات يتربصن بأنفسهن ثلاثة قروء) ⁽⁴⁰⁷⁾ ».

(399) تفسير ابن جرير 2/402 وفي إسناده سنيد ضعيف، وكذلك مرسل عن ابن جريج

(400) أسباب النزول للواحدى (49)

(401) تفسير مقاتل بن سليمان (1/ 119)

(402) تفسير القرطبي - (3/ 97)

(403) زاد المسير في علم التفسير (1/ 221)

(404) جامع البيان (تفسير الطبري) (4/ 423)

(405) جامع البيان (تفسير الطبري) (4/ 424)

(406) سنن أبي داود 2/285 ح (2281) سنن البيهقي الكبرى 7/414 ح (15155) وإسناده صالح، وفيه إسماعيل بن عياش متكلم في روايته عن الحجازيين، وأما الشاميين فروايتهم عنهم مستقيمة وهنا روى عن عمرو بن مهاجر وهو شامي، وسكت عن إسناده أبو داود على قاعدته أن ما سكت عنه فهو صالح للاحتجاج وحسنة الشيخ ناصر في صحيح سنن أبي داود

(407) الناسخ والمنسوخ لابن سلامة 1/53 المؤلف: أبو القاسم هبة الله بن سلامة بن نصر بن علي البغدادي المقرئ (المتوفى: 410هـ) المحقق: زهير الشاويش، محمد كنعان الناشر: المكتب الإسلامي - بيروت الطبعة: الأولى، 1404 هـ عدد الأجزاء: 1 ولم يعزه وعلى كل فما ذكر المصنف كاف لتضعيفه عن ذكر وهو ضعف الكلبي وإرسال

[تعليق]

ذكر المؤلف رحمه الله هذين الأثرين في سبب نزول هذه الآية، وأما الأول فهو حسن أنها نزلت في أسماء بنت يزيد، أما الثاني فلا تقوم بمثله حجة فهما مرسلان بالإضافة إلا ضعف الكلبي، لكن يشهد لهما ما أخرجه الإمام الطبري عن قتادة قال، كان أهل الجاهلية يطلق أحدهم امرأته ثم يراجعها، لا حد في ذلك، هي امرأته ما راجعها في عدتها، فجعل الله حد ذلك يصير إلى ثلاثة قروء، وجعل حد الطلاق ثلاث تطلقات⁽⁴⁰⁸⁾.

وأخرج الإمام الطبراني في تفسير منسوب إليه عن ابن عباس من غير إسناد: قوله تعالى: (والمطلقات يتربصن بأنفسهن ثلاثة قروء) سبب نزولها: أن المرأة كانت إذا طلقت وهي راغبة في زوجها، قالت: أنا حبلى، وليست حبلى، لكي يراجعها، وإن كانت حبلى وهي كارهة، قالت: لست بحبلى، لكي لا يقدر على مراجعتها. فلما جاء الإسلام ثبتوا على هذا فنزل قوله تعالى: (يا أيها النبي إذا طلقتم النساء فطلقوهن لعدتهن وأحصوا العدة) [الطلاق: 1]. ثم نزلت: (والمطلقات يتربصن بأنفسهن ثلاثة قروء)⁽⁴⁰⁹⁾.

فهذه ثلاثة آثار تشتمل على سببين للنزول.

الأول: يدل على أن المطلقة لم يكن لها عدة، ثم نزلت الآية بياناً للعدة.

الثاني: أنه كان لها عدة ولكن هذه العدة إذا كانت حاملاً أن تضع حملها.

ويمكن الجمع بأن يقال بأن السبب الأول مجمل، والسبب الثاني مبيناً لهذا الإجمال. وحكم عدة الحمل في هذا السبب ثابتة

بقوله تعالى

(وَأُولَاتُ الْأَحْمَالِ أَجَلُهُنَّ أَنْ يَضَعْنَ حَمْلَهُنَّ) [الطلاق: 4] هذا على فرض صحة الأثرين الآخرين. وإلا فالأثر الأول أجود إسناداً وهو أولى بالترجيح فتكون المطلقة قبل الإسلام لم يكن لها عدة. ثم نزلت الآية مبينة عدة غير الحامل، ثم جاءت آية الطلاق مبينة لعدة الحامل. والله تعالى أعلم.

[تفسير مختصر للآية]

(والمطلقات [أي: النساء اللاتي طلقهن أزواجهن (يَتَرَبَّصْنَ بِأَنْفُسِهِنَّ) أي: ينتظرن ويعتددن مدة (ثَلَاثَةَ قُرُوءٍ) أي: حيض، أو أطهار على اختلاف العلماء في المراد بذلك، مع أن الصحيح أن القراء، الحيض، ولهذه العدة عدة حكم، منها: العلم ببراءة الرحم، إذا تكررت عليها ثلاثة الأقراء، علم أنه ليس في رحمها حمل، فلا يفرض إلى اختلاط الأنساب⁽⁴¹⁰⁾.

(أَلْطَلَّقُ مَرَّتَانٍ فِيمَا سَاكَ بِمَعْرُوفٍ أَوْ تَسْرِيحٍ بِإِحْسَنٍ وَلَا يَجِلُّ لَكُمْ أَنْ تَأْخُذُوا مِمَّا آتَيْنَاهُمْ شَيْئًا إِلَّا أَنْ يَخَافَا أَلَّا يُقِيمَا حُدُودَ اللَّهِ فَإِنْ خِفْتُمْ أَلَّا يُقِيمَا حُدُودَ اللَّهِ فَلَا جُنَاحَ عَلَيْهِمَا فِيمَا افْتَدَتْ بِهِ تِلْكَ حُدُودُ اللَّهِ فَلَا تَعْدُواهَا وَمَنْ يَتَعَدَّ حُدُودَ اللَّهِ فَأُولَئِكَ هُمُ الظَّالِمُونَ (٢٢٩)

قوله تعالى: (الطلاق مرتان) - الآية.

148. أخرج الترمذي والحاكم وغيرهما عن عائشة قالت: «كان الرجل يطلق امرأته ما شاء أن يطلقها وهي امرأته إذا ارتجعها وهي في العدة، وإن طلقها مائة مرة وأكثر، حتى قال رجل لامرأته: والله لا أطلقك فتبينني مني ولا أويك أبداً قالت: وكيف ذلك؟! قال: أطلقك فكلما همت عدتك أن تنقضي راجعتك، فذهبت المرأة فأخبرت النبي ﷺ فسكت حتى نزل القرآن: (الطلاق مرتان فإمسك بمعروف أو تسريح بإحسان)⁽⁴¹¹⁾».

[تعليق]

ذكر المؤلف رحمه الله هذا الأثر عن عائشة رضي الله عنها في سبب نزول هذه الآية. وقد صحح أكثر أهل العلم إرساله، والمرسل ضرب من الحديث الضعيف، وله شواهد مرسله منها ما أخرجه الطبري رحمه الله عن قتادة قال: «كان أهل الجاهلية يطلق أحدهم امرأته ثم يراجعها، لا حد في ذلك، هي امرأته ما راجعها في عدتها، فجعل الله حد ذلك يصير إلى ثلاثة قروء، وجعل حد الطلاق ثلاث تطلقات⁽⁴¹²⁾».

ونقل الحافظ ابن حجر عن الثعلبي عن مقاتل بن حيان و الكلبي قالوا: «كان الرجل في أول الإسلام إذا طلق امرأته وهي حبلى فهي أحق برجعها ما لم تضع ولدها إلى أن نسخ الله تعالى ذلك بقوله الطلاق مرتان - الآية⁽⁴¹³⁾».

وعزا كذلك الحافظ للإمام ابن جرير من طريق يزيد النحوي عن عكرمة والحسن البصري قالوا: في قوله تعالى

مقاتل

(408) جامع البيان (تفسير الطبري) (540/4)

(409) تفسير القرآن العظيم المنسوب للإمام الطبراني ولم أجد أحداً أكد أنه من تفسيره وقيل من تفسير الغزنوي والذي يزيد الشك في هذا التفسير أنه من غير إسناد وهذا غير ملائم لطبيعة زمن الإمام الطبراني الذي كان فيه الإسناد منتشرأ كلف ذكر الأثر الإمام ابن الجوزي في زاد المسير في علم التفسير (1/225)

(410) تفسير السعدي (101)

(411) أخرجه الترمذي 3/497 ح (1192) ورجح إرساله، ويعلى بن شبيب الذي رفعه عن عائشة قال الحافظ: لين الحديث، كذلك أخرجه صاحب المستدرک 2/307 ح

(3106) وقال صحيح الإسناد، وما قاله فيه نظر، وكذلك أخرجه البيهقي في الكبرى 7/333 ح (14727)

(412) جامع البيان (تفسير الطبري) (540/4)

(413) العجائب في بيان الأسباب (1/583)

(وبعولتهن أحق بردهن): الآية. كان الرجل إذا طلق امرأته كان أحق برجعتها ولو طلقها ثلاثاً فنزلت (الطلاق مرتان) فنسخ ذلك، فإذا طلقها الثالثة لم تحل له رجعتها إلا ما دامت في عدتها⁽⁴¹⁴⁾.
فهذه الآثار يشد بعضها أزر بعض. وهي تدل على أن ذلك كان هو سبب النزول فشرع الله تعالى الطلاق مرتين لحفظ حقوق النساء، ولا يكون مضغة في فم المتلاعبين من الرجال.

[تفسير مختصر للآية]

(الطلاق مرتان) كان طلاق الجاهلية غير محصور بحد، فحصر الله الطلاق بثلاث، فذكر في هذه الآية طلقتين، وذكر الثالثة في الآية الأخرى، وهي قوله: (فإن طلقها فلا تحل له من بعد...) الآية، وقيل: المعنى في الآية: الطلاق الذي يملك فيه الرجعة مرتان. (فإمسك بمعروف) يعني: إذا راجعها بعد الطلقتين فعليه إمساك بما أمر الله تعالى (أو تسريحاً بإحسان) وهو أن يتركها حتى تبيّن بانقضاء العدة، ولا يراجعها ضراراً⁽⁴¹⁵⁾.

قوله تعالى: (ولا يحل لكم).

149. أخرج أبو داود في الناسخ والمنسوخ عن ابن عباس قال: «كان الرجل يأكل مال امرأته من نحلته الذي نحلها وغيره، لا يرى أن عليه جناحاً، فأُنزل الله: (ولا يحل لكم أن تأخذوا مما آتيتموهن شيئاً)⁽⁴¹⁶⁾»

150. وأخرج ابن جرير عن ابن جريج قال: «نزلت هذه الآية في ثابت بن قيس وفي حبيبة، وكانت اشتكته إلى رسول الله ﷺ فقال: «أتردين عليه حديثه»؟ قالت: نعم، فدعاه فذكر ذلك له قال: وتطيب لي بذلك؟ قال: «نعم» قال قد فعلت، فنزلت: (ولا يحل لكم أن تأخذوا مما آتيتموهن شيئاً إلا أن يخافاً) - الآية⁽⁴¹⁷⁾.

[تعليق]

ذكر المؤلف رحمه الله أثريين في سبب نزول هذه الآية. أما الأول فأخرجه أبو داود في الناسخ والمنسوخ⁽⁴¹⁸⁾، وفيه أن سبب النزول كان في استحلال المهر الذي أعطاه الرجل للمرأة أو غير ذلك وهذا لا يجوز وقد نهى الله تعالى عن ذلك فقال (ولا يحل لكم أن تأخذوا مما آتيتموهن شيئاً) ثم ذكر الأثر الآخر وهو أثر مرسل ضعيف الإسناد وأصل قصة ثابت بن قيس مع زوجته في الصحيح لكن من غير سبب النزول وهو أول خلع في الإسلام. وقد ذكر أصحاب كتب أحكام القرآن أحكام الخلع عن تفسير هذه الآية، فليرجع إليها.

[تفسير مختصر للآية]

ينهي الله تعالى المؤمنين في هذه الآية عن أن يأخذوا شيئاً من صدقات النساء إلا ما طابت به نفس المرأة كما قال تعالى (فإن طبن لكم عن شيء منه نفساً فلكوه هنيئاً مريئاً) [سورة النساء] وكذلك إذا كان هذا المأخوذ بدلاً للخلع فقد قال العلماء بجوازه. قال الإمام الواحدي (ولا يحل لكم أن تأخذوا مما آتيتموهن شيئاً) لا يجوز للزوج أن يأخذ من امرأته شيئاً مما أعطتها من المهر ليطلقها إلا في الخلع، وهو قوله: (إلا أن يخافاً) أي: يعلم (ألا يقبم حدود الله) والمعنى: إن المرأة إذا خافت أن تعصي الله في أمر زوجها بغضاً له، وخاف الزوج إذا لم تطعه امرأته أن يعتدي عليها حلّ له أن يأخذ الفدية منها إذا دعت إلى ذلك⁽⁴¹⁹⁾.

(فإن طلقها فلا تحل له من بعد حتى تنكح زوجاً غيره فإن طلقها فلا جناح عليهما أن يتراجعا إن ظننا أن يقبما حدود الله وتلك حدود الله يعلمون يعلمون ٢٣٠)

قوله تعالى: (فإن طلقها) - الآية.

151. أخرج ابن المنذر عن مقاتل بن حيان قال: «نزلت هذه الآية في عائشة بنت عبد الرحمن بن عتيك، كانت عند رفاعة بن وهب بن عتيك وهو ابن عمها فطلقها طلاقاً بانناً، فتزوجت بعده عبد الرحمن بن الزبير القرظي، فطلقها فأنت النبي صلى الله عليه وسلم فقالت: إنه طلقني قبل أن يمسنني أفارجع إلى الأول؟ قال: «لا حتى يمسن» ونزل فيها: (فإن طلقها فلا تحل له من بعد حتى تنكح زوجاً غيره) فجامعها، فإن طلقها بعد ما جامعها فلا جناح عليهما أن يتراجعا⁽⁴²⁰⁾».

(414) العجائب المصدر السابق

(415) الوجيز للواحدي (61)

(416) الناسخ والمنسوخ لأبي داود وليس عندي

(417) تفسير ابن جرير 2/462 مرسل ضعيف الإسناد

(418) لم أره مطبوعاً

(419) الوجيز للواحدي (61)

(420) تفسير ابن المنذر مرسل. المؤلف: أبو بكر محمد بن إبراهيم بن المنذر النيسابوري (المتوفى: 319هـ) قدم له الأستاذ الدكتور: عبد الله بن عبد المحسن التركي حققه وعلق عليه الدكتور: سعد بن محمد السعد دار النشر: دار المآثر - المدينة النبوية الطبعة: الأولى 1423 هـ - 2002 م

[تعليق]

ذكر المؤلف رحمه الله سبباً واحداً لنزول الآية وهو مرسل، وقد وردت هذه القصة في الصحيح ليس فيها سبب النزول، وقيل نزلت في عائشة بنت عبد الرحمن بن عتيك مع زوجها رفاعة وقيل بأن اسمها تميمة قال مقاتل: تفسير نزلت: في تميمة بنت وهب بن عتيك النقرى، وفي زوجها رفاعة بن عبد الرحمن بن الزبير⁽⁴²¹⁾. وقد نسخت هذه الآية قوله تعالى (وبعولتهن أحق بردهن في ذلك) فقد كان للزوج رجعة زوجته وإن طلقها ألفاً، فنزلت الآية في بيان حكم المطلقة البائن وأنه لا يحل لها أن ترجع إلى الأول حتى تنكح زوجاً غيره.

روى البخاري عن عائشة أم المؤمنين قالت: «جاءت امرأة رفاعة القرظي إلى رسول الله صلى الله عليه وسلم فقالت: إني كنت عند رفاعة فطلقني فبنت طلاقني فتزوجت عبد الرحمن بن زبير وما معه إلا مثل هدبة الثوب. فقال: «أتريدين أن ترجعي إلى رفاعة؟» لا حتى تذوقي عسيلته ويذوق عسيلتك⁽⁴²²⁾. فشرط دخول الثاني بالمطلقة حتى تحل للأول، وفي الآية أحكام غير هذا فيرجع إلى محلها من كتب التفسير وأحكام القرآن.

[تفسير مختصر للآية]

يقول تعالى مبيناً حكم من طلق امرأته الطلقة الثالثة: (فإن طلقها فلا تحل له حتى تنكح زوجاً غيره) ويكون النكاح صحيحاً وبينى بها الزوج لحديث «حتى تذوقي عسيلته ويذوق عسيلتك» فإن طلقها الثاني بعد البناء والخلوة والوطء أو مات عنها جاز لها أن تعود إلى الأول إن رغب هو في ذلك وعلم من أنفسهما أنهما يقيمان حدود الله فيهما بإعطاء كل واحد حقوق صاحبه مع حسن العشرة وإلا فلا مراجعة تحل لهما. ولذا قال تعالى إن ظنا أن يقيما حدود الله ثم نوه الله تعالى بشأن تلك الحدود فقال: (وتلك حدود الله) وهي شرائعه، يبينها سبحانه وتعالى لقوم يعلمون، إذ العالمون بها هم الذين يقفون عندها ولا يتعدونها فيسلمون من وصمة الظلم وعقوبة الظالمين⁽⁴²³⁾.

(وَإِذَا طَلَّقْتُمُ النِّسَاءَ فَبَلَغْنَ أَجَلَهُنَّ فَأَمْسِكُوهُنَّ بِمَعْرُوفٍ أَوْ سَرِّحُوهُنَّ بِمَعْرُوفٍ وَلَا تُمْسِكُوهُنَّ ضِرَارًا لِّتَعْتَدُوا وَمَنْ يَفْعَلْ ذَلِكَ فَقَدْ ظَلَمَ نَفْسَهُ وَلَا تَتَّخِذُوا عَآئِنَ اللَّهِ هُزُوعًا وَادْكُرُوا نِعْمَتَ اللَّهِ عَلَيْكُمْ وَمَا أَنْزَلَ عَلَيْكُمْ مِنَ الْكِتَابِ وَالْحِكْمَةِ لِيُعْظَمَ بَيْتُ اللَّهِ وَأَتَّقُوا اللَّهَ وَأَعْلَمُوا أَنَّ اللَّهَ بِكُلِّ شَيْءٍ عَلِيمٌ (٢٣١))

قوله تعالى: (وإذا طلقتم النساء فبلغن أجلهن فأمسكنوهن بمعروف) - الآية.

152. أخرج ابن جرير من طريق العوفي عن ابن عباس قال: «كان الرجل يطلق امرأته ثم يراجعها قبل انقضاء عدتها ثم يطلقها، يفعل ذلك يضارها ويعضلها، فأنزل الله هذه الآية⁽⁴²⁴⁾».

153. وأخرج عن السدي قال: «نزلت في رجل من الأنصار يدعى ثابت بن يسار طلق امرأته حتى إذا انقضت عدتها إلا يومين أو ثلاثة راجعها ثم طلقها مضارة، فأنزل الله (ولا تمسكنوهن ضراً لتعتدوا)⁽⁴²⁵⁾».

[تعليق]

ذكر المؤلف رحمه الله في سبب نزول هذه الآية أثرين. أما أثر ابن عباس فهو ضعيف الإسناد، والآخر مرسل، وقد روى الطبري عن الحسن البصري عن أبي رجا قال: سئل الحسن عن قوله تعالى: (وإذا طلقتم النساء فبلغن أجلهن فأمسكنوهن بمعروف أو سرحوهن بمعروف ولا تمسكنوهن ضراً لتعتدوا)، قال: كان الرجل يطلق المرأة ثم يراجعها، ثم يطلقها ثم يراجعها، يضارها، فنهاهم الله عن ذلك⁽⁴²⁶⁾. وقال الحافظ صحيح الإسناد⁽⁴²⁷⁾.

وهذه الآثار يقوى بعضها بعضاً ولا تخالف بينها. فكون الأثر الأول عام فإنه لا يمنع أن يكون سبب النزول أيضاً في ثابت بن يسار، فإنه لا شك دخل في العموم. وفي الآية تحريم المضارة بالمرأة وما كان عليه العرب قبل الإسلام، فجاء الإسلام بإعطاء المرأة حقها وبالله التوفيق.

[تفسير مختصر للآية]

(فإذا طلقتم النساء فبلغن أجلهن): أجل المطلقة مقارنة انتهاء إمام عدتها. (أو سرحوهن): تسريح المطلقة تركها بلا مراجعة لها حتى تنقضي عدتها وتبين من زوجها. (ضراً): مضارة لها وإضراراً بها.

(421) مقاتل بن سليمان (1/ 121)

(422) صحيح البخاري (3/ 220)

(423) أيسر التفاسير للجزائري (1/ 113)

(424) تفسير ابن جرير 2/480 رواه عن شيخه محمد بن سعد عن أبيه عن عمه إلى آخر السلسلة، وقد تقدم ضعفها في غير موضع.

(425) تفسير ابن جرير 2/481 من طريق أسباط عن السدي فهو مرسل وإسناده ليس بذلك.

(426) (تفسير الطبري) (5/ 8)

(427) العجائب في بيان الأسباب (1/ 588)

(لتعتدوا): لتتجاوزوا حد الإحسان إلى الإساءة.

(هزوا): لعباً بها بعدم التزامكم بتطبيق أحكامها.

(نعمة الله): هنا هي الإسلام.

(الحكمة): السنة النبوية.

(يعظكم به): بالذي أنزله من أحكام الحلال والحرام؛ لتشكروه تعالى بطاعته.

معنى الآية الكريمة

ما زال السياق في بيان أحكام الطلاق والخلع والرجعة في هذه الآية: يأمر تعالى عباده المؤمنين إذا طلق أحدهم امرأته وقاربت نهاية عدتها أن يراجعها فيمسكها بمعروف، والمعروف هو حسن عشرتها أو يتركها حتى تنقضي عدتها ويسرحها بمعروف فيعطئها كامل حقوقها ولا يذكرها إلا بخير ويتركها تذهب حيث شاءت. وحرم على أحدهم أن يراجع امرأته من أجل أن يضر بها فلا هو يحسن إليها ولا يطلقها فتستريح منه، فقال تعالى: (ولا تمسكوهن ضراً لتعتدوا) يريد عليهن حتى تضطر المرأة المظلومة إلى المخالعة فتفدي نفسها منه بمال وأخبر تعالى: أن من يفعل هذا الإضرار فقد عرض نفسه للعذاب الأخرى⁽⁴²⁸⁾.

قوله تعالى: (ولا تتخذوا آيات الله هزواً).

154. أخرج ابن أبي عمر في مسنده وابن مردويه عن أبي الدرداء قال: «كان الرجل يطلق ثم يقول لعبت ويعتق ثم يقول لعبت، فأنزل الله: (ولا تتخذوا آيات الله هزواً)»⁽⁴²⁹⁾.

155. وأخرج ابن المنذر عن عبادة بن الصامت نحوه.

156. وأخرج ابن مردويه نحوه عن ابن عباس⁽⁴³⁰⁾.

157. وأخرج ابن جرير نحوه من مرسل الحسن⁽⁴³¹⁾.

[تعليق]

ذكر المؤلف رحمه الله أربعة آثار في سبب نزول هذه الآية. فأما أثر أبي الدرداء فقد ذكره المؤلف. وأما الأثر الثاني عن عبادة بن الصامت فقد أخرجه ابن المنذر كما أشار إليه المؤلف، ولفظه عن الحسن، عن عبادة بن الصامت، في قول الله تعالى: (وَلَا تَتَّخِذُوا آيَاتِ اللَّهِ هُزُوعًا) قال: كان الرجل على عهد النبي ﷺ يقول للرجل زوجته ابنتي ثم يقول: كنت لآعباً. ويقول: قد أعنتت، ويقول: كنت لآعباً فأنزل الله: (وَلَا تَتَّخِذُوا آيَاتِ اللَّهِ هُزُوعًا) فقال رسول الله ﷺ: «ثلاث من قال هن لآعباً أو غير لآعب، فهن جائزات عليه: الطلاق، والعناق، والنكاح»⁽⁴³²⁾.

وهذا الأثر هو نفس أثر الحسن. وأما أثر ابن عباس فقد أخرجه ابن مردويه بلفظ: طلق رجل امرأته وهو يلعب، لا يريد الطلاق؛ فأنزل الله: (وَلَا تَتَّخِذُوا آيَاتِ اللَّهِ هُزُوعًا) فأنزله رسول الله ﷺ الطلاق⁽⁴³³⁾.

قال الحافظ ابن كثير: وقال الحسن، وقتادة، وعطاء الخراساني، والربيع، ومقاتل بن حيان: هو الرجل يطلق ويقول: كنت لآعباً أو يعتق أو ينكح ويقول: كنت لآعباً. فأنزل الله: (وَلَا تَتَّخِذُوا آيَاتِ اللَّهِ هُزُوعًا) فأنزل الله بذلك⁽⁴³⁴⁾.

[تفسير مختصر للآية]

(وَلَا تَتَّخِذُوا آيَاتِ اللَّهِ هُزُوعًا) لما بين تعالى حدوده غاية التبيين، وكان المقصود، العلم بها والعمل، والوقوف معها، وعدم مجاوزتها، لأنه تعالى لم ينزلها عبثاً، بل أنزلها بالحق والصدق والجد، نهى عن اتخاذها هزواً، أي: لعباً بها، وهو التجرؤ عليها، وعدم الامتثال لواجبها، مثل استعمال المضارة في الإمساك، أو الفراق، أو كثرة الطلاق، أو جمع الثلاث، والله من رحمته جعل له واحدة بعد واحدة، رفقا به وسعياً في مصلحته⁽⁴³⁵⁾.

(وَإِذَا طَلَقْتُمُ النِّسَاءَ فَلْيَعْنَ أَجَلَهُنَّ فَلَا تَعْضُلُوهُنَّ أَنْ يَنْكِحْنَ أَنْ وَجِهَنَّ إِذَا تَرْضَوْنَ بَيْنَهُمْ بِالْمَعْرُوفِ ذَلِكَ يُوعِظُ بِهِ مَنْ كَانَ مِنْكُمْ يُؤْمِنُ بِاللَّهِ وَالْيَوْمِ الْآخِرِ ذَلِكَمْ أَنْ كَى لَكُمْ وَأَطَهَّرَ وَاللَّهُ يَعْلَمُ وَأَنْتُمْ لَا تَعْلَمُونَ ٢٣٢)

قوله تعالى: (وَإِذَا طَلَقْتُمُ النِّسَاءَ) - الآية.

158. روى البخاري وأبو داود والترمذي وغيرهم عن معقل بن يسار «أنه زوج أخته رجلاً من المسلمين، فكانت عنده ثم طلقها تطليقة ولم يراجعها حتى انقضت العدة فهويها وهويتها فخطبها مع الخطاب، فقال له: يا لك أكرمتك بها وزوجتها فطلقتها والله لا ترجع إليك أبداً، فعلم الله حاجته إليها

(428) أيسر التفاسير للجزائري (1/ 114)

(429) تفسير ابن مردويه بإسناد منقطع موقوف قال ابن كثير وقد رواه ابن مردويه عن عمرو بن عبيد عن الحسن عن أبي الدرداء موقفاً انظر تفسير ابن كثير (1/ 282)

(430) أخرجه من طريق ليث بن أبي سليم عن مجاهد عن ابن عباس وليث يضعف في الحديث انظر تفسير ابن كثير ج: 1

(431) تفسير ابن جرير (2/ 482) مرسل ضعيف الإسناد فيه سليمان بن أرقم قال الحافظ عنه: ضعيف

(432) تفسير ابن كثير (1/ 630)

(433) تفسير ابن كثير (1/ 630)

(434) تفسير ابن كثير (1/ 630)

(435) تفسير السعدي (103)

وحاجتها إليه فأنزل الله: (وإذا طلقتم النساء فبلغن) إلى قوله (وأنتم لا تعلمون)، فلما سمعها معقل قال: سمع لربي وطاعة، ثم دعاه وقال: أزوجك وأكرمك⁽⁴³⁶⁾». وأخرجه ابن مردويه من طرق كثيرة. ثم أخرج عن السدي قال: «نزلت في جابر بن عبد الله الأنصاري، وكانت له ابنة عم فطلقها زوجها تطليقة فأنقضت عدتها ثم رجع يريد رجعتها، فأبى جابر فقال: طلقت ابنة عمنا ثم تريد أن تنكحها الثانية، وكانت المرأة تريد زوجها قد راضته، فنزلت هذه الآية⁽⁴³⁷⁾». والأول أصح وهو أقوى.

[تعليق]

ذكر المؤلف رحمه الله في سبب نزول هذه الآية سببين للنزول. أما الأول: فنزلت بسبب معقل بن يسار مع أخته وهذا الذي عليه جمهور المفسرين فأخرج عبد الرزاق عن الحسن وقتادة في قوله تعالى: (فَلَا تَعْضَلُوهُنَّ) قال: أنزلت في معقل بن يسار كانت أخته تحت رجل فطلقها حتى إذا مضت عدتها جاء رجل فخطبها فعضلها معقل بن يسار وأبى أن ينكحها إياه فنزلت فيهما هذه الآية: تعني به الأولياء، يقول: (لَا تَعْضَلُوهُنَّ أَنْ يَنْكِحْنَ أُزْوَاجَهُنَّ)⁽⁴³⁸⁾. أما القول الثاني: وهو أنها نزلت في جابر بن عبد الله مع ابن عمه فقد أخرجه ابن جرير من طريق أسباط عن السدي وهو مرسل ورواية أسباط منكلم فيها. وفي سبب نزول الآية قول ثالث: أنها عامة. فقال ابن حجر رحمه الله: وأخرج الفريابي أيضا عن قيس بن الربيع عن خصيف عن مجاهد و عكرمة قالوا: في هذه الآية. كان الرجل يطلق امرأته فيندم وتندم حتى يحب أن ترجع إليه وتحب هي ذلك، فيأنف الولي فقال الله عز وجل (فلا تعضلوها) الآية. وأخرج عبد بن حميد من طريق عبيدة بن معتب نحو هذا وفيه فيقول أولياؤها والله لا ترجعين أبداً إليه لقد استخف بحقنا بطلاقك، فنزلت⁽⁴³⁹⁾ انتهى. قلت أكثر العلماء على أنها نزلت في معقل بن يسار مع أخته، لكن على كل حال فالآية خطاب لجميع الأولياء بحرمة إعضال المطلقة من الرجوع لزوجها إذا تراضوا فيما بينهم.

[تفسير مختصر للآية]

(وإذا طلقتم النساء فبلغن أجلهن) انقضت عدتهن (فلا تعضلوها) لا تمنعهن (أن ينكحن أزواجهن) بنكاح جديد، أي: الذين كانوا أزواجاً لهن. (إذا تراضوا بينهم بالمعروف) بعقد حلال ومهر جائز (ذلك) أي: أمر الله بترك العضل (يوعظ به من كان منكم يؤمن بالله واليوم الآخر ذلكم أزكى) أي: ترك العضل خير (لكم وأفضل) وأطهر لقلوبكم من الريبة، وذلك أنهما إذا كان في قلب كل واحد منهما علاقة حب لم يؤمن عليهما (والله يعلم) ما لكم فيه من الصلاح⁽⁴⁴⁰⁾.

(حَفِظُوا عَلَى الصَّلَوَاتِ وَالصَّلَاةِ الْوَسْطَىٰ وَقَوْمُوا لِلَّهِ قَنِينًا ۙ) (٢٣٨)

قوله تعالى: (حافظوا على الصلوات) - الآية.

160. أخرج أحمد والبخاري في تاريخه وأبو داود والبيهقي وابن جرير عن زيد بن ثابت: «أن النبي ﷺ كان يصلي الظهر بالهجرة وكانت أثقل الصلاة على أصحابه، فنزلت (حافظوا على الصلوات والصلاة الوسطى)⁽⁴⁴¹⁾».
161. وأخرج أحمد والنسائي وابن جرير عن زيد بن ثابت: «أن النبي ﷺ كان يصلي الظهر بالهجير فلا يكون وراءه إلا الصف والصفان والناس في قائلتهم وتجارتهم، فأنزل الله (حافظوا على الصلوات والصلاة الوسطى)⁽⁴⁴²⁾».

[تعليق]

ذكر المؤلف رحمه الله تعالى أثرين في سبب نزول هذه الآية، وهما صحيحان ولم أجد خلافاً في هذا، وأمر الله تعالى بالمحافظة على الصلاة وبالأخص الصلاة الوسطى والأثرين يدلان على أن الصلاة الوسطى هي الظهر، وقد اختلف العلماء في تعيينها اختلافاً كبيراً. فقيل الظهر، وقيل الفجر، وقيل العصر، وقيل المغرب. وأكثر أهل العلم على أنها صلاة العصر. قال ابن عاشور: أصح الأقوال في هذا اثنان أحدهما أنها الصبح. هذا قول جمهور فقهاء المدينة، وهو قول عمر، وابنه عبد الله وعلى، وابن عباس، وعائشة، وحفصة، وجابر بن عبد الله، وبه قال مالك، وهو عن الشافعي أيضاً، لأن الشائع عندهم أنها

⁽⁴³⁶⁾ صحيح البخاري 4/1645 ح (4255) سنن أبي داود 2/230 ح (2087) سنن الترمذي 216 ح 5: ح (2981) سنن النسائي الكبرى 6/302 ح (11042) صحيح ابن حبان 9/379 ح (4071) المستدرک علی الصحیحین 2/190 ح (2719) سنن البيهقي الكبرى 7/103 ح (13528) سنن الدارقطني 3/222 ح (14) شرح معاني الآثار 1/148 مسند الطيالسي 1/125 ح (930) المعجم الكبير ص 208/209 ح (477)

⁽⁴³⁷⁾ مرسل. أخرجه ابن جرير

⁽⁴³⁸⁾ تفسير عبدالرزاق الصنعاني (1/349)

⁽⁴³⁹⁾ العجائب في بيان الأسباب (1/593)

⁽⁴⁴⁰⁾ الوجيز للواحد (62)

⁽⁴⁴¹⁾ تفسير ابن جرير 2/562 سنن أبي داود 1/112 ح (411) سنن النسائي الكبرى 1/151 ح (357) مسند أحمد 5/183 ح (21635) سنن البيهقي الكبرى 1/458 ح (1992) المعجم الكبير 5/125 ح (4821) وغيرهم إسناده صحيح وروي من غير وجه.

⁽⁴⁴²⁾ انظر تخريجه في الذي قبله

الصباح، وهم أعلم الناس بما يروى عن رسول الله ﷺ: من قول، أو فعل، أو قرينة حال. والثاني: أنها العصر وهذا قول جمهور من أهل الحديث، وهو قول عبد الله بن مسعود، وروى عن علي أيضاً، وهو الأصح عن ابن عباس أيضاً، وأبي هريرة، وأبي سعيد الخدري، ونسب إلى عائشة، وحفصة، والحسن، وبه قال أبو حنيفة، والشافعي في رواية، ومال إليه ابن حبيب من المالكية، وحجتهم ما روى أن النبي ﷺ قال يوم الخندق حين نسي أن يصلّي العصر من شدة الشغل في حفر الخندق، حتى غربت الشمس فقال: "شغلونا أي المشركين عن الصلاة الوسطى، أضرم الله قبورهم ناراً"⁽⁴⁴³⁾.

وفي تعيينها أقوال أخر منها أنها الصلوات الخمس ومنها أنها الجمعة ومنها أنها غير معينة. قلت: لعل القول بأنها تنتقل بين الصلوات هو الأرجح، وذلك كانتقال ليلة القدر بين ليالي العشر الأواخر من رمضان للمحافظة على جميع الصلوات. والله أعلم.

[تفسير مختصر للآية]

يأمر الله سبحانه عباده بالمحافظة على الصلوات ولا سيما الصلاة الوسطى ويأمرهم بأن يقوموا له قانتين أي مطعين مداوين على هذه الطاعة والقنوت يرد لعدة معان منها طول القيام ومنها الطاعة ومنها الدعاء والله تعالى أعلم.

قوله تعالى (وقوموا لله قانتين)

162. وأخرج الأئمة الستة وغيرهم عن زيد بن أرقم قال: «كنا نتكلم على عهد رسول الله ﷺ في الصلاة يكلم الرجل منا صاحبه وهو إلى جنبه في الصلاة حتى نزلت: (وقوموا لله قانتين) فأمرنا بالسكوت ونهينا عن الكلام»⁽⁴⁴⁴⁾.

163. وأخرج ابن جرير عن مجاهد قال: «كانوا يتكلمون في الصلاة، وكان الرجل يأمر أخاه بالحاجة، فأنزل الله (وقوموا لله قانتين)»⁽⁴⁴⁵⁾.

[تعليق]

ذكر المؤلف رحمه الله تعالى أثرين في سبب نزول هذه الآية. ولا أعلم أحداً من العلماء خالف في أن سبب نزول هذه الآية أنهم كانوا يتكلمون في الصلاة فأنزل الله تعالى الآية تحريماً للكلام في الصلاة. قال البسام في شرحه لعمدة الأحكام: أجمع العلماء على بطلان صلاة من تكلم فيها عامداً غير مصلحتها، عالماً بالتحريم.

واختلفوا في الساهي، والجاهل والمكره، والنائم، والمحذر للضرير، والمتكلم لمصلحتها. فذهب الحنابلة إلى بطلان الصلاة في كل هذا، عملاً بهذا الحديث الذي معنا، وحديث "كُنَّا نَسْلَمُ عَلَيْكَ فِي الصَّلَاةِ فَتَرَدَّ عَلَيْنَا، قَالَ: إِنْ فِي الصَّلَاةِ لَشُغْلًا" متفق عليه. وغيرهما من الأدلة. تيسير العلام وذهب الإمامان "مالك" و"الشافعي" إلى صحة صلاة المتكلم جاهلاً، أو ناسياً أنه في الصلاة، أو ظاناً أن صلاته تمت فسلم وتكلم، سواء كان الكلام في شأن الصلاة، أو لم يكن في شأنها، وسواء كان المتكلم إماماً أو مأموماً، فإن الصلاة صحيحة تامة، يبني آخرها على أولها⁽⁴⁴⁶⁾. انتهى

[حكم القيام في الصلاة]

قال ابن نجيم: وَالْمُرَادُ بِهِ الْقِيَامُ فِي الصَّلَاةِ بِاجْمَاعِ الْمُفَسِّرِينَ وَهُوَ فَرَضٌ فِي الصَّلَاةِ لِلْقَائِرِ عَلَيْهِ فِي الْفَرَضِ وَمَا هُوَ مُلْحَقٌ بِهِ وَتَقَفُّوا عَلَى رُكْبَتَيْهِ⁽⁴⁴⁷⁾.

[تفسير مختصر للآية]

قال الإمام ابن الجوزي رحمه الله المراد بالقيام في الآية القيام في الصلاة. وفي القنوت ثلاثة أقوال. أحدها: أنه الطاعة، قاله ابن عباس، والحسن، ومجاهد، وابن بدير، والشعبي، وطاوس، والضحاك، وقتادة في آخرين. والثاني: أنه طول القيام في الصلاة، روي عن ابن عمر، والربيع بن أنس. وعن عطاء كالقولين. والثالث: أنه الإمساك عن الكلام في الصلاة⁽⁴⁴⁸⁾. انتهى.

(443) التحرير والتنوير (2/446)

(444) تفسير الطبري 2/570 صحيح البخاري 1/402 ح (1142) صحيح مسلم 1/383 ح (538) سنن الترمذي ص 256:2 ح (405) سنن أبي داود 1/249 ح (949) سنن النسائي 3/18 ح (1219) مسند أحمد 4/368 ح (19297) صحيح ابن خزيمة 2/34 ح (856) صحيح ابن حبان 6/17 ح (2245) مسند أبي عوانة 1/463 ح (1718) سنن سعيد بن منصور 3/923 ح (408) سنن البيهقي الكبرى 2/248 ح (3159) المعجم الكبير 5/193 ح (5062) مسند عبد بن حميد 1/113 ح (260) وغيرهم

(445) تفسير ابن جرير 2/572 مقترن مع إبراهيم وإسناده صحيح وهو مروى عن غير واحد من السلف، وفيه عن ابن مسعود وزيد بن أرقم (446) شرح عمدة الحكم للبسام (168/1) المؤلف: أبو عبد الرحمن عبد الله بن عبد الرحمن بن صالح بن محمد بن محمد بن حمد البسام (المتوفى: 1423 هـ) حقه وعلق عليه وخرج أحاديثه وصنع فهرسه: محمد صبحي بن حسن حلاق الناشر: مكتبة الصحابة، الإمارات - مكتبة التابعين، القاهرة الطبعة: العاشرة، 1426 هـ - 2006 م

عدد الأجزاء: 1 (447) البحر الرائق شرح كنز الدقائق (308/1) المؤلف: زين الدين بن إبراهيم بن نجيم، المعروف بابن نجيم المصري (المتوفى: 970 هـ) الناشر: دار المعرفة- بيروت

مكان النشر: بيروت (448) زاد المسير في علم التفسير (1/242)

قلت: يمكن أن يكون المراد بالفتوت في هذه الآية كل ما ذكر، فهو من باب خلاف التنوع لا التضاد.
يأمر الله تعالى عباده بالمحافظة على الصلاة كما فقال (حافظوا على الصلوات والصلاة الوسطى) وكيفاً فأمر بالقيام في الصلاة طائعين
ممتنعين على الكلام، مع إحسانها بطول القيام.

(وَالَّذِينَ يَتُوفُونَ مِنْكُمْ وَيَذُرُونَ أَزْوَاجًا وَصِيَّةً لِأَزْوَاجِهِمْ مَتَّعًا إِلَى الْحَوْلِ غَيْرَ إِخْرَاجٍ فَإِنْ خَرَجْنَ فَلَا جُنَاحَ عَلَيْكُمْ فِي مَا فَعَلْنَ فِي أَنْفُسِهِنَّ مِنْ مَّعْرُوفٍ وَاللَّهُ عَزِيزٌ حَكِيمٌ (٢٤٠))

قوله تعالى: (والذين يتوفون منكم ويذرون أزواجاً) - الآية.

164. أخرج إسحاق ابن راهويه في تفسيره عن مقاتل بن حيان: « أن رجلاً من أهل الطائف قدم المدينة وله أولاد رجال ونساء ومعه أبواه وامراته، فمات بالمدينة، فرفع ذلك إلى النبي ﷺ، فأعطى الوالدين وأعطى أولاده بالمعروف ولم يعط امرأته شيئاً، غير أنهم أمروا أن ينفقوا عليها من تركه زوجها إلى الحول وفيه نزلت: (والذين يتوفون منكم ويذرون أزواجاً) (449) ». »

[تعليق]

ذكر المؤلف هذا الأثر الوحيد في سبب نزول هذه الآية ولم أجد غيره. وهو مرسل وهذه الآية منسوخة من ناحيتين. الأولى: نسخت من حيث وقت انتظار المرأة فكانت تنتظر عاماً كاملاً عدة لوفاة زوجها، فنسخت هذه الآية بالآية التي قبلها، (وَالَّذِينَ يَتُوفُونَ مِنْكُمْ وَيَذُرُونَ أَزْوَاجًا يَتَرَبَّصْنَ بِأَنْفُسِهِنَّ أَرْبَعَةَ أَشْهُرٍ وَعَشْرًا) (450). قال ابن الجوزي رحمه الله: ذكر علماء التفسير أن أهل الجاهلية كانوا إذا مات أحدهم، مكثت زوجته في بيته حولاً، ينفق عليها من ميراثه، فإذا تم الحول، خرجت إلى باب بيتها، ومعها بعة، وفرمت بها كلباً، وخرجت بذلك من عدتها. وكان معنى رميها بالبعرة أنها تقول: مكثي بعد وفاة زوجي أهون عندي من هذه البعرة. ثم جاء الإسلام، فأقرهم على ما كانوا عليه من مكث الحول بهذه الآية، ثم نسخ ذلك بالآية المتقدمة في نظم القرآن على هذه الآية، وهي قوله تعالى: (والذين يتوفون منكم ويذرون أزواجاً يتربصن بأنفسهن أربعة أشهر وعشراً) (451).

الثاني: نسخت هذه الوصية المذكور في الآية بآية الميراث فجعل الله تعالى للمرأة لها الربع والثلث. قال ابن أبي حاتم: عن ابن عباس، في قوله: (والذين يتوفون منكم ويذرون أزواجاً وصية لأزواجهن متعا إلى الحول غير إخراج) فكان الرجل إذا مات وترك امرأته، اعتدت سنة في بيته، ينفق عليها من ماله، ثم انزل الله بعد (والذين يتوفون منكم ويذرون أزواجاً يتربصن بأنفسهن أربعة أشهر وعشراً) فهذه عدة المتوفى عنها إلا أن تكون حاملاً، فعندئذ أن تضع ما في بطنها وقال: (ولهن الربع مما تركتم إن لم يكن لكم ولد فإن كان لكم ولد فلهن الثلث) فبين الله ميراث المرأة وترك الوصية والنفقة (452).

[تفسير مختصر للآية]

(والذين يتوفون منكم ويذرون أزواجاً وصية) فعليهم وصية. (لأزواجهن) لنسائهم، وهذا كان في ابتداء الإسلام لم يكن للمرأة ميراث من زوجها، وكان على الزوج أن يوصي لها بنفقة حول، فكان الورثة ينفقون عليها حولاً، وكان الحول عزيمة عليها في الصبر عن التزوج، وكانت مخيرة في أن تعتد إن شاءت في بيت الزوج، وإن شاءت خرجت قبل الحول وتسقط نفقتها، فذلك قوله: (متاعاً إلى الحول) أي: متعوهن متاعاً يعني: النفقة (غير إخراج) أي: من غير إخراج الورثة إياها. (فإن خرجن فلا جناح عليكم) يا أولياء الميت في قطع النفقة عنهن، وترك منعها عن التشوف للنكاح والتصنع للأزواج، وذلك قوله: (فيما فعلن في أنفسهن من معروف) وهذا كله منسوخ بآية المواريث وعدة المتوفى عنها زوجها (453).

(وَاللَّمْطَلَقَاتُ مَتَّعُ بِالْمَعْرُوفِ حَقًّا عَلَى الْمُتَّقِينَ (٢٤١))

قوله تعالى: (وللمطلقات متاع بالمعروف) - الآية.

165. أخرج ابن جرير عن ابن زيد قال: « لما نزلت: (ومتعوهن على الموسع قدره وعلى المقتر قدره متاعاً بالمعروف حقاً على المحسنين) قال رجل: إن أحسنت فعلت وإن لم أرد ذلك لم أفعل فأنزل الله: (وللمطلقات متاع بالمعروف حقاً على المتقين) (454) ». »

[تعليق]

ذكر المؤلف رحمه الله هذا الأثر الوحيد في سبب نزول هذه الآية. وابن زيد المذكور هو جابر بن زيد، والآية تتحدث

(449) تفسير ابن راهويه مرسل

(450) انظر زاد المسير في علم التفسير (1/ 236)

(451) زاد المسير في علم التفسير (1/ 244)

(452) تفسير ابن أبي حاتم - (2/ 452)

(453) الوجيز للواحد (66)

(454) تفسير ابن جرير 2/584 عن عبد الرحمن بن زيد بن أسلم وهو متكلم فيه والأثر مرسل.

عن متعة المطلقة. فالآية الأولى في بيان المطلقة الغير مدخول بها، والثانية في بيان حكم المطلقات عموماً.

وقبل الحديث عن حكم متعة المطلقة أذكر تعريفها.

جاء في الموسوعة الفقهية: وأما متعة المطلقة كما عرفها الشريبي الخطيب: مال يجب على الزوج دفعه لامرأته

المفارقة في الحياة بطلاق وما معناه بشروط⁽⁴⁵⁵⁾.

وقد اختلف أهل العلم في حكم متعة المطلقة: فذهب الحنفية والشافعية والحنابلة إلى أن المتعة تجب لمطلقة قبل الدخول إن

لم يجب لها شطر المهر بأن كانت مفوضة، ولم يفرض لها شيء لقوله تعالى: [لا جناح عليكم إن طلقتم النساء ما لم تمسوهن أو تفرضا لهن فريضة ومتعهن على الموسع قدره وعلى المقتر قدره متاعا بالمعروف حقا على المحسنين] (البقرة 236).

والأمر يقتضى الوجوب، ولا يعارضه قوله: [حقا على المحسنين] لأن أداء الواجب من الإحسان. ولأن المفوضة لم يحصل لها شيء من المهر فتجب لها متعة للإيحاء والابتدال. وقال الحنابلة: تستحب المتعة لكل مطلقة غير المفوضة التي لم يفرض لها، لقوله تعالى: [وللمطلقات متاع بالمعروف حقا على المتقين] (البقرة 241).

وقال المالكية: تندب المتعة لكل مطلقة طلاقاً بائناً في نكاح لازم، إلا المختلعة، والمفروض لها صداق، وطلقت قبل البناء ومختارة لعيب الزوج ومخيرة ومملكة في الطلاق وطلقت نفسها لأن الله تعالى جعل المتعة حقا على المتقين والمحسنين لا على غيرهما ولم يرد نص في تحديد مقدار المتعة ولا نوعها، والوارد إنما هو اعتبار حال الزوج من الإعسار واليسار، والأخذ بالمعروف⁽⁴⁵⁶⁾.

وذهب الحنفية في المفتى به عندهم والشافعية إلى أنه يعتبر في تقدير القاضى للمتعة حال الزوجين كليهما.

وقال الحنفية: المتعة درع وخمار وملحفة لا تزيد على نصف مهر المثل.

وقال الشافعية: يستحب أن لا تنقص المتعة عن ثلاثين درهماً، ويسن أن لا تبلغ نصف مهر المثل، ومحل ذلك إذا فرض الحاكم المتعة، أما إذا اتفق عليها الزوجان فلا يشترط عدم مجاوزتها مهر المثل.

وقال المالكية والحنابلة المتعة معتبرة بحال الزوج المطلق في يساره وإعساره للآية، ونص الحنابلة: على أن أعلى المتعة خادم إذا كان الزوج موسراً، وأدناها إذا كان فقيراً كسوة تجزئها في صلاتها وهي (درع وخمار) أو نحو ذلك لقول ابن عباس.

[تفسير مختصر للآية]

(وَلِلْمُطَلَّقاتِ مَتاعٌ بِالْمَعْرُوفِ حَقًّا عَلَى الْمُتَّقِينَ * كَذَلِكَ يُبَيِّنُ اللَّهُ لَكُمْ آيَاتِهِ لَعَلَّكُمْ تَعْقِلُونَ)

أي: لكل مطلقة متاع بالمعروف حقا على كل متق، جبراً لخطرها وأداء لبعض حقوقها، وهذه المتعة واجبة على من طلقت قبل

المسيب، والفرض سنة في حق غيرها كما تقدم، هذا أحسن ما قيل فيها، وقيل إن المتعة واجبة على كل مطلقة احتجاجاً بعموم هذه الآية، ولكن القاعدة أن المطلق محمول على المقيد، وتقدم أن الله فرض المتعة للمطلقة قبل الفرض والمسيب خاصة.

ولما بين تعالى هذه الأحكام العظيمة المشتملة على الحكمة والرحمة امتن بها على عباده فقال: (كذلك يبين الله لكم آياته أي: حدوده، وحلاله وحرامه والأحكام النافعة لكم، لعلكم تعقلونها فتعرفونها وتعرفون المقصود منها، فإن من عرف ذلك أوجب له العمل بها⁽⁴⁵⁷⁾)

(مَنْ ذَا الَّذِي يقرضُ اللهُ قَرْضًا حَسَنًا فَيضَعِفُهُ لَهُ أَضعافًا كَثِيرَةً وَاللهُ يَقْبِضُ وَيَبْصِطُ وَإِلَيْهِ تُرْجَعُونَ ٢٤٥)

قوله تعالى: (من ذا الذي يقرض الله) - الآية.

166. روى ابن حبان في صحيحه وابن أبي حاتم وابن مردويه عن ابن عمر قال: « لما نزلت: (مثل الذين

ينفقون أموالهم في سبيل الله كمثل حبة) إلى آخرها، قال رسول الله ﷺ: « رب زد أمتي » فنزلت: (من

ذا الذي يقرض الله قرضاً حسناً فيضاعفه له أضعافاً كثيرة)⁽⁴⁵⁸⁾ ».

[تعليق]

ذكر المؤلف رحمه الله أثراً واحداً في سبب نزول هذه الآية. وذكر غيره أنها نزلت في أبي الدحداح.

قال مقاتل: نزلت في أبي الدحداح، وأسمه عمر بن الدحداح الأنصاري، وذلك أن النبي ﷺ قال: من تصدق بصدقة، فله

مثلها في الجنة، قال أبو الدحداح: إن تصدقت بحديقتي فلي مثلها في الجنة؟ قال: ' نعم '، قال: وأم الدحداح معي؟ قال: ' نعم '، قال:

والصبيبة؟ قال: ' نعم '، وكان له حديقتان، فتصدق بأفضلهما واسمها الجنيبة، فضااعف الله عز وجل صدقته ألفي ألف ضعف، فذلك قوله

عز وجل: (ضعافاً كثيرة) والله يقبض ويبسط، يعني يقتر ويوسع، (إليه ترجعون) [آية: 245] فيجزئكم بأعمالكم، فرجع أبو

الدحداح إلى حديقته، فوجد أم الدحداح والصبيبة في الحديقة التي جعلها صدقة، فقام على باب الحديقة، وتخرج أن يدخلها، وقال: يا أم

الدحداح، قالت له:

لبيك يا أبا الدحداح، قال: إني قد جعلت حديقتي هذه صدقة، واشترطت مثلها في الجنة، وأم الدحداح معي، والصبيبة معي، قالت: بارك

الله لك فيما اشتريت، فخرجوا منها، وسلم الحديقة إلى النبي ﷺ، فقال: كم من نخلة مدلاً غدوقها لأبي الدحداح في الجنة لو اجتمع على

عقد منها أهل منى أن يقلوه ما أقلوه⁽⁴⁵⁹⁾، انتهى

وروى أن تصدق أبي الدحداح كان بعد نزول هذه الآية.

فروى الطبري وغيره عبد الله بن مسعود قال: لما نزلت: (من ذا الذي يقرض الله قرضاً حسناً)، قال أبو الدحداح: يا رسول الله، أو

(455) الموسوعة الفقهية الكويتية (94/36) صادر عن: وزارة الأوقاف والشئون الإسلامية - الكويت عدد الأجزاء: 45 جزءاً الطبعة: (من 1404 - 1427 هـ). الأجزاء 1

- 23: الطبعة الثانية، دار السلاسل - الكويت. الأجزاء 24 - 38: الطبعة الأولى، مطابع دار الصفوة - مصر. الأجزاء 39 - 45: الطبعة الثانية، مطبع الوزارة

(456) الموسوعة الفقهية الكويتية (96/36)

(457) تفسير السعدي (106)

(458) تفسير ابن أبي حاتم 2/461 صحيح ابن حبان 10/505 ح (4648) وعزه الهيثمي للطبراني وفي إسناده عيسى بن المسيب ضعفه الجمهور ووثقه ابن حبان على

عادته له ترجمة في لسان الميزان وضعفاء النسائي وضعفاء العقيلي والكامل وغير ذلك وقد ذكر الحافظ في العجائب شواهد لهذا الأثر فانه تعالى أعلم

(459) تفسير مقاتل بن سليمان (129/1)

إن الله يريد منا القرض؟! قال: نعم يا أبا الدحداح! قال: يدك! قال: فناوله يده، قال: فإني قد أقرضت ربي حائطي، حائطا فيه ستمئة نخلة. ثم جاء يمشي حتى أتى الحائط وأم الدحداح فيه في عيالها، فناداها: يا أم الدحداح! قالت: لبيك! قال: اخرجي! قد أقرضت ربي حائطا فيه ستمئة نخلة⁽⁴⁶⁰⁾.

قال الحافظ ابن حجر وهو أصح من الأول.

والمراد بالنفقة هنا النفقة المستحبة لا الواجبة.

قال الفخر الرازي: إذا عرفت سبب نزول هذه الآية ظهر أن المراد بهذا القرض ما كان تبرعا لا واجبا⁽⁴⁶¹⁾.

[تفسير مختصر للآية]

(مَنْ ذَا الَّذِي يقرض الله قرصاً حسناً) أي: مَنْ ذَا الَّذِي يعمل عمل المفروض، بأن يقدم من ماله فيأخذ أضعاف ما قدم، وهذا استدعاء من الله تعالى إلى أعمال البر (والله يقبض) أي: يمسك الرزق على مَنْ يشاء (ويبسط) أي: ويوسع على مَنْ يشاء⁽⁴⁶²⁾.
(وإليه ترجعون) فيجازيكم على ما قدمتم وتصدقتم.

(لَا إِكْرَاهَ فِي الدِّينِ قَدْ تَبَيَّنَ الرُّشْدُ مِنَ الْغَيِّ فَمَنْ يَكْفُرْ بِالطُّغُوتِ وَيُؤْمِنْ بِاللَّهِ فَقَدِ اسْتَمْسَكَ بِالْعُرْوَةِ الْوُثْقَىٰ لَا انفصامَ لَهَا وَاللَّهُ سَمِيعٌ عَلِيمٌ (٢٥٦))

قوله تعالى: (لا إكراه في الدين).

167. روى أبو داود والنسائي وابن حبان عن ابن عباس قال: « كانت المرأة تكون مقلاة⁽⁴⁶³⁾ فتجعل على نفسها إن عاش لها ولد أن تهوده، فلما أجليت بنو النضير كان فيهم من أبناء الأنصار، فقالوا: لا ندع أبناءنا فأنزل الله: (لا إكراه في الدين)⁽⁴⁶⁴⁾ »

168. وأخرج ابن جرير من طريق سعيد أو عكرمة عن ابن عباس قال: « نزلت (لا إكراه في الدين) في رجل من الأنصار من بني سالم بن عوف يقال له الحصين، كان له ابنان نصرانيان وكان هو مسلماً فقال للنبي ﷺ : ألا أستكرههما؟ فإنهما قد أبيا إلا النصرانية، فأنزل الله: (لا إكراه في الدين)⁽⁴⁶⁵⁾ ». »

[تعليق]

ذكر المؤلف رحمه الله سببين لنزول هذه الآية. وكلا السببين في الأنصار ونهيهم الله عن إكراه أبنائهم الذين تنصروا أن يدخلوا في الإسلام، وفي الآية خلاف في كونها منسوخة أم غير منسوخة كما سيأتي.
وقد ذكر في سبب نزول هذه الآية أسباب أخرى.

فروى الطبري عن مجاهد في قول الله: (لا إكراه في الدين) قال: كانت في اليهود بني النضير أترضوا رجالاتهم من الأوس، فلما أمر النبي ﷺ بإجلائهم، قال أبناؤهم من الأوس: لنذهبن معهم، ولندين بدينهم! فمنعهم أهلهم، وأكرههم على الإسلام، ففيهم نزلت هذه الآية⁽⁴⁶⁶⁾. كذلك روى الطبري عن الحسن: أن أناساً من الأنصار كانوا مسترضعين في بني النضير، فلما أجلوا أراد أهلهم أن يلحقهم بدينهم، فنزلت: " لا إكراه في الدين"⁽⁴⁶⁷⁾. وروى نحوه عن مسروق.

سبب آخر

ذكر الإمام ابن الجوزي سبباً رابعاً في نزول هذه الآية قال: عن مجاهد: « أن رجلاً من الأنصار كان له غلام اسمه صبيح، كان يكرهه على الإسلام، فنزلت هذه الآية⁽⁴⁶⁸⁾ ».

فهذه أربعة أسباب لنزول هذه الآية وكلها نزلت في الأنصار مع اختلاف الأشخاص المكرهين، فمرة الأبناء ومرة العبيد. وهذا لا يؤثر في سبب النزول لاحتمال حدوث كل هذا قبل نزول الآية ثم نزلت الآية بعد. والسبب الأول أقواها إسناداً، والثاني ذكر له الحافظ شواهد والله تعالى أعلم.

اختلف العلماء في هذه الآية هل هي منسوخة أم غير منسوخة.

قال الإمام القرطبي رحمه الله: اختلف العلماء في معنى هذه الآية على ستة أقوال:

[الأول] قيل إنها منسوخة؛ لأن النبي ﷺ قد أكره العرب على دين الإسلام وقتلهم ولم يرض منهم إلا بالإسلام؛ قاله سليمان بن

(460) جامع البيان (تفسير الطبري) (5/285)

(461) مفاتيح الغيب (6/499) المؤلف: الإمام: محمد بن عمر المعروف بفخر الدين الرازي دار النشر: دار إحياء التراث العربي - بيروت عدد الأجزاء 32

(462) الوجيز للواحد (67)

(463) قوله مقلاة بكسر الميم وسكون القاف قال في مختصر النهاية هي المرأة التي لا يعيش لها ولد انظر نيل الأوطار/ 8/ 217 المؤلف: محمد بن علي بن محمد الشوكاني

الناشر: إدارة الطباعة المنيرية عدد الأجزاء: 9

(464) تفسير الطبري 3/14 سنن أبي داود 3/58 ح (2682) سنن النسائي الكبرى 6/304 ح (11049) صحيح ابن حبان 1/352 ح (140) سنن البيهقي 9/186 ح (18419) وإسناده صحيح قال أبو داود رحمه الله: حدثنا محمد بن عمر بن علي المقدمي قال ثنا أشعث بن عبد الله يعني السجستاني ح وثنا بن بشار قال حدثنا بن أبي عدي وهذا لفظه ح وثنا الحسن بن علي قال ثنا وهب بن جرير عن شعبة عن أبي بشر عن سعيد بن جبير عن بن عباس - به

(465) تفسير ابن جرير 3/14 وفي إسناده محمد بن أبي محمد مولى وزيد بن ثابت مجهول وروى معناه عنه السدي وفيه أسباط بن نصر

(466) جامع البيان (تفسير الطبري) (5/411)

(467) جامع البيان (تفسير الطبري) (5/412)

(468) زاد المسير في علم التفسير (1/262)

موسى، قال: نسختها (يَا أَيُّهَا النَّبِيُّ جَاهِدِ الْكُفَّارَ وَالْمُنَافِقِينَ) [التوبة: 73]. وروي هذا عن ابن مسعود وكثير من المفسرين.
الثاني: ليست بمنسوخة وإنما نزلت في أهل الكتاب خاصة، وأنهم لا يكرهون على الإسلام إذا أدوا الجزية، والذين يكرهون أهل الأوثان فلا يقبل منهم إلا الإسلام فهم الذين نزل فيهم (يَا أَيُّهَا النَّبِيُّ جَاهِدِ الْكُفَّارَ وَالْمُنَافِقِينَ). هذا قول الشعبي وقتادة والحسن والضحاك. والحجة لهذا القول ما رواه زيد بن أسلم عن أبيه قال: سمعت عمر بن الخطاب يقول لعجوز نصرانية: اسلمي أيتها العجوز تسلمي، إن الله بعث محمداً بالحق. قالت: أنا عجوز كبيرة والموت إلي قريب فقال عمر: اللهم اشهد، وتلا (لَا إِكْرَاهَ فِي الدِّينِ)⁽⁴⁶⁹⁾. قال الإمام القرطبي والمراد بالدين في هذه الآية المعتقد والملة بقريته قوله: (قَدْ تَبَيَّنَ الرُّشْدُ مِنَ الْغَيِّ)⁽⁴⁷⁰⁾.

[تفسير مختصر للآية]

(لا إكراه في الدين) بعد إسلام العرب؛ لأنهم أكرهوا على الإسلام فلم يقبل منهم الجزية؛ لأنهم كانوا مشركين، فلما أسلموا أنزل الله تعالى هذه الآية.

(قد تبين الرشد من الغي) ظهر الإيمان من الكفر، والهدى من الضلالة بكثرة الحجج.
(فمن يكفر بالطاغوت) بالشيطان والأصنام (ويؤمن بالله) واليوم الآخر (فقد استمسك) أي: تمسك.
(بالعرفة الوثقى) عقد لنفسه عقداً وثيقاً، وهو الإيمان وكلمة الشهادتين (لا انفصام لها) أي: لا انقطاع لها.
(والله سميع) لدعائك يا محمد أي: بإسلام أهل الكتاب، وكان رسول الله ﷺ يحب إسلام أهل الكتاب الذين حول المدينة، ويسأل الله ذلك (عليهم) بحرصك واجتهادك.

(اللَّهُ وَلِيُّ الَّذِينَ ءَامَنُوا يُخْرِجُهُمْ مِنَ الظُّلُمَاتِ إِلَى النُّورِ وَالَّذِينَ كَفَرُوا أُولِيَاؤُهُمُ الطُّغُوتُ يُخْرِجُونَهُمْ مِنَ النُّورِ إِلَى الظُّلُمَاتِ أُولَئِكَ أَصْحَابُ النَّارِ هُمْ فِيهَا خَالِدُونَ (٢٥٧)

قوله تعالى: (الله ولي الذين آمنوا) - الآية.

169. أخرج ابن جرير عن عبدة بن أبي لبابة في قوله الله: (الله ولي الذين آمنوا) قال: هم الذين كانوا

آمنوا ببعيسى، فلما جاءهم محمد ﷺ آمنوا به، وأنزلت فيهم هذه الآية⁽⁴⁷¹⁾.

170. وأخرج عن مجاهد قال: « كان قوم آمنوا ببعيسى وقوم كفروا به، فلما بعث محمد ﷺ آمن به الذين

كفروا ببعيسى وكفر به الذين آمنوا ببعيسى، فأنزل الله هذه الآية⁽⁴⁷²⁾. »

[تعليق]

ذكر المؤلف رحمه الله أثرين في سبب نزول هذه الآية وإسنادهما ضعيف.
وذكر الثعلبي. قال ابن عباس: هؤلاء قوم كفروا ببعيسى عليه السلام ثم آمنوا بمحمد صلى الله عليه وسلم فأخرجهم [من الكفر] ببعيسى إلى إيمانهم بالمصطفى وسائر الأنبياء (عليهم السلام)⁽⁴⁷³⁾.
والراجح أن الآية عامة في كل المؤمنين وهذا ما ذكره الثعلبي وغيره والله تعالى أعلم.

[تفسير مختصر للآية]

(الله ولي الذين آمنوا) وهذا يشمل ولايتهم لربهم، بأن تولوه فلا يبغون عنه بدلا ولا يشركون به أحدا، قد اتخذوه حبيبا ووليا، والوا أوليائه وعادوا أعداءه، فتولاهم بلطفه ومنّ عليهم بإحسانه، فأخرجهم من ظلمات الكفر والمعاصي والجهل إلى نور الإيمان والطاعة والعلم، وكان جزاؤهم على هذا أن سلمهم من ظلمات القبر والحشر والقيامة إلى النعيم المقيم والراحة والفسحة والسرور (والذين كفروا أولياؤهم الطاغوت) فتولوا الشيطان وحزبه، واتخذوه من دون الله وليا والوه وتركوا ولاية ربهم وسيدهم، فسلبهم عليهم عقوبة لهم فكانوا يؤزرونهم إلى المعاصي أزا، ويزعجونهم إلى الشر إزعاجا، فيخرجونهم من نور الإيمان والعلم والطاعة إلى ظلمة الكفر والجهل والمعاصي، فكان جزاؤهم على ذلك أن حرموا الخيرات، وفاتهم النعيم والبهجة والمسرات، وكانوا من حزب الشيطان وأوليائه في دار الحسرة، فلماذا قال تعالى: (أولئك أصحاب النار هم فيها خالدون)⁽⁴⁷⁴⁾.

قلت: جمع الظلمات وإفراد النور دليل على أن طريق الحق واحد أما طريق الباطل فمتعدد فالشرك والنفاق والمعصية فكل هذا يدخل تحت الظلمات والله تعالى أعلم.

(يَا أَيُّهَا الَّذِينَ ءَامَنُوا أَنْفِقُوا مِنْ طَيِّبَاتِ مَا كَسَبْتُمْ وَمِمَّا أَخْرَجْنَا لَكُمْ مِنَ الْأَرْضِ وَلَا تَيَمَّمُوا الْخَبِيثَ مِنْهُ تُنْفِقُونَ وَلَسْتُمْ بِآخِذِيهِ إِلَّا أَنْ تُغْمِضُوا فِيهِ وَاعْلَمُوا أَنَّ اللَّهَ غَنِيٌّ حَمِيدٌ (٢٦٧)

(469) تفسير القرطبي - (280/3)

(470) تفسير القرطبي - (279/3)

(471) تفسير ابن جرير 3/22 بإسنادين الأول: فيه ابن حميد ضعيف وعبد الله بن أبي لبابة مجهول له ترجمه في الإكمال ولسان الميزان وتعجيل المنفعة والثاني فيه راو ميهب والمثنى بن الصباح، والمبهم في هذه الرواية هو عبد الله بن أبي لبابة المذكور في الإسناد السابق والراوي عنهما منصور.

(472) نفس المصدر السابق وهي رواية عبد الله بن أبي لبابة

(473) الكشف والبيان عن تفسير القرآن (237/2) المؤلف: أبو إسحاق أحمد بن إبراهيم الثعلبي النيسابوري الموضوع: رواية القرن: الخامس الناشر: دار إحياء التراث

العربي مكان الطبع: بيروت سنة الطبع: 1422 هـ مكان الطبع: بيروت

(474) تفسير السعدي (111)

قوله تعالى: (يا أيها الذين آمنوا أنفقوا من طيبات ما كسبتم) - الآية.

171. روى الحاكم والترمذي وابن ماجة وغيرهم عن البراء قال: « نزلت هذه الآية فينا معشر الأنصار، كنا أصحاب نخل، وكان الرجل يأتي من نخله على قدر كثرته وقلته، وكان ناس ممن لا يرغب في الخير يأتي الرجل بالقنو فيه الشيبس والحشف، وبالقنو قد انكسر فيعلقه، فأنزل الله: (يا أيها الذين آمنوا أنفقوا من طيبات ما كسبتم) - الآية (475) ».

172. وروى أبو داود والنسائي والحاكم عن سهل بن حنيف قال: « كان الناس يتيممون شر ثمارهم يخرجونها في الصدقة، فنزلت: (ولا تيمموا الخبيث منه تنفقون) (476) ».

173. وروى الحاكم عن جابر قال: « أمر النبي ﷺ بزكاة الفطر بصاع من تمر، فجاء رجل بتمر رديء، فنزل القرآن: (يا أيها الذين آمنوا أنفقوا من طيبات ما كسبتم) الآية (477) ».

174. وروى ابن أبي حاتم عن ابن عباس قال: « كان أصحاب رسول الله ﷺ يشترون الطعام الرخيص ويتصدقون به، فأنزل الله هذه الآية (478) ».

[تعليق]

ذكر المؤلف رحمه الله في سبب نزول هذه الآية أربعة آثار، وكل أسانيدنا صحاح أو حسان، وهو تنتظم سببين للنزول.

الأول: أنها نزلت في الأنصار وهم المرادون بقوله في الرواية الثانية الناس على وجه العموم لدخول الأنصار في عموم الناس، وكذلك المرادون بقوله " كان أصحاب رسول الله ﷺ " في الرواية الرابعة. فلا إشكال في الجمع بين هذه الروايات. كذلك هذه الروايات تدل على عموم الصدقة ليس فيها تعرض للزكاة المفروضة أو المنذوبة، فيحمل كلاهما على عموم الآية، فلا يجوز إخراج الرديء من المال في الصدقة عموماً سواء كان في ذلك صدقة الفريضة أو التطوع.

وأما السبب الآخر فهو: أنها نزلت في صدقة الفطر وإسناد الرواية صحيح والجمع بينها وبين الروايات الأخرى بأن يكون تأخر سبب نزول الآية حتى كان ما كان من شأن الصدقة عموماً ومن شأن زكاة الفطر خصوصاً.

وفي الآية سبب آخر ذكره الإمام ابن حجر وعزاه للنسائي وعبد بن حميد وابن أبي حاتم طريق أبي أمامة بن سهل: « كان المنافقون يتلومون شرار ثمرهم الصدقة فنزلت (479) ».

فيتلخص لنا ثلاثة أسباب للأشخاص وثلاثة في المال.

فالأشخاص: الأنصار، أو الصحابة عموماً، أو المنافقون.

والمال: إما صدقة التطوع، أو صدقة الفريضة، أو صدقة الفطر.

وحمل الآية على عمومها هو الأولى فالعبرة بعموم اللفظ لا بخصوص السبب فتكون الآية نزلت لجميع الناس مؤمنهم

ومنافقهم، وفي جميع الصدقة سواء كانت تطوعاً أو فرضاً أو زكاة الفطر والله تعالى أعلم.

[تفسير مختصر للآية]

(يا أيها الذين آمنوا أنفقوا من طيبات ما كسبتم) والطيبات هنا عند الجمهور: الجيد غير الرديء، فقيل: إن ذلك في الزكاة فيكون واجباً وقيل: في التطوع فيكون مندوباً لا واجباً؛ لأنه كما يجوز التطوع بالقليل يجوز بالرديء.

(وَمِمَّا أَخْرَجْنَا مِنَ النَّبَاتِ وَالْمَعَادِنِ وَغَيْرِ ذَلِكَ.

(وَلَا يَتِيمُوا الْخَبِيثِ) أي لا تقصدوا الرديء.

(مِنَهُ تُنْفِقُونَ) في موضع الحال.

(وَأَسْتُمْ بِأَخْذِهِ) الواو للحال والمعنى: أنكم لا تأخذونه في حقوقكم وديونكم، إلا أن تتسامحوا بأخذه وتغضوا من قولك: أغض فلان عن بعض حقه: إذا لم يستوفه وإذا غض بصره (480).

(لَيْسَ عَلَيْكَ هُدْيُهُمْ وَلَكِنَّ اللَّهَ يَهْدِي مَنْ يَشَاءُ وَمَا تُنْفِقُوا مِنْ خَيْرٍ فَلِأَنْفُسِكُمْ وَمَا تُنْفِقُونَ إِلَّا ابْتِغَاءَ وَجْهِ اللَّهِ

(475) تفسير الطبري 3/82 من عدة طرق عن السدي سنن الترمذي 5/218 ح (2987) وقال حديث حسن غريب صحيح سنن ابن ماجة 1/583 ح (1822) مصنف ابن أبي شيبة 2/437 سنن البيهقي الكبرى 4/136 مختصراً شرح معاني الآثار مختصراً 4/201 مستدرک الحاكم 2/313 ح (3127) وقال صحيح الإسناد على شرط مسلمقال الترمذي رحمه الله: حدثنا عبد الله بن عبد الرحمن أخبرنا عبيد الله بن موسى عن إسرائيل عن السدي عن أبي مالك عن البراء -به

(476) سنن النسائي 5/43 ح (2492) سنن أبي داود 2/110 ح (1607) كلاهما مختصراً صحيح ابن خزيمة 4/39 ح (2311) مستدرک الحاكم 1/559 ح (1463) قال صحيح على شرط البخاري وقال في موضع آخر صحيح على شرط الشيخين سنن البيهقي الكبرى 4/136 سنن الدارقطني 2/131 المعجم الكبير 6/77/76 ح

(5566/5569) قال أبو داود رحمه الله: حدثنا محمد بن يحيى بن فارس ثنا سعيد بن سليمان ثنا عباد عن سفيان بن حسين عن الزهري عن أبي أمامة بن سهل عن أبيه -فذكره ثم قال وأسند أيضاً أبو الوليد عن سليمان بن كثير عن الزهري قلت وتابعهما عن الزهري محمد بن أبي حفصة عند الحاكم فرووه عن أبي أمامة عن أبيه وخالفهم عبد الجليل بن حميد البحصي عند النسائي فرواه عن أبي أمامة بن سهل عن النبي ﷺ وأبو أمامة معروف بكنيته معدود في الصحابة له رؤية ولم يسمع من النبي ﷺ قاله الحافظ في

التقريب وعليه فهو مرسل صحابي وكل من سفيان بن حسين وسليمان بن كثير له أخطاء في الزهري وأيضاً محمد بن أبي حفصة قال عنه الحافظ صدوق يخطئ وعلى كل فكل منهم متابع للآخر وأما عبد الجليل بن حميد فقال عنه الحافظ لا بأس له

(477) مستدرک الحاكم 2/311 ح (3113) قال صحيح على شرط مسلمقال: حدثنا أحمد بن سهل بن حمويه الفقيه ببخارا حدثنا قيس بن أنيف حدثنا قتيبة بن سعيد حدثنا حاتم بن إسماعيل عن جعفر بن محمد عن أبيه عن جابر -به

(478) تفسير ابن أبي حاتم 2/526 وإسناده جيد

(479) العجائب في بيان الأسباب (1/625)

(480) التسهيل لعلوم التنزيل لابن جزي (144)

وَمَا تُنْفِقُوا مِنْ خَيْرٍ يُوفَّ إِلَيْكُمْ وَأَنْتُمْ لَا تُظْلَمُونَ (٢٧٢)

قوله تعالى: (ليس عليك هدام) - الآية.

175. روى النسائي والحاكم والبزار والطبراني وغيرهم عن ابن عباس قال: « كانوا يكرهون أن يرضخوا لأنسابهم من المشركين، فسألوا فرخص لهم فنزلت هذه الآية: (ليس عليك هدام) إلى قوله (وأنتم لا تظلمون) (481) ».

176. وأخرج ابن أبي حاتم عن ابن عباس: « أن النبي ﷺ كان يأمر أن لا يتصدق إلا على أهل الإسلام، فنزلت: (ليس عليك هدام) - الآية. فأمر بالتصدق على كل من سأل من كل دين (482) ».

[تعليق]

ذكر المؤلف رحمه الله سببين للنزول في هذه الآية، الأول أنها نزلت في الصحابة كانوا يكره أن يرضخوا؛ أي يعطوا والعرب تقول: رضخ له من ماله رضا، أي أعطاه قليلاً من كثير (483).
الثاني أنها نزلت: لما أمر النبي ﷺ أن لا يعطى من الصدقة إلا أهل الإسلام. فنزلت الآية مبيحة للصدقة على غير المسلمين. وسيأتي الحديث عن حكم هذه الصدقة إن شاء الله.
وقد روى أن هذه الآية نزلت في أسماء بنت أبي بكر.

فروى الثعلبي. قال الكلبي: اعتمر رسول الله صلى الله عليه وسلم عمرة القضاء وكانت معه في تلك العمرة أسماء بنت أبي بكر، فجاءتها أمها فتبيلة وجدتها تسألانها وهما مشركان، فقالت: لا أعطيكما شيئاً حتى أستأمر رسول الله صلى الله عليه وسلم فإنكما لستما على ديني، فاستأمرته في ذلك فأنزل الله تعالى هذه الآية، فأمرها رسول الله صلى الله عليه وسلم بعد نزول هذه الآية أن تتصدق عليهما فأعطتهما ووصلتهما (484).

ذكره من غير إسناد والكلبي تقدم الكلام عنه.

وقيل أنها نزلت في النفقة على اليهود فأخرج الثعلبي قال الكلبي: ولها وجه آخر وذلك إن ناساً من المسلمين كانت لهم رضاع في اليهود وكانوا ينفقونهم قبل أن يسلموا فلما أسلموا كرهوا أن ينفقونهم وأرادوهم أن يسلموا، فاستأمر رسول الله صلى الله عليه وسلم فنزلت هذه الآية فأعطوهم بعد نزولها (485).

قلت: وإن تعددت أسباب النزول في هذه الآية على فرض صحتها جميعاً فهي تدل على معنى واحد وهو إباحة الصدقة على غير المسلمين، وهذه الصدقة التطوع، أما الزكاة المفروضة، فقد نقل ابن المنذر الإجماع على عدم جواز الزكاة على غير المسلمين إلا أن يكون المشرك يرجي إسلامه بالزكاة لدخوله في قوله تعالى (والمؤلفة قلوبهم) (486).

[تفسير مختصر للآية]

(ليس عليك هدام) : هدايتهم إلى الإيمان وصالح الأعمال.

(وما تنفقوا من خير) : من مال.

(فأأنفكم) : صوابه العاجل بالبركة وحسن الذكر والأجل يوم القيامة عائد على أنفسكم.

(وما تنفقوا من خير يوف إليكم) : يرد أجره كاملاً لا ينقص منه شيء (487).

(الَّذِينَ يُنْفِقُونَ أَمْوَالَهُمْ بِاللَّيْلِ وَالنَّهَارِ سِرًّا وَعَلَانِيَةً فَلَهُمْ أَجْرُهُمْ عِنْدَ رَبِّهِمْ وَلَا خَوْفٌ عَلَيْهِمْ وَلَا هُمْ يَحْزَنُونَ (٢٧٤)

قوله تعالى: (الذين ينفقون أموالهم بالليل والنهار) - الآية.

177. أخرج الطبراني وابن أبي حاتم عن يزيد بن عبد الله بن غريب عن أبيه عن جده عن النبي ﷺ قال: « نزلت هذه الآية (الذين ينفقون أموالهم بالليل والنهار سراً وعلانية فلهم أجرهم) في أصحاب الخيل (488) ».

«يزيد وأبوه مجهولان».

(481) تفسير الطبري 3/94 سنن النسائي الكبرى 6/305 ح (11052) الأحاديث المختارة 10/76 سنن البيهقي الكبرى 4/191 ح (7631) مستدرک الحاكم 313/2 ح (3128) المعجم الكبير 12/54 ح (12453) صحيح الإسناد قال النسائي رحمه الله أنبأنا محمد بن عبد الله بن عبد الرحيم نا الفريابي نا سفيان نا الأعمش نا جعفر بن إياس نا سعيد بن جبير نا ابن عباس. الرضخ: العطية القليلة. ومنه حديث علي رضي الله عنه ويروض له على ترك الدين رضىخة هي فعيلة من الرخخ أي عطية - انظر النهاية في غريب الحديث/2/228 المؤلف: أبو السعادات المبارك بن محمد الجزري الناشر: المكتبة العلمية - بيروت، 1399هـ - 1979م تحقيق: طاهر أحمد الزاوي - محمود محمد الطناحي عدد الأجزاء: 5

(482) تفسير ابن أبي حاتم 2/537 وإسناده حسن

(483) شرح صحيح البخاري - لابن بطال (436/3)

(484) الكشف والبيان عن تفسير القرآن (2/274)

(485) الكشف والبيان عن تفسير القرآن (2/274)

(486) انظر كتاب الإجماع لابن المنذر (ص 47)

(487) أيسر التفاسير للجزائري (1/139)

(488) الأحاد والمثاني لأبي بكر الشيباني 5/158 ح (2696) المؤلف: أحمد بن عمرو بن الضحاك أبو بكر الشيباني [206 - 287] المحقق: د. باسم فيصل أحمد الجوابرة الناشر: دار الراجية - الرياض الطبعة: الأولى، 1411 - 1991 عدد الأجزاء: 6 العظمة 5/1781 ح (12835) طبقات ابن سعد 7/433 المعجم الكبير 17/188 ح (504) وعريب بالعين المهملة وإسناده ضعيف للجهاالة وأخرج ابن عساكر 40/44 عن أبي أمامة: « أنها نزلت في أصحاب الخيل فيمن لم يربطها لخيلاء ولا ضمرا ». وفي إسناده العجلان بن سهيل له ترجمة في الجرح والتعديل قال أبو حاتم: لا أعلم بحديثه بأس، وأدخله بعضهم في الضعفاء انظر الجرح والتعديل 7/19

178. وأخرج عبد الرازق وابن جرير وابن أبي حاتم والطبراني بسند ضعيف عن ابن عباس قال: «نزلت هذه الآية في علي بن أبي طالب، كانت معه أربعة دراهم فأنفق بالليل درهماً وبالنهار درهماً وسراً درهماً وعلانية درهماً⁽⁴⁸⁹⁾». «

179. وأخرج ابن المنذر عن ابن المسيب قال: «الآية نزلت في عبد الرحمن بن عوف وعثمان بن عفان في نفقتهما في جيش العسرة⁽⁴⁹⁰⁾». «

[تعليق]

ذكر المؤلف رحمه الله ثلاثة آثار في سبب نزول هذه الآية ومعنى قوله: نزلت في أصحاب الخيل يعني الذين يربطون الخيل في سبيل الله تعالى. وروى في سبب نزولها كذلك أنها نزلت في علي ابن أبي طالب وعبد الرحمن بن عوف. فروى الضحاك عن ابن عباس: «أنها نزلت في علي، وعبد الرحمن بن عوف، فإن علياً بعث بوسق من تمر إلى أهل الصفة ليلاً، وبعث عبد الرحمن إليهم بدنانير كثيرة نهاراً⁽⁴⁹¹⁾». قال الرازي: لما نزل قوله تعالى: (لِلْفُقَرَاءِ الَّذِينَ أُحْصِرُوا فِي سَبِيلِ اللَّهِ) بعث عبد الرحمن بن عوف إلى أصحاب الصفة بدنانير، وبعث علي رضي الله عنه بوسق من تمر ليلاً، فكان أحب الصدقتين إلى الله تعالى صدقته، فنزلت هذه الآية فصدقة الليل كانت أكمل⁽⁴⁹²⁾. وقيل نزلت في أبي بكر الصديق. قال الرازي: قال صاحب «الكشاف»: نزلت في أبي بكر الصديق رضي الله عنه حين تصدق بأربعين ألف دينار: عشرة بالليل، وعشرة بالنهار، وعشرة في السر، وعشرة في العلانية⁽⁴⁹³⁾. قلت: وكلها هذه الآثار لا يخلو إسنادها من ضعف وبعضها لم أقف على إسناده، وحمل الآية على عمومها أولى. فأثني الله تعالى عموماً على الذين ينفقون أموالهم بالليل والنهار سرّاً وعلانيةً والله تعالى أعلم.

[تفسير مختصر للآية]

(الذين ينفقون أموالهم في سبيل الله) أي: طاعته وطريق مرضاته، لا في المحرمات والمكروهات وشهوات أنفسهم. بالليل والنهار سرا وعلانية فلهم أجرهم عند ربهم) أي: أجر عظيم من خير عند الرب الرحيم. (ولا خوف عليهم) إذا خاف المقصرون. (ولا هم يحزنون) إذا حزن المفرطون، ففازوا بحصول المقصود المطلوب، ونجوا من الشرور والمرهوب⁽⁴⁹⁴⁾.

(يَا أَيُّهَا الَّذِينَ ءَامَنُوا اتَّقُوا اللَّهَ وَذَرُوا مَا بَقِيَ مِنَ الرِّبَا إِن كُنْتُمْ مُّؤْمِنِينَ ٢٧٨)

قوله تعالى: (يا أيها الذين آمنوا اتقوا الله وذرُوا ما بقي من الربا) - الآية.

180. أخرج أبو يعلى في مسنده وابن منده من طريق الكلبي عن أبي صالح عن ابن عباس قال: «بلغنا أن هذه الآية نزلت في بني عمرو بن عوف من ثقيف وفي بني المغيرة، وكانت بنو المغيرة يربون لتقيف، فلما أظهر الله رسوله على مكة وضع يومئذ الربا كله، فأتى بنو عمرو وبنو المغيرة إلى عتاب بن أسيد وهو على مكة فقال بنو المغيرة: أما جعلنا أشقى الناس بالربا ووضع عن الناس غيرنا فقال بنو عمرو: صولحنا أن لنا ربانا، فكتب عتاب في ذلك إلى رسول الله ﷺ، فنزلت هذه الآية والتي بعدها⁽⁴⁹⁵⁾». «

181. وأخرج ابن جرير عن عكرمة قال: «نزلت هذه الآية في ثقيف منهم مسعود وحبيب وربيعة وعبد ياليل وبنو عمرو وبنو عمير⁽⁴⁹⁶⁾». «

[تعليق]

ذكر المؤلف رحمه الله اثنين في سبب نزول هذه الآية وهما يدلان على أن هذه الآية نزلت في ثقيف. وقد ذكر في سبب نزول غير ما تقدم. فأخرج الواحدي قال: وقال عطاء، وعكرمة: نزلت هذه الآية في العباس بن عبد المطلب وعثمان ابن عفان، وكانا قد أسلفا في التمر، فلما حضر الجداد قال لهما صاحب التمر: لا يبقى لي ما يكفي عيالي إذا أنتما أخذتما حظكما كله، فهل لكما أن تأخذا النصف وأضعف لكما، ففعلا، فلما حل الاجل طلبا الزيادة، فبلغ ذلك رسول الله ﷺ، فنهاهما وأنزل الله تعالى هذه الآية، فسمعا

(489) المعجم الكبير 11/97 ح (11164) تفسير عبد الرزاق 1/108 وفي إسناده عبد الوهاب بن مجاهد بن جبر قال الحافظ: متروك

(490) مرسل.

(491) زاد المسير في علم التفسير (1/283)

(492) مفاتيح الغيب (7/71)

(493) مفاتيح الغيب (7/71)

(494) تفسير السعدي (116)

(495) مسند أبي يعلى 5/74 ح (2668) في إسناده محمد بن السائب الكلبي قالوا عنه: كذاب

(496) تفسير ابن جرير 3/107 وفي إسناده سنيد ضعيف.

وأخرج ابن جرير وابن أبي حاتم عن السدي: (يا أيها الذين آمنوا اتقوا الله وذروا ما بقي من الربا) إلى: (ولا تظلمون)، قال: نزلت هذه الآية في العباس بن عبد المطلب ورجل من بني المغيرة، كانا شريكين في الجاهلية، يُسلفان في الربا إلى أناس من ثقيف من بني عمرو وهم بنو عمرو بن عمير، فجاء الإسلام ولهما أموال عظيمة في الربا، فأنزل الله "ذروا ما بقي" من فضل كان في الجاهلية "من الربا"⁽⁴⁹⁸⁾. قلت سمي هذا الرجل خالد بن الوليد بن المغيرة في بعض الروايات.

وذكر الرازي في مفاتيحه: أنها خطاب لأهل مكة كانوا يرابون فلما أسلموا عند فتح مكة أمرهم الله تعالى أن يأخذوا رؤوس أموالهم دون الزيادة⁽⁴⁹⁹⁾.

فتحصل لنا مما تقدم أن هذه الآية في أربعة أسباب للنزول.

الأول: في ثقيف.

الثاني: في العباس وعثمان بن عفان.

الثالث: في العباس وخالد بن الوليد.

الرابع: في أهل مكة.

ويمكن على فرض صحة أسانيد هذه الأسباب أن يكون تأخر سبب النزول، حتى كان ما كان من أمرهم جميعاً. ثم نزلت الآية مبينة ومرشدة لحكم الربا فوضع ربا الجاهلية كله. وقد أخرج مسلم وغيره عن النبي ﷺ في خطبته في جحة الوداع قوله « وربا الجاهلية موضوع، وأول ربا أضع ربا العباس بن عبد المطلب، فإنه موضوع كله⁽⁵⁰⁰⁾ ».

[تفسير مختصر للآية]

(يا أيها الذين اتقوا الله): خافوا عقابه بطاعته بأن تجعلوا طاعته وقاية تقيكم غضبه وعقابه.

(وذروا ما بقي من الربا): اتركوا ما بقي عندكم من المعاملات الربويّة.

(فإن لم تفعلوا فاذنوا بحرب من الله ورسوله): اعلّموا بحرب من الله ورسوله واحملوا سلاحكم ولا ينفعكم سلاح فإنكم المهزومون الهالكون.

(فلكم رؤوس أموالكم): بعد التوبة مالكم إلا رأس المال الذي عند المدين لكم فخذوه واتركوا زيادة الربا⁽⁵⁰¹⁾.

(ءَأَمَنَ الرَّسُولُ بِمَا أُنزِلَ إِلَيْهِ مِنْ رَبِّهِ وَالْمُؤْمِنُونَ كُلٌّ ءَأَمَنَ بِاللَّهِ وَمَلِكِهِ وَكُتُبِهِ وَرُسُلِهِ لَا نُفِرُّ بَيْنَ أَحَدٍ مِّن رُّسُلِهِ وَقَالُوا سَمِعْنَا وَأَطَعْنَا غُفْرَانَكَ رَبَّنَا وَإِلَيْكَ الْمَصِيرُ ۝٢٨٥)

قوله تعالى: (آمن الرسول) - الآية.

182. روى أحمد ومسلم وغيرهما عن أبي هريرة قال: « لما نزلت (وإن تبدوا ما في أنفسكم أو تخفوه يحاسبكم به الله) اشتد ذلك على الصحابة، فأتوا رسول الله ﷺ ثم جثوا على الركب فقالوا: قد أنزل عليك هذه الآية ولا نطيقها، فقال « أتريدون أن تقولوا كما قال أهل الكتابين من قبلكم سمعنا وعصينا؟! بل قولوا سمعنا وأطعنا غفرانك ربنا وإليك المصير »، فلما اقتراها القوم وذللت بها ألسنتهم⁽⁵⁰²⁾، أنزل الله في أثرها (آمن الرسول) الآية، فلما فعلوا ذلك نسخها الله، فأنزل: (لا يكلف الله نفساً إلا وسعها) إلى آخرها⁽⁵⁰³⁾ ».

183. وروى مسلم وغيره عن ابن عباس⁽⁵⁰⁴⁾ نحوه.

[تعليق]

ذكر المؤلف رحمه الله أثرين في سبب نزول هذه الآية. وهو سبب صحيح أخرجه الإمام مسلم وغيره. وقد جاء بعدة طرق وكلها تدل على نفس المعنى. وفي هذه الآية تخفيف الله تعالى على هذه الأمة الضعيفة ما لا يكن من قبل في الأمم السابقة، فنسأل الله تعالى أن لا يواخذنا بما نسينا أو أخطأنا وأن لا يحمل علينا إصراً كما حمله على الذين من قبلنا، وأنا لا يحملنا ما لا طاقة لنا به وأن يعف عنا ويغفر لنا ويرحمنا.

روى الإمام مسلم في الرواية التي اختصرها المؤلف عن ابن عباس قال: «لما نزلت هذه الآية (إن تبدوا ما في أنفسكم أو تخفوه يحاسبكم به الله) قال دخل قلوبهم منه شيء لم يدخل من شيء فقالوا للنبي صلى الله عليه وسلم فقال قولوا سمعنا وأطعنا فألقى الله الإيمان في قلوبهم فأنزل الله (آمن الرسول بما أنزل إليه من ربه والمؤمنون) الآية (لا يكلف الله نفساً إلا وسعها) ما كسبت

(497) أسباب النزول للواحدى (59)

(498) جامع البيان (تفسير الطبري) (6/23) تفسير ابن أبي حاتم - (2/548)

(499) مفاتيح الغيب (7/83)

(500) صحيح مسلم - (4/39)

(501) أيسر التفاسير للجزائري (1/142)

(502) دليل الفالحين لطرق رياض الصالحين (2/122) المؤلف: محمد علي بن محمد بن علان بن إبراهيم البكري الصديقي الشافعي (المتوفى: 1057هـ) اعتنى بها: خليل

مأمون شبيحا الناشر: دار المعرفة للطباعة والنشر والتوزيع، بيروت - لبنان الطبعة: الرابعة، 1425 هـ - 2004 م عدد الأجزاء: 8

(503) صحيح مسلم 1/115 ح (125) مسند أحمد 2/412 ح (9333) شعب الإيمان 1/296 ح (327) صحيح ابن حبان 350/1 ح (139) وغيرهم.

(504) صحيح مسلم 1/116 ح (126) سنن الترمذي 5/221 ح (2992) مسند أحمد 1/233 ح (2070) صحيح ابن حبان 458/1 ح (5069) والنسائي في الكبرى

6/307 ح (11059). مستدرک الحاكم 314 ج:2 ح (3132) المعجم الصغير للطبراني 321/1 ح (532)

وعليها ما اكتسبت ربنا لا تؤاخذنا إن نسينا أو أخطأنا) قال قد فعلت (ربنا ولا تحمل علينا إصرا كما حملته على الذين من قبلنا) قال قد فعلت (ربنا ولا تحملنا ما لا طاقة لنا به واعف عنا واغفر لنا وارحمنا) الآية قال قد فعلت(505)».

فبينت هذه الرواية استجابة الله تعالى لدعوة المؤمنين، نسأل الله أن يجعلنا الله ممن شملته هذه الدعوة.

[تفسير مختصر للآية]

(أمن الرسول...) الآية، لَمَّا ذكر الله تعالى في هذه السورة الأحكام والحدود، وقصص الأنبياء وآيات قدرته، ختم السورة بذكر تصديق نبيِّه عليه السَّلام والمؤمنين بجميع ذلك، (لا نفرق بين أحد) أي: يقولون: لا نفرِّق بين أحد من رسله كما فعل أهل الكتاب، آمنوا ببعض الرُّسل وكفروا ببعض، بل نجمع بينهم في الإيمان بهم (وقالوا سمعنا) قوله (وأطعنا) أمره (غفرانك) أي: اغفر غفرانك.

(لا يكلف الله نفساً إلا وسعها) ذكرنا أنَّ هذه الآية نسخت ما شكاه المؤمنون من المحاسبة بالسوسة وحديث النَّفس (لها ما كسبت) [من العمل بالطاعة] (وعليها ما اكتسبت) [من العمل بالإثم] أي: لا يُؤاخذ أحدٌ بذنب غيره (ربنا لا تؤاخذنا) أي: قولوا ذلك على التعلُّيم للدُّعاء، ومعناه: لا تعاقبنا إن نسينا. كانت بنو إسرائيل إذا نسوا شيئاً ممَّا شرع لهم عَجَلت لهم العقوبة بذلك، فأمر الله نبيِّه والمؤمنين أن يسألوه ترك مؤاخذتهم بذلك (أو أخطأنا) تركنا الصَّواب: (ربنا ولا تحمل علينا إصراً) أي: ثقلاً، والمعنى: لا تحمل علينا أمراً يثقل (كما حملته على الذين من قبلنا) نحو ما أمر به بنو إسرائيل من الأثقال التي كانت عليهم (ربنا ولا تحملنا ما لا طاقة لنا به) أي: لا تعدِّبنا بالنَّار (أنت مولانا) [ناصرنا] والذي تلي علينا أمورنا (فانصرنا على القوم الكافرين) في إقامة حجتنا وغلبتنا إيَّاهم في حربته وسائر أمورهم حتى يظهر ديننا على الدِّين كله كما وعدتنا(506).

انتهت سورة البقرة

سُورَةُ آلِ عِمْرَانَ

(الم ١ اللَّهُ لَا إِلَهَ إِلَّا هُوَ الْحَيُّ الْقَيُّومُ ٢)

قوله تعالى (الم الله لا إله إلا هو الحي القيوم) – الآيات.

184. أخرج ابن أبي حاتم عن الربيع: « أن النصارى أتوا إلى النبي □ فخاصموه في عيسى، فأنزل الله: (الم الله لا إله إلا هو الحي القيوم) إلى بضع وثمانين آية منها(507)».

185. وقال ابن إسحاق حدثني محمد بن سهل بن أبي أمامة قال: « لما قدم أهل نجران على رسول الله □ يسألونه عن عيسى بن مريم، نزلت فيهم فاتحة آل عمران إلى رأس الثمانين منها(508)» أخرج البيهقي في الدلائل.

[تعليق]

سورة آل عمران سورة مدنية، اختلف العلماء في سنة نزولها فقبل نزلت بعد سورة البقرة في السنة الثانية، لكن يشكل على ذلك أن فيها ذكر غزوة بدر في قوله تعالى (وَلَقَدْ نَصَرَكُمُ اللَّهُ بِبَدْرٍ وَأَنْتُمْ أَذِلَّةٌ فَاتَّقُوا اللَّهَ لَعَلَّكُمْ تَشْكُرُونَ) آل عمران (123) فهذا يقتضى نزولها بعد بدر، وأجيب عنه بأنه يحتمل أن يكون بعضها نزل قبل بدر وبعضها بعدها، ويدل على ذلك أن قدوم وفد نجران على رسول الله □ كان في السنة الثانية من الهجرة(509)، وقد رجح بعض أهل العلم نزولها في السنة الثالثة من الهجرة بعد غزوة أحد، لاتفاقهم على أن قوله تعالى (وَإِذْ عَدَوْتَ مِنْ أَهْلِكَ تُبَوِّئُ عُوًى – الآية) آل عمران 121، نزلت في قصة أحد. فالله تعالى أعلم(510).

وذكر المؤلف في سبب نزول هذه السورة أثرين، وكلاهما مرسل.

فالأول: أن النصارى قدموا على رسول الله □،

والثاني: أن وفد نجران قدموا على رسول الله □، ووفد نجران من النصارى فلا تعارض بين الأثرين.

وقد روى الإمام ابن جرير أثر الربيع بسياق أذكره للفائدة فقد اختصره المؤلف رحمه الله.

عن الربيع في قوله: (الم الله لا إله إلا هو الحي القيوم)، قال: إنَّ النصارى أتوا رسول الله □، فخاصموه في عيسى ابن مريم وقالوا له: من أبوه؟ وقالوا على الله الكذب والبهتان، لا إله إلا هو لم يتخذ صاحبة ولا ولداً، فقال لهم النبي □: أَلَسْتُمْ تعلمون أنه لا يكون ولدٌ إلا وهو يشبه أباه؟ قالوا: بلى! قال: أَلَسْتُمْ تعلمون أن ربنا حي لا يموت، وأنَّ عيسى يأتي عليه الفناء؟ قالوا: بلى! قال: أَلَسْتُمْ تعلمون أن ربنا قَيِّمٌ على كل شيء يكلأه ويحفظه ويرزقه؟ قالوا: بلى! قال: فهل يملك عيسى من ذلك شيئاً؟ قالوا: لا! قال: أفَلَسْتُمْ تعلمون أن الله عز وجل لا يخفى عليه شيء في الأرض ولا في السماء؟ قالوا: بلى! قال: فهل يعلم عيسى من ذلك شيئاً

(505) صحيح مسلم - (1/ 81)

(506) الوجيز للواحدى (77)

(507) تفسير ابن أبي حاتم 2/585 تفسير ابن جرير 3/163 وإسناده مرسل وضعيف من قِبَل أبي جعفر الرازي.

(508) مرسل.

(509) التحرير والتنوير (6/3)

(510) انظر تفسير الطيب ابن عاشور (6/3)

إلا ما علم؟ قالوا: لا! قال: فإن ربنا صور عيسى في الرحم كيف شاء، فهل تعلمون ذلك؟ قالوا: بلى! قال: ألسنتم تعلمون أن ربنا لا يأكل الطعام ولا يشرب الشراب ولا يحدث الحديث؟ قالوا: بلى! قال: ألسنتم تعلمون أن عيسى حملته أمه كما تحمل المرأة، ثم وضعتة كما تضع المرأة ولدها، ثم غدّي كما يغدّي الصبي، ثم كان يطعم الطعام، ويشرب الشراب ويحدث الحديث؟ قالوا بلى! قال: فكيف يكون هذا كما زعمتم؟ قال: فعرفوا، ثم أبوا إلا جوداً، فأنزل الله عز وجل: "ألم (الله لا إله إلا هو الحي القيوم) (511)".

(قُلْ لِلَّذِينَ كَفَرُوا سَعْتَابُونَ وَنَحْشُرُونَ إِلَىٰ جَهَنَّمَ وَبِئْسَ الْمِهَادُ (١٢))

قوله تعالى: (قل للذين كفروا ستغلبون)- الآية.

186. روى أبو داود في سننه والبيهقي في الدلائل من طريق ابن إسحاق عن محمد بن أبي محمد عن سعيد أو عكرمة عن ابن عباس: « أن رسول الله ﷺ لما أصاب من أهل بدر ما أصاب ورجع إلى المدينة جمع اليهود في سوق بني قينقاع وقال: يا معشر يهود أسلموا قبل أن يصيبكم الله بما أصاب قريشاً، فقالوا: يا محمد لا يغرنك من نفسك أن قتلت نفرأ من قريش كانوا أعماراً لا يعرفون القتال، إنك والله لو قاتلنا لعرفت أننا نحن الناس وأنك لم تلق مثلنا، فأنزل الله: (قل للذين كفروا ستغلبون) إلى قوله (أولوي الأبصار) (512) ». «

187. وأخرج ابن المنذر عن عكرمة: « قال فنحاص اليهودي يوم بدر: لا يغرن محمداً أن قتل قريشاً وغلبها، إن قريشاً لا تحسن القتال، فنزلت هذه الآية (513) ». «

[تعليق]

ذكر المؤلف رحمه الله أثنين في سبب نزول هذه الآية والأثران يدلان على أن هذه الآية نزلت في اليهود محذرة لهم من عاقبة عنادهم وأن الله تعالى سيوقع بهم ما أفع بقريش في بدر. وقد ذكر غيره من أهل العلم سببين آخرين لنزول هذه الآية. فذكر صاحب البحر المحيط وغيره أنها: نزلت في أبي سفيان وقومه جمعوا لرسول الله صلى الله عليه وسلم بعد بدر، فنزلت (514).

وأخرج الواحدي عن ابن عباس: إن يهود أهل المدينة - لما شاهدوا هزيمة المشركين يوم بدر - قالوا: والله إن هذا لهو النبي الأمي الذي بشرنا به موسى وفي التوراة نعتة وأنه لا يُردُّ عليه رأيه وأرادوا اتباعه ثم قال بعضهم لبعض: لا تعجلوا حتى ننظر إلى وقعة له أخرى فلما كان يوم أحد ونكب أصحاب النبي ﷺ شكوا وقالوا: ليس هو ذلك فعلب عليهم الشقاء فلم يُسلموا وقد كان بينهم وبين أصحاب رسول الله ﷺ عهدٌ إلى مدة فنقضوا ذلك العهد وانطلق كعب بن الأشرف في ستين ركباً - إلى مكة يستنفرهم فأجمعوا أمرهم على قتال رسول الله ﷺ فأنزل الله هذه الآية (515) ». «

فيكون في هذه الآية ثلاثة أسباب للنزول.

الأول: في اليهود.

الثاني: في مشركي قريش.

الثالث: في المشركين عامة فيشمل اليهود وكفار قريش وغيرهم.

ولا مانع من الجمع بين هذه الآثار بأن يقال بأن الآية نزلت تنبيها لهم جميعاً وتحذيراً من أن يقفوا أمام الحق الذي جاء به النبي محمد ﷺ. بأنهم سيغلبون ثم يحشرون إلى جهنم أعادنا الله منها.

[تفسير مختصر للآية]

(قل للذين كفروا) يعني: يهود المدينة ومشركي مكة (ستغلبون وتحشرون إلى جهنم وبئس المهاد) بئس ما مهد لكم (516) ». «

(أَلَمْ تَرَ إِلَى الَّذِينَ أُوتُوا نَصِيحًا مِّنَ الْكُتُبِ يُدْعَوْنَ إِلَىٰ كِتَابِ اللَّهِ لِيَحْكُمَ بَيْنَهُمْ ثُمَّ يَتَوَلَّىٰ فَرِيقٌ مِّنْهُمْ وَهُمْ مُّعْرِضُونَ (٢٣))

قوله تعالى: (ألم تر إلى الذين أتوا) - الآية.

188. أخرج ابن أبي حاتم (517) وابن المنذر عن عكرمة عن ابن عباس قال: « دخل رسول الله ﷺ بيت المد

(511) جامع البيان (تفسير الطبري) (154/6)

(512) تفسير الطبري 3/192 سنن أبي داود 3/154 ح (3001) سنن البيهقي الكبرى 9/183 ح (18409) وإسناده ضعيف لجهالة محمد بن أبي محمد.

(513) تفسير الطبري 3/192 وفي إسناده سنيد ضعيف مع إرساله

(514) تفسير البحر المحيط - (299/2)

(515) أسباب النزول للواحدي (62)

(516) الوجيز للواحدي (80)

(517) رواه ابن أبي حاتم عن عكرمة ولم يذكر ابن عباس تفسير ابن أبي حاتم - (622/2) كما أخرجه ابن المنذر عن ابن إسحاق ولم أره مسنداً تفسير ابن المنذر (154/1)

راس (518) على جماعة من اليهود فدعاهم إلى الله فقال له النعمان بن عمرو (519) والحارث بن زيد (520): «على أي دين أنت يا محمد؟ قال: «على ملة إبراهيم ودينه» قال: فإن إبراهيم كان يهودياً، فقال لهما رسول الله ﷺ: «فهلما إلى التوراة فهي بيننا وبينكم» فأبيا عليه، فأنزل الله (ألم تر إلى الذين أوتوا نصيباً من الكتاب يدعون) إلى قوله (يفترون) (521)»

[تعليق]

ذكر المؤلف رحمه الله هذا الأثر في سبب نزول هذه الآية. وهذا السبب هو أحد أربعة أسباب ذكرها العلماء. والثاني: أنها نزلت: " أن رجلاً من اليهود وامرأة زنيا، فكرها رجما لشرفهما، فرفعا أمرهما إلى النبي ﷺ، رجاء أن يكون عنده رخصة، فحكم عليها بالرجم، فقالوا: جرت علينا يا محمد، ليس علينا الرجيم. فقال: بيني وبينكم التوراة، فجاء ابن صوريا، فقرأ من التوراة، فلما أتى على آية الرجم، وضع كفه عليها، وقرأ ما بعدها، فقال ابن سلام: قد جاوزها، ثم قام، فقرأها، فأمر رسول الله ﷺ، باليهوديين، فرجما، فغضب اليهود. فنزلت هذه الآية (522). ذكره ابن الجوزي رحمه الله عن ابن عباس. الثالث: أن النبي ﷺ دعا اليهود إلى الإسلام، فقال: نعمان بن أبي أوفى: هلم نحاكمك إلى الأحبار. فقال: بل إلى كتاب الله، فقال: بل إلى الأحبار، فنزلت هذه الآية، قاله السدي.

الرابع: ذكره مقاتل بن سليمان قال يعني اليهود: كعب بن الأشرف، وكعب بن أسيد، ومالك بن تفسير الضيف، ويحيى بن عمرو، ونعمان بن أوفى، وأبو ياسر بن أخطب، وأبو نافع بن قيس، وذلك أن النبي ﷺ قال لهم: 'أسلموا تهتدوا، ولا تكفروا'، فقالوا للنبي ﷺ: نحن أهدى وأحق بالهدى منكم، ما أرسل الله نبيا بعد موسى، فقال النبي ﷺ: 'لم تكذبون وأنتم تعلمون أن الذي أقول حق، فاخرجوا التوراة نتبع نحن وأنتم ما فيها، وهي بينكم، فإني مكتوب فيها أني نبي ورسول'، فأبوا ذلك، فأنزل الله عز وجل فيهم: (ألم تر إلى الذين أوتوا نصيباً من الكتاب) (523).

قلت: معنى الآية محتمل كل هذه الأسباب الواردة على أنها جميعاً لا تخلوا أسانيداً من مقال. والخلاصة أن النبي ﷺ دعا اليهود إلى التحاكم إلى كتاب الله تعالى فأبوا عليه وأعرضوا عنه وهذا ثابت في الصحيح في قصة الرجل والمرأة اللذين زنيا. وسوف يأتي حديثهما إن شاء الله عند قوله تعالى (قل فأتوا بالتوراة فاتلوها إن كنتم صادقين).

[تفسير مختصر للآية]

(ألم تر إلى الذين أوتوا نصيباً من الكتاب) يعني: اليهود (يدعون إلى كتاب الله ليحكم بينهم) وذلك أنهم أنكروا آية الرجم من التوراة، وسألوا رسول الله ﷺ عن حد المحصنين إذا زنيا، فحكم بالرجم فقالوا: جرت يا محمد، فقال: بيني وبينكم التوراة، ثم أتوا بابن صوريا الأعور فقرأ التوراة، فلما أتى على آية الرجم سترها بكفه، فقام ابن سلام فرفع كفه عنها، وقرأها على رسول الله ﷺ وعلى اليهود، فغضبت اليهود لذلك غضباً شديداً وانصرفوا، فأنزل الله تعالى هذه الآية. (ثم يتولى فريق منهم) يعني: العلماء والرؤساء (وهم معرضون) (524).

(قُلِ اللَّهُمَّ مَلِكُ الْمَلِكِ تُؤْتِي الْمَلِكَ مَن تَشَاءُ وَتَنْزِعُ الْمَلِكَ مِمَّن تَشَاءُ وَتُعْزِزُ مَن تَشَاءُ وَتُذِلُّ مَن تَشَاءُ بِيَدِكَ الْخَيْرُ إِنَّكَ عَلَىٰ كُلِّ شَيْءٍ قَدِيرٌ ۖ ۲۶)

قوله تعالى: (قل اللهم مالك الملك) الآية.

189. أخرج ابن أبي حاتم عن قتادة قال: «ذكر لنا أن رسول الله ﷺ سأل ربه أن يجعل ملك الروم وفارس في أمته، فأنزل الله: (قل اللهم مالك الملك) الآية (525)».

[تعليق]

ذكر المؤلف رحمه الله أثراً واحداً في سبب نزول هذه الآية وهو أن النبي ﷺ دعا الله تعالى أن يجعل في أمته ملك فارس والروم، وقد استجاب الله دعوته ﷻ.

وقد ذكر في سبب نزول هذه الآية ثلاث أسباب أخر.

فأخرج الوحدي عن ابن عباس وأنس بن مالك: «لما افتتح رسول الله ﷺ مكة ووعد أمته ملك فارس والروم؟ قالت المنافقون واليهود: هيهات هيهات، من أين لمحمد ملك فارس والروم هم أعز وأمنع من ذلك، ألم يكف محمداً مكة والمدينة حتى طمع في ملك فارس والروم؟ فأنزل الله تعالى هذه الآية (526)».

السبب الثالث ذكره الواحدي رحمه الله قصة حفر الخندق وفيها سبب نزول لهذه الآية ولم يذكره الإمام الطبري في كتابه فإله أعلم بصحتها.

(518) [بيت المدراس]: بكسر الميم وسكون الدال المهملة وهو الذي يدرس فيه عالمهم التوراة شرح القسطلاني إرشاد الساري لشرح صحيح البخاري (10/341)

(519) وقع في رواية ابن جرير نعيم بن عمرو مكان النعمان بن عمرو.

(520) وقد في رواية ابن المنذر تسميته بالحارث بن يزيد ولم أميز ترجمته.

(521) تفسير ابن جرير 3/217 وإسناده ضعيف

(522) زاد المسير في علم التفسير (1/315)

(523) مقاتل بن سليمان (1/163)

(524) الوجيز للواحدى (82)

(525) تفسير ابن أبي حاتم 2/624 مرسل ضعيف الإسناد.

(526) أسباب النزول للواحدى (63) من غير إسناد

فروى الواحدي عن كثير بن عبد الله بن عمرو بن عوف قال: حدثني أبي عن أبيه قال: «خطب رسول الله ﷺ على الخندق يوم الاحزاب، ثم قطع لكل عشرة أربعين ذراعاً قال عمرو بن عوف: كنت أنا وسلمان وحذيفة والنعمان بن مقرن المزني وستة من الانصار في أربعين ذراعاً، فحفرنا حتى إذا كنا تحت ذي ناب، أخرج الله من بطن الخندق صخرة مروة كسرت حديدنا وشقت علينا، فقلنا: يا سلمان ارق إلى رسول الله ﷺ فأخبر خبير هذه الصخرة، فيما أن نعدل عنها، وإما أن يأمرنا فيها بأمره، فإننا لا نحب أن نجاوز خطه، قال: فرقا سلمان إلى رسول الله ﷺ وهو ضارب عليه قبة تركية، فقال: يا رسول الله خرجت صخرة بيضاء مروة من بطن الخندق فكسرت حديدنا وشقت علينا حتى ما يحبك فيها قليل ولا كثير فمرنا فيها بأمر، فإننا لا نحب أن نجاوز خطك، قال: فهبط رسول الله ﷺ مع سلمان الخندق والتسعة على شفة الخندق فأخذ رسول الله ﷺ المعول من سلمان فضربها ضربة صدعها وبرق منها برق أضواء ما بين لابتيها، يعني المدينة حتى كأن مصباحاً في جوفه بيت مظلم، وكبر رسول الله ﷺ تكبير فتح، فكبر المسلمون، ثم ضربها رسول الله ﷺ فكسرها وبرق منها برق أضواء ما بين لابتيها حتى كأن مصباحاً في جوف بيت مظلم، وكبر رسول الله ﷺ تكبير فتح وكبر المسلمون، ثم ضربها رسول الله ﷺ فكسرها، وبرق منها برق أضواء ما بين لابتيها، حتى كأن مصباحاً في جوف بيت مظلم، وكبر رسول الله ﷺ تكبير فتح وكبر المسلمون، وأخذ يد سلمان ورقى، فقال سلمان: بأبي أنت وأمي يا رسول الله لقد رأيت شيئاً ما رأيت مثله قط، فالتفت رسول الله ﷺ إلى القوم فقال: رأيتم ما يقول سلمان، قالوا: نعم يا رسول الله، قال: ضربت ضربتي الأولى فبرق الذي رأيتم أضواءت لي منها قصور الحيرة ومدائن كسرى كأنها أنياب الكلاب، وأخبرني جبريل عليه السلام أن أمتي ظاهرة عليها، ثم ضربت ضربتي الثانية فبرق الذي رأيتم، أضواءت لي منها القصور الحمر من أرض الروم كأنها أنياب الكلاب، وأخبرني جبريل عليه السلام أن أمتي ظاهرة عليها، ثم ضربت ضربتي الثالثة فبرق الذي رأيتم أضواءت لي منها قصور صنعاء كأنها أنياب الكلاب. وأخبرني جبريل عليه السلام أن أمتي ظاهرة عليها، فأبشروا، فاستبشر المسلمون وقالوا: الحمد لله موعد صدق وعدنا النصر بعد الحفر، فقال المنافقون: ألا تعجبون يمينكم ويعدكم الباطل، ويخبركم أنه يبصر من يثرب قصور الحيرة ومدائن كسرى وأنها تفتح لكم، وأنتم إنما تحفرون الخندق من الفرق، ولا تستطيعون أن تبرزوا؟ قال: فنزل القرآن - وإذ يقول المنافقون والذين في قلوبهم مرض ما وعدنا الله ورسوله إلا غروراً - وأنزل الله تعالى في هذه القصة قوله - قل اللهم مالك الملك - الآية (527)».

قلت: وعلى فرض صحة ولا تنافي بين هذه الأسباب فإن النبي ﷺ دعا ربه أولاً أن يجعل له ملك فارس والروم، ثم أخبره الله تعالى باستجابته دعائه فوعد أمته بما أخبره الله تعالى به. والسبب الثالث: ذكره الإمام ابن الجوزي قال: أن اليهود قالوا: والله لا نطبع رجلاً جاء ينقل النبوة من بني اسرائيل إلى غيرهم، فنزلت هذه الآية، قاله أبو سليمان الدمشقي (528). قلت: لا تعارض بين هذه الأسباب لاحتمال تعدد سبب النزول والله تعالى أعلم.

[تفسير مختصر للآية]

(قل اللهم مالك الملك) أى قل: يا الله يا مالك كل شيء. (توتي الملك من تشاء وتنزع الملك ممن تشاء) أى أنت المتصرف في الاكوان، تهب الملك لمن تشاء، وتخلع الملك ممن تشاء. (وتغز من تشاء وتذل من تشاء) أى تعطي العزة لمن تشاء والذلة لمن تشاء. (بيدك الخير انك على كل شيء قدير) أى بيدك وحدك خزائن كل خير، وانت على كل شيء قدير (تولج الليل في النهار وتولج النهار في الليل) أى تدخل الليل في النهار كما تدخل النهار في الليل، فتزيد في هذا وتنقص في ذلك والعكس، وهكذا تتبدل فصول السنة شتاءً وصيفاً. (وتخرج الحي من الميت وتخرج الميت من الحي) أى تخرج الزرع من الحب، والحب من الزرع، والنخلة من النواة والنواة من النخلة، والبيضة من الدجاجة، والدجاجة من البيضة، والمؤمن من الكافر، والكافر من المؤمن، هكذا قال ابن كثير، وقال الطبري: (يخرج الانسان الحي والانعام والبهائم، من النطف الميئة، ويخرج النطفة الميئة، من الانسان الحي والبهائم الاحياء. (وترزق من تشاء بغير حساب) أى تعطي من تشاء عطاءً واسعاً بلا عد ولا تضييق (529).

(لَا يَتَّخِذِ الْمُؤْمِنُونَ الْكَافِرِينَ أَوْلِيَاءَ مِنْ دُونِ الْمُؤْمِنِينَ وَمَنْ يَفْعَلْ ذَلِكَ فَلَيْسَ مِنَ اللَّهِ فِي شَيْءٍ إِلَّا أَنْ تَتَّقُوا مِنْهُمْ تُقَاةً وَيُحَذِّرْكُمْ اللَّهُ نَفْسَهُ وَإِلَى اللَّهِ الْمَصِيرُ ٢٨)

قوله تعالى: (لا يتخذ الآية).

190. أخرج ابن جرير من طريق سعيد أو عكرمة عن ابن عباس قال: « كان الحجاج بن عمرو حليف كعب بن الأشرف وابن أبي الحقيق وقيس بن زيد قد بطنوا (530) بنفر من الأنصار ليقتنواهم عن دينهم، فقال رفاعة بن المنذر وعبد الله بن جبيرة وسعد بن حثمة لأولئك النفر: اجتنبوا هؤلاء النفر من يهود واحذروا مباطنتهم لا يفتنوكم عن دينكم، فأبوا فأنزل الله فيهم: (لا يتخذ المؤمنون) إلى قوله (والله على كل شيء قدير) (531)».

(527) أسباب النزول للواحدي (65)

(528) زاد المسير في علم التفسير (318 / 1)

(529) صفوة التفاسير - للصابوني (124 / 1)

(530) يعنى: اتخذوهم بطانة يوالونهم وينصرونهم.

(531) تفسير الطبري 3/228 تفسير ابن أبي حاتم - (629 / 2)، ضعيف. فيه ابن حميد ومحمد بن أبي محمد تقدمت ترجمتهما

ذكر المؤلف رحمه الله أثراً واحداً في سبب نزول هذه الآية وهو أثر ضعيف الإسناد. وقد وردت ثلاثة أسباب أخرى فيها غير ما ذكره المؤلف.
 فروي الرازي: أنها نزلت في عبادة بن الصامت وكان له حلفاء من اليهود، ففي يوم الأحزاب قال يا نبي الله: إن معي خمسمائة من اليهود وقد رأيت أن يخرجوا معي. فنزلت هذه الآية⁽⁵³²⁾.
 قلت: لم أجد إسناد هذه القصة وكذلك فإن سورة الأحزاب متأخرة النزول عن سورة آل عمران.
 وأخرج الواحدي: عن الكلبي: نزلت في المنافقين عبد الله بن أبي وأصحابه، كانوا يتولون اليهود والمشركين، ويأتونهم بالأخبار، ويرجون أن يكون لهم الظفر على رسول الله - ﷺ. فأنزل الله تعالى هذه الآية، ونهى المؤمنين عن فعلهم⁽⁵³³⁾.
 قلت: ساق الواحدي رحمه الله هذا الأثر عن الكلبي. والكلبي غير ثقة في الحديث بالإضافة إلى انقطاعه.
 وأخرج مقاتل بن سليمان: نزلت في حاطب بن أبي بلتعة وغيره، كانوا يظهرون المودة لكفار مكة، فنهاهم الله عزوجل عن ذلك⁽⁵³⁴⁾.
 قلت: وهذا الأثر مرسل.

فتحصل لنا في سبب نزول هذه الآية أربعة أسباب. وكلها كما ترى لا يصح منها شيء، وعلى فرض صحتها فالآية معناها عام، فلا يجوز أن يتخذ المؤمنون الكافرين أولياء يناصرونهم ويحبونهم من دون المؤمنين.

[تفسير مختصر للآية]

(لا يتخذ المؤمنون الكافرين أولياء من دون المؤمنين) أي لا تولوا اعداء الله وتتركوا أولياءه، فمن غير المعقول أن يجمع الانسان بين محبة الله وبين محبة اعدائه، قال الزمخشري: نهوا ان يوالوا الكافرين لقراية بينهم أو صداقة، أو غير ذلك من الاسباب التي يتصادق بها ويتعاشر.
 (ومن يفعل ذلك فليس من الله في شيء) أي من يوال الكفرة فليس من دين الله في شيء.
 (الا ان تتقوا منهم تقاة) أي الا ان تخافوا منهم محذورا أو تخافوا أذاهم وشرهم، فأظهروا موالاتهم باللسان دون القلب، لانه من نوع مداراة السفهاء كما في الحديث الشريف "انا لنبش في وجوه أقوام وقلوبنا تلعنهم".
 (ويحذركم الله نفسه) أي يخوفكم الله عقابه الصادر منه تعالى.
 (والى الله المصير) أي المنقلب والمرجع فيجازي كل عامل بعمله⁽⁵³⁵⁾.

(قُلْ إِنْ كُنْتُمْ تُحِبُّونَ اللَّهَ فَاتَّبِعُونِي يُحْبِبْكُمُ اللَّهُ وَيَغْفِرْ لَكُمْ ذُنُوبَكُمْ وَاللَّهُ غَفُورٌ رَحِيمٌ ٣١)

قوله تعالى: (قل إن كنتم تحبون الله - الآية).

191. أخرج ابن المنذر عن الحسن قال: « قال أقوام على عهد نبينا: والله يا محمد إنا لنحب ربنا، فأنزل الله (قل إن كنتم تحبون الله فاتبعوني) الآية⁽⁵³⁶⁾».

[تعليق]

ذكر المؤلف رحمه الله أثراً واحداً في سبب نزول هذه الآية، وهو أثر منقطع الإسناد بالإضافة إلى ضعفه. لكن روي في سبب نزولها ثلاثة أسباب أخر أذكرها فيما يلي:
 السبب الثاني: غير ما ذكره المؤلف، ما رواه الإمام الواحدي عن جويبر عن الضحاک عن ابن عباس قال: وقف النبي ﷺ على قريش وهم في المسجد الحرام، وقد نصبوا أصنامهم وعلقوا عليها بيض النعام، وجعلوا في أذانها الشنوف، وهم يسجدون لها، فقال: يا معشر قريش لقد خالفتكم ملة أبيكم إبراهيم وإسماعيل، ولقد كانا على الإسلام، فقالت قريش: يا محمد إنما نعبد هذه حبا لله ليقربونا إلى الله زلفى، فأنزل الله تعالى - قل إن كنتم تحبون الله - وتعبدون الأصنام لتقربكم إليه - فاتبعوني يحببكم الله - فأنا رسوله إليكم وحبته عليكم، وأنا أولى بالتعظيم من أصنامكم⁽⁵³⁷⁾. وهو أثر منكر أنكره الإمام ابن حجر في كتابه في أسباب النزول، وقال هذا من مناكير جويبر لأن هذه القصة مكية وسورة آل عمران نزلت بالمدينة⁽⁵³⁸⁾.
 السبب الثالث: أنها نزلت في قول اليهود نحن أبناء الله وأحباؤه. فروى مقاتل بن سليمان لما دعا النبي ﷺ كعباً وأصحابه إلى الإسلام، قالوا: نحن أبناء الله وأحباؤه، ونحن أشد حبا لله مما تدعوننا إليه، فقال الله عزوجل لنبيه ﷺ: (قل إن كنتم تحبون الله فاتبعوني) على ديني، (يحببكم الله ويغفر لكم ذنوبكم) ما كان في الشرك، (والله غفور رحيم) [آية: 31] ذو تجاوز لما كان في الشرك، رحيم بهم في الإسلام⁽⁵³⁹⁾.

(532) مفاتيح الغيب (8/ 192)

(533) أسباب النزول للواحدى (65)

(534) تفسير مقاتل بن سليمان (1/ 164)

(535) صفوة التفاسير - للصابوني (1/ 124) إصدار دار الصابوني.

(536) تفسير الطبري 3/232 مرسل وفي إسناده المثنى شيخ الطبري ضعيف، وعلى بن الهيثم قال الحافظ: مقبول.

(537) أسباب النزول للواحدى (66)

(538) العجائب في بيان الأسباب (2/ 678)

(539) تفسير مقاتل بن سليمان (1/ 165)

ولم أجد لهذا القصة إسناداً غير ما ذكره مقاتل رحمه الله.

السبب الرابع: أنها نزلت في وفد نصارى نجران. على ما رواه الإمام ابن جرير ورجحه عن محمد بن جعفر بن الزبير: (قل إن كنتم تحبون الله)، أي: إن كان هذا من قولكم - يعني: في عيسى - حباً لله وتعظيماً له، (فاتبعوني يحببكم الله ويغفر لكم ذنوبكم)، أي: ما مضى من كفركم (والله غفور رحيم) (540).

قلت: وهذا الآية خطاب لكل من ادعى محبة الله تعالى فعليه أن يبرهن هذه المحبة باتباع النبي □ فإن في اتباعه الهدى كما ذكر الله تعالى (وإن تطيعوه تهتدوا) [النور 54] فيعموم هذه الآية يدخل كل ما ذكر من أقوال أهل التفسير غير أنه لا يصح مما ذكر في سبب نزول هذه الآية كبير شيء، لكن لعل ما رجحه إمام التفسير ابن جرير هو الأقرب على انقطاع في إسناده. والله تعالى أعلم.

[تفسير مختصر للآية]

(قل إن كنتم تحبون الله فاتبعوني يحببكم الله) أي قل لهم يا محمد: إن كنتم حقاً تحبون الله فاتبعوني لاني رسوله يحببكم الله. (ويغفر لكم ذنوبكم والله غفور رحيم) أي باتباعكم الرسول وطاعتكم لأمره يحببكم الله، ويغفر لكم ما سلف من الذنوب. قال ابن كثير: " هذه الآية الكريمة حاكمة على كل من ادعى محبة الله وليس هو على الطريقة المحمدية، فإنه كاذب في دعواه تلك، حتى يتبع الشرع المحمدي في جميع أقواله وأفعاله (541) ".

(ذَلِكَ نَتْلُوهُ عَلَيْكَ مِنَ الْآيَاتِ وَالذِّكْرِ الْحَكِيمِ ٥٨ إِنَّ مَثَلَ عِيسَىٰ عِنْدَ اللَّهِ كَمَثَلِ آدَمَ خَلَقَهُ مِن تُرَابٍ ثُمَّ قَالَ لَهُ كُن فَيَكُونُ ٥٩ الْحَقُّ مِن رَّبِّكَ فَلَا تَكُن مِّنَ الْمُمْتَرِينَ ٦٠)

قوله تعالى: (ذلك نتلوه عليك) - الآية.

192. أخرج ابن أبي حاتم عن الحسن قال: «أتى رسول الله □ راهبا نجران فقال أحدهما: من أبو عيسى؟ وكان رسول الله □ لا يعجل حتى يؤامر ربه، فنزل عليه: (ذلك نتلوه عليك من الآيات والذكر الحكيم) إلى (من الممترين) (542)».

193. وأخرج من طريق العوفي عن ابن عباس قال: «أن رهطاً من نجران قدموا على النبي □ وكان فيهم السيد والعاقب فقالوا: ما شأنك تذكر صاحبنا؟ قال: من هو «قالوا: عيسى تزعم أنه عبد الله؟ فقال: «أجل» فقالوا: فهل رأيت مثل عيسى أو أنبتت به؟ ثم خرجوا من عنده فجاء جبريل فقال: قل لهم إذا أتوك: (إن مثل عيسى عند الله كمثل آدم خلقه من تراب) إلى قوله (من الممترين) (543)».

194. [ك] وأخرج البيهقي في الدلائل من طريق سلمة بن عبد يشوع عن أبيه عن جده «أن رسول الله □ كتب إلى أهل نجران قبل أن ينزل عليه (طس) سليمان، باسم إله إبراهيم وإسحاق ويعقوب من محمد النبي - الحديث وفيه فبعثوا إلى شرحبيل بن وداعة الهمداني وعبد الله بن شرحبيل الأصبحي وجباراً الحارثي، فانطلقوا فاتوه فسألهم وسألوه فلم يزل به وبهم المسألة حتى قالوا: ما تقول في عيسى؟ قال: «ما عندي فيه شيء يومي هذا فأقيموا حتى أخبركم» فأصبح الغد وقد أنزل الله هذه الآيات: (إن مثل عيسى عند الله) إلى قوله (فنجعل لعنة الله على الكاذبين) (544)».

195. وأخرج ابن سعد في الطبقات عن الأزرق بن قيس قال: «قدم على النبي □ أسقف نجران والعاقب فعرض عليهما الإسلام فقال: إنا كنا مسلمين قبلك قال: «كذبتما إنه منع منكما الإسلام ثلاث، قولكما اتخذ الله ولداً، وأكلما لحم الخنزير، وسجودكما للصنم» قالوا: فمن أبو عيسى؟ فما درى رسول الله □ ما يرد عليهما حتى أنزل الله: (إن مثل عيسى عند الله) إلى قوله (وإن الله لهو العزيز الحكيم) فدعاهما إلى الملاعة فأبيا وأقرا بالجزية ورجعا (545)».

[تعليق]

ذكر المؤلف رحمه الله أربعة آثار في سبب نزول هذه الآية وهذا الذي ذكر فيها أنها نزلت في نصاري نجران يكاد يكون إجماع أهل التفسير، فأخبر الله تعالى نبيه □ كيف يجب عليهم وبادلهم في شأن عيسى وكيف أنه مثل آدم خلقه الله من تراب ثم قال له كن فيكون. ثبتنا الله على الحق حتى نلقاه.

(540) جامع البيان (تفسير الطبري) (6/ 323)

(541) صفوة التفسير - للصابوني (1/ 125)

(542) تفسير ابن أبي حاتم 2/664 مرسل.

(543) تفسير ابن جرير 3/295 وإسناده واه، وأخرج عن قتاده نحوه لكن إسناده مرسل، وعن السدي، وعكرمة نحوه بإسناد ضعيف.

(544) دلائل النبوة للبيهقي 5/385 وسياقة طويل جدا وسلمة بن عبد يشوع لم أجد له ترجمة ولا أبوه ولا جده وفي الإصابة سلمة بن عبد يشوع بالسبب المهملة.

(545) سير أعلام النبلاء 3/286 من طريق هودة بن خليفة عن عوف الأعرابي عنه، وباقي الإسناد لم أحصل عليه عنده، ورواه عبد بن حميد فيما نقله الحافظ في العجايب 2/

679 وذكر إسنادة قال: قال عبد بن حميد حدثنا روح بن عبادة عن عوف الأعرابي عن الأزرق به وهو إسناد صحيح، وأخرجه أحمد بن حنبل في فضائل الصحابة ص2/776 عن الحسن البصري مرسل، وروى نحوه ابن جرير عن محمد بن جعفر بن الزبير.

(ان مثل عيسى عند الله كمثل ادم) أى ان شان عيسى اذ خلقه بلا أب - وهو في بابيه غريب كشان ادم.
(خلقه من تراب ثم قال له كن فيكون) أى خلق ادم من غير اب ولا أم، ثم قال له (كن) فكان، فليس أمر عيسى باعجب من أمر آدم
!.
(الحق من ربك فلا تكن من الممترين) أى هذا هو القول الحق في شان عيسى فلا تكن من الشاكين⁽⁵⁴⁶⁾.

(يَا أَهْلَ الْكِتَابِ لِمَ تُحَاجُّونَ فِي إِبْرَاهِيمَ وَمَا أُنزِلَتِ التَّوْرَةُ وَالْإِنْجِيلُ إِلَّا مِنْ بَعْدِهِ أَفَلَا تَعْقِلُونَ ٦٥)

قوله تعالى: (يا أهل الكتاب لم تحاجون الآية).

196. روى ابن إسحاق بسنده المتكرر إلى ابن عباس قال: « اجتمعت نصارى نجران وأخبار يهود عند رسول الله ﷺ فتنازعوا عنده: فقالت الأخبار ما كان إبراهيم إلا يهودياً، وقالت النصارى ما كان إبراهيم إلا نصرانياً، فأنزل الله: (يا أهل الكتاب لم تحاجون) الآية⁽⁵⁴⁷⁾ » أخرجه البيهقي في الدلائل.

[تعليق]

ذكر المؤلف رحمه الله هذا الأثر في مخاصمة أهل الكتاب له في شأن إبراهيم عليه وعلى نبينا الصلاة والسلام، فكل طائفة تزعم أنه منها، فخاصمهم الله تعالى بقوله (ما كان إبراهيم يهودياً ولا نصرانياً ولكن كان حنيفاً مسلماً وما كان من المشركين). وأخرج ابن أبي حاتم من طريق مقاتل قال: قال كعب وأصحابه ونفر من النصارى: إن إبراهيم منا وموسى منا والانبياء منا، فقال الله عز وجل: (ما كان إبراهيم يهودياً ولا نصرانياً ولكن كان حنيفاً مسلماً)⁽⁵⁴⁸⁾. قال الحافظ ابن حجر: واختار الطبري أنها نزلت في الفريقين معا يهود المدينة وأهل نجران⁽⁵⁴⁹⁾. قلت: وهذا ترجيح بالسياق، فإن سياق الآيات تدل على ما رجحه الإمام الطبري رحمه الله.

[تفسير مختصر للآية]

(يا اهل الكتاب لم تحاجون في إبراهيم) أى يا معشر اليهود والنصارى لم تجادلون وتنازعون في ابراهيم وتزعمون انه على دينكم؟
(وما انزلت التوراة والانجيل إلا من بعده) أى والحال انه ما حدثت هذه الاديان، الا من بعده بقرون كثيرة، فكيف يكون ابراهيم عليه السلام من اهلها؟
(افلا تعقلون) بطلان قولكم؟ فقد كان بين ابراهيم وموسى الف سنة، وبين موسى وعيسى الف سنة، فكيف يقول بذلك عاقل؟
والاستفهام للتوبيخ⁽⁵⁵⁰⁾.

(وَقَالَتْ طَائِفَةٌ مِّنْ أَهْلِ الْكِتَابِ ءَأَمِنُوا بِالَّذِي أُنزِلَ عَلَى الَّذِينَ ءَامَنُوا وَجَءَ النَّهَارِ وَءَكْفُرُوا ءَأَخِرَهُ لَعَلَّهُمْ يَرْجِعُونَ ٧٢)

قوله تعالى (وقالت طائفة) - الآية.

197. روى ابن إسحاق عن ابن عباس قال: « قال عبد الله بن الصيف وعدي بن زيد والحارث بن عوف بعضهم لبعض: تعالوا نؤمن بما أنزل الله على محمد وأصحابه غدوة ونكفر به عشية حتى نلبس عليهم دينهم لعلهم يصنعون كما صنع فيرجعون عن دينهم، فأنزل الله فيهم: (يا أهل الكتاب لم تلبسون الحق بالباطل) إلى قوله (واسع عليم)⁽⁵⁵¹⁾ ». «

[تعليق]

ذكر المؤلف رحمه الله أثراً واحداً في سبب نزول هذه الآية، وهذا القول في أنها نزلت في اليهود وأخبارهم هو قول الجمهور على ما نقله الإمام ابن الجوزي رحمه الله⁽⁵⁵²⁾. قال الحسن والسدي: «تواطأ اثنا عشر حبراً من يهود خيبر، وقال بعضهم لبعض: ادخلوا في دين محمد أول النهار باللسان دون الاعتقاد، واكفروا به في آخر النهار وقولوا: إنا نظرنا في كتبنا وشاورنا علماءنا فوجدنا محمداً ليس بذلك وظهر لنا كذبه وبطلان دينه، فإذا فعلتم ذلك شك أصحابه في دينهم، وقال و: إنهم أهل كتاب وهم أعلم به منا، فيرجعون عن دينهم إلى دينكم،

(546) صفوة التفسير - للصابوني (131 / 1)
(547) تفسير الطبري 3/305 وفيه محمد بن أبي محمد
(548) تفسير ابن أبي حاتم - (2 / 673)
(549) العجايب في بيان الأسباب (2 / 690)
(550) صفوة التفسير - للصابوني (1 / 133)
(551) تفسير الطبري 3/310 وفيه محمد بن أبي محمد.
(552) زاد المسير في علم التفسير (1 / 363)

فأنزل الله تعالى هذه الآية، وأخبر نبيه محمداً □ والمؤمنين⁽⁵⁵³⁾». وأخرج ابن أبي حاتم عن ابن عباس قال: «كانوا يكونون مع النبي أول النهار يكلمونه ويمارونه، فإذا أمسوا وحضرت الصلاة كفروا به وتركوه»⁽⁵⁵⁴⁾. وأخرج أيضاً: عن ابن عباس قوله: (واكفروا آخره) قال ذلك، إن طائفة من اليهود قالوا: إذا لقيتم أصحاب محمد أول النهار فامنوا، وإذا كان آخره فصلوا صلاتكم لعلهم يقولون هؤلاء أهل الكتاب وهم أعلم منا⁽⁵⁵⁵⁾. وفي سبب نزول الآية قول آخر قد أخرجه الإمام الواحدي رحمه الله عن مجاهد ومقاتل والكلبي هذا في شأن القبلة لما صرفت إلى الكعبة شق ذلك على اليهود لمخالفتهم، قال كعب بن الأشرف وأصحابه: آمنوا بالذي أنزل على محمد من أمر الكعبة، وصلوا إليها أول النهار، ثم اكفروا بالكعبة آخر النهار، وارجعوا إلى قبلكم الصخرة، لعلهم يقولون هؤلاء أهل كتاب وهم أعلم منا، فربما يرجعون إلى قبلتنا فحذر الله تعالى نبيه مكر هؤلاء، وأطلعهم على سرهم، وأنزل - (وقالت طائفة من أهل الكتاب) - الآية⁽⁵⁵⁶⁾. قلت: القول بأنها نزلت في طائفة من أهل الكتاب قول لا مرية فيه. لأنه قول رب العالمين، أما تحديد هذه الطائفة فيحتمل جميع الأوجه المذكورة في هذه الآثار، فأخبار اليهود معروف عنهم الكيد للإسلام في أكثر حادثة فكونهم يقولون هذا القول تخديلاً وتضليلاً للمسلمين واقع منهم.

[تفسير مختصر للآية]

(وقالت طائفة من أهل الكتاب آمنوا بالذي أنزل على الذين آمنوا وجه النهار) قال ابن كثير: وهذه مكيدة أرادوها ليلبسوا على الضعفاء من الناس أمر دينهم، وهو أنهم تشاوروا بينهم أن يظهروا الإيمان أول النهار، ويصلوا مع المسلمين، فإذا جاء آخر النهار، ارتدوا إلى دينهم، ليقول الجهلة من الناس: إنما ردهم إلى دينهم، اطلاعهم على نقيصة وعيب في دين المسلمين. (واكفروا آخره) أي اكفروا بالإسلام آخر النهار. (لعلهم يرجعون) أي لعلهم يشكون في دينهم فيرجعون عنه⁽⁵⁵⁷⁾.

(وَلَا تُؤْمِنُوا إِلَّا لِمَنْ تَبِعَ دِينَكُمْ قُلْ إِنَّ الْهُدَىٰ هُدَىٰ اللَّهِ أَن يُؤْتَىٰ أَحَدٌ مِّثْلَ مَا أُوتِيْتُمْ أَوْ يُحَاجُّوْكُمْ عِنْدَ رَبِّكُمْ قُلْ إِنَّ الْفَضْلَ بِيَدِ اللَّهِ يُؤْتِيهِ مَن يَشَاءُ وَاللَّهُ وَسِعَ عَلِيمٌ (٧٣))

قوله تعالى (ولا تؤمنوا إلا لمن تبع دينكم) - الآية.

198. [ك] وأخرج ابن أبي حاتم عن السدي عن أبي مالك قال: «كانت اليهود تقول أحبارهم للذين من دونهم: لا تؤمنوا إلا لمن تبع دينكم، فأنزل الله قل إن الهدى هدى الله»⁽⁵⁵⁸⁾.

[تعليق]

ذكر المؤلف رحمه الله أثراً واحداً في سبب نزول هذه الآية. وهذا السبب تنمة للسبب الذي قبله، ومن بقية قول أحبار اليهود المخزية وتعصبهم على دينهم الباطل، فأجابهم الله تعالى بأن الهدى هدى الله ليس الهدى ما جاء به اليهود. وأخرج الإمام الطبري رحمه الله عن السدي: قال الله عز وجل لمحمد □: (قل إن الهدى هدى الله أن يؤتى أحدٌ مثل ما أوتيتم)، يقول، مثل ما أوتيتم يا أمة محمد (أو يحاجوكم عند ربكم)، تقول اليهود: فعل الله بنا كذا وكذا من الكرامة، حتى أنزل علينا المن والسلوى فإن الذي أعطيتكم أفضل فقولوا: (إن الفضل بيد الله يؤتيه من يشاء) - الآية⁽⁵⁵⁹⁾.

[تفسير مختصر للآية]

(ولا تؤمنوا) هذا حكاية من كلام اليهود بعضهم لبعض قالوا: لا تُصدِّقوا ولا تُقرِّوا ب (أن يؤتى أحدٌ مثل ما أوتيتم) من العلم والحكمة، و الكتاب، والحجة والمن والسلوى، والفضائل والكرامات (إلا لمن تبع دينكم) اليهودية وقام بشرائعه، وقوله: (قل إن الهدى هدى الله) اعتراض بين المفعول وفعله، وهو من كلام الله تعالى، وليس من كلام اليهود، ومعناه: إن الدين دين الله، وقوله: (أو يحاجوكم) عطف على قوله: (أن يؤتى) والمعنى: ولا تؤمنوا بأن يحاجوكم عند ربكم؛ لأنكم أصح ديناً منهم، فلا يكون لهم الحجة عليكم، فقال الله تعالى: (قل إن الفضل بيد الله أي: ما فضل الله به عليكم و على أمتك. (يختص برحمته) بدينه الإسلام (من يشاء والله ذو الفضل) على أوليائه (العظيم) لأنه لا شيء أعظم عند الله من الإسلام⁽⁵⁶⁰⁾.

(إِنَّ الَّذِينَ يَشْتَرُونَ بِعَهْدِ اللَّهِ وَأَيْمَانِهِمْ ثَمَنًا قَلِيلًا أُولَٰئِكَ لَا خَلَاقَ لَهُمْ فِي الْآخِرَةِ وَلَا يُكَلِّمُهُمُ اللَّهُ وَلَا يَنْظُرُ إِلَيْهِمْ يَوْمَ)

(553) أسباب النزول للواحدي (71)

(554) تفسير ابن أبي حاتم - (2 / 679)

(555) تفسير ابن أبي حاتم - (2 / 680)

(556) أسباب النزول للواحدي (72)

(557) صفوة التفسير - للصابوني (1 / 133)

(558) تفسير ابن أبي حاتم 2/681 مرسل صحيح الإسناد.

(559) جامع البيان (تفسير الطبري) (6 / 513)

(560) الوجيز للواحدي (93)

قوله تعالى: (إن الذين يشترون - الآية).

199. روى الشيخان وغيرهما أن الأشعث⁽⁵⁶¹⁾ قال: «كان بيني وبين رجل من اليهود أرض فجددني فقدمته إلى النبي ﷺ فقال «ألك بينة؟» قلت: لا فقال لليهودي: «احلف» فقلت: يا رسول الله إنني يحلف فيذهب مالي فأنزل الله (إن الذين يشترون بعهد الله وأيمانهم ثمناً قليلاً) إلى آخر الآية⁽⁵⁶²⁾».
200. وأخرج البخاري عن عبد الله بن أبي أوفى «أن رجلاً أقام سلعة له في السوق فحلف بالله لقد أعطي بها ما لم يعطه ليوثق فيها رجلاً من المسلمين، فنزلت هذه الآية: (إن الذين يشترون بعهد الله وأيمانهم ثمناً قليلاً)⁽⁵⁶³⁾».

قال الحافظ ابن حجر في شرح البخاري: لا منافاة بين الحديثين، بل يحمل على أن النزول كان بالسببين معا⁽⁵⁶⁴⁾.

201. وأخرج ابن جرير عن عكرمة: «أن الآية نزلت في حيي بن أخطب وكعب بن الأشرف وغيرهما من اليهود الذين كتموا ما أنزل الله في التوراة وبدلوه وحلفوا أنه من عند الله⁽⁵⁶⁵⁾».
- قال الحافظ ابن حجر: الآية محتملة لكن العمدة في ذلك ما ثبت في الصحيح⁽⁵⁶⁶⁾.

[تعليق]

ذكر المؤلف رحمه الله ثلاثة آثار في سبب نزول هذه الآية، أما الأول والثاني فصحيحان وقد رجح الإمام ابن حجر كون الآية محتملة لكلا السببين. وضعف السبب الثالث.

وقد ذكر الإمام الواحدي سبباً آخر فقال: وقال الكلبي: إن ناساً من علماء اليهود أولي فاقة، أصابتهم سنة، فاقتحموا إلى كعب بن الأشرف بالمدينة، فسألهم كعب: هل تعلمون أن هذا الرجل رسول الله في كتابكم؟ قالوا: نعم، وما تعلمه أنت؟ قال: لا، قالوا: فإننا نشهد أنه عبد الله ورسوله، قال كعب: لقد حرّمكم الله خيراً كثيراً، لقد قدّمتم عليّ وأنا أريد أن أميركم وأكسو عيالكم، فحرمكم الله وحرّم عيالكم، قالوا: فإنه شبة لنا، فرويداً حتى نلقاه فانطلقوا فكتبوا صفةً سوى صفته، ثم انتهوا إلى نبي الله - ﷺ - فكلّموه وسألوه، ثم رجعوا إلى كعب، فقالوا: لقد كنا نرى أنه رسول الله، فلما أتيناها إذا هو ليس بالنعته الذي نعت لنا، ووجدنا نعته مخالفاً للذي عندنا. وأخرجوا الذي كتبوا، فنظر إليه كعب ففرح ومارهم وأنفق عليهم، فأنزل الله تعالى هذه الآية⁽⁵⁶⁷⁾.

قلت: وهذا السبب قريب من السبب الذي ذكره المؤلف. والآية بعمومها محتملة لهذا كله، وإلا فترجيح الصحيح أولى والله تعالى أعلم.

[تفسير مختصر للآية]

(إن الذين يشترون بعهد الله وأيمانهم ثمناً قليلاً) أي يستبدلون بالعهد الذي عاهدوا عليه من التصديق بمحمد وبأيمانهم الكاذبة، حطام الدنيا وعرضها الخسيس الزائل.

(أولئك لا خلاق لهم في الآخرة) أي ليس لهم حظ ولا نصيب من رحمة الله تعالى.

(ولا يكلمهم الله ولا ينظر إليهم يوم القيامة) أي لا يكلمهم كلام أنس ولطف، ولا ينظر إليهم بعين الرحمة يوم القيامة (ولا يزكّيهم ولهم عذاب أليم) أي لا يطهرهم من أوضار الأوزار، ولهم عذاب موجه على ما ارتكبوه من المعاصي⁽⁵⁶⁸⁾.

(مَا كَانَ لِبَشَرٍ أَنْ يُؤْتِيَهُ اللَّهُ الْكِتَابَ وَالْحُكْمَ وَالنُّبُوَّةَ ثُمَّ يَقُولَ لِلنَّاسِ كُونُوا عِبَادًا لِي مِنْ دُونِ اللَّهِ وَلَكِنْ كُونُوا رَبَّيْنَ بِمَا كُنْتُمْ تُعَلِّمُونَ الْكِتَابَ وَبِمَا كُنْتُمْ تَدْرُسُونَ ٧٩)

قوله تعالى: (ما كان لبشر) الآية.

202. أخرج ابن إسحاق والبيهقي عن ابن عباس قال: «قال أبو رافع القرظي حين اجتمعت الأخبار من اليهود والنصارى من أهل نجران عند رسول الله ﷺ ودعاهم إلى الإسلام: أتريد يا محمد أن نعبدك كما

(561) هو الأشعث بن قيس الصحابي المعروف

(562) صحيح البخاري 2/948 ح (2523) صحيح مسلم 1/122 ح (138) تفسير الطبري 3/321 سنن الترمذي 5/224 ح (2996) السنن الكبرى للنسائي 6/308 ح (11062) سنن أبي نود 3/220 ح (3243) مسند أحمد 1/379 ح (3597) صحيح ابن حبان 11/478 ح (478) سنن البيهقي الكبرى 10/44 ح (19695) مسند أبي يعلى 9/125 ح (5197) المعجم الكبير 1/234 ح (642) مسند الطيالسي 1/35 ح (262) المنتقى 233 ح (926) مسند الحميدي 1/53 ح (95) وغيرهم.

(563) صحيح البخاري 2/735 ح (1982) المعجم الأوسط 8/29 ح (7868) مستدرک الحاكم 2/10 ح (2151) سنن البيهقي الكبرى 5/330 ح (10578) وغيرهم.

(564) فتح الباري 8/213

(565) تفسير الطبري 3/321 إسناده ضعيف فيه الحسين بن داود سنيد وكذلك فهو مرسل.

(566) فتح الباري المصدر السابق

(567) أسباب النزول للواحدي (73) الكلبي ضعيف

(568) صفة التفسير - للصابوني (1/135)

تعبد النصارى عيسى؟ قال: « معاذ الله » فأنزل الله في ذلك: (ما كان لبشر) إلى قوله (بعد إذ أنتم مسلمون) (569) «.

203. وأخرج عبد بن حميد (570) في تفسيره عن الحسن قال: «بلغني أن رجلاً قال: يا رسول الله نسلم عليك كما يسلم بعضنا على بعض أفلا نسجد لك؟ قال: لا ولكن أكرموا نبيكم واعرفوا الحق لأهله، فإنه لا ينبغي أن يسجد لأحد من دون الله فأنزل الله: (ما كان لبشر) إلى قوله (بعد إذ أنتم مسلمون) «.

[تعليق]

ذكر المؤلف رحمه الله سببين في نزول هذه الآية وكلاهما ضعيف الإسناد. وقد وجدت في أسباب نزولها غير ما ذكره المؤلف رحمه الله. فأخرج الإمام ابن جرير رحمه الله عن ابن جريج قال: «كان ناس من يهود يتعبدون الناس من دون ربهم، بتحريفهم كتاب الله عن موضعه، فقال الله عز وجل: (ما كان لبشر أن يؤتيه الله الكتاب والحكم والنبوة ثم يقول للناس كونوا عباداً لي من دون الله)، ثم يأمر الناس بغير ما أنزل الله في كتابه (571)». وهو ضعيف الإسناد علاوة على إرساله. وأخرج الثعلبي عن الضحاك ومقاتل: (ما كان لبشر) يعني عيسى عليه السلام (أن يؤتيه الله الكتاب يؤتى الحكمة). نزلت في نصارى أهل نجران (572).

قلت: سياق الآيات يحتمل كون هذه الآية نزلت في عيسى بن مريم عليه الصلاة والسلام. فإن السورة من أولها تتحدث عن النصارى وعن عيسى بن مريم، فكونها نزلت في عيسى بن مريم يشهد له سياق الآيات وهذه كما قال الله تعالى (وَإِذْ قَالَ اللَّهُ يَا عِيسَى ابْنُ مَرْيَمَ أَنْتَ قُلْتَ لِلنَّاسِ اتَّخِذُونِي وَأُمَّي الْهَيْبِينَ مِنْ دُونِ اللَّهِ قَالِ سُبْحَانَكَ مَا يَكُونُ لِي أَنْ أَقُولَ مَا لَيْسَ لِي بِحَقِّ إِنْ كُنْتُ قُلْتُهُ فَقَدْ عَلِمْتَهُ تَعَلَّمَ مَا فِي نَفْسِي وَلَا أَعْلَمُ مَا فِي نَفْسِكَ إِنَّكَ أَنْتَ عَلَّامُ الْغُيُوبِ (116) مَا قُلْتُ لَهُمْ إِلَّا مَا أَمَرْتَنِي بِهِ أَنْ اعْبُدُوا اللَّهَ رَبِّي وَرَبَّكُمْ وَكُنْتُ عَلَيْهِمْ شَهِيدًا مَّا دُمْتُ فِيهِمْ فَلَمَّا تَوَفَّيْتَنِي كُنْتُ أَنْتَ الرَّقِيبَ عَلَيْهِمْ وَأَنْتَ عَلَى كُلِّ شَيْءٍ شَهِيدٌ (117)) سورة المائدة فنفى عيسى عن نفسه أن يكون رباً من دون الله وهنا نفى الله تعالى عنه أن يكون رباً من دون الله. فإله الله تعالى أعلم

[تفسير مختصر للآية]

(ما كان لبشر أن يؤتيه الله الكتاب والحكم والنبوة) أي لا يصح ولا ينبغي لأحد من البشر اعطاء الله الكتاب والحكمة والنبوة. (ثم يقول للناس كونوا عباداً لي من دون الله) أي ثم يقول للناس اعبدوني من دون الله، والغرض: انه لا يصح اصلاً ولا يتصور عقلاً صدور دعوى الألوهية من نبي قط اعطاه الله النبوة والشريعة ليرشد الناس الى عبادة الله، فكيف يدعوهم الى عبادة نفسه؟ (ولكن كونوا ربابين) أي ولكن يقول لهم: كونوا ربابين، قال ابن عباس: حكما علماء حلماء والمعنى: لا ادعوكم الى أن تكونوا عباداً لي ولكن ادعوكم ان تكونوا علماء فقهاء مطيعين لله (بما كنتم تعلمون الكتاب وبما كنتم تدرسون) أي بتعليمكم الناس الكتاب ودراسكم اياه (573).

(كَيْفَ يَهْدِي اللَّهُ قَوْمًا كَفَرُوا بَعْدَ إِيمَانِهِمْ وَشَهِدُوا أَنَّ الرُّسُولَ حَقٌّ وَجَاءَهُمُ الْبَيِّنَاتُ وَاللَّهُ لَا يَهْدِي الْقَوْمَ الظَّالِمِينَ ٨٦) أُولَئِكَ جَزَاءُ هُمْ أَنْ عَلَيْهِمْ لَعْنَةُ اللَّهِ وَالْمَلَائِكَةِ وَالنَّاسِ أَجْمَعِينَ ٨٧ خَلِدِينَ فِيهَا لَا يُخَفَّفُ عَنْهُمْ الْعَذَابُ وَلَا هُمْ يُنظَرُونَ ٨٨ إِلَّا الَّذِينَ تَابُوا مِنْ بَعْدِ ذَلِكَ وَأَصْلَحُوا فَإِنَّ اللَّهَ غَفُورٌ رَحِيمٌ ٨٩)

قوله تعالى: (كيف يهدي الله قوماً) الآيات.

204. روى النسائي وابن ماجه وابن حبان والحاكم عن ابن عباس قال: « كان رجل من الأنصار أسلم ثم ارتد ثم ندم، فأرسل إلى قومه أرسلوا إلى رسول الله ﷺ هل لي من توبة؟ فنزلت: (كيف يهدي الله قوماً كفروا) إلى قوله (فإن الله غفور رحيم) فأرسل إليه قومه فأسلم (574) «.

205. وأخرج مسدد في مسنده وعبد الرزاق عن مجاهد قال: « جاء الحارث بن سويد فأسلم مع النبي ﷺ ثم كفر فرجع إلى قومه: فأنزل الله فيه القرآن: (كيف يهدي الله قوماً كفروا) إلى قوله (غفور رحيم) فحملها إليه رجل من قومه فقرأها عليه، فقال الحارث: إنك والله ما علمت لصدوق وإن رسول الله ﷺ لأصدق منك وإن الله لأصدق الثلاثة فرجع فأسلم وحسن إسلامه (575) «.

(569) تفسير الطبري 3/325 وفي إسناده محمد بن أبي محمد مجهول

(570) في المطبوع [عبد الرزاق] وهو خطأ تصحيحه من الدر المنثور للسيوطي وهو قريب من المخطوط والأثر مرسل عن الحسن.

(571) جامع البيان (تفسير الطبري) (6/540)

(572) الكشف والبيان عن تفسير القرآن (3/101)

(573) صفوة التفاسير - للصابوني (1/135)

(574) تفسير ابن جرير 3/340 أخرجه النسائي 7/107 ح (4068) مسند أحمد 1/247 ح (2218) صحيح ابن حبان 10/329 ح (4477) المستدرک على الصحيحين 2/154 ح (2628) وقال صحيح الإسناد ولم يخرجاه سنن البيهقي الكبرى 8/197 ح (16607) وإسناده صحيح. قال الإمام أحمد رحمه الله: ثنا علي بن عاصم عن داود بن أبي هند عن عكرمة بن بن عباس - به

(575) تفسير عبد الرزاق 1/125 تفسير الطبري 3/340 وفي إسناده حميد الأعرج ضعيف بالإضافة إلى إرساله، وغلط ابن بشكول في غوامض الأسماء المبهمة حيث بني تسمية الرجل في حديث ابن عباس بأنه الحارث بن سويد بناء على الرواية الضعيفة وهي مع ضعفها فإنها مرسله

ذكر المؤلف رحمه الله سبباً واحداً في نزول هذه الآية. وكلا الأثرين في إسنادهما ضعف، وقد ذكر أهل العلم أسباباً أخرى غير ما ذكره المؤلف.

فأورد مقاتل بن سليمان رحمه الله في تفسيره تفسيراً "أنها نزلت في اثني عشر رجلاً ارتدوا عن الإسلام، وخرجوا من المدينة كهيئة البداة، ثم انصرفوا إلى طريق مكة، فلحقوا بكفار مكة، منهم: طعمة بن أبيرق الأنصاري، ومقيس بن ضبابة الليثي، وعبد الله بن أنس بن خطل من بني تيم بن مرة القرشي، ووجوج بن الأسلت الأنصاري، وأبو عامر بن النعمان الراهب، والحارث بن سويد بن الصامت الأنصاري من بني عمرو بن عوف أخو الجلاس بن سويد بن الصامت (576)».

القول الثالث: أخرجه الإمام الطبري عن ابن عباس قوله: (كيف يهدي الله قوماً كفروا بعد إيمانهم)، فهم أهل الكتاب، عرفوا محمداً □ ثم كفروا به (577). قلت إسناده ضعيف فهذه ثلاثة أقوال في سبب نزول هذه الآية، وأسنادها لا تقوم بها الحجة، فحمل الآية على عمومها أولى فتعم كل من ذكر، قال ابن عطية: وقال الفقيه القاضي: وكل من ذكر فألفاظ الآية تعمه (578).

[تفسير مختصر للآية]

(كيف يهدي الله قوماً كفروا بعد إيمانهم) استفهام للتعجب والتعظيم من كفرهم، أي كيف يستحق الهداية قوم كفروا بعد إيمانهم؟ (وشهدوا أن الرسول حق) أي بعد أن جاءتهم الشواهد ووضح لهم الحق أن محمداً رسول الله (وجاءهم البينات) أي جاءتهم المعجزات والحجج البينات على صدق النبي □. (والله لا يهدي القوم الظالمين) أي لا يوفقهم لطريق السعادة، قال الحسن: هم اليهود والنصارى رأوا صفة محمد □ في كتابهم، وشهدوا أنه حق، فلما بعث من غيرهم، حسدوا العرب فكفروا بعد إيمانهم (579).

(فِيهِ ءَايَاتٌ بَيِّنَاتٌ مِّمَّا إِبْرَاهِيمَ وَمَنْ دَخَلَهُ كَانَ ءَامِنًا ۗ وَلِلَّهِ عَلَى النَّاسِ حِجُّ الْبَيْتِ مَنِ اسْتِطَاعَ إِلَيْهِ سَبِيلًا ۚ وَمَنْ كَفَرَ) فَإِنَّ اللَّهَ غَنِيٌّ عَنِ الْعَالَمِينَ (٩٧)

قوله تعالى: (ومن كفر فإن الله غني) - الآية.

206. [ك] أخرج سعيد بن منصور عن عكرمة قال: « لما نزلت (ومن يبتغ غير الإسلام ديناً) الآية. [آل عمران 85] قالت اليهود: فنحن مسلمون فقال لهم النبي □: « إن الله فرض على المسلمين حج البيت فقالوا: لم يكتب علينا، وأبوا أن يحجوا، فأنزل الله: (ومن كفر فإن الله غني عن العالمين) (580)».

[تعليق]

أورد المؤلف رحمه الله هذا الأثر والوحيد هنا في سبب نزول هذه الآية عن عكرمة. وقد روى كذلك عن مجاهد وغيره بنحو ما ذكره المؤلف، لكن هذه كلها مراسيل. وهذه الآية تدل على كفر من أنكر وجوب الحج وهذا واضح لأن الحج من المعلوم من الدين بالضرورة، وأما من ترك الحج مع عدم الإنكار لوجوبه وقدرته على الحج فقد وقع في كبيرة لتركه فرضاً من فرائض الله تعالى. جاء في الدرر الثنية: ويذكر عن عمر رضي الله عنه أنه قال: «همت أن أضع الجزية على من ترك الحج». وبعض السلف يكفر من تركه (581).

وإن مات قبل أن يحج مع القدرة على الحج فإنه لا يجزئ أن يحج عنه أحد كما جاء في الموسوعة الفقهية: "وهكذا من ترك الحج عمداً مع القدرة عليه حتى مات أو ترك الزكاة فلم يخرجها حتى مات، فإن مقتضى الدليل وقواعد الشرع: أن فعلهما عنه بعد الموت لا يبرئ ذمته. ولا يقبل منه، والحق أحق أن يتبع (582). انتهى

[تفسير مختصر للآية]

(والله على الناس حج البيت) عمم الإيجاب ثم خص، وأبدل من الناس فقال: (من استطاع إليه سبيلاً) يعني: من قوي في نفسه، فلا تلحقه المشقة في الكون على الرحلة، فمن كان بهذه الصفة وملك الزاد والراحلة وجب عليه الحج (ومن كفر) جحد فرض الحج (فإن الله غني عن العالمين) (583).

(يَا أَيُّهَا الَّذِينَ ءَامَنُوا إِن تَطِيعُوا فَرِيقًا مِّنَ الَّذِينَ ءَاتُوا الْكِتَابَ يَرُدُّوكُم بِعَدَايَتِكُمْ كَافِرِينَ (١٠٠)

قوله تعالى: (يا أيها الذين آمنوا إن تطيعوا) - الآية.

207. أخرج الفريابي وابن أبي حاتم عن ابن عباس قال: « كانت الأوس والخزرج في الجاهلية بينهم

(576) مقاتل بن سليمان (1/ 180)

(577) جامع البيان (تفسير الطبري) (6/ 574)

(578) المحرر الوجيز (1/ 457)

(579) صفوة التفاسير - للصابوني (1/ 137)

(580) تفسير الطبري 3/339 سنن سعيد بن منصور حديث رقم 506 الجزء الثالث سنن البيهقي الكبرى 4/324 ح (8390) وإسناده صحيح عن عكرمة لكنه مرسل، وأخرجه

البيهقي عن ابن أبي نجیح عن مجاهد وروايته عنه مرسله

(581) الدرر السننية في الكتب النجدية (20/ 69) تأليف: علماء نجد الأعلام من عصر الشيخ محمد بن عبد الوهاب إلى عصرنا هذا دراسة وتحقيق: عبد الرحمن بن

محمد بن قاسم الطبعة: السادسة، 1417هـ/1996م

(582) الموسوعة الفقهية الميسرة في فقه الكتاب والسنة المطهرة (3/ 334)

(583) الوجيز للواحدي (98)

شر، فبينما هم جلوس ذكروا ما بينهم حتى غضبوا وقام بعضهم إلى بعض بالسلاح، فنزلت: (وكيف تكفرون) الآية والأيتان بعدها⁽⁵⁸⁴⁾».

208. وأخرج ابن إسحاق وأبو نعيم وأبو الشيخ عن زيد بن أسلم قال: «مر شاس بن قيس وكان يهودياً على نفر من الأوس والخزرج يتحدثون فغاضه ما رأى من تألفهم بعد العداوة، فأمر شاباً معه من يهود أن يجلس بينهم فيذكرهم يوم بعثت ففعل فتنازعا وتفاخروا حتى وثب رجلان أوس بن قيطي من الأوس وجبار بن صخر من الخزرج فتقاولا وغضب الفريقان وتواثبوا للقتال، فبلغ ذلك رسول الله ﷺ فجاء حتى وعظهم وأصلح بينهم، فسمعوا وأطاعوا فأنزل الله في أوس وجبار ومن كان معهما: (يا أيها الذين آمنوا إن تطيعوا فريقاً من الذين أتوا الكتاب) الآية، وفي شاس بن قيس (يا أهل الكتاب لم تصدون عن سبيل الله) الآية⁽⁵⁸⁵⁾».

[تعليق]

ذكر المؤلف رحمه الله تعالى أثرين في سبب نزول هذه الآية، فالأول فيه إجمال بيّن في الأثر الثاني وهو أن الذي أوقع بينهم العداوة هو شاس بن قيس، وقد وردت روايات أخرى نحو التي ذكرها المؤلف أعرضت عن ذكرها لأفادتها نفس المعنى. وكل هذه الآثار مراسيل والموصول منها إسناده ضعيف. لكن يشهد بعضها لبعض وقد ذكر العلماء هذه الآثار وعلقوا بأن هذه هو سبب نزول الآية. فانه تعالى أعلم.

[تفسير مختصر للآية]

(يا أيها الذين آمنوا إن تطيعوا فريقاً من الذين أتوا الكتاب) أي إن تطيعوا طائفة من أهل الكتاب. (يردوكم بعد إيمانكم كافرين) أي يصيروكم كافرين بعد أن هداكم الله للإيمان، والخطاب للأوس والخزرج إذ كان اليهود يريدون فتنتهم كما مر في سبب النزول، واللفظ في الآية عام⁽⁵⁸⁶⁾.

(لَيْسُوا سَوَاءً مِّنْ أَهْلِ الْكِتَابِ أُمَّةٌ قَائِمَةٌ يَتْلُونَ آيَاتِ اللَّهِ آنَاءَ اللَّيْلِ وَهُمْ يَسْجُدُونَ ١١٣)

قوله تعالى: (ليسوا سواء) - الآية.

209. أخرج ابن أبي حاتم والطبراني وابن مندة في الصحابة عن ابن عباس قال: «لما أسلم عبد الله بن سلام وثعلبة بن سعياً وأسيد بن سعياً وأسد بن عبيد ومن أسلم من يهود معهم فأمنوا وصدقوا ورغبوا في الإسلام، قالت أخبار اليهود وأهل الكفر منهم: ما آمن بمحمد واتبعه إلا شرارنا ولو كانوا خيارنا ما تركوا دين آبائهم وذهبوا إلى غيره، فأنزل الله في ذلك: (ليسوا سواء) إلى قوله (من الصالحين) الآية⁽⁵⁸⁷⁾».

210. وأخرج أحمد وغيره عن ابن مسعود قال: «أخر رسول الله ﷺ صلاة العشاء ثم خرج إلى المسجد فإذا الناس ينتظرون الصلاة فقال: أما إنه ليس من أهل هذه الأديان أحد يذكر الله هذه الساعة غيركم» وأنزلت هذه الآية (ليسوا سواء) من أهل الكتاب أمة قائمة حتى بلغ (والله عليم بالمتقين)⁽⁵⁸⁸⁾».

[تعليق]

ذكر المؤلف رحمه الله تعالى أثرين في سبب نزول هذه الآية، ويمكن أن يكون الأثر الأول متعلق بقوله تعالى (ليسوا سواء) والثاني متعلق بقوله تعالى (من أهل الكتاب) وعليه فتكون هذه الآية مقطوعة في المعنى من قوله (من أهل الكتاب أمة). وعند الثعلبي في التفسير قال ابن عباس ومقاتل: «لما أسلم عبد الله بن سلام وثعلبة بن سعياً وأسيد بن سعياً وأسد بن عبيد ومن أسلم من اليهود قالت رؤوس اليهود: ما آمن بمحمد إلا شرارنا، ولو كانوا خيارنا ما تركوا دين آبائهم، وقالوا لهم: لقد خسرتم حيث استبدلتم بدينكم ديناً غيره، فأنزل الله تعالى (لَيْسُوا سَوَاءً)⁽⁵⁸⁹⁾». وهذا الأثر عند مقاتل بن سليمان من غير ذكر ابن

(584) تفسير ابن أبي حاتم 3/720 المعجم الكبير 12/126 ح (12666) من حديث ابن عباس، وفيه أبو نصر الأسدي الراوي عن ابن عباس ضعيف، وفيه أيضاً قيس بن الربيع متكلم فيه، وأخرجه في المعجم الصغير 1/359 ح (602) من حديث أنس بن مالك وفي إسناده يوسف بن عبيد قال الحافظ في التقریب: لين الحديث وغسان بن الربيع ضعفة الدارقطني وغيره كما في لسان الميزان للحافظ، وكذلك أخرج الطبري في التفسير عن مجاهد بإسناد فيه حميد الأعرج وهو ضعيف والسدي بإسناد فيه أسباط بن نصر بمعناه 4/25/24

(585) تفسير الطبري 4/23 وفي إسناده محمد بن إسحاق قال حدثني الثقة وهذا غير مقبول عند المحدثين حتى يصرح باسمه وقد روي الذهبي في ميزان الإعتدال في نقد الرجال/6/59 قال: وقال أبو داود الطيالسي: حدثني بعض أصحابنا قال: سمعت ابن إسحاق يقول حدثني الثقة، فقيل له: من، قال: يعقوب اليهودي، وكذلك فيه ابن حميد شيخ الطبري ضعيف بالإضافة إلى إرساله

(586) صفوة التفسير - للصابوني (140/1)

(587) تفسير الطبري 4/52 المعجم الكبير 2/87 ح (1388) فيه راو مجهول وهو شيخ ابن إسحاق محمد بن أبي محمد.

(588) مسند أحمد 1/396 ح (3760) صحيح ابن حبان 4/398 ح (1530) سنن النسائي الكبرى 6/313 ح (11073) مسند أبي يعلى 9/206 ح (5306) بغية الباحث عن زوائد مسند الحارث 1/255 ح (132) المعجم الكبير 10/131 ح (10209) وفي إسناده عاصم بن أبي النجود متكلم فيه وهو صاحب القراءة المشهورة، وتابعة الأعمش عند الطبراني بإسناد فيه يحيى بن أيوب وهو متكلم فيه، ولكنه يصلح للشواهد وشيخ الطبراني لم أجد له ترجمة قال الإمام النسائي رحمه الله: أنا محمد بن رافع نا أبو النضر نا أبو معاوية عن عاصم عن زر عن ابن مسعود - به وقال الإمام الطبراني رحمه الله: حدثنا أبو حبيب يحيى بن نافع المصري ثنا سعيد بن أبي مريم أنا يحيى بن أيوب ثنا عبيد الله بن زحر عن الأعمش عن زر بن حبیش عن عبد الله بن مسعود رضي الله عنه - به.

(589) الكشف والبيان عن تفسير القرآن (130/3) تفسير مقاتل بن سليمان (187/1)

عباس ولم أعر على إسناد أثر ابن عباس.

وروى سبب آخر في نزول هذه الآية ذكره ابن جرير الطبري رحمه الله جامع البيان عن منصور قال، بلغني أنها نزلت: (ليسوا سواء من أهل الكتاب أمة قائمة يتلون آيات الله أناء الليل وهم يسجدون) فيما بين المغرب والعشاء⁽⁵⁹⁰⁾. قلت هذا إسناده حسن إلى منصور بن المعتمر غير أنه مرسل.

قال الإمام الطبري: وهذه الأقوال التي ذكرتها على اختلافها، متقاربة المعاني. وذلك أن الله تعالى ذكره وصف هؤلاء القوم بأنهم يتلون آيات الله في ساعات الليل، وهي أناءه، وقد يكون تأليها في صلاة العشاء تألياً لها أناء الليل، وكذلك من تلاها فيما بين المغرب والعشاء، ومن تلاها جوف الليل، فكلُّ تالٍ له ساعات الليل. غير أن أولى الأقوال بتأويل الآية، قول من قال: "عني بذلك تلاوة القرآن في صلاة العشاء"، لأنها صلاة لا يصلّيها أحد من أهل الكتاب"، فوصف الله أمة محمد □ بأنهم يصلونها دون أهل الكتاب الذين كفروا بالله ورسوله⁽⁵⁹¹⁾.

قلت: على ما قال الإمام الطبري فأهل الكتاب وصف للأمة النبي □ ونحن وإن كنا أهل كتاب لكن الوصف القرآني يطلق أهل الكتاب على اليهود والنصارى. فحمل الآية على عمومها أولى لتشميل الفريقين والله تعالى أعلم.

[تفسير مختصر للآية]

(ليسوا سواء) لما بين تعالى الفرقة الفاسقة من أهل الكتاب وبين أفعالهم وعقوباتهم، بين هاهنا الأمة المستقيمة، وبين أفعالها وثوابها، فأخبر أنهم لا يستوتون عنده، بل بينهم من الفرق ما لا يمكن وصفه، فأما تلك الطائفة الفاسقة فقد مضى وصفهم، وأما هؤلاء المؤمنون، فقال تعالى منهم (أمة قائمة) أي: مستقيمة على دين الله، قائمة بما ألزمها الله به من المأمورات، ومن ذلك قيامها بالصلاة (يتلون آيات الله أناء الليل وهم يسجدون) وهذا بيان لصلاتهم في أوقات الليل وطول تهجدهم وتلاوتهم لكتاب ربهم وإيثارهم الخضوع والركوع والسجود له.

(يؤمنون بالله واليوم الآخر) أي: كإيمان المؤمنين إيماناً يوجب لهم الإيمان بكل نبي أرسله، وكل كتاب أنزله الله، وخص الإيمان باليوم الآخر لأن الإيمان الحقيقي باليوم الآخر يحث المؤمن به على ما يقر به إلى الله، ويثاب عليه في ذلك اليوم، وترك كل ما يعاقب عليه في ذلك اليوم (ويأمرون بالمعروف وينهون عن المنكر) فحصل منهم تكميل أنفسهم بالإيمان ولوازمه، وتكميل غيرهم بأمرهم بكل خير، ونهيهم عن كل شر، ومن ذلك حثهم أهل دينهم وغيرهم على الإيمان بمحمد □، ثم وصفهم بالهمم العالية (وأنهم (يسارعون في الخيرات) أي: يبادرون إليها فينتهزون الفرصة فيها، ويفعلونها في أول وقت إمكانها، وذلك من شدة رغبتهم في الخير ومعرفتهم بفوائده وحسن عوائده، فهؤلاء الذين وصفهم الله بهذه الصفات الجميلة والأفعال الجليلة (من الصالحين) الذين يدخلهم الله في رحمته ويتغمدهم بغفرانه وينيلهم من فضله وإحسانه، وأنهم مهما فعلوا (من خير) قليلاً كان أو كثيراً (فلن يكفروه) أي: لن يحرموه ويفوتوا أجره، بل يثيبهم الله على ذلك أكمل ثواب، ولكن الأعمال ثوابها تبع لما يقوم بقلب صاحبها من الإيمان والتقوى، فلماذا قال (والله عليم بالمتقين) كما قال تعالى: (إنما يتقبل الله من المتقين)⁽⁵⁹²⁾.

(يَا أَيُّهَا الَّذِينَ آمَنُوا لَا تَتَّخِذُوا بَطَانَةً مِّن دُونِكُمْ لَا يَأْلُونَكُمْ خَبَالًا وَدُؤًا مَا عَنَّتُمْ قَدْ بَدَتِ الْبَغْضَاءُ مِنْ أَفْوَاهِهِمْ وَمَا تَخْفَىٰ صُدُورُهُمْ أَكْبَرُ قَدْ بَيَّنَّا لَكُمُ الْآيَاتِ إِن كُنْتُمْ تَعْقِلُونَ (١١٨)

قوله تعالى: (يا أيها الذين آمنوا لا تتخذوا).

211. أخرج ابن جرير وابن إسحاق عن ابن عباس قال: « كان رجال من المسلمين يواصلون رجالاً من يهود لما كان بينهم من الجوار والحلف في الجاهلية، فأنزل الله فيهم ينهاهم عن مباظنتهم تخوف الفتنة عليهم: (يا أيها الذين آمنوا لا تتخذوا بطانة من دونكم) الآية⁽⁵⁹³⁾ ». .

[تعليق]

ذكر المؤلف رحمه الله هذا الأثر وقد سقط منه لفظة "يواصلون رجالاً" فتكون الآية نزلت نهياً للمؤمنين عن اتخاذ المنافقين والكافرين بطانة ومعنى البطانة من البطون وهو الخفاء فلا تتخذوهم أولياء وأصدقاء تقربونهم منكم وتشاورنهم في شؤونكم.

وهذا الأثر له شواهد من الكتاب والسنة فمنها قوله تعالى (يا أيها الذين آمنوا لا تتخذوا عدوي وعدوكم أولياء) [سورة الممتحنة آية 1].

[تفسير مختصر للآية]

(يا أيها الذين آمنوا لا تتخذوا بطانة) أي: دخلاً وخواصاً (من دونكم) من غير أهل ملتكم (لا يألونكم خبالاً) أي: لا يدعون جهدهم في مضرتكم وفسادكم (ودؤاً ما عنتم) تمنوا ضلالكم عن دينكم (قد بدت البغضاء) أي: ظهرت العداوة (من أفواههم) بالشتيمة والوقيعه في المسلمين (وما تخفي صدورهم) من العداوة والخيانة (أكبر قد بينا لكم الآيات) أي: علامات اليهود في عداوتهم. (إن كنتم تعقلون) موقع نفع البيان⁽⁵⁹⁴⁾.

(590) تفسير الطبري (129/7)

(591) جامع البيان (تفسير الطبري) (129/7)

(592) تفسير السعدي (143)

(593) تفسير الطبري 4/61 وإسناده ضعيف

(594) الوجيز للواحد (101)

(وَإِذْ غَدَوْتَ مِنْ أَهْلِكَ تُبَوِّئُ الْمُؤْمِنِينَ مَقْعِدَ لِلْقِتَالِ وَاللَّهُ سَمِيعٌ عَلِيمٌ (١٢١))

قوله تعالى: (وإذ غدوت) - الآية.

212. أخرج ابن أبي حاتم وأبو يعلى عن المسور بن مخرمة قال: « قلت لعبد الرحمن بن عوف أخبرني عن قصتكم يوم أحد فقال: اقرأ بعد العشرين ومائة من آل عمران تجد قصتنا: (وإذ غدوت من أهلك تبويء المؤمنين مقاعد للقتال) إلى قوله (إذ همت طائفتان منكم أن تفشلا) قال: هم الذين طلبوا الأمان من المشركين إلى قوله، (ولقد كنتم تمنون الموت من قبل أن تلقوه فقد رأيتموه) قال: هو تمنى المؤمنين لقاء العدو إلى قوله: (أفان مات أو قتل انقلبتم) قال: هو صياح الشيطان يوم أحد قتل محمد إلى قوله (أمنة ناعساً) قال: ألقى عليهم النوم⁽⁵⁹⁵⁾ .»

213. وأخرج الشيخان عن جابر بن عبد الله قال: « فينا نزلت في بني سلمة وبني حارثة (إذ همت طائفتان منكم أن تفشلا)⁽⁵⁹⁶⁾ .»

214. وأخرج ابن أبي شبة في المصنف وابن أبي حاتم عن الشعبي « أن المسلمين بلغهم يوم بدر أن كرز بن جابر المحاربي يمد المشركين فشق عليهم، فأنزل الله: (ألن يكفيكم أن يمدكم ربكم) إلى قوله (مسومين) فبلغت كرزاً الهزيمة فلم يمد المشركين ولم يمد الله المسلمين بالخمس⁽⁵⁹⁷⁾ الألاف .»

[تعليق]

اختلف أهل العلم في المراد بقوله تعالى (وإذا غدوت من أهلك تبوء المؤمنين مقاعد للقتال) في أي يوم كان، فذكر بعضهم أنه كان يوم أحد، وبعضهم أنه كان يوم الأحزاب، وقال بعضهم إنه كان يوم بدر.

فأما الأول فهو منقول عن عبد الرحمن بن عوف، وابن مسعود، وابن عباس، والزهرى، وقتادة، والسدي، والربيع، وابن إسحاق⁽⁵⁹⁸⁾. وأما الثاني: فهو قول الحسن أخرج ابن جرير قال: عن الحسن في قوله: (وإذ غدوت من أهلك تبويء المؤمنين مقاعد للقتال)، قال: يعني محمداً □، غدا يبويء المؤمنين مقاعد للقتال يوم الأحزاب⁽⁵⁹⁹⁾ .»

وأما الثالث: وأما كونها نزلت في غزوة بدر. فقد ذكره ابن الجوزي في زاد المسير. ولم أره عند غيره ولم أفق علي إسناد له، وقد رجح أهل العلم بالتفسير السبب الأول وذلك لاتفاقهم على أن قوله تعالى (إذ همت طائفتان منكم أن تفشلا) نزلت في أحد كما سيأتي⁽⁶⁰⁰⁾.

وقد ذكر المؤلف رحمه الله عدة آثار فأما الأول فهو أثر حسن الإسناد وفيه بيان أن قصة غزوة أحد بدأت من قوله تعالى (وإذ غدوت من أهلك).

وأما الأثر الثاني: فهو متعلق بقوله تعالى (إذ همت طائفتان منكم أن تفشلا) ومعنى تفشلا: أي تجبنا وتضعفا عن مجابهة العدو. وقد سبق القول أن بعض السلف قال بأنها نزلت في غزوة الأحزاب لذلك ذكر مقاتل بن سليمان وذكر أن الطائفتين هما بنو سلمة وبنو حارثة لكن جعله في غزوة الأحزاب مكان غزوة أحد والراجح الأول كما تقدم⁽⁶⁰¹⁾. أما الأثر الثالث الذي ذكره المؤلف وهو متعلق بقوله تعالى (ألن يكفيكم) فهو أثر مرسل وقد ذكر الإمام ابن الجوزي كذلك الخلاف هل هذا كان يوم أحد أو يوم بدر فقال وفي أي يوم كان ذلك، فيه قولان. أحدهما: يوم بدر، قاله ابن عباس، وعكرمة، ومجاهد، وقتادة. والثاني: يوم أحد، وعدهم فيه بالمدد إن صبروا، فلما لم يصبروا، لم يمدوا، روي عن عكرمة، والضحاك، ومقاتل، والأول أصح.

[تفسير مختصر للآيات]

(وَإِذْ غَدَوْتَ) يعني: يوم أحد (من أهلك) من منزل عائشة رضي الله عنها (تَبَوِّئُ) تُهَيِّئُ للمؤمنين (مقاعد) مراكز ومثابت (للقتال) والله سميع لقولكم (عليم) بما في قلوبكم.

(إِذْ هَمَّتْ طَائِفَتَانِ مِنْكُمْ) بنو سلمة وبنو حارثة (أَنْ تَفْشَلَا) أَنْ تَجْبِنَا ، وَذَلِكَ أَنَّ هُمَا بِالْإِنصِرَافِ عَنِ الْحَرْبِ ، فَعَصَمَهُمُ اللَّهُ (وَاللَّهُ وَلِيُّهُمَا) ناصرهما وموَالٍ لهما (وَعَلَى اللَّهِ فليتوكل) فليتعمد في الكفاية (الْمُؤْمِنُونَ) . (وَلَقَدْ نَصَرَكُمُ اللَّهُ بِبَدْرٍ وَأَنْتُمْ أَذِلَّةٌ) بقلّة العدد وقلة السلاح (فَاتَّقُوا اللَّهَ لعلكم تَشْكُرُونَ) أَي: فَاتَّقُوا اللَّهَ فَإنه شكر نعمتيك⁽⁶⁰²⁾ .

(لَيْسَ لَكَ مِنَ الْأَمْرِ شَيْءٌ أَوْ يَتُوبَ عَلَيْهِمْ أَوْ يُعَذِّبُهُمْ فَإِنَّهُمْ ظَالِمُونَ (١٢٨))

⁽⁵⁹⁵⁾ تفسير ابن أبي حاتم 3/749 مسند أبي يعلى 2/148 ح (836) قال البيهقي في مجمع الزوائد: في إسناده يحيى بن عبد الحميد الحماني ضعيف، وفيما قاله نظر في إطلاقه فقد وثقه ابن معين وغيره قال ابن عدي أرجو أن لا بأس به وأخرج له مسلم انظر ترجمته في الكامل وتهذيب التهذيب وهو موجود في غالب دواوين الرجال.

⁽⁵⁹⁶⁾ أخرجه البخاري 4/1488 ح (3825) ومسلم 4/1948 ح (2505) وابن حبان 16/277 ح (7288) مسند الحميدي 2/528 ح (1253) تفسير الطبري 4/73

⁽⁵⁹⁷⁾ تفسير الطبري 4/76 مصنف ابن أبي شيبة 7/354 ح (36670) وإسناده صحيح لكنه من مراسيل الشعبي.

⁽⁵⁹⁸⁾ زاد المسير في علم التفسير (1/405)

⁽⁵⁹⁹⁾ جامع البيان (تفسير الطبري) (7/161)

⁽⁶⁰⁰⁾ انظر جامع البيان (تفسير الطبري) (7/161)

⁽⁶⁰¹⁾ انظر تفسير مقاتل بن سليمان (1/189)

⁽⁶⁰²⁾ الوجيز للواحد (102)

قوله تعالى: (ليس لك من الأمر شيء) - الآية.

215. روى أحمد ومسلم عن أنس: « أن النبي ﷺ كسرت ربايعيته يوم أحد وشج في وجهه حتى سال الدم على وجهه، فقال « كيف يفلح قوم فعلوا هذا بنبينهم وهو يدعوهم إلى ربهم! » فأنزل الله: (ليس لك من الأمر شيء) الآية⁽⁶⁰³⁾ ». «
216. وروى أحمد والبخاري عن ابن عمر: سمعت رسول الله ﷺ يقول: « اللهم العن فلانا اللهم العن الحارث بن هشام، اللهم العن سهيل بن عمرو، اللهم العن صفوان بن أمية، فنزلت هذه الآية: (ليس لك من الأمر شيء) إلى آخرها فتبيب عليهم كلهم⁽⁶⁰⁴⁾ ». «
217. وروى البخاري عن أبي هريرة نحوه.
- قال الحافظ ابن حجر: طريق الجمع بين الحديثين، أنه ﷺ دعا على المذكورين في صلاته بعد ما وقع له من الأمر المذكور يوم أحد، فنزلت الآية في الأمرين معاً فيما وقع له وفيما نشأ عنه من الدعاء عليهم قال: لكن يشكل على ذلك:
218. ما وقع في مسلم من حديث أبي هريرة « أنه ﷺ كان يقول في الفجر: « اللهم العن رعلا وذكوان وعصية » حتى أنزل الله عليه: (ليس لك من الأمر شيء)⁽⁶⁰⁵⁾ ». «
- ووجه الإشكال أن الآية نزلت في قصة أحد وقصة رعل وذكوان بعدها، ثم ظهرت لي علة الخبر وأن فيه إدراجاً، فإن قوله: حتى أنزل الله منقطع من رواية الزهري عن بلغه، بيّن ذلك مسلم، وهذا البلاغ لا يصح لما ذكرته قال: ويحتمل أن يقال: إن قصتهم كانت عقب ذلك وتأخر نزول الآية عن سببها قليلاً ثم نزلت في جميع ذلك⁽⁶⁰⁶⁾. قلت: وورد في سبب نزولها أيضاً
219. ما أخرجه البخاري في تاريخه وابن إسحاق عن سالم بن عبد الله بن عمر قال: « جاء رجل من قریش إلى النبي ﷺ، فقال إنك تنهي عن السب، ثم تحول فحول قفاه إلى النبي ﷺ وكشف إسته، فلغنه ودعا عليه، فأنزل الله: (ليس لك من الأمر شيء) - الآية. ثم أسلم الرجل فحسن إسلامه⁽⁶⁰⁷⁾ ». « مرسل غريب.

[تعليق]

ذكر المؤلف رحمه الله تعالى عدة آثار في سبب نزول هذه الآية.

فالأول: أنها نزلت في دعائه على المشركين يوم أحد لما فعلوه به من كسر ربايعيته.

الثاني: أنها دعا على أقوام من المشركين بعينهم بعد أحد، فنزلت الآية.

الثالث: أنها نزلت في قتل القراء في واقعة بئر معونة وهم رعل وذكوان وعصية فدعا عليه النبي ﷺ فنزلت وهذا السبب صحيح كذلك، وهو متأخر النزول لأن واقعة بئر معونة كانت في السنة الرابعة، فيشكل عليه ما ذكره ابن حجر رحمه الله.

الرابع: أنها نزلت في الرجل عندما كشف إسته أمام النبي ﷺ فدعا عليه النبي ﷺ وهو أثر ضعيف الإسناد فلا حاجة للتعليق عليه علي أن عموم سبب النزول يشمل.

وقد ذكر في سبب نزول هذه الآية غير ما ذكره المؤلف رحمه الله.

فيكون السبب الخامس: والثاني: أن النبي ﷺ، لعن قوماً من المنافقين، فنزلت هذه الآية.

وأخرج هذا الحديث السراج في مسنده: عن ابن عمر أنه سمع النبي ﷺ في صلاة الفجر حين رفع رأسه من الركعة قال: ربنا ولك الحمد في الركعة الآخرة يقول: اللهم العن فلاناً وفلاناً، دعا على ناس من المنافقين فأنزل الله عز وجل (ليس لك من الأمر شيء)⁽⁶⁰⁸⁾

وإسناد هذا الحديث جيد.

السبب السادس: أنها نزلت في سببه ﷺ لمن انهزم عنه وترك المعركة في غزوة أحد. ذكر ذلك ابن الجوزي في تفسيره⁽⁶⁰⁹⁾

السابع: أنها نزلت فيمن مَثَّل بعم النبي ﷺ حمزة في غزوة أحد. ذكره ابن الجوزي: "أن النبي ﷺ لما رأى حمزة ممثلاً

⁽⁶⁰³⁾ صحيح مسلم 3/1417 ح (1791) سنن الترمذي 5/226 ح (3002) سنن ابن ماجه 2/1336 ح (4027) مسند أحمد 3/99 ح (11974) صحيح ابن حبان 14/536 ح (6574) سنن النسائي الكبرى ص 314:6 ح (11077) مسند أبي يعلى 6/391 ح (3738) شرح معاني الآثار 1/502 وغيرهم.

⁽⁶⁰⁴⁾ صحيح البخاري 4/1493 ح (3842) سنن النسائي 2/203 ح (1078) مسند أحمد 2/147 ح (6349) صحيح ابن حبان 5/325 ح (1987) سنن البيهقي الكبرى 2/207 ح (2948) صحيح ابن خزيمة 1/315 ح (622) شرح معاني الآثار 1/242 ح (1338) المعجم الكبير 12/280 ح (13113) مصنف عبد الرزاق 2/445 ح (4027) المؤلف: أبو بكر عبد الرزاق بن همام بن نافع الحميري اليماني الصنعاني (المتوفى: 211هـ) المحقق: حبيب الرحمن الأعظمي الناشر: المجلس العلمي - الهند يطلب من: المكتب الإسلامي - بيروت الطبعة: الثانية، 1403 عدد الأجزاء: 11 الجهاد لابن المبارك وغيرهم.

⁽⁶⁰⁵⁾ صحيح البخاري 4/1661 ح صحيح مسلم 1/467 سنن الدرامي 1/453 مسند أحمد 2/255 صحيح ابن خزيمة 1/312 سنن البيهقي الكبرى 2/197 وغيرهم.

⁽⁶⁰⁶⁾ انظر فتح الباري 8/227

⁽⁶⁰⁷⁾ لم أجده في الكتب المسنده في التاريخ الكبير للبخاري وهو مرسل.

⁽⁶⁰⁸⁾ مسند السراج - (412) المؤلف: محمد بن إسحاق بن إبراهيم السراج الثقفي النيسابوري، الوفاة 313هـ دار النشر: إدارة العلوم الأثرية فيصل آباد/باكستان 1423 هـ.

2002م الطبعة: الأولى تحقيق: إرشاد الحق الأثري.

⁽⁶⁰⁹⁾ زاد المسير في علم التفسير (412/1)

به، قال: «لأمتلن بكذا وكذا منهم» فنزلت هذه الآية "قاله الواقدي (610).

قلت: هذه سبعة أسباب في نزول هذه الآية، فإذا سكننا فيها مسلك الترجيح فنرجح أنها نزلت في غزوة أحد، لأن سياق الآيات إنما في غزوة أحد وهذا ما أميل إليه وسواء في ذلك الذين شجوا رأسه أم الذين مثلوا بعمه.

والمسلك الثاني: وهو مسلك الجمع فيجمع بأن سبب نزول الآية تأخر حتى انتظم كل من دعا عليهم النبي ﷺ، ثم نزلت الآية مرشدة للنبي ﷺ بأن لا يدعو على أحد لا يعلم خاتمته.

وفي مسألة لعن المعين كلام لأهل العلم الراجح فيه أنه لا يجوز لعن الإنسان المعين لأنه ربما يتوب الله عليه قبل وفاته، وقد ترك النبي ﷺ هذا اللعن بعد نزول الآية. وكان إذا وقع منه اللعن للمؤمن في حال الغضب فيكون هذه اللعن رحمه للمؤمن لما أخرجه ومسلم وغيره عن عائشة قالت: «دَخَلَ عَلَى رَسُولِ اللَّهِ - ﷺ - رَجُلَانِ فَكَلَّمَاهُ بِشَيْءٍ لَا أَدْرِي مَا هُوَ فَأَغْضَبَاهُ فَلَعَنَهُمَا وَسَبَّهُمَا فَلَمَّا خَرَجَا قُلْتُ يَا رَسُولَ اللَّهِ مَنْ أَصَابَ مِنَ الْخَيْرِ شَيْئًا مَا أَصَابَهُ هَذَا قَالَ «وَمَا ذَلِكَ». قَالَتْ قُلْتُ لَعَنَهُمَا وَسَبَّهُمَا قَالَ «أَوْ مَا عَلِمْتَ مَا شَارَطْتُ عَلَيْهِ رَبِّي قُلْتُ اللَّهُمَّ إِنَّمَا أَنَا بَشَرٌ فَأَيُّ الْمُسْلِمِينَ لَعَنْتُهُ أَوْ سَبَّيْتُهُ فَاجْعَلْهُ لَهُ زَكَاةً وَأَجْرًا» (611). والله تعالى أعلم.

[تفسير مختصر للآية]

(ليس لك من الأمور شيء أو يتوب عليهم أو يعذبهم فإنهم ظالمون) أى فإله مالك أمرهم، فإما أن يهلكهم، أو يهزمهم، أو يتوب عليهم إن أسلموا، أو يعذبهم إن أصروا على الكفر، فإنهم ظالمون يستحقون العذاب.

(والله ما في السموات وما في الأرض يغفر لمن يشاء ويعذب من يشاء والله غفور) أى له جل وعلا ملك السموات والأرض يعذب من يشاء، ويغفر لمن يشاء وهو الغفور الرحيم (612).

(يَا أَيُّهَا الَّذِينَ ءَامَنُوا لَا تَأْكُلُوا الرِّبَا أَضْعَافًا مُّضَاعَفَةً وَاتَّقُوا اللَّهَ لَعَلَّكُمْ تُفْلِحُونَ (١٣٠))

قوله تعالى: (يا أيها الذين آمنوا) - الآية.

220. أخرج الفريابي عن مجاهد قال: « كانوا يتبايعون إلى الأجل، فإذا حل الأجل زادوا عليهم وزادوا في الأجل، فنزلت (يا أيها الذين آمنوا لا تأكلوا الربا أضعافاً مضاعفة) (613) ».

221. وأخرج أيضاً عن عطاء قال: « كانت ثقيف تداين بني النضير في الجاهلية، فإذا جاء الأجل قالوا: نرببكم وتؤخرون عنا فنزلت: (لا تأكلوا الربا أضعافاً مضاعفة) (614) » .

[تعليق]

ذكر المؤلف أثرين في سبب نزول هذه الآية. وهذا القول أنها نزلت في ربا الجاهلية هو قول عامة أهل التفسير، ثم نهو عنه في الإسلام، وقد أخرج الحاكم وصححه من حديث أبي هريرة رضي الله عنه: أن عمرو بن أقيش كان له رب في الجاهلية فكره أن يسلم حتى يأخذه فجاء يوم أحد فقال: أين بنو عمتي؟ فقالوا: بأحد فقال: أين فلان؟ قالوا: بأحد قال: أين فلان؟ قالوا: بأحد فليس لامته وركب فرسه ثم توجه قبلهم فلما رآه المسلمون قالوا: إليك عنا يا عمرو قال: إني أمنت فقاتل حتى جرح فحمل إلى أهله جريحا فجاءه سعد بن معاذ فقال لأخته: سليه حمية لقومك أو غضبا لهم أم غضبا لله ورسوله؟ فقال: بل غضبا لله ورسوله فمات فدخل الجنة و ما صلى الله صلاة (615). وليس في هذا الحديث تصريح بسبب النزول. قال الإمام ابن حجر: قلت ما زلت أبحث عن مناسبة ذكر آية الربا في وسط ذكر قصة أحد حتى وقفت على هذا الحديث فكأنها نزلت فيه فترك الربا وخرج إلى الجهاد فاستشهد أو أن ورثته طالبوا بما كان له من الربا فنهوا عنه بالآية المذكورة (616).

قلت: وفي الآية تحريم أكل الربا، وقد جاء الوعيد في عدة أحاديث عن أكل الربا أذكر من هذه الأحاديث ما أخرجه الإمام أحمد وغيره عن عبد الله بن مسعود أنه قال: « لا تصلح سفتان في سفقة وإن رسول الله صلى الله عليه وسلم قال: لعن الله أكل الربا وموكله وشاهده وكتبه » (617).

وما أخرجه الإمام البخاري وغيره عن أبي هريرة، رضي الله عنه، عن النبي ﷺ قال: اجْتَنِبُوا السَّبْعَ الْمُؤْبَقَاتِ قَالُوا: يَا رَسُولَ اللَّهِ وَمَا هُنَّ قَالَ الشَّرْكَ بِاللَّهِ وَالسَّحَرُ وَقَتْلُ النَّفْسِ الَّتِي حَرَّمَ اللَّهُ إِلَّا بِالْحَقِّ وَأَكْلُ الرِّبَا وَأَكْلُ مَالِ الْيَتِيمِ وَالنَّوَالِي يَوْمَ الزَّحْفِ وَقَذْفُ الْمُحْصَنَاتِ الْمُؤْمِنَاتِ الْعَافِلَاتِ (618).

وقوله تعالى (أضعافاً مضاعفة) ليس معناه أنه يجوز أكل الربا إذا كان يسيراً لأن هذا مما خرج مخرج الغالب فلا مفهوم له والله تعالى أعلم.

[تفسير مختصر للآية]

(610) زاد المسير في علم التفسير (1/ 412)

(611) صحيح مسلم - (8/ 24)

(612) صفوة التفاسير - للصابوني (1/ 146)

(613) تفسير الفريابي لم أره مطبوعاً وعلى كل فالأثر مرسل

(614) تفسير ابن جرير 4/90 ولكن قال مكان بني النضير بني المغيرة وإسناده صحيح عن عطاء لكنه مرسل

(615) المستدرک على الصحيحين للحاكم مع تعليقات الذهبي في التلخيص (2/ 124) كذلك أخرجه أبو داود وغيره

(616) العجائب في بيان الأسباب (2/ 753)

(617) مسند أحمد بن حنبل (1/ 393)

(618) صحيح البخاري (4/ 12)

(يا أيها الذين آمنوا لا تأكلوا الربا أضعافاً مضاعفة) أي لا تتعاملوا بالربا بطريق الجشع، حتى تأخذوه أضعافاً كثيرة، قال ابن كثير: كانوا في الجاهلية إذا حل أجل الدين، يقول الدائن: إما أن تقضي وإما أن تربني! فإن قضاؤه والإ زاده في المدة وزاده في القدر، وهكذا كل عام، وربما يضاعف القليل حتى يصير كثيراً مضاعفاً. (واتقوا الله) أي اتقوا عذابه بترك ما نهى عنه. (لعلكم تفلحون) أي لتكونوا من الفائزين. (واتقوا النار التي أعدت للكافرين) أي احذروا نار جهنم التي هيئت للكافرين. (وأطيعوا الله والرسول لعلكم ترحمون) أي أطيعوا الله ورسوله لتكونوا من الإبرار الذين تنالهم رحمة الله جل وعلا (619).

(إِنْ يَمْسَسْكُمْ قَرْحٌ فَقَدْ مَسَّ الْقَوْمَ قَرْحٌ مِّثْلُهُ وَتِلْكَ الْأَيَّامُ نُدَاوِلُهَا بَيْنَ النَّاسِ وَلِيَعْلَمَ اللَّهُ الَّذِينَ ءَامَنُوا وَيَتَّخِذَ مِنْكُمْ شُهَدَاءً وَاللَّهُ لَا يُحِبُّ الظَّالِمِينَ ٤٠) (١)

قوله تعالى: (ويتخذ منكم شهداء) - الآية.

222. أخرج ابن أبي حاتم عن عكرمة قال: «لما أبطأ على النساء الخبر خرجن ليستخرن، فإذا رجلان مقبلان على بغير فقالت امرأة: ما فعل رسول الله ﷺ؟ قالوا: حي، قالت: فلا أبالي يتخذ الله من عباده الشهداء، ونزل القرآن على ما قالت (ويتخذ منكم شهداء) (620)». «.

[تعليق]

ذكر المؤلف رحمه الله هذا الأثر الوحيد في سبب نزول هذه الآية وهو مرسل، وقد ورد في سبب نزولها غير ما ذكره المؤلف.

فأخرج ابن جرير عن قتادة، قوله: (إن يمسسكم قرح فقد مس القوم قرح مثله)، والقرح الجراحة، وذاكم يوم أحد، فشا في أصحاب نبي الله ﷺ يومئذ القتل والجراحة، فأخبرهم الله عز وجل أن القوم قد أصابهم من ذلك مثل الذي أصابكم، وأن الذي أصابكم عقوبة (621).

وأخرج مقاتل في قوله تعالى (الذين استجابوا لله....)، وذلك أن المشركين انصرفوا يوم أحد ولهم الظفر، فقال النبي ﷺ: «إني سائر في أثر القوم»، وكان النبي ﷺ يوم أحد على بغلة شهباء، فذب المنافقون إلى المؤمنين، فقالوا: أتوكم في دياركم فوطئوكم قتلاً، وكان لكم النصر يوم بدر، فكيف تطلبونهم وهم اليوم عليكم أجراً وأنت اليوم أرعب؟ فوقع في أنفس المؤمنين قول المنافقين، فاشتكتوا ما بهم من الجراحات، فأنزل الله عز وجل: (إن يمسسكم قرح فقد مس القوم قرح مثله) (622). وذكر الثعلبي في تفسيره: قال راشد بن سعد: لما انصرف رسول الله ﷺ عليه وسلم كئيباً حزيناً جعلت المرأة تجيء بزوجها وابنها وأبيها مقتولين وهي تدمم فقال رسول الله ﷺ عليه وسلم: «أ هكذا يفعل برسولك؟» فأنزل الله تعالى (نُ يَمْسَسْكُمْ قَرْحٌ يَوْمَ أُحُدٍ فَقَدْ مَسَّ الْقَوْمَ قَرْحٌ مِّثْلُهُ) يوم بدر (623). قلت: هذه الآثار وإن كانت مختلفة غير أن كلها تدل على نزول الآية في وقعة أحد وليس في هذه الآثار شيء نستطيع أن نجزم بأنه سبب النزول للآية فهي إما مرسلة وإما ليس لها إسناد والله تعالى أعلم.

[تفسير مختصر للآية]

(إن يمسسكم قرح فقد مس القوم قرح مثله) فأنتم وإياهم قد تساويتم في القرحة، ولكنكم ترجون من الله ما لا يرجون كما قال تعالى: (إن تكونوا تآلمون فإنهم يآلمون كما تآلمون وترجون من الله ما لا يرجون). ومن الحكم في ذلك أن هذه الدار يعطي الله منها المؤمن والكافر، والبر والفاجر، فيداول الله الأيام بين الناس، يوم لهذه الطائفة، ويوم للطائفة الأخرى؛ لأن هذه الدار الدنيا منقضية فانية، وهذا بخلاف الدار الآخرة، فإنها خالصة للذين آمنوا. (وليعلم الله الذين آمنوا) هذا أيضاً من الحكم أنه يبئلي الله عباده بالهزيمة والابتلاء، ليتبين المؤمن من المنافق؛ لأنه لو استمر النصر للمؤمنين في جميع الوقائع لدخل في الإسلام من لا يريد، فإذا حصل في بعض الوقائع بعض أنواع الابتلاء، تبين المؤمن حقيقة الذي يرغب في الإسلام، في الضراء والسراء، واليسر والعسر، ممن ليس كذلك. (ويتخذ منكم شهداء) وهذا أيضاً من بعض الحكم، لأن الشهادة عند الله من أرفع المنازل، ولا سبيل لنيلها إلا بما يحصل من وجود أسبابها، فهذا من رحمته بعباده المؤمنين، أن قيض لهم من الأسباب ما تكرهه النفوس، لينيلهم ما يحبون من المنازل العالية والنعيم المقيم، (والله لا يحب الظالمين) الذين ظلموا أنفسهم، وتقاعدوا عن القتال في سبيله، وكان في هذا تعريضاً بدم المنافقين، وأنهم مبعوضون لله، ولهذا ثبتهم عن القتال في سبيله. (ولو أرادوا الخروج لأعدوا له عدة ولكن كرهه الله انبعاثهم فثبطهم وقيل أقعدوا مع القاعدين) (624).

(وَلَقَدْ كُنْتُمْ تَمَنَّوْنَ الْمَوْتَ مِنْ قَبْلِ أَنْ تَلْقَوْهُ فَقَدْ رَأَيْتُمُوهُ وَأَنْتُمْ تَنْظُرُونَ ٤٣) (١)

(619) صفوة التفسير - للصابوني (1/ 146)

(620) تفسير ابن أبي حاتم 3/774 مرسل

(621) جامع البيان (تفسير الطبري) (7/ 237)

(622) تفسير مقاتل بن سليمان (1/ 204)

(623) الكشف والبيان عن تفسير القرآن (3/ 172)

(624) تفسير السعدي (149)

قوله تعالى: (ولقد كنتم) - الآية.

223. أخرج ابن أبي حاتم من طريق العوفي عن ابن عباس: «أن رجلاً من الصحابة كانوا يقولون: ليتنا نقتل كما قتل أصحاب بدر، أو ليت لنا يوماً كيوم بدر نقاتل فيه المشركين ونبلي فيه خيراً أو نلتمس الشهادة والخير والجنة أو الحياة والرزق، فأشهدهم الله أحداً فلم يثبتوا إلا من شاء الله منهم، فأنزل الله: (ولقد كنتم تمنون الموت) الآية⁽⁶²⁵⁾».

[تعليق]

أخرج المؤلف هذا الأثر عن ابن عباس وإسناده ضعيف. لكن روى له عدة طرق كلها مرسله عن الربيع وقتادة والحسن والسدي ومجاهد. وقد أخرجها الإمام ابن جرير في تفسيره وكلها يدور حول نفس معنى الأثر الذي أخرجه المؤلف رحمه الله. وهذه الطائفة التي نزلت فيها الآية هي من المؤمنين والخطاب موجه لهم، فقد أخرج أبو يعلى عن المسور بن مخرمة قال: قلت لعبد الرحمن بن عوف: أي حال أخبرني عن قصتك يوم بدر قال: اقرأ بعد العشرين والمئة من آل عمران تجد قصتنا: (وإذ غدوت من أهلك تبوء المؤمنين مقاعد للقتال) [آل عمران: 121] إلى قوله: (إذ همت طائفتان منكم أن تفشلا) [آل عمران: 122] قال: هم الذين طلبوا الأمان من المشركين إلى قوله: (ولقد كنتم تمنون الموت من قبل أن تلقوه فقد رأيتموه وأنتم تنظرون) [آل عمران: 143] قال: فهو تمنى لقاء المؤمنين إلى قوله: (إذ تحسونهم بإذنه) [آل عمران: 152]⁽⁶²⁶⁾. قلت: ودل على ذلك سياق الآيات أن هذه الآية نزلت في المؤمنين الذين ثبتوا مع النبي ﷺ، وذلك لأن المنافقين تميزوا عن رسول الله ﷺ قبل لقاء العدو. لكن انقسم المؤمنين فرق في هذه الغزوة، فكان منهم من يرد الدنيا ومنهم من يريد الآخرة كما وصف الله تعالى في كتابه ثم قال (ولقد عفا عنكم والله ذو فضل على المؤمنين). والمراد بقوله تعالى (ولقد كنتم تمنون الموت من قبل أن تلقوه فقد رأيتموه وأنتم تنظرون) هي الرؤية الروية المجازية وإلا فالموت حقيقة لا يرى، ولكن عبر عنه بالرؤية لما لقوه من شدة الابتلاء في هذه الغزوة فكانهم عاينوه. قال الطحاوي في شرح مشكل الآثار: فكان ذلك على رؤية القلوب ويقينها لا على رؤية الأبصار⁽⁶²⁷⁾.

[تفسير مختصر للآية]

(ولقد كنتم تمنون الموت) كانوا يتمنون يوماً مع النبي ﷺ ويقولون: لنفعلن ولنفعلن، ثم انهزموا يوم أحد، فاستحقوا العقاب، وقوله: (من قبل أن تلقوه) أي: من قبل يوم أحد (فقد رأيتموه) رأيتم ما كنتم تتمنون من الموت، أي رأيتم أسبابه [ولم تثبتوا مع نبيكم. نزلت في معاتبه الرسول إياهم، فقالوا: بلغنا أنك قد قتلت لذلك انهزمتنا (وأنتم تنظرون)] وأنتم بصراء تتأملون الحال في ذلك كيف هي، فلم انهزمتم⁽⁶²⁸⁾؟

(وَمَا مُحَمَّدٌ إِلَّا رَسُولٌ قَدْ خَلَتْ مِنْ قَبْلِهِ الرُّسُلُ أَفَإِنْ مَاتَ أَوْ قُتِلَ انْقَلَبْتُمْ عَلَىٰ أَعْقَابِكُمْ وَمَنْ يَنْقَلِبْ عَلَىٰ عَقْبَيْهِ فَلَنْ يَضُرَّ اللَّهَ شَيْئًا وَسَيَجْزِي اللَّهُ الشَّاكِرِينَ (١٤٤))

قوله تعالى: (وما محمد إلا رسول) - الآية.

224. أخرج ابن المنذر عن عمر قال: «تفرقتنا عن رسول الله ﷺ يوم أحد فصعدت الجبل فسمعت يهود تقول: قتل محمد فقلت: لا أسمع أحداً يقول قتل محمد إلا ضربت عنقه، فنظرت فإذا رسول الله ﷺ والناس يتراجعون، فنزلت: (وما محمد إلا رسول) الآية⁽⁶²⁹⁾».

225. وأخرج ابن أبي حاتم عن الربيع قال: «لما أصابهم يوم أحد ما أصابهم من القرع وتداعوا نبي الله قالوا: قد قتل، فقال أناس: لو كن نبياً ما قتل، وقال أناس: قاتلوا على ما قاتل عليه نبيكم حتى يفتح الله عليكم أو تلحقوا به، فأنزل الله: (وما محمد إلا رسول) الآية⁽⁶³⁰⁾».

226. وأخرج البيهقي في الدلائل عن ابن أبي نجیح: «أن رجلاً من المهاجرين مر على رجل من الأنصار وهو يتشطح في دمه، فقال: أشعرت أن محمداً قد قتل، فقال: إن كان محمد قد قتل فقد بلغ فقاتلوا عن دينكم فنزلت⁽⁶³¹⁾».

227. وأخرج ابن راهوية في مسنده عن الزهري: «أن الشيطان صاح يوم أحد أن محمداً قد قتل، قال كعب بن مالك: وأنا أول من عرف رسول الله ﷺ رأيته عينيه من تحت المغفر، فناديت بأعلى صوتي هذا

(625) تفسير ابن أبي حاتم 3/776 وروى ابن جرير 4/109 عن مجاهد وقتادة والربيع والحسن والسدي معنى ما رواه ابن أبي حاتم عن ابن عباس بأسانيد ينظر في بعضها ولكنها مرسله

(626) مسند أبي يعلى - محقق (2/148).

(627) شرح مشكل الآثار (1/261)

(628) الوجيز للواحد (104)

(629) لم أقف على إسناده

(630) تفسير ابن أبي حاتم 3/778 مرسل ضعيف الإسناد ورواه ابن جرير 4/111 بإسناد صحيح عن قتادة نحوه لكنه مرسل

(631) تفسير ابن جرير 4/111 وفي إسناده المثني بن الصباح وأبو جعفر الرازي

[تعليق]

ذكر المؤلف رحمه الله أربعة أثار، وهي شواهد بعضها لبعض في قصة غزوة بدر وإشاعة الشيطان أن محمد ﷺ قد قتل في هذا اليوم، فأنزل الله تعالى هذه الآية مبينة أن قتل محمد ﷺ أو موته جائز محتمل كما قال تعالى (وَمَا جَعَلْنَا لِنَشْرِ مِنْ قَبْلِكَ الْخُلْدَ أَفَإِنْ مِتَّ فَهُمْ الْخَالِدُونَ (34) كُلُّ نَفْسٍ ذَائِقَةُ الْمَوْتِ وَنُبَلِّغُكُمْ بِالشَّرِّ وَالْخَيْرِ فِتْنَةً وَإِلَيْنَا تُرْجَعُونَ (35) سورة الأنبياء لكن الذي لا يجوز أن تنقلوا على أعقابكم وترجعوا عن دينكم بسبب وفاة نبيكم.

وقد أخرج الطبري رحمه الله عن السدي قال: «لما برز رسول الله ﷺ يوم أحد إليهم - يعني: إلى المشركين - أمر الرماة فقاموا بأصل الجبل في وجوه خيل المشركين وقال: "لا تيرحوا مكانكم إن رأيتمونا قد هزمناهم، فإننا لن نزال غالبين ما ثبتتم مكانكم». وأمر عليهم عبد الله بن جبير، أبا خوات بن جبير. ثم شد الزبير بن العوام والمقداد بن الأسود على المشركين فهزماهم، وحمل النبي ﷺ وأصحابه فهزموا أبا سفيان. فلما رأى ذلك خالد بن الوليد، وهو على خيل المشركين، كرز فرمته الرماة فانقمع. فلما نظر الرماة إلى رسول الله ﷺ وأصحابه في جوف عسكر المشركين ينتهبونه، بادروا الغنيمة، فقال بعضهم: "لا نترك أمر رسول الله ﷺ! فانطلق عامتهم فلقوا بالعسكر. فلما رأى خالد قلة الرماة، صاح في خيله ثم حمل، فقتل الرماة وحمل على أصحاب النبي ﷺ. فلما رأى المشركون أن خيلهم تقاتل، تنادوا، فشدوا على المسلمين فهزموهم وقتلوهم. فأتى ابن قميئة الحارثي - أحد بني الحارث بن عبد مناف بن كنانة فرمى رسول الله ﷺ بحجر فكسر أنفه ورباعيته، وشجّه في وجهه فأثقله، وتفرق عنه أصحابه، ودخل بعضهم المدينة، وانطلق بعضهم فوق الجبل إلى الصخرة فقاموا عليها. وجعل رسول الله ﷺ يدعو الناس: "إني عباد الله! إلى عباد الله!"، فاجتمع إليه ثلاثون رجلاً فجعلوا يسيرون بين يديه، فلم يقف أحدٌ إلا طلحة وسهل بن حنيف. فحماه طلحة، فرمى بسهم في يده فبيست يده. وأقبل أبي بن خلف الجمحي - وقد حلف ليقتل النبي ﷺ، فقال النبي ﷺ: بل أنا أقتله - فقال: يا كذاب، أين تفر؟ فحمل عليه، فطعنه النبي ﷺ في جيب الدرع، فجرح جرحاً خفيفاً، فوقع يخور خوار الثور. فاحتملوه وقالوا: ليس بك جراحة!، [فما يجزعك؟] قال: أليس قال: "لاقتلنك"؟ لو كانت لجميع ربيعة ومضر لقتلنهم! ولم يلبث إلا يوماً وبعض يوم حتى مات من ذلك الجرح. وفشا في الناس أن رسول الله ﷺ قد قتل، فقال بعض أصحاب الصخرة: "البيت لنا رسولا إلى عبد الله بن أبي، فيأخذ لنا أمانة من أبي سفيان!! يا قوم، إن محمداً قد قتل، فارجعوا إلى قومكم قبل أن يأتوكم فيقتلوكم". قال أنس بن النضر: "يا قوم، إن كان محمد قد قتل، فإن رب محمد لم يقتل، فقاتلوا على ما قاتل عليه محمد ﷺ، اللهم إني أعتذر إليك مما يقول هؤلاء، وأبرأ إليك مما جاء به هؤلاء!" ثم شد بسيفه فقاتل حتى قتل. وانطلق رسول الله ﷺ يدعو الناس، حتى انتهى إلى أصحاب الصخرة. فلما رآه، وضع رجل سهماً في قوسه فأراد أن يرميه، فقال: "أنا رسول الله!" ففرحوا حين وجدوا رسول الله ﷺ حياً، وفرح رسول الله ﷺ حين رأى أن أصحابه من يمتنع به. فلما اجتمعوا وفيهم رسول الله ﷺ، ذهب عنهم الحزن، فأقبلوا يذكرون الفتح وما فاتهم منه، ويذكرون أصحابهم الذين قتلوا. فقال الله عز وجل للذين قالوا: إن محمداً قد قتل، فارجعوا إلى قومكم (وما محمد إلا رسول قد خلت من قبله الرسل أفان مات أو قتل انقلبتم على أعقابكم ومن ينقلب على عقبيه فلن يضر الله شيئاً وسيجزى الله الشاكرين) (633)».

[تفسير مختصر للآية]

(وما محمد إلا رسول قد خلت من قبله الرسل) أي: يموت كما ماتت الرسل قبله (أفان مات أو قتل انقلبتم على أعقابكم) ارتددتم كفاراً بعد إيمانكم، وذلك لما نعي رسول الله ﷺ يوم أحد وأشيع أنه قد قتل قال ناس من أهل النفاق للمؤمنين: إن كان محمد قد قتل فالحقوا بدينكم الأول، فأنزل الله تعالى هذه الآية. (ومن ينقلب على عقبيه فلن يضر الله شيئاً) أي: فإنما يضر نفسه باستحقاق العذاب) وسيجزى الله) بما يستحقون من الثواب (الشاكرين) الطائعين لله من المهاجرين والأنصار (634).

(ثُمَّ أَنْزَلَ عَلَيْكُمْ مِنْ بَعْدِ الْغَمِّ أَمْنَةً نُعَاسًا يَعْنِي طَائِفَةً مِنْكُمْ وَطَائِفَةٌ قَدْ أَهَمَّتْهُمْ أَنْفُسُهُمْ يَظُنُّونَ بِاللَّهِ غَيْرَ الْحَقِّ ظَنَّ الْجَاهِلِيَّةِ يَقُولُونَ هَلْ لَنَا مِنَ الْأَمْرِ مِنْ شَيْءٍ قُلْ إِنْ الْأَمْرُ كُلُّهُ لِلَّهِ يَخْفُونَ فِي أَنْفُسِهِمْ مَا لَا يَبْدُونَ لَكَ يَقُولُونَ لَوْ كَانِ لَنَا مِنَ الْأَمْرِ شَيْءٌ مَا قُتِلْنَا هَهُنَا قُلْ لَوْ كُنْتُمْ فِي بُيُوتِكُمْ لَبَرَزَ الَّذِينَ كُتِبَ عَلَيْهِمُ الْقَتْلُ إِلَى مَضَاجِعِهِمْ وَلِيَبْتَلِيَ اللَّهُ مَا فِي صُدُورِكُمْ وَلِيُمَحَّصَ مَا فِي قُلُوبِكُمْ وَاللَّهُ عَلِيمٌ بِذَاتِ الصُّدُورِ (١٥٤)

قوله تعالى: (ثم أنزل عليكم) - الآيات.

228. أخرج ابن راهوية عن الزبير قال: «لقد رأيتني يوم أحد حين اشتد علينا الخوف وأرسل علينا النوم، فما منا أحد إلا ذقته في صدره، فوالله إني لأسمع كالحلم قول معتب بن بشير (635) (لو كان لنا من الأمر شيء ما قتلنا هاهنا)، فحفظتها فأنزل الله في ذلك: (ثم أنزل عليكم من بعد الغم أمانة نعاساً) إلى قوله (والله عليم بذات الصدور) (636)».

(632) ابن سعد في الطبقات 2/46 عن محمد بن حميد وهو ضعيف ولم أجده في الكتب المسندة في مسند إسحاق.

(633) جامع البيان (تفسير الطبري) (7/254) وما بعدها

(634) الوجيز للواحد (104)

(635) هذا خطأ والصحيح معتب بن بشير وله ذكر في كتب المغازي وهو من المنافقين قال الواقدي أربعة من المنافقين - فذكره منهم المغازي للواقدي 207 (1039)

(636) تفسير ابن جرير 4/142 وفي إسناده محمد بن حميد وليس فيه التصريح بذكر سبب النزول والضياع في المختارة 3/60 ح (864) وإسناده حسن وليس فيه سبب النزول وأخرجه أبو يعلى في مسنده 3/15 ح (1423) بسند صحيح ولكن قال في آخره وتلا ثم أنزل عليكم من بعد الغم أمانة نعاساً يعنى طائفة منكم

ذكر المؤلف رحمه الله أثراً واحداً في سبب نزول هذه الآية، وهو أثر صحيح دون ذكر سبب النزول. لكن معنى الآية واضح وسياقه في غزوة أحد وهو منة الله على المؤمنين بأن ألقى عليهم النوم في هذه الغزوة. وفي صحيح البخاري عن أبي طلحة رضي الله عنهما قال: «كنت فيمن تغشاه النعاس يوم أحد حتى سقط سيفي من يدي مرارا يسقط وأخذه ويسقط فأخذه»⁽⁶³⁷⁾.

[تفسير مختصر للآية]

(تَمَّ أَنْزَلَ عَلَيْكُمْ مِنْ بَعْدِ الْغَمِّ أُمَّةً نَعَاسًا) وذلك أَنَّهُمْ خَافُوا كَرَّةَ الْمُشْرِكِينَ عَلَيْهِمْ، وَكَانُوا تَحْتَ الْحَجَفِ مُتَاهِبِينَ لِلْقِتَالِ، فَأَمَّنَهُمُ اللَّهُ تَعَالَى أَمْنًا يَنَامُونَ مَعَهُ، وَكَانَ ذَلِكَ خَاصًّا لِلْمُؤْمِنِينَ، وَهُوَ قَوْلُهُ: (يَغْشَى طَائِفَةٌ مِنْكُمْ وَطَائِفَةٌ قَدْ أَهَمَّتْهُمْ) وَهِيَ الْمَنَافِقُونَ. كَانَ هَمُّهُمْ خَلَاصَ أَنْفُسِهِمْ (يَظُنُّونَ بِإِلَهِهِمْ غَيْرَ الْحَقِّ) أَيُّ: يَظُنُّونَ أَنَّ أَمْرَ مُحَمَّدٍ عَلَيْهِ السَّلَامُ مُضْحَمٌ، وَأَنَّهُ لَا يَنْصُرُ (ظَنَّ الْجَاهِلِيَّةِ) أَيُّ: كَظَنُّ أَهْلِ الْجَاهِلِيَّةِ، وَهِيَ الْكُفَّارُ (يَقُولُونَ: هَلْ لَنَا مِنَ الْأَمْرِ مِنْ شَيْءٍ) لَيْسَ لَنَا مِنَ النَّصْرِ وَالظَّفَرِ شَيْءٌ كَمَا وَعَدْنَا. يَقُولُونَ ذَلِكَ عَلَى جِهَةِ التَّكْذِيبِ. فَقَالَ اللَّهُ تَعَالَى: (إِنَّ الْأَمْرَ كُلَّهُ لِلَّهِ) أَيُّ: النَّصْرُ وَالشَّهَادَةُ، وَالْقَدْرُ وَالْقَضَاءُ (يَخْفُونَ فِي أَنْفُسِهِمْ مِنَ الشُّكِّ وَالنَّفَاقِ) مَا لَا يُبْدُونَ لَكَ يَقُولُونَ لَوْ كَانَ لَنَا مِنَ الْأَمْرِ شَيْءٌ (أَيُّ: لَوْ كَانَ الْإِخْتِيَارُ لِنَا) مَا قَاتَلْنَا هَهُنَا) يَعْنُونَ: أَنَّهُمْ أَخْرَجُوا كُرْهًا، وَلَوْ كَانَ الْأَمْرُ بِيَدِهِمْ مَا خَرَجُوا، وَهَذَا تَكْذِيبٌ مِنْهُمْ بِالْقَدْرِ، فَرَدَّ اللَّهُ عَلَيْهِمْ بِقَوْلِهِ: (قُلْ لَوْ كُنْتُمْ فِي بَيِّنَاتٍ لَبَرَزَ الَّذِينَ كَتَبَ عَلَيْهِمُ الْقِتْلَةَ إِلَى مَضَاجِعِهِمْ) مَضَاجِعُهُمْ، وَلَمْ يَكُنْ لِيُنْجِبِهِمْ قَعُودُهُمْ (وَلِيَبْتَلِيَ اللَّهُ مَا فِي صُدُورِكُمْ) أَيُّهَا الْمَنَافِقُونَ، فَعَلَّ اللَّهُ مَا فَعَلَ يَوْمَ أُحُدٍ (وَلِيَمْحَصَ) لِيُظْهِرَ وَيُكْشِفَ (مَا فِي قُلُوبِكُمْ) أَيُّهَا الْمُؤْمِنُونَ مِنَ الرِّضَا بِقَضَاءِ اللَّهِ (وَاللَّهُ عَلِيمٌ بِذَاتِ الصُّدُورِ) بِضَمِّهَا (638).

(وَمَا كَانَ لِنَبِيِّ أَنْ يَعْلَلَّ مِمْبَرًا غَلَّ يَوْمَ الْقِيَامَةِ ثُمَّ تُوَفَّى كُلُّ نَفْسٍ مَّا كَسَبَتْ وَهُمْ لَا يُظْلَمُونَ (١٦١))

قوله تعالى: (وما كان لنبي أن يغلل) - الآية.

229. أخرج أبو داود والترمذي وحسنه عن ابن عباس قال: « نزلت هذه الآية في قطيفة حمراء فقدت يوم بدر فقال بعض الناس: لعل رسول الله ﷺ أخذها: فأنزل الله: (وما كان لنبي أن يغلل) إلى آخر الآية⁽⁶³⁹⁾ ».

230. وأخرج الطبراني في الكبير بسند رجاله ثقات عن ابن عباس قال: « بعث النبي ﷺ جيشاً فردت رايته، ثم بعث فردت ثم بعث بغلول رأس غزال من ذهب، فنزلت: (وما كان لنبي أن يغلل)⁽⁶⁴⁰⁾ ».

[تعليق]

ذكر المؤلف رحمه الله أكثرين في سبب نزول هذه الآية. وفي سبب نزولها أقوال أخرى سأذكرها قريباً إن شاء الله، قبل ذكرها أذكر أولاً القراءات التي في قوله تعالى (يغلل) .
فقرأ ابن كثير، وعاصم، وأبو عمرو: بفتح الباء وضم الغين، ومعناها: يخون. وفي هذه الخيانة قولان. أحدهما: خيانة المال على قول الأكثرين.
والثاني: خيانة الوحي على قول القرظي، وابن اسحاق. وقرأ الباقر: بضم الباء وفتح الغين، ولها وجهان. أحدهما: أن يكون المعنى يُخَانُ، [ويجوز أن يكون: يلفى خائناً، يقال: أغللت فلاناً، أي: وجدته غالاً، كما يقال: أحمقته: وجدته أحمق، وأحمدته: وجدته محموداً]، قاله الحسن، وابن قتيبة.
والثاني: يُخَوِّنُ، قاله الفراء، وأجازة الزجاج، ورده ابن قتيبة، فقال: لو أراد: يخون، لقال: يغلل، كما يقال: يفسق، ويخون، ويفجر⁽⁶⁴¹⁾.
وذكرت أوجه القراءات في هذه الآية حتى يسهل على القارئ فهم الأسباب المتعددة لنزول هذه الآية فقد روى في سبب نزولها غير ما ذكره المؤلف خمسة أسباب.
فأخرج الثعلبي عن وروى جويبر بن الضحاك عنه: أن رسول الله ﷺ صلى الله عليه وسلم لما وقع في يده غنائم هوازن يوم حنين غلّه رجل بابترة، فأنزل الله تعالى هذه الآية⁽⁶⁴²⁾.

(637) صحيح البخاري - تح البغا (4/ 1493)

(638) الوجيز للواحد (107)

(639) تفسير ابن جرير 4/154 سنن أبي داود 4/31 ح (3971) سنن الترمذي 5/230 ح (3009) وقال حسن غريب مسند أبي يعلى 4/327 ح (2438) المعجم الكبير 11/364 ح (12028) قلت: إسناده هذا الأثر لا تقوم به الحجة ففيه خفيف بن عبد الرحمن، وغالب الأئمة على تضعيفه والحاصل أنه ممن يستشهد به، ولكن لم أجد من تابعه على هذه الرواية وقد ذكرها أبو أحمد بن عدي في كامله مما أنكره على خفيف، قال ابن حبان وهو [معروف بالتساهل في التوثيق] خفيف ممن أستخبر الله فيهم، فمن صحح الرواية من طريق خفيف فلا وجه له بذلك وإن حسنه الترمذي فتحسين الترمذي فيه تفاصيل عند أهل العلم، وقد ذكر أن بعض أصحاب خفيف وقفوه علي مقسم ولم يذر فيه ابن عباس

(640) أخرجه الضياء في المختارة 9/529 ح (512) والطبراني في الكبير 12/134 ح (12684) وإسناده صحيح غير أن حبيب بن أبي ثابت مدلس وقد عنعن عن ابن عباس، وقد ضعفه بالتدليس ابن خزيمة فيما ذكره الحافظ عنه في طبقات المدلسين قال: عن حبيب بن أبي ثابت الكوفي تابعي مشهور يكثر التدليس وصفه بذلك ابن خزيمة والدارقطني وغيرهما، ونقل أبو بكر بن عياش عن الأعمش عنه أنه كان يقول لو أن رجلاً حدثني عنك ما باليت إن رويته عنك يعني وأسقطته من الوسط انظر طبقات المدلسين 37

(641) زاد المسير في علم التفسير (1/ 444)

(642) الكشف والبيان عن تفسير القرآن (3/ 195)

قلت: وهذا السبب بعيد جداً. وذلك لأن الآية نزلت في قصة أحد باتفاق العلماء وقد ضعفه كثير الحافظ في كتابه في أسباب النزول. قال: وهذا من تخليط جويبر فإن هذه الآية نزلت في يوم أحد اتفاقاً (643).
قول آخر: وذكر البغوي في تفسيره قال: وقيل أن الأقوياء ألحوا عليه يسألونه عن المغنم، فأنزل الله عز وجل وما كان لِنَبِيِّ أَنْ يُغَلَّ فِيعَطِي قوماً ويمنع آخرين، بل عليه أن يقسم بالسوية ولا يحرم أحداً (644).
قلت: وليس لهذا الأثر إسناده يعتمد عليه فكل من ذكره إنما ذكره من غير إسناده.

قول آخر: أخرج الواحدي في أسباب النزول عن الضحاك، قال: بعث رَسُولُ اللَّهِ - ﷺ - طلّاع، فغنم النبي - ﷺ - غنيمةً، فقسّمها بين الناس، ولم يقسم للطلّاع شيئاً، فلما قدمت الطلائع قالوا: قسم الفيء ولم يقسم لنا، فنزلت (وَمَا كَانَ لِنَبِيِّ أَنْ يُغَلَّ) [آل عمران: 161] (645).

قول آخر: ذكره الإمام ابن الجوزي في تفسيره: أنها نزلت في أقوام غلو يوم بدر فنزلت. ذكره عن قتادة (646). قلت: وهذا كذلك بعيد لأن الآية نزلت في أحد وبدر كما هو معلوم متقدمة ويحتمل أن يكون تأخر نزولها عن سببها حتى حدث ما حدث من غزوة أحد فنزلت في الأمرين جميعاً والله تعالى أعلم.

قول آخر: وأخرج البغوي وغيره عن الكلبي ومقاتل: نزلت في غنائم أحد حين ترك الرماة المركز للغنيمة وقالوا: نخشى أن يقول النبي ﷺ من أخذ شيئاً فهو له وأن لا يقسم الغنائم كما لم يقسم يوم بدر، فتركوا المركز ووقعوا في الغنائم، فقال لهم النبي ﷺ: "لم أعهد إليكم أن لا تتركوا المركز حتى يأتيكم أمري!" قالوا: تركنا بقية إخواننا ووقفاً فقال النبي ﷺ: "بل ظننتم أنا نغل ولا نقسم لكم" فأنزل الله تعالى هذه الآية (647).

قول آخر: وأخرج الثعلبي قال: وقال محمد بن إسحاق بن يسار: هذا في الوحي يقول: (ما كان لِنَبِيِّ أَنْ يُغَلَّ) ويكتم شيئاً من وحي الله عز وجل رغبة أو رهبة أو مدهانة، وذلك أنهم كانوا يكرهون ما في القرآن من عيب دينهم وسب الهتهم، فسألوه أن يطوي ذلك، فأنزل الله عز وجل هذه الآية (648).

قلت: وهذا القول صحيح وداخل في عموم الآية، فالنبي ﷺ لم يكتم شيئاً من الوحي وهو المعبر عنه بغلول الوحي والله تعالى أعلم.

فهذه سبعة أقوال في سبب نزول هذه الآية.

ورجح ابن جرير قراءة من قرأ [يَغُلُّ] وهي قراءة الجمهور. قال أبو جعفر: فتأويل قراءة من قرأ ذلك كذلك: ما ينبغي لنبي أن يكون غالا - بمعنى أنه ليس من أفعال الأنبياء خيانة أممهم (649).

[تفسير مختصر للآية]

(وما كان لنبي أن يغل) أي ما صح ولا استقام شرعا ولا عقلا لنبي من الأنبياء ان يخون في الغنيمة، والنفي هنا نفي للشأن، وهو أبلغ من نفي الفعل، لأن المراد أنه لا يتأتى ولا يصح أن يتصور، فضلا عن أن يحصل ويقع.
(ومن يغلل يأت بما غل يوم القيامة) أي ومن يخن من غنائم المسلمين شيئاً يأت حاملا له على عنقه يوم القيامة، فضيحة له على رعوس الإشهاد.

(ثم توفي كل نفس ما كسبت) أي تعطي جزاء ما عملت وإفيا غير منقوص.

(وهم لا يظلمون) أي تتلأ جزاءها العادل، دون زيادة أو نقص، فلا يزداد في عقاب العاصي، ولا ينقص من ثواب المطيع (650).

(أَوْ لَمَّا أَصَبْتُمْ مُمْسِيَةً قَدْ أَصَبْتُمْ مَتَلِيهَا قُلْتُمْ أَيْ هَذَا قُلُّ هُوَ مِنْ عِنْدِ أَنْفُسِكُمْ إِنَّ اللَّهَ عَلَىٰ كُلِّ شَيْءٍ قَدِيرٌ ۝ ١٦٥)

قوله تعالى: (أو لما أصابتكم مصيبة) - الآية.

231. أخرج ابن أبي حاتم عن عمر بن الخطاب قال: « عوقبوا يوم أحد بما صنعوا يوم بدر من أخذهم

الفداء، فقتل منهم سبعون، وفر أصحاب النبي ﷺ وكسرت ربايعيته وهشمت البيضة على رأسه وسال

الدم على وجهه فأنزل الله: (أو لما أصابتكم مصيبة) - الآية (651). ».

[تعليق]

ذكر المؤلف رحمه الله هذا الأثر الوحيد في سبب نزول هذه الآية وهو أثر صحيح الإسناد وله شواهد فمنها.
ما رواه الإمام الثعلبي قال: وروى عبيدة السلماني عن علي قال: جاء جبرئيل (عليه السلام) إلى النبي صلى الله عليه وسلم فقال: يا محمد إن الله قد كره ما صنع قومك في أخذهم الفداء من الأسارى، وقد أمرك أن تخيرهم بين أن يقدموا فتضرب أعناقهم وبين أن يأخذوا الفداء على أن يقتل منهم عدتهم، فذكر رسول الله صلى الله عليه وسلم ذلك للناس فقالوا: يا رسول الله

(643) العجاف في بيان الأسباب (2/ 779)

(644) تفسير البغوي (2/ 126)

(645) أسباب النزول - تح الفحل (13/ 24)

(646) زاد المسير في علم التفسير (1/ 444)

(647) تفسير البغوي (2/ 126)

(648) الكشف والبيان عن تفسير القرآن (3/ 196)

(649) جامع البيان (تفسير الطبري) (7/ 352)

(650) صفوة التفسير - للصابوني (1/ 154)

(651) أخرجه أحمد في المسند بسياق طويل (1/ 30 ح 208) وكذلك أخرجه مسلم (3/ 1383 ح 1763) سنن الترمذي (5/ 269 ح 3081) صحيح ابن حبان (11/ 114 ح 4793) منتخب عبد بن حميد (41 ح 31)

عشائرننا وإخواننا، لا بل نأخذ فداءهم فننتقوى بها على قتال عدونا، ممّا عدتهم فليس في ذلك ما نكره، قال: فقتل منهم يوم أحد سبعون رجلاً عدد أسارى يوم بدر⁽⁶⁵²⁾.

وقد ذكر الحافظ ابن حجر أثراً أخرجه الإمام ابن جرير وجعله سبباً آخر لنزول الآية والظاهر أنه شاهد للسبب الأول. قال ابن جرير رحمه الله: جامع البيان عن قتادة، قوله: "أو لما أصابتكم مصيبة قد أصبتم مثلها قلتم أنى هذا" أصيبوا يوم أحد، قُتل منهم سبعون يومئذ، وأصابوا مثلها يوم بدر، قتلوا من المشركين سبعين وأسروا سبعين "قلتم أنى هذا قل هو من عند أنفسكم"، ذكر لنا أن نبي الله ﷺ قال لأصحابه يوم أحد، حين قدم أبو سفيان والمشركون، فقال نبي الله ﷺ لأصحابه: "أنا في جنة حصينة"، يعني بذلك المدينة، "فدعوا القوم أن يدخلوا علينا نقاتلهم" فقال له ناس من أصحابه من الأنصار: يا نبي الله، إنا نكره أن نقتل في طرق المدينة، وقد كنا نمتنع من الغزو في الجاهلية، فبالإسلام أحق أن نمتنع منه! فابرز بنا إلى القوم. فانطلق رسول الله ﷺ جامع البيان فليس لأمته، فتلاوم القوم فقالوا: عرّض نبي الله ﷺ بأمر وعرّضتم بغيره! اذهب يا حمزة فقل لنبي الله ﷺ: "أمرنا لأمرك تبع". فأتى حمزة فقال له: يا نبي الله، إن القوم قد تلاوموا وقالوا: "أمرنا لأمرك تبع". فقال رسول الله ﷺ: إنه ليس لنبي إذا لبس لأمته أن يضعها حتى ينجز، وإنه ستكون فيكم مصيبه. قالوا: يا نبي الله، خاصة أو عامة؟ قال: سترونها ذكر لنا أن نبي الله ﷺ رأى في المنام أن بقراً تُنحر، فتأولها قتلاً في أصحابه ورأى أن سيفه ذا الفقار انقصم، فكان قتل عمه حمزة، قتل يومئذ، وكان يقال له: أسد للهورى أن كبشاً عُتر، فتأوله كبش الكتبية، عثمان بن أبي طلحة، أصيب يومئذ، وكان معه لواء المشركين⁽⁶⁵³⁾. قلت: وليس هناك خلاف بين الأثرين في المعنى فمطلع هذا الأثر شاهد لأثر عمر.

[تفسير مختصر للآية]

(أو لما أصابتكم مصيبة) أى أو حين أصابتكم أيها المؤمنون كارثة يوم أحد، فقتل منكم سبعون. (قد أصبتم مثلها) أى في بدر حيث قتلتم سبعين، وأسرتهم سبعين. (قلتم أنى هذا) أى من أين هذا البلاء، ومن أين جاءتنا الهزيمة، وقد وعدنا بالنصر؟ وموضع التقرير قولهم [أنى هذا]؟ مع أنهم سبب النكسة والهزيمة. (قل هو من عند أنفسكم) أى قل لهم يا محمد: إن سبب المصيبة منكم أنتم، بمعصيتكم أمر الرسول، وحرصكم على الغنيمة. (إن الله على كل شيء قدير) أى يفعل ما يشاء لا معقب لحكمه ولا راد لقضائه⁽⁶⁵⁴⁾.

(وَلَا تَحْسَبَنَّ الَّذِينَ قُتِلُوا فِي سَبِيلِ اللَّهِ أَمْوَاتًا بَلْ أَحْيَاءٌ عِنْدَ رَبِّهِمْ يُرْزَقُونَ ١٦٩ فَرِحِينَ بِمَا آتَاهُمُ اللَّهُ مِنْ فَضْلِهِ وَيَسْتَبْشِرُونَ بِالَّذِينَ لَمْ يَلْحَقُوا بِهِمْ مِنْ خَلْفِهِمْ أَلَّا خَوْفٌ عَلَيْهِمْ وَلَا هُمْ يَحْزَنُونَ ١٧٠)

قوله تعالى: (ولا تحسبن) - الآية.

232. روى أحمد وأبو داود والحاكم عن ابن عباس قال: قال رسول الله ﷺ: « لما أصيب إخوانكم بأحد جعل الله أرواحهم في أجواف طير خضر ترد أنهار الجنة وتأكل من ثمارها وتأوي إلى قناديل من ذهب في ظل العرش، فلما وجدوا طيب مأكلهم ومشربهم وحسن مقيلهم قالوا: يا ليت إخواننا يعلمون ما صنع الله لنا لنلا يزهدوا في الجهاد ولا ينكلوا عن الحرب، فقال: الله أنا أبلغهم عنكم، فأنزل الله هذه الآية: (ولا تحسبن الذين قتلوا) - الآية وما بعدها⁽⁶⁵⁵⁾ ». 233. وروى الترمذي عن جابر نحوه⁽⁶⁵⁶⁾.

[تعليق]

أخرج المؤلف رحمه الله أثريين في سبب نزول هذه الآية، أما الأول فذكره بطوله، وأما الثاني فعزاه للترمذي، وقال نحوه

⁽⁶⁵²⁾ الكشف والبيان عن تفسير القرآن (3/ 199)

⁽⁶⁵³⁾ تفسير الطبري (7/ 372) وما بعدها

⁽⁶⁵⁴⁾ صفوة التفاسير - للصابوني (1/ 155)

⁽⁶⁵⁵⁾ تفسير الطبري 4/171 سنن أبي داود 3/15 ح (2520) مسند أحمد 1/265 ح (2388) المستدرک على الصحيحين 2/97 ح (2444) سنن البيهقي الكبرى 9/163 ح (18301) مسند أبي يعلى 4/219 ح (2331) الضياء في المختارة 10/349 مصنف ابن أبي شيبة 4/204 ح (19332) مسند عبد بن حميد 1/227 ح (679) الجهاد لابن أبي عاصم 1/215 ح (52) المؤلف: أحمد بن عمرو بن أبي عاصم الضحاک أبو بكر الناشر: مكتبة العلوم والحكم - المدينة المنورة الطبعة الأولى، 1409 تحقيق: مساعد بن سليمان الراشد الجميد عدد الأجزاء: 2 الجهاد لابن المبارك 1/60 ح (62) المؤلف: أبو عبد الرحمن عبد الله بن المبارك بن واضح الحنظلي، التركي ثم المرزوي (المتوفى: 181هـ) الناشر: الدار التونسية - تونس عدد الأجزاء: 1 قال الحاكم: على شرط مسلم قلت: وفي سننه ابن إسحاق وتصريحه بالتحديث عند أحمد في المسند، لكن قال: حدثني إسماعيل بن أمية بن عمرو بن سعيد عن أبي الزبير المكي عن ابن عباس به وبأبي الرويات ليس فيها التصريح، يزيد أن ابن إسحاق قال في هذه الروايات عن إسماعيل بن أمية عن أبي الزبير عن سعيد بن جبير عن ابن عباس، وقد حكى العلاني عن سفيان أن رواية أبي الزبير عن ابن عباس مرسله، وعلق فقال: إن روايته عن ابن عباس وابن عمر وعائشة في صحيح مسلم قلت: وإن كان كذلك فأبي الزبير مدلس ضعف من أجل تدليس قال: ابن حجر في طبقات المدلسين ضعفه النسائي وغيره بالتدليس قلت: فلا يقبل منه إلا ما صرح فيه بالتحديث، وروى ابن المبارك في الجهاد قال عن أبي الزبير وغيره عن ابن عباس، ولم أقف على غير أبي الزبير، فالظاهر والله أعلم في هذه الرواية الضعف لما ذكرت وبالله التوفيق

⁽⁶⁵⁶⁾ سنن الترمذي 5/230 ح (3010) قال: حدثنا يحيى بن حبيب بن عربي حدثنا موسى بن إبراهيم بن كثير الأنصاري قال سمعت طلحة بن خراش قال سمعت جابر بن عبد الله يقول: «لقيني رسول الله ﷺ فقال لي: يا جابر ما لي أراك منكسراً؟ قلت: يا رسول الله استشهد أبي قتل يوم أحد وترك عيالا ودينا قال: أفلا أبشرك بما لقي الله به أباك، قال: قلت بلى يا رسول الله قال: ما كلم الله أحداً قط إلا من وراء حجاب وأحيا أباك فكلمه كفاحا، فقال يا عبدي تمن علي أعطك قال: يا رب تحببني فأقتل فيك ثانية، قال الرب عز وجل: إنه قد سبق مني أنهم إليها لا يرجعون، قال وأنزلت هذه الآية: (ولا تحسبن الذين قتلوا في سبيل الله أمواتاً) - الآية» قال أبو عيسى: هذا حديث حسن غريب من هذا الوجه، وقد روى عبد الله بن محمد بن عقيل عن جابر شيئاً من هذا ولا نعرفه إلا من حديث موسى بن إبراهيم، ورواه علي بن عبد الله بن المدني وغير واحد من كبار أهل الحديث هكذا عن موسى بن إبراهيم

قلت: موسى ابن إبراهيم قال الحافظ عنه مقبول فيحتاج إلى متابع، وقد صرح الترمذي أن الحديث معروف من طريق موسى بن إبراهيم.

وهو ليس كذلك فالسياق مختلف.

قال الإمام الترمذي عن جابر بن عبد الله يقول: لقيني رسول الله صلى الله عليه وسلم فقال لي يا جابر ما لي أراك منكسراً؟ قلت يا رسول الله استشهد أبي قتل يوم أحد وترك عيالا ودينا قال أفلا أبشرك بما لقي الله به أباك؟ قال قلت بلى يا رسول الله قال ما كلم الله أحدا قط إلا من وراء حجاب وأحيا أباك فكلمه كفاحا فقال يا عبيد تمن علي أعطك قال يا رب تحييني فأقتل فيك ثانية قال الرب عز وجل إنه قد سبق مني أنهم إليها لا يرجعون قال: وأنزلت هذه الآية (ولا تحسبن الذين قتلوا في سبيل الله أمواتا) الآية (657).

قلت: السببان متغايران. فالأول نزل بسبب أن الشهداء سألوا الله تعالى أن يبلغ إخوانهم عن حالتهم وما هم فيه من الكرامة. والثاني نزلت في عبد الله بن حرام والد جابر بن عبد الله وليس فيها أنه سأل الله أن يبلغ إخوانه من الأحياء عما هو فيه فتغاير السببان. وهذا الأثر قال فيه الإمام الترمذي حسن غريب.

وقد أخرج الإمام الترمذي عن ابن مسعود أثراً نحو الأثر الذي أخرجه المؤلف فلهذا وقع خطأ ذكر جابر وكان يقصد أثر ابن مسعود، وهذا جائز على مثل الإمام السيوطي رحمه الله فإنه من المكثرين وهذا شأن المكثّر قد يقع في الخطأ من حيث لا يدري. قال الإمام الترمذي: عن ابن مسعود: أنه سئل عن قوله (ولا تحسبن الذين قتلوا في سبيل الله أمواتاً بل أحياء عند ربهم يرزقون) فقال أما إنا قد سألنا عن ذلك فأخبرنا أن أرواحهم في طير خضر تسرح في الجنة حيث شاءت وتأوي إلى قناديل معلقة بالعرش فاطلع إليهم ربك أطلاعة فقال هل تستزيدون شيئاً فأزيدكم؟ قالوا ربنا وما نستزيد ونحن في الجنة نسرح حيث شئنا؟ ثم أطلع إليهم ثانية فقال هل تستزيدون شيئاً فأزيدكم فلما رأوا أنهم لم يتركوا قالوا تعيد أرواحنا في أجسادنا حتى نرجع إلى الدنيا فنقتل في سبيلك مرة أخرى (658).

قلت: وقد ذكر في الآية أسباب أخرى. فأخرج الإمام الطبري رحمه الله عن قتادة: ذكر لنا أن رجلاً من أصحاب رسول الله ﷺ قالوا: يا ليتنا نعلم ما فعل إخواننا الذين قتلوا يوم أحد! فأنزل الله تبارك وتعالى في ذلك القرآن: "ولا تحسبن الذين قتلوا في سبيل الله أمواتاً بل أحياء عند ربهم يرزقون" كنا نحدث أن أرواح الشهداء تعارف في طير بيض تأكل من ثمار الجنة، وأن مساكنهم السدرة (659).

سبب آخر: روى الإمام ابن الجوزي وعزاه لابن إسحاق قال: روى محمد بن إسحاق عن أشياخ له، أن النبي ﷺ بعث المنذر بن عمرو في سبعين رجلاً من خيار المسلمين إلى أهل نجد، فلما نزلوا بئر معونة، خرج حرام بن ملحان إلى عامر بن الطفيل بكتاب رسول الله ﷺ، فلم ينظر فيه عامر، وخرج رجل من كسر البيت برمح، فضرب به في جنب حرام حتى خرج من الشق الآخر، فقال: الله أكبر، فزرت ورب الكعبة، وقتل سائر أصحابه غير واحد منهم، قال أنس بن مالك: فأنزل الله تعالى فيهم: «بلغوا قومنا عنا أنا قد لقينا ربنا، فرضي عنا ورضينا عنه» ثم رفعت، فنزلت هذه الآية: (ولا تحسبن الذين قتلوا في سبيل الله أمواتاً) (660). سبب آخر، قال الإمام الثعلبي: قال بعضهم: نزلت هذه الآية في شهداء بدر، وكانوا أربعة عشر رجلاً، ثمانية من الأنصار وستة من المهاجرين (661).

فتحصل لنا مما تقدم خمسة أسباب لنزول هذه الآية.

الأول: أنها نزلت في شهداء أحد عندما سألوا ربهم أن يطلع إخوانهم على ما هو فيه من الكرامة.

الثاني: أنها نزلت في أصحاب النبي ﷺ عندما سألوا عن إخوانهم من الشهداء.

الثالث: أنها نزلت في شهداء بدر.

الرابع: أنها نزلت في شهداء بئر معونة.

الخامس: أنها نزلت في عبد الله بن حرام والد جابر بن عبد الله.

وأقوى الأقوال في هذا أنها نزلت في شهداء أحد سواء في ذلك هم سألوا الله تعالى أن يبلغ أخوانهم أم إخوانهم سألوا عن حالهم ويدخل فيهم كذلك عبد الله بن حرام وذلك لصحة أسانيد هذه الآثار والله تعالى أعلم.

[تفسير مختصر للآية]

(ولا تحسبن الذين قتلوا في سبيل الله) يعني: شهداء أحد (أمواتاً بل أحياء) بل هم أحياء (عند ربهم) في دار كرامته؛ لأن أرواحهم في أجواف طير خضر. (يرزقون) يأكلون.

(فرحين) مسرورين (بما آتاهم الله من فضله ويستبشرون بالذين لم يلحقوا بهم من خلفهم) ويفرحون بإخوانهم الذين فارقوهم يرجون لهم الشهادة، فينالون مثل ما نالوا (الأ خوف عليهم) أي: بأن لا خوف عليهم. يعني: على إخوانهم المؤمنين إذا لحقوا بهم (662).

(الَّذِينَ اسْتَجَابُوا لِلَّهِ وَالرَّسُولِ مِنْ بَعْدِ مَا أَصَابَهُمُ الْقَرْحُ لِلَّذِينَ أَحْسَنُوا مِنْهُمْ وَاتَّقُوا أَجْرٌ عَظِيمٌ (١٧٢)

قوله تعالى: (الذين استجابوا) - الآية.

234. أخرج ابن جرير من طريق العوفي عن ابن عباس قال: « إن الله قذف الرعب في قلب أبي سفيان

يوم أحد بعد الذي كان منه فرجع إلى مكة، فقال النبي ﷺ: « إن أبا سفيان قد أصاب منكم طرفاً وقد رجع

وقذف الله في قلبه الرعب»، وكانت وقعة أحد في شوال وكان التجار يقدمون المدينة في ذي القعدة

فينزلون ببدر الصغرى، وإنهم قدموا بعد وقعة أحد وكان أصاب المؤمنين القرحة واشتكاوا ذلك، فنذب

(657) سنن الترمذي (230/5)

(658) سنن الترمذي (231/5)

(659) جامع البيان (تفسير الطبري) (7/390)

(660) زاد المسير في علم التفسير (1/452)

(661) الكشف والبيان عن تفسير القرآن (3/200)

(662) الوجيز للواحد (110)

النبي □ الناس لينطلقوا معه، فجاء الشيطان فخوف أوليائه فقال: إن الناس قد جمعوا لكم، فأبى عليه الناس أن يتبعوه، فقال: «إني ذاهب وإن لم يتبعني أحد»، فانتدب معه أبو بكر وعمر وعثمان وعلي والزبير وسعد وطلحة وعبد الرحمن بن عوف وعبد الله بن مسعود وحذيفة بن اليمان وأبو عبيدة بن الجراح في سبعين رجلاً، فساروا في طلب أبي سفيان، فطلبوه حتى بلغوا الصفراء فأنزل الله: (الذين استجابوا لله والرسول) الآية⁽⁶⁶³⁾ .

235. [ك] وأخرج الطبراني بسند صحيح عن ابن عباس قال: «لما رجع المشركون من أحد قالوا: لا محمداً قتلتم ولا الكواعب أردفتهم بنس ما صنعتهم أرجعوا، فسمع رسول الله فندب المسلمين فانتدبوا حتى بلغ حمراء الأسد أو بئر أبي عتيبة فأنزل الله: (الذين استجابوا لله والرسول) الآية، وقد كان أبو سفيان قال للنبي □: موعدكم موسم بدر حيث قتلتم أصحابنا، فأما الجبان فرجع، وأما الشجاع فأخذ أهبة القتال والتجارة، فأتوه فلم يجدوا به أحداً وتسوقوا، فأنزل الله: (فانقلبوا بنعمة من الله) الآية⁽⁶⁶⁴⁾ .»

236. وأخرج ابن مردويه عن أبي رافع: «أن النبي □ وجه علياً في نفر معه في طلب أبي سفيان، فلقيهم أعرابي من خزاعة، فقال: إن القوم قد جمعوا لكم قالوا: حسبنا الله ونعم الوكيل، فنزلت فيهم هذه الآية⁽⁶⁶⁵⁾ .»

[تعليق]

أخرج المؤلف في سبب نزول هذه الآية ثلاثة آثار، أما الأول والثاني فمتعلقان بقوله تعالى (الذين استجابوا لله والرسول من بعد ما أصابهم القرع)، والثالث متعلق بقوله تعالى (الذين قال لهم الناس إن الناس قد جمعوا لكم فاخشوهم فزادهم إيماناً وقالوا حسبنا الله ونعم الوكيل) .

فأما الأثران الأولان فحاصلهما أن النبي □ دعا أصحابه للرجوع إلى القتال مع المشركين بعد ما وقع في غزوة أحد، فدعا النبي □ أصحابه للقتال فرجعوا معه، فأنتى الله عليه بالاستجابته له.

وفي صحيح البخاري عن هشام عن أبيه عن عائشة رضي الله عنها: (الذين استجابوا لله والرسول من بعد ما أصابهم القرع للذين أحسنو منهم واتقوا أجر عظيم) قالت لعروة يا ابن أختي كان أبوك منهم الزبير وأبو بكر لما أصاب رسول الله صلى الله عليه وسلم ما أصاب يوم أحد وانصرف عنه المشركون خاف أن يرجعوا قال (من يذهب في إثرهم) فانتدب منهم سبعون رجلاً قال كان فيهم أبو بكر والزبير⁽⁶⁶⁶⁾ .

وقد جعل الإمام ابن جوزي لهذه الآية سببين فجعل الأثر الأول سبب، والثاني سبب آخر، قلت: القصة ذكرها ابن إسحاق في سياق واحد فيكون نزول الآية بسبب نذب النبي □ أصحابه، وكذلك بسبب قول أبي سفيان "موعدكم بدر" والله تعالى أعلم

وقد اختلف كذلك في قوله تعالى (الذين قال لهم الناس إن الناس - الآية) فاختلف في هؤلاء الناس من هم على أقوال منها: أنه نعيم بن مسعود ذكره الثعلبي وغيره. قال الثعلبي: وقوله (الَّذِينَ قَالَ لَهُمُ النَّاسُ) يعني نعيم بن مسعود الأشجعي (إِنَّ النَّاسَ قَدْ جَمَعُوا لَكُمْ) يعني أبو سفيان⁽⁶⁶⁷⁾ . قلت: وهذا من باب العام الذي أريد به الخصوص، وهي مسألة من مسائل أصول الفقه، فالناس عام لكن أريد به الخصوص وهو نعيم بن مسعود. ومنها: أنهم ركب لقيهم أبو سفيان وهم عبد القيس.

ذكر ذلك الإمام الطبري رحمه الله قال: «فتتّى ذلك أبو سفيان ومن معه. ومرّ به ركب من عبد القيس. فقال: أين تريدون؟ قالوا: نريد المدينة. قال: ولم؟ قالوا: نريد الميرة. قال: فهل جامع البيان أنتم مبلغون عني محمداً رسالة أرسلكم بها، وأحمل لكم إبلكم هذه غداً زبيياً بعكاظ إذا وافيتموها؟ قالوا: نعم. قال: فإذا جئتموه فأخبروه أنا قد أجمعنا السير إليه وإلى أصحابه لنستأصل بقتيهم! فمر الركب برسول الله □ وهو بحمراء الأسد، فأخبروه بالذي قال أبو سفيان، فقال رسول الله □ وأصحابه: (حسبنا الله ونعم الوكيل)⁽⁶⁶⁸⁾ .»

وقيل: إنما هم المنافقون. قاله الثعلبي قال وقال السدي: «لما تجهز رسول الله صلى الله عليه وسلم وأصحابه للمسير إلى ميعاد أبي سفيان، أتاهم المنافقون وقالوا: نحن أصحابكم الذين نهيناكم عن الخروج إليهم فعصيتونا، وقد أتوكم في داركم وقتلوكم وظفروا، فإن أتيتموهم في ديارهم لا يرجع أحد منكم. فقالوا: (حَسْبُنَا اللَّهُ وَنِعْمَ الْوَكِيلُ)»⁽⁶⁶⁹⁾ .

[تفسير مختصر للآيتين]

(الذين استجابوا لله والرسول من بعد ما أصابهم القرع) أي الذين أطاعوا الله وأطاعوا الرسول من بعد ما نالهم الجراح يوم أحد. قال ابن كثير: وهذا كان يوم حمراء الأسد مكان على بعد ثمانية أميال من المدينة المنورة، وذلك أن المشركين

⁽⁶⁶³⁾ تفسير ابن جرير 4/177 وإسناده واه فيه سلسلة العوفي المشهورة عند ابن جرير.

⁽⁶⁶⁴⁾ سنن النسائي الكبرى 6/317 ح (11083) المعجم الكبير 11/247 ح (11632) وإسناده صحيح قال الإمام النسائي أنبأنا محمد بن منصور عن سفيان عن عمرو عن عكرمة قال قال بن عباس - به.

⁽⁶⁶⁵⁾ في إسناده محمد بن عبيد الله الرافي ضعيف انظر إسناده عند ابن كثير في التفسير 431 ج:1.

⁽⁶⁶⁶⁾ صحيح البخاري - (1497/4)

⁽⁶⁶⁷⁾ الكشف والبيان عن تفسير القرآن (113/2)

⁽⁶⁶⁸⁾ تفسير الطبري (409/7)

⁽⁶⁶⁹⁾ الكشف والبيان عن تفسير القرآن (211/3)

(131)

لما أصابوا ما أصابوا من المسلمين كروا راجعين إلى بلادهم، ثم ندموا لم لا تمموا على أهل المدينة وجعلوها الفيصلة، فلما بلغ ذلك رسول الله ﷺ نذب المسلمين إلى الذهاب وراءهم ليرعبهم، ويريبهم أن بهم قوة وجلدا، ولم يباذن لأحد سوى من حضر أحدا، فانتدب لهم المسلمون على ما بهم من الجراح والإثخان طاعة لله عز وجل ولرسوله ﷺ. (للذين أحسنوا منهم وأتقوا أجر عظيم) أي لمن أطاع منهم أمر الرسول وأجابه إلى الغزو - على ما به من جراح وشدائد - الإجر العظيم والثواب الجزيل.

(الذين قال لهم الناس إن الناس قد جمعوا لكم فاخشوهم فزادهم إيمانا) أي الذين أرجف لهم المرجفون من أنصار المشركين فقالوا لهم: أن قريشاً قد جمعت لكم جموعاً لا تحصي، فخافوا على أنفسهم، فما زادهم هذا التخويف إلا إيمانا. (وقالوا حسبنا الله ونعم الوكيل) أي قال المؤمنون: الله كافينا وحافظنا ومتولي أمرنا، ونعم الملجأ والنصير لمن توكل عليه جل وعلا.

(فانقلبوا بنعمة من الله وفضل) أي فرجعوا بنعمة السلامة، وفضل الإجر والثواب (لم يمسههم سوء) أي لم ينلهم مكروه أو أذى.

(واتبعوا رضوان الله) أي نالوا رضوان الله الذي هو سبيل السعادة في الدارين. (والله ذو فضل عظيم) أي ذو إحسان عظيم على العباد (670).

(لَقَدْ سَمِعَ اللَّهُ قَوْلَ الَّذِينَ قَالُوا وَإِنَّ اللَّهَ فَقِيرٌ وَنَحْنُ أَغْنِيَاءُ سَنَكْتُمُ مَا قَالُوا وَقَتَلَهُمُ الْأَنْبِيَاءَ بِغَيْرِ حَقٍّ وَقَوْلُ دُوقُوا عَذَابَ الْحَرِيقِ (١٨١)

قوله تعالى: (لقد سمع الله) - الآية.

237. أخرج ابن إسحاق وابن أبي حاتم عن ابن عباس قال: «دخل أبو بكر بيت المدراس (671)، فوجد يهود قد اجتمعوا إلى رجل منهم يقال له فنحاص، فقال له: والله يا أبا بكر ما بنا إلى الله من فقر وإنه إلينا لفقير ولو كان غنياً عنا ما استقرض منا كما يزعم صاحبكم، فغضب أبو بكر فضرب وجهه، فذهب فنحاص إلى رسول الله ﷺ، فقال: يا محمد انظر ما صنع صاحبك بي، فقال: «يا أبا بكر ما حملك على ما صنعت» قال: قال يا رسول الله قولاً عظيماً، يزعم أن الله فقير وأنهم عنه أغنياء، فجدد فنحاص، فأنزل الله: (لقد سمع الله قول الذين قالوا-) الآية (672)».

238. وأخرج ابن أبي حاتم عن ابن عباس قال: «أتت اليهود النبي ﷺ حين أنزل الله: (من ذا الذي يقرض الله قرضاً حسناً) [البقرة 245] فقالوا: يا محمد افتقر ربك يسأل عباده؟! فأنزل الله: (لقد سمع الله قول الذين قالوا إن الله فقير) الآية (673)».

[تعليق]

ذكر المؤلف رحمه الله أثرين في سبب نزول هذه الآية والثاني منهما إسناده حسن. وقد ورد أن قائل ذلك هو حيي بن أخطب.

قال الثعلبي وروى الحسن: أن قائل هذه المقالة حيي بن أخطب (674).

وأيا كان القائل فإن هذه الآية نزلت في اليهود وهو من وقاحتهم وجرأتهم على الله ورسوله أعذنا الله من أفعالهم وأقوالهم.

[تفسير مختصر للآية]

(لقد سمع الله قول الذين قالوا إن الله فقير ونحن أغنياء) يخبر تعالى، عن قول هؤلاء المتمردين، الذين قالوا أقبح المقالة وأشنعها، وأسمجها، فأخبر أنه قد سمع ما قالوه وأنه سيكتبه ويحفظه، مع أفعالهم الشنيعة، وهو: قتلهم الأنبياء الناصحين، وأنه سيعاقبهم على ذلك أشد العقوبة، وأنه يقال لهم -بدل قولهم إن الله فقير ونحن أغنياء- (ذوقوا عذاب الحريق) المحرق النافذ من البدن إلى الأفئدة، وأن عذابهم ليس ظلماً من الله لهم، فإنه (ليس بظلام للعبيد) فإنه منزله عن ذلك، وإنما ذلك بما قدمت أيديهم من المخازي والقبايح، التي أوجبت استحقاقهم العذاب، وحرمانهم الثواب (675).

(670) صفوة التفسير - للصابوني (1/ 157)

(671) تقدم شرحه

(672) تفسير ابن أبي حاتم 3/828 تفسير ابن جرير بسياق أطول مما ذكر المؤلف 4/194 وفي إسناده محمد بن أبي محمد مجهول.

(673) تفسير ابن أبي حاتم 3/828 الأحاديث المختارة 10/113 ح (111) وإسناده جيد، وفيه أبو سعيد الدشتكي وهو أحمد بن عبد الرحمن بن عبد الله بن سعد بن عثمان الدشتكي ذكرته لأنه غير مسمي في الرواية وتمييزه محتاج إلى عناية وبحث قال الحافظ الضياء أخبرنا أحمد بن موسى بن مردويه ثنا محمد بن عبد الله بن إبراهيم ثنا محمد بن الفضل بن موسى ثنا أحمد بن عبد الرحمن الدشتكي حدثني أبي عن أبيه عن أشعث بن إسحاق عن جعفر بن أبي المغيرة عن سعيد بن جبير عن ابن عباس به.

(674) الكشف والبيان عن تفسير القرآن (3/ 222)

(675) تفسير السعدي (159)

(لَتُبْلَوْنَ فِي أَمْوَالِكُمْ وَأَنْفُسِكُمْ وَلَتَسْمَعَنَّ مِنَ الَّذِينَ أُوتُوا الْكِتَابَ مِنْ قَبْلِكُمْ وَمِنَ الَّذِينَ أَشْرَكُوا أَذَى كَثِيرًا وَإِنْ تَصْبِرُوا وَتَتَّقُوا فَإِنَّ ذَلِكَ مِنْ عَزْمِ الْأُمُورِ ۙ) (١٨٦)

قوله تعالى: (ولتسمعن) - الآية.

239. روى ابن أبي حاتم وابن المنذر بسند حسن عن ابن عباس: « أنها نزلت فيما كان بين أبي بكر وفتحناص من قوله: إن الله فقير ونحن أغنياء⁽⁶⁷⁶⁾ ». «

240. وذكر عبد الرزاق عن معمر عن الزهري عن عبد الرحمن بن كعب بن مالك: « أنها نزلت في كعب بن الأشرف فيما كان يهجو به النبي ﷺ وأصحابه من الشعر⁽⁶⁷⁷⁾ ». «

[تعليق]

ذكر المؤلف رحمه الله أثنين في سبب نزول هذه الآية، وكل منهما يشتمل على سبب فالأول قد تقدم قريباً في قصة أبي بكر مع فتحناص اليهودي، والثاني في هجاء كعب بن الأشرف اليهودي للنبي ﷺ وقد ذكره المؤلف مختصراً، وهو عند الواحدي وغيره بلفظ: أن كعب بن الأشرف اليهودي كان شاعراً، وكان يهجو النبي - ﷺ - ويحرض عليه كفار قريش في شعره. وكان النبي - ﷺ - قدم المدينة وأهلها أخلاطاً؛ منهم المسلمون، ومنهم المشركون، ومنهم اليهود. فأراد النبي أن يستصلحهم كلهم، وكان المشركون واليهود يؤذونه ويؤذون أصحابه أشد الأذى، فأمر الله تعالى نبيه - ﷺ - بالصبر على ذلك وفيهم أنزل الله تعالى: (وَلَتَسْمَعَنَّ مِنَ الَّذِينَ أُوتُوا الْكِتَابَ مِنْ قَبْلِكُمْ ... الآية)⁽⁶⁷⁸⁾. انتهى.

وقد ذكر الثعلبي سبب نزول هذه الآية في قصة قتل كعب بن الأشرف وهي قصة صحيحة مشهورة لكن أصحاب الصحيح أخرجوها من غير سبب النزول.

قد ذكر هذا الأثر بعينه في سبب نزول قول الله (وَكَثِيرٌ مِّنْ أَهْلِ الْكِتَابِ) إلى قوله: (فَأَعْفُوا وَاصْفَحُوا) [البقرة: 109]⁽⁶⁷⁹⁾.

قال الإمام بن حجر وهذا سند صحيح.

وقد ورد في سبب نزول هذه الآية غير ما تقدم.

فأخرج الإمام الواحدي عروة بن الزبير، أن أسامة بن زيد أخبره أن رسول الله ﷺ ركب على حمار على قطيفة فذكيه، وأردف أسامة بن زيد وسار يعود سعد بن عبادة في بني الحرث بن الخزرج قبل وقعة بدر، حتى مر بمجلس فيه عبد الله بن أبي، وذلك قبل أن يسلم عبد الله بن أبي فإذا في المجلس أخلاط من المسلمين والمشركين عبدة الاوثان واليهود، وفي المجلس عبد الله بن ربيعة فلما غشى المجلس عجاجة الدابة خمر عبد الله بن أبي أنفه بردائه، ثم قال: لا تغبروا علينا، فسلم رسول الله ﷺ ثم وقف، فنزل ودعاهم إلى الله، وقرأ عليهم القرآن، فقال عبد الله بن أبي: أيها المرء إنه لا أحسن مما تقول إن كان حقا فلم تؤذينا به في مجلسنا؟ ارجع إلى رحلك، فمن جاءك فاقصص عليه، فقال عبد الله بن ربيعة: بلى يا رسول الله، فإغشنا به في مجلسنا فإننا نحب ذلك، واستب المسلمون والمشركون واليهود حتى كادوا يتساورون، فلم يزل النبي ﷺ يخفضهم حتى سكنوا، ثم ركب النبي ﷺ دابته وسار حتى دخل على سعد بن عبادة، فقال له: يا سعد ألم تسمع ما قال أبو حباب؟ يريد عبد الله بن أبي قال: كذا وكذا فقال سعد بن عبادة: يا رسول الله اعف عنه واصفح فالذي أنزل عليك الكتاب، لقد جاء الله بالحق الذي نزل عليك، وقد اصطلح أهل هذه البحيرة على أن يتوجوه ويعصبوه بالعصاة، فلما رد الله ذلك بالحق الذي أعطاك شوق بذلك، فذلك فعل به ما رأيت، فعفا عنه رسول الله ﷺ، فأنزل الله تعالى - ولتسمعن من الذين أتوا الكتاب من قبلكم، ومن الذين أشركوا أذى كثيرا - الآية⁽⁶⁸⁰⁾. قلت إسناده صحيح.

قلت: الجمع بين هذه الآثار بأن يقال بأن لفظ الآية عام، والمتأمل فيها يدرك دخول كل من ذكر في هذه الآثار بل وغيرهم من المشركين والمنافقين واليهود والنصارى فيها. فقول الله تعالى (ولتسمعن من الذين أتوا الكتاب من قبلكم ومن الذين أشركوا أذى كثيرا) يدخل فيه كل هؤلاء فتحناص اليهودي من الذين أتوا الكتاب وعبد الله بن أبي من المنافقين والمنافقون ضرب من المشركين. والله تعالى أعلم.

[تفسير مختصر للآية]

(لتبْلَوْنَ فِي أَمْوَالِكُمْ وَأَنْفُسِكُمْ) أي والله لمتحنن وتختبرن في أموالكم بالفقر والمصائب، وفي أنفسكم بالشدائد والأمراض.

(ولتسمعن من الذين أتوا الكتاب من قبلكم ومن الذين أشركوا أذى كثيرا) أي ولينا لكم من اليهود والنصارى والمشركين - أعدائكم - الأذى الكثير، وهذا إخبار منه جل وعلا للمؤمنين، بأنه سينالهم بلايا وأكدار من المشركين والفجار، وأمر لهم بالصبر عند وقوع ذلك، لأن الجنة حفت بالمكاره، ولهذا قال سبحانه.

(وإن تصبروا وتتقوا) أي وإن تصبروا على المكاره وتتقوا الله في الأقوال والأعمال.

(فإن ذلك من عزم الأمور) أي الصبر والتقوى من الأمور التي ينبغي أن تعزموا وتحزموا عليها لأنها مما أمر الله بها⁽⁶⁸¹⁾.

⁽⁶⁷⁶⁾ تفسير ابن أبي حاتم 3/834 وإسناده ضعيف.

⁽⁶⁷⁷⁾ أخرجه عبد الرزاق في تفسيره بسبب طويل نحو السياق الذي روي في الصحيح في مقتل كعب بن الأشرف، ولكن ليس فيه ذكر لعبد الرحمن بن كعب مالك، وليس فيما روي في الصحيح، وأيضا ذكر سبب النزول، وما رواه عبد الرزاق عن معمر عن الزهري ليس صريحا في ذكر سبب النزول قال عبد الرزاق قال: أنا معمر عن الزهري في قوله تعالى (: ولتسمعن من الذين أتوا الكتاب من قبلكم ومن الذين أشركوا أذى كثيرا) قال: هو كعب بن الأشرف وكان يحرض المشركين على النبي وأصحابه في شعره ويهجو النبي وأصحابه وعلى كل فهو مرسل انظر تفسير الصنعاني 1/142

⁽⁶⁷⁸⁾ أسباب النزول (90/1)

⁽⁶⁷⁹⁾ أسباب النزول (22/1)

⁽⁶⁸⁰⁾ أسباب النزول للواحدي (90)

⁽⁶⁸¹⁾ صفوة التفسير - للصابوني (160/1)

(لَا تَحْسَبَنَّ الَّذِينَ يَفْرَحُونَ بِمَا أَتَوْا وَيُجِبُونَ أَنْ يُحْمَدُوا بِمَا لَمْ يَفْعَلُوا فَلَا تَحْسَبَنَّهُمْ بِمَفَازَةٍ مِّنَ الْعَذَابِ وَلَهُمْ عَذَابٌ أَلِيمٌ ۝۱۸۸)

قوله تعالى: (لا تحسبن الذين يفرحون) - الآية.

241. روى الشيخان وغيرهما من طريق حميد بن عبد الرحمن بن عوف « أن مروان قال لبوابه: اذهب يا رافع إلى ابن عباس، فقل لئن كان كل امرئ منا فرح بما أتى وأحب أن يحمد بما لم يفعل معذبا لنعذبن أجمعون، فقال ابن عباس: ما لكم وهذه، إنما نزلت هذه الآية في أهل الكتاب سألهم النبي ﷺ عن شيء فكتموه إياه وأخبروه بغيره فخرجوا قد أروه أنهم قد أخبروه بما سألهم عنه واستحمدوا بذلك إليه وفرحوا بما أتوا من كتمان ما سألهم عنه⁽⁶⁸²⁾ ».

242. وأخرج الشيخان عن أبي سعيد الخدري: « أن رجلاً من المنافقين كانوا إذا خرج رسول الله ﷺ إلى الغزو تخلفوا عنه وفرحوا بمقعدهم خلاف رسول الله ﷺ، فإذا قدم اعتذروا إليه وحلفوا وأحبوا أن يحمدوا بما لم يفعلوا، فنزلت: (لا تحسبن الذين يفرحون بما أتوا) الآية⁽⁶⁸³⁾ ».

243. وأخرج عبد بن حميد في تفسيره عن زيد بن أسلم « أن رافع بن خديج وزيد بن ثابت كانا عند مروان، فقال مروان: يا رافع في أي شيء نزلت هذه الآية: (لا تحسبن الذين يفرحون بما أتوا) قال رافع: أنزلت في أناس من المنافقين كانوا إذا خرج النبي ﷺ اعتذروا وقالوا: ما حبسنا عنكم إلا الشغل فلوددنا أننا كنا معكم فأنزل الله فيهم هذه الآية. وكان مروان أنكر ذلك، فجزع رافع من ذلك فقال لزيد بن ثابت: أنشدك بالله هل تعلم ما أقول؟، قال: نعم⁽⁶⁸⁴⁾ ».

قال الحافظ ابن حجر: يجمع بين هذا وبين قول ابن عباس، بأنه يمكن أن تكون نزلت في الفريقين معاً، قال: 244. وحكى الفراء أنها نزلت في قول اليهود: « نحن أهل الكتاب الأول والصلاة والطاعة، ومع ذلك لا يقرون بمحمد ». وروى ابن أبي حاتم من طرق عن جماعة من التابعين نحو ذلك ورجحه ابن جرير ولا مانع أن تكون نزلت في كل ذلك انتهى⁽⁶⁸⁵⁾ .

[تعليق]

ذكر المؤلف رحمه الله أربعة آثار في سبب نزول هذه الآية، فأثران منها يدلان على أنها نزلت في اليهود مع اختلاف الحال. فالأول كتمانهم ما سألهم عنه النبي ﷺ، والثاني تفاخرهم بما أعطاهم الله من الكتاب والطاعة. وقد رواه المؤلف مختصراً وهو عند الواحدي بسياق أطول من هذا. قال رحمه الله: وقال الضحاك: كتب يهود المدينة إلى يهود العراق واليمن ومن بلغهم كتابهم من اليهود في الأرض كلها إن محمداً ليس نبي الله فاثبتوا على دينكم وأجمعوا كلمتكم على ذلك، فأجمعت كلمتهم على الكفر بمحمد ﷺ والقرآن، وفرحوا بذلك وقالوا: الحمد لله الذي جمع كلمتنا ولم نتفرق ولم نترك ديننا، وقالوا: نحن أهل الصوم والصلاة ونحن أولياء الله، فلذلك قول الله تعالى - يفرحون بما أتوا - بما فعلوا - ويحبون أن يحمدوا بما لم يفعلوا - يعني بما ذكروا من الصوم والصلاة والعبادة⁽⁶⁸⁶⁾.

وأثران نزلوا في المنافقين وفرحهم بتخلفهم عن النبي ﷺ، وقد جمع الحافظ بأن يكون كل هذا هو سبب نزول الآية.

وقد وردت آثار أخرى غير ما ذكر المؤلف وكلها في اليهود.

فمنها ما رواه الثعلبي رحمه الله قال: وقال عكرمة: نزلت في فحاص وأشيع وأشباههما من الأحرار، يفرحون بإضلالهم الناس، وينسبوا إليهم العلم، وقولهم إنهم علماء وليسوا بأهل علم لم يحملوهم على هدى ولا خير⁽⁶⁸⁷⁾. وأخرج كذلك عن الضحاك والسدي: هم يهود أهل المدينة كتبوا إلى يهود اليمن والشام وأطراف الأرض: أن محمداً ليس برسول فاثبتوا على دينكم. فاجتمعت كلمتهم على الكفر بمحمد والقرآن وفرحوا بذلك وقالوا: الحمد لله الذي جمع كلمتنا فنحن على دين إبراهيم ونحن أهل العلم الأول، وليسوا كذلك⁽⁶⁸⁸⁾.

وأخرج عن مجاهد: هم اليهود فرحوا بإعجاب الناس بتبديلهم الكتاب، وجهدهم إياه عليه⁽⁶⁸⁹⁾.

وأخرج عن سعيد بن جبير: هم اليهود فرحوا بما أعطى الله إبراهيم وهم براء من ذلك⁽⁶⁹⁰⁾.

وأخرج مقاتل قال: وذلك أن اليهود قالوا للنبي ﷺ حين دخلوا عليه: نعرفك نصدقك وليس ذلك في قلوبهم، فلما خرجوا من عند النبي ﷺ قال لهم المسلمون: ما صنعتكم؟ قالوا: عرفناه وصدقناه، فقال المسلمون: أحسنتم، بارك الله فيكم، ومحمدهم المسلمون على ما أظهروا من الإيمان بالنبي ﷺ، فذلك قوله سبحانه: ويحبون أن يحمدوا بما لم يفعلوا (يا محمد)، (فلا تحسبنهم بمفازة من

(682) صحيح البخاري 4/1665 ح (4292) صحيح مسلم 4/2143 ح (2778) سنن الترمذي 5/233 ح (233) سنن النسائي الكبرى 6/318 ح (11086) مسند أحمد

1/298 ح (2712) المعجم الكبير 10/300 ح (10730)

(683) تفسير الطبري 4/205 صحيح البخاري 4/1664 ح (4291) صحيح مسلم 4/2142 ح (2777) صحيح ابن حبان 11/34 ح (4732) سنن البيهقي الكبرى 9/36 ح

(17650)

(684) مرسل.

(685) انظر فتح الباري 8/233

(686) أسباب النزول للواحدي (92)

(687) الكشف والبيان عن تفسير القرآن (3/229)

(688) الكشف والبيان عن تفسير القرآن (3/229)

(689) الكشف والبيان عن تفسير القرآن (3/229)

(690) الكشف والبيان عن تفسير القرآن (3/229)

العذاب ولهم عذاب أليم) [آية: 188]، يعني وجيع⁽⁶⁹¹⁾. وأخرج ابن أبي حاتم عن إبراهيم في قوله: (لا تحسبن الذين يفرحون بما أوتوا) قال: ناس من اليهود جهزوا جيشاً لرسول الله □⁽⁶⁹²⁾. قلت: وكل هذه الأقوال محتلمة في سبب نزول هذه الآية فإن لفظها عام كما تقدم فتأخر الآية حتى كان ما كان من حال اليهود والمنافقين وارد والله تعالى أعلم.

[تفسير مختصر للآية]

(لا تحسبن الذين يفرحون بما أوتوا) أى لا تظنن يا محمد الذين يفرحون بما أوتوا من إخفاء أمرك عن الناس. (ويحبون أن يحمدا بما لم يفعلوا) أى ويحبون أن يحمدهم الناس على تمسكهم بالحق وهم على ضلال. (فلا تحسبنهم بمفازة من العذاب) أى فلا تظننهم بمنجاة من عذاب الله. (ولهم عذاب أليم) أى عذاب موجه مؤلم⁽⁶⁹³⁾.

(إِنَّ فِي خَلْقِ السَّمَوَاتِ وَالْأَرْضِ وَآخْتِلَافِ اللَّيْلِ وَالنَّهَارِ لَآيَاتٍ لِّأُولِي الْأَلْبَابِ (١٩٠))

قوله تعالى: (إن في خلق السموات) الآية.

245. أخرج الطبراني وابن أبي حاتم عن ابن عباس قال: «أتت قريش اليهود فقالوا: بم جاءكم موسى من الآيات؟ قالوا عصاه ويد بيضاء للناظرين، وأتوا النصارى فقالوا: كيف كان عيسى؟ قالوا: كان يبرى الأكمة والأبرص ويحيى الموتى، فأتوا النبي □ فقالوا: ادع لنا ربك يجعل لنا الصفا ذهباً، فدعا ربه فنزلت هذه الآية: (إن في خلق السموات والأرض واختلاف الليل والنهار آيات لأولي الأبواب) فليتفكروا فيها⁽⁶⁹⁴⁾».

[تعليق]

ذكر المؤلف رحمه الله هذا الأثر الوحيد في سبب نزول هذه الآية. وإسناده ضعيف وقد ذكر الإمام ابن الجوزي سببين آخرين فقال: أن أهل مكة سألوه أن يأتيهم بآية، فنزلت هذه الآية، رواه أبو صالح عن ابن عباس. والآخر: أنه لما نزل قوله تعالى: (وإلهم إله واحد) [البقرة: 163]. قالت قريش: قد سوى بين الهتنا، إنتنا بآية، فنزلت هذه الآية، قاله أبو الضحى⁽⁶⁹⁵⁾. قلت وهذان الأثران الأخيران لم أقف على أسانيدهما وأكثر أهل التفسير اكتفوا بإيراد الأثر الأول في تفسير هذه الآية فالله تعالى أعلم.

وسياق هذه القصة وإتيان قريش اليهود يشبه أن يكون في مكة لا المدنية وسؤالهم أن يحول لهم الصفا ذهباً روى بإسناد صحيح في المسند وغيره لكن ليس في سبب نزول هذه الآية. فروى أحمد سعيد بن جبير عن بن عباس قال: سأل أهل مكة النبي صلى الله عليه وسلم أن يجعل لهم الصفا ذهباً وان ينحى الجبال عنهم فيزدرعوا فقيل له ان شئت ان تستأني بهم وان شئت ان تؤتيهم الذي سألوها فإن كفروا أهلكوا كما أهلكت من قبلهم قال لا بل أستأني بهم فأنزل الله عز وجل هذه الآية (وما منعنا أن نرسل بالآيات إلا أن كذب بها الأولون وأتينا ثمود الناقة مبصرة)⁽⁶⁹⁶⁾. وهذه القصة مكية وهو دليل على أن الأثر الذي أخرجه المؤلف عند ابن عباس إنما ضعف من قبل الراوي وهو يحيى الحماني فهو متهم بسرقة الحديث والله تعالى أعلم.

[تفسير مختصر للآية]

(في خلق السموات والأرض): أى في وجودهما من العدم. (واختلاف الليل والنهار): تعاقبهما هذا يجيء وذاك يذهب، هذا مظلم وذاك مضى. (آيات): دلائل واضحة على وجود الله تعالى وقدرته وعلمه وحكمته ورحمته. (لأولي الأبواب): أصحاب العقول التى تُدرك بها الأشياء وتفهم بها الأدلة (ربنا): يقولون: ربنا الخ.. (باطلا): لا لشيء مقصود منه، وإنما هو من باب اللعب. (سبحانه): تنزيهاً لك عن العبث واللعب، وعن الشريك والولد. (فقنا عذاب النار): أجرنا واحفظنا من عذاب النار بتوفيقك لنا للأعمال الصالحة وتجنيبنا الأعمال الفاسدة الموجبة لعذاب النار

(691) تفسير مقاتل بن سليمان (209 / 1)

(692) تفسير ابن أبي حاتم - (839 / 3)

(693) صفوة التفسير - للصابوني (160 / 1)

(694) تفسير ابن أبي حاتم 3/841 المعجم الكبير 12/12 ح (12322) وفي إسناده يحيى الحماني قال: الحافظ اتهمه بسرقة الحديث

(695) زاد المسير في علم التفسير (474 / 1)

(696) مسند أحمد (258 / 1)

(697) أيسر التفاسير للجزائري (231 / 1)

(فَاسْتَجَابَ لَهُمْ رَبُّهُمْ أَنِّي لَا أُضِيعُ عَمَلَ عَمَلٍ مِّنْكُمْ مِّنْ ذَكَرٍ أَوْ أُنْتَىٰ بِعَعْضِكُمْ مِّنْ بَعْضِ الَّذِينَ هَاجَرُوا وَأَخْرَجُوا مِنْ دِيَارِهِمْ وَأَوْدُوا فِي سَبِيلِي وَقَتَلُوا وَقَتَلُوا لَأُكَفِّرَنَّ عَنْهُمْ سَيِّئَاتِهِمْ وَلَأُدْخِلَنَّهُمْ جَنَّاتٍ تَجْرِي مِنْ تَحْتِهَا الْأَنْهَارُ ثَوَابًا مِّمَّنْ عِنْدَ اللَّهِ وَاللَّهُ عِنْدَهُ حُسْنُ الثَّوَابِ ١٩٥)

قوله تعالى: (فاستجاب لهم) - الآية.

246. أخرج عبد الرزاق وسعيد بن منصور والترمذي والحاكم وابن أبي حاتم عن أم سلمة أنها قالت: « يا رسول الله لا أسمع الله ذكر النساء في الهجرة بشيء فأُنزل الله: (فاستجاب لهم ربهم أني لا أضيع عمل عامل منكم من ذكر أو أنثى) إلى آخر الآية⁽⁶⁹⁸⁾ ».

[تعليق]

ذكر المؤلف رحمه الله أثر أم سلمة في سبب نزول هذه الآية وهو أثر صحيح الإسناد، فقد سوى الله عز وجل بين الذكر والأنثى في أجر الأعمال، فالنساء شقائق الرجال كما قال النبي ﷺ .

[تفسير مختصر للآية]

(فاستجاب لهم ربهم) أي: أجاب الله دعاءهم، دعاء العبادة، ودعاء الطلب، وقال: إني لا أضيع عمل عامل منكم من ذكر وأنثى، فالجميع سيلقون ثواب أعمالهم كاملاً موفراً. (بعضكم من بعض) أي: كلكم على حد سواء في الثواب والعقاب⁽⁶⁹⁹⁾.

(وَإِنَّ مِنْ أَهْلِ الْكِتَابِ لَمَنْ يُؤْمِنُ بِاللَّهِ وَمَا أُنزِلَ إِلَيْكُمْ وَمَا أُنزِلَ إِلَيْهِمْ خَشَعِينَ لِلَّهِ لَا يَشْتُرُونَ بِآيَاتِ اللَّهِ ثَمَنًا قَلِيلًا أُولَٰئِكَ لَهُمْ أَجْرُهُمْ عِنْدَ رَبِّهِمْ إِنَّ اللَّهَ سَرِيعُ الْحِسَابِ ١٩٩)

قوله تعالى: (وإن من أهل الكتاب) - الآية.

247. روى النسائي عن أنس قال: « لما جاء نعي النجاشي، قال رسول الله ﷺ : « صلوا عليه » قالوا: يا رسول الله نصلي على عبد حبشي، فأُنزل الله: (وإن من أهل الكتاب لمن يؤمن بالله⁽⁷⁰⁰⁾) ». 248. وروى ابن جرير نحوه عن جابر⁽⁷⁰¹⁾. 249. وفي المستدرک عن عبد الله بن الزبير قال: « نزلت في النجاشي: (وإن من أهل الكتاب لمن يؤمن بالله) الآية⁽⁷⁰²⁾ ». قال الحاكم صحيح الإسناد

[تعليق]

أخرج المؤلف ثلاثة آثار في سبب نزول هذه الآية وهي آثار صحيحة يشهد بعضها لبعض، وقد روى في سبب نزول هذه الآية أربعة أسباب هذا أحدها. والثاني: ما أخرجه ابن أبي حاتم عن مجاهد قوله: (وإن من أهل الكتاب لمن يؤمن بالله): من اليهود والنصارى، وهم مسلمة أهل الكتاب. وأخرج عن عباد بن منصور قال: سألت الحسن عن قوله: (وإن من أهل الكتاب لمن يؤمن بالله) وما أنزل إليهم خاشعين لله قال: هم أهل الكتاب الذين كانوا قبل محمد ﷺ ، الذين اتبعوا محمد ﷺ .⁽⁷⁰³⁾ الثالث: أنها نزلت في عبد الله بن سلام وأصحابه. روى ذلك الثعلبي ابن جريج وابن زيد: نزلت في عبد الله بن سلام وأصحابه⁽⁷⁰⁴⁾. الرابع: أنها نزلت في أربعين رجلاً من أهل نجران من بني الحرث بن كعب، واثنى وثلاثين من أرض الحبشة، وثمانية من الروم كانوا على دين عيسى فأمنوا بالنبي صلى الله عليه وسلم⁽⁷⁰⁵⁾.

(698) تفسير الطبري 4/212 تفسير الصنعاني 1/144 سنن الترمذي 5/237 ح (3023) المستدرک على الصحيحين 2/328 ح (3174) مسند الحميدي 1/144 ح (301) مسند أبي يعلى 12/392 ح (6958) المعجم الكبير 23/294 ح (651) وغيرهم وإسناده صحيح وقال الحاكم صحيح على شرط البخاري، قلت: والرواي الميهم في رواية ابن جرير وعبد الرزاق هو سلمة بن أبي سلمة بن أسد ربيب النبي ﷺ كما هو موضح في رواية الحاكم قال الإمام الحميدي رحمه الله ثنا سفيان قال ثنا عمرو بن دينار قال أخبرني سلمة رجل من ولد أم سلمة عن أم سلمة -⁽⁶⁹⁹⁾ تفسير السعدي (162)

(700) المختارة 6/62 ح (2038) السنن الكبرى للنسائي 6/319 ح (11088) الطبراني في الأوسط 5/223 ح (5147) وروى عن أبي سعيد ووحشي وعبد الله بن الزبير نحو ما روي عن أنس بن مالك وهو حديث صحيح قال الإمام النسائي رحمه الله: أنا عمرو بن منصور أنا يزيد بن مهرا نأبو بكر بن عياش عن حميد عن أنس -⁽⁷⁰¹⁾ تفسير ابن جرير 4/118 وفي إسناده أبو بكر الهذلي ضعيف جدا انظر ترجمته في تهذيب التهذيب والكمال وغيرهما من كتب الضعفاء، وروى ابن جرير عن قتادة بمعناه

مرسلاً (702) المستدرک 2/329 ح (3175) وقال: صحيح الإسناد ولم يخرجاه قال أخبرنا أبو العباس قاسم بن القاسم السيارى بمرور حدثنا عبد الله بن علي الغزال حدثنا علي بن الحسن بن شقيق حدثنا عبد الله بن المبارك أنبا مصعب بن ثابت عن عامر بن عبد الله بن الزبير عن أبيه -⁽⁷⁰³⁾ به شيخ الحاكم وشيخه لم أجد لهما ترجمة فيما بين يدي من المراجع

(703) تفسير ابن أبي حاتم - (846/3)

(704) الكشف والبيان عن تفسير القرآن (238/3)

(705) الكشف والبيان عن تفسير القرآن (238/3)

قلت: ولا مانع من أن يكون هذه كله سبب نزول الآية فإن لفظ الآية عام، فيشمل كل ما ذكر والله تعالى أعلم.

[تفسير مختصر للآية]

(وإن من أهل الكتاب لمن يؤمن بالله وما أنزل إليكم وما أنزل إليهم) أي ومن اليهود والنصارى فريق يؤمنون بالله حق الإيمان، ويؤمنون بما أنزل إليكم وهو القرآن وبما أنزل إليهم وهو التوراة والإنجيل كعبد الله بن سلام وأصحابه، والنجاشي وأتباعه. (خاشعين لله) أي خاضعين متذللين لله.

(لا يشترطون بآيات الله ثمنا قليلا) أي لا يحرفون نعت محمد ولا أحكام الشريعة، الموجودة في كتبهم لعرض من الدنيا خسيس، كما فعل الأحرار والرهبان.

(أولئك لهم أجرهم عند ربهم) أي ثواب إيمانهم يعطونه مضاعفا كما قال سبحانه [(أولئك يؤتون أجرهم مرتين).]

(إن الله سريع الحساب) أي سريع حسابه، لنفوذ علمه بجميع المعلومات، يعلم ما لكل واحد من الثواب والعقاب (706).

انتهت سورة آل عمران

سورة النساء

(وَءَاتُوا النِّسَاءَ صَدُقَاتِهِنَّ نِحْلَةً فَإِن طِبْنَ لَكُمْ عَن شَيْءٍ مِّنْهُ نَفْسًا فَكُلُوهُ
هٰذَا مَرَّةً ۙ) (٤)

قوله تعالى: (وآتوا النساء صدقاتهن نحلة).

250. أخرج ابن أبي حاتم عن أبي صالح قال: «كان الرجل إذا زوج ابنته أخذ صداقها دونها، فنهاهم الله عن ذلك، فأنزل: (وآتوا النساء صدقاتهن نحلة)» (707).

[تعليق]

ذكر المؤلف رحمه الله هذا الأثر في سبب نزول هذه الآية، وقد وردت آثار آخر في سبب نزول هذه الآية. فأخرج الثعلبي: قال الحضرمي: كان أولياء النساء يعطي هذا أخته على أن يعطيه الآخر أخته لا مهر بينهما، فنهوا عن ذلك وأمرهم بتسميته وأمروا المهر عند العقد (708).

قلت: هذا أثر ليس له إسناد يعتمد عليه، فقد ذكره هكذا الثعلبي من غير إسناد.

وهذا الطريقة من النكاح هي المعروفة في الإسلام " بالشغار".

وهي أن ينكح الرجل ابنته أو أخته على شرط أن ينكح الثاني ابنته أو أخته من غير مهر وهي محرمة لقوله صلى الله عليه وسلم " لا شغار في الإسلام " أخرجه الإمام مسلم وغيره (709).

وهذا الأثر مع الذي قبله يدل على أن الخطاب في الآية (وآتوا النساء) هو للأولياء المرأة. وقد ورد أن الخطاب للأزواج.

فأخرج الثعلبي قال: وقال آخرون: الخطاب للأزواج أمروا بإيفاء نسائهن مهورهن التي هي أثمان فروجهن، وهذا أصح وأوضح بظاهر الآية وأشبهه، لأن الله تعالى خاطب الناكحين فيما قبله، وهذا أصل خطابهم (710).

قلت: وهذا الذي رجحه الإمام الثعلبي هو قول الجمهور على ما ذكره الإمام ابن الجوزي رحمه الله. وكذلك رجحه الإمام ابن جرير الطبري في تفسيره (711).

[تفسير مختصر للآية]

(وآتوا النساء صدقاتهن نحلة) أي أعطوا النساء مهورهن عطية عن طيب نفس.

(فإن طبن لكم عن شيء منه نفسا) أي فإن طابت نفوسهن بهبة شيء من الصداق.

(فكلوه هنيئا مريئا) أي فخذوا ذلك الشيء الموهوب حلالا طيبا (712).

(لِلرِّجَالِ نَصِيبٌ مِّمَّا تَرَكَ الْوَالِدَانِ وَالْأَقْرَبُونَ وَلِلنِّسَاءِ نَصِيبٌ مِّمَّا تَرَكَ الْوَالِدَانِ وَالْأَقْرَبُونَ مِمَّا قَلَّ مِنْهُ أَوْ
كَثُرًا نَّصِيبًا مَّقْرُونًا) (٧)

(706) صفوة التفاسير - للصابوني (163 / 1)

(707) تفسير ابن أبي حاتم 3/860 تفسير ابن جرير 4/241 وفي إسناده هشيم بن بشير ثقة لكنه مدلس وقد عنعن بالإضافة إلى إرساله.

(708) الكشف والبيان عن تفسير القرآن (249 / 3)

(709) صحيح مسلم - (139 / 4)

(710) الكشف والبيان عن تفسير القرآن (249 / 3)

(711) جامع البيان (تفسير الطبري) (554 / 7)

(712) صفوة التفاسير - للصابوني (167 / 1)

قوله تعالى: (للرجال نصيب) .

251. أخرج أبو الشيخ وابن حبان في كتاب الفرائض من طريق الكلبى عن أبي صالح عن ابن عباس قال: « كان أهل الجاهلية لا يورثون البنات ولا الصغار الذكور حتى يدركوا، فمات رجل من الأنصار (713) يقال له: أوس بن ثابت وترك ابنتين وابناً صغيراً، فجاء ابنا عمه خالد وعرفطة وهما عصابة فأخذوا ميراثه كله، فأتت امرأته رسول الله ﷺ فذكرت له ذلك فقال: « ما أدري ما أقول » فنزلت: (للرجال نصيب مما ترك الوالدان) الآية (714) .»

[تعليق]

ذكر المؤلف رحمه الله هذا الأثر، ولم أجد إسناده، وقد عزاه إلى أبي الشيخ وابن حبان، وقد ذكر المؤلف طرفاً من إسناده والكلبي المذكور ضعيف لا يحتج به، وقد تقدم الكلام عنه في سورة البقرة لكن وجدت للحديث أسناداً أخر صحيحاً. فأخرج الإمام ابن الأثير من طريق أبي الشيخ، حدثنا أبو يحيى الرازي، حدثنا سهل بن عثمان، حدثنا عبد الله بن الأجلح الكندي، عن أبي صالح، عن ابن عباس قال: كان أهل الجاهلية لا يورثون البنات ولا الولد الصغار الذكور حتى يدركوا، فمات رجل من الأنصار من أصحاب رسول الله صلى الله عليه وسلم يقال له: أوس بن ثابت وترك ابنتين وابناً صغيراً، فجاء ابنا عمه، وهما عصبته، فأخذوا ميراثه كله فذكر نزول قوله تعالى: (ويستفتونك في النساء) [النساء 127]، و: (يوصيكم الله في أولادكم) [النساء 11] (715) قلت: وإسناده حسن لكن ليس في تفسير الآية التي نحن عند شرح سبب نزولها. قال القاضي ابن العربي قال قتادة: « كان أهل الجاهلية يمنعون النساء الميراث ويخصون به الرجال، حتى كان الرجل منهم إذا مات وترك ذرية ضعافاً وقرابة كباراً استبد بالمال القرابة الكبار. وقد روي أن رجلاً من الأنصار مات وترك ولداً صغيراً وأخاً كبيراً، فاستبد بماله، فرفع أمره إلى النبي ﷺ فقال له العم: يا رسول الله، إن الولد صغير لا يركب ولا يكسب، فنزلت الآية (716). قلت: خلاصة سبب النزول هو ما ذكره الإمام ابن العربي وذلك كان من فعل أهل الجاهلية حيث يمنعون النساء والصغار من الميراث وكان ذلك إلى عصابة الميت أيما كانوا، فنزلت الآية لتحديد الحقوق وأن المرأة والطفل لهما حق في الميراث على ما قدره رب العزة تبارك وتعالى والله تعالى أعلم.

[تفسير مختصر للآية]

(للرجال نصيب مما ترك الوالدان والأقربون وللنساء نصيب مما ترك الوالدان والأقربون) أي للأولاد والأقرباء حظ من تركة الميت، كما للبنات والنساء حظ أيضاً الجميع فيه سواء، يستوتون في أصل الورثة وإن تفاوتوا في قدرها، وسببها أن بعض العرب كانوا لا يورثون النساء والأطفال، وكانوا يقولون: إنما يرث من يحارب ويذب عن الحوزة، فأبطل الله حكم الجاهلية. (مما قل منه أو كثر) أي سواء كانت التركة قليلة أو كثيرة. (نصيباً مفروضاً) أي نصيباً مقطوعاً فرضه الله بشره العادل وكتابه المبين (717).

(يوصيكم الله في أولادكم للذكر مثل حظ الأنثيين فإن كن نساءً فوق اثنتين فلهن ثلث ما ترك وإن كانت واحدة فلها النصف ولأبويهما لكل واحد منهما السدس مما ترك إن كان له ولد فإن لم يكن له ولد وورثه أبواه فلأمه الثلث فإن كان له إخوة فلأمه السدس من بعد وصية يوصي بها أو ديناً وأبناؤكم وأبناؤكم لا تدرون أيهم أقرب لكم نقماً فريضة من الله إن الله كان عليماً حكيماً (١١)

قوله تعالى: (يوصيكم الله) - الآية.

252. أخرج الأئمة الستة عن جابر بن عبد الله قال: « عادني رسول الله ﷺ وأبو بكر في بني سلمة ماشيين، فوجدني النبي ﷺ لا أعقل شيئاً فدعا بماء فتوضأ ثم رش علي فأفقت فقلت: ما تأمرني أن أصنع في مالي؟ فنزلت (يوصيكم الله في أولادكم للذكر مثل حظ الأنثيين) (718) .»

253. وأخرج أحمد وأبو داود والترمذي والحاكم عن جابر قال: « جاءت امرأة سعد بن الربيع إلى رسول الله ﷺ فقالت: يا رسول الله هاتان ابنتا سعد بن الربيع قتل أبوهما معك في أحد شهيداً، وإن عمهما أخذ مالهما فلم يدع لهما مالاً ولا تتكحان إلا ولهما مال فقال: « يقضي الله في ذلك » فنزلت آية الميراث (719) .»

(713) هذا الأنصاري هو أوس بن مالك الأنصاري وزوجته هي أم كجة انظر تفسير مقاتل بن سليمان (1/ 216)

(714) وورد الحديث في السنن بغير هذا السياق.

(715) أسد الغابة (2/ 128) المؤلف: أبو الحسن علي بن محمد بن عبد الكريم بن عبد الواحد الشيباني الجزري المعروف بـ (ابن الأثير) سنة الولادة: سنة الوفاة: 630 هـ عدد

الأجزاء: 8 (+7 فهارس) الناشر: دار إحياء التراث العربي مدينة النشر: بيروت/ لبنان سنة النشر: 1417 هـ 1996 م رقم الطبعة: الأولى المحقق: عادل أحمد الرفاعي

(716) أحكام القرآن لابن العربي (1/ 426) المؤلف: القاضي محمد بن عبد الله أبو بكر بن العربي المعافري الاشبيلي المالكي (المتوفى: 543 هـ) راجع أصوله وخرج

أحاديثه وعلق عليه: محمد عبد القادر عطا الناشر: دار الكتب العلمية، بيروت - لبنان الطبعة: الثالثة، 1424 هـ 2003 م عدد الأجزاء: 4

(717) صفوة التفاسير - للصابوني (1/ 167)

(718) أخرجه البخاري صحيح البخاري 2/ 473 (6344) وفي عدة مواضع من صحيحه ومسلم 3/ 1234 (1616) وأبو داود 3/ 119 (2886) والنسائي 1/ 87 (138)

(138) والترمذي 5/ 234 (3015) سنن ابن ماجة 2/ 911 (2728) سنن الدارمي 1/ 203 (733) وأحمد في المسند 3/ 307 (14337) صحيح ابن خزيمة

1/ 56 (106) والبيهقي في السنن الكبرى 1/ 224 (12048) مسند أبي يعلى 4/ 15 (2018) مسند الطيالسي 1/ 237 (1709) مسند الحميدي 2/ 516 (1229)

(1229) المنتقى من السنن المسندة 1/ 241 (958) مسند ابن الجعد 1/ 252 (1667) وغيرهم.

(719) سنن الترمذي 4/ 414 (2092) قال أبو عيسى: هذا حديث صحيح لا نعرفه إلا من حديث عبد الله بن محمد بن عقيل، وقد رواه شريك أيضاً عن عبد الله بن محمد بن

عقيل سنن ابن ماجة 2/ 908 (2720) مسند أحمد 3/ 352 (14840) المستدرک على الصحيحين 4/ 370 (7954) وقال: هذا حديث صحيح الإسناد ولم يخرجاه

قال الحافظ ابن حجر: تمسك بهذا من قال: إن الآية نزلت في قصة ابنتي سعد ولم تنزل في قصة جابر خصوصاً أن جابراً لم يكن له يومئذ ولد قال: والجواب أنها نزلت في الأمرين معاً، ويحتمل أن يكون نزول أولها في قصة البنيتين وأخرها وهو قوله: (وإن كان رجل يورث كلاله) في قصة جابر، ويكون مراد جابر بقوله فنزلت: (يوصيكم الله في أولادكم) أي ذكر الكلاله المتصل بهذه الآية انتهى⁽⁷²⁰⁾ قلت: وقد ورد سبب ثالث.

254. [ك] أخرج ابن جرير عن السدي قال: « كان أهل الجاهلية لا يورثون الجوارى ولا الضعفاء من الغلمان لا يرث الرجل من ولده إلا من أطاق القتال، فمات عبد الرحمن أخو حسان الشاعر وترك امرأة يقال لها أم كحة⁽⁷²¹⁾ وخمس بنات، فجاء الورثة يأخذون ماله فشكت أم كحة ذلك إلى النبي ﷺ، فأنزل الله هذه الآية: (فإن كن نساء فوق اثنتين فلهن ثلثا ما ترك) ثم قال في أم كحة: (ولهن الربع مما تركتم إن لم يكن لكم ولد فإن كان لكم ولد فلهن الثلثين)⁽⁷²²⁾ ». وقد ورد في قصة سعد بن الربيع وجه آخر.

255. [ك] فأخرج القاضي إسماعيل في أحكام القرآن من طريق عبد الملك بن محمد بن حزم « أن عمرة بنت حزام كانت تحت سعد بن الربيع فقتل عنها بأحد وكان له منها ابنة، فأتت النبي ﷺ تطلب ميراث ابنتها، ففيها نزلت: (يستفتونك في النساء) الآية⁽⁷²³⁾ ».

[تعليق]

ذكر المؤلف رحمه الله ثلاثة أسباب لنزوله قول الله تعالى (يوصيكم الله في أولادكم) أما الأول والثاني فأثران صحيحان، وقد جمع الحافظ ابن حجر رحمه الله بينهما بأن تكون الآية نزلت في السببين جميعاً.

قلت: رجح الحافظ في الفتح أن قصة جابر إنما هي في سبب نزول قوله تعالى (يستفتونك قل الله يفتيكم في الكلاله) وهي آخر آية من سورة النساء وهي المشهورة بآية الكلاله الكبرى.

قال الحافظ: قوله فنزلت يوصيكم الله في أولادكم. هكذا وقع في رواية بن جريج وقيل إنه وهم في ذلك وأن الصواب أن الآية التي نزلت في قصة جابر، هذه الآية الأخيرة من النساء (وهي يستفتونك قل الله يفتيكم في الكلاله) لأن جابراً يومئذ لم يكن له ولد ولا والد، والكلالة من لا ولد له ولا والد.

وقد أخرج مسلم عن عمرو الناقد والنسائي عن محمد بن منصور كلاهما عن بن عيينة عن بن المنكدر فقال في هذا الحديث: حتى نزلت عليه آية الميراث (يستفتونك قل الله يفتيكم في الكلاله) ولمسلم أيضاً من طريق شعبة عن بن المنكدر قال في آخر هذا الحديث: فنزلت آية الميراث. فقلت لمحمد بن المنكدر (يستفتونك قل الله يفتيكم في الكلاله) قال هكذا أنزلت. وقد تظن البخاري بذلك فترجم في أول الفرائض قوله (يوصيكم الله في أولادكم) إلى قوله (والله عليم حلیم) ثم ساق حديث جابر المذكور عن قتيبة عن بن عيينة وفي آخره «حتى نزلت آية الميراث» ولم يذكر ما زاده الناقد، فأشعر بأن الزيادة عنده مدرجة من كلام بن عيينة. وقد أخرج أحمد عن بن عيينة مثل رواية الناقد وزاد في آخره - كان ليس له ولد وله أخوات - وهذا من كلام بن عيينة أيضاً انتهى.

قلت: وكلام الإمام ابن حجر في الفتح يناقض ما رجحه هنا وهو كون الآية في ابنتي سعد لا في جابر، لأن جابر لم يكن له أبناء وقت نزول هذه الآية إنما كان له أخوات وهي المنطبقة على حال جابر والله تعالى أعلم⁽⁷²⁴⁾.

فأخرج أبو داود في سننه عن جابر بن عبد الله قال: خرجنا مع رسول الله صلى الله عليه وسلم حتى جئنا امرأة من الأنصار في الأسواف - هو اسم لحرم المدينة الذي حرمه رسول الله صلى الله عليه وسلم - فجاءت المرأة بابنتين لها فقالت: يا رسول الله هاتان بنتا ثابت بن قيس قتل معك يوم أحد وقد استفاء عمهما مالهما وميراثهما كله ولم يدع لهما مالا إلا أخذها فما ترى يا رسول الله؟ فوالله لا تنكحان أبداً إلا ولهما مال فقال رسول الله صلى الله عليه وسلم " يقضي الله في ذلك " قال ونزلت سورة النساء (يوصيكم الله في أولادكم) الآية فقال رسول الله صلى الله عليه وسلم " ادعوا لي المرأة وصاحبها " فقال لعمري " أعطهما الثلثين وأعط أمهما الثلثين وما بقي فلك ".

قال أبو داود أخطأ بشر فيه إنما هما ابنتا سعد بن الربيع وثابت بن قيس قتل يوم اليمامة⁽⁷²⁵⁾.

قلت: كون الآية نزلت في سعد بن الربيع هذا هو الصحيح وقد علق أبو داود على هذه الرواية بأنها خطأ.

وقد ذكر الإمام ابن جرير سبباً آخر، ولكنه متعلق بآخر الآية لا بأولها، قال: عن ابن عباس: (يوصيكم الله في أولادكم للذكر مثل حظ الأنثيين) وذلك أنه لما نزلت الفرائض التي فرض الله فيها ما فرض للولد الذكر والأنثى والأبوين، كرهها الناس أو بعضهم، وقالوا: "تعطى المرأة الربع والثلثين، وتعطى الابنة النصف، ويعطى الغلام الصغير، وليس من هؤلاء أحد يقاتل القوم ولا يحوز الغنيمة!! اسكتوا عن هذا الحديث لعل رسول الله ﷺ ينساه، أو نقول له فيغيره». فقال بعضهم: يا رسول الله، أعطني الجارية نصف ما ترك أبوها، وليست تركب الفرس ولا تقاتل القوم، وتعطى الصبي الميراث وليس يغني شيئاً؟! وكانوا يفعلون ذلك في

سنن البيهقي الكبرى 6/216 ح (11999) قال الإمام أحمد رحمه الله: حدثنا زكريا بن عدي أنا عبيد الله عن عبد الله بن محمد بن عقيل عن جابر بن عبد الله بن محمد بن عقيل عن جابر بن عبد الله بن محمد بن عقيل وفيه بعض الكلام مما لا يوجب طرحه فلا ينحط حديثه عن رتبة الحسن.

⁽⁷²⁰⁾ انظر فتح الباري 8/244 قلت: وصحت الرواية بأن سبب نزول الآية في قصة جابر هي الكلاله الكبرى وهي قوله تعالى: (يستفتونك قل الله يفتيكم في الكلاله) - الآية مما يؤيد قول الحافظ

⁽⁷²¹⁾ في المخطوط [أم كحة] بالجيم

⁽⁷²²⁾ تفسير الطبري 4/275 من طريق أسباط بن نصر عن السدي وهو مرسل لا يصح أن يكون سبب ثالث لنزول الآية

⁽⁷²³⁾ مرسل.

⁽⁷²⁴⁾ فتح الباري ابن حجر (8/243)

⁽⁷²⁵⁾ سنن أبي داود (135/2)

الجاهلية، لا يعطون الميراث إلا من قاتل، يعطونه الأكبر فالأكبر. فنزلت (فريضة من الله إن الله كان عليماً حكيماً) (726). قلت: وهذه الآية ناسخة لقوله تعالى (الوصية للولدين والأقربين بالمعروف حقاً على المتقين)سورة البقرة.

[تفسير مختصر للآية]

(يوصيكم الله) أي: يفرض عليكم؛ لأن الوصية من الله فرضٌ (في أولادكم) الذكور والإناث (للذكر مثل حظ الأنثيين فإن كُنَّ) أي: الأولاد (نساءً فوق اثنتين) " فوق " ها هنا صلة؛ لأنَّ الثنتين يرثان الثلثين بإجماع اليوم، وهو قوله: (فلهن ثلثا ما ترك) ويجوز تسمية الاثنين بالجمع، (وإن كانت) المتروكة المخلفة (واحدة فلها النصف) وتم بيان ميراث الأولاد، ثم قال: (ولأبويه) أي: ولأبوي الميت (لكل واحد منهما السدس ممَّا ترك إن كان له ولد فإن لم يكن له ولدٌ وورثه أبواه فلأمه الثلث، فإن كان له) أي: للميت (إخوة) يعني أخوين؛ لأنَّ الأمة أجمعت أنَّ الأخوين يحجبان الأمَّ من الثلث إلى السدس، وقوله: (من بعد وصية) أي: هذه الأنصبا إنما تقسم بعد قضاء الدين، وإنفاذ وصية الميت (أبائكم وأبنائكم لا تدرُونَ أيهم أقرب لكم نفعاً) في الدنيا فتعطونه من الميراث ما يستحق، ولكنَّ الله قد فرض الفرائض على ما هو عنده حكمة، ولو وكل ذلك إليكم لم تعلموا أيهم أنفع لكم، فأفسدتم وضيعتم (إنَّ الله كان عليماً) بالأشياء قبل خلقها (حكيماً) فيما دبر من الفرائض، وقوله:

(وإن كان رجل يورث كلاله) الكلاله: مَنْ لا ولد له ولا والد، وكلُّ وارث ليس بوالدٍ ولا ولد للميت فهو كلاله أيضاً، والكلالة في هذه الآية الميت، أي: وإن مات رجلٌ ولا ولد له ولا والد (وله أخٌ أو أخت) يريد: من الأمَّ بإجماع من الأمة (فلكل واحدٍ منهما السدس) وهو فرض الواحد من ولد الأم (فإن كانوا أكثر من) واحدٍ اشتروا في الثلث. الذكر والأنثى فيه سواء، وقوله: (غير مضار) أي: مُدخل الضرر على الورثة، وهو أن يوصي بدين ليس عليه، يريد بذلك ضرر الورثة (والله عليم) فيما دبر من هذه الفرائض (حليم) عمَّن عصاه بتأخير عقوبته (727).

(يَا أَيُّهَا الَّذِينَ آمَنُوا لَا يَحِلُّ لَكُمْ أَنْ تَرِثُوا النِّسَاءَ كَرِهًا وَلَا تَعْضُلُوهُنَّ لِيَنْدَهَبُوا بِبَعْضِ مَا عَاتَيْنَهُنَّ إِلَّا أَنْ يَأْتِيَنَّ بِفَحِشَةٍ مُبِينَةٍ وَعَاشِرُوهُنَّ بِالْمَعْرُوفِ فَإِنْ كَرِهْتُمُوهُنَّ فَعَسَى أَنْ تَكْرَهُوا شَيْئًا وَيَجْعَلَ اللَّهُ فِيهِ خَيْرًا كَثِيرًا ۙ ۱۹)

قوله تعالى: (يا أيها الذين آمنوا لا يحل لكم أن ترثوا النساء كرهاً).

256. روى البخاري وأبو داود والنسائي عن ابن عباس قال: « كانوا إذا مات الرجل كان أولياؤه أحق بامرأته إن شاء بعضهم تزوجها وإن شاءوا زوجها فهم أحق بها من أهلها، فنزلت هذه الآية (728) ». «

257. وأخرج ابن جرير وابن أبي حاتم بسند حسن عن أبي أمامة بن سهل بن حنيف قال: « لما توفي أبو قيس بن الأسلت أراد ابنه أن يتزوج امرأته وكان لهم ذلك في الجاهلية، فأنزل الله: (لا يحل لكم أن ترثوا النساء كرها) (729) ». «

258. وله شاهد عن عكرمة عند ابن جرير (730).

259. وأخرج ابن أبي حاتم والفريابي والطبراني عن عدي بن ثابت عن رجل من الأنصار قال: « توفي أبو قيس بن الأسلت وكان من صالحى الأنصار، فخطب ابنه قيس امرأته، فقالت: إنما أعددك ولداً وأنت من صالحى قومك، فأنت النبي □ وأخبرته، فقال « ارجعي إلى بيتك » فنزلت هذه الآية: (ولا تنكحوا ما نكح آبؤكم من النساء إلا ما قد سلف) (731) ». «

260. وأخرج ابن سعد عن محمد بن كعب القرظي قال: « كان الرجل إذا توفي عن امرأته كان ابنه أحق بها أن ينكحها إن شاء - إن لم تكن أمه - أو ينكحها من شاء، فلما مات أبو قيس بن الأسلت قام ابنه محصن فورث نكاح امرأته ولم يورثها من المال شيئاً فأنت النبي □ فذكرت ذلك له فقال « ارجعي لعل الله ينزل فيك شيئاً، فنزلت هذه الآية: (ولا تنكحوا ما نكح آبؤكم من النساء) ونزلت: (لا يحل لكم أن ترثوا النساء كرها) (732) الآية ». «

261. وأخرج أيضاً عن الزهري قال: « نزلت هذه الآية في ناس من الأنصار، كان إذا مات الرجل منهم كان

(726) جامع البيان (تفسير الطبري) (32 / 7)

(727) الوجيز للواحدى (118)

(728) تفسير الطبري 4/305 صحيح البخاري 4/1670 ح (6549) سنن أبي داود 2/230 ح (2089) السنن الكبرى للنسائي 6/321 ح (11094) سنن البيهقي الكبرى 138 ح (13570)

(729) تفسير ابن جرير 4/305 سنن البيهقي الكبرى 7/161 ح (13695) من طريق عدي بن ثابت الأنصاري وله نحوه عن مقاتل بن حيان مرسل سنن النسائي الكبرى

6/321 ح (11095) وإسناده صحيحقال الإمام النسائي نا علي بن المنذر عن بن فضال نا يحيى بن سعيد عن محمد بن أبي أمامة عن أبيه قال -فذكره

(730) تفسير ابن جرير 4/306 معلقاً ومرسلاً.

(731) تفسير ابن أبي حاتم 3/909 المعجم الكبير 22/393 ح (978) وفي إسناده أشعث بن سوار قال الحافظ: ضعيف

(732) الطبقات الكبرى لابن سعد 4/384 وفي إسناده موسى بن عبيدة ضعيف بالإضافة إلى إرساله.

أملك الناس بامرأته وليه فيمسكها حتى تموت (733) «.

[تعليق]

ذكر المؤلف رحمه الله خمسة آثار في سبب نزول هذه الآية. وهي تبين ما كان عليه أهل الجاهلية من ظلم النساء، فكان إذا مات الرجل كان أولياؤه أحق بامرأته سواء كان هذا الولي ولد أو ابن عم أو غير ذلك.

وقد جمع الإمام الثعلبي بين الروايات المختلفة لهذه الآثار. قال الإمام ابن حجر في كتابه أسباب النزول - وعزاه للثعلبي -: قال المفسرون « كان من أهل المدينة في الجاهلية في أول الإسلام إذا مات الرجل وله امرأة جاء ابنه من غيرها أو قريبه من عصبته فألقى ثوبه عليها أو على خباثها فصار أحق بها من نفسها ومن غيره فإن شاء أن يتزوجها تزوجها بغير صداق إلا الصداق الأول الذي أصدقها الميت، وإن شاء زوجها غيره وأخذ صداقها فلم يعطها منه شيئاً، وإن شاء عضلها ومنعها من الأزواج وطول عليها وضارها لتفتدي منه بما ورثت من الميت أو تموت هي فيرتها، فإن ذهبت المرأة إلى منزل أهلها قبل أن يلقي عليها ابن زوجها ثوبه فهي أحق بنفسها. فكانوا كذلك حتى توفي أبو قيس بن الأسلت الأنصاري وترك زوجته كبيشة بن معن الأنصارية، فقام ابن له من غيرها يقال له حصن فطرح ثوبه عليها فولي نكاحها، ثم تركها فلم يقربها ولم ينفق عليها يضارها بذلك لتفتدي منه بمالها وكذلك كانوا يفعلون إذا كانت جميلة موسرة دخل بها وإلا طول عليها لتفتدي منه، فأتت كبيشة رسول الله فقالت يا رسول الله: إن أبا قيس توفي وولي ابنه نكاحي وقد أضربني وطول علي فلا هو ينفق علي ولا هو يدخل بي ولا هو يخلي سبيلي. فقال لها: «أقعدني في بيتك حتى يأتي فيك أمر الله». قال: فانصرفت وسمع النساء بذلك فأتين رسول الله وهو في مسجد الفضيل فقلن يا رسول الله: ما نحن إلا كهيئة كبيشة غير أنه لم ينكحنا الأبناء وإنما نكحنا بنو العم. فأنزل الله عز وجل هذه الآية قلت: [أي ابن حجر] وفي قوله إن المرأة كانت ترث زوجها مخالفة لما تقدم في قوله إنهم كانوا لا يورثون النساء (734). انتهى

وفي الآية سبب آخر ذكره ابن أبي حاتم في التفسير فقال: عن مجاهد: (لا يحل لكم أن ترثوا النساء كرها): فإن الرجل يكون في حجره اليتيمة هو يلي أمرها، فيحبسها رجاء أن تموت امرأته فيتزوجها أو يتزوجها ابنه (735).

قلت: وهذا السبب الأخير داخل في عموم الآية فهو محتمل وإن كان مرسلًا، لأن لفظ النساء عام فهو يشمل النهي على إرث كل النساء، وقد اختلف أهل العلم في المراد بإرث النساء على قولين، فقال بعضهم المراد به إرث النكاح فلا تنكح المرأة من غير إذا أولياء زوجها، والثاني: المراد به إرث المال (736). والأول هو قول الجمهور والثاني مروى عن ابن عباس.

وكذلك لفظ الآية محتمل لكلا الأمرين سواء إرث المال أو النكاح والله تعالى أعلم.

[تفسير مختصر للآية]

(يا أيها الذين آمنوا لا يحل لكم أن ترثوا النساء كرها) أي لا يحل لكم أن تجعلوا النساء كالممتاع، ينتقل بالإرث من إنسان إلى آخر، وأن ترثوهن بعد موت أزواجهن كرها عنهن (737).

قوله تعالى: (وحلائل أبنائكم) - الآية

262. وأخرج ابن جرير عن ابن جريج قال: قلت لعطاء: (وحلائل أبنائكم الذين من أصلابكم) قال: كنا نتحدث أنها نزلت في محمد □ حين نكح امرأة زيد بن حارثة قال المشركون في ذلك، فنزلت: (وحلائل أبنائكم الذين من أصلابكم) ونزلت: (وما جعل أديعكم أبناءكم) [الأحزاب 4] ونزلت: (ما كان محمد أباً أحد من رجالكم) (738) [الأحزاب 40] «.

[تعليق]

ذكر المؤلف أثراً واحداً في سبب نزول قوله تعالى (وحلائل أبنائكم الذين من أصلابكم) وهو يدل على تحريم نكاح زوجة الابن الصلبي. أما الابن غير الصلبي كأن يكون بالتبني، فيجوز للرجل نكاحها عند انقطاع نكاحها منه. ومعروف أن التبني في الإسلام لا يجوز. ومحل بحث هذه المسألة كتب الفقه. والله تعالى الموفق.

[تفسير مختصر للآية]

(حرمت عليكم أمهاتكم) أي حرم عليكم نكاح الأمهات، وشمل اللفظ الجدات من قبل الأب أو الأم. (وبناتكم) وشمل بنات الأولاد وإن نزلن. (وأخواتكم) أي شقيقه كانت، أو لأب، أو لأم. [وعماتكم] أي أخوات آبائكم وأخوات أجدادكم. (وبنات الأخ وبنات الأخت) أي بنت الأخ وبنت الأخت ويدخل فيهن أولادهن !! وهؤلاء المحرمات بالنسب (الأمهات، البنات، الأخوات، العمات، الخالات، بنات الأخ، بنات الأخت) ثم شرع تعالى في ذكر المحرمات من الرضاع فقال: (وأمهاتكم التي أرضعنكم وأخواتكم من الرضاعة) نزل الله الرضاعة منزلة النسب، حتى سمي المرضعة أما للرضيع أي كما يحرم عليك أمك التي ولدتك، كذلك يحرم عليك أمك التي أرضعتك، وكذلك أختك من الرضاع، ولم تذكر الآية من المحرمات

(733) تفسير الطبري 4/307 مرسل صحيح الإسناد

(734) العجائب في بيان الأسباب (2/ 849)

(735) تفسير ابن أبي حاتم - (3/ 903)

(736) انظر زاد المسير في علم التفسير (2/ 5)

(737) صفوة التفاسير - للصابوني (1/ 172)

(738) تفسير الطبري 4/323 وفي إسناده الحسين بن داود سنيد ضعيف بالإضافة إلى إرساله

بالرضاع سوى (الأمهات والأخوات) وقد وضحت السنة النبوية أن المحرمات بالرضاع سبع كما هو الحال في النسب لقوله عليه السلام (يحرم من الرضاع ما يحرم من النسب).. ثم ذكر تعالى المحرمات بالمصاهرة فقال:
 (وأمهات نسائكم) أي وكذلك يحرم نكاح أم الزوجة سواء دخل بالزوجة أو لم يدخل، لأن مجرد العقد على البنت يحرم الأم.
 (وربائكم اللاتي في حجوركم) أي بنات أزواجكم اللاتي ربيتموهن، وذكر الحجر ليس للقيود وإنما هو للغالب، لأن الغالب أنها تكون مع أمها ويتولى الزوج تربيتها.
 (من نسائكم اللاتي دخلتم بهن فإن لم تكونوا دخلتم بهن فلا جناح عليكم) الدخول هنا كناية عن الجماع، أي من نسائكم اللاتي أدخلتموهن الستر وجامعتموهن، قاله ابن عباس، فإن لم تكونوا قد دخلتم بأمهاتهن وفارقتموهن، فلا جناح عليكم في نكاح بناتهن.
 (وحلائل أبنائكم الذين من أصلابكم) أي وحرمة عليكم نكاح زوجات أبنائكم الذين ولدتموهم من أصلابكم، بخلاف من تبنيتموهم فلم ينكح حلائلهم.
 (وأن تجمعوا بين الأختين إلا ما قد سلف) أي وحرمة عليكم الجمع بين الأختين معا في النكاح، إلا ما كان منكم في الجاهلية، فقد عفا الله عنه.
 (إن الله كان عفورا رحيفا) أي عفورا لما سلف، رحيفا بالعباد (739).

(وَالْمَحْصَنَاتُ مِنَ النِّسَاءِ إِلَّا مَا مَلَكَتْ أَيْمَانُكُمْ كَتَبَ اللَّهُ عَلَيْكُمْ وَأَجَلَ لَكُمْ مِمَّا وَرَاءَ ذَلِكَ أَنْ تَبْتَغُوا بِأَمْوَالِكُمْ مُحْصِنِينَ غَيْرَ مُسْفِحِينَ فَمَا اسْتَمْتَعْتُمْ بِهِ مِنْهُنَّ فَآتُوهُنَّ أُجُورَهُنَّ فَرِيضَةً وَلَا جُنَاحَ عَلَيْكُمْ فِيمَا تَرْضَيْتُمْ بِهِ مِنْ بَعْدِ الْفَرِيضَةِ إِنَّ اللَّهَ كَانَ عَلِيمًا حَكِيمًا ٢٤)

قوله تعالى: (والمحصنات) الآية.

263. روى مسلم وأبو داود والترمذي والنسائي عن أبي سعيد الخدري قال: « أصبنا سبائا من سبي أوطاس لهن أزواج، فكرهنا أن نقع عليهن ولهن أزواج، فسالنا النبي ﷺ، فنزلت: (والمحصنات من النساء إلا ما ملكت أيمانكم) يقول: إلا ما أفاء الله عليكم فاستحللنا بها فروجهن (740) ».
 264. وأخرج الطبراني عن ابن عباس قال: « نزلت يوم حنين، لما فتح الله حنيينا أصاب المسلمون نساء من نساء أهل الكتاب لهن أزواج، وكان الرجل إذا أراد أن يأتي المرأة قالت: إن لي زوجاً فسئل النبي صلى الله عليه وسلم عن ذلك، فأنزل الله: (والمحصنات من النساء) الآية (741) ». »

[تعليق]

ذكر المؤلف رحمه الله أثرين في سبب نزول هذه الآية. وهما يدلان على جواز الاستمتاع بملكات اليمين من السبائا، وإن كن متزوجات قبل ذلك، ولكن بشرط أن تستبرأ بحيضة.
 روى أبي داود والترمذي وأحمد وغيرهم عن أبي سعيد الخدري، ورفعه، أنه قال في سبائا أوطاس: « لا نُوطأُ حَامِلَةً حَتَّى تَضَعُ، وَلَا غَيْرُ ذَلِكَ حَتَّى تَحِيضَ حَيْضَةً » (742).
 وقد ورد سبب نزول آخر لهذه الآية فروى الحافظ في العجائب عن عكرمة: أن هذه الآية التي في سورة النساء (والمحصنات من النساء إلا ما ملكت أيمانكم) نزلت في امرأة يقال لها: معاذة وكانت تحت شيخ من بني سدوس يقال له: شجاع بن الحرث، وكان معها ضرة لها قد ولدت لشجاع أولادا رجالا وإن شجاعا انطلق يميز أهله من هجر فمر بمعاذة ابن عم لها فقالت له: احملني إلى أهلي فإنه ليس عند هذا الشيخ خير، فاحتملها فانطلق بها فوافق ذلك جبهة الشيخ فانطلق إلى رسول الله ﷺ فقال:
 يا رسول الله وأفضل العرب * إني خرجت أبغيها الطعام في رجب
 فتولت والظت بالذنب * وهي شر غالب لمن غلب
 رأيت غلاما واركا على * قتب لها وله أرب
 فقال رسول الله ﷺ : «عل عل (743) فإن كان الرجل كشف بها ثوبا فارجموها. وإلا فردوا على الشيخ امرأته » فانطلق مالك بن شجاع، وابن ضرته فطلبها فجاء بها ونزلت بيبتها (744).
 وهذا أثر مرسل وكذلك لم أقف على إسناده. فالأول أرجح والله تعالى أعلم.

[تفسير مختصر للآية]

(والمحصنات من النساء إلا ما ملكت أيمانكم) أي وحرمة عليكم نكاح المتزوجات من النساء إلا ما ملكتموهن بالسبي، فيحل لكم وطؤهن بعد الاستبراء، ولو كان لهن أزواج في دار الحرب، لأن بالسبي تنقطع عصمة الكافر لقوله تعالى (ولا تمسكوا بعصم

(739) صفوة التفاسير - للصابوني (1/ 174)

(740) صحيح مسلم 2/1079 ح (1456) سنن أبي داود 2/247 ح (2155) سنن الترمذي 3/438 ح (1132) سنن النسائي 6/110 ح (3333) مسند أحمد 3/84 ح (11814) سنن البيهقي الكبرى 7/167 ح (13732) مسند أبي يعلى 2/381 ح (1148) وغيرهم (741) المعجم الأوسط 4/297 ح (4251) وفيه [خبيبر] مكان [حنين] وكذلك أخرجه في الكبير وقال: خبيبر وفي إسناده رزين الجرجاني قال الهيثمي: لم أعرفه وباقى إسناده ثقافت قلت: له ترجمة في تاريخ جرجان قال: روى عن الضحاك ولم أجد فيه جرعا ولا تعديلا (742) سنن أبي داود (2/ 248)

(743) هذه الكلمة " عل عل " تقال زجراً للغنم. المعجم الوسيط (2/ 621) قلت: فعل النبي صلى الله عليه وسلم أراد أن يقطع حديثه بتلك الكلمة والله أعلم.

(744) العجائب في بيان الأسباب (2/ 856)

(كتاب الله عليكم) أي هذا فرض الله عليكم.

(وأحل لكم ما وراء ذلك) أي أحل لكم نكاح ما سواهن.

(أن تبتغوا بأموالكم محصنين غير مسافحين) أي إرادة أن تطلبوا النساء بطريق شرعي، فتدفعوا لهن المهور، حال كونكم متزوجين غير زانيين (745).

قوله تعالى: (ولا جناح) - الآية.

265. أخرج ابن جرير عن المعتمر بن سليمان عن أبيه قال: «زعم حضرمي أن رجالاً كانوا يفرضون المهر ثم عسى أن تدرك أحدهم العسرة، فنزلت (ولا جناح عليكم فيما تراضيتم به من بعد الفريضة) (746)».

[تعليق]

ذكر المؤلف هنا هذا الأثر في سبب نزول قوله تعالى (فما استمتعتم به منهن فاتوهن أجورهن فريضة). وهذا الاستمتاع اختلف العلماء ما المراد منه. فقال بعض أهل العلم: هو نكاح المتعة، وقد كان نكاح المتعة حلالاً ثم نسخ بعد ذلك، ففي صحيح مسلم عن جابر بن عبد الله يقول: «كنا نستمتع بالقبضة من التمر والدقيق الأيام على عهد رسول الله صلى الله عليه وسلم وأبي بكر حتى نهى عنه عمر» (747).

وقال الجمهور: هو الاستمتاع في النكاح بالمهور (748).

قوله تعالى: (ولا جناح عليكم فيما تراضيتم به من بعد الفريضة) فيه ستة أقوال.

أحدها: أن معناه: لا جناح عليكم فيما تركته المرأة من صداقها، ووهبته لزوجها، هذا مروى عن ابن عباس، وابن زيد.

والثاني: ولا جناح عليكم فيما تراضيتم به من مقام، أو فرقة بعد أداء الفريضة، روي عن ابن عباس أيضاً.

والثالث: ولا جناح عليكم أيها الأزواج إذا أسرتكم بعد الفرض لنسائكم فيما تراضيتم به من أن ينقصنكم أو يبرننكم، قاله أبو سليمان التيمي.

والرابع: لا جناح عليكم إذا انقضى أجل المتعة أن يزيدنكم في الأجل، وتزيدونهن في الأجر من غير استبراء، قاله السدي: وهو يعود إلى قصة المتعة.

والخامس: لا جناح عليكم أن تهب المرأة للرجل مهرها، أو يهب هو للتي لم يدخل بها نصف المهر الذي لا يجب عليه. قاله الزجاج.

والسادس: أنه عام في الزيادة، والنقصان، والتأخير، والإبراء، قاله القاضي أبو يعلى (749).

وفي سبب نزول هذه الآية أثر آخر أخرجه ابن أبي حاتم عن ابن عباس قال: «كانت متعة النساء في أول الإسلام، كان الرجل يقدم البلدة، ليس معه من يصلح له ضيعته ولا يصلح بحفظ متاعه، فيتزوج المرأة إلى قدر ما يرى أنه يفرغ من حاجته، فتنتظر له متاعه وتصلح له ضيعته، وكان يقول: فما استمتعتم به منهن نسختها محصنين غير مسافحين وكان الاحصان بيد الرجل، مسك متى شاء ويطلق متى شاء (750)».

[تفسير مختصر للآية]

(فما استمتعتم به منهن فاتوهن أجورهن فريضة) أي فما تلذذتم به من النساء بالنكاح الشرعي الصحيح فسر بعض الشيعة الآية بأنها في (نكاح المتعة) وهو تفسير باطل، لأن المتعة محرمة بالنصوص القاطعة وبالاجماع، فاتوهن مهورهن فريضة فرضها الله عليكم بقوله [وأتوا النساء صدقاتهن نحلة] ثم قال تعالى:

(ولا جناح عليكم فيما تراضيتم به من بعد الفريضة) أي لا إثم عليكم فيما اسقطن من المهر برضاهن كقوله تعالى.

(فإن طبن لكم عن شيء منه نفسا فكلوه هنيئاً مريئاً) قال ابن كثير: أي فرضت لها صداقاً فأبرأتك منه، أو عن شيء منه فلا جناح عليك ولا عليها في ذلك.

(إن الله كان عليماً حكيماً) أي عليماً بمصالح العباد (حكيماً) فيما شرع لهم من الأحكام (751).

وَلَا تَتَمَنَّوْا مَا فَضَّلَ اللَّهُ بِهِ بَعْضَكُمْ عَلَى بَعْضٍ لِّلرِّجَالِ نَصِيبٌ مِّمَّا كَسَبُوا وَلِلنِّسَاءِ نَصِيبٌ مِّمَّا كَسَبْنَ وَسَأَلُوا
اللَّهُ مِنْ فَضْلِهِ إِنَّ اللَّهَ كَانَ بِكُلِّ شَيْءٍ عَلِيمًا (٣٢)

قوله تعالى: (ولا تتمنوا).

266. روى الحاكم عن أم سلمة أنها قالت: «يغزو الرجال ولا يغزو النساء وإنما لنا نصف الميراث، فأنزل

(745) صفوة التفسير - للصابوني (1/ 174)

(746) تفسر ابن جرير 5/13 وحضرمي المذكور في الإسناد هو حضرمي بن لاحق شيخ سليمان التيمي مجهول وهناك حضرمي بن لاحق آخر قال فيه الحافظ: لا بأس به وقال: في التهذيب الذي يظهر أنهما اثنان وعلى كل الأحوال فهو مرسل لأن حضرمي تابعي وباقي الإسناد ثقات.

(747) صحيح مسلم - تح عبد الباقي (2/ 1022)

(748) زاد المسير (2/ 53)

(749) زاد المسير (2/ 54) 1404

(750) تفسير ابن أبي حاتم - (3/ 919) وفي إسناده موسى بن عبيدة وهو ضعيف.

(751) صفوة التفسير - للصابوني (1/ 174)

الله: (ولا تتمنوا ما فضل الله به بعضكم على بعض) وأنزل فيها: (إن المسلمين والمسلمات) - الآية (752) «.

267. وأخرج ابن أبي حاتم عن ابن عباس قال: « أنت امرأة النبي □ فقالت: يا نبي الله للذكر مثل حظ الأنثيين وشهادة امرأتين برجل، أفنحن في العمل هكذا إن عملت المرأة حسنة كتبت لها نصف حسنة؟ فأنزل الله: (ولا تتمنوا) الآية (753).

[تعليق]

ذكر المؤلف رحمه الله أثرين في سبب نزول هذه الآية. وهما سببان لنزول الآية. فالأول أنها نزلت في سؤال أم سلمة - زوج النبي □ -.

والثاني نزلت في سؤال امرأة ولم أقف على اسم هذه المرأة. وهما يدلان على سؤال النساء عن الأعمال هل هي على النصف في الأجر كما هو الحال في بعض الأحكام مثل الميراث والشهادة؟ فبين الله سبحانه أن كل الأحكام المتعلقة بالرجال والنساء إنما أمرها إلى الله سبحانه، فلا ينبغي أن يتمنى الإنسان ما لم يعطه.

وقد وردت عدة آثار في سبب نزول هذه الآية وكلها تدور حول نفس المعنى.

وقد ورد كذلك أسباب غير ما ذكر المؤلف رحمه الله.

فأجرح الأمام الطبري وغيره عن قتادة قوله: (ولا تتمنوا ما فضل الله به بعضكم على بعض للرجال نصيب مما اكتسبوا وللنساء نصيب مما اكتسبن)، كان أهل الجاهلية لا يورثون المرأة شيئاً ولا الصبي شيئاً، وإنما يجعلون الميراث لمن يَحْتَرَف وينفع ويدفع. فلما نُجِزَ للمرأة نصيبها وللصبي نصيبه، وجعل للذكر مثل حظ الأنثيين، قال النساء: "لو كان جعل أنصباً في الميراث كأنصبا الرجال!" وقال الرجال: "إنا لنرجو أن نفضل على النساء بحسناتنا في الآخرة، كما فضلنا عليهن في الميراث!" فأنزل الله: (للرجال نصيب مما اكتسبوا وللنساء نصيب مما اكتسبن)، يقول: المرأة تُجْزَى بحسنتها عشر أمثالها، كما يُجْزَى الرجل (754). قلت: الآية بعمومها تشمل كل ما تقدم سواء في قول النساء أم في قول الرجال، فالنهي متوجه لكلا الفريقين أن لا يتمنوا ما فضل الله به بعضهم على بعض والله تعالى أعلم.

[تفسير مختصر للآية]

(وَلَا تَتَمَنَّوْا): التمني: التشهي والرغبة في حصول الشيء، وأداته: لبت، ولو، فإن كان مع زوال المرغوب فيه عن شخص ليحصل للمتمني فهو الحسد.

(مَا فَضَّلَ اللَّهُ بِهِ بَعْضَكُمْ): أي: ما فضل الله به أحداً منكم فأعطاه علماً أو مالاً أو جاهاً أو سلطاناً. (نَصِيبٌ مِّمَّا كَتَبْنَا): أي: حصة وحظ من الثواب والعقاب بحسب الطاعة والمعصية (755).

(وَلِكُلِّ جَعَلْنَا مَوْلِيًا مِمَّا تَرَكَ الْوَالِدَانِ وَالْأَقْرَبُونَ وَالَّذِينَ عَقَدَتْ أَيْمَانُكُمْ فَأَنْتُمْ أَنْصَابُهُمْ إِنَّ اللَّهَ كَانَ عَلَى كُلِّ شَيْءٍ شَهِيدًا ۝۳۳)

قوله تعالى: (والذين عاقدت أيمانكم) الآية.

268. أخرج أبو داود في سننه من طريق ابن إسحاق عن داود بن الحصين قال: « كنت أقرأ على أم سعد ابنة الربيع وكانت مقيمة في حجر أبي بكر، فقرأت: (والذين عاقدت أيمانكم) فقالت: لا ولكن (والذين عاقدت) وإنما نزلت في أبي بكر وابنه حين أبي الإسلام فحلف أبو بكر أن لا يورثه فلما أسلم أمره أن يؤتاه نصيبه (756) «.

[تعليق]

ذكر المؤلف رحمه الله أثراً واحداً في سبب نزول هذه الآية. وهو يدل على أن الآية نزلت في أبي بكر الصدوق مع ابنه.

وقد ورد فيها ثلاثة أسباب غير ما ذكر المؤلف رحمه الله.

فأخرج الإمام ابن جرير عن سعيد بن المسيب: أن الله قال: (ولكل جعلنا مولي من مما ترك الوالدان والأقربون والذين عاقدت أيمانكم فاتوهم نصيبهم)، قال سعيد بن المسيب: إنما نزلت هذه الآية في الذين كانوا يتبنون رجالاً غير أبنائهم ويورثونهم، فأنزل الله

(752) سنن الترمذي 5/237 ح (3022) وأعله بالإرسال مسند أحمد 6/322 ح (26779) المستدرک علی الصحیحین 2/335 ح (3195) وعلق صحته على ثبوت سماع مجاهد من أم سلمة سنن البيهقي الكبرى 9/21 ح (17584) مسند أبي يعلى 12/393 ح (6959) ولم أجد لمجاهد تصريح بالسماع من أم سلمة في حديث واحد، والذي يظهر أن روايته عنها مرسلة، قال البردجي: الذي صح لمجاهد من الصحابة رضي الله عنهم ابن عباس وابن عمر وأبو هريرة على خلاف فيه، قلت: وروايتُه عن عائشة في صحيح مسلم ذكر ذلك العلاني في جامع التحصيل عند ترجمت مجاهد وللحديث علة أخرى وهي رواية ابن أبي نجیح عن مجاهد فقد تقدم أنه لم يسمع منه التفسير. (753) تفسير ابن أبي حاتم 3/935 المختارة 10/116 ح (115) وإسناده جيد قال الضياء: أخبرنا أبو عبد الله محمد بن أبي الرجاء بن الفضل الحافظ الأصبهاني بها أن مسعود بن الحسن التقي أخبرهم ابنا أحمد بن عبد الرحمن الذكواني ثنا محمد بن أحمد بن إبراهيم ثنا أبو سعيد الدشتكي حدثني أبي ثنا أبي عن أبيه عن أشعث عن جعفر عن سعيد بن جبیر عن ابن عباس - به وأشعث بن إسحاق بن سعد بن مالك قال الحافظ صدوق. (754) جامع البيان (تفسير الطبري) (266/8)

(755) أيسر التفاسير للجزائري (469/1)

(756) سنن أبي داود 3/128 ح (2923) وفي إسناده محمد بن إسحاق مدلس وقد نعنن في الرواية.

فيهم، فجعل لهم نصيباً في الوصية، وردّ الميراث إلى الموالى في ذي الرحم والعصبة (757).
والسبب الثالث: أنها في حلف الجاهلية.

فأخرج عبد الرزاق عن قتادة: (والذين عاقدت أيمانكم)، قال: كان الرجل في الجاهلية يعاقد الرجل فيقول: "دمي دمك، وترثني وأرثك، وتطلب بي وأطلب بك". فلما جاء الإسلام بقي منهم ناس، فأمروا أن يؤتوهم نصيبهم من الميراث، وهو السدس، ثم نسخ ذلك بالميراث، فقال: (وَأُولُو الْأَرْحَامِ بَعْضُهُمْ أَوْلَىٰ بِبَعْضٍ) (758).
الرابع: أنها نزلت في المهاجرين والأنصار حينما قدم المهاجرون المدينة فكانوا يتأخون مع الأنصار على أن يرث كل منهما الآخر.

فأخرج عن ابن عباس رضي الله عنهما: (ولكل جعلنا موالى) قال ورثة. (والذين عاقدت أيمانكم) كان المهاجرون لما قدموا المدينة يرث المهاجر الأنصاري دون ذوي رحمه للأخوة التي آخى النبي صلى الله عليه و سلم بينهم فلما نزلت (ولكل جعلنا موالى) نسخت. ثم قال (والذين عاقدت أيمانكم) من النصر والرفادة والنصيحة وقد ذهب الميراث ويوصي له (759).
وعلى ما تقدم فهذه الآية منسوخة بأية المواريث، وكل الأسباب المذكورة في هذه الآية على فرض صحتها محتملة وداخلية في عموم الآية والله تعالى أعلم.

[تفسير مختصر للآية]

(ولكل جعلنا موالى مما ترك الوالدان والأقربون) أي ولكل إنسان جعلنا عصبية يرثون ماله، مما تركه الوالدان والأقرب من الميراث. (والذين عاقدت أيمانكم فآتوهم نصيبهم) أي والذين حالفتوهم في الجاهلية على النصر والإرث، فأعطوهم حظهم من الميراث، وقد كان هذا في ابتداء الإسلام ثم نسخ، قال الحسن: كان الرجل يحالف الرجل ليس بينهما نسب فيرث أحدهما الآخر، فنسخ الله ذلك بقوله (وأولا الأرحام بعضهم أولى ببعض) وقال ابن عباس: كان المهاجرون حين قدموا المدينة يرث المهاجري الأنصاري دون ذوي رحمه، بالأخوة التي آخى رسول الله ﷺ بينهم، فلما نزلت (ولكل جعلنا موالى) نسخت. (إن الله كان على كل شيء شهيداً) أي مطلعاً على كل شيء وسبجازيكم عليه (760).

(الرِّجَالُ قَوْمُونَ عَلَى النَّسَاءِ بِمَا فَضَّلَ اللَّهُ بَعْضَهُمْ عَلَىٰ بَعْضٍ وَبِمَا أَنْفَقُوا مِنْ أَمْوَالِهِمْ فَلَا صَلَاحَ لِقَبَلْتُمْ حَفِظْتُمُ اللَّغَيْبِ بِمَا حَفِظَ اللَّهُ وَاللَّيِّ تَخَافُونَ نُشُورَهُمْ فَعِظُواهُمْ وَأَهْجُرُوهُمْ فِي الْمَضَاجِعِ وَأَضْرِبُوهُمْ فَإِنِ اطَّعْنَكُمْ فَلَا تَبْغُوا عَلَيْهِمْ سَبِيلًا إِنَّ اللَّهَ كَانَ عَلِيمًا كَبِيرًا ۝ ٣٤)

قوله تعالى: (الرجال قوامون).

269. أخرج ابن أبي حاتم عن الحسن قال: « جاءت امرأة إلى النبي ﷺ تستعدي على زوجها أنه لطمها، فقال رسول الله ﷺ: « القصاص » فأنزل الله: (الرجال قوامون على النساء) الآية. فرجعت بغير القصاص (761). ».
270. وأخرج ابن جرير عن طريق الحسن وفي بعضها « أن رجلاً من الأنصار لطم امرأته، فجاءت تلتمس القصاص، فجعل النبي ﷺ بينهما القصاص فنزلت (ولا تعجل بالقرآن من قبل أن يلقى إليك وحيه) إياه [114]. ونزلت: (الرجال قوامون على النساء) (762).
271. وأخرج نحوه عن ابن جرير والسدي (763).
272. وأخرج ابن مردويه عن علي قال: « أتى النبي ﷺ رجل من الأنصار بامرأة له فقالت له: يا رسول الله إنه ضربني فأثر في وجهي، فقال رسول الله ﷺ « ليس له ذلك » فأنزل الله: (الرجال قوامون على النساء) الآية (764). « فهذه شواهد يقوي بعضها بعضاً (765).

[تعليق]

ذكر المؤلف رحمه الله عدة آثار بعضها يشهد لبعض في كون سبب نزول هذه الآية في رجل لطم زوجته، فجاءت إلى النبي ﷺ تشكو إليه، فلما حكم بينهما بالقصاص نزلت الآية موضحة أنها لا قصاص على الرجل إذا أدب زوجته بمثل هذا، ولكن لا بد أن يرعى في التأديب أصول الضرب المذكورة في قوله تعالى (واضربوهن) بأن لا يكون مبرحاً، روى الطبري عن عطاء

(757) جامع البيان (تفسير الطبري) (280 / 8)

(758) تفسير عبد الرزاق الصنعاني (1 / 451)

(759) صحيح البخاري (3 / 125)

(760) صفوة التفسير - للصابوني (1 / 177)

(761) تفسير ابن أبي حاتم 3/940 تفسير ابن جرير 5/58 وإسناده صحيح عن الحسن لكنه مرسل.

(762) تفسير ابن جرير 5/58 وفي إسناده سفيان بن وكيع متكلم فيه مع إرسال الحسن

(763) تفسير ابن جرير 5/58 وفي إسناده ابن جرير سنيد، وفي إسناده السدي أسباط

(764) ذكر إسناده الحافظ ابن كثير رحمه الله 492 ج: 1 وفيه محمد بن محمد بن الأشعث الكوفي متروك الحديث له مناكير وأباطيل وموضوعات، وفيه أيضاً موسى بن إسماعيل بن موسى منكر الحديث.

(765) قول المؤلف: فهذه شواهد يقوي بعضها بعضاً فيه نظر فإن المرسل لم يشد عضه مسند قائم الإسناد بل كما ترى اتكأت مراسيله على حديث في إسناده من تقدم، فالراجح

رد ما قواه المؤلف

قال، قلت لابن عباس: ما الضرب غير المبرح؟ قال: بالسواك ونحوه⁽⁷⁶⁶⁾.
وقد وقعت بعض الروايات في تسمية هذا الرجل الذي ضرب زوجته فأخرج مقاتل في تفسيره أنها نزلت في سعد بن الربيع بن عمرو، من النقباء، وفي امرأته حبيبة بنت زيد بن أبي زهير، وهما من الأنصار من بني الحارث بن الخزرج، وذلك أنه لطم امرأته، فأنت أهلها، فانطلق أبوها معها إلى النبي ﷺ، فقال: أنكحته وأفرشته كريمة فطمها، فقال النبي ﷺ: ' لتقتص من زوجها '، فأنت مع زوجها لتقتص منه، ثم قال النبي ﷺ: ' ارجعوا، هذا جبريل، عليه السلام، قد أتاني، وقد أنزل الله عز وجل: (الرجال قوامون على النساء) (767) ».

وذكر الحافظ قال: ونقل عن أبي روق أنها نزلت في جميلة بنت عبد الله بن أبي زوجها ثابت بن قيس بن شماس كانت نشزت عليه فطمها فاستعدت عليه فنزلت⁽⁷⁶⁸⁾.

[تفسير مختصر للآية]

(الرجال قوامون على النساء) أي قائمون عليهن بالأمر والنهي، والإنفاق والتوجيه، كما يقوم الولاة على الرعية. (بما فضل الله بعضهم على بعض وبما أنفقوا من أموالهم) أي بسبب ما منحهم الله من العقل والتدبير، وخصهم به من الكسب والإنفاق، فهم يقومون على النساء بالحفظ والرعاية، والإنفاق والتأديب⁽⁷⁶⁹⁾.

(الَّذِينَ يَخْلُونُ وَيَأْمُرُونَ النَّاسَ بِالْبَخْلِ وَيَكْتُمُونَ مَا آتَاهُمُ اللَّهُ مِنْ فَضْلِهِ وَأَعْتَدْنَا لِلْكَافِرِينَ عَذَابًا مُهِينًا ۝ ٣٧)

قوله تعالى: (الذين يخلون) - الآية.

273. أخرج ابن أبي حاتم عن سعيد بن جبيرة قال: « كان علماء بني إسرائيل يخلون بما عندهم من العلم

فأنزل الله: (الذين يخلون ويأمرون الناس بالبخل) الآية⁽⁷⁷⁰⁾

274. وأخرج ابن جرير من طريق ابن إسحاق عن محمد بن أبي محمد عن عكرمة أو سعيد عن ابن عباس

قال: « كان كردم بن زيد حليف كعب بن الأشرف وأسامة بن حبيب ونافع بن أبي نافع وبحري بن

عمرو وحبي بن أخطب ورفاعة بن زيد بن التابوت، يأتون رجالاً من الأنصار ينصحون لهم فيقولون: لا

تنفقوا أموالكم فإننا نخشى عليكم الفقر في ذهابها ولا تسارعوا في النفقة فإنكم لا تدرن ما يكون، فأنزل

الله فيهم: (الذين يخلون ويأمرون الناس بالبخل) إلى قوله (وكان الله بهم عليماً⁽⁷⁷¹⁾) ».

[تعليق]

ذكر المؤلف رحمه أثنين في سبب نزول هذه الآية، وكلاهما في بني إسرائيل وهو متجه، لكن عموم الآية ذم لكل ما كان حاله كحال بني إسرائيل.

فالأثر الأول فيه بخلهم بالعلم، والثاني بالمال، وكلاهما مذموم شرعاً و عرفاً. ففي السنن والمسند وغيرها عن أبي هريرة

قال: قال رسول الله ﷺ: « من سئل عن علم فكتمه ألجمه الله بلجام من نار يوم القيامة »⁽⁷⁷²⁾

وفي مسند البزار عن أبي هريرة، قال: قال رسول الله ﷺ: قال رسول الله ﷺ: « من سئل عن علم فكتمه ألجمه الله بلجام من نار يوم القيامة »⁽⁷⁷²⁾

على أنا نبخله قال: وأي داء ادوا من البخل؟ بل سيدكم بشر بن البراء بن معرور⁽⁷⁷³⁾.

وفي هذا الباب أحاديث كثيرة في ذم البخل وذكرت فقط هذه تنبيهها على غيرها وبالله التوفيق.

وقوله تعالى (ويكتمون ما آتاهم الله من فضله) ورد في سبب نزولها ما ذكره مقاتل في تفسيره: كانوا يأمرن سفلة اليهود

بكتمان أمر محمد ﷺ خشية أن يظهره ويبيئوه، ومحوه من التوراة، (ويكتمون ما آتاهم الله) عز وجل، يعني ما أعطاهم (من فضله) في التوراة من أمر محمد ﷺ ونعته⁽⁷⁷⁴⁾.

[تفسير مختصر للآية]

(الذين يخلون ويأمرون الناس بالبخل) أي يمنعون ما أوجب الله عليهم من الإنفاق في سبيل الله، ويأمرن غيرهم بترك

الإنفاق، والآية في اليهود نزلت في جماعة منهم كانوا يقولون للأنصار: لا تنفقوا أموالكم في الجهاد والصدقات، وهي مع ذلك عامة.

(ويكتمون ما آتاهم الله من فضله) أي يخفون ما عندهم من المال والغنى، ويخفون نعته عليه السلام الموجودة في التوراة.

(وأعدنا للكافرين عذاباً مهيناً) أي هيأنا للجاحدين نعمة الله عذاباً أليماً مع الخزي والإذلال لهم⁽⁷⁷⁵⁾.

⁽⁷⁶⁶⁾ جامع البيان (تفسير الطبري) (8/ 315)

⁽⁷⁶⁷⁾ تفسير مقاتل بن سليمان (1/ 227)

⁽⁷⁶⁸⁾ العجائب في بيان الأسباب (2/ 869)

⁽⁷⁶⁹⁾ صفوة التفاسير - للصابوني (1/ 177)

⁽⁷⁷⁰⁾ تفسير ابن أبي حاتم (3/ 951) وإسناده جيد لكنه مرسل.

⁽⁷⁷¹⁾ تفسير ابن جرير (5/ 86) وإسناده ضعيف

⁽⁷⁷²⁾ سنن الترمذي (5/ 29)

⁽⁷⁷³⁾ مسند البزار (14/ 333)

وعادل بن سعد (حقوق الأجزاء من 10 إلى 17) وصبري عبد الخالق الشافعي (حقوق الجزء 18) الناشر: مكتبة العلوم والحكم المدينة المنورة الطبعة: الأولى، بدأت

1988م، وانتهت 2009م) عدد الأجزاء: 18

⁽⁷⁷⁴⁾ تفسير مقاتل بن سليمان (1/ 229)

⁽⁷⁷⁵⁾ صفوة التفاسير - للصابوني (1/ 178)

٤٢) يَا أَيُّهَا الَّذِينَ ءَامَنُوا لَا تَقْرَبُوا الصَّلَاةَ وَأَنْتُمْ سُكَرَىٰ حَتَّىٰ تَعْلَمُوا مَا تَقُولُونَ وَلَا جُنُبًا إِلَّا عَابِرِي سَبِيلٍ حَتَّىٰ تَغْتَسِلُوا وَإِنْ كُنْتُمْ مَرْضَىٰ أَوْ عَلَىٰ سَفَرٍ أَوْ جَاءَ أَحَدٌ مِّنْكُمْ مِنَ الْغَائِطِ أَوْ لَمَسْتُمُ النِّسَاءَ فَلَمْ تَجِدُوا مَاءً فَتَيَمَّمُوا صَعِيدًا طَيِّبًا فَامْسَحُوا بِرُءُوسِكُمْ وَأَيْدِيكُمْ إِنَّ اللَّهَ كَانَ عَفُوًّا غَفُورًا (٤٣)

قوله تعالى: (يا أيها الذين آمنوا لا تقربوا) - الآية.

275. روى أبو داود والترمذي والنسائي والحاكم عن علي قال: « صنع لنا عبد الرحمن بن عوف طعاما فدعانا وسقانا من الخمر، فأخذت الخمر منا وحضرت الصلاة فقدموني فقرأت: قل يا أيها الكافرون لا أعبد ما تعبدون ونحن نعبد ما تعبدون، فأنزل الله: (يا أيها الذين آمنوا لا تقربوا الصلاة وأنتم سكارى حتى تعلموا ما تقولون) (776) ». «

276. [ك] وأخرج الفريابي وابن أبي حاتم وابن المنذر عن علي قال: « نزلت هذه الآية قوله: (ولا جنبا) في المسافرين تصيبه الجنابة فيتيمم ويصلي (777) ». «

277. وأخرج ابن مردويه عن الأسلع بن شريك قال: « كنت أرجل ناقة رسول الله ﷺ فأصابني جنابة في ليلة باردة، فخشيت أن أغتسل بالماء البارد فأموت أو أمرض، فذكرت ذلك لرسول الله ﷺ فأنزل الله: (لا تقربوا الصلاة وأنتم سكارى) (778) الآية كلها. «

278. [ك] وأخرج الطبراني عن الأسلع قال: « كنت أخدم النبي ﷺ وأرحل له فقال لي ذات يوم: « يا أسلع قم فارحل (779) » فقلت يا رسول الله: أصابني جنابة، فسكت رسول الله ﷺ وأتاه جبريل بآية الصعيد فقال رسول الله: « قم يا أسلع فتيمم »، فأراني التيمم ضربة للوجه وضربة لليدين إلى المرفقين، فقامت فتيممت ثم رحلت له (780) ». «

279. وأخرج ابن جرير عن يزيد بن أبي حبيب « أن رجلاً من الأنصار كانت أبوابهم في المسجد، فكانت تصيبهم جنابة ولا ماء عندهم، فيريدون الماء ولا يجدون ممرأ إلا في المسجد فأنزل الله قوله: (ولا جنبا إلا عابري سبيل) (781) ». «

280. وأخرج ابن أبي حاتم عن مجاهد قال: « نزلت هذه الآية في رجل من الأنصار كان مريضاً فلم يستطع أن يقوم فيتوضأ، ولم يكن له خادم يناوله، فذكر ذلك لرسول الله ﷺ فأنزل الله: (وإن كنتم مرضى (الآية) (782) ». «

281. (ك) وأخرج ابن جرير عن إبراهيم النخعي قال: « نال أصحاب النبي ﷺ جراحة ففشت عليهم ثم ابتلوا بالجنابة، فشكوا ذلك إلى النبي ﷺ فنزلت: (وإن كنتم مرضى (الآية) كلها (784) ». «

[تعليق]

ذكر المؤلف رحمه الله تعالى سبعة آثار في سبب نزوله هذه الآية.

والحق أن هذه آية واحدة لكن فيها عدة مقاطع وفي كل منها أسباب للنزول فنفضل مقاطع هذه الآية بما فيها من أسباب النزول على النحو التالي

المقطع الأول: قوله تعالى (يا أيها الذين آمنوا لا تقربوا الصلاة وأنتم سكارى حتى تعلموا ما تقولون). وقد ذكر فيه أثر عبد الرحمن بن عوف في دعوته بعض أصحابه، وما خلط فيه الإمام - وهو علي بن أبي طالب وروى بأنه كان عبد الرحمن بن

(776) سنن أبي داود 3/325 ح (3671) سنن الترمذي 5/238 ح (3026) وقال حسن صحيح غريب، مستدرک الحاكم 4/158 ح (7220) سنن البيهقي الكبرى 1/389 ح (1698) المنتخب 1/56 ح (82) وإسناده صحيح لا إشكال فيه قال الإمام أبو داود رحمه الله حدثنا مسدد ثنا يحيى عن سفيان ثنا عطاء بن السائب عن أبي عبد الرحمن السلمي عن علي بن أبي طالب - به. وعطاء بن السائب مختلط لكن الراوي عنه سفيان وهو ممن روى عنه قبل الاختلاط (777) تفسير ابن أبي حاتم 3/959 وإسناده عنده حسن من رواية أبي بدر عن المنهال بن عمرو عن زر بن حبیش عن علي وتفسير ابن جرير 5/57 نحوه وفي إسناده محمد بن عبد الرحمن بن أبي ليلى ضعيف وعن مجاهد نحوه (778) الضياء في المختارة 4/216 ح (1431) سنن البيهقي الكبرى 1/5 ح (11) تفسير الطبري 5/107 مسند المقلين 1/32 ح (5) المؤلف: أبو القاسم تمام بن محمد الدمشقي وفاة 414 هـ المحقق: مجدي فتحي السيد الناشر: دار الصحابة للتراث بطنطا الطبعة: الأولى، 1410 هـ - 1989 م المعجم الكبير 1/298 ح (857) الطبقات الكبرى لابن سعد 7/65 الأوسط 2/50 وفي إسناده الربيع بن بدر، وقيل عليلة بن بدر قال الحافظ: متروك وله طريق آخر ذكره الحافظ في الإصابة، وفيه يحيى الحماني ضعيف أيضاً. ورواه البيهقي بسند فيه العلاء بن الفضل بن عبد الملك المنقري قال الحافظ: ضعيف

(779) فارحل بكسر الحاء أي شد على ظهر الناقة الرحل انظر مختار الصحاح 100 ج:1

(780) الحديث السابق

(781) تفسير الطبري 5/97 عن شعبة المثني بن الصباح وهو ضعيف الحديث بالإضافة إلى إرساله

(782) تفسير ابن أبي حاتم 3/961 مرسل.

(783) في المخطوط [أصاب]

(784) تفسير ابن جرير 5/106 مرسل ضعيف الإسناد

عوف نفسه - فنزلت الآية ناهية عن الصلاة في حال السكر ثم نسخت الآية بعد ذلك بتحريم شرب الخمر مطلقاً بقوله تعالى (يَا أَيُّهَا الَّذِينَ آمَنُوا إِنَّمَا الْخَمْرُ وَالْمَيْسِرُ وَالْأَنْصَابُ وَالْأَزْلَامُ رَجْسٌ مِّنْ عَمَلِ الشَّيْطَانِ فَاجْتَنِبُوهُ لَعَلَّكُمْ تُفْلِحُونَ) (90) سورة المائدة. وقد روى في هذه المقطع سبب آخر فأخرج الإمام الطبري عن الضحاك: (لا تقربوا الصلاة وأنتم سكارى)، قال: ليست لمن يقربها سكران من الشراب، إنما عُني بها سكر النوم⁽⁷⁸⁵⁾.

وهذا الأثر على إرساله فله شواهد من السنة. فروي البخاري وغيره عن عائشة، أن رسول الله ﷺ قال: " إذا نعت أحدكم في صلاته فليرقد حتى يذهب عنه النوم ؛ فإن أحدكم إذا صلى وهو ناعس لعله يذهب يستغفر فيسب نفسه " (786).
ورجح الإمام ابن جرير أن المراد بالسكر هو سكر الشراب وهو المتبادر إلى الذهن من إطلاق كلمة سكر في اللغة، ولا مانع من حمل ذلك كذلك على النعاس ومقدمات النوم كما تقدم من حديث عائشة والله تعالى أعلم.

وورد كذلك في سبب نزول هذه المقطع ما رواه ابن أبي حاتم عن سعد قال: نزلت في أربع آيات، صنع رجل من الأنصار، فاكلنا وشربنا حتى سكرنا، ثم افتخرنا فرفع رجل في لحي بغير فغرز به انف سعد، فكان سعد مغرور الانف، وذلك قبل ان يحرم الخمر، فنزلت: (يا أيها الذين آمنوا لا تقربوا الصلاة وأنتم سكارى) (787). قلت: سعد هو ابن أبي وقاص وإسناد هذا الأثر صحيح.

وورد كذلك في سبب نزولها ما ذكره الإمام ابن حجر وعزاه لعبد بن حميد في التفسير عن عطاء قال: أول ما نزل في تحريم الخمر (يَسْأَلُونَكَ عَنِ الْخَمْرِ وَالْمَيْسِرِ) [البقرة: 219] الآية، فقال بعض الناس: نشربها لمنافعها التي فيها، وقال آخرون: لا خير في شيء فيه إثم ثم نزل (يَا أَيُّهَا الَّذِينَ آمَنُوا لَا تَقْرَبُوا الصَّلَاةَ وَأَنْتُمْ سُكَارَى) [النساء: 43] الآية فقال بعض الناس: نشربها ونجلس في بيوتنا، وقال آخرون لا خير في شيء يحول بيننا وبين الصلاة مع المسلمين فنزلت: (يَا أَيُّهَا الَّذِينَ آمَنُوا إِنَّمَا الْخَمْرُ وَالْمَيْسِرُ الْآيَةُ فانتهاوا) (788).

المقطع الثاني: قوله تعالى (ولا جنباً إلا عابري سبيل حتى تغتسلوا) ففي هذه الآية النهي عن قرب الصلاة وموضعها حال الجنابة: إلا عابري سبيل، يعنى الاجتياز في المسجد من باب إلا آخر. وقد أخرج المؤلف رحمه الله في سبب نزول هذه الآية أثر يزيد بن أبي حبيب أن رجالاً من الأنصار كانت أبوابهم في المسجد - الأثر. وهو أثر مرسل ولم أجد غيره

المقطع الثالث: (وإن كنتم مرضى أو علي سفر أو جاء أحد منكم من الغائط أو لامستم النساء فلم تجدوا ماء فتيمموا صعيداً طيباً فامسحوا بوجوهكم وأيديكم إن الله كان عفواً غفوراً).

وقد ذكر المؤلف رحمه الله ثلاثة أسباب للنزول. فروى أنها نزلت في الأسلع. والثاني أنها نزلت في رجل من الأنصار. والثالث أنها في بعض أصحاب النبي ﷺ. وكل هذه الآثار محتملة فكونها نزلت في الأسلع وعبر عنه ببعض أصحاب النبي ﷺ وتكون رواية رجل من الأنصار هو نفسه الأسلع متجه مع شيء من التكلف، فإن بعض هذه الروايات تشعر بأنها في السفر وبعضها في الحضر، وحكم هذه المسألة محله كتب الفقه. وأصح من ذلك كله ما أخرجه البخاري ولم يذكره المؤلف.

عن عائشة رضي الله عنها زوج النبي صلى الله عليه وسلم قالت: «خرجنا مع رسول الله صلى الله عليه وسلم في بعض أسفاره حتى إذا كنا بالبدياء أو بذات الجيش انقطع عقد لي فأقام رسول الله صلى الله عليه وسلم على التماسه وأقام الناس معه وليسوا على ماء وليس معهم ماء فأتى الناس إلى أبي بكر الصديق فقالوا ألا ترى ما صنعت عائشة أقامت برسول الله صلى الله عليه وسلم وبالناس وليسوا على ماء وليس معهم ماء؟ فجاء أبو بكر ورسول الله صلى الله عليه وسلم واضع رأسه على فخذي قد نام فقال حبست رسول الله صلى الله عليه وسلم والناس وليسوا على ماء وليس معهم ماء. قالت عائشة فعاتبني أبو بكر وقال ما شاء الله أن يقول وجعل يطعنني بيده في خاصرتي ولا يمنعني من التحرك إلا مكان رسول الله صلى الله عليه وسلم على فخذي فقام رسول الله صلى الله عليه وسلم حين أصبح على غير ماء فأنزل الله آية التيمم فقال أسيد بن حضير ما هي بأول بركتكم يا آل أبي بكر. قالت فبعثنا البعير الذي كنت عليه فإذا العقد تحته⁽⁷⁸⁹⁾».

قلت: هذه بداية التيمم وقد كان ذلك في غزوة المريسيع، أو بنى المصطلق في السنة السادسة من الهجرة. والله تعالى أعلم. ويحتمل تأخر الآية حتى حدوث كل المذكور آنفاً ليشمل جميع أسباب النزول والله تعالى أعلم.

ملخص ما تقدم

أن هذه الآية تشمل على عدة مقاطع لكل مقع منها أسباب النزول الخاصة بها. فالمقطع الأول (يا أيها الذين آمنوا لا تقربوا الصلاة وأنتم سكارى) وفيه أربعة أسباب:

- 1- أنها نزلت في قصة عبد الرحمن بن عوف مع علي وأصحابه.
- 2- أنها في النعاس في الصلاة.
- 3- أنها في قصة سعد بن أبي وقاص.
- 4- أنها في قول بعض المنافقين.

والمقطع الثاني: { ولا جنباً إلا عابري سبيل حتى تغتسلوا }

وفيه سبب واحد أنه نزلت في رجال من الأنصار كانت أبوابهم في المسجد.

(785) جامع البيان (تفسير الطبري) (8/ 377)

(786) صحيح البخاري (1/ 63)

(787) تفسير ابن أبي حاتم - (3/ 958)

(788) العجايب في بيان الأسباب (2/ 872)

(789) صحيح البخاري (1/ 91)

المقطع الثالث: (وإن كنتم مرضى) - الآية.
وفيه أربعة أسباب.

- 1- أنها نزلت في الأسلع.
- 2- أنها نزلت في بعض أصحاب النبي □ .
- 3- أنها في رجل من الأنصار.
- 4- أنها في قصة أم المؤمنين عائشة في غزوة بنى المصطلق.

[تفسير مختصر للآية]

(يا أيها الذين آمنوا لا تقربوا الصلاة وأنتم سكارى حتى تعلموا ما تقولون) أي لا تصلوا في حالة السكر، لأن هذه الحالة لا يتأتى معها الخشوع والخضوع بمناجاته سبحانه وتعالى.
(ولا جنبا إلا عابري سبيل حتى تغتسلوا) أي ولا تقربوها وأنتم جنب أي غير طاهرين، إلا إذا كنتم مسافرين ولم تجدوا الماء فصلوا على تلك الحالة بالتيتم.
(وإن كنتم مرضى أو على سفر أو جاء أحد منكم من الغائط) أي وإن كنتم مرضى ويضركم الماء، أو مسافرين وأنتم محدثون حدثا أصغر، ولم تجدوا الماء.
(أو لامستم النساء) قال ابن عباس: هو الجماع.
(فلم تجدوا ماء) أي فلم تجدوا الماء الذي تتطهرون به.
(فتيمموا صعيدا طيبا فامسحوا بوجوهكم وأيديكم) أي اقصدا عند عدم وجود الماء التراب الطاهر، فتطهروا به وامسحوا بوجوهكم وأيديكم بذلك التراب.
(إن الله كان عفوا غفورا) أي يرخص ويسهل على عباده لنلا يقفوا في الحرج (790).

(أَلَمْ تَرَ إِلَى الَّذِينَ أُوتُوا نَصِيْبًا مِّنَ الْكِتَابِ يَشْتَرُونَ الضَّلَالَةَ وَيُرِيدُونَ أَن تَضِلُّوا السَّبِيلَ ۚ)

قوله تعالى: (ألم تر) - الآية.

282. أخرج ابن إسحاق عن ابن عباس قال: « كان رفاعة بن زيد بن تابوت من عظماء اليهود وإذا كلم رسول الله صلى الله عليه وسلم لوى لسانه وقال: ارعنا سمعك يا محمد حتى نفهمك ثم طعن في الإسلام وعابه، فأنزل الله فيه: (ألم تر إلى الذين أوتوا نصيبا من الكتاب يشترون الضلالة (791)) ».

[تعليق]

ذكر المؤلف رحمه الله سبباً واحداً لنزول هذه الآية، في قول رفاعة راعنا، والرعونة هي الرعونة الحمق والاسترخاء (792). فأنزل الله تعالى هذه الآية مبينة ما كان عليه اليهود من العدا للنبى □ بالقول الشنيع.
وقد ذكر الثعلبي أنها نزلت في اليهود.
وروى ابن جرير أنها نزلت في المشركين فقال عن الضحاك في قوله: (راعنا لياً بألسنتهم)، كان الرجل من المشركين يقول: "أر عني سمعك!" يولي بذلك لسانه، يعني: يحرف معناه (793).
قلت: كل ما ذكر من أسباب النزول في هذه الآية لا يصح منه شيء، والآية نزلت في فريق من أهل الكتاب، فأما تعيينهم فهو إلى الله تعالى والله تعالى أعلم.

[تفسير مختصر للآية]

(ألم تر إلى الذين أوتوا نصيبا من الكتاب) الاستفهام للتعجب من سوء حالهم والتحذير عن موالاتهم، أي ألا تعجب يا محمد إلى الذين أعطوا حظاً من علم التوراة وهم أبحار اليهود (يشترون الضلالة) أي يختارون الضلالة على الهدى، ويؤثرون الكفر على الإيمان (ويريدون أن تضلوا السبيل) أي ويريدون لكم يا معشر المؤمنين أن تضلوا طريق الحق لتكونوا مثلهم. (والله أعلم بأعدائكم) أي هو تعالى أعلم بعداوة هؤلاء اليهود الضالين منكم فاحذروهم (وكفى بالله ولياً وكفى بالله نصيراً) أي حسبكم أن يكون الله ولياً وناصراً لكم، فثقوا به واعتمدوا عليه وحده، فهو تعالى يكفكم مكرهم.. ثم ذكر تعالى طرفاً من قبائح اليهود اللعناء فقال:
(من الذين هادوا يحرّفون الكلم عن مواضعه) أي من هؤلاء اليهود فريق يبذلون كلام الله في التوراة، ويفسرونه بغير مراد الله، قسدا وعمداً، فقد غيروا نعت محمد □ وأحكام الرجم وغير ذلك.
(ويقولون سمعنا وعصينا) أي ويقولون لك إذا دعوتهم للإيمان: سمعنا قولك، وعصينا أمرك، قال مجاهد: سمعنا ما قلته يا محمد ولا

(790) صفوة التفسير - للصابوني (1/ 179)

(791) تفسير ابن جرير 5/116 إسناده ضعيف

(792) مختار الصحاح (267) المؤلف: محمد بن أبي بكر بن عبد القادر الرازي تحقيق: محمود خاطر الناشر: مكتبة لبنان ناشرون - بيروت الطبعة طبعه جديدة، 1415 -

1995 عدد الأجزاء: 1

(793) جامع البيان (تفسير الطبري) (8/ 436)

نطيعك فيه، وهذا أبلغ في الكفر والعناد.

(واسمع غير مسمع) أي اسمع ما نقول لا سمعت، والكلام ذو وجهين يحتمل الخير والشر، واصله للخير أي لا سمعت مكروها، ولكن اليهود الخبيثاء كانوا يقصدون به الدعاء على الرسول □ أي لا أسمعك الله، وهو دعاء بالصمم أو بالموت.
(وراعنا) أي ويقولون في أثناء خطابهم " راعنا " وهي كلمة سب من الرعونة وهي الحمق، فكانوا سخريّة وهزوا برسول الله □ يكلمونه بكلام محتمل، يبنون به الشتيمة والاهانة، ويظهرون به التوقير والاكرام، ولهذا قال تعالى:
(ليا بالسنتهم وطعنا في الدين) أي قتلا وتحريفا عن الحق الى الباطل، وقدحا في الاسلام، قال ابن عطية: وهذا موجود حتى الان في اليهود، وقد شاهدناهم يربون اولادهم الصغار على ذلك، ويحفظونهم ما يخاطبون به المسلمين، مما ظاهره التوقير، ويريدون به التحقير.

(ولو انهم قالوا سمعنا واطعنا) أي عوضا من قولهم (سمعنا وعصينا).

(واسمع وانظرنا) أي عوضا عن قولهم (غير مسمع وراعنا) أي لو ان هؤلاء اليهود قالوا للرسول □ ذلك القول اللطيف بدل ذلك القول الشنيع.

(لكان خيرا لهم وأقوم) أي لكان قولهم هذا أفضل وأنفع، وأعدل وأصوب.

(ولكن لعنهم الله بكفرهم فلا يؤمنون إلا قليلا) أي ولكنهم لم يقولوا ما هو أنفع، فلذلك لعنهم الله أي أبعدهم الله عن الهدى وعن رحمته، بسبب كفرهم السابق، فلا يؤمنون إلا إيمانا قليلا قال الزمخشري: أي ضعيفا ركيكا لا يعبا به وهو إيمانهم ببعض الكتب والرسل.. ثم توعدهم تعالى بالطمس وإذهاب الحواس فقال سبحانه (794).

(يَا أَيُّهَا الَّذِينَ أُوتُوا الْكِتَابَ ءَامِنُوا بِمَا نَزَّلْنَا مُصَدِّقًا لِّمَا مَعَكُمْ مِّن قَبْلِ أَن نَّطْمِسَ وُجُوهَ فَنَرُدَّهَا عَلَىٰ أَدْبَارِهَا أَوْ نَلْعَنَهُمْ كَمَا لَعَنَّا أَصْحَابَ السَّبْتِ وَكَانَ أَمْرُ اللَّهِ مَفْعُولًا ۗ) (٤٧)

قوله تعالى: (يا أيها الذين أوتوا الكتاب) - الآية.

283. أخرج ابن إسحاق عن ابن عباس قال: «كلم رسول الله □ رؤساء أحرار اليهود، منهم عبد الله بن سوريا وكعب بن أسيد فقال لهم: «يا معشر يهود اتقوا الله وأسلموا، فوالله إنكم لتعلمون أن الذي جنتكم به الحق» فقالوا: ما نعرف ذلك يا محمد، فأنزل الله فيهم: (يا أيها الذين أوتوا الكتاب آمنوا بما نزلنا الآية) (795)».

[تعليق]

ذكر المؤلف رحمه الله أثراً واحداً في سبب نزول هذه الآية وهو أثر ضعيف الإسناد.
وقيل: لما أنزلت هذه الآية، أتى عبد الله بن سلام رسول الله صلى الله عليه وسلم قبل أن يأتي أهله فأسلم، وقال: يا رسول الله ما كنت أرى أن أصل إليك حتى يتحول وجهي في قفاي (796).
فالآية تحذير لليهود وأهل الكتاب من الكفر بما أنزل الله تعالى على النبي □ بما ما تبين لهم أنه الحق وذلك بتصديقه كتابهم الذي أنزل من عند الله تعالى.

[تفسير مختصر للآية]

(يا أيها الذين أوتوا الكتاب آمنوا بما نزلنا) أي يا معشر اليهود آمنوا بالقرآن الذي نزلناه على محمد □ .

(مصدقاً لما معكم) أي مصدقاً للتوراة.

(من قبل أن نطمس وجوها فنردّها على أدبارها) أي نطمس منها الحواس من (أنف أو عين أو حاجب) حتى تصير كالأدبار، وهذا تشويه عظيم لمحاسن الإنسان وهو قول ابن عباس وهو اختيار الطبري حيث قال: أي من قبل أن نطمس أبصارها ونمحو آثارها فنسبها كالألقاء فنجعل أبصارها في أدبارها فيمشون القهقري.

(أو نلعنهم كما لعنا أصحاب السبت) أي نمسخهم كما مسخنا أصحاب السبت، وهم الذين اعتدوا في السبت، فمسخهم الله قرده وخنازير.

(وكان أمر الله مفعولاً) أي إذا أمر بأمْر فإنه نافذ كائن لا محالة (797).

(إِنَّ اللَّهَ لَا يَغْفِرُ أَنْ يُشْرَكَ بِهِ وَيَغْفِرُ مَا دُونَ ذَلِكَ لِمَنْ يَشَاءُ وَمَنْ يُشْرِكْ بِاللَّهِ فَقَدِ افْتَرَىٰ إِثْمًا عَظِيمًا ۗ) (٤٨)

قوله تعالى: (إن الله لا يغفر أن يشرك به).

284. [ك] أخرج ابن أبي حاتم والطبراني، عن أبي أيوب الأنصاري قال: «جاء رجل إلى النبي □، فقال إن لي ابن أخ لا ينتهي عن الحرام قال: «وما دينه؟» قال: يصلي ويوحّد الله، قال: «استوهب منه دينه»

(794) صفوة التفسير - للصابوني (1/ 181)

(795) تفسير ابن جرير 5/124 وإسناده إسناد ابن إسحاق عن محمد بن أبي محمد تقدم ضعفه.

(796) الكشف والبيان عن تفسير القرآن (3/ 324)

(797) صفوة التفسير - للصابوني (1/ 181)

فإن أبي فابتعه منه»، فطلب الرجل ذلك منه فأبى عليه، فأتى النبي ﷺ فأخبره فقال: وجدته شحيحاً على دينه، فنزلت: (إن الله لا يغفر أن يشرك به ويغفر ما دون ذلك لمن يشاء⁽⁷⁹⁸⁾) .»

[تعليق]

ذكر المؤلف أثراً واحداً في سبب نزول هذه الآية، وهذه الآية في هذه السورة تكررت مرتين، ولكن منهما أسباب نزول، فالآية دليل على أن الله تعالى يغفر الذنوب جميعاً مع عدا الشرك بالله، والشرك كذلك مقيد بما إذا مات العبد عليه من غير توبة.

وقد ذكر أهل العلم في سبب نزول هذه الآية غير ما تقدم.

فأخرج الإمام الواحدي عن ابن عباس قال: " أتى وحشى إلى النبي ﷺ فقال: يا محمد أتيتك مستجيراً فأجرني حتى أسمع كلام الله فقال رسول الله ﷺ: قد كنت أحب أن أراك على غير جوار، فأما إذ أتيتني مستجيراً فأنت في جوارى حتى تسمع كلام الله قال: فإني أشركت بالله وقتلت النفس التي حرم الله تعالى وزنيت، هل يقبل الله مني توبة؟ فصمت رسول الله ﷺ حتى نزل - (والذين لا يدعون مع الله إلهاً آخر، ولا يقتلون النفس التي حرم الله إلا بالحق، ولا يزنون) - إلى آخر الآية، فتلها عليه قال: أرى شرطاً فعلني لا أعمل صالحاً أنا في جوارك حتى أسمع كلام الله، فنزلت - (إن الله لا يغفر أن يشرك به ويغفر ما دون ذلك لمن يشاء) - فدعا به فتلاها عليه، فقال: ولعلي ممن لا يشاء أنا في جوارك حتى أسمع كلام الله فنزلت - (قل يا عبادي الذين أسرفوا على أنفسهم لا تقنطوا من رحمة الله) - فقال: نعم الآن لا أرى شرطاً فأسلم⁽⁷⁹⁹⁾.

وأخرج ابن أبي حاتم عن عبد الله بن عمر أنه قال: لما نزلت هذه الآية: (يا عبادي الذين أسرفوا على أنفسهم لا تقنطوا من رحمة الله) فقام رجل، فقال: والشرك يا نبي الله، فكره ذلك النبي ﷺ فقال: (إن الله لا يغفر أن يشرك به ويغفر ما دون ذلك لمن يشاء)⁽⁸⁰⁰⁾

وأخرج ابن جرير عن ابن عمر: "كنا معشر أصحاب النبي ﷺ لا نَشُكُّ في قاتل النفس، وأكل مال اليتيم، وشاهد الزور، وقاطع الرحم، حتى نزلت هذه الآية: (إن الله لا يغفر أن يشرك به ويغفر ما دون ذلك لمن يشاء)، فأمسكنا عن الشهادة⁽⁸⁰¹⁾ .»

وقال مقاتل: نزلت هذه الآية في اليهود (إِنَّ اللَّهَ لَا يُغْفِرُ أَنْ يُشْرَكَ بِهِ وَيَغْفِرُ مَا دُونَ ذَلِكَ لِمَنْ يَشَاءُ)⁽⁸⁰²⁾ . وقال مقاتل: فلما قدم طعمة مكة، نزل على الحجاج بن علاط السلمى، فأحسن نزله، فبلغه أن في بيته ذهباً، فلما كان من الليل خرج فنقب حائط البيت، وأراد أن يأخذ الذهب وفي البيت مسوك يابسة مسوك الشاء قد أصابها حر الشمس ولم تدبغ، فلما دخل البيت من النقب وطئ المسوك، فسمعوا قعقة المسوك في صدره عند النقب، وأحاطوا بالبيت، ونادوه: اخرج فإننا قد أحطنا بالبيت، فلما خرج إذا هم بضيفهم طعمة، فأراد أهل مكة أن يرموه فاستحيا الحجاج لضيفه، وكانوا يكرمون الضيف فأهزوه وشتموه، فخرج من مكة، فلحق بحرة بني سليم بعيد صنمهم، ويصنع ما يصنعون حتى مات على الشرك، فأنزل الله عز وجل فيه: (إن الله لا يغفر أن يشرك به)⁽⁸⁰³⁾.

قلت: فهذه خمسة أسباب نزول هذه الآية غير ما ذكره المؤلف وعموم الآية محتمل لتعدد هذه الأسباب والله تعالى أعلم. وقد وردت هذه الآية في هذه السوردة مرتين فهذا هو الموضع الأول والموضع الثاني خاتمته (ومن يشرك بالله فقد ضل ضلالاً بعيداً) ولم يذكره المؤلف وقد جمعت الآثار الواردة في كلتا الأيتين في هذا الموضع وبالله التوفيق.

[تفسير مختصر للآية]

(إن الله لا يغفر أن يشرك به ويغفر ما دون ذلك لمن يشاء) أي لا يغفر الشرك أبداً، ويغفر ما سوى ذلك من الذنوب لمن شاء من عباده.

(ومن يشرك بالله فقد افترى إثماً عظيماً) أي من أشرك بالله فقد أختلق إثماً عظيماً، قال الطبري: قد أبانت هذه الآية أن كل صاحب كبيرة، وفي مشيئة الله إن شاء عفا عنه وإن شاء عاقبه عليه، ما لم تكن كبيرته شركاً بالله.. ثم ذكر تعالى تزكية اليهود أنفسهم، مع كفرهم وتحريفهم الكتاب فقال سبحانه⁽⁸⁰⁴⁾.

(أَلَمْ تَرَ إِلَى الَّذِينَ يَزْكُونَ أَنْفُسَهُمْ بِاللَّهِ يَزْكُونَ مَن يَشَاءُ وَلَا يُظَلِّمُونَ فِتْيَانًا ۙ)

قوله تعالى: (ألم تر إلى الذين يزكون - الآية.

285. أخرج ابن أبي حاتم، عن ابن عباس قال: « كانت اليهود يقدمون صبيانهم يصلون بهم ويقربون قربانهم يزعمون أنهم لا خطايا لهم ولا ذنوب، فأنزل الله: (ألم تر إلى الذين يزكون أنفسهم⁽⁸⁰⁵⁾) .»

286. وأخرج ابن جرير نحوه عن عكرمة ومجاهد وأبي مالك وغيرهم⁽⁸⁰⁶⁾.

(798) تفسير ابن أبي حاتم 3/971 المعجم الكبير 4/177 ح (4063) وفي إسناده وأصل بن السائب ضعفه الهيتمي في زوائده وابن حجر في تقريبه.

(799) أسباب النزول للواحدي (227)

(800) تفسير ابن أبي حاتم - (970/3) جامع البيان (تفسير الطبري) (8/449)

(801) جامع البيان (تفسير الطبري) (8/450)

(802) تفسير مقاتل بن سليمان (1/233)

(803) تفسير مقاتل بن سليمان (1/257)

(804) صفوة التفسير - للصابوني (1/182)

(805) تفسير ابن أبي حاتم 5/127 في إسناده ابن لهيعة ضعيف.

(806) تفسير ابن جرير 5/127 وكلها مراسيل بالإضافة إلى ضعف إسناده بعضها

[تعليق]

ذكر المؤلف رحمه الله أثراً واحداً في سبب نزول هذه الآية. وهو تزكية اليهود أنفسهم وأبنائهم بأن الله تعالى سيقفر خطاياهم كما يقفر خطايا صبيانهم، وأنه يهب أبنائهم الشفاعة لهم يوم القيامة.
وأخرج الواحدي: قال الكلبي: «نزلت في رجال من اليهود أتوا رسول الله ﷺ بأطفالهم وقالوا: يا محمد هل على أولادنا هؤلاء من ذنب؟ قال لا، فقالوا: والذي نلطف به ما نحن إلا كهينتهم، ما من ذنب نعمله بالنهار إلا كفر عنا بالليل، وما من ذنب نعمله بالليل إلا كفر عنا بالنهار، فهذا الذي زكوا به أنفسهم»⁽⁸⁰⁷⁾.
وورد سبب آخر لنزول هذا الآية أنها في اليهود والنصارى جميعاً.
فأخرج عبد الرزاق عن الحسن البصري في هذه الآية قال: هم اليهود والنصارى (الذين قالوا نحن أبناء الله وأحباؤه) وقالوا لن يدخل الجنة إلا من كان هوداً أو نصارى⁽⁸⁰⁸⁾.

[تفسير مختصر للآية]

(ألم تر إلى الذين يزكون أنفسهم) أي ألم يبلغك خبر هؤلاء الذين يمدحون أنفسهم، ويصفونها بالطاعة والتقوى؟ والاستفهام للتعجب من أمرهم، قال قتادة: ذلكم أعداء الله اليهود زكوا أنفسهم فقالوا [نحن أبناء الله وأحباؤه] وقالوا: لا ذنوب لنا.
(بل الله يزكي من يشاء) أي ليس الأمر بتزكيتهم بل بتزكية الله، فهو أعلم بحقائق الأمور وغوامضها، يزكي المرتضين من عباده وهم الأتقياء الأبرار، لا اليهود الأشرار.
(ولا يظلمون فتيلاً) أي لا يفتنون من أعمالهم بقدر الفتيل، وهو الخيط الذي في شق النواة، وهو مثل للقلة كقوله (إن الله لا يظلم مثقال ذرة).
(أنظر كيف يفتنون على الله الكذب) هذا تعجب من افتراءهم وكذبهم، أي انظر يا محمد كيف اختلقوا على الله الكذب، في تزكيتهم أنفسهم، وزعمهم أنهم أبناء الله وأحباؤه؟
(وكفى به إنمياً مبيناً) أي كفى بهذا الافتراء، جرماً بيناً ومنكراً عظيماً⁽⁸⁰⁹⁾.

(أَلَمْ تَرَ إِلَى الَّذِينَ أَوْتُوا نَصِيبًا مِّنَ الْكُتُبِ يُؤْمِنُونَ بِالْحَيْبَةِ وَالطَّعُوتِ وَيَقُولُونَ لِلَّذِينَ كَفَرُوا هَؤُلَاءِ أَهْدَىٰ مِنَ الَّذِينَ ءَامَنُوا سَبِيلًا ۝٥١ أُولَٰئِكَ الَّذِينَ لَعَنَهُمُ اللَّهُ وَمَن يَلْعَنِ اللَّهُ فَلَن تَجِدَ لَهُ نَصِيرًا ۝٥٢ أَمْ لَهُمْ نَصِيبٌ مِّنَ الْمُلْكِ فَإِذَا لَا يُؤْتُونَ النَّاسَ نَقِيرًا ۝٥٣ أَمْ يَحْسُدُونَ النَّاسَ عَلَىٰ مَا ءَاتَاهُمُ اللَّهُ مِن فَضْلِهِ فَقَدْ ءَاتَيْنَا ءَالَ إِبْرَاهِيمَ الْكُتُبَ وَالْحِكْمَةَ وَءَاتَيْنَاهُمْ مُلْكًا عَظِيمًا ۝٥٤)

قوله تعالى: (ألم تر إلى الذين أتوا) - الآية.

287. [ك] أخرج أحمد وابن أبي حاتم عن ابن عباس قال: « لما قدم كعب بن الأشرف مكة، قالت قريش: ألا ترى هذا المنصير المنبتر⁽⁸¹⁰⁾ من قومه يزعم أنه خير منا ونحن أهل الحجيج وأهل السدانة وأهل السقاية، قال: أنتم خير، فنزلت فيهم: (إن شانئك هو الأبتر) ونزلت: (ألم تر إلى الذين أتوا نصيباً من الكتاب) إلى (نصيراً)⁽⁸¹¹⁾ ». »

288. وأخرج ابن إسحاق عن ابن عباس قال: « كان الذين حزبوا الأحزاب من قريش وخطافان وبني قريظة حبي بن أخطب وسلام بن أبي الحقيق وأبو رافع والربيع بن أبي الحقيق وأبو عمارة وهوذة بن قيس، وكان سائرهم من بني النضير، فلما قدموا على قريش، قالوا: هؤلاء أحبار يهود وأهل العلم بالكتب الأولى فاسألوهم أدينكم خير أم دين محمد؟ فسالوهم فقالوا: دينكم خير من دينه وأنتم أهدى منه وممن اتبعه، فأنزل الله: (ألم تر إلى الذين أتوا نصيباً من الكتاب إلى قوله ملكاً عظيماً)⁽⁸¹²⁾ ». »

289. [ك] وأخرج ابن أبي حاتم عن طريق العوفي عن ابن عباس قال: « قال أهل الكتاب زعم محمد أنه أوتي ما أوتي في تواضع وله تسع نسوة وليس همه إلا النكاح فأي ملك أفضل من هذا؟! فأنزل الله: (أم يحسدون الناس) الآية⁽⁸¹³⁾ ». »

290. وأخرج ابن سعد عن عمر مولى عفرة نحوه أبسط منه⁽⁸¹⁴⁾.

(807) أسباب النزول للواحدى (103)

(808) تفسير عبدالرزاق الصنعاني (1/ 462)

(809) صفوة التفاسير - للصابوني (1/ 182)

(810) في المخطوط [المنصب المنبتر]

(811) تفسير ابن أبي حاتم 3/973 تفسير ابن جرير 5/133 صحيح ابن حبان 14/534 ح (6527) سنن النسائي الكبرى 6/524 ح (11707) المعجم الكبير 11/251 ح (11645) وإسناده صحيح روي من غير وجه عن عكرمة عن ابن عباس قال الإمام النسائي: أخبرنا الحسن بن سفيان حدثنا محمد بن بشار حدثنا بن أبي عدي قال أخبرنا داود بن أبي هند عن عكرمة عن بن عباس قال فذكره

(812) تفسير ابن جرير 5/135 بإسناد ابن إسحاق المتكرر.

(813) تفسير ابن أبي حاتم 3/978 إسناده شديد الضعف.

(814) قال الهيثمي في مجمع الزوائد 50 ج:5 عمر مولى عفرة مجهول.

[تعليق]

ذكر المؤلف ثلاثة آثار في سبب نزول هذه الآية. أما الأول والثاني ففي تركية اليهود لكفار قريش وزعمهم أنهم أهدي من النبي □ أصحابه فكذبهم الله تعالى بقولهم. وقد رويت هذه الآثار بسياق أطول مما ذكره المؤلف وهي تدور حول هذا المعنى، وقد عدد الإمام ابن الجوزي أسباب النزول لهذه الآية فجعل القائل لكفار قريش مرة حبي بن أخطب ومرة كعب بن الأشرف والظاهر أنه سبب واحد وكان ذهابهم جمعياً لكفار قريش فالتعبير عنهم باليهود أليق ليشمل كل هؤلاء والله تعالى أعلم.

أما الأثر الثالث وهو سبب نزول قوله تعالى (أم يحسدون الناس) فالمراد بالناس في هذه الآية هو رسول الله □، فقد حسدته اليهود على ما عنده من النساء وتجاهلوا ما كان لداود وسليمان صلى الله عليهما وسلم، فقد كان لداود مائة امرأة وروى أن سليمان كان له ألف، فأفحمهم الله تعالى بالحجة.

وقد أخرج الإمام الثعلبي بإسناد فيه ضعف عن أبي حمزة الثمالي: في قوله (أم حَسُدُونَ النَّاسَ عَلَى مَا آتَاهُمُ اللَّهُ مِنْ فَضْلِهِ) يعني بالناس في هذه الآية نبي الله، قالت اليهود: انظروا إلى هذا النبي، والله ما يشبع من طعام، لا والله ماله هم إلا النساء، لو كان نبي لشغله أمر النبوة عن النساء، فحسدوه على كثرة نسائه وعيروه بذلك فقالوا: لو كان نبياً ما رغب في كثرة النساء، فأكذبهم الله تعالى فقال: (فَقَدْ آتَيْنَا آلَ إِبْرَاهِيمَ الْكِتَابَ وَالْحِكْمَةَ)، يعني بالحكمة النبوة. (وَآتَيْنَاهُمْ مُلْكاً عَظِيماً) فأخبرهم بما كان لداود وسليمان من النساء، فويخهم لذلك، فأقرت اليهود لنبي الله (عليه السلام) أنه اجتمع عند سليمان ألف امرأة، ثلاثمائة مهريّة وسبعمائة سرية، وعند داود مائة امرأة. فقال لهم رسول الله صلى الله عليه وسلم: ألف امرأة عند رجل، ومائة امرأة عند رجل أكثر أو تسع نسوة؟ وكان يومئذ تسع نسوة عند رسول الله صلى الله عليه وسلم فسكتوا!

قال الله تعالى: (فَمِنْهُمْ مَنْ آمَنَ بِهِ) يعني بمحمد صلى الله عليه وسلم، يعني عبد الله بن سلام وأصحابه (وَمِنْهُمْ مَنْ صَدَّ عَنْهُ) أعرض عنه فلم يؤمن به (وَكَفَىٰ بِهِمْ سَعِيرًا) وقوداً⁽⁸¹⁵⁾.

وقد ورد في سبب نزول هذه الآية غير ما ذكره المؤلف ما أخرجه ابن أبي حاتم في تفسيره عن مقاتل قوله أعطى نبي الله □ بضع سبعين شاباً، فحسدته اليهود، فقال الله تعالى: (أم يحسدون الناس على ما آتاهم الله من فضله)⁽⁸¹⁶⁾.

[تفسير مختصر للآيات]

(ألم تر إلى الذين أتوا نصيباً من الكتاب يؤمنون بالجبت والطاغوت) الاستقهام للتعجب والمراد بهم أيضاً اليهود، أعطوا حظاً من التوراة، وهم مع ذلك يؤمنون بالأوثان والأصنام، وكل ما عبد من دون الرحمن.

(ويقولون للذين كفروا هؤلاء أهدي من الذين آمنوا سبيلاً) أي يقول اليهود لكفار قريش: أنتم أهدي سبيلاً من محمد وأصحابه !! قال ابن كثير: يفضلون الكفار على المسلمين، بجهلهم وقلة دينهم، وكفرهم بكتاب الله الذي بأيديهم قال تعالى إخباراً عن ضلالهم (أولئك الذين لعنهم الله) أي طردهم وأبعدهم عن رحمته.

(ومن يلعن الله فلن تجد له نصيراً) أي من يطرده الله من رحمته، فمن ينصره من عذاب الله؟ ومن يمنع عنه آثار اللعنة؟ وهو العذاب العظيم.

(أم لهم نصيب من الملك) أي أم لهم حظ من الملك؟؟ وهذا على وجه الإنكار، يعني ليس لهم من الملك شيء.

(فإذا لا يوتون الناس نصيراً) أي لو كان لهم نصيب من الملك، فإذا لا يوتون أحداً مقدار (نقير) لفرط بخلهم، والنقير مثل في القلة كالفتيل والقطمير، وهو النكتة في ظهر النواة.. ثم أنتقل إلى خصلة ذميمة أشد من البخل فقال سبحانه:

(أم يحسدون الناس على ما آتاهم الله من فضله) قال ابن عباس: حسدوا النبي □ على النبوة، وحسدوا أصحابه على الإيمان والمعنى: بل يحسدون النبي □ والمؤمنين على النبوة، التي فضل الله بها محمداً وشرف بها العرب؟ ويحسدون المؤمنين على ازدياد العز والتمكين؟.

(فقد آتينا آل إبراهيم الكتاب والحكمة وآتيناهم ملكاً عظيماً) أي فقد أعطينا أسلافكم من ذرية إبراهيم النبوة، وأنزلنا عليهم الكتاب وأعطيناهم الملك العظيم مع النبوة كداود وسليمان، فلأي شيء تحسون محمداً □ بالحسد دون غيره ممن أنعم الله عليهم؟ والمقصود الرد على اليهود في حسدهم للنبي □ وإلزام لهم بما عرفوه من فضل الله على آل إبراهيم.

(فمنهم من آمن به ومنهم من صد عنه) أي من اليهود من آمن بمحمد □ وهم (قلة قليلة) ومنهم من أعرض فلم يؤمن وهم الكثرة الكثيرة كقوله (فمنهم مهتد وكثير منهم فاسقون).

(وكفى بجهنم سعيراً) أي كفى بالنار المسعرة عقوبة لهم، على كفرهم وعنادهم.. ثم أخبر تعالى بما أعده للكفرة الفجرة من الوعيد والعذاب الشديد فقال سبحانه⁽⁸¹⁷⁾.

(إِنَّ اللَّهَ يَأْمُرُكُمْ أَنْ تُؤَدُّوا إِلَىٰ أَهْلِهَا وَإِذَا حَكَمْتُمْ بَيْنَ النَّاسِ أَنْ تَحْكُمُوا بِالْعَدْلِ إِنَّ اللَّهَ نِعِمَّا يَعِظُكُمْ بِهِ إِنَّ اللَّهَ كَانَ سَمِيعًا بَصِيرًا ٥٨)

قوله تعالى: (إن الله يأمركم) - الآية.

291. أخرج ابن مردويه من طريق الكلبى عن أبي صالح عن ابن عباس قال: « لما فتح رسول الله □ مكة دعا

(815) الكشف والبيان عن تفسير القرآن (3/ 329)

(816) تفسير ابن أبي حاتم - (3/ 979)

(817) صفوة التفسير - للصابوني (1/ 182)

(153)

عثمان بن طلحة⁽⁸¹⁸⁾، فلما أتاه قال: « أرني المفتاح » فأتاه به فلما بسط يده إليه قام العباس فقال: يا رسول الله بأبي أنت وأمي اجمعه لي مع السقاية، فكف عثمان يده فقال رسول الله ﷺ: « هات المفتاح يا عثمان » فقال: هاك بأمانة الله، فقام ففتح الكعبة ثم خرج فطاف بالبيت ثم نزل عليه جبريل برد المفتاح، فدعا عثمان بن طلحة فأعطاه المفتاح ثم قال: (إن الله يأمركم أن تؤدوا الأمانات إلى أهلها) حتى فرغ من الآية⁽⁸¹⁹⁾ «.

292. وأخرج سنيد في تفسيره عن حجاج عن ابن جريج قال: « نزلت هذه الآية في عثمان بن طلحة أخذ منه رسول الله مفتاح الكعبة، فدخل به البيت يوم الفتح فخرج وهو يتلو هذه الآية فدعا، عثمان فناوله المفتاح قال: وقال عمر بن الخطاب لما خرج رسول الله من الكعبة وهو يتلو هذه الآية: فداه أبي وأمي ما سمعته يتلوها قبل ذلك⁽⁸²⁰⁾. قلت: ظاهر هذه أنها نزلت في جوف الكعبة

[تعليق]

أورد المؤلف رحمه الله أثريين في سبب نزول هذه الآية وأنها نزلت في عثمان بن طلحة وهذا هو قول أكثر أهل التفسير، وقد ذكر أهل التفسير سببين آخرين للنزول.

فالسبب الثاني: أنها نزلت في الأمراء، روى ذلك الإمام ابن جرير قال: عن شهر قال: نزلت في الأمراء خاصة (إن الله يأمركم أن تؤدوا الأمانات إلى أهلها وإذا حكمتم بين الناس أن تحكموا بالعدل)⁽⁸²¹⁾. وقد رجح الإمام ابن جرير هذا القول فقال: وأولى هذه الأقوال بالصواب في ذلك عندي، قول من قال: هو خطاب من الله ولأمة أمور المسلمين بأداء الأمانة إلى من ولوا أمره في فيهم وحقوقهم، وما انتمنوا عليه من أمورهم، بالعدل بينهم في القضية، والقسم بينهم بالسوية. يدل على ذلك ما وعظ به الرعية في: (أطيعوا الله وأطيعوا الرسول وأولي الأمر منكم)، فأمرهم بطاعتهم، وأوصى الراعي بالرعية، وأوصى الرعية، وذكر عدة آثار في نفس المعنى وأنها نزلت في الولاة⁽⁸²²⁾.

الثالث: أنها عامة قال الإمام ابن الجوزي وروى أنها نزلت عامة، وهو مروى عن أبي بن كعب، وابن عباس، والحسن، وقتادة، واختاره القاضي أبو يعلى. واعلم أن نزولها على سبب لا يمنع عموم حكمها، فإنها عامة في الودائع وغيرها من الأمانات⁽⁸²³⁾.

ذكر الإمام ابن جرير أثراً عن ابن عباس وعده سبباً للنزول فقال: عن ابن عباس قوله: (إن الله يأمركم أن تؤدوا الأمانات إلى أهلها)، قال: يعني السلطان، يعظون النساء⁽⁸²⁴⁾. قلت: وهذا تفسير بعموم الآية وليس سبباً للنزول والله أعلم، والأرجح أن الآية نزلت في عثمان ابن طلحة لكن حكمها عام لأن العبرة بعموم اللفظ لا بخصوص السبب والله تعالى أعلم.

[تفسير مختصر للآية]

(إن الله يأمركم أن تؤدوا الأمانات إلى أهلها) الخطاب عام لجميع المكلفين، كما أن الأمانات تعم جميع الحقوق المتعلقة بالذمم سواء كانت حقوق الله أو العباد، قال الزمخشري: الخطاب عام لكل أحد في كل أمانة، والمعنى: يأمركم الله أيها المؤمنون بأداء الأمانات إلى أربابها، قال ابن كثير: يأمر تعالى بأداء الأمانات إلى أهلها، وهو يعم جميع الأمانات الواجبة على الإنسان من حقوق الله عز وجل على عباده من الصلاة والزكاة والصيام والكفارات وغيرها، ومن حقوق العباد بعضهم على بعض كالودائع وغيرها. (وإذا حكمتم بين الناس أن تحكموا بالعدل) أي ويأمركم أن تعدلوا بين الناس في أحكامكم (إن الله نعمًا يعظكم به) أي نعم الشيء الذي يعظكم به. (إن الله كان سميعًا بصيرًا) فيه وعد ووعد أي سميع لأقوالكم، بصير بأفعالكم⁽⁸²⁵⁾.

(يَا أَيُّهَا الَّذِينَ آمَنُوا أَطِيعُوا اللَّهَ وَأَطِيعُوا الرَّسُولَ وَأُولِي الْأَمْرِ مِنْكُمْ فَإِن تَنَزَعْتُمْ فِي شَيْءٍ فَرُدُّوهُ إِلَى اللَّهِ وَالرَّسُولِ إِن كُنتُمْ تُؤْمِنُونَ بِاللَّهِ وَالْيَوْمِ الْآخِرِ ذَلِكَ خَيْرٌ وَأَحْسَنُ تَأْوِيلًا ٥٩)

قوله تعالى: (يا أيها الذين آمنوا أطيعوا الله) - الآية.

293. روى البخاري وغيره عن ابن عباس قال: « نزلت هذه الآية في عبد الله بن حذافة بن قيس، إذ بعثه النبي ﷺ في سرية كذا أخرجه مختصراً⁽⁸²⁶⁾ ». وقال الداودي هذا وهم يعني الافتراء على ابن عباس، فإن عبد الله بن حذافة خرج على جيش فغضب فأوقد ناراً وقال: اقتحموا فامتنع بعض وهم

(818) هو: عثمان بن طلحة بن عبد الله بن عبد العزى العبدي الحنظلي شهد فتح مكة أسلم مع خالد بن الوليد وعمرو بن العاص زمن الحبيبية وروى عنه عبد الله بن عمر وامرأة من بني سليم مات سنة اثنتين وأربعين خلاصة تهذيب الكمال (260) المؤلف: الحافظ الفقيه صفي الدين أحمد بن عبد الله الخزرجي الأنصاري اليمني تحقيق: عبد الفتاح أبو غدة الناشر: مكتب المطبوعات الإسلامية/دار البشائر سنة النشر: 1416 هـ مكان النشر: حلب/بيروت عدد الأجزاء: 1

(819) ذكر إسناد ابن كثير في تفسيره وقد تقدم الكلام على هذا الإسناد مراراً.

(820) تفسير ابن جرير 5/145 مرسل

(821) جامع البيان (تفسير الطبري) (8/490)

(822) جامع البيان (تفسير الطبري) (8/492)

(823) زاد المسير (2/114)

(824) جامع البيان (تفسير الطبري) (8/491)

(825) صفوة التفاسير - للصابوني (1/184)

(826) صحيح البخاري 4/1674 ح (4308) صحيح مسلم 3/1465 ح (1834) سنن أبي داود 3/40 ح (2624) سنن النسائي 7/154 ح (4194) مسند أحمد 1/337 ح (3124) سنن البيهقي الكبرى 8/155 ح (16379) مسند أبي يعلى 5/131 ح (2746) المنتقى من السنن 1/260 ح (1040)

بعض أن يفعل قال: فإن كانت الآية نزلت قبل فكيف يخص عبد الله حذافة بالطاعة دون غيره، وإن كانت نزلت بعده فإنما قيل لهم إنما الطاعة في المعروف وما قيل لهم لم تطيعوه. وأجاب الحافظ ابن حجر: بأن المقصود في قصته (فإن تنازعتم في شئ) فإنهم تنازعوا في امتثال الأمر بالطاعة والتوقف فراراً من النار فناسب أن ينزل في ذلك ما يرشدهم إلى ما يفعلونه عند التنازع وهو الرد إلى الله والرسول⁽⁸²⁷⁾.
294. وقد أخرج ابن جرير « أنها نزلت في قصة جرت لعمار بن ياسر مع خالد بن الوليد وكان خالد أميراً فأجار عمار رجلاً بغير أمره فتخاصما فنزلت⁽⁸²⁸⁾ ».

[تعليق]

ذكر المؤلف أثرين في سبب نزول هذه الآية، أما الأول منهما فصحيح، وأما الثاني فمرسل. وقد رواه مقاتل بن سليمان بسياق طويل فقال: بعث خالد بن الوليد على سرية فيهم عمار بن ياسر، فساروا حتى دنوا من الماء فعرسوا قريبا، وبلغ العدو أمرهم فهربوا، وبقي منهم رجل، فجمع متاعه، وجاء ليلا فلقى عمارا، فقال: يا أبا اليقظان، إن القوم سمعوا بكم، فهربوا ولم يبق غيري، وقد تفسير أسلمت، وشهدت ألا إله إلا الله، وأن محمدا عبده ورسوله، فهل الإسلام نافي؟ فقال عمار: ينفعك، فأقم، فلما أصبح خالد غار بخيلة، فلم يجد إلا هذا الرجل وماله، فقال عمار: خل عن هذا الرجل وماله، فقد أسلم وهو في أمان، قال خالد: فبم أنت تجبر دوني وأنا أمير عليك، فاستنبا، فلما رجعا إلى المدينة أجاز النبي ﷺ أمان عمار، ونهاه أن يجبر الثانية على أمير، فقال خالد: يا نبي الله، يسبني هذا العبد الأجدع، وشتم خالد عمارا فقال النبي ﷺ لخالد: لا تسب عمارا، فمن سب عمارا سب الله، ومن أبغض عمارا أبغضه الله، ومن لعن عمارا لعنه الله، فغضب عمار، فقام فذهب، فقال النبي ﷺ لخالد: قم فاعتذر إليه، فأتاه خالد فأخذ بثوبه، فاعتذر إليه، فأعرض عنه، فأنزل الله عز وجل في عمار: (يا أيها الذين آمنوا أطيعوا الله وأطيعوا الرسول وأولي الأمر منكم) يعني خالد بن الوليد؛ لأن النبي ﷺ كان ولاء أمرهم، فأمر الله عز وجل بطاعة أمراء⁽⁸²⁹⁾.

قلت: اختلف أهل العلم في أولي الأمر المأمور بطاعتهم علي أربعة أقوال.
قال الحافظ ابن الجوزي أحدها: أنهم الأمراء، قاله أبو هريرة، وابن عباس في رواية، وزيد بن أسلم، والسدي، ومقاتل.
والثاني: أنهم العلماء، رواه ابن أبي طلحة، عن ابن عباس، وهو قول جابر بن عبد الله، والحسن، وأبي العالية، وعطاء، والنخعي، والضحاك، ورواه خصيف، عن مجاهد.
والثالث: أنهم أصحاب النبي ﷺ، رواه ابن أبي نجیح، عن مجاهد، وبه قال بكر بن عبد الله المزني.
والرابع: أنهم أبو بكر، وعمر، وهذا قول عكرمة⁽⁸³⁰⁾.

[تفسير مختصر للآية]

(يا أيها الذين آمنوا أطيعوا الله وأطيعوا الرسول وأولي الأمر منكم) أي اطيعوا الله وأطيعوا رسوله بالتمسك بالكتاب والسنة، وأطيعوا الحكام إذا كانوا مسلمين متمسكين بشرع الله، إذ لا طاعة لمخلوق في معصية الخالق وفي قوله [منكم] دليل على أن الحكام الذين تجب طاعتهم، يجب أن يكونوا مسلمين حسا ومعني، لحما ودما، لا أن يكونوا مسلمين صورة وشكلا.
(فإن تنازعتم في شئ فردوه إلى الله والرسول) أي فإن اختلفتم في أمر من الأمور فاحتكموا فيه إلى كتاب الله وسنة رسوله صلى الله عليه وسلم.
(إن كنتم تؤمنون بالله واليوم الآخر) أي إن كنتم مؤمنين حقا، وهو شرط حذف جوابه لدلالة ما سبق، أي فردوه إلى الله والرسول، والغرض منه الحث على التمسك بالكتاب والسنة، كما يقول القائل: إن كنت ابني فلا تخالفني.
(ذلك خير وأحسن تأويلا) أي الرجوع إلى كتاب الله وسنة رسوله، خير لكم وأصلح، وأحسن عاقبة ومآلا... ثم ذكر تعالى صفات المنافقين الذين يدعون الإيمان وقلوبهم خاوية منه فقال سبحانه⁽⁸³¹⁾.

(أَلَمْ تَرَ إِلَى الَّذِينَ يَزْعُمُونَ أَنَّهُمْ ءَامَنُوا بِمَا نُزِّلَ إِلَيْكَ وَمَا نُزِّلَ مِنْ قَبْلِكَ يُرِيدُونَ أَنْ يَتَحَكَّمُوا إِلَى الطَّغُوتِ وَقَدْ أُمِرُوا أَنْ يَكْفُرُوا بِهِ وَيُرِيدُ الشَّيْطَانُ أَنْ يُضِلَّهُمْ ضَلَالًا بَعِيدًا ٦٠)

قوله تعالى: (ألم تر إلى الذين يزعمون) - الآية.

295. أخرج ابن أبي حاتم والطبراني بسند صحيح عن ابن عباس قال: « كان أبو بزره الأسلمي كاهناً

(827) انظر فتح الباري 8/254

(828) تفسير الطبري/5/148 قال: حدثنا محمد بن الحسين قال: ثنا أحمد بن مفضل ثنا أسباط عن السدي (أطيعوا الله وأطيعوا الرسول وأولي الأمر منكم قال: « بعث رسول الله سرية عليها خالد بن الوليد وفيها عمار بن ياسر، فساروا قبل القوم الذين يريدون، فلما بلغوا قريبا منهم عرسوا وأتاهم ذو العيينتين فأخبرهم فأصبحوا وقد هربوا غير رجل أمر أهله، فجمعوا متاعهم ثم أقبل بمشي في ظلمة الليل حتى أتى عسكر خالد، فسأل عن عمار بن ياسر فاتاه فقال: يا أبا اليقظان إني قد أسلمت وشهدت أن لا إله إلا الله وأن محمدا عبده ورسوله وإن قومي لما سمعوا بكم هربوا، وإني بقيت فهل إسلامي نافي غدا وإلا هربت؟ قال: عمار بل هو ينفعك فأقم، فلما أصبحوا أغار خالد فلم يجد أحدا غير الرجل فأخذه وأخذ ماله، فبلغ عمارا الخبر، فأتى خالد فقال: خل عن الرجل فإنه قد أسلم وهو في أمان مني، فقال خالد: وفيه أنت تجبر فاستنبا وارتفع إلى النبي، فأجاز أمان عمار، ونهاه أن يجبر الثانية على أمير، فاستنبا عند رسول الله، فقال خالد: يا رسول الله أتترك هذا العبد الأجدع يسبني؟ فقال رسول الله: « يا خالد لا تسب عمارا فإنه من سب عمارا سبه الله ومن أبغض عمارا أبغضه الله ومن لعن عمارا لعنه الله » فغضب عمار فقام فقتله خالد حتى أخذ بثوبه فاعتذر إليه فرضي عنه، فأنزل الله تعالى قوله: (أطيعوا الله وأطيعوا الرسول وأولي الأمر منكم) في إسناد ضعيف يسير مع إرساله.

(829) مقاتل بن سليمان (1/237)

(830) زاد المسير (2/116)

(831) صفوة التفسير - للصابوني (1/184)

⁽⁸³²⁾ يقضي بين اليهود فيما يتنافرون فيه، فتنافر إليه ناس من المسلمين فأنزل الله: (ألم تر إلى الذين يزعمون أنهم آمنوا) إلى قوله (إلا إحساناً وتوفيقاً) ⁽⁸³³⁾ «.

296. وأخرج ابن أبي حاتم من طريق عكرمة أو سعيد عن ابن عباس قال: « كان الجلاس بن الصامت ومعتب بن قشير ورافع بن زيد وبشر يدعون الإسلام، فدعاهم رجال من قومهم من المسلمين في خصومة كانت بينهم إلى رسول الله ﷺ، فدعوهم إلى الكهان حكام الجاهلية، فأنزل الله فيهم: (ألم تر إلى الذين يزعمون) ⁽⁸³⁴⁾ الآية «.

297. أخرج ابن جرير عن الشعبي قال: « كان بين رجل من اليهود ورجل من المنافقين خصومة فقال اليهودي: أحاكمك إلى أهل دينك أو قال إلى النبي لأنه قد علم أنه لا يأخذ الرشوة في الحكم فاختلفا واتفقا على أن يأتيا كاهنا في جهينة فنزلت ⁽⁸³⁵⁾ «.

[تعليق]

روى المؤلف ثلاثة آثار في سبب نزول هذه الآية، وهي أسباب مختلفة للآية، وكلها تدور حول وجوب التحاكم إلى الله ورسوله بدلاً من التحاكم إلى الطاغوت الذي هو كل ما يطاع من دون الله سواء كاهن أو سيد أو رئيس أو غير ذلك. فالتحاكم إلى الله ورسوله هو علامة الإيمان والتحاكم إلى الطاغوت علامة النفاق. وقد ورد في سبب نزول الآية غير ما ذكره المؤلف.

فأخرج الواحدي عن ابن عباس نزلت في رجل من المنافقين كان بينه وبين يهودي خصومة، فقال اليهودي: انطلق بنا إلى محمد، وقال المنافق: بل نأتي كعب بن الأشرف وهو الذي سماه الله تعالى الطاغوت، فأبى اليهودي إلا أن يخاصمه إلى رسول الله ﷺ، فلما رأى المنافق ذلك أتى معه إلى رسول الله ﷺ، فاختصما إليه، فقضى رسول الله ﷺ لليهودي، فلما خرجا من عنده لزمه المنافق وقال: ننطلق إلى عمر بن الخطاب، فأقبلا إلى عمر، فقال اليهودي: اختصمنا أنا وهذا إلى محمد فقضى لي عليه فلم يرض بقضائه، وزعم أنه مخاصم إليك وتعلق بي فجننت إليك معه، فقال عمر للمنافق، أكذاك؟ قال: نعم، فقال لهما: رويدا حتى أخرج إليكما، فدخل عمر وأخذ السيف فاشتغل عليه، ثم خرج إليهما وضرب به المنافق حتى برد، وقال: هكذا أقضى لمن لم يرض بقضاء الله وقضاء رسوله، وهرب اليهودي، ونزلت هذه الآية، وقال جبريل عليه السلام: إن عمر فرق بين الحق والباطل، فسمى الفاروق ⁽⁸³⁶⁾.

قلت: هذه أربعة أسباب في سبب نزول هذه الآية وهي كما تري داخلية تحت عموم الآية فنزول الآية في كل هذه الأسباب وارد وجائز والله تعالى أعلم.

[تفسير مختصر للآية]

(ألم تر إلى الذين يزعمون أنهم آمنوا) تعجب من أمر من يدعي الإيمان ثم لا يرضى بحكم الله ! أي ألا تعجب من صنيع هؤلاء المنافقين، الذين يزعمون الإيمان.
(بما أنزل إليك) وهو القرآن.
(وما أنزل من قبلك) وهو التوراة والإنجيل.
(يريدون أن يتحاكموا إلى الطاغوت) أي يريدون أن يتحاكموا في خصومتهم إلى الطاغوت، قال ابن عباس: هو " كعب بن الأشرف " أحد طغاة اليهود، سمي به لإفراطه في الطغيان وعداوته للرسول عليه السلام.
(وقد أمروا أن يكفروا به) أي والحال أنهم قد أمروا بالإيمان بالله والكفر بما سواه (فمن يكفر بالطاغوت ويؤمن بالله فقد استمسك بالعروة الوثقى).
(ويريد الشيطان أن يضلهم ضلالاً بعيداً) أي ويريد الشيطان بما زين لهم أن يحرفهم عن الحق والهدى ⁽⁸³⁷⁾.

(فَلَا وَرَبِّكَ لَا يُؤْمِنُونَ حَتَّىٰ يُحَكِّمُوكَ فِيمَا شَجَرَ بَيْنَهُمْ ثُمَّ لَا يَجِدُوا فِي أَنفُسِهِمْ حَرَجًا مِّمَّا قَضَيْتَ وَيُسَلِّمُوا تَسْلِيمًا ٦٥)

قوله تعالى: (فلا وربك لا يؤمنون حتى يحكموك) - الآية.

298. أخرج الأئمة الستة عن عبد الله بن الزبير قال: « خاصم الزبير رجلاً من الأنصار في شراج الحرة، فقال النبي ﷺ « اسق يا زبير ثم أرسل الماء إلى جارك » فقال الأنصاري: يا رسول الله أن كان ابن عمك؟! فتلون وجهه ثم قال: « اسق يا زبير ثم احبس الماء حتى يرجع إلى الجدار ثم أرسل الماء

⁽⁸³²⁾ رجح الحافظ أن هذا الرجل اسمه أبو بردة بالبدال لا بالزاي العجاف في بيان الأسباب (2/ 901)

⁽⁸³³⁾ المعجم الكبير 11/373 ح (12045) قال: الهيثمي في الزوائد رجاله رجال الصحيح، قلت: قال أبو زرعة في صفوان بن عمرو الراوي عن عكرمة: لا أظنه سمع منه نظر جامع التحصيل عند ترجمت صفوان، ولم أجد تصريحه بالتحديث في أحد الروايات.

⁽⁸³⁴⁾ لم أجد في الكتب المسنده في النسخة التي بين يدي

⁽⁸³⁵⁾ تفسير الطبري 5/152 وإسناده صحيح غير أنه مرسل عن الشعبي، وعزه الحافظ في الفتح إلى ابن راهوية في تفسيره، ولم أجد في الكتب المسنده مطبوعاً

⁽⁸³⁶⁾ أسباب النزول للواحدى (108)

⁽⁸³⁷⁾ صفوة التفاسير - للصابوني (1/ 185)

إلى جارك» واستوعب للزبير حقه، وكان أشار عليهما بأمر لهما فيه سعة، قال الزبير: فما أحسب هذه الآيات إلا نزلت في ذلك (فلا وربك لا يؤمنون حتى يحكموك فيما شجر بينهم) (838) «.

299. وأخرج الطبراني في الكبير والحميدي في مسنده عن أم سلمة قالت: «خاصم الزبير رجلاً إلى رسول الله ﷺ فقضى للزبير، فقال الرجل إنما قضى له لأنه ابن عمته، فنزلت: (فلا وربك لا يؤمنون حتى يحكموك). الآية (839) .

300. وأخرج ابن أبي حاتم عن سعيد بن المسيب في قوله: (فلا وربك) - الآية. قال: أنزلت في الزبير بن العوام وحاطب بن أبي بلعثة اختصما في ماء، فقضى النبي ﷺ أن يسقي الأعلى ثم الأسفل (840) «.

301. [ك] وأخرج ابن أبي حاتم وابن مردويه عن أبي الأسود قال: «اختصم رجلان إلى رسول الله ﷺ فقضى بينهما، فقال الذي قضى عليه: ردنا إلى عمر بن الخطاب، فأتيا إليه، فقال الرجل: قضى لي رسول الله ﷺ على هذا، فقال ردنا إلى عمر، فقال: أكذاك؟! قال: نعم، فقال عمر: مكانكما حتى أخرج إليكما فأقضي بينكما، فخرج إليهما مشتملا على سيفه فضرب الذي قال ردنا إلى عمر فقتله، فأنزل الله: (فلا وربك لا يؤمنون) الآية (841). مرسل غريب في إسناده ابن لهيعة وله شاهد أخرجه دحيم في تفسيره من طريق عتبة بن ضمرة عن أبيه.

[تعليق]

ذكر المؤلف رحمه الله أربعة آثار تشتمل على سبب من أسباب النزول لهذه الآية، وقد رجح الإمام الطبري السبب الأخير بناء على أن سياق الآيات نزل في التحاكم إلى الطاعوت، لكن مع صحة إسناد قصة الزبير، فلا نستطيع إغفال هذا السبب فتكون الآية نزلت في الأمرين على أن السبب الثاني في قصة عمر مرسل وفي إسناده ضعف وإن ورد له شواهد فإن الأول أقوى. فنقول بأن السبب الأول هو الأرجح والثاني داخل في عموم الآية والله تعالى أعلم (842).

[تفسير مختصر للآية]

(فلا وربك لا يؤمنون حتى يحكموك فيما شجر بينهم) اللام لتأكيد القسم أي فورك يا محمد لا يكونون مؤمنين، حتى يجعلوك حكماً بينهم، ويرضوا بحكمك فيما تنازعوا فيه واختلفوا من الأمور. (ثم لا يجدوا في أنفسهم حرجاً مما قضيت ويسلموا تسليماً) أي ثم لا يجدوا في أنفسهم ضيقاً من حكمك، وينقادوا انقياداً تاماً كاملاً لقضائك، من غير معارضة ولا مدافعة ولا منازعة، فحقيقة الإيمان الخضوع والإذعان (843).

(وَلَوْ أَنَّا كَتَبْنَا عَلَيْهِمْ أَنْ اقْتُلُوا أَنْفُسَكُمْ أَوْ أَخْرِجُوا مِنْ دِيَارِكُمْ مَا فَعَلُوهُ إِلَّا قَلِيلٌ مِنْهُمْ وَلَوْ أَنَّهُمْ فَعَلُوا مَا يُوعَظُونَ)
بِهَ لَكَانَ خَيْرًا لَهُمْ وَأَشَدَّ تَنْبِيئًا (٦٦)

قوله تعالى: (ولو أنا كتبنا عليهم أن اقتلوا) - الآية.

302. [ك] وأخرج ابن جرير عن السدي قال: لما نزلت: (ولو أنا كتبنا عليهم أن اقتلوا أنفسكم أو أخرجوا من دياركم ما فعلوه إلا قليل منهم) افتخر ثابت بن قيس بن شماس ورجل من اليهود، فقال اليهودي: والله لقد كتب الله علينا أن اقتلوا أنفسكم فقتلنا أنفسنا، فقال ثابت والله لو كتب الله علينا أن اقتلوا أنفسكم لقتلنا أنفسنا، فأنزل الله فيهم: (ولو أنهم فعلوا ما يوعظون به لكان خيراً لهم وأشد تنبيهاً) (844) «.

[تعليق]

ذكر المؤلف رحمه الله أثراً واحداً في سبب نزول هذه الآية، وهو أثر مرسل ولم يأت شيء ثابت في سبب نزولها. وقد أخرج ابن أبي حاتم عن الحسن قال: «لما نزلت الآية على رسول الله ﷺ ولو أنا كتبنا عليهم أن اقتلوا أنفسكم أو

(838) أخرجه البخاري 2/832 ح (2231) ومسلم 4/1829 ح (2357) وأبو داود 3/315 ح (3637) والنسائي 8/238 ح (5407) والترمذي 3/644 ح (1363) وابن ماجه 1/7 ح (15) وأحمد في المسند 1/165 ح (1419) وابن حبان في صحيحه 1/203 ح (24) والبيهقي في السنن الكبرى 6/153 ح (11634) مسند أبي يعلى 12/189 ح (6814) المنقي 255 ح (1021) المنتخب 185 ح (519) مسند الشاميين 4/205 ح (3110) تفسير الطبري 5/159 وغيرهم.

(839) مسند الحميدي 1/143 ح (300) وإسناده صحيح غير أن عمرو بن دينار قال: أخبرني رجل من ولد أم سلمة، أن الزبير - وذكر الحديث وجاء مبيناً في رواية الطبراني في الكبير 23/294 ح (652) والحديث أخرجه الطبري في تفسيره 5/159 والمروزي في تعظيم قدر الصلاة 2/656 ح (708) وفيه التصريح بذكر سلمة بن أبي سلمة قال: حدثنا هارون بن عتبة أنا عبد الله بن الزبير ثنا سفيان ثنا عمرو بن دينار عن سلمة رجل من ولد أم سلمة عن أم سلمة - يهفوله هارون بن عتبة خطأ في النسخة والصحيح هارون بن عبد الله البزاز قال الحافظ ثقة أخرجه له مسلم وأصحاب السنن وعبد الله بن الزبير هو الإمام الحميدي شيخ البخاري وصاحب المسند وباقي الإسناد مشهور رجاله ثقات

(840) تفسير ابن أبي حاتم 3/994 مرسل.

(841) تفسير ابن أبي حاتم 3/994 مرسل ضعيف الإسناد.

(842) العجائب في بيان الأسباب (2/908)

(843) صفوة التفاسير - للصابوني (1/185)

(844) تفسير ابن جرير 5/160 مرسل وفيه أسباب بن نصر عن السدي.

أخرجوا من دياركم ما فعلوه إلا قليل منهم قال أناس من أصحاب النبي □: لو فعل ربنا لفعلنا، فبلغ النبي □، فقال النبي □: لا إيمان أثبت في قلوب أهله من الجبال الرواسي (845)». وقد وردت تسمية القائل عند مقاتل في تفسيره أنه عمر بن الخطاب (846).
قلت: وهذا ليس سبباً للنزول بل قالها بعد النزول. وهذا السبب المذكور عن السدي يحتمله سياق الآيات لكن لا أستطيع أن أجزم به والله تعالى أعلم.

[تفسير مختصر للآية]

(ولو أنا كتبنا عليهم أن اقتلوا أنفسكم أو أخرجوا من دياركم) أي لو فرضنا على هؤلاء المنافقين ما فرضنا على من قبلهم من الأحكام الشاقة، وشددنا التكليف عليهم فأمرناهم بقتل النفس، والخروج من الأوطان، كما فرض ذلك على بني إسرائيل. (ما فعلوه إلا قليل منهم) أي ما استجاب ولا انقاد إلا قليل منهم لضعف إيمانهم. (ولو أنهم فعلوا ما يوعظون به لكان خيرا لهم وأشد تنبيها) أي ولو أنهم فعلوا ما يؤمرون به من طاعة الله وطاعة رسوله، لكان خيرا لهم في عاجلهم أجلهم، وأشد تنبيها لإيمانهم، وأبعد لهم عن الضلال والنفاق (847).

(وَمَنْ يُطِيعِ اللَّهَ وَالرَّسُولَ فَأُولَئِكَ مَعَ الَّذِينَ أَنْعَمَ اللَّهُ عَلَيْهِمْ مِنَ النَّبِيِّينَ وَالصِّدِّيقِينَ وَالشُّهَدَاءِ وَالصَّالِحِينَ وَحَسُنَ أُولَئِكَ رَفِيقًا ٦٩ ذَلِكَ الْفَضْلُ مِنَ اللَّهِ وَكَفَى بِاللَّهِ عَلِيمًا ٧٠)

قوله تعالى: (ومن يطع الله) - الآية.

303. أخرج الطبراني وابن مردويه بسند لا بأس به عن عائشة قالت: «جاء رجل إلى النبي □، فقال: يا رسول الله إنك لأحب إلي من نفسي وإنك لأحب إلي من ولدي وإني لأكون في البيت فأذكرك فما أصبر حتى آتي فأنتظر إليك وإذا ذكرت موتي وموتك عرفت أنك إذا دخلت الجنة رفعت مع النبيين وأني إذا دخلت الجنة خشيت أن لا أراك، فلم يرد النبي □ شيئا حتى نزل عليه جبريل بهذه الآية: (ومن يطع الله والرسول) الآية (848)».

304. وأخرج ابن أبي حاتم عن مسروق قال: «قال أصحاب محمد □ يا رسول الله ما ينبغي لنا أن نفارقك فإنك لو قد مت لرفعت فوقنا ولم نرك، فأنزل الله: (ومن يطع الله والرسول) - الآية (849)».

305. وأخرج عن عكرمة قال: «أتى فتى النبي □ فقال: يا نبي الله إن لنا منك نظرة في الدنيا ويوم القيامة لا نراك فإنك في الجنة في الدرجات العلى فأنزل الله هذه الآية، فقال له رسول الله □: «أنت معي في الجنة إن شاء الله (850)».

306. وأخرج ابن جرير نحوه من مرسل سعيد بن جبيرة ومسروق والربيع وقتادة والسدي (851).

[تعليق]

ذكر المؤلف رحمه الله أربعة آثار في سبب نزول هذه الآية. وهي يشهد بعضها لبعض في كونها نزلت في خوف الصحابة من أن لا يجتمعوا برسول الله □ في الآخرة لكون درجته تكون مع درجة النبيين، فأخبرهم الله تعالى أنهم يستطيعون أن يكونوا مع النبي □ إذا أطاعوا الله والرسول جعلنا الله مع النبي □.

وقد جاءت تسمية الرجل القائل في الرواية الأولى عند الإمام الواحدي من غير إسناد أنه ثوبان مولى رسول الله □. قال رحمه الله: قال الكلبي: نزلت في ثوبان مولى رسول الله □، وكان شديد الحب له قليل الصبر عنه، فأتاه ذات يوم وقد تغير لونه ونحل جسمه يعرف في وجهه الحزن، فقال له: يا ثوبان ما غير لونك؟ فقال: يا رسول الله مابي من ضر ولا وجع غير أنني إذا لم أرك اشتقت إليك واستوحشت وحشة شديدة حتى ألقاك، ثم ذكرت الآخرة وأخاف أن لا أراك هناك، لاني أعرف أنك ترفع مع النبيين، وأني وإن دخلت الجنة كنت في منزلة أدنى من منزلتك، وإن لم أدخل الجنة فذاك أحرى أن لا أراك أبدا، فأنزل

(845) تفسير ابن أبي حاتم - (3/ 995)

(846) تفسير مقاتل بن سليمان (1/ 240)

(847) صفوة التفسير - للصابوني (1/ 185)

(848) المعجم الأوسط 1/153 ح (477) المعجم الصغير 1/53 ح (52) هناد في الزهد 1/117 ح (148) عن الشعبي مرسل حلية الأولياء 4/240 8/125 وإسناده جيد

قال الإمام الطبراني في الصغير: حدثنا أحمد بن عمرو الخلال المكي أبو عبد الله حدثنا عبد الله بن عمران العبادي حدثنا فضيل بن عياض عن منصور عن إبراهيم عن الأسود عن عائشة - به. شيخ الطبراني لم أجد له ترجمة وباقي الإسناد ثقات، وله شاهد عند الطبراني في الكبير من حديث ابن عباس المعجم الكبير 8/6 ص 12 ح [12559] قال:

حدثنا العباس بن الفضل الأسفاطي ثنا ثابت بن عباس أبو بكر الأحمد ثنا خالد بن عبد الله عن عطاء بن السائب عن الشعبي عن ابن عباس أن رجلا أتى النبي □ فقال يا رسول الله إنني لأحبك حتى إنني لأذكرك فلو لا أنني أجيء فأنتظر إليك ظننت أن نفسي تخرج فأذكر أنني إن دخلت الجنة صرت دونك في المنزلة فشق ذلك علي وأحب أن أكون معك في الدرجة فلم يرد رسول الله □ شيئا فأنزل الله عز وجل [ومن يطع الله والرسول فأولئك مع الذين أنعم الله عليهم] الآية فدعاه رسول الله □ فقلها عليه « وفي

إسناده عطاء بن السائب تقدمت ترجمته، وله شاهد آخر مرسل عند ابن أبي شيبة في المصنف مصنف ابن أبي شيبة ج 6 ص 324 ح [31774] حدثنا قال معاوية بن عمرو قال ثنا زائدة بن قدامة عن منصور عن مسروق قال قال أصحاب رسول الله □ أو من شاء الله منهم يا رسول الله ما ينبغي لنا أن نفارقك في الدنيا فإنك لو مت

رفعت فوقنا فلم نرك فأنزل الله [ومن يطع الله والرسول فأولئك مع الذين أنعم الله عليهم من النبيين والصديقين والشهداء والصالحين وحسن أولئك رفيقا] فالحاصل أن الحديث حسن بشواهد

(849) تفسير ابن جرير 5/163 تفسير ابن أبي حاتم 3/997 مرسل.

(850) تفسير ابن جرير 5/163 من رواية سعيد بن جبيرة مرسل، وفي إسناده ابن حميد ورواية مسروق تقدمت في الذي قبلها

(851) رواية السدي وقتادة والربيع أخرجها الطبري في المصدر السابق وهي مراسل كما تزي

قلت: يحتمل أن يكون غير واحد من الصحابة قالوا ذلك لا سيما وقد عرفت محبتهم للنبي □ بما لا نستطيع أن نرويه في هذا الكتاب من الأخبار عن محبتهم، فتكون الآية نزلت في عدد منهم والله تعالى أعلم.

وقد سمي كذلك في بعض طرق الروايات الواردة في سبب نزول هذه الآية عبد الله بن زيد صاحب الأذان.

فقال مقاتل: نزلت في رجل من الأنصار يسمى: عبد الله بن زيد بن عبد ربه الأنصاري، قال للنبي □، وهو الذي رأى الأذان في المنام مع عمر بن الخطاب، رضى الله عنهما: إذا خرجنا من عندك إلى أهالينا اشتقنا إليك، فلم ينفعنا شيء حتى نرجع إليك، فذكرت درجاتك في الجنة، فكيف لنا برويتك إن دخلنا الجنة؟ فأنزل الله عز وجل: (ومن يطع الله والرسول فأولئك مع الذين أنعم الله عليهم من النبيين) (853).

وهذا يؤيد ما ذكرناه. لكن جعل الإمام ابن الجوزي ثلاثة أسباب لنزول هذه الآية، فجعل قول ثوبان سبباً وقول الصحابة سبباً وقول رجل من الصحابة سبباً والله تعالى أعلم.

[تفسير مختصر للآية]

(ومن يطع الله والرسول فأولئك مع الذين أنعم الله عليهم) أي ومن يعمل بما أمره الله به ورسوله ويجتنب ما نهى الله عنه ورسوله، فإن الله عز وجل يسكنه دار كرامته في دار الخلد مع المقربين.

(من النبيين والصدّيقين والشهداء والصالحين) أي مع أصحاب المنازل العالية في الآخرة، وهم الأنبياء الأطهار، والصدّيقين الأبرار، وهم أفضل أصحاب الأنبياء والشهداء الأخيار وهم الذين استشهدوا في سبيل الله، ثم مع بقية عباد الله الصالحين.

(وحسن أولئك رفيقاً) أي ونعمت رفقة هؤلاء وصحبته، وحسن رفيق أولئك الأبرار، عن عائشة رضي الله عنها قالت: سمعت النبي □ في شكواه التي قبض فيها يقول (مع الذين أنعم الله عليهم من النبيين والصدّيقين والشهداء والصالحين) فعلمت أنه خير.

(ذلك الفضل من الله) أي ما أعطيه المطيعون من الأجر العظيم، إنما هو بمحض فضله تعالى

(وكفى بالله علماً) أي وكفى به تعالى مجازياً لمن أطاع، عالماً بمن يستحق الفضل والإحسان، وكفى بالله شهيداً (854).

(أَلَمْ تَرَ إِلَى الَّذِينَ قِيلَ لَهُمْ كُفُّوا أَيْدِيَكُمْ وَأَقِيمُوا الصَّلَاةَ وَآتُوا الزَّكَاةَ فَلَمَّا كُتِبَ عَلَيْهِمُ الْقِتَالُ إِذَا فَرِيقٌ مِّنْهُمْ يَخْشَوْنَ النَّاسَ كَخَشْيَةِ اللَّهِ أَوْ أَشَدَّ خَشْيَةً وَقَالُوا رَبَّنَا لِمَ كُتِبَ عَلَيْنَا الْقِتَالُ لَوْلَا أَخَّرْتَنَا إِلَىٰ أَجَلٍ قَرِيبٍ قُلْ مَتَّعَ اللَّهُ الدُّنْيَا قَلِيلًا وَالْآخِرَةَ خَيْرٌ لِّمَن اتَّقَىٰ وَلَا تُظَلَّمُونَ فِتْنًا ۗ (٧٧)

قوله تعالى: (ألم تر إلى الذين قيل لهم كفوا أيديكم) - الآية.

307. أخرج النسائي والحاكم عن ابن عباس « أن عبد الرحمن بن عوف وأصحابا له أتوا النبي □ فقالوا: يا نبي الله كنا في عز ونحن مشركون فلما آمننا صرنا أدلة، قال: «إني أمرت بالعفو فلا تقاتلوا القوم» فلما حوله الله إلى المدينة أمره بالقتال فكفوا، فأنزل الله (ألم تر إلى الذين قيل لهم كفوا أيديكم) - الآية (855).

«.

[تعليق]

ذكر المؤلف رحمه الله أثراً واحداً في سبب نزول هذه الآية وهو أثر حسن الإسناد. لكن عبد الرحمن بن عوف ليس ممن نزلت فيه الآية. فقد ذكر الحافظ أن الآية نزلت في بعض ممن لم يرسخ الإيمان في قلبه من المهاجرين وعبد الرحمن من الراسخين في الإيمان (856). وقيل نزلت في قوم من المنافقين ذكر ذلك الثعلبي (857). قلت يجمع بين ذلك بأن عبد الرحمن بن عوف سأل القتال مع بعض ممن لم يرسخ في قلبه الإيمان فلما هاجروا إلى المدينة وكتب الله عليهم القتال كرهه بعضهم أو بعض المنافقين.

وفي سبب نزول الآية غير ما ذكره المؤلف فقيل أنها نزلت في اليهود.

ذكر ذلك الإمام ابن جرير في تفسيره عن مجاهد: (ألم تر إلى الذين قيل لهم كفوا أيديكم وأقيموا الصلاة) إلى قوله: (لا تتبعتم الشيطان إلا قليلاً)، ما بين ذلك في اليهود (858).

وقيل نزلت محذرة للصحابة أن لا يكونوا كمن تقدم من الأمم.

قال الإمام ابن الجوزي أنها نزلت واصفة أحوال قوم كانوا في الزمان المتقدم، فحذرت هذه الأمة من مثل حالهم، روى هذا المعنى عطية، عن ابن عباس. قال أبو سليمان الدمشقي: كأنه يومئذ إلى قصة الذين قالوا: إبعث لنا ملكاً (859).

فيتحصل لنا في سبب نزول هذه الآية ثلاثة أسباب. والأول أرجحها لجودة إسناده وإن كان السببان الآخران داخلان في

(852) أسباب النزول للواحد (110)

(853) تفسير مقاتل بن سليمان (240 / 1)

(854) صفوة التفاسير - للصابوني (186 / 1)

(855) تفسير الطبري 5/170 المستدرک 2/76، 336 (3200) وقال صحيح على شرط البخاري سنن النسائي الصغرى 2/6 ح (3086) والكبرى 3/3 ح (4293) سنن البيهقي الكبرى 9/11 ح (17519) وإسناده حسنقال الإمام النسائي: أخبرنا محمد بن علي بن الحسن بن شقيق قال أنبأنا أبي قال أنبأنا الحسين بن واقد عن عمرو بن دينار عن عكرمة عن ابن عباس - به.

(856) العجائب في بيان الأسباب (2 / 918)

(857) الكشف والبيان عن تفسير القرآن (3 / 346)

(858) جامع البيان (تفسير الطبري) (8 / 550) أخرجه من رواية ابن أبي نجیح عن مجاهد وروايته عنه مرسله.

(859) زاد المسير (2 / 134)

[تفسير مختصر للآية]

(ألم تر إلى الذين قيل لهم كفوا أيديكم وأقيموا الصلاة وآتوا الزكاة) أي ألا تعجب يا محمد من قوم طلبوا القتال وهم بمكة، فقيل لهم: أمسكوا عن قتال الكفار فلم يحن وقته، وأعدوا نفوسكم بإقامة الصلاة وإيتاء الزكاة. (فلما كتب عليهم القتال إذا فريق منهم يخشون الناس كخشية الله أو أشد خشية) أي فلما فرض عليهم قتال المشركين، إذا جماعة منهم يخافون ويجنبون ويفزعون من الموت، كخشيتهم من عذاب الله أو أشد من ذلك؟ قال ابن كثير: كان المؤمنون في ابتداء الإسلام وهم بمكة مأمورين بالصلاة والزكاة والصبر على أذى المشركين، وكانوا يتحرقون لو أمروا بالقتال ليشتفوا من أعدائهم، فلما أمروا بما كانوا يودونه، جزع بعضهم وخاف من مواجهة الناس خوفا شديدا وروى النسائي في سننه أن بعض الصحابة قالوا يا رسول الله: إنا كنا في عز ونحن مشركون، فلما آمانا صرنا أدلة؟! فقال: " إني أمرت بالعفو فلا تقاتلوا، فلما حوله الله إلى المدينة، أمر بالقتال فكفوا، فأنزل الله الآية ".

(وقالوا ربنا لم كتب علينا القتال) أي وقالوا جزعا من الموت: ربنا لم فرضت علينا القتال؟ (لولا أخرتنا إلى أجل قريب) " لولا " للتخصيص بمعنى: أي (هلا) أخرتنا إلى أجل قريب حتى نموت بأجلنا ولا نقتل فيفرح بنا الأعداء!

(قل متاع الدنيا قليل والآخرة خير لمن اتقى) أي قل لهم يا محمد إن نعيم الدنيا فإن، ونعيم الآخرة باق، فهو خير من ذلك المتاع الفاني، لمن اتقى الله وامتنل أمره (ولا تظلمون فتيلا) أي لا تنقصون من أجور أعمالكم أدنى شيء، ولو كان فتيلا وهو الخيط الذي في شق النواة (860).

(وَإِذَا جَاءَهُمْ أَمْرٌ مِّنَ الْأَمْنِ أَوْ الْخَوْفِ أَدَّعَوْا بِهَا وَلَوْ رَدُّهُ إِلَى الرَّسُولِ وَإِلَى أُولِي الْأَمْرِ مِنْهُمْ لَعَلِمَهُ الَّذِينَ يَسْتَنْبِطُونَهُ مِنْهُمْ وَلَوْ لَا فَضْلُ اللَّهِ عَلَيْكُمْ وَرَحْمَتُهُ لَاتَّبَعْتُمُ الشَّيْطَانَ إِلَّا قَلِيلًا ۝۸۳)

قوله تعالى: (وإذا جاءهم) - الآية.

308. [ك] روى مسلم عن عمر بن الخطاب قال: « لما اعتزل النبي ﷺ نساءه دخلت المسجد فإذا الناس يكتنون بالحصى ويقولون طلق رسول الله ﷺ نساءه، فقامت على باب المسجد فناديت بأعلى صوتي لم يطلق نساءه، فنزلت هذه الآية: (وإذا جاءهم أمر من الأمن أو الخوف أذاعوا به ولو ردوه إلى الرسول وإلى أولي الأمر منهم لعلمه الذين يستنبطونه منهم) فكنت أنا أستنبط ذلك الأمر (861) ». »

[تعليق]

ذكر المؤلف رحمه الله أثراً واحداً في سبب نزول هذه الآية وهو يفيد أن هذه الآية نزلت في المؤمنين من أصحاب النبي

□.

وقد روى الثعلبي سبباً آخر في المنافقين فقال: عن ابن عباس في قوله (وإذا جاءهم أمر من الأمن أو الخوف أذاعوا به) إن المنافقين كانوا إذا أمروا بالقتال لم يطيعوا الله فيما أمرهم به، وإن نهاهم عن محارمه لم ينتهوا عنها، وإن أفضى الرسول إليهم سرا أذاعوا به إلى العدو ليلاً بكتفهم، فأنزل الله تعالى رداً عليهم ولَوْ رَدُّهُ يَعْنِي أُمُورَهُمْ فِي الْحَلَالِ وَالْحَرَامِ (إِلَى الرَّسُولِ) فِي التَّصَدِيقِ بِهِ وَالْقَبُولِ (وَإِلَى أُولِي الْأَمْرِ مِنْهُمْ) يَعْنِي حَمَلَةَ الْفَقْهِ وَالْحِكْمَةَ لَعَلِمَهُ الَّذِينَ يَسْتَنْبِطُونَهُ مِنْهُمْ يَعْنِي الَّذِينَ يَفْحَصُونَ عَنِ الْعِلْمِ. ثُمَّ قَالَ (وَلَوْ لَا فَضْلُ اللَّهِ عَلَيْكُمْ وَرَحْمَتُهُ لَاتَّبَعْتُمُ الشَّيْطَانَ إِلَّا قَلِيلًا) أي معناه لا تتبعتم الشيطان كلكم (862). وإن كان سياق الآيات في المنافقين، ولكن تشمل بعمومها كذلك المؤمنين فالأثر الأول صحيح ويؤيده عموم الآية فالآية مرشدة للمؤمنين بأن لا يتسرعوا في إشاعة الأخبار، بل لا بد من ردها إلى من يعرف تأويل الأمور كالعلماء، وهم المرادون: بأولي العلم لأنهم هم أهل الاستنباط. والله تعالى أعلم.

[تفسير مختصر للآية]

(وإذا جاءهم أمر من الأمن أو الخوف) أي إذا جاء المنافقين خبر من الأخبار عن المؤمنين، بالظفر والغنيمة، أو النكبة والهزيمة. (أذاعوا به) أي أفشوه وأظهروه وتحدثوا به، قيل أن يقفوا على حقيقته، وفي إذا عتبتهم له مفسدة على المسلمين. (ولو ردوه إلى الرسول وإلى أولي الأمر منهم لعلمه الذين يستنبطونه منهم) أي لو ترك هؤلاء الكلام، بذلك الأمر الذي بلغهم، وردوه إلى رسول الله ﷺ وإلى كبراء الصحابة وأهل البصائر منهم، لعلمه الذين يستخرجونه منهم أي من الرسول وأولي الأمر (863).

(فَمَا لَكُمْ فِي الْمُؤْمِنِينَ فِتْنِينَ وَاللَّهُ أَرْكَسَهُمْ بِمَا كَسَبُوا أَتُرِيدُونَ أَنْ تَهْدُوا مَنْ أَضَلَّ اللَّهُ وَمَنْ يُضِلِّ اللَّهُ فَمَا لَهُ تَجْدَلُ لَهُ)

(860) صفوة التفسير - للصابوني (1/ 188)

(861) صحيح مسلم 2/1105 ح (1479) صحيح ابن حبان 496/9 ح (4188) مسند أبي يعلى 1/149 ح (164) وهو عند مسلم مطولاً، واختصره المؤلف

(862) الكشف والبيان عن تفسير القرآن (3/ 351)

(863) صفوة التفسير - للصابوني (1/ 189)

قوله تعالى: (فما لكم في المنافقين) - الآية.

309. روى الشيخان وغيرهما عن زيد بن ثابت « أن رسول الله عليه الصلاة والسلام خرج إلى أحد فرجع ناس خرجوا معه، فكان أصحاب رسول الله ﷺ فيهم فرقتين فرقة تقول نقتلهم وفرقة تقول لا، فأنزل الله: (فما لكم في المنافقين فنتين) (864) ».

310. [ك] وأخرج سعيد بن منصور وابن أبي حاتم عن سعد بن معاذ قال: « خطب رسول الله ﷺ الناس فقال: « من لي بمن يؤذيني ويجمع في بيته من يؤذيني؟ » فقال سعد بن معاذ: إن كان من الأوس قتلناه وإن كان من إخواننا من الخزرج أمرتنا فأطعنك، فقام سعد بن عبادة فقال: ما بك يا ابن معاذ طاعة رسول الله ﷺ ولقد عرفت ما هو منك، فقام أسيد بن حضير فقال: إنك يا ابن عبادة منافق وتحب المنافقين، فقام محمد بن مسلمة فقال: اسكتوا يا أيها الناس فإن فينا رسول الله ﷺ وهو يأمرنا فننفذ أمره، فأنزل الله: (فما لكم في المنافقين فنتين) الآية (865) ».

311. وأخرج أحمد عن عبد الرحمن بن عوف « أن قوماً من العرب أتوا رسول الله ﷺ بالمدينة فأسلموا وأصابهم وباء المدينة وحماها فاركسوا خرجوا من المدينة، فاستقبلهم نفر من الصحابة فقالوا لهم: ما لكم رجعتم؟ قالوا: أصابنا وباء المدينة فقالوا: أما لكم في رسول الله أسوة حسنة؟ فقال بعضهم: نافقوا وقال بعضهم: لم ينافقوا فأنزل الله: (فما لكم في المنافقين فنتين) الآية (866). في إسناده تدليس وانقطاع.

[تعليق]

ذكر المؤلف ثلاثة أسباب للنزول في هذه الآية. فالأول في اختلاف الصحابة في المنافقين الذين رجعوا من غزوة أحد، والثاني فيمن أذى النبي ﷺ. لكن هذا الحديث مشهور في قصة الإفك المذكورة في سورة النور كما سيأتي وإسناده غير صحيح، الثالث في قوم أسلموا فلما أصابتهم حمى المدينة خرجوا منها فاختلف فيهم الصحابة وهو لا شك منافقون لأن الله تعالى سماهم منافقين.

وقد ذكر في سبب نزول هذه الآية عدة أسباب غير ما تقدم.

فأخرج الإمام الثعلبي بغير إسناده قال: نزلت هذه الآية في ناس من قريش، قدموا على رسول الله صلى الله عليه وسلم المدينة فأسلموا فأقاموا بها ثم ندموا على ذلك وأرادوا الرجعة، فقال بعضهم لبعض: كيف نخرج؟ قالوا: نخرج كهيئة البدو فإن فطن بنا قلنا: خرجنا نتنزه، وإن غفل عنا مضينا، فخرجوا بهيئة المتنزهين، حتى باعدوا من المدينة. ثم كتبوا إلى رسول الله صلى الله عليه وآله وسلم: (إننا على الذي فارقتك عليه من الإيمان والتصديق بالله وبرسوله، ولكننا [اجتوبنا] المدينة، واشتقنا إلى أرضنا. ثم إنهم خرجوا في تجارة لهم، على الشام، فبلغ ذلك المسلمين، فقال بعضهم: ما يمنعنا أن نخرج إلى هؤلاء الذين رغبوا عن ديننا، وتركوا هجرتنا، وظاهروا على عدونا، فقتلهم ونأخذ مالهم! وقالت طائفة منهم: كيف تقتلون قوما على دينكم، إن لم يذروا ديارهم، وكان هذا بين يدي رسول الله صلى الله عليه وسلم، وهو ساكت لا ينهي واحدا من الفريقين، حتى نزلت هذه الآية والآيات بعدها، فبين الله تعالى للنبي صلى الله عليه وسلم شأنهم (867).

وأخرج الإمام الطبري: عن قتادة قوله: (فما لكم في المنافقين فنتين) الآية، ذكر لنا أنهما كانا رجلين من قريش كانا مع المشركين بمكة، وكانا قد تكلموا بالإسلام ولم يهاجرا إلى النبي ﷺ، فلقبهما ناس من أصحاب نبي الله وهما مقبلان إلى مكة، فقال بعضهم: إن دماءهما وأموالهما حلال! وقال بعضهم: لا يحل لكم! فنتشاجروا فيهما، فأنزل الله في ذلك: (فما لكم في المنافقين فنتين والله أركسهم بما كسبوا) حتى بلغ (ولو شاء الله لسلبهم عليكم فلقاتلوكم) (868).

كما أخرج الإمام الثعلبي قال: وقال عكرمة: هم ناس ممن قد صبوا ليأخذوا أموالا من أموال المشركين فانطلقوا بها إلى اليمامة فاختلف المسلمون فيهم فنزلت فيهم هذه الآية (869).

وأخرج ابن أبي حاتم والطبري وغيرهما عن مجاهد قوله: (فما لكم في المنافقين فنتين) قوم خرجوا من مكة حتى جاءوا المدينة يزعمون أنهم مهاجرون، ثم ارتدوا بعد ذلك، فاستاذنوا النبي ﷺ إلى مكة ليأتوا ببضائع يتجرون فيها، فاختلف فيهم المؤمنون، فقائل يقول: منافقون، وقائل يقول: هم مؤمنون، فبين الله نفاقهم، فامر بقتلهم فجاءوا ببضائع يريدون هلال بن عويمر الإسلامي، وبينه وبين محمد حلف، فدفع عنهم بانهم يؤمون هلال وبينه وبين محمد عهد (870).

(864) أخرجه البخاري 666/2 ح (1785) ومسلم 4/2142 ح (2776) سنن النسائي الكبرى 6/325 ح (11113) والترمذي 5/239 ح (3028) وأحمد في المسند 5/184 ح (21639) والبيهقي في السنن الكبرى 9/31 ح (17646) المعجم الكبير 5/120 ح (4804) المنتخب 108 ح (242) تفسير الطبري 5/192 مصنف ابن أبي شيبة 372/7 ح (36789) وغيرهم

(865) تفسير ابن أبي حاتم 3/1023 ح (17646) سنن سعيد بن منصور 4/1314 ح (17646) وإسناده صحيح لكنه مرسل من رواية زيد بن أسلم عن سعد بن معاذ، وفي الصحيحين معناه دون ذكر سبب النزول

(866) مسند أحمد 1/192 ح (1667) والتدليس الذي أشار إليه المؤلف هو تدليس محمد بن إسحاق حيث عنعن في روايته، وكذلك من رواية أبي سلمة بن عبد الرحمن بن عوف عن أبيه قال الهيثمي في المجمع: لم يسمع من أبيه، أخرجه الضياء في المختارة 3/132 ح (934)

(867) الكشف والبيان عن تفسير القرآن (3/355)

(868) جامع البيان (تفسير الطبري) (8/11)

(869) الكشف والبيان عن تفسير القرآن (3/356)

(870) تفسير ابن أبي حاتم - (3/1024)

(161)

وأخرج الإمام الطبري عن ابن عباس قوله: (فما لكم في المنافقين فنتين)، وذلك أن قوما كانوا بمكة قد تكلموا بالإسلام، وكانوا يظاهرون المشركين، فخرجوا من مكة يطلبون حاجة لهم، فقالوا: إن لقينا أصحاب محمد عليه السلام، فليس علينا منهم بأس! وأن المؤمنين لما أخبروا أنهم قد خرجوا من مكة، قالت فنة من المؤمنين: اركبوا إلى الخيباء فاقتلوهم، فإنهم يظاهرون عليكم عدوكم! وقالت فنة أخرى من المؤمنين: سبحان الله أو كما قالوا: أتقتلون قوما قد تكلموا بمثل ما تكلمتم به؟ أمن أجل أنهم لم يهاجروا ويتركوا ديارهم، تستحل دماؤهم وأموالهم لذلك! فكانوا كذلك فنتين، والرسول عليه السلام عندهم لا ينهى واحدا من الفريقين عن شيء، فنزلت: (فما لكم في المنافقين فنتين والله أركسهم بما كسبوا أتريدون أن تهدوا من أضل الله)، الآية (871)». قلت: هذه سبعة أسباب في نزول هذه الآية وكلها في اختلاف المؤمنين في طائفة من المنافقين، فبين الله تعالى حالهم بيانا شافيا حتى يميزوا ويعرفوا ليحذر المؤمنون شر نفاقهم، على أن أكثر الآثار الواردة في هذه الباب ضعيف أو مرسل والله تعالى أعلم.

[تفسير مختصر للآية]

(فما لكم في المنافقين فنتين) ما لكم مختلفين في هؤلاء المنافقين على فنتين على فرتين. (والله أركسهم) ردهم إلى حكم الكفار من الذل والصغار والسبي والقتل (بما كسبوا) بما أظهروا من الارتداد بعدما كانوا على النفاق. (أتريدون) أيها المؤمنون. (أن تهدوا) أي: ترشدوا. (من أضل الله) لم يرشده الله أي: يقولون: هؤلاء مهتدون والله قد أضلهم (ومن يضل الله فلن تجد له سبيلا) أي: ديناً وطريقاً إلى الحجة (872)»

(إِلَّا الَّذِينَ يَصِلُونَ إِلَى قَوْمٍ بَيْنَكُمْ وَبَيْنَهُمْ مَبِيتٌ أَوْ جَاءُوكُمْ حَصِرَتْ صُدُورُهُمْ أَنْ يُقْبَلُوكُمْ أَوْ يُقْبَلُوا قَوْمَهُمْ وَلَوْ شَاءَ اللَّهُ لَأَسْلَطْتُمْ عَلَيْهِمْ فَاغْتَلَبْتُمْ فَإِنْ اعْتَزَلُوكُمْ فَلَمْ يُقْبَلُوكُمْ وَالْقَوَّامُونَ إِلَيْكُمْ أَسْلَمَ فَمَا جَعَلَ اللَّهُ لَكُمْ عَلَيْهِمْ سَبِيلًا ۙ (٩٠)

قوله تعالى: (إلا الذين يصلون) - الآية.

312. أخرج ابن أبي حاتم وابن مردويه عن الحسن: «أن سراقة بن مالك المدلجي حدثهم قال: «لما ظهر النبي ﷺ على أهل بدر وأسلم من حولهم، قال سراقة: بلغني أنه يريد أن يبعث خالد بن الوليد إلى قومي بني مدلج فأتيته فقلت: أنشدك النعمة بلغني أنك تريد أن تبعث إلى قومي وأنا أريد أن توادعهم فإن أسلم قومك أسلموا ودخلوا في الإسلام وإن لم يسلموا لم يحسن تغليب قومك عليهم، فأخذ رسول الله ﷺ بيد خالد فقال: «أذهب معه فافعل ما يريد» فصالحهم خالد على أن لا يعينوا على رسول الله ﷺ وإن أسلمت قريش أسلموا معهم وأنزل الله: (إلا الذين يصلون إلى قوم بينكم وبينهم ميثاق) فكان من وصل إليهم كان معهم على عهدهم (873)».

313. وأخرج ابن أبي حاتم عن ابن عباس قال: «نزلت (إلا الذين يصلون إلى قوم بينكم وبينهم ميثاق) في هلال بن عويمر الأسلمي وسراقة بن مالك المدلجي وفي بني جذيمة بن عامر بن عبد مناف (874)».

314. وأخرج أيضاً عن مجاهد «أنها نزلت في هلال بن عويمر الأسلمي، وكان بينه وبين المسلمين عهد وقصده ناس من قومه فكره أن يقاتل المسلمين وكره أن يقاتل قومه (875)».

[تعليق]

ذكر المؤلف رحمه ثلاثة آثار في سبب نزول هذه الآية، وهي تفيد أن من كان بينه وبين المسلمين عهد ثم دخل أحد من المشركين في عهدهم وأمانهم فإنه يكون آمناً بأمان هؤلاء القوم، وفي أسانيد هذه الآثار نظر. وروى الإمام الثعلبي: إن رسول الله صلى الله عليه وسلم، وادع هلال بن عويمر الأسلمي عند خروجه إلى مكة على أن لا يعنيه ولا يعين عليه حتى أتى ويرى، ومن وصل إلى هلال من قومه أو غيرهم ولجأ إليه فله من الجوار مثل الذي لهلال. وهذه الرواية أوضح من الرواية التي ذكرها المؤلف. وهذه الآية منسوخة بما جاء في سورة براءة. قال الإمام القرطبي رحمه الله: (إلا الذين يصلون) استثناء أي يتصلون بهم ويدخلون فيما بينهم من الجوار والحلف؛ المعنى: فلا تقتلوا قوماً بينهم وبين من بينكم وبينهم عهد فإنهم على عهدهم ثم انتسخت العهود فانتسخ هذا. هذا قول مجاهد وابن زيد وغيرهم، وهو أصح ما قيل في معنى الآية (876).

قال قتادة في الناسخ والمنسوخ: في قوله عز وجل: (إلا الذين يصلون إلى قوم بينكم وبينهم ميثاق أو جاءوكم حصرت

(871) جامع البيان (تفسير الطبري) (11/8)

(872) الوجيز للواحد (279)

(873) تفسير ابن أبي حاتم 3/1026 مصنف ابن أبي شيبة 7/344 ح (36612) مسند الحارث (زوائد الهيثمي) 2/692 ح (678) وتصريح الحسن بالسماع من سراقة في المصدر الأخير لكن للحديث علة أخرى وهي على بن زيد بن جدهان قد ضعفه الجمهور.

(874) تفسير ابن أبي حاتم 3/1027 وفي إسناده إبراهيم بن المختار ضعيف الحفظ

(875) تفسير ابن أبي حاتم 3/1028

(876) تفسير القرطبي - (308/5)

صدرهم) الى قوله: (وألقوا اليكم السلم فما جعل الله لكم عليهم سبيلا). ثم نسخ بعد ذلك في براءة، نبذ الى كل ذى عهد عهده، ثم أمر الله عزوجل نبيه ﷺ أن يقاتل المشركين حتى يشهدوا أن لا اله الا الله وأن محمدا رسول الله: (فاقتلوا المشركين حيث وجدتموهم وخذوهم واحصروهم واقعدوا لهم كل مرصد)⁽⁸⁷⁷⁾.

[تفسير مختصر للآية]

(إلا الذين يصلون إلى قوم بينكم وبينهم ميثاق) أي إلا الذين ينتهون ويلجأون إلى قوم عاهدوكم فدخلوا فيهم بالحلف، فحكمهم حكم أولئك في حقن دمائهم (أو جاءوكم حصرت صدورهم أن يقاتلوكم أو يقاتلوا قومهم) وهذا استثناء أيضا من القتل أي وإلا الذين جاءوكم وقد ضاقت صدورهم عن قتالكم، وقاتل قومهم، فهم قوم ليسوا معكم ولا عليكم. (ولو شاء الله لسلطهم عليكم فقاتلوكم) أي من لطفه تعالى بكم ان كفهم عنكم، ولو شاء لقواهم وجرأكم عليكم فقاتلوكم. (فان اعتزلوكم فلم يقاتلوكم والقوا اليكم السلم فما جعل الله لكم عليهم سبيلا) أي فان لم يتعرضوا لكم بقتال، وانقادوا واستسلموا لكم، فليس لكم ان تقاتلوهم طالما سالموكم⁽⁸⁷⁸⁾.

(وَمَا كَانَ لِمُؤْمِنٍ أَنْ يَقْتُلَ مُؤْمِنًا إِلَّا خَطَأً وَمَنْ قَتَلَ مُؤْمِنًا خَطَأً فَتَحْرِيرُ رَقَبَةٍ مُؤْمِنَةٍ وَدِيَةٌ مُسَلَّمَةٌ إِلَىٰ أَهْلِهَا إِلَّا أَنْ يَصَدَّقُوا فَإِنْ كَانَ مِنْ قَوْمٍ عَدُوٍّ لَكُمْ وَهُوَ مُؤْمِنٌ فَتَحْرِيرُ رَقَبَةٍ مُؤْمِنَةٍ وَإِنْ كَانَ مِنْ قَوْمٍ بَيْنَكُمْ وَبَيْنَهُمْ مِيثَاقٌ فَدِيَةٌ مُسَلَّمَةٌ إِلَىٰ أَهْلِهَا وَتَحْرِيرُ رَقَبَةٍ مُؤْمِنَةٍ فَمَنْ لَمْ يَجِدْ فَصِيَامُ شَهْرَيْنِ مُتَتَابِعَيْنِ تَوْبَةً مِّنَ اللَّهِ وَكَانَ اللَّهُ عَلِيمًا حَكِيمًا ٩٢)

قوله تعالى: (وما كان لمؤمن - الآية).

315. أخرج ابن جرير عن عكرمة قال: «كان الحارث بن يزيد من بني عامر بن لؤي يعذب عياش بن أبي ربيعة مع أبي جهل، ثم خرج الحارث مهاجراً إلى النبي ﷺ، فلقيه عياش بالحرّة فعلاه بالسيف وهو يحسب أنه كافر، ثم جاء إلى النبي ﷺ فأخبره فنزلت: (وما كان لمؤمن أن يقتل مؤمناً إلا خطأ) - الآية»⁽⁸⁷⁹⁾.

316. وأخرج نحوه عن مجاهد والسدي.

317. وأخرج ابن إسحاق وأبو يعلى والحارث بن أبي أسامة وأبو مسلم الكجي عن القاسم بن محمد نحوه⁽⁸⁸⁰⁾.

318. وأخرج ابن أبي حاتم من طريق سعيد بن جبيرة عن ابن عباس نحوه.

[تعليق]

ذكر المؤلف رحمه الله عدة آثار يشهد بعضها لبعض في أن نزول هذه الآية في قتل عياش بن أبي ربيعة للحارث بن يزيد ظناً منه أنه غير مسلم، وهذا هو قول الجمهور وقد اختصر المؤلف رواية هذا الأثر وهو بطوله عند الإمام الواحدي وغيره. قال الإمام الواحدي: وشرح الكلبي هذه القصة فقال: إن عياش بن أبي ربيعة المخزومي أسلم وخاف أن يظهر إسلامه، فخرج هارباً إلى المدينة فقدمها، ثم أتى أطماً من أطامها، فتحصن فيه فجزعت أمه جزعاً شديداً وقالت لابنيتها أبي جهل والحارث بن زيد هشام وهما لأمه لا يظنني سقف بيت ولا أدوق طعاماً ولا شراباً حتى تأتونني به، فخرج معهما الحارث بن زيد بن أبي أنيسة حتى أتوا المدينة، فأتوا عياشاً وهو في الأطم، فقالا له: انزل فإن أمك لم يؤوها سقف بيت بعدك، وقد حلفت لا تأكل طعاماً ولا شراباً حتى ترجع إليها، ولك الله علينا أن لا نكرهك على شيء ولا نحول بينك وبين دينك، فلما ذكر له جزع أمه وأوثقا له نزل إليهم فأخرجوه من المدينة وأوثقوه بنسج وجلده كل واحد منهم مائة جلدة، ثم قدموا به على أمه فقالت: والله لا أحلك من وثاقك حتى تكفر بالذي أمنت به ثم تركوه موثقاً في الشمس، وأعطاهم بعض الذي أرادوا، فأتاه الحارث بن زيد وقال عياش: والله لئن كان الذي كنت عليه هدى لقد تركت الهدى، وإن كان ضلالة لقد كنت عليها، فغضب عياش من ما قاله وقال: والله لا ألقاك خالياً إلا قتلتك، ثم إن عياشاً: أسلم بعد ذلك وهاجر إلى رسول الله ﷺ بالمدينة، ثم إن الحارث بن زيد أسلم وهاجر إلى المدينة وليس عياش يوماً حاضراً ولم يشعر بإسلامه، فبينما هو يسير بظهر قبا إذ لقي الحارث بن زيد، فلما رآه حمل عليه فقتله، فقال الناس: أي شيء صنعت؟ إنه قد أسلم، فرجع عياش إلى رسول الله ﷺ فقال: يارسول الله كان من أمرى وأمر الحارث ما قد علمت: وإنني لم أشعر بإسلامه حين قتلته، فنزل عليه السلام بقوله (وما كان لمؤمن أن يقتل مؤمناً إلا خطأ)⁽⁸⁸¹⁾.

وروى في سبب نزول هذه الآية غير ما ذكره المؤلف أنها نزلت في أبي الدرداء.

قال الحافظ ابن كثير وقال عبد الرحمن بن زيد بن أسلم: نزلت في أبي الدرداء؛ لأنه قتل رجلاً وقد قال كلمة الإسلام حين رفع السيف، فأهوى به إليه، فقال كلمته، فلما ذكر ذلك للنبي ﷺ قال: إنما قالها متعوذاً. فقال له: "هل شققت عن قلبه"

(877) الناسخ والمنسوخ للسدوسي (40) المؤلف: عن قتادة بن دعامة السدوسي

تحقيق: الدكتور حاتم صالح الضامن كلية الآداب جامعة بغداد مؤسسة الرسالة الطبعة الثالثة: 1409 هـ 1988 م مؤسسة الرسالة بيروت

(878) صفوة التفاسير - للصابوني (1/ 191)

(879) تفسير ابن جرير 5/204 عن عكرمة وفي إسناده ابن جريج عنه وهو مدلس نعنن، وأيضاً في إسناده سنيد وهو ضعيف بالإضافة إلى إرساله، وأثر مجاهد من رواية ابن أبي نجیح عن مجاهد، وأثر السدي من رواية أسباط عنه.

(880) سنن البيهقي الكبرى 8/72، 131 ح (16250/15921) وإسناده عن البيهقي حسن لكنه مرسل قال: ورويناه عن جابر بن عبد الله

(881) أسباب النزول للواحدي (113) وما بعدها

وهذه القصة في الصحيح لغير أبي الدرداء [(882) . انتهى
قلت: الأول أرجح والآية عامة الحكم في كل من يقتل مؤمناً خطأ وهي واضحة المعنى والله تعالى أعلم.

[تفسير مختصر للآية]

(وما كان لمؤمن ان يقتل مؤمناً إلا خطأ) أى لا ينبغي لمؤمن ولا يليق به ان يقتل مؤمناً إلا على وجه الخطأ، لأن الايمان زاجز عن العدوان.

(ومن قتل مؤمناً خطأ فتحرير رقبة مؤمنة ودية مسلمة إلى اهله إلا ان يصدقوا) أى ومن قتل مؤمناً على وجه الخطأ فعليه اعتاق رقبة مؤمنة، لأن اطلاقها من أسر الرق كإحيائها، وعليه دية مؤداة إلى ورثة المقتول، إلا إذا عفا الورثة عن القاتل فأسقطوا الدية. لقد أوجب الشارع في القتل الخطأ شيئين: الكفارة وهي تحرير رقبة مؤمنة في مال القاتل، والدية وهي مائة من الابل على أهل القاتل. (فإن كان من قوم عدو لكم وهو مؤمن فتحرير رقبة مؤمنة) أى ان كان المقتول خطأ مؤمناً، وقومه كفار أعداء - وهم المحاربون - فإنما على قاتله الكفارة فقط دون الدية، لئلا يستعينوا بها على المسلمين.

(وان كان من قوم بينكم وبينهم ميثاق فدية مسلمة الى اهله وتحرير رقبة مؤمنة) أى وان كان المقتول المؤمن خطأ من قوم كفرة، بينكم وبينهم عهد كاهل الذمة، فعلى قاتله دية تدفع الى أهله لاجل معاهدتهم، ويجب ايضاً على القاتل اعتاق رقبة مؤمنة. (فمن لم يجد فصيام شهرين متتابعين توبة من الله) أى فمن لم يجد الرقبة، فعليه صيام شهرين متتابعين عوضاً عنها، شرع تعالى لكم ذلك لاجل التوبة عليكم.

(وكان الله عليماً حكيماً) أى عليماً بخلقه حكيماً فيما شرع (883).

(وَمَنْ يَقْتُلْ مُؤْمِنًا مُتَعَمِّدًا فَجَزَاؤُهُ جَهَنَّمُ خَالِدًا فِيهَا وَغَضِبَ اللَّهُ عَلَيْهِ وَلَعَنَهُ وَأَعَدَّ لَهُ عَذَابًا عَظِيمًا ٩٣)

قوله تعالى: (ومن يقتل مؤمناً متعمداً) - الآية.

319. أخرج ابن جرير من طريق ابن جريج عن عكرمة « أن رجلاً من الأنصار قتل أخا مقيس بن صبابة، فأعطاه النبي □ الدية، فقبلها ثم وثب على قاتل أخيه فقتله، فقال النبي □ : « لا أومنه في حل ولا حرم » فقتل يوم الفتح. قال ابن جريج: وفيه نزلت هذه الآية (ومن يقتل مؤمناً متعمداً) - الآية (884) .»

[تعليق]

ذكر المؤلف رحمه الله أثراً واحداً في سبب نزول هذه الآية. وهو بطوله عند الإمام الواحدي في أسباب النزول قال: عن ابن عباس: «إن مقيس بن صبابة وجد أخاه هشام بن صبابة قتيلاً في بني النجار وكان مسلماً، فأتى رسول الله □ فذكر له ذلك، فأرسل رسول الله □ معه رسولا من بني فهد، فقال له: انتت بني النجار فأقرئهم السلام وقل لهم: إن رسول الله □ يأمركم ان علمتم قاتل هشام بن صبابة أن تدفعوه إلى أخيه فيقتص منه، وإن لم تعلموا له قتيلاً أن تدفعوا إليه دية، فأبلغهم الفهدي ذلك عن النبي □، فقالوا: سمعنا وطاعة لله ورسوله، والله ما نعلم له قاتلاً، ولكن نؤدي إليه دية، فأعطوه مائة من الابل ثم انصرفا راجعين نحو المدينة، وبينهما وبين المدينة قريب، فأتى الشيطان مقيسا فوسوس إليه فقال: أي شئ صنعت تقبل دية أخيك فيكون عليك سبة اقتل الذي معك فيكون نفس مكان نفس وفضل الدية، ففعل مقيس ذلك، فرمى الفهدي بصخرة فشدخ رأسه، ثم ركب بعيراً منها وساق بقتيتها راجعاً إلى مكة كافراً، وجعل يقول في شعره:

قتلت به فهراً وحملت عقله * سراة بني النجار أرباب فارح
وأدركت ثأري واضطجعت موسدا * وكنت إلى الاوثان أول راجع

فنزلت هذه الآية - (ومن يقتل مؤمناً متعمداً) - الآية (885).

ثم أهدر النبي □ دمه يوم فتح مكة، فأدركه الناس بالسوق فقتلوه (886).

قلت الآية فيها بيان حكم قاتل المؤمن متعمداً وأذكر حكم هذه المسألة باختصار لأهميها.

اختلف الفقهاء في قبول توبة قاتل النفس عمداً بغير حق.

فذهب جمهور الفقهاء إلى أن للقاتل عمداً ظلماً توبة كسائر أصحاب الكبائر، للنصوص الخاصة الواردة في ذلك والنصوص العامة الواردة في قبول توبة كل الناس، منها قول الله تعالى (وَالَّذِينَ لَا يَدْعُونَ مَعَ اللَّهِ إِلَهًا آخَرَ وَلَا يَقْتُلُونَ النَّفْسَ الَّتِي حَرَّمَ اللَّهُ إِلَّا بِالْحَقِّ وَلَا يَزْنُونَ وَمَنْ يَفْعَلْ ذَلِكَ يَلْقَ أَثَامًا يُضَاعَفْ لَهُ الْعَذَابُ يَوْمَ الْقِيَامَةِ وَيَخْلُدْ فِيهِ مُهَانًا إِلَّا مَنْ تَابَ وَآمَنَ وَعَمِلَ عَمَلًا صَالِحًا فَأُولَئِكَ يُبَدِّلُ اللَّهُ سَيِّئَاتِهِمْ حَسَنَاتٍ وَكَانَ اللَّهُ غَفُورًا رَحِيمًا)

وأما قوله تعالى (وَمَنْ يَقْتُلْ مُؤْمِنًا مُتَعَمِّدًا فَجَزَاؤُهُ جَهَنَّمُ خَالِدًا فِيهَا وَغَضِبَ اللَّهُ عَلَيْهِ وَلَعَنَهُ وَأَعَدَّ لَهُ عَذَابًا عَظِيمًا) فيحمل مطلق هذه الآية على مقيد آية الفرقان فيكون معناه جزاؤه جهنم خالداً فيها، إلا من تاب.

ولأن توبة الكافر بدخوله إلى الإسلام تقبل بالإجماع، فتوبة القاتل أولى.

وقد اختلفت عبارات الفقهاء فيما يترتب على قبول هذه التوبة وما يسقط بها. فقال الحنفية لا تصح توبة القاتل بالاستغفار والندامة

(882) تفسير ابن كثير (2/ 374)

(883) صفوة التفاسير - للصابوني (1/ 192)

(884) تفسير الطبري 5/217 وهو مرسل ضعيف الإسناد

(885) انظر جامع البيان (تفسير الطبري) (7/ 161)

(886) أسباب النزول للواحدي (114)

فقط، بل تتوقف على إرضاء أولياء المقتول، فإن كان القتل عمدا فلا بد أن يمكنهم من القصاص منه فإن أرادوا قتلوه، وإن أرادوا عفوا عنه، فإن عفوا عنه كفته التوبة ويبرأ في الدنيا.

قال ابن عابدين والظاهر أن الظلم المتقدم لا يسقط بالتوبة، لتعلق حق المقتول به، وأما ظلمه على نفسه بإقدامه على المعصية فيسقط بها، ثم قال وفي مختار الفتاوى القصاص مخلص من حق الأولياء، وأما المقتول فيخاصمه يوم القيامة لأنه لم تحصل له بالقصاص فائدة فحقه باق على القاتل.

وأطلق المالكية القول في قبول توبة القاتل العمد، قال القرطبي وهذا مذهب أهل السنة وهو الصحيح.

وقال الشافعية أكبر الكبائر بعد الكفر القتل ظلما، وبالقود أو العفو لا تبقى مطالبة أخروية، مع بقاء حق الله تعالى فإنه لا يسقط إلا بتوبة صحيحة، ومجرد التمكين من القود لا يفيد إلا إن انضم إليه ندم من حيث المعصية وعزم على عدم العود.

وقال الحنابلة لا يسقط حق المقتول في الآخرة بمجرد التوبة كسائر حقوقه، فعلى هذا يأخذ المقتول من حسنات القاتل بقدر مظلمته. فإن اقتصر للمقتول من القاتل أو عفي وليه عن القصاص فهل يطالبه المقتولة في الآخرة؟ فيه وجهان وأطلقهما صاحب الفروع.

وقال ابن القيم والتحقيق أن القتل يتعلق به ثلاثة حقوق حق الله تعالى، وحق المقتول، وحق الولي الوارث للمقتول، فإذا سقم القاتل نفسه طوعا واختيارا إلى الولي ندما على ما فعل وخوفا من الله وتوبة نصوحا سقط حق الله تعالى بالتوبة، وحق الأولياء بالاستيفاء أو الصلح أو العفو عنه، وبقي حق المقتول يعرضه الله عنه يوم القيامة عن عبده النائب ويصلح بين القاتل النائب وبين المقتول.

وقال المرادوي تعقبا على ذلك وهو الصواب.

وخالف ابن عباس وزيد بن ثابت رضي الله عنهم الجمهور في قبول توبة القاتل، فذهبوا إلى أن توبة القاتل عمدا ظلما لا تقبل لقوله تعالى (وَمَنْ يَقْتُلْ مُؤْمِنًا مُتَعَمِّدًا فَجَزَاؤُهُ جَهَنَّمُ خَالِدًا فِيهَا وَغَضِبَ اللَّهُ عَلَيْهِ وَلَعَنَهُ وَأَعَدَّ لَهُ عَذَابًا عَظِيمًا) فقد سئل ابن عباس رضي الله عنهما هل لمن قتل مؤمنا متعمدا من توبة؟ فقال لا إلا النار، فقرأ الآية السابقة وهي آخر ما نزل في هذا الشأن ولم ينسخها شيء، ولأن لفظ الآية لفظ الخبر، والأخبار لا يدخلها نسخ ولا تغيير، لأن خبر الله تعالى لا يكون إلا صدقا⁽⁸⁸⁷⁾. انتهى

[تفسير مختصر للآية]

(ومن يقتل مؤمنا متعمدا فجزاؤه جهنم خالدا فيها) أى ومن يقدم على قتل مؤمن، عالما بإيمانه متعمدا لقتله، مستحلا للقتل فجزاؤه جهنم مخلدا فيها على الدوام ! وهذا محمول على من استحل قتل المؤمن كما قال ابن عباس، لانه باستحلال القتل يصبح كافرا.

(وغضب الله عليه ولعنه وأعد له عذابا عظيما) أى ويناله السخط الشديد من الله، والطرده من رحمة الله، والعذاب الشديد في الآخرة⁽⁸⁸⁸⁾.

(يَا أَيُّهَا الَّذِينَ آمَنُوا إِذَا ضَرَبْتُمْ فِي سَبِيلِ اللَّهِ فَتَبَيَّنُوا وَلَا تَقُولُوا لِمَنْ أَلْفَىٰ إِلَيْكُمْ لَسَلَّمَ لَسَلَّمَ مُؤْمِنًا تَتَّبِعُونَ عَرَضَ الْحَيَاةِ الدُّنْيَا فَعِنْدَ اللَّهِ مَغَانِمٌ كَثِيرَةٌ كَذَلِكَ كُنْتُمْ مِنْ قَبْلُ فَمَنْ أَلْفَىٰ عَلَيْكُمْ فَتَبَيَّنُوا إِنْ أَلْفَىٰ مِنْكُمْ فَمَا تَعْمَلُونَ خَبِيرًا)

(٩٤)

قوله تعالى: (يا أيها الذين آمنوا إذا ضربتم) - الآية.

320. روى البخاري والترمذي والحاكم وغيرهم عن ابن عباس قال: « مر رجل من بني سليم بنفر من أصحاب النبي ﷺ وهو يسوق غنما له، فسلم عليهم فقالوا: ما سلم علينا إلا ليتعود منا، فعمدوا إليه فقتلوه وأتوا بغنمه النبي ﷺ، فنزلت: (يا أيها الذين آمنوا إذا ضربتم) الآية⁽⁸⁸⁹⁾. »

321. وأخرج البزار من وجه آخر عن ابن عباس قال: « بعث رسول الله ﷺ سرية فيها المقداد، فلما أتوا القوم وجدوهم قد تفرقوا وبقي رجل له مال كثير، فقال: أشهد أن لا إله إلا الله فقتله المقداد، فقال له النبي ﷺ: « كيف لك بلا إله إلا الله غداً » وأنزل الله هذه الآية⁽⁸⁹⁰⁾. »

322. وأخرج أحمد والطبراني وغيرهما عن عبد الله بن أبي حردد الأسلمي قال: « بعثنا رسول الله ﷺ في نفر من المسلمين فيهم أبو قتادة ومحمم بن جثامة، فمر بنا عامر بن الأضبط الأشجعي فسلم علينا، فحمل عليه محم فقتله، فلما قدمنا على النبي ﷺ وأخبرناه الخبر نزل فينا القرآن: (يا أيها الذين آمنوا إذا ضربتم في سبيل الله) الآية⁽⁸⁹¹⁾. »

323. وأخرج ابن جرير من حديث ابن عمر نحوه⁽⁸⁹²⁾.

(887) - الموسوعة الفقهية الكويتية (31/41)

(888) صفوة التفاسير - للصابوني (192/1)

(889) صحيح البخاري 4/1677 ح (4315) صحيح مسلم 4/2319 ح (3025) سنن أبي داود 4/32 ح (3974) السنن الكبرى للنسائي 5/174 ح (8590) سنن الترمذي 5/240 ح (3030) مسند أحمد 1/229 ح (2023) صحيح ابن حبان 11/59 ح (4752) المستدرک علی الصحیحین 2/256 ح (2920) سنن البيهقي الكبرى 9/115 ح (18046) المعجم الكبير 11/278 ح (11731)

(890) الأحاديث المختارة 10/148 ح (147) مسند الحارث (زوائد الهيثمي) 1/149 ح (3) روي مرسل عن سعيد بن جبير وإسناده صحيح، وروي عن ابن عباس وإسناده صحيح، غير أن فيه عمر بن علي المقدمي وهو ثقة غير أنه مدلس تدليس شديد يقول حدثنا وسمعت ثم يسكت ثم يقول عروة هكذا قال الحافظ في التهذيب فانظره.

(891) مسند أحمد 6/11 ح (23927) المنتقى لابن الجارود 1/540 ح (777) الأحاديث المختارة 9/248 ح (220) سنن البيهقي الكبرى 9/115 ح (18047) مصنف ابن أبي شيبة 7/425 ح (37013) وعزاه الهيثمي في المجمع إلى الطبراني وإسناده صحيح.

(892) أخرجه الطبري بسياق طويل عن نافع أن ابن عمر قال: « بعث النبي محم بن جثامة مبعثا، فلقبهم عامر بن الأضبط فحياهم بتحية الإسلام، وكانت بينهم إحنة في

324. وأخرج الثعلبي من طريق الكلبي عن أبي صالح عن ابن عباس « أن اسم المقتول مرداس بن نهيك من أهل فدك، وأن اسم القاتل أسامة بن زيد، وأن اسم أمير السرية غالب بن فضالة اللثي، وأن قوم مرداس لما انهزموا بقي هو وحده وكان أجباً غنمه بجبل، فلما لحقوه قال: لا إله إلا الله محمد رسول الله السلام عليكم، فقتله أسامة بن زيد فلما رجعوا نزلت الآية⁽⁸⁹³⁾ ». «

325. وأخرج ابن جرير من طريق السدي وعبد (الرزاق)⁽⁸⁹⁴⁾ من طريق قتادة نحوه.

326. وأخرج ابن أبي حاتم من طريق ابن لهيعة عن أبي الزبير عن جابر قال: « أنزلت هذه الآية (ولا تقولوا لمن ألقى إليكم السلام) في مرداس وهو شاهد حسن⁽⁸⁹⁵⁾ ». «

327. وأخرج ابن منده عن جزء بن الحدرجان قال: « وفد أخي مقداد إلى النبي ﷺ من اليمن، فلقيته سرية النبي ﷺ، فقال لهم: أنا مؤمن، فلم يقبلوا منه وقتلوه، فبلغني ذلك فخرجت إلى رسول الله ﷺ، فنزلت: (يا أيها الذين آمنوا إذا ضربتم في سبيل الله فاتبونا فأعطاني) النبي ﷺ دية أخي⁽⁸⁹⁶⁾ ». «

[تعليق]

ذكر المؤلف رحمه الله عدة آثار في سبب نزول هذه الآية وهي تشمل خمسة أسباب للنزول.

الأول: أن القاتل بعض أصحاب النبي ﷺ والمقتول رجل من سليم.

الثاني: أن القاتل المقداد والمقتول رجل لم يسم في الرواية.

الثالث: أن القاتل محلم بن جثامة والمقتول عامر بن الأصبط الأشجعي.

الرابع: القاتل أسامة بن زيد والمقتول مرداس بن نهيك.

الخامس: القاتل بعض أصحاب النبي ﷺ والمقتول أخو المقداد.

ويمكن الجمع بين هذه الروايات بحمل المطلق على المقيد فيما ورد بلفظ مطلق كالصحابية، وكرجل من المشركين فيحمل القاتل على المقداد وعلى أسامة ومحلم ويحمل المقتول على المذكورين في الآثار كمرداس. وكذلك يمكن الجمع بين القاتل والمقتول بتعدد الحادثة وتأخر سبب النزول والله تعالى أعلم.

والآية ترشد إلى التروي في الحكم على الناس بالكفر بعد شهادة أن لا إله إلا الله الله فمن قال لا إله إلا الله فقد عصم نفسه وماله كما قال النبي ﷺ فروى البخاري ومسلم وغيرهما عن أبي هريرة قال: قال رسول الله صلى الله عليه وسلم: "أمريت أن أقاتل الناس حتى يقولوا لا إله إلا الله فإذا قالوها منعوا مني دماءهم وأموالهم إلا بحقها وحسابهم على الله"⁽⁸⁹⁷⁾. وفي هذه المسألة كلام أطول من ذلك محله كتب الفقه والله تعالى الموفق.

[تفسير مختصر للآية]

(يا أيها الذين آمنوا إذا ضربتم في سبيل الله فاتبونا) أي إذا سافرت في الجهاد لغزو الأعداء فاتبونا، ولا تعجلوا في القتل، حتى يتبين لكم المؤمن من الكافر

(ولا تقولوا لمن ألقى إليكم السلام لست مؤمناً) أي ولا تقولوا لمن حياكم بتحية الإسلام: لست مؤمناً، فقتلوه.

(تبتغون عرض الحياة الدنيا) أي حال كونكم طالبين لماله، الذي هو حطام سريع الزوال

(فعند الله مغنم كثيرة) أي فعند الله ما هو خير من ذلك، وهو ما أعده لكم من جزيل الثواب والنعيم.

(كذلك كنتم من قبل فمن الله عليكم فاتبونا) أي كذلك كنتم كفاراً فهداكم الله للإسلام، ومن عليكم بالإيمان، فاتبونا أن تقتلوا مؤمناً وقيسوا حاله بحالكم.

[إن الله كان بما تعملون خبيراً] أي مطلعاً على أعمالكم فيجازيكم عليها⁽⁸⁹⁸⁾.

(لَا يَسْتَوِي الْقَاعِدُونَ مِنَ الْمُؤْمِنِينَ غَيْرُ أُولِي الضَّرَرِ وَالْمُجَاهِدُونَ فِي سَبِيلِ اللَّهِ بِأَمْوَالِهِمْ وَأَنْفُسِهِمْ فَضَّلَ اللَّهُ الْمُجَاهِدِينَ بِأَمْوَالِهِمْ عَلَى الْقَاعِدِينَ دَرَجَةً وَكُلًّا وَعَدَّ اللَّهُ الْحُسْنَى وَفَضَّلَ اللَّهُ الْمُجَاهِدِينَ عَلَى الْقَاعِدِينَ أَجْرًا عَظِيمًا ٥)

الجاهلية فرماه محلم بسهم فقتله، فجاه الخبر إلى رسول الله ﷺ، فتكلم فيه عبيدة والأقرع، فقال الأقرع: يا رسول الله سن اليوم وغير غدا، فقال عبيدة: لا والله حتى تنزوق نساؤه من التكل ما ذاق نساوي، فجاه محلم في بردين فجلس بين يدي رسول الله ﷺ ليستغفر له، فقال له النبي ﷺ: لا غفر الله لك، فقام وهو يتلقى دموعه ببرديه، فما مضت به ساعة حتى مات ودفنوه فلفظته الأرض، فجاهوا إلى النبي ﷺ فذكروا ذلك له، فقال: إن الأرض تقبل من هو شر من صاحبكم، ولكن الله جل وعز أراد أن يعظكم، ثم طرحوه بين صدفى جبل وألقوا عليه من الحجارة، ونزلت: (يا أيها الذين آمنوا إذا ضربتم في سبيل الله فاتبونا) الآية» انظر تفسير الطبري/5/222

⁽⁸⁹³⁾ الكلبي كذاب وشيخه ضعيف، وأخرج الطبري من طريق أسباط عن السدي نحوه 5/224

⁽⁸⁹⁴⁾ ليس في المخطوط والشبه أن يكون عبد بن حميد كما تقدم

⁽⁸⁹⁵⁾ تفسير ابن أبي حاتم 1040: ج3

⁽⁸⁹⁶⁾ انظر إسناده في الإصابة 1/387 قال الحافظ هذا إسناد مجهول

⁽⁸⁹⁷⁾ صحيح البخاري (131/2)

⁽⁸⁹⁸⁾ صفوة التفسير - للصابوني (192/1)

328. روى البخاري عن البراء قال: « لما نزلت (لا يستوي القاعدون من المؤمنين) قال النبي ﷺ: « أدع فلاناً » فجاء ومعه الدواة واللوح والكتف، فقال: « اكتب: » (لا يستوي القاعدون من المؤمنين المجاهدون في سبيل الله) وخلف النبي ﷺ ابن أم مكتوم فقال يا رسول الله: أنا ضرير، فنزلت مكانها (لا يستوي القاعدون من المؤمنين غير أولي الضرر)⁽⁸⁹⁹⁾ ».
329. وروى البخاري وغيره من حديث زيد بن ثابت⁽⁹⁰⁰⁾.
330. والطبراني من حديث زيد بن أرقم⁽⁹⁰¹⁾.
331. وابن حبان من حديث الفلتان بن عاصم⁽⁹⁰²⁾ نحوه.
332. وروى الترمذي نحوه من حديث ابن عباس⁽⁹⁰³⁾ وفيه قال: « عبد الله بن جحش وابن أم مكتوم: إنا أعميان »
- وقد سقت أحاديثهم في ترجمان القرآن، وعند ابن جرير من طرق كثيرة مرسله نحو ذلك⁽⁹⁰⁴⁾.

[تعليق]

ذكر المؤلف عدة آثار في سبب نزول هذه الآية. وهذا الذي ذكره أنه نزلت في ابن أم مكتوم لما اعتذر إلى النبي ﷺ كونه أعمى لا يقدر على الجهاد فنزل عذره وعذر من هو مثله في نفس الوقت فقال تعالى (غير أولي الضرر) فالستثنى أصحاب الضرر من عموم الآية.

وهذا السبب هو الذي عليه جل العلماء في نزول هذه الآية. وقد روى أن هذا كان في عزوة بدر فروى الإمام الطبري عن ابن عباس قال: (لا يستوي القاعدون من المؤمنين)، عن بدر، والخارجون إلى بدر⁽⁹⁰⁵⁾.

[تفسير مختصر للآية]

(لا يستوي القاعدون من المؤمنين غير أولي الضرر والمجاهدون في سبيل الله بأموالهم وأنفسهم) أي لا يتساوى من قعد عن الجهاد من المؤمنين مع من جاهد ثماله ونفسه في سبيل الله، غير أهل الاعذار (كالأعمى، والأعرج، والمريض). فضل الله المجاهدين بأموالهم وأنفسهم على القاعدين درجة (أي فضل الله المجاهدين على القاعدين من أهل الاعذار درجة لاستوائهم في النية، كما قال ﷺ: (ان بالمدينة اقواما ما سرتهم من مسير ولا قطعتم من واد إلا وهم معكم فيه، قالوا: وهم بالمدينة يا رسول الله؟ قال: نعم حبسهم العذر). (وكلا وعد الله الحسنى) أي وكلا من المجاهدين والقاعدين بسبب ضرر لحقهم، وعدهم الله الجزاء الحسن في الآخرة. (وفضل الله المجاهدين على القاعدين أجرا عظيما) أي وفضل الله المجاهدين في سبيل الله، على القاعدين بغير عذر، بالثواب الوافر العظيم. درجات منه ومغفرة ورحمة وكان الله غفورا رحيما) أي منازل بعضها أعلى من بعض مع المغفرة والرحمة، وفي الحديث: (ان في الجنة مائة درجة أعدها الله للمجاهدين في سبيله، ما بين كل درجتين كما بين السماء والارض)⁽⁹⁰⁶⁾.

(إِنَّ الَّذِينَ تَوَقَّعْتُمْ الْمَلَائِكَةَ ظَالِمِي أَنْفُسِهِمْ قَالُوا فِيمَ كُنْتُمْ قَالُوا كُنَّا مُسْتَضْعَفِينَ فِي الْأَرْضِ قَالُوا أَلَمْ تَكُنْ أَرْضُ اللَّهِ وَسِعَةً فَتُهَاجِرُوا فِيهَا فَأُولَئِكَ مَأْوَاهُمْ جَهَنَّمُ وَسَاءَتْ مَصِيرًا (٩٧))

(899) أخرجه البخاري 3/1042 ح (2676) ومسلم 3/1508 ح (1898) والنسائي 6/10 ح (3101) والترمذي ص 4/191 ح (1670) سنن الدارمي 2/276 ح (2420) أحمد في المسند 4/282 ح (18508) وابن حبان في صحيحه 1/229 ح (41) والبيهقي في السنن الكبرى 9/23 ح (17592) مسند أبي يعلى 3/269 ح (1725) مسند الطيالسي 1/96 ح (705) مصنف ابن أبي شيبة 4/226 ح (19518) وغيرهم

(900) صحيح البخاري 3/1042 ح (4316) صحيح مسلم 3/1508 ح (1898) صحيح ابن حبان 11/12 ح (4713) المستدرک ص 2/91 ح (2428) مسند أبي يعلى 3/270 ح (1726) سنن البيهقي الكبرى 9/23 ح (17594) سنن أبي داود 3/11 ح (2507) سنن النسائي الكبرى 3/7 ح (4307) سنن الترمذي 5/242 ح (3033) مسند أحمد 5/184 ح (21641) مسند عبد بن حميد 1/108 ح (241) المنقهي من السنن المسندة 1/258 ح (1034) المعجم الكبير 5/146 ح (4899)

(901) تفسير الطبري 5/228 المعجم الكبير 5/190 ح (5053) في إسناده أبو سنان الشيباني الأصغر سعيد بن سنان، قال الحافظ: صدوق له أو هام وباقى إسناده ثقات. قال رحمه الله: حدثنا محمد بن عبد الله الحضرمي ثنا أبو كريب ثنا إسحاق بن سليمان عن أبي سنان الشيباني عن أبي إسحاق عن زيد بن أرقم - فذكر نحوه.

(902) أخرجه ابن حبان عن الفلتان بلفظ قال: « كنا عند النبي ﷺ فأنزل الله عليه، وكان إذا أنزل عليه دام بصره مفتوحة عيناه وفرغ سمعه وقلبه لما يأتيه من الله، قال: فكان يعرف ذلك منه، فقال للكتائب: اكتب: (لا يستوي القاعدون من المؤمنين والمجاهدون في سبيل الله) فقام الأعمى فقال: يا رسول الله ما ذنبنا؟ فأنزل عليه، فقلنا للأعمى: إنه ينزل على النبي ﷺ، فخاف أن ينزل عليه شيء من أمره فبقي قائما ويقول: أعوذ بفضب رسول الله ﷺ، قال: فقال النبي ﷺ للكتائب اكتب: (غير أولي الضرر) انظر صحيح ابن حبان 11/10 ح (4712) مسند البزار 9/144 ح (3699) مسند أبي يعلى 3/157 ح (1583) الأحاد والمثاني 5/58 ح (1039) المعجم الكبير 18/334 ح (856) إسناده حسن قال الإمام البزار رحمه الله: حدثنا أبو كامل قال نا عبد الواحد بن زياد قال نا عاصم بن كليب عن أبيه عن الفلتان بن عاصم رضي الله عنه قال - فذكره

(903) سنن الترمذي 5/241 ح (3032) قال حدثنا الحسن بن محمد الزعفراني حدثنا الحاج بن محمد عن بن جريج أخبرني عبد الكريم سمع مقسما مولى عبد الله بن الحرث يحدث عن ابن عباس أنه قال لا يستوي القاعدون من المؤمنين غير أولي الضرر عن بدر والخارجون إلى بدر لما نزلت غزوة بدر قال عبد الله بن جحش وابن أم مكتوم إنا أعميان يا رسول الله فهل لنا رخصة فنزلت لا يستوي القاعدون من المؤمنين غير أولي الضرر وفضل الله المجاهدين على القاعدين درجة فهؤلاء القاعدون غير أولي الضرر وفضل الله المجاهدين على القاعدين أجرا عظيما درجات منه على القاعدين من المؤمنين غير أولي الضرر وقال: حسن غريب والنسائي في الكبرى 6/326 ح (11117) والبيهقي في الكبرى 9/47 ح (17715) تفسير الطبري 5/229 وإسناده صحيح وفيه عبد الكريم غير منسوب، وهو عبد الكريم الجزري ثقة

(904) روي ذلك عن سعيد و عبد الله بن شداد وقادة والسدي وأبي عبد الرحمن وظني أنه السلمي

(905) جامع البيان (تفسير الطبري) (91/9)

(906) صفوة التفاسير - للصابوني (193/1)

قوله تعالى: (إن الذين توفاهم الملائكة)- الآية.

333. روى البخاري عن ابن عباس « أن أناساً من المسلمين كانوا مع المشركين يكثرون سواد المشركين على رسول الله ﷺ، فيأتي السهم يرمي به فيصيب أحدهم فيقتله أو يضرب فيقتل، فأنزل الله: (إن الذين توفاهم الملائكة ظالمي أنفسهم) (907) ». «

334. وأخرجه ابن مردويه وسمى منهم في روايته: « قيس بن الوليد بن المغيرة وأبا قيس بن الفاكه بن المغيرة والوليد بن عتبة بن ربيعة وعمرو بن أمية بن سفيان وعلي ابن أمية بن خلف، وذكر في شأنهم أنهم خرجوا إلى بدر، فلما رأوا قلة المسلمين دخلهم شك وقالوا: غر هؤلاء دينهم فقتلوا ببدر (908) »

335. وأخرجه ابن أبي حاتم وزاد فيهم الحارث بن زمعة بن الأسود والعاص بن منبه بن الحجاج (909).

336. وأخرج الطبراني عن ابن عباس قال: « كان قوم بمكة قد أسلموا، فلما هاجر رسول الله ﷺ كرهوا أن يهاجروا وخافوا فأنزل الله: (إن الذين توفاهم الملائكة ظالمي أنفسهم) إلى قوله (إلا المستضعفين) (910) ». «

337. وأخرج ابن المنذر وابن جرير عن ابن عباس قال: « كان قوم من أهل مكة قد أسلموا، وكانوا يخفون الإسلام، فأخرجهم المشركون معهم يوم بدر، فأصيب بعضهم فقال المسلمون: هؤلاء كانوا مسلمين فأكرهوا فاستغفروا لهم، فنزلت: (إن الذين توفاهم الملائكة) الآية. فكتبوا بها إلى من بقي بمكة منهم وأنه لا عذر لهم، فخرجوا فلحق بهم المشركون ففتنواهم فرجعوا، فنزلت: (ومن الناس من يقول آمنا بالله فإذا أؤذي في الله جعل فتنة الناس كعذاب الله) فكتب إليهم المسلمون بذلك فتحزنوا فنزلت: (ثم إن ربك للذين هاجروا من بعد ما فتنوا) الآية. فكتبوا إليهم بذلك فخرجوا فلحقوهم فنجوا من نجا وقتل من قتل (911) ». «

338. وأخرج ابن جرير من طرق كثيرة نحوه مرسلًا.

[تعليق]

ذكر المؤلف رحمه الله عدداً من الآثار في سبب نزول هذه الآية. وكلها فيمن أسلم ثم تخلف بمكة فلما خرجت قريش لقتال النبي ﷺ خرجوا معهم يكثرون سوادهم، وبعضهم ارتاب من قلة عدد المسلمين وكثرة المشركين وذلك لضعف الإيمان في قلوبهم وقيل بأنهم منافقون.

روى ذلك الإمام الثعلبي في تفسيره (912)، فأنزل الله تعالى هذه الآية محذرة لكن من أقام بين ظهرني المشركين ولا يعرف حالهم مؤمنون أم غير ذلك أن يقيموا بين ظهرانيهم.

وحكم الإقامة في بلاد الكفار إذا كان الدين واضح بين ولا خوف على المسلم من أن يفتن عن دينه مع جماعة ظاهرة من المسلمين جائز بمفهوم الآية وبحديث النبي ﷺ " أنا بريء من كل مسلم أقام بين ظهراني المشركين لا تراءى نارهما " فهذا الحديث يدل بمفهومه على أنه إذا تميز المسلمون عن المشركين جاز قال الإمام ابن كثير: الآية الكريمة عامة في كل من أقام بين ظهراني المشركين وهو قادر على الهجرة، وليس متمكناً من إقامة الدين، فهو ظالم لنفسه (913). انتهى.

وفي المسألة كلام أبسط من ذلك محله كتب الفقه وبالله التوفيق.

وفي سبب نزول هذه الآية كذلك ما أخرجه الإمام ابن جرير عن عبيد بن سليمان قال، سمعت الضحاک يقول في قوله: (إن الذين توفاهم الملائكة ظالمي أنفسهم) الآية، قال: « هم أناس من المنافقين تخلفوا عن رسول الله ﷺ، فلم يخرجوا معه إلى المدينة، وخرجوا مع مشركي قريش إلى بدر، فأصيبوا يومئذ فيمن أصيب، فأنزل الله فيهم هذه الآية (914) ». «

[تفسير مختصر للآية]

(إن الذين توفاهم الملائكة ظالمي أنفسهم) أى تتوفاهم الملائكة حال كونهم ظالمي أنفسهم، بالإقامة مع الكفار في دار الشرك، وترك الهجرة إلى دار الإيمان.

(قالوا فيم كنتم قالوا كنا مستضعفين في الأرض) أى تقول لهم الملائكة: في أى شيء كنتم من أمر دينكم؟ وهو سؤال توبيخ وتقريع قالوا معتذرين: كنا مستضعفين في أرض مكة، عاجزين عن إقامة الدين فيها.

(907) صحيح البخاري 4/1678 ح (6674) سنن النسائي الكبرى 6/327 ح (11119) سنن البيهقي الكبرى 9/12 ح (17527) المعجم الأوسط 1/115 ح (8638) المعجم الكبير 11/205 ح (11506) تفسير الطبري 5/234

(908) في إسناده أشعث بن سوار ضعيف الحديث، هكذا ذكر الحافظ في الفتح وتفسير ابن مردويه ليس موجوداً بين أيدينا الآن انظره في فتح الباري 8/263

(909) تفسير ابن أبي حاتم 3/1046 من رواية عكرمة مرسلًا وقال فيه: أبو العاص بن منبه بن الحجاج

(910) المعجم الكبير 11/444 ح (12260) وفي إسناده قيس بن الربيع قال الهيثمي في الزوائد: وثقه شعبة وضعفه جماعة قال الحافظ: صدوق اختلط بأخوه وعلى كل فهو صالح للشواهد قال الإمام الطبراني: حدثنا عبد الله بن العباس الطيالسي ثنا عمر بن محمد بن الحسن ثنا أبي ثنا قيس بن الربيع عن الأعمش عن سعيد بن جبيرة عن ابن عباس قال -فذكره-

(911) أخرجه الطبري في تفسيره في عدة مواضع منها 5/234 وفي إسناده أحمد بن منصور الرمادي وثقه أبو حاتم قال الإمام الطبري: حدثنا أحمد بن منصور الرمادي قال ثنا أبو أحمد الزبير بن محمد بن شريك عن عمرو بن دينار عن عكرمة عن ابن عباس به

(912) الكشف والبيان عن تفسير القرآن (371/3)

(913) تفسير ابن كثير (389/2)

(914) جامع البيان (تفسير الطبري) (108/9)

(قالوا ألم تكن أرض الله واسعة فتهاجروا فيها) أى قالت لهم الملائكة توبيحاً: أليست أرض الله واسعة، فتهاجروا من دار الكفر، إلى دار تقدر فيها على إقامة دين الله؟ كما فعله من هاجر إلى المدينة إلى الحبشة؟ قال تعالى بيانا لجزائهم. (فأولئك ماواههم جهنم وساءت مصيراً) أى مقرهم النار وساءت مقراً ومصيراً لهم.. ثم استثنى تعالى منهم الضعفة والعاجزين عن الهجرة فقال:

(إلا المستضعفين من الرجال والنساء والولدان لا يستطيعون حيلة ولا يهتدون سبيلاً) أى لكن من كان منهم مستضعفا كالرجال، والنساء، والأطفال، الذين استضعفهم المشركون، وعجزوا لاعتسارهم وضعفهم عن الهجرة، ولا يستطيعون الخلاص، ولا يهتدون الطريق الموصل لدار الهجرة.

(فأولئك عسى الله أن يعفو عنهم) أى لعل الله أن يعفو عنهم لانهم لم يتركوا الهجرة اختياراً (وكان الله عفواً غفورا) أى يعفو لأهل الاعتذار، و " عسى " في كلام الله تفيد التحقيق (915).

(وَمَنْ يُهَاجِرْ فِي سَبِيلِ اللَّهِ يَجِدْ فِي الْأَرْضِ مُرْعَمًا كَثِيرًا وَسَعَةً وَمَنْ يَخْرُجْ مِنْ بَيْتِهِ مُهَاجِرًا إِلَى اللَّهِ وَرَسُولِهِ ثُمَّ يُدْرِكْهُ الْمَوْتُ فَقَدْ وَقَعَ أَجْرُهُ عَلَى اللَّهِ وَكَانَ اللَّهُ غَفُورًا رَحِيمًا (١٠٠))

قوله تعالى: (ومن يخرج من بيته) - الآية.

339. أخرج ابن أبي حاتم وأبو يعلى بسند جيد عن ابن عباس قال: « خرج ضمرة بن جندب من بيته مهاجراً فقال لأهله: احملوني فأخرجوني من أرض المشركين إلى رسول الله ﷺ فمات في الطريق قبل أن يصل إلى النبي ﷺ، فنزل الوحي: (ومن يخرج من بيته مهاجراً) الآية (916) ».

340. وأخرج ابن أبي حاتم عن سعيد بن جبيرة عن (917) أبي ضمرة الزرقى الذي كان مصاب البصر وكان بمكة فلما نزلت: (إلا المستضعفين من الرجال والنساء والولدان لا يستطيعون حيلة) فقال: إني لغني وإني لذو حيلة، فتجهز يريد النبي ﷺ فأدركه الموت بالتنعيم، فنزلت هذه الآية (ومن يخرج من بيته مهاجراً إلى الله ورسوله) (918) ».

341. وأخرج ابن جرير نحو ذلك من طرق عن سعيد بن جبيرة وعكرمة وقتادة والسدي والضحاك وغيرهم وسمي في بعضها ضمرة بن العيص أو العيص بن ضمرة وفي بعضها جندب بن ضمرة الجندعي، وفي بعضها الضمري، وفي بعضها رجل من بني ضمرة، وفي بعضها رجل من بني خزاعة، وفي بعضها رجل من بني ليث، وفي بعضها من بني بكر كنانة وفي بعضها من بني بكر (919).

342. وأخرج ابن سعد في الطبقات عن يزيد بن عبد الله بن قسيط « أن جندع بن ضمرة الضمري كان بمكة فمرض فقال لبنيه: أخرجوني من مكة فقد قتلني عمها، فقالوا: إلى أين؟ فأوماً بيده نحو المدينة يريد الهجرة: فخرجوا به فلما بلغوا أضاة (920) بني غفار مات، فأنزل الله فيه (ومن يخرج من بيته مهاجراً) الآية (921) ».

343. [ك] وأخرج ابن أبي حاتم وابن منده والبارودي في الصحابة عن هشام بن عروة عن أبيه أن الزبير بن العوام قال: « هاجر خالد بن حرام إلى أرض الحبشة، فنهشته حية في الطريق فمات، فنزلت فيه (ومن يخرج من بيته مهاجراً إلى الله ورسوله) - الآية (922) ».

344. وأخرج الأموي في مغازية عن عبد الملك بن عمير قال: « لما بلغ أكتم بن صيفي مخرج النبي ﷺ، أراد أن يأتيه، فأبى قومه أن يدعوه قال: فليأت من يبلغه عني ويبلغني عنه، فانتدب له رجلان فأتيا النبي ﷺ فقال: نحن رسل أكتم بن صيفي وهو يسألك من أنت وما أنت وبم جئت؟ قال: « أنا محمد بن عبد الله وأنا عبد الله ورسوله » ثم تلا عليهم (إن الله يأمر بالعدل والإحسان) الآية. فأتيا أكتم فقالا له ذلك، قال: أي قوم إنه يأمر بكمارم الأخلاق وينهي عن ملانمها فكونوا في هذا الأمر رؤساء ولا تكونوا فيه أذنايا، فركب بغيره متوجهاً إلى المدينة فمات في الطريق فنزلت فيه: (ومن يخرج من بيته مهاجراً) - الآية (923)

(915) صفوة التفسير - للصابوني (1/ 194)

(916) مسند أبي يعلى 5/81 ح (2679) المعجم الكبير 11/272 ح (11708) وفي إسناده أشعث بن سوار ضعيف

(917) قلت التعبير بعن هنا خطأ في المخطوط والمطبوع لأن أبا ضمرة جزماً مات قبل ولادة سعيد وصيغة عن فيما هو محتمل اللقاء والله أعلم

(918) تفسير ابن أبي حاتم 3/1051 مرسل.

(919) انظر تفسير الطبري 5/240/239 وهي كلها مراسيل كما ترى

أضاة بنتي غفار: الأضاة بوزن الخصاء: وهي الغدير وجمعها أضى وإضاء كأكم وإكرام انظر النهاية في غريب الحديث/ 1/ 53

(921) لم أجده في الكتب المسنده في النسخة التي لدي من الطبقات وهو مرسل.

(922) المستدرک 3/552 ح (6052) الطبقات الكبرى 4/119 وإسناده مرسل

(923) قال الحافظ في الإصابة: قال ابن السكن: حدثنا بن صاعد حدثنا الحسن بن داود عن محمد بن المنكدر حدثنا عمر بن علي المقدمي عن علي بن عبد الملك بن عمير عن

أبيه - فذكر الأثر قال: وهو مرسل قلت: عبد الملك بن عمير تابعي لم يذكر الواسطة، وكذلك ذكر الإسناد الحافظ ابن كثير في تفسيره، ولم يذكر محمد بن المنكدر وهو

الصواب، وذكره في الإصابة في هذه الطبقة خطأ مطبعي وهو عن الحسن بن داود بن محمد بن المنكدر، وقد ذكره ابن عبد البر في الاستيعاب مصححاً انظر الإصابة 1/209

الاستيعاب 1/146 المؤلف: أبو عمر يوسف بن عبد الله بن محمد بن عبد البر بن عاصم النمري القرطبي سنة الولادة: سنة الوفاة: 463 تفسير ابن كثير 2/548

345. وأخرج أبو حاتم في كتاب المعمرين من طريقين عن ابن عباس⁽⁹²⁴⁾ « أنه سئل عن هذه الآية فقال: نزلت في أكنم بن صيفي قيل فأين الليثي؟ قال: هذا قبل الليثي بزمان وهي خاصة عامة ».

[تعليق]

أخرج المؤلف في سبب نزول هذه الآية عدة آثار. وكلها تدور حول معنى أن هذه الآية نزلت بسبب هجرة واحد من المسلمين إلى النبي صلى الله وموته في الطريق، أما تعيين هذا الرجل ففيه خلاف كبير بين الروايات كما هو واضح، وعندني أن هناك اضطراب من الرواة في تعيين هذا الرجل فكأنهم لم يحفظوا اسمه ويدل على ذلك تكرر اسم ضمرة فلاختلاف في اسمه مرة وكنيته مرة واسم أبيه مرة مع الاشتراك في ضمرة دليل على أن الاضطراب وقع من الرواة. أما الرواية التي فيها أنها أكنم بن صيفي فهي ضعيفة الإسناد. ولكن يحتملها عموم الآية فكل من خرج من بيته مهاجراً ثم مات قبل أن يصل إلى قصده فقد حصل على الأجر الكامل من الله تعالى.

[تفسير مختصر للآية]

(ومن يهاجر في سبيل الله يجد في الأرض مراغماً كثيراً وسعة) هذا ترغيب في الهجرة أي من يفارق وطنه، ويهرب فراراً بدينه من كيد الأعداء، يجد مهاجراً ومتجولاً في الأرض كبيراً، يراغم به أنف عدوه، ويجد سعة في الرزق، فأرض الله واسعة، ورزقه سايع على العباد، وقوله سبحانه (يا عبادى الذين آمنوا أن أرضي واسعة فإياي فاعبدون). (ومن يخرج من بيته مهاجراً إلى الله ورسوله ثم يدركه الموت فقد وقع أجره على الله) أي ومن خرج من بلده مهاجراً من أرض الشرك، فاراً بدينه إلى الله ورسوله، ثم مات قبل بلوغه دار الهجرة، فقد ثبت أجر هجرته على الله تعالى. (وكان الله غفوراً رحيماً) أي ساتراً على العباد رحيماً بهم⁽⁹²⁵⁾.

(وَإِذَا ضَرَبْتُمْ فِي الْأَرْضِ فَلَيْسَ عَلَيْكُمْ جُنَاحٌ أَنْ تَقْصُرُوا مِنَ الصَّلَاةِ إِنْ خِفْتُمْ أَنْ يَفْتِنَكُمُ الَّذِينَ كَفَرُوا إِنَّ الْكَافِرِينَ كَانُوا لَكُمْ عَدُوًّا مُّبِينًا ۝ ١٠١)

قوله تعالى: (وإذا ضربتم) - الآية.

346. [ك] أخرج ابن جرير عن علي قال: « سأل قوم من بني النجار رسول الله ﷺ فقالوا: يا رسول الله إنا نضرب في الأرض فكيف نصلي، فأنزل الله: (وإذا ضربتم في الأرض فليس عليكم جناح أن تقصروا من الصلاة) ثم انقطع الوحي فلما كان بعد ذلك بحول غزا النبي ﷺ فصلى الظهر، فقال المشركون لقد أمكنكم محمد وأصحابه من ظهورهم هلا شددتم عليهم، فقال قائل منهم إن لهم أخرى مثلها في إثرها فأنزل الله بين الصلاتين: (إن خفتكم أن يفتنكم الذين كفروا) إلى قوله (عذاباً مهيناً) فنزلت صلاة الخوف⁽⁹²⁶⁾ ».

[تعليق]

ذكر المؤلف رحمه الله أثراً واحداً في سبب نزول هذه الآية، وهو يقتضي أنها نزلت على مرتين وهو أثر ضعيف الإسناد.

وأخرج الطبري من طريق مجاهد عن أبي عياش الزرقى قال: كنا مع رسول الله ﷺ بعُسفان، وعلى المشركين خالد بن الوليد قال: فصلينا الظهر، فقال المشركون: لقد كانوا على حال، لو أردنا لأصبنا غرة، لأصبنا غفلة. فأنزلت آية القصر بين الظهر والعصر، فأخذ الناس السلاح وصَفُوا خلف رسول الله ﷺ مستقبلي القبلة والمشركون مُسْتَقْبِلَهُمْ، فكبر رسول الله ﷺ وكَبُرُوا جميعاً، ثم ركعوا جميعاً، ثم رفع رأسه فرفعوا جميعاً، ثم سجد وسجد الصف الذي يليه، وقام الآخرون يحرسونهم. فلما فرغ هؤلاء من سجودهم سجد هؤلاء، ثم نكص الصف الذي يليه وتقدم الآخرون، فقاموا في مقامهم، فركع رسول الله ﷺ فركعوا جميعاً، ثم رفع رأسه فرفعوا جميعاً، ثم سجد وسجد الصف الذي يليه، وقام الآخرون يحرسونهم. فلما فرغ هؤلاء من سجودهم سجد هؤلاء الآخرون، ثم استوتوا معه، ففعدوا جميعاً، ثم سلم عليهم جميعاً، فصلاها بعُسفان، وصلاها يوم بني سليم⁽⁹²⁷⁾. ومقتضى هذه الرواية أنها نزلت في السفر وهو ظاهر الآية وهو الأرجح وفيها بيان لبداية رخصة القصر في السفر وجواز القصر، وقد بينت السنة مقدار ومسافة القصر بما هو مشهور في كتب الفقه.

[تفسير مختصر للآية]

(وإذا ضربتم في الأرض فليس عليكم جناح أن تقصروا من الصلاة) أي وإذا سافرتم للغزو أو التجارة أو غيرهما، فلا إثم عليكم إن تقصروا من الصلاة فتصلوا الرباعية ركعتين

(924) الإسناد الأول فيه: عمرو بن محمد السعدي، ولم أعرفه والثاني: فيه رشدين بن كريب ضعيف انظر الأسانيد في الإصابة 210/1

(925) صفوة التفسير - للصابوني (1/195)

(926) تفسير الطبري 244/5 من طريق شيخه المثني بن الصباح وتقدم ضعفه.

(927) صفوة التفسير - للصابوني (1/195)

(ان خفتم ان يفتنكم الذين كفروا) أى ان خشيتم ان ينالكم مكروه من اعدائكم الكفرة، وذكر " الخوف " ليس للشرط، وانما هو لبيان الواقع حيث كانت أسفارهم لا تخلو من خوف العدو لكثرة المشركين، ويؤيده حديث " يعلى بن امية " قال " قلت لعمر بن الخطاب: ان الله يقول: (ان خفتم) وقد أمن الناس فقال: عجبت مما عجبت منه، فسألت رسول الله ﷺ عن ذلك فقال: " صدقة تصدق الله بها عليكم فاقبلوا صدقته ".
(ان الكافرين كانوا لكم عدوا مبينا) أى ان الكافرين أعداء لكم مظهرون للعداوة، ولا يمنهم فرصة اشتغالكم ثمناجاة الله ان يقتلوكم

(وَإِذَا كُنْتَ فِيهِمْ فَأَقَمْتَ لَهُمُ الصَّلَاةَ فَلْتَقُمْ طَائِفَةٌ مِنْهُمْ مَعَكَ وَلْيَأْخُذُوا أَسْلِحَتَهُمْ فَإِذَا سَجَدُوا فَلْيَكُونُوا مِنْ وَرَائِكُمْ وَلْتَأْتِ طَائِفَةٌ أُخْرَى لَمْ يُصَلُّوا فَلْيُصَلُّوا مَعَكَ وَلْيَأْخُذُوا حِذْرَهُمْ وَأَسْلِحَتَهُمْ وَذَ الَّذِينَ كَفَرُوا لَوْ تَغْفُلُونَ عَنْ أَسْلِحَتِكُمْ وَأَمْتِعَتِكُمْ فَيَمِيلُونَ عَلَيْكُمْ مَيْلَةً وَحَدَّةً وَلَا جُنَاحَ عَلَيْكُمْ إِنْ كَانَ بِكُمْ أذىٌ مِنْ مَطَرٍ أَوْ كُنْتُمْ مَرَضَى أَنْ تَضَعُوا أَسْلِحَتَكُمْ وَخُذُوا حِذْرَكُمْ إِنَّ اللَّهَ أَعَدَّ لِلْكَافِرِينَ عَذَابًا مُهِينًا ١٠٢)

قوله تعالى: (وإذا كنت فيهم فأقمت لهم الصلاة) - الآية.

347. وأخرج أحمد والحاكم وصححه البيهقي في الدلائل عن أبي عياش الزرقى قال: « كنا مع رسول الله ﷺ بعسفان فاستقبلنا المشركون عليهم خالد بن الوليد وهم بيننا وبين القبلة فصلى بنا النبي ﷺ الظهر، فقالوا: قد كانوا على حال لو أصبنا غرتهم، ثم قالوا: يأتي عليهم الآن صلاة هي أحب إليهم من أبنائهم وأنفسهم، فنزل جبريل بهذه الآيات بين الظهر والعصر (وإذا كنت فيهم فأقمت لهم الصلاة) - الآية - الحديث (929) ». «

348. وروى الترمذي نحوه عن أبي هريرة (930).

349. وابن جرير نحوه عن جابر بن عبد الله (931).

350. وابن عباس (932).

قوله تعالى: (ولا جناح عليكم).

351. [ك] أخرج البخاري عن ابن عباس قال: « نزلت (إن كان بكم أذى من مطر أو كنتم مرضى) في عبد الرحمن بن عوف كان جريحاً (933) ». «

[تعليق]

أخرج المؤلف رحمه الله عدة آثار، وكلها يشهد بعضها لبعض بأن هذه الآية نزلت بين الظهر والعصر في غزوة عسفان. وفيها بيان لحال صلاة الخوف. والآية نزلت في الخوف غير أن حكمها عام في كل سفر فيجوز قصر الصلاة في السفر على اختلاف بين العلماء في مدة القصر، وقد بيت الروايات كيفية صلاة الخوف على عدد من الأوضاع على حسب اتجاه العدو إذا كانوا في القبلة أو خلف ظهر جيش المسلمين.

أما الأثر الأخير الذي فيه أن قوله تعالى (ولا جناح عليكم إن كان بكم أذى من مطر أو كنتم مرضى أن تضعوا أسلحتكم) فهو أثر صحيح ومعناه عام. فيجوز وضع السلاح لمن كان حاله كحال عبد الرحمن بن عوف فيجوز والله تعالى أعلم.

[تفسير مختصر للآية]

(928) صفوة التفاسير - للصابوني (1/ 195)

(929) مسند أحمد 4/59 ح (16630) سنن أبي داود 2/11 ح (1236) سنن النسائي الصغير 1/177 ح (1550) صحيح ابن حبان 7/126 ح (2875) مستدرک الحاكم 487:1 ح (1252) سنن البيهقي الكبرى 3/254 ح (5813) مسند الطيالسي 1/191 ح (1347) المعجم الكبير 5/213 ح (5132) المنتقى 68 ح (232) مصنف عبد الرزاق 2/505 ح (4237) قلت: هو من رواية مجاهد عن أبي عياش الزرقى قال الترمذي: لا يعرف سماح لمجاهد من أبي عياش انظر جامع التحصيل 273 وورد تصريحه بالسماح كما في رواية الطبراني في الكبير 5/215 ولكن رواه الطبراني عن شيخه بكر بن سهل الدمياطي قال الحافظ مقارب الحال وضعفه النسائي وكذلك ضعفه من أجل بعض الأحاديث التي رواها وعلى كل فهو صحيح بما بعده من الشواهد

(930) تفسير الطبري 5/249 صحيح ابن حبان 7/123 ح (2872) سنن الترمذي 5/243 ح (3035) وقال: حسن غريب سنن النسائي 3/174 ح (1544) مسند أحمد 2/522 ح (10775) إسناده حسن قال الإمام أحمد: حدثنا عبد الصمد ثنا سعيد بن عبيد الهناني ثنا عبد الله بن شقيق ثنا أبو هريرة قال: « ثم أن رسول الله ﷺ نزل بين ضحجان وعسفان فحاصر المشركين قال فقالوا إن لهؤلاء صلاة هي أحب إليهم من أبنائهم وأبكارهم يعنون العصر فأجمعوا أمرهم ثم ميلوا عليهم ميلة واحدة، قال: فجاء جبريل إلى رسول الله ﷺ فأمره أن يقسم أصحابه بالطائفة الأولى ركعة ويأخذ الطائفة الأخرى حذرهم وأسلحتهم، فإذا صلى بهم ركعة تأخروا وتقدم الآخرون فصلى بهم ركعة وأخذ هؤلاء الآخرون حذرهم وأسلحتهم فكانت لكل طائفة مع النبي ﷺ ركعة ركعة (931)

(931) تفسير الطبري 5/257 من رواية أبي الزبير عن جابر وتصريحه بالسماح عند ابن حبان 7/129 ح (2877) قال: أخبرنا عبد الله بن محمد الأزدي قال حدثنا إسحاق بن إبراهيم أخبرنا يحيى بن آدم قال حدثنا زهير بن معاوية قال حدثنا أبو الزبير أنه سمع جابر بن عبد الله يقول: « ثم غزونا مع رسول الله ﷺ فوما من جهة فقاتلوا قتالا شديدا، فلما صلينا الظهر قالوا: لو ملنا عليهم ميلة قطعناهم، فأخبر جبريل النبي ﷺ بذلك، فذكر لنا رسول الله ﷺ ذلك، فقال: قالوا: بيننا وبينهم صلاة هي أحب إليهم من الأولى، فلما عملا الصلاة صفنا صفين والمشركون بيننا وبين القبلة، فكبر رسول الله ﷺ وكبرنا معه، وفرعنا معه، وسجد معه، فلما قام سجد الصف الثاني، ثم تقدموا فقاموا مقام الصف الأول وتأخر الصف الأول، فكبر رسول الله ﷺ وكبرنا معه ثم ركع وركعنا معه، وسجد الصف الأول معه ثم قعد فسجد الصف الثاني ثم جلسوا عليهم رسول الله ﷺ قال أبو الزبير عن جابر كما يصلي أمرؤكم هؤلاء (932)

(932) تفسير الطبري 5/256 المستدرک 3/32 ح (4323) وقال: صحيح على شرط البخاري قلت في إسناده أحمد بن عبد الجبار العطاردي تقدمت ترجمته وقلنا أنه ضعيف (933) تفسير الطبري 5/259 صحيح البخاري 4/1679 ح (4323) المنتقى 1/70 ح (238) صحيح ابن خزيمة 307 ح (1369) المستدرک 2/337 ح (3202) سنن البيهقي الكبرى 3/255 ح (5815) سنن النسائي الكبرى 6/328 ح (11121)

(وإذا كنت فيهم فأقمت لهم الصلاة فلتقم طائفة منهم معك وليأخذوا أسلحتهم) أى وإذا كنت معهم يا محمد وهم يصلون صلاة الخوف في الحرب، فلتأتم بك طائفة منهم، وهم مدججون بأسلحتهم احتياطاً، ولتقم الطائفة الأخرى في وجه العدو. (فإذا سجدوا فليكونوا من ورائكم ولتأت طائفة أخرى لم يصلوا فليصلوا معك) أى فإذا فرغت الطائفة الأولى من الصلاة، فلتأت الطائفة التي لم تصل إلى مكانها لتصلي خلفك

(وليأخذوا حذرهم وأسلحتهم) أى وليكونوا حذرين من عدوهم، متأهبين لقتالهم بحملهم السلاح. (ود الذين كفروا لو تغفلون عن أسلحتكم وأمتعتكم فيميلون عليكم ميلاً واحدة) أى تمنى أعدائكم إن تنشغلوا عن أسلحتكم وأمتعتكم، فيأخذونكم على حين غرة، ويشدون عليكم شدة واحدة، فيقتلونكم وانتم تصلون، والمعنى: لا تتشاغلوا بأجمعكم بالصلاة، فيتمكن عدوكم منكم، ولكن أقيموا على ما أمرتم به. (ولا جناح عليكم إن كان بكم أذى من مطر أو كنتم مرضى أن تضعوا أسلحتكم) أى لا إثم عليكم في حالة المطر أو المرض، أن لا تحملوا أسلحتكم إذا ضعفت عنها.

(وخذوا حذرکم) أى كونوا متيقظين، واحترزوا من عدوكم ما استطعتم. (إن الله أعد للكافرين عذاباً مهيناً) أى أعد لهم عذاباً مخزياً مع الإهانة. روي عن أبي عياشى الزرقى قال: (كنا مع رسول الله ﷺ بعسفان، فأستقبلنا المشركون عليهم خالد بن الوليد - وهم بيننا وبين القبلة - فصلى بنا رسول الله ﷺ الظهر، فقالوا: لقد كانوا على حال لو أصبنا غرتهم ! ثم قالوا: يأتي عليهم الآن صلاة، هي أحب إليهم من أبنائهم وأنفسهم، قال: فنزل جبريل بهذه الآيات بين الظهر والعصر) (وإذا كنت فيهم فأقمت لهم الصلاة) الآية. ثم أمر تعالى بكثرة ذكره عقب صلاة الخوف فقال: (فإذا قضيت الصلاة فادكروا الله قياماً وقعوداً وعلى جنوبكم) أى فإذا فرغتم من الصلاة، فأكثرُوا من ذكر الله في حال قيامكم وقعودكم، واضطجاعكم، وإذكروه في جميع الحالات، لعله ينصرمكم على عدوكم. (فإذا اطمانتم فأقيموا الصلاة) أى فإذا أمنتكم وذهب الخوف عنكم، فأتموا الصلاة وأقيموا كما أمرتم، بخشوعها وركوعها وسجودها، وجميع شروطها. (إن الصلاة كانت على المؤمنين كتاباً موقوتاً) أى فرضاً محدوداً بأوقات معلومة، لا يجوز تأخيرها عنه (934).

(إِنَّا أَنْزَلْنَا إِلَيْكَ الْكِتَابَ بِالْحَقِّ لِتَحْكُمَ بَيْنَ النَّاسِ بِمَا أَرَاكَ اللَّهُ وَلَا تَكُنَ لِلْخَائِنِينَ خَصِيمًا ١٠٥)

قوله تعالى: (إنا أنزلنا) الآية.

352. روى الترمذي والحاكم وغيرهما عن قتادة بن النعمان قال: « كان أهل بيت منا يقال لهم بنو أبي بريق بشر وبشير ومبشر، وكان بشير رجلاً منافقاً يقول الشعر يهجو به أصحاب رسول الله ﷺ ثم ينحله بعض العرب يقول قال فلان كذا، وكانوا أهل بيت حاجة وفاقة في الجاهلية والإسلام، وكان الناس إنما طعامهم بالمدينة التمر والشعير، فابتاع عمي رفاعة بن زيد حملاً من الدرهم (935) فجعله في مشربة له فيها سلاح ودرع وسيف، فعدى عليه من تحت فنقبت المشربة وأخذ الطعام والسلاح، فلما أصبح أتاني عمي رفاعة فقال: يا ابن أخي إنه قد عدي علينا في ليلتنا هذه فنقبت مشربتنا وذهب بطعامنا وسلاحنا فتجسسنا في الدار وسألنا فقيل لنا: قد رأينا بني أبي بريق استوقدوا في هذه الليلة ولا نرى فيما نرى إلا على بعض طعامكم، فقال بنو أبي بريق: ونحن نسأل في الدار والله ما نرى صاحبكم إلا لبيد بن سهل رجل منا له سلاح وإسلام، فلما سمع لبيد اخترط سيفه وقال: أنا أسرق؟! والله ليخالنكم هذا السيف أو لتبينن هذه السرقة قالوا: إليك عنا أيها الرجل فما أنت بصاحبها، فسألنا في الدار حتى لم نشك أنهم أصحابنا، فقال لي عمي: يا ابن أخي لو أتيت رسول الله ﷺ فذكرت ذلك له، فأتيته فقلت: أهل بيت منا أهل جفاء عمدوا إلى عمي فنقبوا مشربه له وأخذوا سلاحه وطعامه، فليردوا علينا سلاحنا وأما الطعام فلا حاجة لنا فيه، فقال رسول الله ﷺ: « سأنظر في ذلك » فلما سمع بنو أبي بريق أتوا رجلاً منهم يقال له أسير بن عروة فكلموه في ذلك، فاجتمع في ذلك أناس من أهل الدار فقالوا: يا رسول الله ﷺ إن قتادة بن النعمان وعمه عمدا إلى أهل بيت منا أهل إسلام وصلاح يرمونهم بالسرقة من غير بينة ولا ثبت، قال قتادة: فأتيت رسول الله ﷺ فقال: عمدت إلى أهل بيت ذكر منهم إسلام وصلاح ترميهم بالسرقة على غير ثبت وبينة، فرجعت فأخبرت عمي فقال: الله المستعان، فلم تلبث أن نزل القرآن: (إنا أنزلنا إليك الكتاب بالحق لتحكم بين الناس بما أراك الله ولا تكن للخائنين خصيماً) بني أبي بريق (واستغفر الله) أي مما قلت لقتادة إلى قوله (عظيماً) فلما نزل القرآن أتى رسول الله ﷺ بالسلاح فرده إلى رفاعة ولحق بشير بالمشركين فنزل على سلافة بنت سعد فأنزل الله: (ومن يشاقق الرسول من بعد ما تبين له الهدى) إلى قوله (ضلالاً بعيداً) « قال الحاكم صحيح على شرط مسلم (936).

(934) صفوة التفسير - للصابوني (1/ 195)

(935) [الذمك]: هو الذقيق الحواري يانظر النهاية في غريب الحديث/ 2/ 114

(936) تفسير الطبري 5/265 سنن الترمذي 5/244 ح (3036) وقال: غريب لا تعلم أحداً أسنده غير محمد بن سلمة الحراني، قلت: رواه الحاكم عن يونس بن بكير فأسنده، وفيه تصريح ابن إسحاق بالتحديث، المعجم الكبير 19/9 ح (15) مستدرک الحاكم 4/426 (8164) وقال: صحيح على شرط مسلم قلت: ما قاله الحاكم فيه نظر فإن عمر بن قتادة أخرج له الترمذي ولم يخرج له مسلم وهو مقبول كما قال الحافظ

353. وأخرج ابن سعد في الطبقات بسنده عن محمود بن لبيد قال: « عدا بشير بن الحارث على عليّة رفاة بن زيد عم قتادة بن النعمان فنقبها من ظهرها وأخذ طعاماً له ودرعين بأداتهما، فأتى قتادة النبي ﷺ فأخبره بذلك فدعا بشيراً فسأله فأنكر ورمي بذلك لبيد بن سهل رجلاً من أهل الدار ذا حسب ونسب، فنزل القرآن بتكذيب بشير وبراءة لبيد: (إنا أنزلنا إليك الكتاب بالحق لتحكم بين الناس) الآيات، فلما نزل القرآن في بشير وعثر عليه هرب إلى مكة مرتداً فنزل على سلامة بنت سعد فجعل يقع في النبي ﷺ وفي المسلمين، فنزل فيه: (ومن يشاقق الرسول) الآية، وهجاه حسان بن ثابت حتى رجع وكان ذلك في شهر ربيع سنة أربعة من الهجرة⁽⁹³⁷⁾ ».

[تعليق]

ذكر المؤلف رحمه الله أثرين في سبب نزول هذه الآية. وكلهما شاهد للأثر بسبب النزول. وكلهما يقوى الآخر. وهما توجيه للنبي ﷺ بأن يتروى في الحكم بين الناس بكتاب الله فيما نزل عليه، وكان له ﷺ أن يجتهد فيما لم ينزل عليه فيه وحي كما قال ﷺ: "إنكم تختصمون إليّ ولعل بعضكم ألحن بحجته من بعض فأقضي له بحسب ما أسمع منه فمن قضيت له من حق أخيه بشيء فلا يأخذه فإنما أقطع له قطعة من النار"⁽⁹³⁸⁾.

وفي سبب نزول هذه الآية سببان غير ما ذكره المؤلف رحمه الله.

فذكر الواحد في أسباب النزول أن السارق هو طعمة بن أبيرق والمسروق منه هو قتادة بن النعمان فقال:

قوله تعالى: (إنا أنزلنا إليك الكتاب بالحق لتحكم بين الناس بما أراك الله) الآية.

إلى قوله تعالى - ومن يشرك بالله فقد ضلّ ضلالاً بعيداً - أنزلت كلها في قصة واحدة.

« وذلك أن رجلاً من الأنصار يقال له طعمة بن أبيرق أحد بني ظفر ابن الحارث سرق درعا من جار له يقال له قتادة بن النعمان، وكانت الدرع في جراب فيه دقيق، فجعل الدقيق ينتثر من خرق في الجراب حتى انتهى إلى الدار وفيها أثر الدقيق، ثم خباها عند رجل من اليهود يقال له زيد بن السمين، فالتصمت الدرع عند طعمة فلم توجد عنده وحلف لهم: والله ما أخذها وما له به من علم، فقال أصحاب الدرع: بلى والله قد أدلج علينا فأخذها وطلبنا أثره حتى دخل داره، فرأينا أثر الدقيق فلما أن حلف تركوه واتبعوا أثر الدقيق حتى انتهوا إلى منزل اليهودي فأخذه، فقال: دفعها إلي طعمة بن أبيرق، وشهد له أناس من اليهود على ذلك، فقالت بنو ظفر وهم قوم طعمة، انطلقوا بنا إلى رسول الله صلى الله عليه وآله، فكلّموه في ذلك، فسألوه أن يجادل عن صاحبهم، وقالوا: إن لم تفعل هلك صاحبنا وافتضح وبرئ اليهودي، فهم رسول الله صلى الله عليه وآله أن يفعل وكان هواه معهم وأن يعاقب اليهودي حتى أنزل الله تعالى - إنا أنزلنا إليك الكتاب بالحق - الآية كلها، وهذا قول جماعة من المفسرين⁽⁹³⁹⁾ ».

والسبب الثالث: أن رجلاً من اليهود استودع طعمة بن أبيرق درعاً، فخانها، فلما خاف اطلاعهم عليها، ألقاها في دار أبي مليل الأنصاري.

فأخرج الطبري رحمه الله: عن السدي: (إنا أنزلنا إليك الكتاب بالحق لتحكم بين الناس بما أراك الله ولا تكن للخائنين خصيماً)، قال: أما "ما أراك الله"، فما أوحى الله إليك. قال: نزلت في طعمة بن أبيرق، استودعه رجل من اليهود درعاً، فانطلق بها إلى داره، فحفر لها اليهودي ثم دفنها. فخالف إليها طعمة فاحترق عنها فأخذها. فلما جاء اليهودي يطلب درعه، كافره عنها، فانطلق إلى ناس من جامع البيان اليهود من عشيرته فقال: انطلقوا معي، فإني أعرف موضع الدرع. فلما علم بهم طعمة، أخذ الدرع فألقاها في دار أبي مليل الأنصاري. فلما جاءت اليهود تطلب الدرع فلم تقدر عليها، وقع به طعمة وأناس من قومه فسبّوه، وقال: أتخونوني فانطلقوا يطلبونها في داره، فأشرفوا على بيت أبي مليل، فإذا هم بالدرع. وقال طعمة: أخذها أبو مليل وجادلت الأنصار دون طعمة، وقال لهم: انطلقوا معي إلى رسول الله ﷺ فقولوا له يتّضح عني ويكذب حجة اليهودي، فإني إن أكذب كذب على أهل المدينة اليهودي! فأتاه أناس من الأنصار فقالوا: يا رسول الله، جادل عن طعمة وأكذب اليهودي. فهم رسول الله ﷺ أن يفعل، فأنزل الله عليه: (ولا تكن للخائنين خصيماً)⁽⁹⁴⁰⁾.

قلت الأثر الأول أصح إسناداً، فيكون هو سبب النزول وتعدد الحادثة وورد لكل من السبب الثاني والثالث ليس له إسناد يعتمد عليه، والله تعالى أعلم.

[تفسير مختصر للآية]

(إنا أنزلنا إليك الكتاب بالحق لتحكم بين الناس بما أراك الله) أي إنا أنزلنا إليك يا محمد القرآن بالحق الواضح المنير، لتحكم بين الناس ثم عرفك الله وأوحى به إليك.

(ولا تكن للخائنين خصيماً) أي لا تكن مدافعاً ومخاصماً عن الخائنين، تجادل وتدافع عنهم، والمراد به "طعمة بن أبيرق" وجماعته.

(واستغفر الله) أي استغفر الله مما هممت به من الدفاع عن "طعمة" إطمئناناً لشهادة قومه بصلاحه.

(إن الله كان غفوراً رحيماً) أي مبالغاً في المغفرة والرحمة لمن يستغفره.

(937) لم أجده في الكتب المسندهة في طبقات ابن سعد، ومحمود بن لبيد اختلف في صحبته فأثبتها البخاري وأنكرها أبو حاتم، ولا شك أن من عرف حجة علي من لم يعرف، ومن ثم قال الحافظ في التقریب: صحابي صغير جل روايته عن الصحابة، وفي كلام ابن سعد في الطبقات ما يدل على أنه صحابي.

(938) صحيح البخاري (3/235)

(939) أسباب النزول للواحد (121)

(940) تفسير الطبري (9/186)

(ولا تجادل عن الذين يختانون أنفسهم) أي لا تخاصم وتدافع عن الذين يخونون أنفسهم بالمعاصي.
 (ان الله لا يحب من كان خوانا أثيماً) أي لا يحب من كان مفترطاً في الخيانة، منهمكا في المعاصي والآثام.
 (يستخفون من الناس ولا يستخفون من الله) أي يستترون من الناس خوفاً وحياءاً، ولا يستحيون من الله وهو أحق بأن يستحيا منه ويخاف من عقابه.
 (وهو معهم إذ يببوتون ما لا يرضى من القول) أي وهو معهم جل وعلا، عالم بهم وبأحوالهم، يسمع ما يدبرونه في الخفاء، ويضمره في السر، من رمي البريء، وشهادة الزور، والحلف الكاذب.
 (وكان الله بما يعملون محيطاً) أي لا يعزب عنه شيء منها ولا يفوت.. ثم قال تعالى توبيخاً لقوم طعمة.
 (ها أنتم هؤلاء جادلتم عنهم في الحياة الدنيا) أي هأنتم يا معشر القوم، دافعتم عن السارق والخائن في الدنيا.
 (فمن يجادل الله عنهم يوم القيامة)؟ أي فمن يدافع عنهم في الآخرة، إذا أخذهم الله بعذابه؟
 (أم من يكون عليهم وكيلاً) أي من يتولى الدفاع عنهم ونصرتهم من بأس الله وانتقامه؟ والاستفهام في الموضعين للنفي، أي لا أحد يجادل عنهم، ولا أحد يكون عليهم وكيلاً.
 ثم دعاهم الله تعالى إلى الانابة والتوبة فقال:
 (ومن يعمل سوءاً أو يظلم نفسه) أي من يعمل أمراً قبيحاً، يسوء به غيره، كإتهام بريء، أو يرتكب جريمة يظلم بها نفسه كالسرقة.
 (ثم يستغفر الله يجد الله غفوراً رحيماً) أي ثم يتوب من ذنبه، يجد الله عظيم المغفرة واسع الرحمة، قال ابن عباس: عرض الله التوبة بهذه الآية على بني ابيرق.
 (ومن يكسب إثماً فإنما يكسبه على نفسه وكان الله عليماً حكيماً) أي من يقترب إثماً متعمداً، فإنما يعود وبال ذلك على نفسه، وكان الله عليماً بذنبه، حكيماً في عقابه
 (ومن يكسب خطيئةً أو إثماً) أي من يفعل ذنباً صغيراً أو إثماً كبيراً.
 (ثم يرم به بريئاً فقد احتمل بهتاناً وإثماً مبيناً) أي ثم ينسب ذلك إلى بريء ويتهمه به، فقد تحمل جرماً وذنباً واضحاً.. ثم بين تعالى فضله على رسوله فقال:
 (ولولا فضل الله عليكم ورحمته لاهت طائفة منهم أن يضلوك) أي لولا فضل الله عليكم بالنبوة ورحمته بالعصمة، لاهت جماعة منهم أن يضلوك عن الحق، وذلك حين
 سألو الرسول □ ان يريء صاحبهم " طعمة " من التهمة، ويلحقها باليهودي فتفضل الله عز وجل على رسوله، بأن أطلعه على الحقيقة.
 (وما يضلون إلا أنفسهم) أي وبال اضلالهم راجع عليهم⁽⁹⁴¹⁾.

(لَيْسَ بِأَمَانِيكُمْ وَلَا أَمَانِيَّ أَهْلُ الْكِتَابِ مَنْ يَعْمَلْ سُوءًا يُجْزَ بِهِ وَلَا يَجِدْ لَهُ مِنْ دُونِ اللَّهِ وَلِيًّا وَلَا نَصِيرًا ۝ ٢٣)

قوله تعالى: (ليس بأمانيتكم) - الآية.

354. أخرج ابن أبي حاتم عن ابن عباس قال: « قالت اليهود والنصارى لا يدخل الجنة غيرنا، وقالت قريش إنا لا نبعث، فأنزل الله (ليس بأمانيتكم ولا أمانى أهل الكتاب) ⁽⁹⁴²⁾ ». «
 355. وأخرج ابن جرير عن مسروق قال: « تفاخر النصارى وأهل الإسلام فقال هؤلاء: نحن أفضل منكم وقال: هؤلاء نحن أفضل منكم، فأنزل الله: (ليس بأمانيتكم ولا أمانى أهل الكتاب) ⁽⁹⁴³⁾ ». «
 356. وأخرج نحوه عن قتادة.
 357. والضحاك.
 358. والسدي.
 359. وأبي صالح ولفظهم « نفاخر أهل الأديان. وفي لفظ جلس ناس من اليهود وناس من النصارى وناس من المسلمين فقال هؤلاء: نحن أفضل وقال هؤلاء: نحن أفضل فنزلت ⁽⁹⁴⁴⁾ «
 360. وأخرج أيضاً عن مسروق قال: لما نزلت: (ليس بأمانيتكم ولا أمانى أهل الكتاب) قال أهل الكتاب: نحن وأنتم سواء فنزلت هذه الآية: (ومن يعمل من الصالحات من ذكر أو أنثى وهو مؤمن) ⁽⁹⁴⁵⁾ ». «

[تعليق]

ذكر المؤلف رحمه الله عدة آثار في سبب نزول هذه الآية وهي تشتمل على سببين للنزول.
 الأول: في قول اليهود والنصارى بأنه لن يدخل الجنة إلا من كان هوداً أو نصارى، وقد كذبهم الله تعالى في قوله (وقالوا لن يدخل

(941) صفوة التفسير - للصابوني (196/1)

(942) لم أجده في الكتب المسنده في النسخة التي بين يدي، وذكر القرطبي طرفاً من إسناده في تفسيره قال: وأحسن ما روي في سبب نزولها ما رواه الحكم بن أبان عن عكرمة عن ابن عباس - فذكره - وهو إسناد حسن فالحكم قال فيه الحافظ: صدوق له أو هام ولكن يبقى النظر في باقي الإسناد

(943) تفسير ابن جرير 5/288 وإسناده صحيح لكنه مرسل.

(944) تفسير ابن جرير المصدر السابق، وإسناده قتادة صحيح لكنه مرسل، وإسناده السدي فيه أسباط، وإسناده الضحاك فيه جوير بن سعيد ضعيف جداً، وإسناده أبي صالح فيه المثني بن الصباح شيخ الطبري ضعيف، وروي عن ابن عباس نحوه بإسناد شديد الضعف.

(945) المصدر السابق عن مسروق وإسناده صحيح لكنه مرسل

الجنة إلا من كان هودا أو نصاري تلك أمانهم قل هاتوا برهانكم إن كنتم صادقين) وقد تقدم القول فيها في سورة البقرة.
الثاني: في تفاخر أهل الأديان الثلاث فأنزل الله تعالى قوله مبيناً أن العمل هو الذي يحكم على الإنسان ليس بالتمنى ولا التشهي.
وهنا مسألة تأتي في هذا الباب وهي هل يقبل العمل من اليهود والنصارى وهم مصررون على خلافهم لكتاب الله وغير
مؤمنين بالنبي □؟ فالجواب لا لأن قبول العمل شرطه الإيمان بكتاب بما أنزل على محمد والإيمان بمحمد □ قال تعالى (ومن
يبغ غير الإسلام ديناً فلن يقبل منه وهو في الآخرة من الخاسرين).
وقوله □: "والذي نفس محمد بيده لا يسمع بي أحد من هذه الأمة: يهودي ولا نصراني، ثم يموت ولم يؤمن بالذي
أرسلت به إلا كان من أصحاب النار" (946).

وفي سبب نزول الآية سبب آخر غير ما ذكره المؤلف.
فأخرج سعيد بن منصور وغيره عن مجاهد قال: «قالت العرب: لا نبعث ولا نحاسب، وقالت النصارى: لن تمسنا النار إلا أياما
معدودة، فأنزل الله عز وجل: (ليس بأمانكم ولا أمانى أهل الكتاب من يعمل سوءا يجز به)» (947).
وهذا أثر مرسل الإسناد، وعلى كل حال فالآية شاملة بعمومها كل ما ذكر من أسباب النزول فكل شيء متوقف على حكم الله تعالى
لا على حكم العرب أو أهل الكتاب أو المسلمين.

[تفسير مختصر للآية]

(ليس بأمانكم ولا أمانى أهل الكتاب) أى ليس ما وعد الله تعالى من الثواب، يحصل بأمانكم أيها المسلمون، ولا بأمانى أهل
الكتاب، إنما يحصل بالإيمان والعمل الصالح. قال الحسن البصري: (ليس بالإيمان بالتمنى ولكن ما وقر في القلب، وصدقه العمل، ان
قوما الهتهم الأمانى، حتى خرجوا من الدنيا ولا حسنة لهم، وقالوا: نحسن الظن بالله، وكذبوا لو أحسنوا الظن به لأحسنوا العمل)
(من يعمل سوءا يجزى به) أى من يعمل سوء والشر، ينال عقابه عاجلا أم آجلا
(ولا يجد له من دون الله وليا ولا نصيرا) أى لا يجد من يحفظه أو ينصره من عذاب الله
(ومن يعمل من الصالحات من ذكر أو أنثى وهو مؤمن) أى ومن يعمل الاعمال الصالحة، سواء كان ذكرا أو أنثى بشرط الإيمان
(فأولئك يدخلون الجنة ولا يظلمون شيئا) أى يدخلهم الله الجنة، ولا ينقصون شيئا حقيرا من ثواب أعمالهم، كيف لا والمجازي هو
أرحم الراحمين! وإنما قال: [وهو مؤمن] ليبين ان الطاعة لا تنتفع من دون الإيمان.. ثم قال تعالى:
(ومن أحسن ديناً ممن أسلم وجهه لله) أى لا أحد احسن ديناً ممن انقاد لأمر الله وشرعه، وأخلص عمله لله
(وهو محسن) أى مطيع لله مجتنب لنواهيه
(واتبع ملة ابراهيم حنيفا) أى واتبع الدين الذي كان عليه (ابراهيم) خليل الرحمن، مستقيماً على منهجه وسبيله، وهو دين الاسلام
(واتخذ الله ابراهيم خليلاً) أى صفياً اصطفاه لمحبتة وختته. قال ابن كثير: فانه انتهى إلى درجة الخلقة، التي هي أرفع مقامات
المحبة، وما ذاك إلا لكثرة طاعته لربه
(ولله ما في السموات وما في الأرض) أى جميع ما في الكائنات، ملكه وعبيده وخلقه، وهو المتصرف في جميع ذلك لا راد لما
فرض، ولا معقب لما حكم
(وكان الله بكل شيء محيطاً) أى علمه نافذ في جميع الامور، لا تخفى عليه خافية (948).

(وَيَسْتَفْتُونَكَ فِي النِّسَاءِ قُلِ اللَّهُ يُفْتِيكُمْ فِيهِنَّ وَمَا يُتْلَىٰ عَلَيْكُمْ فِي الْكِتَابِ فِي يَمِينِ النِّسَاءِ الَّتِي لَا تُؤْتُونَهُنَّ مَا كُتِبَ
لَهُنَّ وَتَرَعَبُونَ أَنْ تَنْكِحُوهُنَّ وَالْمُسْتَضْعَفِينَ مِنَ الْوَالِدِينَ وَأَنْ تَقُومُوا لِلْيَتَامَىٰ بِالْقِسْطِ وَمَا تَفْعَلُوا مِنْ خَيْرٍ فَإِنَّ
اللَّهَ كَانَ بِعَلِيمًا ۙ (١٢٧)

قوله تعالى: (ويستفتونك في النساء) الآية.

361. روى البخاري عن عائشة في هذه الآية قالت: «هو الرجل تكون عنده اليتيمة وهو وليها ووارثها قد
شركته في مالها حتى في المذق» (949)، فيرغب أن ينكحها ويكره أن يزوجه رجلاً فيشركه في مالها
فيعضلها فنزلت (950)».

(946) صحيح مسلم - (93/1)

(947) سنن سعيد بن منصور (4/1376) المؤلف: سعيد بن منصور المتوفى: 227 هـ المحقق: سعد بن عبد الله آل حميد الناشر: دار الصميعي - الرياض الطبعة: الأولى،

1993 م عدد المجلدات: 5

(948) صفوة التفسير - للصابوني (1/199)

(949) في المخطوط [العنق]

(950) ذكر الأثر بمعناه ولفظه في صحيح البخاري عن عروة أنه سأل عائشة رضي الله تعالى عنها وقال الليث: حدثني يونس عن بن شهاب قال: أخبرني عروة بن الزبير أنه
سأل عائشة رضي الله تعالى عنها عن قول الله تعالى: { وإن خفتم } إلى { ورباح } فقالت: يا بن أختي هي اليتيمة تكون في حجر وليها تشاركه في ماله، فيعجبه مالها
وجمالها، فيريد أن يتزوجها بغير أن يقسط في صداقها فيعطيها مثل ما يعطيها غيره، فنهوا أن ينكحوا إلا أن يقسطوا لهن ويبلغوا بهن أعلى سنتهن من الصداق، وأمروا
أن ينكحوا ما طاب لهم من النساء سواءن قال عروة: قالت عائشة: ثم إن الناس استفوتوا رسول الله □ بعد هذه الآية فأنزل الله: { ويستفتونك في النساء } إلى قوله { وترغبون
أن تنكحوهن } والذي ذكر الله (: أنه يتلى عليكم في الكتاب) الآية الأولى التي قال فيها: { وإن خفتم أن لا تقسطوا في اليتامى فانكحوا ما طاب لكم من النساء } قالت عائشة:
وقول الله في الآية الأخرى: { وترغبون أن تنكحوهن } يعني هي رغبة أحدكم عن بيتيمته التي تكون في حجره حين تكون قليلة المال والجمال، فنهوا أن ينكحوا ما رغبوا في
مالها وجمالها من يتامى النساء إلا بالقسط من أجل رغبتهن عنهن انظر صحيح البخاري 2/883 ح (2363) ومسلم 4/2313 (3018) وأبو داود 2/224 ح (2068)
والنسائي 6/115 ح (3346) وابن حبان في صحيحه 9/382 ح (4073) والبيهقي في السنن الكبرى 7/141 ح (13591) تفسير الطبري 5/302 سنن الدارقطني 3/264
وغيرهم

362. [ك] وأخرج ابن أبي حاتم عن السدي « كان لجابر بنت عم دميمة لها مال ورثته عن أبيها، وكان جابر يرغب عن نكاحها ولا ينكحها خشية أن يذهب الزوج بمالها، فسأل النبي ﷺ عن ذلك فنزلت (951) ».

[تعليق]

ذكر المؤلف رحمه الله أثرين في سبب نزول هذه الآية وهما في أولياء اليتيمة إن كان لها مال فأراد وليها أن يرث مالها فكان يعضلها حتى تموت فيرث مالها، وكان هذا من فعل الجاهلية فأنزل الله تعالى كتابه معطياً اليتيم حقه. وفي سبب نزول هذه الآية غير ما ذكره المؤلف.

فأخرج ابن أبي حاتم عن ابن عباس قوله (في يتامى النساء اللاتي لا تؤتونهن ما كتب لهن وترغبون أن تنكوهن) فكان الرجل في الجاهلية تكون عنده اليتيمة فيلقي عليها ثوبه فإذا فعل ذلك بها لم يقدر أحد أن يتزوجها أبداً، فإن كانت جميلة وهويها تزوجها واكل مالها، وإن كانت دميمة منعها الرجال أبداً حتى تموت، فإذا ماتت ورثها فحرم الله ذلك ونهى عنه (952).

وأخرج الإمام الثعلبي عن عبد الله بن عبيدة قال: جاءت امرأة من الأنصار يقال لها خولة بنت حكيم إلى النبي صلى الله عليه وسلم فقالت: يا رسول إن أخي توفي وترك بنات وليس عندهن من الحسن ما يرغب فيهن الرجال ولا يقسم لهن من ميراث أبهين شيئاً فنزلت فيها. (وَيَسْتَفْتُونَكَ) (953).

وقال مقاتل: فلما فرض الله عز وجل لأم كحة وبناتها انطلق سويد وعرفطة وعيينة بن حصن إلى النبي ﷺ فقالوا: إن المرأة لا تترك فرسا ولا تجاهد، وليس عند الصبيان الصغار منفعة في شيء، فأنزل الله عز وجل في ذلك: (ويستفتونك في النساء قل الله يفتيكم فيهن وما يتلى عليكم في الكتاب)، يعني ما بين في قسمة الموارث في أول السورة، ويفتيكم في بنات أم كحة (954)، (في يتامى النساء اللاتي لا تؤتونهن ما كتب لهن وترغبون أن تنكوهن) إلى قوله سبحانه: (فإن الله كان به عليماً) [النساء: 127] (955).

قلت: كل هذه الأسباب متحدة المعنى، وهو ما كان يفعله أهل الجاهلية من منعهم المرأة واليتيمة حقها رغبة في مالها. فأنزل الله تعالى الآية لتعطي الحق للأهله سواء كانت يتيمة أو امرأة أو صغيرة فالله تعالى بحكمته ورحمته قسم الحقوق بنفسه وهدم ما كان عليه أهل الجاهلية من الظلم والجور في حق اليتامي نسأله الله العافية.

[تفسير مختصر للآية]

(ويستفتونك في النساء) أي يسألونك عما يجب عليهم في أمر النساء (قل الله يفتيكم فيهن وما يتلى عليكم في الكتاب) أي قل لهم يا محمد: الله يبين لكم ما سألتكم في شأنهن، ويبين لكم ما يتلى في القرآن من أمر ميراثهن.

(في يتامى النساء اللاتي لا تأتونهن ما كتب لهن وترغبون أن تنكوهن) أي ويفتيكم أيضاً في اليتيمات اللواتي ترغبون في نكاحهن لجمالهن أو لمالهن، ولا تدفعون لهن مهورهن كاملة، فنهاهم الله عز وجل عن ذلك. قال ابن عباس: كان الرجل في الجاهلية تكون عنده اليتيمة فيلقي عليها ثوبه، فإذا فعل ذلك، لم يقدر أحد أن يتزوجها أبداً، فإن كانت جميلة وأحبها تزوجها وأكل مالها، وإن كانت دميمة منعها الرجال حتى تموت، فإذا ماتت ورثها، فحرم الله ذلك، ونهى عنه.

(والمستضعفين من ولدان وإن تقوموا لليتامى بالقسط) أي وبفتيكم في المستضعفين الصغار إن تعطوهم حقوقهم، وإن تعدلوا مع اليتامى في الميراث والمهر، وقد كان أهل الجاهلية لا يورثون الصغار، ولا النساء، ويقولون: كيف نعطي المال، من لا يركب فرسا ولا يحمل سلاحاً، ولا يقاتل عدواً؟! فنهاهم الله عن ذلك، وأمرهم أن يعطوهم نصيبهم من الميراث.

(وما تفعلوا من خير فإن الله كان به عليماً) أي وما تفعلوه من عدل وبر في أمر النساء واليتامى، فإن الله يجازيكم عليه (956).

(وَإِنَّ أُمَّرَأَةً خَافَتْ مِنْ بَعْلِهَا نُشُوزًا أَوْ إِعْرَاضًا فَلَا جُنَاحَ عَلَيْهِمَا أَنْ يُصَلِحَا بَيْنَهُمَا صَلْحًا وَأَصْلَحَ خَيْرٌ وَأُحْضِرَتِ الْأَنْفُسُ الشُّحَّ وَإِنْ تُحْسِنُوا وَتَتَّقُوا فَإِنَّ اللَّهَ كَانَ بِمَا تَعْمَلُونَ خَبِيرًا ۝ ١٢٨)

قوله تعالى: (وإن امرأة) - الآية

363. [ك] روى أبو داود والحاكم عن عائشة قالت: « فرقت سودة أن يفارقها رسول الله ﷺ حين أسنت،

(951) تفسير ابن أبي حاتم 4/1077 مرسل ضعيف الإسناد

(952) تفسير ابن أبي حاتم - (4/1077)

(953) الكشف والبيان عن تفسير القرآن (3/394)

(954) أم كحة أو أم كجة نزلت فيها آية الميراث لكنه لم تقع منسوبة

(955) تفسير مقاتل بن سليمان (1/219)

(956) صفوة التفاسير - للصابوني (1/199)

فقال: يومى لعائشة فأنزل الله: (وإن امرأة خافت من بعلها نشوزاً)⁽⁹⁵⁷⁾ الآية «.

364. وروى الترمذي مثله عن ابن عباس⁽⁹⁵⁸⁾.

365. [ك] وأخرج سعيد بن منصور عن سعيد بن المسيب: « أن ابنة محمد بن مسلمة كانت عند رافع بن خديج، ففكره منها أمراً إما كبيراً أو غيره، فأراد طلاقها فقالت: لا تطلقني واقسم لي ما بدا لك، فأنزل الله (وإن امرأة خافت) الآية⁽⁹⁵⁹⁾.

366. وله شاهد موصول أخرجه الحاكم من طريق ابن المسيب عن رافع بن خديج⁽⁹⁶⁰⁾.

367. [ك]. [ك] أخرج الحاكم عن عائشة قالت: « نزلت هذه الآية: (والصلح خير) في رجل كانت تحته امرأة قد ولدت له أولاداً، فأراد أن يستبدل بها فراضته على أن تفر عنه ولا يقسم لها⁽⁹⁶¹⁾ «.

368. [ك] وأخرج ابن جرير عن سعيد بن جبير قال: « جاءت امرأة حين نزلت هذه الآية: (وإن امرأة خافت من بعلها نشوزاً أو إعراضاً) قالت: إنى أريد أن تقسم لي من نفقتك، وقد كانت رضيت أن يدعها فلا يطلقها ولا يأتيها فأنزل الله: (وأحضرت الأنفس الشح)⁽⁹⁶²⁾ «.

[تعليق]

ذكر المؤلف رحمه الله أربعة آثار في سبب نزول هذه الآية، أما الثلاثة الأولى فنزلت في الصلح بين الرجل والمرأة إذا ما اتفقا على أن تترك لضررتها شيئاً من نصيبها وقسمتها، على أن لا يطلقها الرجل فهو جائز، وكون هذه الآية نزلت في سودة بن زمعة زوج النبي ﷺ، أو في زوج رافع بن خديج فهو فحاشا تعدد الحادثة واتحاد سبب النزول فلما تعددت الحادثة أنزل الله تعالى الرخصة والله تعالى أعلم.

وأما السبب الأثر الرابع: فهو بعد نزول الآية وهو متعلق بقوله تعالى (وأحضرت الأنفس الشح) والله تعالى أعلم. ولم أجد في سبب نزول هذه الآية غير ما ذكره المؤلف وبالله التوفيق.

[تفسير مختصر للآية]

(وإن امرأة خافت من بعلها نشوزاً أو إعراضاً) أى وإذا علمت امرأة أو شعرت من زوجها، الترفع عليها أو الإعراض عنها بوجهه، بسبب الكره لها، لدمامتها، أو لكبر سنها، وطموح عينه إلى من هى أشب وأجمل منها.

(فلا جناح عليهما أن يصلحا بينهما صلحا) أى فلا حرج ولا إثم على كل واحد من الزوجين من المصالحة، والتوفيق بينهما بإسقاط المرأة بعض حقوقها من نفقة، أو كسوة، أو مبيت، لتستعطفه بذلك وتستديم مودته وصحبه. روى ابن جرير عن عائشة أنها قالت: هذا الرجل يكون له امرأتان، إحداهما قد عجزت أو هى دميمة وهو لا يحبها، فتقول: لا تطلقني وانت في حل من شأنى. (والصلح خير) أى والصلح خير من الفراق

(وأحضرت الأنفس الشح) أى جبلت الأنفس على الشح، وهو شدة البخل، فالمرأة لا تكاد تسمح بحقها من النفقة والاستمتاع، والرجل لا تكاد نفسه تسمح بان يقسم لها، وان يمسكها إذا رغب عنها وأحب غيرها.

(وإن تحسنوا وتتقوا) أى وإن تحسنوا في معاملة النساء، وتتقوا الله بترك الجور عليهن

(فإن الله كان بما تعملون خبيراً) أى فإن الله عالم بما تعملون، وسيجزىكم عليه أوفر الجزاء⁽⁹⁶³⁾.

(يَا أَيُّهَا الَّذِينَ ءَامَنُوا كُونُوا قَوَّامِينَ بِالْقِسْطِ شُهَدَاءَ لِلَّهِ وَلَوْ عَلَىٰ أَنفُسِكُمْ أَوِ الْوَالِدِينَ وَالْأَقْرَبِينَ إِن يَكُنْ غَنِيًّا أَوْ فَقِيرًا فَاللَّهُ أَوْلَىٰ بِهِمَا فَلَا تَتَّبِعُوا الْهَوَىَٰ أَن تَعْدِلُوا وَإِن تَلَوَّا أَوْ نَعَرَصُوا فَإِنَّ اللَّهَ كَانَ بِمَا تَعْمَلُونَ خَبِيرًا ۝ ١٣٥)

(

⁽⁹⁵⁷⁾ مسند أحمد / ح (24809) سنن أبي داود 2/242 ح (2135) المستدرک 2/68/203 ح (2760) وقال صحيح الإسناد ولم يخرجاه سنن البيهقي الكبرى 7/74 ح (13212) المعجم الكبير 24/31 ح (81) وفي إسناده عبد الرحمن بن أبي الزناد أخرجه له مسلم وفيه بعض الكلام وقال الحافظ: صدوق تغير حفظه لما قدم بغداد، قال الإمام أبو داود رحمه الله حدثنا أحمد بن يونس ثنا عبد الرحمن يعني بن أبي الزناد عن هشام بن عروة عن أبيه قال قالت عائشة - به - وله شاهد عند أبي عوانة 3/134 ح (4473) قال أبو عوانة رحمه الله: روى رجاء عن وكيع عن هشام بن عروة عن أبيه عن عائشة في قول الله عز وجل وإن امرأة خافت من بعلها نشوزاً أو إعراضاً النساء وذكر الحديث هذا صورته صورة المعلق

⁽⁹⁵⁸⁾ مسند الطيالسي 349 ح (2683) سنن البيهقي الكبرى 7/297 ح (14512) تفسير الطبري 5/310 سنن الترمذي 5/249 ح (3040) وقال: حسن غريب المعجم الكبير 11/284 ح () وغيرهم وإسناده صحيح قال أبو داود الطيالسي حدثنا سليمان بن معاذ عن سماك بن حرب عن عكرمة عن بن عباس قال خشيت سودة أن يطلقها رسول الله ﷺ فقالت ثم يا رسول الله لا تطلقني وامسكني واجعل يومى لعائشة ففعل فنزلت هذه الآية وإن امرأة خافت من بعلها نشوزاً أو إعراضاً الآية فما اصطلح عليه من شيء فهو جائز ⁽⁹⁵⁹⁾ سنن البيهقي الكبرى 7/75 ح (13214) مسند الشافعي 260 المؤلف: محمد بن إدريس أبو عبد الله الشافعي. [150 - 204]. الناشر: دار الكتب العلمية - بيروت

صنفت ابن أبي شيبة 3/501 سنن سعيد بن منصور ح (701) مسند إسحاق 2/206 (711) كلهم عن الزهري عن سعيد بن المسيب مراسلا ⁽⁹⁶⁰⁾ مستدرک الحاكم 2/338 ح (3205) وقال صحيح على شرط الشيخين وهو عند مالك عن الزهري مراسلا 2/548 وكذلك عند الطبري 5/309 مراسلا وهو عند عبد الرزاق 6/238 ح (10653) عن الزهري عن سعيد بن المسيب وسليمان بن يسار: أن رافع بن خديج فرواه مراسلا ويشبه أن يكون المرسل هو المحفوظ والله أعلمومع ذلك فقد احتج عدد من العلماء بمرسل سعيد بن المسيب وفي النفس من قبول المرسل شيء والرد عليه مثل ما تقدم في رواية علي بن أبي طلحة عن ابن عباس ⁽⁹⁶¹⁾ سنن ابن ماجه 1/634 ح (1974) والحاكم 2/68 ح (2352) وإسناده صحيح وفيه عمر بن علي المقدمي، وهو مدلس لكنه صرح بالتحديث كما عند الحاكم قال أبو عبد الله الحاكم: حدثنا أبو العباس محمد بن إسحاق الصيغي حدثنا الحسن بن علي بن زياد حدثنا عبد الأعلى بن حماد حدثنا عمر بن علي حدثنا هشام بن عروة عن أبيه عن عائشة ⁽⁹⁶²⁾ تفسير الطبري 5/311 وفي إسناده المثني بن الصباح بالإضافة إلى إرساله

⁽⁹⁶³⁾ صفوة التفسير - للصابوني (200/1)

قوله تعالى: (يا أيها الذين آمنوا كونوا قوامين) - الآية.

369. أخرج ابن أبي حاتم عن السدي قال: لما نزلت هذه الآية في النبي ﷺ، اختصم إليه رجلان غني وفقير، وكان ﷻ مع الفقير يرى أن الفقير لا يظلم الغني، فأبى الله إلا أن يقوم بالقسط في الغنى والفقير⁽⁹⁶⁴⁾». «

[تعليق]

ذكر المؤلف رحمه الله أثراً واحداً في سبب نزول هذه الآية وهو أمر يشمل النبي ﷻ وغيره في الحكم بين الناس بالقسط فانه تعالى أعلم من المحق من المبطل فليس الغنى والفقير مقياس العدل، بل مقياس العدل الحق، فربما يظلم الفقير ويتكبر كما قال النبي ﷻ: "ثلاثة لا يكلمهم الله يوم القيامة ولا يزكيهم ولا ينظر إليهم ولهم عذاب أليم شيخ زان وملك كذاب وعائل مستكبر"⁽⁹⁶⁵⁾. وجاء في سبب نزول هذه الآية ما ذكره الإمام ابن الجوزي قال: والثاني: أنها متعلقة بقصة ابن أبيرق، فهي خطاب للذين جادلوا عنه، ذكره أبو سليمان الدمشقي⁽⁹⁶⁶⁾. قلت: هذا محتمل لا سيما وأن سياق الآيات وارد في هذه القصة، وحكم الآية عام فهو خطاب لكل مؤمن بأن يعدل في حكمه والله تعالى أعلم.

[تفسير مختصر للآية]

(يا أيها الذين آمنوا كونوا قوامين بالقسط) أي يا من أنتم بالله وصدقتم بكتابه، كونوا مجتهدين في إقامة العدل والاستقامة، وأتى بصيغة المبالغة في [قوامين] حتى لا يكون منهم جور أبداً. (شهداء لله) أي تقيمون شهادتكم لوجه الله، دون تحيز ولا محاباة. (ولو على أنفسكم أو الوالدين والأقربين) أي ولو كانت تلك الشهادة على أنفسكم، أو على آبائكم أو أقربائكم، فلا تمنعكم القرابة ولا المصلحة، عن أداء الشهادة على الوجه الاكمل، فان الحق حاكم على كل انسان. (ان يكن غنياً أو فقيراً) أي ان يكن المشهود عليه (غنياً) فلا يراعى لغناه، أو (فقيراً) فلا يمتنع من الشهادة عليه، ترحموا واشفاقا. (فانه أولى بهما) أي فانه أولى بالغني والفقير، وأعلم ثما فيه صلاحهما، فراعوا أمر الله فيما أمركم به، فإنه اعلم بمصالح العباد منكم. (فلا تتبعوا الهوى ان تعدلوا) أي فلا تتبعوا هوى النفس مخافة أن تعدلوا بين الناس. قال ابن كثير: أي لا يحملنكم الهوى والعصبيّة، على ترك العدل في شؤونكم، بل الزموا العدل على كل حال. (وان تلوا أو تعرضوا) أي وان تلوا أو ألتنتم عن شهادة الحق، أو تعرضوا عن اقامتها رأساً. (فان الله كان بما تعملون خبيراً) فيجازيكم عليه⁽⁹⁶⁷⁾.

(لَا يُحِبُّ اللَّهُ الْجَهْرَ بِالسُّوءِ مِنَ الْقَوْلِ إِلَّا مَنْ ظَلَمَ وَكَانَ اللَّهُ سَمِيعًا عَلِيمًا ۝ ١٤٨)

قوله تعالى: (لا يحب الله الجهر) - الآية.

370. أخرج هناد بن السري في كتاب الزهد عن مجاهد قال: «أنزلت: (لا يحب الله الجهر بالسوء من القول إلا من ظلم) في رجل أضاف رجلاً بالمدينة، فأساء قرأه فتحول عنه فجعل يثني عليه بما أولاه، فرخص له أن يثني عليه بما أولاه⁽⁹⁶⁸⁾».

[تعليق]

ذكر المؤلف هذا الأثر الوحيد عن مجاهد في سبب نزول هذه الآية، وهو يدل على تحريم الجهر بالسوء من القول وهو يشمل كذلك الفعل، واستثنى الله تعالى المظلوم، فله أن يشتكى بمقدار مظلمته ولا يجاوز الحد. وروى ابن جرير عن ابن عباس قوله: (لا يحب الله الجهر بالسوء من القول)، يقول: لا يحب الله أن يدعو أحداً على أحد، إلا أن يكون مظلوماً، فإنه قد أرحص له أن يدعو على من ظلمه، وذلك قوله: "إلا من ظلم"⁽⁹⁶⁹⁾. انتهى ومن المواطن الذي يجوز فيها الغيبة أن يظلم الإنسان فيجوز له أن يغتاب من ظلمه عند القاضي لقوله ﷻ "لي ُ الواجد يحل عرضه وعقوبته"⁽⁹⁷⁰⁾. والمراد بلي الواجد أي مظل الغنى بحق من له الحق. وذكر في سبب نزول الآية سبب آخر غير ما ذكره المؤلف. قال مقاتل تفسير نزلت في أبي بكر، رضى الله عنه، «شتمه رجل والنبي صلى الله عليه وسلم جالس، فسكت عنه مرارا، ثم رد عليه أبو بكر، رضى الله عنه، فقام النبي ﷻ عند ذلك، فقال أبو بكر، رضى الله عنه: يا رسول الله، شتمني وأنا ساكت، فلم

(964) تفسير ابن أبي حاتم 4/1088 تفسير الطبري 5/321 مرسل، وفيه أسباط عن السدي

(965) صحيح مسلم - (72 / 1)

(966) زاد المسير (2 / 221)

(967) صفوة التفاسير - للصابوني (1 / 201)

(968) الزهد لهناد 2/512 ح (1056) وفي إسناده حميد الأعرج ضعيف بالإضافة إلى إرساله.

(969) جامع البيان (تفسير الطبري) (9 / 344)

(970) سنن أبي داود (3 / 349)

تقل له شيئاً، حتى إذا رددت عليه قمت، قال: « إن ملكا كان يجيب عنك، فلما أن رددت عليه، ذهب الملك وجاء الشيطان، فلم أكن لأجلس عند مجئ الشيطان به» (971).

وحمل الآية على عمومها أولى فإن الأثر الأول مرسل ضعيف الإسناد والثاني مرسل كذلك فالآية عامة والله تعالى أعلم.

[تفسير مختصر للآية]

(لا يحب الله الجهر بالسوء من القول إلا من ظلم) أى لا يحب الله الفحش في القول، والإيذاء باللسان، إلا المظلوم فإنه يباح له أن يجهر بالدعاء على ظالمه، وأن يذكره بما فيه من سوء. قال ابن عباس: المعنى: لا يحب الله أن يدعو احد على احد، إلا أن يكون مظلوماً.

(وكان الله سميعاً عليماً) أى سميعاً لدعاء المظلوم، عليماً بالظالم (972).

(يَسْأَلُكَ أَهْلُ الْكِتَابِ أَنْ تَنْزِلَ عَلَيْهِمْ كِتَابًا مِّنَ السَّمَاءِ فَقَدْ سَأَلُوا مُوسَىٰ أَكْبَرَ مِنْ ذَلِكَ فَقَالَ وَآرَأَىٰ اللَّهُ جَهْرَةَ فَأَخَذْتَهُمُ الصَّعِقَةَ يُظْلِمُهُمُ ثُمَّ اتَّخَذُوا الْعِجْلَ مِنْ بَعْدِ مَا جَاءَتْهُمْ الْبَيِّنَاتُ فَعَفَوْنَا عَن ذَلِكَ وَآتَيْنَا مُوسَىٰ سُلْطَانًا مُّبِينًا (١٥٣)

قوله تعالى: (يسألك أهل الكتاب) - الآية.

371. أخرج ابن جرير عن محمد بن كعب القرظي قال: « جاء ناس من اليهود إلى رسول الله ﷺ، فقالوا: إن موسى جاءنا بالألواح من عند الله، فأتانا بالألواح حتى نصدقك، فأنزل الله: (يسألك أهل الكتاب) إلى قوله (بهتاناً عظيماً) فجثا رجل من اليهود فقال: ما أنزل الله عليك ولا على موسى ولا على عيسى ولا على أحد شيئاً، فأنزل الله: (وما قدروا الله حق قدره) - الآية (973) ». »

[تعليق]

ذكر المؤلف رحمه الله أثراً واحداً في سبب نزول هذه الآية، وروى الإمام ابن الجوزي: أن اليهود والنصارى أتوا إلى رسول الله صلى الله عليه وسلم، فقالوا: لا نبايعك حتى تأتينا بكتاب من عند الله إلى فلان أنك رسول الله، وإلى فلان بكتاب أنك رسول الله، فنزلت هذه الآية، هذا قول ابن جريج (974).

قلت: وذكر النصارى في ذلك مع اليهود محتمل، فإن نصارى نجران وفدوا على رسول الله صلى الله عليه وسلم، وقد ذكر العلماء قصة وفودهم في سورة آل عمران، ويشهد لذلك ظاهر الآية، والله تعالى أعلم.

[تفسير مختصر للآية]

(يسألك أهل الكتاب أن تنزل عليهم كتاباً من السماء) نزلت في أحبار اليهود حين قالوا للنبي صلى الله عليه وسلم إن كنت نبياً فأتنا بكتاب من السماء جملة، كما تى به موسى جملة، وإنما طلبوا ذلك على وجه التعنت والعناد، فذكر تعالى ان في سؤالهم لنبيهم موسى ما هو أفظع وأشنع، تسلية للنبي صلى الله عليه وسلم للتأسي بالرسول فقال:

(فقد سألو موسى أكبر من ذلك فقالوا أرنا الله جهرة) أى سألو موسى رؤية الله عز وجل عياناً.

(فأخذتهم الصاعقة بظلمهم) أى جاء بهم من السماء نار فاهلكتهم بسبب ظلمهم.

(ثم اتخذوا العجل من بعد ما جاءتهم البينات) أى ثم اتخذوا العجل إلهاً وعبده، من بعد ما جاءتهم المعجزات والحجج الباهرات، من العصا، واليد وقلق البحر وغيرها. قال ابو السعود: وهذه المسألة - وهي طلب رؤية الله - لأن صدرت عن أسلافهم، لكنهم لما كانوا مقتدين بهم في كل ما ياتون ويذرون أسندت اليهم.

(فعفونا عن ذلك) أى عفونا عما ارتكبه مع عظم جريمتهم وخيانتهم.

(وآتينا موسى سلطاناً مبيناً) أى حجة ظاهرة تظهر صدقه وصحة نبوته. قال الطبري: وتلك الحجة هي الآيات البينات التي آتاه الله إياها (975).

(إِنَّا أَوْحَيْنَا إِلَيْكَ كَمَا أَوْحَيْنَا إِلَىٰ نُوحٍ وَالنَّبِيِّينَ مِن بَعْدِهِ وَأَوْحَيْنَا إِلَىٰ إِبْرَاهِيمَ وَإِسْمَاعِيلَ وَإِسْحَاقَ وَيَعْقُوبَ وَآلِ يُونُسَ وَأَيُّوبَ وَيُوسُفَ وَهَارُونَ وَسُلَيْمَانَ وَآتَيْنَا دَاوُدَ زَبُورًا (١٦٣)

(971) مقاتل بن سليمان (1/ 267)

(972) صفوة التفسير - للصابوني (1/ 204)

(973) تفسير الطبري 6/7 وفي إسناده أبو معشر ضعيف بالإضافة إلى إرساله، وروى نحوه عن السدي.

(974) زاد المسير في علم التفسير (2/ 140)

(975) صفوة التفسير - للصابوني (1/ 205)

قوله تعالى: (إنا أوحينا إليك) - الآية.

372. [ك] روى ابن إسحاق عن ابن عباس قال: « قال عدي بن زيد: ما نعلم أن الله أنزل على بشر من شيء من بعد موسى فأنزل الله: (إنا أوحينا إليك) (976) ».

[تعليق]

ذكر المؤلف رحمه الله هذا الأثر الوحيد في سبب نزول هذه الآية وهو أثر ضعيف الإسناد ولم أجد له شاهداً، وهو يدل على جحد اليهود لنبوة محمد □ كما قال تعالى (وَمَا قَدَرُوا اللَّهَ حَقَّ قَدْرِهِ إِذْ قَالُوا مَا أَنْزَلَ اللَّهُ عَلَى بَشَرٍ مِّن شَيْءٍ قُلْ مَنْ أَنْزَلَ الْكِتَابَ الَّذِي جَاءَ بِهِ مُوسَى نُورًا وَهُدًى لِلنَّاسِ تَجْعَلُونَهُ قَرَاطِيسَ يُبَدُونَهَا وَتُخْفُونَ كَثِيرًا وَعُلَّمْتُمْ مَا لَمْ تَعْلَمُوا أَنَّكُمْ وَلَا آبَاؤُكُمْ قُلِ اللَّهُ ثُمَّ دَرَاهُمْ فِي خَوْضِهِمْ يَلْعَبُونَ) [سورة الأنعام (91)].

[تفسير مختصر للآية]

(إنا أوحينا إليك كما أوحينا الى نوح والنبيين من بعده) أى نحن أوحينا إليك يا محمد، كما أوحينا الى نوح والأنبياء من بعده، وإنما قدم □ في الذكر، وإن تأخرت نبوته، لتقدمه في الفضل (وأوحينا الى ابراهيم وإسماعيل واسحق ويعقوب والاسباط وعيسى وأيوب ويونس وهارون وسليمان) أي وأوحينا الى سائر النبيين " ابراهيم واسماعيل " الخ خص تعالى بالذكر هؤلاء تشريفاً وتعظيماً لهم، وبدأ بعد محمد بين بنوح لأنه شيخ الانبياء وأبو البشر الثاني، ثم ذكر ابراهيم لأنه الاب الثالث، ومنه تفرعت شجرة النبوة كما قال تعالى: [وجعلنا فى ذريته النبوة والكتاب] وقدم عيسى على أنبياء كانوا قبله، لشدة العناية بأمره، ولغو اليهود في الطعن فيه حيث جعلوه ابن زنى، والنصارى في تقديسه حيث جعلوه ابن الله. (وأوتينا داود زبوراً) أى وخصصنا داود بالزبور، قال القرطبي: كان فيه مائة وخمسون سورة، ليس فيها حكم من الاحكام، وإنما هي حكم ومواعظ. (ورسلا قد قصصناهم عليك من قبل) أى وارسلنا رسلا كثيرين، منهم من ذكرنا أخبارهم لك يا محمد في غير هذه السورة. (ورسلا لم نقصصهم عليك) أى ورسلا آخرين لم نخبرك عن أحوالهم. (وكلم الله موسى تكليماً) أى وخص الله موسى بأن كلمه بلا واسطة، ولهذا سمي الكليم (977).

(لَكِنَّ اللَّهَ يَشْهَدُ بِمَا أَنْزَلَ إِلَيْكَ أَنْزَلَهُ بِعِلْمِهِ وَالْمَلَكُ يَشْهَدُونَ وَكَفَىٰ بِاللَّهِ شَهِيدًا ۝ ١٦٦)

قوله تعالى: (لكن الله يشهد) - الآية.

373. روى ابن إسحاق عن ابن عباس قال: « دخل جماعة من اليهود على رسول الله □ فقال لهم: « إني والله أعلم أنكم تعلمون أني رسول الله » فقالوا: ما نعلم ذلك فأنزل الله: (لكن الله يشهد) (978) ».

[تعليق]

ذكر المؤلف رحمه الله أثراً واحداً في سبب نزول هذه الآية. والقول فيه كالقول في سابقه وهذه الآية متصلة في المعنى بما قبلها، فالله تعالى أوحى إلى محمد □ بالرسالة وصدقها عليها وشهد له بها وهو خير الشاهدين. وقد جاء في سبب نزول هذه الآية كذلك ما أخرجه الواحدي قال: قال الكلبي: إن رؤساء أهل مكة أتوا رسول الله □ فقالوا: سألنا عنك اليهود فزعموا أنهم لا يعرفونك، فأنتا بمن يشهد لك أن الله بعثك إلينا رسولا، فنزلت هذه الآية (لكن الله يشهد) (979).

[تفسير مختصر للآية]

(لكن الله يشهد بما أنزل إليك) أى ان لم يشهد لك هؤلاء بالنبوة، فالله يشهد لك بذلك، بما أنزل إليك من القرآن المعجز. (انزله بعلمه والملائكة يشهدون) أى انزله بعلمه الخاص الذي لا يعلمه غيره، بأسلوب يعجز عنه كل بليغ، والملائكة يشهدون كذلك بما أنزل الله إليك ويشهدون بنبوتك. (وكفى بالله شهيدا) أى كفى الله شاهداً لك، فشهادته تعالى تغنيك وتكفيك، لم ان لم يشهد غيره (980).

(يَسْتَفْتُونَكَ قُلِ اللَّهُ يُفْتِيكُمْ فِي الْكَلِمَةِ إِنِ امْرُؤٌ هَلَكَ لَيْسَ لَهُ وَلَدٌ وَلَهُ أُخْتٌ فَلَهَا نِصْفُ مَا تَرَكَ وَهُوَ يَرِثُهَا إِن لَّمْ يَكُنْ لَهَا وَلَدٌ فَإِن كَانَتَا أَنْثَىٰنِ فَلَهُمَا التُّرْتَانِ مِمَّا تَرَكَ وَإِن كَانُوا إِخْوَةً رِّجَالًا وَنِسَاءً فَلِلذَّكَرِ مِثْلُ حَظِّ الْأُنثَىٰنِ يُبَيِّنُ اللَّهُ لَكُمْ أَن تَضِلُّوا وَاللَّهُ بِكُلِّ شَيْءٍ عَلِيمٌ ۝ ١٧٦)

(976) تفسير الطبري 6/28 وإسناده ضعيف لجهالة محمد بن أبي محمد وتقدم غير مرة

(977) صفوة التفسير - للصابوني (1/208)

(978) تفسير الطبري 6/31 وإسناده ضعيف نفس العلة السابقة

(979) أسباب النزول للواحدي (124)

(980) صفوة التفسير - للصابوني (1/208)

قوله تعالى: (يستفتونك قل الله يفتيكم في الكلاله) - الآية

374. روى النسائي من طريق أبي الزبير عن جابر قال: «اشتكت فدخل علي رسول الله ﷺ فقلت: يا رسول الله أوصي لأخواتي بالثلث؟ قال: «أحسن» قلت: بالشرط قال: «أحسن»، ثم خرج ثم دخل علي قال: «لا أراك تموت في وجعك هذا إن الله أنزل وبين ما لأخواتك وهو الثلثان»، فكان جابر يقول نزلت هذه الآية في (981) (يستفتونك قل الله يفتيكم في الكلاله) (982) « قال الحافظ ابن حجر: هذه قصة أخرى لجابر غير التي تقدمت في أول السورة.

375. [ك] وأخرج ابن مردويه عن عمر: «أنه سأل النبي ﷺ كيف يورث الكلاله؟ فأنزل الله: (يستفتونك قل الله يفتيكم في الكلاله) إلى آخرها (983)». تنبيهه إذا تأملت ما أوردناه من أسباب نزول آيات هذه السورة عرفت الرد على من قال بأنها مكية.

[تعليق]

ذكر المؤلف رحمه الله أثرين في سبب نزول هذه الآية وهي المعروفة بآية الكلاله الكبرى، والكلاله الصغرى هي التي وردت في أول السورة في قوله تعالى (وإن كان رجل يورث كلاله أو امرأة وله أخ أو أخت) يعني الأخوة لأم، أما هنا فنذكر حكم الأخوة الأشقاء أو لأب. وقصة جابر كما قال الحافظ ابن حجر وذكره المؤلف تكررت مرتين، وقد ذكرنا القصة الأولى في أول السورة. أما كونها نزلت في سؤال عمر فهذا غير صحيح لأن الراجح أن عمر سألها بعد ما أنزلت، وهذه الآية مما أشكل فهمه على عمر رضى الله عنه فسأل عنها النبي ﷺ .

وفي صحيح مسلم ومسنند أحمد وغيرهما: قال عمر رضي الله عنه: ما سألت رسول الله صلى الله عليه وسلم عن شيء أكثر مما سألته عن الكلاله حتى طعن بأصبعة في صدري وقال تكفيك آية الصيف التي في آخر سورة النساء (984).

[تفسير مختصر للآية]

(يستفتونك قل الله يفتيكم في الكلاله) أي يستفتونك يا محمد في شأن الميت، إذا مات ولم يكن له والد، أو ولد، من يرثه؟ (ان امرؤ هلك ليس له ولد) أي قل لهم من مات وليس له والد أو ولد، وهي الكلاله. (وله أخت فلها نصف ما ترك) أي وله أخت شقيقة، أو أخت لأب، فلها نصف ما ترك أخوها. (وهو يرثها إن لم يكن لها ولد) أي وأخوها الشقيق، أو لأب يرث جميع ما تركت، إن لم يكن لها ولد. (فإن كانتا اثنتين فلهما الثلثان مما ترك) أي إن كانت الاختان ابنتين فأكثر، فلهما الثلثان مما ترك أخوهما. (وإن كانوا أخوة رجالاً ونساء فللذكر مثل حظ الأنثيين) أي وإن كان الورثة مختلطين أخوة وأخوات، فللذكر منهم مثل نصيب الاختين. (يبين الله لكم أن تضلوا) أي يبين الله لكم أحكامه وشرائعه، خشية أن تضلوا (والله بكل شيء عليم) أي يعلم ما فيه مصلحتكم ومنفعتكم، فهو تعالى العالم بمصالح العباد في المحيا والممات، وسيجازيهم على أعمالهم في الآخرة (985).

انتهت سورة النساء

سُورَةُ الْمَائِدَةِ

(يَا أَيُّهَا الَّذِينَ آمَنُوا أَوْفُوا بِالْعُقُودِ أُحْلِلْتُ لَكُمْ بِهِمَةَ الْأَنْعَامِ إِلَّا مَا يُتْلَى عَلَيْكُمْ غَيْرَ مُحْلِي الصَّيِّدِ وَأَنْتُمْ حُرْمٌ إِنَّ اللَّهَ يَحْكُمُ مَا يُرِيدُ ١ يَا أَيُّهَا الَّذِينَ آمَنُوا لَا تَحْلُوا شَعِيرَ اللَّهِ وَلَا الشَّهْرَ الْحَرَامَ وَلَا الْهَدْيَ وَلَا الْقَلَئِدَ وَلَا أَمْمِينَ الْبَيْتِ الْحَرَامِ يَبْتَغُونَ فَضْلًا مِّن رَّبِّهِمْ وَرِضْوَانًا وَإِذَا حَلَلْتُمْ فَاصْطَادُوا وَلَا يَجْرِمَنَّكُمْ شَنَا نُ قَوْمٍ أَن صَدَّقْتُم مِّنَ الْمَسْجِدِ الْحَرَامِ أَن تَعْتَدُوا وَتَعَاوَنُوا عَلَى الْبِرِّ وَالتَّقْوَىٰ وَلَا تَعَاوَنُوا عَلَى الْإِنْتِمِ وَالْعُدُونِ وَأْتَفَوْا اللَّهَ إِنَّ اللَّهَ شَدِيدُ الْعِقَابِ ٢)

قوله تعالى: (لا تحلوا شعائر الله) - الآية.

376. أخرج ابن جرير عن عكرمة قال: «قدم الحطم بن هند البكري (986) المدينة في غير له يحمل طعاماً

(981) (في) ساقطة من المخطوط

(982) مسند أبي عوانة 3/439 ح (5608) مسند أحمد 3/372 ح (15040) سنن البيهقي الكبرى 6/231 ح (12105) وإسناده صحيح، غير أن فيه عنعنة أبي الزبير.

(983) إسناده ابن مردويه ذكره الحافظ ابن كثير في تفسيره 1/595 من طريق عمرو بن مرة عن سعيد بن المسيب: «أن عمر سأل رسول الله ﷺ كيف تورث الكلاله؟ قال فأنزل الله: (يستفتونك) - الآية. قال: فكان عمر لم يفهم، فقال لحفصة: إذا رأيت من رسول الله ﷺ طيب نفس فسليه عنها، فرأت منه طيب نفس فسألته عنها، فقال: أبوك ذكر لك هذا ما أرى أباك يعلمها، قال: فكان عمر يقول: ما أراني أعلمها وقد قال رسول الله ﷺ ما قال» مرسل صحيح الإسناد (984)

صحيح مسلم - (2/81)

(985) صفة التفسير - للصابوني (1/210)

(986) الحطم بن هند اسمه شريح بن ضبيعة بن هند بن شرحبيل البكري انظر الكشف والبيان عن تفسير القرآن (4/8)

(181)

فباعه ثم دخل على النبي ﷺ فبايعه وأسلم فلما ولى خارجاً نظر إليه فقال لمن عنده: «لقد دخل علي بوجه فاجر وولى بقفا غادر» فلما قدم اليمامة ارتد عن الإسلام وخرج في غير له يحمل الطعام في ذي القعدة يريد مكة، فلما سمع به أصحاب النبي ﷺ تهيأ للخروج إليه نفر من المهاجرين والأنصار ليقتطعوه⁽⁹⁸⁷⁾ في غيره فأنزل الله: (يا أيها الذين آمنوا لا تحلوا شعائر الله) الآية. فانتهى القوم⁽⁹⁸⁸⁾.

377. وأخرج عن السدي نحوه⁽⁹⁸⁹⁾.

قوله تعالى: (ولا يجرمنكم الآية)

378. أخرج ابن أبي حاتم عن زيد بن أسلم قال: «كان رسول الله ﷺ بالحديبية وأصحابه حين صدهم المشركون عن البيت وقد اشتد ذلك عليهم، فمر بهم أناس من المشركين من أهل المشرق يريدون العمرة فقال أصحاب النبي ﷺ: نصد هؤلاء كما صدوا أصحابنا فأنزل الله: (ولا يجرمنكم) - الآية⁽⁹⁹⁰⁾».

[تعليق]

سورة المائدة سورة مدنية وسميت المائدة لذكر المائدة فيها في قوله تعالى حكاية عن بنى إسرائيل عندما قالوا لعيسى عليه الصلاة والسلام (أنزل علينا مائدة من السماء). وشأن سورة المائدة شأن السور المدنية حيث تعرضت للجانب التشريعي من حياة المؤمنين ففيها من التشريع والأحكام الخاصة والعامة، وهي من آخر ما نزل من القرآن وليس فيها منسوخ على قول بعض أهل العلم. وقيل نسخ منها آياتان قال الإمام السيوطي⁽⁹⁹¹⁾ وأخرج أبو داود في ناسخه، وابن أبي حاتم والنحاس والحاكم وصححه عن ابن عباس قال: نسخ من هذه السورة آيتان آية، القلائد وقوله (فإن جاؤوك فاحكم بينهم أو أعرض عنهم) المائدة الآية 42. ذكر المؤلف رحمه الله أثراً واحداً في سبب نزول هذه الآية وقد اختصره وسياقه عند الإمام الطبري بعد ما ولى من عند النبي ﷺ قال: فمرّ بسرح المدينة فاستاقه وانطلق به وهو يرتجز:

لقد لفها الليل بسواق حطم *** ليس براعي إبل ولا غنم
ولا بجزار على ظهر الوضم *** باتوا نياماً وابن هند لم ينم
بات يقاسيها غلام كالزلم *** خلج الساقين مسموح القدم

فلما كان في العام القابل خرج حاجاً في حجاج بكر بن وائل من اليمامة ومعه تجارة عظيمة وقد قلدوا الهدى فقال ناس من أصحابه للنبي صلى الله عليه وسلم: هذا الحطم خرج حاجاً فحل بيننا وبينه، فقال النبي صلى الله عليه وسلم: «مه قد قلد الهدى». فقال لرسول الله (صلى الله عليه وآله وسلم): (إنما هذا شيء كنا نفعله في الجاهلية. فأبى النبي صلى الله عليه وسلم: فأنزل الله عز وجل (يا أيها الذين آمنوا لا تحلوا شعائر الله)⁽⁹⁹²⁾.

[تفسير مختصر للآية]

(يا أيها الذين آمنوا لا تحلوا شعائر الله) أي لا تستحلوا حرمان الله، ولا تتعدوا حدوده، قال الحسن: يعني شرائعه التي حدها لعباده، وقال ابن عباس: ما حرم عليكم في حال الإحرام.
(ولا الشهر الحرام ولا الهدى ولا القلائد) أي ولا تستحلوا الشهر الحرام بالقتال فيه، ولا ما أهدى إلى الكعبة، أو قلد بقلادة ليعرف أنه هدى بالتعرض له ولأصحابه.
(ولا أمين البيت الحرام يبتغون فضلا من ربهم ورضوانا) أي ولا تستحلوا قتال الفاصدين إلى بيت الله الحرام، لحج أو عمرة، نهى تعالى عن الإغارة عليهم، أو صدهم عن البيت كما كان أهل الجاهلية يفعلون.
(وإذا حللتم فاصطادوا) أي إذا تحللتم من الإحرام فقد أبيع لكم الصيد.
(ولا يجرمنكم شأن قوم أن صدوكم عن المسجد الحرام أن تعتدوا) أي لا يحملنكم بغض قوم كانوا قد صدوكم عن المسجد الحرام على أن تعتدوا عليهم.
(وتعاونوا على البر والتقوى ولا تعاونوا على الإثم والعدوان) أي تعاونوا على فعل الخيرات، وترك المنكرات، وافعلوا كل ما يقربكم إلى الله تعالى.
(واتقوا الله إن الله شديد العقاب) أي خافوا عقابه، فإنه تعالى شديد العقاب لمن عصاه⁽⁹⁹³⁾.

(حُرِّمَتْ عَلَيْكَ الْمَيْمِئَةُ وَالِدَّمَ وَلَحْمَ الْخِنْزِيرِ وَمَا أَهَلَ لِغَيْرِ اللَّهِ بِهِ وَالْمُنْخَنِفَةُ وَالْمَوْفُوذَةُ وَالْمُتَرَدِّيةُ وَالنَّطِيعَةُ وَمَا أَكَلَ السَّبْعُ إِلَّا مَا دَكَّيْتُمْ وَمَا دُبِحَ عَلَى النَّصَبِ وَأَنْ تَسْتَقْسِمُوا بِالْأَزْلَمِ ذَلِكَ فِيسَقَ الْيَوْمَ يَبْسُ الَّذِينَ كَفَرُوا مِنْ

وهو: أحد بني قيس بن ثعلبة، قدم المدينة في رواية في غير له يحمل طعاماً فباعه، ثم دخل على النبي، فبايعه وأسلم، فلما قدم اليمامة، ارتد عن الإسلام المفصل في تاريخ العرب قبل الإسلام (100/11) المؤلف: الدكتور جواد علي الناشر: دار الساقية للطباعة: الطبعة الرابعة 1422هـ/2001م عدد الأجزاء: 20 جزءاً.

⁽⁹⁸⁷⁾ في الخطوط [للقائلون]

⁽⁹⁸⁸⁾ تفسير ابن جرير 6/58 بسياق أصول مما ذكره المؤلف وفي إسناده سنيد ضعيف بالإضافة إلى إرساله.

⁽⁹⁸⁹⁾ تفسير ابن جرير 6/57 مرسل ضعيف.

⁽⁹⁹⁰⁾ انظر إسناده في تفسير ابن كثير 2/7 مرسل ضعيف

⁽⁹⁹¹⁾ الدر المنثور في التفسير بالمأثور للسيوطي (160/5) عبد الرحمن بن أبي بكر السيوطي ت: (911هـ) تحقيق: مركز هجر للبحوث الناشر: دار هجر - مصر سنة

النشر: [1424هـ - 2003م]

⁽⁹⁹²⁾ جامع البيان (تفسير الطبري) (472/9)

⁽⁹⁹³⁾ صفوة التفسير - للصابوني (212/1)

دِينِكُمْ فَلَا تَخْشَوْهُمْ وَاخْشَوْنَ الْيَوْمَ أَكْمَلْتُ لَكُمْ دِينَكُمْ وَأَتِمَمْتُ عَلَيْكُمْ نِعْمَتِي وَرَضِيْتُ لَكُمُ الْإِسْلَامَ دِينًا فَمَنِ اضْطُرَّ فِي مَخْمَصَةٍ غَيْرَ مُتَجَانِفٍ لِإِثْمٍ فَإِنَّ اللَّهَ غَفُورٌ رَحِيمٌ (٣)

قوله تعالى: (حرمت عليكم الميتة) - الآية.

379. أخرج ابن منده في كتاب الصحابة من طريق عبد الله بن جبلة بن حيان بن أاجر عن أبيه عن جده حبان قال: « كنا مع رسول الله ﷺ وأنا أوقد تحت قدر فيها لحم ميتة، فأنزل تحريم الميتة فأكفأت القدر⁽⁹⁹⁴⁾ »

[تعليق]

ذكر المؤلف رحمه الله تعالى أثراً واحداً في سبب نزول هذه الآية، ولم أجد في كتب أسباب النزول غيره، وقد سبق في سورة البقرة ذكر تحريم الميتة، ثم ذكره هنا كذلك في المائدة. والبقرة من أول ما نزل في المدينة، والمائدة من آخر ما نزل في المدينة، فأعادة ذكرها هنا لمزيد من التأكيد. حيث ذكر في سورة البقرة (حرمت عليكم الميتة والدم ولحم الخنزير وما أهل به لغير الله) فهذا سابقة التحريم على المائدة، ثم زاد في المائدة (المنخقة والموقوذة) - إلى آخر الآية والله تعالى أعلم.

[تفسير مختصر للآية]

(حرمت عليكم الميتة والدم ولحم الخنزير) أي حرم عليكم أيها المؤمنون أكل الميتة، وهي ما مات حتف أنفه، من غير ذكاة، والدم المسفوح ولحم الخنزير، قال الزمخشري: كان أهل الجاهلية يأكلون هذه المحرمات: البهيمة التي تموت حتف أنفها، والفصيد وهو الدم في الأمعاء يشوونه ويقولون لم يحرم من فزد - أي فصد - له وإنما ذكر (لحم الخنزير) ليبين أنه حرام بعينه حتى ولو ذبح بالطريق الشرعي.

(وما أهل لغير الله به) أي ما ذكر عليه غير اسم الله، أو ذبح لغير الله، كقولهم: باسم اللات والعزى.

(والمنخقة) هي التي تخنق بحبل وشبهه.

(والموقوذة) هي المضروبة بعصا أو حجر

(والمتردية) هي التي تسقط من جبل ونحوه.

(والنطيحة) هي التي نطحها بهيمة أخرى فماتت بالنطح.

(وما أكل السبع) أي أكل بعضه السبع فمات.

(إلا ما ذكيتم) أي إلا ما أدركتم فيه الروح من هذه الأشياء، فذبحتموه الذبح الشرعي قبل الموت، قال الطبري معناه: إلا ما طهرتموه بالذبح الذي جعله الله طهوراً للمذبح.

(وما ذبح على النصب) أي وما ذبح على الأحجار المنصوبة، قال قتادة: النصب حجارة كان أهل الجاهلية يعبدونها، ويذبحون لها، فنهى الله عن ذلك، قال بعض المفسرين: كانت لهم حجارة منصوبة حول البيت يذبحون عليها ويشرحون اللحم عليها، يعظمونها بذلك ويتقربون به إليها، فنهى الله المؤمنين عن هذا الصنيع.

(وأن تستقسموا بالأزلام) أي وحرّم عليكم الاستقسام بالأزلام أي طلب معرفة ما قسم له من الخير والشر، بواسطة ضرب القداح، قال المفسرون: كان أحدهم إذا أراد سفراً، أو غزواً، أو تجارة، أو نكاحاً، أو أمراً من معاصم الأمور ضرب بالقداح، وهي مكتوب علي بعضها، نهاني ربي، وعلى بعضها أمرني ربي، وبعضها غفل، فإن خرج الأمر مضى لغرضه، وإن خرج الناهي أمسك، وإن خرج الغفل أعاد.

(ذلكم فسق) أي تعاطيه فسق وخروج عن طاعة الله، لأنه دخول في علم الغيب، الذي استأثر الله به علام الغيوب⁽⁹⁹⁵⁾.

(يَسْأَلُونَكَ مَاذَا أَحَلَّ لَهُمْ قُلْ أَحَلَّ لَكُمْ الْطَّيِّبَاتُ وَمَا عَلَّمْتُم مِّنَ الْجَوَارِحِ مُكَلِّبِينَ تُعَلِّمُونَهُنَّ مِمَّا عَلَّمَكُمُ اللَّهُ فَكُلُوا مِمَّا أَمْسَكْنَ عَلَيْكُمْ وَادْكُرُوا اسْمَ اللَّهِ عَلَيْهِ وَاتَّقُوا اللَّهَ إِنَّ اللَّهَ سَرِيعُ الْحِسَابِ (٤)

قوله تعالى: (يسألونك ماذا أحل لهم) - الآية.

380. روى الطبراني والحاكم والبيهقي وغيرهم عن أبي رافع قال: « جاء جبريل إلى النبي ﷺ فاستأذن عليه فأذن له فأبأ فأخذ رداءه فخرج إليه وهو قائم بالباب فقال: « قد أذن لك » قال: أجل ولكننا لا ندخل بيتاً فيه صورة ولا كلب، فنظروا فإذا في بعض بيوتهم جرو، فأمر أبا رافع لا تدع كلباً بالمدينة إلا قتلته، فاتاه ناس فقالوا يا رسول الله ماذا يحل لنا منهذه الأمة التي أمرت بقتلها؟ فنزلت: (يسألونك ماذا أحل لهم) - الآية⁽⁹⁹⁶⁾.

381. وروى ابن جرير عن عكرمة « أن رسول الله ﷺ بعث أبا رافع في قتل الكلاب حتى بلغ العوالي، فدخل عاصم بن عدي وسعد بن حثمة وعويمر بن ساعدة فقالوا: ماذا أحل لنا يا رسول الله؟ فنزلت: (يسألونك

⁽⁹⁹⁴⁾ ذكره الحافظ في الأصابة 2/145 وفيه مجاهيل وحيان بن أاجر مختلف في صحبته

⁽⁹⁹⁵⁾ صفوة التفسير - للصابوني (1/213)

⁽⁹⁹⁶⁾ مستدرک الحاكم 2/340 ح (3212) مختصراً وقال صحيح الإسناد ولم يخرجاه السنن الكبرى للبيهقي 9/235 ح (18645) شرح معاني الآثار 4/57 ح (5293) المعجم الكبير 1/325، 326 ح (971) (972) التمهيد 14/235 قلت: في إسناده محمد بن إسحاق وهو مدلس قد عنعنوا تبعه موسى بن عبيدة وهو مشهور بالضعف

ماذا أحل لهم) - الآية (997)».

382. وأخرج عن محمد بن كعب القرظي قال: «لما أمر النبي ﷺ بقتل الكلاب قالوا: يا رسول الله ماذا يحل لنا من هذه الأمة؟ فنزلت (998)».

383. وأخرج من طريق الشعبي أن عدي بن حاتم الطائي قال: «أتى رجل رسول الله ﷺ يسأله عن صيد الكلاب، فلم يدر ما يقول له حتى نزلت هذه الآية: (تعلمونهن مما علمكم الله) (999)».

384. وأخرج ابن أبي حاتم عن سعيد بن جبيرة «أن عدي بن حاتم وزيد بن مهلهل الطائيين سألا رسول الله ﷺ فقالا: يا رسول الله إناقوم نصيد بالكلاب والبزاة، وإن كلاب آل ذريح تصيد البقر والحمير والظباء، وقد حرم الله الميتة، فماذا يحل لنا منها؟ فنزلت: (يسألونك ماذا أحل لهم قل أحل لكم الطيبات) (1000)».

[تعليق]

ذكر المؤلف رحمه الله خمسة آثار في سبب نزول هذه الآية، وهي تشتمل على سببين للنزول. الأول: بسبب عدم دخول جبريل البيت عندما كان فيه كلب. والملائكة لا تدخل بيتاً فيه كلب أو صورة كما روى عن النبي ﷺ. الثاني: بسبب سؤال بعض الصحابة عن الصيد بالكلاب، وفي الصحيحين: عن أبي هريرة: أن النبي صلى الله عليه و سلم قال: «من اتخذ كلباً إلا كلب ماشية أو صيد أو زرع انتقص من أجره كل يوم قيراط» (1001). ويمكن الجمع بين هذين السببين بأن يقال: لما أمر النبي ﷺ بقتل الكلاب أتاه أصحابه يسألونه عن ماذا يحل لهم منها وذلك لأنهم يصيدون بها ويحفظون بها مواشهم وغير ذلك والله أعلم. وفي قوله تعالى (قل أحل لكم الطيبات وما علمتم من الجوارح) زيادة في الجواب عن السؤال وهذا معروف في الشرع وفي البخاري "باب من أجاب السائل بأكثر مما سأله" وفي هذا الباب شواهد كثيرة وبالله التوفيق.

[تفسير مختصر للآية]

(يسألونك ماذا أحل لهم) أي يسألونك يا محمد ما الذي أحل لهم من المطاعم والمأكول؟ (قل أحل لكم الطيبات) أي قل لهم أبيع لكم المستلذات، وما ليس منها بخبيث، وحرّم كل مستقذر كالخنافس والفئران وأشباهها. (وما علمتم من الجوارح) أي وأحل لكم صيد ما علمتم من الجوارح، وهي الكلاب ونحوها مما يصطاد به. (مكلبين) أي معلمين للكلاب الاصطياد، قال الزمخشري: المكلب: مؤدب الجوارح ورائضها، واشتقاقه من الكلب لأن التأديب أكثر ما يكون في الكلاب. (تعلمونهن مما علمكم الله) أي تعلمونهن طرق الاصطياد وكيفية تحصيل الصيد، وهذا جزء مما علمه الله للإنسان. (فكلوا مما أمسكن عليكم) أي فكلوا مما أمسكن لكم من الصيد إذا لم تأكل منه، فإن أكلت فلا يحل أكله لحديث (إذا أرسلت كلبك المعلم فقتل فكل، وإذا أكل فلا تأكل، فإنما أمسكه على نفسه) وعلامة المعلم أن يسترسل إذا أرسل، وينزجر إذا زجر، وإن أمسك الصيد فلا يأكل منه، وأن يذكر اسم الله عند إرساله، فهذه أربع شروط لصحة الأكل من صيد " الكلب المعلم ". (واذكروا اسم الله عليه) أي عند إرساله. (واتقوا الله إن الله سريع الحساب) أي راقبوا الله في أعمالكم فإنه سريع المجازاة للعباد (1002).

(يَا أَيُّهَا الَّذِينَ ءَامَنُوا إِذَا قُمْتُمْ إِلَى الصَّلَاةِ فَاغْسِلُوا وُجُوهَكُمْ وَأَيْدِيَكُمْ إِلَى الْمَرَافِقِ وَامْسَحُوا بِرُءُوسِكُمْ وَأَرْجُلَكُمْ إِلَى الْكَعْبَيْنِ وَإِنْ كُنْتُمْ جُنُبًا فَاطَّهَّرُوا وَإِنْ كُنْتُمْ مَرْضَىٰ أَوْ عَلَىٰ سَفَرٍ أَوْ جَاءَ أَحَدٌ مِّنْكُمْ مِنَ الْغَائِطِ أَوْ لَمَسْتُمُ النِّسَاءَ فَلَمْ تَجِدُوا مَاءً فَتَيَمَّمُوا صَعِيدًا طَيِّبًا فَامْسَحُوا بِوُجُوهِكُمْ وَأَيْدِيكُمْ مِّنْهُ مَا يُرِيدُ اللَّهُ لِيَجْعَلَ عَلَيْكُمْ مِنْ حَرَجٍ وَلَكِنْ يُرِيدُ لِيُطَهَّرَكُمْ وَلِيُتِمَّ نِعْمَتَهُ عَلَيْكُمْ لَعَلَّكُمْ تَشْكُرُونَ ٦)

قوله تعالى: (يا أيها الذين آمنوا إذا قمتم إلى الصلاة) - الآية.

385. روى البخاري من طريق عمرو بن الحارث عن عبد الرحمن بن القاسم عن أبيه عن عائشة قالت: « سقطت قلادة لي بالبدياء ونحن داخلون المدينة، فأناخ رسول الله ﷺ ونزل فثنى رأسه في حجري راقدا وأقبل أبو بكر فلكزني لكزة شديدة وقال: حبست الناس في قلادة، ثم إن النبي ﷺ استيقظ وحضرت الصبح فالتمس الماء فلم يوجد، فنزلت: (يا أيها الذين آمنوا إذا قمتم إلى الصلاة) إلى قوله: (لعلمكم

(997) تفسير ابن جرير 6/89 مرسل ضعيف

(998) المصدر السابق وهو مرسل وفي إسناده المثني بن المصباح ضعيف.

(999) تفسير ابن جرير 6/92 عن الشعبي: « أن عدي بن حاتم قال - فهو مرسل

(1000) مرسل وأخرج نحوه عن عدي بن حاتم بإسناد فيه مجالد بن سعيد ضعيف وأما هذا الأثر فلم أجده في الكتب المسنده ولم أجد من عزاه إليه غير صاحب هذا الكتاب انظر

تفسير ابن كثير 19 ج:2

(1001) صحيح البخاري (4/158)

(1002) صفوة التقاسير - للصابوني (1/213)

تشكرون) فقال أسيد بن حضير: لقد بارك الله للناس فيكم يا آل أبي بكر⁽¹⁰⁰³⁾». 386. وروى الطبراني من طريق عباد بن عبد الله بن الزبير عن عائشة قالت: « لما كان من أمر عقدي ما كان وقال أهل الإفك ما قالوا خرجت مع رسول الله ﷺ في غزوة أخرى فسقط أيضاً عقدي حتى حبس الناس على التماسه، فقال لي أبو بكر: بنية في كل سفر تكونين عناء وبلاء على الناس، فأنزل الله الرخصة في التيمم، فقال أبو بكر: إنك لمباركة⁽¹⁰⁰⁴⁾».

تنبيهان

الأول: ساق البخاري هذا الحديث من رواية عمرو بن الحارث وفيه التصريح بأن آية التيمم المذكورة في رواية غيره هي آية المائدة، وأكثر الرواة قالوا فنزلت آية التيمم ولم يبينوها، وقد قال ابن عبد البر: هذه معضلة ما وجدت لدائها دواء لأننا لا نعلم أي الآيتين عنت عائشة، وقد قال ابن بطال: هي آية النساء أو آية المائدة، وقال القرطبي: هي آية النساء ووجهه بأن آية المائدة تسمى آية الوضوء وآية النساء لا ذكر للوضوء فيها، فيتجه تخصيصها بآية التيمم، وأورد الواحدي هذا الحديث في أسباب النزول عند ذكر آية النساء أيضاً، ولا شك أن الذي مال إليه البخاري من أنها آية المائدة هو الصواب للتصريح بها في الطريق المذكور.

الثاني: دل الحديث على أن الوضوء كان واجباً عليهم قبل نزول الآية، ولهذا استعظموا نزولهم على غير ماء، ووقع من أبي بكر في حق عائشة ما وقع، قال ابن عبد البر: معلوم عند جميع أهل المغازي أنه ﷺ لم يصل منذ فرضت عليه الصلاة إلا بوضوء ولا يدفع ذلك إلا جاهل أو معاند قال: والحكمة في نزول آية الوضوء مع تقدم العمل به ليكون فرضه متلو بالتنزيل وقال غيره: يحتمل أن يكون أول الآية نزل مقدماً مع فرض الوضوء ثم نزل بقيتها وهو ذكر التيمم في هذه القصة، قلت: الأول أصوب فإن فرض الوضوء كان مع فرض الصلاة بمكة والآية مدنية.

[تعليق]

ذكر المؤلف رحمه الله تعالى أثرين في سبب نزول هذه الآية وهي آثار صحيحة، وقد وقع الخلاف أي الآيتين تعنى بآية التيمم وقد رجح أنها آية المائدة، وآية المائدة فيها ذكر للوضوء بخلاف آية النساء وهذا هو الذي أوقع من قال بأنها آية النساء في الإشكال والغزوة التي انقطع فيها عقد أم المؤمنين عائشة كانت غزوة بني المصطلق سنة ثلاثة من الهجرة. وقد تقدم الكلام عن آية النساء في سورة النساء فليرجع إليها.

[تفسير مختصر للآية]

(يا أيها الذين آمنوا إذا قمتم إلى الصلاة) أي إذا أردتم القيام إلى الصلاة وأنتم محدثون. (فاعسلوا وجوهكم وأيديكم إلى المرافق) أي اغسلوا الوجوه والأيدي مع المرافق. (وامسحوا برءوسكم وأرجلكم إلى الكعبين) أي امسحوا رءوسكم واغسلوا أرجلكم إلى الكعبين أي معهما، قال الزمخشري: وفائدة المجيء بالغاية [إلى الكعبين] لدفع ظن من يحسبها ممسوحة، لأن المسح لم تضرب له غاية في الشريعة، وفي الحديث " ويل للأعقاب من النار " تفسير الكشاف والحديث في الصحيحين، ولفظه عن عبد الله بن عمرو قال: تخلف عنا رسول الله ﷺ في سفرة سافرناها، فادركنا ونحن نتوضأ لصلاة العصر، فجعلنا نمسح على أرجلنا، فنأدى بأعلى صوته: " أسبغوا الوضوء، ويل للأعقاب من النار " وهذا الحديث يرد على الإمامية الذين يقولون بأن الرجلين فرضهما المسح لا الغسل، والآية صريحة لأنها جاءت بالنصب [وأرجلكم] فهي معطوفة على المغسول، وجيء بالمسح بين المغسولات لإفادة الترتيب. (وإن كنتم جنباً فاطهروا) أي إن كنتم في حالة جنابة، فتطهروا بغسل جميع البدن. (وإن كنتم مرضى أو على سفر) أي إن كنتم مرضى ويضركم الماء، أو كنتم مسافرين ولم تجدوا الماء. (أو جاء أحد منكم من الغائط) أي أتى من مكان البراز. (أو لامستم النساء) أي جامعتموهن. (فلم تجدوا ماء فتيمموا صعيداً طيباً) أي ولم تجدوا الماء بعد طلبه فاقصدوا التراب الطاهر للتيمم به. (فامسحوا بوجوهكم وأيديكم منه) أي امسحوا وجوهكم وأيديكم بالتراب بضربتين، كما وضحت السنة النبوية. (ما يريد الله ليجعل عليكم من حرج) أي ما يريد تعالى بما فرض عليكم من الوضوء، والغسل والتيمم، تضييقاً عليكم. (ولكن يريد ليطهركم وليتم نعمته عليكم لعلكم تشكرون) أي يحب أن يطهركم من الذنوب وأذناس الخطايا، بالوضوء والتيمم، وليتم نعمته عليكم ببيان شرائع الإسلام، ولتشكروه على نعمته التي لا تحصى⁽¹⁰⁰⁵⁾.

⁽¹⁰⁰³⁾ صحيح البخاري 1684/4 ح (4332) تفسير الطبري 5/107 سنن البيهقي الكبرى وغيرهم من غير طريق ابن القاسم عن عائشة.

⁽¹⁰⁰⁴⁾ مسند أحمد 6/272 ح (26384) المعجم الكبير 23/121 ح (159) من طريق ابن إسحاق عن يحيى بن عباد بن عبد الله بن الزبير عن أبيه عن عائشة، وتصريح ابن إسحاق بالتحديث عند أحمد، وله شاهد من طريق عبيد الله بن عبد الله عن عمار بن ياسر، تارة عن ابن عباس، وتارة عن عمار وكلاهما صاحبيان، وهو عند ابن ماجه وأحمد والبيهقي والطبراني والشاشي وابن جرير وغيرهم وإسناده صحيح.

⁽¹⁰⁰⁵⁾ صفوة التقاسير - للصابوني (214/1)

(يَا أَيُّهَا الَّذِينَ ءَامَنُوا اذْكُرُوا نِعْمَتَ اللَّهِ عَلَيْكُمْ إِذْ هُمْ قَوْمٌ ءَان يَبْسُطُوا إِلَيْكُمْ أَيْدِيَهُمْ فَكَفَّ أَيْدِيَهُمْ عَنْكُمْ وَاتَّقُوا اللَّهَ وَعَلَى اللَّهِ فَلْيَتَوَكَّلِ الْمُؤْمِنُونَ (١١))

قوله تعالى: (يا أيها الذين آمنوا اذكروا نعمة الله عليكم) - الآية.

387. أخرج ابن جرير عن عكرمة ويزيد بن أبي زياد واللفظ له « أن النبي ﷺ خرج ومعه أبو بكر وعمر وعثمان وعلي وطلحة وعبد الرحمن بن عوف حتى دخلوا على كعب بن الأشرف ويهود بني النضير يستعينهم في عقل أصابه، فقالوا: نعم اجلس حتى نطعمك ونعطيك الذي تسألنا، فجلس فقال: حيي بن أخطب لأصحابه ولا ترونه أقرب منه الآن اطحوا عليه حجارة فاقتلوه ولا ترون شراً أبداً، فجاءوا إلى رحي عظيمة ليطحروها عليه، فأمسك الله عنها أيديهم حتى جاءه جبريل فأقامه من ثمت، فأنزل الله: (يا أيها الذين آمنوا اذكروا نعمة الله عليكم إذ هم قوم) - الآية (1006)».

388. وأخرج نحوه عن عبد الله بن أبي بكر.

389. وعاصم بن عمر بن قتادة.

390. ومجاهد.

391. وعبد الله بن كثير.

392. وأبي مالك (1007).

393. وأخرج عن قتادة قال: « ذكر لنا أن هذه الآية أنزلت على رسول الله ﷺ وهو ببطن نخلة في الغزوة السابعة، فأراد بنو ثعلبة وبنو محارب أن يفتكوا بالنبي ﷺ، فأرسلوا إليه الأعرابي يعني الذي جاءه وهو نائم في بعض المنازل، فأخذ سلاحه وقال: من يحول بيني وبينك؟ فقال: « الله » فشام السيف ولم يعاقبه (1008)».

394. وأخرج أبو نعيم في دلائل النبوة من طريق الحسن عن جابر بن عبد الله « أن رجلاً من محارب يقال له غورث بن الحارث قال لقومه: أقتل لكم محمداً؟ فأقبل إلى رسول الله ﷺ وهو جالس وسيفه في حجره، فقال: يا محمد أنظر إلى سيفك هذا؟ قال: « نعم » فأخذه فاستله وجعل يهزه ويهم به فيكبته الله تعالى، فقال: يا محمد أما تخافني؟! قال: « لا » قال: أما تخافني والسيف في يدي؟ قال: لا يمنعني الله منك» ثم أغمد السيف وردّه إلى رسول الله، فأنزل الله الآية (1009)».

[تعليق]

ذكر المؤلف رحمه الله عدة آثار في سبب نزول هذه الآية وهي تشتمل على سببين.

الأول: في إرادة اليهود التخلص من النبي ﷺ. وقد ذكر المؤلف الأثر مختصر وهو بطوله عند الإمام أصحاب السير وغيرهم (1010).
الثاني: في إرادة بعض مشركي العرب قتل النبي ﷺ في بعض أسفاره فأرسلوا إليه رجلاً في قصة أصلها في الصحيح لكن من غير سبب النزول. فأخرج البخاري عن جابر بن عبد الله قال: غزونا مع رسول الله ﷺ غزوة قبل نجد، فأدركنا رسول الله ﷺ في واد كثير العضاة، فنزل رسول الله ﷺ تحت شجرة، فعلق سيفه بغصن من أغصانها، قال: وتفرق الناس في الوادي يستظلون بالشجرة، قال: فقال: رسول الله ﷺ: إن رجلاً أتاني وأنا نائم، فأخذ السيف، فاستيقظت وهو قائم على رأسي، فلم أشعر إلا والسيف صلنا في يده، فقال لي: من يمنعك مني؟ قال: قلت: الله. ثم قال في الثانية: من يمنعك مني. قلت: الله. (ثم قال في الثالثة: من يمنعك مني؟

(1006) تفسير ابن جرير 6/144 وإسناده مرسل بالإضافة إلى ضعفه فإن يزيد بن أبي زياد متكلم فيه والراوي عنه أبو معشر ضعيف، ورواية عكرمة أخرجه المصدر السابق 145 وفي إسناده سنيد الحسين بن داود مع إرساله

(1007) إسناده عبد الله بن أبي بكر وعاصم بن عمر بن قتادة: رواه ابن جرير عن شيوخه الضعيف ابن حميد، وفيه أيضاً ابن إسحاق معنعنا، بالإضافة إلى إرسالهما وإسناده مجاهد من رواية ابن أبي نجيح عنه، وتقدم أنه لم يسمع منه التفسير مع إرساله، ورواية عبد الله بن كثير فيها سنيد مع إرساله، ورواية أبي مالك مرسله انظر تفسير ابن جرير 6/144، وهذه الآثار مع كثرتها فإنها لا ترتقي لإثبات سبب النزول، وذلك لأن كل طريق منها لا يخلو من مقال مع إرسالها، وإن كان ابن جرير رجح كونها نزلت في استنفاذ الرسول ﷺ من اليهود وعقد ذلك بسباق الآيات، أما من حيث الإسناد ففيه ما تزي والله أعلم

(1008) تفسير ابن جرير 5/146 وإسناده صحيح لكنه مرسل ورواه عن جابر بن عبد الله وليس فيها تصريح سبب النزول (1009) أخرجه ابن بشكول في غوامض الأسماء المبهمة 391 ج: 1 الكتاب: غوامض الأسماء المبهمة الواقعة في متون الأحاديث المسندة المؤلف: خلف بن عبد الملك بن بشكول أبو القاسم سنة الولادة 495/ سنة الوفاة 578 تحقيق: د. عز الدين علي السيد محمد كمال الدين عز الدين الناشر: عالم الكتب سنة النشر: 1407 مكان النشر: بيروت والطبري في تاريخه 2/86 المؤلف: أبو جعفر محمد بن جرير الطبري (المتوفى: 310 هـ) الناشر: دار الكتب العلمية - بيروت الطبعة الأولى، 1407 عدد الأجزاء: 5 ورواية الحسن عن جابر مرسله كما صرح بذلك أبو حاتم، فقال: الحسن عن جابر كتاب انظر ترجمته في جامع التحصيل ومما يدل على أن هذا السبب ضعيف: أن قصة غورث بن الحارث جاءت في الصحيح وغيره من غير ذكر سبب النزول

(1010) بداية هذا الأثر بعث النبي صلى الله عليه وسلم المنذر ابن عمرو الأنصاري الساعدي وهو أحد النقباء ليلة العقبة في ثلاثين راكبا من المهاجرين والأنصار بني عامر بن صعصعة فخرجوا فلحقوا عامر بن الطفيل بن مالك بن جعفر على بئر معونة وهي من مياه بني عامر، فاغتسلوا فقتل المنذر بن عمرو الأنصاري الساعدي وأصحابه إلا ثلاثة نفر كانوا في طلب ضالة لهم أحدهم: عمرو بن أمية الصيمري، فلم يرعهم إلا والطير تحوم في السماء تسقط من بين خراطيمها علق الدم، فقال أحد نفر: قتل أصحابنا، ثم تولى يشتد حتى لقي رجلا فاختلفا ضربتين فلما خالطت الضربة رفع رأسه إلى السماء وفتح عينيه وقال: الله أكبر الحمد لله رب العالمين. ورجع صاحبه، فلقيا رجلين من بني سليم وبين النبي صلى الله عليه وسلم وبين قومهما موادة، فانتسبا لهما إلى بني عامر فقتلها وقدم قومهما إلى النبي صلى الله عليه وسلم يطلبون الدية فخرج معه أبو بكر وعمر وعثمان وعلي وطلحة وعبد الرحمن بن عوف حتى دخلوا على كعب بن الأشرف وبني النضير فاستعانهم في عقلهما، فقال: نعم يا أبا القاسم قد أن لك أن تأتينا وتسالنا حاجة... ثم ذكر باقي الأثر كما ذكره المؤلف

قال: قلت الله (قال: فشام السيف، فيها هو ذاء، ثم لم يعرض له رسول الله ﷺ (1011).
وقد روي كذلك في سبب نزول هذه الآية غير ما ذكره المؤلف عدة أسباب.
فقال الإمام الثعلبي: نزلت هذه الآية على رسول الله صلى الله عليه وسلم وهو ببطن نخل في الغزوة السابعة فإذا بنو ثعلبية، وبنو محارب أرادوا أن يمسكوا به وأصحابه إذا اشتغلوا بالصلاة، قالوا: إن لهم صلاة هي أحب إليهم من آباتهم وأمهاتهم فإذا سجدوا فيها أوقعنا بهم، فأطلع الله نبيّه على ذلك، وهي صلاة الخوف (1012). وهذا الأثر لم أجد له إسناداً.
والسبب الرابع ما ذكره الإمام ابن الجوزي من أنها نزلت في حق اليهود حين ظاهروا المشركين على رسول الله ﷺ، هذا قول ابن زيد (1013).

والخامس ما ذكره الإمام الطبري عباس قوله: (يا أيها الذين آمنوا اذكروا نعمة الله عليكم) إلى قوله: (فكف أيديهم عنكم) وذلك أن قوماً من اليهود صنعوا لرسول الله وأصحابه طعاماً ليقتلوه إذا أتى الطعام، فأوحى الله إليهم بشأنهم، فلم يأتِ الطعام، وأمر أصحابه فلم يأتوه (1014).

قلت: رجح الإمام الطبري والثعلبي وغيره أن الآية نزلت في قصة اليهود. وهو الأثر الأول الذي ذكره المؤلف وعلل الإمام الطبري ذلك بقوله: وإنما قلنا ذلك أولى بالصحة في تأويل ذلك لأن الله جل ثناؤه عقب ذكر ذلك برمي اليهود بصناعتها وبيع أفعالها، وخيانتها ربّها وأنبياها. ثم أمر نبيّه ﷺ بالعفو عنهم، والصفح عن عظيم جهلهم، فكان معلوماً بذلك أنه ﷺ لم يؤمر بالعفو عنهم والصفح عقيب قوله: "إذ هم قوم أن يبسطوا إليكم أيديهم" وغيرهم كان يبسط الأيدي إليهم. لأنه لو كان الذين هموا ببسط الأيدي إليهم غيرهم لكان حرياً أن يكون الأمر بالعفو والصفح عنهم، لا عمن لم يجر لهم بذلك ذكر ولكان الوصف بالخيانة في وصفهم في هذا الموضع، لا في وصف من لم يجر لخيانته ذكر، ففي ذلك ما ينبئ عن صحة ما قضينا له بالصحة من التأويلات في ذلك، دون ما خالفه (1015).

قلت: حمل الآيات على عمومها أولى من قصرها على سبب واحد، فيمكن أن تكون نزلت في همّ اليهود أو مشركي العرب بالفتك برسول الله ﷺ وقد عرف كيد مشركي العرب لرسول الله ﷺ كما هو كذلك حال اليهود والله تعالى أعلم.

[تفسير مختصر للآية]

(يا أيها الذين آمنوا اذكروا نعمة الله عليكم) أي تذكروا فضل الله عليكم، بحفظه إياكم من أعدائكم (إذ هم قوم أن يبسطوا إليكم أيديهم) أي يبطشوا بكم بالقتل والإهلاك. (فكف أيديهم عنكم) أي عصمكم من شرهم، ورد أذاهم عنكم. (واتقوا الله) بامتثال أوامره واجتنب نواهيها. (وعلى الله فليتوكل المؤمنون) أي فليثق المؤمنون بالله، فإنه كافيههم وناصرهم (1016).

(يَا أَهْلَ الْكِتَابِ قَدْ جَاءَكُمْ رَسُولُنَا يُبَيِّنُ لَكُمْ كَثِيرًا مِمَّا كُنْتُمْ تُخْفُونَ مِنَ الْكِتَابِ وَيَعْفُو عَنْ كَثِيرٍ قَدْ جَاءَكُمْ مِنَ اللَّهِ نُورٌ وَكِتَابٌ مُبِينٌ (١٥))

قوله تعالى: (يا أهل الكتاب قد جاءكم رسولنا) - الآية.

395. أخرج ابن جرير عن عكرمة قال: «أن نبي الله ﷺ أتاه اليهود يسألونه عن الرجم، فقال: «أيكم أعلم؟» فأشاروا إلى ابن صوريا، فناشده بالذي أنزل التوراة على موسى والذي رفع الطور والمواثيق التي أخذت عليهم حتى أخذه أفل (1017)، فقال: إنه لما كثر فينا جلدنا مائة وحلقنا الرؤوس، فحكم عليهم بالرجم، فأنزل الله: (يا أهل الكتاب) - إلى قوله: (صراط مستقيم) (1018)».

[تعليق]

ذكر المؤلف رحمه الله أثراً واحداً، ولم أجد غيره في سبب نزول هذه الآية وهو يبين أن الآية نزلت في كتمان اليهود آية الرجم في كتابهم، وقد ورد ذلك في الصحيح من غير ذكر سبب النزول فروى البخاري في صحيحه عن ابن عمر «أن اليهود جاؤوا إلى رسول الله ﷺ، فذكروا له أن رجلاً منهم وامرأة زنيا، فقال لهم رسول الله ﷺ: "ما تجدون في التوراة في شأن الرجم؟" فقالوا: نفضحهم، ويجلدون، فقال عبد الله بن سلام: كذبتم، إن فيها آية الرجم، فأتوا بالتوراة، فنشروها، فوضع أحدهم يده على آية الرجم، فقرأ ما قبلها وما بعدها، فقال له عبد الله بن سلام: ارفع يدك، فرفع يده فإذا فيها آية الرجم، فقالوا: صدق يا محمد، إن فيها آية الرجم، فأمر بهما ﷺ فرجما، قال عبد الله بن عمر: فرأيت الرجل يجيء على المرأة يقبها الحجارة (1019)».

قلت: السبب الذي ذكره المؤلف لا يقوى على دفع عموم الآية، فالآية فيها قوله تعالى (كثيراً) وهذه يقتضي أن البيان لكثير من الأمور التي كان أهل الكتاب يخفونها، إلا أن يقال بأن الآية نزلت على سبب واحد تنبيهها على بقية الأشياء التي كانوا

(1011) صحيح البخاري (5/146)

(1012) الكشف والبيان عن تفسير القرآن (4/35)

(1013) زاد المسير (2/310)

(1014) جامع البيان (تفسير الطبري) (10/105) بإسناد ضعيف

(1015) جامع البيان (تفسير الطبري) (10/108)

(1016) صفوة التفسير - للصابوني (1/216)

(1017) قال ابن قتيبة في الغريب [الأفكل]: الرعدة انظر غريب الحديث/2/358

(1018) تفسير الطبري 6/161 مرسل ضعيف

(1019) صحيح البخاري (4/251)

[تفسير مختصر للآية]

(يا أهل الكتاب قد جاءكم رسولنا يبين لكم كثيرا مما كنتم تخفون من الكتاب) الخطاب لليهود والنصارى، أي يا معشر أهل الكتاب قد جاءكم رسولنا محمد □ بالدين الحق، يبين لكم الكثير مما كنتم تكتُمونه في كتابكم من الإيمان به، ومن آية الرجم، ومن قصة أصحاب السبت الذين مسخوا قردة، وغير ذلك مما كنتم تخفونه. (ويعفو عن كثير) أي يتركه ولا يبينه، وإنما يبين لكم ما فيه حجة على نبوته، وشهادة على صدقه، ولو ذكر كل شيء لفضحك. قال في التسهيل: وفي الآية دليل على صحة نبوته، لأنه بين ما أخفوه في كتبهم، وهو أمي لم يقرأ كتبهم. (قد جاءكم من الله نور وكتاب مبين) أي جاءكم نور هو القرآن، لأنه مزيل لظلمات الشرك والشك، وهو كتاب مبين ظاهر الإعجاز. (يهدي به الله من اتبع رضوانه سبل السلام) أي يهدي بالقرآن من اتبع رضا الرحمن، ويوضح لهم طرق النجاة والسلامة. (ويخرجهم من الظلمات إلى النور بإذنه) أي يخرجهم من ظلمات الكفر، إلى نور الإيمان بتوقيفه وإرادته. (ويهديهم إلى صراط مستقيم) هو دين الإسلام.. ثم ذكر تعالى إفراط النصارى في شأن عيسى، حتى اعتقدوا ألوهيته (1020).

(وَقَالَتِ الْيَهُودُ وَالنَّصَارَىٰ نَحْنُ أَبْنَاءُ اللَّهِ وَأَحِبُّهُ فَلَمَّ يُعَذِّبْكُمْ بِذُنُوبِكُمْ بَلْ أَنْتُمْ بَشَرٌ مِّمَّنْ خَلَقَ يَغْفِرُ لِمَن يَشَاءُ وَيُعَذِّبُ مَن يَشَاءُ وَاللَّهُ مُلْكُ السَّمَوَاتِ وَالْأَرْضِ مَا بَيْنَهُمَا وَإِلَيْهِ الْمَصِيرُ (١٨)

قوله تعالى: (وقالت اليهود)- الآيات

396. روى ابن إسحاق عن ابن عباس قال: « أتى رسول الله □ نعمان بن قصي وبحر بن عمر وشاس بن عدي فكلموه وكلمهم ودعاهم إلى الله وحذرهم نعمته، فقالوا: ما تخوفنا يا محمد نحن والله أبناء الله وأحبواؤه كقول النصارى فأنزل الله فيهم: (وقالت اليهود والنصارى)- الآية (1021)»

397. وروى عنه قال: دعا رسول الله □ يهود إلى الإسلام ورغبهم فيه فأبوا عليه، فقال لهم معاذ بن جبل وسعد بن عباد: يا معشر يهود اتقوا الله فوالله إنكم لتعلمون أنه رسول الله لقد كنتم تذكرونه لنا قبل مبعثه وتصفونه لنا بصفته، فقال رافع بن حريملة ووهب بن يهودا: ما قلنا لكم هذا وما أنزل الله من كتاب من بعد موسى ولا أرسل بشيرا ولا نذيرا بعده فأنزل الله: (يا أهل الكتاب قد جاءكم رسولنا يبين لكم)- الآية (1022)».

[تعليق]

ذكر المؤلف رحمه الله أثنين في سبب نزول هذه الآية. أما الأول: فهو متعلق بدعوى اليهود والنصارى أنهم أبناء الله وأحبواؤه، فأجابهم الله تعالى إذا كنتم كما تدعون فلم يعذبكم بذنوبكم، فإن الحبيب لا يعذب حبيبه. أما الأثر الثاني: فهو متعلق بقوله تعالى (يا أهل الكتاب قد جاءكم رسولنا يبين لكم) وهو خطاب تحذيري لأهل الكتاب بعدم كتمان العلم من صفة النبي □ الذي يجذونه مكتوباً عندهم في كتبهم. والأثران من ناحية الإسناد لا تقوم بهما حجة في إثبات سبب النزول، لكن ذكر الله تعالى في الآية الأولى ادعائهم أنهم أبناء الله فرد عليهم ادعاءهم، وفي الآية الثانية أخبرهم أنه سبحانه أرسل إليهم رسول محمد □ يبين ما كانوا يكتُمونه ويخفونه مما جاء في كتبهم سواء من صفته □ أو من الأحكام كحكم الرجم وغير ذلك والله تعالى أعلم.

[تفسير مختصر للآيتين]

(وقالت اليهود والنصارى نحن أبناء الله وأحبواؤه) أي نحن من الله بمنزلة الأبناء من الآباء، ونحن أحبواؤه لأننا شعبه المختار، قال ابن كثير: أي نحن منتسبون إلى أنبيائه، وهم بنوه، وله بهم عناية خاصة وهو يحبنا. (قل فلم يعذبكم بذنوبكم) أي لو كنتم كما تدعون أبناءه وأحبائه فلم أعد لكم نار جهنم على كفركم وافترائكم؟ (بل أنتم بشر ممن خلق) أي أنتم بشر كسائر الناس، وهو سبحانه الحاكم في جميع عبادته (يغفر لمن يشاء ويعذب من يشاء) أي يغفر لمن شاء من عبادته ويعذب من شاء، لا اعتراض لحكمه ولا راد لأمره. (والله ملك السموات والأرض وما بينهما وإليه المصير) أي الجميع ملكه وتحت قهره وسلطانه، وإليه المرجع والمآب.. ثم دعاهم إلى الإيمان بخاتم المرسلين فقال سبحانه: (يا أهل الكتاب قد جاءكم رسولنا يبين لكم على فترة من الرسل) أي يا معشر اليهود والنصارى لقد جاءكم محمد □ يوضح لكم شرائع الدين، على انقطاع من الرسل، ودروس من الدين، وكانت الفترة بين " عيسى " و " محمد " مدتها خمسمائة وستون سنة، لم يبعث فيها رسول. (أن تقولوا ما جاءنا من بشير ولا نذير) أي لئلا تحتجوا وتقولوا: ما جاءنا من رسول يبشرنا وينذرنا!! (فقد جاءكم بشير ونذير) هو محمد □

(1020) صفوة التفاسير - للصابوني (1/ 217)

(1021) تفسير ابن جرير 6/164 ضعيف

(1022) تفسير الطبري 6/166 وإسناده ضعيف.

(إِنَّمَا جَزَاؤُ الَّذِينَ يُحَارِبُونَ اللَّهَ وَرَسُولَهُ وَيَسْعَوْنَ فِي الْأَرْضِ فَسَادًا أَنْ يُقَتَّلُوا أَوْ يُصَلَّبُوا أَوْ تُقَطَّعَ أَيْدِيهِمْ وَأَرْجُلُهُمْ مِّنْ خَلْفٍ أَوْ يُنْفَوْا مِنَ الْأَرْضِ ذَلِكَ لَهُمْ خِزْيٌ فِي الدُّنْيَا وَلَهُمْ فِي الْآخِرَةِ عَذَابٌ عَظِيمٌ (٣٣))

قوله تعالى: (إنما جزاء الذين يحاربون - الآية).

398. أخرج ابن جرير عن يزيد بن أبي حبيب « أن عبد الملك بن مروان كتب إلى أنس يسأله عن هذه الآية: (إنما جزاء الذين يحاربون الله ورسوله) فكتب إليه أنس يخبره أن هذه الآية نزلت في العرنيين ارتدوا عن الإسلام وقتلوا الراعي واستاقوا الإبل الحديث⁽¹⁰²⁴⁾».
399. ثم أخرج عن جرير مثله⁽¹⁰²⁵⁾.
400. وأخرج عبد الرزاق نحوه عن أبي هريرة⁽¹⁰²⁶⁾.

[تعليق]

ذكر المؤلف رحمه الله عدة آثار يشهد بعضها لبعض في أن سبب نزول هذه الآية في قصة العرنيين قوم من عريضة أتوا المدينة مرضى، فأمرهم النبي ﷺ بأن يشربوا من ألبان وأبوال إبل الصدقة. فلما شفاهم الله قتلوا رعى النبي ﷺ وأخذوا الأبل فنزلت هذه الآية وهي المعرفة بأية الحرابة لأن فيها حد "الحرابة" أو كما يقال "قطع الطريق". وهذا الحديث مخرج في الصحيح من حديث أنس بن مالك⁽¹⁰²⁷⁾. وليس فيه التصريح بسبب النزول وجاء مصرحاً به في رواية أبي داود وغيره⁽¹⁰²⁸⁾.

وفي سبب نزول الآية غير ما ذكره المؤلف ثلاثة أسباب أخرى.

فروى الإمام ابن جرير عن الضحاك قال: «كان قوم بينهم وبين الرسول ﷺ ميثاق، فنقضوا العهد وقطعوا السبيل، وأفسدوا في الأرض، فخير الله نبيه ﷺ فيهم: فإن شاء قتل، وإن شاء صلب، وإن شاء قطع أيديهم وأرجلهم من خلاف. فمن تاب من قبل أن تقدروا عليه، قُبل ذلك منه⁽¹⁰²⁹⁾».

والتالث: ما رواه الإمام الثعلبي عن الكلبي: «نزلت في قوم هلال بن عويمر وذلك أن رسول الله صلى الله عليه وسلم وادع هلال بن عويمر وهو أبو بردة الأسلمي على أن لا يعينه ولا يعين عليه ومن أتاه من المسلمين لم يهج. قال: فمر قوم من بني كنانة يريدون الإسلام. بناس من قوم هلال ولم يكن هلال يومئذ شاهداً فانهدوا إليهم فقتلوهم وأخذوا أموالهم فبلغ ذلك رسول الله صلى الله عليه وسلم فنزل جبرئيل (عليه السلام) بالقضية فيهم⁽¹⁰³⁰⁾».

السبب الرابع: عن ابن عباس قال (إنما جزاء الذين يحاربون الله ورسوله ويسعون في الأرض فساداً أن يقتلوا أو يصلبوا أو تقطع أيديهم وأرجلهم من خلاف أو ينفوا من الأرض) إلى قوله (غفور رحيم) نزلت هذه الآية في المشركين فمن تاب منهم قبل أن يقدر عليه لم يمنعه ذلك أن يقام فيه الحد الذي أصابه⁽¹⁰³¹⁾.

قلت: القول الأول أرجح إسناداً، وحكم الآية عام في كل من مارس الحرابة، فهو حكم ثابت. واختلف العلماء في ذلك الحد. قال الشيخ الصابوني: ودلت الآية على أن الإمام بالخيار إن شاء قتل، وإن شاء صلب، وإن شاء قطع الأيدي والأرجل، وإن شاء نفي وهو مذهب مالك. وقال ابن عباس: لكل رتبة من الحرابة رتبة من العقاب، فمن قتل قتل، ومن قتل وأخذ المال قتل وصلب، ومن اقتصر على أخذ المال قطعت يده ورجله من خلاف، ومن أخاف فقط نفي من الأرض، وهذا قول الجمهور⁽¹⁰³²⁾.

[تفسير مختصر للآية]

- (إنما جزاء الذين يحاربون الله ورسوله) أي يحاربون شريعة الله، ودينه وأولياؤه ويحاربون رسوله. (ويسعون في الأرض فساداً) أي يفسدون في الأرض بالمعاصي وسفك الدماء (أن يقتلوا) أي يقتلوا جزاء بغيهم. (أو يصلبوا) أي يقتلوا ويصلبوا زجراً لغيرهم، والصيغة للتكثير. (أو تقطع أيديهم وأرجلهم من خلاف) معناه أن تقطع يده اليمنى، ورجله اليسرى. (أو ينفوا من الأرض) أي يطردوا ويبعدوا من بلد إلى بلد آخر قال الشافعي: النفي يكون من بلد إلى بلد، لا يزال يطلب وهو هارب فزعاً، وقال أبو حنيفة: النفي: السجن، واختار ابن جرير أن المراد بالنفي ههنا أن يخرج من بلده إلى بلد آخر فيسجن فيه (ذلك لهم خزي في الدنيا) أي ذلك الجزاء المذكور، ذل لهم وفضيحة في الدنيا. (ولهم في الآخرة عذاب عظيم) هو عذاب النار.

(1023) صفوة التفسير - للصابوني (1/ 218)

(1024) تفسير الطبري 6/208 مرسل وفي إسناده ابن لهيعة ضعيف الحديث، وأصل القصة في الصحيح من حديث أنس بن مالك

(1025) تفسير ابن جرير 6/207 وفي إسناده موسى بن عبيدة الربذي ضعيف

(1026) تفسير عبد الرزاق 1/189 عن الزهري قال: حدثنا رجل من مزينة في مجلس سعيد بن المسيب عن أبي هريرة - فذكر نحوه بسياق أطول وهو ضعيف للجهالة

(1027) صحيح البخاري (8/ 202)

(1028) سنن أبي داود (4/ 228)

(1029) جامع البيان (تفسير الطبري) (10/ 278) مرسل وفي إسناده ضعف.

(1030) الكشف والبيان عن تفسير القرآن (4/ 55) لم أجد له إسناداً

(1031) سنن أبي داود (4/ 230) قال الألباني حسن

(1032) صفوة التفسير - للصابوني (1/ 221)

(إلا الذين تابوا من قبل أن تقدروا عليهم) أي لكن الذين تابوا من المحاربين وقطاع الطريق، قبل القدرة على أخذهم وعقوبتهم. (فأعلموا ان الله غفور رحيم) أي هو سبحانه واسع المغفرة والرحمة، لمن تاب وأناب، يقبل توبته ويغفر زلته (1033).

(وَالسَّارِقُ وَالسَّارِقَةُ فَاقْطَعُوا أَيْدِيَهُمَا جَزَاءً بِمَا كَسَبَا نَكَالًا مِّنَ اللَّهِ وَاللَّهُ عَزِيزٌ حَكِيمٌ ٣٨ فَمَنْ تَابَ مِنْ بَعْدِ ظُلْمِهِ وَأَصْلَحَ فَإِنَّ اللَّهَ يَتُوبُ عَلَيْهِ إِنَّ اللَّهَ غَفُورٌ رَّحِيمٌ ٣٩)

قوله تعالى: (والسارق والسارقة)- الآية.

401. [ك] أخرج أحمد وغيره عن عبد الله بن عمرو « أن امرأة سرق على عهد رسول الله ﷺ فقطعت يدها اليمنى، فقالت: هل لي من توبة يا رسول الله؟ فأُنزل الله في سورة المائدة: (فمن تاب من بعد ظلمه وأصلح)- الآية (1034)».

[تعليق]

ذكر المؤلف رحمه الله أثراً واحداً في سبب نزول هذه الآية والأثر متعلق بقوله تعالى (فمن تاب)- الآية. والآية تدل مع الأثر على قبول توبة السارق. وذكر الأمام الثعلبي أن قوله تعالى (والسارق والسارقة)- الآية. نزلت في طعمة بن الأبرق سارق الدرع وقد مرت قصته في سورة النساء (1035). ولم أجد لهذا الأثر إسناداً فالآية تدل على وجوب قطع يد السارق فالآية حكما عام في كل سارق وسارقة، والآية لها أحكام مذكورة في أماكنها من كتب الفقه والله تعالى أعلم.

[تفسير مختصر للآية]

(والسارق والسارقة فاقطعوا أيديهما) أي كل من سرق، رجلا كان أو امرأة فاقطعوا يده (جزاء بما كسبا) أي مجازاة لهما على فعلهما القبيح. (نكالا من الله) أي عقوبة من الله. (والله عزيز حكيم) أي حكيم في شرعه، فلا يأمر بقطع اليد ظلما. (فمن تاب من بعد ظلمه) أي رجع عن السرقة. (وأصلح) أي أصلح سيرته وعمله. (فإن الله يتوب عليه) أي يقبل توبته فلا يعذبه في الآخرة. (إن الله غفور رحيم) أي مبالغ في المغفرة والرحمة (1036).

(يَا أَيُّهَا الرَّسُولُ لَا يَحْزُنْكَ الَّذِينَ يُسْرِعُونَ فِي الْكُفْرِ مِنَ الَّذِينَ قَالُوا آمَنَّا بِأَفْوَاهِهِمْ وَلَمْ تُؤْمِنُ قُلُوبُهُمْ وَمِنَ الَّذِينَ هَادُوا سَمَّعُونَ لِلْكَذِبِ سَمَّعُونَ لِقَوْمٍ آخَرِينَ لَمْ يَأْتُواكَ بِكَلِمَةٍ مُّبِينَةٍ وَأَضَعُهَا يُقُولُونَ إِنْ أَوْتَيْنَاهُمْ هَذَا فَخَذُوهُ وَإِنْ لَمْ نُؤْتُوهُ فَأَحْذَرُوا وَمَنْ يُرِدِ اللَّهُ فِتْنَتَهُ فَلَنْ تَمْلِكَ لَهُ مِنْ اللَّهِ شَيْئاً أُولَئِكَ الَّذِينَ لَمْ يُرِدِ اللَّهُ أَنْ يُطَهِّرْ قُلُوبَهُمْ لَهُمْ فِي الدُّنْيَا خِزْيٌ وَلَهُمْ فِي الْآخِرَةِ عَذَابٌ عَظِيمٌ (٤١))

قوله تعالى: (يا أيها الرسول)- الآية.

402. [ك] (ك) روى أحمد وأبو داود عن ابن عباس قال: « أنزلها الله في طائفتين من اليهود فهرت إحداهما الأخرى في الجاهلية حتى ارتضوا فاصطلحوا على أن كل قتيل قتلته العزيزة من الذليلة فديته خمسون وسقاً وكل قتيل قتلته الذليلة من العزيزة فديته مائة وسق، فكانوا على ذلك حتى قدم رسول الله ﷺ فقتلت الذليلة من العزيزة قتيلاً، فأرسلت العزيزة أن ابعتوا إلينا بمائة وسق فقالت الذليلة: وهل كان ذلك في حين دينهما واحد ونسبتهما واحدة وبلدهما واحد دية بعضهم نصف دية بعض؟! إنا أعطيناكم هذا ضيماً منكم وخوفاً وفرقاً فأما إذ قدم محمد فلا نعطيكم، فكادت الحرب تهيج بينهما ثم ارتضوا على أن جعلوا رسول الله ﷺ بينهما، فأرسلوا إليه أناساً من المنافقين ليختبروا رأيه فأُنزل الله: (يا أيها الرسول لا يحزنك الذين يسارعون في الكفر)- الآية (1037)».

(1033) صفوة التفاسير - للصابوني (221 / 1)

(1034) تفسير ابن جرير 6/230 مسند أحمد 2/177 ح (6657) وفي إسناده ابن لبيبة تقدم أنه ضعيف، وقد أكثر عنه الإمام أحمد في المسند قال الهيثمي: حديثه حسن قلت: كان ثقة قبل احتراق كتبه، فلما احترقت صار يتلقن فمن هنا أتى الضعف إلى حديثه.

(1035) الكشف والبيان عن تفسير القرآن (60 / 4)

(1036) صفوة التفاسير - للصابوني (222 / 1)

(1037) تفسير الطبري 6/254 مسند أحمد 1/246 ح (2212) المعجم الكبير 10/302 ح (10732) وفي إسناده عبد الرحمن بن أبي الزناد وروايته عن أهل المدينة سالحة وهذا منها في قول أكثر أهل العلم.

403. وروى أحمد ومسلم وغيرهما عن البراء بن عازب قال: « مرَّ النبي ﷺ بيهودي محمم مجلود، فدعاهم فقال: « هكذا تجدون حد الزاني في كتابكم؟ » فقالوا: نعم فدعا رجلاً من علمائهم فقال: « أنشدك الله الذي أنزل التوراة على موسى هكذا تجدون حد الزاني في كتابكم؟ » فقال: لا والله لولا أنك نشدتني بهذا لم أخبرك نجد حد الزاني في كتابنا الرجم ولكنه كثر في أشرافنا فكنا إذا زنى الشريف تركناه وإذا زنى الضعيف أقمنا عليه الحد فقلنا: تعالوا حتى نجعل شيئاً نقيمه على الشريف والوضيع فاجتمعنا على التحميم والجلد، فقال النبي ﷺ: « اللهم إني أول من أحيا أمرك إذ أماتوه » فأمر به فرجم، فأنزل الله: (يا أيها الرسول لا يحزنك الذين يسارعون في الكفر) إلى قوله: (إن أوتيتم هذا فخذوه) يقولون انتوا محمداً فإن أفتاكم بالتحميم والجلد فخذوه وإن أفتاكم بالرجم فاحذروا إلى قوله: (ومن لم يحكم بما أنزل الله فأولئك هم الظالمون) (1038)».

404. [ك] وأخرج الحميدي في مسنده عن جابر بن عبد الله قال « زنى رجل من أهل فدك، فكتب أهل فدك إلى ناس من اليهود بالمدينة أن اسألوا محمداً عن ذلك فإن أمر بالجلد فخذوه عنه وإن أمركم بالرجم فلا تأخذوه عنه، فسألوه عن ذلك فذكر نحو ما تقدم، فأمر به فرجم، فنزلت: (فإن جاءوك فاحكم بينهم) - الآية (1039)».

405. وأخرج البيهقي في الدلائل من حديث أبي هريرة نحوه (1040).

[تعليق]

ذكر المؤلف رحمه الله أربعة آثار في سبب نزول هذه الآية، وهي تشتمل على ثلاثة أسباب للنزول. وكل ما ورد من أسباب النزول في هذه الآية فإنه إما صحيح أو حسن. وقد ذكر فيها أسباب غير ما ذكرها المؤلف أذكرها ثم نعلق عليها.

قال مقاتل: «أن رجلاً وامرأة من أشراف أهل خيبر زنيا، واسم المرأة بسرة وكانت خبير حرباً لرسول الله صلى الله عليه وسلم وكان الزانيان محصنين، وكان حدّهما الرّجم في التوراة فكرهت اليهود رجمهما لشرفهما فقالوا: إن هذا الرجل النبي يبثرب ليس في كتابه الرّجم ولكنه الضرب فأرسلوا إلى إخوانكم بني قريظة فإنهم صلح له وجيرانه، فليسأله، فبعثوا رهطاً منهم مستخفين. فقالوا لهم: سلوا محمداً عن الزانيين إذا أحصنا أحدهما فإن أمركم بالجلد فاقبلوا منه وإن أمركم بالرجم فاحذروه ولا تقبلوا منه وأرسلوا الزانيين معهم الرهط حتى نزلوا على قريظة والنضير. فقال لهم: إنكم جيران هذا الرجل ومعه في بلده، وقد حدث فينا حدث زنيا وقد أحصنا فيجب أن تسألوا لنا محمداً عن قضائه، فقال لهم بنو قريظة والنضير: إذا والله يأمركم بما تكرهون من ذلك ثم انطلق قوم منهم كعب بن الأشرف وكعب بن أسيد وسعد بن عمرو ومالك بن الصيف وكنانة بن أبي الحقيق وعباس بن قيس وأبو نافع وأبو يوسف وعازار وسلول إلى رسول الله صلى الله عليه وسلم، فقالوا: يا محمد أخبرنا عن الزاني والزانية إذا أحصنا ما حدّهما وكيف تجد في كتابك؟ فقال لهم رسول الله صلى الله عليه وسلم: «و هل ترضون قضائي في ذلك؟» قالوا: نعم، فنزل جبرئيل بالرجم فأخبرهم بذلك فأبوا أن يأخذوا به، فقال له جبرئيل: اجعل بينك وبينهم ابن سوريا ووصفه له، فقال النبي صلى الله عليه وسلم: «هل تعرفون شاباً أبيض أعور يسكن فدك يقال له ابن سوريا» قال: فأى رجل فيكم؟ قالوا: هو أعلم يهودي بقي على ظهر الأرض بما أنزل الله تعالى على موسى في التوراة، قال: أرسلوا إليه، ففعلوا فأتاهم عبد الله بن سوريا، فقال له رسول الله صلى الله عليه وسلم: «أنت ابن سوريا؟» قال: نعم، قال: «فأنت أعلم اليهود؟»، قال: كذلك يزعمون، قال: «أ تجعلونه بيني وبينكم؟» قالوا: نعم قد رضينا به إذ رضيت به، فقال له رسول الله صلى الله عليه وسلم: «فإني أنشدك بالله الذي لا إله إلا هو القوي إله بني إسرائيل الذي أنزل التوراة على موسى الذي أخرجكم من مصر وقلق لكم البحر وأنجاكم وأغرق آل فرعون والذي ظلل الغمام فأنزل عليكم الممّ والسّلوى وأنزل عليكم كتابه فيه حلاله وحرامه فهل تجدون في كتابكم الرجم على من أحصن». قال ابن سوريا: نعم والذي ذكرني به لو لا خشيت أن تحرقني التوراة إن كذبت أو غيرت ما اعترفت لك ولكن كيف هو في كتابك يا محمد؟ قال: «إذا شهد أربعة رهط عدول إنه قد أدخله فيها كما يدخل الميل في المكحلة وجب عليه الرجم». قال ابن سوريا: والذي أنزل التوراة على موسى هكذا أنزل الله في التوراة على موسى فقال له رسول الله صلى الله عليه وسلم: «فماذا كان أول ما ترخصتم به أمر الله؟» قال: كنا إذا أخذنا الشريف تركناه وإذا أخذنا للضعيف أقمنا عليه الحد وكثر الزنا في أشرافنا حتى زنا ابن عم ملك لنا فلم نرجمه ثم زنا رجل آخر في أسوة من الناس فأراد ذلك الملك رجمه فقام دونه قومه، فقال: والله لا ترجمون حتى يرجم فلانا ابن عم الملك. فقال: تعالوا نجتمع فلنضع شيئاً دون الرجم يكون مكان الرجم فيكون على الشريف والوضيع فوضعا الجلد والتحميم وهو أن يجلد أربعين جلدة بحيل مطلي بالقار ثم يسود وجوهها ثم يحملان على حمارين فحوّل وجوههما من قبل دبر الحمار ويطاف بهما فجعلوا هذا مكان الرجم. قال اليهود لابن سوريا: ما أسرع ما أخبرته به وما كنت لما اتهمتنا عليك بأهل، ولكنك كنت غائباً فكرهنا أن نعتابك فقال لهم: نشد في التوراة لو لا ضنيت التوراة أن تهلكني لما أخبرته به، فأمر بهما النبي صلى الله عليه وسلم فرجما عند باب مسجده، وقال: «أنا أول من أحيا أمره إذ أماتوه» (1041). انتهى

كما ذكر مقاتل: أنها نزلت في أبي لبابة، اسمه: مروان بن عبد المنذر الأنصاري، من بني عمرو بن عوزف، وذلك أنه

(1038) صحيح مسلم 3/1327 ح (1700) تفسير الطبري 6/232 مسند أبي عوانة 4/144 ح (6312) مسند البيهقي الكبرى 8/246 ح (16895) سنن أبي داود 4/154 ح (4448) سنن النسائي الكبرى 4/294 سنن ابن ماجه 2/855 ح (2558) شرح معاني الآثار 4/142 ح (5643) سنن النسائي الكبرى 4:294 ح (7218) مسند أحمد 4/286 ح (18548) مسند الروياني 1/284 (1039) مسند الحميدي 2/541 ح (1294) وفي إسناده مجالد بن سعيد ضعيف. (1040) شاهد لما قبله (1041) تفسير مقاتل بن سليمان (1/299)

أشار إلى أهل قريظة إلى حلقه أن محمداً جاء يحكم فيكم بالموت، فلا تنزلوا على حكم سعد بن معاذ، وكان حليفاً لهم⁽¹⁰⁴²⁾.
قلت وهذا مع الذي قبله مرسل الإسناد. لكن الذي قبله له شواهد.
وذكر الإمام ابن الجوزي أنها: أنها نزلت في ابن سوريا آمن ثم كفر، وهذا المعنى مروى عن أبي هريرة⁽¹⁰⁴³⁾.
كما ذكر أنها نزلت في المنافقين⁽¹⁰⁴⁴⁾.

قلت: وإن كان عموم الآية يشمل كل هذه الأقوال غير أن أرجح هذه الأقوال أنها نزلت في تحاكم اليهود للنبي ﷺ. فأما تحاكمهم في شأن الرجل والمرأة الزانيتين فقد رجحه الإمام القرطبي رحمه الله⁽¹⁰⁴⁵⁾. وقصة اليهوديين المذكورة في الصحيح ومع صحة إسناد تحاكمهم للنبي ﷺ في شأن القبيلتين من اليهود فيقال بأن الآية نزلت في الأمرين جميعاً والله تعالى أعلم.

[تفسير مختصر للآية]

(يا أيها الرسول لا يحزنك الذين يسارعون في الكفر) الخطاب للرسول ﷺ على وجه التسلية أي لا تتأثر يا محمد ولا تحزن لصنيع الذين يتسابقون نحو الكفر، ويقعون فيه بسرعاً.
(من الذين قالوا آمنوا بأفواههم ولم تؤمن قلوبهم) أي من المنافقين الذين لم يجاوزوا الإيمان أفواههم، يقولون بألسنتهم أننا وقلوبهم كافرة.

(ومن الذين هادوا) أي ومن اليهود.

(سماعون للكذب) أي هم مبالغون في سماع الأكاذيب والأباطيل، وفي قبول ما يفتريه أخبارهم من الكذب على الله وتحريف كتابه.
(سماعون لقوم آخرين لم يأتوك) أي مبالغون في قبول كلام قوم آخرين، لم يحضروا مجلسك تكبراً وافرطاً في العداوة والبغضاء، وهم (يهود خيبر)، والسماعون للكذب (بنو قريظة).

(يحرّفون الكلم من بعد مواضعه) أي يزيّلونه ويميلونه عن مواضعه، بعد أن وضعه الله تعالى فيها، والمراد تحريف أحكام الله وتغييرها بأحكام أخرى. قال ابن عباس: هي حدود الله في التوراة غيروا الرجم بالجلد والتحميم - يعني تسويد الوجه - (يقولون إن أوتيتهم هذا فخذوه وإن لم تؤتوه فاحذروا) أي إن أمركم محمد بالجلد فاقبلوا، وإن أمركم بالرجم فلا تقبلوا، قال تعالى رداً عليهم. (ومن يرد الله فنته فلن تملك له من الله شيئاً) أي ومن يرد الله كفره وضلاله، فلن يقدر أحد على دفع ذلك عنه. (أولئك الذين لم يرد الله أن يظهر قلوبهم) أي خذلهم الله، فلم يظهر قلوبهم من رجس الكفر، وخبث الضلالة، لفتيح صنيعهم وسوء اختيارهم. (لهم في الدنيا خزي) أي ذل وفضيحة.

(ولهم في الآخرة عذاب عظيم) هو الخلود في نار جهنم، قال أبو حيان: والآية جاءت تسلية للرسول ﷺ وتخفيفاً عنه من ثقل حزنه على مسارعتهم في الكفر وقطعا لرجائه من فلاحهم.

(سماعون للكذب) أي الباطل كرهه تأكيداً وتقخيماً.

(أكلون للسحت) أي الحرام من الرشوة والربا وشبه ذلك

(فإن جاءوك فاحكم بينهم أو أعرض عنهم) أي إن تحاكموا اليك يا محمد فيما شجر بينهم من الخصومات، فأنت مخير بين أن تحكم بينهم وبين أن تعرض عنهم، قال ابن كثير: أي إن جاءوك يتحاكمون اليك فلا عليك ألا تحكم بينهم لأنهم لا يقصدون بتحاكمهم اليك اتباع الحق، بل ما يوافق أهواءهم.

(وإن تعرض عنهم فلن يضروك شيئاً) أي لأن الله عاصمك وحافظك من الناس.

(وإن حكمت فاحكم بينهم بالقسط إن الله يحب المقسطين) أي فأحكم بينهم بالعدل والحق، وإن كانوا ظلمة خارجين عن طريق العدل، لأن الله يحب العادلين.. ثم قال تعالى منكرأ عليهم مخالفتهم لأحكام التوراة.

(وكيف يحكمونك وعندهم التوراة فيها حكم الله) أي كيف يحكمك يا محمد هؤلاء اليهود ويرضون بحكمك، وعندهم التوراة فيها حكم الله يرونه ولا يعملون به؟ قال الرازي: هذا تعجب من الله تعالى لنبيه ﷺ بتحكيم اليهود إياه بعد علمهم ثما في التوراة من حد الزاني، ثم تركهم قبول ذلك الحكم، فعدلوا عما يعتقدونه حكماً حقاً، إلى ما يعتقدونه باطلاً، طلباً للرخصة فظهر بذلك جهلهم وعنادهم.

(ثم يتولون من بعد ذلك) أي يعرضون عن حكمك الموافق لكتابهم، بعد أن وضع لهم الحق وبان.

(وما أولئك بالمؤمنين) أي ليسوا بمؤمنين، لأنهم لا يؤمنون بكتابهم⁽¹⁰⁴⁶⁾.

(وَأَنْ أَحْكَمَ بَيْنَهُمْ بِمَا أَنْزَلَ اللَّهُ وَلَا تَتَّبِعْ أَهْوَاءَهُمْ وَأَحْذَرُهُمْ أَنْ يَقْتُنُوكَ عَنْ بَعْضِ مَا أَنْزَلَ اللَّهُ إِلَيْكَ فَإِنْ تَوَلَّوْا فَاعْلَمُوا أَنَّمَا يُرِيدُ اللَّهُ أَنْ يُصِيبَهُمْ بِبَعْضِ دُنُوبِهِمْ وَإِنَّ كَثِيرًا مِّنَ النَّاسِ لَفَاسِقُونَ ٤٩)

قوله تعالى: (وأن احكم بينهم بما أنزل الله) - الآية.

406. روى ابن إسحاق عن ابن عباس قال: « قال كعب بن أسيد وعبد الله بن سوريا وشاس بن قيس: اذهبوا بنا إلى محمد لعنا نفتنه عن دينه، فجاءوا فقالوا: يا محمد إنك قد عرفت أنا أخبار يهود وأشرافهم وساداتهم وأنا إن اتبعناك اتبعنا يهود ولم يخالفونا وإن بيننا وبين قومنا خصومة فنحاكمهم إليك فتقضي لنا عليهم ونؤمن بك، فأبى ذلك وأنزل الله فيهم: (وأن احكم بينهم بما أنزل الله) إلى قوله:»

⁽¹⁰⁴²⁾ تفسير مقاتل بن سليمان (1/ 299)

⁽¹⁰⁴³⁾: زاد المسير (2/ 357)

⁽¹⁰⁴⁴⁾: زاد المسير (2/ 357)

⁽¹⁰⁴⁵⁾ تفسير القرطبي - (6/ 176)

⁽¹⁰⁴⁶⁾ صفوة التفسير - للصابوني (1/ 224)

[تعليق]

ذكر المؤلف رحمه الله أثراً واحداً في سبب نزول هذه الآية، وهو أثر ضعيف الإسناد ولم أجد سبباً آخر لنزول الآية غير ما ذكر المؤلف، والآية فيها الأمر للنبي □ بأن يحكم بين أهل الكتاب بما أنزل الله تعالى، والنهي عن اتباع أهواءهم وذلك كما قال تعالى (ولو اتبع الحق أهواءهم لفسدت السموات والأرض ومن فيهن) [المؤمنون 71].

[تفسير مختصر للآية]

(وأن احكم بينهم بما أنزل الله ولا تتبع أهواءهم) أي احكم بين أهل الكتاب بهذا القرآن، ولا تتبع أهواءهم الزائفة. واحذرهم أن يفتنوك عن بعض ما أنزل الله اليك (أي احذر هؤلاء الأعداء أن يصرفوك عن شريعة الله، فإنهم كذبة كفره خونة) فإن تولوا فأعلم إنما يريد الله أن يصيبهم ببعض ذنوبهم (أي فإن أعرضوا عن الحكم ثما أنزل الله، وادوا غيره فأعلم يا محمد إنما يريد الله أن يعاقبهم ببعض إجرامهم. وإن كثيراً من الناس لفاسقون) أي أكثر الناس خارجون عن طاعة ربهم، مخالفون للحق منهمكون في المعاصي⁽¹⁰⁴⁸⁾.

(يَا أَيُّهَا الَّذِينَ آمَنُوا لَا تَتَّخِذُوا الْيَهُودَ وَالنَّصَرَىٰ أَوْلِيَاءَ بَعْضُهُمْ أَوْلِيَاءُ بَعْضٍ وَمَنْ يَتَوَلَّهُمْ مِّنْكُمْ فَإِنَّهُ مِنْهُمْ إِنَّ اللَّهَ لَا يَهْدِي الْقَوْمَ الظَّالِمِينَ ٥١)

قوله تعالى: (يا أيها الذين آمنوا لا تتخذوا) - الآية.

407. أخرج ابن إسحاق وابن جرير وابن أبي حاتم والبيهقي عن عبادة بن الصامت قال: «لما حاربت بنو قينقاع تشبث بأمرهم عبد الله بن أبي بن سلول وقام دونهم ومشى عبادة بن الصامت إلى رسول الله □ وتبرأ إلى الله وإلى رسوله من حلفهم، وكان أحد بني عوف بن الخزرج وله من حلفهم مثل الذي لهم من عبد الله بن أبي فحالفهم⁽¹⁰⁴⁹⁾ إلى رسول الله □ وتبرأ من حلف الكفار وولايتهم، قال: ففيه وفي عبد الله بن أبي نزلت القصة في المائدة: (يا أيها الذين آمنوا لا تتخذوا اليهود والنصارى أولياء) - الآية⁽¹⁰⁵⁰⁾».

[تعليق]

ذكر المؤلف رحمه الله أثراً واحداً في سبب نزول هذه الآية، وكون الآية نزلت على سبب يدفع إشكال وقع فيه البعض. فحمل الآية على عمومها في البراءة المولاة بجميع أشكالها، والمراد بالنهي عن المولاة هنا أي المحبة والنصرة في الدين، وهذا لا ينافي الإحسان والبر كما قال تعالى (عسى الله أن يجعل بينكم وبين الذين عاديتم منهم مودة) [سورة الممتحنة 7]. وهناك سببان آخران للآية لم يذكرهما المؤلف وهما:

ما أخرجه الطبري وابن أبي حاتم وغيرهما عن السدي: «لما كانت وقعة أحد اشتد على طائفة من الناس وتخوفوا أن يذال عليهم الكفار فقال رجل لصاحبه: أما أنا فالحق بذلك اليهودي فاخذ منه أمانا واتهود معه فاني اخاف ان تدا لعلينا اليهود. وقال الآخر: أما أنا فالحق بفلان النصراني ببعض أرض الشام فاخذ منه امانا وانتصر معه فأنزل الله تعالى فيه ما ينهما فقال: (يا أيها الذين آمنوا لا تتخذوا اليهود والنصارى أولياء بعضهم أولياء بعض)⁽¹⁰⁵¹⁾».

والثالث: ما أخرجه ابن جرير رحمه الله عن عكرمة قوله: (يا أيها الذين آمنوا لا تتخذوا اليهود والنصارى أولياء بعضهم أولياء بعض ومن يتولهم منكم فإنه منهم)، قال: بعث رسول الله □ أبا لبابة بن عبد المنذر، من الأوس وهو من بني عمرو بن عوف فبعثه إلى قريظة حين نقضت العهد، فلما أطاعوا له بالنزول، أشار إلى حلقه: الذَّبْحُ الذَّبْحُ⁽¹⁰⁵²⁾.

ورجح ابن جرير رحمه الله عموم الآية وأنها أمر لجميع المؤمنين بأن لا يتخذوا اليهود والنصارى أولياء قال: والصواب من القول في ذلك عندنا أن يقال: إن الله تعالى ذكره نهى المؤمنين جميعاً أن يتخذوا اليهود والنصارى أنصاراً وحلفاء على أهل الإيمان بالله ورسوله وغيرهم، وأخبر أنه من اتخذهم نصيراً وحليفاً وولياً من دون الله ورسوله والمؤمنين، فإنه منهم في التحزب على الله وعلى رسوله والمؤمنين، وأن الله ورسوله منه بريان. وقد يجوز أن تكون الآية نزلت في شأن عبادة بن الصامت وعبد الله بن أبي ابن سلول وحلفائهما من اليهود ويجوز أن تكون نزلت في أبي لبابة بسبب فعله في بني قريظة.

ويجوز أن تكون نزلت في شأن الرجلين اللذين ذكر السدي أن أحدهما هم باللاحق بدهلك اليهودي، والآخر بنصراني بالشأم⁽¹⁰⁵³⁾. قلت: رجح الإمام ابن جرير عموم الآية، وهو الراجح وبالله التوفيق.

[تفسير مختصر للآية]

(يا أيها الذين آمنوا لا تتخذوا اليهود والنصارى أولياء) نهى تعالى المؤمنين عن موالاته اليهود والنصارى، ينصرونهم ويستنصرون

⁽¹⁰⁴⁷⁾ تفسير ابن جرير 6/273 إسناده ضعيف

⁽¹⁰⁴⁸⁾ صفوة التفسير - للصابوني (1/226)

⁽¹⁰⁴⁹⁾ في المخطوط [فحالفهم] بالخاء المعجمة

⁽¹⁰⁵⁰⁾ تفسير ابن أبي حاتم 4/1155 تفسير ابن جرير 6/275 وإسناده صحيح

⁽¹⁰⁵¹⁾ تفسير ابن أبي حاتم - (4/1156)

⁽¹⁰⁵²⁾ جامع البيان (تفسير الطبري) (10/398)

⁽¹⁰⁵³⁾ جامع البيان (تفسير الطبري) (10/398)

بهم ويصافونهم ويعاشرونهم معاشرتهم المؤمنین. (بعضهم أولياء بعض) أي هم يد واحدة على المسلمين، لاتحادهم في الكفر والضلال، وملة الكفر واحدة [ومن يتولهم منكم فإنه منهم] أي من جملتهم وحكمه حكمهم، قال الزمخشري: وهذا تغليب من الله وتشديد في مجانبه المخالف في الدين واعتزاله، كما قال □: "لا تراءى نارهما". (ان الله لا يهدي القوم الظالمين) أي لا يهديهم إلى الإيمان (1054).

(إِنَّمَا وَلِيُّكُمُ اللَّهُ وَرَسُولُهُ وَالَّذِينَ آمَنُوا الَّذِينَ يُقِيمُونَ الصَّلَاةَ وَيُؤْتُونَ الزَّكَاةَ وَهُمْ رُكْعُونَ ٥٥)

قوله تعالى: (إنما وليكم الله) - الآية.

408. أخرج الطبراني في الأوسط بسند فيه مجاهيل عن عمار بن ياسر قال: «وقف على بن أبي طالب سائل وهو راعع في تطوع فنزع خاتمه فأعطاه السائل فنزلت: (إنما وليكم الله ورسوله) - الآية (1055)». □
 409. وله شاهد قال عبد الرازق: حدثنا عبد الوهاب بن مجاهد عن أبيه عن ابن عباس: (إنما وليكم الله ورسوله) - الآية قال: نزلت في علي بن أبي طالب (1056). □
 410. وروى ابن مردويه منوجه آخر عن ابن عباس مثله (1057). □
 411. وأخرج أيضاً عن علي مثله (1058). □
 412. وأخرج ابن جرير عن مجاهد (1059). □
 413. وابن أبي حاتم عن سلمة بن كهيل مثله (1060). فهذه شواهد يقوي بعضها بعضاً.

[تعليق]

ذكر المؤلف رحمه الله عدة آثار يشهد بعضها لبعض في أن هذه الآية نزلت في أمير المؤمنين علي بن أبي طالب رضي الله تعالى عنه.

قال الإمام الواحدي عن جابر بن عبد الله: أن عبد الله بن سلام وأصحابه جاؤوا إلى رسول الله □ وقالوا: إن قوماً قد أظهروا لنا العداوة، ولا نستطيع أن نجالس أصحابك لبعده المنازل، فنزلت هذه الآية، فقالوا: رضينا بالله وبرسوله وبالمؤمنين، وأذن بلال بالصلاة، فخرج رسول الله □ فإذا مسكين يسأل الناس، فقال رسول الله □: «هل أعطاك أحد شيئاً؟» قال: نعم قال «ماذا؟» قال: خاتم فضة. قال: «من أعطاكه؟» قال: ذلك القائم، فإذا هو علي بن أبي طالب، أعطانيه وهو راعع، فقرأ رسول الله □ هذه الآية (1061).

وورد في سبب نزولها غير ما ذكره المؤلف رحمه الله.

فروى الثعلبي: أنها نزلت في عبادة بن الصامت: قال ابن عباس: أسلم عبد الله بن أبي بن سلول، ثم قال: بيني وبين قريظة والنضير حلف وأنا أخاف الدوائر، فارتد كافراً. وقال عبادة بن الصامت: أبرأ إلى الله عز وجل من حلف قريظة والنضير، وأتولى الله والرسول والذين آمنوا فأنزل الله تعالى (1062). □
 والثالث: عن ابن عباس قال: نزلت في أبي بكر (إِنَّمَا وَلِيُّكُمُ اللَّهُ وَرَسُولُهُ وَالَّذِينَ آمَنُوا الْآيَاتَانِ) (1063). □
 والرابع: أنها عامة في كل مؤمن فروى الثعلبي عن هشيم بن عبد الملك قال: سألت أبا جعفر عن قوله (إِنَّمَا وَلِيُّكُمُ اللَّهُ وَرَسُولُهُ وَالَّذِينَ آمَنُوا) قال: هم المؤمنون بعضهم أولياء بعضهم (1064). □

قلت: وحمل الآية على عمومها هو أولى الأقوال بالصواب فهو يشمهل علي بن أبي طالب وعبادة بن الصامت وأبي بكر الصديق وغيرهم من المؤمنين.

[تفسير مختصر للآية]

(إنما وليكم الله ورسوله والذين آمنوا) أي ليس اليهود والنصارى بأوليائكم، إنما أولياؤكم الله ورسوله والمؤمنون. (الذين يقيمون الصلاة ويؤتون الزكاة وهم راععون) أي المؤمنون المتصفون بهذه الأوصاف الجليلة: من اقام الصلاة، وإيتاء الزكاة، وهم خاشعون متواضعون لله عز وجل، قال في التسهيل: ذكر تعالى (الولى) بلفظ المفرد [وليكم] إفراداً لله تعالى بهما، ثم عطف على اسمه تعالى الرسول، والمؤمنين على سبيل التبع، ولو قال "إنما أولياؤكم" لم يكن في الكلام أصل وتبع. (ومن يتول الله ورسوله والذين آمنوا فإن حزب الله هم الغالبون) أي من يتول الله ورسوله والمؤمنين، فإنه من حزب الله، وهم

(1054) صفوة التفسير - للصابوني (227 / 1)

(1055) المعجم الأوسط/ 6/ 218 ح (6232) عن عمار بن ياسر قال: «وقف على بن أبي طالب سائل وهو راعع في تطوع، فنزع خاتمه فأعطاه السائل، فأتى رسول الله □ فأعلمه ذلك، فنزلت على النبي □ هذه الآية: (إنما وليكم الله ورسوله والذين آمنوا الذين يقيمون الصلاة ويؤتون الزكاة وهم راععون) فقرأها رسول الله □ ثم قال: من كنت مولاه فعلي مولاه، اللهم وال من والاه وعاد من عاداه» قال الطبراني بعد إخراج: لا يروى هذا الحديث عن عمار بن ياسر إلا بهذا الإسناد تفرد به خالد بن يزيد (1056) في إسناده عبد الوهاب بن مجاهد قال ابن كثير لا يحتاج به

(1057) من طريق الضحاك عن ابن عباس ولم يلقه وله إسناد آخر عن الكلبي وهو كذاب

(1058) لم يذكر ابن كثير إسناده

(1059) تفسير الطبري 6/ 289 وهو مرسل، وفي إسناده غالب بن عبيد الله ضعيف انظر ترجمته في الكامل وضعفاء البخاري والنسائي والجرح والتعديل ولسان الميزان.

(1060) تفسير ابن أبي حاتم 4/ 1162 وهو مرسل وفي إسناده موسى بن قيس الحضرمي صدوق رمي بالتشيع.

(1061) أسباب النزول للواحدي (133)

(1062) الكشف والبيان عن تفسير القرآن (79 / 4)

(1063) الكشف والبيان عن تفسير القرآن (81 / 4)

(1064) الكشف والبيان عن تفسير القرآن (81 / 4)

(قُلْ يَا أَهْلَ الْكِتَابِ هَلْ تَنْقُمُونَ مِنَّا إِلَّا أَنْ ءَامَنَّا بِاللَّهِ وَمَا أُنزِلَ إِلَيْنَا وَمَا أُنزِلَ مِن قَبْلُ وَأَنَّ أَكْثَرَكُمْ فَسِقُونَ (٥٩))
 (يَا أَيُّهَا الَّذِينَ ءَامَنُوا لَا تَتَّخِذُوا الَّذِينَ اتَّخَذُوا دِينَكُمْ هُزُؤًا وَلَعِبًا مِّنَ الَّذِينَ أُوتُوا الْكِتَابَ مِن قَبْلِكُمْ وَالْكَفَّارَ أَوْلِيَاءَ وَاتَّقُوا اللَّهَ)
 (إِنْ كُنْتُمْ مُّؤْمِنِينَ ٥٧)

قوله تعالى: (يا أيها الذين آمنوا لا تتخذوا الذين اتخذوا دينكم) - الآية.

414. روى أبو الشيخ وابن حبان عن ابن عباس قال: « كان رفاعة بن زيد بن التابوت وسويد بن الحارث قد أظهر الإسلام وناقفا، وكان رجل من المسلمين يوادهما فأنزل الله: (يا أيها الذين آمنوا لا تتخذوا الذين اتخذوا دينكم) إلى قوله: (بما كانوا يكتمون)⁽¹⁰⁶⁶⁾ ».

415. وبه قال: « أتى النبي ﷺ نفر من يهود فيهم أبو ياسر بن أخطب ونافع بن أبي نافع وغازي بن عمر، فسألوه عن يؤمن به من الرسل قال: « مز أو من بالله وما أنزل إلى إبراهيم وإسماعيل وإسحاق ويعقوب والأسباط وما أوتي موسى وعيسى وما أوتي النبيون من ربهم لا نفرق بين أحد منهم ونحن له مسلمون - الآية، فلما ذكر عيسى جحدوا نبوته وقالوا لا نؤمن بعيسى ولا بمن آمن به، فأنزل الله فيهم (قل يا أهل الكتاب هل تنقمون منا) - الآية⁽¹⁰⁶⁷⁾ ».

[تعليق]

ذكر المؤلف رحمه الله أثرين. لكن الأول متعلق بقوله تعالى (يا أيها الذين آمنوا لا تتخذوا) - الآية. والثاني متعلق بقوله تعالى (قل يا أهل الكتاب هل تنقمون منا) - الآية.

فأما السبب الأول: ففي نهى المؤمنين عن أن يوادوا اليهود والمنافقين حال كونهم يستهزئون بشعائر دين الإسلام. وقد ورد في سبب نزول هذه الآية كذلك. فروى مقاتل قال: وذلك أن اليهود كانوا إذا سمعوا الأذان، ورأوا المسلمين قاموا إلى صلاتهم، يقولون: قد قاموا لا قاموا، وإذا رأوهم ركعوا، قالوا: لا ركعوا، وإذا رأوهم سجدوا ضحكوا، وقالوا: لا سجدوا، واستهزءوا، يقول الله تعالى: (ذلك بأنهم قوم لا يعقلون)⁽¹⁰⁶⁸⁾.

السبب الثالث: ما أخرجه الواحدي وغيره. قال السدي: نزلت في رجل من نصارى المدينة كان إذا سمع المؤذن يقول: أشهد أن محمدا رسول الله قال: حرق الكاذب فدخل خادمه بنار ذات ليلة وهو نائم وأهله نيام، فطارت منها شرارة في البيت فاحترق هو وأهله⁽¹⁰⁶⁹⁾.

والرابع: أنها نزلت في الكفار قال الواحدي: وقال آخرون: إن الكفار لما سمعوا الأذان حضروا رسول الله ﷺ والمسلمون على ذلك، وقالوا: يا محمد لقد أبدعت شيئا لم نسمع به فيما مضى من الامم، فإن كنت تدعي النبوة فقد خالفت فيما أحدثت من هذا الأذان الانبياء من قبله، ولو كان في هذا خير كان أولى الناس به الانبياء والرسل من قبلك، فمن أين لك صياح كصياح البعير، فما أقبح من صوت ولا أسمح من كفر، فأنزل الله تعالى هذه الآية⁽¹⁰⁷⁰⁾.

وأما الآية الثانية التي ذكرها المؤلف وهي قوله تعالى: (قل يا أهل الكتاب هل تنقمون منا) فلم أجد فيها غير ما ذكره المؤلف وهي متصلة في المعنى بما قبلها، ذكر ذلك الإمام القرطبي رحمه الله⁽¹⁰⁷¹⁾.

قلت: فهذه والآيات فيها النهي عن اتخاذ الذين اتخذوا ديننا هزوا ولعبا سواء من أهل الكتاب أو من المشركين فهي عامة في الجميع فنهى عن اتخاذهم أولياء والآية الثانية فيها إخبار عن حقد أهل الكتاب على أهل الإسلام لمجرد أنهم يؤمنون بالله تعالى وذلك كقوله تعالى (وما نقموا منهم إلا أن يؤمنوا بالله العزيز الحميد) وقال تعالى (ودوا لو تكفروا كما كفروا فتكونون سواء فلا تتخذوا منهم أولياء) .

[تفسير مختصر للآيات]

(يا أيها الذين آمنوا لا تتخذوا الذين اتخذوا دينكم هزوا ولعبا) أي لا تتخذوا أعداء الدين الذين يسخرون من دينكم وبهزءون. (من الذين أوتوا الكتاب من قبلكم والكفار أولياء) أي من هؤلاء المستهزئين " اليهود والنصارى " وسائر الكفرة، أولياء لكم تودونهم وتحبونهم وهم أعداء لكم، فمن اتخذ دينكم سخرية، لا يصح لكم ان تصادقوه أو تولوه، بل يجب ان تبغضوه وتعادوه. (واتقوا الله ان كنتم مؤمنين) أي اتقوا الله في موالاته الكفار والفجار، ان كنتم مؤمنين حقا.. ثم بين تعالى جانبنا من استهزائهم فقال: (وإذا ناديتكم إلى الصلاة إتخذوها هزوا ولعبا) أي وإذا اذنتم إلى الصلاة ودعوتكم إليها، سخروا منكم ومن صلاتكم. (ذلك بأنهم قوم لا يعقلون) أي ذلك الفعل منهم بسبب إنهم فجرة، لا يعقلون حكمة الصلاة، ولا يدركون غايتها في تطهير النفوس، ونفى العقل عنهم، لكونهم لم ينتفعوا به في أمر الدين، وإن كان لهم عقول يدركون بها مصالح الدنيا. (قل يا أهل الكتاب هل تنقمون منا) أي قل يا محمد: يا معشر اليهود والنصارى هل تعيبون علينا وتكفرون منا

⁽¹⁰⁶⁵⁾صفوة التفسير - للصابوني (228 / 1)

⁽¹⁰⁶⁶⁾تفسير ابن جرير 6/290 وإسناده ضعيف.

⁽¹⁰⁶⁷⁾تفسير ابن جرير 6/292 وإسناده ضعيف.

⁽¹⁰⁶⁸⁾تفسير مقاتل بن سليمان (308 / 1)

⁽¹⁰⁶⁹⁾أسباب النزول للواحدي (134)

⁽¹⁰⁷⁰⁾أسباب النزول للواحدي (134)

⁽¹⁰⁷¹⁾تفسير القرطبي - (233 / 6)

(إلا أن أمانا بالله وما أنزل إلينا وما أنزل من قبل) أى إلا إيماننا بالله وبما جاء به رسول الله؟ قال ابن كثير: أى هل لكم علينا مطعن أو عيب الا هذا؟ وهذا ليس بعيب ولا مذمة فيكون الإستثناء منقطعا. (وان أكثركم فاسقون) أى خارجون عن الطريق المستقيم⁽¹⁰⁷²⁾.

(وَقَالَتِ الْيَهُودُ يُدُّ اللَّهُ مَغْلُوبَةً غَلَّتْ أَيْدِيهِمْ وَلُعِنُوا بِمَا قَالُوا بَلْ يَدَاهُ مَبْسُوطَتَانِ يُنْفِقُ كَيْفَ يَشَاءُ وَلَيَزِيدَنَّ كَثِيرًا مِّنْهُم مَّا أَنْزَلَ إِلَيْكَ مِنْ رَبِّكَ طُغْيَانًا وَكُفْرًا وَالَّذِينَ بَيْنَهُمُ الْعَدُوةَ وَالْبَغْضَاءَ إِلَى يَوْمِ الْقِيَامَةِ كُلَّمَا أَوْقَدُوا نَارًا لِلْحَرْبِ أَطْفَأَهَا اللَّهُ وَيَسْعَوْنَ فِي الْأَرْضِ فَسَادًا وَاللَّهُ لَا يُحِبُّ الْمُفْسِدِينَ (٦٤))

قوله تعالى: (وقالت اليهود) - الآية.

416. [ك] أخرج الطبراني عن ابن عباس قال: « قال رجل من اليهود يقال له النباش بن قيس: أن ربك بخيل لا ينفق، فأُنزل الله: (وقالت اليهود يد الله مغلولة) - الآية⁽¹⁰⁷³⁾ ».

417. وأخرج أبو الشيخ من وجه آخر عنه قال: « نزلت: (وقالت اليهود يد الله مغلولة) في فحاص رأس يهود قينقاع⁽¹⁰⁷⁴⁾ ».

[تعليق]

ذكر المؤلف رحمه الله أثنين في سبب نزول هذه الآية، وفيهما شناعة قول اليهود واتهام الله تعالى بأن يده مغلولة كناية عن البخل فرد الله تعالى إدعاءهم، وسواء في ذلك قاله فحاص اليهودي أو النباش أو أي رجل آخر من اليهود، فالآية توضح قبح مقالة اليهود.

[تفسير مختصر للآية]

(وقالت اليهود يد الله مغلولة) أى قال اليهود اللعناء: ان الله بخيل يقتر الرزق على العباد، قال ابن عباس: مغلولة أى بخيلة أمسك ما عنده بخلا، ليس يعنون ان يد الله موثقة، ولكنهم يقولون إنه بخيل.

(غلت أيديهم) دعاء عليهم بالبخل المذموم والفرق والنكد.

(ولعنوا بما قالوا) أى أبعدهم الله من رحمته، بسبب تلك المقالة الشنيعة.

(بل يدها ميسوطتان ينفق كيف يشاء) أى بل هو جواد كريم، سابع الإنعام، يرزق ويعطي كما يشاء، قال ابو السعود: وتضييق الرزق ليس لقصور في فيضه، بل لأن إنفاقه تابع لمشيئته المبنية على الحكم، وقد اقتضت الحكمة بسبب ما فيهم من شؤم المعاصي ان يضيق عليهم⁽¹⁰⁷⁵⁾.

(يَا أَيُّهَا الرَّسُولُ بَلِّغْ مَا أُنزِلَ إِلَيْكَ مِنْ رَبِّكَ وَإِنْ لَمْ تَفْعَلْ فَمَا بَلَّغْتَ رِسَالَتَهُ وَاللَّهُ يَعْصِمُكَ مِنَ النَّاسِ إِنَّ اللَّهَ لَا يَهْدِي الْقَوْمَ الْكَافِرِينَ (٦٧))

قوله تعالى: (يا أيها الرسول بلغ) - الآية.

418. أخرج أبو الشيخ عن الحسن أن رسول الله ﷺ قال: « إن الله بعثني برسالة فضقت بها ذرعا وعرفت أن الناس مكذبي، فوعدني لأبلغن أو ليعذبنني » فأُنزلت: (يا أيها الرسول بلغ ما أنزل إليك من ربك)⁽¹⁰⁷⁶⁾.

419. وأخرج ابن أبي حاتم عن مجاهد قال: « لما نزلت: (يا أيها الرسول بلغ ما أنزل إليك من ربك) قال: «يا رب كيف أصنع وأنا وحدي يجتمعون علي؟» فنزلت: (وإن لم تفعل فما بلغت رسالته)⁽¹⁰⁷⁷⁾ ».

420. وأخرج الحاكم والترمذي عن عائشة قالت: « كان النبي ﷺ يحرس حتى نزلت هذه الآية: (والله يعصمك من الناس) فأخرج رأسه من القبة فقال: « يا أيها الناس انصرفوا فقد عصمني الله⁽¹⁰⁷⁸⁾ ».

في هذا الحديث دليل على أنها - أي الآية - ليلية نزلت ليلا فراشية والرسول في فراشه.

⁽¹⁰⁷²⁾ صفوة التفسير - للصابوني (1/ 229)

⁽¹⁰⁷³⁾ المعجم الكبير 12/67 ح (12497) وفي إسناده محمد بن أبي محمد تقدم غير مرة أنه مجهول، فالعجب من الهيئتي حيث قال في مجمعه: إن إسناده ثقات، ولعله اعتمد توثيق ابن حبان له كما جرى من عادته توثيق المجاهيل.

⁽¹⁰⁷⁴⁾ تفسير ابن جرير 6/300 عن عكرمة وإسناده ضعيف.

⁽¹⁰⁷⁵⁾ صفوة التفسير - للصابوني (1/ 230)

⁽¹⁰⁷⁶⁾ أخرجه إسحاق ابن راهويه في مسنده 1/402 ح (443) وأبو نعيم في الحلية 5/202 من حديث أبي هريرة، وفي إسناده كلثوم بن محمد بن أبي سدره ضعيف، وليس فيه تصريح بسبب النزول، ولفظه: « إن الله أرسلني برسالة فضقت بها ذرعا وعلمت أن الناس مكذبي، فأوعدني أن أبلغها أو يعذبني » وما عزاه المؤلف للحسن فمرسل وفيه ذكر السبب

⁽¹⁰⁷⁷⁾ تفسير ابن أبي حاتم 4/1173 مرسل وفيه راو مبهم

⁽¹⁰⁷⁸⁾ المستدرک علی الصحیحین 2/342 ح (3221) وقال: صحیح الإسناد ولم يخرجاه سنن الترمذي 5/251 ح (3046) وقال: غريب، سنن سعيد بن منصور 4/1503 ح (768) سنن البيهقي الكبرى 9/8 ح (17508) اعتقاد أهل السنة للإكثاني 4/762 ح (1417) وإسناده صحيح قال الإمام الترمذي: حدثنا عبد بن حميد حدثنا مسلم بن إبراهيم حدثنا الحرث بن عبيد عن سعيد الجريري عن عبد الله بن شقيق عن عائشة - به، وله شاهد عند الطبراني في الصغير والأوسط من حديث أبي سعيد وإسناده ضعيف، وشاهد آخر عند الطبراني في الكبير وأبي يعلى في المعجم من حديث ابن عباس وإسناده أيضا ضعيف.

421. وأخرج الطبراني عن أبي سعيد الخدري قال: « كان العباس عم رسول الله ﷺ فيمن يحرسه، فلما نزلت: (والله يعصمك من الناس) - ترك الحرس (1079) ».
422. [ك] وأخرج أيضاً عنصمة بن مالك الخطمي قال: « كنا نحرس رسول الله ﷺ بالليل حتى نزلت: (والله يعصمك من الناس) فترك الحرس (1080) ».
423. [ك] وأخرج ابن حبان في صحيحه عن أبي هريرة قال: « كنا إذا أصبحنا ورسول الله ﷺ في سفر تركنا له أعظم شجرة وأظلمها فينزل تحتها، فنزل ذات يوم تحت الشجرة وعلق سيفه فيها فجاء رجل وأخذه وقال: يا محمد من يمنعك مني؟ فقال رسول الله ﷺ: « الله يمنعني منك ضع السيف » فوضعه فنزلت: (والله يعصمك من الناس) (1081) ».
424. [ك] وأخرج ابن أبي حاتم وابن مردويه عن جابر بن عبد الله قال: « لما غزا رسول الله ﷺ بني أنمار نزل ذات الرقيع بأعلى نخل، فبينما هو جالس على رأس بئر قد دلى رجليه، فقال الوارث من بني النجار: لأقتلن محمداً، فقال له أصحابه: كيف تقتله؟ قال أقول له أعطني سيفك فإذا أعطانيه قتلته، فأتاه فقال له: يا محمد أعطني سيفك أشمه (1082)، فأعطاه إياه فرعدت يده، فقال رسول الله ﷺ: « أحال الله بينك وبين ما تريد؟ فأنزل الله: (يا أيها الرسول بلغ) (1083) - الآية. »
425. [ك] ومن غريب ما ورد في سبب نزولها ما أخرجه ابن مردويه والطبراني عن ابن عباس قال: « كان النبي ﷺ يحرس، وكان يرسل معه أبو طالب كل يوم رجلاً من بني هاشم يحرسونه حتى نزلت هذه الآية: (والله يعصمك من الناس) فأراد أن يرسل معه من يحرسه، فقال: « يا عم إن الله عصمني من الجن والإنس (1084) ».
426. وأخرج ابن مردويه عن جابر بن عبد الله نحوه (1085). وهذا يقتضي أن الآية مكية والظاهر خلافه.

[تعليق]

ذكر المؤلف رحمه الله عدة آثار في سبب نزول هذه الآية بعضها صحيح وبعضها ضعيف. لكن يمكن الجمع بينها كلها والآية فيها بيان أن الله تعالى عاصم نبيه ﷺ من أن يغتال أو أن يأخذ على غرة. الأثر الأول والثاني متعلقان بمطلع الآية (يا أيها الرسول بلغ ما أنزل إليك من ربك) وبقية الآثار متعلقة بقوله تعالى (والله يعصمك من الناس) وقد أخبر المؤلف أن هذه الآية ليلية والأثر الآخر في الرجل الذي أمسك السيف والنبي ﷺ قائل دليل على أنها نهائية، لكن يمكن الجمع بتأخر سبب النزول، فالنبي ﷺ كان يحرس ليلاً ونهاراً فتأخر نزول الآية حتى وقع ما وقع من وقوف الرجل عليه بالسيف فنزلت الآية في الأمرين جميعاً والله تعالى أعلم.

وقد روى مقاتل أن الآية نزلت في اليهود قال: (يا أيها الرسول بلغ ما أنزل إليك من ربك وإن لم تفعل فما بلغت رسالته والله يعصمك من الناس)، يعني من اليهود، فلا تقتل، (إن الله لا يهدي القوم الكافرين) [آية: 67]، يعني اليهود، فلما نزلت هذه الآية، أمن النبي ﷺ من القتل والخوف، فقال: « لا أبالي من خذلني ومن نصرني »، وذلك أنه كان يخشى أن تغتاله اليهود فتقتله (1086).

قلت قوله تعالى (والله يعصمك من الناس) عامة في جميع الناس سواء في اليهود أو في الكفار أو في غيرهم ممن كان يكيد للنبي ﷺ، وقد ورد في السنة كثير من الأحاديث التي تدل على مكر اليهود والكفار ومحاولتهم قتل النبي ﷺ، فالآية عامة في كل هؤلاء والله تعالى أعلم.

[تفسير مختصر للآية]

(يا أيها الرسول بلغ ما أنزل إليك من ربك) أي: لا تراقب أحداً ولا تترك شيئاً مما أنزل إليك تخوفاً من أن ينالك مكروه بلغ الجميع مجاهراً به. (وإن لم تفعل فما بلغت رسالته) إن كتمت آية مما أنزلت إليك لم تبلغ رسالتي يعني: إنه إن ترك بلاغ البعض كان كمن لم يبلغ. (والله يعصمك من الناس) أن ينالوك بسوء. (إن الله لا يهدي القوم الكافرين) لا يرشد من كذبك (1087).

(1079) المعجم الأوسط 4/21 ح (3510) المعجم الصغير 1/255 ح (418) وفي إسناده عطية العوفي وفضيل بن مرزوق ضعيفان.

(1080) وعزاه ابن كثير لابن مردويه وفي إسناده الفضل بن المختار منكر الحديث جدا انظر ترجمته في لسان الميزان.

(1081) موارد الظمان (زوائد ابن حبان) 1/430 ح (1739) المؤلف: نور الدين علي بن أبي بكر بن سليمان الهيثمي (المتوفى: 807 هـ) المحقق: محمد عبد الرزاق حمزة الناشر: دار الكتب العلمية وعزاه ابن كثير لابن مردويه وإسناده جيد قال: أخبرنا عبد الله بن محمد الأزدي حدثنا إسحاق بن إبراهيم الحنظلي أنبأنا مؤمل بن إسماعيل حدثنا حماد بن سلمة حدثنا محمد بن عمرو عن أبي سلمة عن أبي هريرة - به

(1082) في المخطوط [أشيمه] بزيادة الباء.

(1083) تفسير ابن أبي حاتم 4/1173 في إسناده موسى بن عبيدة ضعيف

(1084) المعجم الكبير 11/256 ح (11663) وفي إسناده النضر بن عبد الرحمن قال الهيثمي في الزوائد: ضعيف وقال: الحافظ متروك

(1085) ابن مردويه في تفسيره انظر تفسير ابن كثير 2/79 وهو من رواية أبي الزبير عن جابر وهو مدلس قد رواه بالنعنة، وفي إسناده من لم أجد له ترجمة

(1086) تفسير مقاتل بن سليمان (1/312)

(1087) الوجيز للواحد (328)

(قُلْ يَا أَهْلَ الْكِتَابِ لَسْتُمْ عَلَىٰ شَيْءٍ حَتَّىٰ تُقِيمُوا التَّوْرَةَ وَالْإِنْجِيلَ وَمَا أُنزِلَ إِلَيْكُمْ مِّن رَّبِّكُمْ وَلَيَزِيدَنَّ كَثِيرًا مِّنْهُم مَّا أُنزِلَ إِلَيْكَ مِنْ رَبِّكَ طُغْيَانًا وَكُفْرًا فَلَا تَأْسَ عَلَى الْقَوْمِ الْكَافِرِينَ (٦٨))

قوله تعالى: (قل يا أهل الكتاب)- الآية.

427. [ك] روى ابن جرير وابن أبي حاتم عن ابن عباس قال: « جاء رافع وسلام بن مشكم ومالك بن الصيف فقالوا: يا محمد ألتست تزعم أنك على ملة إبراهيم ودينه وتؤمن بما عندنا؟ قال: « بلى ولكنكم أحدثتم وحدثتم بما فيها وكنتم ما أمرتم أن تبينوه للناس » قالوا: فإنا نأخذ بما في أيدينا فإنا على الهدى والحق، فأنزل الله: (قل يا أهل الكتاب لستم على شيء)- الآية(1088)».

[تعليق]

ذكر المؤلف رحمه الله سبباً واحداً لنزول هذه الآية. وهو في ادعاء اليهود أنهم على الهدى فأنزل الله تعالى تكذيب ادعاءهم وأخبرهم أنهم ليسوا على شيء حتى يعملوا بما في أيديهم من كتب الله المنزلة عليهم وفيها الأمر باتباع محمد □.

[تفسير مختصر للآية]

يقول تعالى: قل يا محمد:

(يَا أَهْلَ الْكِتَابِ لَسْتُمْ عَلَىٰ شَيْءٍ) أي: من الدين

(حَتَّىٰ تُقِيمُوا التَّوْرَةَ وَالْإِنْجِيلَ) أي: حتى تؤمنوا بجميع ما بأيديكم من الكتب المنزلة من الله على الأنبياء، وتعملوا بما فيها ومما فيها الأمر باتباع محمد □ والإيمان بمبعثه، والافتداء بشريعته؛ ولهذا قال ليث ابن أبي سليم، عن مجاهد، في قوله: (وَمَا أُنزِلَ إِلَيْكُمْ مِنْ رَّبِّكُمْ) يعني: القرآن العظيم. وقوله: (وَلَيَزِيدَنَّ كَثِيرًا مِّنْهُم مَّا أُنزِلَ إِلَيْكَ مِنْ رَبِّكَ طُغْيَانًا وَكُفْرًا) تقدم تفسيره (فَلَا تَأْسَ عَلَى الْقَوْمِ الْكَافِرِينَ) أي: فلا تحزن عليهم ولا يهيدنك ذلك منهم(1089).

(لَتَجِدَنَّ أَشَدَّ النَّاسِ عَدُوًّا لِلَّذِينَ آمَنُوا الْيَهُودَ وَالَّذِينَ أَشْرَكُوا وَلَتَجِدَنَّ أَقْرَبَهُم مَّوَدَّةً لِلَّذِينَ آمَنُوا الَّذِينَ قَالُوا وَ إِنَّا نَصْرَىٰ ذَلِكَ بَأَنَّ مِنْهُمْ قَسِيصِينَ وَرُهْبَانًا وَأَنَّهُمْ لَا يَسْتَكْبِرُونَ (٨٢))

قوله تعالى: (ولتجدن أقربهم مودة) - الآية.

428. أخرج ابن أبي حاتم عن سعيد بن المسيب وأبي بكر بن عبد الرحمن وعروة بن الزبير قالوا: « بعث رسول الله □ عمرو بن أمية الضمري وكتب معه كتابا إلى النجاشي، فقدم على النجاشي فقرأ كتاب رسول الله □ ثم دعا جعفر بن أبي طالب والمهاجرين معه وأرسل إلى الرهبان والقسيسين ثم أمر جعفر بن أبي طالب فقرأ عليهم سورة مريم، فآمنوا بالقرآن وفاضت أعينهم من الدمع، فهم الذين أنزل الله فيهم: (ولتجدن أقربهم مودة) إلى قوله (فآكتبنا مع الشاهدين) (1090)».

429. وروى ابن أبي حاتم عن سعيد بن جبير قال: « بعث النجاشي ثلاثين رجلاً من خيار أصحابه إلى رسول الله □ فقرأ عليهم سورة يس فبكوا فنزلت فيهم الآية(1091)».

430. وأخرج النسائي عن عبد الله بن الزبير قال: « نزلت هذه الآية في النجاشي وأصحابه: (وإذا سمعوا ما أنزل إلى الرسول ترى أعينهم تفيض من الدمع) (1092)».

431. وروى الطبراني عن ابن عباس نحوه أبسط منه(1093).

[تعليق]

ذكر المؤلف رحمه الله عدة آثار كلها يشهد بعضها لبعض في كون الآية نزلت في النجاشي ملك الحبشة وأصحابه عندما سمعوا القرآن، ووصف القرآن حالهم بأبلغ وصف بأن أعينهم تفيض من الدمع كناية على كمال إيمانهم بما أنزل الله تعالى على النبي □، والآثار التي ذكرها المؤلف تشتمل على سببين الأول: في تلاوة الصحابة على النجاشي القرآن بالحبشة والثاني: في وفد النجاشي عندما أتوا النبي □، وكلاهما محتمل في سبب نزول هذه الآية فالنبي □ أرسل أصحابه، ثم لما قرأ عليهم القرآن أرسل النجاشي وفده فنزلت الآية في الأمرين والله تعالى أعلم.

(1088) تفسير ابن أبي حاتم 4/1147 تفسير ابن جرير 6/310 وإسناده ضعيف.

(1089) تفسير ابن كثير (3/156)

(1090) تفسير ابن أبي حاتم 4/1185 مرسل.

(1091) تفسير ابن أبي حاتم 4/1185 في إسناده منصور بن أبي المزاحم عن أبي سعيد بن أبي الرضاح وهو إسناده صحيح لكنه مرسل.

(1092) سنن النسائي الكبرى 6/336 ح(11148) وفي إسناده عمر بن علي المقدمي ثقة شديد التدليس.

(1093) المعجم الكبير 12/55 ح(12455) وفي إسناده عبد الجبار بن نافع الضبي قال العقيلي في الضعفاء: مجهول بنقل الحديث وهو مع الذي قبله والمراسيل التي ذكرها ابن أبي حاتم تصلح لإثبات سبب النزول

(لتجدن اشد الناس عداوة للذين آمنوا اليهود والذين أشركوا) اللام للقسم أى قسما بالله لتجدن يا محمد اليهود والمشركون، اشد الناس عداوة للمؤمنين.

(ولتجدن أقربهم مودة للذين آمنوا الذين قالوا انا نصارى)نزلت في النجاشي ملك الحبشة وأصحابه، وصف الله شدة شكيمة اليهود، وصعوبة إجابتهم الى الحق، ولين عريكة النصارى وسهولة ميلهم الى الإسلام، وجعل اليهود قراء المشركون في شدة العداوة للمؤمنين، بل نبه على زيادة عداوتهم بتقديمهم على الذين اشركوا.

(ذلك بأن منهم قسيسين ورهبانا) تعليل لقرب مودتهم أى كونهم أقرب مودة، بسبب إن منهم علماء وعبادا. (وإنهم لا يستكبرون) أى يتواضعون لوداعتهم ولا يتكبرون كاليهود، قال البيضاوي: وفيه دليل على أن التواضع، والإقبال على العلم والعمل والإعراض عن الشهوات، محمود وان كان من كافر.

(وإذا سمعوا ما أنزل الى الرسول) أى اذا سمعوا القرآن المنزل على محمد رسول الله (ترى أعينهم تفيض من الدمع مما عرفوا من الحق) أى تنهمر منها الدموع، من أجل معرفتهم إنه كلام الله وأنه حق. (يقولون ربنا أمانا) أى يقولون: يا ربنا صدقتنا بنبيك وكتابك.

(فآكذبنا مع الشاهدين) أى مع أمة محمد عليه السلام، الذين يشهدون على الأمم يوم القيامة، قال ابن عباس: نزلت هذه الآيات في النجاشي وأصحابه الذين حين تلا عليهم (جعفر بن أبي طالب) بالحبشة القرآن، بكوا حتى اخضلوا لحاهم.

(وما لنا لا نؤمن بالله وما جاءنا من الحق) أى ما الذي يمنعنا عن الإيمان ويصدنا عن إتباع الحق، وقد لاح لنا الصواب، وظهر الحق المنير؟ قالوا ذلك في جواب من عبرهم بالإسلام من اليهود، قال في البحر: هذا انكار واستبعاد لإنتفاء الإيمان منهم، مع قيام موجبه وهو عرفان الحق.

(ونطمع أن يدخلنا ربنا مع القوم الصالحين) أى والحال إننا نطمع أن يدخلنا ربنا الجنة، بصحبة الصالحين من عباده الأبرار. (فأتأبهم الله بما قالوا) أى جازاهم على إيمانهم وتصديقهم وإعترافهم بالحق

(جنات تجرى من تحتها الأنهار خالدين فيها) أى ماكنين فيها أبدا، لا يحولون عنها ولا يزولون. (وذلك جزاء المحسنين) أى ذلك الأجر والثواب، جزاء من أحسن عمله وأصلح نيته ⁽¹⁰⁹⁴⁾.

(يَا أَيُّهَا الَّذِينَ ءَامَنُوا لَا تَحْرِمُوا طَيِّبَاتِ مَا أَحَلَّ اللَّهُ لَكُمْ وَلَا تَعْتَدُوا إِنَّ اللَّهَ لَا يُحِبُّ الْمُعْتَدِينَ (٨٧))

قوله تعالى: (يا أيها الذين آمنوا لا تحرموا)- الآية.

432. روى الترمذي وغيره عن ابن عباس « أن رجلاً أتى النبي ﷺ فقال: يا رسول الله إنني إذا أصبت اللحم انتشرت للنساء وأخذتني شهوتي فحرمت علي اللحم، فأنزل الله: (يا أيها الذين آمنوا لا تحرموا طيبات ما أحل الله لكم) - الآية ⁽¹⁰⁹⁵⁾ ».

433. وأخرج ابن جرير من طريق العوفي عن ابن عباس « أن رجلاً من الصحابة منهم عثمان بن مظعون حرموا النساء واللحم على أنفسهم وأخذوا الشفار ليقطعوا مذاكيرهم لكي تنقطع الشهوة عنهم ويتفرغوا للعبادة، فنزلت ⁽¹⁰⁹⁶⁾ ».

434. وأخرج نحو ذلك من مرسل عكرمة.

435. وأبي قلابة.

436. ومجاهد.

437. وأبي مالك.

438. والنخعي.

439. والسدي وغيرهم ⁽¹⁰⁹⁷⁾ وفي رواية السدي « أنهم كانوا عشرة منهم ابن مظعون وعلي بن أبي طالب » وفي رواية عكرمة « منهم ابن مظعون وعلي وابن مسعود والمقداد بن الأسود وسالم مولى أبي حذيفة » وفي رواية مجاهد « منهم ابن مظعون وعبد الله بن عمر ».

440. وأخرج ابن عساکر في تاريخه من طريق السدي الصغير عن الكلبي عن أبي صالح عن ابن عباس قال: « نزلت هذه الآية في رهط من الصحابة منهم أبو بكر وعمر وعلي وابن مسعود وعثمان بن مظعون والمقداد بن الأسود وسالم مولى أبي حذيفة، توافقوا أن يجئوا أنفسهم ويعتزلوا النساء ولا يأكلوا لحماً ولا دسماً ويلبسوا المسوح ولا يأكلون من الطعام إلا قوتا وأن يسبحوا في الأرض كهينة الرهبان فنزلت ⁽¹⁰⁹⁸⁾ ».

⁽¹⁰⁹⁴⁾صفوة التفسير - للصابوني (1/ 236)

⁽¹⁰⁹⁵⁾سنن الترمذي 5/255 ح 3054 وقال: حسن غريب، ورواه بعضهم عن عثمان بن سعيد مرسل ليس فيه ذكر ابن عباس، قلت: هو حديث صحيح على شرح البخاري، والراوي عن عمر بن سعيد أبو عاصم النبيل وهو ثقة لا يقدر في زيادته إذا لم تخالف من هو أولى منه وهذا من هذا القبيل قال: حدثنا عمرو بن علي أبو حفص الفلاس حدثنا أبو عاصم حدثنا عثمان بن سعد حدثنا عكرمة عن ابن عباس -

⁽¹⁰⁹⁶⁾تفسير ابن جرير 7/10 وإسناده شديد الضعف.

⁽¹⁰⁹⁷⁾تفسير ابن جرير 7/10 ح 11 وكلها مراسيل وفي أسانيد بعضها ضعف.

⁽¹⁰⁹⁸⁾تاريخ دمشق/173 وإسناده تالف

441. وروى ابن أبي حاتم عن زيد بن أسلم « أن عبد الله بن رواحة أضافه ضيف من أهله وهو عند النبي ﷺ ثم رجع إلى أهله فوجدهم لم يطعموا ضيفه انتظارا له فقال لامرأته: حبست ضيفي من أجلي؟ هو حرام علي، فقالت امرأته: هو علي حرام، فقال الضيف: هو علي حرام، فلما رأى ذلك وضع يده وقال: كلوا بسم الله، ثم ذهب إلى النبي ﷺ فذكر الذي كان منهم، ثم أنزل الله: (يا أيها الذين آمنوا لا تحرموا طيبات ما أحل الله لكم)⁽¹⁰⁹⁹⁾».

[تعليق]

ذكر المؤلف رحمه الله عدة آثار في سبب نزول هذه الآية وهي تشتمل على ثلاثة أسباب. فالأول: في رجل من الصحابة كان إذا أكل اللحم ثارت شهوته فحرم اللحم على نفسه. الثاني: الثاني في رجال من الصحابة أرادوا أن يتفرغوا للعبادة فحرموا على أنفسهم ما أحل الله لهم فنزلت الآية. الثالث: في قصة ضيف ابن رواحة.

وقد ذكر الإمام ابن جرير هذه الآثار بسياق أطول مما هنا ولم يرجح بعضها لكن، لعل القول بأنها نزلت في حال الصحابة عندما أرادوا التفرغ للعبادة أرجح الأقوال وذلك لكثرة شواهد في الصحيح عن أنس بن مالك رضي الله عنه يقول « جاء ثلاث رهط إلى بيوت أزواج النبي صلى الله عليه وسلم يسألون عن عبادة النبي صلى الله عليه وسلم فلما أخبروا كأنهم تقالوها فقالوا أبن نحن من النبي صلى الله عليه وسلم؟ قد غفر الله له ما تقدم من ذنبه وما تأخر قال أحدهم أما أنا فإني أصلي الليل أبدا، وقال آخر أنا أصوم الدهر ولا أفطر. وقال آخر أنا أعتزل النساء فلا أتزوج أبدا. فجاء رسول الله صلى الله عليه وسلم فقال «أنتم الذين قتلتم كذا وكذا؟» أما والله أني لأخشاكم لله وأتقاكم له لكني أصوم وأفطر وأصلي وأرقد وأتزوج النساء فمن رغب عن سنتي فليس مني⁽¹¹⁰⁰⁾.

وقد ثبت عن عدة من الصحابة إرادتهم الاختصاص للتفرغ للعبادة فنهاهم النبي ﷺ، كما نهي عن التبتل. على أن عموم الآية يشمل السببين الآخرين وغيرهما فلا يحل لأحد أن يحرم ما أحل الله له ولا أن يتعدى ما أحل الله.

[تفسير مختصر للآية]

(يا أيها الذين آمنوا لا تحرموا طيبات ما أحل الله لكم) روى الطبري عن عكرمة قال: كان أناس من أصحاب النبي ﷺ هموا بالخصاء وترك اللحم والنساء، فنزلت هذه الآية أي لا تمنعوا أنفسكم تلك اللذائذ وتقولوا حرمانا على أنفسنا، مبالغة في تركها وتقسفا وتزهدا. (ولا تعتدوا) أي ولا تتعدوا حدود ما أحل الله لكم، بتجاوز الحلال إلى الحرام. (إن الله لا يحب المعتدين) أي يبغض المتجاوزين الحد، والإسلام يدعو إلى القصد، بدون إفراط ولا تفريط، ولهذا قال سبحانه. (وكلوا مما رزقكم الله حلالا طيبا) أي كلوا ما حل لكم وطاب مما رزقكم الله، قال في التسهيل: أي تمتعوا بالماكل الحلال وبالنساء وغير ذلك، وإنما خص الأكل بالذكر، لأنه أعظم حاجات الإنسان. (واتقوا الله الذي أنتم به مؤمنون) هذا استدعاء إلى (التقوى) بألطف الوجوه كأنه يقول: لا تضيعوا إيمانكم، بالتقصير في طاعة الله عز وجل، فتكون عليكم الحسرة العظمى، فإن الإيمان بالله تعالى يوجب المبالغة في تقوى الله⁽¹¹⁰¹⁾.

(يَا أَيُّهَا الَّذِينَ ءَامَنُوا إِنَّمَا الْخَمْرُ وَالْمَيْسِرُ وَالْأَنْصَابُ وَالْأَزْلَمُ رِجْسٌ مِّنْ عَمَلِ الشَّيْطَانِ فَاجْتَنِبُوهُ لَعَلَّكُمْ تُفْلِحُونَ
(٩٠)

قوله تعالى: (يا أيها الذين آمنوا إنما الخمر) - الآية.

442. روى أحمد عن أبي هريرة قال: «قدم رسول الله ﷺ المدينة وهم يشربون الخمر ويأكلون الميسر، فسألوا رسول الله ﷺ عنهما، فأنزل الله: (يسألونك عن الخمر والميسر) - الآية فقال الناس: ما حرم علينا إنما قال إثم كبير، وكانوا يشربون الخمر حتى كان يوم من الأيام صلى رجل من المهاجرين أم أصحابه في المغرب فخلط في قراءته، فأنزل الله آية أغلظ منها: (يا أيها الذين آمنوا لا تقربوا الصلاة وأنتم سكارى حتى تعلموا ما تقولون) ثم نزلت آية أغلظ من ذلك: (يا أيها الذين آمنوا إنما الخمر والميسر) إلى قوله: (فهل أنتم منتهون) قالوا: انتهينا ربنا، فقال الناس يا رسول الله قتلوا في سبيل الله وماتوا على فراشهم وكانوا يشربون الخمر ويأكلون الميسر وقد جعله الله رجسا من عمل الشيطان فأنزل الله: (ليس على الذين آمنوا وعملوا الصالحات جناح فيما طعموا) إلى آخر الآية⁽¹¹⁰²⁾».

443. وروى النسائي والبيهقي عن ابن عباس قال: «إنما نزل تحريم الخمر في قبيلتين من قبائل الأنصار شربوا فلما أن ثمل القوم عبث بعضهم ببعض، فلما صحوا جعل الرجل يرى الأثر في وجهه ورأسه

⁽¹⁰⁹⁹⁾ تفسير ابن أبي حاتم 4/1187 منقطع.

⁽¹¹⁰⁰⁾ صحيح البخاري (2/7)

⁽¹¹⁰¹⁾ صفوة التفاسير - للصابوني (1/236)

⁽¹¹⁰²⁾ مسند أحمد 2/351 ح (8605) وفي إسناده أبو معشر تقدم ضعفه قال الهيثمي: وأبو وهب مولى أبي هريرة لم يجرحه أحد ولم يوثقه.

ولحيته، فيقول: صنع بي هذا أخي فلان - وكانوا إخوة ليس في قلوبهم ضغائن - فيقول: والله لو كان بي رعوفاً رحيماً ما صنع بي هذا حتى وقعت الضغائن في قلوبهم، فأنزل الله هذه الآية: (يا أيها الذين آمنوا إنما الخمر والميسر) - الآية، فقال ناس من المتكفلين هي رجس وهي في بطن فلان وقد قتل يوم أحد، فأنزل الله: (ليس على الذين آمنوا وعملوا الصالحات) الآية⁽¹¹⁰³⁾».

[تعليق]

ذكر المؤلف رحمه الله أثنين في سبب نزول هذه الآية. وهذه الآية هي آية تحريم الخمر فحرمت الخمر بقوله تعالى (فاجتنبوا) وفي المعجم الأوسط عن أم سليم قالت لما نزل تحريم الخمر امر رسول الله صلى الله عليه وسلم هاتفاً يهتف الا إن الخمر قد حرمت فلا تبيعوها ولا تبتاعوها ومن كان عنده منها شيء فليهرقه قال ابو طلحة يا غلام احلل عن المزادة فأهرقها فاهرق الناس وماله خمر يومئذ الا البسر والتمر⁽¹¹⁰⁴⁾.

وقد تقدمت بعض الأحاديث في ذكر سبب نزول قول الله تعالى (لا تقربوا الصلاة وأنتم سكارى) سورة البقرة.

وفي سبب نزول هذه الآية غير ما ذكره المؤلف.

فروى الإمام الثعلبي طويلاً فيه غرابة أذكر منه موضع الشاهد. الأثر وفيه... فلما أصبح غدا حمزة على رسول الله يعنذر فقال: مه يا عم فقد سألت الله فعفا عنك.

قالوا: واتخذ عتبان بن مالك طعاماً فدعا رجلاً من المسلمين فيهم سعد بن أبي وقاص وكان قد شوى لهم رأس بغير، فأكلوا وشربوا الخمر حتى أخذت منهم، ثم إنهم افتخروا عند عتبان وانتسبوا وتناشدوا الأشعار، فأشد سعد قصيده فيها هجو الأنصار وفخر لقومه، فقام رجل من الأنصار وأخذ لحيي البعير فضرب به رأس سعد [فشجّه شجّة]، فانطلق سعد إلى رسول الله صلى الله عليه وسلم وشكا إليه الأنصاري فقال عمر رضي الله عنه: (اللهم بين لنا رأيك في الخمر بيانا وأقياً، فأنزل الله تحريم الخمر في سورة المائدة) إِنَّمَا الْخَمْرُ وَالْمَيْسِرُ - إِلَى - يَنْتَهُونَ (وذلك بعد غزوة الأحزاب بأيام فقال عمر: انتهينا يا رب⁽¹¹⁰⁵⁾).

قلت آية المائدة متأخرة ومقتل حمزة في غزوة أحد.

وفي المسند وغيره عن عمر بن الخطاب رضي الله عنه قال: «لما نزل تحريم الخمر قال اللهم بين لنا في الخمر بيانا شافياً فنزلت هذه الآية التي في سورة البقرة (يسألونك عن الخمر والميسر قل فيهما إثم كبير) قال فدعى عمر رضي الله عنه فقرئت عليه فقال اللهم بين لنا في الخمر بيانا شافياً فنزلت الآية التي في سورة النساء (يا أيها الذين آمنوا لا تقربوا الصلاة وأنتم سكارى) فكان منادي رسول الله صلى الله عليه وسلم إذا أقم الصلاة نادى ان لا يقربن الصلاة سكران فدعى عمر رضي الله عنه فقرئت عليه فقال اللهم بين لنا في الخمر بيانا شافياً فنزلت الآية التي في المائدة فدعى عمر رضي الله عنه فقرئت عليه فلما بلغ (فهل أنتم منتهون) قال فقال عمر رضي الله عنه انتهينا انتهينا⁽¹¹⁰⁶⁾».

وفي هذا الحديث كرامة من كرامات ولي الله عمر بن الخطاب الذي كان ينزل القرآن مصدقاً لما ينطق به، كما قال رسول الله صلى الله عليه وسلم: «قد كان يكون في الأمم محدثون فإن يك في أمي أحد فعمر بن الخطاب⁽¹¹⁰⁷⁾».

كما روى في سبب نزول هذه الآية ما ذكره الإمام ابن جوزي: «أن أناساً من المسلمين شربوها، فقاتل بعضهم بعضاً، وتكلموا بما لا يرضاه الله من القول، فنزلت هذه الآية، ورواه ابن أبي طلحة عن ابن عباس⁽¹¹⁰⁸⁾».

قلت وأولى الأقوال والله تعالى أعلم بأن يقال: بأن الخمر نزلت على مراحل فحدثت للصحابة وقائع أدت إلى نزول التحريم النهائي للخمر، فنزل التحريم حسماً لمادة الوقعة والبغضاء التي كادت أن تنشب بين الصحابة.

[تفسير مختصر للآية]

(يا أيها الذين آمنوا إنما الخمر والميسر) قال ابن عباس: الخمر جميع الأشربة التي تسكر، والميسر القمار كانوا يتقمارون به في الجاهلية.

(والأنصاب والأزلام) أى الأصنام المنصوبة للعبادة والافداح التي كانت عند سدنة البيت وخدام الأصنام، قال ابن عباس ومجاهد؟ الأنصاب حجارة كانوا يذبحون قرابينهم عندها، والأزلام: قدام كانوا يستقسمون بها. (رجس من عمل الشيطان) أى قدر ونجس تعافه العقول، وخبيث مستقذر من تزيين الشيطان. (فاجتنبوه لعلكم تفلحون) أى اتركوه وكونوا في جانب آخر، بعيدين عن هذه القاذورات، لتفوزوا بالثواب العظيم⁽¹¹⁰⁹⁾.

(قُلْ لَا يَسْتَوِي الْخَبِيثُ وَالطَّيِّبُ وَلَوْ أَعْجَبَكَ كَثْرَةُ الْخَبِيثِ فَاتَّقُوا اللَّهَ يَا أُولِي الْأَلْبَابِ لَعَلَّكُمْ تُفْلِحُونَ (١٠٠))

⁽¹¹⁰³⁾المستدرک 158 / 4 ح (7219) قال الذهبي: على شرط مسلم سنن النسائي الكبرى 6/337 ح (11151) سنن البيهقي الكبرى 8/285 ح (17104) المعجم الكبير 12/56 ح (12459) وإسناده حسن. قال أبو عبد الرحمن النسائي: أنا محمد بن عبد الرحيم صاعقة أنا حجاج بن منهال نا ربيعة بن كلثوم بن جبر عن أبيه عن سعيد بن جبیر عن بن عباس

عنه

⁽¹¹⁰⁴⁾المعجم الأوسط (4/280)

⁽¹¹⁰⁵⁾الكشف والبيان عن تفسير القرآن (2/143)

⁽¹¹⁰⁶⁾مسند أحمد بن حنبل (1/53)

⁽¹¹⁰⁷⁾صحيح البخاري (5/15)

⁽¹¹⁰⁸⁾زاد المسير (2/417)

⁽¹¹⁰⁹⁾صفوة التفسير - للصابوني (1/237)

قوله تعالى: (قل لا يستوي) - الآية.

444. أخرج الواحدي والأصبهاني في الترغيب عن جابر « أن النبي □ ذكر تحريم الخمر، فقام أعرابي فقال: إني كنت رجلاً كانت هذه تجارتي فاعتقت منها مالاً فهل ينفع ذلك المال إن عملت فيه بطاعة الله تعالى، فقال النبي □ « إن الله لا يقبل إلا الطيب » فأنزل الله تعالى تصديقاً لرسوله □ : (قل لا يستوي الخبيث والطيب) - الآية (110)».

[تعليق]

ذكر المؤلف رحمه الله أثراً واحداً في سبب نزول هذه الآية. وفيه بيان أن الله تعالى طيب لا يقبل إلا الطيب، والأثر في إسناده ضعف، وإن كان في المال لكن الآية بعمومها تشمل جميع أنواع الخبيث والطيب، فالخبيث من الأموال والأقوال والأعمال والأشخاص وغير ذلك والله تعالى أعلم.

[تفسير مختصر للآية]

(قل لا يستوي الخبيث والطيب ولو أعجبك كثرة الخبيث) أي قل يا أيها الرسول: لا يتساوى الخبيث والطيب، ولو أعجبك أيها السامع كثرة الخبيث، وهو مثل ضربه الله للتمييز بين الحلال والحرام، والمطيع والعاصي، والريء والجيد، قال القرطبي: اللفظ عام في جميع الأمور، يتصور في المكاسب، والأعمال، والناس، والمعارف من العلوم وغيرها، فالخبيث من هذا كله، لا يفلح ولا يتجرب ولا تحسن له عاقبة، وإن كثرت، والطيب - وإن قل - نافع حميد جميل العاقبة وقال أبو حيان: الظاهر أن الخبيث والطيب عامان فيندرج تحتها المال وحرماه، وصالح العمل وفاسده، وجيد الناس وريئهم، وصحيح العقائد وفاسده، ونظير هذه الآية قوله تعالى [والبلد الطيب يخرج نباته بإذن ربه والذي خبث لا يخرج إلا نكدا] .
(فاتقوا الله يا أولي الألباب لعلكم تفلحون) أي فاتقوا الله بأمثال أو امره واجتنب نواهيه يا ذوي العقول، لتفلحوا وتفوزوا برضوان الله، والنعيم المقيم⁽¹¹¹⁾.

(يَا أَيُّهَا الَّذِينَ ءَامَنُوا لَا تَسْأَلُوا عَنَ أَشْيَاءَ إِن تُبَدَّ لَكُمْ تَسْؤُكُمْ وَإِن تَسْأَلُوا عَنْهَا حِينَ يُنَزَّلَ الْقُرْءَانُ تُبَدَّ لَكُمْ عَفَا اللَّهُ عَنْهَا وَاللَّهُ غَفُورٌ حَلِيمٌ (١٠١))

قوله تعالى: (يا أيها الذين آمنوا لا تسألوا) - الآية.

445. [ك] روى البخاري عن أنس بن مالك « خطب النبي □ خطبة فقال رجل من أبي؟ قال: « فلان » فنزلت هذه الآية: (لا تسألوا عن أشياء) - الآية (112)».

446. وروى أيضاً عن ابن عباس قال: « كان قوم يسألون رسول الله □ استهزاء، فيقول الرجل: من أبي؟ ويقول الرجل تضل ناقته: أين ناقتي؟ فأنزل الله فيهم هذه الآية: (يا أيها الذين آمنوا لا تسألوا عن أشياء) حتى فرغ من الآية كلها (113)».

447. وأخرج ابن جرير مثله من حديث أبي هريرة⁽¹¹⁴⁾.

448. وروى أحمد والترمذي والحاكم عن علي قال: « لما نزلت: (والله على الناس حج البيت) قالوا: يا رسول الله في كل عام؟ فسكت قالوا: يا رسول الله في كل عام قال: « لا ولو قلت نعم لوجبت » فأنزل الله: (لا تسألوا عن أشياء إن تبد لكم تسؤكم) (115)».

449. وأخرج ابن جرير مثله من حديث أبي هريرة⁽¹¹⁶⁾.

450. وأبي أمامة⁽¹¹⁷⁾.

(110) أسباب النزول للواحدي 170 ومن الأخطاء الواقعة في هذه الطبعة وهي كثيرة الأخطاء، محمد بن سراقه عن محمد بن المنكدر والصحيح محمد بن سوقة، وفيه من لم أجد هل ترجمة إن صحت من غير تحريف.

(111) صفوة التفسير - للصابوني (1/240)

(112) صحيح البخاري 4/1689 ح (4345) صحيح مسلم 4/1832 ح (2359) سنن الترمذي 5/256 ح (3056) مسند أحمد 3/206 ح (13170) سنن النسائي الكبرى 6/338 ح (11154) تفسير ابن جرير 7/80

(113) صحيح البخاري 4/1689 ح (4346) المعجم الكبير 12/137 ح (12695) تفسير الطبري 7/80 سنن البيهقي 6/191 ح (11856) وسياقه طويل عن أبي الجويرية قال: « سمعت أعرابياً من بني سليم سأل - يعني بن عباس - عن الضوال؟ فقال: ما ترى في الضوال؟ قال: من أكل من الضوال فهو ضال، قال: ما ترى في الضوال؟ قال: من أكل من الضوال فهو ضال، ثم سكت الرجل وأخذ بن عباس يفتي الناس يقول أبو الجويرية: فتوى كثيرة لا أحفظها فقال الأعرابي: أراك قد اصدرت الناس غيري، أفتري لي نوبة، قال: ويلك لا تسأل هذه المسألة، قال: وما أشد مسألتك، قال: استغفر الله وأقرب إليه وأجل ما صنعت، قال: أتدري فيما نزلت هذه الآية (يا أيها الذين آمنوا لا تسألوا عن أشياء إن تبد لكم تسؤكم) حتى فرغ من الآية كلها وذكر باقي الحديث وفي إسناده الحسن بن مكرم ذكره ابن حبان في الثقات وله ترجمة في تاريخ بغداد.

(114) تفسير الطبري 7/81 بلفظ عن أبي هريرة قال: « خرج رسول الله وهو غضبان محمراً وجهه حتى جلس على المنبر، فقام إليه رجل فقال: أين أبي؟ قال: في النار، فقام: آخر فقال: من أبي؟ قال: أبوك حذافة، فقام عمر بن الخطاب فقال: رضينا بالله ربا وبالإسلام ديناً وبمحمد نبياً وبالقرآن إماماً إنا يا رسول الله حديثو عهد بجاهلية وشرك والله يعلم من آباؤنا قال: فسكن غضبه ونزلت: (يا أيها الذين آمنوا لا تسألوا عن أشياء إن تبد لكم تسؤكم) قال الحافظ ابن كثير: في تفسيره إسناده جيد قلت ويشهد له ما قبله.

(115) مستدرک الحاكم 2/322 ح (3157) سنن الترمذي 3/178 ح (814) وقال: حسن غريب سنن ابن ماجه 2/963 ح (2884) السنة للمرزوقي 1/40 ح (127) قلت: في إسناده عن علي أبو البخترى، وأبو البخترى اسمه سعيد بن فيروز لم يدرك علياً ولم يره كما صرح بذلك غير واحد من أهل العلم، انظر ترجمته في جامع التحصيل ولكن للحديث شواهد ز

(116) تفسير ابن جرير 7/82 وفي إسناده إبراهيم بن مسلم الهجري ضعيف، وله طريق آخر وفي إسناده الحسين بن واقد ثقة له أو هام قاله الحافظ.

قال الحافظ ابن حجر: لا مانع أن تكون نزلت في الأمرين وحديث ابن عباس في ذلك أصح إسناداً (119).

[تعليق]

ذكر المؤلف رحمه الله عدة آثار في سبب نزول هذه الآية. وهي آثار صحيحة يشهد بعضها لبعض. وهي تشتمل على سببين للنزول الأول، وإن كانت كلها تندرج تحت سؤال الصحابة النبي □ أشياء ليس من شأنهم السؤال عنها. فالأول: عن سؤال الرجل عن من هو أبوه وفي صحيح مسلم قالت أم عبد الله بن حذافة: ما رأيت ابناً قط أعق منك أكنت تأمن أن تكون أمك قارفت في الجاهلية فتفضحها على رؤوس الناس؟! قال عبد الله: والله لو ألحقتني بعيد أسود للحقته (120). وكان كذلك يسأل الرجل النبي □ أين ضللت دابتي يا رسول الله إلى غير ذلك من الأسئلة التي أزعجوا بها النبي □، حتى أغضبوه فبرك عمر بن الخطاب على ركبتيه قال: يا رسول الله رضيينا بالله ربا وبالإسلام ديننا وبمحمد □ رسولاً قال: فسكت رسول الله □ حين قال عمر ذلك (121). فنهاهم الله عن مثل هذه الأسئلة.

والسبب الثاني الذي ذكره المؤلف: أنها نزلت في سؤال بعض الصحابة عن فريضة الحج أفي كل عام؟ وقد جمع الحافظ بين الحديثين بأن يكون نزلت الآية في الأمرين جميعاً. وفي سبب نزولها كذلك غير ما ذكره المؤلف.

ما ذكره ابن جرير عن ابن عباس (لا تسألوا عن أشياء)، قال: هي البحيرة والسائبة والوصيلة والحام، ألا ترى أنه يقول بعد ذلك: "ما جعل الله من كذا ولا كذا" (122).

كما أخرج بنفس الإسناد السابق وفي نفس الحديث قال: وأما عكرمة فإنه قال: إنهم كانوا يسألونه عن الآيات، فنهوا عن ذلك. ثم قال: (قد سألتهم قوم من قبلكم ثم أصبحوا بها كافرين) قلت: يعني كما سأل قوم صالحاً صالحاً الناقة وغير ذلك.

كما ذكر الإمام ابن الجوزي أنها نزلت في تمنيه الفرائض، وقولهم: وددنا أن الله تعالى أذن لنا في قتال المشركين، وسؤالهم عن أحب الأعمال إلى الله، ذكره أبو سليمان المشقي (123).

قال الإمام ابن جرير: وأولى الأقوال بالصواب في ذلك، قول من قال: نزلت هذه الآية من أجل إكثار السائلين رسول الله □ المسائل، كمسألة ابن حذافة إياه من أبوه، ومسألة سائله إذ قال: "الله فرض عليكم الحج"، أفي كل عام؟ وما أشبه ذلك من المسائل، لتظاهر الأخبار بذلك عن الصحابة والتابعين وعمامة أهل التأويل.

وأما القول الذي رواه مجاهد عن ابن عباس، فقول غير بعيد من الصواب، ولكن الأخبار المتظاهرة عن الصحابة والتابعين بخلافه، وكرهنا القول به من أجل ذلك. على أنه غير مستنكر أن تكون المسئلة عن البحيرة والسائبة والوصيلة والحام كانت فيما سألتوا النبي □ عنه من المسائل التي كره الله لهم السؤال عنها، كما كره الله لهم المسئلة عن الحج: "أكل عام هو، أم عاماً واحداً؟" وكما كره لعبد الله بن حذافة مسألته عن أبيه، فنزلت الآية بالنهي عن المسائل كلها، فأخبر كل مخبر منهم ببعض ما نزلت الآية من أجله، وأجل غيره. وهذا القول أولى الأقوال في ذلك عندي بالصحة، لأن مخارج الأخبار بجميع المعاني التي ذكرت صحاح، فتوجيهها إلى الصواب من وجوهها أولى (124).

قلت: ولا مانع أن تكون الآيات نزلت في جميع ذلك وقول ابن عباس محتمل لسياق الآية.

[تفسير مختصر للآية]

(يا أيها الذين آمنوا لا تسألوا عن أشياء إن تبد لكم تسؤكم) أي لا تسألوا الرسول عن أمور لا حاجة لكم بها، إن ظهرت لكم ساءتكم، قال الزمخشري: أي لا تكثرُوا مسألة رسول الله □ حتى تسألوه عن تكاليف شاقة عليكم، إن أفتاكم بها وكلفكم إياها، تغمكم وتشق عليكم، وتندموا على السؤال عنها (وان تسألوا عنها حين ينزل القرآن تبد لكم) أي وان تسألوا عن هذه التكاليف الصعبة، في زمان نزول الوحي، يظهر لكم تلك التكاليف التي تكرهونها، فلا تسألوا عنها وقال ابن عباس في تفسير الآية: لا تسألوا عن أشياء في ضمن الإخبار عنها مساءة لكم، إما لتكليف شرعي يلزمكم، وإما لخبر يسوءكم مثل الذي قال أين أبي؟ ولكن إذا نزل القرآن بشيء وابتدأكم بركم فحينئذ إن سألتكم عن بيانه بين لكم وأبدي!! نقلاً عن تفسير البحر المحيط.

(عفا الله عنها) أي عفا الله عن مسائلكم السالفة التي لا ضرورة لها، وتجاوز عن عقوبتكم الأخروية، فلا تعودوا إلى مثلها.

(والله غفور حلِيم) أي واسع المغفرة عظيم الفضل والاحسان، ولذلك عفا عنكم، ولم يعاجلكم بالعقوبة.

(قد سألتهم قوم من قبلكم) أي سأل أمثال هذه المسائل قوم قبلكم، فلما أعطوها وفرضت عليهم كفروا بها، ولهذا قال.

(ثم أصبحوا بها كافرين) أي صاروا بتركهم العمل بها كافرين، وذلك أن بني إسرائيل كانوا يستفتون أنبياءهم عن أشياء، فإذا امرؤا بها تركوها فهلكوا (125).

(يَا أَيُّهَا الَّذِينَ ءَامَنُوا شَهَدَةُ بَيْنِكُمْ إِذَا حَضَرَ أَحَدَكُمُ الْمَوْتُ حِينَ الْوَصِيَّةِ اثْنَانِ ذُوَا عَدْلٍ مِّنْكُمْ أَوْ ءَاخَرَانِ مِّنْ غَيْرِكُمْ إِنْ

(117) المصدر السابق عن أبي أمامة وإسناده لا بأس به.

(118) تفسير ابن جرير 7/83 وإسناده شديد الضعف.

(119) يعني في السبب الأول، ولا شك أن السبب الأول ورد في الصحيح فعند التعارض لا بد من اعتماده على أن الجمع بأن يكون نزلت في السببين جميعاً ممكن كما ذكر الحافظ.

(120) صحيح مسلم - (7/93).

(121) صحيح البخاري (1/34).

(122) جامع البيان (تفسير الطبري) (11/111).

(123) زاد المسير (2/435).

(124) جامع البيان (تفسير الطبري) (11/112).

(125) صفوة التقاسير - للصابوني (1/240).

أَنْتُمْ ضَرَبْتُمْ فِي الْأَرْضِ فَأَصَابَتْكُمْ مُصِيبَةُ الْمَوْتِ تَحْسِبُونَهُمَا مِنْ بَعْدِ الصَّلَاةِ فَيُقْسِمَانِ بِاللَّهِ إِنْ أَرْتَبْتُمْ لَا نَشْتَرِي بِهِ ثَمَنًا وَلَوْ كَانَ ذَا قُرْبَىٰ وَلَا نَكْتُمُ شَهَادَةَ اللَّهِ إِنَّا إِذَا لَمِنَ الْأَثِمِينَ (١٠٦)

قوله تعالى: (يا أيها الذين آمنوا شهادة بينكم) - الآية.

452. روى الترمذي وضعفه وغيره عن ابن عباس عنتميم الداري في هذه الآية: (يا أيها الذين آمنوا شهادة بينكم إذا حضر أحدكم الموت) قال: «بريء الناس منها غيري وغير عدي بن بداء، وكان نصرانيين يختلفان إلى الشام قبل الإسلام، فأتيا الشام لتجارتها، وقدم عليهما مولى لبني سهم يقال له بديل بن أبي مريم بتجارة ومعه جام⁽¹¹²⁶⁾ من فضة، فمرض فأوصى إليهما وأمرهما أن يبلغا ما ترك أهله قال: تميم فلما مات أخذنا ذلك الجاه فبعناه بألف درهم ثم اقتسمناه أنا وعدي بن بداء، فلما قدمنا إلى أهله دفعنا إليهم ما كان معنا وفقدوا الجاه فسالونا عنه فقلنا: ما ترك غير هذا وما دفع إلينا غيره، فلما أسلمت تأتت من ذلك، فأتيت أهله فخبرتهم الخبر ودفعت إليهم خمسمائة درهم وأخبرتهم أن عند صاحبي مثلها، فأتوا به رسول الله ﷺ فسألهم البينة فلم يجدوا فأمرهم أن يستحلفوه فحلف، فأنزل الله: (يا أيها الذين آمنوا شهادة بينكم) إلى قوله: (أن ترد أيمان بعد أيمانهم) فقام عمرو بن العاص ورجل آخر فحلفا فنزعت الخمسمائة درهم من عدي بن بداء⁽¹¹²⁷⁾».

تنبيه: جزم الذهبي بأن تميما النازل فيه غير تميم الداري وعزاه لمقاتل بن حيان، قال الحافظ ابن حجر: وليس بجيد للتصريح في هذا الحديث بأنه الداري.

[تعليق]

ذكر المؤلف رحمه الله أثراً واحداً في سبب نزول هذه الآية، ولتعلم أن هذه الآية فيها من الفقه والأحكام ما ليس هذا الكتاب موضع تفصيله، لكن على العموم ففيها إثبات الوصية عند الوفاة على المال وغيره.

وقد ذكر الإمام ابن جرير رحمه الله سبباً آخر لنزول هذه الآية ولكنه وضعفه.

قال: قال زيد بن أسلم في هذه الآية: (شهادة بينكم) الآية كلها، قال: كان ذلك في رجل توفّي وليس عنده أحد من أهل الإسلام، وذلك في أول الإسلام، والأرض حرب، والناس كفار، إلا أن رسول الله ﷺ وأصحابه بالمدينة، وكان الناس يتوارثون بالوصية، ثم نسخت الوصية وفرضت الفرائض، وعمل المسلمون بها⁽¹¹²⁸⁾.

قال الحافظ ابن كثير: عن شريح قال: لا تجوز شهادة اليهودي والنصراني إلا في سفر، ولا تجوز في سفر إلا في وصية. ثم رواه عن أبي كُرَيْب، عن أبي بكر بن عياش، عن أبي إسحاق السبيعي قال: قال شريح، فذكر مثله.

وقد روي مثله عن الإمام أحمد بن حنبل، رحمه الله تعالى. وهذه المسألة من إفراده، وخالفه الثلاثة فقالوا: لا تجوز شهادة أهل الذمة على المسلمين. وأجازها أبو حنيفة فيما بين بعضهم بعضاً. ثم نقل عن الزهري قوله: مضت السنة أنه لا تجوز شهادة كافر في حضر ولا سفر، إنما هي في المسلمين⁽¹¹²⁹⁾.

قلت: كذلك اختلف العلماء في كونها منسوخة أو محكمة والراجح أنها محكمة. هذا الذي رجحه الإمام ابن جرير رحمه الله⁽¹¹³⁰⁾.

[تفسير مختصر للآية]

(يا أيها الذين آمنوا شهادة بينكم إذا حضر أحدكم الموت حين الوصية) أي يا أيها المؤمنون إذا شارف أحدكم على الموت، وظهرت علامته، فينبغي أن يشهد على وصيته.

(إثنان ذوا عدل منكم أو آخران من غيركم) أي يشهد على الوصية شخصين عدلين من المسلمين، أو إثنان من غير المسلمين، إن لم تجدوا شاهدين منكم.

(إن أنتم ضربتم في الأرض فأصابنكم مصيبة الموت) أي إن أنتم سافرتم فقاربكم الأجل، ونزل بكم الموت.

(تحسبونهما من بعد الصلاة) أي توقفونهما من بعد صلاة العصر، لأنه وقت إجتماع الناس، وكذا فعل رسول الله ﷺ استحلف عدياً وتميماً بعد العصر عند المنبر

(فيقسمان بالله إن ارتبتم) أي يحلفان بالله إن شككتم وإرتبتم في شهادتهما، قال ابو السعود: أي إن إرتاب بهما الوارث منكم بخيانة وأخذ شيء من التركة فاحبسوهما، وحلفوهما بالله

(لا نشترى به ثمناً ولو كان ذا قربي) أي يحلفان بالله قائلين: لا نحاي بشهادتنا أحداً ولا نستبدل بالقسم بالله عرضاً من الدنيا، أي لا نحلف بالله كاذبين من أجل المال ولو كان من نقسم له قريبا لنا.

⁽¹¹²⁶⁾[الجامع]: إناء من فضة، عربي صحيح. انظر لسان العرب/12/ 112 المؤلف: محمد بن مكرم بن منظور الأفرقي المصري الناشر: دار صادر - بيروت الطبعة

الأولى عدد الأجزاء: 15

⁽¹¹²⁷⁾تفسير الطبري 7/115 سنن الترمذي 5/258 ح(3060) وقال: غريب وليس إسناده بصحيح، وأبو النضر الذي روى عن محمد بن إسحاق هذا الحديث هو عدي محمد بن السائب الكلبي، وأخرجه الترمذي طريق آخر 5/259 وقال: حسن غريب، قلت: إسناده حسن كذلك أخرجه البخاري 1022 ج:3 ح(2628) والبيهقي في سننه الكبرى 10/165 ح(20412) والدارقطني في سننه 4/168 ح(30) وأبو يعلى في مسنده 4/339 ح(2453) المعجم الكبير 71 ج:12 ح(12509) وأبو داود في سننه 3/307 ح(3606)

⁽¹¹²⁸⁾جامع البيان (تفسير الطبري) (11/166)

⁽¹¹²⁹⁾تفسير ابن كثير (3/216) هذه الآثار ينقلها ابن كثير عن ابن جرير.

⁽¹¹³⁰⁾تفسير ابن كثير (3/215)

(ولا نكتُم شهادة الله إنا إذا لمن الأثمين) أى ولا نكتُم الشهادة التي امرنا الله تعالى بإقامتها، إنا إن فعلنا ذلك كنا من الأثمين.

(فإن عثر على أنهما إستحقا إثمًا) أى فإن اطلع بعد حلفهما على خيانتهم، أو كذبهما في الشهادة.

(فأخران يقومان مقامهما من الذين استحق عليهم الأوليان) أى فرجلان آخران من الورثة المستحقين للتركة، يقومان مقام الشاهدين الخائنين، وليكونا من أولى من يستحق الميراث

(فيقسمان بالله لشهادتنا أحق من شهادتهما) أى يحلفان بالله لشهادتنا أصدق وأولى بالسماع والإعتبار، من شهادتهما لأنهما خانا.

(وما اعتدينا إنا إذا لمن الظالمين) أى وما اعتدينا فيما قلنا فيهما من الخيانة، إنا إذا كذبنا عليهم نكون من الظالمين.

(ذلك أدنى أن يأتوا بالشهادة على وجهها) أى ذلك الحكم أقرب أن يأتوا بالشهادة على حقيقتها، من غير تغيير ولا تبديل.

(أو يخافوا أن ترد أيمان بعد أيمانهم) أى يخافوا أن يحلف غيرهم بعدهم فيفضحوا

(واتقوا الله واسمعوا) أى خافوا ربكم وأطيعوا أمره.

(والله لا يهدي القوم الفاسقين) أى والله لا يهدي الخارجين عن طاعته، ولا يرشدهم الى جنته ورحمته⁽¹¹³¹⁾.

انتهت سورة المائدة

سُورَةُ الْأَنْعَامِ

(قُلْ أَيُّ شَيْءٍ أَكْبَرُ شَهَادَةً قُلْ اللَّهُ شَهِيدٌ بَيْنِي وَبَيْنَكُمْ وَأُوحِيَ إِلَيَّ هَذَا الْقُرْآنُ لِأُنذِرَكُمْ بِهِ وَمَنْ بَلَغَ أَنتُمْ لَتَسْهَدُونَ أَنَّ مَعَ اللَّهِ إِلَهَةً أُخْرَى قُلْ لَا أَشْهَدُ قُلْ إِنَّمَا هُوَ إِلَهٌ وَاحِدٌ وَإِنِّي بَرِيءٌ مِّمَّا تُشْرِكُونَ (١٩)

قوله تعالى: (قل أي شيء أكبر شهادة) - الآية.

453. أخرج ابن إسحاق وابن جرير من طريق سعيد أو عكرمة عن ابن عباس قال: « جاء النحام بن زيد وقردم بن كعب وبحري بن عمرو فقالوا: يا محمد ما نعلم مع الله إلها غيره، فقال لا إله إلا الله بذلك بعثت وإلى ذلك أدعو، فأنزل الله في قولهم: (قل أي شيء أكبر شهادة) - الآية⁽¹¹³²⁾».

[تعليق]

سورة الأنعام سورة مكية كما روى عن ابن عمر وأنس وابن عباس أنها " نزلت جملة واحدة في ليلة واحدة" أخرج الإمام الطبراني عن أنس بن مالك قال: قال رسول الله ﷺ "نزلت سورة الأنعام ومعها كوكبة من الملائكة تسد ما بين الخافقين لهم زجل بالتسبيح والتقديس والأرض ترتج ورسول الله صلى الله عليه وسلم يقول سبحان الله العظيم سبحان الله العظيم⁽¹¹³³⁾.

وسميت سورة الأنعام لذكر الأنعام في عدة مواضع منها كقوله تعالى (ومن الأنعام حمولة وفرشاً) ولم أجد سبباً واحداً لنزول السورة جملة وبدأ المؤلف رحمه الله السورة بسبب نزول قوله تعالى (قل أي شيء أكبر شهادة).

وهذا الأثر الذي ذكره المؤلف أنها نزلت في أفراد من اليهود وهم النحام بن زيد وقردم بن كعب وبحري بن عمرو وقد ضعف الإمام ابن جرير هذا الأثر ويشهد لذلك أن الآية مكية.

وفي سبب نزولها غير ما ذكره المؤلف ما أورده الإمام الثعلبي عن الكلبي " أتى أهل مكة رسول الله صلى الله عليه وسلم فقالوا: ما وجد الله رسولا غيرك وما نرى أحدا يصدقك فيما تقول ولو سألنا عنك اليهود والنصارى فزعموا أنه ليس لك عندهم ذكر فأرنا من يشهد أنك رسول الله كما تزعم، فأنزل الله (قُلْ أَيُّ شَيْءٍ أَكْبَرُ شَهَادَةً فَإِنْ أَجَابُوكَ وَإِلَّا فَقُلْ قُلْ اللَّهُ شَهِيدٌ بَيْنِي وَبَيْنَكُمْ) على ما أقول (وَأُوحِيَ إِلَيَّ هَذَا الْقُرْآنُ لِأُنذِرَكُمْ) وخوفكم يا أهل مكة (بِهِ وَمَنْ بَلَغَ) يعني ومن بلغه القرآن من العجم وغيرهم⁽¹¹³⁴⁾.

قلت: الخطاب هنا يشمل بعمومه المشركين وغيرهم، فهو أمر من الله تعالى لنبيه لتقرير التوحيد في نفوس أهل الشرك والمتأمل في هذه السورة يجد أنها نزلت في محاجات الكفار بأمر التوحيد، فهي رد على كل منكري الألوهية والربوبية وهذا موجود في المشركين كما هو موجود في أهل الكتاب والله تعالى أعلم.

[تفسير مختصر للآية]

(قل أي شيء أكبر شهادة) قال أهل مكة للنبي ﷺ انتنا بمن يشهد لك بالنبوة فإن أهل الكتاب ينكرونك فنزلت هذه الآية أمر الله تعالى محمداً عليه السلام أن يسألهم ثم أمر أن يخبرهم فيقول: (اللَّهُ شَهِيدٌ بَيْنِي وَبَيْنَكُمْ) أي: الله الذي اعترفتم بأنه خالق السماوات والأرض والظلمات والنور يشهد لي بالنبوة بإقامة البراهين وإنزال القرآن عليّ (وأوحى إلي هذا القرآن) المعجز بلفظه ونظمه وأخباره عما كان ويكون (لأنذركم) لأخوفكم (به) عقاب الله على الكفر (ومن بلغ) يعني: ومن بلغه القرآن من بعدكم فكل من بلغه القرآن فكأنما رأى محمد عليه السلام قل (أنتم لتشهدون أن مع الله آلهة أخرى) استفهام معناه الجحد والإنكار (قل لا أشهد) الآية

(1131)صفوة التفسير - للصابوني (1/ 242)

(1132) تفسير ابن جرير 7/164 وإسناده ضعيف

(1133)المعجم الأوسط (6/ 292)

(1134)الكتف والبيان عن تفسير القرآن (4/ 140) ليس له إسناد غير هذا وقد تقدم الكلام عليه

(وَهُمْ يَنْهَوْنَ عَنْهُ وَيَنْأُونَ عَنْهُ وَإِنْ يُهْلِكُونَ إِلَّا أَنْفُسَهُمْ وَمَا يَشْعُرُونَ ٢٦)

- قوله تعالى: (وهم ينهون عنه وينأون عنه) - الآية.
454. روى الحاكم وغيره عن ابن عباس قال: « نزلت هذه الآية في أبي طالب كان ينهي المشركين أن يؤذوا رسول الله ﷺ ويتباعد عما جاء به⁽¹¹³⁶⁾ ».
455. [ك] وأخرج ابن أبي حاتم عن سعيد بن أبي هلال قال: « نزلت في عمومة النبي ﷺ وكانوا عشرة، فكانوا أشد الناس معه في العلانية وأشد الناس عليه في السر⁽¹¹³⁷⁾ ».

[تعليق]

ذكر المؤلف رحمه الله سببين للنزول عند هذه الآية. فالأول أنها نزلت في أبي طالب، والثاني أنها نزلت في عمومة النبي ﷺ.

وقد روى مقاتل أثر أبي طالب بسياق أوضح مما ذكر هنا قال مقاتل: نزلت في أبي طالب، واسمه عبد مناف. وذلك إن النبي صلى الله عليه وسلم كان عند أبي طالب يدعو إلى الإسلام فاجتمعت قريش إلى أبي طالب يريدون سوءاً بالنبي صلى الله عليه وسلم، فقال أبو طالب:

والله لن يصلوا إليك بجمعهم... حتى أوسد في التراب دفينا
فأصدع بأمرك ما عليك غصاصة... وابشر بذاك وقر منك عيونا
ودعوتني وزعمت أنك ناصحي... فلقد صدقت وكنت قبل أمينا
وعرضت ديننا قد عرفت بأنه... من خير أديان البرية ديننا
لولا الملامة أو حذار مسبة... لوجدتني سمحا بذاك يقينا

فأنزل الله تعالى (وَهُمْ يَنْهَوْنَ عَنْهُ وَيَنْأُونَ عَنْهُ) أي يمنعون الناس عن أذى النبي صلى الله عليه وسلم (وَيَنْأُونَ عَنْهُ) أي يبتعدون عما جاء له من الهدى فلا يصدقونه⁽¹¹³⁸⁾.

فعلى هذا المعنى أن عمومة النبي ﷺ كانوا ينهون الناس أن يؤذوا رسول الله ﷺ وهم أنفسهم ينأون عنه يعني يبتعدون عن اتباعه.

وقد روى أن الآية نزلت في المشركين عامة.

قال الإمام الثعلبي: وعن محمد بن الحنفية والسدي والضحاك قالوا: نزلت في جملة كفار مكة يعني وَهُمْ يَنْهَوْنَ النَّاسَ عَنْ اتِّبَاعِ مُحَمَّدٍ وَالْإِيمَانَ بِهِ وَيَتْبَاعِدُونَ بِأَنْفُسِهِمْ عَنْهُ⁽¹¹³⁹⁾.

واختلف في المراد بالضمير (عنه) على قولين.

أحدهما: أنها ترجع إلى النبي ﷺ، ثم فيه قولان. أحدهما: ينهون عن أذاه، والثاني: عن اتباعه.

والقول الثاني: أنها ترجع إلى القرآن⁽¹¹⁴⁰⁾.

قلت: حمل الآية على عمومها أولى، وهذا العموم يشهد له أحاديث من السنة. فقد ثبتت حماية أبي طالب وعمومة النبي ﷺ له مع ابتعادهم عن اتباعه، كما ثبتت عدواة كفار قريش للنبي ﷺ وصدهم عن اتباعه وعن اتباع القرآن. فالحمل على العموم في هذه الآية أولى والله أعلم.

[تفسير مختصر للآية]

(وهم ينهون عنه وينأون عنه) أي هؤلاء المشركون المكذبون ينهون الناس عن القرآن، وعن اتباع محمد عليه السلام، ويبتعدون هم عنه.

(وإن يهلكون إلا أنفسهم وما يشعرون) أي وما يهلكون بهذا الصنيع إلا أنفسهم وما يشعرون بذلك، قال ابن كثير: فهم قد جمعوا بين الفعلين القبيحين، لا ينتفعون، ولا يدعون أحدا ينتفع، ولا يعود وباله إلا عليهم وما يشعرون⁽¹¹⁴¹⁾.

(قَدْ نَعَلِمُ إِنَّهُ لَيَحْزُنُكَ الَّذِي يَقُولُونَ فَإِنَّهُمْ لَا يُكَذِّبُونَكَ وَلَكِنَّ الظَّالِمِينَ بَاءِيتِ اللَّهُ يَجْحَدُونَ ٣٣)

(1135) الوجيز للواحدي (347)

(1136) تفسير الطبري 7/173 سنن سعيد بن منصور 10 / 5 ح (874) مستدرک الحاكم 2/345 ح (3229) وقال: صحیح علی شرط الشیخین ولم یخرجاه المعجم الكبير 12/133 ح (12682) قلت: في إسناده حبيب بن أبي ثابت وهو مدلس ورواه مرة عن سعيد بن جبير عن ابن عباس، وفي إسناده بكر بن بكار ليس بالقوي مع تدليس حبيب، ورواه مرة عن سمع ابن عباس ومرة عن ابن عباس من غير واسطة وفي إسناده قيس بن الربيع مختلط

(1137) تفسير ابن أبي حاتم 4/1277 وفي إسناد ابن لهيعة

(1138) تفسير مقاتل بن سليمان (342 / 1)

(1139) الكشف والبيان عن تفسير القرآن (4 / 142)

(1140) زاد المسير (20 / 3)

(1141) صفوة التفسير - للصابوني (253 / 1)

قوله تعالى: (قد نعلم إنه ليحزنك) - الآية.

456. روى الترمذي والحاكم عن علي « أن أبا جهل قال للنبي □ : إنا لا نكذبك ولكن نكذب بما جنت به، فأنزل الله: (فإنهم لا يكذبوك ولكن الظالمين بآيات الله يجحدون) (1142) ».

[تعليق]

ذكر المؤلف رحمه الله أثراً واحداً في سبب نزول هذه الآية وهو يدل على تصديق الكفار للنبي □، وذلك لأنهم لم يعهدوا عليه كذباً، لكن الكبر والعناد للحق دفعهم إلى التكذيب نعوذ بالله من العناد على الحق.

وقد ورد في سبب نزول هذه الآية عدة أسباب غير ما ذكره المؤلف. فأخرج الإمام الواحدي عن السدي قال: التقى الأحنس بن شريق وأبو جهل بن هشام، فقال الأحنس لابي جهل: يا أبا الحكم أخبرني عن محمد أصادق هو أم كاذب؟ فإنه ليس هنا من يسمع كلامك غيري، فقال أبو جهل: والله إن محمداً لصادق وما كذب محمد قط، ولكن إذا ذهب بنو قصي باللواء والسقاية والحجابه والندوة والنبوة فماذا يكون لسائر قريش؟ فأنزل الله تعالى هذه الآية (1143).

وأخرج الإمام الواحدي كذلك عن مقاتل: نزلت في الحارث بن عامر بن نوفل بن عبد مناف بن قصي بن كلاب كان يكذب النبي □ في العلانية وإذا خلا مع أهل بيته قال: ما محمد من أهل الكذب ولا أحسبه إلا صادقاً، فأنزل الله تعالى هذه الآية (1144).

وقال الإمام الثعلبي وقال أبو يزيد المدني: لقي رسول الله صلى الله عليه وسلم أبا جهل فصافحه فلقبه بعض شياطينه فقال له:

يأتيك تصافحه؟ قال: والله إني أعلم إنه لصادق ولكننا متى كنا تبعاً لعبد مناف، فأنزل الله عز وجل هذه الآية (1145).

فهذه ثلاثة أسباب غير ما ذكر المؤلف وكلها تدور حول تصديق الكفار للنبي □ مع جحودهم لنبوته خشية أن تزول عنهم سيادتهم بين العرب.

[تفسير مختصر للآية]

(قد نعلم إنه ليحزنك الذي يقولون) أي قد أحطنا علماً بتكذيبهم لك، وحزنك وتأسفك عليهم، قال الحسن: كانوا يقولون إنه ساحر وشاعر، وكاهن ومجنون.

(فإنهم لا يكذبونك ولكن الظالمين بآيات الله يجحدون) أي فإنهم لا يكذبونك، بل يعتقدون صدقك ولكنهم يجحدون عن عناد، فلا تحزن لتكذيبهم (1146).

(وَلَا تَطْرُدِ الَّذِينَ يَدْعُونَ رَبَّهُمْ بِالْعَدْوَةِ وَالْعَشِيِّ يُرِيدُونَ وَجْهَهُ مَا عَلَيْكَ مِنْ حِسَابِهِمْ مِنْ شَيْءٍ وَمَا مِنْ حِسَابِكَ عَلَيْهِمْ مِنْ شَيْءٍ فَتَطْرُدَهُمْ فَتَكُونَ مِنَ الظَّالِمِينَ ٥٢)

قوله تعالى: (ولا تطرد) - الآية.

457. روى ابن حبان والحاكم عن سعد بن أبي وقاص قال: « لقد نزلت هذه الآية في ستة أنا وعبد الله بن مسعود وأربعة قالوا لرسول الله □ : اطردهم فإننا نستحي أن نكون تبعاً لك كهؤلاء، فوقع في نفس النبي □ ما شاء الله، فأنزل الله: (ولا تطرد الذين يدعون ربهم) ((إلى قوله: (أليس الله بأعلم بالشاكرين) (1147) ».

458. وروى أحمد والطبراني وابن أبي حاتم عن ابن مسعود قال: « مر الملاء من قريش على رسول الله □ وعنده خباب بن الارت وصهيب وبلال وعمار، فقالوا: يا محمد أرضيت بهؤلاء أهؤلاء من الله عليهم من بيننا؟ لو طردت هؤلاء لاتبعناك، فأنزل الله فيهم القرآن: (وأذر به الذين يخافون أن يحشروا) - إلى قوله: (سبيل المجرمين) (1148) ».

459. وأخرج ابن جرير عن عكرمة قال: « جاء عتبة بن ربيعة وشيبة بن ربيعة ومطعم بن عدي والحارث بن نوفل في أشرف بني عبد مناف من أهل الكفر إلى أبي طالب فقالوا: لو أن ابن أخيك يطرد عنه هؤلاء الأعداء كان أعظم في صدورنا وأطوع له عندنا وأدنى لاتباعنا إياه، فكلم أبو طالب النبي □، فقال عمر بن الخطاب: لو فعلت ذلك حتى ننظر ما الذي يريدون، فأنزل الله: (وأذر به الذين يخافون) - إلى

(1142) تفسير الطبري 7/182 سنن الترمذي 5/261 (3064) ورجح إرساله مستدرک الحاكم 2/345 ح(3230) وقال: صحيح على شرط الشيخين قال الذهبي: ما خرغا

لناجية شيئاً وناجيه هو الراوي عن علي.

(1143) أسباب النزول للواحدي (145)

(1144) أسباب النزول للواحدي (145)

(1145) لكشف والبيان عن تفسير القرآن (144/4)

(1146) صفوة التفسير - للصابوني (1/255)

(1147) صحيح مسلم 4/1878 ح(2413) صحيح ابن حبان 14/535 ح(6573) مستدرک الحاكم 3/360 ح(5393) السنن الكبرى للنسائي 5/66 ح(8237) المنتخب 74

وآفاظهم مختلفة اختلافاً يسيراً.

(1148) مسند أحمد 1/420 ح(3985) المعجم الكبير 10/217 ح(10520) حلية الأولياء 1/346 وفي إسناده أشعث بن سوار تقدم أنه ضعيف

قوله: (أليس الله بأعلم بالشاكرين) - وكانوا بلالا وعمار بن ياسر وسالما مولى أبي حذيفة وصبيحاً مولى أسيد وابن مسعود والمقداد بن عبد الله⁽¹¹⁴⁹⁾ وواقد بن عبد الله الحنظلي وأشباههم، فأقبل عمر فاعتذر من مقالته، فنزل: (وإذا جاءك الذين يؤمنون بآياتنا) - الآية⁽¹¹⁵⁰⁾».

460. وأخرج ابن جرير وابن أبي حاتم وغيرهما عن خباب قال: «جاء الأقرع بن حابس وعيينة بن حصن فوجدا رسول الله ﷺ مع صهيب وبلال وعمار وخباب قاعدا في ناس من الضعفاء من المؤمنين، فلما رأوهم حول النبي ﷺ حقروهم، فأتوه فخلوا به فقالوا: إنا نريد أن تجعل لنا منك مجلسا تعرف لنا به العرب فضلنا فإن وفود العرب تأتيك فنستحي أن ترانا العرب مع هذه الأعباء فإذا نحن جنناك فأقمهم عنا فإذا نحن فرغنا فاقعد معهم إن شئت، قال: «نعم» فنزلت: (ولا تطرد الذين يدعون ربهم) - الآية ثم ذكر الأقرع وصاحبه فقال (وكذلك فتنا بعضهم بعض) - الآية، وكان رسول الله ﷺ يجلس معنا فإذا أراد أن يقوم قام وتركنا فنزل: (واصبر نفسك مع الذين يدعون ربهم) - الآية⁽¹¹⁵¹⁾.

قال ابن كثير: هذا حديث غريب فإن الآية مكية والأقرع وعيينة إنما أسلما بعد الهجرة بدهر. 461. وأخرج الفريابي وابن أبي حاتم عن ماهان قال: «جاء ناس إلى النبي ﷺ فقالوا: إنا أصبنا ذنوبا عظيماً فما رد عليهم شيئا فأنزل الله: (وإذا جاءك الذين يؤمنون بآياتنا) - الآية⁽¹¹⁵²⁾».

[تعليق]

ذكر المؤلف رحمه الله عدة آثار في سبب نزول هذه الآية وهي تشتمل على ثلاثة أسباب. فالأول: في طلب كفار قريش تأخير ضعفاء الصحابة وفقراءهم كثيراً منهم من أن يجلسوا معهم، وقد عاتب الله تعالى نبيه بقوله (عيس وتولي أن جاءه الأعمى) وكان النبي ﷺ يكلم واحداً من أشرف قريش وعنده عبد الله بن أم مكتوم كما سيأتي إن شاء الله في سبب نزول سورة عيس. والثاني: أنها نزلت في عيينة بن حصن والأقرع بن حابس، وقد ضعف الحافظ ابن كثير هذا السبب لأن إسلامهما متأخر جداً.

والثالث: متعلق بقوله تعالى (وإذا جاءك الذين يؤمنون بآياتنا فقل سلام عليكم) فجاء بعض الناس إلى النبي ﷺ يسألونه بشأن ذنوبهم فأنزل الله الآية بشارة لهم برحمة الله تعالى. قلت: فأرجح هذه الأسباب السبب الأول. لأن الآية مكية والله تعالى أعلم.

[تفسير مختصر للآيات]

(ولا تطرد الذين يدعون ربهم بالغدوة والعشى يريدون وجهه) أى لا تطرد هؤلاء المؤمنين الضعفاء من مجلسك يا محمد، الذين يعبدون ربهم دوماً في الصباح والمساء، يلتمسون بذلك القرب من الله، والذنو من رضاه. (ما عليك من حسابهم من شيء) أى لا تؤاخذ بأعمالهم وذنوبهم كقول نوح [إن حسابهم إلا على ربي] قال الصاوي: هذا كالتعليل لما قبله، والمعنى: لا تؤاخذ بذنوبهم ولا بما في قلوبهم إن أرادوا بصحبتك غير وجه الله - وهذا على فرض تسليم ما قاله المشركون - وإلا فقد شهد الله لهم بالإخلاص بقوله [يريدون وجهه].

(وما من حسابك عليهم من شيء) وهذا التأكيد لمطابقة الكلام، والمعنى: لا تؤاخذ أنت بحسابهم ولا هم بحسابك فلم تطردهم؟ وقيل إن المراد بالحساب الرزق، والمعنى: ليس رزقهم عليك ولا رزقك عليهم، وإنما يبرزك ويرزقهم الله ربى العالمين. (فتطردهم فتكون من الظالمين) أى لا تطردهم فإنك إن طردتهم تكون من الظالمين، وهذا لبيان الأحكام - وحاشاه من وقوع ذلك منه عليه السلام - قال القرطبي: وهذا كقوله تعالى [لئن أشركت ليحبطن عملك] وقد علم الله منه أن لا يشرك ولا يحبط عمله. (وكذلك فتنا بعضهم ببعض) أى ابتلينا الغني بالفقير، والشريف بالوضيع.

(ليقولوا هؤلاء من الله عليهم من بيننا) أى ليقول الأشرف والأغنياء: هؤلاء الضعفاء والفقراء، من الله عليهم بالهداية، والسبق إلى الإسلام من دوننا! قالوا ذلك إنكاراً واستهزاء كقولهم [أهذا الذي بعث الله رسولا؟] قال تعالى ردا عليهم.

(أليس الله بأعلم بالشاكرين) أى الله أعلم بمن يشكر فيهديه، ومن يكفر فيخزيه، والإستفهام للتقرير (وإذا جاءك الذين يؤمنون بآياتنا فقل سلام عليكم) قال القرطبي: نزلت في الذين نهى الله نبيه عليه الصلاة والسلام عن طردهم، فكان ﷺ إذا رآهم بدأهم بالسلام وقال الحمد لله الذي جعل في أمتي من أمرني أن أبدأهم بالسلام " قال ابن كثير: أى أكرمهم بر السلام عليهم، ويشرهم برحمة الله الواسعة الشاملة لهم، كما أمر ﷺ بأن يبدأهم بالسلام، إكراماً لهم وتطييباً لقلوبهم. (كتب ربكم على نفسه الرحمة) أى ألزم نفسه الرحمة، تفضلاً منه وإحساناً.

(أنه من عمل منكم سوءاً بجهالة) أى خطيئة من غير قصد، قال مجاهد: أى لا يعلم حلالاً من حرام، ومن جهالته ركب الأمر. (ثم تاب من بعده وأصلح فإنه غفور رحيم) أى ثم تاب من بعد ذلك الذنب، وأصلح عمله، فإن الله يغفر له، وهو وعد بالمغفرة والرحمة لمن تاب وأصلح⁽¹¹⁵³⁾.

(1149) في تفسير ابن جرير وابن كثير [المقداد بن عمرو] وهو أصح، وفي المخطوط [المقدم] بالميم.

(1150) تفسير الطبري 7/202 مرسل ضعيف الإسناد.

(1151) تفسير الطبري 7/201 وهو من رواية أسباط عن السدي

(1152) تفسير ابن أبي حاتم 4/1300 تفسير الطبري 7/207 مرسل

(1153) صفة التفسير - للصابوني (259/1)

(قُلْ هُوَ الْقَادِرُ عَلَىٰ أَنْ يَبْعَثَ عَلَيْكُمْ عَذَابًا مِّنْ فَوْقِكُمْ أَوْ مِن تَحْتِ أَرْجُلِكُمْ أَوْ يَلْبِسَكُمْ شِيْعًا وَيُذِيقَ بَعْضَكُمْ بَأْسَ بَعْضٍ ۗ نَظَرْنَا كَيْفَ نَصْرَفُ الْآيَاتِ لَعَلَّهُمْ يَفْقَهُونَ ۖ)

قوله تعالى: (قل هو القادر)- الآيات.

462. [ك] أخرج ابن أبي حاتم عن زيد ابن أسلم قال: « لما نزلت: (قل هو القادر على أن يبعث عليكم عذاباً من فوقكم)- الآية. قال رسول الله ﷺ : « لا ترجعوا بعدي كفاراً يضرب بعضكم رقاب بعض بالسيوف » قالوا: ونحن نشهد أن لا إله إلا الله وأنت رسول الله ﷺ فقال بعض الناس: لا يكون هذا أبداً أن يقتل بعضنا بعضاً ونحن مسلمون، فنزلت: (انظر كيف نصراف الآيات لعلمهم يفقهون وكذب به قومك وهو الحق قل لست عليكم بوكيل لكل نبأ مستقر وسوف تعلمون) (1154) .»

[تعليق]

ذكر المؤلف رحمه الله أثراً واحداً في سبب نزول هذه الآية وهو أثر ضعيف الإسناد. قال الحافظ ابن كثير عن جابر قال: لما نزلت: (قُلْ هُوَ الْقَادِرُ عَلَىٰ أَنْ يَبْعَثَ عَلَيْكُمْ عَذَابًا مِّنْ فَوْقِكُمْ) قال رسول الله ﷺ : "أعوذ بالله من ذلك" (أو مِنْ تَحْتِ أَرْجُلِكُمْ) قال رسول الله ﷺ : "أعوذ بالله من ذلك" (أو يَلْبِسَكُمْ شِيْعًا) قال: "هذا أيسر"، ولو استعاذه لأعاده (1155).

وفي البخاري وغيره عن جابر رضي الله عنه قال: لما نزلت هذه الآية (قل هو القادر على أن يبعث عليكم عذاباً من فوقكم) قال رسول الله صلى الله عليه وسلم (أعوذ بوجهك) قال (أو من تحت أرجلكم) قال (أعوذ بوجهك) (أو يلبسكم شيعة ويذيق بعضكم بأس بعض) قال رسول الله صلى الله عليه وسلم (هذا أهون أو هذا أيسر) (1156). قلت: في الآية الإخبار عن ما سيحدث في الأمة من الفرقة وهي علامة من علامات النبوة حيث وقعت الفرقة في الأمة بما هو مشاهد ومعلوم للجميع، نسأل الله العفو والعافية.

[تفسير مختصر للآية]

(قل هو القادر على أن يبعث عليكم عذاباً من فوقكم) أي قل يا محمد لهؤلاء الكفرة: أنه تعالى قادر على إهلاككم، بإرسال الصواعق من السماء، وما تلقية البراكين من الأحجار والحمم، وكالرجم بالحجارة والطوفان والصيحة والريح كما فعل بمن قبلكم. (أو من تحت أرجلكم) بالخسف والزلازل والرجفة كما فعل بقارون وأصحاب مدين. (أو يلبسكم شيعة ويذيق بعضكم بأس بعض) أي يجعلكم فرقا متحزبين يقاتل بعضكم بعضاً، قال البيضاوي: أي يخلطكم فرقا متحزبين على أهواء شتى، فينشأ القتال بينكم وقال ابن عباس: أي يبت فيكم الأهواء المختلفة فتصيرون فرقا، والكل متقارب والغرض منه الوعيد (1157).

(الَّذِينَ ءَامَنُوا وَلَمْ يَلْبِسُوا إِيمَانَهُمْ بِظُلْمٍ أُولَٰئِكَ لَهُمُ الْأَمْنُ وَهُمْ مُّهْتَدُونَ ۙ)

قوله تعالى: (الذين آمنوا الآية) - الآية.

463. [ك] أخرج ابن أبي حاتم عن عبد الله بن زحر عن بكر بن سوادة قال: « حمل رجل من العدو على المسلمين فقتل رجلاً ثم حمل فقتل آخر ثم حمل فقتل آخر ثم قال أينفعني الإسلام بعد هذا؟ فقال رسول الله ﷺ : « نعم » فضرب فرسه فدخل فيهم ثم حمل على أصحابه فقتل رجلاً ثم آخر ثم آخر ثم قتل قال: فيرون أن هذه الآية نزلت فيه: (الذين آمنوا ولم يلبسوا إيمانهم بظلم)- الآية (1158) .»

[تعليق]

ذكر المؤلف رحمه الله أثراً واحداً في سبب نزول هذه الآية، ولم يذكره الإمام الواحدي ولا أكثر أهل التفسير، وهو مع ذلك مرسل الإسناد وقوله: "فيرون أن هذه الآية نزلت فيه" ليست صريحة في إثبات سبب النزول وما هو المراد بقوله "يرون" هل الصحابة أم التابعين. فيها خلاف بين العلماء إذا وقعت من التابعين. وفي البخاري ومسلم عن عبد الله قال: لما نزلت (الَّذِينَ ءَامَنُوا وَلَمْ يَلْبِسُوا إِيمَانَهُمْ بِظُلْمٍ) شق ذلك على أصحاب رسول الله ﷺ وقالوا: أينا لا يظلم نفسه؟ فقال رسول الله ﷺ : "ليس هو كما تظنون إنما هو كما قال لقمان لابنه: يا بني لا تشرك بالله إن الشرك لظلم عظيم" (1159).

قلت: فالآية توضح أن المؤمن الذي لم يخلط إيمانه بظلم أي بشرك فهو موعود بالأمن على قدر إيمانه في الدنيا

(1154) تفسير ابن أبي حاتم 4/1312 تفسير الطبري 7/225 مرسل ضعيف الإسناد

(1155) تفسير ابن كثير (3/270)

(1156) صحيح البخاري (6/71)

(1157) صفوة التفاسير - للصابوني (1/261)

(1158) تفسير ابن أبي حاتم 4/1333 مرسل.

(1159) صحيح البخاري (4/172)

[تفسير مختصر للآية]

(الذين آمنوا ولم يلبسوا إيمانهم بظلم) أي لم يخلطوا إيمانهم بشرك.
(أولئك لهم الأمن وهم مهتدون) أي لهم الأمن من العذاب وهم على هداية ورشاد⁽¹¹⁶⁰⁾.

(وَمَا قَدَرُوا اللَّهَ حَقَّ قَدْرِهِ إِذْ قَالُوا مَا أَنْزَلَ اللَّهُ عَلَيَّ بَشَرًا مِّنْ شَيْءٍ قُلْ مَنْ أَنْزَلَ الْكِتَابَ الَّذِي جَاءَ بِهِ مُوسَىٰ نُورًا وَهُدًى لِّلنَّاسِ تَجْعَلُونَهُ قَرَاطِيسَ يُبَدُّونَهَا وَيُخْفُونَ كَثِيرًا وَعَلَّمْتُمْ مَا لَمْ تَعْلَمُوا أَنْتُمْ وَلَا آبَاؤُكُمْ قُلْ اللَّهُ تَمَّ ذَرَّهُمْ فِي خَوَاصِمِهِمْ يَلْعَبُونَ (٩١)

قوله تعالى: (وما قدروا الله-) الآية.

464. أخرج ابن أبي حاتم عن سعيد بن جبير قال: «جاء رجل من اليهود يقال له مالك بن الصيف، فخاصم النبي ﷺ فقال له النبي: « أنشدك بالذي أنزل التوراة على موسى هل تجد في التوراة إن الله يبغض الحبر السمين - وكان حبراً سميناً - فغضب وقال: ما أنزل الله على بشر من شيء، فقال أصحابه: ويحك ولا على موسى، فأنزل الله: (وما قدروا الله حق قدره) - الآية⁽¹¹⁶¹⁾».

465. وأخرج ابن جرير نحوه عن عكرمة⁽¹¹⁶²⁾.

وتقدم حديث آخر في سورة النساء.

466. وأخرج ابن جرير من طريق ابن أبي طلحة عن ابن عباس قال: « قالت اليهود: والله ما أنزل الله من السماء كتاباً، فأُنزلت⁽¹¹⁶³⁾».

[تعليق]

ذكر المؤلف رحمه الله أثرين في سبب نزول هذه الآية وهما يدلان على أن الآية نزلت في مالك بن الصيف وهو حبر من أحرار اليهود. والثاني في قوم من اليهود. وقد وردت عدة أسباب غير ما ذكره المؤلف. فأخرج ابن أبي حاتم عن مجاهد: (ما قدروا الله حق قدره إذا قالوا ما أنزل الله على بشر من شيء) قال: قال ها مشركو قريش⁽¹¹⁶⁴⁾.

وعند الإمام الثعلبي عن محمد بن كعب القرظي: جاء ناس من اليهود إلى النبي صلى الله عليه وسلم وهو محتب وقالوا: يا أبا القاسم ألا تأتينا بكتاب من السماء كما جاء به موسى (عليه السلام) ألوأحا يحملها من عند الله؟ فأُنزل الله عز وجل (يَسْأَلُكَ أَهْلُ الْكِتَابِ أَنْ تَنزِلَ عَلَيْهِمْ كِتَابًا مِنَ السَّمَاءِ فَقَدْ سَأَلُوا مُوسَىٰ أَكْبَرَ مِنْ ذَلِكَ) الآية. فجاء رجل من اليهود فقال: ما أنزل الله عليك ولا على موسى ولا على عيسى ولا على أحد شيئاً. فأُنزل الله هذه الآية⁽¹¹⁶⁵⁾.

كما أخرج عن السدي: إنها نزلت في فحاص بن عازور، وهو قاتل بهذه المقالة⁽¹¹⁶⁶⁾.

قلت: سواء نزلت في قوم من اليهود بأعيانهم أو على عمومهم أو في قوم من الكفار، فهذا مما يحتمله عموم الآية. فالآية نزلت رداً لدعاء اليهود والكفار بأن الله تعالى لم ينزل على بشر من شيء من الكتب التي فيها الهدى والنور للخلق، وهذا منتهى المكابرة منهم فألزمهم الله تعالى ما فروا من الإقرار به من إثبات الرسالة بأنه أنزل كتاباً على موسى عليه السلام فيه هدى ونور، وكثيراً في القرآن ما يقرن الله تعالى بين القرآن والتوراة التي أنزلت على موسى وذلك كقوله تعالى في سورة الأحقاف على لسان الجن (إنا سمعنا كتاباً أنزل من بعد موسى) يعني من بعد كتاب موسى، وذلك لاشتمال كل من الكتابين على الأحكام والأوامر والنواهي والمواعظ، على العكس من الإنجيل فإنه في الغالب مواعظ فقط. والله تعالى أعلم

[تفسير مختصر للآية]

(وما قدروا الله حق قدره) أي ما عرفوا الله حق معرفته، ولا عظموه حق تعظيمه.

(إذ قالوا ما أنزل الله على بشر من شيء) أي حين أنكروا الوحي وبعثه الرسل، والقائلون هم إليه ود اللعناء تفوهوا بهذه العظيمة الشنعاء، مبالغة في إنكار نزول القرآن على محمد عليه السلام
(قل من أنزل الكتاب الذي جاء به موسى نورا وهدى للناس) أي قل يا محمد لهؤلاء المعاندين: من أنزل التوراة على موسى، نورا يستضاء به وهداية لبني إسرائيل؟
(تجعلونه قراطيس تبدونها وتخفون كثيرا) أي تكتبونه في قراطيس مقطعة وورقات مفرقة، تبدون منها ما تشاءون وتخفون ما

(1160) صفوة التفاسير - للصابوني (1/ 266)

(1161) تفسير ابن أبي حاتم 4/1342 تفسير ابن جرير 7/267 مرسل ضعيف الإسناد

(1162) المصدر السابق مرسل ضعيف.

(1163) تفسير ابن جرير 7/268 وفيه انقطاع وضعف

(1164) تفسير ابن أبي حاتم - (4/ 1341)

(1165) الكشف والبيان عن تفسير القرآن (4/ 168)

(1166) الكشف والبيان عن تفسير القرآن (4/ 168)

تشاءون، قال الطبري: ومما كانوا يكتُمونه إياهم ما فيها من أمر محمد □ ونبوته.
 (وعلمتم ما لم تعلموا أنتم ولا أبواكم) أي علمتم يا معشر إليه ود من دين الله. وهدايته في هذا القرآن، ما لم تعلموا به من قبل انتم وأبواكم.
 (قل الله ثم ذرهم في خوضهم يلعبون) أي قل لهم في الجواب: الله أنزل هذا القرآن، ثم إتركهم في باطلهم الذي يخوضون فيه، يهزون ويلعبون، وهذا وعيد لهم وتهديد، على إجرامهم وتكذيبهم رسل الله.
 (وهذا كتاب أنزلناه مبارك) أي وهذا القرآن الذي أنزل على محمد □ كتاب مبارك كثير النفع والفائدة.
 (مصدق الذي بين يديه) أي يصدق كتب الله المنزلة كالنوراة والإنجيل
 (ولتتذرن أم القرى ومن حولها) أي لتتذرن به يا محمد أهل مكة، ومن حولها وهم سائر أهل الأرض.
 (والذين يؤمنون بالآخرة يؤمنون به) أي والذين يصدقون بالحشر والنشر، يؤمنون بهذا الكتاب لما انطوى عليه من ذكر الوعد والوعيد، والتبشير والتهديد.
 (وهم على صلاتهم يحافظون) أي يؤدون الصلاة على الوجه الاكمل في أوقاتها، قال الصاوي: خص الصلاة بالذكر لأنها أشرف العبادات⁽¹¹⁶⁷⁾.

(وَمَنْ أَظْلَمُ مِمَّنِ افْتَرَىٰ عَلَى اللَّهِ كَذِبًا أَوْ قَالَ أُوحِيَ إِلَيَّ وَلَمْ يُوحَ إِلَيْهِ شَيْءٌ وَمَنْ قَالَ سَأُنزِلُ مِثْلَ مَا أَنْزَلَ اللَّهُ وَلَوْ تَرَىٰ إِذِ الظُّلُمُونَ فِي عَمْرَاتِ المَمَاتِ وَالْمَلَأَكَةُ بِأَسْطُورٍ أُبْدِيهِمْ أَخْرَجُوا أَنفُسَكُمْ اليَوْمَ تُجْرَوْنَ عَذَابِ الَّهْوِينَ بِمَا كُنْتُمْ تَقُولُونَ عَلَى اللَّهِ غَيْرَ الْحَقِّ وَكُنْتُمْ عَنْ ءَايَاتِنَا تَسْتَكْبِرُونَ ٩٣)

قوله تعالى: (ومن أظلم) - الآية.

467. أخرج ابن جرير عن عكرمة في قوله: (ومن أظلم ممن افترى على الله كذبا أو قال أوحى إلي ولم يوح إليه شيء) قال: نزلت في مسيلمة (ومن قال سأنزل مثل ما أنزل الله) قال: نزلت في عبد الله بن سعد بن أبي سرح كان يكتب للنبي □ فيملي عليه عزيز حكيم فيكتب غفور رحيم، ثم يقرأ عليه فيقول: نعم سواء فرجع عن الإسلام ولحق بقريش⁽¹¹⁶⁸⁾.

468. وأخرج عن السدي نحوه وزاد قال: «إن كان محمد يوحى إليه فقد أوحى إلي، وإن كان الله ينزله فقد أنزلت مثل ما أنزل الله، قال محمد: سميعاً عليماً، فقلت أنا: عليماً حكيماً».

[تعليق]

أورد المؤلف رحمه الله أثريين في سبب نزوله هذه، وقد اختصر المؤلف رحمه الله الأثر الأول. وقد رواه الإمام الواحدي قال: قوله تعالى: (ومن قال سأنزل مثل ما أنزل الله) نزلت في عبد الله بن سعد ابن أبي سرح، كان قد تكلم بالإسلام، فدعاه رسول الله □ ذات يوم يكتب له شيئاً، فلما نزلت الآية التي في المؤمنين - ولقد خلقنا الإنسان من سلاله - أملاها عليه، فلما انتهى إلى قوله - ثم أنشأناه خلقاً آخر - عجب عبد الله في تفصيل خلق الإنسان، فقال: تبارك الله أحسن الخالقين، فقال رسول الله □: هكذا أنزلت علي، فشك عبد الله حينئذ وقال: لئن كان محمد صادقاً لقد أوحى إلي كما أوحى إليه، ولئن كان كاذباً لقد قلت كما قال، وذلك قوله - ومن قال سأنزل مثل ما أنزل الله - وارتد عن الإسلام، وهذا قول ابن عباس في رواية الكلبي⁽¹¹⁶⁹⁾.
 قلت: وكون الآية نزلت على هذا السبب لا ينفي عمومها فقد روى كذلك أنها نزلت في الأسود العنسي وهو ممن ادعى النبوة⁽¹¹⁷⁰⁾.
 وذكر أبو حيان في البحر المحيط قوله: ذكر الزهراوي والمهدوي أن الآية نزلت في النضر بن الحارث قيل: وفي المستهزئين معه لأنه عارض القرآن بقوله: والزارعات زرعاً والخابزات خبزاً والطابخات طبخاً والطاحنات طحناً واللاقمات لقمماً إلى غير ذلك من السخافات⁽¹¹⁷¹⁾. انتهى
 فالآية عامة في كل من ادعى النبوة أو كذب بما جاء به النبي □، فلا أحد أظلم من هؤلاء.

[تفسير مختصر للآية]

(ومن أظلم من افترى على الله كذبا) استفهام معناه النفي أي لا أحد أظلم ممن كذب على الله، فجعل له شركاء وأندادا.
 (أو قال أوحى إلي ولم يوح إليه شيء) أي زعم أن الله بعثه نبياً، كمسيلمة الكذاب، والأسود العنسي، مع أن الله لم يرسله.
 (ومن قال سأنزل مثل ما أنزل الله) أي ومن ادعى أنه سينظم كلاماً، يماثل ما أنزله الله كقول الفجار [لو نشاء لقلنا مثل هذا]⁽¹¹⁷²⁾.

(إِنَّ اللَّهَ فَالِقُ الحَبِّ وَالنَّوَى يُخْرِجُ الحَيَّ مِنَ المَيِّتِ وَمُخْرِجُ المَيِّتِ مِنَ الحَيِّ ذَلِكُمْ اللَّهُ فَانَّى تُؤْفَكُونَ ٩٥)

(1167) صفوة التفسير - للصابوني (1/ 267)

(1168) تفسير الطبري 7/273 مرسل ضعيف الإسناد، وكذلك أثر السدي الذي بعده مرسل وفيه ضعف

(1169) أسباب النزول للواحدي (148)

(1170) زاد المسير (3/ 86)

(1171) تفسير البحر المحيط - (4/ 144) المؤلف: العلامة أبو حيان الأندلسي (ولادة 654 وفاة 745هـ) عدد الأجزاء/ 8 دار النشر/ دار الفكر

(1172) صفوة التفسير - للصابوني (1/ 267)

قوله تعالى: (ولقد جنتمونا فرادى) - الآية.

469. أخرج ابن جرير وغيره عن عكرمة قال: « قال النضر بن الحارث سوف تشفع لي اللات والعزى، فنزلت هذه الآية: (ولقد جنتمونا فرادى) - إلى قوله: (شركاء) (1173) ».

[تعليق]

ذكر المؤلف رحمه الله هذا الأثر الوحيد في سبب نزول هذه الآية، وهو أثر مرسل ذكره عكرة ولم أر غيره في سبب نزول هذه الآية، فهي كسابقتها فتشمل النضر وغيره من المشركين القائلين نفس مقالته، فالآية قاطعة لحبال الشفاعة التي ادعى المشركون أنها ستوصل في يوم القيامة، على أنهم كذلك كانوا منكرين للبعث فقولهم على سبيل الاستهزاء إذا كان هناك بعث فسوف تشفع لهم ألهتهم، وهيئات هيات فقد تقطعت عنهم السبل وتفرقت الطرق فلا شافع ولا مشفع إلا بإذن الله تعالى.

[تفسير مختصر للآية]

(ولقد جنتمونا فرادى كما خلقناكم أول مرة) أى جنتمونا للحساب منفردين عن الأهل والمال والولد، حفاة عراة غرلا، كما ورد في الحديث (أيها الناس انكم محشورون إلى الله حفاة عراة غرلا، كما بدأنا أول خلق نعيده).
(وتركتكم ما خولناكم وراء ظهوركم) أى تركتم ما عطيناكم من الأموال في الدنيا، فلم تنفعكم في هذا اليوم العصيب.
(وما نرى معكم شفعاءكم الذين زعمتم أنهم فيكم شركاء) أى وما نرى معكم ألهتكم الذين زعمتم أنهم يشفعون لكم، والذين اعتقدتم أنهم شركاء لله، في استحقاق العبادة.
(لقد تقطع بينكم) أى تقطع وصلكم وتشتت جمعكم.
(وضل عنكم ما كنتم تزعمون) أى ضاع وتلاشى ما زعمتموه من الشفعاء والشركاء (1174).

(وَلَا تَسْبُوا الَّذِينَ يَدْعُونَ مِنْ دُونِ اللَّهِ فَيَسْبُوا اللَّهَ عَدَاً بِغَيْرِ عِلْمٍ كَذَلِكَ زَيْنًا لِكُلِّ أُمَّةٍ عَمَلُهُمْ ثُمَّ إِلَىٰ رَبِّهِمْ مَرْجِعُهُمْ فَيُنَبِّئُهُمْ بِمَا كَانُوا يَعْمَلُونَ ۝ ١٠٨)

قوله تعالى: (ولا تسبوا) - الآية.

470. قال عبد الرزاق أنبأنا معمر عن قتادة قال: « كان المسلمون يسبون أصنام الكفار، فيسب الكفار الله، فأنزل الله: (ولا تسبوا الذين يدعون من دون الله) - الآية (1175) ».

[تعليق]

ذكر المؤلف رحمه الله أثراً واحداً في سبب نزول هذه الآية. وهو يدل على أن المسلمين كانوا يسبون آله الكفار، فيسب الكفار الله سبحانه.
وفي هذا دليل لقاعدة " درئ المفسد مقدم على جلب المصالح " فمفسدة سب الله تعالى أعظم من مصلحة الطعن في آله الكفار.
وقد أورد الإمام الطبري وغيره سبباً آخر فقال: «قالوا: يا محمد، لتنتهين عن سب آلهتنا، أو لنهجون ربك ! فنهاهم الله أن يسبوا أوثانهم، فیسبوا الله عدواً بغير علم (1176) ».
قلت: كلا المعنيين مرادين من الآية، فسواء كانت مسبة ألهتهم من النبي صلى الله عليه وسلم أو من أصحابه. فقد نهى الله تعالى عن ذلك حتى لا يسب الكفار الله بسبب سبهم لألهتهم والله أعلم.

[تفسير مختصر للآية]

(ولا تسبوا الذين يدعون من دون الله) أى لا تسبوا آلهة المشركين وأصنامهم
(فیسبوا الله عدواً بغير علم) أى فیسبوا الله جهلاً وإعتداءً، لعدم معرفتهم بعظمة الله، قال ابن عباس: قال المشركون: لتنتهين عن سبك آلهتنا أو لنهجون ربك ! ! فنهاهم الله أن يسبوا أوثانهم
(كذلك زيننا لكل أمة عملهم) أى كما زيننا لهؤلاء أعمالهم كذلك زيننا لكل أمة عملهم، قال ابن عباس: زيننا لأهل الطاعة الكفر ولأهل الكفر الكفر
(ثم إلى ربهم مرجعهم فينبئهم بما كانوا يعملون) أى ثم معادهم ومصيرهم إلى الله، فيجازيهم بأعمالهم، وهو وعيد بالجزاء والعذاب (1177).

(وَأَقْسَمُوا بِاللَّهِ جَهْدَ أَيْمَانِهِمْ لَئِن جَاءَهُمْ آيَةٌ لَّيُؤْمِنُنَّ بِهَا قُلْ إِنَّمَا الْآيَاتُ عِنْدَ اللَّهِ وَمَا يُشْعِرُكُمْ أَنَّهَا إِذَا جَاءَتْ لَا يُؤْمِنُونَ ۝ ١٠٩)

(1173) تفسير ابن جرير 7/279 مرسل ضعيف وروي عن السدي نحوه.

(1174) صفوة التفسير - للصابوني (1/268)

(1175) تفسير الصنعاني 2/215 تفسير ابن جرير 7/309 مرسل

(1176) جامع البيان (تفسير الطبري) (12/34)

(1177) صفوة التفسير - للصابوني (1/271)

قوله تعالى: (وأقسموا بالله جهد أيمانهم لئن جاءتهم آية) - الآية.

471. أخرج ابن جرير عن محمد بن كعب القرظي قال: «كلم رسول الله قريشاً فقالوا: يا محمد تخبرنا أن موسى كان معه عصا يضرب به الحجر وأن عيسى كان يحيي الموتى وأن ثمود لهم الناقة، فأتنا من الآيات حتى نصدقك، فقال رسول الله ﷺ: « أي شيء تحبون أن أتاكم به » قال: « قال و: ا تجعل لنا الصفا ذهباً قال: « فإن فعلت تصدقوني » قالوا: نعم والله، فقام رسول الله يدعو فجاءه جبريل فقال له: إن شئت أصبح ذهباً فإن لم يصدقوا عند ذلك لنعذبنهم وإن شئت فاتركهم حتى يتوب تابنهم، فأنزل الله: (وأقسموا بالله جهد أيمانهم) - إلى قوله: (يجهلون) (1178)».

[تعليق]

ذكر المؤلف رحمه الله هذا الأثر في سبب نزول هذه الآية، وهو يدل على صورة من صور عناد المشركين في اقتراحهم الآيات، فأخبر نبيه أنه إذا أنزل عليهم الآيات ثم لم يؤمنوا بها فقد حق عليهم العذاب كما حق على الأمم السابقة مثل ثمود حيث أرسل الله لهم الناقة فجحدوا بها وعفروها فأهلكهم الله بجهودهم، فكذلك الحال في كفار قريش. وقد ذكر الإمام العز بن عبد السلام في تفسيره لما نزل (إن نشأ نزل عليهم من السماء آية) [الشعراء: 4] قالوا: للرسول ﷺ أنزلها حتى تؤمن بها إن كنت من الصادقين، فقال المؤمنون: أنزلها عليهم يا رسول الله ليؤمنوا، فنزلت هذه (1179).

[تفسير مختصر للآية]

(وأقسموا بالله جهد أيمانهم) أي حلف كفار مكة بأغلظ الأيمان وأشدّها. (لئن جاءتهم آية ليؤمنن بها) أي لئن جاءتهم معجزة، أو أمر خارق مما اقترحوه ليؤمنن بها. (قل إنما الآيات عند الله) أي قل لهم يا محمد: أمر هذه الآيات عند الله لا عندي، هو القادر على الإتيان بها دوني. (وما يشعركم أنها إذا جاءت لا يؤمنون) أي وما يديركم أيها المؤمنون، لعلمهم إذا جاءتهم لا يصدقون بها! (ونقلب أفئدتهم وأبصارهم كما لم يؤمنوا به أول مرة) أي ونحول قلوبهم عن الإيمان، كما لم يؤمنوا بما أنزل من القرآن أول مرة، قال الصاوي: وهو استئناف مسوق لبيان أن خالق الهدى والضلال، هو الله لا غيره فمن أراد له الهدى حول قلبه له، ومن أراد الله شفاوته حول قلبه لها (ونذرهم في طغيانهم يعمهون) أي ونتركهم في ضلالهم، يتخبطون ويترددون متحيرين (1180).

(فَكُلُوا مِمَّا ذُكِرَ اسْمُ اللَّهِ عَلَيْهِ إِنْ كُنْتُمْ بِآيَاتِهِ مُؤْمِنِينَ (١١٨))

قوله تعالى: (فكلوا مما ذكر اسم الله عليه) - الآية.

472. روى أبو داود والترمذي عن ابن عباس قال: « أتى ناس إلى النبي ﷺ فقالوا: يا رسول الله أتناكل ما نقتل ولا نأكل ما يقتل الله فأنزل الله: (فكلوا مما ذكر اسم الله عليه إن كنتم بآياته مؤمنين) - إلى قوله: (وإن أطعتموهم إنكم لمشركون) (1181)».

473. وأخرج أبو داود والحاكم وغيرهما عن ابن عباس في قوله: (وإن الشياطين ليوحون إلى أوليائهم ليجادلوكم) قال: « قالوا ما ذبح الله لا تأكلون وما ذبحتم أنتم تأكلون، فأنزل الله الآية (1182)».

474. وأخرج الطبراني وغيره عن ابن عباس قال: « لما نزلت: (ولا تأكلوا مما لم يذكر اسم الله عليه) أرسلت فارس إلى قريش أن خاصموا محمداً فقولوا له: ما تذبح أنت بيدك يسكين فهو حلال وما ذبح الله بشمشار (1183) من ذهب - يعني الميتة - فهو حرام؟ فنزلت هذه الآية: (وإن الشياطين ليوحون إلى أوليائهم ليجادلوكم) - قال الشياطين: فارس وأولياؤهم قريش (1184)».

[تعليق]

(1178) تفسير ابن جرير 7/311 مرسل وفي إسناده أبو معشر تقدم ضعفه
(1179) تفسير العز بن عبد السلام (316) المؤلف: الإمام عز الدين عبد العزيز بن عبد السلام السلمي دمشقي الشافعي 578 هـ / 660 هـ تحقيق: الدكتور عبد الله بن إبراهيم الوهبي الناشر: دار ابن حزم - بيروت الطبعة الأولى: 1416 هـ / 1996 م عدد الأجزاء: 3
(1180) صفة التفسير - للصابوني (1 / 271)
(1181) سنن أبي داود 3/101 ح (2818) سنن الترمذي 5/263 ح (3069) وقال: حسن غريب سنن ابن ماجه 1059 ج: 2 ح (3173) المستدرک 4/260 ح (7573) وقال: صحيح الإسناد ولم يخرجه سنن البيهقي الكبرى 240 ج: 9 ح (18675) تفسير ابن جرير 8/17 المعجم الكبير 457 ج: 11 ح (12295) قلت: صحيح الإسناد وله عدة طرق قال الإمام أبو داود: حدثنا محمد بن كثير أخبرنا إسرائيل ثنا سماك عن عكرمة بن بن عباس - به
(1182) المصدر السابق عند أبي داود والحاكم وهو من شواهد ما قبله.
(1183) غالب الظن أن الشمشار هو السكين لوروده في الروايات الأخرى، والغالب أن الكلمة فارسية، وقد وردت في بعض الطرق شمشير وجاء في حاشية تفسير الطبري 77/12 شمشار، وفي تفسير ابن كثير 3: 389: « شمشير »، وتفسيره في خبر آخر يدل على أن « الشمشار » أو « الشمشير »، هو السكين أو النصل، انظر رقم: 13806، وكان هذا كان من عقائد المجوس، أن الميتة ذبيحة الله، ذبحها بشمشار من ذهب !!
فإنه أعلم
(1184) تفسير ابن جرير 8/16 عن عكرمة مرسل، ولكن فيه ما يوحي بأن هناك خطأ إما في النسخة لقوله في أثناء الحديث قال ابن عباس، ويؤيد ذلك رواية الطبراني حيث رواه من نفس الطريق، وفيه ابن عباس في أول الإسناد المعجم الكبير 11/241 وإسناده جيد.

ذكر المؤلف رحمه الله ثلاثة آثار، وهي شواهد بعضها لبعض في كون الآية نزلت في جدال المشركين للنبي ﷺ في كون الميتة أولى بالأكل لأنه ذبيحة الله، وهذا من الحجج الواهية فرد الله عليهم حجبتهم، وهذا السبب في نزول هذه الآية هو قول عامة أهل التفسير.

[تفسير مختصر للآيات]

(فكلوا مما ذكر اسم الله عليه إن كنتم بأياته مؤمنين) أى كلوا مما ذبحتم وذكرتم اسم الله عليه، إن كنتم حقا مؤمنين. (وما لكم ألا تأكلوا مما ذكر اسم الله عليه) أى وما المانع لكم من أكل ما ذبحتموه بأيديكم، بعد أن ذكرتم اسم ربكم عليه عند ذبحه؟ (وقد فصل لكم ما حرم عليكم إلا ما اضطررتم إليه) أى وقد بين لكم ربكم الحلال والحرام، ووضح لكم ما يحرم عليكم من الميتة والدم إلخ في آية المحرمات إلا في حالة الاضطرار، فقد أحل لكم ما حرم أيضا، فما لكم تستمعون إلى الشبهات التي يثيرها أعداؤكم الكفار؟.

(وإن كثيرا ليضلون بأهوائهم بغير علم) أى وإن كثيرا من الكفار المجادلين، ليضلون الناس بتحريم الحلال وتحليل الحرام، بغير شرع من الله، بل بمجرد الأهواء والشهوات.

(إن ربك هو أعلم بالمعتدين) أى المجاوزين الحد في الإعتداء، فيحللون ويحرمون بدون دليل شرعي من كتاب أو سنة، وفيه وعيد شديد، وتهديد أكيد، لمن اعتدى على حدود الله.

(وذرُوا ظاهر الإثم وباطنه) أى اتركوا المعاصي ظاهرها وباطنها، وسرها وعلانياتها، قال مجاهد: هي المعصية في السر والعلانية، وقال السدي: ظاهره الزنى مع البغايا وباطنه الزنى مع الصداق والأخذان.

(إن الذين يكسبون الإثم سيجزون بما كانوا يقترفون) أى يكسبون الإثم والمعاصي ويأتون ما حرم الله، سيلقون في الآخرة جزاء ما كانوا يكتسبون.

(ولا تأكلوا مما لم يذكر اسم الله عليه) أى لا تأكلوا أيها المؤمنون مما ذبح لغير الله، أو ذكر اسم غير الله عليه، كالذي يذبح للأوثان. (وإنه لفسق) أى لأن الأكل منه لمعصية وخروج عن طاعة الله.

(وأن الشياطين ليوحون إلى أوليائهم ليجادلوكم) أى وإن الشياطين ليوحسون إلى المشركين أوليائهم في الضلال، لمجادلة المؤمنين بالباطل، في قولهم: أتأكلون مما قتلتم ولا تأكلون مما قتل الله؟ يعني الميتة.

(وأن أظعنتموهم إنكم لمشركون) أى وإن أظعنتم هؤلاء المشركين في استحلال الحرام، وساعدتموهم على أباطيلهم، إنكم إذا مثلهم، قال الزمخشري: لأن من اتبع غير الله تعالى في دينه، فقد أشرك به، ومن حق ذي البصيرة في دينه ألا يأكل مما لم يذكر اسم الله عليه كيفما كان، للتشديد العظيم⁽¹¹⁸⁵⁾.

(أَوْ مَنْ كَانَ مَيِّتًا فَأَحْيَيْنَاهُ وَجَعَلْنَا لَهُ نُورًا يَمْشِي بِهِ فِي النَّاسِ كَمَنْ مَتَّئُهُ فِي الظُّلُمَاتِ لَيْسَ بِخَارِجٍ مِّنْهَا كَذَلِكَ زُيِّنَ لِلْكَافِرِينَ مَا كَانُوا يَعْمَلُونَ ١٢٢)

قوله تعالى: (أومن كان ميتا) - الآية.

475. أخرج أبو الشيخ عن ابن عباس في قوله: (أومن كان ميتا فأحييناه) قال: نزلت في عمر وأبي جهل⁽¹¹⁸⁶⁾.

476. وأخرج ابن جرير عن الضحاك مثله⁽¹¹⁸⁷⁾.

[تعليق]

ذكر المؤلف رحمه الله أثريين في أن هذه الآية نزلت في عمر بن الخطاب وعمر بن هشام المشهور بأبي جهل، وكان النبي ﷺ قد دعا الله أن يؤيد الإسلام بأحبهما إليه، فأسلم عمر بن الخطاب فأحياه الله بالإسلام، وكفر أبو جهل فمات بكفره.

وقد ذكر أهل التفسير أسباباً أخرى غير ما ذكره المؤلف.

فأخرج الإمام الوحدى أنها نزلت في حمزة بن عبد المطلب وأبي جهل. قال ابن عباس: يريد حمزة بن عبد المطلب وأبا جهل، وذلك أن أبا جهل رمى رسول الله ﷺ بفرث وحمزة لم يؤمن بعد، فأخبر حمزة بما فعل أبو جهل وهو راجع من قنصه ويديه قوس، فأقبل غضبان حتى علا أبا جهل بالقوس وهو يتضرع إليه ويقول: يا أبا يعلى أما ترى ما جاء به سفه عقولنا وسب آلهتنا وخالف آباءنا؟ قال حمزة: ومن أسفه منكم تعبدون الحجارة من دون الله، أشهد أن لا إله إلا الله لا شريك له، وأن محمدا عبده ورسوله، فأنزل الله تعالى هذه الآية⁽¹¹⁸⁸⁾.

وعند أبي حيان أنها نزلت في عمار بن ياسر وأبي جهل⁽¹¹⁸⁹⁾.

وذكر مقاتل: أنها نزلت في النبي ﷺ وأبي جهل⁽¹¹⁹⁰⁾.

وقال الإمام ابن الجوزي أنها عامة في كل مؤمن وكافر وقال هذا هو الحسن وآخرون.

قلت: هذه خمسة أقوال في سبب نزول هذه الآية ومعنى الآية محتمل لكل ما ورد في أسباب النزول فأحيا الله تعالى

(1185) صفوة التفسير - للصابوني (1/ 274)

(1186) عزاه في الدر المنثور لابن مردويه وابن المنذر ولم أجد له إسنادا وفي سبب نزول الآية أقوال أخرى عدها ابن الجوزي في زاد المسير إلى خمسة أقوال: وهي أولا: في حمزة وأبي جهل، ثانيا: في عمار وأبي جهل ثالثا: في عمر وأبي جهل رابعا: في النبي ﷺ وأبي جهل، خامسا عاما في كل مؤمن وضال وكل هذه الأسباب إما مراسيل وإما في الكتب المفقودة مثل تفسير ابن المنذر وأبي الشيخ

(1187) تفسير الطبري 8/22 مرسلا

(1188) أسباب النزول للواحدى (151)

(1189) البحر المحييط (6/ 378)

(1190) تفسير مقاتل بن سليمان (1/ 368)

محمد □ وأصحابه بالإيمان، وأمات أبا جهل وأشياعه بالكفر، فالآية شاملة لكل من أحياء الله بالإيمان وأماته الله بالكفر.

[تفسير مختصر للآية]

(أو من كان ميتاً فأحييناه) قال أبو حيان: لما تقدم ذكر المؤمنين والكافرين، مثل تعالى بأن شبه المؤمن بالحي الذي له نور يتصرف به كيفما سلك، والكافر بالمتخبط في الظلمات المستقر فيها، ليظهر الفرق بين الفريقين (والمعنى: أو من كان بمنزلة الميت، أعمى القلب بالكفر فأحيا الله قلبه بالإيمان، وأنقذه من الضلالة بالقرآن.

(وجعلنا له نوراً يمشي به في الناس) أى وجعلنا له مع تلك الهداية النور العظيم الوضاء، الذي يتأمل به الأشياء، فيميز به بين الحق والباطل.

(كمن مثله في الظلمات ليس بخارج منها) أى كمن هو يتخبط في ظلمات الكفر والضلالة، لا يعرف المنقذ ولا المخلص؟ قال البيضاوي: وهو مثل لمن بقي في الضلالة لا يفارقها بحال

(كذلك زين للكافرين ما كانوا يعملون) أى وكما بقي هذا في الظلمات يتخبط فيها، كذلك حسنا للكافرين وزينا لهم، ما كانوا يعملون من الشرك والمعاصي⁽¹¹⁹¹⁾.

(وَهُوَ الَّذِي أَنْشَأَ جَنَّاتٍ مَعْرُوشَاتٍ وَغَيْرَ مَعْرُوشَاتٍ وَالنَّخْلَ وَالزَّرْعَ مُخْتَلِفًا لِكُلِّهِ وَالزَّيْتُونَ وَالرُّمَانَ مُتَشَابِهًا وَغَيْرَ مُتَشَابِهٍ كَلُوا مِنْ ثَمَرِهِ إِذَا أَثْمَرَ وَعَآثُوا حَقَّهُ يَوْمَ حَصَادِهِ وَلَا تُسْرِفُوا إِنَّهُ لَا يُحِبُّ الْمُسْرِفِينَ (٤١))

قوله تعالى: (وآثوا حقه يوم حساده ولا تسرفوا) - الآية.

477. أخرج ابن جرير عن أبي العالية قال: «كانوا يعطون شيئاً سوى الزكاة ثم تسارفوا ونزلت هذه الآية⁽¹¹⁹²⁾».

478. وأخرج عن ابن جريج «أنها نزلت في ثابت بن قيس بن شماس جد⁽¹¹⁹³⁾ نخلة فاطم حتى أمسى وليست له ثمرة⁽¹¹⁹⁴⁾».

[تعليق]

ذكر المؤلف أثرين في سبب نزول هذه الآية وكلاهما مرسل الإسناد، وقد اختلف أهل العلم في قوله تعالى (وآثوا حقه يوم حساده) هل المراد به الزكاة الواجبة أو صدقة غير الزكاة الواجبة.

قال الإمام ابن الجوزي: وفي المراد بهذا الحق قولان.

أحدهما: أنه الزكاة، روي عن أنس بن مالك، وابن عباس، وسعيد بن المسيب، والحسن، وطاوس، وجابر بن زيد، وابن الحنفية، وقتادة في آخرين؛ فعلى هذا: الآية محكمة.

والثاني: أنه حق غير الزكاة فرض يوم الحصاد، وهو إطعام من حضر، وترك ما سقط من الزرع والثمر، قاله عطاء، ومجاهد. وهل نسخ ذلك، أم لا؟ إن قلنا: إنه أمر وجوب، فهو منسوخ بالزكاة؛ وإن قلنا: إنه أمر استحباب، فهو باقٍ الحكم⁽¹¹⁹⁵⁾.

[تفسير مختصر للآية]

(وهو الذي أنشأ جنات معروشات وغير معروشات) أى هو الذي أنعم عليكم بأنواع النعم، لتعبدوه وحده، فخلق لكم بساتين من الكروم، ومنها مرفوعات على عيدان، ومنها متروكات على وجه الأرض لم تعرش.

(والنخل والزرع مختلفاً أكله) أى وأنشأ لكم شجر النخيل المثمر، بما هو فاكهة وقوت، وأنواع الزرع المحصل لأنواع القوت، مختلفاً ثمرة وحبه، في اللون والطعم والحجم والرائحة.

(والزيتون والرمان متشابهة وغير متشابهة) أى متشابهة في اللون والشكل، وغير متشابهة في الطعم

(كلوا من ثمره إذا أثمر) أى كلوا أيها الناس من ثمر كل واحد مما ذكر، إذا ادرك من رطبه وعنبه.

(وآثوا حقه يوم حساده) أى اعطوا الفقير والمسكين من ثمره يوم الحصاد، ما تجود به نفوسكم وقال ابن عباس: يعني الزكاة المفروضة يوم يكال ويعلم كيله.

(ولا تسرفوا إنه لا يحب المسرفين) أى ولا تسرفوا في الأكل، لما فيه من مضرة العقل والبدن، قال الطبري: المختار قول عطاء أنه نهى عن الإسراف في كل شيء⁽¹¹⁹⁶⁾.

انتهت سورة المائدة

سُورَةُ الْأَعْرَافِ

(يَبْنَئِي عَادَمَ خُدُوءَ زَيْنَتِكُمْ عِنْدَ كُلِّ مَسْجِدٍ وَكُلُّوا وَأَسْرَبُوا وَلَا تُسْرِفُوا إِنَّهُ لَا يُحِبُّ الْمُسْرِفِينَ (٣١))

⁽¹¹⁹¹⁾صفحة التفسير - للصابوني (1/ 274)

⁽¹¹⁹²⁾ تفسير الطبري 8/60 صحيح الإسناد لكنه مرسل

⁽¹¹⁹³⁾ جد نخله أي قطعه انظر مختار الصحاح 40 ج:1

⁽¹¹⁹⁴⁾ تفسير الطبري 8/61 مرسل ضعيف الإسناد

⁽¹¹⁹⁵⁾ زاد المسير (3/ 135)

⁽¹¹⁹⁶⁾صفحة التفسير - للصابوني (1/ 280)

قوله تعالى: (يا بني آدم خذوا زينتكم عند كل مسجد) - الآية.
479. روى مسلم عن ابن عباس قال: «كانت المرأة تطوف بالبيت في الجاهلية وهي عريانة وعلى فرجها خرقفة وهي تقول: اليوم يبدو بعضه أو كله وما بدا منه فلا أحله، فنزلت: (خذوا زينتكم عند كل مسجد) ونزلت: (قل من حرم زينة الله) - الآيتين⁽¹¹⁹⁷⁾».

[تعليق]

سورة الأعراف: من أطول السور المكية. وهي أول سورة عرضت بالتفصيل قصص الأنبياء من بداية خلق آدم إلى نهاية الخلق مروراً بنوح، هود، صالح، لوط، شعيب، موسى عليهم السلام وعلى رسولنا أفضل الصلاة والسلام. والسورة تجسد الصراع الدائم بين الحق والباطل وكيف أن الباطل يؤدي إلى الفساد في الأرض، وفي قصص كل الأنبياء الذين ورد ذكرهم في السورة تظهر لنا الصراع بين الخير والشر وبيان كيد إبليس لآدم وذريته لذا وجه الله أربعة نداءات متتالية لأبناء آدم بـ (يا بني آدم) ليحذرهم من عدوهم الذي وسوس لأبيهم آدم حتى أوقعه في المخالفة لأمر الله. كما تعرضت السورة الكريمة إلى أصناف البشر فهم على مر العصور ثلاثة أصناف: المؤمنون الطائعون، العصاة، والسليبيون الذين هم مقتنعون لكنهم لا ينفذون إما بدافع الخجل أو الامبالاة وعدم الاكتراث. والسلبية هي من أهم المشاكل التي تواجه الفرد والمجتمع والأمة. وجاءت الآية لتحذرننا أنه علينا ان نحسم مواقفنا في هذه الحياة ونكون من المؤمنين الناجين يوم القيامة ولا نكون كأصحاب الأعراف الذين تساوت حسناتهم وسيئاتهم وينتظرون أن يحكم الله فيهم.

وسميت السورة (الأعراف) لورود ذكر اسم الأعراف فيها، وهو سور مضروب بين الجنة والنار، يحول بين أهلها. وروى جرير عن حذيفة «أنه سئل عن أصحاب الأعراف؟ فقال: هم قوم تساوت حسناتهم وسيئاتهم ففعدت بهم سيئاتهم عن دخول الجنة وتخلفت بهم حسناتهم عن دخول النار، فوقفوا هنالك على السور حتى يقضي الله فيهم».

وقد بدأت السورة بمعجزة القرآن الكريم على الرسول وأن هذا القرآن نعمة من الله على الإنسانية جمعاء فعليهم أن يتمسكوا بتوجيهاته وإرشاداته ليفوزوا بسعادة الدارين ويكونوا من الناجين يوم القيامة ومن أهل الجنة). (كِتَابُ أَنْزَلِ إِلَيْكَ فَلَا يَكُنْ فِي صَدْرِكَ حَرَجٌ مِّنْهُ لِيُنذِرَ بِهِ وَيُذَكِّرَ لِلْمُؤْمِنِينَ * اتَّبِعُوا مَا أَنْزَلَ إِلَيْكُم مِّن رَّبِّكُمْ وَلَا تَتَّبِعُوا مِن دُونِهِ أَوْلِيَاءَ قَلِيلًا مَّا تَذَكَّرُونَ) آية 2 -⁽¹¹⁹⁸⁾³.

وقد بدأ المؤلف رحمه الله بقوله تعالى (يا بني آدم خذوا زينتكم). وذكر أن الطواف بالبيت عارياً كان فعل المرأة، فقط ولكن الصحيح أن الرجال والنساء كانوا يطوفون بالبيت وهم عراة. ففي صحيح البخاري وغيره قال عروة: كان الناس يطوفون في الجاهلية عراة إلا الحمس والحمس قريش وما ولدت وكانت الحمس يحسبون على الناس يعطي الرجل الرجل الثياب يطوف فيها، وتعطي المرأة المرأة الثياب تطوف فيها فمن لم يعطه الحمس طاف بالبيت عريانا⁽¹¹⁹⁹⁾. فدل هذا الحديث على أن الرجال والنساء كانوا يطوفون عراة، فنزلت الآية أمره بأخذ الزينة - والمراد به ستر العورة في الصلاة، وستر العورة كما هو معروف شرط من شروط الصلاة.

[تفسير مختصر للآية]

(يا بني آدم خذوا زينتكم عند كل مسجد) أي البسوا أفرح ثيابكم وأطهرها، عند كل صلاة أو طواف. (وكلوا واشربوا ولا تسرفوا) أي لا تسرفوا في الزينة والأكل والشرب، بما يضر بالنفس والمال. (إنه لا يحب المسرفين) أي المتعدين حدود الله فيما أحل وحرّم⁽¹²⁰⁰⁾.

(أَوْلَمْ يَتَفَكَّرُوا مَا بِصَاحِبِهِمْ مِّنْ جِنَّةٍ إِنْ هُوَ إِلَّا نَذِيرٌ مُّبِينٌ ۝١٨٤)

قوله تعالى: (أو لم يفكروا) - الآية.

480. [ك] أخرج ابن أبي حاتم وأبو الشيخ عن قتادة قال: «ذكر لنا أن النبي ﷺ قام على الصفا فدعا قريشاً فجعل يدعوهم فخذوا يا بني فلان يا بني فلان يحذرهم بأس الله ووقائعهم، فقال قائلهم: إن صاحبكم هذا لمجنون بات يهوت⁽¹²⁰¹⁾ إلى الصباح، فأنزل الله: (أو لم يفكروا ما بصاحبهم من جنة إن هو إلا نذير مبين)⁽¹²⁰²⁾».

[تعليق]

ذكر المؤلف هذا الأثر الوحيد في سبب نزول هذه الآية، وهو أثر مرسل الإسناد، وهو حث لكفار قريش على التفكير في

⁽¹¹⁹⁷⁾ تفسير ابن جرير 8/160 صحيح مسلم 4/2320 ح (3028) صحح ابن خزيمة 4/208 ح (2701) المستدرک 2/350 ح (3246) سنن النسائي الكبرى 2/407 ح (3947) سنن البيهقي الكبرى 5/88 ح (9092) وغيرهم.

⁽¹¹⁹⁸⁾ سورة الأعراف

⁽¹¹⁹⁹⁾ صحيح البخاري (200/2)

⁽¹²⁰⁰⁾ صفة التفاسير - للصابوني (1/293)

⁽¹²⁰¹⁾ [يَهْوَتْ] أي يُنادي يقال: هَيْتَ بالقوم انظر الغريب لابن قتيبة/ 1 398

⁽¹²⁰²⁾ تفسير ابن أبي حاتم 5/1624 صحيح الإسناد مرسل.

حال النبي □ وهو المعروف بالصادق الأمين قبل البعثة، المشهور بالشمال والفضائل قبل وبعد البعثة، فكيف يكون من هذا حاله مجنون أن به مس من الجن.

[تفسير مختصر للآية]

(أولم يتفكروا ما بصاحبهم من جنة) أى أولم يتفكر هؤلاء المكذبون بآيات الله، ليعلموا أنه ليس بمحمد □ جنون، بل هو رسول الله حقا أرسله الله لهدايتهم، وهذا نفى لما نسبته له المشركون من الجنون في قولهم [يا أيها الذي نزل عليه الذكر إنك لمجنون] (إن هو إلا نذير مبين) أى ليس محمد إلا رسول منذر، أمره بين واضح، لمن كان له لب أو قلب يعقل به ويعي.

(يَسْأَلُونَكَ عَنِ السَّاعَةِ أَيَّانَ مُرْسَاهَا قُلْ إِنَّمَا عِلْمُهَا عِنْدَ رَبِّي لَا يُجَلِّيهَا لِوَقْتِهَا إِلَّا هُوَ ثَقُلَتْ فِي السَّمَاءِ وَالْأَرْضِ لَا تَأْتِيكُمُ إِلَّا بَغْتَةً يَسُئَلُونَكَ كَأَنَّكَ كَافٍ بِنِعْمَةِ اللَّهِ وَلَكِنَّ أَكْثَرَ النَّاسِ لَا يَعْلَمُونَ) (١٨٧)

قوله تعالى: (يسألونك عن الساعة) - الآية.

481. أخرج ابن جرير وغيره وابن عباس قال: « قال حمل بن أبي قشير وسموأل بن زيد لرسول الله □ أخبرنا متى الساعة إن كنت نبياً كما تقول فإننا نعلم ما هي؟ فأُنزل الله: (يسألونك عن الساعة أيان مرساها) - الآية (1203). ».

482. وأخرج أيضاً عن قتادة قال: قالت قريش - فذكر نحوه (1204).

[تعليق]

ذكر المؤلف أثرين في سبب نزول هذه الآية، وهما في قول اليهود وسؤالهم للنبي □ متى الساعة أي متى تقوم الساعة، فرد الله عليهم بأن علمها إنما هو عند الله واحده لا يعلم متى تقوم غيره، وقد جاء هذا في عدة آيات من القرآن. وفي سبب نزول هذه الآية سبب آخر وهو ما أخرجه الإمام الواحدي وغيره عن قتادة: قالت قريش لمحمد: « إن بيننا وبينك قرابة فأفسر إلينا متى تكون الساعة؟ فأُنزل الله تعالى - (يسألونك عن الساعة) - الآية (1205). » فتكون الآية نزلت في اليهود وفي الكفار وهو محتمل من عموم قوله: (يسألونك) فهي تحتمل أن يكون السؤال لليهود والكفار على حد سواء. والله تعالى أعلم.

[تفسير مختصر للآية]

(يسألونك عن الساعة) أى يسألونك يا محمد عن القيامة. (أيان مرساها) أى متى وقوعها وحدوثها؟ وسميت القيامة (ساعة) لسرعة ما فيها من الحساب. (قل إنما علمها عند ربي) أى قل لهم يا محمد: لا يعلم الوقت الذي يحصل قيام القيامة فيه، إلا الله سبحانه، ثم أكد ذلك بقوله (لا يجليها لوقتها إلا هو) أى لا يكشف أمرها ولا يظهرها للناس إلا الرب سبحانه بالذات، فهو العالم بوقتها. (ثقلت في السموات والأرض) أى عظمت على أهل السموات والأرض حيث يشفقون منها ويخافون شداؤها وأهوالها. (يسألونك كأنك حفي عنها) أى يسألونك يا محمد عن وقتها، كأنك كثير السؤال عنها شديد الطلب لمعرفة وقتها. (قل إنما علمها عند الله) أى لا يعلم وقتها إلا الله لأنها من الأمور الغيبية التي استأثر بها علام الغيوب. (ولكن أكثر الناس لا يعلمون) أى لا يعلمون السبب الذي لأجله أخفيت! قال الإمام الفخر: والحكمة في اخفاء الساعة عن العباد، أنهم إذا لم يعلموا متى تكون، كانوا على حذر منها، فيكون ذلك أدعى إلى الطاعة، وأزجر عن المعصية (1206).

(وَإِذَا قُرِئَ الْقُرْآنُ فَاسْتَمِعُوا لَهُ وَأَنْصِتُوا لَعَلَّكُمْ تُرْحَمُونَ ٢٠٤)

قوله تعالى: (وإذا قرئ القرآن) - الآية.

483. أخرج ابن أبي حاتم وغيره عن أبي هريرة قال: « نزلت: (وإذا قرئ القرآن فاستمعوا له وأنصتوا) في رفع الأصوات في الصلاة خلف النبي □ (1207). ».

484. وأخرج أيضاً عنه قال: « كانوا يتكلمون في الصلاة فنزلت: (وإذا قرئ القرآن) - الآية (1208). ».

485. وأخرج عن عبد الله بن مغفل نحوه (1209).

(1203) تفسير الطبري 9/137 وإسناده ضعيف

(1204) الذي عند ابن جرير ليس نحو مما قال المؤلف، فإن أثر ابن عباس في اليهود، أما أثر قتادة ففي كفار قريش وهو بلفظه عند ابن جرير عن معمر عن قتادة قال: « قالت قريش لمحمد □، إن بيننا وبينك قرابة فأفسر إلينا متى الساعة، فقال الله (: يسألونك كأنك حفي عنها) تفسير الطبري/9/ 137 ورواية معمر عن قتادة ضعيفة.

(1205) أسباب النزول للواحدي (153)

(1206) صفوة التفاسير - للصابوني (1/ 322)

(1207) تفسير ابن أبي حاتم 5/1645 في إسناده عبد الله بن عامر القارئ ضعيف

(1208) تفسير ابن أبي حاتم 5/1646 تفسير ابن جرير 9/163 بإسنادين الأول: فيه إبراهيم الهجري قال الحافظ لين الحديث، والثاني فيه عبد الله بن عامر قال عنه: ضعيف

(1209) تفسير ابن أبي حاتم 5/1646 من طريق أبي المقدم عن معاوية بن قرّة المزني قال: أحسبه عن عبد الله، وأبو المقدم ضعيف

486. وأخرج ابن جرير عن ابن مسعود مثله⁽¹²¹⁰⁾.
487. وأخرج عن الزهري قال: « نزلت هذه الآية في فتى من الأنصار، كان رسول الله ﷺ كلما قرأ شيئاً قرأه⁽¹²¹¹⁾ ».
488. وقال سعيد بن منصور في سننه: حدثنا أبو معشر عن محمد بن كعب قال: « كانوا يتلقفون من رسول الله ﷺ إذا قرأ شيئاً قرأوا معه حتى نزلت هذه الآية التي في الأعراف: (وإذا قرئ القرآن فاستمعوا له وأنصتوا)⁽¹²¹²⁾ ». قلت: ظاهر ذلك أن الآية مدنية.

[تعليق]

ذكر المؤلف رحمه الله عدة آثار في سبب نزول هذه الآية وهي تشتمل ثلاثة أسباب للنزول. الأول: في كونهم كانوا يقرؤون خلف رسول الله ﷺ ويرفعون أصواتهم بالتلاوة فنزلت. والثاني: أنهم كانوا يتكلمون في صلاتهم أول ما فرضت، فيجاء الرجل فيقول لصاحبه: كم صليتم؟ فيقول: كذا وكذا، فنزلت هذه الآية، قاله قتادة⁽¹²¹³⁾.

الثالث: أنه نزلت في رجل من الصحابة بعينه، وكان يقرأ خلف رسول الله ﷺ بما يقرأ به النبي ﷺ. وقد جاء في سبب نزولها كذلك غير ما ذكره المؤلف رحمه الله.

فأخرج الإمام الثعلبي وهو السبب الرابع قال: وقال سعيد بن المسيب: كان المشركون يأتون رسول الله صلى الله عليه وسلم إذا صلى فيقول بعضهم لبعض بمكة: (لا تسمعوا لهذا القرآن والغوا فيه) فأنزل الله جواباً لهم (وإذا قرئ القرآن)⁽¹²¹⁴⁾.

السبب الخامس: أخرجه كذلك، قال سعيد بن جبير، ومجاهد، وعطاء، وعمرو بن دينار، وزيد بن أسلم، والقاسم بن يسار، وشهر بن حوشب: هذا في الخطبة أمر بالإنصات للإمام يوم الجمعة⁽¹²¹⁵⁾.

[تفسير مختصر للآية]

(وإذا قرئ القرآن فاستمعوا له وأنصتوا) أي وإذا تليت آيات القرآن فاستمعوها بتدبر وإمعان، واسكتوا عند تلاوته إعظاماً للقرآن وإجلالاً له. (لعلمكم ترحمون) أي لئلاكي تفوزوا بالرحمة⁽¹²¹⁶⁾.

انتهت سورة الأعراف

سورة الأنفال

(يَسْأَلُونَكَ عَنِ الْأَنْفَالِ قُلِ الْأَنْفَالُ لِلَّهِ وَالرَّسُولِ فَأَتَقُوا اللَّهَ وَأَصْلِحُوا ذَاتَ بَيْنِكُمْ وَأَطِيعُوا اللَّهَ وَرَسُولَهُ إِنْ كُنْتُمْ مُؤْمِنِينَ (١)

قوله تعالى: (يسألونك عن الأنفال—الآية).

489. روى أبو داود والنسائي وابن حبان والحاكم عن ابن عباس قال: « قال النبي ﷺ من قتل قتيلاً فله كذا وكذا ومن أسر أسيراً فله كذا وكذا، فأما المشيخة فثبتوا تحت الرايات، وأما الشبان فسارعوا إلى القتل والغنائم فقالت المشيخة: للشبان أشركونا معكم فأنا كنا لكم رداء ولو كان منكم شيء للجاتم إلينا فاختصموا إلى النبي ﷺ فنزلت: (يسألونك عن الأنفال قل الأنفال لله والرسول)⁽¹²¹⁷⁾ ».
490. وروى أحمد عن سعد بن أبي وقاص قال: « لما كان يوم بدر قتل أخي عمير فقتلت به سعيد بن العاص وأخذت سيفه فأتيت به النبي ﷺ، فقال: « اذهب فاطرحه في القبض » فرجعت وبني ما لا يعلمه

⁽¹²¹⁰⁾ تفسير الطبري/9/162 يلفظ عن المسيب بن رافع قال: « كان عبد الله يقول: كنا يسلم بعضنا على بعض في الصلاة سلام على فلان وسلام على فلان، قال: فجاء القرآن: (وإذا قرئ القرآن فاستمعوا له وأنصتوا) وفي إسناده عاصم بن بهدلة قال: الحافظ صدوق له أوهام ونسطيع أن نقول بأن الأثر حسن لغیره

⁽¹²¹¹⁾ تفسير الطبري 9/163 مرسل وفي إسناده أشعث بن سوار ضعيف.

⁽¹²¹²⁾ سنن سعيد بن منصور 5/181 ح (978) وفي إسناده أبو معشر ضعيف بالإضافة إلى إرساله.

⁽¹²¹³⁾ زاد المسير (3/312)

⁽¹²¹⁴⁾ الكشف والبيان عن تفسير القرآن (4/322)

⁽¹²¹⁵⁾ الكشف والبيان عن تفسير القرآن (4/322)

⁽¹²¹⁶⁾ صفوة التفسير - للصابوني (1/325)

⁽¹²¹⁷⁾ تفسير الطبري 5/181 مستدرک الحاكم 2/143 ح (2594) وقال: صحيح، قلت وقد احتج البخاري بعكرمة واحتج مسلم بدواد بن أبي هند، سنن أبي داود 3/77 ح (2737) سنن البيهقي الكبرى 6/291 ح (12492) شرح معاني الآثار 3/232 قال الإمام أبو داود حدثنا وهب بن بقیة قال أخبرنا خالد عن داود عن عكرمة عن ابن عباس— به.

إلا الله من قتل أخي وأخذ سلمي، فما جاوزت إلا يسيرا حتى نزلت سورة الأنفال، فقال لي النبي ﷺ: «أذهب فخذ سيفك»⁽¹²¹⁸⁾.

491. وروى أحمد أبو داود والترمذي والنسائي عن سعد قال: «لما كان يوم بدر جئت بسيف فقلت: يا رسول الله قد شفى صدري من المشركين هب لي هذا السيف، فقال: «هذا ليس لي ولا لك». فقلت: عسى أن يعطى هذا من لا يبلي بلاني، فجاءني الرسول ﷺ فقال: «إنك سألتني وليس لي وإنه قد صار لي وهو لك». قال فنزلت: (يسألونك عن الأنفال) - الآية⁽¹²¹⁹⁾».

492. [ك] وأخرج ابن جرير عن مجاهد: «أنهم سألوا النبي ﷺ عن الخمس بعد الأربعة الأخماس، فنزلت: (يسألونك عن الأنفال) - الآية⁽¹²²⁰⁾».

[تعليق]

سورة الأنفال إحدى السور المدنية التي عنيت بجانب التشريع، وبخاصة فيما يتعلق بالغزوات والجهاد في سبيل الله، فقد عالجت بعض النواحي الحربية التي ظهرت عقب بعض الغزوات، وتضمنت كثيراً من التشريعات الحربية، والإرشادات الإلهية التي يجب على المؤمنين إتباعها في قتالهم لأعداء الله، وتناولت جانب السلم والحرب، وأحكام الأسرى والغنائم. "نزلت هذه السورة الكريمة في أعقاب (غزوة بدر) التي كانت فاتحة الغزوات في تاريخ الإسلام المجيد، وبداية النصر لجند الرحمن، حتى سماها بعض الصحابة "سورة بدر" لأنها تناولت أحداث هذه الموقعة بإسهاب، ورسمت الخطة التفصيلية للقتال، وبينت ما ينبغي أن يكون عليه المؤمن من (البطولة والشهامة) والوقوف في وجه الباطل، بكل شجاعة وجرأة، وحزم وصمود. ومن المعلوم من تاريخ الغزوات التي خاضها المسلمون أن غزوة بدر كانت في "رمضان" من السنة الثانية للهجرة، وكانت هي الجولة الأولى من جولات الحق مع الباطل، ورد البغي والطغيان، وإنقاذ المستضعفين من الرجال والنساء والولدان، الذين قعد بهم الضعف في مكة، وأخذوا في الضراعة إلى الله أن يخرجهم من القرية الظالم أهلها، وقد إستجاب الله ضراعتهم فهباً لهم ظروف تلك الغزوة، وبها عرف أنصار الباطل انه مهما طال أمده، وقويت شوكته، وامتد سلطانه، فلا بد له من يوم يخر فيه صريعاً أمام جلال الحق وقوة الإيمان، وهكذا كانت غزوة بدر نصراً للمؤمنين، وهزيمة للمشركين. "وفي ثنايا سرد أحداث بدر جاءت النداءات الإلهية للمؤمنين ست مرات بوصف الإيمان [يا أيها الذين آمنوا] كحافز لهم على الصبر والثبات في مجاهدتهم لأعداء الله، وتذكير لهم بأن هذه التكليف التي أمروا بها من مقتضيات الإيمان الذي تحلوا به، وأن النصر الذي حازوا عليه، كان بسبب الإيمان لا بكثرة السلاح والرجال⁽¹²²¹⁾.

وقد افتتح المؤلف رحمه الله أسباب نزول هذه السورة بأربعة آثار وهي تشتمل على ثلاثة أسباب وإن كان كلها في غزوة بدر غير أنها مختلفة أسباب النزول.

الأول: في تخاصم المشيخة والشباب في الأنفال لمن هي؟ فنزلت الآية تبين أنها لله ولرسوله.

الثاني: أنها نزلت في سعد بن أبي وقاص.

الثالث: أنها نزلت في الصحابة عندما أرادوا أن تقسم لهم بعض الأنفال.

فأما السبب الأول والثاني فإسنادهما صحبان والثالث مرسل الإسناد.

على أنه يمكن أن يجمع بينها كلها بأن يقال بأن الآية تأخرت النزول حتى انتهت غزوة بدر، وكان فيها أن الله نصر المسلمين على الكافرين، فأراد سعد أن يأخذ السيف الذي يظن أنه من حقه لكونه هو الذي قتل صاحبه، ثم اختصم الشباب والشيوخ في من هو أحق بذلك، ثم أراد الصحابة أن يجعل النبي ﷺ لهم نصيباً من الأنفال. فنزلت الآية موضحة ومبينة مواضع هذه الأنفال وأن الله ورسوله هما أحق بقسمتها. والله تعالى أعلم.

[تفسير مختصر للآية]

(يسألونك عن الأنفال) الغنائم لمن هي؟

(قل الأنفال لله والرسول) يضعها حيث يشاء من غير مشاركة فيها فقسمها بينهم على السواء.

(فاتقوا الله) بطاعته واجتناب معاصية.

(وأصلحوا ذات بينكم) حقيقة وصلكم أي: لا تتخالفوا (وأطيعوا الله ورسوله) سلموا لهما. في الأنفال فإنهما يحكما فيها ما أَرَادَا (إن كنتم مؤمنين)⁽¹²²²⁾.

⁽¹²¹⁸⁾ تفسير الطبري 9/173 كتاب السنن لسعيد بن منصور 2/300 ح(2689) مسند أحمد 1/180 ح(1556) مسند الشافعي 1/225 ح(186) المؤلف: لأبي سعيد الهيثم بن كليب الشافعي (ت: 335) المحقق: د. محفوظ الرحمن زين الله الناشر: مكتبة العلوم والحكم - المدينة المنورة الطبعة: الأولى، 1410 عدد الأجزاء: 2 صحيح الإسناد قال الإمام أحمد: ثنا أبو معاوية ثنا أبو إسحاق الشيباني عن محمد بن عبيد الله الثقفي عن سعد بن أبي وقاص - به

⁽¹²¹⁹⁾ تفسير الطبري 9/173 سنن الترمذي 5/268 وقال: حسن صحيح، حلية الأولياء 8/312 سنن أبي داود 3/77 ح(2740) سنن البيهقي الكبرى 6/291 ح(12491) مسند أحمد 1/178 ح(1538) مستدرک الحاكم 2/144 ح(2595) وقال: صحيح الإسناد ولم يخرجاه، مسند أبي يعلى 2/84 ح(735) سنن النسائي الكبرى 6/348 ح(11196) إسناده جيد في إسناده عاصم بن بهدلة، أخرج له الشيخان مقروناً كما قال الحافظ في التقریب قال الإمام أحمد: ثنا أسود بن عامر أنبأنا أبو بكر عن عاصم بن أبي النجود عن مصعب بن سعد عن سعد بن مالك - به

⁽¹²²⁰⁾ تفسير ابن جرير 9/170 من رواية ابن أبي نجيب عن مجاهد وتقدم أن روايته عنه في التفسير مرسلة.

⁽¹²²¹⁾ صفوة التفاسير - للصابوني (1/326)

⁽¹²²²⁾ الوجيز للواحدى (430)

(كَمَا أَخْرَجَكَ رَبُّكَ مِنْ بَيْتِكَ بِالْحَقِّ وَإِنَّ فَرِيقًا مِّنَ الْمُؤْمِنِينَ لَكُرْهُونَ ۝)

قوله تعالى: (كما أخرجك) - الآية.

493. [ك] أخرج ابن أبي حاتم وابن مردويه عن أبي أيوب الأنصاري قال: «قال لنا رسول الله ﷺ ونحن بالمدينة - وبلغه أن عير أبي سفيان قد أقبلت - : « ما ترون فيها لعل الله يغمناها ويسلمنا؟ ». فخرجنا فسرنا يوماً أو يومين فقال: « ما ترون فيهم؟ ». فقلنا: يا رسول الله ما لنا من طاقة بقتال القوم إنما خرجنا للعير، فقال المقداد: لا تقولوا كما قال قوم موسى اذهب أنت وربك فقاتلا إنا هاهنا قاعدون، فأنزل الله: (كما أخرجك ربك من بيتك بالحق وإن فريقاً من المؤمنين لكارهون)⁽¹²²³⁾ .
494. وأخرج ابن جرير عن ابن عباس نحوه⁽¹²²⁴⁾.

[تعليق]

ذكر المؤلف رحمه الله اثنين ذكر الأول منهما مختصراً، والثاني شاهد له عن ابن عباس وهو كما أخرجه ابن جرير قال عن ابن عباس قال، لما شاور النبي ﷺ في لقاء القوم، وقال له سعد بن عباد ما قال، وذلك يوم بدر، أمر الناس، فتعبوا للقتال، وأمرهم بالشوكة، وكره ذلك أهل الإيمان، فأنزل الله: (كما أخرجك ربك من بيتك بالحق وإن فريقاً من المؤمنين لكارهون يجادلونك في الحق بعد ما تبين كأنما يساقون إلى الموت وهم ينظرون)⁽¹²²⁵⁾.

وكلا الأثرين يدلان على كراهة بعض الصحابة القتال، فخرج النبي وبعض أصحابه فقط لا اعتراض عير أبي سفيان لعلمهم يدركون بعض ما سلبه الكفار منهم بمكة، ولكن يأبى الله تعالى إلا أن يقع القتال بين النبي صلى الله عليه وسلم ومن معه من أصحابه على غير ميعاد، وقد تجلت روح البطولة والفداء بما لا يتسع المجال في هذا الشرح للحديث عنه.

[تفسير مختصر للآية]

(كما أخرجك ربك من بيتك بالحق) الكاف تقتضي مشبهها، شبهت هذه القصة التي هي إخراجهم من بيته، بالقصة المتقدمة التي هي سؤالهم عن الأنفال وكرهاتهم لما وقع فيها، والمعنى: حالهم في كراهة تفيل الغنائم كحالهم في حالة خروجك للحرب وقال الطبري: المعنى: كما أخرجك ربك بالحق على كره من فريق من المؤمنين، كذلك يجادلونك في الحق بعدما تبين، والحق الذي كانوا يجادلون فيه النبي ﷺ بعدما تبينوه هو القتال.
(وإن فريقاً من المؤمنين لكارهون) أى والحال أن فريقاً منهم كارهون للخروج لقتال العدو، خوفاً من القتل أو لعدم الاستعداد⁽¹²²⁶⁾.

(إِذْ تَسْتَغِيثُونَ رَبَّكُمْ فَاسْتَجَابَ لَكُمْ أَنِّي مُمِدُّكُمْ بِالْفِ عِ مِّنَ الْمَلَائِكَةِ مُرَدِّينَ ۙ)

قوله تعالى: (إذ تستغيثون) - الآية.

495. [ك] روى الترمذي عن عمر بن الخطاب قال: « نظر نبي الله ﷺ إلى المشركين وهم ألف وأصحابه ثلاثمائة وبضعة عشر رجلاً، فاستقبل القبلة ثم مد يديه وجعل يهتف بربه: « اللهم أنجز لي ما وعدتني اللهم إن تهلك هذه العصابة من أهل الإسلام لا تعبد في الأرض ». فما زال يهتف بربه ماداً يديه مستقبلاً القبلة حتى سقط رداؤه، فأتاه أبو بكر فأخذ رداؤه وألقاه على منكبيه ثم التزمه من ورائه وقال: يا نبي الله كفاك مناشدتك ربك فإنه سينجز لك ما وعدك، فأنزل الله: (إذ تستغيثون ربكم فاستجاب لكم أني ممدكم بألف من الملائكة مردفين) فأمدهم الله بالملائكة⁽¹²²⁷⁾ .

[تعليق]

ذكر المؤلف رحمه الله أثر عمر بن الخطاب في سبب نزول هذه الآية وهو أثر صحيح، وهو من قبيل العام الذي أريد به الواحد، فالمستغيث هو رسول الله ﷺ، فأتى بصيغة العموم والأثر يدل على أن النصر إنما هو من عند الله، فينبغي على العبد أن يطلب النصر منه وحده سبحانه، فما النصر إلا من عند الله تعالى به يستنصر المستنصرون ويستغيث المستغيثون.

[تفسير مختصر للآية]

(إذ تستغيثون ربكم) أى اذكروا حين تطلبون من ربكم الغوث بالنصر على المشركين

⁽¹²²³⁾ تفسير ابن أبي حاتم 5/1659 المعجم الكبير 4/174 وسياقه أطول مما ذكره المؤلف، وفي إسناده ابن لهيعة حسن بعضهم حديثه والحق عندي أنه يحتاج إلى متابع، وله شاهد عند أبي بكر بن مردويه ذكره الحافظ ابن كثير عند تفسير الآية

⁽¹²²⁴⁾ تفسير ابن جرير 9/183 وإسناده ضعيف.

⁽¹²²⁵⁾ جامع البيان (تفسير الطبري) (13/395)

⁽¹²²⁶⁾ صفوة التفاسير - للصابوني (1/328)

⁽¹²²⁷⁾ صحيح مسلم 3/1383 ح (1763) سنن الترمذي 5/269 ح (3081) وقال صحيح غريب مصنف ابن أبي شيبة 7/357 ح (29583) مسند عمر ليعقوب بن شيبه 159/ مسند أحمد 1/30 ح (208) مسند عبد بن حميد 1/41 ح (31) مسند البزار 1/306 مسند أبي عوانة 4/254 صحيح ابن حبان 11/114 ح (4793)

(فاستجاب لكم أني مدمكم بألف من الملائكة) أي استجاب الله الدعاء بأني معينكم بألف من الملائكة (مردفين) أي متتابعين يتبع بعضهم بعضاً، قال المفسرون: ورد أن جبريل نزل بخمسائة وقاتل بها في يمين الجيش، ونزل ميكائيل بخمسائة وقاتل بها في يسار الجيش، ولم يثبت أن الملائكة قاتلت في وقعة إلا في (بدر)، وأما في غيرها فكانت تنزل الملائكة، لتكثير عدد المسلمين ولا تقاتل⁽¹²²⁸⁾». «

(فَلَمْ تَقْتُلُوهُمْ وَلَكِنَّ اللَّهَ قَتَلَهُمْ وَمَا رَمَيْتُ إِذْ رَمَيْتُ وَلَكِنَّ اللَّهَ رَمَىٰ وَلِيُبْلِيَ الْمُؤْمِنِينَ مِنْهُ بَلَاءً حَسَنًا إِنَّ اللَّهَ سَمِيعٌ عَلِيمٌ (١٧))

قوله تعالى: (وما رميت).

496. وروى الحاكم عن سعيد بن المسيب عن أبيه قال: «أقبل أبي بن خلف يوم أحد إلى النبي ﷺ فخلوا سبيله فاستقبله مصعب بن عمير ورأى رسول الله ﷺ ترقوه أبي من فرجة بين سابعة الدرع والبيضة فطعنه بحربته فسقط عنفرسه ولم يخرج من طعنته دم فكسر ضلعا من أضلاعه، فأتاه أصحابه وهو يخور خوار الثور فقالوا: ما أعجزك إنما هو خدش، فذكر لهم قول رسول الله ﷺ: «بل أنا أقتل أبياً». ثم قال: والذي نفسي بيده لو كان هذا الذي بي بأهل ذي المجاز لماتوا أجمعون، فمات أبي قبل أن يقدم مكة فأنزل الله: (وما رميت إذ رميت ولكن الله رمى⁽¹²²⁹⁾) - الآية» صحيح الإسناد لكنه غريب

497. وأخرج ابن جرير عن عبد الرحمن بن جبيرة: «أن رسول الله ﷺ يوم خيبر دعا بقوس فرمى الحصن فأقبل السهم يهوي حتى قتل ابن أبي الحقيق وهو في فراشه، فأنزل الله: (وما رميت إذ رميت⁽¹²³⁰⁾) - الآية» مرسل جيد الإسناد لكنه غريب والمشهور أنها نزلت في رمية يوم بدر بالقبضة من الحصباء.

498. روى ابن جرير وابن أبي حاتم والطبراني عن حكيم بن حزام قال: «لما كان يوم بدر سمعنا صوتا وقع من السماء إلى الأرض كأنه صوت حصاة وقعت في طست ورمى رسول الله ﷺ بتلك الحصباء فانهزمنا فذلك قوله: (وما رميت إذ رميت⁽¹²³¹⁾) - الآية».

499. وأخرج أبو الشيخ نحوه عن جابر.

500. وابن عباس⁽¹²³²⁾ ولابن جرير من وجه آخر مرسل نحوه.

[تعليق]

ذكر المؤلف رحمه الله عدة آثار في سبب نزول هذه الآية، وهي تشتمل ثلاثة أسباب. أما السبب الأول في كونها نزلت في أبي بن خلف فهو غريب لأن الآية نزلت في بدر على قول أكثر أهل التفسير في رميه ﷺ وقوله شأهت الوجوه.

وأما السبب الثاني: أنها نزلت يوم خيبر فإنه ضعيف الإسناد وقد استغربه المؤلف. وأما السبب الثالث: وهو رميه ﷺ القوم بقبضة من الحصباء فهذا هو المشهور الراجح وله عدة شواهد ذكر المؤلف رحمه الله بعضها.

ومن شواهد ما أخرجه الطبراني في الأسط عن أبي هريرة قال: «أنزل الله جل جلاله على نبيه صلى الله عليه وسلم بمكة (سيهزم الجمع ويولون الدبر) فقال عمر بن الخطاب: يا رسول الله أي جمع وذلك قبل بدر. قال: فلما كان يوم بدر وانهزمت قريش نظرت إلى رسول الله صلى الله عليه وسلم في آثارهم مصلتا بالسيف يقول: (سيهزم الجمع ويولون الدبر) وكانت ليوم بدر فأنزل الله عز وجل فيهم (حتى إذا أخذنا مترفيهم بالعذاب) الآية. وأنزل الله (ألم تر إلى الذين بدلوا نعمة الله كفرا) الآية. ورماهم رسول الله صلى الله عليه وسلم فوسعتهم الرمية وملأت أعينهم وأفواههم حتى إن الرجل ليقول وهو يقذي عينيه رماه فأنزل الله (وما رميت إذ رميت ولكن الله رمى) - وذكر الحديث⁽¹²³³⁾».

ويستفاد من هذه الآثار أن الله تعالى يعطي النصر بقليل الأسباب مع كثير الإيمان، فإنه لم يكن بغزوة بدر مقارنة بين المسلمين والمشركين من حيث العدة والعدد، لكن الله تعالى نصر المؤمنين لما بما معهم من الإيمان.

[تفسير مختصر للآية]

(وما رميت إذ رميت) أي وما رميت في الحقيقة أنت يا محمد أعين القوم بقبضة من تراب، لأن كفا من تراب لا يملأ عيون الجيش الكبير.

(1228) صفوة التفسير - للصابوني (329/1)

(1229) مستدرک الحاكم 2/357 ح (3263) وقال: صحيح علي شرط الشيخين قال: أخبرني إسماعيل بن محمد بن الفضل الشعرائي حدثنا جدي حدثنا إبراهيم بن المنذر الحزامي حدثنا محمد بن فليح عن موسى بن عقبة عن بن شهاب عن سعيد بن المسيب عن أبيه -

(1230) ليس الأثر في النسخة التي بين يدي، وعزاه أيضا ابن كثير عند تفسير الآية لابن جرير وقال: إسناده جيد إلى عبد الرحمن بن جبيرة

(1231) تفسير ابن أبي حاتم 5/1673 ح تفسير ابن جرير 9/205 ح المعجم الأوسط 9/46 ح (9097) المعجم الكبير 3/203 ح (3127) قال الهيثمي: إسناده حسن قلت: رواه ابن جرير من طريق عبد العزيز بن عمران قال الحافظ: متروك، وتابعة عباس بن أبي شملة عند الطبراني، وتقه ابن حبان قال ابن كثير: غريب من هذا الوجه وأما ابن أبي حاتم فأخرجه من طريق عبد القدوس بن الحجاج عن صفوان بن عبد الرحمن وهو إسناده صحيح

(1232) شاهد لما قبله

(1233) الأوسط المعجم الأوسط (58/9)

(ولكن الله رمى) أى بإيصال ذلك اليهم فالأمر في الحقيقة من الله.
(وليبلي المؤمنين منه بلاء حسنا) أى فعل ذلك ليقهر الكافرين وينعم على المؤمنين بالأجر والنصر والغنيمة.
(إن الله سميع عليم) أى سميع لأقوالهم، عليم بنياتهم وأحوالهم.
(ذلكم وأن الله موهن كيد الكافرين) أى ذلك الذي حدث من قتل المشركين ونصر المؤمنين حق، والغرض منه إضعاف وتوهين كيد الكافرين حتى لا تقوم لهم قائمة⁽¹²³⁴⁾.

(إِنْ تَسْتَفْتِحُوا فَقَدْ جَاءَكُمْ الْفَتْحُ وَإِنْ تَنْتَهُوا فَهُوَ خَيْرٌ لَكُمْ وَإِنْ تَعُدُّوا نَعْدٌ وَلَنْ تُغْنِي عَنْكُمْ فِئَتُكُمْ شَيْئًا وَلَوْ كَثُرَتْ
وَأَنَّ اللَّهَ مَعَ الْمُؤْمِنِينَ ١٩)

قوله تعالى: (إن تستفتحوا) - الآية.

501. روى الحاكم عن عبد الله بن ثعلبة بن صغير قال: «كان المستفتح أبا جهل، فإنه قال حين التقى القوم: اللهم أينما كان أقطع للرحم وأتى بما لا يعرف فاحنه الغداة وكان ذلك استفتاحاً، فأنزل الله: (إن تستفتحوا فقد جاءكم الفتح) - إلى قوله: (وأن الله مع المؤمنين⁽¹²³⁵⁾)».

502. أخرج ابن أبي حاتم عن عطية قال: «قال أبو جهل: اللهم انصر اعز الفنتين وأكرم الفرقتين فنزلت⁽¹²³⁶⁾»

[تعليق]

ذكر المؤلف رحمه الله أثرين في سبب نزول هذه الآية، وهما يدلان على أن الآية نزلت في استفتاح أبي جهل، ومعنى الاستفتاح: الاستتصار أي طلب النصر، والمعنى الثاني: هو طلب الحكم والقضاء: وكان أبا جهل سأل الله تعالى أن يحكم بينه وبين محمد □. وقد ورد في سبب نزول هذه الآية أسباب أخرى غير ما ذكرها المؤلف، وفي بعضها أن المستفتحين هم المسلمون لا الكفار.

فذكر الإمام الثعلبي: قال أبي بن كعب وعطاء الخراساني: هذا خطاب أصحاب رسول الله قال الله للمسلمين: إن تستفتحوا فقد جاءكم الفتح أي تستنصروا الله وتسالوه الفتح فقد جاءكم الفتح أي بالنصرة.
وقال خباب بن الأرت: شكونا إلى رسول الله عليه السلام فقلنا: لا تستنصر لنا، فاحمر وجهه وقال: «كان الرجل قبلكم يؤخذ ويحفر له في الأرض، ثم يجاء بالمنشار فيقطع بنصفين ما يصرفه عن دينه شيء، ويمشط بأمشاط الحديد ما دون عظمه من لحم وعصب ما يصرفه عن دينه، ولينتم الله هذا الأمر حتى يسير الراكب من صنعاء إلى حضرموت ولا يخشى إلا الله عز وجل والذئب على غنمه ولكنكم تعجلون»⁽¹²³⁷⁾. انتهى.

قلت: على هذا القول يكون الاستفتاح بمعنى طلب النصر، والله تعالى أعلم.

السبب الثالث: أخرجه كذلك الإمام الثعلبي قال: وقال السدي والكلبي: «كان المشركون حين خرجوا إلى النبي صلى الله عليه وسلم من مكة أخذوا بأستار الكعبة وقالوا: اللهم انصرنا على الحزبين وأهدى القبتين وأكرم الجندين وأفضل الدينين فأنزل الله هذه الآية⁽¹²³⁸⁾».

قلت: على هذا القول كذلك يكون الاستفتاح بمعنى طلب النصر، ولكنه وقع من المشركين.

السبب الرابع: ما رواه الإمام البغوي قال: وقال عكرمة: قال المشركون: والله لا نعرف ما جاء به محمد فافتح بيننا وبينه بالحق، فأنزل الله عز وجل: (إن تستفتحوا فقد جاءكم الفتح)⁽¹²³⁹⁾.

قلت: على هذا القول المراد بالاستفتاح هو طلب الحكم لأنهم طلبوا من الله أن يحكم بينهم أي الفريقين على الحق.

الخامس: ما أخرجه الإمام الطبري قال: قال ابن زيد في قوله: (إن تستفتحوا فقد جاءكم الفتح)، قال: إن تستفتحوا العذاب، فعذبوا يوم بدر. قال: وكان استفتاحهم بمكة، قالوا: (اللهم إن كان هذا هو الحق من عندك فأمطر علينا حجارة من السماء أو ائتنا بعذاب أليم)، [سورة الأنفال: 32]. قال: فجاءهم العذاب يوم بدر. وأخبر عن يوم أحد: (وإن تعودوا نعد ولن تغني عنكم فئتك شيئا ولو كثرت وأن الله مع المؤمنين)⁽¹²⁴⁰⁾.

قلت: هذه خمسة أقوال في سبب نزول هذه الآية، والأول أنها نزلت في أبي جهل واستفتاحه هو أصلها إسناداً على أن ذلك لا يمنع من كون المشركين كذلك استفتحوا ويدل على ذلك سياق الآية، فالآية وردة بصيغة الجمع (إن تستفتحوا) وهو خطاب للكفار فخرج بذلك كون الآية نزلت في المسلمين.

[تفسير مختصر للآية]

(1234) صفوة التفسير - للصابوني (331/1)

(1235) تفسير الطبري 9/208 مسند أحمد 5/431 ح (23710) مستدرک الحاكم 2/357 ح (3264) وقال: صحيح على شرط الشيخين ولم يخرجاه، سنن النسائي الكبرى 6/350 ح (11201) الأحاد والمثاني 1/454 ح (631) مصنف ابن أبي شيبة 7/355 ح (36674) عبد الله بن ثعلبة له رؤية قال الحافظ: ولم تثبت له رواية قلت فحديثه مرسل صحابي قال ابن أبي شيبة: حدثنا يزيد بن هارون عن محمد بن إسحاق عن الزهري عن عبد الله بن ثعلبة بن صغير العذري - به

(1236) تفسير ابن أبي حاتم 5/1675 تفسير ابن جرير 9/208 وعطية ضعيف وإسناده ليس بالقوي، وروى نحوه عن السدي من رواية أسباط عنه وهو مرسل غريب

(1237) الكشف والبيان عن تفسير القرآن (4/340)

(1238) الكشف والبيان عن تفسير القرآن (4/340)

(1239) تفسير البغوي (3/342)

(1240) جامع البيان (تفسير الطبري) (13/453)

(222)

(إن تستفتحو فقد جاءكم الفتح) هذا خطاب لكفار قريش أي إن تطلبوا يا معشر الكفار الفتح والنصر على المؤمنين، فقد جاءكم الفتح وهو الهزيمة والقهر، وهذا على سبيل التهكم بهم، قال الطبري: قال أبو جهل يوم بدر: اللهم أينما كان أفجر، وأقطع للرحم، فأحنه اليوم - أي أهلكه فأنزل الله

(إن تستفتحو فقد جاءكم الفتح) فكان أبو جهل هو المستفتح

(وإن تنتهوا فهو خير لكم) أي وإن تكفوا يا معشر قريش عن حرب الرسول ومعاداته، وعن الكفر بالله ورسوله فهو خير لكم في دنياكم وأخرتكم

(وإن تعودوا نعد) أي وإن تعودوا لحربه وقتاله، نعد لنصره عليكم

(ولن تغني عنكم فننكم شيئا ولو كثرت) أي لن تدفع عنكم جماعتكم التي تستجدون بها شيئا من عذاب الدنيا، مهما كثرت الأعوان والأنصار

(وأن الله مع المؤمنين) أي لأن الله سبحانه مع المؤمنين بالنصر والعون والتأييد⁽¹²⁴¹⁾.

(يَا أَيُّهَا الَّذِينَ ءَامَنُوا لَا تَخُونُوا اللَّهَ وَالرَّسُولَ وَتَخُونُوا أُمَّتِكُمْ وَأَنْتُمْ تَعْلَمُونَ ٢٧)

قوله تعالى: (يا أيها الذين آمنوا لا تخونوا الله) - الآية.

503. روى سعيد بن منصور وغيره عن عبد الله بن أبي قتادة قال: «نزلت هذه الآية: (لا تخونوا الله والرسول) في أبي لبابة بن عبد المنذر سأله بنو قريظة يوم قريظة ما هذا الأمر فأشار إلى حلقة يقول الذبح، فنزلت قال: أبو لبابة ما زالت قدماي حتى علمت أنني خنت الله ورسوله⁽¹²⁴²⁾».

504. [ك] وروى ابن جرير وغيره عن جابر بن عبد الله: «أن أبا سفيان خرج من مكة، فأتى جبريل النبي فقال: إن أبا سفيان بمكان كذا وكذا، فقال رسول الله ﷺ لأصحابه: «إن أبا سفيان في مكان كذا وكذا فأخرجوا إليه واكتموا». فكتب رجل من المنافقين إلى أبي سفيان إن محمد يريدكم فخذوا حذرکم، فأنزل الله: (لا تخونوا الله والرسول) - الآية⁽¹²⁴³⁾» غريب جداً في سنده وسياقه نظر.

505. وأخرج ابن جرير عن السدي قال: «كانوا يسمعون من النبي ﷺ الحديث فيفشونه حتى يبلغ المشركين فنزلت⁽¹²⁴⁴⁾».

[تعليق]

ساق المؤلف رحمه الله ثلاثة آثار في سبب نزول هذه الآية، وكلها مختلفة وهي تشمل ثلاثة أسباب للنزول. فأما الأول أنها نزلت في أبي لبابة، واسمه بشير وقيل رفاعة بن عبد المنذر الأنصاري وذكر الذهبي الخلاف في وفاته فقيل في خلافة عثمان وقيل علي وقيل معاوية⁽¹²⁴⁵⁾.

وهذا السبب عليه أكثر المفسرين، وقد اختصره المؤلف وهو بتمامة عند الإمام الواحدي قال: وذلك أن رسول الله ﷺ حاصر يهود قريظة إحدى وعشرين ليلة، فسألوا رسول الله ﷺ الصلح على ما صالح عليه إخوانهم من بني النضير على أن يسيروا إلى إخوانهم بأذرع وأرض الشام، فأبى أن يعطيهم ذلك إلى أن ينزلوا على حكم سعد بن معاذ، فأبوا وقالوا: أرسل إلينا أبا لبابة، وكان مناصحا لهم، لأن عياله وما له وولده كانت عندهم، فبعثه رسول الله ﷺ، فأتاهم فقالوا: يا أبا لبابة ما ترى، أننزل على حكم سعد ابن معاذ؟ فأشار أبو لبابة بيده إلى حلقة إنه الذبح فلا تفعلوا، قال أبو لبابة: والله ما زالت قدماي حتى علمت أنني قد خنت الله ورسوله، فنزلت فيه هذه الآية، فلما نزلت شد نفسه على سارية من سواري المسجد وقال: والله لا أدوق طعاما ولا شرابا حتى أموت أو يتوب الله علي فمكث سبعة أيام لا يدوق فيها طعاما حتى خر مغشيا عليه، ثم تاب الله عليه، فقيل له: يا أبا لبابة قد تيب عليك، فقال: لا والله لا أحل نفسي حتى يكون رسول الله ﷺ هو الذي يحلني، فجاءه فحله بيده، ثم قال أبو لبابة: إن من تمام توبتي أن أهرج دار قومي التي أصبت فيها الذنب، وأن أنخلع من ما لي، فقال رسول الله ﷺ: يجزيك التلث أن تتصدق به⁽¹²⁴⁶⁾.

والسبب الثاني: أنها نزلت في رجل من المنافقين كتب إلى المشركين يحذرهم من رسول الله. وهو ضعيف الإسناد كما حكم عليه المؤلف.

والثالث: أنهم كانوا يسمعون كلام النبي ﷺ فيفشونه حتى يبلغ المشركين. وهو مرسل.

وفي سبب نزول هذه الآية سبب آخر أخرجه الإمام ابن جرير عن المغيرة بن شعبه قال: نزلت هذه الآية في قتل عثمان رحمة الله عليه: (يا أيها الذين آمنوا لا تخونوا الله والرسول) الآية⁽¹²⁴⁷⁾. وهو أثر ضعيف الإسناد.

والرجح من هذه الآثار حملها على عمومها فيشمل النهي عن خيانة الله ورسوله، سواء في ذلك المؤمنين وغيرهم.

⁽¹²⁴¹⁾صفوة التفسير - للصابوني (1/ 331)

⁽¹²⁴²⁾تفسير سعيد بن منصور 5/ 204 ح (987) وإسناده صحيح لكنه مرسل وأخرجه ابن جرير من وجه آخر مطولا 21/ 152

⁽¹²⁴³⁾تفسير الطبري 9/ 221 وفي إسناده محمد بن المحرم وهو ابن عبد الله بن عبيد بن عمير، قال البخاري: منكر الحديث وقال ابن معين: ضعيف وضعفه أيضا أبو حاتم والنسائي، قال ابن عدي: وهو مع ضعفه يكتب حديثه.

⁽¹²⁴⁴⁾تفسير ابن جرير 9/ 222 مرسل.

⁽¹²⁴⁵⁾تاريخ الإسلام ت بشار (2/ 196)

⁽¹²⁴⁶⁾أسباب النزول للواحدي (157)

⁽¹²⁴⁷⁾جامع البيان (تفسير الطبري) (13/ 482) ضعيف الإسناد في إسناده يونس بن الحارث الطائفي الثقفي، ضعيف، إلا أنه لا يهتم بالكذب، وقال ابن معين: كنا نضعفه ضعفا شديداً وقال أحمد: أحاديثه مضطربة

مترجم في التهذيب، والكبير 4 \ 2 \ 409، ولم يذكر فيه جرحاً، وابن أبي حاتم 4 \ 2 \ 237، وضعفه

وينحو ما قلته ذكره الإمام ابن جرير رحمه الله عند تفسير هذه الآية والله تعالى أعلم.

[تفسير مختصر للآية]

(يا أيها الذين آمنوا لا تخونوا الله والرسول) أي لا تخونوا دينكم ورسولكم بإطلاع المشركين على أسرار المؤمنين. (وتخونوا أماناتكم) أي ما ائتمنكم عليه من التكليف الشرعية، قال ابن عباس: خيانة الله سبحانه بترك فرائضه، والرسول بترك سنته وإرتكاب معصيته، والأمانات: الأعمال التي ائتمن الله عليها العباد⁽¹²⁴⁸⁾.

(وَإِذْ يَمْكُرُ بِكَ الَّذِينَ كَفَرُوا لِيُثْبِتُوكَ أَوْ يَقْتُلُوكَ أَوْ يُخْرِجُوكَ وَيَمْكُرُونَ وَيَمْكُرُ اللَّهُ وَاللَّهُ خَيْرٌ الْمَكْرِينَ ۗ (٣٠)

قوله تعالى: (وإذ يمكر) - الآية.

506. [ك] أخرج ابن أبي حاتم عن ابن عباس: «أن نفرا من قريش ومن أشراف كل قبيلة اجتمعوا ليدخلوا دار الندوة، فاعترضهم إبليس في صورة شيخ جليل، فلما رأوه قالوا: من أنت؟ قال: شيخ من أهل نجد سمعت بما اجتمعتم له فأردت أن أحضركم ولن يعدمكم مني رأي ونصح، قالوا: أجل فادخل فدخل معهم فقال: انظروا في شأن هذا الرجل فقال قائل احبسوه في وثاق ثم تربصوا به المنون حتى يهلك كما هلك من كان قبله من الشعراء زهير والنابغة فإنما هو كأحدهم، فقال عدو الله الشيخ النجدي: لا والله ما هذا لكم برأي والله ليخرجن راند من محبسه إلى أصحابه فليوشكن أن يثبوا عليه حتى يأخذوه من أيديكم ثم يمنعوه منكم فما آمن عليكم أن يخرجوكم من بلادكم فانظروا غير هذا الرأي، فقال قائل: أخرجوه من بين أظهركم واستريحوا منه فإنه إذا خرج لن يضركم ما صنع، فقال الشيخ النجدي: والله ما هذا لكم برأي ألم تروا حلاوة قوله وطلاقة لسانه وأخذه للقلوب بما يستمع من حديثه والله لنن فعلتم ثم استعرض العرب ليجتمعن عليه ثم ليسيرن إليكم حتى يخرجكم من بلادكم ويقتل أشرافكم، قالوا: صدق والله فانظروا رأيا غير هذا، فقال أبو جهل: والله لاشيرن عليكم برأي ما أراكم أبصرتموه بعد ما أرى غيره قالوا: وما هذا؟ قال تأخذوا من كل قبيلة وسيطا شابا جلدا ثم يعطى كل غلام منهم سيفا صارما ثم يضربونه ضربة رجل واحد فإذا قتلتموه تفرق دمه في القبائل كلها فلا أظن هذا الحي من بني هاشم يقدرن على حرب قريش كلهم وأنهم إذا رأوا ذلك قبلوا العقل واسترحنا وقطعنا عنا أذاه، فقال النجدي هذا والله هو الرأي القول ما قال الفتى لا أرى غيره، فتفرقوا على ذلك وهم مجمعون له، فأتى جبريل النبي ﷺ فأمره أن لا يبيت في مضجعه الذي كان يبيت وأخبره بمكر القوم، فلم يبيت رسول الله ﷺ في بيته تلك الليلة، وأذن الله له عند ذلك في الخروج وأنزل عليه بعد قدومه المدينة يذكره نعمته عليه: (وإذ يمكر بك الذين كفروا) - الآية⁽¹²⁴⁹⁾».

507. وأخرج ابن جرير من طريق عبيد بن عمير عن المطلب بن أبي وداعة: «أن أبا طالب قال للنبي ﷺ: ما يأتكم بك قومك؟ قال: «يريدون أن يسجنوني أو يقتلوني أو يخرجوني». قال من حدثك بهذا؟ قال: «ربي» قال: نعم الرب ربك فاستوص به خيرا، قال: «أستوصي به بل هو يستوصي بي». فنزلت: (وإذ يمكر بك الذين كفروا) - الآية⁽¹²⁵⁰⁾ قال ابن كثير: ذكر أبي طالب فيه غريب بل منكر لأن القصة ليلة الهجرة وذلك بعد موت أبي طالب بثلاث سنين⁽¹²⁵¹⁾».

[تعليق]

ذكر المؤلف رحمه الله أثرين في سبب نزول هذه الآية، وكلاهما في إسناده نظر. والآية تدل على مكر المشركين برسول الله وهذا ثابت معروف فكانوا تارة يحاولون قتله وتارة يحاولون إخراجة وتارة يحاولون حبسه، وقد قيل بأن هذه الآية مكية. قال الإمام القرطبي وقال ابن عباس: هي مدنية إلا سيع آيات، من قوله تعالى: (وَإِذْ يَمْكُرُ بِكَ الَّذِينَ كَفَرُوا) إلى آخر السبع آيات⁽¹²⁵²⁾.

قلت: والقول بأنها مدنية هو قول الأكثر، وقد وقع المكر بمكة ونزلت الآية بالمدينة فتكون تذكير للنبي ﷺ بأن الله تعالى كما نجاه من الكفار في مكة فسوف ينصره عليهم في المدينة، وكان معنى الآية: فلا تحزن يا محمد صلى الله عليه وسلم ولا تأسي على ما يقع منهم من الأذى فكما أنجيناك من كيدهم بمكة فإننا ننصرك عليهم بالمدينة.

(1248) صفوة التفسير - للصابوني (1/ 333)

(1249) تفسير ابن أبي حاتم 5/1686 وفي إسناده محمد بن عبد الرحمن بن أبي ليلي ضعيف، تفسير الطبري 9/228/227 وله عنده إسنادان الأول: من رواية ابن أبي نجيح عن مجاهد، والثاني: فيه الكلبى وقد تقدم الكلام عنهما

(1250) تفسير ابن جرير 9/227 وفي إسناده محمد بن إسماعيل المعروف بالوساوسي، قال أحمد بن عمر البزار فيما نقله عنه العقيلي والحافظ وغيرهما: كان يضع الحديث وضعفه غيره

(1251) جامع البيان (تفسير الطبري) (13/ 492)

(1252) تفسير القرطبي - (360/7)

[تفسير مختصر للآية]

(وإذ يمكر بك الذين كفروا) هذا تذكير بنعمة خاصة على الرسول □ بعد تذكير المؤمنين بالنعمة العامة عليهم، والمعنى: اذكر يا محمد حين تأمر عليك المشركون في دار الندوة.

(ليثبتوك) أي يحبسوك.

(أو يقتلوك) أي بالسيف ضربة رجل واحد ليتفرق دمه □ بين القبائل.

(أو يخرجوك) أي من مكة.

(ويمكرون ويمكر الله) أي يحتالون ويتآمرون عليك يا محمد، ويدبر لك ربك ما يبطل مكرهم ويفضح أمرهم.

(والله خير الماكرين) أي مكره تعالى أنفذ من مكرهم وابلغ تأثيره⁽¹²⁵³⁾.

(وَإِذَا تَنَلَّى عَلَيْهِمْ ءَأَيُّنَّا قَالُوا قَدْ سَمِعْنَا لَوْ نَشَاءُ لَقُلْنَا مِثْلَ هَذَا إِنْ هَذَا إِلَّا أَسْطِيرُ الْأَوَّلِينَ (٣١)

قوله تعالى: (وإذا تتلى) - الآية.

508. [ك] أخرج ابن جرير عن سعيد بن جبير قال: «قتل النبي □ يوم بدر صبرا عقبة بن أبي معيط وطعيمة بن عدي والنضر بن الحارث، وكان المقداد أسر النضر فلما أمر بقتله قال المقداد: يا رسول الله أسيري فقال رسول الله □: «إنه كان يقول في كتاب الله ما يقول». قال وفيه أنزلت هذه الآية: (وإذا تتلى عليهم آياتنا قالوا قد سمعنا) - الآية⁽¹²⁵⁴⁾».

[تعليق]

ذكر المؤلف رحمه الله أثراً واحداً في سبب نزول هذه الآية، وهو على إرساله أورده أكثر أهل التفسير في سبب نزول هذه الآية.

قال الإمام الثعلبي: قال ابن عباس: «لما قص رسول الله صلى الله عليه وسلم شأن القرون الماضية، قال النضر: لو شئت لقلت مثل هذا إن هذا إلا أساطير الأولين في كتبهم⁽¹²⁵⁵⁾».

قلت: في الآية إخبار عن صورة من صور عناد الكفار واستكبارهم حيث ادعوا أنهم يستطيعون أن يأتوا بمثل ما أتى من عند الله، وقد تحداهم الله تعالى في أكثر من موضع من كتابه بأن يأتوا بسورة أو بعشر سور أو بمثل هذا القرآن كما قال تعالى (قُلْ لَنْ أَجْتَمِعَ الْإِنْسَ وَالْجِنَّ عَلَىٰ أَنْ يَأْتُوا بِمِثْلِ هَذَا الْقُرْآنِ لَا يَأْتُونَ بِمِثْلِهِ وَلَوْ كَانَ بَعْضُهُمْ لِبَعْضٍ ظَهِيرًا) [الإسراء: (88)].

[تفسير مختصر للآية]

(وإذا تتلى عليهم آياتنا) أي وإذا قرئت عليهم آيات القرآن المبين.

(قالوا قد سمعنا لو نشاء لقلنا مثل هذا) أي قالوا مكابرة وعناداً: قد سمعنا هذا الكلام ولو أردنا لقلنا مثله.

(إن هذا إلا أساطير الأولين) أي ما هذا القرآن الذي تتلوه علينا، إلا أكاذيب وأباطيل وحكايات الأمم السابقة، سطورها وليس كلام الله تعالى، وهذا غاية المكابرة ونهاية العناد، كيف لا، ولو استطاعوا لما تأخروا فما الذي كان يمنعهم وقد تحداهم عشر سنين؟ وقرعوا على العجز، ثم قرعوا بالسيف فلم يعارضوه، مع انفتهم، وفرط استكفاهم أن يغلبوا لا سيما في باب البيان⁽¹²⁵⁶⁾.

(وَإِذْ قَالُوا اللَّهُمَّ إِنْ كَانَ هَذَا هُوَ الْحَقُّ مِنْ عِنْدِكَ فَأَمْطِرْ عَلَيْنَا حِجَابًا مِنَ السَّمَاءِ أَوْ أُنزِلْ عَلَيْنَا حِجَابًا مِنَ السَّمَاءِ أَوْ أُنزِلْ عَلَيْنَا حِجَابًا مِنَ السَّمَاءِ أَوْ أُنزِلْ عَلَيْنَا حِجَابًا مِنَ السَّمَاءِ أَوْ أُنزِلْ عَلَيْنَا حِجَابًا مِنَ السَّمَاءِ (٣٢)

قوله تعالى: (وإذا قالوا اللهم) - الآية.

509. [ك] أخرج ابن جرير عن سعيد بن جبير في قوله: (وإذا قالوا اللهم إن كان هذا هو الحق) الآية قال: «نزلت في النضر بن الحارث⁽¹²⁵⁷⁾».

510. وروى البخاري عن أنس قال: «قال أبو جهل بن هشام: اللهم إن كان هذا هو الحق من عندك فأمطر علينا حجارة من السماء أو ائتنا بعذاب أليم فنزلت: (وما كان الله ليعذبهم وأنت فيهم) - الآية⁽¹²⁵⁸⁾».

511. [ك] وأخرج ابن أبي حاتم عن ابن عباس قال: «كان المشركون يطوفون بالبيت ويقولون: غفرانك غفرانك فأنزل الله: (وما كان الله ليعذبهم) - الآية⁽¹²⁵⁹⁾».

512. وأخرج ابن جرير عن يزيد بن رومان ومحمد بن قيس قال: «قالت قريش بعضها لبعض: محمد أكرمه

⁽¹²⁵³⁾صفوة التفسير - للصابوني (333/1)

⁽¹²⁵⁴⁾تفسير ابن جرير 9/231 مرسل.

⁽¹²⁵⁵⁾الكشف والبيان عن تفسير القرآن (4/351)

⁽¹²⁵⁶⁾صفوة التفسير - للصابوني (334/1)

⁽¹²⁵⁷⁾تفسير الطبري 232 مرسل

⁽¹²⁵⁸⁾صحيح البخاري 4/1705/1704 ح(4372) صحيح مسلم 4/2154 ح(2796)

⁽¹²⁵⁹⁾تفسير ابن أبي حاتم 5/1691 تفسير ابن جرير 9/235 وإسناده حسناً قال ابن جرير رحمه الله: حدثنا أحمد بن منصور الرمادي قال ثنا أبو حذيفة قال ثنا عكرمة عن أبي

زميل عن ابن عباس - به

(225)

الله من بيننا، اللهم إن كان هذا هو الحق من عندك فأمطر علينا حجارة من السماء - الآية. فلما أمسوا ندموا على ما قالوا فقالوا: غفرانك اللهم، فأنزل الله: (وما كان الله معذبهم وهم يستغفرون) إلى قوله: لا يعلمون⁽¹²⁶⁰⁾».

513. [ك] وأخرج ابن جرير أيضاً عن ابن أزي قال: «كان رسول الله ﷺ بمكة، فأنزل الله وما كان الله ليعذبهم وأنت فيهم فخرج إلى المدينة، فأنزل الله (وما كان الله معذبهم وهم يستغفرون) وكان أولئك البقية من المسلمين الذين بقوا فيها يستغفرون، فلما خرجوا أنزل الله: (وما لهم أن لا يعذبهم الله) - الآية فأذن في فتح مكة فهو العذاب الذي وعدهم⁽¹²⁶¹⁾».

[تعليق]

ذكر المؤلف رحمه الله عدة آثار في سبب نزول هذه الآية، وهي تشمل ثلاثة أسباب للنزول.

الأول: في النضر بن الحارث .

والثاني: في أبي جهل بن هشام.

والثالث: في كفار قريش عموماً. وهذا قول الجمهور على ما قاله الإمام أبو حيان الأندلسي⁽¹²⁶²⁾.

والجمع بين هذه الآثار يسير بأن يقال بأن كلاً منهم قال هذه المقولة فنزلت الآية فيهم جميع. أو يقال قوله نزلت في كفار قريش عام أريد به الخصوص والله تعالى أعلم.

وهي تدل على استكبار وعناد الكفار عن قبول الحق الذي جاء به الله سبحانه وأنزله على رسول.

قال الإمام ابن الجوزي: وفي المشار إليه بقوله: (إن كان هذا) ثلاثة أقوال.

أحدها: أنه القرآن. والثاني: كل ما يقوله رسول الله ﷺ من الأمر بالتوحيد وغيره. والثالث: أنه إكرام محمد ﷺ بالنبوة من بين قريش⁽¹²⁶³⁾.

وقد تقدم أن هذه الآيات مكية والله تعالى أعلم.

[تفسير مختصر للآية]

(وإذ قالوا اللهم إن كان هذا هو الحق من عندك (أي إن كان هذا القرآن حقاً منزلاً من عندك

فأمطر علينا حجارة من السماء) أي أنزل علينا حاصبا وحجارة من السماء، كما أنزلتها على قوم لوط

(أو اتننا بعذاب أليم) أي بعذاب مؤلم موجه، تهلكنا به، وهذا تهكم منهم واستهزاء، قال ابن كثير: وهذا من كثير جهلهم، وشدة تكذيبهم وعنادهم، وكان الأولى لهم أن يقولوا: اللهم إن كان هذا هو الحق من عندك، فاهدنا له ووفقنا لإتباعه، ولكنهم استعجلوا العقوبة والعذاب لسفاههم.

(وما كان الله ليعذبهم وأنت فيهم) هذا جواب لكلمتهم الشنيعة، وبيان للسبب الموجب لإمهالهم أي إنهم مستحقون للعذاب، ولكنه تعالى لا يعذبهم وأنت فيهم إكراماً لك يا محمد، فقد جرت سنة الله وحكمته ألا يعذب أمة ونبيها بين ظهرانيها، قال ابن عباس: لم تعذب أمة قط ونبيها فيها، والمراد بالعذاب عذاب الاستئصال.

(وما كان الله معذبهم وهم يستغفرون) أي وما كان الله ليعذب هؤلاء الكفار وفيهم مؤمنون يستغفرون الله، وهو إشارة إلى استغفار من بقي بين أظهرهم من المسلمين المستضعفين، قال ابن عباس: كان فيهم أمانان: نبي الله ﷺ، والاستغفار، أما النبي فقد مضى، وأما الاستغفار فهو باق إلى يوم القيامة.

(وما لهم ألا يعذبهم الله) وأي شيء لهم في انتفاء العذاب عنهم؟ وكيف لا يعذبون وهم على ما هم عليه من العتو والضلال؟

(وهم يصدون عن المسجد الحرام) أي وحالهم الصد عن المسجد الحرام، كما صدوا رسول الله، عام الحديبية، وكما اضطروه والمؤمنين إلى الهجرة من مكة.

(وما كانوا أولياءه) أي ما كانوا أهلاً لولاية (المسجد الحرام) مع إشرافهم.

(إن أولياؤه إلا المتقون) أي إنما يستأهل ولايته من كان برا تقياً.

(ولكن أكثرهم لا يعلمون) أي ولكن أكثرهم جهلة سفلة، فقد كانوا يقولون: نحن ولاة البيت والحرم، نصد من نشاء، وندخل من نشاء ! والغرض من الآية بيان استحقاقهم لعذاب الاستئصال بسبب جرائمهم الشنيعة، ولكن الله رفعه عنهم إكراماً لرسوله عليه السلام، ولإستغفار المسلمين المستضعفين⁽¹²⁶⁴⁾.

(وَمَا كَانَ صَلَاتُهُمْ عِنْدَ الْبَيْتِ إِلَّا مُكَاءً وَتَصَدِيَةً فَذُوقُوا الْعَذَابَ بِمَا كُنْتُمْ تَكْفُرُونَ (٣٥)

قوله تعالى: (وما كان صلواتهم) - الآية.

514. أخرج الواحدي عن ابن عمر قال: «كانوا يطوفون بالبيت ويصفقون ويصفرون فنزلت هذه

⁽¹²⁶⁰⁾ تفسير ابن جرير 9/235 مرسل ضعيف الإسناد.

⁽¹²⁶¹⁾ تفسير ابن جرير 9/234 وابن أزي مختلف في صحبته، والراجح أنه صحابي صرح بذلك البخاري وغيره، ولكن في إسناده ابن حميد شيخ ابن جرير تقدم أنه ضعيف.

⁽¹²⁶²⁾ تفسير البحر المحيط - (397/4)

⁽¹²⁶³⁾ زاد المسير (348/3)

⁽¹²⁶⁴⁾ صفوة التفسير - للصابوني (335/1)

515. وأخرج ابن جرير عن سعيد قال: « كانت قريش يعارضون النبي □ في الطواف يستهزئون به يصفرون ويصفقون فنزلت (1266)»

[تعليق]

ذكر المؤلف رحمه الله أثرين في سبب نزول هذه الآية وهما يشملان سببين للنزول. فالأول: كونهم كانوا يفعلون ذلك في طوافهم. الثاني: كونهم كانوا يفعلونه ويتزيدون فيها ليشغلوا النبي □ وأصحابه عن القراءة. هذا نوع من اللعب (1267).

والآية تدل على أن هذا الطواف كان هو طواف المشركين الذي يتعبدون به فيصفقون ويصفرون وهو يطوفون حول البيت.

[تفسير مختصر للآية]

(وما كان صلاتهم عند البيت الا مكاء وتصدية) هذا من جملة قبائحهم أى ما كانت عبادة المشركين وصلاتهم عند البيت الحرام الا تصفيرا وتصفيقا، وكانوا يفعلونها إذا صلى المسلمون ليخلطوا عليهم صلاتهم، والمعنى أنهم وضعوا مكان الصلاة والتقرب الى الله. التصفير والتصفيق، قال ابن عباس: كانت قريش يطوفون بالبيت وهم عراة يصفرون ويصفقون (فذوقوا العذاب بما كنتم تكفرون) أى ذوقوا عذاب القتل والأسر، بسبب كفركم وأفعالكم القبيحة، وهو إشارة الى ما حصل لهم يوم بدر (1268).

(إِنَّ الَّذِينَ كَفَرُوا يُنْفِقُونَ أَمْوَالَهُمْ لِيَصُدُّوا عَنْ سَبِيلِ اللَّهِ فَسَيُنْفِقُونَهَا ثُمَّ تَكُونُ عَلَيْهِمْ حَسْرَةً ثُمَّ يُغْلَبُونَ وَالَّذِينَ كَفَرُوا إِلَىٰ جَهَنَّمَ يُحْشَرُونَ ٣٦)

قوله تعالى: (إن الذين كفروا) - الآية.

516. قال ابن إسحاق حدثني الزهري ومحمد بن يحيى بن حبان وعاصم بن عمير بن قتادة والحسين بن عبد الرحمن قالوا: « لما أصيبت قريش يوم بدر ورجعوا إلى مكة مشى عبد الله بن أبي ربيعة وعكرمة بن أبي جهل وصفوان بن أمية في رجال من قريش أصيب أبواؤهم وأبناؤهم فكلموا أبا سفيان ومن كان له في ذلك العير من قريش تجارة فقالوا: يا معشر قريش إن محمداً قد وتركم وقتل خياركم فاعينونا بهذا المال على حربته فلعلنا أن ندرك منه ثاراً، ففعلوا، ففيهم كما ذكر عن ابن عباس أنزل الله: (إن الذين كفروا ينفقون أموالهم) - إلى قوله: (يحشرون) (1269)».

517. وأخرج ابن أبي حاتم عن الحكم بن عتيبة قال: « نزلت في أبي سفيان أنفق على المشركين أربعين أوقية من ذهب (1270)».

518. وأخرج ابن جرير عن ابن أبيزي وسعيد بن جبيرة قال: « نزلت في أبي سفيان استأجر يوم أحد ألفين من الأحابيش ليقاتل بهم رسول الله □ (1271)».

[تعليق]

ذكر المؤلف رحمه الله ثلاثة آثار تشمل ثلاثة أسباب للنزول.

الأول: في كفار قريش حيث تنادوا إلى النفقة في سبيل محاربة النبي □.

الثاني: في أبي سفيان بن حرب حيث أنفق على الصد عن سبيل الله من ماله أربعين أوقية (1272)، من الذهب.

الثالث: في استئجار أبي سفيان الأحابيش ليقاتل بهم رسول الله □ في عزوة أحد. قلت هذا غريب لأن الآية بصرية.

وفي سبب نزول هذه الآية غير ما ذكره المؤلف ما أخرجه الإمام الواحدي عن مقاتل والكلبي: نزلت في المطعمين يوم

بدر، وكانوا اثني عشر رجلاً أبو جهل بن هشام وعتبة وشيبة ابنا ربيعة ونبيه ومنبه ابنا حجاج وأبو البحتري ابن هشام والنضر بن الحارث وحكيم بن حزام وأبي بن خلف وزمعة بن الأسود والحارث بن عامر بن نوفل والعباس بن عبد المطلب، وكلهم من قريش،

(1265) أسباب النزول للواحدي 193 وفي إسناده عطية العوفي ضعيف

(1266) تفسير ابن جرير 241/9 مرسل ضعيف الإسناد

(1267) تفسير البحر المحيط - (4/401)

(1268) صفة التفسير - للصابوني (1/335)

(1269) تفسير ابن جرير 245/9 مرسل ضعيف الإسناد

(1270) تفسير ابن أبي حاتم 1697/5 تفسير ابن جرير/مرسل

(1271) تفسير الطبري المصدر السابق، وإسناده فيه ضعف عن ابن أبيزي، رواه ابن جرير عن سفيان بن وكيع، وسفيان متكلم فيه وإسناده سعيد فيه ابن حميد.

(1272) الأوقية اثنا عشر درهما المعجم الوسيط (1/352)

وكان يطعم كل واحد منهم كل يوم عشرة جزور⁽¹²⁷³⁾.
قلت: فحاصل هذه الروايات هو أن المشركين ادخروا قوتهم المادية لمحاربة النبي □ فألقوا أموالهم جماعات ووحداً لغرض واحد وهو النيل من النبي □.

[تفسير مختصر للآية]

(إن الذين كفروا ينفقون أموالهم ليصدوا عن سبيل الله) أي يصرفون أموالهم ويبدلون لها لمنع الناس عن الدخول في دين الإسلام، ولحرب محمد عليه.
(فسينفقونها ثم تكون عليهم حسرة) أي فسيففقون هذه الأموال ثم تصير ندامة عليهم، لأن أموالهم تذهب، ولا يظفرون بما كانوا يطعمون به من إطفاء نور الله، وإعلاء كلمة الكفر.
(ثم يغلبون) إخبار بالغيب أي ثم نهايتهم الهزيمة والاندحار [كتب الله لأغلبن أنا ورسلي]⁽¹²⁷⁴⁾.

(وَلَا تَكُونُوا كَالَّذِينَ خَرَجُوا مِنْ دِيَارِهِمْ بَطْرًا وَرِئَاءَ النَّاسِ وَيَصُدُّونَ عَن سَبِيلِ اللَّهِ وَاللَّهُ بِمَا يَعْمَلُونَ مُحِيطٌ ٤٧)

قوله تعالى: (ولا تكونوا) - الآية.

519. [ك] أخرج ابن جرير عن محمد بن كعب القرظي قال: «لما خرجت قريش من مكة إلى بدر خرجوا بالقيان والدفوف، فأنزل الله: (ولا تكونوا كالذين خرجوا من ديارهم بطرا) - الآية⁽¹²⁷⁵⁾».

[تعليق]

ذكر المؤلف رحمه الله أثراً واحداً في سبب نزول هذه الآية، وقد ذكره مختصراً وهو بطوله كما ذكره الإمام الثعلبي: قال ابن عباس: «لما رأى أبو سفيان أنه أحرز عيره أرسل إلى قريش أنكم خرجتم لتمنعوا عليكم فقد نجاها الله فارجعوا فوافى الركب الذي فيه أبو سفيان ليأمرهم قريشاً بالرجعة إلى مكة فقال لهم: انصرفوا، فقال أبو جهل: والله لا تنصرف حتى نرد بدر. وكان بدر موسماً من مواسم العرب يجتمع لهم بها سوق كل عام. فنقيم بها ثلاثاً وننحر الجزر ونطعم الطعام ونسقي الخمر ونعزف عليها القيان وتسمع بها العرب. فلا يزالون يهابوننا أبداً فوافوها فسقوا كؤوس المنايا مكان الخمر وناحت عليهم النوائح مكان القيان⁽¹²⁷⁶⁾».

قلت: في الآية تحذير للمسلمين من أن يعملوا عمل المشركين. قال أبو جعفر: وهذا تقدم من الله جل ثناؤه إلى المؤمنين به وبرسوله، أن لا يعملوا عملاً إلا لله خالصاً، وطلب ما عنده، لا رياء الناس، كما فعل القوم من المشركين في مسيرهم إلى بدر طلب رياء الناس⁽¹²⁷⁷⁾.

[تفسير مختصر للآية]

(ولا تكونوا كالذين خرجوا من ديارهم بطرا ورياء الناس) أي لا تكونوا ككفار قريش حين خرجوا لبدر عتوا وتكبرا، وطلبوا للفخر والتناء.
(ويصدون عن سبيل الله) أي ويمنعون الناس عن الدخول في الإسلام.
(والله بما يعملون محيط) أي وهو سبحانه عالم بجميع ذلك وسيجازيهم عليه⁽¹²⁷⁸⁾.

(إِذْ يَقُولُ الْمُنَافِقُونَ وَالَّذِينَ فِي قُلُوبِهِمْ مَّرَضٌ غَرَّ هُوَ لَاءَ دِينُهُمْ وَمَنْ يَتَوَكَّلْ عَلَى اللَّهِ فَإِنَّ اللَّهَ عَزِيزٌ حَكِيمٌ ٤٩)

قوله تعالى: (إذ يقول المنافقون) - الآية.

520. روى الطبراني في الأوسط بسند ضعيف عن أبي هريرة قال: «لما أنزل الله على نبيه بمكة سيهزم الجمع ويولون الدبر قال عمر بن الخطاب رضي الله عنه يا رسول الله أي جمع وذلك قبل بدر، فلما كان يوم بدر وانهمت قريش نظرت إلى رسول الله □ في آثارهم مصلتا بالسيف يقول: (سيهزم الجمع ويولون الدبر) فكانت ليوم بدر فأنزل الله فيهم: (حتى إذا أخذنا مترفيهم بالعذاب) - الآية وأنزل: (ألم تر إلى الذين بدلوا نعمة الله كفراً) رماهم رسول الله □ فوسعتهم الرمية وملأت أعينهم وأفواههم حتى أن الرجل ليقتل وهو يقذي عينيه وفاه، فأنزل الله: (وما رميت إذ رميت ولكن الله رمى) - وأنزل في إبليس: (فلما ترأت الفنتان نكص على عقبيه) - الآية، وقال عتبة بن ربيعة وناس معه من المشركين يوم بدر: غر هو لاء دينهم، فأنزل الله: (إذ يقول المنافقون والذين في قلوبهم مرض غر هو لاء دينهم⁽¹²⁷⁹⁾)».

(1273) أسباب النزول للواحد (159)

(1274) صفوة التفسير - للصابوني (335 / 1)

(1275) تفسير ابن جرير 10/18 مرسل ضعيف الإسناد

(1276) الكشف والبيان عن تفسير القرآن (364 / 4)

(1277) جامع البيان (تفسير الطبري) (578 / 13)

(1278) صفوة التفسير - للصابوني (338 / 1)

(1279) المعجم الأوسط 9/58 ح (9121) وفي إسناده عبد العزيز بن عمران قال الحافظ: متروك

[تعليق]

ذكر المؤلف رحمه الله هذا الأثر الوحيد في سبب نزول هذه الآية، وقول المشركين: غر هؤلاء دينهم - يعنى لما رأوا قلة المسلمين وكثرة الكافرين.

قال الإمام ابن أبي حاتم: عن ابن عباس (إذ يقول المنافقون والذين في قلوبهم مرض) قال: لما دنا القوم بعضهم من بعض قلل الله المسلمين، في أعين المشركين وقلل المشركين في أعين المسلمين فقال المشركون: وما هؤلاء؟ غر هؤلاء دينهم، وإنما قالوا ذلك من قلتهم في أعينهم وظنوا أنهم سيهزمونهم لا يشكون في أنفسهم ذلك فقال الله تعالى: (ومن يتوكل على الله فإن الله عزيز حكيم) (1280).

وسمى الإمام ابن جرير بعض هؤلاء القائلين فيما ذكره عن مجاهد في قوله: (إذ يقول المنافقون والذين في قلوبهم مرض غر هؤلاء دينهم)، قال: فئة من قريش: أبو قيس بن الوليد بن المغيرة، وأبو قيس بن الفاكه بن المغيرة، والحارث بن زمعة بن الأسود بن المطلب، وعلي بن أمية بن خلف، والعاصي بن منبّه بن الحجاج: خرجوا مع قريش من مكة وهم على الارتياح، فحبسهم ارتياحهم. فلما رأوا قلة أصحاب رسول الله ﷺ قالوا: (غر هؤلاء دينهم)، حتى قدموا على ما قدموا عليه، مع قلة عددهم وكثرة عدوهم، فشرّد بهم من خلفهم (1281).

قلت: جاء في سبب نزولها غير ما تقدم أنها نزلت في قوم من المنافقين وهو موافق لظاهر الآية ومروي عن ابن عباس. قال الحافظ ابن الجوزي: قال ابن عباس: «هم قوم من أهل المدينة من الأوس والخزرج» (1282).

قال الإمام ابن جرير عن الحسن: (إذ يقول المنافقون والذين في قلوبهم مرض غر هؤلاء دينهم)، قال: هم قوم لم يشهدوا القتال يوم بدر، فسموا "منافقين" قال معمر: وقال بعضهم: قوم كانوا أقرؤا بالإسلام وهم بمكة، فخرجوا مع المشركين يوم بدر، فلما رأوا قلة المسلمين قالوا: (غر هؤلاء دينهم) (1283).

وذكر كذلك الإمام ابن الجوزي عن الماوردي: أنهم قوم مرتابون، لم يظهروا عداوة النبي ﷺ (1284).

فتحصل عندنا من ما تقدم أن الآية لها ثلاثة أسباب.

الأول: أنها في المشركين، فيكون وصف الله عز وجل لهم بأنهم في قلوبهم مرض، باعتبار أن الشرك أكبر الأمراض وإن كان الأثر الوارد في ذلك مرسل أو ضعيف.

الثاني: أنهم قوم منافقون من أهل المدينة من الأوس والخزرج وهذا هو الأليق أن يقال في سبب نزول هذه الآية لموافقته ظاهر القرآن.

الثالث: أنهم قوم أسلموا لكنهم ارتابوا وضعف الإيمان في قلوبهم، سواء في ذلك الذين تكلموا بالإسلام بمكة أو الذين تكلموا به في المدينة والله تعالى أعلم.

[تفسير مختصر للآية]

(إذ يقول المنافقون والذين في قلوبهم مرض) أي حين قال أهل النفاق الذين أظهروا الإيمان وأبطنوا الكفر لضعف اعتقادهم بالله (غر هؤلاء دينهم) أي اغتر المسلمون بدينهم فأدخلوا أنفسهم فيما لا طاقة لهم به، قال تعالى في جوابهم (ومن يتوكل على الله فإن الله عزيز حكيم) أي ومن يعتمد على الله ويتق به، فإن الله ناصره، لأن الله (عزيز) أي غالب لا يذل من استجار به، (حكيم) في أفعاله وصنعه (1285).

(إِنَّ شَرَّ الدَّوَابِّ عِنْدَ اللَّهِ الَّذِينَ كَفَرُوا فَهُمْ لَا يُؤْمِنُونَ ٥٥)

قوله تعالى: (إن شر الدواب عند الله الذين كفروا) - الآية.

521. [ك] أخرج أبو الشيخ عن سعيد بن جبير قال: «نزلت: (إن شر الدواب عند الله الذين كفروا فهم لا

يؤمنون) في ستة رهط من اليهود فيهم ابن التابوت (1286)».

[تعليق]

ذكر المؤلف أثراً واحداً في سبب نزول هذه الآية وعليه فتكون الآية قد نزلت في اليهود، وهم الموصوفون بنقض العهد. ووصفهم بأنهم شر الدواب إشارة إلى أن الدواب أفضل من هؤلاء الكفار وذلك لأن الدواب مسيرة لطاعة الله أما هؤلاء فبدلوا نعمة الله كفوراً والعياذ بالله.

قال أبو صالح عن ابن عباس: نزلت في بني قريظة من اليهود، منهم كعب بن الأشرف وأصحابه (1287).

(1280) تفسير ابن أبي حاتم - (1717 / 5)
 (1281) جامع البيان (تفسير الطبري) (13 / 13)
 (1282) زاد المسير (367 / 3)
 (1283) جامع البيان (تفسير الطبري) (14 / 13)
 (1284) زاد المسير (368 / 3)

(1285) صفوة التفسير - للصابوني (339 / 1)
 (1286) مرسل.

(1287) زاد المسير (371 / 3)

[تفسير متخصر للآية]

(إن شر الدواب عند الله) أي شر من يدب على وجه الأرض في علم الله وحكمه (الذين كفروا فهم لا يؤمنون) أي الذين اصروا على الكفر ورسخوا فيه، فهم لا يتوقع منهم إيمان لذلك⁽¹²⁸⁸⁾.

(وَإِمَّا تَخَافَنَّ مِنْ قَوْمٍ خِيَانَةً فَانْبِذْ إِلَيْهِمْ عَلَى سَوَاءٍ إِنَّ اللَّهَ لَا يُحِبُّ الْخَائِنِينَ ٥٨)

قوله تعالى: (وإما تخافن) - الآية.

522. روى أبو الشيخ عن ابن شهاب قال: «دخل جبريل على رسول الله ﷺ فقال: قد وضعت السلاح وما زلت في طلب القوم؟ فأخرج فإن الله قد أدن لك في قريظة، وأنزل فيهم: (وإما تخافن من قوم خيانة⁽¹²⁸⁹⁾)» - الآية.

[تعليق]

ذكر المؤلف رحمه الله هذا الأثر الوحيد في سبب نزول هذه الآية وكونها نزلت في بني قريظة حينما نقضوا العهد مع رسول الله ﷺ وعاونوا عليه كفار قريش، فأمر الله تعالى نبيه أن يلقي إليهم عهدهم بسبب تظاهرهم مع الكفار ضد رسول الله ﷺ. قال مجاهد: نزلت في بني قريظة⁽¹²⁹⁰⁾. قلت: لم أجد في سبب نزولها غير هذا وهو عام في كل من خيف منه الخيانة بأن ينبذ إليه عهده أي يلقي إليه وإعلامهم بهذا وهو المراد بقوله تعالى (على سواء).

[تفسير متخصر للآية]

(وإما تخافن من قوم خيانة) أي وإن أحسست يا محمد من قوم معاهدين خيانة للعهد، ونكثنا بأمارات ظاهرة. (فانبذ إليهم على سواء) أي اطرح إليهم عهدهم على بيئة ووضوح من الأمر، قال النحاس: هذا من معجز ما جاء في القرآن مما لا يوجد في الكلام مثله، على اختصاره وكثرة معانيه، والمعنى: وإما تخافن من قوم - بينك وبينهم عهد - خيانة فانبذ إليهم العهد أي قل لهم قد نبذت إليكم عهدهم، وأنا مقاتلكم، ليعلموا ذلك فيكونوا معك في العلم سواء، ولا تقاثلهم وبينك وبينهم عهد، وهم يتقون بك، فيكون ذلك خيانة وغدرا. (إن الله لا يحب الخائنين) وهذا كالتعليل للأمر بنبذ العهد أي لا يجب من ليس عنده وفاء ولا عهد⁽¹²⁹¹⁾.

(يَا أَيُّهَا النَّبِيُّ حَسْبُكَ اللَّهُ وَمَنِ اتَّبَعَكَ مِنَ الْمُؤْمِنِينَ ٦٤)

قوله تعالى: (يا أيها النبي حسبك الله) - الآية.

523. [ك] (ك) روى البزار بسند ضعيف من طريق عكرمة عن ابن عباس قال: «لما أسلم عمر قال المشركون: قد انتصف القوم منا اليوم، فأنزل الله: (يا أيها النبي حسبك الله ومن اتبعك من المؤمنين⁽¹²⁹²⁾)». وله شواهد

524. [ك] وأخرج الطبراني وغيره من طريق سعيد بن جبيرة عن ابن عباس قال: «لما أسلم مع النبي ﷺ تسعة وثلاثين رجلاً وامرأة ثم إن عمر أسلم فكانوا أربعين، نزل: (يا أيها النبي حسبك الله ومن اتبعك من المؤمنين) - الآية⁽¹²⁹³⁾».

525. [ك] (ك) وأخرج ابن أبي حاتم بسند صحيح عن سعيد بن جبيرة قال: «لما أسلم مع النبي ﷺ ثلاثة وثلاثين رجلاً وست نسوة ثم أسلم عمر، نزلت: (يا أيها النبي حسبك الله⁽¹²⁹⁴⁾)».

526. (ك) وأخرج أبو الشيخ عن سعيد بن المسيب: «قال لما أسلم عمر أنزل الله في إسلامه: (يا أيها النبي حسبك الله) - الآية⁽¹²⁹⁵⁾».

[تعليق]

ذكر المؤلف رحمه الله أربعة آثار في سبب نزول هذه الآية، وهي تدل على أن الآية نزلت في عمر بن الخطاب في آخرين. وهذا يستقيم على القول بأن تأويل الآية (حسبك الله ومن اتبعك من المؤمنين) يعني الله يكفيك وكذلك يكفيك من أسلم معك من المؤمنين. وقد رد هذا التأويل بعض أهل العلم ورجح أن التأويل للآية: يعني حسبك الله وحده وكذلك حسبك من اتبعك من المؤمنين الله، يعني الله يكفيك ويكفي المؤمنين.

(1288) صفوة التفاسير - للصابوني (1/340)

(1289) مرسل.

(1290) زاد المسير (3/373)

(1291) صفوة التفاسير - للصابوني (1/340)

(1292) ليس في النسخة التي معي من مسند البزار، وكذلك أخرجه الطبراني في الكبير دون ذكر سبب النزول، وفي إسناده النضر أبو عمر قال الهيثمي: متروك، المعجم الكبير

11/255

(1293) المعجم الكبير 12/60 ح (12470) وفي إسناده إسحاق بن بشر الكاهلي كذاب.

(1294) تفسير ابن أبي حاتم 5/1728 وفي إسناده يحيى المحلاني متكلم فيه، ويعقوب القمي له أو هام

(1295) مرسل.

قال أبو سليمان الدمشقي: هذا لا يحفظ، والسورة مدنية باجماع، والقول الأول أصح⁽¹²⁹⁶⁾.
قلت: الآثار التي ذكرها المؤلف يشهد بعضها لبعض، وليس من حرج في تأويل الآية على ما ذكرت في التأويل الأول
على أن التأويل الثاني عليه أكثر أهل التفسير كما ذكره الإمام ابن الجوزي⁽¹²⁹⁷⁾.

[تفسير مختصر للآية]

(يا أيها النبي حسبك الله ومن اتبعك من المؤمنين) أي الله وحده كافيك، وكافي أتباعك، فلا تحتاجون معه إلى أحد، وقال الحسن البصري: المعنى حسبك أي كافيك الله والمؤمنون (القول الأول معناه: حسبك الله وحده وحسب أتباعك وقد اختاره الزمخشري ونصره ابن القيم في مقدمة " زاد المعاد " بأدلة مقنعة، والقول الثاني معناه: يكفيك الله والمؤمنون الذين معك، روي عن مجاهد والحسن البصري واختاره السيوطي والمحلي في تفسير الجلالين، والأول أرجح، والله أعلم⁽¹²⁹⁸⁾.

(يَا أَيُّهَا النَّبِيُّ حَرِّضِ الْمُؤْمِنِينَ عَلَى الْقِتَالِ إِنْ يَكُنْ مِنْكُمْ عَشْرُونَ صَابِرُونَ يَغْلِبُوا مِائَتَيْنِ وَإِنْ يَكُنْ مِنْكُمْ مِائَةٌ يَغْلِبُوا أَلْفًا مِّنَ الَّذِينَ كَفَرُوا بِأَنَّهُمْ قَوْمٌ لَا يَفْقَهُونَ ٦٥)

قوله تعالى: (إن يكن منكم عشرون صابرون) - الآية.

527. أخرج إسحاق بن راهويه في مسنده عن ابن عباس قال: « لما افترض الله عليهم أن يقاتل الواحد عشرة، نقل ذلك عليهم وشق فوضع الله عنهم إلى أن يقاتل الواحد الرجلين، فأنزل الله: (إن يكن منكم عشرون صابرون يغلبوا مائتين) - إلى آخر الآية⁽¹²⁹⁹⁾ ».

[تعليق]

ذكر المؤلف رحمه الله هذا الأثر في سبب نزول هذه الآية وهو أثر صحيح الإسناد ولم أجد غيره في سبب نزول هذه الآية، وهو يدل على تخفيف الله تعالى على المؤمنين حيث كان في بداية الأمر وجوب مغالبة الواحد من المؤمنين للعشر من المشركين، ثم خفف الله ذلك فجعل وجوب مغالبة الواحد للاثنتين، فلا يجوز للمؤمن أن يفر من اثنين. لكن إذا كانوا أكثر من ذلك جاز، والله تعالى أعلم.

[تفسير مختصر للآية]

(يا أيها النبي حرض المؤمنين على القتال) أي حرض المؤمنين ورغبهم بكل جهدك على قتال المشركين (إن يكن منكم عشرون صابرون يغلبوا مائتين) قال أبو السعود: هذا وعد كريم منه تعالى بغلبة كل جماعة من المؤمنين على عشرة أمثالهم والمعنى: إن يوجد منكم يا معشر المؤمنين عشرون صابرون على شدائد الحرب، يغلبوا مائتين من عدوهم، يعون الله وتأييده. (وإن يكن منكم مائة يغلبوا ألفاً من الذين كفروا) أي وإن يوجد منكم مائة - بشرط الصبر عند اللقاء - تغلب ألفاً من الكفار بمشيئة الله. (بأنهم قوم لا يفقهون) الباء سببية أي سبب ذلك بأن الكفار قوم جهلة، لا يفقهون حكمة الله، ولا يعرفون طريق النصر وسببه، فهم يقاتلون على غير احتساب، ولا طلب ثواب، فلذلك يغلبون، قال ابن عباس: كان ثبات الواحد للعشرة فرضاً، ثم لما شق ذلك عليهم نسخ، وأصبح ثابت الواحد للاثنتين فرضاً⁽¹³⁰⁰⁾.

(مَا كَانَ لِنَبِيِّ أَنْ يُكُونَ لَهُ أَسْرَى حَتَّىٰ يَتَّخِذَ فِي الْأَرْضِ ثَرْيُدُونَ عَرَضَ الدُّنْيَا وَاللَّهُ يُرِيدُ الْآخِرَةَ وَاللَّهُ عَزِيزٌ حَكِيمٌ ٦٧)

قوله تعالى: (ما كان لنبي) - الآية.

528. روى أحمد وغيره عن أنس قال: « استشار النبي □ الناس في الأسارى يوم بدر، فقال: « إن الله قد أمكنكم منهم ». فقام عمر بن الخطاب فقال: يا رسول الله اضرب أعناقهم فأعرض عنه، فقام أبو بكر فقال: نرى أن تعفو عنهم وأن تقبل منهم الفداء، فعفا عنهم وقبل منهم الفداء فأنزل الله: (لولا كتاب من الله سبق) - الآية⁽¹³⁰¹⁾ ».

529. وروى أحمد والترمذي والحاكم عن ابن مسعود قال: « لما كان يوم بدر وجيء بالأسارى قال رسول الله □: « ما تقولون في هؤلاء الأسارى؟ ». - الحديث. وفيه فنزل القرآن بقول عمر: (ما كان لنبي أن

(1296) زاد المسير (3/ 377)

(1297) زاد المسير (3/ 377)

(1298) صفوة التفسير - للصابوني (1/ 342)

(1299) صحيح ابن حبان 11/93 ح (4773) وإسناده صحيح وله شواهد في الصحيح وغيره قال: خبرنا عمر بن محمد الهمداني حدثنا أحمد بن المقدم العجلي حدثنا وهب بن جرير حدثنا أبي حدثنا محمد بن إسحاق حدثنا عبد الله بن أبي نجيع عن عطاء عن ابن عباس - به.

(1300) صفوة التفسير - للصابوني (1/ 343)

(1301) مسند أحمد 3/243 ح (13580) رواه عن شيخه علي بن عاصم أساء الرأي فيه الهيثمي، وقال الحافظ صدوق يخطئ ويصير، وله شاهد بسياق طويل عند ابن أبي شيبة وغيره من حديث ابن عباس وإسناده صحيح، وله شاهد أيضاً من حديث ابن مسعود كما سيأتي والخلاصة أن هذا الحديث صحيح بشواهده.

يكون له أسرى) - إلى آخر الآيات⁽¹³⁰²⁾».

530. وأخرج الترمذي عن أبي هريرة عن النبي ﷺ قال: «لم تحل الغنائم لم تحل لأحد سود الرؤوس من قبلكم، كانت تنزل نار من السماء فتأكلها». فلما كان يوم بدر وقعوا في الغنائم قبل أن تحل لهم، فأنزل الله: (لولا كتاب من الله سبق لمسكم فيما أخذتم عذاب عظيم⁽¹³⁰³⁾)».

[تعليق]

ذكر المؤلف رحمه الله ثلاثة آثار في سبب نزول هذه الآية. فأما الأول والثاني وكذلك الثالث فهي متعلقة بقوله تعالى (ما كان لنبي أن يكون له أسرى حتى يثخن في الأرض) وقد روى من طرق أكثرها صحيح أن هذه الآية نزلت في مشاورة النبي ﷺ أصحابه وما قاله، وكيف نزلت القرآن موافقاً لقول عمر بن الخطاب، وقد أنزلت عدة آيات من القرآن موافقاً لقول عمر بن الخطاب وفيه صدق قول النبي ﷺ "قد كان يكون في الأمم محدثون فإن يك في أمي أحد فعمر بن الخطاب¹³⁰⁴" ومعنى محدثون: أي ملهون.

أما الأثر الثالث خاصة: فهو متعلق بقوله تعالى (لولا كتاب من الله سبق لمسكم فيما أخذتم عذاب عظيم). وقد اختلف أهل التفسير في معنى هذه الآية على خمسة أقوال ذكرها الإمام ابن الجوزي. قال: أحدها: لولا أن الله كتب في أم الكتاب أنه سيحل لكم الغنائم لمسكم فيما تعجلتم من المغنم والفداء يوم بدر قبل أن تؤمروا بذلك عذاب عظيم، روى هذا المعنى علي بن أبي طلحة عن ابن عباس، وبه قال مقاتل. وقال أبو هريرة: تعجل ناس من المسلمين فأصابوا الغنائم، فنزلت الآية. والثاني: لولا كتاب من الله سبق أنه لا يعذب من أتى ذنباً على جهالة لعوقبتم، روى هذا المعنى عطاء عن ابن عباس، وابن جريج عن مجاهد. وقال ابن اسحاق: سبق أن لا أعذب إلا بعد النهي، ولم يكن نهاهم. والثالث: لولا ما سبق لأهل بدر أن الله لا يعذبهم، لعذبتم، قاله الحسن، وابن جبير، وابن أبي نجیح عن مجاهد. والرابع: لولا كتاب من الله سبق من أنه يغفر لمن عمل الخطايا ثم علم ما عليه فتأب، ذكره الزجاج. والخامس: لولا القرآن الذي اقتضى غفران الصغائر لعذبتم، ذكره الماوردي. فيخرج في الكتاب قولان. أحدهما: أنه كتاب مكتوب حقيقة، ثم فيه قولان. أحدهما: أنه ما كتبه الله في اللوح والمحفوظ. والثاني: أنه القرآن. والثاني: أنه بمعنى القضاء⁽¹³⁰⁵⁾.

[تفسير مختصر للآية]

(ما كان لنبي أن يكون له أسرى حتى يثخن في الأرض) عتاب للنبي ﷺ وأصحابه على أخذ الفداء والمعنى: لا ينبغي لنبي من الأنبياء أن يأخذ الفداء من الأسرى، إلا بعد أن يكثر القتل ويبلغ فيه. (تريدون عرض الدنيا) أي تريدون أيها المؤمنون بأخذ الفداء حطام الدنيا ومتاعها الزائل؟ (والله يريد الآخرة) أي يريد لكم الباقي الدائم، وهو ثواب الآخرة، بإعزاز دينه وقتل أعدائه. (والله عزيز حكيم) أي (عزيز) في ملكه، لا يفهر ولا يغلب (حكيم) في تدبير مصالح العباد. (لولا كتاب من الله سبق) أي لولا حكم الله السابق وهو لا يعذب المخطيء في اجتهاده. (لمسكم فيما أخذتم عذاب عظيم) أي أصابكم في أخذ الفداء من الأسرى عذاب عظيم، وروي أنها لم أنزلت قال عليه السلام "لو نزل العذاب لما نجا منه غير عمر". (فكلوا مما غنمتم حلالاً طيباً) أي كلوا يا معشر المجاهدين مما أصبتموه من أعدائكم من الغنائم في الحرب، حال كونه حلالاً أي محللاً لكم [طيباً] أي من أطيب المكاسب، لأنه ثمرة جهادكم، وفي الصحيح "وجعل رزقي تحت ظل رمحي". (واتقوا الله) أي خافوا الله في مخالفة أمره ونهيه. (إن الله غفور رحيم) أي مبالغ في المغفرة لمن تاب، رحيم بعباده حيث أباح لهم الغنائم⁽¹³⁰⁶⁾.

(يَا أَيُّهَا النَّبِيُّ قُلْ لِمَنْ فِي أَيْدِيكُمْ مِنَ الْأَسْرَىٰ إِن يَعْلَمِ اللَّهُ فِي قُلُوبِكُمْ خَيْرًا يُؤْتِكُمْ خَيْرًا مِّمَّا أَخَذَ مِنْكُمْ وَيَغْفِرَ لَكُمْ يَا أَيُّهَا النَّبِيُّ قُلْ لِمَنْ فِي أَيْدِيكُمْ مِنَ الْأَسْرَىٰ إِن يَعْلَمِ اللَّهُ فِي قُلُوبِكُمْ خَيْرًا يُؤْتِكُمْ خَيْرًا مِّمَّا أَخَذَ مِنْكُمْ وَيَغْفِرَ لَكُمْ وَأَنَّ اللَّهَ غَفُورٌ رَحِيمٌ (٧٠))

قوله تعالى: (يا أيها النبي قل لمن في أيديكم) - الآية.

531. روى الطبراني في الأوسط عن ابن عباس قال: «قال العباس في والله نزلت حين أخبرت رسول الله ﷺ بإسلامي وسألته أن يحاسبني بالعشرين أوقية التي وجدت معي، فأعطاني بها عشرين عبداً كلهم تاجر

⁽¹³⁰²⁾ تفسير الطبري 10/43 مسند أحمد 1/383 ح (3632) سنن الترمذي 4/213 ح (1714) سنن البيهقي الكبرى 6/321 ح (12623) مسند أبي يعلى 9/116 ح (5187) فضائل الصحابة 1/181 ح (186) وإسناده صحيح لكنه من رواية أبي عبيدة بن عبد الله بن مسعود ولم يسمع من أبيه فيما صرح به الترمذي وغيره ⁽¹³⁰³⁾ سنن الترمذي 5/271 ح (3085) وقال: حسن صحيح مسند أحمد 2/252 ح (2427) صحيح ابن حبان 11/134 ح (4806) سنن النسائي الكبرى 6/352 ح (11209) سنن البيهقي الكبرى 6/290 ح (12488) المنتقى من السنن 168 ح (1071) شرح معاني الآثار 3/277 مسند الطيالسي 318 ج: 1 ح (2429) مصنف ابن أبي شيبة 365 ج: 7 ح (36740) صحيح قال الإمام الترمذي أخبرنا عبد الله بن محمد الأزدي قال حدثنا إسحاق بن إبراهيم قال أخبرنا جرير عن الأعمش عن أبي صالح عن أبي هريرة

به - صحيح البخاري (15/5)

⁽¹³⁰⁵⁾ زاد المسير (381/3)

⁽¹³⁰⁶⁾ صفوة التفسير - للصابوني (343/1)

[تعليق]

ذكر المؤلف رحمه الله أثراً واحداً في سبب نزول هذه الآية وهو صحيح الإسناد، وقد اختصره المؤلف وذكره الواحدي بسياق طويل أوضح مما ذكره المؤلف.

قال: قال الكلبي: نزلت في العباس بن عبد المطلب وعقيل بن أبي طالب ونوفل بن الحرث، وكان العباس أسر يوم بدر ومعه عشرون أوقية من الذهب كان خرج بها معه إلى بدر ليطعم بها الناس، وكان أحد العشرة الذين ضمنوا إطعام أهل بدر، ولم يكن بلغته النوبة حتى أسر، فأخذت معه وأخذها رسول الله ﷺ منه، قال: فكلمت رسول الله ﷺ أن يجعل لي العشرين الأوقية الذهب التي أخذها مني من فدائي، فأبى علي وقال: أما شيء خرجت تستعين به علينا فلا، وكلفني فداء ابن أخي عقيل بن أبي طالب عشرين أوقية من فضة، فقلت له: تركتني والله أسأل قريشاً بكفي والناس ما بقيت، قال: فأين الذهب الذي دفعته إلى أم الفضل مخرجك إلى بدر وقلت لها: إن حدث بي حدث في وجهي هذا فهو لك ولعبد الله والفضل وقثم، قال: قلت وما يدريك؟ قال: أخبرني الله بذلك، قال: أشهد أنك لصادق وإني قد دفعت إليها ذهباً ولم يطلع عليها أحد إلا الله، فأنا أشهد أن لا إله إلا الله، وأنك رسول الله، قال العباس: فأعطاني الله خيراً مما أخذ مني، كما قال: عشرين عبداً كلهم يضرب بمال كبير مكان العشرين أوقية، وأنا أرجو المغفرة من ربي⁽¹³⁰⁸⁾.

وروى عن ابن عباس أنها نزلت في جميع من أسر يوم بدر⁽¹³⁰⁹⁾.
وقد روى الإمام ابن جرير عن ابن زيد في أثر طويل وفيه -- وقال الذين أسروا: يا رسول الله، إنك تعلم أنا كنا نأتيك فنشهد أن لا إله إلا الله وأنك رسول الله، وأن هؤلاء القوم خرجنا معهم خوفاً! فقال الله: (يَا أَيُّهَا النَّبِيُّ قُلْ لِمَنْ فِي أَيْدِيكُمْ مِنَ الْأَسْرَى إِنْ يَعْلَمُ اللَّهُ فِي قُلُوبِكُمْ خَيْرًا يُؤْتِكُمْ خَيْرًا مِمَّا أَخَذَ مِنْكُمْ وَيَغْفِرَ لَكُمْ)⁽¹³¹⁰⁾.
قلت: هذه الآية نزلت في أسرى بدر ويدخل فيهم العباس بلا شك والله تعالى أعلم.

[تفسير مختصر للآية]

(يا أيها النبي قل لمن في أيديكم من الأسرى) أي قل لهؤلاء الذين وقعوا في الأسر من الأعداء، والمراد بهم أسرى بدر. (إن يعلم الله في قلوبكم خيراً) أي إن يعلم الله في قلوبكم إيماناً وإخلاصاً، وصدقا في دعوى الإيمان. (يؤتكم خيراً مما أخذ منكم) أي يعطكم أفضل مما أخذ منكم من الفداء. (ويغفر لكم) أي يمحو عنكم ما سلف من الذنوب. (والله غفور رحيم) أي واسع المغفرة، عظيم الرحمة لمن تاب وأناب⁽¹³¹¹⁾.

(وَالَّذِينَ آمَنُوا وَهَاجَرُوا وَجَاهَدُوا فِي سَبِيلِ اللَّهِ وَالَّذِينَ ءَاوَوْا وَنَصَرُوا أُولَٰئِكَ هُمُ الْمُؤْمِنُونَ حَقًّا لَهُمْ مَغْفِرَةٌ وَرِزْقٌ كَرِيمٌ ٧٤)

قوله تعالى: (والذين كفروا) - الآية.

532. [ك] أخرج ابن جرير وأبو الشيخ عن السدي عن أبي مالك قال: «قال رجل نورث أرحامنا من المشركين، فنزلت: (والذين كفروا بعضهم أولياء بعض)⁽¹³¹²⁾».

[تعليق]

ذكر المؤلف رحمه الله هذا الأثر الوحيد في سبب نزول هذه الآية، وهو يدل على أن الكفار أولياء بعض. وقد اختلف أهل العلم في أي شيء هذه المولاة. فقال بعضهم في الميراث يعني بعضهم يرث بعض، وهذا الموافق للأثر الذي روى هنا.
القول الثاني: أولياء بعض في النصر والمحببة⁽¹³¹³⁾.

[تفسير مختصر للآية]

(والذين كفروا بعضهم أولياء بعض) أي هم في الكفر والضلالة ملة واحدة، فلا يتولاهاهم إلا من كان منهم. (إلا تفعلوه) أي وإن لم تفعلوا ما أمرتم به، من تولي المؤمنين وقطع الكفار. (تكن فتنة في الأرض وفساد كبير) أي تحصل في الأرض فتنة عظيمة ومفسدة كبيرة، لأنه يترتب على ذلك قوة الكفار وضعف المسلمين، ثم عاد بالذكر والثناء على المهاجرين والأنصار فقال سبحانه⁽¹³¹⁴⁾.

⁽¹³⁰⁷⁾المختارة 8/396 ح (489) المعجم الأوسط 8/104 ح (8107) وسياقه أطول مما ذكر المؤلف وإسناده صحيح. قال أبو القاسم الطبراني: حدثنا موسى بن هارون نا إسحاق بن راهويه أخبرنا وهب بن جرير نا أبي قال سمعت محمد بن إسحاق يقول حدثني عبد الله بن أبي نجيح عن عطاء عن ابن عباس - به.

⁽¹³⁰⁸⁾أسباب النزول للواحدى (162)

⁽¹³⁰⁹⁾: زاد المسير (383/3)

⁽¹³¹⁰⁾جامع البيان (تفسير الطبري) (9/109)

⁽¹³¹¹⁾صفوة التفسير - للصابوني (1/343)

⁽¹³¹²⁾تفسير الطبري 10/55 وإسناده صحيح غير أنه مرسل، وروى بإسناد ضعيف عن ابن عباس قوله: (والذين كفروا بعضهم أولياء بعض) إلا تفعلوه تكن فتنة في الأرض وفساد كبير (نزلت في مواريث مشركي أهل العهد.

⁽¹³¹³⁾زاد المسير (386/3)

⁽¹³¹⁴⁾صفوة التفسير - للصابوني (1/344)

(وَالَّذِينَ ءَامَنُوا مِنْ بَعْدِ وَهَاجَرُوا وَجَاهَدُوا مَعَكُمْ فَأُولَئِكَ مِنْكُمْ وَأُولُوا الْأَرْحَامِ بَعْضُهُمْ أَوْلَىٰ بِبَعْضٍ فِي كِتَابِ اللَّهِ)
 إِنَّ اللَّهَ بِكُلِّ شَيْءٍ عَلِيمٌ (٧٥)

قوله تعالى: (وأولوا الأرحام)- الآية.

533. أخرج ابن جرير عن ابن الزبير قال: « كان الرجل يعاقد الرجل ترثني وأرثك فنزلت: (وأولو الأرحام بعضهم أولى ببعض في كتاب الله الآية⁽¹³¹⁵⁾) ».

534. وأخرج ابن سعد من طريق هشام بن عروة عن أبيه قال: « آخى رسول الله ﷺ بين الزبير بن العوام وبين كعب بن مالك، قال الزبير لقد رأيت كعباً أصابته الجراحة بأحد فقلت: لو مات فاتقطع عن الدنيا وأهلها لورثته فنزلت هذه الآية (وأولو الأرحام بعضهم أولى ببعض في كتاب الله) فصارت المواريث بعد للأرحام والقربات وانقطعت تلك المواريث في المواخاة⁽¹³¹⁶⁾ ».

[تعليق]

ذكر المؤلف رحمه الله أثرين في سبب نزول هذه الآية، وقد كانت المواخاة في بداية الهجرة بين الصحابة، فكان يجب الميراث بالأخوة في الدين كما تجب بالنسب ثم نسخ الله تعالى ذلك بقوله (وأولو الأرحام بعضهم أولى ببعض) يعني يرث بعضهم بعضاً.

ولم أجد في سبب نزول هذه الآية غير ما ذكره المؤلف، والأثر الأول عام يشمل ما جاء في الأثر الثاني والله تعالى أعلم.

[تفسير مختصر للآية]

(وأولو الأرحام بعضهم أولى ببعض في كتاب الله) أى أصحاب القربات بعضهم أحق بإرث بعض من الأجانب في حكم الله وشرعه، قال العلماء: هذه ناسخة للإرث بالحلف والأخاء.
 (إن الله بكل شيء عليم) أى أحاط بكل شيء علماً، فكل ما شرعه الله حكمة وصواباً وصلاًحاً، لمن كان له قلب أو ألقى السمع وهو شهيد⁽¹³¹⁷⁾.

انتهت سورة الأنفال

سُورَةُ التَّوْبَةِ

(قَاتِلُوهُمْ يُعَذِّبُهُمُ اللَّهُ بِأَيْدِيكُمْ وَيُخْزِهِمْ وَيَنْصُرْكُمْ عَلَيْهِمْ وَيَشْفِ صُدُورَ قَوْمٍ مُّؤْمِنِينَ ١٤)

قوله تعالى: (قاتلوهم يعذبهم الله)- الآية.

535. [ك] أخرج أبو الشيخ عن قتادة قال: « ذكر لنا أن هذه الآية نزلت في خزاعة حين جعلوا يقتلون بني بكر بمكة⁽¹³¹⁸⁾ ».

536. وأخرج عن عكرمة قال: « نزلت هذه الآية في خزاعة⁽¹³¹⁹⁾ ».

537. وأخرج عن السدي: (ويشف صدور قوم مؤمنين) قال هم خزاعة حلفاء النبي ﷺ، يشف صدورهم من بني بكر⁽¹³²⁰⁾ ».

[تعليق]

⁽¹³¹⁵⁾ تفسير الطبري/ 10/ 58 وسياقه عن عيسى بن الحارث أن أخاه شريح بن الحارث كانت له سرية، فولدت منه جارية، فلما شبت الجارية زوجت فولدت غلاماً ثم ماتت السرية، واختصم شريح بن الحارث والغلام إلى شريح القاضي في ميراثها، فجعل شريح بن الحارث يقول: ليس له ميراث في كتاب الله قال: ففضى شريح بالميراث للغلام، قال: (وأولو الأرحام بعضهم أولى ببعض في كتاب الله) فركب ميسرة بن يزيد إلى ابن الزبير وأخبره بقضاء شريح وقوله، فكتب ابن الزبير إلى شريح أن ميسرة أخبرني أنك قضيت بكذا وكذا وقلت: (وأولو الأرحام بعضهم أولى ببعض في كتاب الله) وأنه ليس كذلك إنما نزلت هذه الآية: « أن الرجل كان يعاقد الرجل يقول ترثني وأرثك » فنزلت: (وأولو الأرحام بعضهم أولى ببعض في كتاب الله) فجاء بالكتاب إلى شريح فقال شريح: أعتقها جنيناً بطنها وأبى أن يرجع عن قضائه. وكذلك أخرجه البيهقي في الكبرى 10/121 والدارقطني 4/119 الطحاوي في شرح معاني الآثار 4/398 وفي إسناده عيسى ابن الحارث روى عنه ابن عون وشعبة وأبو شيبة، قال ابن أبي حاتم سألت عنه أبا زرعة فقال: لا بأس به وباقي إسناده صحيح

⁽¹³¹⁶⁾ التتوين في أخبار قزوين 4/194 المؤلف: عبد الكريم بن محمد بن عبد الكريم، أبو القاسم الرفاعي القزويني (المتوفى: 623هـ) المحقق: عزيز الله العطاردي الناشر: دار الكتب العلمية الطبعة: 1408هـ-1987م

عدد الأجزاء: 4 وفي إسناده ضعف، وذكره الذهبي في سير أعلام النبلاء من طريق الواقدي 2/526 وروى الحاكم والدارقطني وغيرهما ما يدل على أن سبب نزول الآية بسبب المواخاة التي كانت بين الصحابة

⁽¹³¹⁷⁾ صفوة التفسير - للصابوني (1/344)

⁽¹³¹⁸⁾ منقطع

⁽¹³¹⁹⁾ مرسل.

⁽¹³²⁰⁾ تفسير الطبري 10/91 مرسل ضعيف وروي عن مجاهد نحوه أيضاً مرسل

هذه السورة الكريمة من السور المدنية التي تعنى بجانب التشريع، وهي من أواخر ما نزل على رسول الله ﷺ . فقد روى البخاري عن البراء بن عازب: أن آخر سورة نزلت سورة براءة. وروى الحافظ ابن كثير: أن أول هذه السورة نزلت على رسول الله ﷺ عند مرجعه من غزوة تبوك، وبعث أبا بكر الصديق أميراً على الحج تلك السنة، ليقيم للناس مناسكهم، فلما قفل أتبعه بعلي بن أبي طالب ليكون مبلغاً عن رسول الله ﷺ ما فيها من الأحكام نزلت في (السنة التاسعة) من الهجرة، وهي السنة التي خرج فيها رسول الله ﷺ لغزو الروم، واشتهرت بين الغزوات النبوية ب (غزوة تبوك) وكانت في حر شديد، وسفر بعيد، حين طابت الثمار، وأخذ الناس إلى نعيم الحياة، فكانت إبتلاء لإيمان المؤمنين، وامتحاناً لصدقهم وإخلاصهم لدين الله، وتمييزاً بينهم وبين المنافقين.

ولهذه السورة الكريمة هدفان أساسيان - إلى جانب الأحكام الأخرى - هما أولاً: بيان القانون الإسلامي في معاملة المشركين، وأهل الكتاب ثانياً: إظهار ما كانت عليه النفوس حينما استنفرهم الرسول لغزو الروم. أما بالنسبة للهدف الأول فقد عرضت السورة إلى عهود المشركين فوضعت لها حداً، ومنعت حج المشركين لبيت الله الحرام، وقطعت الولاية بينهم وبين المسلمين، ووضعت الأساس في قبول بقاء أهل الكتاب في الجزيرة العربية، وإباحة التعامل معهم، وقد كان بين النبي ﷺ والمشركين عهود ومواثيق، كما كان بينه وبين أهل الكتاب عهود أيضاً، ولكن المشركين نقضوا العهود وتآمروا مع اليهود عدة مرات على حرب المسلمين، وخانت طوائف اليهود " بنو النضير " و " بنو قريظة " و " بنو قينقاع " ما عاهدوا عليه رسول الله ﷺ ونقضوا عهودهم مرات ومرات، فلم يعد من الحكمة أن يبقى المسلمون متمسكين بالعهود وقد نقضها أعداؤهم، فنزلت السورة الكريمة بإلغاء تلك العهود ونبذها إليهم على وضوح وبصيرة، لأن الناكثين لا يتورعون عن الخيانة كلما سنحت لهم الفرصة، وبذلك قطع الله تعالى ما بين المسلمين والمشركين من صلوات، فلا عهد، ولا صلح، ولا تعاهد، ولا سلم، ولا أمان، بعد أن منحهم الله فرصة كافية هي السياحة في الأرض (أربعة أشهر) ينطلقون فيها آمنين، ليتمكنوا من النظر والتدبر في أمرهم، ويختاروا ما يرون فيه المصلحة لهم.. وفي ذلك نزل صدر السورة الكريمة (براءة من الله ورسوله إلى الذين عاهدتم من المشركين..) الآيات. ثم تلتها الآيات في قتال الناقضين للعهد من أهل الكتاب [قاتلوا الذين لا يؤمنون بالله ولا باليوم الآخر..] الآية، وقد تناول الحديث عنهم ما يقرب من عشرين آية، كشف الله سبحانه فيها القناع عن خفايا أهل الكتاب، وما انطوت عليه نفوسهم من خبث، ومكر، وحقد على الإسلام والمسلمين. وعرضت السورة للهدف الثاني، وهو شرح نفسيات المسلمين حين استنفرهم رسول الله ﷺ لغزو الروم، وقد تحدثت الآيات عن المتناقلين منهم والمتخلفين، والمثبطين وكشفت الغطاء عن فتن المنافقين، باعتبار خطرهم الداهم على الإسلام والمسلمين، وفضحت أساليب نفاقهم، وألوان فتنهم وتخديلتهم للمؤمنين، حتى لم تدع لهم سترا إلا هتكته، ولا دخيلة إلا كشفتها، وتركتهم بعد هذا الكشف والإيضاح تكاد تلمسهم أيدي المؤمنين، وقد استغرق الحديث عن المنافقين معظم السورة بدءاً من قوله تعالى (لو كان عرضاً قريبا وسفراً قاصداً لاتبعوك..) إلى قوله تعالى (لا يزال بنيانهم الذي بنوا ريبة في قلوبهم إلا أن تقطع قلوبهم والله عليم حكيم) ولهذا سماها بعض الصحابة " الفاضحة " لأنها فضحت المنافقين وكشفت أسرارهم، قال سعيد بن جبيرة: سألت ابن عباس عن سورة براءة فقال: تلك الفاضحة، ما زال ينزل: (ومنهم) (ومنهم)، حتى خفنا ألا تدع منهم أحداً، وروي عن حذيفة بن اليمان أنه قال: إنكم تسمونها سورة التوبة، وإنما هي سورة العذاب، والله ما تركت أحداً من المنافقين إلا نالت منه، وهذا هو السر في عدم وجود البسملة فيها، قال ابن عباس: سألت علي بن أبي طالب لم يكتب في براءة [بسم الله الرحمن الرحيم]؟ قال: لأن [بسم الله الرحمن الرحيم] [أمان، وبراءة نزلت بالسيف، ليس فيها أمان، وقال سفيان بن عيينة: إنما لم تكتب البسملة في صدر هذه السورة، لأن التسمية رحمة، والرحمة أمان، وهذه السورة نزلت بالمنافقين، وبالسيف، ولا أمان للمنافقين. وبالجملة فإن هذه السورة الكريمة قد تناولت الطابور الخامس " المندس بين صفوف المسلمين ألا وهم (المنافقون) الذين هم أشد خطراً من المشركين، ففضحتهم وكشفت أسرارهم ومخازبهم، وظلت تقذفهم بالحمم حتى لم تبق منهم ديار، فقد وصل بهم الكيد في التآمر على الإسلام، أن يتخذوا بيوت الله أوكارا للتخريب والتدمير، وإلقاء الفتنة بين صفوف المسلمين، في مسجدهم، الذي عرف باسم (مسجد الضرار) وقد نزل في شأنه أربع آيات في هذه السورة [والذين اتخذوا مسجداً ضراراً وكفراً وتفريقاً بين المؤمنين وإرصاداً لمن حارب الله ورسوله من قبل..] الآيات ولم يكذب النبي ﷺ يتلقى الوحي حتى قال لأصحابه: (انطلقوا إلى هذا المسجد الظالم أهله فاهدموه وحرقوه) فهدموه وكفى الله الإسلام والمسلمين شرهم، وكيدهم، وخبثهم، وفضحهم إلى يوم الدين⁽¹³²¹⁾.

وقد ذكر المؤلف رحمه الله ثلاثة آثار في سبب نزول هذه الآية وأنها نزلت في بني خزاعة وكانوا حلفاء النبي ﷺ . قال الإمام القرطبي: { وَيَشْفِ صُدُورَ قَوْمٍ مُّؤْمِنِينَ } بنو خزاعة، على ما ذكرنا عن مجاهد. فإن قريشاً أعانت بني بكر عليهم، وكانت خزاعة حلفاء النبي ﷺ . فأئشذ رجل من بني بكر هجاء رسول الله ﷺ ، فقال له بعض خزاعة: لئن أعدته لأكسرن فمك، فأعاده فكسر فاه وثار بينهم قتال، فقتلوا من الخزاعيين أقواماً، فخرج عمرو بن سالم الخزاعي في نفر إلى النبي ﷺ وأخبره به، فدخل منزل ميمونة وقال: "اسكبوا إلي ماء" فجعل يغتسل وهو يقول: "لا نصرت إن لم أنصر بني كعب". ثم أمر رسول الله ﷺ بالتجهز والخروج إلى مكة فكان الفتح⁽¹³²²⁾.

قلت: بين قبيلة خزاعة وقبيلة بني بكر ثار كبير في الجاهلية، فلما كان الإسلام دخلت خزاعة حالفت خزاعة رسول الله ﷺ وحالفت بنو بكر قريشاً وهذا وبعد صلح الحديبية حدث بين خزاعة وبين بني بكر مقاتلة فأمدت قريش قبيلة بني بكر وعاونتهم بعد هذا القتال والاعتداء على خزاعة خرج عمرو بن سالم الخزاعي حتى قدم على رسول الله ﷺ وأخبره بما حصل فوعده ﷺ بالنصر. وكذلك خرج بديل بن ورقاء الخزاعي ومعه نفر من خزاعة وأخبروا الرسول الله ﷺ بما حدث . فعلى هذا قوله تعالى (ويشف صدور قوم مؤمنين) المراد بهم خزاعة.

والظاهر أن اللآية، وسبب النزول المذكور مرسل وقد ورد في سبب نزول هذه الآية سبب آخر ذكره أبو حيان قال: قال ابن عباس: هم بطون من اليمن وسبأ قدموا مكة فأسلموا، فلقوا من أهلها أذى شديداً، فبعثوا إلى رسول الله ﷺ صلى الله عليه وسلم يشكون إليه فقال: "أبشروا فإن الفرج قريب⁽¹³²³⁾." .

(1321) صفة التفاسير - للصابوني (1/ 348)

(1322) تفسير القرطبي - (8/ 87)

(1323) تفسير البحر المحيط - (5/ 12)

[تفسير مختصر للآية]

(قاتلوهم يعذبهم الله بأيديكم) أي قاتلوهم يا معشر المؤمنين، فقاتلكم لهم عذاب بأيدي أولياء الله، وجهاد لمن قاتلهم. (ويخزهم) أي يذلهم بالأسر والقهر. (وينصركم عليهم) أي يمنحكم الظفر والغلبة عليهم.

(ويشف صدور قوم مؤمنين) أي يشف قلوب المؤمنين بإعلاء دين الله وتعذيب الكفار وخزيهم، قال ابن عباس: هم قوم من اليمن قدموا مكة فأسلموا فلقوا من أهلها أذى كثيراً، فشكروا إلى رسول الله ﷺ فقال: أبشروا فإن الفرج قريب. (ويذهب غيظ قلوبهم) أي يذهب ما بها من غيظ، وغم، وكره، وهو كالتأكيد لشفاء الصدور وفائدته المبالغة في جعلهم مسرورين بما يمن الله عليهم من تعذيب أعدائهم، أمر تعالى بقتالهم، وذكر فيه خمسة أنواع من الفوائد، وهي (إذلالهم، وتعذيبهم، والإنتصار عليهم، وشفاء صدور المؤمنين، وإذهاب غيظ القلوب) كل واحد منها يعظم موقعه إذا انفرد، فكيف بها إذا اجتمعت (ويتوب الله على من يشاء) كلام مستأنف أي يمن الله على من يشاء منهم بالتوبة والدخول في الإسلام كأبي سفيان. (والله عليم حكيم) أي عالم بالأسرار لا تخفى عليه خافية، (حكيم) لا يفعل إلا ما فيه حكمة ومصالحة¹³²⁴.

(مَا كَانَ لِلْمُشْرِكِينَ أَنْ يَعْمُرُوا مَسْجِدَ اللَّهِ شَاهِدِينَ عَلَىٰ أَنْفُسِهِم بِالْكَفْرِ أُولَٰئِكَ حَبِطَتْ أَعْمَالُهُمْ وَفِي النَّارِ هُمْ خَالِدُونَ ١٧
إِنَّمَا يَعْمُرُ مَسْجِدَ اللَّهِ مَنْ ءَامَنَ بِاللَّهِ وَالْيَوْمِ الْآخِرِ وَأَقَامَ الصَّلَاةَ وَءَاتَى الزَّكَاةَ وَلَمْ يَحْشَ إِلَّا اللَّهَ فَعَسَىٰ أُولَٰئِكَ أَنْ يَكُونُوا مِنَ الْمُهْتَدِينَ ١٨ ﴿١٨﴾ أَجْعَلْتُمْ سَقَايَةَ الْحَاجِّ وَعِمَارَةَ الْمَسْجِدِ الْحَرَامِ كَمَنْ ءَامَنَ بِاللَّهِ وَالْيَوْمِ الْآخِرِ وَجَهَدَ فِي سَبِيلِ اللَّهِ لَا يَسْتَوِ عِنْدَ اللَّهِ وَاللَّهُ لَا يَهْدِي الْقَوْمَ الظَّالِمِينَ ١٩)

قوله تعالى: (ما كان للمشركين) - الآيات.

538. أخرج ابن أبي حاتم من طريق علي بن أبي طلحة عن ابن عباس قال: «قال العباس حين أسر يوم بدر: إن كنتم سبقتونا بالإسلام والهجرة والجهاد لقد كنا نعمار المسجد الحرام ونسقي الحاج ونفك العاني، فأنزل الله: (أجعلتم سقاية الحاج) - الآية»⁽¹³²⁵⁾.

539. وأخرج مسلم وابن حبان وأبو داود عن النعمان بن بشير قال: «كنت عند منبر رسول الله ﷺ في نفر من أصحابه، فقال: رجل منهم ما أبالي أن لا أعمل لله عملاً بعد الإسلام إلا أن أسقي الحاج، وقال: آخر بل عمارة المسجد الحرام، وقال آخر: بل الجهاد في سبيل الله خير مما قلتم، فزجرهم عمر وقال: لا ترفعوا أصواتكم عند منبر رسول الله ﷺ وذلك يوم الجمعة ولكن إذا صليت الجمعة دخلت على رسول الله ﷺ فاستفتيته فيما اختلفتم فيه، فأنزل الله: (أجعلتم سقاية الحاج) - إلى قوله: (لا يهدي القوم الظالمين)⁽¹³²⁶⁾.

540. وأخرج الفريابي عن ابن سيرين قال: «قدم علي بن أبي طالب مكة فقال للعباس: أي عم ألا تهاجر ألا تلحق برسول الله ﷺ، فقال: أعمار المسجد وأحجب البيت، فأنزل الله: (أجعلتم سقاية الحاج) - الآية وقال لقوم سماهم: ألا تهاجروا ألا تلحقوا برسول الله ﷺ فقالوا: نقيم مع إخواننا وعشائرنا ومساكننا فأنزل الله: (قل إن كان آباؤكم) - الآية⁽¹³²⁷⁾ كلها».

541. وأخرج عبد الرزاق عن الشعبي نحوه⁽¹³²⁸⁾.

542. وأخرج ابن جرير عن محمد بن كعب القرظي قال: «افتخر طلحة بن شيبه والعباس وعلي بن أبي طالب، فقال طلحة: أنا صاحب البيت معي مفتاحه، وقال العباس: أنا صاحب السقاية والقائم عليها، فقال علي: لقد صليت إلى القبلة قبل الناس وأنا صاحب الجهاد، فأنزل الله: (أجعلتم سقاية الحاج) - الآية كلها⁽¹³²⁹⁾».

[تعليق]

ذكر المؤلف رحمه الله خمسة آثار في سبب نزول هذه الآية، وهي تشتمل على عدة أسباب لنزولها ويمكن الجمع بينها حتى ترجع إلى سبب واحد وهو في كون بعض الصحابة ظن أن حجابة البيت وسقاية الحاج أفضل من الجهاد في سبيل الله، فأنزل الله تعالى الآية رداً عليهم بأن الجهاد لا يساويه شيء، وقد قال النبي ﷺ لما سئل أي الأعمال خير قال «الجهاد في سبيل الله».

والآثر الأول أن الآية نزلت في العباس وكان - قد أسر في غزوة بدر - معارض الثالث وهو أن علياً قال للعباس: ألا تهاجر. ويمكن الجمع بينهما على تقدير الصحة بأن هذا الحدث وقع مرتين مرة بمكة، ومرة لما أسر العباس وتأخر نزول الآية عن

⁽¹³²⁴⁾صفوة التفسير - للصابوني (351/1)

⁽¹³²⁵⁾تفسير ابن أبي حاتم 6/1768 تفسير الطبري 10/95 وعلي بن أبي طلحة تقدم أنه لم يسمع من ابن عباس.

⁽¹³²⁶⁾صحيح مسلم 3/1499 ح (1879) مسند أحمد 4/269 ح (18393) صحيح ابن حبان 10/451 ح (4591) سنن البيهقي الكبرى 9/158 ح (18271) المعجم الأوسط 1/134 ح (421) تفسير الطبري 10/95 مسند أبي عوانة 4/465 ح (7353) مسند الزوار 8/200 ح (3238) الإيمان لابن منده 1/400 ح (243) الكتاب: الإيمان لابن منده المؤلف: محمد بن إسحاق بن يحيى بن منده [310 - 395] المحقق: د. علي بن محمد بن ناصر الفقيهي الناشر: مؤسسة الرسالة - بيروت الطبعة: الثانية، 1406 عدد الأجزاء: 2 وعزاه لأبي داود ولم أجده في الكتب المسندة في السنن له

⁽¹³²⁷⁾مرسل وليس عندي تفسير الفريابي

⁽¹³²⁸⁾تفسير الصنعاني 2/265 عن الشعبي قال: نزلت في علي وعباس تكلموا في ذلك وهو مرسل كما ترى

⁽¹³²⁹⁾تفسير ابن جرير 10/96 مرسل منقطع الإسناد.

وأما الأثر الثاني فهو أصحابها إسناداً، وهو في مجادلة بعض الصحابة في أي الأعمال أفضل هل سقاية الحاج أم عمارة المسجد الحرام أم الجهاد؟ فنزلت الآية لتحسم الجدل بأن الجهاد أفضل الأعمال.

وأما الأثر الأخير في افتخار طلحة وعلی والعباس، فيمكن كذلك أن يكون قد حدث وتأخر نزول الآية والله تعالى أعلم.

[تفسير مختصر للآية]

(ما كان للمشركين ان يعمرؤ مساجد الله) أى لا يصح ولا يستقيم ولا يليق بالمشركين ان يعمرؤ شيئاً من المساجد. (شاهدين على انفسهم بالكفر) أى حال كونهم مقرين بالكفر، ناطقين به باقوالهم وافعالهم، حيث كانوا يقولون في تليبتهم: (لبيك لا شريك لك، إلا شريكا هو لك، بملكه وما ملك) يعنون الاصنام، وكانوا قد نصبوا أصنامهم خارج البيت، وكانوا يطوفون عراة كلما طافوا طوفة سجدوا للاصنام والمعنى: لا يصح لهم ان يجمعوا بين امرين متنافيين: عمارة مساجد الله، مع الكفر بالله وعبادته. (أولئك حبطت اعمالهم) أى بطلت اعمالهم بما قارنها من الشرك. (وفي النار هم خالدون) أى ماكنون في نار جهنم ابدا. (انما يعمر مساجد الله من امن بالله واليوم الآخر) أى انما تستقيم عمارة المساجد وتليق بالمؤمن المصدق بوحداية الله، الموقن بالآخرة.

(واقام الصلاة واتى الزكاة) أى اقام الصلاة المكتوبة بحدودها، وادى الزكاة المفروضة بشروطها.

(ولم يخش الا الله) أى خاف الله ولم يرهب احدا سواه.

(فعسى أولئك ان يكونوا من المهتدين) أى فعسى ان يكونوا في زمرة المهتدين يوم لقيامة، قال ابن عباس: كل " عسى " في القران واجبة قال الله لنبيه [عسى ان يبعثك ربك مقاما محمودا] يقول: ان ربك سيبعثك مقاما محمودا وهي الشفاعة وقال ابو حيان: (وعسى) من الله تعالى واجبة حيثما وقعت في القران، وفي التعبير بعسى قطع لاطماع المشركين أن يكونوا مهتدين، إذ من جمع هذه الخصال الاربعة، جعل حاله حال من ترجى له الهداية، فكيف بمن هو عار منها؟ وفيه ترجيح الخشية على الرجاء، ورفض الاغترار بالاعمال الصالحة.

(اجعلتم سقاية الحاج وعمارة المسجد الحرام كمن امن بالله واليوم الآخر وجاهد في سبيل الله) الخطاب للمشركين والاستفهام للانكار والتوبيخ والمعنى: اجعلتم يا معشر المشركين سقاية الحجيج، وسدانة البيت، كإيمان من امن بالله وجاهد في سبيله؟ وهو رد على العباس حين قال: (لئن كنتم سبقتمونا بالاسلام والهجرة، فلقد كنا نعمل المسجد الحرام، ونسقي الحاج) فنزلت، قال الطبري: هذا توبيخ من الله تعالى لقوم افتخروا بالسقاية وسدانة البيت الحرام، فاعلمهم ان الفخر في الايمان بالله، واليوم الآخر، والجهاد في سبيله. (لا يستوون عند الله) أى لا يتساوى المشركون بالمؤمنين، ولا اعمال أولئك باعمال هؤلاء ومنازلهم.

(والله لا يهدي القوم الظالمين) هذا كالتعليل أى لا يوفق الظالمين الى معرفة الحق، ومعنى الآية: انكار ان يشبه المشركون بالمؤمنين، واعمالهم المحبطة باعمالهم المثبتة، ولما نفى المساواة بينهم، ووضحها بان الكافرين بالله هم (الظالمون) ظلموا انفسهم بعدم الايمان، وظلموا المسجد الحرام، إذ جعلوه متعبدا لاوتانهم، واثبت للمؤمنين الهداية في الآية السابقة، ونفاها عن المشركين هنا فقال [والله لا يهدي القوم الظالمين]⁽¹³³⁰⁾.

(لَقَدْ نَصَرَكُمُ اللَّهُ فِي مَوَاطِنَ كَثِيرَةٍ وَيَوْمَ حُنَيْنٍ إِذْ أَعْجَبَتْكُمْ كَثْرَتُكُمْ فَلَمْ تُغْنِ عَنْكُمْ شَيْئًا وَضَاقَتْ عَلَيْكُمُ الْأَرْضُ بِمَا رَحُبَتْ ثُمَّ وَابْتِئْتُم مُّذَبِّرِينَ) (٢٥)

قوله تعالى: (ويوم حنين) - الآية.

543. أخرج البيهقي في الدلائل عن الربيع بن أنس: « أن رجلاً قال يوم حنين: لن نغلب من قلة وكانوا اثني عشر ألفاً، فشق ذلك على رسول الله ﷺ، فأنزل الله: (ويوم حنين إذ أعجبتكم كثرتكم) - الآية »⁽¹³³¹⁾.

[تعليق]

أورد المؤلف أثراً واحداً في سبب نزول هذه الآية وهو أثر مرسل الإسناد، وقد اختلف في الرجل القائل لن نغلب اليوم من قلة بقبيل هو سلمة بن سلامة بن وقش، وقيل أبو بكر الصديق، وقيل ابن عباس، وقيل رجل من بني بكر. وكذلك اختلفوا في الكثرة التي أعجبتهم فعن ابن عباس ستة عشر ألفاً، وعن النحاس أربعة عشر ألفاً، وعن قتادة وابن زيد وابن إسحاق والواقدي: اثنا عشر ألفاً، وعن مقاتل عن ابن عباس: أحد عشر ألفاً وخمسمائة⁽¹³³²⁾.

والآية الكريمة إرشاد للمسلمين بأن يتواضعوا لله ويعلموا أن النصر إنما هو من عند الله لا من كثرة عددهم، فقد كانوا قلة في بدر فنصرهم الله، وكانوا كثرة في حنين فكادوا أن ينهزموا ولكن الله سلم وأعطاهم النصر.

[تفسير مختصر للآية]

(لقد نصركم الله في مواطن كثيرة) أى نصركم في مشاهد كثيرة، وحروب عديدة. (ويوم حنين) أى ونصركم ايضاً يوم حنين، بعد الهزيمة التي منيتم بها بسبب اغتراركم بالكثرة. (إذ أعجبتكم كثرتكم فلم تغن عنكم شيئاً) أى حين اعجبكم كثرة عددكم فقلتم: لن نغلب اليوم من قلة، وكنتم اثني عشر الفا واعدادكم أربعة الاف، فلم تنفعكم الكثرة ولم تدفع عنكم شيئاً.

⁽¹³³⁰⁾صفوة التفسير - للصابوني (352/1)

⁽¹³³¹⁾دلائل النبوة للبيهقي 5/123 وفي إسناده أبو جعفر الرازي تقدم الكلام عنه

⁽¹³³²⁾تفسير البحر المحيط - (18/5)

(وضاقت عليكم الأرض بما رحبت) أى وضافت الأرض على رحبها وكثرة اتساعها بكم من شدة الخوف.
(ثم وليتم مدبرين) أى وليتم على أدياركم منهزمين⁽¹³³³⁾.

(يَا أَيُّهَا الَّذِينَ ءَامَنُوا إِنَّمَا الْمُشْرِكُونَ نَجَسٌ فَلَا يَقْرَبُوا الْمَسْجِدَ الْحَرَامَ بَعْدَ عَامِهِمْ هَذَا وَإِنْ خِفْتُمْ عَيْلَةً فَسَوْفَ يُغْنِيكُمُ اللَّهُ مِنْ فَضْلِهِ إِنْ شَاءَ إِنَّ اللَّهَ عَلِيمٌ حَكِيمٌ ٢٨)

قوله تعالى: (وإن خفتم عيلة) - الآية.

544. [ك] أخرج ابن أبي حاتم عن ابن عباس قال: « كان المشركون يجيئون إلى البيت ويجيئون معهم بالطعام يتجرون فيه، فلما نهوا عن أن يأتوا البيت قال المسلمون: من أين لنا الطعام؟ فأنزل الله: (وإن خفتم عيلة فسوف يغنيكم الله من فضله⁽¹³³⁴⁾) ».

545. وأخرج ابن جرير وأبو الشيخ عن سعيد بن جبيرة قال: «: لما نزلت: (إنما المشركون نجس فلا يقربوا المسجد الحرام بعد عامهم هذا) شق ذلك على المسلمين وقالوا: من يأتينا بالطعام وبالمتاع؟ فأنزل الله: (وإن خفتم عيلة فسوف يغنيكم الله من فضله⁽¹³³⁵⁾) - الآية ».

546. وأخرج مثله عن عكرمة وعطية العوفي والضحاك وقتادة وغيرهم⁽¹³³⁶⁾.

[تعليق]

ذكر المؤلف رحمه الله أثرين في سبب نزول هذه الآية وذكر لهما شواهد عن عكرمة وعطية العوفي والضحاك وقتادة وغيرهم. وهو يقوي سبب النزول وهو خوف المسلمين من انقطاع قوتهم بسبب منع المشركين من البيت، فأرشدهم الله تعالى بأن الغنى من الله لا من غيره والرزق بيد الله وحده يبسطه لمن يشاء وقدره على من يشاء.

وأخرج الإمام الطبراني في مسند الشاميين عن حميد بن عبد الرحمن أن أبا هريرة قال: بعثني أبو بكر فيمن يؤذن يوم النحر بمنى أن لا يحج بعد العام مشرك، ولا يطوف بالبيت عريان وإن يوم الحج الأكبر يوم النحر والحج الأكبر الحج والحج الأصغر العمرة، فنذ أبو بكر إلى الناس في ذلك العام فلم يحج في العام القابل الذي حج فيه رسول الله حجة الوداع مشرك، وأنزل الله عز وجل في العام الذي نذ فيه أبو بكر إلى المشركين (يا أيها الذين آمنوا إنما المشركون نجس فلا يقربوا المسجد الحرام بعد عامهم هذا وإن خفتم عيلة فسوف يغنيكم الله من فضله إن شاء إن الله عليم حكيم) فكان المشركون يوافون بالتجارة فيتفق بها المسلمون فلما حرم الله على المشركين أن يقربوا المسجد الحرام وجد المسلمون في أنفسهم مما قطع عنهم من التجارة التي كان المشركون يوافون بها فأنزل الله (فإن خفتم عيلة فسوف يغنيكم الله من فضله إن شاء) فأحل في الآية الأخرى التي تتبعها الجزية ولم تكن تؤدى قبل ذلك فجعلها عوضاً مما منعهم من موافاة المشركين بتجاراتهم فقال (قاتلوا الذين لا يؤمنون بالله ولا باليوم الآخر ولا يحرمون ما حرم الله ورسوله ولا يدينون دين الحق من الذين أتوا الكتاب حتى يعطوا الجزية عن يد وهم صاغرون) فلما أحق الله ذلك للمسلمين عرفوا أنه قد عاوضهم أفضل مما كانوا وجدوا عليه مما كان المشركون يوافون به من التجارة⁽¹³³⁷⁾.

[تفسير مختصر للآية]

(يا أيها الذين آمنوا إنما المشركون نجس) أى قدر لخبث باطنهم، قال ابن عباس: أعيانهم نجسة كالكلاب والخنازير، وقال الحسن: من صافح مشركاً فليتوضأ، والجمهور على أن هذا على التشبيه أى هم بمنزلة النجس أو كالنجس، لخبث اعتقادهم وكفرهم بالله، جعلوا كأنهم النجاسة بعينها، مبالغة في الوصف على حد قولهم: علي اسد أى كالاسد.

(فلا يقربوا المسجد الحرام بعد عامهم هذا) أى فلا يدخلوا الحرم، أطلق المسجد الحرام وقصد به الحرم كله، قال أبو السعود: وقيل: المراد المنع عن الحج والعمرة أى لا يحجوا ولا يعتمروا بعد حج عامهم هذا، وهو عام تسع من الهجرة ويؤيده حديث (والا يحج بعد هذا العام مشرك) وهو العام الذي نزلت فيه سورة براءة، ونادى بها على في الموسم.

(وإن خفتم عيلة فسوف يغنيكم الله من فضله) أى وإن خفتم أيها المؤمنون فقرا بسبب منعهم من دخول الحرم أو من الحج، فإن الله سبحانه يغنيكم عنهم بطريق آخر من فضله وعطائه⁽¹³³⁸⁾.

(وَقَالَتِ الْيَهُودُ عُزَيْرٌ ابْنُ اللَّهِ وَقَالَتِ النَّصْرِيُّ الْمَسِيحُ ابْنُ اللَّهِ ذَلِكَ قَوْلُهُمْ بِأَفْوَاهِهِمْ يُضَاهُونَ قَوْلَ الَّذِينَ كَفَرُوا مِنْ قَبْلُ قَتَلَهُمُ اللَّهُ أَنَّى يُؤْفَكُونَ ٣٠)

قوله تعالى: (وقالت اليهود) الآية.

547. (ك) أخرج ابن أبي حاتم عن ابن عباس قال: « أتى رسول الله ﷺ سلام بن مشكم ونعمان بن أوفى

⁽¹³³³⁾ صفوة التفسير - للصابوني (354/1)

⁽¹³³⁴⁾ تفسير ابن أبي حاتم 6/1777 وأخرجه ابن جرير 10/107 وسعيد بن منصور في سننه 5/243 ح(1011) عن عكرمة مرسل وإسناده صحيح

⁽¹³³⁵⁾ تفسير ابن جرير 10/107 مرسل وفي إسناده واقد أبو عبد الله قال البخاري في التاريخ الكبير: أتى عليه الثوري وباقي الإسناد ثقافت غير أنه مرسل

⁽¹³³⁶⁾ كلها مراسيل كما ترى فلا داعي لإطالة البحث فيما لا تقوم به الحجة وكلها عند ابن جرير المصدر السابق

⁽¹³³⁷⁾ مسند الشاميين - مفهرس (184/4) المؤلف: سليمان بن أحمد بن أيوب أبو القاسم الطبراني

الناشر: مؤسسة الرسالة - بيروت الطبعة الأولى، 1405 - 1984 تحقيق: حمدي بن عبد المجيد السلفي

⁽¹³³⁸⁾ صفوة التفسير - للصابوني (355/1)

ومحمد بن وجيه وشاس بن قيس ومالك بن الصيف فقال: وكيف نتبعك وقد تركت قبلتنا وأنت لا تزعم أن عزيرا ابن الله؟ فأنزل الله في ذلك: (وقالت اليهود) - (1339) الآية».

[تعليق]

ذكر المؤلف رحمه الله هذا الأثر الوحيد في سبب نزول هذه الآية في قول اليهود عزير ابن الله، وقول النصارى المسيح ابن الله، والتعبير عن بصيغة الجمع رغم أن القائل أفراد منهم لأن الباقي منهم رضوا بهذه المقولة الشنعاء فاستحقوا جميعاً الدم على مقاتلتهم. وقيل بأن كل اليهود (1340)، قالوا هذه القولة. والله تعالى أعلم.

[تفسير مختصر للآية]

(وقالت اليهود عزير ابن الله) أي نسب اللعناء الى الله الولد، فقالوا: ان عزيرا ابن الله! وهو واحد احد فرد صمد، قال البيضاوي: وانما قالوا ذلك لانه لم يبق فيهم بعد بختنصر من يحفظ التوراة، فلما احياه الله بعد مائة عام، أملى عليهم التوراة حفظاً فتعجبوا من ذلك وقالوا: ما هذا الا لانه ابن الله

(وقالت النصارى المسيح ابن الله) أي وزعم النصارى - اعداء الله - ان المسيح ابن الله، قالوا: لان عيسى ولد بدون اب، ولا يتصور ان يكون ولد بدون اب، فلا بد ان يكون ابن الله، قال تعالى ردا عليهم.

(ذلك قولهم بأفواههم) أي ذلك القول الشنيع هو مجرد دعوى باللسان من غير دليل ولا برهان، قال في التسهيل: يتضمن معنيين: احدهما الزامهم هذه المقالة والتأكيد في ذلك، والثاني انهم لا حجة لهم في ذلك، وانما هو مجرد دعوى، كقولك لمن تكذبه: هذا قولك بلسانك.

(يضاهئون قول الذين كفروا من قبل) أي يشابهون بهذا القول الشنيع، قول المشركين قبلهم حيث قالوا: الملائكة بنات الله [تشابهت قلوبهم] في الكفر والضلال.

(قاتلهم الله أنى يؤفكون) دعاء عليهم بالهلاك، أي اهلكهم الله كيف يصرفون عن الحق الى الباطل، بعد وضوح الدليل، حيث جعلوا لله ولداً! قال الرازي: الصيغة للتعجب وهو راجع الى الخلق على عادة العرب في مخاطبتهم، والله تعالى عجب نبيه من تركهم الحق واصرارهم على الباطل (1341).

(إِنَّمَا النَّسِيءُ زِيَادَةٌ فِي الْكُفْرِ يُضَلُّ بِهِ الَّذِينَ كَفَرُوا يُحْلُونَهُ عَامًا يَحْرُمُونَهُ عَامًا لِيُؤْطُوا عِدَّةَ مَا حَرَّمَ اللَّهُ فَيُحْلُوا مَا حَرَّمَ اللَّهُ زِيَادًا لَهُمْ سُوًّا أَعْمَلِهِمْ وَاللَّهُ لَا يَهْدِي الْقَوْمَ الْكَافِرِينَ ٣٧)

قوله تعالى: (إنما النسيء) - الآية.

548. [ك] أخرج ابن جرير عن أبي مالك قال: «كانوا يجعلون السنة ثلاثة عشر شهراً فيجعلون المحرم صفرًا فيستحلون فيه المحرمات، فأنزل الله: (إنما النسيء زيادة في الكفر) (1342)».

[تعليق]

ذكر المؤلف رحمه الله أثراً واحداً في سبب نزول هذه الآية، وهو يدل على ما كان عليه أهل الجاهلية من استحلال الأشهر الحرم، فيؤخرون ويقدمون في الشهور حتى يقاتلوا يحاربوا فيها من شاءوا فأنزل الله عز وجل هذه الآية في فعلهم. وهذا الأثر الذي ذكره المؤلف وإن كان إسناده مرسل فإن له شواهد.

فأخرج الإمام البيهقي عن الإمام الشافعي قال: وأكره أن يقال للمحرم: صفر، ولكن يقال له: المحرم، وإنما كرهت أن يقال للمحرم: صفر من قبل أن أهل الجاهلية كانوا يعدون، فيقولون: صفران للمحرم وصفر، وينسئون فيحجون عاماً في شهر، و عاماً في غيره، ويقولون: إن أخطأنا موضع الحرم في عام، أصبناه في غيره، فأنزل الله تعالى: إنما النسيء زيادة في الكفر الآية وقال رسول الله ﷺ: "إن الزمان قد استدار كهيئته يوم خلق الله السموات والأرض، فلا شهر ينسأ (1343)".

[تفسير مختصر للآية]

(إنما النسيء زيادة في الكفر) أي انما تأخير حرمة شهر لشهر آخر، زيادة في الكفر، لانه تحريم ما أحله الله وتحليل ما حرمه، فهو كفر آخر مضموم الى كفرهم، قال المفسرون: كان العرب اهل حروب وغارات، وكان القتال محرماً عليهم في الأشهر الحرم، فإذا جاء الشهر الحرام وهم محاربون، شق عليهم ترك المحاربة، فيحلونه ويحرمون مكانه شهراً آخر، كانهم يستقرضون حرمة شهر لشهر غيره، فربما أحلوا المحرم وحرموه صفر، حتى يكمل في العام اربعة اشهر محرمة. (يضل به الذين كفروا) أي يضل الله بسببه الكافرين ضلالاً على ضلالهم.

(1339) تفسير ابن أبي حاتم 6/1781 تفسير ابن جرير 10/110 وفي إسناده مجهول وهو محمد بن أبي محمد تقدم

(1340) زاد المسير (3/423)

(1341) صفة التفسير - للصابوني (1/356)

(1342) تفسير الطبري 10/132 وفي إسناده سفيان بن وكيع متكلم فيه مع إرساله.

(1343) السنن الكبرى للبيهقي وفي ذيله الجوهر النقي (5/165)

(يحلونه عاما ويحرمونه عاما) أى يحلون المحرم عاما والشهر الحلال عاما، فيجعلون هذا مكان هذا، والعكس.

(ليواطئوا عدة ما حرم الله) أى ليوافقوا عدة الأشهر الحرم الأربعة.

(فيحلوا ما حرم الله) أى فيستحلوا بذلك ما حرمه الله، قال مجاهد: كان رجل من بني كنانة يأتي كل عام الى الموسم على حمار له، فيقول ايها الناس: اني لا اعاب ولا اجاب، ولا مرد لما أقول، انا قد حرمتنا المحرم، واخرنا صفر، بم يجيء العام المقبل ويقول: إنا قد حرمتنا صفر واخرنا المحرم، فذلك قوله تعالى [ليواطئوا عدة ما حرم الله].

(زين لهم سوء أعمالهم) أى زين الشيطان لهم أعمالهم القبيحة حتى حسبوها حسنة (والله لا يهدي القوم الكافرين) أى لا يرشدهم الى طريق السعادة⁽¹³⁴⁴⁾.

(يَا أَيُّهَا الَّذِينَ ءَامَنُوا مَا لَكُمْ إِذَا قِيلَ لَكُمْ أَنْفِرُوا فِي سَبِيلِ اللَّهِ أَنْتَقَلْتُمْ إِلَى الْأَرْضِ أَرْضَيْتُمْ بِالْحَيَاةِ الدُّنْيَا مِنَ الْأَخِرَةِ فَمَا مَتَّعَ الْحَيَاةِ الدُّنْيَا فِي الْأَخِرَةِ إِلَّا قَلِيلًا ۗ ۝ ٣٨ إِلَّا تَنْفَرُوا يُعَذِّبْكُمْ عَذَابًا أَلِيمًا وَيَسْتَبْدِلَ قَوْمًا غَيْرَكُمْ وَلَا تَضُرُّوهُ شَيْئًا وَاللَّهُ عَلَىٰ كُلِّ شَيْءٍ قَدِيرٌ ۝ ٣٩)

قوله تعالى: (يا ايها الذين آمنوا ما لكم إذا قيل لكم)- الآية.

549. أخرج ابن جرير عن مجاهد في هذه الآية قال: هذا حين أمروا بغزوة تبوك بعد الفتح وحين أمرهم بالنفير في الصيف حين طابت الثمار واشتهوا الظلال وشق عليهم المخرج، فأنزل الله: (انفروا خفافا وثقالا⁽¹³⁴⁵⁾) .»

قوله تعالى: (إلا تنفروا)- الآية.

550. [ك] أخرج ابن أبي حاتم عن جده بن نفيح قال: « سألت ابن عباس عن هذه الآية، فقال: استنفر رسول الله ﷺ حياً من أحياء العرب فتناقلوا عنه فأنزل الله: (إلا تنفروا يعذبكم عذاباً أليماً) فأمسك عنهم المطر فكان عذابهم⁽¹³⁴⁶⁾ .»

[تعليق]

أورد المؤلف رحمه الله أثنين هنا في تخلف بعض أصحاب النبي ﷺ عن غزوة تبوك، وكان ممن تخلف فيها كذلك بعض المنافقين، ولكن نزل العتاب خاص بالمؤمنين لأنهم هم الذين ينتفعون بالمعاقبة ويسؤهم أن يعاتبوا بمعصية الله تعالى. وسياق الآيات متصل بالآية التي بعد هذا (انفروا خفافاً وثقالاً).

والمراد بقوله تعالى (انثاقلتم إلى الأرض) ثلاث معاني.

أحدها: تناقلتم إلى شهوات الدنيا حين أخرجت الأرض ثمرها قاله مجاهد.

والثاني: اطمأنتم إلى الدنيا قاله الضحاك.

والثالث: تناقلتم إلى الإقامة بأرضكم قاله الزجاج⁽¹³⁴⁷⁾.

والأثر الأول ليس فيه مخالفة للأثر الثاني، فالأثر الأول فيه الأمر بالاستنفر عام فيدخل فيه ما ورد أنه استنفر حياً من أحياء العرب لأنهم داخلون في عموم الأثر الأول والله تعالى أعلم.

[تفسير مختصر للآية]

(يا ايها الذين آمنوا ما لكم إذا قيل لكم انفروا في سبيل الله اثاقلتم الى الأرض) استنهام للتقريع والتوبيخ، وهو توبيخ على ترك الجهاد، وعتاب لمن تخلف عن غزوة تبوك، والمعنى: ما لكم ايها المؤمنون اذا قيل لكم اخرجوا لجهاد اعداء الله، تباطأتم وتناقلتم، وملتم الى الدنيا وشهواتها، وكرهتم مشاق السفر ومتاعه؟! .!

(أرضيتم بالحياة الدنيا من الآخرة) أى ارضيتم بنعيم الدنيا ومتاعها الفاني، بدل نعيم الآخرة وثوابها الباقي؟.

(فما متاع الحياة الدنيا في الآخرة الا قليل) أى فما التمتع بلذات الدنيا في جنب الآخرة، إلا شيء مستحق قليل لا قيمة له، ثم توعد على ترك الجهاد فقال:

(إلا تنفروا يعذبكم عذاباً أليماً) أى ان لا تخرجوا الى الجهاد مع رسول الله، يعذبكم الله عذاباً أليماً موجعاً، باستيلاء العدو عليكم في الدنيا، وبالنار المحرقة في الآخرة، وقال ابن عباس: هو حبس المطر عنهم.

(ويستبدل قوماً غيركم) أى يهلككم ويستبدل قوماً آخرين خيراً منكم، يكونون أسرع استجابة لرسوله وأطوع.

(ولا تضروهم شيئاً) أى ولا تضرون الله شيئاً بتناقلكم عن الجهاد، فإنه سبحانه غني عن العالمين.

(والله على كل شيء قدير) أى قادر على كل شيء اراده، ومنه الانتصار على الأعداء بدونكم، قال الرازي: وهو تنبيه على شدة الزجر، من حيث انه تعالى قادر لا يجوز عليه العجز، فاذا توعد بالعقاب فعل⁽¹³⁴⁸⁾.

(أَنْفِرُوا خِفَافًا وَثِقَالًا وَجَاهِدُوا بِأَمْوَالِكُمْ وَأَنْفُسِكُمْ فِي سَبِيلِ اللَّهِ ذَلِكُمْ خَيْرٌ لَّكُمْ إِنْ كُنْتُمْ تَعْلَمُونَ ۝ ٤١)

(1344)صفوة التفسير - للصابوني (1/ 358)

(1345)تفسير الطبري 10/134 مرسل وفي إسناده سنيد تقدم ضعفه.

(1346)تفسير ابن أبي حاتم 6/1797 مستدرک الحاكم 2/114 ح(2504) وقال: صحيح الإسناد ولم يخرجاه، سنن أبي داود مختصراً، قلت: ما قاله الحاكم فيه نظر، فإن الراوي عن ابن عباس وهو نجدة بن نفيح مجهول وقيل بأن ابن حبان ذكره في الثقات، قال الحافظ: ولم أجده في الكتب المسندة في النسخة التي عندي قال الذهبي في الميزان: لا يعرف

(1347) زاد المسير (3/ 437)

(1348)صفوة التفسير - للصابوني (1/ 359)

قوله تعالى: (انفروا خفافاً وثقالاً) - الآية.

551. أخرج ابن جرير عن حزمي: «أنه ذكر له أناساً كانوا عسى أن يكون أحدهم عليلاً أو كبيراً فيقول: إني آثم فأنزل الله: (انفروا خفافاً وثقالاً)⁽¹³⁴⁹⁾».

[تعليق]

أورد المؤلف رحمه الله أثراً واحداً هنا. وقد تقدم في الآية التي قبلها سبب نزول آخر لهذا الآية وهي متعلقة كذلك في السياق بما قبلها.

وقد ورد سبب نزول آخر لهذا الآية، فأخرج ابن أبي حاتم عن السدي قوله: (انفروا خفافاً وثقالاً) يقول: غنياً وفقيراً، وقويًا وضعيفاً فجاءه رجل يومئذ، زعموا أنه المقداد، وكان عظيماً سمياً، فشكا إليه وسأله أن يأذن له، فأبى فنزلت يومئذ (انفروا خفافاً وثقالاً) فلما نزلت هذه الآية اشتد على الناس شأنها فنسخها الله، فقال: (لَيْسَ عَلَى الضَّعَفَاءِ وَلَا عَلَى الْمَرْضَى وَلَا عَلَى الَّذِينَ لَا يَجِدُونَ مَا يَنْفِقُونَ حَرَجٌ إِذَا نَصَحُوا لِلَّهِ وَرَسُولِهِ) [التوبة: 91]⁽¹³⁵⁰⁾.

قلت: في الآية حث المسلمين عن الجهاد في سبيل الله على أي حال في اليسر والعسر والمنشط والمكره لكن نسخ هذا بقوله تعالى (ليس على الأعمى ولا على الأعرج ولا على المريض) فرخص لأصحاب الأعداء في التخلف عن الغزو والله تعالى أعلم.

[تفسير مختصر للآية]

(انفروا خفافاً وثقالاً) أي اخرجوا للقتال يا معشر المؤمنين شبيبا، وشبابا، مشاة وركبانا، في جميع الظروف والاحوال، في اليسر والعسر، والمنشط والمكره.

(وجاهدوا باموالكم وانفسكم في سبيل الله) أي جاهدوا بالاموال والانفس لاعلاء كلمة الله. (ذلكم خير لكم ان كنتم تعلمون) أي هذا النفير والجهاد نصره لدين الله، خير من الثقل الى الأرض والخلود اليها، والرضا بالقليل من متاع الحياة الدنيا، ان كنتم تعلمون ذلك⁽¹³⁵¹⁾.

(عَفَا اللَّهُ عَنْكَ لِمَ أَذْنَتَ لَهُمْ حَتَّى يَتَبَيَّنَ لَكَ الَّذِينَ صَدَقُوا وَتَعْلَمَ الْكٰذِبِينَ ٤٣)

قوله تعالى: (عفا الله عنك) - الآية.

552. أخرج ابن جرير عن عمرو بن ميمون الأودي قال: «اثنان فعلهما رسول الله ﷺ لم يؤمر فيها بشيء، إذنه للمنافقين وأخذة الفداء من الأسارى، فأنزل الله: (عفا الله عنك لم أذنت لهم)⁽¹³⁵²⁾».

[تعليق]

ذكر المؤلف رحمه الله أثراً واحداً في سبب نزول هذه الآية، وهو يدل على أن النبي ﷺ كان له أن يجتهد في أمور الشريعة ما لم ينزل عليه فيا وحي، وهي من مسائل الخلاف التي محلها كتب التشريع. وذكر من هؤلاء الذين أذن لهم رسول الله ﷺ: عبد الله بن أبي، والجد بن قيس، ورفاعة بن التابوت، ومن اتبعهم. فقال بعضهم: ائذن لي ولا تقتني. وقال بعضهم: ائذن لنا في الإقامة، فأذن لهم استبقاءً منه عليهم، وأخذاً بالأسهل من الأمور، وتوكلاً على الله⁽¹³⁵³⁾.

قلت: في الآية تلتف قبل العتاب حيث قال تعالى لنبيه وحبيبه (عفا الله عنك) فقدم العفو على العتاب وهذا دليل على المكانة الرفيعة للنبي ﷺ عند الله تعالى.

[تفسير مختصر للآية]

(عفا الله عنك لم أذنت لهم) تلتف تعالى في عتاب الرسول، حيث قدم العفو على العتاب اكراما له عليه السلام (قال المفسرون: من هذه الآية يعرف الانسان مكانة الرسول ﷺ عند ربه، وعلو قدره، وسمو منزلته، بشره بالعفو قبل أن يخبره بالذنب، ولو قال له معاتباً: لم أذنت لهم؟ لخيف عليه أن ينشق قلبه حزنا وكما. قال عون: هل سمعتم بمعاتبه أحسن من هذا؟ ناداه بالعفو قبل المعاتبه، أقول: وما ذكره الزمخشري سوء أدب في مقام الرسول ﷺ حيث لم يحسن التعبير، ولا أدرك سر الإجلال والإكبار في الآية، والمعنى: سامحك الله يا محمد، لم أذنت لهؤلاء المنافقين، في التخلف عن الخروج معك بمجرد الاعتذار!.

(حتى يتبين لك الذين صدقوا وتعلم الكاذبين) أي هلا تركتهم حتى يظهر لك الصادق منهم في عذره، من الكاذب المنافق، نزلت في المنافقين قال أناس منهم: استأذنا رسول الله، فإن أذن لكم فاقعدوا، وإن لم يأذن لكم فاقعدوا، فقد كانوا مصرين على القعود عن الغزو، وإن لم يأذن لهم، فهم كاذبون في اعتذارهم⁽¹³⁵⁴⁾.

⁽¹³⁴⁹⁾ تفسير ابن جرير 10/139 وفي إسناده حزمي بن لاحق شيخ سليمان التيمي تقدم أنه مجهول مع رساله.

⁽¹³⁵⁰⁾ تفسير ابن أبي حاتم - (6/1804)

⁽¹³⁵¹⁾ صفة التفسير - للصابوني (1/359)

⁽¹³⁵²⁾ تفسير الطبري 10/142 مرسل

⁽¹³⁵³⁾ تفسير البحر المحيط - (5/36)

⁽¹³⁵⁴⁾ صفة التفسير - للصابوني (1/360)

(وَمِنْهُمْ مَّنْ يَقُولُ اُذْنَنِي وَلَا تَفْتِنِّي اَلَا فِي الْفِتْنَةِ سَقَطُوا وَإِنَّ جَهَنَّمَ لَمُحِيطَةٌ بِالْكَافِرِينَ ٤٩)

قوله تعالى: (ومنهم من يقول اذن لي) - الآية.

553. أخرج الطبراني وأبو نعيم وابن مردويه عن ابن عباس قال: « لما أراد النبي ﷺ أن يخرج إلى غزوة تبوك فقال للجد بن قيس: « يا جد بن قيس ما تقول في مجاهدة بني الأصفر؟ ». فقال: يا رسول الله إني امرؤ صاحب نساء ومتى أرى نساء بني الأصفر أفنتن، فأذن لي ولا تفتني فأنزل الله: (ومنهم من يقول اذن لي ولا تفتني) - الآية (1355) ».

554. وأخرج ابن أبي حاتم وابن مردويه من حديث جابر بن عبد الله مثله (1356).

555. وأخرج الطبراني من وجه آخر عن ابن عباس: « أن النبي ﷺ قال: « اغزوا تغموا بنات بني الأصفر ». فقال ناس من المنافقين: إنه ليفتنكم بالنساء، فأنزل الله: (ومنهم من يقول اذن لي ولا تفتني) (1357) ».

[تعليق]

ذكر المؤلف رحمه الله ثلاثة آثار في سبب نزول هذه الآية. فأما الأثر الثاني فهو شاهد للأثر الأول، وهو في الجد بن قيس خاصة ولم يذكره المؤلف.

قال ابن أبي حاتم: عن جابر بن عبد الله قال: سمعت رسول الله - ﷺ - يقول

لجد بن قيس: يا جد هل لك في جلاد بني الأصفر؟ قال جد: أو تاذن لي يا رسول الله؟ فاني احب النساء واني اخشى ان انا رايت نساء بني الاصفر ان افنتن فقال رسول الله - وهو معرض عنه - : قد اذنت لك فعند ذلك انزل الله: (ومنهم من يقول اذن لي ولا تفتني الا في الفتنة سقطوا) (1358).

أما الأثر الثالث: فهو في عموم المنافقين وقولهم بأن محمد ﷺ يفتنكم بنساء بني الأصفر.

ووجه الجمع بين هذا وذلك أن النبي ﷺ دعا المنافقين عامة والجد بن قيس خاصة للخروج، فأما الجد فاعتذر بأنه لا يصبر على حسن نساء بني الأصفر وبنو الأصفر هم نساء الروم يعنى رومانيا وأوروبا، فنزلت الآية في هؤلاء جميعاً مبينة أن سبب امتناعهم هو ما وقعوا في من النفاق والفتنة والله تعالى أعلم.

[تفسير مختصر للآية]

(ومنهم من يقول اذن لي ولا تفتني) أي ومن هؤلاء المنافقين من يقول لك يا محمد اذن لي في القعود، ولا تفتني بسبب الأمر بالخروج.

(ألا في الفتنة سقطوا) أي الا انهم قد سقطوا في عين الفتنة، فيما ارادوا الفرار منه، بل فيما هو اعظم وهي فتنة التخلف عن الجهاد، وظهور كفرهم ونفاقهم، قال ابو السعود: وفي التعبير عن الافتتان بالسقوط في الفتنة، تنزيل لها منزلة المهواة المهلكة، المفصحة عن ترديهم في دركات الردى اسفل سافلين. (وإن جهنم لمحيطة بالكافرين) أي لا مفر لهم منها لانها محيطه بهم من كل جانب، إحاطة السوار بالمعصم، وفيه وعيد شديد (1359).

(إِنْ تُصِيبَكَ حَسَنَةٌ تَسُؤْهُمْ وَإِنْ تُصِيبَكَ مُصِيبَةٌ يَقُولُوا قَدْ أَخَذْنَا أَمْرًا مِنْ قَبْلٍ وَبِتَوَلَّوْا وَهُمْ فَرِحُونَ ٥٠)

قوله تعالى: (إن تصيبك حسنة) - الآية.

556. [ك] أخرج ابن أبي حاتم عن جابر بن عبد الله قال: « جعل المنافقون الذين تخلفوا بالمدينة يخبرون عن النبي ﷺ أخبار السوء يقولون: إن محمداً وأصحابه قد جهدوا في سفرهم وهلكوا، فبلغهم تكذيب حديثهم وعافية النبي ﷺ وأصحابه فساءهم ذلك، فأنزل الله: (إن تصيبك حسنة تسؤهم) - الآية (1360) ».

[تعليق]

ذكر المؤلف رحمه الله أثراً واحداً في سبب نزول هذه الآية وهو يبين ما عليه المنافقين من حزنهم إذا أصاب المسلمين نصر أو فتح، وفرحهم بمصائب المسلمين.

فأنزل الله تعالى الآية فاضحة لهم مبينة ما هو عليه من الحقد والحسد للمسلمين، وهي متصلة بما قبلها في فضح النفاق

وأهله.

(1355) المعجم الكبير 12/122 ح (12654) والضحك لم يلق ابن عباس وفي إسناده بشر بن عماره ضعيف

(1356) تفسير ابن أبي حاتم 6/1809 في إسناده انقطاع.

(1357) المعجم الكبير 11/63 ح (11052) قال: الهيثمي في إسناده أبو شيبه إبراهيم بن عثمان وهو ضعيف قال الحافظ: متروك الحديث

(1358) تفسير ابن أبي حاتم - (6/1809)

(1359) صفوة التفاسير - للصابوني (1/362)

(1360) تفسير ابن أبي حاتم 6/1810 ضيف الإسناد

ولم أجد في سبب نزولها غير ما ذكره المؤلف.

[تفسير مختصر للآية]

(إن تصبك حسنة تسوهم) أي إن تصبك في بعض الغزوات حسنة، سواء كانت ظفراً أو غنيمة، يسوهم ذلك. (وإن تصبك مصيبة يقولوا قد أخذنا أمرنا من قبل) أي وإن تصبك مصيبة من نكبة وشدة، أو هزيمة ومكروه يفرحوا به ويقولوا: قد احتطنا لأنفسنا وأخذنا بالحذر والنيقطة، فلم نخرج لقتال، من قبل أن يحل بنا البلاء. (ويتولوا وهم فرحون) أي وينصرفوا عن مجتمعهم وهم فرحون مسرورون⁽¹³⁶¹⁾.

(قُلْ أَنْفِقُوا طَوْعًا أَوْ كَرْهًا لَنْ يُتَقَبَلَ مِنْكُمْ إِنْ كُنْتُمْ قَوْمًا فَاسِقِينَ ٥٣)

قوله تعالى: (قل أنفقوا) - الآية.

557. أخرج ابن جرير عن ابن عباس قال: «قال الجد بن قيس إنني إذا رأيت النساء لم أصبر حتى أفتتن ولكن أعينك بمالي، قال: ففيه نزلت: (أنفقوا طوعاً أو كرهاً لن يتقبل منكم) قال لقوله: أعينك بمالي⁽¹³⁶²⁾».

[تعليق]

ذكر المؤلف رحمه الله أثراً واحداً في سبب نزول هذه الآية وهو يدل على أن المنافقين لا تنفعهم نفقتهم وإن أنفقوا كلها زعماً منهم أنها في سبيل الله. وهذه الآية على فرض صحة سبب نزولها إلا أن معناها عام في كل من كان أنفق نفقة مع عدم الإيمان فحكمها الرد وعدم القبول.

[تفسير مختصر للآية]

(قل أنفقوا طوعاً أو كرهاً لن يتقبل منكم) أي قل لهم أنفقوا يا معشر المنافقين طائعين أو مكرهين، فمهما أنفقتم الأموال فلن يتقبل الله منكم، قال الطبري: وهو أمر معناه الخير كقوله [استغفر لهم أو لا تستغفر لهم] والمعنى لن يتقبل منكم سواء أنفقتم طوعاً أو كرهاً. (إنكم كنتم قوماً فاسقين) تعليل لرد إنفاقهم أي لأنكم كنتم عتاة متمردين خارجين عن طاعة الله⁽¹³⁶³⁾.

(وَمِنْهُمْ مَّن يَلْمِزُكَ فِي الصَّدَقَاتِ فَإِنْ أُعْطُوا مِنْهَا رَضُوا وَإِنْ لَمْ يُعْطَوْا مِنْهَا إِذَا هُمْ يَسْخَطُونَ ٥٨)

قوله تعالى: (ومنهم من يلمزك) - الآية.

558. روى البخاري عن أبي سعيد الخدري قال: «بينما رسول الله ﷺ يقسم قسماً إذ جاءه ذو الخويصرة فقال: اعدل فقال: «ويلك من يعدل إذا لم أعدل». فنزلت: (ومنهم من يلمزك في الصدقات) - الآية⁽¹³⁶⁴⁾».

559. وأخرج ابن أبي حاتم عن جابر نحوه⁽¹³⁶⁵⁾.

[تعليق]

ذكر المؤلف أثرين في سبب نزول هذه الآية ولم يذكر الثاني منهما وهو عند ابن أبي حاتم لم يسم فيه الرجل الذي جاء إلى النبي ﷺ. قال ابن أبي حاتم: عن جابر قال: جاء أعرابي الي النبي ﷺ وهو يقسم فسأله فاعرض عنه فجعل يقسم فقال بعض رعاة الشاة: والله ما عدلت قال: ويحك من يعدل إذا لم أعدل؟ فأنزل - الله تعالى - (إنما الصدقات للفقراء والمساكين) الي اخر الآية⁽¹³⁶⁶⁾».

وذو الخويصرة التميمي قال الحافظ: ذو الخويصرة التميمي واسمه نافع أخرجه بن أبي شيبه في آخر كتابه وقيل حرقوص وقيل ثرملة وقيل غير ذلك⁽¹³⁶⁷⁾.

قلت: قد جاء في سبب نزول هذه الآية كذلك ما ذكره الإمام ابن الجوزي: أنه ثعلبة بن حاطب كان يقول: إنما يعطي

⁽¹³⁶¹⁾صفوة التفسير - للصابوني (1/ 362)

⁽¹³⁶²⁾تفسير الطبري 148/152/10 وإسناده ضعيف

⁽¹³⁶³⁾صفوة التفسير - للصابوني (1/ 363)

⁽¹³⁶⁴⁾تفسير الطبري 157/10 صحيح البخاري 6/2540 ح(6534) مسند أحمد 3/56 ح(11554) السنة لعبد الله بن أحمد 2/646 ح(1550) المؤلف: أبو عبد الرحمن عبد الله بن أحمد بن محمد بن حنبل الشيباني البغدادي (المتوفى: 290هـ) المحقق: د. محمد بن سعيد بن سالم القحطاني الناشر: دار ابن القيم - الدمام الطبعة: الأولى، 1406 هـ - 1986 م

عدد الأجزاء: 2 سنن النسائي الكبرى 5/159 ح(8560) وسياقه أطول مما ذكر المؤلف

⁽¹³⁶⁵⁾تفسير ابن أبي حاتم 6/1817 وفي إسناده قيس بن الربيع تغير بآخره وباقي إسناده ثقات

⁽¹³⁶⁶⁾تفسير ابن أبي حاتم - (6/ 1817)

⁽¹³⁶⁷⁾فتح الباري ابن حجر (1/ 299) المؤلف: أحمد بن علي بن حجر أبو الفضل العسقلاني الشافعي الناشر: دار المعرفة بيروت، 1379

وكذلك ورد فيها ما أخرجه الإمام ابن أبي حاتم عن عبد الرحمن بن زيد بن اسلم يقول في قول الله: (ومنهم من يلمزك في الصدقات فإن اعطوا منها رضوا وان لم يعطوا منها إذا هم يسخطون) قال: هؤلاء المنافقون قالوا: والله ما يعطيها محمد الا من احب ولا يؤثر بها الا هواه فاخبر - الله تعالى - نبيه - □ - واخبارهم انما جاءت من الله وهذا امر من الله ليس من محمد - □¹³⁶⁹.

قلت لفظ الآية عام فيشمل المنافقين ومنهم من ذكر في سبب نزول هذه الآية والله تعالى أعلم.

[تفسير مختصر للآية]

(ومنهم من يلمزك في الصدقات) أى ومنهم من يعيبك يا محمد في قسمة الصدقات .
(فإن اعطوا منها رضوا) أى فإن اعطيتهم من تلك الصدقات استحسنا فعلك .
(وان لم يعطوا منها إذا هم يسخطون) أى وإن لم تعطهم منها ما يرضيهم،سخطوا عليك وعابوك¹³⁷⁰.

(وَمَنْهُمْ الَّذِينَ يُؤْذُونَ النَّبِيَّ وَيَقُولُونَ هُوَ أَدْنَىٰ قُلٍّ أَدْنَىٰ خَيْرٍ لَّكُمْ بِإِثْمِ اللَّهِ وَيُؤْمِنُ لِلْمُؤْمِنِينَ وَرَحْمَةٌ لِلَّذِينَ ءَامَنُوا مِنْكُمْ وَالَّذِينَ يُؤْذُونَ رَسُولَ اللَّهِ لَهُمْ عَذَابٌ أَلِيمٌ (٦١))

قوله تعالى: (ومنهم الذين يؤذون النبي) - الآية.

560. أخرج ابن أبي حاتم عن ابن عباس قال: « كان نبتل بن الحارث يأتي رسول الله □ فيجلس إليه فيسمع منه وينقل حديثه إلى المنافقين،فأنزل الله: (ومنهم الذين يؤذون النبي) - الآية⁽¹³⁷¹⁾».

[تعليق]

ذكر المؤلف رحمه الله أثراً واحداً في سبب نزول هذه الآية،وهو يوضح جانباً من إيذاء المنافقين للنبي □ بقولهم هو أذن: يعنى يقبل كل ما قيل.

وقد ذكر أهل التفسير سببين آخرين وإن كانا يدوران حول نفس المعنى الذي في الأثر الذي ذكره المؤلف .
قال الإمام الواحدي: نزلت في جماعة من المنافقين كانوا يؤذون الرسول ويقولون ما لا ينبغي، قال بعضهم: لا تفعلوا فإننا نخاف أن يبلغه ما تقولون فيقع بنا فقال الجلاس بن سويد نقول ما شئنا ثم نأتيه فيصدقنا بما نقول، فإنما محمد أذن سامعة، فأنزل الله تعالى هذه الآية¹³⁷².

وأخرج ابن أبي حاتم عن السدى قوله: (ومنهم الذين يؤذون النبي ويقولون هو أذن قل أذن خير لكم يؤمن بالله ويؤمن للمؤمنين ورحمة للذين آمنوا منكم)،قال: اجتمع ناس من المنافقين فيهم: جلاس بن سويد بن صامت ومخشى بن حمير ووديعة بن ثابت فارادوا ان يقعوا في النبي - □ - فنهى بعضهم بعضاً وقالوا: إنا نخاف ان يبلغ محمداً فيقع بكم،فقال بعضهم: إنما محمد أذن نحلف له فيصدقنا وعندهم غلام من الانصار يدعى عامر بن قيس فحقوقه فتكلموا وقالوا: لئن كان ما يقول محمد حقاً لنحن شر من الحمير،فسمعها الغلام فغضب وقال: والله إن محمداً لصادق،وانكم لشر من الحمير ثم ذهب فيلغها النبي - □ - فدعاهم،فحلفوا بالله إن عامراً لكاذب،وحلف عامر انهم لكذبة،فصدقهم النبي - □ - فقال عامر: اللهم لا تفرق بيننا حتى تبين صدق الصادق من كذب الكاذب،وقد كان مخشى بن حمير قال في ذلك المجلس: ويحكم يا معشر المنافقين والله اني لارى أنا شر خلق الله وخليقته والله لو ددت أني قدمت فجلدت مائة جلدة وإنه لا ينزل فينا شيء يفضحنا فعند ذلك قالوا: والله ان كان محمد صادقاً وقالوا: (هو اذن قل اذن خير لكم قوله تعالى: ويقولون هو اذن)¹³⁷³.

قلت: فهذه ثلاث أسباب في سبب نزول هذه الآية وكلها متحدة المعنى في أن نزولها في بعض المنافقين الذين كانوا يؤذون رسول الله □ بالقول كما كانوا يؤذونه بالفعل،فأنزل الله فضيحتهم في قرآن ينلئ إلى يوم الدين عافانا الله من النفاق.

[تفسير مختصر للآية]

(ومنهم الذين يؤذون النبي) أى ومن المنافقين أناس يؤذون الرسول باقوالهم وافعالهم (ويقولون هو أذن) أى يصدق بكل خير يسمعه .
(قل أذن خير لكم) أى هو أذن خير لا أذن شر،يسمع الخير فيعمل به،ولا يعمل بالشر اذا سمعه .
(يؤمن بالله ويؤمن للمؤمنين) أى يصدق الله فيما يقول،ويصدق المؤمنين فيما يخبرونه به،لعلمه إخلاصهم .
(ورحمة للذين آمنوا منكم) أى وهو رحمة للمؤمنين،لأنه كان سبب إيمانهم
(والذين يؤذون رسول الله لهم عذاب أليم) أى والذين يعيبون الرسول ويقولون ما لا يليق بجنابه الشريف،لهم عذاب موجه في الآخرة¹³⁷⁴.

(1368) زاد المسير (3/ 454)

(1369) تفسير ابن أبي حاتم - (6/ 1817)

(1370) صفوة التفسير - للصابوني (1/ 363)

(1371) تفسير ابن أبي حاتم (6/ 1826) ضعيف

(1372) أسباب النزول للواحدي (168) من غير إسناد

(1373) تفسير ابن أبي حاتم - (6/ 1826)

(1374) صفوة التفسير - للصابوني (1/ 365)

(وَلئن سَأَلْتَهُمْ لَيَقُولُنَّ إِنَّمَا كُنَّا نَخُوضُ وَنَلْعَبُ قُلْ أَبِاللَّهِ وَآيَاتِهِ وَرَسُولِهِ كُنْتُمْ تَسْتَهْزِءُونَ ٦٥)

قوله تعالى: (ولئن سألتهم ليقولن إنما كنا نخوض ونلعب) - الآيات.

561. أخرج ابن أبي حاتم عن ابن عمر قال: « قال رجل في غزوة تبوك في مجلس يوماً: ما رأينا مثل قرآننا هؤلاء لا أَرغب بطونا ولا أكذب ألسنة ولا أجبن عند اللقاء منهم، فقال له رجل: كذبت ولكنك منافق لأخبرن رسول الله ﷺ، فبلغ ذلك رسول الله ﷺ، فنزل القرآن قال ابن عمر: فأنا رأيت متعلقاً بحقب ناقة رسول الله ﷺ والحجارة تنكبه وهو يقول: يا رسول الله إنما كنا نخوض ونلعب ورسول الله ﷺ يقول: () أبالله وآياته ورسوله كنتم تستهزؤون (1375) ».

562. ثم أخرج من وجه آخر عن ابن عمر نحوه (1376). وسمى هذا الرجل عبد الله بن أبي.

563. (ك) وأخرج عن كعب بن مالك: « قال مخشي بن حمير: لوددت أني أقاضي على أن يضرب كل رجل منكم مائة مائة على أن تنجو من أن ينزل فينا قرآن، فبلغ النبي ﷺ، فجاءوا يعتذرون، فأنزل الله: (لا تعتذروا) - الآية فكان الذي عفا الله عنه مخشي بن حمير فتسمى عبد الرحمن وسأل الله أن يقتل شهيداً لا يعلم بمقتله فقتل يوم اليمامة لا يعلم مقتله ولا من قتله (1377) ».

564. وأخرج ابن جرير عن قتادة: « أن ناساً من المنافقين قالوا في غزوة تبوك: يرجو هذا الرجل أن يفتح قصور الشام وحصونها هيهات، فأطلع الله نبيه ﷺ على ذلك، فاتاهم فقال: « قتلتم كذا وكذا؟ ». (قالوا إنما كنا نخوض ونلعب)، فنزلت (1378) ».

[تعليق]

ذكر المؤلف رحمه الله أربعة آثار في سبب نزول هذه الآية، وهي تشتمل على ثلاثة أسباب للنزول، وهي وإن كانت متلفة الأشخاص غير أن معناها متحد، وهي تمثل جانب من جوانب إيذاء المنافقين للنبي ﷺ وأصحابه بالقول والفعل كما سيأتي في باقي أسباب النزول المتعلقة بهذه الآية.

ذكر الإمام ابن الجوزي أن جَدَّ بَن قيس، ووديعه بن خدام، والجُهَيْر بن خُمير، كانوا يسرون بين يدي رسول الله ﷺ مرجعه من تبوك، فجعل رجالان منهم يستهزآن برسول الله ﷺ " والثالث يضحك مما يقولان ولا يتكلم بشيء، فنزل جبريل فأخبره بما يستهزؤون به ويضحكون؛ فقال لعمار بن ياسر: " اذهب فسلهم عما كانوا يضحكون منه، وقل لهم: أحرقكم الله " فلما سألهم، وقال: أحرقكم الله؛ علموا أنه قد نزل فيهم قرآن، فأقبلوا يعتذرون إلى رسول الله ﷺ، وقال الجُهَيْر: والله ما تكلمت بشيء، وإنما ضحكت تعجباً من قولهم، فنزل قوله: (لا تعتذروا) يعني جَدَّ بَن قيس، ووديعه (إن يُعَفَّ عن طائفة منكم) يعني: الجهيري (نَعَدَبُ طائفة) يعني: الجَدَّ ووديعه، هذا قول أبي صالح عن ابن عباس (1379).

كما ذكر الإمام ابن الجوزي أن قوماً من المنافقين كانوا يسرون مع رسول الله ﷺ، فقالوا: إن كان ما يقول هذا حقاً، لنحن شرُّ من الحمير، فأعلم الله نبيه ما قالوا، ونزلت: (ولئن سألتهم) قاله سعيد بن جبير (1380).

وأخرج الإمام الطبري وابن أبي حاتم عن مجاهد: (إنما كنا نخوض ونلعب)، قال: قال رجل من المنافقين: " يحدثنا محمد أن ناقة فلان بوادي كذا وكذا، في يوم كذا وكذا! وما يدريه ما الغيب؟ " (1381).

وأخرج الإمام الثعلبي: قال الضحاك: « نزلت في عبد الله بن أبي ورهطه كانوا يقولون في رسول الله صلى الله عليه وسلم وأصحابه ما لا ينبغي، فإذا بلغ رسول الله صلى الله عليه وسلم ذلك قالوا: إِنَّمَا كُنَّا نَخُوضُ وَنَلْعَبُ قال الله عز وجل: (قُلْ أَبِاللَّهِ وَآيَاتِهِ وَرَسُولِهِ كُنْتُمْ تَسْتَهْزِءُونَ) (1382) ».

قلت: هذه ستة أسباب لنزول هذه الآية وهي وإن كانت مختلفة الأشخاص غير أن عموم الآية يشملهم ويشمل غيرهم، فهذه أنواع من الأذى الذي كانوا يؤذونه لرسول الله ﷺ وأصحابه، فنزلت الآية تبين كفرهم وفجورهم، وفضحهم في كتابه بما فعلوا من الجرم والإثم عافانا الله.

[تفسير مختصر للآية]

(ولئن سألتهم ليقولن إنما كنا نخوض ونلعب) أي ولئن سألت يا محمد هؤلاء المنافقين، عما قالوا من الباطل والكذب، في حَقِّ وفي حق الإسلام، ليقولن لك: ما كنا جادين، وإنما كنا نمزح ونلعب، للترويح عن النفس، (قل ابالله وآياته ورسوله كنتم تستهزؤون) أي قل لهؤلاء المنافقين: أستهزئون بدين الله وشرعه، وكتابه ورسوله؟ والاستهزاء للتوبيخ، ثم كشف تعالى أمرهم وفضح حالهم فقال

(1375) تفسير ابن أبي حاتم 6/1829 تفسير الطبري 10/172 وفي إسناده زيد بن أسلم لم يسمع من ابن عمر سوى حديثين وكان يدلس

(1376) تفسير ابن أبي حاتم 6/1830 في إسناده إسماعيل بن داود بن مخراق المخراقي اتهم بسرقة الحديث وهو شديد الضعف

(1377) تفسير ابن أبي حاتم 6/1831 صحيح الإسناد

(1378) تفسير الطبري 10/172 مرسل صحيح الإسناد

(1379) زاد المسير (3/464)

(1380) زاد المسير (3/465)

(1381) جامع البيان (تفسير الطبري) (14/335)

(1382) الكشف والبيان عن تفسير القرآن (5/65)

(لا تعتذروا قد كفرتم بعد إيمانكم) أى لا تعتذروا بتلك الأيمان الكاذبة فإنها لا تنفعكم بعد ظهور أمركم، فقد أظهرتم الكفر بايذاء الرسول بعد اظهاركم الايمان
(إن نعت عن طائفة منكم) أى ان نعت عن فريق منكم لتوبتهم وإخلاصهم
(نعت طائفة بأنهم كانوا مجرمين) أى نعتب فريقاً آخر لأنهم اصرروا على النفاق والاجرام⁽¹³⁸³⁾.

(يَحْلِفُونَ بِاللَّهِ مَا قَالُوا وَلَقَدْ قَالُوا كَلِمَةَ الْكُفْرِ وَكَفَرُوا بَعْدَ إِسْلَامِهِمْ وَهَمُّوا بِمَا لَمْ يَنَالُوا وَمَا نَقَمُوا إِلَّا أَنْ أَغْنَاهُمُ اللَّهُ وَرَسُولُهُ مِنْ فَضْلِهِ فَإِنْ يَتُوبُوا يَكُ خَيْرًا لَهُمْ وَإِنْ يَتَوَلَّوْا يُعَذِّبُهُمُ اللَّهُ عَذَابًا أَلِيمًا فِي الدُّنْيَا وَالْآخِرَةِ وَمَا لَهُمْ فِي الْأَرْضِ مِنْ وَلِيٍّ وَلَا نَصِيرٍ ٧٤)

قوله تعالى: (يحلِفون بالله ما قالوا) - الآية.

565. [ك] أخرج ابن أبي حاتم عن ابن عباس قال: « كان الجلاس بن سويد بن الصامت ممن تخلف عن رسول الله ﷺ في غزوة تبوك وقال: لئن كان هذا الرجل صادقاً لنحن شر من الحمير، فرجع عمير بن سعيد ذلك إلى رسول الله ﷺ، فحلف بالله ما قلت فأنزل الله: (يحلِفون بالله ما قالوا) - الآية فزعموا أنه تاب وحسنت توبته⁽¹³⁸⁴⁾ ».

566. [ك] ثم أخرج عن كعب بن مالك نحوه⁽¹³⁸⁵⁾.

567. وأخرج ابن سعد في الطبقات نحوه عن عروة⁽¹³⁸⁶⁾.

568. [ك] وأخرج ابن أبي حاتم عن أنس بن مالك قال: « سمع زيد بن أرقم رجلاً من المنافقين يقول - والنبي صلى الله عليه وسلم يخطب -: إن كان هذا صادقاً لنحن شر من الحمير، فرجع ذلك إلى النبي ﷺ، فجدد القائل، فأنزل الله: (يحلِفون بالله ما قالوا) - الآية⁽¹³⁸⁷⁾ ».

569. وأخرج ابن جرير عن ابن عباس قال: « كان رسول الله ﷺ جالساً في ظل شجرة فقال: « إنه سيأتيكم إنسان ينظر بعيني شيطان ». فطلع رجل أزرق، فدعاه رسول الله ﷺ فقال: « علام تشتمني أنت وأصحابك؟ » فانطلق الرجل فجاء بأصحابه فحلفوا بالله ما قالوا حتى تجاوز عنهم، فأنزل الله تعالى: (يحلِفون بالله ما قالوا) - الآية⁽¹³⁸⁸⁾ ».

570. وأخرج عن قتادة قال: « إن رجلين اقتتلا أحدهما من جهينة والآخر من غفار، وكانت جهينة حلفاء الأنصار، وظهر الغفاري على الجهني فقال: عبد الله بن أبي لأوس انصروا أخاكم فوالله ما مثلنا ومثل محمد إلا كما قال القائل: سمن كلبك يأكلك لئن رجعنا إلى المدينة ليخرجن الأعرز منها الأذل، فسعى رجل من المسلمين إلى رسول الله ﷺ فأرسل إليه فسأله فجعل يحلف بالله ما قال، فأنزل الله تعالى: (يحلِفون بالله ما قالوا) - الآية⁽¹³⁸⁹⁾ ».

571. وأخرج الطبراني عن ابن عباس قال: « هم رجل يقال له الأسود بقتل النبي ﷺ فنزلت: (وهما بما لم ينالوا)⁽¹³⁹⁰⁾ ».

572. وأخرج ابن جرير وأبو الشيخ عن عكرمة: « أن مولى بني عدي بن كعب قتل رجلاً من الأنصار، ففضى النبي ﷺ بالدية اثني عشر ألفاً، وفيه نزلت: (وما نقموا إلا أن أغناهم الله ورسوله من فضله)⁽¹³⁹¹⁾ ».

[تعليق]

ذكر المؤلف رحمه الله عده آثار في سبب نزول هذه الآية، وهي تشتمل على عدة من أسباب النزول وبعضها متعلق بقوله تعالى (يحلِفون بالله ما قالوا) وقبل الأخير منها متعلق بقوله تعالى (وهما بما لم ينالوا) والآخر منها متعلق بقوله تعالى (وما نقموا إلا أن أغناهم الله ورسوله من فضله).

وقد ذكر في المقطع الأول عدة أربعة أسباب للنزول وفيها سبب خامس أخرجه الإمام الطبري قال: عن قتادة قوله: (يحلِفون بالله ما قالوا)، إلى قوله: (من ولي ولا نصير)، قال: ذكر لنا أن رجلين اقتتلا أحدهما من جهينة، والآخر من غفار،

⁽¹³⁸³⁾ صفوة التفسير - للصابوني (1/366)

⁽¹³⁸⁴⁾ تفسير ابن أبي حاتم 6/1843 ضعيف الإسناد

⁽¹³⁸⁵⁾ تفسير ابن أبي حاتم 6/1843 إسناده صحيح

⁽¹³⁸⁶⁾ تفسير ابن جرير 10/185 مرسل

⁽¹³⁸⁷⁾ تفسير ابن أبي حاتم 6/1842 إسناده جيد.

⁽¹³⁸⁸⁾ تفسير ابن جرير 10/185 مستدرک الحاكم 2/524 ح(3795) وقال صحيح علي شرط مسلم الأحاديث المختارة 10/179 مسند أحمد 1/350 ح(3277) المعجم الكبير

12/7 ح(12307) قال الإمام أحمد: ثنا أبو أحمد ويحيى بن أبي بكير قالنا ثنا إسرائيل عن سماك عن سعيد بن جبيرة عن ابن عباس - به

⁽¹³⁸⁹⁾ تفسير الطبري 10/186 مرسل صحيح الإسناد

⁽¹³⁹⁰⁾ المعجم الأوسط 2/211 ح(1759) وفي إسناده عطاء بن السائب مختلط وتفرد عنه شريك وليس هو ممن روى عنه قبل الاختلاط.

⁽¹³⁹¹⁾ تفسير الطبري 10/187 مرسل

وكانت جهينة حلفاء، الأنصار، وظهر الغفاري على الجهني، فقال عبد الله بن أبي لأوس: انصروا أحاكم، فوالله ما مثلنا ومثل محمد إلا كما قال القائل: "سَمَنَ كَلْبِكَ يَأْكُلُكَ"، وقال: (لِنُنْ رَجَعْنَا إِلَى الْمَدِينَةِ لِيُخْرِجَنَّ الْأَعَزُّ مِنْهَا الْأَذَلَّ) [سورة المنافقون: 8]، فسعى بها رجل من المسلمين إلى نبي الله ﷺ، فأرسل إليه فسأله، فجعل يحلف بالله ما قال ه، فأنزل الله تبارك وتعالى: (يحلِفون بالله ما قالوا ولقد قالوا كلمة الكفر)⁽¹³⁹²⁾.

وكذلك ورد فيها سبب سادس ذكره الإمام ابن الجوزي قال: «أن المنافقين كانوا إذا خلَّوْا، سبُّوا رسول الله ﷺ وأصحابه، وطعنوا في الدين؛ فنقل حذيفة إلى رسول الله ﷺ بعض ذلك، فحلفوا ما قالوا شيئاً، فنزلت هذه الآية، قاله الضحاك فأما كلمة الكفر، فهي سبُّهم رسول الله ﷺ، وطعنهم في الدين⁽¹³⁹³⁾».

أما قوله تعالى (وهو ما لم ينالوا) فقد ورد كذلك فيها عدة أسباب غير ما ذكره المؤلف.

فأخرج الإمام الثعلبي قال السدي: قالوا إذا قدمنا المدينة عقدنا على رأس عبد الله بن أبي تاجاً يباهي به رسول الله صلى الله عليه وسلم فلم ينالوا ما هموا به⁽¹³⁹⁴⁾.

كما أخرج الثعلبي قال قتادة: ذكر لنا أن رجلين اقتتلا: رجلاً من جهينة، ورجلاً من غفار، وكانت جهينة حلفاء الأنصار، وظفر الغفاري على الجهني، فنأدى عبد الله بن أبي: أيها الأوس انصروا أحاكم فوالله ما مثلنا ومثل محمد إلا كما قال القائل: سَمَنَ كَلْبِكَ يَأْكُلُكَ.

ثم قال: (لِنُنْ رَجَعْنَا إِلَى الْمَدِينَةِ لِيُخْرِجَنَّ الْأَعَزُّ مِنْهَا الْأَذَلَّ)، فسعى بها رجل من المسلمين إلى رسول الله صلى الله عليه وسلم فأرسل صلى الله عليه وسلم إليه، فجعل يحلف بالله ما قال، فأنزل الله عز وجل: (يحلِفون بالله ما قالوا ولقد قالوا كلمة الكفر وكفروا بعد إسلامهم)⁽¹³⁹⁵⁾.

وكذلك أخرج الكلبى: هم خمسة عشر رجلاً منهم عبد الله بن أبي، وعبد الله بن سعد بن أبي سرح، وطعمة بن أبيرق والجلال بن سويد وعامر بن النعمان وأبو الأحوص، هموا بقتل النبي صلى الله عليه وسلم في غزوة تبوك فأخبر جبرائيل بذلك رسول الله صلى الله عليه وسلم، وقيل: إنهم من قریش هموا في قتل النبي صلى الله عليه وسلم فمنعه الله عز وجل⁽¹³⁹⁶⁾.

قلت: فهذه عدة أسباب في نزول هذه الآية وسوء وقد ضعف العلماء القول بأنها نزلت في عبد الله بن أبي بن سلول لأنه لم يشهد تبوك والقول بعموم الآية هنا أولى ليشمل كل ما ذكر فيها والله تعالى أعلم.

[تفسير مختصر للآية]

(يحلِفون بالله ما قالوا) أى يحلف المنافقون أنهم ما قالوا الذي بلغك عنهم من السب.

(ولقد قالوا كلمة الكفر) هي قول ابن سلول (لئن رجعنا إلى المدينة ليخرجن الأعز منها الأذل).

(وكفروا بعد إسلامهم) أى اظهروا الكفر بعد اظهار الاسلام.

(وهو ما لم ينالوا) قال ابن كثير: هم نفر من المنافقين هموا بالفتك بالنبي ﷺ عند عودته من تبوك وكانوا بضعة عشر رجلاً.

(وما نعموا إلا أن اغناهم الله ورسوله من فضله) أى ما عابوا على الرسول وما له عندهم من ذنب، إلا ان الله اغناهم ببركته، ويمن

سعادته، وهذه الصيغة تقال حيث لا ذنب.. ثم دعاهم تبارك وتعالى إلى التوبة فقال

(فإن يتوبوا يك خيراً لهم) أى فإن يتوبوا عن النفاق، يكن رجوعهم وتوبتهم خيراً لهم وافضل

(وإن يتولوا) أى يعرضوا ويصروا على النفاق

(يعذبهم الله عذاباً أليماً) أى يعذبهم عذاباً شديداً

(في الدنيا والآخرة) أى في الدنيا بالقتل والأسر، وفي الآخرة بالنار وسخط الجبار

(وما لهم في الأرض من ولى ولا نصير) أى ليس لهم من ينقذهم من العذاب، أو يشفع لهم فيخلصهم وينجيهم يوم الحساب⁽¹³⁹⁷⁾.

(وَمِنْهُمْ مَّنْ عٰهَدَ اللّٰهَ لَئِنۡ ءَاتٰنَا مِنْ فَضْلِهٖ لَنَصَّدَّقَنَّ وَلَنَكُوْنَنَّ مِنَ الصّٰلِحِيْنَ ۙ)

قوله تعالى: (ومنهم من عاهد الله - الآية).

573. أخرج الطبراني وابن مردويه وابن أبي حاتم والبيهقي في الدلائل بسند ضعيف عن أبي أمامة: «أن

ثعلبة بن حاطب قال: يا رسول الله ادع الله أن يرزقني مالا، قال: «ويحك يا ثعلبة قليل تؤدي شكره خير

من كثير لا تطيقه». قال: والله لئن أتاني الله مالا لأوتين كل ذي حق حقه، فدعا له فاتخذ غنماً فنمت

حتى ضاقت عليه أزقة المدينة فتحنى بها وكان يشهد الصلاة ثم يخرج إليها، ثم نمت حتى تعذرت عليه

مراعي المدينة فتحنى بها فكان يشهد الجمعة ثم يخرج إليها، ثم نمت فتحنى بها فترك الجمعة

والجماعات، ثم أنزل الله على رسوله: (خذ من أموالهم صدقة تطهرهم وتزكّيهم بها) فاستعمل على

الصدقات رجلين وكتب لهما كتاباً، فأتيا ثعلبة فقرأه كتاب رسول الله ﷺ فقال: انطلقا إلى الناس فإذا

فرغتم فمروا بي، ففعلا فقال: ما هذه إلا أخت الجزية فانطلقا، فأنزل الله: (ومنهم من عاهد الله لئن أتانا

(1392) جامع البيان (تفسير الطبري) (14/ 364)

(1393) زاد المسير (3/ 471)

(1394) الكشف والبيان عن تفسير القرآن (5/ 70)

(1395) الكشف والبيان عن تفسير القرآن (5/ 70)

(1396) الكشف والبيان عن تفسير القرآن (5/ 70)

(1397) صفوة التفسير - للصابوني (1/ 367)

من فضله) - إلى قوله: (يكذبون) (1398) «. الحديث
574. وأخرج ابن جرير وابن مردويه من طريق العوفي عن ابن عباس نحوه (1399).

[تعليق]

ذكر المؤلف رحمه الله أثرين في سبب نزول هذه الآية وهذا السبب، وإن كان مشهوراً أنها نزلت في ثعلبة بن حاطب فلا يكاد كتاب من كتب التفسير إلا ويذكر هذا السبب عند هذه الآية، لكن سياق الآيات في المنافقين وثعلبة بن حاطب صحابي جليل شهد بدرًا.

قال الحافظ ابن حجر: وفي كون صاحب هذه القصة - إن صح الخبر ولا أظنه يصح - هو البدري المذكور قبله نظر، وقد تأكدت المغايرة بينهما بقول ابن الكلبي إن البدري استشهد بأحد. ويقوي ذلك أيضا أن ابن مردويه روى في تفسيره من طريق عطية بن عباس في الآية المذكورة قال: وذلك أن رجلا يقال له: ثعلبة بن أبي حاطب من الأنصار أتى مجلساً فأشهدهم فقال لئن آتانا من فضله الآية فذكر القصة بطولها. فقال إنه ثعلبة بن أبي حاطب والبدري اتفق على أنه ثعلبة بن حاطب. وقد ثبت أنه صلى الله عليه وسلم قال: لا يدخل النار أحد شهد بدرًا والحديبية وحكى عن ربه أنه قال لأهل بدر: اعملوا ما شئتم فقد غفرت لكم فمن يكون بهذه المثابة كيف يعقبه الله نفاقاً في قلبه وينزل فيه ما نزل فالظاهر أنه غيره والله أعلم (1400).

قلت: وقد ألفت بعض أهل العلم المعاصرين كتباً في رد هذه القصة والذب عن الصحابي الجليل ثعلبة بن حاطب. كما ألفت الشيخ سليم الهلالي كتابه "الشهاب الثاقب في الذب عن الصحابي الجليل ثعلبة بن حاطب". وقد ورد في سبب نزول هذه الآية أسباب غير ما ذكر المؤلف.

فأخرج الثعلبي قال: وقال الكلبي: نزلت في حاطب بن أبي بلتعة، كان له مال بالشام فجهد لذلك جهداً شديداً فحلف بالله: لئن آتانا الله من فضله من رزقه يعني المال الذي بالشام لأصدقن منه ولأصلن ولأتين حق الله منه، فاتاه الله ذلك المال فلم يفعل ما قال، فأنزل الله عز وجل ومنهم يعني من المنافقين (من عاهد الله لئن آتانا الله من فضله لنصدقن) (1401).

قلت: هذا الأثر كذلك لا يصح فقد روى من غير إسناد عن الكلبي، وحاطب بن أبي بلتعة صحابي شهد بدرًا فالقول فيه كالقول في ثعلبة.

وسبب ثالث: وهو ما ذكره الطبري وابن أبي حاتم عن مجاهد: (ومنهم من عاهد الله لئن آتانا من فضله)، رجلاً خرجاً على ما فُعد فقالوا والله لئن رزقنا الله لنصدقن! فلما رزقهم بخلوا به، (فأعقبهم نفاقاً في قلوبهم بما أخلفوا الله ما وعدوه)، حين قالوا: (لنصدقن)، فلم يفعلوا (1402).

ورواه الطبري عن الحسن وسمى الرجلين ثعلبة بن حاطب، ومعتب بن قشير. والسبب الرابع: ذكره الإمام ابن الجوزي قال: أن نبتل بن الحارث، وجد بن قيس، وثعلبة بن حاطب، ومعتب ابن قشير، قالوا: لئن آتانا الله من فضله لنصدقن فلما آتاهم من فضله بخلوا به، فنزلت هذه الآية، قاله الضحاك (1403).

قلت: والراجح في سبب نزول هذه الآية أنها نزلت في جماعة حالهم أنهم عاهدوا الله تعالى لأن وسع عليهم في الرزق ليتصدقن فلما أعطاهم الله ما سألوا بخلوا، فأبدلهم الله تعالى نفاقاً بسبب نقضهم عهدهم مع الله.

[تفسير مختصر للآية]

(ومنهم من عاهد الله) أي ومن المنافقين من أعطى الله عهده وميثاقه.
(لئن آتانا من فضله) أي لئن اعطانا الله من فضله ووسع علينا في الرزق.
(لنصدقن ولنكونن من الصالحين) أي لنصدقن على الفقراء والمساكين، ولنعملن فيها بعمل أهل الخير والصلاح.
(فلما آتاهم من فضله) أي فلما رزقهم الله واغناهم من فضله.
(بخلوا به وتولوا وهم معرضون) أي بخلوا بالإنفاق ونقضوا العهد، واعرضوا عن طاعة الله ورسوله.
(فأعقبهم نفاقاً في قلوبهم إلى يوم يلقونه) أي جعل الله عاقبتهم رسوخ النفاق في قلوبهم إلى يوم لقاء الله.
(بما أخلفوا الله ما وعدوه) أي بسبب أخلافهم ما عاهدوا الله عليه من التصديق والصلاح.
(وبما كانوا يكذبون) أي وبسبب كذبهم في دعوى الإيمان والاحسان (1404).

(1398) تفسير الطبري 10/189 الأحاد والمثاني 4/250 ح (2253) المعجم الكبير 8/218 ح (7873) شعب الإيمان 4/79 ح (4357) وسياقه أطول مما ذكره المؤلف وأذكره للفائدة - - وعند رسول الله ﷺ رجل من أقارب ثعلبة، فسمع ذلك فخرج حتى أتاه، فقال: ويحك يا ثعلبة قد أنزل الله فيك كذا وكذا، فخرج ثعلبة حتى أتى النبي ﷺ فسأله أن يقبل منه صدقته، فقال: إن الله منعني أن أقبل منك صدقتك، فجعل يحثي على رأسه التراب فقال له رسول الله ﷺ: هذا عمك قد أمرتك فلم تطعني، فلما أتى أن يقبض رسول الله ﷺ رجع إلى منزله، فقبض رسول الله ﷺ ولم يقبل منه شيئاً، ثم أتى أبا بكر حين استخلف فقال: قد علمت منزلتي من رسول الله ﷺ وموضعي من الأنصار فأقبل صدقتي، فقال: أبو بكر لم يقبلها رسول الله ﷺ وأنا أقبلها، فقبض أبو بكر ولم يقبضها، فلما ولي عمر أتاه فقال: يا أمير المؤمنين أقبل صدقتي، فقال: لم يقبلها رسول الله ﷺ ولا أبو بكر وأنا لا أقبلها منك، فقبض ولم يقبلها، ثم ولي عثمان رحمة الله عليه: فاتاه فسأله أن يقبل صدقته فقال: لم يقبلها رسول الله ﷺ ولا أبو بكر ولا عمر رضوان الله عليهما وأنا لا أقبلها منك، فلم يقبلها منه وهلك ثعلبة في خلافة عثمان رحمة الله عليه « وفي إسناده علي بن يزيد الألهاني قال الهيثمي متروك الحديث. ومما يدل على ضعف القصة أن الزكاة تؤخذ من مانعها قصرًا والله تعالى أعلم

(1399) تفسير الطبري 10/189 وإسناده شديد الضعف

(1400) الإصابة في تمييز الصحابة (400/1) المؤلف: أحمد بن علي بن حجر أبو الفضل العسقلاني الشافعي الناشر: دار الجيل - بيروت الطبعة الأولى، 1412 تحقيق: علي

محمد الجاوي

(1401) الكشف والبيان عن تفسير القرآن (73/5)

(1402) جامع البيان (تفسير الطبري) (375/14)

(1403) زاد المسير (474/3)

(1404) صفوة التفسير - للصابوني (369/1)

(الَّذِينَ يَلْمِزُونَ الْمُطَّوِّعِينَ مِنَ الْمُؤْمِنِينَ فِي الصَّدَقَاتِ وَالَّذِينَ لَا يَجِدُونَ إِلَّا جُهْدَهُمْ فَيَسْخَرُونَ مِنْهُمْ سَخِرَ اللَّهُ مِنْهُمْ وَلَهُمْ عَذَابٌ أَلِيمٌ ٧٩)

قوله تعالى: (الذين يلمزون المطوعين) - الآية.

575. روى الشيخان عن أبي مسعود قال: «لما نزلت آية الصدقة كنا نتحامل على ظهورنا، فجاء رجل فتصدق بشيء كثير، فقالوا: مُرَاءٍ، وجاء رجل فتصدق بصاع، فقالوا: إن الله لغني عن صدقة هذا، فنزل: (الذين يلمزون المطوعين) - الآية (1405)». .
576. وورد نحو هذا من حديث أبي هريرة.
577. وأبي عقيل.
578. وأبي سعيد الخدري.
579. وابن عباس.
580. وعميرة بنت سهل بن رافع أخرجها كلها ابن مردويه (1406) .

[تعليق]

ذكر المؤلف رحمه الله سبباً واحداً لنزول هذه الآية وقد أورد فيه عدة شواهد كلها تدل على أن الآية نزلت في الذين يعيبون الصحابة ويطعنون في صدقاتهم.

قال أبو حيان: نزلت فيمن عاب المتصدقين. وكان رسول الله صلى الله عليه وسلم حث على الصدقة، فتصدق عبد الرحمن بن عوف بأربعة آلاف وأمسك مثلها، فبارك له الرسول صلى الله عليه وسلم فيما أمسك وفيما أعطى. وتصدق عمر بنصف ماله، وعاصم بن عدي بمائة وسق، وعثمان بصدقة عظيمة، وأبو عقيل الأرشبي بصاع تمر، وترك لعياله صاعاً، وكان أجر نفسه لسقي نخيل بهما، ورجل بناقة عظيمة قال: هي وذو بطنها صدقة يا رسول الله، وألقى إلى الرسول خطامها فقال المنافقون ما تصدق هؤلاء إلا رياء وسمعة، وما تصدق أبو عقيل إلا ليذكر مع الأكابر، أو ليذكر بنفسه فيعطي من الصدقات، والله غني عن صاعه. وقال بعضهم: تصدق بالناقة وهي خير منه. وكان الرجل أقصر الناس قامه وأشدهم سواداً، فنظر إليه الرسول صلى الله عليه وسلم وقال: قل هو خير منك، ومنها يقولها ثلاثاً (1407).

[تفسير مختصر للآية]

(الذين يلمزون المطوعين من المؤمنين في الصدقات) أي يعيبون المتطوعين المتبرعين من المؤمنين في صدقاتهم. (والذين لا يجدون إلا جهدهم فيسخرون منهم) أي ويعيبون الذين لا يجدون إلا طاقتهم فيهبزون منهم. (سخر الله منهم) أي جازاهم على سخريتهم، وهو من باب المشاكلة. (ولهم عذاب أليم) أي عذاب موجه، هو عذاب الآخرة المقيم (1408).

(فَرِحَ الْمُخَلَّفُونَ بِمَقْعَدِهِمْ خَلْفَ رَسُولِ اللَّهِ وَكَرِهُوا أَنْ يُجَاهِدُوا بِأَمْوَالِهِمْ وَأَنْفُسِهِمْ فِي سَبِيلِ اللَّهِ وَقَالُوا لَا تَنْفِرُوا فِي الْحَرِّ قُلْ نَارُ جَهَنَّمَ أَشَدُّ حَرًّا لَوْ كَانُوا يَفْقَهُونَ (٨١))

قوله تعالى: (فرح المخلفون) - الآية.

581. [ك] أخرج ابن جرير عن ابن عباس قال: «أمر رسول الله ﷻ الناس أن ينبعثوا معه - وذلك في الصيف - فقال رجال: يا رسول الله الحر شديد ولا نستطيع الخروج فلا تنفر في الحر: فأنزل الله: (قل نار جهنم أشد حرا) - الآية (1409)». .
582. وأخرج عن محمد بن كعب القرظي قال: «خرج رسول الله ﷻ في حر شديد إلى تبوك، فقال رجل من بني سلمة: لا تنفروا في الحر، فأنزل الله: (قل نار جهنم أشد حرا) - الآية (1410)». .
583. وأخرج البيهقي في الدلائل من طريق ابن إسحاق عن عاصم بن عمرو بن قتادة وعبد الله بن أبي بكر بن حزم قال: «قال رجل من المنافقين: لا تنفروا في الحر، فنزلت (1411)». .

(1405) صحيح البخاري 1714 / 4 ح (4391) صحيح مسلم 706 ج 2: ح (1018) سنن النسائي / ح (2530) صحيح ابن خزيمة 8/102 ح (2453) صحيح ابن حبان 8/127 ح (3338) سنن البيهقي الكبرى 1/177 مسند الطيالسي 1/85 ح (609) المعجم الكبير 17 / 200 ح (535) شعب الإيمان 251 / 3 ح (3458) (1406) ليس عندي تفسير ابن مردويه وعلى كل فكل منها شواهد بقوى بعضها بعضا وإن كان ما أخرجه صاحب الصحيح الإمام البخاري لا يحتاج إلى شواهد في الغالب، ولكنها من باب ولكن ليطمئن قلبي

(1407) تفسير البحر المحيط - (61 / 5)

(1408) صفوة التفسير - للصابوني (1 / 369)

(1409) تفسير الطبري 10/201 وإسناده ضعيف

(1410) تفسير الطبري 10/201 مرسل ضعيف الإسناد

(1411) دلائل النبوة للبيهقي 5/213 ضعيف الإسناد مع إرساله

[تعليق]

ذكر المؤلف رحمه الله ثلاثة آثار في سبب نزول هذه الآية، وهي تشير إلى جانب من تخاذل المنافقين عن النبي ﷺ في غزوة تبوك، وتخاذل بعضهم بعضاً حيث يأمر بعضهم بعضاً، وقيل إنما كان أمرهم للمؤمنين بأن لا ينفروا في الحر، فأجابهم الله تعالى بأن جنهم حرها أشد مما يفررون منه في الدنيا وإنهم ذائقوها لا محالة طالما أصروا على نفاقهم. ولم أجد في سبب نزول هذه الآية غير ما ذكر المؤلف وبالله التوفيق.

[تفسير مختصر للآية]

(فرح المخلفون بمقعدهم خلاف رسول الله) أي فرح المنافقون الذين تخلفوا عن رسول الله في (غزوة تبوك) بقعودهم بعد خروج الرسول ﷺ مخالفة له حين سار وأقاموا. (وكرهوا أن يجاهدوا بأموالهم وأنفسهم في سبيل الله) أي وكرهوا الخروج إلى الجهاد، إثارة للراحة وخوف اتلاف النفس والمال، لما في قلوبهم من الكفر والنفاق. (وقالوا لا تنفروا في الحر) أي قال بعضهم لبعض: لا تخرجوا إلى الجهاد في وقت الحر، وذلك إن النبي ﷺ استنفرهم إلى هذه الغزوة في حر شديد، قال أبو السعود: وإنما قال (وكرهوا أن يجاهدوا بأموالهم وأنفسهم في سبيل الله) على قوله " وكرهوا أن يخرجوا إلى الغزو " إيداناً بأن الجهاد في سبيل الله مع كونه من أجل الرغائب، وأشرف المطالب، التي يجب أن يتنافس فيها المتنافسون قد كرهوه، كما فرحوا بأفبح القبائح الذي هو القعود خلاف رسول الله، وقالوا لاخوانهم تواصيا فيما بينهم بالشر والفساد لا تنفروا في الحر، فقد جمعوا ثلاث خصال من الكفر والضلال: " الفرح بالقعود، وكرهية الجهاد، ونهي الغير عن ذلك "، قال تعالى ردا عليهم (قل نار جهنم أشد حرا) أي قل لهم يا محمد: نار جهنم التي تصيرون إليها بتناقلكم عن الجهاد، أشد حرا مما تحذرون من الحر المعهود، فإن حر الدنيا يزول ولا يبقى، وحر جهنم دائم لا يفتر، فما لكم لا تحذرون نار جهنم؟ قال الزمخشري: وهذا استجها لهم، لأن من تصون من مشقة ساعة، فوقع بذلك التصون في مشقة الأبد، كان أجهل من كل جاهل. (لو كانوا يفقهون) أي لو كانوا يفهمون لنفروا مع الرسول ﷺ في الحر، ليتقوا به حر جهنم، الذي هو اضعاف اضعاف هذا ولكنهم (كالمستجير من الرمضاء بالنار)⁽¹⁴¹²⁾.

(وَلَا تُصَلِّ عَلَى أَحَدٍ مِنْهُمْ مَاتَ أَبَدًا وَلَا تَقُمْ عَلَى قَبْرِهِ إِنَّهُمْ كَفَرُوا بِاللَّهِ وَرَسُولِهِ وَمَاتُوا وَهُمْ فَسِقُونَ ٨٤)

قوله تعالى: (ولا تصل على أحد منهم) - الآية.

584. روى الشيخان عن ابن عمر قال: « لما توفي عبد الله بن أبي، جاء ابنه إلى رسول الله ﷺ فسأله أن يعطيه قميصه يكفن فيه أباه، فأعطاه، ثم سأله أن يصلي عليه، فقام ليصلي عليه، فقام عمر بن الخطاب فأخذ بثوبه وقال: يا رسول الله أتصلي عليه وقد نهاك ربك أن تصلي على المنافقين؟ قال: « إنما خيرني الله فقال: (استغفر لهم أو لا تستغفر لهم إن تستغفر لهم سبعين مرة) - وسأزيده على السبعين ». فقال: إنه منافق فصلى عليه، فأنزل الله: (ولا تصل على أحد منهم مات أبدا ولا تقم على قبره) فترك الصلاة عليهم⁽¹⁴¹³⁾ ».

585. وورد ذلك من حديث عمر⁽¹⁴¹⁴⁾.

586. وأنس⁽¹⁴¹⁵⁾.

587. وجابر⁽¹⁴¹⁶⁾ وغيرهم.

[تعليق]

ذكر المؤلف رحمه الله عدة آثار في سبب نزول هذه الآية وكلها صحيحة أو حسنة. وهي تدل على أن هذه الآية نزلت في عبد الله بن أبي بن سلول رأس النفاق والمنافقين في المدينة، وقد نزلت الآية بعد ما صلى عليه النبي ﷺ. فنزلت الآية ناهية النبي ﷺ من الصلاة على المنافقين أو القيام على قبره لدننه.

⁽¹⁴¹²⁾صفحة التفسير - للصابوني (370/1)

⁽¹⁴¹³⁾صحيح البخاري 4/1716 ح (4295) صحيح مسلم 4/1865 ح (2400) سنن النسائي الكبرى 6/357 ح (11224) سنن البيهقي الكبرى 8/199 سنن الترمذي 5/279 ح (3098) سنن ابن ماجه 1/487 ح (1523) صحيح ابن حبان 7/447 ح (3175) مسند أحمد 2/18 ح (4680)

⁽¹⁴¹⁴⁾صحيح البخاري 1/459 ح (1300) سنن النسائي 4/67 ح (1966) صحيح ابن حبان 7/449 ح (3176) سنن البيهقي الكبرى 8/199 سنن الترمذي 5/279 ح (3097) مسند أحمد 1/16 ح (95) مسند عبد بن حميد 1/35 ح (19)

⁽¹⁴¹⁵⁾عزاه ابن كثير لأبي حاتم الرازي، وإسناده صحيح وأصله في الصحيح من حديث أنس بلفظ: « وافقت ربي في ثلاث » ولم يذكر قصة ابن أبي، ولا تعارض كما قال ابن كثير حيث قال: مفهوم العدد إذا عارضه المنطوق قدم المنطوق، قلت مفهوم العدد هنا لا يفي الزيادة، فقد وافق عمر ربه في أكثر مما ذكر في هذا الحديث ⁽¹⁴¹⁶⁾سنن ابن ماجه 1/488 ح (1524) عن جابر بلفظ: « مات رأس المنافقين بالمدينة، وأوصى أن يصلي عليه النبي ﷺ وأن يكفنه في قميصه، فصلى عليه وكفنه في قميصه وقام على قبره، فأنزل الله { ولا تصل على أحد منهم مات أبدا ولا تقم على قبره } في إسناده مجالد بن سعيد متكلم فيه ولكن يشهد له ما رواه الطبراني وغيره عن ابن عباس: « أن عبد الله بن أبي قال له أبوه: أي بني أطلب لي من رسول الله ﷺ ثوبا من ثيابه تكفني فيه ومرة يصلي علي، فقال عبد الله: يا رسول الله قد عرفت شرف عبد الله، وإنه أمرني أن أطلب إليك ثوبا تكفنه فيه وأن تصلي عليه، فأعطاه ثوبا من ثيابه، وأراد أن يصلي عليه، فقال عمر - وذكر الحديث بنحو ما تقدم المعجم الكبير 11/438 المختارة 10/160 وإسناده جيد

(ولا تصل على أحد منهم مات أبدا) أى لا تصل يا محمد على أحد من هؤلاء المنافقين اذا مات، لان صلاتك رحمة، وهم ليسوا اهلا للرحمة.

(ولا تقم على قبره) أى لا تقف على قبره للدفن، أو للزيارة والدعاء.

(إنهم كفروا بالله ورسوله) أى لانهم كانوا في حياتهم منافقين، يظهرن ايمان ويبطنون الكفر.

(وماتوا وهم فاسقون) أى وماتوا وهم على نفاقهم، خارجون من الاسلام، متمردون في العصيان⁽¹⁴¹⁷⁾.

(لَيْسَ عَلَى الضُّعَفَاءِ وَلَا عَلَى الْمَرْضَى وَلَا عَلَى الَّذِينَ لَا يَجِدُونَ مَا يَنْفِقُونَ حَرَجٌ إِذَا نَصَحُوا لِلَّهِ وَرَسُولِهِ مَا عَلَى الْمُحْسِنِينَ مِنْ سَبِيلٍ وَاللَّهُ غَفُورٌ رَحِيمٌ ٩١)

قوله تعالى: (ليس على الضعفاء) - الآية.

588. [ك] أخرج ابن أبي حاتم عن زيد بن ثابت قال: «كنت أكتب لرسول الله □، فكنت أكتب براءة، فإني

لواضع القلم على أذني إذ أمرنا بالقتال، فجعل رسول الله □ ينظر ما ينزل عليه إذ جاءه أعمى فقال:

كيف بي يا رسول الله وأنا أعمى؟ فنزلت: (ليس على الضعفاء) - الآية⁽¹⁴¹⁸⁾.

589. وأخرج من طريق العوفي عن ابن عباس قال: «أمر رسول الله □ الناس أن ينبعثوا غازين

معه، فجاءت عصابة من أصحابه فيهم عبد الله بن معقل المزني فقالوا: يا رسول الله احملنا، فقال: «

والله لا أجد ما أحملك عليه». فولوا ولهم بكاء وعز عليهم أن يحبسوا عن الجهاد ولا يجدون نفقة ولا

محملا، فأنزل الله عز وجل: (ولا على الذين إذا ما أتوك لتحملهم) - الآية⁽¹⁴¹⁹⁾. وقد ذكرت أسماءهم في

المبهمات.

[تعليق]

ذكر المؤلف رحمه الله أثرين في سبب نزول هذه الآية. الأول يدل على أنها نزلت في عبد الله بن أم مكتوم وكان أعمى.

والثاني في عبد الله بن معقل المزني، وقد روى الإمام ابن جرير أنها نزلت في عائذ بن عمرو وهو قول قتادة⁽¹⁴²⁰⁾.

قلت: الآية نزلت ببيان رخصة لأصحاب الأعداء وقد بينت عدة أقسام منهم. فمنهم الضعفاء ومنهم المرضى ومنهم الذين

لا يجدون ما ينفقون، فلا مانع أن تكون الآية نزلت فيهم جميعاً باعتبار أن لكل واحد منهم عدداً غير الذي للأخر والله تعالى أعلم.

[تفسير مختصر للآية]

(ليس على الضعفاء ولا على المرضى) أى ليس على الشيوخ المسنين، ولا على المرضى العاجزين، الذين لا يستطيعون الجهاد

لعجزهم أو مرضهم

(ولا على الذين لا يجدون ما ينفقون) أى الفقراء الذين لا يجدون نفقة للجهاد.

(حرج) أى إثم في القعود.

(إذا نصحوا لله ورسوله) أى: اخلصوا الايمان والعمل الصالح، فلم يرجفوا بالناس ولم يثبطوهم، ولم يثيروا الفتن، فليس على هؤلاء

حرج، اذا تركوا الغزو لانهم اصحاب اعداء.

(ما على المحسنين من سبيل) أى ليس عليهم جناح، ولا الى معاتبتهم سبيل، وصفهم بالمحسنين لانهم نصحوا لله ورسوله، ورفع عنهم

العقوبة والتعنيف واللوم وهذا من بليغ الكلام لان معناه: لا سبيل لعاتب عليهم، وهو جار مجرى المثل.

(والله غفور رحيم) أى عظيم المغفرة والرحمة، حيث وسع على اهل الاعذار⁽¹⁴²¹⁾.

(وَمِنَ الْأَعْرَابِ مَنْ يُؤْمِنُ بِاللَّهِ وَالْيَوْمِ الْآخِرِ وَيَتَّخِذُ مَا يُنْفِقُ قُرْبَتٍ عِنْدَ اللَّهِ وَصَلَوَاتِ الرَّسُولِ أَلَا إِنَّهَا قُرْبَةٌ لَهُمْ سِذِّخْلَهُمُ اللَّهُ فِي رَحْمَتِهِ إِنَّ اللَّهَ غَفُورٌ رَحِيمٌ ٩٩)

قوله تعالى: (ومن الأعراب من يؤمن بالله) - الآية.

590. أخرج ابن جرير عن مجاهد: «أنها نزلت في بني مقرن الذين نزلت فيهم: (ولا على الذين إذا ما

أتوك لتحملهم)⁽¹⁴²²⁾».

⁽¹⁴¹⁷⁾صفحة التفسير - للصابوني (1/ 370)

⁽¹⁴¹⁸⁾تفسير ابن أبي حاتم 6/1861 وفي إسناده محمد بن جابر بن سيار السحيمي صدوق ساء حفظه وذهبت كتبه وخط كثيره ورجحه أبو حاتم على ابن لهيعة قلت هو يحتاج

الى متابع ولم أجد للحديث متابعة.

⁽¹⁴¹⁹⁾تفسير ابن أبي حاتم 6/1863 ابن جرير 10/211 وإسناده ضعيف

⁽¹⁴²⁰⁾جامع البيان (تفسير الطبري) (14/ 420)

⁽¹⁴²¹⁾صفحة التفسير - للصابوني (1/ 371)

⁽¹⁴²²⁾تفسير ابن جرير 10/212 مرسل وإسناده ليس بالقائم

591. وأخرج عن عبد الرحمن بن معقل المزني قال: «كنا عشرة ولد مقرن، فنزلت فينا هذه الآية (1423)». «

[تعليق]

ذكر المؤلف رحمه الله أثرين في سبب نزول هذه الآية وأنها نزلت في بني مقرن. وقد ذكر ذلك غير واحد من أهل التفسير أن في الآية استثناء لصنف من أصناف الأعراب الذين تقدم فيهم قوله تعالى (الأعراب أشد كفراً ونفاقاً) فبينت هذه الآية أن ليس كل الأعراب على هذه الحالة من النفاق والكفر والشح بل منهم من ينفق في سبيل الله ابتغاء مرضات الله والله تعالى أعلم.

[تفسير مختصر للآية]

(ومن الأعراب من يؤمن بالله واليوم الآخر) أي ومن الأعراب من يصدق بوحداية الله وبالبعث بعد الموت، على عكس أولئك المنافقين.

(ويتخذ ما ينفق قربات عند الله) أي ويتخذ ما ينفق في سبيل الله، ما يقربه من رضا الله ومحبه (وصلوات الرسول) أي دعاء الرسول واستغفاره له.

(ألا إنها قربة لهم) (ألا) أداة استفتاح للتبنيه على الاعتناء بالامر أي ألا إن هذا الإنفاق قربة عظيمة، تقربهم لرضا ربهم، حيث انفقوا مخلصين.

(سيدخلهم الله في رحمته) أي سيدخلهم الله في جنته التي اعدّها للمتقين.

(إن الله غفور رحيم) أي غفور لاهل طاعته، رحيم بهم حيث وفقهم للطاعة (1424).

(وَأَخْرُوجُ عَنْهُمْ كَلْبًا مُطْرَقًا وَإِن يَدْعُوا إِلَى جَنْبِكُمْ أَنْ تُجِيبُوا دَعْوَاهُمْ فَاجْتَنِِبُوا سَبِيلَهُمْ إِنَّ اللَّهَ غَفُورٌ رَحِيمٌ ١٠٢)

قوله تعالى: (وأخرون اعترفوا) - الآية.

592. أخرج ابن مردويه وابن أبي حاتم من طريق العوفي عن ابن عباس قال: «غزا رسول الله

ﷺ، فتخلف أبو لبابة وخمسة معه، ثم إن أبا لبابة ورجلين معه تفكروا وندموا وأيقنوا بالهلاك وقالوا:

نحن في الظلال والطمأنينة مع النساء ورسول الله ﷺ والمؤمنون معه في الجهاد، والله لنوثقن أنفسنا

بالسوارى فلا نطلقها حتى يكون رسول الله ﷺ هو الذي يطلقها، ففعلوا وبقي ثلاثة لم يوثقوا

أنفسهم، فرجع رسول الله ﷺ من غزوته فقال: «من هؤلاء الموثقون بالسوارى؟». فقال رجل: هذا أبو

لبابة وأصحاب له تخلفوا فعاهدوا الله أن لا يطلقوا أنفسهم حتى تكون أنت الذي تطلقهم، فقال: «لا

أطلقهم حتى أومر بإطلاقهم». فأنزل الله: (وأخرون اعترفوا بذنوبهم) - الآية فلما نزلت أطلقهم وعذرهم

وبقي الثلاثة الذين لم يوثقوا أنفسهم لم يذكروا بشيء وهم الذين قال الله فيهم: (وأخرون مرجون لأمر

الله) - الآية فجعل أناس يقولون: هلكوا إذ لم ينزل عذرهم، وأخرون يقولون: عسى الله أن يتوب عليهم

حتى نزلت: (وعلى الثلاثة الذين خلفوا) (1425)». «

593. وأخرج ابن جرير من طريق علي بن أبي طلحة عن ابن عباس نحوه وزاد: «فجاء أبو لبابة

بأموالهم حين أطلقوا فقالوا: يا رسول الله أموالنا فتصدق بها عنا واستغفر لنا، فقال: «ما أمرت أن آخذ

من أموالكم شيئاً». فأنزل الله: (خذ من أموالهم صدقة) - الآية (1426)». «

وأخرج هذا القدر وحده عن سعيد بن جبيرة والضحاك وزيد بن أسلم وغيرهم (1427).

594. وأخرج عبد عن قتادة: «أنها نزلت في سبعة أربعة منهم ربطوا أنفسهم في السوارى، وهم أبو أبو

لبابة ومرداس وأوس بن خدام وثعلبة بن وديعة» (1428)». «

595. وأخرج أبو الشيخ وابن منده في الصحابة من طريق الثوري عن الأعمش عن أبي سفيان عن جابر

: «قال كان ممن تخلف عن رسول الله ﷺ في تبوك ستة، أبو لبابة وأوس بن خدام وثعلبة بن وديعة

وكعب بن مالك ومرارة بن الربيع وهلال بن أمية، فجاء أبو لبابة وأوس وثعلبة فربطوا أنفسهم

بالسوارى وجاءوا بأموالهم، فقالوا: يا رسول الله خذ هذا الذي حبسنا عنك، فقال: «لا أحلهم حتى يكون

قتال». فنزل القرآن: (وأخرون اعترفوا بذنوبهم) (1429) - الآية». «إسناده قوي

596. وأخرج ابن مردويه بسند فيه الواقدي عن أم سلمة قالت: «إن توبة أبي لبابة نزلت في بيتي،

(1423) قال الحافظ في ترجمة عبد الرحمن: وهم من عده في الصحابة فهو على ذلك مرسل، والذي وجدته عند ابن جرير عن عبد الله بن معقل قال: «كنا بني مقرن» وذكر

سبب نزول قوله تعالى (ومن الأعراب من يؤمن) - الآية تفسير ابن جرير 11/6

(1424) صفوة التفاسير - للصابوني (374/1)

(1425) تفسير ابن أبي حاتم 6/1872 تفسير الطبري 11/21 وإسناده ضعيف

(1426) تفسير الطبري 11/16 وعلي لم يسمع من ابن عباس مع ضعف إسناده

(1427) تفسير الطبري 11/17 وهي مراسيل وفي أسانيد بعضها ضعف.

(1428) مرسل

(1429) لم أجده في الكتب المسنده والقائل إسناده قوي المؤلف رحمه الله

فسمعت رسول الله ﷺ يضحك في السحر، فقلت: ما يضحكك يا رسول الله؟ قال: «تيب علي لباية». فقلت: أودنه بذلك؟ فقال: «ما شئت». فقامت على باب الحجرة وذلك قبل أن يضرب الحجاب فقلت: يا أبا لباية أبشر فقد تاب الله عليك، فثار الناس ليطلقوه، فقال: حتى يأتي رسول الله ﷺ فيكون هو الذي يطلقني، فلما خرج إلى الصبح أطلقه، فنزلت: (وآخرون اعترفوا بذنوبهم)⁽¹⁴³⁰⁾.

[تعليق]

ذكر المؤلف رحمه الله عدة آثار في سبب نزول هذه الآية، وهي تشهد بعضها لبعض في كونها نزلت توبة على أبي لباية وغيره من الصحابة الذين تخلفوا عن رسول الله ﷺ. وقال بعض أهل العلم بأنها نزلت توبة لأبي لباية وحده لما أشار على بني قريظة حين شاوره في النزول على حكم سعد بن معاذ⁽¹⁴³¹⁾. قلت: وسياق الآيات يدل على القول الأول وأنها نزلت في جمع من الصحابة في غزوة تبوك لقوله تعالى (وآخرون) والله تعالى أعلم.

[تفسير مختصر للآية]

(وآخرون اعترفوا بذنوبهم) أي وقوم آخرون أقروا بذنوبهم ولم يعتذروا عن تخلفهم بالمعاذير الكاذبة، قال الرازي: هم قوم من المسلمين تخلفوا عن غزوة تبوك، لا لنفاقهم بل لكسلهم، ثم ندموا على ما فعلوا وتابوا. (خلطوا عملاً صالحاً وأخر سيئاً) أي خلطوا جهادهم السابق وخروجهم مع الرسول، لسائر الغزوات بالعمل السيئ، وهو تخلفهم عن غزوة تبوك هذه المرة. (عسى الله أن يتوب عليهم) أي لعل الله يتوب عليهم، قال الطبري: و(عسى) من الله واجب ومعناه: سيبوب الله عليهم، ولكنه في كلام العرب بمعنى الترجي على ما وصفت. (إن الله غفور رحيم) أي ذو عفو لمن تاب، عظيم الرحمة لمن اناب⁽¹⁴³²⁾.

(وَالَّذِينَ اتَّخَذُوا مَسْجِدًا ضِرَارًا وَكُفْرًا وَتَفْرِيقًا بَيْنَ الْمُؤْمِنِينَ وَإِرْصَادًا لِّمَنْ حَارَبَ اللَّهَ وَرَسُولَهُ مِنْ قَبْلُ وَلَيَحْلِفُنَّ إِنْ أَرَدْنَا إِلَّا الْحُسْنَىٰ وَاللَّهُ يَشْهَدُ إِنَّهُمْ لَكَاذِبُونَ ١٠٧)

قوله تعالى: (والذين اتخذوا مسجدا ضرارا) - الآية.

597. أخرج ابن مردويه عن طريق ابن إسحاق قال: ذكر ابن شهاب الزهري عن ابن أكيمة الليثي عن ابن أخي أبي رهم الغفاري أنه سمع أبا رهم وكان ممن بايع تحت الشجرة يقول: «أتى من بنى مسجد الضرار رسول الله ﷺ وهو متجهز إلى تبوك فقالوا: يا رسول الله إنا بنينا مسجداً لذي العلة والحاجة والليلية الشاتية والليلية المطيرة وإنا نحب أن تأتينا فتصلي لنا فيه قال: «إني على جناح سفر ولو قدمنا إن شاء الله أتيناكم فصلينا لكم فيه». فلما رجع نزل بذي أوان على ساعة من المدينة، فأنزل الله في المسجد: (والذين اتخذوا مسجدا ضرارا وكفرا) إلى آخر القصة، فدعا مالك بن الدخشن ومعن بن عدي وأخاه عاصم بن عدي فقال: «انطلقا إلى هذا المسجد الظالم أهله فاهدماه وأحرقاه، ففعلا»⁽¹⁴³³⁾.

598. وأخرج ابن أبي حاتم وابن مردويه من طريق العوفي عن ابن عباس قال: «لما بنى رسول الله ﷺ مسجد قباء، خرج رجال من الأنصار منهم يخدج فبنوا مسجد النفاق، فقال رسول الله ﷺ ليخدج: «ويلك ما أردت إلى ما أرى؟». فقال: يا رسول الله ما أردت إلا الحسنى فأنزل الله الآية»⁽¹⁴³⁴⁾.

599. وأخرج ابن مردويه من طريق علي بن أبي طلحة عن ابن عباس قال: «إن أناس من الأنصار ابتنوا مسجداً، فقال لهم أبو عامر: ابتنوا مسجدكم واستمدوا بما استطعتم من قوة وسلاح فإني ذاهب إلى قيصر ملك الروم فأتى بجند من الروم فأخرج محمداً وأصحابه، فلما فرغوا من مسجدهم أتوا النبي ﷺ فقالوا له: لقد فرغنا من بناء مسجدنا فنحب أن تصلي فيه فأنزل الله: (لا تقم فيه أبداً)⁽¹⁴³⁵⁾».

600. وأخرج الواحدي عن سعد بن أبي وقاص قال: «إن المنافقين عرضوا بمسجد بينونه يضاھون به مسجد قباء لأبي عامر الراهب إذا قدم ليكون إمامهم فيه، فلما فرغوا من بنائه أتوا رسول الله ﷺ فقالوا: إنا قد بنينا مسجداً فصل فيه، فنزلت: (لا تقم فيه أبداً)⁽¹⁴³⁶⁾».

601. وأخرج الترمذي عن أبي هريرة قال: «نزلت هذه الآية في أهل قباء: (فيه رجال يحبون أن يتطهروا

(1430) الواقدي كذاب وقد روي هذا السبب عن عدة من التابعين

(1431) زاد المسير (3/ 493)

(1432) صفوة التفسير - للصابوني (1/ 375)

(1433) تفسير ابن جرير 2/389 مرسل وفي إسناده ضعف.

(1434) تفسير ابن أبي حاتم 6/1879 تفسير الطبري 11/24 وإسناده ضعيف.

(1435) المصدر السابق وإسناده ضعيف.

(1436) أسباب النزول للواحدي 212 وفي إسناده داود بن الزبير قال الحافظ: متروك وكذبة الأزدي.

والله يحب المطهرين) قال: كانوا يستنجون بالماء فنزلت فيهم⁽¹⁴³⁷⁾».

602. [ك] وأخرج عمر بن شبة في أخبار المدينة من طريق الوليد بن أبي سندر الأسلمي عن يحيى بن سهل الأنصاري عن أبيه: « أن هذه الآية نزلت في أهل قباء، كانوا يغسلون أدبارهم من الغائط فيه: رجال يحبون أن يتطهروا)- الآية⁽¹⁴³⁸⁾».

603. [ك] وأخرج ابن جرير عن عطاء قال: « أحدث قوم الوضوء بالماء من أهل قباء فنزلت فيهم:) فيه رجال يحبون أن يتطهروا والله يحب المطهرين⁽¹⁴³⁹⁾».

[تعليق]

ذكر المؤلف رحمه الله عدة آثار في سبب نزول هذه الآية، فالآثار الأربعة الأول من هذه الآثار متعلقة بمطلع الآية وهو قوله تعالى (والذين اتخذوا مسجداً ضراراً) وحاصلها أن المنافقين ابتنوا مسجداً أطلق عليه مسجد " الضرار " محاربة لدين الله وصداً عن سبيله وقد اختصر المؤلف هذه الآثار وقد جمعت في سياق أفضل مما ذكره المؤلف وقد أخرجه الإمام الواحدي بسياق أطول وأوضح من هذا أذكره للفائدة.

فقال رحمه الله: قال المفسرون: إن بني عمرو بن عوف اتخذوا مسجد قباء وبعثوا إلى رسول الله ﷺ أن يأتيهم، فأتاهم فصلى فيه، فحسداهم إخوانهم بنو عمرو، وقالوا: بنينا مسجداً ونرسل إلى رسول الله ﷺ ليصلى فيه كما يصلى في مسجد إخواننا، وليصل فيه أبو عامر الراهب إذا قدم من الشام، وكان أبو عامر قد ترهب في الجاهلية وتنصر ولبس المسوح، وأنكر دين الحنيفية لما قدم رسول الله ﷺ المدينة وعاداه وسماه النبي عليه الصلاة والسلام أبا عامر الفاسق وخرج إلى الشام وأرسل إلى المنافقين أن استعدوا بما استطعتم من قوة وسلاح، وابنوا لي مسجداً فإني ذاهب إلى قبصر فآتي بجند الروم، فأخرج محمداً وأصحابه فبنوا مسجداً إلى جنب مسجد قباء، وكان الذي بنوه اثني عشر رجلاً حزام بن خالد، ومن داره أخرج إلى المسجد وثعلبة بن حاطب ومعتب بن قشير وأبو حبيبة بن الأرعن وعباد بن حنيف وحاتمة وجارية وابناه مجمع وزيد ونبئل ابن حارث ولحاد بن عثمان ووديعة بن ثابت، فلما فرغوا منه أتوا رسول الله ﷺ فقالوا: إنا بنينا مسجداً لذي العلة والحاجة والليللة المطيرة والليللة الشاتية، وإنا نحب أن تأتينا فتصلي لنا فيه، فدعا بقميصه ليلبسه فيأتيهم، فنزل عليه القرآن وأخبر الله عز وجل خبر مسجد الضرار وما هموا به، فدعا رسول الله ﷺ مالك بن الدخشم ومعن بن عدي وعامر بن يشكر والوحشي قاتل حمزة، وقال لهم: انطلقوا إلى هذا المسجد الظالم أهله فاهدموه واحرقوه، فخرجوا وانطلق مالك وأخذ سعفاً من النخل فأشعل فيه ناراً، ثم دخلوا المسجد وفيه أهله فحرقوه وهدموا وتفارق عنه أهله، وأمر النبي ﷺ أن يتخذ ذلك كناسة تلقى فيها الجيف والنتن والقمامة، ومات أبو عامر بالشام وحيداً غربياً⁽¹⁴⁴⁰⁾.

قلت: هذا السياق يجمع شتات ما ذكره المؤلف هنا والله تعالى أعلم.

وأما باقي الآثار فهي متعلقة بقوله تعالى (فيه أناس يحبون أن يتطهروا) وقد نزلت هذه الآية في أهل مسجد قباء حيث كانوا يحبون أن يتطهروا بالماء والوضوء فنزلت الآية ثناء عليهم في فعلهم وبالله التوفيق.

[تفسير مختصر للآية]

(والذين اتخذوا مسجداً ضراراً) أي ومن المنافقين جماعة بالغوا في الاجرام، حتى ابتنوا مجمعا يدبرون فيه الشر، وسموه " مسجداً " مضارة للمؤمنين، وقد اشتهر باسم " مسجد الضرار " .

(وكفراً) أي نصرة للكفر الذي يخفونه.

(وتقرىفاً بين المؤمنين) أي يفرقون بواسطته جماعة المؤمنين، ويصرفونهم عن مسجد قباء.

(وإرساداً لمن حارب الله ورسوله من قبل) أي ترقباً وانتظاراً لقدم " أبي عامر الفاسق " الذي قال لرسول الله: لا اجد قوماً يقاتلونك إلا قاتلتك معهم، وهو الذي أمرهم ببناء المسجد، ليكون معقلاً له، قال الطبري في رواية الضحاك: هم ناس من المنافقين بنوا مسجداً بقباء، بضارون به نبي الله والمسلمين، وكانوا يقولون: إذا رجع أبو عامر صلى فيه، وإذا قدم ظهر على " محمد " وتغلب عليه.

(وليحلفن إن أردنا إلا الحسنى) أي وليقسمن ما اردنا ببنائه الا الخير والاحسان، من الرفق بالمسكين، والتوسعة على المصلين (والله يشهد أنهم لكاذبون) أي والله يعلم كذبهم في ذلك الحلف، وأتى بإبـان واللام لزيادة التأكيد. ثم نهى تعالى رسوله عن الصلاة في

⁽¹⁴³⁷⁾سنن الترمذي 5/280 ح(3100)وقال: غريب من هذا الوجه، سنن البيهقي الكبرى 1/105 ح(513)سنن أبي داود 1/11 ح(44)سنن ابن ماجه 1/128 ح(357)معجم أبي يعلى 1/66 المؤلف: أحمد بن علي بن المثنى الموصلي أبو يعلى [210 - 307] المحقق: إرشاد الحق الأثري الناشر: إدارة العلوم الأثرية - فيصل آباد الطبعة: الأولى، 1407

عدد الأجزاء: 1 في إسناده إبراهيم بن أبي ميمونة قال الحافظ: مجهول الحال، وكذلك الراوي عنه يونس بن الحارث ضعيف، وله شاهد عند ابن خزيمة وغيره من حديث عويم بن ساعدة الأنصاري ثم العجلاني أن النبي ﷺ قال لأهل قباء: « إن الله قد أحسن عليكم الثناء في الطهور وقال (: فيه رجال يحبون أن يتطهروا) حتى انقضت الآية، فقال لهم: ما هذا الطهور؟ فقالوا: ما نعلم شيئاً إلا أنه كان لنا جيران من اليهود وكانوا يغسلون أدبارهم من الغائط فغسلنا كما غسلوا» صحيح ابن خزيمة 1/45 ح(83)وله شاهد آخر عند الحاكم في المستدرک قال أخبرني أحمد بن محمد بن سلمة العنبري حدثنا عثمان بن سعيد الدارمي حدثنا هشام بن عمار السلمي حدثنا صدقة بن خالد عن عتبة بن أبي حكيم حدثني طلحة بن نافع حدثني أبو أيوب الأنصاري وجابر بن عبد الله وأنس بن مالك رضي الله عنهم عن رسول الله ﷺ في هذه الآية { فيه رجال يحبون أن يتطهروا والله يحب المطهرين } فقال رسول الله ﷺ: « يا معشر الأنصار إن الله قد أتى عليكم خيراً في الطهور فما طهوركم هذا؟ قالوا: يا رسول الله نتوضأ للصلاة والغسل من الجنابة، فقال رسول الله ﷺ وهل مع ذلك غيره؟ قالوا: لا غير إن أحدنا إذا خرج من الغائط أحب أن يستنجي بالماء قال: هو ذاك هذا» قال الحاكم: حديث كبير صحيح في كتاب الطهارة وله شاهد أيضاً عند الطبراني في الكبير من حديث خزيمة بن ثابت مختصراً 4/100 وفي الباب أيضاً عن أبي أيوب وغيره والخالصة أن الحديث صحيح بشواهده.

⁽¹⁴³⁸⁾أخبار المدينة لابن شبة 1/49 لمؤلف: أبو زيد عمر بن شبة التميمي البصري - سنة الوفاة 262هـ تحقيق: علي محمد دندل وباسين سعد الدين بيان الناشر: دار الكتب العلمية سنة النشر: 1417هـ-1996م مكان النشر: بيروت عدد الأجزاء: 2 وفي إسناده يزيد بن عياض أخو أنس بن عياض ضعيف جداً وكذب مالك وغيره ⁽¹⁴³⁹⁾تفسير الطبري 11/31 مرسل وفي إسناده طلحة بن عمرو الحضرمي متروك ⁽¹⁴⁴⁰⁾أسباب النزول للواحدي (175)

مسجد الضرار فقال:

(لا تقم فيه أبدا) أى لا تصل فيه يا محمد أبدا، لأنه لم يبين الا ليكون معقلا لأهل النفاق
(لمسجد أسس على التقوى) اللام لام القسم أى لمسجد قباء الذي بني على تقوى الله وطاعته.
(من أول يوم) أى من أول يوم ابتدء في بنائه.
(أحق أن تقوم فيه) أى أولى وأجدر بأن تصلي فيه من مسجد الضرار.
(فيه رجال يحبون أن يتطهروا) أى في هذا المسجد رجال اتقياء - وهم الانصار - يحبون ان يتطهروا من الذنوب والمعاصي.
(والله يحب المطهرين) أى المبالغين في الطهارة، الظاهرة والباطنة، ثم اشار تعالى الى الفارق بين مسجد التقوى⁽¹⁴⁴¹⁾.

(إِنَّ اللَّهَ اشْتَرَى مِنَ الْمُؤْمِنِينَ أَنْفُسَهُمْ وَأَمْوَالَهُمْ بِأَنْ لَهُمُ الْجَنَّةَ يُقَاتِلُونَ فِي سَبِيلِ اللَّهِ فَيَقْتُلُونَ وَيُقْتَلُونَ وَعَدَا عَلَيْهِ حَقًّا فِي التَّوْرَةِ وَالْإِنْجِيلِ وَالْقُرْآنِ وَمَنْ أَوْفَى بِعَهْدِهِ مِنَ اللَّهِ فَاسْتَبْشِرُوا بِبَيْعِكُمُ الَّذِي بَايَعْتُمْ بِهِ وَذَلِكَ هُوَ الْفَوْزُ الْعَظِيمُ (١١١)

قوله تعالى: (إن الله اشترى من المؤمنين)- الآية.

604. أخرج ابن جرير عن محمد بن كعب القرظي قال: « قال عبد الله بن ربيعة لرسول الله ﷺ: اشتري لربك ولنفسك ما شئت، قال: « اشتري لربي أن تعبدوه ولا تشركوا به شيئا، وأشترط لنفسي أن تمنعوني مما تمنعون منه أنفسكم وأموالكم» قالوا: فإذا فعلنا ذلك فما لنا؟ قال: «الجنة». قالوا: ربح البيع لا نقبل ولا نستقبل، فنزلت: (إن الله اشترى المؤمنين أنفسهم)⁽¹⁴⁴²⁾».

[تعليق]

ذكر المؤلف رحمه الله أثراً واحداً في سبب نزول هذه الآية، وهي يدل على خير صفقة وخير عقد تجارة في التاريخ، حيث كان المشتري هو الله والبائع هم صحابة رسول الله المؤمنين والثلث الجنة والمثلث هو أنفس المؤمنين جعلنا الله ممن يندرج تحت هذه الصفقة.
ومعنى الآية عام وإن كان سبب النزول خاص. قال في البحر والآية عامة في كل من جاهد في سبيل الله من أمة محمد صلى الله عليه وسلم إلى يوم القيامة⁽¹⁴⁴³⁾.

[تفسير مختصر للآية]

(إن الله اشترى من المؤمنين أنفسهم وأموالهم بأن لهم الجنة) أى اشترى اموال المؤمنين وانفسهم بالجنة.
(يقاتلون في سبيل الله) أى يجاهدون لاعزاز دين الله لم اعلاء كلمته.
(فيقتلون ويقتلون) أى في حالتي الظفر بالاعداء يقتلهم، أو الاستشهاد في المعركة بموتهم
(وعدا عليه حقا) أى وعدهم به المولى وعدا قاطعا.
(في التوراة والإنجيل والقرآن) أى وعدا مثبتا في الكتب المقدسة (التوراة، والإنجيل، والقرآن).
(ومن أوفى بعهد من الله) الاستفهام انكاري بمعنى النفي، أى لا احد اوفى من الله جل وعلا! قال الزمخشري: لان اخلاف الميعاد قبيح، لا يقدم عليه الكرام من الخلق، فكيف بالغني الذي لا يجوز عليه القبيح؟ ولا ترى ترغيبا في الجهاد احسن منه وابلغ.
(فاستبشروا ببيعكم الذي بايعتم به) أى ابشروا بذلك البيع الربح، وافرحوا به غاية الفرح
(وذلك هو الفوز العظيم) هو الفوز الذي لا فوز اعظم منه⁽¹⁴⁴⁴⁾.

(مَا كَانَ لِلنَّبِيِّ وَالَّذِينَ ءَامَنُوا أَنْ يَسْتَغْفِرُوا لِلْمُشْرِكِينَ وَلَوْ كَانُوا أُولِي قُرْبَىٰ مِنْ بَعْدِ مَا نَبَّيْنَا لَهُمْ أَنَّهُمْ أَصْحَابُ
الْجَحِيمِ (١١٣)

قوله تعالى: (ما كان للنبي)- الآية.

605. أخرج الشيخان من طريق سعيد بن المسيب عن أبيه قال: « لما حضرت أبا طالب الوفاة، دخل عليه رسول الله ﷺ وعنده أبو جهل وعبد الله بن أبي أمية، فقال: « أي عم قل لا إله إلا الله أحاج لك بها عند الله». فقال أبو جهل وعبد الله يا أبا طالب: أترغب عن ملة عبد المطلب؟ فلم يزالا يكلمانته حتى آخر شيء كلمهم به هو على ملة عبد المطلب، فقال النبي ﷺ: « لأستغفرن لك ما لم أنه عنك». فنزلت: (ما كان للنبي والذين آمنوا أن يستغفروا للمشركين)- الآية، وأنزل في أبي طالب: (إنك لا تهدي من أحببت)- الآية⁽¹⁴⁴⁵⁾» وظاهر أن الآية نزلت بمكة.

⁽¹⁴⁴¹⁾صفوة التفسير - للصابوني (1/375)

⁽¹⁴⁴²⁾تفسير الطبري 11/35 منقطع وفي إسناده ضعف.

⁽¹⁴⁴³⁾تفسير البحر المحيط - (5/84)

⁽¹⁴⁴⁴⁾صفوة التفسير - للصابوني (1/378)

⁽¹⁴⁴⁵⁾صحيح البخاري 4/1717 ح (4398) صحيح مسلم 1/54 ح (24) صحيح ابن حبان 3/262 ح (982) مسند أبي عوانة 1/24 سنن النسائي 4/90 ح (2035) الإيمان لابن

606. [ك] وأخرج الترمذي وحسنة والحاكم عن علي قال: «سمعت رجلاً يستغفر لأبويه وهما مشركان، فقلت له: أتستغفر لأبويك وهما مشركان؟ فقال استغفر إبراهيم لأبيه وهو مشرك، فذكرت ذلك لرسول الله ﷺ، فنزلت: (ما كان للنبي والذين آمنوا أن يستغفروا للمشركين⁽¹⁴⁴⁶⁾)».
607. وأخرج الحاكم والبيهقي في الدلائل وغيرهما عن ابن مسعود قال: «خرج رسول الله ﷺ يوماً إلى المقابر، فجلس إلى قبر منها فواجه طويلاً ثم بكى فبكيت لبكائه، فقال: «إن القبر الذي جلست عنده قبر أمي وإني استأذنت ربي في الدعاء لها فلم يأذن لي». فأنزل الله: (ما كان للنبي والذين آمنوا أن يستغفروا للمشركين⁽¹⁴⁴⁷⁾)».
608. وأخرج أحمد وابن مردويه واللفظ له من حديث بريدة قال: «كنت مع النبي ﷺ إذ وقف على عسفان فأبصر قبر أمه فتوضأ وصلى وبكى ثم قال: «إني استأذنت ربي أن أستغفر لها فنهيت». فأنزل الله: (ما كان للنبي والذين آمنوا أن يستغفروا للمشركين) - الآية⁽¹⁴⁴⁸⁾».
609. وأخرج الطبراني وابن مردويه نحوه من حديث ابن عباس. وأن ذلك بعد أن رجع من تبوك وسافر إلى مكة معتمراً فهبط عند ثنية عسفان⁽¹⁴⁴⁹⁾.
- قال الحافظ بن حجر: يحتمل أن يكون لنزول الآية أسباب متقدم وهو أمر أبي طالب ومتأخر وهو أمر أمانة وقصة علي وجمع غيره بتعدد النزول.

[تعليق]

ذكر المؤلف رحمه الله عدة أحاديث في سبب نزول هذه الآية وهي تشتمل على ثلاثة أسباب للنزول. أحدها في استغفار النبي ﷺ لعمه أبي طالب. والثاني في استغفار النبي ﷺ لأمه. والثالث في استغفار واحد من الصحابة لأبويه.

وقد ورد سبب رابع لم يذكره المؤلف ذكره الإمام ابن جرير رحمه الله قال: عن قتادة قوله: (ما كان للنبي والذين آمنوا أن يستغفروا للمشركين)، الآية، ذكر لنا أن رجلاً من أصحاب النبي ﷺ قالوا: يا نبي الله، إن من آبائنا من كان يُحسِن الجوار، ويصل الأرحام، ويفك العاني، ويوفي بالذمم، أفلا نستغفر لهم؟ قال: فقال النبي ﷺ: بلى! والله لأستغفرن لأبي، كما استغفر إبراهيم لأبيه! قال: فأنزل الله: "ما كان للنبي والذين آمنوا أن يستغفروا للمشركين" حتى بلغ: "الجحيم"، ثم عذر الله إبراهيم فقال: "وما كان استغفار إبراهيم لأبيه إلا عن موعدة وعدها إياه فلما تبين له أنه عدو لله تبرأ منه"، قال: وذكر لنا أن نبي الله قال: أوحى إليّ كلمات فدخلن في أذني، وقرّرن في قلبي: أمرت أن لا أستغفر لمن مات مشركاً، ومن أعطى فضل ماله فهو خير له، ومن أمسك فهو شرٌّ له، ولا يلوم الله على كفاف⁽¹⁴⁵⁰⁾.

قلت: في الآية النهي عن استغفار المؤمنين للمشركين وهذا حكم عام، والجمع الذي ذكره الإمام ابن حجر جمع حسن ويزاد عليه بأن سبب النزول تأخر عن هذه الحوادث فنزلت الآية فيها كلها موضحة حكم الاستغفار للمشركين والله تعالى أعلم.

[تفسير مختصر للآية]

(ما كان للنبي والذين آمنوا أن يستغفروا للمشركين) أي لا ينبغي ولا يصح للنبي والمؤمنين أن يطلبوا من الله المغفرة للمشركين (ولو كانوا أولي قربى) أي ولو كان المشركون اقرباء لهم (من بعد ما تبين لهم أنهم أصحاب الجحيم) أي من بعد ما وضح لهم أنهم من أهل الجحيم لموتهم على الكفر، والآية نزلت في أبي طالب

(وما كان استغفار إبراهيم لأبيه) هذا بيان للسبب الذي حمل إبراهيم على الاستغفار لأبيه أزر أي ما أقدم إبراهيم على الاستغفار. (إلا عن موعدة وعدها إياه) أي إلا من أجل تقدم له بقوله [سأستغفر لك ربي] وأنه استغفر له قبل أن يتحقق من إصراره على

منده 1/179 ح (37) مسند أحمد 5/433 ح (23724) المعجم الكبير 20/349 ح (820) الأحاد والمثاني 42 ح (720)/2 تفسير الطبري 11/41 (1446) سنن الترمذي 5/281 ح (3101) وقال حديث حسن سنن النسائي 4/91 ح (2036) مسند أحمد 1/99 مسند أحمد 1/130 ح (1085) المستدرک 2/365 ح (4028) وقال صحيح الإسناد ولم يخرجه سنن النسائي الكبرى 1/655 مسند أبي يعلى 1/280 ح (335) قلت: الراوي عن علي أبو الخليل صالح للشواهد، وأنكر عليه البخاري حديثاً عن زيد بن أرقم وباقي إسناده إسناد الصحيح الإمام أحمد: حدثنا يحيى بن آدم ثنا سفيان عن أبي إسحاق عن أبي الخليل عن علي - به (1447) مستدرک الحاكم 2/366 ح (3292) وقال: صحيح علي شرطهما قلت: سياقه عنده أطول مما ذكره المؤلف وليس هو علي شرطهما كما قال الحاكم، فإن أيوب بن هاني ما أخرج له الشيخان، وقد ضعه ابن معين وقال ابن عدي لا أعرفه، قال الدارقطني: يعتبر به، وقال أبو حاتم: شيخ صالح فالحديث صالح للشواهد قال أبو عبد الله الحاكم حدثنا أبو العباس محمد بن يعقوب حدثنا بحر بن نصر حدثنا عبد الله بن وهب أن أبا بن جريج عن أيوب بن هاني عن مسروق بن الأجدع عن عبد الله بن مسعود رضي الله عنه - به (1448) موارد الظمان 1/201 ح (791) مسند أبي عوانة 5/84 ح (7883) المعجم الأوسط 6/274 ح (6398) مسند أحمد/5 355 ح (23053) لفظه عن بريدة قال: 23053 حدثنا عبد الله حدثني أبي ثنا حسن بن موسى وأحمد بن عبد الملك قال ثنا زهير قال أحمد بن عبد الملك في حديثه ثنا زبيد بن الحرث اليمامي عن محارب بن دثار عن ابن بريدة عن أبيه قال: «ثم كنا مع النبي ﷺ، فنزل بنا ونحن معه قريب من ألف راكب، فصلى ركعتين، ثم أقبل علينا بوجهه وعيناه تدرقان، فقام إليه عمر بن الخطاب فقده بالأب والأم يقول: يا رسول الله مالك؟ قال: إني سألت ربي عز وجل في الاستغفار لأمي فلم يأذن لي، فدمعت عيني رحمة لها من النار، وإني كنت نهيتكم عن ثلاث عن زيارة القبور فزوروا لتذكركم زيارتها خير أ نهيتكم عن لحوم الأضاحي بعد ثلاث فكلوا وأمسكوا ما شئتم، ونهيتكم عن الأشرية في الأوعية فاشربوا في أي وعاء شئتم ولا تشربوا مسكراً. قلت رجاله: رجال الصحيح

(1449) المعجم الكبير 11/374 قال الهيثمي: ما سوى عكرمة لم أعرفه قلت: إسحاق بن عبد الله بن كيسان له ترجمة في الجرح والتعديل وغيره قال الحافظ في لسان الميزان: قال البخاري في ترجمة عبد الله بن كيسان له ابن اسمه إسحاق منكر الحديث، وأيضاً فقد لبينه أبو أحمد الحاكم، وقال ابن حبان في الثقات: يتقى حديثه والحديث سياقه عند الطبراني أكبر مما ذكره المؤلف رحمه الله.

(فلما تبين له أنه عدو لله تبرأ منه) أي فلما تبين لإبراهيم أن أباه مصر على مخالفته ومستمر على الكفر، تبرأ من أبيه بالكلية فضلا عن الاستغفار له، ثم بين تعالى بان الذي حمل إبراهيم على الاستغفار هو فرط ترحمه وصبره على أبيه فقال: (إن إبراهيم لأواه) أي كثير التأوه من فرط الرحمة ورقة القلب. (حليم) أي صبور على ما يعترضه من الإذى⁽¹⁴⁵¹⁾.

(لَقَدْ تَابَ اللَّهُ عَلَى النَّبِيِّ وَالْمُهَاجِرِينَ وَالْأَنْصَارِ الَّذِينَ اتَّبَعُوهُ فِي سَاعَةِ الْعُسْرَةِ مِنْ بَعْدِ مَا كَادَ يَزِيغُ قُلُوبَ فَرِيقٍ مِّنْهُمْ ثُمَّ تَابَ عَلَيْهِمْ إِنَّهُ بِهِمْ رَءُوفٌ رَّحِيمٌ ١١٧ وَعَلَى الثَّلَاثَةِ الَّذِينَ خَلَفُوا حَتَّىٰ إِذَا ضَاقَتْ عَلَيْهِمُ الْأَرْضُ بِمَا رَحُبَتْ وَضَاقَتْ عَلَيْهِمْ أَنفُسُهُمْ وَظَنُّوا أَنْ لَا مَلْجَأَ مِنَ اللَّهِ إِلَّا إِلَيْهِ ثُمَّ تَابَ عَلَيْهِمْ لِيَتُوبُوا إِنَّ اللَّهَ هُوَ التَّوَّابُ الرَّحِيمُ ١١٨ يَا أَيُّهَا الَّذِينَ ءَامَنُوا اتَّقُوا اللَّهَ وَكُونُوا مَعَ الصَّادِقِينَ ١١٩)

قوله تعالى: (لقد تاب الله على النبي) - الآيات.

610. [ك] روى البخاري وغيره عن كعب بن مالك: «قال لم أتخلف عن النبي □ في غزوة غزاها إلا بدرا حتى كانت غزوة تبوك وهي آخر غزوة غزاها وأذن الناس بالرحيل - فذكر الحديث بطوله، وفيه فأنزل الله توبتنا: (لقد تاب الله على النبي والمهاجرين) - إلى قوله: (إن الله هو التواب الرحيم) قال: وفيها أنزل أيضاً: (اتقوا الله وكونوا مع الصادقين⁽¹⁴⁵²⁾)».

[تعليق]

ذكر المؤلف رحمه الله أثراً واحداً في سبب نزول هذه الآية وهو حديث مشهور طويل مخرج في الصحيح في قصة توبة الثلاثة الذين خلفوا عن غزوة تبوك وهم كعب بن مالك، وهلال بن أمية، ومرارة بن الربيع وأنا أذكر الحديث هنا بطوله إتماماً للفائدة.

روى البخاري وغيره: عن كعب بن مالك - رضي الله عنه - قال: لم أتخلف عن رسول الله - صلى الله عليه وسلم - في غزوة غزاها إلا في غزوة تبوك غير أنني تخلفت في غزوة بدر، ولم يعاتب أحداً تخلفت عنها، إنما خرج رسول الله - صلى الله عليه وسلم - يريد عير قريش، حتى جمع الله تعالى بينهم وبين عدوهم على غير ميعاد، ولقد شهدت مع رسول الله - صلى الله عليه وسلم - ليلة العقبة حين تواتقنا على الإسلام، وما أحب أن لي بها مشهد بدر وإن كانت بدر أذكر في الناس منها، كان من خبري أنني لم أكن قط أقوى، ولا أيسر حين تخلفت عنه في تلك الغزوة، والله ما اجتمعت عندي قبله راحلتان قط، حتى جمعتهما في تلك الغزوة. ولم يكن رسول الله - صلى الله عليه وسلم - يريد غزوة إلا ورى بغيرها، حتى كانت تلك الغزوة فغزاها رسول الله - صلى الله عليه وسلم - في حر شديد، واستقبل سفراً بعيداً ومفازاً، وعدواً كثيراً، فجلى للمسلمين أمرهم ليتأهبوا أهبة عدوهم، فأخبرهم بوجهه الذي يريد، والمسلمون مع رسول الله - صلى الله عليه وسلم - كثير، ولا يجمعهم كتاب حافظ يريد الديوان. قال كعب - رضي الله عنه -: فما رجل يريد أن يتعيب إلا ظن أنه سيخفى ما لم ينزل فيه وحى الله تعالى، وغزا رسول الله - صلى الله عليه وسلم - تلك الغزوة حين طابت الثمار والظلال، وتجهز رسول الله - صلى الله عليه وسلم -، والمسلمون معه، فطفقت أجدو لكي أتجهز معهم، فأرجع ولم أقض شيئاً، فأقول في نفسي: أنا قادر عليه، فلم يزل يتمادى حتى اشتد بالناس الجد. فأصبح رسول الله - صلى الله عليه وسلم - غادياً، والمسلمون معه، ولم أقض من جهازي شيئاً، فقلت: أتجهز بعده بيوم أو يومين، ثم ألحقهم. فغدوت بعد أن فصلوا لأتجهز، ولم أقض شيئاً، فلم يزل يتمادى بي حتى أسرعوا، وتفارط الغزو، فهملت أن أرتحل فأدرتهم، فلبتني فعلت، فلم يقدر لي ذلك، فكنت إذا خرجت في الناس بعد خروج رسول الله - صلى الله عليه وسلم -، يحزنني أنني لا أرى لي أسوة إلا رجلاً مغموصاً عليه في التفاق، أو رجلاً ممن عذر الله تعالى من الضعفاء، ولم يذكرني رسول الله - صلى الله عليه وسلم -، حتى بلغ تبوك، فقال وهو جالس في القول بتبوك: "ما فعل كعب بن مالك؟"، فقال رجل من بني سلمة: يا رسول الله حبسه برده والنظر في عطفه، فقال معاذ بن جبل - رضي الله عنه -: بنس ما قلت، والله يا رسول الله ما علمنا عليه إلا خيراً، فسكت رسول الله - صلى الله عليه وسلم -.

قال كعب بن مالك: فلما بلغني أنه توجه قافلاً حضرنى همي، فطفقت أتذكر الكذب، فأقول: بماذا أخرج من سخطه غداً، وأستعين على ذلك بكل ذي رأي من أهلي، فلما قيل: إن رسول الله - صلى الله عليه وسلم - قد أظلم قادمًا زاح عني الباطل حتى عرفت أنني لم أخرج منه أبداً بشيء فيه كذب، فأجمعت صدقه.

وأصبح رسول الله - صلى الله عليه وسلم - قادمًا، وكان إذا قدم من سفر بدأ بالمسجد، فركع فيه ركعتين، ثم جلس للناس، فلما فعل ذلك، جاءه المخلفون، فطفقوا يعتذرون إليه، ويحلفون له، وكانوا بضعة وثمانين رجلاً، فقبل منهم رسول الله - صلى الله عليه وسلم - - علانيتهم، واستغفر لهم، ووكل سرائرهم إلى الله تعالى، فجنته، فلما سلمت عليه تبسم تبسم المغضب ثم قال: "تعال"، فجنت أمشي حتى جلست بين يديه، فقال لي: "ما خلفك؟ ألم تكن قد ابتعت ظهرك"، فقلت: بلى إني والله يا رسول الله لو جلست عند غيرك من أهل الدنيا لرأيت أن أخرج من سخطه بعدن، ولقد أعطيت جدلاً، ولكني والله لقد علمت لو حدثتك اليوم حديث كذب ترضى به عني،

(1451) صفة التفسير - للصابوني (1/ 378)

(1452) أخرجه البخاري 4/1603 ح (4156) ومسلم 4/2129 ح (2769) وأبو داود 2/262 ح (2202) والنسائي في الكبرى 6/359 ح (11232) والترمذي 5/281 ح (3102) وأحمد في المسند 3/456 ح (15827) وابن حبان في صحيحه 8/155 ح (3370) والبيهقي في السنن الكبرى 9/33 ح (17649) المعجم الكبير 19/42 ح (90) الأدب المفرد 325 المؤلف: محمد بن إسماعيل بن إبراهيم بن المغيرة البخاري، أبو عبد الله (المتوفى: 256 هـ) المحقق: محمد فواد عبد الباقي الناشر: دار البشائر الإسلامية - بيروت الطبعة: الثالثة، 1409 - 1989 عدد الأجزاء: 1 وغيرهم

ليوشكن الله أن يسخطك عليّ، ولئن حدّثتك حديث صدق تجد عليّ فيه إني لأرجوا فيه عفو الله تعالى، لا والله ما كان لي من عذري، والله ما كنت قط أقوى ولا أيسر مني حين تخلفت عنك، فقال رسول الله - صلى الله عليه وسلم -: "أما هذا، فقد صدق، فقم حتى يقضي الله فيك"، ففقت، وثار رجال من بني سلمة، فأتبعوني فقالوا لي: والله ما علمناك كنت أذنبت ذنباً قبل هذا، ولقد عجزت أن لا تكون اعتذرت إلى رسول الله - صلى الله عليه وسلم - بما اعتذر إليه المتخلفون، فقد كان كافيك ذنبك استغفار رسول الله - صلى الله عليه وسلم - فوالله ما زالوا يؤنبونني حتى أردت أن أرجع، فأكذب نفسي، ثم قلت: هل لقي هذا معي أحد؟ قالوا: رجلان قالا مثل ما قلت، فقيل لهما مثل ما قيل لك، فقلت: من هما؟ قالوا: مرارة بن الربيع العمري، وهلال بن أمية الواقفي. فذكروا لي رجلين صالحين قد شهدا بديراً - رضي الله عنهما - ففيهما أسوة فمضيت حين ذكروهما لي، ونهى رسول الله - صلى الله عليه وسلم - عن كلامنا أيها الثلاثة من بين من تخلف عنه، فاجتنبنا الناس وتغيروا لنا، حتى تنكرت لي في نفسي الأرض فما هي التي أعرف.

فلبئنا على ذلك خمسين ليلة، فأما صاحباي فاستكانا وقعدا في بيوتهما ببيكان، وأما أنا فكنت أشب القوم، وأجلدهم، وكنت أخرج فأشهد الصلاة مع المسلمين، وأطوف في الأسواق، ولا يكلمني أحد، وأتي رسول الله - صلى الله عليه وسلم -، وأسلم عليه وهو في مجلسه بعد الصلاة، وأقول في نفسي: هل حرّك شفّتي برد السلام عليّ أم لا؟ ثم أصلي قريباً منه، فأسارقه النظر، فإذا أقبلت إلى صلاتي أقبل إليّ، وإذا التفت نحوه أعرض عني، حتى إذا طال عليّ ذلك من جفوة المسلمين مشيت حتى تسورت جدار حائط أبي قتادة - رضي الله عنه -، وهو ابن عمي، وأحب الناس إليّ، فسلمت عليه، فوالله ما ردّ عليّ السلام، فقلت له: يا أبا قتادة: أنشدك بالله هل تعلمني أحبّ الله ورسوله - صلى الله عليه وسلم -؟ فسكت، فعدت فناشدته، فقال - رضي الله عنه -: الله ورسوله أعلم، ففاضت عينا، وتوليت حتى تسورت الجدار، فبينما أنا أمشي بسوق المدينة إذا نبطي من أنباط أهل الشام ممن قدم بالطعام يبيعه بالمدينة يقول: من يدلّ على كعب بن مالك؟ فطفق الناس يشيرون له إليّ حتى جاءني فدفع إليّ كتاباً من ملك غسان فإذا فيه:

أما بعد؛ فإنه قد بلغني أنّ صاحبك جفاك، ولم يجعلك الله تعالى بدار هوان ولا مضبعة، فالحق بنا نواسيك. فقلت لما قرأته: وهذا أيضاً من البلايا قتيمة بها التور، فسجرت بها حتى إذا مضت أربعون ليلة من الخمسين، إذا رسول رسول الله - صلى الله عليه وسلم - يأتيني فيقول: إنّ رسول الله - صلى الله عليه وسلم - يأمرك أن تعتزل امرأتك، فقلت: أطلقها أم ماذا أفعل؟ فقال: لا بل اعتزلها، ولا تقربها. وأرسل إلى صحبي بمثل ذلك، فقلت لامرأتي: إلهي بأهلك فكوني معهم حتى يقضي الله في هذا الأمر.

قال كعب: فجاءت امرأة هلال بن أمية رسول الله - صلى الله عليه وسلم -، فقالت: يا رسول الله إنّ هلال بن أمية شيخ ضائع ليس له خادم فهل تكره أن أخدمه؟ قال: "لا ولكن لا يقربك"، قالت: والله ما به حركة إلى شيء، والله ما زال يبكي مذ كان إلى يومه هذا، فقال لي بعض أهلي: لو استأذنت رسول الله - صلى الله عليه وسلم - في امرأتك كما أذن لامرأة هلال بن أمية أن تخدمه، فقلت: والله لا استأذنت فيها رسول الله - صلى الله عليه وسلم -، وما يديري ما يقول رسول الله إذا استأذنته فيها، وأنا رجل شاب. فلبثت بذلك عشر ليالٍ حتى كملت لنا خمسون ليلة من حين نهى رسول الله - صلى الله عليه وسلم - عن كلامنا، فلما صليت صلاة الفجر صبح خمسين ليلة، وأنا على ظهر بيت من بيوتنا؛ فبينما أنا جالس على الحال التي ذكر الله - عزّ وجلّ -، قد ضاقت عليّ نفسي، وضاقت عليّ الأرض بما رحبت، سمعت صارخاً أوفى على جبل سلع بأعلى صوته يقول: يا كعب بن مالك أبشر. قال: فخررت ساجداً، وعرفت أن قد جاء فرج، وأذن رسول الله - صلى الله عليه وسلم - بتوبة الله تعالى علينا حين صلي صلاة الفجر، فذهب الناس يبشروننا، وذهب قبل صاحبني مبشرون، وركض رجل إليّ فرساً، وسعى ساع من أسلم فأوفى على الجبل، فكان الصوت أسرع من الفرس.

فلما جاءني الذي سمعت صوته يبشرنني، نزعته له ثوبي، فكسوته إياهما ببشراه والله ما أملك غيرهما يومئذ، واستعرت ثوبين فلبستهما، وانطلقت إلى رسول الله - صلى الله عليه وسلم -، فتلقاني الناس فوجاً فوجاً يهتفون بالتوبة، يقولون: ليهنك توبة الله تعالى عليك يا كعب، حتى دخلت المسجد فإذا رسول الله - صلى الله عليه وسلم - جالس حوله الناس، فقام إليّ طلحة بن عبيد الله - رضي الله عنه - يهرول، حتى صافحني وهنأني، والله ما قام إليّ رجل من المهاجرين غيره، وكان كعب لا ينساها لطلحة، فلما سلمت على رسول الله - صلى الله عليه وسلم - قال - وهو يبرق وجهه من السرور: "أبشر بخير يوم مرّ عليك مذ ولدتك أمك"، قال: قلت: أمك يا رسول الله أم من عند الله؟ قال: "لا بل من عند الله".

وكان رسول الله - صلى الله عليه وسلم - إذا سرّ استنار وجهه، حتى كأنه قطعة قمر، وكنا نعرف ذلك منه، فلما جلست بين يديه، قلت: يا رسول الله إنّ من توبتي أن أنخلع من مالي صدقة إلى الله ورسوله.

فقال رسول الله - صلى الله عليه وسلم -: "أمسك عليك بعض مالك، فهو خير لك"، قلت: فإني أمسك سهمي الذي بخبير، فقلت: يا رسول الله إنّ الله إنّما أنجاني بالصدق وإنّ من توبتي أن لا أحدث إلا صدقاً ما بقيت، فوالله ما أعلم أحداً من المسلمين أبلاه الله تعالى في صدق الحديث أحسن مما أبلاني، وما تعمدت مذ ذكرت ذلك لرسول الله - صلى الله عليه وسلم - إلى يومي هذا كذباً وإني لأرجو أن يحفظني الله تعالى فيما بقيت، وأنزل الله تعالى على رسول الله - صلى الله عليه وسلم - (لَقَدْ تَابَ اللَّهُ عَلَى النَّبِيِّ وَالْمُهَاجِرِينَ وَالْأَنْصَارِ الَّذِينَ اتَّبَعُوهُ فِي سَاعَةِ الْعُسْرَةِ مِنْ بَعْدِ مَا كَادَ يَزِيغُ قُلُوبَ فَرِيقٍ مِنْهُمْ ثُمَّ تَابَ عَلَيْهِمْ إِنَّهُ بِهِمْ رُؤُوفٌ رَحِيمٌ وَعَلَى الثَّلَاثَةِ الَّذِينَ خَلَفُوا حَتَّى إِذَا ضَاقَتْ عَلَيْهِمُ الْأَرْضُ بِمَا رَحُبَتْ وَضَاقَتْ عَلَيْهِمْ أَنْفُسُهُمْ وَظَنُّوا أَنْ لَا مَلْجَأَ مِنَ اللَّهِ إِلَّا إِلَيْهِ ثُمَّ تَابَ عَلَيْهِمْ لِيَتُوبُوا إِنَّ اللَّهَ هُوَ التَّوَّابُ الرَّحِيمُ يَا أَيُّهَا الَّذِينَ آمَنُوا اتَّقُوا اللَّهَ وَكُونُوا مَعَ الصَّادِقِينَ)، [التوبة الآيات: 117-119].

فوالله ما أنعم الله عليّ من نعمة قط بعد أن هداني للإسلام أعظم في نفسي من صدقي رسول الله - صلى الله عليه وسلم - أن لا أكون كذبه فأهلك كما هلك الذين كذبوا، فإن الله تعالى قال للذين كذبوا حين أنزل الوحي شرّ ما قال لأحد، فقال الله - عزّ وجلّ -: (سَيُخَلِّفُونَ بِاللَّهِ لَكُمْ إِذَا انْقَلَبْتُمْ إِلَيْهِمْ لِتُعْرِضُوا عَنْهُمْ فَأَعْرِضُوا عَنْهُمْ إِنَّهُمْ رَجِسٌ وَمَآءُهُمْ جَهَنَّمَ جَزَاءً بِمَا كَانُوا يَكْسِبُونَ يَخْلِفُونَ لَكُمْ لِتَرْضُوا عَنْهُمْ فَإِنْ تَرْضَوْا عَنْهُمْ فَإِنَّ اللَّهَ لَا يَرْضَى عَنِ الْقَوْمِ الْفَاسِقِينَ)، [التوبة الآيات: 95-96]، انتهى

هذه الرواية وإن كانت طويلة غير أن ذكرها مهم لشرح ظروف نزول الآية.

أما قوله تعالى (يا أيها الذين آمنوا اتقوا الله وكونوا مع الصادقين).

فقد ورد أنها نزلت في شأن الثلاثة المذكورين في الحديث السابق، وجاء كذلك أنها نزلت في أهل الكتاب والمعنى يا أيها الذين آمنوا

بموسى وعيسى اتقوا الله في إيمانكم بحمد صلى الله عليه وسلم وكونوا مع الصادقين⁽¹⁴⁵⁴⁾.

وفي المراد بالصادقين المأمور بالكينونة معهم خمسة أقوال.

قال الإمام ابن الجوزي:

أحدها: أنه النبي □ وأصحابه، قاله ابن عمر.

والثاني: أبو بكر وعمر، قاله سعيد بن جبيرة، والضحاك. وقد قرأ أبو السميعة وأبو المتوكل، ومعاذ القاريء: «مع الصادقين» بفتح القاف وكسر النون على التثنية.

والثالث: أنهم الثلاثة الذين خُلفوا، صدقوا النبي □ عن تأخرهم، قاله السدي.

والرابع: أنهم المهاجرون، لأنهم لم يتخلفوا عن رسول الله □ في الجهاد، قاله ابن جريح. قال أبو سليمان الدمشقي: وقيل: إن أبا بكر الصديق احتج بهذه الآية يوم السقيفة، فقال: يا معشر الأنصار، إن الله يقول في كتابه: (للفقراء المهاجرين الذين أخرجوا) إلى قوله: (أولئك هم الصادقون) [الحشر: 8] من هم؟ قالت الأنصار: أنتم هم. قال: فان الله تعالى يقول: (اتقوا الله وكونوا مع الصادقين) فأمركم أن تكونوا معنا، ولم يأمرنا أن نكون معكم، فنحن الأمراء وأنتم الوزراء.

والخامس: أنه عام، قاله قتادة و«مع» بمعنى «من»، وكذلك هي في قراءة ابن مسعود: «وكونوا من الصادقين»⁽¹⁴⁵⁵⁾.

[تفسير مختصر للآية]

(لقد تاب الله على النبي والمهاجرين والأنصار) أى تاب الله على النبي من اذنه للمنافقين في التخلف، وتاب على المهاجرين والأنصار لما حصل منهم من بعض الهفوات في (غزوة تبوك)، حيث تباطأ بعضهم، وتثاقل عن الجهاد آخرون، والغرض التوبة على من تخلفوا من المؤمنين عن (غزوة تبوك) ثم تابوا وانابوا، وعلم الله صدق توبتهم فقبلها منهم، وصدرها بتوبته على رسوله وكبار صحبه جبراً لقلوبهم، وتبويها لشأنهم، وبعثاً للمؤمنين على التوبة، وأنه ما من مؤمن الا وهو محتاج الى التوبة والاستغفار، حتى النبي والمهاجرون والأنصار

(الذين اتبعوه في ساعة العسرة) أى اتبعوه في غزوة تبوك وقت العسرة في شدة الحر، وقلة الزاد، والضيق الشديد.

(من بعد ما كاد يزيغ قلوب فريق منهم) أى من بعد ما كادت قلوب بعضهم تميل عن الحق وترتاب، لما نالهم من المشقة والشدة

(ثم تاب عليهم) أى وفقهم للتبات على الحق، وتاب عليهم لما ندموا

(إنه بهم رؤوف رحيم) أى لطيف رحيم بالمؤمنين

(وعلى الثلاثة الذين خلفوا) أى وتاب كذلك على الثلاثة الذين تخلفوا عن الغزو، وهم " كعب، وهلال، ومرارة "

(حتى إذا ضاقت عليهم الأرض بما رحبت) أى ضاقت عليهم مع سعتها

(وضاقت عليهم أنفسهم) أى ضاقت نفوسهم بما اعترأها من الغم والهجم، بحيث لا يسعها أنس ولا سرور، وذلك بسبب ان الرسول عليه السلام دعا لمقاطعتهم، فكان أحدهم يفشي السلام لأقرب اقربائه فلا يرد عليه، وهجرتهم نساؤهم وأهلهم وأهلهم، حتى تاب الله عليهم

(وظنوا أن لا ملجأ من الله إلا إليه) أى وايقنوا انه لا معتصم لهم من الله ومن عذابه، الا بالرجوع والانابة اليه سبحانه

(ثم تاب عليهم ليتوبوا) أى رجع عليهم بالقبول والرحمة، ليستقيموا على التوبة ويدوموا عليها

(ان الله هو التواب الرحيم) أى المبالغ في قبول التوبة، وإن كثرت الجنايات وعظمت، المتفضل على العباد بالرحمة الشاملة

(يا أيها الذين آمنوا اتقوا الله وكونوا مع الصادقين) أى راقبوا الله في جميع اقوالكم وافعالكم، وكونوا مع اهل الصدق واليقين، الذين صدقوا في الدنيا، نية وقولا وعملا⁽¹⁴⁵⁶⁾.

(وَمَا كَانَ الْمُؤْمِنُونَ لِيَنْفِرُوا كَافَّةً فَلَوْلَا نَفَرَ مِنْ كُلِّ فِرْقَةٍ مِّنْهُمْ طَائِفَةٌ لِّيَتَفَقَّهُوا فِي الدِّينِ وَلِيُنذِرُوا قَوْمَهُمْ إِذَا رَجَعُوا إِلَيْهِمْ لَعَلَّهُمْ يَحْذَرُونَ (١٢٢)

قوله تعالى: (وما كان المؤمنون لينفروا كافة) - الآية.

611. أخرج ابن أبي حاتم عن عكرمة قال: « لما نزلت: (إلا تنفروا يعذبكم عذاباً أليماً) - وقد كان تخلف

عنه ناس في البدو يفقهون قومهم، فقال المنافقون: قد بقي ناس في البوادي هلك أصحاب البوادي،

فنزلت: (وما كان المؤمنون لينفروا كافة)⁽¹⁴⁵⁷⁾».

612. وأخرج عن عبد الله بن عبيد بن عمير قال: « كان المؤمنون لحرصهم على الجهاد إذا بعث رسول

الله □ سرية خرجوا فيها وتركوا النبي □ بالمدينة في رقة⁽¹⁴⁵⁸⁾ من الناس، فنزلت⁽¹⁴⁵⁹⁾».

[تعليق]

ذكر المؤلف رحمه الله أثنين في سبب نزول هذه الآية وهما يوضحان حكماً من أحكام الجهاد الإسلامي، وهو أنه لا

⁽¹⁴⁵⁴⁾ زاد المسير (3/ 514)

⁽¹⁴⁵⁵⁾ زاد المسير (3/ 514)

⁽¹⁴⁵⁶⁾ صفوة التفسير - للصابوني (1/ 379)

⁽¹⁴⁵⁷⁾ تفسير ابن أبي حاتم 6/1796 مرسل صحيح الإسناد.

⁽¹⁴⁵⁸⁾ في باب رفق (وقد يُطلق على الجماعة الرقيق) النهاية في غريب الحديث/ 2/ 251

⁽¹⁴⁵⁹⁾ تفسير ابن أبي حاتم 6/1910 مرسل صحيح الإسناد.

يجوز لجميع المسلمين أن ينفروا للجهاد بل لا بد منهم طائفة تبقى حتى يتفقه في الدين المتفقه ويتعلم المتعلم ويكونوا في حاجة الضعفاء.

وفي سبب نزولها غير ما ذكر المؤلف ما أخرجه الإمام ابن جرير وابن أبي حاتم عن ابن عباس قوله: (وما كان المؤمنون لينفروا كافة)، فإنها ليست في الجهاد، ولكن لما دعا رسول الله ﷺ على مُضَرِّ بالسَّيْنِ أُجِدبت بلادهم، وكانت القبيلة منهم تُقْبَلُ بأسرها حتى يَحْلُوا بالمدينة من الجهد، ويعتلوا بالإسلام وهم كاذبون، فضيقتوا على أصحاب النبي ﷺ وأجهدوهم، وأنزل الله يخبر رسول الله ﷺ أنهم ليسوا مؤمنين، فردهم رسول الله عشائرهم، وحذر قومهم أن يفعلوا فعلهم، فذلك قوله: (ولينذروا قومهم إذا رجعوا إليهم لعلهم يحذرون)⁽¹⁴⁶⁰⁾.

[تفسير مختصر للآية]

(وما كان المؤمنون لينفروا كافة) أي لا ينبغي خروج جميع المؤمنين للغزو (هذا هو معنى الآية، وقيل: المراد أن ينفروا لطلب العلم، وما ذكرناه اصح وأوضح) بحيث تخلو منهم البلاد.

(فلولا نفر من كل فرقة منهم طائفة) أي فاذا لم يصلح نفيير الجميع ولم يكن فيه مصلحة، فهلا نفر من كل جماعة كثيرة فئة قليلة.

(ليتفقهوا في الدين) أي ليصبحوا فقهاء، ويتكفوا المشاق في طلب العلم.

(ولينذروا قومهم إذا رجعوا إليهم لعلهم يحذرون) أي وليخوفوا قومهم ويرشدوهم إذا رجعوا إليهم من الغزو، لعلهم يخافون عقاب الله بامتثال أوامره واجتناب نواهيه⁽¹⁴⁶¹⁾.

انتهت سورة التوبة

سُورَةُ يُوسُفَ

(أَكَانَ لِلنَّاسِ عَجَبًا أَنْ أَوْحَيْنَا إِلَى رَجُلٍ مِّنْهُمْ أَنْ أَنْذِرِ النَّاسَ وَبَشِّرِ الَّذِينَ ءَامَنُوا أَنَّ لَهُمْ قَدَمَ صِدْقٍ عِنْدَ رَبِّهِمْ ۗ قَالَ الْكٰفِرُونَ إِنَّ هٰذَا لَسَجْرٌ مُّبِينٌ ۙ (٢)

قوله تعالى: (أكان للناس عجباً) .

613. أخرج ابن جرير من طريق الضحاك عن ابن عباس قال: «لما بعث الله محمداً رسولاً أنكرت العرب ذلك أو من أنكر ذلك منهم، فقالوا: الله أعظم من أن يكون رسوله بشراً، فأنزل الله: (أكان للناس عجباً) - الآية وأنزل: (وما أرسلنا من قبلك إلا رجالاً) - الآية، فلما كرر الله عليهم الحجج قالوا: وإذا كان بشراً فغير محمد كان أحق بالرسالة، لولا أنزل هذا القرآن على رجل من القريتين عظيم، يقولون: أشرف من محمد يعنون الوليد بن المغيرة من مكة ومسعود بن عمرو الثقفي من الطائف، فأنزل رداً عليهم: (أهم يقسمون رحمة ربك) - الآية»⁽¹⁴⁶²⁾.

[تعليق]

سورة يونس سورة مكية سورة، إلا الآيات: 40 و94 و95 و96 فمدنية وآياتها: 109 نزلت بعد الإسراء⁽¹⁴⁶³⁾. وقد عنيت سورة يوسف بأمور العقيدة وبعض قصص النبيين كما هو شأن السور المكية في موضوعاتها. وقد ذكر المؤلف سبب النزول لهذه الآية، وهو يدل على ما كان عليه المشركون من الكبر والحسد للنبي ﷺ، وقد ذكر الله تعالى في عدة آيات أن من المنطق أن يرسل رسولاً بشراً لا ملكاً، كما قال تعالى (قل لو كان في الأرض ملائكة يمشون مطمئنين لنزلنا عليهم من السماء ملكاً رسولاً) الإسراء 95. فبين أن إرساله البشر لكون المرسل إليهم كذلك بشراً. وقد جاءت في السورة أسباب غير ما ذكرها المؤلف لكن ليست في نفس الآية، فأعرضت عن ذكرها لأن موضوع الكتاب هو شرح ما أورده المؤلف وبالله التوفيق.

[تفسير مختصر للآية]

(أكان للناس عجباً أن أوحينا إلى رجل منهم) أي أكان عجباً لأهل مكة إياحواؤنا إلى رجل منهم هو "محمد" عليه الصلاة والسلام؟ والهزمة للانكار أي لا عجب في ذلك فهي عادة الله في الامم السالفة، أوحى إلى رسلكم ليبلغوهم رسالة الله. (أن أنذر الناس) أي أوحينا إليه بأن خوف الكفار عذاب النار. (وبشر الذين آمنوا أن لهم قدم صدق عند ربهم) أي وان بشر المؤمنين بأن لهم سابقة ومنزلة رفيعة عند ربهم بما قدموا من صالح الاعمال.

(قال الكافرون ان هذا لساحر مبين) أي ومع وضوح صدق الرسول صلى الله عليه وسلموا عجاز القرآن، قال المشركون: إن محمداً لساحر ظاهر السحر، مبطل فيما يدعيه، قال البيضاوي: وفيه اعتراف بأنهم صادفوا من الرسول ﷺ امورا خارقة للعادة، معجزة يباهم عن المعارضة، وهو اعتراف من حيث لا يشعرون، بأن ما جاء به خارج عن طوق البشر.

(1460) جامع البيان (تفسير الطبري) (14/ 569)

(1461) صفوة التفاسير - للصابوني (1/ 380)

(1462) تفسير الطبري 25/66 وإسناده منقطع وفي إسناده بشر بن عماره ضعيف

(1463) مفاتيح الغيب (17/ 183)

سُورَةُ هُودٍ

(أَلَا إِنَّهُمْ يَنْتُونُ صُدُورَهُمْ لِيَسْتَخْفُوا مِنْهُ أَلَا حِينٌ يَسْتَعْشُونَ ثِيَابَهُمْ يَعْلَمُ مَا يُسِرُّونَ وَمَا يُعْلِنُونَ إِنَّهُ عَلِيمٌ بِذَاتِ الصُّدُورِ ه)

قوله تعالى: (ألا إنهم ينتنون صدورهم) - الآية.

614. [ك] روى البخاري عن ابن عباس في قوله: (ألا إنهم ينتنون صدورهم) قال: «كان أناس يستحيون أن يتخلوا فيفضوا بفروجهم إلى السماء، وأن يجامعوا نساءهم فيفضوا إلى السماء فنزل ذلك فيهم⁽¹⁴⁶⁴⁾». «
615. وأخرج ابن جرير وغيره عن عبد الله بن شداد قال: «كان أحدهم إذا مر بالنبى □ ثنى صدره لكي لا يراه فنزلت⁽¹⁴⁶⁵⁾».

[تعليق]

سورة هود مكية، إلا الآيات: 12 و17 و114 فمدنية وآياتها 123 نزلت بعد سورة يونس⁽¹⁴⁶⁶⁾. وهي كذلك مثل مكي الآيات حيث اهتمت بشأن العقيدة ولكنها أطالت في ذكر قصص الأنبياء لا سيما نبي الله نوح. وقد ذكر المؤلف رحمه الله سببين لنزول قول الله تعالى (ألا إنهم ينتنون صدورهم ليسخفوا منه). الأول: الأول في بعض الصحابة الذين كانوا يخرجون من كشف العورة في قضاء الحاجة ومجامعة النساء، فبين الله تعالى لهم أنه يراهم سواء في خلوتهم أو في سترتهم ويعلم سرهم وعلانيتهم. والثاني: بيان لحال المشركين من كونهم ينتنون صدورهم. يقال ثنى صدره عن الشيء إذا زور وانحرف عنه، فيكون في الكلام كناية عن الإعراض لأن من عارض عن الشيء ثنى عنه صدره وطوى عنه كشحه. وقيل معناه يعطفون صدورهم على ما فيها من الكفر والإعراض عن الحق وعداوة النبي □ بحيث يكون ذلك مخفياً مستوراً فيها كما تعطف الثياب على ما فيها من الأشياء المستورة، فيكون في الكلام كناية عن الإخفاء لما يعتقدونه من الكف كما كان دأب المنافقين⁽¹⁴⁶⁷⁾.

وقد اختصر المؤلف الرواية هنا وعند ابن جرير "ثنى صدره، وتغشى بثوبه، كي لا يراه النبي □" ⁽¹⁴⁶⁸⁾. وفي رواية الثعلبي: «نزلت في بعض المنافقين كان إذا مر برسول الله صلى الله عليه وسلم ثنى صدره وظهره، وطأطأ رأسه، وتغشى ثوبه كي لا يراه النبي (صلى الله عليه وسلم)⁽¹⁴⁶⁹⁾». قلت: يعكر على هذا أن السورة مكية، وسياق الآيات هو سياق المكي لا المدني. والله تعالى أعلم. وقد جاء في سبب نزول هذه الآية غير ما ذكره المؤلف رحمه الله. فالسبب الثالث: ما قاله أبو حيان: عن ابن عباس: «نزلت في الأخنس بن شريق، كان يجالس رسول الله صلى الله عليه وسلم ويحلف أنه ليحبه ويضمر خلاف ما يظهر⁽¹⁴⁷⁰⁾». والرابع: أنها في بعض المنافقين وذكرت رواية الثعلبي الواردة في ذلك. والخامس: ذكره كذلك أبو حيان قال: وقيل: «في طائفة قالوا إذا أغلقنا أبوابنا، وأرخينا ستورنا، واستغشينا ثيابنا، وثبينا صدورنا، على عداوته كيف يعلم بنا؟ ذكره الزجاج⁽¹⁴⁷¹⁾». قلت: أصح هذه الأسباب السبب الأول. وإن كان سياق الآيات يدل على أنها نزلت في عداوة الكفار لله ورسوله والله تعالى أعلم.

[تفسير مختصر للآية]

(ألا إنهم ينتنون صدورهم ليسخفوا منه) وقال القرطبي: أخبر عن معادة المشركين للنبي □ والمؤمنين، يظنون أنه تخفى على الله أحوالهم والمعنى إنهم يطؤون صدورهم على عداوة النبي والمؤمنين، يريدون بذلك أن يستخفوا من الله حتى لا يفتضح أمرهم. (ألا حين يستعشون ثيابهم) أي حين يتغطون بعبابهم. (يعلم ما يسرون وما يعلنون) أي: يعلم تعالى ما يئنون وما يظهرون، وكأن الآية تقول: لا تظنوا ان تغطيتكم وتستركم تحجبكم

(1464) صحيح البخاري 4/1723 ح(4405) تفسير الطبري 11/185

(1465) تفسير ابن جرير 11/183 مرسل وفي إسناده سنيد

(1466) مفاتيح الغيب (17/312)

(1467) فتح البيان في مقاصد القرآن (6/140) المؤلف: أبو الطيب محمد صديق خان بن حسن بن علي ابن لطف الله الحسيني البخاري القزويني (المتوفى: 1307هـ) عني

بطبعه وقدم له وراجعته: خادم العلم عبد الله بن إبراهيم الأنصاري الناشر: المكتبة المصرية للطباعة والنشر، صيدا - بيروت عام النشر: 1412 هـ 1992 م عدد الأجزاء: 15

(1468) جامع البيان (تفسير الطبري) (15/234)

(1469) الكشف والبيان عن تفسير القرآن (5/157)

(1470) تفسير البحر المحيط - (5/165)

(1471) تفسير البحر المحيط - (5/165)

عن الله، بل الله يعلم سر أئركم وظواهركم، لا تخفى عليه خافية من أحوالكم.
(إنه عليم بذات الصدور) أي عالم بما في القلوب⁽¹⁴⁷²⁾.

(وَلَئِن أَخْرَأْنَا عَنْهُمْ الْعَذَابَ إِلَىٰ أُمَّةٍ مَّعْدُودَةٍ لَّيَقُولُنَّ مَا يَحْبِسُهُ أَلا يَوْمَ يَأْتِيهِمْ لَيْسَ مَصْرُوفًا عَنْهُمْ وَحَاقَ بِهِمْ مَا كَانُوا بِهِ يَسْتَهْزِءُونَ ۝ ۸)

قوله تعالى: (ولئن أخرجنا عنهم العذاب - الآية).

616. وأخرج ابن أبي حاتم عن قتادة قال: « لما نزل: (اقترب للناس حسابهم) قال ناس: إن الساعة قد اقتربت فتناهوا فتناهى القوم قليلاً، ثم عادوا إلى أعمالهم أعمال السوء، فأنزل الله: (أتى أمر الله فلا تستعجلوه) وقال ناس: هذا أمر الله قد أتى فتناهى القوم ثم عادوا إلى مكرهم مكر السوء، فأنزل الله: (ولئن أخرجنا عنهم العذاب إلى أمة معدودة⁽¹⁴⁷³⁾) - الآية ».

617. وأخرج ابن جرير عن ابن جريج مثله⁽¹⁴⁷⁴⁾.

[تعليق]

ذكر المؤلف رحمه الله سبباً واحداً لنزول هذه الآية، وهو يدل على عناد قريش عن إجابة دعوة النبي ﷺ، والمراد (بالأمة) يعنى الأجل فيخبر الله تعالى أنه لو أخر عنهم العذاب إلى أجل معلوم فسيقولون أي شيء يحبسنا، وهذا قريب من قوله تعالى (ويستعجلونك بالعذاب) والله تعالى أعلم.

[تفسير مختصر للآية]

(ولئن أخرجنا عنهم العذاب إلى أمة معدودة) أي إلى مدة من الزمن قليلة.
(ليقولن ما يحبسنا) أي ليقولن استهزاء ما يمنعه من النزول؟
(ألا يوم يأتيهم ليس مصروفا عنهم) أي ألا فلينتبها فإنه يوم يأتيهم العذاب ليس مدفوعاً عنهم.
(وحاق بهم ما كانوا به يستهزءون) أي نزل وأحاط بهم جزاء ما كانوا به يستهزءون⁽¹⁴⁷⁵⁾.

(وَأَقِمِ الصَّلَاةَ طَرَفِي النَّهَارِ وَزُلْفَا مِّنَ اللَّيْلِ إِنَّ الْحَسَنَاتِ يُذْهِبْنَ أَلْسِيَّاتِ ذَلِكَ ذِكْرِي لِلذَّكْرَيْنِ ۝ ١١٤)

قوله تعالى: (وأقم الصلاة طرفي النهار - الآية).

618. وروى الشيخان عن ابن مسعود: « أن رجلاً أصاب من امرأة قبله، فأتى النبي ﷺ فأخبره، فأنزل الله: (وأقم الصلاة طرفي النهار وزلفاً من الليل إن الحسنات يذهبن السيئات) فقال الرجل: ألي هذه؟ قال: « لجميع أمتي كلهم⁽¹⁴⁷⁶⁾ ».

619. وأخرج الترمذي وغيره عن أبي اليسر قال: « أتتني امرأة تبتاع تمرًا، فقلت: إن في البيت أطيب منه، فدخلت معي البيت، فأهويت إليها فقبلتها، فأتيت رسول الله ﷺ فذكرت ذلك له، فقال: « أخلفت غازياً في سبيل الله في أهله بمثل هذا ». وأطرق طويلاً حتى أوحى الله إليه: (وأقم الصلاة طرفي النهار) - إلى قوله: (للذاكرين⁽¹⁴⁷⁷⁾) ».

620. وورد نحوه من حديث أبي أمامة⁽¹⁴⁷⁸⁾.

621. ومعاذ بن جبل⁽¹⁴⁷⁹⁾.

622. وابن عباس⁽¹⁴⁸⁰⁾.

⁽¹⁴⁷²⁾صفوة التفسير - للصابوني (2/ 24)

⁽¹⁴⁷³⁾مرسل

⁽¹⁴⁷⁴⁾تفسير الطبري 14/75 مرسل ضعيف الإسناد

⁽¹⁴⁷⁵⁾صفوة التفسير - للصابوني (2/ 25)

⁽¹⁴⁷⁶⁾أخرجه البخاري 1/196 ح(503) ومسلم 4/2115 ح2763 وأبو داود 4/160 ح(4468) والترمذي 5/291 ح(3113) وابن ماجه 1/447 ح(1398) وأحمد في المسند 1/430 ح(4094) وابن حبان في صحيحه 5/18 ح(1729) وابن خزيمة في صحيحه 1/161 ح(312) سنن النسائي الكبرى 4/318 ح(7326) والبيهقي في السنن الكبرى 8/241 ح(16861) مسند أبي يعلى 9/156 ح(5240) المعجم الكبير 10/207 ح(10482) مسند الطيالسي 37 ح(285) غيرهم
⁽¹⁴⁷⁷⁾تفسير الطبري 12/137 سنن الترمذي 5/292 ح(3115) وقال: حسن صحيح وقيس بن الربيع ضعفه وكيع وغيره قلت: حديثه هذا حسن. قال الإمام الترمذي حدثنا عبد الله بن عبد الرحمن أخبرنا يزيد بن هارون أخبرنا قيس بن الربيع عن عثمان بن عبد الله بن موهب عن موسى بن طلحة عن أبي اليسر - به.
⁽¹⁴⁷⁸⁾المعجم الكبير 8/160 ح(7675)

⁽¹⁴⁷⁹⁾مسند أحمد 5/244 ح(22165) مستدرک الحاكم 1/229 ح(471) سنن البيهقي الكبرى 1/125 ح(605) سنن الدارقطني 1/134 ح(4) سنن النسائي الكبرى 4/318 ح(7328) المنتخب 67 ح(110) من رواية عبد الرحمن بن أبي ليلى ولم يدر معاذاً

⁽¹⁴⁸⁰⁾المعجم الكبير 12/67 ح(12495) وفي إسناده عبد الله بن مسلم بن هرمز المكي ضعيف، وله شاهد بسياق أطول عند أحمد في المسند 1/145 والطبراني في الكبير 12/215 وبغية الباحث في زوائد مسند الحارث 2/723 وفي إسناده علي بن زيد بن جدهان وفيه مقال معروف ولفظه: « أن رجلاً جاء إلى عمر قال: امرأة جاءت تبايعه فأدخلتها الدوالم فأصبحت منها ما دون الجماع فقال: ويحك لعلها مغيبة في سبيل الله؟ قال: نعم قال: فانت أبا بكر فسأله، قال: فاتاه فسأله فقال: لعلها مغيبة في سبيل الله قال: فقال

[تعليق]

ذكر المؤلف رحمه الله سببين لنزول الآية، ولقائل أن يقول بأنه سبب واحد فيحمل الرجل المبهم الرواية الأولى على أنه أبو اليسر في الرواية الأخرى.

لكن أبو اليسر الصحابي المذكور في الرواية الثانية هو كعب بن عمرو الأنصاري⁽¹⁴⁸²⁾.

لكن قال أبو حيان: نزلت في نيهان التمار.

قلت: يحتمل أن تكون نزلت فيهما معاً والله تعالى أعلم.

والآية تدل على عظم قدر الصلاة وأنها كفارة للسيئات وقد جاء عدة أحاديث في فضائل الصلاة وتكفيرها للسيئات مثل قوله □ عن أنس: عن النبي صلى الله عليه وسلم قال: "مثل أمي مثل نهر يغتسل منه خمس مرات فما عسى أن يبقين عليه من درنه؟ يقوم إلى الوضوء فيغسل يديه فتتناثر كل خطيئة مس بها يديه و يمضمض فتتناثر كل خطيئة تكلم بها لسانه ثم يغسل وجهه فتتناثر كل خطيئة نظرت بها عيناه ثم يمسح رأسه فتتناثر كل خطيئة سمعت بها أذناه ثم يغسل قدميه فتتناثر كل خطيئة مشيت بها قدماه⁽¹⁴⁸³⁾».

وقد ذكر العلماء أن هذه الآية خاصة بما يكون من صغائر الذنوب. أما الكبائر فإنما تكفر بالتوبة أو بالحد والله تعالى أعلم.

[تفسير مختصر للآية]

(وأقم الصلاة طرفي النهار) أي أقم الصلاة المكتوبة على تمامها وكمالها، أول النهار وآخره، والمراد صلاة الصبح والعصر، لأنهما طرفا النهار.

(ورزقاً من الليل) أي ساعتني منه قريبة من النهار، والمراد بهما المغرب والعشاء

(إن الحسنات يذهبن السيئات) أي إن الأعمال الصالحة، ومنها (الصلوات الخمس) تكفر الذنوب الصغائر، لحديث (الصلوات الخمس كفارة لما بينها ما أجنبت الكبائر قال المفسرون: المراد بالحسنات الصلوات الخمس، واستدلوا على ذلك بسبب النزول، وهذا قول الجمهور، والأظهر أن المراد بها العموم وهو اختيار ابن كثير حيث قال: المعنى إن فعل الخيرات يكفر الذنوب السالفة كما جاء في الحديث (ما من مسلم يذنب ذنباً فيتوضأ ويصلي ركعتين إلا غفر له).

(ذلك ذكرى للذاكرين) أي ذلك المذكور من الاستقامة والمحافظة على الصلاة، عظة للمتعظين وإرشاد للمسترشدين⁽¹⁴⁸⁴⁾.

انتهت سورة هود

سُورَةُ يُوسُفَ

(نَحْنُ نَقُصُّ عَلَيْكَ أَحْسَنَ الْقَصَصِ بِمَا أَوْحَيْنَا إِلَيْكَ هَذَا الْقُرْآنَ وَإِنْ كُنْتَ مِنْ قَبْلِهِ لَمِنَ الْغَافِلِينَ (۳))

قوله تعالى: (نحن نقص عليك أحسن القصص - الآية).

625. روى الحاكم وغيره عن سعد بن أبي وقاص قال: « أنزل على النبي □ القرآن فتلاه عليهم زمانا، فقالوا: يا رسول الله لو حدثتنا فنزل: (الله نزل أحسن الحديث) - الآية⁽¹⁴⁸⁵⁾ زاد ابن أبي حاتم، فقالوا: يا رسول الله لو ذكرتنا

فأنزل الله: (ألم يأن للذين آمنوا أن تخشع قلوبهم) - الآية ».

626. وأخرج ابن جرير عن ابن عباس قال: « قالوا يا رسول الله لو قصصت علينا، فنزل: (نحن نقص عليك أحسن القصص)⁽¹⁴⁸⁶⁾.

مثل قول عمر، ثم أتى النبي □ فقال له مثل ذلك فقال: لعلها مغيبة في سبيل الله؟ ونزل القرآن (: وأقم الصلاة طرفي النهار وزلفا من الليل إلى آخر) - الآية فقال يا رسول الله ألي خاصة أم للناس عامة، فضرب عمر صدره بيده فقال: لا ولا نعمة عين بل للناس عامة، فقال رسول الله □ صدق عمر»

وله شاهد آخر عند البزار بلفظ: « أن رجلاً من أصحاب النبي □ كان تحته امرأة، فاستأذن النبي □ في حاجة فأذن له، فانطلق في يوم مطير، فإذا بالمرأة على غدير ماء تغتسل، فلما جلس منها مجلس الرجل من المرأة ذهب يحرك ذكره فإذا هو هدية، فقام فأتى النبي □ فذكر ذلك له، فقال له النبي □ : صل أربع ركعات فأنزل الله تبارك وتعالى (: وأقم الصلاة طرفي النهار وزلفا من الليل إن الحسنات يذهبن السيئات) - الآية رواه البزار ورجاله رجال الصحيح

(1481) كذلك روى عن وائلة بن الأسقع عند أحمد وغيره بسند فيه ليث بن أبي سليم وهو متكلم فيه، ولكنه يصلح للشواهد وليس فيه ذكر سبب النزول

(1482) سير أعلام النبلاء (2/ 537)

(1483) مسند أبي يعلى - محقق (7/ 13)

(1484) صفوة التفاسير - للصابوني (2/ 44)

(1485) ما ذكره المؤلف رحمه الله فيه قصور عن ذكر السبب فإن ما ذكره ليس فيه تعرض لذكر آية سورة يوسف التي ذكر الحديث من أجلها، وهي عند ابن حبان وغيره عن مصعب بن سعد عن أبيه قال: « أنزل القرآن على رسول الله □ فتلا عليهم زمانا، فقالوا: يا رسول الله لو قصصت علينا؟ فأنزل الله (: الر تلك آيات الكتاب المبين) إلى قوله (: نحن نقص عليك أحسن القصص) فتلاها عليهم رسول الله □ زمانا، فقالوا: يا رسول الله لو حدثتنا - الحديث، انظر صحيح ابن حبان 14/92 ح (6209) تفسير

الطبري 12/150 مستدرک الحاكم 2/376 ح (3319) وقال: صحيح الإسناد، المختارة 3/265 ح (1069) مسند البزار 3/352 ح (1153) مسند أبي يعلى 2/87 ح (740) قلت: إنسانه صحيح وله شاهد مرسل لا بأس به عند الطبري في التفسير وأبي نعيم في الحلية عن عون بن عبد الله نحوه. قال الإمام ابن حبان: أخبرنا عبد الله بن محمد الأزدي قال حدثنا إسحاق بن إبراهيم قال أخبرنا عمرو بن محمد القرشي قال حدثنا خالد الصفار عن عمرو بن قيس الملائي عن عمرو بن مرة عن مصعب بن سعد عن أبيه قال -

(1486) تفسير الطبري 12/150 صحيح الإسناد وروى عن عمرو بن قيس الراوي عن ابن عباس مرسلًا ويشهد له ما قبله.

[تعليق]

سورة يوسف من السور المكية التي عنيت بذكر قصة واحدة وهي قصة يوسف عليه الصلاة والسلام، وهي قصة فيها من العبر والعظات الكثير وفيها إشارة إلى ما سيلفاه النبي ﷺ من قومه من التنكيل الذي مثل في يوسف عليه السلام، كما ألمح الحق سبحانه لنبيه بقضية الإحسان الذي اتبعه يوسف مع إخوانه وأبوية وعزيز مصر وامراته وكذلك صاحبي السجن. وقد ذكر المؤلف رحمه الله سبباً واحداً لنزول هذه السورة وفيها سبب آخر وهو ما رواه الضحاك عن ابن عباس قال: «سألت اليهود النبي ﷺ، فقالوا: حدثنا عن أمر يعقوب وولده وشأن يوسف، فأنزل الله عز وجل (الر تلك آيات الكتاب المبين. إنا أنزلناه قرآناً عربياً) وذلك أن التوراة بالعبرانية، والإنجيل بالسريانية، وأنتم قوم عرب، ولو أنزلته بغير العربية ما فهمتموه»⁽¹⁴⁸⁸⁾.

[تفسير مختصر للآية]

(الر) إشارة إلى الإعجاز، فمن هذه الحروف وأمثالها تتألف آيات الكتاب المعجز (تلك آيات الكتاب المبين) أي تلك الآيات التي أنزلت إليك أيها الرسول هي آيات الكتاب المعجز في بيانه، الساطع في حججه وبراهينه، الواضح في معانيه، الذي لا تشبیه حقايقه، ولا تلتبس دقايقه. (إنا أنزلناه قرآناً عربياً) أي أنزلناه بلغة العرب كتاباً عربياً مؤلفاً من هذه الأحرف العربية. (لعلكم تعقلون) أي لكي تعقلوا وتدركوا أن الذي يصنع من الكلمات العادية في هذا الكتاب المعجز، ليس بشراً، وإنما هو إله قدير، وهذا الكلام وحي منزل من رب العالمين. (نحن نقص عليك أحسن القصص) أي نحن نحدثك يا محمد، ونروي لك أخبار الأمم السابقة، بأصدق كلام، وأحسن بيان. (بما أوحينا إليك هذا القرآن) أي بإيحاتنا إليك هذا القرآن، المعجز. (وإن كنت من قبله لمن الغافلين) أي وإن الحال والشأن أنك كنت من قبل أن نوحى إليك هذا القرآن لمن الغافلين عن هذه القصة، لم تخطر ببالك، ولم تفرح سمعك، لأنك أمي لا تقرأ ولا تكتب⁽¹⁴⁸⁹⁾.

انتهت سورة يوسف

سُورَةُ الرَّعْدِ

(اللَّهُ يَعْلَمُ مَا تَحْمِلُ كُلُّ أُنْثَىٰ وَمَا تَغِيصُ الْأَرْحَامُ وَمَا تَزْدَادُ وَكُلُّ شَيْءٍ عِنْدَهُ بِمِقْدَارٍ ۝ ٨)

قوله تعالى: (الله يعلم ما تحمل كل أنثى) - الآية.

628. أخرج الطبراني وغيره عن ابن عباس: «أن أربد بن قيس وعامر بن الطفيل قدما المدينة على رسول الله ﷺ، فقال عامر: يا محمد ما تجعل لي إن أسلمت؟ قال: «لك ما للمسلمين وعليك ما عليهم». قال: أنجعل لي الأمر من بعدك؟ قال: «ليس ذلك لك ولا لقومك». فخرجا فقال: عامر لأربد إني أشغل عنك وجه محمد بالحديث فاضربه بالسيف، فرجعا فقال: عامر يا محمد قم معي أكلمك، فقام معه ووقف يكلمه وسل أربد السيف، فلما وضع يده على قائم السيف يبست والتفت رسول الله ﷺ فرآه فانصرف عنهما، فخرجا حتى إذا كانا بالرقم أرسل الله على أربد صاعقة فقتلته، فأنزل الله: (الله يعلم ما تحمل كل أنثى) - إلى قوله: (شديد المحال)⁽¹⁴⁹⁰⁾».

[تعليق]

سورة الرعد من السور المكية، التي تتناول المقاصد الأساسية للسور المكية، من تقرير "الوحدانية" و "الرسالة" و "البعث والجزاء" ودفع الشبه التي يثيرها المشركون⁽¹⁴⁹¹⁾. وقد ذكر المؤلف سبباً واحداً للنزول وهو ضعف الإسناد، والآية إخبار عن علم الله تعالى بما في أرحام الأمهات بما هو أكبر من كونه ذكر أو أنثى بل يعلم سبحانه كونه شقياً أم سعيداً كافراً أو مؤمناً فسبحان الذي وسع علمه كل شيء.

[تفسير مختصر للآية]

(الله يعلم ما تحمل كل أنثى) أي الله وحده الذي يعلم ما تحمله كل أنثى في بطنها، هل هو ذكر أم أنثى؟ تام أم ناقص؟ حسن لو قبيح.

(1487) لم أجده في الكتب المسنده

(1488) زاد المسير (4/ 177)

(1489) صفوة التفسير - للصابوني (2/ 47)

(1490) المعجم الأوسط 9/60 ح (9127) المعجم الكبير 10/312 ح (10760) وفي إسناده عبد الله وعبد الرحمن ابنا زيد بن أسلم وهما ضعيفان وسياقه أطول مما ذكره المؤلف رحمه الله

(1491) صفوة التفسير - للصابوني (2/ 70)

(وما تغيض الأرحام) أي وما تنتقصه الأرحام باللقاء الجنين قبل تمامه (وما تزداد) أي وما تزداد على الأشهر التسعة، قال ابن عباس: ما تغيض بالوضع لأقل من تسعة أشهر، وما تزداد بالوضع لأكثر من تسعة أشهر، وقيل: المراد بالغيض: السقط الناقص، وبالازدياد: الولد التام. (وكل شيء عنده بمقدار) أي كل شيء من الأشياء عند الله تعالى بقدر محدود، لا يتجاوزه حسب المصلحة والمنفعة. (عالم الغيب والشهادة) أي ما غاب عن الحس وما كان مشاهدا منظورا، فعلمه تعالى شامل للخفي والمرئي، لا يخفى عليه شيء. (الكبير المتعال) أي العظيم الشأن الذي كل شيء دونه، المستعلي على كل شيء بقدرته، المنزه عن المشابهة والمماثلة⁽¹⁴⁹²⁾.

(وَيُسَبِّحُ الرَّعْدُ بِحَمْدِهِ وَالْمَلَائِكَةُ مِنْ خِيفَتِهِ وَيُرْسِلُ الصَّوَاعِقَ فَيُصِيبُ بِهَا مَنْ يَشَاءُ وَهُمْ يُجَادِلُونَ فِي اللَّهِ وَهُوَ شَدِيدُ الْمِحَالِ (١٣)

قوله تعالى: (ويسبح الرعد بحمده) – الآية.

629. وأخرج النسائي والبخاري عن أنس قال: «بعث رسول الله ﷺ رجلاً من أصحابه إلى رجل من عظماء الجاهلية يدعوه إلى الله، فقال: إيش ربك الذي تدعوني إليه أمن حديد أو من نحاس أو من فضة أو ذهب؟، فأتى النبي ﷺ فأخبره، فأعاد الثانية والثالثة، فأرسل الله عليه صاعقة فأحرقته، ونزلت هذه الآية: (ويرسل الصواعق فيصيب بها من يشاء) إلى آخرها»⁽¹⁴⁹³⁾.

[تعليق]

ذكر المؤلف رحمه الله سبباً واحداً لنزول هذه الآية، وقد ورد فيها غير ما ذكر المؤلف. فروى ابن جرير عن قتادة قال: ذكر لنا أن رجلاً أنكر القرآن وكذب النبي ﷺ، فأرسل الله عليه صاعقة فأهلكته، فأنزل الله عز وجل فيه: (وهم يجادلون في الله، وهو شديد المحال)⁽¹⁴⁹⁴⁾. وسبب ثالث ما أخرجه كذلك ابن جرير عن ابن جريج قال: نزلت يعني قوله: (ويرسل الصواعق فيصيب بها من يشاء) في أريد أخي لبيد بن ربيعة، لأنه قدم أربد وعمار بن الطفيل بن مالك بن جعفر على النبي ﷺ، فقال عامر: يا محمد أسلم وأكون الخليفة من بعدك؟ قال: لا! قال: فأكون على أهل الوبر وأنت على أهل المدر؟ قال: لا! قال: فما ذاك؟ قال: "أعطيك أعنة الخيل تقاتل عليها، فإنك رجل فارس. قال: أو ليست أعنة الخيل بيدي؟ أما والله لأملأنها عليك خيلاً ورجالاً من بني عامر! قال لأربد: إما أن تكفينيه وأضربه بالسيف، وإما أن أكفيكه وتضربه بالسيف ال أربد: اكفينيه وأضربه. فقال ابن الطفيل: يا محمد إن لي إليك حاجة. قال: اذن! فلم يزل يدنو ويقول النبي ﷺ: "ادن" حتى وضع يديه على ركبتيه وحنى عليه، واستل أربد السيف، فاستل منه قليلاً فلما رأى النبي ﷺ بريقه تعوذ بأية كان يتعوذ بها، فبيست يذ أربد على السيف، فبعث الله عليه صاعقة فأحرقته، فذلك قول أخيه:

أَحْسَى عَلَى أُرْبَدَ الْحُنُوفِ وَلَا... أَرْهَبُ نَوْءَ السَّمَاكِ وَالْأَسَدِ...
فَجَعَنِي الْبُرْقُ وَالصَّوَاعِقُ بِال... فَارِسَ يَوْمَ الْكُرَيْهَةِ النَّجْدِ⁽¹⁴⁹⁵⁾.

قلت: وهذه الأسباب محتملة من عموم الآية فنزلت في رجل جحد وجود الله ورجل كذب بالنبي ﷺ وأخر أراد أن يفتك بالنبي ﷺ، فنزلت الآية مبينة أن الله جنود لا يعلمهم إلا هو يدفعون سوء عن نبيه ويحاربون أعداءه.

[تفسير مختصر للآية]

(ويرسل الصواعق فيصيب بها من يشاء) أي يرسل الصواعق المدمرة نقمة، يهلك بها من شاء. (وهم يجادلون في الله) أي وكفار مكة يجادلون في وجود الله ووحديته، وفي قدرته على البعث. (وهو شديد المحال) أي وهو تعالى شديد القوة والبطش والكمال، القادر على الانتقام ممن عصاه⁽¹⁴⁹⁶⁾.

(وَلَوْ أَنَّ قُرْءَانًا سُيِّرَتْ بِهِ الْجِبَالُ أَوْ قُطِعَتْ بِهِ الْأَرْضُ أَوْ كَلَّمَ بِهِ الْمَوْتَى بَلَّ اللَّهُ الْأَمْرُ جَمِيعًا أَفَلَمْ يَأْتِسَّ الَّذِينَ ءَامَنُوا أَنْ لَوْ يَشَاءُ اللَّهُ لَهْدَى النَّاسَ جَمِيعًا وَلَا يَزَالُ الَّذِينَ كَفَرُوا تُصِيبُهُمْ بِمَا صَنَعُوا قَارِعَةٌ أَوْ تَحُلُّ قَرِيبًا مِّنْ دَارِهِمْ حَتَّىٰ يَأْتِيَ وَعْدُ اللَّهِ إِنَّ اللَّهَ لَا يُخْلِفُ الْمِيعَادَ (٣١)

قوله تعالى: (ولو أن قرءانا سيرت به الجبال) – الآية.

630. وأخرج الطبراني وغيره عن ابن عباس قال: «قالوا للنبي ﷺ إن كان كما تقول فأرنا أشياخنا الأول نكلمهم من الموتى وأفسح لنا هذه الجبال جبال مكة التي قد ضمنتنا، فنزلت: (ولو أن قرآنا سيرت به

⁽¹⁴⁹²⁾صفوة التفسير - للصابوني (72/2)

⁽¹⁴⁹³⁾المعجم الأوسط 3/97 سنن النسائي الكبرى 6/370 ح(11259) مسند أبي يعلى 6/183 ح(3468) في إسناده على بن أبي سارة تفرد به وهو ضعيف

⁽¹⁴⁹⁴⁾جامع البيان (تفسير الطبري) (16/393)

⁽¹⁴⁹⁵⁾جامع البيان (تفسير الطبري) (16/393)

⁽¹⁴⁹⁶⁾صفوة التفسير - للصابوني (73/2)

631. [ك] وأخرج بن أبي حاتم وابن مردويه عن عطية العوفي قال: «قالوا للنبي ﷺ لو سيرت لنا جبال مكة حتى تتسع فنحرت فيها، أو قطعت لنا الأرض كما كان سليمان يقطع لقومه بالريح، أو أحبيت لنا الموتى كما كان عيسى يحيي الموتى، فأنزل الله: (ولو أن قرآنا) - الآية» (1498).

[تعليق]

ذكر المؤلف رحمه الله أثريين وكل منها شاهد للآخر في سبب نزول هذه الآية، وهو أن المشركين اقترحوا على النبي ﷺ، بعض الآيات التي يظنون أنه لا يقدر على المجيء بها، فأخبرهم الله تعالى أن أعظم من هذه الآيات التي اقترحوا القرآن الكريم الذي أعجزهم أن يأتوا ولو بأقل سورة من مثله، وقد ذكر في سورة الأسراء وغير ما سورة من القرآن قريب من هذا المعنى الذي هنا كما في قوله تعالى (وقالوا لن نؤمن لك حتى تفجر لنا من الأرض ينبوعا) --- إلى آخر الآيات من سورة الإسراء.

[تفسير مختصر للآية]

(ولو أن قرآنا سيرت به الجبال) أي لو كان كتاب من الكتب المنزلة، سيرت بتلاوته الجبال، وزعزت عن أماكنها. (أو قطعت به الأرض) أي شقت به الأرض حتى تتصدع وتصير قطعاً. (أو كلم به الموتى) أي خوطبت به الموتى حتى أجابت وتكلمت، بعد أن أحياها الله بتلاوته عليها، وجواب [لو] محذوف تقديره: لكان هذا القرآن، لكونه غاية في الهداية والتذكير، ونهاية في الإنذار والتخويف وقال الزجاج: تقديره "لما آمنوا" لغلوهم في المكابرة والعناد، وتماديهم في الضلال والفساد. (بل لله الأمر جميعاً) بل للإضراب، والمعنى: لو أن قرآنا فعل به ما ذكر لكان ذلك هذا القرآن، ولكن الله لم يجبهم إلى ما اقترحوا من الآيات، لأنه هو المالك لجميع الأمور، والفاعل لما يشاء منها، من غير أن يكون لأحد عليه تحكم أو اقتراح (1499).

(وَلَقَدْ أَرْسَلْنَا رُسُلًا مِّن قَبْلِكَ وَجَعَلْنَا لَهُمْ أَزْوَاجًا وَذُرِّيَّةً وَمَا كَانَ لِرَسُولٍ أَنْ يَأْتِيَ بِآيَةٍ إِلَّا بِإِذْنِ اللَّهِ لِكُلِّ أَجَلٍ كِتَابٍ ۚ ۳۸ يَمْحُوا اللَّهُ مَا يَشَاءُ وَيُثَبِّتُ وَعِنْدَهُ أُمُّ الْكِتَابِ ۚ ۳۹)

قوله تعالى: (ولقد أرسلنا رسلاً من قبلك وجعلنا لهم أزواجاً وذرية) — الآية.

632. [ك] وأخرج ابن أبي حاتم عن مجاهد قال: «قالت قريش حين أنزل: (وما كان لرسول أن يأتي بآية إلا بإذن الله) ما نراك يا محمد تملك من شيء لقد فرغ من الأمر، فأنزل الله: (يمحو الله ما يشاء ويثبت (1500))».

[تعليق]

ذكر المؤلف أثراً واحداً في سبب نزول هذه الآية وفيه بيان لكمال قدرة الله تعالى في كتابة مقادير الخلائق في بيده الأمر كله يمحو من اللوح المحفوظ ما يشاء ويثبت، وهو على كل شيء قدير. ولم أجد في سبب نزول هذه الآية غير ما ذكر المؤلف رحمه الله.

[تفسير مختصر للآية]

(يمحو الله ما يشاء ويثبت) أي ينسخ الله ما يشاء نسخه من الشرائع والأحكام، وصحف الملائكة الكرام، ويثبت ما يشاء منها دون تغيير، قال ابن عباس: يبدل الله ما يشاء فينسخه، إلا (الموت، والحياة، والشقاء، والسعادة) فانه قد فرغ منها (وهذا قول مجاهد أيضاً حيث قال: إلا الحياة والموت والشقاوة والسعادة فانهما لا يتغيران) وقيل: إن المحو والإثبات عام في جميع الأشياء، لما روي أن عمر بن الخطاب كان يطوف بالبيت ويبكي ويقول: (اللهم إن كنت كتبت على شقوة أو ذنبا فامحه، فإنك تمحو ما تشاء وتثبت، وعندك أم الكتاب، واجعله سعادة ومغفرة)، وقد رجحه أبو السعود وهو قول ابن مسعود أيضاً. (وعنده أم الكتاب) أي أصل كل كتاب، وهو (اللوحة المحفوظ) الذي كتب الله فيه مقادير الأشياء كلها (1501).

انتهت سورة الرعد

سُورَةُ إِبْرَاهِيمَ

(1497) الأحاديث المختارة 9/556 ح (551) المعجم الكبير 12/109 ح (12617) وفي إسناده قابوس بن أبي ظبيان فيه ضعف لا يحتمل التردد، وفيه أيضاً بدعة ولم أجد له متابع (1498) عطية ضعيف مع إرساله ولم أجده في الكتب المسنده في النسخة (1499) صفوة التفاسير - للصابوني (78/2) (1500) تفسير الطبري 13/169 مرسل منقطع الإسناد (1501) صفوة التفاسير - للصابوني (80/2)

(أَلَمْ تَرَ إِلَى الَّذِينَ بَدَّلُوا نِعْمَةَ اللَّهِ كُفْرًا وَأَحَلُّوا قَوْمَهُمْ دَارَ الْبَوَارِ ۚ)

قوله تعالى: (ألم تر إلى الذين بدلوا نعمة الله كفراً) - الآية.
633. وأخرج ابن جرير عن عطاء بن يسار قال: « نزلت هذه الآية في الذين قتلوا يوم بدر: (ألم تر إلى الذين بدلوا نعمة الله كفراً) - الآية (1502) ».

[تعليق]

ذكر المؤلف رحمه الله أثراً واحداً في سبب نزول هذه الآية وهو مرسل الإسناد وقد ذكر الإمام ابن الجوزي أن المشار إليهم في هذه الآية سبعة فقال:
أحدها: أنهم الأفجران من قريش: بنو أمية، وبنو المغيرة، وروى عن عمر بن الخطاب، وعلي بن أبي طالب.
والثاني: أنهم منافقو قريش، رواه أبو الطفيل عن علي.
والثالث: بنو أمية، وبنو المغيرة، ورؤساء أهل بدر الذين ساقوا أهل بدر إلى بدر، رواه أبو صالح عن ابن عباس.
والرابع: أهل مكة، رواه عطاء عن ابن عباس، وبه قال الضحاك.
والخامس: المشركون من أهل بدر، قاله جاهد، وابن زيد.
والسادس: أنهم الذين قتلوا ببدر من كفار قريش، قاله سعيد بن جبيرة، وأبو مالك.
والسابع: أنها عامة في جميع المشركين، قاله الحسن (1503).
قلت: الآية عامة في كل من كفر نعمة الله وجدها من المشركين والله تعالى أعلم.

[تفسير مختصر للآية]

(ألم تر إلى الذين بدلوا نعمة الله كفراً) استفهام للتعجب أي ألا تعجب أيها السامع من أولئك الذين غيروا نعمة الله، بالكفر والتكذيب؟ قال المفسرون: هم " كفار مكة " فقد أسكنهم الله حرمة الأمن، وجعل عيشهم في السعة، وبعث فيهم محمداً في فلم يعرفوا قدر هذه النعمة، وكفروا به وكذبوه، فابتلاههم الله بالقسط والجذب.
(وأحلوا قومهم دار البوار) أي أنزلوا قومهم دار الهلاك، بكفرهم وطغيانهم، ثم فسرها تعالى بقوله:
(جهنم يصلونها وبنس القرار) أي أحلواهم في جهنم، يذوقون سعيرها، وبنست جهنم مستقراً للكافرين (1504).
انتهت سورة إبراهيم

سُورَةُ الْحَجْرِ

(وَلَقَدْ عَلَّمْنَا الْمُسْتَقْدِمِينَ مِنْكُمْ وَلَقَدْ عَلَّمْنَا الْمُسْتَأْخِرِينَ ۚ)

قوله تعالى: (ولقد علمنا) - الآية.

634. روى الترمذي والنسائي والحاكم وغيرهم عن ابن عباس قال: « كانت امرأة تصلي خلف رسول الله ﷺ حياءً من أحسن الناس، فكان بعض القوم يتقدم حتى يكون في الصف الأول لنلا يراها، ويستأخر بعضهم حتى يكون في الصف المؤخر، فإذا ركع نظر من تحت إبطيه، فأُنزل الله: (ولقد علمنا المستقدمين منكم ولقد علمنا المستأخرين) (1505) ».

635. [ك] وأخرج ابن مردويه عن داود بن صالح: « أنه سأل سهل بن حنيف الأنصاري: (ولقد علمنا المستقدمين منكم ولقد علمنا المستأخرين) أنزلت في سبيل الله؟ قال: لا ولكنها في صفوف الصلاة (1506) ».

[تعليق]

سورة الحجر سورة مكية وقد تقدم الكلام عن أجواء السور المكية وسميت بالحجر لذكر أصحاب الحجر وهي قوم ثمود.
وقد ذكر المؤلف أثرين في قوله تعالى (ولقد علمنا المستقدمين منكم ولقد علمنا المستأخرين)

(1502) تفسير ابن جرير 13/223 مرسل

(1503) زاد المسير (4/362)

(1504) صفوة التفسير - للصابوني (2/87)

(1505) تفسير الطبري 14/26 صحيح ابن خزيمة 3/97 ح (1696) صحيح ابن حبان 2/126 ح (401) المستدرک 2/384 ح (3346) وقال: صحيح الإسناد ولم يخرجه سنن الترمذي 5/296 وقال: وروى جعفر بن سليمان هذا الحديث عن عمرو بن مالك عن أبي الجوزاء نحوه، ولم يذكر فيه عن ابن عباس، وهذا أشبه أن يكون أصح من حديث نوح، سنن الترمذي 5/296 ح (3122) سنن النسائي 2/118 ح (870) سنن ابن ماجة 1/332 ح (1046) مسند أحمد 1/305 ح (2784) سنن البيهقي الكبرى 3/98 ح (4950) المعجم الكبير 171 ح: 12 ح (12791) شعب الإيمان 4/370 مسند الطيالسي 1/354 ح (2712) قلت: جعفر بن سليمان ليس بأفضل حالاً من نوح بن قيس والأشبه أن تقبل زيادته، وقول ابن كثير فيه نكارة شديده ليس بشيء فإن الآية نزلت في مكة قبل نزول آية الحجاب، وأيضاً فلا مانع من أن يعتمد بعض الشباب من الصحابة فعل ذلك، وما ورد في حديث عصمتهم عن صغار الذنوب بل والكبائر وهم أفضل الناس بعد أنبياء الله، وقد ورد قريباً ذكر الرجل الذي أصاب من المرأة ما دون الجماع، فأنزل الله: (إن الحسنات يذهبن السيئات) والحديث، قد صححه من علمائنا الشيخ الألباني رحمه الله وقد رأيت تصحيحه بعد حكمي على الحديث، فأنشره الصدر لذلك وبالله التوفيق.
(1506) لم أجده في الكتب المسنده

(267)

وهما يدلان على أن هذه الآية نزلت في صفوف الصلاة غير أن معناها عام، فقد ذكر الإمام القرطبي رحمه الله ثمانية أقوال في تدل على عموم الآية فقال رحمه الله: "المستقدمين" في الخلق إلى اليوم، و"المستأخرين" الذين لم يخلقوا بعد؛ قاله قتادة وعكرمة وغيرهما. الثاني - "المستقدمين" الأموات، و"المستأخرين" الأحياء؛ قاله ابن عباس والضحاك الثالث: "المستقدمين" من تقدم أمة محمد، و"المستأخرين" أمة محمد □؛ قاله مجاهد الرابع - "المستقدمين" في الطاعة والخير، و"المستأخرين" في المعصية والشر؛ قاله الحسن وقاتدة أيضاً الخامس - "المستقدمين" في صفوف الحرب، و"المستأخرين" فيها؛ قاله سعيد بن المسيب السادس: "المستقدمين" من قتل في الجهاد، و"المستأخرين" من لم يقتل، قاله القرظي السابع: "المستقدمين" أول الخلق، و"المستأخرين" آخر الخلق، قال الشعبي الثامن: "المستقدمين" في صفوف الصلاة، و"المستأخرين" فيها بسبب النساء. وكل هذا معلوم الله تعالى؛ فإنه عالم بكل موجود ومعدوم، وعالم بمن خلق وما هو خالقه إلى يوم القيامة⁽¹⁵⁰⁷⁾.

وأخرج الإمام الثعلبي في تفسيره سبباً آخر وإن كان يرجع معناه كذلك إلى الحرص على إدارك الصفوف الأولى في الصلاة فقال: وقال الربيع بن أنس: حض رسول الله صلى الله عليه وسلم على الصف الأول في الصلاة فازدحم الناس عليه، وكانت بنو عذرة دورهم قاصية عن المسجد. فقالوا: نبيع دورنا ونشتري دوراً قريبة من المسجد، فأنزل الله تعالى هذه الآية⁽¹⁵⁰⁸⁾.

قلت: والراجح في هذه الآية عمومها فيشمل الصفوف الأولى ويشمل المستقدمين لكل طاعة والمستأخرين عنها والله تعالى أعلم.

[تفسير مختصر للآية]

(ولقد علمنا المستقدمين منكم ولقد علمنا المستأخرين) أي أحطنا علماً بالخلق أجمعين، الأموات منهم والأحياء (وإن ربك هو يحشرهم) أي وإن ربك يا محمد هو يجمعهم للحساب والجزاء (إنه حكيم عليم) أي حكيم في صنعه، عليم بخلقه⁽¹⁵⁰⁹⁾.

(إِنَّ الْمُتَّقِينَ فِي جَنَّاتٍ وَعُيُونٍ ٤٥)

قوله تعالى: (إن المتقين) - الآية.

636. أخرج الثعلبي⁽¹⁵¹⁰⁾ عن سلمان الفارسي: «لما سمع قوله تعالى: (وإن جهنم لموعدهم أجمعين) فر ثلاثة أيام هاربا من الخوف لا يعقل، فجيء به للنبي □ فسأله فقال: يا رسول الله أنزلت هذه الآية: (وإن جهنم لموعدهم أجمعين) فوالذي بعثك بالحق لقد قطعت قلبي، فأنزل الله: (إن المتقين في جنات وعيون⁽¹⁵¹¹⁾)».

[تعليق]

ذكر المؤلف رحمه الله أثراً واحداً في سبب نزول هذه الآية ولم أجد عند الثعلبي في التفسير وأعلى كتاب وجدت الأثر فيه هو تفسير القرطبي من غير إسناد، وعلى كل حال فإن الآية واردة بلفظ العموم وهي بشارة للمتقين بما سيلقونه من كرامة رب العالمين نسأل الله أن يجعلنا منهم ومعهم.

[تفسير مختصر للآية]

(إن المتقين في جنات وعيون) أي إن الذين اتقوا الفواحش والشرك، لهم في الآخرة البساتين الناضرة، والعيون المتفجرة بالماء السلسبيل، والخمر، والعسل⁽¹⁵¹²⁾.

(وَنَزَعْنَا مَا فِي صُدُورِهِمْ مِّنْ غَلٍّ إِخْوَانًا عَلَىٰ سُرُرٍ مُّتَقَلِّينَ ٤٧)

قوله تعالى: (ونزعنا ما في صدورهم من غل) - الآية.

637. أخرج ابن أبي حاتم عن علي بن الحسين: «أن هذه الآية نزلت في أبي بكر وعمر (ونزعنا ما صدورهم من غل) قيل: وأي غل؟ قال: غل الجاهلية، إن بني تميم وبني عدي وبني هاشم كان بينهم في الجاهلية عداوة، فلما أسلم هؤلاء القوم تحابوا، فأخذت أبا بكر الخاصرة، فجعل علي يسخن يده فيكمدها بها

⁽¹⁵⁰⁷⁾ تفسير القرطبي - (19 / 10)

⁽¹⁵⁰⁸⁾ الكشف والبيان عن تفسير القرآن (5 / 338)

⁽¹⁵⁰⁹⁾ صفوة التفاسير - للصابوني (2 / 95)

⁽¹⁵¹⁰⁾ أبو منصور عبد الملك بن أحمد بن إبراهيم الثعلبي وله تفسير اسمه الكشف والبيان انظر كشف الظنون/ 2 / 1488 المؤلف: مصطفى بن عبد الله كاتب جلبي القسطنطيني المشهور باسم حاجي خليفة أو الحاج خليفة (المتوفى: 1067 هـ)

الناشر: مكتبة المثنى - بغداد (وصورتها عدة دور لبنانية، بنفس ترتيب صفحاتها، مثل: دار إحياء التراث العربي، ودار العلوم الحديثة، ودار الكتب العلمية) تاريخ النشر: 1941م عدد الأجزاء: 6 (1، 2 كشف الظنون، و 3، 4 إيضاح المكنون، و 5، 6 هداية العارفين)

⁽¹⁵¹¹⁾ لم أجد في الكتب المسندة في تفسير الثعلبي هو عند القرطبي (10 / 31)

⁽¹⁵¹²⁾ صفوة التفاسير - للصابوني (2 / 97)

[تعليق]

ذكر المؤلف رحمه الله سبباً واحداً لنزول هذه الآية وأنها نزلت في أبي بكر وعمر.
وقيل هم عشرة من الصحابة: أبو بكر، وعمر، وعثمان، وعلي، وطلحة، والزبير، وعبد الرحمن بن عوف، وسعد بن أبي وقاص، وسعيد بن زيد، وعبد الله بن مسعود، قاله أبو صالح (1514).
وقيل هي وصف للمؤمنين عند دخولهم الجنة حيث ينزع الله الغل من قلوبهم (1515).
قلت: وهذا أقرب لسباق الآيات، وإن كان ما ذكر من سبب النزول داخل في عموم الآية لكنه بعيد لقول تعالى (إخوانا على سرر متقابلين) فهذا يدل على أن المراد به أن ينزع الغل من صدورهم في الآخرة والله تعالى أعلم.

[تفسير مختصر للآية]

(ونزعا ما في صدورهم من غل) أي أزلنا ما في قلوب أهل الجنة، من الحقد، والبغضاء والشحناء (إخوانا على سرر متقابلين) أي حال كونهم إخوة متحابين لا يكدر صفوهم شيء، على سرر متقابلين وجهها لوجه، قال مجاهد: لا ينظر بعضهم إلى قفا بعض، زيادة في الإنس والإكرام، وقال ابن عباس: على سرر من ذهب، مكللة بالدر والياقوت والزبرجد (لا يمسهم فيها نصب) أي لا يصيبهم في الجنة إعياء وتعب (وما هم منها بمخرجين) أي لا يُخرجون منها ولا يُطردون، نعيمهم خالد، وبقاؤهم دائم، لأنها دار الصفاء والسرور (1516).

(نَبِيُّ عِبَادِي أَنِّي أَنَا الْغَفُورُ الرَّحِيمُ ٤٩)

قوله تعالى: (نبي عبادي) - الآية.

638. [ك] أخرج الطبراني عن عبد الله بن الزبير قال: «مر رسول الله ﷺ بنفر من أصحابه يضحكون، فقال: «أتضحكون وذكر الجنة والنار بين أيديكم». فنزلت هذه الآية: (نبي عبادي أني أنا الغفور الرحيم وأن عذابي هو العذاب الأليم) (1517)».

639. وأخرج ابن مردويه من وجه آخر عن رجل من أصحاب النبي ﷺ قال: «اطلع علينا رسول الله ﷺ من الباب الذي يدخل منه بنو شيبه فقال: «لا أراكم تضحكون». ثم أدبر ثم رجع القهقري فقال: «إني خرجت حتى إذا كنت عند الحجر جاء جبريل فقال: يا محمد إن الله يقول لك لم تقنط عبادي؟». (نبي عبادي أني أنا الغفور الرحيم وأن عذابي هو العذاب الأليم) (1518)».

[تعليق]

ذكر المؤلف رحمه الله اثنين في سبب نزول هذه الآية، وهما يشتملان على سبب واحد للنزول وهما ضعفي الإسناد ولكن يشهد لهما ما رواه الإمام البخاري وغيره عن أنس بن مالك رضي الله عنه قال: خطب رسول الله ﷺ خطبة ما سمعت مثلها قط قال: " لو تعلمون ما أعلم لضحكتم قليلا ولبكيتم كثيرا " قال فغطي أصحاب رسول الله ﷺ وجوههم ولهم خنين (1519).

[تفسير مختصر للآية]

(نبي عبادي أني أنا الغفور الرحيم) أي أخبر يا محمد عبادي المؤمنين، بأنني واسع المغفرة عظيم الرحمة لمن تاب وأناب. (وأن عذابي هو العذاب الأليم) أي وأخبرهم أن عذابي شديد، لمن أصر على المعاصي والذنوب، قال أبو حيان: وجاء قوله [وأن عذابي] في غاية اللطف، إذ لم يقل على وجه المقابلة (وأنني المعذب المؤلم) وكل ذلك ترجيح لجهة العفو والرحمة (1520).

(إِنَّا كَفَيْنَاكَ الْمُسْتَهْزِئِينَ ٩٥)

قوله تعالى: (إنا كفيناك المستهزين) - الآية.

640. [ك] أخرج البزار والطبراني عن أنس بن مالك قال: «مر النبي ﷺ على أناس بمكة، فجعلوا يغمزون في قفاه ويقولون هذا الذي يزعم أنه نبي ومعه جبريل، فغمز جبريل بأصبعه فوق مثل الظفر في أجسادهم فصارت

(1513) تفسير ابن أبي حاتم 7/2267 منقطع الإسناد مع إرساله

(1514) زاد المسير (3/199)

(1515) زاد المسير (3/199)

(1516) صفوة التفسير - للصابوني (2/97)

(1517) مسند البزار 6/174 ح (2216) وعزاه الهيثمي للطبراني ولم أجده في الكتب المسنده وفي إسناده موسى بن عبيدة ضعيف

(1518) تفسير الطبري 14/39 وفي إسناده مصعب بن ثابت بن عبد الله بن الزبير قال الحافظ: لين الحديث

(1519) صحيح البخاري (6/68)

(1520) صفوة التفسير - للصابوني (2/97)

قروحا حتى نتنوا فلم يستطع أحد أن يدنو منهم، فأنزل الله: (إنا كفيناك المستهزئين⁽¹⁵²¹⁾)».

[تعليق]

ذكر المؤلف رحمه الله أثراً واحداً في سبب نزول هذه الآية، وهو يدل على حفظ الله تعالى لنبيه ﷺ من أقوال المشركين وأفعالهم. وقد روى أن هؤلاء المستهزئين هم الوليد بن المغيرة، وأبو زمعة، والأسود بن عبد يغوث، والعاص بن وائل، والحارث بن قيس. قال الإمام الثعلبي: فأتى جبرئيل محمداً صلى الله عليه وسلم والمستهزئون يطوفون بالبيت، فقام جبرئيل وقام رسول الله صلى الله عليه وسلم إلى جنبه فمرّ به الوليد بن المغيرة، فقال جبرئيل: يا محمد كيف تجد هذا، قال: بنس عبد الله قال: «قد كفيت» وأوماً إلى ساقه ويده، فمرّ برجل من خزاعة [نبال] يرئس نبلا له وعليه برد يمان وهو يجر إزاره فتعلقت شظية من نبل بإزاره فمنعه الكبر أن يطمئن وينبذ عمامته وجعلت تضرب ساقه فخدشته فمرض منه ومات. وقال الكلبي: تعلق سهم بثوبه فأصاب أكحله فقطعه فمات. ومرّ به العاص بن وائل، فقال جبرئيل: كيف تجد هذا يا محمد؟ قال: «بنس عبد الله»، فأشار جبرئيل لأخصم رجله وقال: «قد كفيت» وقد خرج على راحلته ومعه اثنان يمنعه فزل شعبا من تلك الشعاب فوطئ على شرفة فدخلت منها شوكة في أخصم رجله، فقال: الوقت لدغت. فطلبوا ولم يجدوا شيئاً فانتفخت رجله حتى صارت مثل عنق بعير فمات مكانه. ومرّ به الأسود بن عبد المطلب، فقال جبرئيل: كيف تجد هذا يا محمد؟ قال: «عبد سوء» فأشار إلى عينه، وقال: «قد كفيت» فعمى. قال ابن عباس: رماه جبرئيل بورقة خضراء فذهب بصره ووجعت عينه، فجعل يضرب برأسه الجدار حتى هلك⁽¹⁵²²⁾. قلت ذكر الطاهر ابن عاشور في التحرير والتنوير سبباً آخر قال: كان المسلمون إذا قالوا: سورة الفيل وسورة العنكبوت مثلاً هزأ بهم المشركون، وقد روى أن هذا سبب نزول قوله تعالى (إنا كفيناك المستهزئين) [الحجر: 95]⁽¹⁵²³⁾. قلت: وهو وإن صح فلا يخالف الأثر الأول، فإنه كان من المعروف أن المشركين كانوا يستهزءون بالنبى ﷺ وبأصحابه وبالقرآن إلى غير ذلك من أنواع الإيذاء القولي والفعلية والله تعالى أعلم.

[تفسير مختصر للآية]

(إنا كفيناك المستهزئين) أي كفيناك شر أعدائك المستهزئين بإهلاكنا إياهم، وكانوا خمسة من صنديد قريش الذين يجعلون مع الله إلهاً آخر (أي الذين أشركوا مع الله غيره، من الأوثان والأصنام فسوف يعلمون) وعيد وتهديد، أي سوف يعلمون عاقبة أمرهم في الدارين⁽¹⁵²⁴⁾.

انتهت سورة الحجر

سُورَةُ النَّحْلِ

(أَتَىٰ أَمْرُ اللَّهِ فَلَا تَسْتَعْجِلُوهُ سُبْحَانَهُ وَتَعَالَىٰ عَمَّا يُشْرِكُونَ (١)

قوله تعالى: (أتى أمر الله - الآية).

641. [ك] أخرج ابن مردويه عن ابن عباس قال: «لما نزلت: (أتى أمر الله) وَعَرَّ (1525) أصحاب رسول الله ﷺ حتى نزلت: (فلا تستعجلوه) فسكتوا⁽¹⁵²⁶⁾».
642. وأخرج عبد الله بن الإمام أحمد في زوائد الزهد وابن جرير وابن أبي حاتم عن أبي بكر بن أبي حفص قال: «لما نزلت: (أتى أمر الله) قاموا فنزلت: (فلا تستعجلوه)⁽¹⁵²⁷⁾».

[تعليق]

سورة النحل من السور المكية التي تعالج موضوعات العقيدة الكبرى (الألوهية، والوحي، والبعث والنشور) وإلى جانب ذلك تتحدث عن دلائل القدرة والوحدانية، في ذلك العالم الفسيح، في السموات والأرض، والبحار والجبال، والسهول والوديان، والماء الهاطل، والنبات النامي، والفلك التي تجري في البحر، والنجوم التي يهتدي بها السالكون في ظلمات الليل، إلى آخر تلك المشاهد التي يراها الإنسان في حياته، ويدركها بسمعه وبصره، وهي صور حية مشاهدة، دالة على وحدانية الله جل وعلا، وناطقة بأثار قدرته التي أبدع بها جل جلاله الكائنات⁽¹⁵²⁸⁾.

وقد أخرج المؤلف رحمه الله أثريين وروى الأول منهما مختصراً مما أخل بمعنى نزول الآية فقد رواه الواحدى وغيره

(1521) المعجم الأوسط 7/150 ح (7127) في إسناده يزيد بن درهم وثقه الفلاس، وقال عبد الصمد بن عبد الوارث: حدثني يزيد بن درهم وكان ثقة وضعفه ابن معين. قال الإمام البزار: 7127 حدثنا محمد بن نوح بن حرب ثنا محمد بن بكر العيشي ثنا محمد بن عثمان القرشي ثنا يزيد بن درهم عن أنس بن مالك -به (1522) الكشف والبيان عن تفسير القرآن (5/355) (1523) التحرير والتنوير (1/88) (1524) صفوة التقاسير - للصابوني (2/100) (1525) وعَرَّ الصدر هو بالتحريك العِلُّ والحرارة وأصله من الوغرة وشدة الحر لسان العرب (5/286) (1526) لم أجده في الكتب المسنده. (1527) تفسير ابن أبي حاتم 7/2275 تفسير الطبري 14/75 مرسل وإسناده ليس بالقوي. (1528) صفوة التقاسير - للصابوني (2/102)

فقال: قال ابن عباس: لما أنزل الله تعالى - (اقتربت الساعة وانشق القمر) - قال الكفار بعضهم لبعض: إن هذا يزعم أن القيامة قد قربت فأمسكوا عن بعض ما كنتم تعملون حتى ننظر ما هو كائن، فلما رأوا أنه لا ينزل شيء، قالوا: ما نرى شيئاً، فأنزل الله تعالى - (اقترب للناس حسابهم وهم في غفلة معرضون) - فأشفقوا وانتظروا قرب الساعة، فلما امتدت الأيام قالوا: يا محمد ما نرى شيئاً مما تخوفنا به، فأنزل الله تعالى - (أتى أمر الله) - فوثب النبي ﷺ ورفع الناس رؤوسهم، فنزل - (فلا تستعجلوه) - فاطمأنوا، فلما نزلت هذه الآية قال رسول الله ﷺ " بعثت أنا والساعة كهاتين، وأشار بأصبعه إن كادت لتسبقني⁽¹⁵²⁹⁾ ». قلت يؤخذ من هذا السياق أن الآية نزلت في المشركين لا في أصحاب النبي ﷺ، وهذا هو الموافق لسياق الآيات فإن الآيات نزلت في تقرير الواحدية والرد على المشركين.

وقد أورد الإمام الواحدي سبباً آخر بغير إسناد فقال: وقال الآخرون: الأمر ها هنا العذاب بالسيف وهذا جواب للنضر⁽¹⁵³⁰⁾. ويوضح هذا ما أخرجه الإمام الثعلبي قال قال الآخرون: الأمر هاهنا العذاب بالسيف، وهو جواب للنضر بن الحرث حين قال: (اللَّهُمَّ إِنْ كَانَ هَذَا هُوَ الْحَقُّ مِنْ عِنْدِكَ) - الآية - يستعجل العذاب، فأنزل الله هذه الآية⁽¹⁵³¹⁾. قلت: وعموم الآية خطاب لكل من يصلح له الخطاب من مؤمن وكافر بأن أمر الله قد أتى. وهذا واضح في غير ما آية وحديث والله تعالى أعلم.

[تفسير مختصر للآية]

(أتى أمر الله فلا تستعجلوه) أى قرب قيام الساعة، فلا تستعجلوا العذاب الذي أوعدكم به محمد، وإنما أتى بصيغة الماض لتحقق وقوع الأمر وقربه، قال الرازي: لما كان واجب الوقوع لا محالة، عبر عنه بالماضي كما يقال للمستغيث: جاءك الغوث فلا تجزع (سبحانه وتعالى عما يشركون) أى تنزه الله عن يصفه به الظالمون، وتقدس عن إشراكهم به غيره من الأنداد والأوثان⁽¹⁵³²⁾.

(وَأَقْسَمُوا بِاللَّهِ جَهْدَ أَيْمَانِهِمْ لَا يَبْعَثُ اللَّهُ مِنْ بَعْدِ بَلَىٰ وَعَدًّا عَلَيْهِ حَقًّا وَلَكِنَّ أَكْثَرَ النَّاسِ لَا يَعْلَمُونَ ٣٨)

قوله تعالى: (وأقسموا) - الآية.

643. أخرج ابن جرير وابن أبي حاتم عن أبي العالية قال: « كان لرجل من المسلمين على رجل من المشركين دين، فاتاه يتقاضاه، فكان فيما تكلم به والذي أرجوه بعد الموت إنه كذا وكذا، فقال له المشرك: إنك لتزعم أنك تبعث من بعد الموت؟! فأقسم بالله جهد يمينه لا يبعث الله من يموت، فنزلت الآية⁽¹⁵³³⁾ »

[تعليق]

ذكر المؤلف رحمه الله هذا السبب في نزول هذه الآية وهو يدل على ما كان عليه أهل الكفر من إنكار البعث وجرئتهم على رد الحق، فنزلت الآية رداً على كل كافر منكر للبعث بأن الله تعالى سيبعثه وعدا عليه حقاً لا يخيب ولا يغيب. ولم أجد في أسباب نزولها غير ما ذكره المؤلف والله تعالى أعلم.

[تفسير مختصر للآية]

(وأقسموا بالله جهد أيمانهم لا يبعث الله من يموت) أى حلف المشركون جاهدين في أيمانهم، مبالغين في تغليظ اليمين، بأن الله لا يبعث من يموت، استبعدوا البعث ورأوه أمراً عسيراً بعد البلى وتفرق الأشلاء والذرات، قال تعالى ردا عليهم. (بلى وعدا عليه حقا) أى بلى ليعتنتهم، وعد بذلك وعدا قاطعاً لا بد منه. (ولكن أكثر الناس لا يعلمون) أى ولكن أكثرهم لا يعلمون قدرة الله، فينكرون البعث والنشور⁽¹⁵³⁴⁾.

(وَالَّذِينَ هَاجَرُوا فِي اللَّهِ مِنْ بَعْدِ مَا ظَلَمُوا لَنُبَوِّئَنَّهُمْ فِي الدُّنْيَا حَسَنَةً وَلَآجِرُ الْآخِرَةِ أَكْبَرُ لَوْ كَانُوا يَعْلَمُونَ ٤١)

قوله تعالى: (والذين هاجروا) - الآية.

644. أخرج ابن جرير عن داود بن أبي هند قال: « نزلت: (والذين هاجروا في الله من بعد ما ظلموا) إلى قوله: (وعلى ربهم يتوكلون) في أبي جندل بن سهيل⁽¹⁵³⁵⁾ ».

[تعليق]

أورد المؤلف سبباً واحداً في سبب نزول هذه الآية وهو أنها نزلت في أبي جندل بن سهيل بن عمرو وقد جاء فيها سببان غير ما ذكره المؤلف. فقال الإمام الواحدي: نزلت في أصحاب النبي ﷺ بمكة بلال وصهيب وخباب وعامر وجندل بن سهيل أخذهم

(1529) أسباب النزول للواحدي (187)

(1530) أسباب النزول للواحدي (187)

(1531) الكشف والبيان عن تفسير القرآن (6 / 6)

(1532) صفوة التفاسير - للصابوني (102 / 2)

(1533) تفسير الطبري 14/105 مرسل ضعيف الإسناد

(1534) صفوة التفاسير - للصابوني (108 / 2)

(1535) تفسير الطبري 14/107 مرسل ضعيف الإسناد

المشركون بمكة فعذبوهم وآذوهم، فبوأهم الله تعالى بعد ذلك المدينة⁽¹⁵³⁶⁾. وأخرج ابن أبي حاتم عن قتادة في قوله: " (وَالَّذِينَ هَاجَرُوا فِي اللَّهِ مِنْ بَعْدِ مَا ظَلَمُوا) "، قال: هؤلاء أصحاب مُحَمَّد، ظلمهم أهل مكة فأخرجوهم من ديارهم، حتى لحق طوائف منهم بأرض الحبشة، ثم بوأهم الله المدينة بعد ذلك فجعلها لهم دار هجرة، وجعل لهم أنصاراً من المؤمنين، (وَلَا جُرَّ الْأَخْرَةَ أَكْبَرُ)، قال: أي والله لما يثيبهم عليه من جنته ونعمته، (أَكْبَرُ لَوْ كَانُوا يَعْلَمُونَ)⁽¹⁵³⁷⁾.

قلت: وكل ما ورد في سبب نزول هذه الآية محتمل، فالآية وعد لكن من هاجر في الله من بعد ما لقي العذاب أن ينزله الله تعالى الجنة نسأل الله أن يجعلنا من أهلها.

[تفسير مختصر للآية]

(والذين هاجروا في الله من بعد ما ظلموا) أي تركوا الأوطان والأهل والقرابة، في شأن الله وابتغاء رضوانه، من بعد ما عذبوا في الله، قال القرطبي: هم صهيب، وبلال، وخباب، وعمار، عذبهم أهل مكة حتى قالوا لهم ما أرادوا، فلما خلوهم هاجروا إلى المدينة (لنبونهم في الدنيا حسنة) أي لنسكنهم داراً حسنة، خيراً مما فقدوا، قال ابن عباس: بوأهم الله المدينة المنورة فجعلها لهم دار هجرة (ولأجر الآخرة أكبر لو كانوا يعلمون) أي ثواب الآخرة أعظم وأكبر، لو كان الناس يعلمون حقيقة الأمر⁽¹⁵³⁸⁾.

(ضَرَبَ اللَّهُ مَثَلًا عَبْدًا مَمْلُوكًا لَا يَقْدِرُ عَلَى شَيْءٍ وَمَنْ رَزَقْنَاهُ مِنَّا رِزْقًا حَسَنًا فَهُوَ يُنْفِقُ مِنْهُ سِرًّا وَجَهْرًا هَلْ يَسْتَوِي
الْحَمْدُ لِلَّهِ بَلْ أَكْثَرُهُمْ لَا يَعْلَمُونَ ٧٥)

قوله تعالى: (ضرب الله مثلاً) - الآية.

645. أخرج ابن جرير عن ابن عباس في قوله: (ضرب الله مثلاً عبداً مملوكاً) قال: «نزلت في رجل من قريش وعبداه، وفي قوله: (رجلين أحدهما أبكم) قال: نزلت في عثمان ومولى له كان يكره الإسلام ويأباه وينهاه عن الصدقة والمعروف، فنزلت فيهما⁽¹⁵³⁹⁾».

[تعليق]

ذكر المؤلف رحمه الله هذا الأثر الوحيد في سبب نزول هذه الآية. وهذه الآية من الآيات التي ضرب الله فيها الأمثال. قال الإمام الثعلبي: ضرب الله تعالى مثلاً المؤمن والكافر فقال عز من قائل: (ضرب الله مثلاً عبداً مملوكاً لا يقدر على شيء) هو مثل الكافر رزقه الله مالا فلم يقدم خيراً ولم [يعمل] فيه بطاعة الله تعالى (ومن رزقناه منا رزقاً حسناً فهو ينفق منه سراً وجهراً) هو مثل المؤمن أعطاه الله مالا فعمل فيه بطاعة الله وأنفقه فيما يرضي الله سراً وجهراً فأتابه الله على ذلك النعيم المقيم في الجنة⁽¹⁵⁴⁰⁾.

وقيل: أنه مثل ضربه الله تعالى لنفسه وللأوثان لأنه مالك كل شيء وهي لا تملك شيئاً هذا قول مجاهد والسدي⁽¹⁵⁴¹⁾. وقد جاء في سبب نزول هذه الآية كذلك ما قاله الإمام ابن الجوزي في العبد المملوك والذي رزقه الله رزقاً حسان فقال في ذلك قولان: أحدهما: أن المملوك: أبو الجوار، وصاحب الرزق الحسن: سيده هشام ابن عمرو، رواه عكرمة عن ابن عباس. وقال مقاتل: المملوك: أبو الحوارج.

والثاني: أن المملوك: أبو جهل بن هشام، وصاحب الرزق الحسن: أبو بكر الصديق رضي الله عنه. قلت: قد عرفنا عادات القرآن من ضرب الأمثال حتى يتكرر فيها أهل العقول من المشركين، فلعلهم يعرفوا ربهم ويوحده. وقد جاءت هذا الأمثال في عدة أماكن من القرآن الكريم كقوله تعالى (ضرب الله مثلاً رجلاً رجلاً فيه شركاء متشاكسون ورجلاً سلماً لرجل هل يستويان مثلاً) [الزمر: 29] فعلى ذلك وقد عرفنا حكمة ضرب الأمثال في القرآن فحمل الآية على العموم أولى من تخصيصها بأحد بعينه، فيكون المثل ضربه لإقامة البينة على توحيد الله عند الناس كافة والله تعالى أعلم.

[تفسير مختصر للآية]

(ضرب الله مثلاً عبداً مملوكاً لا يقدر على شيء ومن رزقناه منا رزقاً حسناً) هذا مثل ضربه الله تعالى لنفسه، وللأصنام التي أشركوها مع الله جل وعلا، أي مثل هؤلاء في إشراكهم، مثل من سوى بين عبد مملوك عاجز عن التصرف، وبين حر مالك يتصرف في أمره كيف يشاء، مع أنهما سيان في البشرية والمخلوقية لله سبحانه وتعالى، فما الظن برب العالمين حيث يشركون به أعجز المخلوقات

(فهو ينفق منه سراً وجهراً) أي ينفق ماله في الخفاء والعلانية ابتغاء وجه الله. (هل يستويان) أي هل يستوي العبيد والأحرار الذين ضرب لهم المثل، فالأصنام كالعبد المملوك الذي لا يقدر على شيء، والله تعالى

⁽¹⁵³⁶⁾ أسباب النزول للواحد (188) من غير إسناد

⁽¹⁵³⁷⁾ تفسير ابن أبي حاتم - (0 /)

⁽¹⁵³⁸⁾ صفوة التفسير - للصابوني (108 / 2)

⁽¹⁵³⁹⁾ تفسير الطبري 14/151 في إسناده الحسن بن الصباح ضعيف

⁽¹⁵⁴⁰⁾ الكشف والبيان عن تفسير القرآن (32 / 6)

⁽¹⁵⁴¹⁾ زاد المسير (472 / 4)

له الملك، وبيده الرزق، وهو المتصرف في الكون كيف يشاء، فكيف يُسوى بينه وبين الأصنام؟. (الحمد لله بل أكثرهم لا يعلمون) أى شكراً لله على بيان هذا المثال، ووضوح الحق، فقد ظهرت الحجة مثل الشمس الساطعة، ولكن المشركين بسفهمهم وجهلهم، يسوون بين الخالق والمخلوق، والمالك والمملوك⁽¹⁵⁴²⁾.

(يَعْرِفُونَ نِعْمَتَ اللَّهِ ثُمَّ يُنْكِرُونَهَا وَأَكْثَرُهُمُ الْكَافِرُونَ ٨٣)

قوله تعالى: (يعرفون نعمة الله) - الآية.

646. أخرج ابن أبي حاتم عن مجاهد: « أن أعرابياً أتى النبي صلى الله عليه وسلم، فقرأ عليه (والله جعل لكم من بيوتكم سكناً) قال الأعرابي: نعم، ثم قرأ عليه: (وجعل لكم من جلود الأنعام بيوتاً تستخفونها يوم ظعنكم ويوم إقامتكم) قال: نعم، ثم قرأ عليه كل ذلك يقول نعم، حتى بلغ: (كذلك يتم نعمته عليكم لعلكم تسلمون) فولى الأعرابي فأنزل الله: (يعرفون نعمة الله ثم ينكرونها وأكثرهم الكافرون⁽¹⁵⁴³⁾)».

[تعليق]

ذكر المؤلف رحمه الله أثراً وحداً في سبب نزول هذه الآية، وهو أثر مرسل مع ضعف إسناده، لكن المعنى لا شك صحيح، فإن الله تعالى وصف الأعراب بقوله تعالى (الأعراب أشد كفراً ونفاقاً وأجدر أن لا يعلموا حدود ما أنزل الله على رسوله) سورة التوبة.

ولم أجد سبباً آخر غير ما ذكره المؤلف والمعنى من الآية عام في كل من أنكر نعم الله تعالى بعد أن عرفها والله تعالى أعلم.

[تفسير مختصر للآية]

(يعرفون نعمة الله ثم ينكرونها) أى يعرف هؤلاء المشركون نعمة الله العديدة، التي أنعم بها عليهم، ويعترفون بأنها من عند الله، ثم ينكرونها بعبادتهم غير المنعم، وقال السدي: نعمة الله هي محمد ﷺ، عرفوا نبوته، ثم جحدوها وكذبوه. (وأكثرهم الكافرون) أى أكثرهم يموتون كفاراً، وفيه إشارة إلى ان بعضهم يهتدي للإسلام، وأما أكثرهم فمصرون على الكفر والضلال⁽¹⁵⁴⁴⁾.

(وَأَوْفُوا بِعَهْدِ اللَّهِ إِذَا عَاهَدْتُمْ وَلَا تَنْقُضُوا الْأَيْمَانَ بَعْدَ تَوْكِيدِهَا وَقَدْ جَعَلْتُمُ اللَّهَ عَلَيْكُمْ كَفِيلًا إِنَّ اللَّهَ يَعْلَمُ مَا تَفْعَلُونَ) (٩١)

قوله تعالى: (وأوفوا) - الآية.

647. [ك] أخرج ابن جرير عن بريدة قال: « نزلت هذه الآية في بيعة النبي ﷺ »⁽¹⁵⁴⁵⁾.

[تعليق]

ذكر المؤلف أثراً واحداً هنا وهو مع إرساله ضعيف الإسناد الآية فيها الأمر بالوفاء بالعهد وقد جاء الأمر بالوفاء بالعهد في غير ما آية من القرآن. وقد ورد سبب آخر في نزول هذه الآية. وهو ما أورده الإمام الثعلبي قال: قال مجاهد وقتادة: نزلت في حلف أهل الجاهلية⁽¹⁵⁴⁶⁾.

[تفسير مختصر للآية]

(وأوفوا بعهد الله إذا عاهدتم) أى حافظوا على العهود التي عاهدتم عليها الرسول أو الناس، وأدوها على الوفاء والتمام. (ولا تنقضوا الأيمان بعد توكيدها) أى ولا تنقضوا أيمان البيعة، بعد توثيقها بذكر الله تعالى. (وقد جعلتم الله عليكم كفيلاً) أى جعلتم الله شاهداً ورقيباً على تلك البيعة. (إن الله يعلم ما تفعلون) أى عليم بأفعالكم، وسيجازيكم عليها⁽¹⁵⁴⁷⁾.

⁽¹⁵⁴²⁾صفوة التفسير - للصابوني (113 / 2)

⁽¹⁵⁴³⁾ تفسير ابن أبي حاتم 7/2295 مرسل، وفي إسناده مدلسان صرحا بالتحديث صفوان بن صالح وكان يسوي والوليد بن مسلم

⁽¹⁵⁴⁴⁾صفوة التفسير - للصابوني (115 / 2)

⁽¹⁵⁴⁵⁾ تفسير الطبري 14/164 إسناده ضعيف، رواه ابن جرير من طريق عبيد الله بن موسى عن أبي ليلى عن بريدة، وأبو ليلى هذا هو عبد الله بن ميسرة ضعيف.

⁽¹⁵⁴⁶⁾الكشف والبيان عن تفسير القرآن (38 / 6)

⁽¹⁵⁴⁷⁾صفوة التفسير - للصابوني (117 / 2)

(وَلَا تَكُونُوا كَالَّذِينَ نَقَصَتْ غَزْلَهَا مِنْ بَعْدِ قُوَّةٍ أَنْكُنَّا تَتَّخِذُونَ أَيَّمَنْكُمْ دَخَلًا بَيْنَكُمْ أَنْ تَكُونَ أُمَّةٌ هِيَ أَرْبَىٰ مِنْ أُمَّةٍ إِنَّمَا يَبْلُوكُمُ اللَّهُ بِهِ وَلِيُبَيِّنَ لَكُمْ يَوْمَ الْقِيَامَةِ مَا كُنْتُمْ فِيهِ تَخْتَلِفُونَ ٩٢) آية 92

قوله تعالى: (ولا تكونوا) - الآية.

648. [ك] أخرج ابن أبي حاتم عن أبي بكر بن أبي حفص قال: « كانت سعيدة الأسدية مجنونة تجمع الشعر والليف، فنزلت هذه الآية: (ولا تكونوا كالتى نقصت غزلها⁽¹⁵⁴⁸⁾) ».

[تعليق]

أورد المؤلف هذا الأثر في سبب نزول هذه الآية. وهذه المرأة اسمها ربيعة بنت عمرو بن كعب بن سعد بن تيم بن مرة⁽¹⁵⁴⁹⁾، كانت تفعل ذلك، لكن أكثر أهل التفسير على أن الآية نزلت مثلاً لكل من يعمل عملاً ثم ينقضه. قلت: والظاهر أن الآية نزلت في امرأة معينة والمعنى عام، دل على ذلك ذكر المرأة ولو كان نزلت مثلاً عاماً لذكر الذي أو الذين. والله تعالى أعلم.

[تفسير مختصر للآية]

(ولا تكونوا كالتى نقصت غزلها من بعد قوة أنكاثاً) هذا مثل ضرب به الله لمن نكث عهده، شبهت الآية الذى يحلف ويعاهد، ويبرم عهده ثم ينقضه، بالمرأة التى تغزل غزلها وتفتله محكما، ثم تحله أنكاثاً أى أنقاضاً⁽¹⁵⁵⁰⁾.

(وَ لَقَدْ نَعَلُمْ أَنَّهُمْ يَقُولُونَ إِنَّمَا يُعَلِّمُهُ بَشَرٌ لِّسَانُ الَّذِي يُلْحِدُونَ إِلَيْهِ أَعْجَمِيٌّ وَ هَذَا لِسَانٌ عَرَبِيٌّ مُبِينٌ ١٠٣)

قوله تعالى: (ولقد نعلم) - الآية.

649. [ك] أخرج ابن جرير بسند ضعيف عن ابن عباس قال: « كان رسول الله ﷺ يعلم قينا بمكة اسمه بلعام، وكان أعجمي اللسان، وكان المشركون يرون رسول الله ﷺ يدخل عليه ويخرج من عنده فقالوا: إنما يعلمه بلعام، فأنزل الله: (ولقد نعلم أنهم يقولون إنما يعلمه بشر) - الآية⁽¹⁵⁵¹⁾ ».

650. وأخرج ابن أبي حاتم من طريق حصين عن عبد الله بن مسلم الحضرمي قال: « كان لنا عبدان أحدهما يقال له يسار والآخر جبر وكانا صقليين⁽¹⁵⁵²⁾، فكانا يقرآن كتابهما ويعلمان علمهما، وكان رسول الله ﷺ يمر بهما فيستمع قراءتهما، فقالوا: إنما يعلم منهما، فنزلت⁽¹⁵⁵³⁾ ».

[تعليق]

ذكر المؤلف رحمه الله أثريين وهما يشتملان على سببين للنزول. وكل منهما يدلان على افتراء الكفار على النبي ﷺ في كونه تلقى القرآن من بشر مثله، فرد الله تعالى عليهم بأن هذه البشر الذى ادعوا أن النبي تعلم منه أعجمي - ليس عربي - أما القرآن بما فيه من الفصاحة والبلاغة والبيان فعربي مبين.

وفي سبب نزول هذه الآية عدة أقوال غير ما ذكر المؤلف عدها الإمام ابن الجوزي تسعة. قال الإمام الثعلبي: وقال الفراء: قال المشركون « إنما يتعلم محمد عن مملوك كان لحويطب بن عبد العزى، وكان قد أسلم فحسن إسلامه، وكان أعجمي. فأنزل الله تعالى هذه الآية⁽¹⁵⁵⁴⁾ ».

وقال العز بن عبد السلام في تفسيره: « أو يعيش عبد بني الحضرمي كان الرسول ﷺ يلقنه القرآن⁽¹⁵⁵⁵⁾ ». وهذا الأثر أخرجه الإمام الثعلبي ببساق أطول من هذا فقال عن ابن إسحاق: « كان رسول الله ﷺ عليه وسلم فيما بلغني كثيراً ما يجلس عند المروة إلى غلام رومي نصراني، يقال له: خير، عبد لبعض بني الحضرمي وكان يقرأ الكتب. وقال المشركون: والله ما يعلم محمداً كثيراً ما يأتي به إلا خير النصراني، فأنزل الله تعالى هذه الآية⁽¹⁵⁵⁶⁾ ». وسبب آخر: أورده الأمام الثعلبي قال: وقال المشركون: « والله ما يعلم محمداً كثيراً ما يأتي به إلا خير النصراني، فأنزل الله تعالى هذه الآية⁽¹⁵⁵⁷⁾ ».

وسبب آخر: قال الرازي: وقيل: « عبد لبني الحضرمي صاحب كتب، وكان اسمه جبر، وكانت قریش تقول: عبد بني

(1548) تفسير ابن أبي حاتم 7/2300 مرسل

(1549) تفسير القرطبي - (10/171)

(1550) صفوة التفاسير - للصابوني (2/117)

(1551) تفسير الطبري 14/177 وفي إسناده مسلم بن كيسان أبو عبد الله الملائي، ووقع في الرواية مسلم بن عبد الله الملائي وهو خطأ والصواب الأول وهو ضعيف الحديث

(1552) يعنى من مدينة صقلية قال ياقوت الحموي: صقلية ثلاث كسرات وشدديد اللام والياء أيضاً مشددة وبعض يقول بالسین وأكثر أهل صقلية يفتحون الصاد واللام من

جزائر بحر المغرب مقابلة إفريقية معجم البلدان (3/416) المؤلف: ياقوت بن عبد الله الحموي أبو عبد الله الناشر: دار الفكر - بيروت عدد الأجزاء: 5 قلت: وهذه المدينة

وقتنذ لم تكن من بلاد العرب إنما أصبحت عربية بدخول الإسلام فيها فيما بعد.

(1553) مرسل ولم أجده في الكتب المسنده في النسخة التي عندي.

(1554) الكشف والبيان عن تفسير القرآن (6/43)

(1555) تفسير العز بن عبد السلام (580)

(1556) الكشف والبيان عن تفسير القرآن (6/43)

(1557) الكشف والبيان عن تفسير القرآن (6/43)

الحضرمي يعلم خديجة وخديجة تعلم محمداً⁽¹⁵⁵⁸⁾».

وسبب آخر: قال الإمام الثعلبي: وقال السدي: «كان بمكة رجل نصراني يقال له ابن ميسرة يتكلم بالرومي، فربما يقعد إليه رسول الله صلى الله عليه وسلم فقال الكفار: إنما يتعلم محمد منه، فنزلت هذه الآية⁽¹⁵⁵⁹⁾». وسبب آخر: قال الإمام ابن جرير عن الضحاك يقول في قوله (لِسَانُ الَّذِي يُلْحِدُونَ إِلَيْهِ أَعْجَمِيٌّ) كانوا يقولون: «إنما يعلمه سلمان الفارسي⁽¹⁵⁶⁰⁾».

وسبب آخر: قال الإمام ابن جرير: أخبرني سعيد بن المسيب: «أن الذي ذكر الله تعالى ذكره أنه قال (إِنَّمَا يُعَلِّمُهُ بَشَرٌ) [سورة النحل: 103] إنما افترض أنه كان يكتب الوحي، فكان يملي عليه رسول الله ﷺ: سميعٌ عليّ، أو عزيزٌ حكيمٌ، أو غير ذلك من خواتم الآي، ثم يشتغل عنه رسول الله ﷺ وهو على الوحي، فيستفهم رسول الله ﷺ فيقول: أعزيب حكيمٌ، أو سميعٌ عليّ، أو عزيز عليّ؟ فيقول له رسول الله ﷺ: أي ذلك كتبت فهو كذلك. ففتنه ذلك، فقال: إن محمداً وكل ذلك إليّ، فأكتب ما شئت. وهو الذي ذكر لي سعيد بن المسيب من الحروف السبعة⁽¹⁵⁶¹⁾».

وسبب آخر: قاله ابن الجوزي «أنهم عَنُوا به رجلاً حدّاداً كان يقال «بُحْنَس» النصراني، قاله ابن زيد⁽¹⁵⁶²⁾». قلت: وكل هذه الأسباب لا تعارض بينها البتة فإن كان النبي ﷺ يجلس لهؤلاء الأعاجم من أجل أن يدعوهم إلى الإسلام سواء أسلموا أم لم يسلموا. فجلس معهم النبي ﷺ وسواء قالوا: علمته خديجة أو غير ذلك، فإن ذلك من افتراءهم على الله وعلى رسوله الكذب ومحاولتهم لتغيير الناس عن القرآن.

[تفسير مختصر للآية]

(ولقد نعلم أنهم يقولون إنما يعلمه بشر) أى قد علمنا مقالة المشركين الشنيعة، ودعواهم أن هذا القرآن من تعليم (جنر الرومي) وقد ردّ تعالى عليهم بقوله:

(لسان الذي يلحدون إليه أعجمي) أى لسان الذي يزعمون أنه علمه القرآن، وينسبون إليه التعليم أعجمي. (وهذا لسان عربي مبين) أى وهذا القرآن عربي في غاية الفصاحة، فكيف يمكن لمن لسانه أعجمي، أن يُعلم محمداً هذا الكتاب العرَبِي المَبِين؟ ومن أين للأعجمي أن يذوق بلاغة هذا الكتاب المعجز، في فصاحته وبيانه⁽¹⁵⁶³⁾؟! .

(مَنْ كَفَرَ بِاللَّهِ مِنْ بَعْدِ إِيْمَانِهِ إِلَّا مَنْ أَكْرَهَ وَقَلْبُهُ مُطْمَئِنٌّ بِالْإِيْمَانِ لَكِنْ مَنْ شَرَحَ بِالْكُفْرِ صَدْرًا فَعَلَيْهِمْ عَذَابٌ مِّنْ اللَّهِ وَلَهُمْ عَذَابٌ عَظِيمٌ ١٠٦)

قوله تعالى: (إلا من أكرهه وقلبه مطمئن بالإيمان) - الآية.

651. أخرج الآية ابن أبي حاتم عن ابن عباس قال: «لما أراد النبي ﷺ أن يهاجر إلى المدينة أخذ المشركون بلالاً وخباباً وعمار بن ياسر، فأما عمار فقال: لهم كلمة أعجبتهم تقية، فلما رجع إلى رسول الله ﷺ حدثه، فقال: «كيف كان قلبك حين قلت، أكان منشراحاً بالذي قلت؟». قال: لا فأنزل الله: (إلا من أكرهه وقلبه مطمئن بالإيمان)⁽¹⁵⁶⁴⁾».

652. وأخرج عن مجاهد قال: «نزلت هذه الآية في أناس من أهل مكة آمنوا، فكتب إليهم بعض الصحابة بالمدينة أن هاجروا، فخرجوا يريدون المدينة، فأدركتهم قريش بالطريق ففتنوهم فكفروا مكرهين، ففيهم نزلت هذه الآية⁽¹⁵⁶⁵⁾».

653. [ك] وأخرج ابن سعد في الطبقات عن عمر بن الحكم قال: «كان عمار بن ياسر يعذب حتى لا يدري ما يقول، وكان صهيب يعذب حتى لا يدري ما يقول، وكان أبو فكيهة⁽¹⁵⁶⁶⁾ يعذب حتى لا يدري ما يقول، وبلال وعمار بن فهيرة وقوم من المسلمين، وفيهم نزلت هذه الآية: (ثم إن ربك للذين هاجروا من بعد ما فتنوا)⁽¹⁵⁶⁷⁾».

[تعليق]

ذكر المؤلف رحمه الله ثلاثة آثار في سبب نزول هذه الآية، فأما الأولان فهما متعلقان بقوله تعالى (إلا من أكرهه) والثالث

⁽¹⁵⁵⁸⁾ مفاتيح الغيب (271 / 20)

⁽¹⁵⁵⁹⁾ الكشف والبيان عن تفسير القرآن (44 / 6)

⁽¹⁵⁶⁰⁾ جامع البيان (تفسير الطبري) (300 / 17)

⁽¹⁵⁶¹⁾ جامع البيان (تفسير الطبري) (54 / 1)

⁽¹⁵⁶²⁾ زاد المسير (493 / 4)

⁽¹⁵⁶³⁾ صفوة التفسير - للصابوني (118 / 2)

⁽¹⁵⁶⁴⁾ تفسير ابن أبي حاتم 7/2303 لم أجد له إسناداً في النسخة، لكن ابن كثير اختصره فقال: وقد روي العوفي عن ابن عباس - فنكره مختصراً والعوفي ضعيف.

⁽¹⁵⁶⁵⁾ تفسير ابن أبي حاتم 7/2304 مرسل.

⁽¹⁵⁶⁶⁾ هو يسار أبو فكيهة، مولى صفوان بن أمية. وكان النبي ﷺ إذا جلس مع المستضعفين: خباب، وعمار، وأبي فكيهة يسار مولى صفوان وأشباههم هزنت منهم قريش.

أسد الغاية (536 / 5) المؤلف: أبو الحسن علي بن محمد بن عبد الكريم بن عبد الواحد الشيباني الجزري المعروف بـ (ابن الأثير) سنة الولادة: سنة الوفاة: 630 هـ عدد

الأجزاء: 8 (7+ فهارس) الناشر: دار إحياء التراث العربي مدينة النشر: بيروت/ لبنان سنة النشر: 1417 هـ 1996 م رقم الطبعة: الأولى المحقق: عادل أحمد الرفاعي

⁽¹⁵⁶⁷⁾ الطبقات الكبرى 3/248 قلت: في إسناد محمد بن عمر غير منسوب وهو الواقدي المعروف، متروك الحديث وأيضاً فإن صورته صورة المرسل، قال عمر بن الحكم: كان

عمار يعذب - فنكره

متعلق بقوله تعالى (ثم إن ربك للذين هاجروا من بعد ما فتنوا).

وهذه الآثار تدل على أن المكره معذور وإن نطق لسانه بكلمة الكفر إن كان قلبه مطمئن بالإيمان. وقد روى أثر عمار بسياق أفضل مما هنا فقال الإمام الواحدي: قال ابن عباس: «نزلت في عمار بن ياسر، وذلك أن المشركين أخذوه وأباه ياسرا وأمه سمية وصهيبا وبلالا وخبابا وسالما، فأما سمية فإنها ربطت بين يعيرين ووجئ قلبها بحرية، وقيل لها: إنك أسلمت من أجل الرجال فقتلت وقتل زوجها ياسر وهما أول قتيلين قتلا في الإسلام، وأما عمار فإنه أعطاهم ما أرادوا بلسانه مكرها، فأخبر النبي صلى الله عليه وسلم بأن عمارا كافر، فقال: كلا إن عمارا ملئ إيمانا من قرنه إلى قدمه واختلط الإيمان بلحمه ودمه، فأتى عمار رسول الله ﷺ وهو يبكي، فجعل رسول الله، عليه الصلاة والسلام يمسح عينيه، وقال: إن عادوا لك فعد لهم بما قلت، فأنزل الله تعالى هذه الآية⁽¹⁵⁶⁸⁾».

وقد جاء في سبب نزول الآية غير ما ذكره المؤلف أنها نزلت في عياش ابن أبي ربيعة. قال الإمام الثعلبي: «وكان عياش من المهاجرين الأولين [وألجأ يضربه] أن يكون بلغ ما بلغ أصحابه هذه [الفعلة] وكان قدم مهاجرا وكان برا بأمه، فحلفت أن لا تأكل خبزها ولا تستظل بظل حتى يرجع إليها ابنها قال: فقدم عليه أبو جهل وكان أخاه لأمه ورجل آخر فأراد أن يرجع معه فقال له أبو جهل: أمك [لو قد جاءت ما أكلت ولو قد شمسيت] ما استظلت، فقال ابنها: بلى ألقاها ثم أرجع. فقال: أما إذا أتيت فلا [تعطين راحلتك] أحدا، فإنه لا يزال لك من أمرك النصف ما لم تعط راحلتك أحدا فانطلق هو وأبو جهل والرجل، فلما كانوا ببعض الطريق قال أبو جهل: لو تحول كل واحد منا على راحلة صاحبه فتحول كل واحد منهم على راحلة صاحبه فساروا. وضر به أبو جهل بالسوط على رأسه وحلّفه باللات والعزى فلم يزل به حتى أعطاه الذي أراد بلسانه، ثم انطلق فرجع، وفيه نزلت هذه الآية (مَنْ كَفَرَ بِاللَّهِ مِنْ بَعْدِ إِيمَانِهِ⁽¹⁵⁶⁹⁾)».

قلت: لا تعارض بين هذه الآثار. فسواء عمار أو بلال أو خباب أو عياش، فكل منهم ممن أكره على دينه، فأنزل الله تعالى عذرهم إذا نزل بهم العذاب أن يقولوا كلمة الكفر مع اطمئنان قلوبهم بالإيمان والله تعالى أعلم.

[تفسير مختصر للآية]

(من كفر بالله من بعد إيمانه) أى: من تلفظ بكلمة الكفر، وارتد عن الدين بعد ما دخل فيه (إلا من أكره وقلبه مطمئن بالإيمان) أى لكن من تلفظ بكلمة الكفر مكرها، والحال أن قلبه مملوء إيمانا ويقينا، والآية تغليظ لجريمة المرتد.

(ولكن من شرح بالكفر صدرا) أى طابت نفسه بالكفر وانشرح صدره له.

(فعلهم غضب من الله ولهم عذاب عظيم) أى ولهم غضب شديد مع عذاب جهنم، إذ لا جرم أعظم من جرمهم⁽¹⁵⁷⁰⁾. انتهى

أما قوله تعالى (ثم إن ربك للذين هاجروا من بعد ما فتنوا)

فقد جاء فيها كذلك أسباب غير ما ذكره المؤلف.

قال الإمام الثعلبي: وقال الحسن وعكرمة: «نزلت هذه الآية في عبد الله بن أبي سرح، وكان يكتب للنبي صلى الله عليه وسلم فاستتره الشيطان فلحق بالكفار، فأمر النبي صلى الله عليه وسلم أن يقتل يوم فتح مكة، فاستجار له عثمان وكان أخاه لأمه فأجاره رسول الله صلى الله عليه وسلم ثم أسلم وحسن إسلامه، فأنزل الله تعالى فيهم هذه الآية⁽¹⁵⁷¹⁾».

وأخرج كذلك أنها: نزلت في عياش بن أبي ربيعة أخو أبي جهل من الرضاعة، وأبي جندل بن سهل بن عمرو والوليد بن المغيرة وسلمة بن هشام وعبد الله بن أسيد الثقفي، ففتنهم المشركون فأعطوهم بعض ما أرادوا ليسلموا من شرهم، ثم إنهم هاجروا بعد ذلك وجاهدوا، فأنزل الله فيهم هذه الآية⁽¹⁵⁷²⁾.

وأخرج الإمام ابن جرير: إن قوماً من المسلمين خرجوا للهجرة، فلحقهم المشركون فأعطوهم الفتنة، فنزل فيهم (ومن الناس من يقول آمنا بالله فإذا أؤذي في الله جعل فتنة الناس كعذاب الله) [العنكبوت 10]، فكتب المسلمون إليهم بذلك، فخرجوا، وأدركهم المشركون فقاتلوهم حتى من نجا، وقُتل من قتل، فنزلت فيهم هذه الآية، رواه عكرمة عن ابن عباس⁽¹⁵⁷³⁾.

قلت: هذه كذلك أربعة أقوال في سبب نزول هذه الآية ولا تعارض بينها البتة والقول فيها كالقول في الآية السابقة والله تعالى الموفق.

[تفسير مختصر للآية]

(ثم إن ربك للذين هاجروا من بعد ما فتنوا) أى ثم إن ربك لا يا محمد، للذين هاجروا في سبيل الله، بعد ما فتنهم المشركون الطغاة عن دينهم بالعذاب

(ثم جاهدوا وصبروا) أى ثم جاهدوا في سبيل الله وصبروا على مشاق الجهاد

(إن ربك من بعدها لغفور رحيم) أى إن ربك بعد تلك الهجرة والجهاد، والصبر على العذاب والمشاق، سيغفر لهم ويرحمهم، لأنهم مؤمنون، مجاهدون، صابرون "يستحقون الرحمة والمغفرة"⁽¹⁵⁷⁴⁾.

(وَإِنَّ عَاقِبَتَكُمْ فَعَاقِبَتُ مَا عُوِّبْتُمْ بِهِ وَلَئِن صَبَرْتُمْ لَهُوَ خَيْرٌ لِلصَّابِرِينَ ١٢٦)

(1568) الإمام الواحدي أسباب النزول للواحدي (190)

(1569) الكشف والبيان عن تفسير القرآن (46/6)

(1570) صفوة التفسير - للصابوني (119/2)

(1571) الكشف والبيان عن تفسير القرآن (47/6)

(1572) الكشف والبيان عن تفسير القرآن (47/6)

(1573) جامع البيان (تفسير الطبري) (102/9)

(1574) صفوة التفسير - للصابوني (119/2)

قوله تعالى: (وإن عاقبتكم) - الآية.

654. أخرج الحاكم والبيهقي في الدلائل والبخاري عن أبي هريرة: «أن رسول الله ﷺ وقف على حمزة حين استشهد وقد مثل به، فقال: «لأمتن بسبعين منهم مكانك». فنزل جبريل والنبي ﷺ واقف بخواتيم سورة النحل: (وإن عاقبتكم فعاقبوا بمثل ما عوقبتكم به) إلى آخر السورة، فكف رسول الله ﷺ وأمسك عما أراد⁽¹⁵⁷⁵⁾».

655. وأخرج الترمذي وحسنه والحاكم عن أبي بن كعب قال: «لما كان يوم أحد أصيب من الأنصار أربعة وستون، ومن المهاجرين ستة منهم حمزة، فماتوا بهم فقالت الأنصار: لئن أصبنا منهم يوماً مثل هذا لنربين⁽¹⁵⁷⁶⁾ عليهم، فلما كان يوم فتح مكة أنزل الله: (وإن عاقبتكم فعاقبوا بمثل ما عوقبتكم به) - الآية⁽¹⁵⁷⁷⁾». قال الترمذي: حسن غريب، وظاهر هذا تأخر نزولها إلى الفتح، وفي الحديث الذي قبله نزولها بأحد، وجمع ابن الحصار بأنها نزلت أولاً بمكة، ثم ثانياً بأحد، ثم ثالثاً يوم الفتح تذكيراً من الله لعباده.

[تعليق]

ذكر المؤلف رحمه الله أثرين في سبب نزول هذه الآية وهما حسنا الإسناد. قال أبو حيان في البحر: أطبق أهل التفسير أن هذه الآية مدنية نزلت في شأن التمثيل بحمزة وغيره في يوم أحد⁽¹⁵⁷⁸⁾. قلت: ووقوع الآيات المدنية في السور المكية، والآيات المكية في السورة المدنية معروف. وقد ذكر الإمام الترمذي كون الآية نزلت مرتين مرة بأحد ومرة عند فتح مكة.

والظاهر أنها نزلت مرة واحدة بفتح مكة، وبيان ذلك أن النبي ﷺ لما مثل بحمزة في أحد أراد أن ينتقم له ويمثل بالمشركين، فلم يفعل حتى كان فتح مكة، فلما أن ثبت له الفتح وتمكن من رقاب القوم أراك أن يوفي بما عزم عليه. فأنزل الله تعالى الآية حاتة له على الصبر والعفو، والراجح كذلك أن الآية محكمة غير منسوخة خلافاً من قال ذلك والله تعالى أعلم.

[تفسير مختصر للآية]

(وإن عاقبتكم فعاقبوا بمثل ما عوقبتكم به) أي وإن عاقبتكم أيها المؤمنون من ظلمكم، واعتدى عليكم، فعاملوه بالمثل ولا تزيدوا. (ولئن صيرتم لهو خير للصابرين) أي ولئن عفوتم وتركتكم القصاص، فهو خير لكم وأفضل، وهذا ندب إلى الصبر، وترك عقوبة من أساء، فإن العقوبة مباحة، وتركها أفضل⁽¹⁵⁷⁹⁾.

انتهت سورة النحل

سُورَةُ الْإِسْرَاءِ

(مَنْ أَهْتَدَىٰ فَإِنَّمَا يَهْتَدِي لِنَفْسِهِ وَمَنْ ضَلَّ فَإِنَّمَا يَضِلُّ عَلَيْهَا وَلَا تَزِرُ وَازِرَةٌ وِزْرَ أُخْرَىٰ وَمَا كُنَّا مُعَدِّبِينَ حَتَّىٰ نَبْعَثَ رَسُولًا ۙ ١٥)

قوله تعالى: (ولا تزر وازرة وزر أخرى) - الآية.

656. أخرج ابن عبد البر في التمهيد بسند ضعيف عن عائشة قالت: «سألت خديجة رسول الله ﷺ عن أولاد المشركين، فقال: «هم من آبائهم». ثم سألته بعد ذلك، فقال: «الله أعلم بما كانوا عاملين». ثم سألته بعدما استحکم الإسلام فنزلت: (ولا تزر وازرة وزر أخرى) وقال: «هم على الفطرة أو قال في الجنة⁽¹⁵⁸⁰⁾».

[تعليق]

⁽¹⁵⁷⁵⁾ المستدرک 3/218 ح (4894) شرح معاني الآثار 3/183 ح (4645) المعجم الكبير 3/143 ح (2937) شعب الإيمان 7/120 ح (9703) الطبقات الكبرى 3/14 سنن الدارقطني 116 ج 4: (42) قلت: في إسناده صالح المري الزاهد ضعيف الحديث، وله شاهد من حديث ابن عباس عند الطحاوي في شرح معاني الآثار 3/183 وفي إسناده محمد بن عبد الرحمن بن أبي ليلي ضعيف، وهو أيضاً من رواية الحكم عن مقسم لم يسمع منه سوى أربعة أحاديث، وأخرجه الدارقطني 2/215 من طريق الحكم عن مجاهد عن ابن عباس وفي إسناده إسماعيل بن عياش قال الدارقطني: بعد إخراج الحديث وروايته عن غير الشاميين مضطربة، وكذلك أخرجه الطبراني في الكبير 3/143 من طريق إسماعيل بن عياش عن يزيد بن أبي زياد.

⁽¹⁵⁷⁶⁾ [لنربين عليهم] أي لنزيدن عليهم من الربا وهو الزيادة ⁽¹⁵⁷⁷⁾ سنن الترمذي 5/299 ح (3129) وقال: حسن غريب من حديث أبي بن كعب مسند أحمد 5/135 ح (21267) صحيح ابن حبان 2/239 ح (487) المستدرک 2/391 ح (3368) وقال: صحيح الإسناد ولم يخرجاه، سنن النسائي الكبرى 6/376 ح (11279) المعجم الكبير 3/143 ح (2938) قلت: إسناده حسن متصل قال عبد الله بن أحمد في زيادات المسند ثنا سعيد بن محمد الجرمي قدم من الكوفة ثنا أبو تميلة ثنا عيسى بن عبيد الكندي عن الربيع بن أنس حدثني أبو العالية عن أبي بن كعب - به.

⁽¹⁵⁷⁸⁾ تفسير البحر المحيط - (449/5)

⁽¹⁵⁷⁹⁾ صفوة التفاسير - للصابوني (122/2)

⁽¹⁵⁸⁰⁾ التمهيد لابن عبد البر 18/117 في إسناده عبد العزيز بن أبان ضعيف، انظر ترجمته في تهذيب الكمال

سورة الإسراء من السور المكية وشأنها شأن باقي السور التي نزلت بمكة. لكن كما هو الحال في كل سورة مكية فكل سورة تتفق في استعراض الأمور العامة من تقرير العقائد والوحدانية والقصص، وتنفرد ببعض الميزات التي تميزها عن باقي السور. وقد ذكر الشيخ الشهيد سيد قطب كلاماً طيباً في مفتتح هذه السورة أذكره لإطلاق الظلال على هذه السورة من ظلال القرآن للشيخ سيد قطب رحمه الله حيث قال: هذه السورة - سورة الإسراء - مكية، وهي تبدأ بتسبيح الله وتنتهي بحمده وتضم موضوعات شتى معظمها عن العقيدة وبعضها عن قواعد السلوك الفردي والجماعي وأدابه القائمة على العقيدة إلى شيء من القصص عن بني إسرائيل يتعلق بالمسجد الأقصى الذي كان إليه الإسراء. وطرف من قصة آدم وإبليس وتكريم الله للإنسان. ولكن العنصر البارز في كيان السورة ومحور موضوعاتها الأصيل هو شخص الرسول - صلى الله عليه وسلم - وموقف القوم منه في مكة. وهو القرآن الذي جاء به، وطبيعة هذا القرآن، وما يهدي إليه، واستقبال القوم له⁽¹⁵⁸¹⁾.

وقد ذكر المؤلف رحمه الله أثراً واحداً ضعيف الإسناد في سبب نزول هذه الآية فتبقي الآية على عمومها، مرشدة إلى أنه لا يحمل إنسان وزر إنسان آخر بل لكل ما حمل من الخير والشر. والمسألة فيها بعض التفصيل ليس هذه محلها إنما محلها كتب التفسير والله تعالى موفق.

[تفسير مختصر للآية]

(من اهتدى فانما يهتدي لنفسه ومن ضل فإنما يضل عليها) أى من اهتدى فتواب اهتدائه له، ومن ضل فعقاب كفره وضلاله عليها. (ولا تزر وازرة وزر أخرى) أى لا يحمل أحد ذنب أحد، ولا يجني جان إلا على نفسه. (وما كنا معذبين حتى نبعث رسولا) أى وما كنا معذبين أحداً من الخلق، حتى نبعث لهم الرسل، مذكرين ومنذرين، فتقوم عليهم الحجة⁽¹⁵⁸²⁾.

(وَأَتِذَا الْقُرْبَىٰ حَقَّهُ وَالْمِسْكِينَ وَابْنَ السَّبِيلِ وَلَا تُبَذِّرْ تَبْذِيرًا ٢٦)

قوله تعالى: (وَأَتِذَا الْقُرْبَىٰ) - الآية.

657. أخرج الطبراني وغيره عن أبي سعيد الخدري قال: «لما أنزلت: (وَأَتِذَا الْقُرْبَىٰ حَقَّهُ) دعا رسول الله ﷺ فاطمة فأعطاها فذك». ⁽¹⁵⁸³⁾

قال ابن كثير: هذا مشكل فإنه يشعر بأن الآية مدنية والمشهور خلافه.

658. وروى ابن مردويه عن ابن عباس مثله⁽¹⁵⁸⁴⁾.

[تعليق]

ذكر المؤلف رحمه الله اثنين في سبب نزول هذه الآية وهما ضعيفان مع كون الآية مكية وسبب النزول مدني يحتمل نزولها بالمدينة كما علمت من قبل أن من السورة المكية آيات مدنية والعكس بالعكس. لكن إسناد الأثر ضعيف. فلو صح حكمنا على الآية بأنها مدنية.

واختلف في المراد: بذى القربى على قولين. ذكرهما الإمام ابن الجوزي فقال:

أحدهما: أنه قرابة الرجل من قبل أبيه وأمه، قاله ابن عباس، والحسن، فعلى هذا في حقهم ثلاثة أقوال.

أحدها: أن المراد به: يرؤهم وصليتهم.

والثاني: النفقة الواجبة لهم وقت الحاجة.

والثالث: الوصية لهم عند الوفاة.

والثاني: أنهم قرابة الرسول، قاله علي بن الحسين عليهما السلام، والسدي. فعلى هذا، يكون حقهم: إعطاؤهم من الخمس، ويكون الخطاب للولاية⁽¹⁵⁸⁵⁾.

[تفسير مختصر للآية]

(وَأَتِذَا الْقُرْبَىٰ حَقَّهُ) أى أعط كل من له قرابة بك، حقه من البر والإحسان

(والمسكين وابن السبيل) أى وأعط المسكين المحتاج، والغريب المنقطع في سفره حقه أيضاً.

(ولا تبذر تبذيراً) أى لا تنفق مالك في غير طاعة الله فتكون مبذراً، والتبذير الإنفاق في غير حق، قال مجاهد: لو أنفق إنسان ماله كله في الحق، لم يكن مبشراً، وقال قتادة: التبذير النفقة في معصية الله تعالى، وفي غير الحق، وفي الفساد.

(إن المبذرين كانوا إخوان الشياطين) هذا تعليق للنهي وهو غاية في الذم والتوبيخ، أى إن المبذرين كانوا أمثال الشياطين، وأشباههم في الإفساد، لأنهم ينفقون في الباطل، وينفقون في الشر والمعصية، فهم أمثالهم.

(وكان الشيطان لربه كفوراً) أى مبالغاً في كفران نعمة الله، لا يؤدي حق النعمة، كذلك إخوانه المبذرون لا يؤديون حق النعمة، وحققها

(1581) في ظلال القرآن - (4/ 2208) المؤلف: سيد قطب إبراهيم - (رحمه الله) دار النشر: دار الشروق - القاهرة عدد الأجزاء: 6

(1582) صفوة التقاسير - للصابوني (2/ 126)

(1583) مسند أبي يعلى ج334 ح2 (1075) الكامل في ضعفاء الرجال ج5 ح190 علل ابن أبي تحاتم ج2/57 وفي إسناده عطية العوفي ضعيف.

(1584) لم أجده في الكتب المسندة

(1585) زاد المسير (27/5)

(وَإِمَّا تُعْرِضَنَّ عَنْهُمْ ابْتِغَاءَ رَحْمَةٍ مِّن رَّبِّكَ تَرْجُوهَا فَقُلْ لَهُمْ قَوْلًا مَّيْسُورًا ۙ)

قوله تعالى: (وإما تعرضن عنهم ابتغاء رحمة من ربك ترجوها فقل لهم قولاً ميسوراً ۙ) الآية.

659. أخرج سعيد بن منصور عن عطاء الخرساني قال: « جاء ناس من مزيعة يستحملون رسول الله ﷺ، فقال: « لا أجد ما أحملكم عليه » فتولوا وأعينهم تفيض من الدمع حزناً ظنوا ذلك من غضب رسول الله ﷺ عليهم، فأنزل الله: (وإما تعرضن عنهم ابتغاء رحمة) - الآية⁽¹⁵⁸⁷⁾. »

660. وأخرج ابن جرير عن الضحاك قال: « نزلت فيمن كان يسأل النبي ﷺ من المساكين⁽¹⁵⁸⁸⁾. »

[تعليق]

ذكر المؤلف أثرين وهما يشتملان على سببين للنزول.
الأول: أنها في قوم من مزيعة جازوا يستحملون رسول الله ﷺ أي يطلبون منه أن يحملهم للجهاد وهذا بعيد لأن الجهاد كان في المدينة والآية مكية.
والثاني: فيمن يسأل رسول الله ﷺ من المساكين وهم المشار إليهم في الآية السابقة (وأت ذا القربى حقه والمسكين وابن السبيل) وهذا هو قول جمهور المفسرين.
وقد ذكر الإمام الثعلبي سبباً آخر فقال: « نزلت في منجع وبلال وصهيب وسالم وخباب، كانوا يسألون النبي ﷺ عليه وسلم في الأحيين ما يحتاجون إليه ولا يجد لهم متسعاً، فيعرض عنهم حياء منهم، فأنزل الله عز وجل (وَإِمَّا تُعْرِضَنَّ عَنْهُمْ) يعني وإن تعرض عن هؤلاء الذين أمرتك أن تؤتيهم حقوقهم عند مسألتهم إياك ما لا يجد إليه سبيلاً حياء منهم⁽¹⁵⁸⁹⁾. »
وذكر ابن الجوزي رحمه الله سبباً رابع فقال: أنهم المشركون، فالمعنى: وإما تعرضن عنهم لتكذيبهم، قاله سعيد بن جبيرة فتحتل إذا الرحمة وجهين.
أحدهما: انتظار النصر عليهم، والثاني: الهداية لهم⁽¹⁵⁹⁰⁾.
فهذه أربعة أسباب في سبب نزول هذه الآية، ولعل الأقرب هو أنها نزلت في سؤال المساكين عامة فيشمل من ذكرت أسماؤهم فأمر النبي ﷺ إذا عرض عنهم ولم يعطهم شيئاً أن يقل لهم قولاً ميسوراً يعني فيه يسر، كأن يقول سنعطيك إن شاء الله عندما يتيسر الحال أو نحو ذلك من الأقوال.

[تفسير مختصر للآية]

(وإما تعرضن عنهم ابتغاء رحمة من ربك ترجوها فقل لهم قولاً ميسوراً) أي إن عرضت عن ذوي القربى والمسكين وابن السبيل، إذا لم تجد ما تعطيتهم، فقل لهم قولاً سهلاً لينا، وهدم وعداً جميلاً⁽¹⁵⁹¹⁾.

(وَلَا تَجْعَلْ يَدَكَ مَغْلُولَةً إِلَىٰ عُنُقِكَ وَلَا تَبْسُطْهَا كُلَّ الْبَسْطِ فَتَقْعُدَ مَلُومًا مَّحْسُورًا ۙ)

قوله تعالى: (ولا تجعل يدك مغلولة - الآية)

661. [ك] أخرج سعيد بن منصور عن سيار أبي الحكم قال: « أتى رسول الله ﷺ بز - وكان معطياً كريماً - فقسمه بين الناس، فاتاه قوم فوجدوه قد فرغ منه، فأنزل الله: (ولا تجعل يدك مغلولة إلى عنقك ولا تبسطها) - الآية⁽¹⁵⁹²⁾. »

662. وأخرج ابن مردويه وغيره عن ابن مسعود قال: « جاء غلام إلى النبي ﷺ فقال: إن أمي تسألك كذا وكذا، قال: « ما عندنا شيء اليوم ». قال: فتقول لك اكسني قميصك فخلع قميصه فدفعه إليه فجلس في البيت حاسراً فأنزل الله: (ولا تجعل يدك مغلولة إلى عنقك ولا تبسطها كل البسط فتقعد ملوما محسوراً)⁽¹⁵⁹³⁾. »

663. [ك] وأخرج أيضاً عن أبي أمامة: « أن النبي ﷺ قال لعائشة: « أنفق ما على ظهر كفي ». قالت: إن لا يبقى شيء فأنزل الله: (ولا تجعل يدك مغلولة إلى عنقك) الآية⁽¹⁵⁹⁴⁾. » وظاهر ذلك أنها مدنية.

⁽¹⁵⁸⁶⁾صفوة التفسير - للصابوني (2/ 128)

⁽¹⁵⁸⁷⁾مرسل.

⁽¹⁵⁸⁸⁾تفسير الطبري 15/75 مرسل منقطع

⁽¹⁵⁸⁹⁾الكشف والبيان عن تفسير القرآن (6/ 96)

⁽¹⁵⁹⁰⁾زاد المسير (5/ 28)

⁽¹⁵⁹¹⁾صفوة التفسير - للصابوني (2/ 128)

⁽¹⁵⁹²⁾لم أجده في الكتب المسنده وإسناده مرسل.

⁽¹⁵⁹³⁾لم أجده في الكتب المسنده في الكتب المسنده وقد أخرجه المؤلف في الدر المنثور

⁽¹⁵⁹⁴⁾لم أجده في الكتب المسنده

[تعليق]

ذكر المؤلف رحمه الله ثلاثة آثار بثلاثة أسباب للنزول. الأول والثاني منها داخل في عموم الآية، وفيه دليل على ما كان عليه النبي ﷺ من الأيثار وإن كان في حاجة. وفي صحيح البخاري عن سهل بن سعد قال: «جاءت امرأة ببردة. فقال: أتدرون ما البردة؟ فقيل له: نعم هي الشملة منسوج في حاشيتها. قالت: يا رسول الله، إنني نسجتها بيدي أكسوكها فأخذها النبي ﷺ محتاج لها، فخرج إلينا وإنها إزاره، فقال رجل من القوم: يا رسول الله، أكسيتها. فقال: نعم. فجلس النبي ﷺ في المجلس، ثم رجع فطواها ثم أرسل بها إليه، فقال له القوم: ما أحسنت، سألتها إياه، لقد عرفت أنه لا يرد سائلاً. فقال الرجل: والله ما سألته إلا لتكون كفني يوم أموت. قال سهل: فكانت كفنه⁽¹⁵⁹⁵⁾». وأما الأثر الثالث: فذكر أم المؤمنين عائشة فيه يدل على أن الآية مدنية، وليس كذلك فالآية مكية، وفيها الأمر من الله لنبيه ولنا أن نكون من أهل الاقتصاد في جميع الأمور. فإن من وجد فضلاً فليبدأ بنفسه في النفقة، ثم إن وجد فضلاً فبأهله ثم الأقرب فالأقرب، ولا ينفق كل ما في يديه فيلام. ولا يبخل بما أعطاه الله من فضله فيتحسر.

[تفسير مختصر للآية]

(ولا تجعل يدك مغلولة إلى عنقك) الآية تمثيل للبخل، أي لا تكن بخيلاً ممنوعاً لا تعطى أحداً شيئاً، كمن حُست يده عن الإنفاق وشدت إلى عنقه. (ولا تبسطها كل البسط) تمثيل للتبذير أي ولا تتوسع في الإنفاق توسعاً مفرطاً، بحيث لا يبقى في يدك شيء، والغرض من الآية لا تكن بخيلاً ولا مسرفاً. (فتتعد ملوماً محسوراً) أي فتصير مذموماً من الخلق والخالق، منقطعاً من المال، كمن انقطع في سفره بانقطاع مطبته. (إن ربك يبسط الرزق لمن يشاء ويقدر) أي يوسع الرزق على من يشاء، ويضيِّق على من يشاء، وهو القابض، الباسط، المتصرف في خلقه، بما يشاء حسب الحكمة. (إنه كان بعباده خبيراً بصيراً) أي إنه عالم بمصالح العباد، والفاتوات في الأرزاق ليس لأجل البخل، بل لأجل رعاية المصالح، فهو تعالى يعلم من مصالحهم ما يخفى عليهم⁽¹⁵⁹⁶⁾.

(وَإِذَا قَرَأْتَ الْقُرْآنَ جَعَلْنَا بَيْنَكَ وَبَيْنَ الَّذِينَ لَا يُؤْمِنُونَ بِالْآخِرَةِ حِجَابًا مَّشْتُورًا ٤٥)

قوله تعالى: (وإذا قرأت القرآن) - الآية.

664. أخرج ابن المنذر عن ابن شهاب قال: «كان رسول الله ﷺ إذا تلا القرآن على مشركي قريش ودعاهم إلى الكتاب، قالوا يهزؤون به: قلوبنا في أكنة مما تدعونا إليه وفي آذاننا وقر ومن بيننا وبينك حجاب، فأنزل الله في ذلك من قولهم: (وإذا قرأت القرآن) - الآيات»⁽¹⁵⁹⁷⁾.

[تعليق]

ذكر المؤلف رحمه الله هذا الأثر الوحيد في سبب نزول الآية، وهو وإن كان مرسل الإسناد غير أن معناه صحيح. أخرج ابن أبي حاتم عن أسماء بنت أبي بكر قالت: «لما نزلت: (تبت يدا أبي لهب) أقبلت العوراء أم جميل بنت حرب، ولها ولولة، وفي يدها فهر، وهي تقول: مذمماً أبينا ودينه قلوبنا وأمره عصينا ورسول الله ﷺ جالس في المسجد ومعه أبو بكر، فلما راها أبو بكر قال رسول الله ﷺ قد أقبلت وأنا أخاف عليك أن تراك، فقال رسول الله ﷺ: "إنها لن تراني" وقرأ قرانا اعتصم به كما قال تعالى: (وإذا قرأت القرآن جعلنا بينك وبين الذين لا يؤمنون بالآخرة حجاباً مستوراً) فأقبلت حتى وقفت على أبي بكر، ولم تر رسول الله ﷺ فقالت يا أبا بكر اني اخترت ان صاحبك هجاني؟ قال: لا ورب هذا البيت ما هجاك، فقلت وهي تقول: قد علمت قريش اني ابنة سيدها⁽¹⁵⁹⁸⁾». قلت: وسبب النزول يدل على ما كان عليه المشركون من العناد والكبر عند سماع القرآن، على الرغم من علمهم بأنه كتاب معجز منزل من عند الله تعالى.

[تفسير مختصر للآية]

(وإذا قرأت القرآن جعلنا بينك وبين الذين لا يؤمنون بالآخرة حجاباً مستوراً) أي وإذا قرأت يا محمد القرآن على هؤلاء المشركين، الذين لا يصدقون بالآخرة، جعلنا بينك وبينهم حجاباً خفياً، يحجب عنهم فهم القرآن، وإدراك أسرارهم وحكمهم. (وجعلنا على قلوبهم أكنة أن يفقهوه) أي جعلنا على قلوب هؤلاء الكفار أغطية لئلا يفهموا القرآن. (وفي آذانهم وقرا) أي صمماً يمنعهم من استماعه. (وإذا ذكرت ربك في القرآن وحده ولوا على أدبارهم نفورا) أي وإذا وحدت الله وأنت تتلو القرآن، فر المشركون من ذلك هرباً من استماع التوحيد⁽¹⁵⁹⁹⁾.

(1595) صحيح البخاري (98/2)
(1596) صفوة التفسير - للصابوني (128/2)
(1597) مرسل.
(1598) تفسير ابن أبي حاتم - (3472/10)
(1599) صفوة التفسير - للصابوني (130/2)

(قُلْ اَدْعُوا الَّذِينَ زَعَمْتُمْ مِّنْ دُونِهِ فَلَا يَمْلِكُونَ كَشْفَ الضَّرِّ عَنْكُمْ وَلَا تَحْوِيلًا ٥٦)

قوله تعالى: (قل ادعوا) - الآية.

665. [ك] أخرج البخاري وغيره عن ابن مسعود قال: «كان ناس من الإنس يعبدون ناساً من الجن، فأسلم الجنيون واستمسك الآخرون بعبادتهم، فأنزل الله: (قل ادعوا الذين زعمتم من دونه) - الآية»⁽¹⁶⁰⁰⁾.

[تعليق]

ذكر المؤلف أثراً واحداً في سبب نزول هذه الآية وهو أثر صحيح والآية تدل على أن المشركين كانوا يعبدون الجن. وقد ذكر ذلك في قول الله تعالى (وَيَوْمَ يَحْشُرُهُمْ جَمِيعًا ثُمَّ يَقُولُ لِلْمَلَائِكَةِ أَهؤلاء إِيَّاكُمْ كَانُوا يَعْبُدُونَ (40) قَالُوا سُبْحَانَكَ أَنْتَ وَلِيِّنَا مِن دُونِهِمْ بَلْ كَانُوا يَعْبُدُونَ الْجِنَّ أَكْثَرُهُمْ بِهِمْ مُؤْمِنُونَ (41)) [سورة سبأ]

وقد روى الإمام ابن جرير رحمه الله نفس الأثر عن ابن مسعود وذكر قولاً ثانياً في سبب نزول هذه الآية، والمراد منهم الملائكة فقال: «عن عبد الله بن مسعود، قال: كان قبائل من العرب يعبدون صنفاً من الملائكة يقال لهم الجن، ويقولون: هم بنات الله، فأنزل الله عز وجل (أولئك الذين يدعون) معشر العرب (يبتغون إلى ربهم الوسيلة)⁽¹⁶⁰¹⁾».

وذكر قولاً ثالثاً في سبب نزول الآية فقال: عن ابن عباس، في قوله (أولئك الذين يدعون يبتغون إلى ربهم الوسيلة) قال: عيسى وأمه وعزير⁽¹⁶⁰²⁾.

قلت: وكل هذه الأقوال محتملة وداخله في عموم الآية. فقد كان الكفار يعبدون الجن والملائكة وعيسى وعزير فنزلت الآية لبيان حالهم جميعاً.

والأمر في قوله تعالى (قل ادعوا) للتوبيخ وأنبأهم أن هؤلاء الذين يدعونهم من دون الله هم أنفسهم يتقربون إلى الله تعالى وابتغون إليه الوسيلة، فهم محتاجون إلى الله فلا تصلح عبادتكم إياهم فأنتم وهو سواء في الحاجة إلى الله.

[تفسير مختصر للآية]

(قل ادعوا الذين زعمتم من دونه) أي قل يا محمد لهؤلاء المشركين: ادعوا الذين زعمتم أنهم آلهة من دونه تعالى، قال الحسن: يعني الملائكة وعيسى وعزير، فقد كانوا يقولون إنهم يشفعون لنا عند الله.

(فلا يملكون كشف الضر عنكم ولا تحويلاً) أي فلا يستطيعون رفع البلاء عنكم ولا تحويله إلى غيركم.

(أولئك الذين يدعون يبتغون إلى ربهم الوسيلة أي أقرب) أي أولئك الآلهة الذين يعبدونهم من دون الله، هم أنفسهم يبتغون القرب إلى الله، ويتوسلون إليه بالطاعة والعبادة، فكيف تعبدونهم معه؟

(ويرجون رحمته ويخافون عذابه) أي يرجون بعبادتهم رحمته تعالى، ويخافون عقابه، يتسابقون إلى رضاه.

(إن عذاب ربك كان محذوراً) أي عذابه تعالى شديد ينبغي أن يحذر منه، ويخاف من وقوعه وحصوله⁽¹⁶⁰³⁾.

(وَمَا مَنَعَنَا أَنْ نُرْسِلَ بِالْآيَاتِ إِلَّا أَنْ كَذَّبَ بِهَا الْأُولُونَ وَءَاتَيْنَا ثَمُودَ النَّاقَةَ مُبْصِرَةً فَظَلَمُوا بِهَا وَمَا نُرْسِلُ بِالْآيَاتِ إِلَّا تَحْوِيلًا ٥٩)

قوله تعالى: (وما منعنا) - الآية.

666. أخرج الحاكم والطبراني وغيرهما عن ابن عباس قال: «سأل أهل مكة النبي □ أن يجعل لهم الصفا

ذهبا، وأن يحيي عنهم الجبال فيزرعوا، فقبل له إن شئت أن تستأني بهم وإن شئت توتهم الذي سألو، فإن

كفروا أهلكوا كما أهلكت من قبلهم، قال: بل أستأني بهم فأنزل الله: (وما منعنا أن نرسل بالآيات إلا أن

كذب بها الأولون) - الآية»⁽¹⁶⁰⁴⁾.

667. وأخرج الطبراني وابن مردويه منها عن الزبير نحوه أبسط منه⁽¹⁶⁰⁵⁾.

⁽¹⁶⁰⁰⁾ صحيح البخاري 4/1747 صحيح مسلم 4/2321 ح4/3030 المستدرک 2/394 ح3378 وقال: صحيح على شرط مسلم وقد وهم فقد أخرج الحديث مسلم من نفس الطريق، سنن النسائي الكبرى 6/379 ح6/11287 المعجم الكبير 9/222 ح9077 تفسير الطبري 15/104 مسند الزار 5/165 ح1758

⁽¹⁶⁰¹⁾ (تفسير الطبري) (17/473)

⁽¹⁶⁰²⁾ جامع البيان (تفسير الطبري) (17/473)

⁽¹⁶⁰³⁾ صفوة التفاسير - للصابوني (2/133)

⁽¹⁶⁰⁴⁾ مسند أحمد 1/258 ح2333 المستدرک 2/394 ح3379 وقال: صحيح الإسناد ولم يخرجه سنن النسائي الكبرى 6/380 ح11290 تفسير الطبري 15/108 ح1079 (72) صحيح الإسناد غير أن في

النفس شيئاً من عنقه الأعمش فإنه معروف بالتدليس قال الإمام أحمد: حدثنا عثمان بن محمد وسمعت منه ثنا جرير عن الأعمش عن جعفر بن إياس عن سعيد بن جبير عن ابن عباس - به

⁽¹⁶⁰⁵⁾ مسند أبي يعلى 2/40 ح679 عن الزبير بن العوام يقول: «لما نزلت (: وأنذر عشيرتک الأقربين) صاح رسول الله □ على أبي قبيس: يا آل عبد مناف إني نذير، فجاءته قريش فحذروهم وأنذروهم، فقالوا تزعم أنك نبي يوحى إليك وأن سليمان سخر له الريح والجبال وأن موسى سخر له البحر وأن عيسى كان يحيي الموتى، فأدع الله أن يسير عنا هذه الجبال ويفجر لنا الأرض فتأخذها محارث فنزرع ونأكل، وإلا فأدع لنا الله أن يحيي لنا موتانا فنكلمهم ويكلمونا، وإلا فأدع الله أن يصير هذه الصخرة التي تحتك ذهباً فننحت منها ويغنيها عن رحلة الشتاء والصيف، فإنك تزعم أنك كهيتبتهم، فبينما نحن حوله إذ نزل عليه الوحي، فلما سرى عنه قال: والذي نفسي بيده لقد أعطاني ما سألتم ولو شئت لكان، ولكن خبرني بين أن تدخلوا من باب الرحمة فيؤمن مؤمنكم وبين أن يكلمكم إلى ما اخترتم لأنفسكم ففضلوا عن باب الرحمة ولا يؤمن مؤمنكم، فاخترت باب الرحمة فيؤمن مؤمنكم، وأخبرني إن أعطاكم ذلك ثم كفرتم أنه معذبكم عذاباً لا يعذب به أحداً من العالمين، فنزلت (: وما منعنا أن نرسل بالآيات إلا أن كذب بها الأولون) حتى قرأ ثلاث آيات، ونزلت (: ولو أن قرأنا سيرت به الجبال أو قطعتم به الأرض أو كلم به الموتى)» في إسناده عبد الجبار بن عمر الأيلي ضعيف

ذكر المؤلف رحمه الله أثراً وشاهداً له في سبب نزول هذه الآية، وهو أثر لا بأس بإسناده، وهو يدل على ما كان عليه مشركوا قريش من طلب الآيات التي يظنون أنهم سيعجزوا النبي ﷺ بسؤالهم إياها، فأخبرهم الله تعالى أنه قادر على أن ينزل الآيات ولكن السبب في عدم انزالها عليهم هو تكذيب الأوليين بها، فما الفرق بين هؤلاء وهؤلاء في التكذيب، فكذلك لو نزلت عليهم كذبوا بها، والآيات التي طلب المشركون من النبي ﷺ أن ينزلها عليها هي ما كان من جنس الآيات التي أنزلت على من قبلهم، وهذا يدل على اعترافهم بهذا الآيات المنزلة على الأمم المتقدمة، وأنهم كانوا يمرون على ديارهم ويعرفون أخبارهم، وإلا فقد أنزل الله تعالى عليهم أعظم من هذه الآيات، ولكن كفرهم حال دون إيمانهم.

[تفسير مختصر للآية]

(وما منعنا أن نرسل بالآيات إلا أن كذب بها الأولون) قال المفسرون: اقترح المشركون على رسول الله ﷺ معجزات عظيمة، منها أن يقلب لهم الصفا ذهباً، وأن يزيح عنهم الجبال، فأخبره تعالى أنه إن أجابهم إلى ما طلبوا، ثم لم يؤمنوا استحقوا عذاب الاستئصال، وقد اقتضت حكمته تعالى إمهالهم، لأنه علم أن منهم من يؤمن، وأن من أولادهم من يدخل في الدين الحق، فهذا السبب ما أجابهم إلى ما طلبوا، فما منعنا من إرسال المعجزات والخوارق التي اقترحتها قومك، إلا تكذيب من سبقهم من الأمم، حيث اقترحوا ثم كذبوا، فأهلكهم الله ودمرهم.
(واتينا ثمود الناقة مبصرة فظلموا بها) أي وأعطينا قوم صالح الناقة آية بينة، ومعجزة ساطعة واضحة، فكفروا بها وجحدوا بعد أن سألوها فأهلكهم الله.
(وما نرسل بالآيات إلا تخويفاً) أي وما نرسل بالآيات الكونية، كالزلازل، والرع، والخسوف، والكسوف، إلا تخويفاً للعباد من المعاصي، قال قتادة: إن الله تعالى يخوف الناس بما شاء من الآيات، لعلمهم يعتبرون ويرجعون⁽¹⁶⁰⁶⁾.

(وَإِذْ قُلْنَا لَكَ إِنَّ رَبَّكَ أَحَاطَ بِالنَّاسِ وَمَا جَعَلْنَا الرُّءْيَا الَّتِي أَرَيْنَاكَ إِلَّا فِتْنَةً لِلنَّاسِ وَالشَّجَرَةَ الْمَلْعُونَةَ فِي الْقُرْآنِ
وَنُحُوفُهُمْ فَمَا يَزِيدُهُمْ إِلَّا طُغْيَانًا كَبِيرًا ۖ ٦٠)

قوله تعالى: (وما جعلنا الرؤيا) - الآية.

668. أخرج أبو يعلى عن أم هانئ: «أنه ﷺ لما أسري به أصبح يحدث نفراً من قريش يستهزؤون به، فطلبوا منه آية، فوصف لهم بيت المقدس وذكر لهم قصة العير، فقال: الوليد بن المغيرة هذا ساحر فأنزل الله: (وما جعلنا الرؤيا التي أريناك إلا فتنة للناس⁽¹⁶⁰⁷⁾)».
669. وأخرج ابن المنذر عن الحسن نحوه⁽¹⁶⁰⁸⁾.
670. وأخرج ابن مردويه عن الحسين بن علي: «أن رسول الله ﷺ أصبح يوماً مهموماً، فقبل له مالك يا رسول الله لا تهتم فإن رؤياك فتنة لهم، فأنزل الله: (وما جعلنا الرؤيا التي أريناك إلا فتنة للناس⁽¹⁶⁰⁹⁾)».
671. وأخرج ابن جرير من حديث سهل بن سعد نحوه⁽¹⁶¹⁰⁾.
672. وأخرج ابن أبي حاتم من حديث عمرو بن العاص.
673. ومن حديث يعلى بن مرة ومن مرسل سعيد بن المسيب نحوها وأسانيدها ضعيفة⁽¹⁶¹¹⁾.
قوله تعالى: (والشجرة الملعونة في القرآن) - الآية.
674. أخرج ابن أبي حاتم والبيهقي في البعث عن ابن عباس قال: «ذكر الله الزقوم خوف به هذا الحي من قريش، قال: أبو جهل هل تدرون ما هذا الزقوم الذي يخوفكم به محمد؟ قالوا: لا قال: الشريد بالزبد، أما لنن أمكننا منها لنزقمنها زقماً، فأنزل الله: (والشجرة الملعونة في القرآن ونخوفهم فما يزيدهم إلا طغياناً كبيراً) (إن شجرة الزقوم طعام الأثيم⁽¹⁶¹²⁾)».

ذكر المؤلف رحمه الله عدة آثار في سبب نزول هذه الآية وهي تشتمل على ثلاثة أسباب للنزول، سببان متعلقان بقوله تعالى (وما جعلنا الرؤيا) وسبب متعلق بقوله تعالى (والشجرة الملعونة في القرآن) وقيل الدخول في التعليق على أسباب النزول أود أن أشرح بعض الأشياء المتعلقة بهذه الآية.
أولاً: قوله تعالى (وما جعلنا الرؤيا التي أريناك) فقد اختلف أهل التفسير في المراد بهذه الرؤيا هل هي رؤيا عين أو رؤيا منامية.
فالقول الأول روى عن ابن عباس والحسن ومسروق وقاتدة والضحاك وغيرهم من أهل التفسير إلى أنها رؤيا حق

⁽¹⁶⁰⁶⁾صفوة التفسير - للصابوني (2/ 133)

⁽¹⁶⁰⁷⁾معجم أبي يعلى 1/42 وسياقه طويل وفي إسناده أبو صالح مولى أم هانئ باذام وقيل باذان ضعيف يرسل

⁽¹⁶⁰⁸⁾مرسل

⁽¹⁶⁰⁹⁾لم أجده في الكتب المسنده

⁽¹⁶¹⁰⁾تفسير الطبري/15 112 عن سهل بن سعد قال: «رأى رسول الله ﷺ بني فلان ينزون على منبره نزو القردة، فساء ذلك فما استجمع ضاحكا حتى مات قال: وأنزل الله

عز وجل في ذلك: (وما جعلنا الرؤيا التي أريناك إلا فتنة للناس الآية) . في إسناده عبد المهيم بن عباس ضعيف

⁽¹⁶¹¹⁾أثر ضعيفة

⁽¹⁶¹²⁾تفسير ابن أبي حاتم 7/2336 لم أقف على إسناده

وعين وهي ما شهدته النبي □ من الآيات والمعجزات في ليلة الإسراء والمعراج. وهذا موافق لأسباب النزول التي رويت في هذه الآية⁽¹⁶¹³⁾.

والقول الثاني: أنها رؤيا منامية وهي ما رآه النبي □ أنه يدخل مكة، وهو المراد بقوله تعالى لقد صدق الله رسوله الرؤيا بالحق لتدخلن المسجد الحرام إن شاء الله آمنين) سورة الفتح. وقد روي ذلك عن ابن عباس بإسناد ضعيف⁽¹⁶¹⁴⁾.

القول الثالث: أنها رؤيا منامية لكن نزلت في بني أمية.

قال الإمام ابن جرير: رأى رسول الله □ بني فلان ينزون على منبره نزو القردة، فسأه ذلك، فما استجمع ضاحكا حتى مات، قال: وأنزل الله عز وجل في ذلك (وَمَا جَعَلْنَا الرُّؤْيَا الَّتِي أَرَيْنَاكَ إِلَّا فِتْنَةً لِلنَّاسِ) الآية⁽¹⁶¹⁵⁾.

وروى السيوطي وعزاه لابن أبي حاتم عن ابن عمر رضي الله عنهما - أن النبي □ قال: رأيت ولد الحكم بن أبي العاص على المنابر كأنهم القردة وأنزل الله في ذلك (وما جعلنا الرؤيا التي أريناك إلا فتنة للناس والشجرة ملعونة) يعني الحكم وولده⁽¹⁶¹⁶⁾.

وأخرج ابن أبي حاتم عن يعلي بن مرة رضي الله عنه، قال: قال رسول الله صلى الله عليه وسلم: "أريت بني أمية على منابر الأرض وسيتملكونكم فتجدونهم أرباب سوء، واهتم رسول الله صلى الله عليه وسلم لذلك، فأنزل الله: (وَمَا جَعَلْنَا الرُّؤْيَا الَّتِي أَرَيْنَاكَ إِلَّا فِتْنَةً لِلنَّاسِ)".

وعن سعيد بن المسيب رضي الله عنه، قال: «رأى رسول الله صلى الله عليه وسلم بني أمية على المنابر فسأه ذلك، فأوحى الله إليه إنما هي دنيا أطوها، فقرت عينه، وهي قوله: (وَمَا جَعَلْنَا الرُّؤْيَا الَّتِي أَرَيْنَاكَ إِلَّا فِتْنَةً لِلنَّاسِ)، يعني بلاء للناس». قوله تعالى: (وَالشَّجَرَةُ الْمَلْعُونَةُ)⁽¹⁶¹⁷⁾.

وعلى هذا فيكون سبب ثالث من أسباب نزول هذه الآية.

ثانياً: المراد بقوله تعالى (والشجرة ملعونة في القرآن) اختلف أهل التفسير فيها كذلك على أقوال. فالأول: أنها شجرة الزقوم وهذا هو قول جماهير أهل التفسير. وهذا هو موافق لسبب النزول الذي رواه المؤلف في الشجرة ملعونة.

الثاني: ما رواه الثعلبي: ابن عباس: نحن الشجرة ملعونة في القرآن؟ قال: فقال: الشجرة ملعونة هي هذه الشجرة التي تلتوي على الشجر يعني الكشوث⁽¹⁶¹⁸⁾.

والثالث: رواه الإمام ابن الجوزي قال: الشجرة كناية عن الرجال على ما ذكرنا عن سعيد بن المسيب⁽¹⁶¹⁹⁾. قلت يعني رجال لعنهم الله في القرآن فالشجرة كناية عنهم ويعبر بالشجرة عن الرجال. ونحوه قول العامة شجرة العائلة: أي النسل والله تعالى أعلم.

وقد ذكر في سبب نزول هذه الآيات غير ما ذكره المؤلف ما ذكره الإمام القرطبي قال: قال الحسن: وأنزل الله تعالى فيمن ارتد عن الإسلام لذلك: وما جعلنا الرؤيا التي أريناك إلا فتنة للناس والشجرة ملعونة في القرآن ونخوفهم فما يزيدهم إلا طغيانا كبير⁽¹⁶²⁰⁾.

قلت: رجح إمام أهل التفسير الإمام ابن جرير أن المراد بالرؤيا هي ما رآه النبي □ ليلة الإسراء والمعراج من الآيات، كما قال جمهور المفسرين أن المراد بالشجرة ملعونة هي شجرة الزقوم والله تعالى أعلم⁽¹⁶²¹⁾.

[تفسير مختصر للآية]

(وما جعلنا الرؤيا التي أريناك إلا فتنة للناس) أي وما جعلنا الرؤية التي أريناها ليلة المعراج، عن عجائب الأرض والسماء، إلا امتحاناً وابتلاء لأهل مكة، حيث كذبوا وكفروا، وارتد بعض الناس لما أخبرتهم بها.

(والشجرة ملعونة في القرآن) أي وما جعلنا الشجرة ملعونة في القرآن وهي شجرة الزقوم " إلا فتنة أي أيضا للناس.

(ونخوفهم فما يزيدهم إلا طغيانا كبيراً) أي ونخوف هؤلاء المشركين بأنواع العذاب والآيات الزاجرة، فما يزيدهم تخويفنا إلا تماديا وغيا، واستمرارا على الكفر والضلال، فمادما تنفع معهم الخوارق؟ هل زادتهم خارقة الإسراء والمعراج، والتخويف بشجرة الزقوم، إلا استهزاء وإمعانا في الضلال⁽¹⁶²²⁾.

(وَإِنْ كَادُوا لَيَفْتِنُونَكَ عَنِ الَّذِي أُوحِيَ إِلَيْكَ لِتَفْتَرِيَ عَلَيْنَا غَيْرَةً وَإِذَا لَا تَخَذُوكَ خَلِيلًا (٧٣))

قوله تعالى: (وَإِنْ كَادُوا لَيَفْتِنُونَكَ) - الآية.

675. أخرج ابن مردويه وابن أبي حاتم من طريق ابن إسحاق عن محمد بن أبي محمد عن عكرمة عن ابن عباس قال: « خرج أمية بن خلف وأبو جهل بن هشام ورجال من قريش فأتوا رسول الله □، فقالوا

⁽¹⁶¹³⁾ جامع البيان (تفسير الطبري) (483 / 17)

⁽¹⁶¹⁴⁾ جامع البيان (تفسير الطبري) (483 / 17)

⁽¹⁶¹⁵⁾ جامع البيان (تفسير الطبري) (483 / 17)

⁽¹⁶¹⁶⁾ الدر المنثور في التفسير بالمأثور للسيوطي (391 / 9)

⁽¹⁶¹⁷⁾ تفسير ابن أبي حاتم أثر رقم 13696 / 13696

⁽¹⁶¹⁸⁾ الكشف والبيان عن تفسير القرآن (112 / 6)

⁽¹⁶¹⁹⁾ زاد المسير (56 / 5)

⁽¹⁶²⁰⁾ تفسير القرطبي - (286 / 10)

⁽¹⁶²¹⁾ انظر العزو المتقدم للطبري وابن الجوزي

⁽¹⁶²²⁾ صفوة التفسير - للصابوني (134 / 2)

يا محمد تعال تمسح بآهتنا وندخل معك في دينك، وكان يحب إسلام قومه فرق لهم، فأُنزل الله: (وإن كادوا ليفتنونك عن الذي أوحينا إليك) إلى (نصيراً)⁽¹⁶²³⁾».

قلت: هذا أصح ما ورد في سبب نزولها وهو إسناد جيد⁽¹⁶²⁴⁾.

676. وله شاهد أخرج أبو الشيخ عن سعيد بن جبير قال: «كان رسول الله ﷺ يستلم الحجر، فقالوا: لا ندعك تستلم حتى تلم بآهتنا، فقال رسول الله ﷺ: «وما علي لو فعلت والله يعلم مني خلافه». فنزلت

(1625)

677. وأخرج نحوه عن ابن شهاب⁽¹⁶²⁶⁾.

678. وأخرج عن جبير بن نفير: «أن قريشاً أتوا النبي ﷺ فقالوا: إن كنت أرسلت إلينا فاطرد الذين اتبعوك من سقاط الناس ومواليهم فنكون نحن أصحابك فركن إليهم، فنزلت». ⁽¹⁶²⁷⁾

679. وأخرج عن محمد بن كعب القرظي: «أنه ﷺ قرأ: (والنجم) إلى (أفرايتم اللات والعزى) فألقى

عليه الشيطان تلك الغرائق العلا وإن شفاعتهن لترجي، فنزلت، فما زال مهموماً حتى أنزل الله: (وما أرسلنا من قبلك من رسول ولا نبي إلا إذا تمنى ألقى الشيطان في أمنيته فينسخ الله ما يلقي الشيطان ثم

يحكم الله) - (الآية)»⁽¹⁶²⁸⁾.

وفي هذا دليل على أن هذه الآيات مكية، ومن جعلها مدنية استدل بما،

680. أخرج ابن مردويه من طريق العوفي عن ابن عباس: «أن ثقيفاً قالت⁽¹⁶²⁹⁾ للنبي ﷺ: أجلنا سنة حتى يهدي إلى آهتنا، فإن قبضنا الذي يهدي للآلهة أحرزناه ثم أسلمنا، فهم أن يوجلهم فنزلت». ⁽¹⁶³⁰⁾

وإسناده ضعيف

[تعليق]

ذكر المؤلف عدة آثار في سبب نزول هذه الآية وهي تشتمل على ثلاثة أسباب نزول.

وهي تدل على محاولات الكفار أن يفتنوا النبي ﷺ ويصرفوه عن دينه وعن ما أوحى إليه.

وفي الآية مسألة عصمة النبي ﷺ وهذه المسألة محلها كتب الأصول لكن رد الإمام ابن الجوزي كون السبب الذي يدل

على ميل النبي ﷺ أن يتمسح بآهتهم⁽¹⁶³¹⁾.

وقد روي في سبب نزول هذه الآية سبب رابع: وهو ما رواه الإمام الطبري بإسناد صحيح إلى قتادة لكنه مرسل. عن قتادة (وَلَوْلَا أَنْ تَبْتَنَّاكَ لَفَدَّ كِدْتُ تَرْكُنُ إِلَيْهِمْ شَيْئًا قَلِيلًا) ذكر لنا أن قريشاً خلوا برسول الله ﷺ ذات ليلة إلى الصبح يكلمونه ويفخمونه ويسودونه ويقاربونه، وكان في قولهم أن قالوا: إنك تأتي بشيء لا يأتي به أحد من الناس، وأنت سيدنا وابن سيدنا، فما زالوا يكلمونه حتى كاد أن يقارفهم ثم منعه الله وعصمه من ذلك، فقال (وَلَوْلَا أَنْ تَبْتَنَّاكَ لَفَدَّ كِدْتُ تَرْكُنُ إِلَيْهِمْ شَيْئًا قَلِيلًا) ⁽¹⁶³²⁾.

قلت: كل ما ورد في سبب نزول هذه الآية له شواهد غير همه ﷺ بأن يتمسح بآهتهم فيجوز أن تكون الآية نزلت في طلب قريش أن يتمسح بآهتهم وأن يقصى فقراء أصحابه.

[تفسير مختصر للآية]

(وإن كادوا ليفتنونك عن الذي أوحينا إليك) أي وإن كان الحال والشأن أن المشركين، قاربوا أن يصرفوك عن الذي أوحينا إليك يا محمد من بعض الأوامر والنواهي.

(لتفتري علينا غيره) أي لتأتني بغير ما أوحاه الله إليك وتخالف تعاليمه، وهذا تحذير للأمة أن يركنوا إلى المشركين، في شيء من أمور الدين، كما قال ابن عباس (قال ابن عباس: كان رسول الله ﷺ معصوماً، ولكن هذا تعريف للأمة لئلا يركن أحد منهم إلى المشركين، في شيء من أحكام الله تعالى وشرائعه).

(وإذا لاتخذوك خليلاً) أي لو فعلت ما أرادوا لاتخذوك صاحباً وصديقاً، قال المفسرون: حاول المشركون محاولات كثيرة ليتنوا رسول الله ﷺ عن المضي في دعوته، منها: مساومتهم له أن يعبدوا إلهه مقابل أن يترك التنديد بآهتهم، وما كان عليه آباؤهم، ومنها مساومة بعضهم أن يجعل أرضهم حراماً كالبيت العتيق الذي حرمه الله، ومنها طلب بعض الكبراء أن يجعل لهم مجلساً غير مجلس الفقراء، فعصمه الله من شرهم، وأخبر أنه لا يكله إلى أحد من خلقه، بل هو وليه وحافظه وناصره.

(ولولا أن تبتناك) أي لولا أن تبتناك على الحق بعصمتنا إياك.

(لقد كدت تركن إليهم شيئاً قليلاً) أي كدت تميل إليهم وتسايبرهم على ما طلبوا.

⁽¹⁶²³⁾ تفسير ابن أبي حاتم 7/2340 إسناده ضعيف لجهالة محمد بن أبي محمد

⁽¹⁶²⁴⁾ قوله إسناد جيد فيه نظر فإن محمد بن أبي محمد شيخ ابن إسحاق ضعيف وابن إسحاق نفسه متكلم فيه

⁽¹⁶²⁵⁾ تفسير الطبري 15/130 مرسل وفي إسناده ابن حميد ضعيف

⁽¹⁶²⁶⁾ مرسل.

⁽¹⁶²⁷⁾ مرسل وجبير بن نفير تابعي مخصص ولا يبيح صحبة.

⁽¹⁶²⁸⁾ وأخرج ابن جرير نحوه بإسناد ضعيف عن محمد بن كعب تفسير الطبري 17/187

⁽¹⁶²⁹⁾ في الأصل [إن شعباً قال] وهو خطأ

⁽¹⁶³⁰⁾ تفسير الطبري 15/130 وإسناده شديد الضعف

⁽¹⁶³¹⁾ زاد المسير (5/ 67)

⁽¹⁶³²⁾ جامع البيان (تفسير الطبري) (17/ 507)

(إذا لأذقناك ضعف الحياة وضعف الممات) أى لو ركنت إليهم لضاعفنا لك عذاب الدنيا وعذاب الآخرة، لأن الذنب من العظيم جرم كبير، يستحق مضاعفة العذاب، والغرض من الآية بيان فضل الله على الرسول □ فى تثبيته على الحق، وعصمته من الفتنة، وفي الآية تحذير للأمة، في صورة مخاطبة القائد والرئيس، [ولولا] حرف امتناع لوجود أى امتنع الركون إليهم، لعصمته تعالى وتثبيته له، فليس في الآية ما يُقص من قدر الرسول □ وإنما هي بيان لفضل الله العظيم، على نبيه الكريم. (ثم لا تجد لك علينا نصيراً) أى لا تجد من ينصرك منا، أو يدفع عنك عذابنا⁽¹⁶³³⁾.

(وَإِنْ كَادُوا لَيَسْتَفْرِزُونَكَ مِنَ الْأَرْضِ لِيُخْرِجُوكَ مِنْهَا وَإِذَا لَا يَلْبَثُونَ خَلْفَكَ إِلَّا قَلِيلًا ۖ)

قوله تعالى: (وإن كادوا ليستفزونك) - الآية.

681. أخرج ابن أبي حاتم والبيهقي في الدلائل من حديث شهر بن حوشب عن عبد الرحمن بن غنم: « أن اليهود أتوا النبي □ فقالوا: إن كنت نبياً فالحق بالشام فإن الشام أرض المحشر وأرض الأنبياء، فصدق رسول الله □ ما قالوا، فغزا غزوة تبوك يريد الشام، فلما بلغ تبوك أنزل الله آيات من سورة بني إسرائيل بعد ما ختمت السورة: (وإن كادوا ليستفزونك من الأرض ليخرجوك منها) وأمره بالرجوع إلى المدينة وقال له جبريل: سل ربك، فإن لكل نبي مسألة، فقال: « ما تأمرني أن أسأل ». قال: (قل ربي أدخلني مدخل صدق وأخرجني مخرج صدق واجعل لي من لَدُنْكَ سلطاناً نصيراً) فهؤلاء نزلن في رجعتهم من تبوك⁽¹⁶³⁴⁾. هذا مرسل ضعيف الإسناد

682. وله شاهد من مرسل سعيد بن جبيرة عند ابن أبي حاتم ولفظه: « قالت المشركون للنبي □ : كانت الأنبياء تسكن الشام، فمالك والمدينة، فهم أن يشخص فنزلت⁽¹⁶³⁵⁾. »

683. وله طريق أخرى مرسله عند ابن جرير: « أن بعض اليهود قاله له⁽¹⁶³⁶⁾. »

[تعليق]

ذكر المؤلف رحمه الله ثلاثة آثار تشتمل على سببين للنزول.
الأول: أنها نزلت في اليهود في محاولة منهم لإغراء النبي □ بالهجرة إلى الشام، وهذا بعيد لأنه لا يعرف اتصال بين النبي □ واليهود بمكة وهذه الآية مكية.
الثاني: أنها في المشركين وهذا أقرب وقد جاء في سبب نزولها قول ثالث أورده الإمام ابن الجوزي.
فقال: أنهم المشركون أهل مكة هموا بإخراج رسول الله صلى الله عليه وسلم من مكة فأمره الله بالخروج وأنزل هذه الآية إخباراً عما هموا به قاله الحسن ومجاهد⁽¹⁶³⁷⁾.
قلت: والراجح أنها نزلت في المشركين ومحاولتهم إخراج النبي □ من مكة. وهذا ما يشهد له عموم الآيات مع أدلة أخرى كثيرة. وقد هاجر النبي □ من مكة إلى المدينة وهذا شاهد لما تقدم والله أعلم.

[تفسير مختصر للآية]

(وإن كادوا ليستفزونك من الأرض ليخرجوك منها) أى وإن كاد المشركون بمكرهم وإزعاجهم، أن يخرجوك يا محمد من أرض مكة.

(وإذا لا يلبثون خلفك إلا قليلاً) أى لو أخرجوك لم يلبثوا بعد خروجك إلا زمناً يسيراً، وفق سنة الله التي لا تتبدل، مع الذين يخرجون رسلهم من أوطانهم.

(سنة من قد أرسلنا قبلك من رسلنا) أى هذه عادة الله مع رسله، في إهلاك كل أمة أخرجت رسولها من بين أظهرهم. (ولا تجد لسننتنا تحويلاً) أى لن تجد لها تبديلاً أو تغييراً⁽¹⁶³⁸⁾.

(وَقُلْ رَبِّ أَدْخِلْنِيْ مُدْخَلَ صِدْقٍ وَأَخْرِجْنِيْ مَخْرَجَ صِدْقٍ وَاجْعَلْ لِّيْ مِنْ لَّدُنْكَ سُلْطٰنًا نَّصِيْرًا ۗ)

قوله تعالى: (وقل ربي أدخلني) - الآية.

684. أخرج الترمذي عن ابن عباس قال: « كان النبي □ بمكة، ثم أمر بالهجرة، فنزلت عليه: (وقل رب

⁽¹⁶³³⁾صفوة التفسير - للصابوني (137 / 2)

⁽¹⁶³⁴⁾تفسير ابن أبي حاتم 7/2341 دلائل النبوة للبيهقي 5/254 مرسل، عبد الرحمن بن غنم تابعي واختلف في صحبته وفي إسناده أحمد بن عبد الجبار الطاردي قال الحافظ ضعيف وسماعه للسيرة صحيح وشهر بن حوشب فيه كلام

⁽¹⁶³⁵⁾تفسير ابن أبي حاتم 7/2341 مرسل.

⁽¹⁶³⁶⁾تفسير الطبري 15/132 من طريق حضرمي بن لاحق وهو مجهول كما تقدم

⁽¹⁶³⁷⁾زاد المسير (70 / 5)

⁽¹⁶³⁸⁾صفوة التفسير - للصابوني (137 / 2)

أدخلني مدخل صدق وأخرجني مخرج صدق واجعل لي من لدنك سلطانا نصيرا⁽¹⁶³⁹⁾». وهذا صريح في أن الآية مكية، وأخرجه ابن مردويه بلفظ أصح منه.

[تعليق]

ذكر المؤلف رحمه الله أثراً واحداً في سبب نزول هذه الآية. وعليه فالمراد بالدخول والخروج إنما هو من مكة إلى المدينة.

وقد روى في ذلك عشر رويات غير ما ذكرها المؤلف. أذكرها ملخصة كما ذكرها الإمام ابن الجوزي حيث قال: والثاني: أدخلني القبر مدخل صدق، وأخرجني منه مخرج صدق، رواه العوفي عن ابن عباس. والثالث: أدخلني المدينة، وأخرجني إلى مكة، يعني: لفتحها، رواه أبو صالح عن ابن عباس. والرابع: أدخلني مكة مدخل صدق، وأخرجني منها مخرج صدق، فخرج منها آمناً من المشركين، ودخلها ظاهراً عليها يوم الفتح، قاله الضحاك. والخامس: أدخلني مدخل صدق الجنة، وأخرجني مخرج صدق من مكة إلى المدينة، رواه قتادة عن الحسن. والسادس: أدخلني في النبوة والرسل، وأخرجني منها مخرج صدق، قاله مجاهد، يعني: أخرجني مما يجب عليّ فيها. والسابع: أدخلني في الإسلام، وأخرجني منه، قاله أبو صالح، يعني: من أداء ما وجب عليّ فيه إذا جاء الموت. والثامن: أدخلني في طاعتك، وأخرجني منها، أي: سالماً غير مقصّر في أدائها، قاله عطاء. والتاسع: أدخلني الغار، وأخرجني منه، قاله محمد بن المنكدر. والعاشر: أدخلني في الدين، وأخرجني من الدنيا وأنا على الحق، ذكره الزجاج. والحادي عشر: أدخلني مكة، وأخرجني إلى حنين، ذكره أبو سليمان الدمشقي⁽¹⁶⁴⁰⁾. قلت: القول الأول أقرب لسياق الآيات. على أن الأقوال الأخرى لها شواهد من غير هذه الآية فحمل الآية على عمومها أولى من التخصص والله أعلم.

[تفسير مختصر للآية]

(وقل رب أدخلني مدخل صدق) أي قل يا رب أدخلني قبري مدخل صدق، أي إدخالاً حسناً (وأخرجني مخرج صدق) أي أخرجني من قبري عند البعث إخراجاً حسناً، هذا قول ابن عباس، وقال الحسن والضحاك: المراد دخوله (المدينة المنورة) وخروجه من (مكة المكرمة) وذلك حين أخرجه المشركون، بعد أن تأمروا على قتله □ في دار الندوة. (واجعل لي من لدنك سلطانا نصيراً) أي اجعل لي من عندك قوة ومُنعة، تنصرنني بها على أعدائك، وتُعز بها دينك، وقد استجاب الله دعاءه فنصره على الأعداء، وأعلى دينه على سائر الأديان⁽¹⁶⁴¹⁾.

(وَيَسْأَلُونَكَ عَنِ الرُّوحِ قُلِ الرُّوحُ مِنْ أَمْرِ رَبِّي وَمَا أُوتِيتُمْ مِنَ الْعِلْمِ إِلَّا قَلِيلًا ٨٥)

قوله تعالى: (ويسألونك عن الروح) - الآية.

685. أخرج البخاري عن ابن مسعود قال: «كنت أمشي مع النبي □ بالمدينة وهو متوكئ على عسيب، فمر بنفر من يهود فقال بعضهم: لو سألتموه، فقالوا: حدثنا عن الروح؟ فقام ساعة ورفع رأسه فعرفت أنه يوحى إليه حتى صعد الوحي ثم قال: (الروح من أمر ربي وما أوتيتم من العلم إلا قليلاً⁽¹⁶⁴²⁾)». 686. وأخرج الترمذي عن ابن عباس قال: «قالت قريش لليهود علمونا شيئاً نسأل هذا الرجل، فقالوا سلوه عن الروح، فسأله فأنزل الله: (ويسألونك عن الروح قل الروح من أمر ربي⁽¹⁶⁴³⁾)».

قال ابن كثير: يجمع بين الحديثين بتعدد النزول. وكذا قال الحافظ ابن حجر. أو يحمل سكوته حين سؤال اليهود على توقع مزيد بيان في ذلك، وإلا فما في الصحيح أصح. قلت: ويرجح ما في الصحيح بأن راوية حاضر القصة بخلاف ابن عباس.

[تعليق]

ذكر المؤلف رحمه الله أثرين في سبب نزول هذه الآية. وفيهما سببان للنزول وكلاهما يخالف الآخر. فالأول يدل على أن الآية مدنية وهذا جائز وواقع في السورة المكية أن تجد بعض الآيات المدنية والعكس.

⁽¹⁶³⁹⁾ سنن الترمذي 5/304 ح (3139) وقال: حسن صحيح مسند أحمد 1/223 ح (1948) المستدرک 3/4 ح (4259) وقال: صحيح الإسناد ولم يخرجاه سنن البيهقي الكبرى 9/9 ح (17514) المعجم الكبير 12/109 ح (12618) وفي إسناده قابوس بن أبي ظبيان قال الحافظ فيه: لين قلت هو للضعف أقرب قال الدارقطني: ضعيف ولكن لا يترك حديثه قال ابن حبان: ينفرد عن أبيه بما لا أصل له وأبوه ثقة، فربما رفع المراسيل وأسند الموقوفات. قلت لم أجد له متابعا ومدار الحديث عليه. ⁽¹⁶⁴⁰⁾ زاد المسير (77/5)

⁽¹⁶⁴¹⁾ صفوة التقاسير - للصابوني (138/2)

⁽¹⁶⁴²⁾ أخرجه البخاري 1/58 ح (125) ومسلم 4/2152 ح (2794) والنسائي في الكبرى 6/383 ح (11299) والترمذي 5/304 ح (3141) وأحمد في المسند 1/444 ح (3248) وابن حبان في صحيحه 1/299 ح (98) مسند أبي يعلى 9/267 المعجم الصغير 2/187 ح (41003) وغيرهم ⁽¹⁶⁴³⁾ سنن الترمذي 3/304 ح (3140) وقال: حسن صحيح غريب مسند أحمد 1/255 ح (2309) المستدرک 2/579 ح (3961) وقال: صحيح الإسناد ولم يخرجاه قلت: في إسناده عكرمة وهو من شرط البخاري وداود بن أبي هند وهو من شرط مسلمقال الإمام أحمد: ثنا قتيبة بن سعيد ثنا يحيى بن زكريا عن داود عن عكرمة عن ابن عباس - به.

ولعل القول بأن الآية نزلت مرتين أقرب إلى الصواب لصحة إسناد الأثرين، والله أعلم. وقد اختلف أهل التفسير في هذه الروح التي سألت المشركون أو الكفار عنها. قال أبو حيان: والروح على قول الجمهور هنا الروح التي في الحيوان وهو اسم جنس وهو الظاهر. وقال قتادة: هو جبريل عليه السلام قال وكان ابن عباس يكتمه. وقيل: عيسى بن مريم عليه السلام وعن علي أنه ملك⁽¹⁶⁴⁴⁾. انتهى وفي قوله تعالى (وما أوتيتم من العلم إلا قليلاً) فيه أعجاز وتعجيز للكفار وبها استدلت علماء العلم الحديث على ما سيقع من العلوم التي ليس في مقدور هؤلاء أن يحيطوا بعلمها فسبحان من أحاط بكل شيء علماً. قلت: هذه الآثار تدل على تعنت المشركين في أسألتهم التي يظنون أنهم سيعجزوا النبي □ أن يجيب عليها، فأجابهم النبي □ بوحى من ربه عز وجل وأعلمه بأن الروح أمر لا يعلمه إلا الله كما كانوا يسألونه عن الساعة فيجيب بأن علمها إلى الله.

[تفسير مختصر للآية]

(ويسألونك عن الروح قل الروح من أمر ربي) أي يسألك يا محمد الكفار عن الروح ما هي؟ وما حقيقتها؟ فقل لهم إنها من الأسرار الخفية، التي لا يعلمها إلا رب البرية. (وما أوتيتم من العلم إلا قليلاً) أي وما أوتيتم أيها الناس من العلم إلا شيئاً قليلاً، لأن علمكم قليل بالنظر إلى علم الله⁽¹⁶⁴⁵⁾.

(قُلْ لئن أَجْتَمَعَتِ الْإِنْسُ وَالْجِنُّ عَلَىٰ أَن يَأْتُوا بِمِثْلِ هَٰذَا الْقُرْآنِ لَا يَأْتُونَ بِمِثْلِهِ وَلَوْ كَانَ بَعْضُهُمْ لِبَعْضٍ ظَهِيرًا (٨٨))

قوله تعالى: (قل لئن اجتمعت الإنس والجن على أن يأتوا) - الآية.

687. أخرج ابن إسحاق وابن جرير من طريق سعيد أو عكرمة عن ابن عباس قال: «أتى النبي □ سلام بن مشكم في عامة من يهود سماهم، فقالوا: كيف نتبعك قد تركت قبلتنا وإن هذا الذي جنت به لا نراه متناسقاً كما تناسق التوراة، فأنزل علينا كتاباً نعرفه وإلا جنناك بمثل ما تأتي به فأنزل الله: (قل لئن اجتمعت الإنس والجن على أن يأتوا بمثل هذا القرآن لا يأتون بمثله) - الآية»⁽¹⁶⁴⁶⁾.

[تعليق]

ذكر المؤلف رحمه الله أثراً واحداً في سبب نزول هذه الآية، وهو أثر ضعيف الإسناد وكذلك فإن الآية مكية واليهود إنما كانوا بالمدينة.

وأخرج الإمام الثعلبي أن الآية نزلت حين قال الكفار: لو شئنا لقلنا مثل هذا فأكذبهم الله تعالى⁽¹⁶⁴⁷⁾. وقال الإمام ابن جوزي: قال المفسرون: هذا تكذيب للنضر بن الحارث حين قال: «لو شئنا لقلنا مثل هذا»⁽¹⁶⁴⁸⁾. فهذه ثلاثة أسباب للنزول وأرجح هذه الأسباب أن يقال بأن الله تعالى تحدي العالمين الجن والإنس كافرهم ويهوديهم وغيرهم بأن يأتوا بمثل ما جاء به.

وقد جاء ذلك في غير ما آية من الكتاب العزيز في السور المكية، وكذلك السورة المدنية. فقد جاء في سورة البقرة (وإن كنتم في ريب مما نزلنا على عبدنا فأتوا بسورة من مثله وادعوا شهداءكم من دون الله إن كنتم صادقين) [البقرة (23)] وهي سورة مدنية، وجاء في سورة يونس (أم يقولون افتراء قل فأتوا بسورة مثله وادعوا من أسئطعتكم من دون الله إن كنتم صادقين) [يونس (38)] وهي سورة مكية، فالتحدي واقع في المكي والمدني وبهذا نستطيع أن نجمع بين أسباب النزول الواردة في هذه الآية والله تعالى أعلم.

[تفسير مختصر للآية]

(قل لئن اجتمعت الإنس والجن على أن يأتوا بمثل هذا القرآن لا يأتون بمثله ولو كان بعضهم لبعض ظهيراً) أي لو اتفقوا واجتمع أرباب الفصاحة والبيان من الإنس والجان، وأرادوا أن يأتوا بمثل هذا القرآن، لما أطاقوا ذلك، ولو تعاونوا وتساعدوا على ذلك جميعاً، فإن هذا أمر لا يستطيع، وليس بمقدور أحد⁽¹⁶⁴⁹⁾.

(وَقَالُوا لَنْ نُؤْمِنَ لَكَ حَتَّىٰ تَنْفِرَ لَنَا مِنَ الْأَرْضِ يَنبُوعًا (٩٠))

قوله تعالى: (وقالوا لن نؤمن لك) - الآية.

688. أخرج ابن جرير من طريق ابن إسحاق عن شيخ من أهل مصر عن عكرمة عن ابن عباس: «أن

⁽¹⁶⁴⁴⁾ تفسير البحر المحيط - (6/ 55)

⁽¹⁶⁴⁵⁾ صفوة التفسير - للصابوني (2/ 139)

⁽¹⁶⁴⁶⁾ تفسير الطبري 15/158 وإسناده ضعيف

⁽¹⁶⁴⁷⁾ الكشف والبيان عن تفسير القرآن (6/ 132)

⁽¹⁶⁴⁸⁾ زاد المسير (5/ 84)

⁽¹⁶⁴⁹⁾ صفوة التفسير - للصابوني (2/ 139)

عتبة وشيبة ابني ربيعة وأبا سفيان بن حرب ورجلاً من بني عبد الدار وأبا البحتري والأسود بن المطلب وربيعة بن الأسود والوليد بن المغيرة وأبا جهل وعبد الله بن أبي أمية وأميه بن خلف والعاصي بن وائل ونبيهاً ومنبهاً ابني الحجاج اجتمعوا فقالوا: يا محمد ما نعم رجلاً من العرب أدخل على قومه ما أدخلت على قومك، لقد سببت الآباء وعبت الدين وسفهت الأحلام وشتتت الآلهة وفرقت الجماعة، فما من قبيل إلا وقد جنته فيما بيننا وبينك، فإن كنت إنما جئت بهذا الحديث تريد مالاً جمعنا لك من أموالنا حتى تكون أكثر مالاً، وإن كنت إنما تطلب الشرف فينا سودناك علينا، وإن كان هذا الذي يأتيك بما يأتيك رنيا تراه قد غلب عليك بذلنا أموالنا في طلب العلم حتى نبرنك منه، فقال رسول الله ﷺ: « ما بي ما تقولون ولكن الله بعثني إليكم رسولاً وأنزل علي كتاباً وأمرني أن أكون لكم مبشراً ونذيراً ». قالوا: فإن كنت غير قابل منه ما عرضنا عليك، فقد علمت أنه ليس أحد من الناس أضيق بلاداً ولا أقل مالاً وأشد عيشاً منا، فلتسأل لنا ربك الذي بعثك فليسير عنا هذه الجبال التي ضيقت علينا، وليبسط لنا بلادنا وليجر فيها أنهاراً كأنهار الشام والعراق، وليبعث لنا من قد مضى من آباءنا، فإن لم تفعل فسل ربك ملكاً يصدقك بما تقول، وأن يجعل لنا جناتاً وكنوزاً وقصوراً من ذهب وفضة نعينك بها على ما نراك تبتغي فإنك تقوم بالأسواق وتلتمس المعاش، فإن لم تفعل فأسقط السماء كما زعمت أن ربك إن شاء فعل، فإننا لن نؤمن لك إلا أن تفعل، فقام رسول الله ﷺ عنهم، وقام معه عبد الله بن أبي أمية فقال: يا محمد عرض عليك قومك ما عرضوا فلم تقبله منهم، ثم سألوك لأنفسهم أموراً ليعرفوا بها منزلتك من الله فلم تفعل ذلك، ثم سألوك أن تعجل ما تخوفهم به من العذاب، فوالله لا أومن بك أبداً حتى تتخذ إلى السماء سلماً ثم ترقى فيه وأنا أنظر حتى تأتيها، وتأتي معك بنسخة منشورة، ومعك أربعة من الملائكة فيشهدوا لك أنك كما تقول، فانصرف رسول الله ﷺ حزينا، فأنزل عليه ما قاله عبد الله بن أبي أمية: (وقالوا لن نؤمن لك) - إلى قوله (بشراً رسولاً⁽¹⁶⁵⁰⁾) -.

689. وأخرج سعيد بن منصور في سننه عن سعيد بن جبير في قوله: (وقالوا لن نؤمن لك) قال: « نزلت في أخي أم سلمة عبد الله بن أبي أمية ». مرسل صحيح شاهد لما قبله يجبر المبهم في إسناده⁽¹⁶⁵¹⁾.

[تعليق]

ذكر المؤلف رحمه الله أثرين في سبب نزول هذه الآية، وهو اجتماع كفار قريش عند النبي ﷺ وسؤلهم إياه من الآيات الكونية التي ذكرت في هذه السورة - تعجيزاً للنبي صلى الله عليه وسلم - وهذا من كفرهم وعنادهم، فأمر الله نبيه بأن يجيبهم بأنه إنما هو بشر رسول وأنهم لو كانوا هم أنفسهم ملائكة لنزلت عليهم الملائكة كما أرادوا، فعجزوا عن الرد وتاهت بهم الحجج أن يجابها حجة القرآن والله تعالى أعلم.

[تفسير مختصر للآية]

(وقالوا لن نؤمن لك حتى تجر لنا من الأرض ينبوعاً) لما تبين إعجاز القرآن، ولزمتهم الحجة وغلبوا، أخذوا يتعللون باقتراح الآيات والخوارق، والمعنى: قال المشركون: لن نصدقك يا محمد، حتى تشق لنا من أرض مكة عيناً غزيرة، لا ينقطع منها الماء. (أو تكون لك جنة من نخيل وعنب) أي يكون لك بستان فيه أنواع النخيل والأعاب. (فتعجر الأنهار خلالها تعجيراً) أي تجعل الأنهار تتعجر فيها وتسير وسطها بقوة وغازة. (أو تسقط السماء كما زعمت علينا كسفا) هذا هو الاقتراح الثالث أي تجعل السماء تتساقط علينا قطعاً، كما كنت تخوفنا، وتزعم أن الله سيعدنا إن لم نؤمن بك! وهذا إشارة إلى قوله تعالى [إن نشأ نخسف بهم الأرض أو نسقط عليهم كسفا من السماء]. (أو تأتي بالله والملائكة قبيلاً) الاقتراح الرابع، أي تحضر لنا الله وملائكته مقابلة وعياناً فنراهم. (أو يكون لك بيت من زخرف) الاقتراح الخامس، أي يكون لك قصر مشيد عظيم من ذهب، لا من حجر أو طين. (أو ترقى في السماء ولن نؤمن لرقيك حتى تنزل علينا كتاباً نقرؤه) هذا هو الاقتراح السادس والأخير - وكلها تدل على سفه وجهل كبير، بسنة الله في خلقه، وبحكمته وجلاله - أي تصعد إلى السماء بسلم، ولن نصدقك لمجرد صعودك، حتى تعود ومعك كتاب من الله تعالى منشور، أنك عبده ورسوله نقرؤه بأنفسنا.

(قل سبحان ربي هل كنت إلا بشراً رسولاً) أي قل لهم يا أيها الرسول تعجبا من فرط كفرهم وعنادهم: سبحان الله! هل أنا إله حتى تطلبوا مني أمثال هذه المقترحات؟ ما أنا إلا رسول من البشر، بعثني الله إليكم، فلم هذا الجحود والعناد؟! (وما منع الناس أن يؤمنوا إذ جاءهم الهدى إلا أن قالوا أبعث الله بشراً رسولاً؟) أي إن السبب الذي منع المشركين من الإيمان، بعد وضوح المعجزات، هو استبعاد أن يبعث الله رسولاً إلى الخلق من البشر، فلماذا يكون بشراً ولا يكون ملكاً؟ وقد ردّ تعالى عليهم بقوله:

(قل لو كان في الأرض ملائكة يمشون مطمئنين) أي قل لهم يا محمد: لو كان أهل الأرض ملائكة، يمشون على أقدامهم كما يمشي الناس، ساكنين في الأرض مستقرين فيها.

(لنزلنا عليهم من السماء ملكاً رسولاً) أي لنزلنا عليهم رسولاً من الملائكة، ولكن أهل الأرض بشر، فالرسول إليهم بشر من

جنسهم، إذ جرت حكمة الله، أن يرسل إلى كل قوم رسولا من جنسهم، ليمكنهم الفهم عنه ومخاطبته، وهذا تسفيه وتجهيل لمنطق المشركين⁽¹⁶⁵²⁾.

(قُلِ ادْعُوا اللَّهَ أَوْ ادْعُوا الرَّحْمَنَ أَيًّا مَا تَدْعُوا فَلَهُ الْأَسْمَاءُ الْحُسْنَىٰ وَلَا تَجْهَرُوا بِصَلَاتِكُمْ وَلَا تَخَافُوا بِهَا وَاتَّبِعُوا سَبِيلَ اللَّهِ)

قوله تعالى: (قل ادعوا الله)- الآية.

690. أخرج ابن مردويه وغيره عن ابن عباس قال □ بمكة ذات يوم، فدعا فقال في دعائه: « يا الله يا رحمن ». فقال المشركون: انظروا إلى هذا الصابئ ينهانا أن ندعو إلهين وهو يدعو إلهين، فأنزل الله: (قل ادعوا الله أو ادعوا الرحمن أيا ما تدعوا فله الأسماء الحسنى⁽¹⁶⁵³⁾) . قوله تعالى: (ولا تجهر)- الآية.

691. أخرج البخاري وغيره عن ابن عباس في قوله: (ولا تجهر بصلاتك ولا تخافت بها) قال: « نزلت ورسول الله □ مختف بمكة، وكان إذا صلى بأصحابه رفع صوته بالقرآن، فكان المشركون إذا سمعوا القرآن سبوه ومن أنزله ومن جاء به فنزلت⁽¹⁶⁵⁴⁾ » .

692. وأخرج البخاري أيضاً عن عائشة أنها نزلت في الدعاء⁽¹⁶⁵⁵⁾.

693. وأخرج ابن جرير من طريق ابن عباس مثله⁽¹⁶⁵⁶⁾. ثم رجح الأولى لكونها أصح سنداً، وكذا رجحها النووي وغيره، وقال الحافظ ابن حجر: لكن يحتمل الجمع بينهما بأنها نزلت في الدعاء داخل الصلاة.

694. وقد أخرج ابن مردويه من حديث أبي هريرة قال: « كان رسول الله □ إذا صلى عند البيت رفع صوته بالدعاء، فنزلت⁽¹⁶⁵⁷⁾ » .

695. وأخرج ابن جرير والحاكم عن عائشة قالت: « نزلت هذه الآية في التشهد⁽¹⁶⁵⁸⁾ ». وهي مبينة لمرادها في الرواية السابقة.

696. ولابن منيع في مسنده عن ابن عباس: « كانوا يجهرون بالدعاء، اللهم ارحمني، فنزلت، فأمرنا أن لا يخافتوا ولا يجهروا⁽¹⁶⁵⁹⁾ » .

[تعليق]

ذكر المؤلف رحمه الله عدة آثار في سبب نزول هذه الآية.

فالأثر الأول متعلق بمطلع هذه الآية وهو قوله تعالى (قل ادعوا الله أو ادعوا الرحمن، فقال المشركون بأن النبي يدعوا لإلهين فأجابهم الله تعالى بأنه له الأسماء الحسنى فأبى منها ندعوا فكل الأسماء الحسنى له سبحانه.

وفي مطلع هذه الآية كذلك سببان غير ما ذكره المؤلف.

فأخرج الإمام الواحدي: وقال الضحاك: قال أهل التفسير: قيل لرسول الله □: إنك لتقل ذكر الرحمن وقد أكثر الله في التوراة هذا الاسم، فأنزل الله تعالى هذه الآية⁽¹⁶⁶⁰⁾.

قلت: والقاتل هنا اليهود، ويؤرد هذا السبب بكون الآية مكية والله تعالى أعلم.

كما أخرج الإمام الواحدي قال: وقال ميمون بن مهران: كان رسول الله □ يكتب في أول ما يوحى إليه: باسمك اللهم حتى نزلت هذه الآية - إنه من سليمان وإنه بسم الله الرحمن الرحيم - فكتب بسم الله الرحمن الرحيم، فقال مشركو العرب: هذا الرحيم نعرفه، فما الرحمن؟ فأنزل الله تعالى هذه الآية⁽¹⁶⁶¹⁾.

قلت: والراجح أن هذه الآية نزلت رداً على المشركين فهم كانوا ينكرون اسم الله الرحمن كما قال تعالى (وَإِذَا قِيلَ لَهُمْ اسْجُدُوا لِلرَّحْمَنِ قَالُوا وَمَا الرَّحْمَنُ أَنَسْجُدُ لِمَا تَأْمُرُنَا وَزَادَهُمْ نُفُورًا) [الفرقان(60)].

فنزلت الآية رداً عليهم بأن الله تعالى له الأسماء الحسنى والصفات العلى فأبىما توجه العبد بالدعاء إليها بها فهي كلها له سبحانه وتعالى.

⁽¹⁶⁵²⁾صفوة التفاسير - للصابوني (141/2)

⁽¹⁶⁵³⁾تفسير الطبري 15/182 وفيه عدة علل منها عدم سماع أبي الجوزاء من ابن عباس، ومنها سنيد ضعيف ورواه مرسل من طريق سعيد وقتادة

⁽¹⁶⁵⁴⁾تفسير الطبري 15/186 صحيح البخاري 4/1749 ح(4445)صحيح مسلم 1/329 ح(446)صحيح ابن حبان 5/98 ح(1796) 2 مسند أبي عوانة 1/449

ح(1660)سنن الترمذي 5/307 ح(3146)سنن النسائي 1/177 ح(1011)سنن البيهقي الكبرى 2/184 ح(2834)مسند أحمد 1/23 ح(155) المعجم الكبير 228 ج: 11

ح(11574)صحيح ابن خزيمة 3/39 ح(1587)وغيرهم

⁽¹⁶⁵⁵⁾صحيح البخاري 5/2331 ح(5968)صحيح مسلم 1/329 ح(447)الموطأ 1/218 ح(507)سنن النسائي الكبرى 6/384 ح(11301) سنن البيهقي الكبرى

2/183 ح(628)

⁽¹⁶⁵⁶⁾تفسير الطبري 15/184 وإسناده ضعيف

⁽¹⁶⁵⁷⁾لم أجده في الكتب المسنده

⁽¹⁶⁵⁸⁾تفسير الطبري 15/187 المستدرک 1/354 ح(839) وإسناده صحيح. قال حدثنا أبو الفضل محمد بن إبراهيم المزكي ثنا إبراهيم بن أبي طالب ثنا أبو كريب ثنا حفص بن

غياث عن هشام بن عروة عن أبيه عن عائشة - به

⁽¹⁶⁵⁹⁾تفسير الطبري 15/183 وفي إسناده أشعث بن سوار ضعيف

⁽¹⁶⁶⁰⁾أسباب النزول للواحدي (200)

⁽¹⁶⁶¹⁾أسباب النزول للواحدي (200)

وأما خاتمة هذه الآية وهو قوله تعالى (ولا تجهر بصلاتك ولا تخافت بها) فقد ذكر المؤلف فيها عدة آثار وهي تشتمل على ثلاثة أسباب الأول أنها في الجهر في الصلاة، والثاني أنها في الجهر بالدعاء، الثالث أنها في التشهد.

وقد أخرج الإمام الطبري عن محمد بن سيرين، قال: نبئت أن أبا بكر كان إذا صلى فقرأ خفض صوته، وأن عمر كان يرفع صوته، قال: فقيل لأبي بكر: لم تصنع هذا؟ فقال: أنا جاري ربي، وقد علم حاجتي، قيل: أحسنت، وقيل لعمر: لم تصنع هذا؟ قال: أطرده الشيطان، وأوقظ الوسنان، قيل: أحسنت، فلما نزلت (وَلَا تُجْهَرُ بِصَلَاتِكَ وَلَا تُخَافِتُ بِهَا وَابْتَغِ بَيْنَ ذَلِكَ سَبِيلًا) قيل لأبي بكر: ارفع شيئاً، وقيل لعمر: اخفض شيئاً⁽¹⁶⁶²⁾.

وهذا يرجح أن الآية في الجهر بالقراءة في الصلاة. وعليه فالمراد من الآية القصد فلا يرفع صوته عالياً بحيث تشوش قراءته على غيره ولا يخفض صوته بحيث لا يسمع نفسه.

قال أبو حيان: وعن ابن عباس أيضاً: المعنى (وَلَا تُجْهَرُ) بصلاة النهار (وَلَا تُخَافِتُ) بصلاة الليل⁽¹⁶⁶³⁾. وقال الإمام القرطبي: فتضمنت أحكام الجهر والإسرار بالقراءة في النوافل والفرائض فأما النوافل فالمصلي مخير في الجهر والسر في الليل والنهار وكذلك روي عن النبي ﷺ أنه كان يفعل الأمرين جميعاً وأما الفرائض فحكمها في القراءة معلوم ليلاً ونهاراً وقول سادس قال الحسن: يقول الله لا ترائي بصلاتك تحسنها في العلانية ولا تسينها في السر وقال ابن عباس: لا تصل مرانياً للناس ولا تدعها مخافة الناس⁽¹⁶⁶⁴⁾.

قلت: وكون الآية مكية يرد عليه أمور.

الأول: أن الآية نزلت خوفاً من سب المشركين القرآن عند الجهر بالتلاوة فعليه فيكون نزول الآية نهي عن الجهر بالقرآن حيث يسمعه المشركون فيكون سباً لسب القرآن ومن أنزله.

الثاني: أن الآية إذا كان نزولها في الصلاة بسبب الجهر في الصلاة السرية والإسرار في الجهرية وهو وارد كذلك من عموم الآية.

الثالث: أن السبب هو الحث على التوسط بين الجهر والإسراء وكذلك قد وردت عدة شواهد لذلك.

الرابع: وكون نزولها في خفض الصوت بالدعاء يشهد حديث النبي ﷺ الذي رواه الإمام البخاري وغيره عن أبي موسى، قال: كنا مع رسول الله ﷺ في سفر فصعدنا وادياً فلما هبطوا فيه رفعوا أصواتهم بالتكبير والتهليل ورسول الله ﷺ على بغلة - أو بغل - فقال: « يا أيها الناس اربعوا على أنفسكم فإنكم لا تدعون أصم ولا غائبا إنكم تدعون سميعا بصيرا⁽¹⁶⁶⁵⁾ » فالحاصل بأن ما ورد في الصحيح من سبب النزول لا يخالف ما جاء في غيره. فالصلاة في لغة العرب أصلاً هي الدعاء، فيشمل الدعاء في الصلاة وهو وجه حسن. كذلك يشمل الجهر بالتلاوة، ويشمل رفع الصوت بالدعاء في غير الصلاة والله تعالى أعلم.

[تفسير مختصر للآية]

(قل ادعوا الله أو ادعوا الرحمن) أي نادوا ربكم الجليل باسم [الله] أو باسم [الرحمن] (أي ما تدعوا فله الأسماء الحسنى) أي بأي هذين الاسمين ناديتموه فهو حسن، لأن أسماء جميعها حسنى، وهذان منها. (ولا تجهر بصلاتك ولا تخافت بها) أي لا تجهر يا محمد بقراءتك في الصلاة، فيسمعك المشركون فيسبوا القرآن ومن أنزله، ولا تسر بقراءتك بحيث لا تسمع من خلفك. (وابتغ بين ذلك سبيلاً) أي اقصد طريقاً وسطاً بين الجهر والمخافة⁽¹⁶⁶⁶⁾.

(وَقُلِ الْحَمْدُ لِلَّهِ الَّذِي لَمْ يَتَّخِذْ وَلَدًا وَلَمْ يَكُنْ لَهُ شَرِيكٌ فِي الْمَلِكِ وَلَمْ يَكُنْ لَهُ وَلِيٌّ مِّنَ الدُّنْيَا وَكَبْرَهُ تَكْبِيرًا (١١١))

قوله تعالى: (وقل الحمد لله) - الآية.

697. أخرج ابن جرير عن محمد بن كعب القرظي قال: « إن اليهود والنصارى قالوا: اتخذ الله ولداً، وقالت العرب: لبيك لا شريك لك إلا شريكاً هو لك تملكه وما ملك، وقال الصابئون والمجوس: لولا أولياء الله لذل، فأنزل الله: (وقل الحمد لله الذي لم يتخذ ولداً ولم يكن له شريك في الملك)»⁽¹⁶⁶⁷⁾.

[تعليق]

ختم المؤلف رحمه الله أسباب نزول هذه السورة بهذا السبب. وفيه أمر النبي ﷺ بحمد الله تعالى على كونه متفرد بالوحدانية، فلا ولد له ولا شريم ولا ولي من الدن، ففي الآية بيان لطوائف أهل الشرك اليهود والنصارى والقائلين المسيح ابن الله وعزير ابن الله، وعبدة الأوثان وغيرهم من أهل الشرك. فالحمد لله على تفرده بالوحدانية حمداً كثيراً.

[تفسير مختصر للآية]

⁽¹⁶⁶²⁾جامع البيان (تفسير الطبري) (586/17)
⁽¹⁶⁶³⁾تفسير البحر المحيط - (67/6)
⁽¹⁶⁶⁴⁾تفسير القرطبي - (344/10)
⁽¹⁶⁶⁵⁾صحيح البخاري (69/4)
⁽¹⁶⁶⁶⁾صفوة التفاسير - للصابوني (143/2)
⁽¹⁶⁶⁷⁾تفسير الطبري 15/189 مرسل.

(وقل الحمد لله الذي لم يتخذ ولداً) أي الحمد لله الذي تنزه عن الولد (ولم يكن له شريك في الملك) أي ليس له شريك في ألوهيته (ولم يكن له ولي من الدن) أي ليس بذليل فيحتاج إلى الولي والنصير (وكبره تكبيراً) أي عظم ربه عظمة تامة، واذكره بصفات العز والجلال، والعظمة والكمال. ختمت السورة كما بدأت بحمد الله، وتقدير وحدانيته بلا ولد ولا شريك، وتنزيهه عن الحاجة إلى الولي والنصير، وهو العلي الكبير⁽¹⁶⁶⁸⁾.

انتهت سورة الإسراء

سُورَةُ الْكَهْفِ

(فَلَعَلَّكَ بَاخِعٌ نَفْسَكَ عَلَى آثَرِهِمْ إِنْ لَمْ يُؤْمِنُوا بِهَذَا الْحَدِيثِ أَسَفًا ٦)

قوله تعالى: (فلعلك باخع نفسك على آثارهم إن لم يؤمنوا بهذا الحديث- الآية).
698. أخرج ابن جرير من طريق ابن إسحاق عن شيخ من أهل مصر عن عكرمة عن ابن عباس قال: « بعثت قريش النضر بن الحارث وعقبة بن أبي معيط إلى أحبار اليهود بالمدينة، فقالوا لهم: سلوهم عن محمد وصفوا لهم صفته وأخبروهم بقوله فإنهم أهل الكتاب الأول وعندهم ما ليس عندنا من علم الأنبياء، فخرجوا حتى أتيا المدينة فسألوا أحبار اليهود عن رسول الله ﷺ ووصفوا لهم أمره وبعض قوله، فقالوا لهم: سلوه عن ثلاث فإن أخبركم بهن فهو نبي مرسل، وإن لم يفعل فالرجل متقول: سلوه عن فتية ذهبوا في الدهر الأول ما كان أمرهم فإنه كان لهم أمر عجيب، وسلوه عن رجل طواف بلغ مشارق الأرض ومغاربها ما كان نبؤه، وسلوه عن الروح ما هو، فأقبلا حتى قدما على قريش فقال: لقد جنناكم بفصل ما بينكم وبين محمد، فجاءوا رسول الله ﷺ فسألوه فقال: « أخبركم غدا بما سألتم عنه». ولم يستثن⁽¹⁶⁶⁹⁾، فاتصرفوا، ومكث رسول الله ﷺ خمس عشرة ليلة لا يحدث الله في ذلك إليه وحياً ولا يأتيه جبريل حتى أرجف أهل مكة وحتى أحن رسول الله ﷺ مكث الوحي عنه وشق عليه ما يتكلم به أهل مكة، ثم جاءه جبريل من الله بسورة أصحاب الكهف فيها معاتبته إياه على حزنه عليهم وخبر ما سأله عنه من أمر الفتية والرجل الطواف وقول الله: (ويسألونك عن الروح)⁽¹⁶⁷⁰⁾». «
699. وأخرج ابن مردويه عن ابن عباس قال: « اجتمع عتبة بن ربيعة وشيبة بن ربيعة وأبو جهل بن هشام والنضر بن الحارث وأممية بن خلف والعاصي بن وائل والأسود بن المطلب وأبو البخترى في نفر من قريش، وكان رسول الله ﷺ قد كبر عليه ما يرى من خلاف قومه إياه وإنكارهم ما جاء به من النصيحة، فأحزنه حزناً شديداً فأنزل الله: (فلعلك باخع نفسك على آثارهم - الآية)». ⁽¹⁶⁷¹⁾

[تعليق]

سورة الكهف من السورة المكية، وشأنها شأن باقي السورة المكية من تقريرها العقيدة. وفي هذه السورة من القصص القرآني قصة أصحاب الكهف وقصة موسى مع الخضر وقصة ذي القرنين، وسبب نزول هذه السورة هو سؤال أهل مكة النبي ﷺ عن بعض الأمور الغيبية عن أصحاب الكهف وذي الخضر وذي القرنين وقد ذكر المؤلف رحمه الله هذه الأثر. وذكر كذلك أثراً آخر أخرجه ابن مردويه في التفسير، لكن للأسف ليس عندنا تفسيره وهو شاهد للأثر الأول، وفيه جانب من تعنت الكفار بمعاونة اليهود لهم في سؤالهم النبي ﷺ من المغيبات التي لا يعلمها إلا الله تعالى والله تعالى أعلم.

[تفسير مختصر للآية]

(فلعلك باخع نفسك على آثارهم) أي فلعلك قاتل نفسك ومهلكها غما وحزناً، على إجرامهم وتوليهم، وإعراضهم عن الإيمان. (إن لم يؤمنوا بهذا الحديث أسفاً) أي إن لم يؤمنوا بهذا القرآن، حسرة وأسفاً عليهم، فما يستحق هؤلاء أن تحزن وتأسف عليهم، والآية تسلية للنبي عليه السلام⁽¹⁶⁷²⁾.

(وَلَا تَقُولَنَّ لِشَيْءٍ إِنِّي فَاعِلٌ ذَلِكَ غَدًا ۚ إِلَّا أَن يَشَاءَ اللَّهُ ۚ وَادْكُرْ رَبَّكَ إِذَا نَسِيتَ وَقُلْ عَسَىٰ أَن يَهْدِيَنِّي رَبِّي لِأَقْرَبٍ مِّنْ هَذَا رَشَدًا ۚ ٢٤ وَلَبِثُوا فِي كَهْفِهِمْ ثَلَاثَ مِائَةٍ سِنِينَ وَازْدَادُوا تِسْعًا ٢٥)

⁽¹⁶⁶⁸⁾صفحة التفسير - للصابوني (2/ 143)

⁽¹⁶⁶⁹⁾يعنى لم يقل إن شاء الله

⁽¹⁶⁷⁰⁾تفسير الطبري 15/191 وإسناده فيه راو مجهول

⁽¹⁶⁷¹⁾لم أجده في الكتب المسنده

⁽¹⁶⁷²⁾صفحة التفسير - للصابوني (2/ 145)

قوله تعالى: (ولا تقولن لشيء) - الآية .

700. وأخرج ابن مردويه أيضاً عن ابن عباس قال: « أنزلت: (ولبثوا في كهفهم ثلاثمائة) فقيل: يا رسول الله سنين أو شهوراً، فأنزل الله: (سنين وازدادوا تسعا⁽¹⁶⁷³⁾) ».

701. وأخرجه ابن جرير عن الضحاك⁽¹⁶⁷⁴⁾.

702. وأخرجه ابن مردويه أيضاً عن ابن عباس قال: « حلف النبي □ على يمين، فمضى له أربعون ليلة، فأنزل الله: (ولا تقولن لشيء إني فاعل ذلك غداً إلا أن يشاء الله⁽¹⁶⁷⁵⁾) ».

[تعليق]

الأثر الأول الذي ذكره المؤلف رحمه الله متعلق بقوله تعالى (ولبثوا في كهفهم ثلاثمائة سنين) وذكر له شاهد عن الضحاك.

أما الأثر الأخير فهو متعلق بقوله تعالى (ولا تقولن لشيء) (وقد تقدم في الأثر الأول الذي ذكره المؤلف في بداية السورة هذا السبب. وأن الآية نزلت لما وعد النبي □ كفار قريش بأن يجيبهم إلى سؤالهم غداً ولم يقل إن شاء الله، فنزلت الآية. ولكن الأثر الذي ذكره هنا مخالف لما روى هناك وتفسير ابن مردويه الذي عزا إليه المؤلف ليس بين أيدينا. والأول أشهر من سؤال الكفار النبي □ عن الأمور التي ذكر تفصيلها في هذه السورة. وقد استدل أهل العلم بالآية مشروعية الاستثناء في اليمين. والله تعالى أعلم.

[تفسير مختصر للآية]

(ولا تقولن لشيء إني فاعل ذلك غداً إلا أن يشاء الله) أي لا تقولن لأمر عزمت عليه إني سأفعله غداً إلا إذا قرنته بالمشيئة، فقلت: إن شاء الله.

(واذكر ربك إذا نسيت) أي إذا نسيت أن تقول (إن شاء الله) ثم تذكرت فقلها، لتبقى نفسك مستشعرة عظمة الله.

(وقل عسى أن يهدينني ربي لأقرب من هذا رشداً) أي لعل الله يوفقني ويرشدني إلى ما هو أصلح، من أمر ديني ودنياي.

(ولبثوا في كهفهم ثلاثمائة سنين وازدادوا تسعا) أي مكثوا في الكهف ثلاثمائة وتسع سنين، وهذا بيان لما أجل في قوله تعالى: [سنين عدداً].

(قل الله أعلم بما لبثوا) أي الله أعلم بمدة لبثهم في الكهف على وجه اليقين.

(له غيب السموات والأرض) أي هو تعالى المختص بعلم الغيب، وقد أخبرك بالخبر القاطع عن أمرهم، الحكيم الخبير.

(أبصر به وأسمع) أي ما أبصره بكل موجود، وما أسمع له كل مسموع، يدرك الخفيات كما يدرك الجليات.

(ما لهم من دونه من ولي) أي ليس للخلق ناصر ولا معين غيره تعالى.

(ولا يشرك في حكمه أحداً) أي ليس له شريك ولا مثيل ولا نظير، ولا يقبل في قضائه وحكمه أحداً، لأنه الغني عما سواه⁽¹⁶⁷⁶⁾.

(وَأَصْبِرْ نَفْسَكَ مَعَ الَّذِينَ يَدْعُونَ رَبَّهُمْ بِالْعَدْوَةِ وَالْعَشِيِّ يُرِيدُونَ وَجْهَهُ وَلَا تَعْدُ عَيْنَاكَ عَنْهُمْ تُرِيدُ زِينَةَ الْحَيَاةِ الدُّنْيَا وَلَا تُطِعْ مَنْ أَغْفَلْنَا قَلْبَهُ عَنْ ذِكْرِنَا وَاتَّبَعَ هَوَاهُ وَكَانَ أَمْرُهُ فُرُطًا ۝ ٢٨)

قوله تعالى: (واصبر نفسك) - الآية. تقدم سبب النزول في سورة الأنعام في حديث خباب.

قوله تعالى: (ولا تطع) - الآية.

703. أخرج ابن مردويه من طريق جويبر عن الضحاك عن ابن عباس في قوله (ولا تطع من أغفلنا قلبه

عذكرنا) قال: « نزلت في أمية بن خلف الجمحي، وذلك أنه دعا النبي □ إلى أمر كرهه الله من طرد

الفقراء عنه وتقريب صناديد أهل مكة، فنزلت⁽¹⁶⁷⁷⁾. ».

704. وأخرج ابن أبي حاتم عن الربيع قال: « حدثنا أن النبي □ تصدى لأمية بن خلف وهو ساه غافل عما

يقال له، فنزلت⁽¹⁶⁷⁸⁾. ».

705. وأخرج عن أبي هريرة قال: « دخل عيينة بن حصن على النبي □ وعنده سلمان، فقال عيينة: إذا

نحن أتيناك فأخرج هذا وأدخلنا فنزلت⁽¹⁶⁷⁹⁾. ».

⁽¹⁶⁷³⁾ لم أجده في الكتب المسنده

⁽¹⁶⁷⁴⁾ تفسير الطبري 15/231 مرسل وفي إسناده ابن حميد تقدم

⁽¹⁶⁷⁵⁾ لم أجده في الكتب المسنده

⁽¹⁶⁷⁶⁾ صفوة التفاسير - للصابوني (2/ 149)

⁽¹⁶⁷⁷⁾ إسناده منقطع وضعيف

⁽¹⁶⁷⁸⁾ تفسير ابن أبي حاتم 7/2357 منقطع

⁽¹⁶⁷⁹⁾ الذي في تفسير ابن أبي حاتم عن ابن بريدة، قال: دخل عيينة بن حصن على النبي صلى الله عليه وسلم في يوم حار، وعنده سلمان عليه جبة من صوف، فثار منه ريح العرق في الصوف، فقال عيينة: يا مُحَمَّدُ، إذا نحن أتيناك فأخرج هذا وضرباه من عندك، لا يؤذونا، فإذا خرجت، فأنت وهم أعلم، فأنزل الله: وَلَا تُطِعْ مَنْ أَغْفَلْنَا قَلْبَهُ.

تفسير ابن أبي حاتم أثر رقم 13829

الأثر الأول والثاني اللذان ذكرها المؤلف متعلقان بقوله تعالى (ولا تطع من أغفلنا قلبه عن ذكرنا) قال أهل التفسير هو أمية بن خلف، والآية معناها عام في كل من كان على شاكلته، ممن طبع الله على قلبه، من صنابير أهل الكفر. والأثر الأخير قد اختصره المؤلف. وقد أخرج الطبري وغيره بسباق أطول من هذا وأفضل. قال الإمام الواحدي: عن سلمان الفارسي قال: «جاءت المؤلفات القلوب إلى رسول الله ﷺ عيينة بن حصن والأقرع بن حابس وذوهم، فقالوا: يا رسول الله إنك لو جلست في صدر المجلس ونحيت عنا هؤلاء وأرواح جبابهم يعنون سلمان وأبا ذر وفقراء المسلمين، وكانت عليهم جباب الصوف لم يكن عليهم غيرها جلسنا إليك وحادثناك وأخذنا عنك، فأنزل الله تعالى - (واتل ما أوحى إليك من كتاب ربك لا مبدل لكلماته، ولن تجد من دونه ملتحدًا) واصبر نفسك مع الذين يدعون ربهم بالغداة والعشي يريدون وجهه) - حتى بلغ - (إنا أعتدنا للظالمين نارًا) - يتهدهم بالنار - فقام النبي ﷺ يلتمسهم حتى إذا أصابهم في مؤخر المسجد يذكرون الله تعالى قال: الحمد لله الذي لم يمتني حتى أمرني أن أصبر نفسي مع رجال من أمتي معكم المحيا ومعكم الممات⁽¹⁶⁸⁰⁾». قلت: فهذا السبب واضح في كون الآية نزلت في أمر النبي ﷺ بأن يصبر نفسه مع هؤلاء الضعفاء المساكين الذين يذكرون الله تعالى بكرة وعشية يبتغون وجهه، وقد جاءت عدة آيات في نفس هذا المعنى.

[تفسير مختصر للآية]

(واصبر نفسك مع الذين يدعون ربهم بالغداة والعشي) أي: احبس نفسك مع الضعفاء والفقراء من المسلمين، الذين يدعون ربهم بالصباح والمساء. (يريدون وجهه) أي يبتغون بدعائهم وجه الله تعالى. (ولا تعد عينك عنهم) أي لا تصرف بصرك إلى غيرهم من ذوي الغنى والشرف، قال المفسرون: كان عليه السلام حريصا على إيمان الرؤساء ليؤمن أتباعهم ولم يكن مريدا لزينة الدنيا قط، فأمر أن يجعل إقباله على فقراء المؤمنين، وأن يُعرض عن أولئك العظماء والأشراف من المشركين. (تريد زينة الحياة الدنيا) أي تبتغي بمجالستهم الشرف والفخر، قال ابن عباس: لا تجاوزهم إلى غيرهم تطلب بدلهم أصحاب الشرف والثروة. (ولا تطع من أغفلنا قلبه عن ذكرنا) أي لا تطع كلام الذين سألك طرد المؤمنين، فقلوبهم غافلة عن ذكر الله، وقد شغلوا عن الدين وعبادة ربهم بالدنيا [واتبع هواه] أي سار مع هواه وترك أمر الله. (وكان أمره فرطاً) أي كان أمره ضياعاً وهلاكاً ودماراً⁽¹⁶⁸¹⁾.

(قُلْ لَوْ كَانَ الْبَحْرُ مِدَادًا لَكَلِمَاتِ رَبِّي لَنَفِدَ الْبَحْرُ قَبْلَ أَنْ تَنفَدَ كَلِمَاتُ رَبِّي وَلَوْ جِئْنَا بِمِثْلِهِ مَدَدًا ۝ ١٠٩)

قوله تعالى: (قل لو كان البحر مداداً لآياتي).

706. أخرج الحاكم وغيره عن ابن عباس قال: «قالت قريش لليهود أعطونا شيئاً نسأل عنه هذا الرجل، فقالوا سلوه عن الروح، فسألوه فنزلت: (ويسألونك عن الروح قل الروح من أمر ربي وما أوتيتم من العلم إلا قليلاً) وقال اليهود: أوتينا علماً كثيراً أوتينا التوراة ومن أوتي التوراة فقد أوتي خيراً كثيراً، فنزلت: (قل لو كان البحر مداداً لكلمات ربي) - الآية⁽¹⁶⁸²⁾».

[تعليق]

ذكر المؤلف رحمه الله تعالى أثراً واحداً في سبب نزول هذه الآية، وهو رد على اليهود الذين يدعون العلم فأجابهم الله تعالى بأنهم لم يؤتوا من العلم إلا قليلاً، وأن البحر لو كان حبراً لكلمات الله لنفد البحر قبل أن تنفد كلمات الله وهو يدل على سعة علم الله عز وجل.

[تفسير مختصر للآية]

(قل لو كان البحر مداداً لكلمات ربي) هذا تمثيل لسعة علم الله والمعنى: لو كانت بحار الدنيا حبراً ومداداً، وكتبت به كلمات الله، وحجته وعجائبه. (لنفد البحر قبل أن تنفد كلمات ربي) أي لفني ماء البحر على كثرتة وانتهى، وكلام الله لا ينفد، لأنه غير منتهى كعلمه جل وعلا. (ولو جئنا بمثله مدداً) أي ولو أتينا بمثل ماء البحر، وزدناه به أضعافاً، فإن كلام الله لا ينتهي⁽¹⁶⁸³⁾.

(1680) أسباب النزول للواحدي (201)

(1681) صفوة التفسير - للصابوني (150/2)

(1682) المستدرک 2/579 ح (3961) وقال: صحيح الإسناد مسند أحمد 1/255 سنن الترمذي 5/304 ح (3140) وقال: حسن صحيح غريب تفسير الطبري 15/155 صحيح ابن حبان 1/301 ح (99) سنن النسائي الكبرى 6/392 ح (11314) مسند أبي يعلى 4/381 ح (2501) السنة لابن أبي عاصم 1/264 ورجال إسناده بعضهم من رجال مسلم وهو دود بن أبي هند وبعضهم من رجال البخاري وهو عكرمة وكلامها ثققال الإمام الترمذي: حدثنا قتيبة حدثنا يحيى بن زكريا بن أبي زائدة عن داود بن أبي هند عن عكرمة عن ابن عباس قال -

(1683) صفوة التفسير - للصابوني (163/2)

(قُلْ إِنَّمَا أَنَا بَشَرٌ مِّثْلُكُمْ يُوحَىٰ إِلَيَّ أَنَّمَا إِلَهُكُمُ إِلَهُ وَحْدٌ فَمَن كَانَ يَرْجُوا لِقَاءَ رَبِّهِ فَلْيَعْمَلْ عَمَلًا صَالِحًا وَلَا يُشْرِكْ بِعِبَادَةِ رَبِّهِ أَحَدًا (١١٠))

قوله تعالى: (فمن كان يرجو لقاء ربه)- الآية.

707. أخرج ابن أبي حاتم وابن أبي الدنيا في كتاب الإخلاص عن طاووس قال: « قال رجل: يا رسول الله إنني أقد أريد وجه الله وأحب أن يرى موطني، فلم يرد عليه شيئا حتى نزلت هذه الآية: (فمن كان يرجو لقاء ربه فليعمل عملا صالحا ولا يشرك بعبادة ربه أحدا)⁽¹⁶⁸⁴⁾».

708. وأخرجه الحاكم في المستدرک موصولا عن طاووس عن ابن عباس وصححه على شرط الشيخين⁽¹⁶⁸⁵⁾.

709. وأخرج ابن أبي حاتم عن مجاهد قال: « كان رجل من المسلمين يقاتل وهو يحب أن يرى مكانه، فأنزل الله: (فمن كان يرجو لقاء ربه) الآية⁽¹⁶⁸⁶⁾».

710. وأخرج أبو نعيم وابن عساكر في تاريخه من طريق السدي الصغير عن الكلبى عن أبي صالح عن ابن عباس قال: « قال جندب بن زهير: إذا صلى الرجل أو صام أو تصدق فذكر بخير ارتاح له فزاد في ذلك لمقالة الناس له، فنزلت في ذلك: (فمن كان يرجو لقاء ربه)- الآية⁽¹⁶⁸⁷⁾».

[تعليق]

ذكر المؤلف رحمه الله أربعة آثار في سبب نزول هذه الآية. فالرجل المطلق في بعض الروايات يحمل على المقيد في بعضها وهو جندب بن زهير، فنزلت الآية موضحة أن الله تعالى لا يرضى أن يكون له شريك في العمل، فمن جاهد أو تصدق أو أوقف أو فعل خيرا فينبغي أن يكون مقصوده وجه الله تعالى لا وجه الناس. وهذه المسألة متعلقة بمسألة أخرى: وهي أن يعمل الرجل العمل ثم يحمده الناس على عمله، فقد روى الإمام مسلم، عن أبي ذر، قال: قلت: يا رسول الله، الرجل يعمل العمل لنفسه يحبه الناس على ذلك؟ فقال: « تلك عاجل بشرى المؤمن »⁽¹⁶⁸⁸⁾. ففي المسألة الأولى يعمل العمل لله ولكن يشرك معه غيره ويجب أن يحمده على عمله، أما في المسألة الثانية فإن العمل كله لله لكن يحمده عليه فيسر ويستبشر لذلك. فهذا فرق فلينتبه إليه.

[تفسير مختصر للآية]

(قل إنما أنا بشر مثلكم يوحى إلي أنما إلهكم إله واحد) أى قل لهم يا أيها الرسول: إنما أنا إنسان مثلكم، أكرمني الله بالوحي، وأمرني أن أخبركم أنه واحد احد لا شريك له (فمن كان يرجو لقاء ربه) أى فمن كان يرجو ثواب الله ويخاف عقابه (فليعمل عملا صالحا) أى فليخلص له العبادة (ولا يشرك بعبادة ربه أحدا) أى ولا يرأى بعمله، ولا يبتغي بما يعمل غير وجه الله، فإن الله لا يقبل إلا ما كان خالصاً لوجهه الكريم، على هدي سيد المرسلين⁽¹⁶⁸⁹⁾.

انتهت سورة الكهف

سُورَةُ مَرْيَمَ

(وَمَا نُنزِّلُ إِلَّا بِأَمْرِ رَبِّكَ لَهُ مَا بَيْنَ أَيْدِينَا وَمَا خَلْفَنَا وَمَا بَيْنَ ذَلِكَ وَمَا كَانَ رَبُّكَ نَسِيًّا (٦٤))

⁽¹⁶⁸⁴⁾ تفسير ابن أبي حاتم 7/2394 تفسير الطبري 16/40 وإسناده صحيح لكنه مرسل.
⁽¹⁶⁸⁵⁾ المستدرک 2/122 ح(2527) شعب الإيمان 5/341 ح(6854) الجهاد لابن المبارك 1/34 ح(12) والله أعلم روي هذا الحديث مرسلًا وموصولا فرواه عبد الرزاق عن معمر عن عبد الكريم الجزري عن طاووس مرسلًا ورواه ابن المبارك عن معمر به واختلف عليه فرواه عبدان وسعيد بن رحمه عن ابن المبارك مرسلًا نحو رواية عبد الرزاق ورواه نعيم بن حماد عن ابن المبارك عن معمر عن عبد الكريم عن طاووس عن ابن عباس موصولا ولا شك أن رواية الجماعة مقدمة على رواية نعيم بن حماد ونعيم قال عنه الحافظ صدوق يخطئ كثيرا فترجح عندي أن رواية الوصل من أخطائه وقد أشار البيهقي إلى هذا الخلاف فقال عقب إخراج الحديث من طريق نعيم ورواه عبدان عن ابن المبارك فأرسله لم يذكر فيه ابن عباس
⁽¹⁶⁸⁶⁾ تفسير ابن أبي حاتم 7/2394 مرسل.
⁽¹⁶⁸⁷⁾ تاريخ دمشق 11/304 وإسناده تالف.
⁽¹⁶⁸⁸⁾ صحيح مسلم - (44 /8)
⁽¹⁶⁸⁹⁾ صفوة التفسير - للصابوني (163 /2)

قوله تعالى: (وما ننزل إلا بأمر ربك) - الآية.

711. أخرج البخاري عن ابن عباس قال: « قال رسول الله ﷺ لجبريل: « ما يمنعك أن تزورنا أكثر مما تزورنا». فنزلت: (وما ننزل إلا بأمر ربك) (1690).
712. وأخرج ابن أبي حاتم عن عكرمة قال: « أبطأ جبريل في النزول أربعين يوماً، فذكر نحوه» (1691).
713. وأخرج ابن مردويه عن أنس قال: «سأل النبي ﷺ أي البقاع أحب إلى الله وأبغض إلى الله؟ فقال: « ما أدري حتى أسأل». فنزل جبريل وكان قد أبطأ عليه، فقال: « لقد أبطأت علي حتى ظننت أن ترى علي موجودة» (1692). فقال: (وما ننزل إلا بأمر ربك) - الآية (1693).
714. وأخرج ابن إسحاق عن ابن عباس: « أن قريشاً لما سألوا عن أصحاب الكهف مكث خمس عشرة ليلة لا يحدث الله له في ذلك وحياً، فلما نزل جبريل قال له: « أبطأت». فذكره (1694).

[تعليق]

سورة مريم من السورة المكية وقد تحدثنا عن مقاصد السور المكية، وقد تعرضت هذه السورة عن حادثة مريم العذراء مع وليدها نبي الله عيسى ابن مريم، والإعجاز في انجابها وليدها من غير أب. كما تعرضت إلى قصص بعض الأنبياء وأدب الحوار بين إبراهيم عليه السلام وبين أبيه.

وقد ذكر المؤلف رحمه أربعة آثار وهو تشتمل على أربعة أسباب للنزول.

فالأول: أن النبي ﷺ طلب من جبريل الزيارة أكثر مما يزور، فأخبره أن هذه أمره موكل إلى الله فلا ينزل إلا بإذن الله تعالى. الثاني: أن جبريل أبطأ في النزول على النبي ﷺ، فلما سأله النبي ﷺ أخبره أنه لا يستطيع النزول إلا بإذن الله تعالى وفي رواية الإمام الواحدي: وقال مجاهد: أبطأ الملك على رسول الله ﷺ ثم أتاه فقال لعلي: أبطأت، قال: قد فعلت، قال: ولم لا أفعل وأنتم لا تتسوكون ولا تقصون أظفاركم ولا تنقون براجمكم، قال: وما ننزل إلا بأمر ربك، قال مجاهد: فنزلت هذه الآية (1695).

الثالث: هو بنفس معنى السابق لكن سبب وروده هو أن النبي ﷺ سئل أي البقاع أفضل، ويمكن أن يجمع بينه وبين السبب المتقدم بأن يقال سئل النبي ﷺ عن أشياء منها السؤال المتقدم فتأخر جبريل عن النزول فلما جاءه سأله وقال له ما يمنعك أن تزورنا أكثر مما تزورنا فنزلت هذه الآية.

الرابع: عندما سألت قريش النبي ﷺ عن أصحاب الكهف فتأخر جبريل في النزول وأبطأ فنزلت الآية وهو كذلك غير مخالف لما تقدم. فكل هذه الأسباب تجتمع في كون جبريل أبطأ في النزول على النبي ﷺ وإن تعددت الأسباب، فالمؤدى والمعنى واحد. والله تعالى أعلم.

[تفسير مختصر للآية]

(وما ننزل إلا بأمر ربك) هذا من كلام جبريل لرسول الله ﷺ حين احتبس عنه فترة من الزمن والمعنى: ما ننزل إلى الدنيا إلا بأمر الله وإذنه.

(له ما بين أيدينا وما خلفنا وما بين ذلك) أي لله جل وعلا جميع الأمر، أمر الدنيا والآخرة، وهو المحيط بكل شيء لا تخفى عليه خافية، ولا يعزب عنه مثقال ذرة، فلا نقدم على فعل شيء إلا بأمره وإذنه؟ (وما كان ربك نسياً) أي لا ينسى شيئاً من أعمال العباد (1696).

(أَفَرَأَيْتَ الَّذِي كَفَرَ بِآيَاتِنَا وَقَالَ لَأُوتِيَنَّ مَالًا وَوَلَدًا ۗ (٧٧))

قوله تعالى: (أفأريت الذي كفر بآياتنا) - الآية.

715. أخرج الشيخان وغيرهما عن خباب بن الأرت قال: « جئت العاصي بن وائل السهمي أتقاضاه حقاً لي عنده، فقال: لا أعطيك حتى تكفر بمحمد، فقلت: لا حتى تموت ثم تبعث، قال فإني لميت ثم لمبعوث، فقلت: نعم فقال: إن لي هناك مالا وولداً فاقضيك، فنزلت: (أفأريت الذي كفر بآياتنا وقال لأوتين مالا وولداً) (1697)».

[تعليق]

ذكر المؤلف رحمه الله أثراً واحداً في سبب نزول هذه الآية وهو صحيح.

(1690) صحيح البخاري 4/1760 ح (4454) سنن الترمذي 5/316 ح (3158) السنن الكبرى للنسائي 6/394 ح (11319) مسند أحمد 1/357 ح (3365) المعجم الكبير 12/33 ح (12385) مستدرک الحاكم 2/667 ح (4215) خلق أفعال العباد 112 (1691) تفسير ابن أبي حاتم 7/2414 (1692) [الموجدة]: الغضب (1693) ليس عندي تفسير ابن مردويه (1694) تفسير الطبري 15/191 وإسناده ضعيف. (1695) أسباب النزول للواحدي (203) (1696) صفوة التفاسير - للصابوني (173/2) (1697) صحيح البخاري 2/736 ح (1985) صحيح مسلم 4/2153 ح (2795) صحيح ابن حبان 11/383 ح (5010) سنن الترمذي 5/318 ح (3162) سنن النسائي الكبرى 6/395 ح (11322) سنن البيهقي الكبرى 6/52 ح (11064) مسند أحمد 5/111 ح (21112) المعجم الكبير 6/69 ح (3665) مسند الطيالسي 141

- قدميه إذا صلى، فأنزل الله: (طه ما أنزلنا عليك القرآن لتشقى⁽¹⁷⁰⁵⁾)».
718. وأخرج عبد الله بن حميد في تفسيره عن الربيع بن أنس قال: «كان النبي ﷺ يراوح بين قدميه ليقوم على كل رجل حتى نزلت: (ما أنزلنا عليك القرآن لتشقى⁽¹⁷⁰⁶⁾)».
719. وأخرج ابن مردويه من طريق العوفي عن ابن عباس قال: «قالوا لقد شقي هذا الرجل بربه، فأنزل الله: (طه ما أنزلنا عليك القرآن لتشقى⁽¹⁷⁰⁷⁾)».

[تعليق]

سورة طه من السور المكية والتي تتحدث عن أصول العقيدة بالإضافة إلى القصص القرآني الذي يثبت به قلب النبي ﷺ والمؤمنين، و"طه" من الأحرف المقطعة التي جاءت في أوائل بعض سور القرآن والغرض منها الأعجاز في قول أكثر أهل التفسير.

وقد ذكر المؤلف رحمه الله ثلاثة آثار في سبب نزول هذه الآية. وهي تشتمل على سببين للنزول. الأول: أن النبي ﷺ كان يجتهد في التعبد لله تعالى حتى يصيبه التعب والجهد، فأنزل الله الآية مبينة أن الله تعالى أنزل عليه القرآن لا ليشقى به بأي وجه من أنواع المشقة، وكان النبي ﷺ يتلذذ بعبادة ربه وطول القيام لله تعالى. الثاني: في قول المشركين أن الله تعالى شقي بالله تعالى بما كلفه وبه وتركه دين أبائه، فنزلت الآية. وقد ورد في سبب نزولها أيضاً ما أخرجه الإمام الواحدي في قوله عز وجل (طه ما أنزلنا عليك القرآن لتشقى) قال مقاتل: قال: أبو جهل، والنضر بن الحارث للنبي ﷺ: إنك لتشقى بترك ديننا، وذلك لما رأياه من طول عبادته واجتهاده، فأنزل الله تعالى هذه الآية⁽¹⁷⁰⁸⁾.

وهو غير مخالف لما تقدم، والآية محتملة لكلا المعنيين. فسواء نزولها بسبب قول المشركين أو بسبب طول قيام النبي ﷺ، فالآية إعلام من الله تعالى لنبيه بأنه إنما أنزل عليه القرآن تذكرة للمتقين وهداية للعالمين. والله تعالى أعلم.

[تفسير مختصر للآية]

(طه ما أنزلنا عليك القرآن لتشقى) الحروف المتقطعة للتنبية الى اعجاز القرآن وقال ابن عباس: معناها يا رجل، ومعنى الآية: ما أنزلنا عليك يا محمد القرآن لتشقى به، إنما أنزلناه رحمة وسعادة. (إلا تذكرة لمن يخشى) أي ما أنزلناه الا عظة وتذكيراً لمن يخشى الله ويخاف عقابه، وهو المؤمن المستنير بنور القرآن⁽¹⁷⁰⁹⁾.

(وَيَسْأَلُونَكَ عَنِ الْجِبَالِ فَقُلْ يَنْسِفُهَا رَبِّي نَسْفًا ۝٥)

قوله تعالى: (ويسألونك عن الجبال) - الآية.

720. أخرج ابن المنذر عن ابن جريج: «قالت قريش يا محمد كيف يفعل ربك بهذه الجبال يوم القيامة؟ فنزلت: (ويسألونك عن الجبال) - الآية⁽¹⁷¹⁰⁾».

[تعليق]

ذكر المؤلف أثراً واحداً في سبب نزول هذه الآية، وذكر أن رجلاً من قريش قال للنبي ﷺ، وفي زاد المسير أن رجلاً من ثقيف قالوا ذلك، وهذا استهزاء منهم بالنبي ﷺ، فيقولون يا محمد إن كنت تدعي أن القيامة قائمة فأين تكون هذه الجبال. وهذا من باب التعتن في السؤال فأجابهم الله تعالى بأنه سوف ينسفها نسفاً كما ذكر جل وعلا⁽¹⁷¹¹⁾.

[تفسير مختصر للآية]

(ويسألونك عن الجبال فقل ينسفها ربي نسفاً) أي ويسألونك عن حال الجبال يوم القيامة فقل لهم: إن ربي يفتتها كالرمل ثم يرسل عليها الرياح فيطيرها.

(فيذرها قاعاً صفصفاً) أي فيتركها أرضاً ملساء مستوية، لا نبات فيها ولا بناء.

(لا ترى فيها عوجاً ولا أمتاً) أي لا ترى فيها انخفاضاً ولا ارتفاعاً⁽¹⁷¹²⁾.

(فَتَعْلَىٰ اللَّهُ الْمَلِكُ الْحَقُّ وَلَا تَعْجَلْ بِالْقُرْآنِ مِنْ قَبْلِ أَنْ يُقْضَىٰ إِلَيْكَ وَحْيُهُ وَقُلْ رَبِّ زِدْنِي عِلْمًا ۝١٤)

(1705) ليس عندنا نسخة من تفسير ابن مردويه

(1706) في إسناده أبو جعفر الرازي تقدم الكلام عنه وهاشم بن القاسم صدوق تغير بآخره بافضافة إلى إرساله، وأخرج البزار مثله عن علي بإسناد فيه ضعف مسند البزار

3/136

(1707) تفسير الطبري 16/135 وإسناده ضعيف.

(1708) أسباب النزول للواحدي (205)

(1709) صفوة التفسير - للصابوني (178/2)

(1710) مرسل

(1711) زاد المسير (322/5)

(1712) صفوة التفسير - للصابوني (191/2)

قوله تعالى: (ولا تعجل بالقرآن) - الآية.

721. أخرج ابن أبي حاتم عن السدي قال: «كان النبي ﷺ إذا نزل عليه جبريل بالقرآن أتعب نفسه في حفظه حتى يشق على نفسه فيخاف أن يصعد جبريل ولم يحفظه، فأنزل الله: (ولا تعجل بالقرآن) - الآية⁽¹⁷¹³⁾». وتقدم في سورة النساء سبب آخر وهذا أصح.

[تعليق]

ذكر المؤلف رحمه الله أثراً واحداً في سبب نزول هذه الآية، وهذا الذي ورد من فعل النبي ﷺ أن كان يعجل بالقرآن ثابت وسوف يأتي عند قوله تعالى (فإذا قرأناه فاتبع قرآنه) سورة القيامة ما هو شبيه بهذا، وكاذ ذلك لشدة حرصه ﷺ على تلقي القرآن وتعلمه، وقد ذكر العلماء في قوله تعالى (تعجل) ثلاثة أشياء.

أحدها: لا تعجل بتلاوته قبل أن يفرغ جبريل من تلاوته تخاف نسيانه، هذا على القول الأول.

والثاني: لا تُقرئ أصحابك حتى نبين لك معانيه، قاله مجاهد، وقتادة.

والثالث: لا تسأل إنزاله قبل أن يأتيك الوحي، ذكره الماوردي⁽¹⁷¹⁴⁾.

وقد ورد في سبب نزولها كذلك ما رواه ابن جرير وغيره عن الحسن: أن رجلاً من الأنصار لطم امرأته، فجاءت تلتبس القصاص، فجعل النبي ﷺ بينهما القصاص، فنزلت: (وَلَا تَعْجَلْ بِالْقُرْآنِ مِنْ قَبْلِ أَنْ يُقْضَى إِلَيْكَ وَحْيُهُ) [سورة طه: 114]، ونزلت: (الرجال قوامون على النساء بما فضل الله بعضهم على بعض)⁽¹⁷¹⁵⁾.

وهذا الأثر مرسل والأول أصح لأن هذه القصة مدنية، والآية مكية، وعلى طريقة الجمع فإن النبي ﷺ نهي أن يعجل بالقرآن عموماً، سواء في ذلك تلاوته أو الحكم من قبل أن ينزل عليه والله تعالى أعلم.

[تفسير مختصر للآية]

(ولا تعجل بالقرآن من قبل أن يقضى إليك وحيه) أي إذا أقرأك جبريل القرآن، فلا تتعجل بالقراءة معه، بل استمع إليه واصبر حتى يفرغ من تلاوته وحينئذ تقرأه أنت. (وقل رب زدني علماً) أي سل الله عز وجل زيادة العلم النافع، قال الطبري: أمره بمسألته من فوائد العلم ما لا يعلم⁽¹⁷¹⁶⁾.

(وَلَا تَمُدَّنَّ عَيْنَيْكَ إِلَىٰ مَا مَتَّعْنَا بِهِ أَزْوَاجًا مِنْهُمْ زَهْرَةَ الْحَيَاةِ الدُّنْيَا لِنَفِثَنَّهُمْ فِيهِ وَرَرِّقُ رَبِّكَ خَيْرٌ وَأَبْقَىٰ ۝١٣١)

قوله تعالى: (ولا تمدن عينيك) - الآية.

722. أخرج ابن أبي شيبة وابن مردويه والبخاري وأبو يعلى عن أبي رافع قال: «أضاف النبي ﷺ ضيفاً، فأرسلني إلى رجل من اليهود أن أسلفني دقيقاً إلى هلال رجب، فقال: لا إلا برهن، فأتيت النبي ﷺ فأخبرته، فقال: «أما والله إنني لأمين في السماء أمين في الأرض». فلم أخرج من عنده حتى نزلت هذه الآية: (ولا تمدن عينيك إلى ما متعنا به أزواجاً منهم)⁽¹⁷¹⁷⁾».

[تعليق]

ذكر المؤلف رحمه الله هذا الأثر الوحيد في سبب نزول هذه الآية وهو أثر ضعيف الإسناد ويدل على ضعفه أن الآية مكية والقصة مدنية، وقد رويت في الصحيح أن النبي ﷺ اشترى طعاماً من يهودي ورهنه درعه⁽¹⁷¹⁸⁾، ولم يتعرض إلى أي سبب من أسباب النزول.

فعلى ذلك فالآية فيها نهي للنبي ﷺ ولأمته على تمنى ما كان من زهرة الحياة الدنيا التي أعطها الله تعالى أقواماً ليتمتعهم بها وبيلوهم فيها والله تعالى أعلم.

[تفسير مختصر للآية]

(ولا تمدن عينيك إلى ما متعنا به أزواجاً منهم) أي لا تنظر إلى ما متعنا به اصنافاً من الكفار، من نعيم الدنيا وبهرجها الخادع. (زهرة الحياة الدنيا) أي زينة الحياة الدنيا.

(لنفتنهم فيه) أي لنبتليهم ونختبرهم بهذا النعيم، حتى يستوجبوا العذاب بكفرهم

(ورزق ربك خير وأبقى) أي ثواب الله خير من هذا النعيم الفاني وأدوم، قال المفسرون⁽¹⁷¹⁹⁾.

انتهت سورة طه

سُورَةُ الْأَنْبِيَاءِ

⁽¹⁷¹³⁾ تفسير ابن أبي حاتم 7/2436 مرسل.

⁽¹⁷¹⁴⁾ زاد المسير (325/5)

⁽¹⁷¹⁵⁾ جامع البيان (تفسير الطبري) (292/8)

⁽¹⁷¹⁶⁾ صفوة التفسير - للصابوني (191/2)

⁽¹⁷¹⁷⁾ مسند البزار 9/315 ح (3863) المعجم الكبير 1/331 ح (989) وفي إسناده موسى بن عبيدة ضعيف الحديث

⁽¹⁷¹⁸⁾ صحيح البخاري (187/3)

⁽¹⁷¹⁹⁾ صفوة التفسير - للصابوني (193/2)

(مَا ءَامَنْتَ قَبْلَهُمْ مِّنْ قَرْيَةٍ أَهْلَكْنَاهَا أَفَهُمْ يُؤْمِنُونَ ٦)

قوله تعالى: (ما آمنت قبلهم من قرية) - الآية.
723. أخرج ابن جرير عن قتادة قال: «قال أهل مكة للنبي ﷺ: إن كان ما تقول حقاً ويسرك أن تؤمن فحول لنا الصفا ذهباً، فاتاه جبريل عليه السلام فقال: إن شئت كان الذي سألك قومك، ولكنه إن كان ثم لم يؤمنوا لم ينظروا، وإن شئت استأنيت بقومك، فأنزل الله: (ما آمنت قبلهم من قرية أهلناها أفهم يؤمنون⁽¹⁷²⁰⁾)».

[تعليق]

سورة الأنبياء من السور المكية والتي قد عرفنا الغرض العام للسور المكية بالإضافة إلى ذكر جملة من قصص الأنبياء فيها.
وقد ذكر المؤلف رحمه الله أثراً واحداً عند سبب نزول هذه الآية وهو أثر مرسل الإسناد والمعنى صحيح وقد تكلمنا غير مرة عن حال المشركين بما أغنى عن إعادته هنا.

[تفسير مختصر للآية]

(ما آمنت قبلهم من قرية أهلناها أفهم يؤمنون) أي ما صدق قبل مشركي مكة أهل القرى الذين اقترحوا على انبيائهم الآيات، بل كذبوا فأهلكهم الله، أفصدق هؤلاء بالآيات لو رأوها؟ كلا، قال أبو حيان: وهذا استبعاد وانكار أي هؤلاء أعتى من الذين اقترحوا على انبيائهم الآيات، فلما اعطيناهم ما اقترحوا لكانوا اضل من أولئك، واستحقوا عذاب الاستئصال، ولكن الله تعالى حكم بإبقائهم، لعلمه أنه سيخرج منهم مؤمنون⁽¹⁷²¹⁾.

(وَمَا جَعَلْنَا لِبَشَرٍ مِّن قَبْلِكَ الْخُلْدَ أَفَإِن مِّن مَّتِّ فَهُمْ آخِذُونَ ٣٤)

قوله تعالى: (وما جعلنا لبشر من قبلك الخلد) - الآية.
724. وأخرج ابن المنذر عن ابن جريج قال: «لما نعي إلى النبي ﷺ نفسه فقال: «يا رب فمن لأمتي». فنزلت: (وما جعلنا لبشر من قبلك الخلد الآية⁽¹⁷²²⁾)».

[تعليق]

ذكر المؤلف أثراً واحداً هنا وهو مرسل وقد جاء في سبب نزولها كذلك.
إن ناساً قالوا: إن محمداً لا يموت، فنزلت هذه الآية، قاله مقاتل⁽¹⁷²³⁾.
خاطب الله نبيه وحبيبه بأنه كتب عليه الموت كما كتبه على كل الخلق كما قال سبحانه (إنك ميت وإنهم ميتون) فنزلت الآية دفعاً لمن يظن أن محمد ﷺ مخلد في الدنيا وسوف يأتي مزيد بيان لذلك عند الكلام على هذه الآية إن شاء الله تعالى.

[تفسير مختصر للآية]

(وما جعلنا لبشر من قبلك الخلد) أي وما جعلنا لأحد من البشر قبلك يا محمد البقاء الدائم، والخلود في الدنيا. (أفان مت فهم الخالدون) أي فهل إذا مت يا أيها الرسول سيخلدون بعدك في هذه الحياة؟ لا لن يكون لهم ذلك، بل كل إلى الفناء⁽¹⁷²⁴⁾.

(وَإِذَا رَأَكَ الَّذِينَ كَفَرُوا إِنْ يَتَّخِذُونَكَ إِلَّا هُزُوًا أَلَا هَذَا الَّذِي يَذَّكُرُ ءَالِهَتَكُمْ وَهُمْ بِذِكْرِ الرَّحْمَنِ هُمْ كَافِرُونَ ٣٦)

قوله تعالى: (وإذا رآك الذين كفروا إن يتخذونك) - الآية.
725. وأخرج ابن أبي حاتم عن السدي قال: «مر النبي ﷺ على أبي جهل وأبي سفيان وهما يتحدثان، فلما رآه أبو جهل ضحك، وقال لأبي سفيان: هذا نبي بني عبد مناف، فغضب أبو سفيان وقال: أنتكرون أن يكون لبني عبد مناف نبي، فسمعهما النبي ﷺ، فرجع إلى أبي جهل فوقع به وخوفه وقال: «ما أراك منتهياً حتى يصيبك ما أصاب من غير عهد». فنزلت: (وإذا رآك الذين كفروا إن يتخذونك إلا

⁽¹⁷²⁰⁾ تفسير الطبري 15/108 مرسل صحيح الإسناد.

⁽¹⁷²¹⁾ صفوة التقاسير - للصابوني (2/196)

⁽¹⁷²²⁾ مرسل

⁽¹⁷²³⁾ زاد المسير (5/350)

⁽¹⁷²⁴⁾ صفوة التقاسير - للصابوني (2/200)

[تعليق]

ذكر المؤلف رحمه الله هذا الأثر المرسل عن السدي، وهو يدل على جانب من جوانب الكفر والعناد التي كان عليها الكفار لاسيما أبو جهل الذي كان يؤذي النبي ﷺ بأنواع من الأذى منها استهزائه بالنبي ﷺ وما جاء به، فأخبر الله سبحانه عن حال الكفار عموماً وعن أبي جهل خصوصاً والله تعالى أعلم.

[تفسير مختصر للآية]

(وإذا رآك الذين كفروا إن يتخذونك إلا هزواً) أي إذا رآك كفار قريش كأبي جهل وأشياعه، ما يتخذونك إلا مهزواً به، يسخرون منك ويهزءون يقولون: (أهذا الذي يذكر آلهتكم) استفهام فيه انكار وتعجيب أي هذا الذي يسب آلهتكم، ويسفه احلامكم؟ (وهم يذكر الرحمن هم كافرون) أي وهم كافرون بالله، يستهزئون برسول الله يعيبون من جحد إلهية اصنامهم، وهم جاحدون لإلهية الرحمن، وهذا غاية الجهل⁽¹⁷²⁶⁾.

(إِنَّ الَّذِينَ سَبَقَتْ لَهُمْ مِنَّا الْحُسْنَىٰ أُولَٰئِكَ عَنْهَا مُبْعَدُونَ (١٠١))

قوله تعالى: (إن الذين سبقت لهم منا الحسنى) - الآية.

726. وأخرج الحاكم عن ابن عباس قال: « لما نزلت: (إنكم وما تعبدون من دون الله حصب جهنم أنتم لها واردون) قال المشركون: عبد الشمس والقمر والملائكة وعزير، فكل هؤلاء في النار مع آلهتنا، فنزلت: (إن الذين سبقت لهم منا الحسنى أولئك عنها مبعدون) ونزلت: (ولما ضرب ابن مريم مثلاً) إلى (خصمون⁽¹⁷²⁷⁾) ». 727. وأخرج ابن مردويه والضياء في المختارة عن ابن عباس قال: « جاء عبد الله بن الزعبري إلى النبي ﷺ فقال: يا محمد أتزعم أن الله قد أنزل عليك: (إنكم وما تعبدون من دون الله حصب جهنم أنتم لها واردون) قال: « نعم ». قال: عبدت الشمس والقمر والملائكة وعزير، فكل هؤلاء في النار مع آلهتنا، فنزلت: (إن الذين سبقت لهم منا الحسنى أولئك عنها مبعدون) ونزلت: (ولما ضرب ابن مريم مثلاً) إلى (خصمون⁽¹⁷²⁸⁾) ».

[تعليق]

ذكر المؤلف رحمه الله أثرين وهما صحيحان. والعموم في الأثر الأول مخصوص بالأثر الثاني. ففي الأثر الأول "قال المشركون" وفي الثاني بأن القائل هو "ابن الزعبري". وهذه الآثار تدل على أن المعبود الذي يكون حصباً لجهنم يشترك أن يكون عالماً بعبادتهم وراض عنها إن كان من البشر، وقد دلت عدة آيات من القرآن على أن الله تعالى عندما يبعث الخلق يسأل هؤلاء المعبودات عن عبادتهم كما قال تعالى في شأن عيسى ابن مريم (أنئت قلت للناس اتخذوني وأمي إلهين من دون الله) سورة المائدة، وكما قال تعالى في موضع آخر (وَيَوْمَ نَحْشُرُهُمْ جَمِيعًا ثُمَّ نَقُولُ لِلَّذِينَ أَشْرَكُوا مَكَانَكُمْ أَنْتُمْ وَشُرَكَائِكُمْ فَرَلْنَا بَيْنَهُمْ وَوَقَالَ شُرَكَائُهُمْ مَا كُنْتُمْ إِلَّا نَا تَعْبُدُونَ) سورة يونس (28)

[تفسير مختصر للآية]

(إن الذين سبقت لهم منا الحسنى) أي سبقت لهم من الله السعادة (أولئك عنها مبعدون) أي هم عن النار مبعدون، لا يصلون حرها ولا يذوقون عذابها، قال ابن عباس: أولئك أولياء الله، يمرون على الصراط مرا اسرع من البرق، ويبقى الكفار فيها جثياً⁽¹⁷²⁹⁾.

انتهت سورة الأنبياء

سُورَةُ الْحَجِّ

(وَمِنَ النَّاسِ مَن يُجِدِلُ فِي اللَّهِ بِغَيْرِ عِلْمٍ وَيَتَّبِعُ كُلَّ شَيْطَانٍ مَّرِيدٍ (٣))

⁽¹⁷²⁵⁾ تفسير ابن أبي حاتم 8/2452 مرسل.

⁽¹⁷²⁶⁾ صفوة التفسير - للصابوني (200/2)

⁽¹⁷²⁷⁾ مستدرک الحاكم 2/416 ح(3449) وقال: صحيح الإسناد ولم يخرجاه المعجم الكبير 12/153 ح(12739) من طريقين وإسناده صحيح قال أبو عبد الله الحاكم حدثنا أبو

العباس قاسم بن القاسم السيارى حدثنا محمد بن موسى بن حاتم حدثنا علي بن الحسن بن شقيق حدثنا الحسين بن واقد عن يزيد النحوي عن عكرمة عن بن عباس - به

⁽¹⁷²⁸⁾ الذي في المختارة للضياء قال المشركون: بغير ذكر ابن الزعبري ولعله سقط من النسخة أو تصحيف من الناسخ والله أعلم

⁽¹⁷²⁹⁾ صفوة التفسير - للصابوني (209/2)

قوله تعالى: (ومن الناس من يجادل) - الآية.

728. أخرج ابن أبي حاتم عن أبي مالك في قوله: (ومن الناس من يجادل في الله) قال: «نزلت في النضر بن الحارث⁽¹⁷³⁰⁾».

[تعليق]

سورة الحج من السورة التي جمعت بين المكي والمدني. قال الإمام القرطبي وهي مكية، سوى ثلاث آيات: قوله تعالى: (هَذَا نَحْنُ وَنَحْنُ) [الحج: 19] إلى تمام ثلاث آيات، قاله ابن عباس ومجاهد. وعن ابن عباس أيضا "أنهن أربع آيات"، إلى قوله (عَذَابُ الْحَرِيقِ) [الحج: 22] وقال الضحاك وابن عباس أيضا: "هي مدنية" - وقاله قتادة - إلا أربع آيات: (وَمَا أَرْسَلْنَا مِنْ قَبْلِكَ مِنْ رَسُولٍ وَلَا نَبِيٍّ) [الحج: 52] إلى (عَذَابُ يَوْمٍ عَقِيمٍ) [الحج: 55] فهن مكيات. وعد النقاش ما نزل بالمدينة عشر آيات. وقال الجمهور: السورة مختلطة، منها مكي ومنها مدني. وهذا هو الأصح⁽¹⁷³¹⁾.

قلت: هذا الذي رجحه الإمام القرطبي هو الراجح. فذكر قصة الحج لا شك أنها من المدني والذي يقرأ هذه السورة يتبين له أن هذه السورة اشتملت على المكي والمدني والله أعلم. وقد ذكر المؤلف رحمه الله هذا الأثر الوحيد هنا وهو يدل على أن الآية نزلت في النضر بن الحارث، كان كثير الجدل فكان يقول: الملائكة بنات الله، والقرآن أساطير الأولين، ويزعم أن الله غير قادر على إحياء من قد بلي وعاد ترابا⁽¹⁷³²⁾. وكون الآية نزلت في النضر غير أن معناها أعم من ذلك فأخر الله تعالى على أن بعض الناس يجادل في الله يعني في واحدانيته وتفردته بالإلهية والله تعالى أعلم.

[تفسير مختصر للآية]

(ومن الناس من يجادل في الله بغير علم) أي وطائفة من الناس، يخاصم وينازع في قدرة الله وصفاته بغير دليل ولا برهان، ويقول ما لا خير فيه من الأباطيل. (ويتبع كل شيطان مريد) أي يطيع ويقتدي بكل عاتٍ متمرد، كرؤساء الكفر الصادين عن الحق⁽¹⁷³³⁾.

(وَمِنَ النَّاسِ مَن يَعْبُدُ اللَّهَ عَلَىٰ حَرْفٍ فَإِنْ أَصَابَهُ خَيْرٌ اطْمَأَنَّ بِهِ وَإِنْ أَصَابَتْهُ فِتْنَةٌ انْقَلَبَ عَلَىٰ وَجْهِهِ خَسِرَ الدُّنْيَا وَالْآخِرَةَ ذَلِكَ هُوَ الْخُسْرَانُ الْمُبِينُ (١١))

قوله تعالى: (ومن الناس من يعبد الله على حرف) - الآية.

729. أخرج البخاري عن ابن عباس قال: «كان الرجل يقدم المدينة فيسلم، فإن ولدت امرأته غلاما ونتجت خيله قال: هذا دين صالح، وإن لم تلد امرأته ولدا ذكرا ولم تنتج خيله قال: هذا دين سوء، فأنزل الله: (ومن الناس من يعبد الله على حرف) - الآية⁽¹⁷³⁴⁾».

730. وأخرج ابن مردويه من طريق عطية عن ابن مسعود قال: «أسلم رجل من اليهود فذهب بصره وماله وولده فتشاعم بالإسلام، فأتى النبي ﷺ فقال: ألقني فقال: «إن الإسلام لا يقال». فقال: لم أصب من ديني هذا خيرا ذهب بصري ومالي ومات ولدي، فنزلت: (ومن الناس من يعبد الله على حرف⁽¹⁷³⁵⁾) - الآية».

[تعليق]

ذكر المؤلف رحمه الله سببين لنزول هذه الآية. والأول منهما صحيح الإسناد وهما يدلان على أن الآية مدنية، فذكر الله تعالى حال بعض الأعراب الذي لم يدخل الإيمان في قلوبهم بأنهم إن أصابوا الخير من الإسلام اطمأنوا به فإن أصابهم بعض البلاء من ضياع مال أو موت ولد ارتد عن الدين وتركه، فذكرت الآية مبينة وموضحة حال هؤلاء والله تعالى أعلم.

[تفسير مختصر للآية]

(ومن الناس من يعبد الله على حرف) أي ومن الناس من يعبد الله على جانب وطرف من الدين، وهذا تمثيل للمذبذبين الذين لا يعبدون الله عن ثقة ويقين، بل عن قلق واضطراب، كالذي يكون على طرف من الجيش فان احس بظفر أو غنيمة استقر وإلا فر قال الحسن: هو المنافق يعبد بلسانه دون قلبه. (فإن أصابه خير اطمأن به) أي فإن ناله خير في حياته من صحة ورخاء أقام على دينه. (وإن أصابته فتنة انقلب على وجهه) أي وإن ناله شيء بفتنته به من مكروه وبلاء، إرتد فرجع إلى ما كان عليه من الكفر. (خسر الدنيا والآخرة) أي أضاع دنياه وآخرته، فشقي الشقاوة الأبدية.

⁽¹⁷³⁰⁾ تفسير ابن أبي حاتم 8/2474 مرسلا، وأخرج ابن جرير 17/115 عن ابن جريج نحوه بإسناد ضعيف ورجحه
⁽¹⁷³¹⁾ تفسير القرطبي - (1/12)
⁽¹⁷³²⁾ الكشف والبيان عن تفسير القرآن (7/7)
⁽¹⁷³³⁾ صفوة التفاسير - للصابوني (2/213)
⁽¹⁷³⁴⁾ صحيح البخاري 4/1768 ح (4465) الأحاديث المختارة 10/119 ح (118)
⁽¹⁷³⁵⁾ ضعيف الإسناد

(ذلك هو الخسران المبين) أي ذلك هو الخسران الواضح الذي لا خسران مثله⁽¹⁷³⁶⁾.

(هَذَانِ خَصْمَانِ اخْتَصَمُوا فِي رَبِّهِمْ فَالَّذِينَ كَفَرُوا قُطِّعَتْ لَهُمْ ثِيَابٌ
مِّنْ نَّارٍ يُصَبُّ مِنْ فَوْقِ رُءُوسِهِمُ الْحَمِيمُ (١٩)

قوله تعالى: (هذان خصمان) - الآية.

731. أخرج الشيخان وغيرهما عن أبي ذر قال: « نزلت هذه الآية: (هذان خصمان اختصموا في ربهم) في حمزة وعبيدة وعلي بن أبي طالب وعتبة وشيبة والوليد بن عتبة⁽¹⁷³⁷⁾ ».
732. وأخرج الحاكم عن علي قال: « فينا نزلت هذه الآية في مبارزتنا يوم بدر: (هذان خصمان اختصموا في ربهم) - إلى قوله: (الحريق⁽¹⁷³⁸⁾) ».
733. وأخرج من وجه آخر عنه قال: « نزلت في الذين بارزوا يوم بدر حمزة وعلي وعبيدة بن الحارث وعتبة بن ربيعة وشيبة بن ربيعة والوليد بن عتبة⁽¹⁷³⁹⁾ ».
734. وأخرج ابن جرير من طريق العوفي عن ابن عباس: « أنها نزلت في أهل الكتاب، قالوا للمؤمنين: نحن أولى بالله منكم واقدم كتاباً ونبينا قبل نبيكم، فقال: المؤمنون نحن أحق بالله آمنا بمحمد ونبيكم وبما أنزل الله من كتاب⁽¹⁷⁴⁰⁾ » .
735. وأخرج ابن أبي حاتم عن قتادة مثله⁽¹⁷⁴¹⁾.

[تعليق]

ذكر المؤلف رحمه الله عدداً من الآثار في سبب نزول هذه الآية. وهي مشتملة على سببين للنزول. الأول منهما روى في الصحيح وهو في مبارزة علي وحمزة وعبيدة بن الحارث لعتبة وشيبة ابني ربيعة والوليد بن عتبة. وقد روى هذه القصة غير واحد من أهل السير في غزوة بدر الكبرى وأنا أكتفي بذكر بعضها قال الإمام ابن كثير: قال الاموي: فحمت عند ذلك عتبة بن ربيعة، وأراد أن يظهر شجاعته، فبرز بين أخيه شيبة وابنه الوليد، فلما توسطوا بين الصفيين دعوا إلى البراز، فخرج إليهم فتيه من الانصار ثلاثة، وهم عوف ومعاذ ابنا الحارث وأمهما غفراء، والثالث عبدالله بن رواحة فيما قيل، فقالوا: من أنتم؟ قالوا رهط من الانصار.

فقالوا: ما لنا بكم حاجة.

وفي رواية فقالوا: أكفاء كرام، ولكن أخرجوا إلينا من بني عمنا، ونادى مناديتهم: يا محمد أخرج إلينا أكفاءنا من قومنا.

فقال النبي ﷺ: " قم يا عبيدة بن الحارث، وقم يا حمزة، وقم يا علي " .

وعند الاموي أن نفر من الانصار لما خرجوا كره ذلك رسول الله ﷺ، لانه أول موقف واجه فيه رسول الله ﷺ أعداءه، فأحب أن يكون أولئك من عشيرته، فأمرهم بالرجوع وأمر أولئك الثلاثة بالخروج.

قال ابن إسحاق: فلما دنوا منهم قالوا: من أنتم؟ وفي هذا دليل أنهم كانوا ملبسين لا يعرفون من السلاح، فقال عبيدة: عبيدة.

وقال حمزة: حمزة.

وقال علي: علي.

قالوا: نعم، أكفاء كرام.

فبارز عبيدة، وكان أسن القوم، وعتبة، وبارز حمزة شيبة، وبارز علي الوليد بن عتبة.

فأما حمزة فلم يمهل شيبة أن قتله، وأما علي فلم يمهل الوليد أن قتله، وأختلف عبيدة وعتبة بينهما بضربتين، كلاهما أثبت صاحبه، وكر حمزة وعلي بأسيا فهما على عتبة فذفقا عليه، واحتملا صاحبهما فحازاه إلى أصحابهما رضى الله عنه⁽¹⁷⁴²⁾.

والسبب الثاني الذي ذكره المؤلف: أنها نزلت في أهل الكتاب حيث ادعوا أنهم أولى بالله من المسلمين وقال المسلمون نحن أولى بالله منكم، وهذا شبيه بقوله تعالى (ليس بأمانيتكم ولا أمني أهل الكتاب) سورة النساء.

وقد ذكر أهل التفسير سببين آخرين في أسباب نزول هذه الآية.

قال الإمام الطبري: وقال مجاهد وعطاء ابن أبي رباح وعاصم بن أبي النجود والكلبي: هم المؤمنون والكافرون كلهم من أي ملة كانوا⁽¹⁷⁴³⁾.

وأخرج الإمام الطبري: عن عكرمة في (هَذَانِ خَصْمَانِ اخْتَصَمُوا فِي رَبِّهِمْ) قال: هما الجنة والنار اختصمتا، فقالت

⁽¹⁷³⁶⁾ صفوة التفسير - للصابوني (2/ 214)

⁽¹⁷³⁷⁾ صحيح البخاري 4/1459 ح (3748) صحيح مسلم 4/2323 ح (3033) سنن ابن ماجه 2/946 ح (2835) المستدرک 2/419 ح (3455) سنن النسائي الكبرى 5/47 ح (8154) سنن البيهقي الكبرى 3/376 ح (5911) المعجم الكبير 149 ج : 3 ح (2954) مسند الطيالسي 65 ح (481)

⁽¹⁷³⁸⁾ المستدرک على الصحيحين 2/418 ح (3454) قلت: ورد في الصحيح عن علي نحوه

⁽¹⁷³⁹⁾ صحيح البخاري 4/1458 ح (3747) سنن النسائي الكبرى 5/195 ح (8650)

⁽¹⁷⁴⁰⁾ تفسير الطبري 17/132 بإسناد ضعيف

⁽¹⁷⁴¹⁾ تفسير ابن أبي حاتم 8/3480 مرسل.

⁽¹⁷⁴²⁾ السيرة النبوية لابن كثير (2/ 414) المؤلف: الامام أبي الفداء اسماعيل بن كثير 701 747 هـ تحقيق: مصطفى عبد الواحد 1396 هـ 1971 م الناشر: دار المعرفة

للطبعة والنشر والتوزيع - بيروت - لبنان عدد الأجزاء: 4

⁽¹⁷⁴³⁾ الكشف والبيان عن تفسير القرآن (7/ 13)

النار: خلقتني الله لعقوبته وقالت الجنة: خلقتني الله لرحمته، (1744).

قلت: رجح الإمام ابن جرير كون الآية عامة في أهل الكفر وأهل الإيمان. وهو ترجيح صحيح لقوله تعالى بعد ذلك (فالذين كفروا قطعت لهم ثياب من نار) فالترجيح هنا بالسباق، على أن ذلك لا يمنع أن يكون سبب النزول في مبارزة الصحابة للكفار في وقعة بدر فهم كذلك مختصمون والله تعالى أعلم.

[تفسير مختصر للآية]

(هذان خصمان) أي هذان فريقان مختصمان فريق المؤمنين المتقين، وفريق الكفرة المجرمين. (اختصموا في ربهم) أي اختلفوا وتنازعا من أجل الله ودينه، فالمؤمنون يريدون نصرة دين الله، والكافرون يريدون إطفاء نور الله (1745).

(إِنَّ الَّذِينَ كَفَرُوا وَيَصُدُّونَ عَن سَبِيلِ اللَّهِ وَالْمَسْجِدِ الْحَرَامِ الَّذِي جَعَلْنَاهُ لِلنَّاسِ سَوَاءً الْعَكْفِ فِيهِ وَالْبَادِ وَمَنْ يُرِدْ فِيهِ بِالْحَادِ بِظُلْمٍ نُّذِقْهُ مِنْ عَذَابِ أَلِيمٍ ٢٥)

قوله تعالى: (ومن يرد فيه بالحاد) - الآية.

736. أخرج ابن أبي حاتم عن ابن عباس قال: «بعث النبي ﷺ عبد الله بن أنيس مع رجلين أحدهما مهاجر والآخر من الأنصار، فافتخروا في الأنساب، فغضب عبد الله بن أنيس فقتل الأنصاري ثم ارتد عن الإسلام وهرب إلى مكة، فنزلت فيه: (ومن يرد فيه بالحاد بظلم) - الآية (1746)».

[تعليق]

ذكر المؤلف رحمه الله أثراً واحداً ضعيف الإسناد في سبب نزول هذه الآية. وقد روى القاضي ابن العربي المالكي قال: روياًها نزلت حين خرج النبي ﷺ في غزوة الحديبية عام ست، فصدته المشركون عن دخول البيت، ومنعوه، ففاضهم على العام المستقبل، وقضى عمرته في مكانه، ونحر هديه، وحلق رأسه، ورجع إلى المدينة (1747). قلت: معنى الآية عام في كل من صد عن سبيل الله والمسجد الحرام فسواء في الذين صدوا النبي ﷺ وهذا أظهر لسباق الآيات، أو في غيرهم والله أعلم.

[تفسير مختصر للآية]

(إن الذين كفروا ويصدون عن سبيل الله والمسجد الحرام) أي جحدوا بما جاء به محمد ﷺ، ويمنعون المؤمنين عن إتيان المسجد الحرام لأداء المناسك فيه، وأما قال: (ويصدون) بصيغة المضارع ليدل على الاستمرار فكان المعنى: إن الذين كفروا من شأنهم الصد عن سبيل الله، ونظيره قوله: [الذين آمنوا وتطمئن قلوبهم بذكر الله]. (الذي جعلناه للناس سواء العاكف فيه والباد) أي الذي جعلناه منسكاً ومتعبداً للناس جميعاً سواء فيه المقيم الحاضر، والذي يأتيه من خارج البلاد. (ومن يرد فيه بالحاد بظلم) أي ومن يرد فيه سوءاً أو ميلاً عن القصد، أو يهيم فيه بمعصية (1748). (نذقه من عذاب أليم) أي نذقه أشد أنواع العذاب الموجه، قال ابن مسعود: لو أن رجلاً بعدنهم بأن يعمل سيئة عند البيت أذاقه الله عذاباً أليماً، وقال مجاهد: تضاعف السيئات فيه كما تضاعف فيه الحسنات.

(وَأَذِّنْ فِي النَّاسِ بِالْحَجِّ يَأْتُوكَ رِجَالًا وَعَلَىٰ كُلِّ ضَامِرٍ يَأْتِينَ مِنْ كُلِّ فَجٍّ عَمِيقٍ ٢٧)

قوله تعالى: (وعلى كل ضامر) - الآية.

737. أخرج ابن جرير عن مجاهد قال: كانوا لا يركبون، فأنزل الله: (يأتوك رجالاً وعلى كل ضامر) فأمرهم بالزاد ورخص لهم في الركوب والمتجر (1749)».

[تعليق]

ذكر المؤلف أثراً مرسلأ عن مجاهد في سبب نزول هذه الآية، ولم يذكر هذا السبب أكثر أهل التفسير.

(1744) جامع البيان (تفسير الطبري) (18/ 590)

(1745) صفوة التفسير - للصابوني (2/ 216)

(1746) تفسير ابن أبي حاتم 8/3484 وإسناده فيه ابن لهيعة يضعف في الحديث

(1747) أحكام القرآن لابن العربي (3/ 275)

(1748) صفوة التفسير - للصابوني (2/ 217)

(1749) تفسير الطبري 17/164 مرسل ضعيف

قال الإمام الثعلبي: وَأَذَّنُ يعني وعهدنا إلى إبراهيم أيضا أن أذن أي أعلم وناد في الناس بِالْحَجِّ. فقال إبراهيم: يا رب وما يبلغ صوتي؟ فقال: عليك الأذان وعليّ البلاغ، فقام إبراهيم على المقام وقيل: على جبل أبي قبيس ونادى: يا أيها الناس ألا إن ربكم قد بنى بيتا فحجّوه، فأسمع الله ذلك من في أصلاب الرجال وأرحام النساء، وما بين المشرق والمغرب والبر والبحر ممن سبق في علم الله سبحانه أن يحجّ إلى يوم القيامة، فأجابه: لبيك اللهم لبيك⁽¹⁷⁵⁰⁾.

[تفسير مختصر للآية]

(وأذن في الناس بالحج) أي وناد في الناس داعيا لهم لحج بيت الله العتيق. (يأتوك رجالا وعلى كل ضامر) أي يأتوك مشاة على أقدامهم أو ركبانا على كل جمل هزيل، قد أتعبه وأنهكه بعد المسافة. (يأتين من كل فج عميق) أي تأتي الإبل الضامرة من كل طريق بعيد، قال القرطبي: ورد الضمير إلى الإبل [يأتين] تكريمة لها لقصدتها الحج مع أربابها، كما قال تعالى: [والعاديات ضبا] في خيل الجهاد، تكريمة لها حين سعت في سبيل الله⁽¹⁷⁵¹⁾.

(لَنْ يَنَالَ اللَّهُ لُحُومَهَا وَلَا دِمَاؤَهَا وَلَكِنَّ يَنَالُهُ التَّقْوَىٰ مِنْكُمْ كَذَلِكَ سَخَّرَهَا لَكُمْ لِتُكَبِّرُوا اللَّهَ عَلَىٰ مَا هَدَيْتُمْ وَبَشِّرِ الْمُحْسِنِينَ ٣٧)

قوله تعالى: (لن ينال الله لحومها) - الآية.

738. أخرج ابن أبي حاتم عن ابن جريج قال: «كان أهل الجاهلية يضمخون⁽¹⁷⁵²⁾ البيت بلحوم الإبل ودمانها، فقال أصحاب النبي □ : فنحن أحق أن نضمخ، فأنزل الله: (لن ينال الله لحومها) - الآية⁽¹⁷⁵³⁾».

[تعليق]

ذكر المؤلف أثراً واحداً مرسل الإسناد. وفيه أن المسلمين أرادوا أن يفعلوا مثل ما كان يفعل المشركون ظناً منهم أن ذلك قربة إلى الله، فأخبرهم الله أن القربي إليه هي التقوى، فالله لا تنفعه طاعة ولا تضره معصية.

[تفسير مختصر للآية]

(لن ينال الله لحومها ولا دماؤها) أي لن يصل إليه شيء من لحومها ولا دمانها (ولكن يناله التقوى منكم) أي ولكن يصل إليه التقوى منكم، بامتثالكم أو امره وطلبكم رضوانه (كذلك سخرها لكم لتكبروا الله على ما هداكم) [كرره للتأكيد أي كذلك دللها لكم وجعلها منقادة لرغبتكم، لتكبروا الله على ما أرشدكم إليه من أحكام دينه (وبشر المحسنين) أي بشر المحسنين في أعمالهم، بالسعادة التامة، والفوز العظيم بدار النعيم⁽¹⁷⁵⁴⁾.

(أَذِّنْ لِلَّذِينَ يُقْتَلُونَ بِأَنَّهُمْ ظَلَمُوا وَإِنَّ اللَّهَ عَلَىٰ نَصْرِهِمْ لَقَدِيرٌ ٣٩)

قوله تعالى: (أذن للذين يقاتلون) - الآية.

739. أخرج أحمد والترمذي وحسنه والحاكم وصححه عن ابن عباس قال: «لما خرج النبي □ من مكة فقال أبو بكر: أخرجوا نبيهم ليهلكن فأنزل الله: (أذن للذين يقاتلون بأنهم ظلموا وإن الله على نصرهم لقدير⁽¹⁷⁵⁵⁾)».

[تعليق]

ذكر المؤلف أثراً واحداً في سبب نزول هذه الآية وهو أثر صحيح الإسناد، وقد روى كذلك سبب آخر. قال الإمام الواحدي قال المفسرون: كان مشركوا أهل مكة يؤذون أصحاب رسول الله □ فلا يزالون يجيئون من مضروب ومشجوج، فشكوه إلى رسول الله □، فيقول لهم: اصبروا فإنني لم أؤمر بالقتال حتى هاجر رسول الله □، فأنزل الله تعالى هذه الآية⁽¹⁷⁵⁶⁾.

فهذه الآية كما قال العلماء هو أول آية في الأذن بالقتال وهي ناسخة للآيات التي فيها الصبر على أذى المشركين.

[تفسير مختصر للآية]

⁽¹⁷⁵⁰⁾الكشف والبيان عن تفسير القرآن (18/7)

⁽¹⁷⁵¹⁾صفوة التفاسير - للصابوني (218/2)

⁽¹⁷⁵²⁾ضمخ جسده وغيره بالطيب وغيره ضمخا لطفه به المعجم الوسيط (543/1)

⁽¹⁷⁵³⁾تفسير ابن أبي حاتم 8/3495 مرسل.

⁽¹⁷⁵⁴⁾صفوة التفاسير - للصابوني (219/2)

⁽¹⁷⁵⁵⁾تفسير الطبري 17/172 المستدرک 2/296 ح(2968) صحيح ابن حبان ج8: 11 ح(4710) سنن الترمذي 5/325 ح(3171) سنن البيهقي الكبرى 9/10

ح(17518) سنن النسائي الكبرى 3/3 ح(4292) المعجم الكبير 12/16 ح(12336) مسند أحمد 216 ج: 1 ح(1865)

⁽¹⁷⁵⁶⁾أسباب النزول للواحدي (208)

(أذن للذين يقاتلون بأنهم ظلموا) في الآية محذوف تقديره: أذن لهم في القتال بسبب أنهم ظلموا. (وإن الله على نصرهم لقدير) أي هو تعالى قادر على نصر عباده من غير قتال ولكنه يريد منهم أن يبذلوا جهدهم في طاعته لينالوا أجر الشهداء⁽¹⁷⁵⁷⁾.

(وَمَا أَرْسَلْنَا مِنْ قَبْلِكَ مِنْ رَسُولٍ وَلَا نَبِيٍّ إِلَّا إِذَا تَمَنَّى أَلْقَى الشَّيْطَانُ فِي أُمْنِيَّتِهِ فَيَنسَخُ اللَّهُ مَا يُلْقِي الشَّيْطَانُ ثُمَّ يُحْكِمُ اللَّهُ آيَاتِهِ وَاللَّهُ عَلِيمٌ حَكِيمٌ ٥٢)

قوله تعالى: (وما أرسلنا)- الآية.

740. أخرج ابن أبي حاتم وابن جرير وابن المنذر من طريق بسند صحيح عن سعيد بن جبير قال: «قرأ النبي □ بمكة: (والنجم) فلما بلغ: (أفرايم اللات والعزى ومناة الثالثة الأخرى) ألقى الشيطان على لسانه: تلك الغرائيق العلاء وإن شفاعتهن لترتجى، فقال: المشركون ما ذكر ألهتنا بخير قبل اليوم، فسجد وسجدوا، فنزلت: (وما أرسلنا من قبلك من رسول ولا نبي)- الآية⁽¹⁷⁵⁸⁾».

741. وأخرجه البزار وابن مردويه من وجه آخر عن سعيد بن جبير عن ابن عباس فيما أحسبه وقال: لا يروى متصلاً إلا بهذا الإسناد⁽¹⁷⁵⁹⁾ وتفرد بوصله أمية بن خالد وهو ثقة مشهور.

742. وأخرجه النحاس عن ابن عباس بسند فيه الواقدي وابن مردويه من طريق الكلبي عن أبي صالح عن ابن عباس، وابن جرير من طريق العوفي عن ابن عباس⁽¹⁷⁶⁰⁾، وأورده ابن إسحاق في السيرة عن محمد بن كعب وموسى بن عقبة في المغازي عن ابن شهاب، وابن جرير عن محمد بن كعب محمد بن قيس وابن أبي حاتم عن السدي كلهم بمعنى واحد، وكلها إما ضعيفة أو منقطعة سوى طريق سعيد بن جبير الأولى: قال الحافظ ابن حجر: لكن كثرة الطرق تدل على أن للقصة أصلاً مع أن لها طريقين صحيحين مرسلين أخرجهما ابن جرير أحدهما من طريق الزهري عن أبي بكر بن عبد الرحمن بن الحارث بن هشام والآخر من طريق داود بن هند عن أبي العالية⁽¹⁷⁶¹⁾، ولا عبرة يقول ابن العربي وعياض: أن هذه الروايات باطلة لا أصل لها انتهى.

[تعليق]

ذكر المؤلف رحمه الله عدة آثار في سبب نزول هذه الآية، وهي آثار مشهورة في كتب التفسير والسيرة، ومع شهرتها فإن أكثر أهل العلم يضعفونها، ولا أرى وجهاً لتضعيف هذه الآثار، فإن بعضها يشهد لبعض، وهو كذلك موافق لمعنى الآية فكون الشيطان يلقي على لسان النبي □ شيئاً كما جاء في الرواية أنها ألقى على لسانه " تلك الغرائيق العلاء وإن شفاعتهن لترتجى " والغرائيق المراد بها الأصنام التي كان المشركون يعبدونها. فألقى الشيطان على لسان النبي □ ذلك لتكون فتنة لكفار قريش، ثم بعد ذلك أبطل الله تعالى ما قال الشيطان وأحكم آياته، فلا أرى في رد الآية غير التعليل العقلي وقد جاء في تفسير الآية غير ذلك على ما أذكره في التفسير المختصر والله تعالى أعلم.

[تفسير مختصر للآية]

(وما أرسلنا من قبلك من رسول ولا نبي) أي وما أرسلنا قبلك يا أيها الرسول رسولا ولا نبيا (إلا إذا تمنى) أي إذا أحب شيئاً وهويته نفسه.

(ألقى الشيطان في أمنيته) أي ألقى الشيطان فيما يشتهي ويتمناه بعض الوسواس التي توجب اشتغاله بالدنيا، كما قال عليه السلام (إنه ليغان على قلبي فأستغفر الله في اليوم سبعين مرة)، قال الفراء: تمنى إذا حدث نفسه وفي البخاري: قال ابن عباس: (إلا إذا تمنى ألقى الشيطان في أمنيته) إلا إذا حدث ألقى الشيطان في حديثه، فيبطل الله ما يلقي الشيطان ويحكم الله آياته، ويقال: أمنيته: قراءته، قال النحاس: وهذا من أحسن ما قيل في الآية وأجله، ومعنى الآية: وما أرسلنا رسولا ولا نبيا فحدث نفسه بشيء، وتمنى لأتمته الهداية والإيمان، إلا ألقى الشيطان الوسواس والعقبات في طريقه، بتزيين الكفر لقومه وإلقائه في نفوسهم مخالفة لأمر الرسول، وكان الآية تسلياً للرسول □ تقول له: لا تحزن يا محمد على معاداة قومك لك فهذه سنة المرسلين هذا أصح ما قيل في تفسير الآية وهو اختيار المحققين من المفسرين.

(فينسخ الله ما يلقي الشيطان) أي يزيل ويبطل الله ما يلقيه الشيطان من الوسواس والأوهام (ثم يحكم الله آياته) أي يثبت في نفس الرسول □ آياته الدالة على الوحدانية والرسالة.

(والله عليم حكيم) أي مبالغ في العلم، حكيم يضع الأشياء في مواضعها، قال أبو السعود: وفي الآية دلالة على جواز السهو من الأنبياء عليهم السلام، وتطرق الوسوسة إليهم⁽¹⁷⁶²⁾.

⁽¹⁷⁵⁷⁾صفوة التفسير - للصابوني (2/ 220)

⁽¹⁷⁵⁸⁾تفسير الطبري 17/188 وإسناده صحيح لكنه مرسل

⁽¹⁷⁵⁹⁾المختارة 10/89 ح(84) المعجم الكبير 12/53 ح(12450)

⁽¹⁷⁶⁰⁾تفسير الطبري 17/189 ضعيف

⁽¹⁷⁶¹⁾تفسير الطبري 17/188 مرسل صحيح الإسناد.

⁽¹⁷⁶²⁾صفوة التفسير - للصابوني (2/ 223)

(ذَلِكَ وَمَنْ عَاقَبَ بِمِثْلِ مَا عُوقِبَ بِهِ ثُمَّ بُغِيَ عَلَيْهِ لَيَنْصُرَنَّهُ اللَّهُ إِنَّ اللَّهَ لَعَفُوفٌ غَفُورٌ ٦٠)

قوله تعالى: (ومن عاقب بمثل ما عوقب به) - الآية.

743. أخرج ابن أبي حاتم عن مقاتل: «أنها نزلت في سرية بعثها النبي ﷺ، فلقوا المشركين لليلتين بقيتا من المحرم، فقال المشركون بعضهم لبعض: قاتلوا أصحاب محمد فإنهم يحرمون القتال في الشهر الحرام، فناشدهم الصحابة وذكرهم بالله أن لا يتعرضوا لقتالهم فإنهم لا يستحلون القتال في الشهر الحرام، فأبى المشركون ذلك وقاتلوهم وبغوا عليهم، فقاتلهم المسلمون ونصروا عليهم، فنزلت هذه الآية⁽¹⁷⁶³⁾».

[تعليق]

ذكر المؤلف أثراً واحداً في سبب نزول هذه الآية وحكما عام وفيه جواز المعاقبة بالمثل، وقد جاء ذلك في عدة آيات من القرآن الكريم كقوله تعالى (وَلَمَنْ أَنْتَصَرَ بَعْدَ ظُلْمِهِ فَأُولَئِكَ مَا عَلَيْهِمْ مِّنْ سَبِيلٍ (41) إِنَّمَا السَّبِيلُ عَلَى الَّذِينَ يَظْلِمُونَ النَّاسَ وَيَبْغُونَ فِي الْأَرْضِ بِغَيْرِ الْحَقِّ أُولَئِكَ لَهُمْ عَذَابٌ أَلِيمٌ (42) وَلَمَنْ صَبَرَ وَغَفَرَ إِنَّ ذَلِكَ لَمِنْ عَزْمِ الْأُمُورِ (43)) سورة الشورى.

[تفسير مختصر للآية]

(ذلك ومن عاقب بمثل ما عوقب به) أي من جازى الظالم بمثل ما ظلمه .
(ثم بغى عليه لينصرنه الله) أي ثم اعتدى الظالم عليه ثانياً، لينصرن الله ذلك المظلوم .
(إن الله لعفو غفور) أي مبالغ في العفو والغفران، وفيه تعريض بالحث على العفو والصفح، فإنه تعالى مع كمال قدرته على الإنتقام يعفو ويغفر، فغيره أولى بذلك⁽¹⁷⁶⁴⁾.

انتهت سورة الحج

سُورَةُ الْمُؤْمِنُونَ

(الَّذِينَ هُمْ فِي صَلَاتِهِمْ خَاشِعُونَ ٢)

قوله تعالى: (الذين هم في صلاتهم خاشعون) - الآية.

744. أخرج الحاكم عن أبي هريرة: «أن رسول الله ﷺ كان إذا صلى رفع بصره إلى السماء، فنزلت: (الذين هم في صلاتهم خاشعون) فطأطأ رأسه⁽¹⁷⁶⁵⁾».

745. وأخرجه ابن مردويه بلفظ: «كان يلتفت في الصلاة».

746. وأخرجه سعيد بن منصور عن ابن سيرين مرسل بلفظ: «كان يقلب بصره فنزلت».

747. وأخرج ابن أبي حاتم عن ابن سيرين مرسل: «كان الصحابة يرفعون أبصارهم إلى السماء في الصلاة، فنزلت⁽¹⁷⁶⁶⁾».

[تعليق]

سورة المؤمنون من السور المكية، وقد تعرضت للأمور التي تعرضت لها السورة المكية بالإضافة إلى ذكر بعض قصص الأنبياء.

وقد روى الإمام الترمذي عمر بن الخطاب يقول: «كان إذا نزل على رسول الله ﷺ الوحي، يسمع عند وجهه كدوي النحل فمكثنا ساعة، فاستقبل القبلة ورفع يديه، فقال: "اللهم، زدنا ولا تنقصنا، وأكرمنا ولا تُهنا، وأعطنا ولا تحرمنا، وآثرنا ولا تؤثر علينا، وارض عنا، وأرضنا"، ثم قال: "لقد أنزلت علي عشر آيات، من أقامهن دخل الجنة"، ثم قرأ: (قَدْ أَفْلَحَ الْمُؤْمِنُونَ) حتى ختم العشر⁽¹⁷⁶⁷⁾».

⁽¹⁷⁶³⁾ تفسير ابن أبي حاتم 8/2503 مرسل.

⁽¹⁷⁶⁴⁾ صفوة التفسير - للصابوني (2/ 224)

⁽¹⁷⁶⁵⁾ مستدرک الحاكم 2/426 ح (3483) وقال: صحيح على شرط الشيخين لولا اختلاف فيه على محمد فقد قيل عنه مرسل ومحمد هو ابن سيرين قلت: المرسل أخرجه

الطبري 18/2 وسنده صحيح، سنن البيهقي الكبرى 2/ 283 ح (3354) قال: والمرسل هو الصحيح قلت: وهو الراجح لأن رجال المرسل أشهر وأكثر

⁽¹⁷⁶⁶⁾ تفسير الطبري 12/2 مرسل وفي إسناده ضعف

⁽¹⁷⁶⁷⁾ سنن الترمذي ت شاكر (5/ 326)

قلت: ذكر الإمام ابن العربي هذه الحديث في أسباب النزول، فعليه يكون نزول دعاء النبي □ سبب لنزول الآية والله أعلم.

وقد ذكر المؤلف رحمه الله سببين آخرين.

الأول: أنها نزلت في رفع النبي □ بصره إلى السماء والتفاتة.

الثاني: أنها نزلت في التفات الصحابة.

وقد تقدم في سورة البقرة في سبب نزول قوله تعالى (وقوموا لله قانتين) حديث زيد بن أرقم: كنا نتكلم في الصلاة، يكلم الرجل صاحبه إلى جنبه حتى نزلت: (وَقُومُوا لِلَّهِ قَانِتِينَ) [البقرة: 238] فأمرنا بالسكوت ونهينا عن الكلام. لكن هذه الآية مدنية، والآية التي معنا مكية فالظاهر أن الآية المكية نزلت لبيان الاستحباب ثم نزلت الآية الأخرى لبيان الوجوب أي وجوب السكون وتحريم الكلام ونحوه في الصلاة، والله تعالى أعلم.

[تفسير مختصر للآية]

(الذين هم في صلاتهم خاشعون) قال ابن عباس: [خاشعون] أي خائفون ساكنون أي هم خائفون متذللون في صلاتهم لجلال الله وعظمته، لاستيلاء الهيبة على قلوبهم⁽¹⁷⁶⁸⁾.

(ثُمَّ خَلَقْنَا النَّطْفَةَ عَلَقَةً فَخَلَقْنَا الْعَلَقَةَ مُضْغَةً فَخَلَقْنَا الْمُضْغَةَ عِظْمًا فَكَسَوْنَا الْعِظْمَ لَحْمًا ثُمَّ أَنْشَأْنَاهُ خَلْقًا آخَرَ فَنَبَّأَكَ اللَّهُ أَحْسَنَ الْخَلْقِينَ (١٤))

قوله تعالى: (ثم خلقنا النطفة علقة) - الآية.

748. وأخرج ابن أبي حاتم عن عمر قال: «وافقت ربي في أربع، نزلت: (ولقد خلقنا الإنسان من سلالة من طين) - الآية فلما نزلت قلت أنا: فتبارك الله أحسن الخالقين⁽¹⁷⁶⁹⁾».

[تعليق]

ذكر المؤلف رحمه الله أثراً واحداً في سبب نزول هذه الآية، وفي فضيلة لعمر بن الخطاب.

قال الإمام والواحدي عن أنس بن مالك قال: قال عمر بن الخطاب رضى الله عنه: وافقت ربي في أربع: قلت: يا رسول الله لو صلينا خلف المقام، فأنزل الله تعالى - (واتخذوا من مقام إبراهيم مصلى) - وقلت: يا رسول الله لو اتخذت على نسائك حجاباً فإنه يدخل عليك البر والفاجر، فأنزل الله تعالى - (وإذا سألتهم عن متاعاً فسألوهن من وراء حجاب) - وقلت لأزواج النبي □: لتنتهن أو لبيدنه الله سبحانه أزواجاً خيراً منكن، فأنزل الله تعالى - (عسى ربه إن طلقكن أن يبدله أزواجاً خيراً منكن) - الآية، ونزلت - (ولقد خلقنا الإنسان من سلالة من طين) - إلى قوله تعالى - (ثم أنشأناه خلقاً آخر) - فقلت - فتبارك الله أحسن الخالقين⁽¹⁷⁷⁰⁾.

قلت: وهذا الحديث أصله في الصحيح بلفظ "وافقت ربي في ثلاث" وليس فيه ذكر سبب نزول قوله تعالى: (فتبارك الله أحسن الخالقين).

[تفسير مختصر للآية]

(فتبارك الله أحسن الخالقين) أي فتعالى الله في قدرته وحكمته، أحسن الصانعين صنعا⁽¹⁷⁷¹⁾.

(مُسْتَكْبِرِينَ بِهٖ سَمِرًا تَهْجُرُونَ (٦٧))

قوله تعالى: (مستكبرين به سامراً) - الآية.

749. وأخرج ابن أبي حاتم عن سعيد بن جبیر قال: «كانت قريش تسمر حول البيت ولا تطوف به ويفتخرون به، فأنزل الله: (مستكبرين به سامراً تهجرون)⁽¹⁷⁷²⁾».

[تعليق]

ذكر المؤلف أثراً واحداً هنا، وهو مرسل وهو يدل على أن قريشاً كانت تعظم البيت دون رب البيت، ويدل على ذلك سياق الآيات.

وأصل السمر هو الحديث والسهر بعد العشاء. قال الإمام ابن العربي

عن ابن عباس قال: إنما كره السمر حين نزلت هذه الآية (مُسْتَكْبِرِينَ بِهٖ سَمِرًا تَهْجُرُونَ)⁽¹⁷⁷³⁾.

⁽¹⁷⁶⁸⁾صفوة التفسير - للصابوني (2/ 229)

⁽¹⁷⁶⁹⁾وفي إسناده علي بن زيد بن جدعان ضعيف

⁽¹⁷⁷⁰⁾أسباب النزول للواحدي (210)

⁽¹⁷⁷¹⁾صفوة التفسير - للصابوني (2/ 230)

⁽¹⁷⁷²⁾مرسل ساقط من النسخة.

⁽¹⁷⁷³⁾أحكام القرآن لابن العربي (3/ 326)

أما السمر في الخير وطلب العلم فهو جائز لما رواه الإمام الترمذي وغيره،
عن عمر بن الخطاب قال: «كان رسول الله صلى الله عليه وسلم يسمر مع أبي بكر في الأمر من أمر المسلمين وأنا معهما»¹⁷⁷⁴.

[تفسير مختصر للآية]

(مستكبرين به) أي مستكبرين بسبب القرآن عن الإيمان، قال ابن كثير: الضمير للقرآن كانوا يسامرون ويذكرون القرآن بالهجر من الكلام، يقولون: إنه سحر، شعر، كهانة، إلى غير ذلك من الأقوال الباطلة وقال ابن الجوزي: الضمير عائد إلى البيت الحرام وهي كناية عن غير مذكور لشهرة الأمر، والمعنى: إنكم تستكبرون وتفتخرون بالبيت والحرم لأمنكم فيه، مع خوف سائر الناس في مواطنهم، تقولون: نحن أهل الحرم فلا نخاف أحداً، ونحن أهل بيت الله وولاته، هذا مذهب ابن عباس وغيره.
(سامرا تهجرون) أي متحدئين ليلاً تسمرون، تقولون في سمركم الهجر يعني القول الفاحش، من الطعن في القرآن، وسب النبي عليه السلام¹⁷⁷⁵.

(وَلَقَدْ أَخَذْنَاهُم بِالْعَذَابِ فَمَا اسْتَكَانُوا لِربِّهِمْ وَمَا يَتَضَرَّعُونَ ٧٦)

قوله تعالى: (ولقد أخذناهم بالعذاب) - الآية.

750. وأخرج النسائي والحاكم عن ابن عباس قال: « جاء أبو سفيان إلى النبي ﷺ فقال: يا محمد أشدك بالله والرحم، قد أكلنا العلهز - يعني الوبر والدم - فأنزل الله (ولقد أخذناهم بالعذاب فما استكانوا لربهم وما يتضرعون¹⁷⁷⁶) ».

751. وأخرج البيهقي في الدلائل بلفظ: « أن ابن أثال الحنفي لما أتى به النبي ﷺ وهو أسير خلى سبيله وأسلم، فلحق بمكة ثم رجع فحال بين أهل مكة وبين الميرة من اليمامة، حتى أكلت قريش العلهز، فجاء أبو سفيان إلى النبي ﷺ فقال: ألسنت تزعم أنك بعثت رحمة للعالمين؟ » قال: بلى. قال: فقد قتلت الأباء بالسيف والأبناء بالجوع فنزلت¹⁷⁷⁷ ».

[تعليق]

ذكر المؤلف رحمه الله أثرين في سبب نزول هذه الآية. الأول منهما صحيح والثاني ضعيف. ويدل على ضعفه أن ثمامة أسلم في المدينة والآية مكية والله تعالى أعلم.
وسبب النزول يدل على ما كانت عليه قريش من العناد على الرغم من نزول العذاب بها، فنزول العذاب بقوم سبب لرجوعهم إلى الله، لكنهم على العكس استكبروا عن أوامر الله وطاعته والإيمان به.

[تفسير مختصر للآية]

(ولقد أخذناهم بالعذاب) أي ابتليناهم بالمصائب والشدائد وبالقط والجوع.
(فما استكانوا لربهم) أي ما خضعوا لله، ولا تواضعوا لجلاله.
(وما يتضرعون) أي وما دعوا ربهم لكشف البلاء، بل استمروا على العتو والإستكبار، والغرض من الآية: أنه لم يحصل منهم تواضع ورجوع إلى الله في الماضي، ولا إلتجاء إلى الله في المستقبل، لشدة جبروتهم وطغيانهم¹⁷⁷⁸.
انتهت سورة المؤمنون

سُورَةُ النُّورِ

(الزَّانِي لَا يَنْكِحُ إِلَّا زَانِيَةً أَوْ مُشْرِكَةً وَالزَّانِيَةُ لَا يَنْكِحُهَا إِلَّا زَانٍ أَوْ مُشْرِكٌ وَحُرْمٌ ذَلِكَ عَلَى الْمُؤْمِنِينَ ٣)

قوله تعالى: (الزاني لا ينكح إلا زانية).

752. أخرج النسائي عن عبد الله بن عمرو قال: « كانت امرأة يقال لها أم مهزول وكانت تسافح، فأراد

¹⁷⁷⁴سنن الترمذي ت شاكر (315 / 1)

¹⁷⁷⁵صفوة التفسير - للصابوني (237 / 2)

¹⁷⁷⁶تفسير الطبري 18/45 صحيح ابن حبان 3/247 ح (967) المستدرک 2/428 ح (3488) وقال: صحيح الإسناد ولم يخرجاه، سنن النسائي الكبرى 6/413 ح (11352) المعجم الكبير 11/370 ح (12038) إسناده صحيح وروي من غير وجه. قال الإمام النسائي: أنا محمد بن عقيل أنا علي بن الحسين نا أبي نا يزيد عن عكرمة عن بن عباس—

¹⁷⁷⁷دلائل النبوة - للبيهقي (81 / 4)

¹⁷⁷⁸صفوة التفسير - للصابوني (239 / 2)

رجل من أصحاب النبي □ أن يتزوجها، فأُنزل الله: (والزانية لا ينكحها إلا زان أو مشرك وحرّم ذلك على المؤمنين⁽¹⁷⁷⁹⁾)».

753. وأخرج أبو داود والترمذي والنسائي والحاكم من حديث عمرو بن شعيب عن أبيه عن جده قال: «كان رجل يقال له مرثد يحمل الأسارى من مكة حتى يأتي بهم، وكانت امرأة بمكة صديقة له يقال لها عناق، فاستأذن النبي □ أن ينكحها فلم يرد عليه شيئاً حتى نزلت: (الزاني لا ينكح إلا زانية أو مشركة) - الآية فقال رسول الله صلى الله عليه وسلم: «يا مرثد (الزاني لا ينكح إلا زانية أو مشركة والزانية لا ينكحها إلا زان أو مشرك وحرّم ذلك على المؤمنين) فلا تنكحها⁽¹⁷⁸⁰⁾».

754. وأخرج سعيد بن منصور عن مجاهد قال: «لما حرّم الله الزنا، فكان زوان عندهن جمال، فقال الناس: لينطلقن فليتزوجن، فنزلت⁽¹⁷⁸¹⁾».

[تعليق]

سورة النور من السور المدنية، والتي لها طابعها الخاص الذي يميزها عن سائر السور المدنية، فطبيعة السور المدنية كما هو معلوم هو ترسيخ مبادئ وقواعد الشريعة والأحكام، وهو السورة بالإضافة إلى هذا فقد اشتملت على جملة من الآداب من أدب الاستئذان والنظر وغير ذلك من الآداب بالإضافة إلى ذكر حادثة الإفك كما سيأتي إن شاء الله تعالى.

وقد ذكر المؤلف رحمه الله ثلاثة آثار. أثرين في الصحابي مرثد بن أبي مرثد الغنوي، لما أراد أن يتزوج عناق وكانت مشركة بغي. والثاني عام في بغايا من الأنصار لما أراد بعض الصحابة الزواج بهن.

قال الإمام الواحدي: قال المفسرون: «قدم المهاجرون إلى المدينة وفيهم فقراء ليست لهم أموال، وبالمدينة نساء بغايا مسافحات يكرين أنفسهن وهن يومئذ أخصب أهل المدينة، فرغب في كسبهن ناس من فقراء المهاجرين، فقالوا: لو أنا تزوجنا منهن فعشنا معهن إلى أن يغنينا الله تعالى عنهن، فاستأذنوا النبي □ في ذلك، فنزلت هذه الآية وحرّم فيها نكاح الزانية صيانة للمؤمنين عن ذلك⁽¹⁷⁸²⁾».

وقد جاءت تسمية بعض هذه النساء في بعض الروايات

قال عكرمة: «نزلت الآية في نساء بغايا متعالات بمكة والمدينة وكن كثيرات ومنهن تسع صواحب رايات، لهن رايات كرايات البيطار يعرفونها: أم مهدون جارية السائب بن أبي السائب المخزومي، وأم غليظ جارية صفوان بن أمية، وحية القبطية جارية العاص بن وائل، ومريّة جارية ابن مالك بن عمثلة بن السباق، وجمالة جارية سهيل بن عمرو، وأم سويد جارية عمرو بن عثمان المخزومي، وشريفة جارية زمعة بن الأسود، وقرينة جارية هشام بن ربيعة، وفرتنا جارية هلال ابن أنس، وكانت بيوتهن تسمى في الجاهلية المواخير، لا يدخل عليهن ولا يأتيهن إلا زان من أهل القبلة أو مشرك من أهل الاوثان، فأراد ناس من المسلمين نكاحهن، ليتخذوهن مأكلة، فأُنزل الله هذه الآية، ونهى المؤمنين عن ذلك وحرّمه عليهم⁽¹⁷⁸³⁾».

وعن عبد الله بن عمر أن امرأة يقال لها أم مهدون كانت تسافح، وكانت تشترط للذي يتزوجها أن تكفيه النفقة، وأن رجلاً من المسلمين أراد أن يتزوجها، فذكر ذلك للنبي □ فنزلت هذه الآية - الزانية لا ينكحها إلا زان⁽¹⁷⁸⁴⁾.

وقد اختلف أهل العلم في حكم هذه الآية هل هو منسوخ بقوله تعالى (وَأَنْكَحُوا الْأَيَامِي مِنْكُمْ) أم باق بمعنى أنه لا يجوز الزواج من الزانية على أي حال، وفيه كلام طويل لأهل العلم ليس هذا محله وأنا أذكر فقط جانباً منه تنبيهاً على المسألة.

قال الإمام القرطبي: روى مالك عن يحيى بن سعيد عن سعيد بن المسيب قال: (الزّاني لا يَنكحُ إلا زانيةً أو مشرَكةً وَالزّانيةُ لا يَنكحُها إلا زانٌ أو مشرِكٌ) قال: نسخت هذه الآية التي بعدها (وَأَنْكَحُوا الْأَيَامِي مِنْكُمْ) [النور: 32]؛ وقاله ابن عمرو، قال: دخلت الزانية في أيامي المسلمين. قال أبو جعفر النحاس: وهذا القول عليه أكثر العلماء. وأهل الفتيا يقولون: إن من زنى بامرأة فله أن يتزوجها ولغيره أن يتزوجها. وهو قول ابن عمر وسالم وجابر بن زيد وطاء وطاوس ومالك بن أنس وهو قول أبي حنيفة وأصحابه. وقال الشافعي: القول فيها كما قال سعيد بن المسيب، إن شاء الله هي منسوخة. قال ابن عطية: وذكر الإشراف في هذه الآية يضعف هذه المناحي. قال ابن العربي: والذي عندي أن النكاح لا يخلو أن يراد به الوطء كما قال ابن عباس أو العقد؛ فإن أريد به الوطء فإن معناه: لا يكون زنى إلا بزانية، وذلك عبارة عن أن الوطأين من الرجل والمرأة زنى من الجهتين؛ ويكون تقدير الآية: وطء الزانية لا يقع إلا من زان أو مشرك؛ وهذا يؤثر عن ابن عباس، وهو معنى صحيح⁽¹⁷⁸⁵⁾.

قلت: لا خلاف بين أسباب النزول التي ذكرت في هذه الآية. فأبو مرثد صح أنه كان يريد أن ينكح عناقاً وكانت زانية فنهاه الله عن ذلك وكذلك ما ورد من إرادة بعض الصحابة من نكاح بعض الزواني طلباً للعفة، فالآية عامة والله تعالى أعلم.

[تفسير مختصر للآية]

⁽¹⁷⁷⁹⁾ تفسير الطبري 18/71 سنن النسائي الكبرى 6/415 ح (11359) المعجم الأوسط 2/221 ح (1798) مسند أحمد 2/158 ح (6480) سنن البيهقي الكبرى 153 ح (13637) جبهول

⁽¹⁷⁸⁰⁾ المستدرک 2/180 ح 2701 وقال: صحيح الإسناد ولم يخرجاه سنن أبي داود 2/220 ح (2051) سنن الترمذي 5/328 ح (3177) وقال: حسن غريب لا نعرفه إلا من هذا الوجه سنن النسائي 66 ج: 6 ح (3228) سنن البيهقي الكبرى 7/153 ح (13639) إسناده حسنقال الإمام الحاكم حدثنا أبو بكر بن إسحاق أنبا أبو المنثى حدثنا مسدد حدثنا يحيى بن سعيد حدثني عبيد الله بن الأخنس عن عمرو بن شعيب عن أبيه عن جده أن مرثد بن أبي مرثد الغنوي رضي الله عنه كان يحمل الأسارى بمكة - فذكره

⁽¹⁷⁸¹⁾ سنن سعيد بن منصور (6/380). مرسل

⁽¹⁷⁸²⁾ أسباب النزول للواحدى (211)

⁽¹⁷⁸³⁾ أسباب النزول للواحدى (212)

⁽¹⁷⁸⁴⁾ أسباب النزول للواحدى (212)

⁽¹⁷⁸⁵⁾ تفسير القرطبي - (12/169)

(الزاني لا ينكح إلا زانية أو مشركة) أي الزاني لا يليق به أن يتزوج العفيفة الشريفة، إنما ينكح مثله أو أخس منه، كالبغي الفاجرة، أو المشركة الوثنية

(والزانية لا ينكحها إلا زان أو مشرك) أي والزانية لا يليق أن يتزوج بها المؤمن العفيف، إنما يتزوجها من هو مثلها أو أخس منها " كالزاني الخبيث أو المشرك الكافر، فإن النفوس الطاهرة تأبى الزواج بالفوجار الفاسقات، قال الامام الفخر: " من أحسن ما قيل في تفسير هذه الآية: أن الفاسق الخبيث - الذي من شأنه الزنى والفسق - لا يرغب في نكاح الصالح من النساء، وإنما يرغب في فاسفة خبيثة مثله، أو في مشركة، والفاسقة الخبيثة لا يرغب في نكاحها الصالحاء من الرجال وينفرون عنها، وإنما يرغب فيها من هو من جنسها من الفسقة والمشركين، وهذا على الأعم الأغلب، كما يقال: لا يفعل الخير إلا الرجل التقى، وقد يفعل بعض الخير من ليس بتقى، فكذا هنا "

(وحرّم ذلك على المؤمنين) أي وحرّم الزنى على المؤمنين، لشناعته وقبحه، أو حرّم نكاح الزواني على المؤمنين، لما فيه من الأضرار الجسيمة⁽¹⁷⁸⁶⁾.

وَالَّذِينَ يَرْمُونَ أَزْوَاجَهُمْ وَلَمْ يَكُن لَّهُمْ شَهَادَةٌ إِلَّا أَنفُسُهُمْ فَسَهَدُوا أَحَدَهُمْ أَرْبَعٌ شَهَدَاتٍ بِاللَّهِ إِنَّهُ لَمِنَ الصَّادِقِينَ ٦
وَالْخَمْسَةَ أَنْ لَعْنَتُ اللَّهِ عَلَيْهِ إِنْ كَانَ مِنَ الْكَاذِبِينَ ٧ وَيَذَرُوا عَنْهَا الْعَذَابَ أَنْ تَشْهَدَ أَرْبَعٌ شَهَدَاتٍ بِاللَّهِ إِنَّهُ لَمِنَ
الْكَذِبِينَ ٨ وَالْخَمْسَةَ أَنْ غَضَبَ اللَّهُ عَلَيْهَا إِنْ كَانَ مِنَ الصَّادِقِينَ ٩

قوله تعالى: (والذين يرمون أزواجهم) - الآيات.

755. وأخرج البخاري من طريق عكرمة عن ابن عباس: « أن هلال بن أمية قذف امرأته عند النبي ﷺ، فقال له النبي ﷺ: « البينة أو حد في ظهرك». فقال: يا رسول الله إذا رأى أحدنا مع امرأته رجلاً ينطلق يلتمس البينة، فجعل النبي ﷺ يقول: « البينة أو حد في ظهرك». فقال: هلال والذي بعثك بالحق إني لصادق ولينزلن الله ما يبئ ظهري من الحد، فنزل جبريل فأنزل الله عليه: (والذين يرمون أزواجهم) فقرأ حتى بلغ: (إن كان من الصادقين)⁽¹⁷⁸⁷⁾».

756. وأخرجه أحمد بلفظ: « لما نزلت: (والذين يرمون المحصنات ثم لم يأتوا بأربعة شهداء فاجلدوهم ثمانين جلدة ولا تقبلوا لهم شهادة أبدا) قال سعد بن عباد وهو سيد الأنصار: أهكذا نزلت يا رسول الله؟ فقال رسول الله ﷺ: « يا معشر الأنصار ألا تسمعون ما يقول سيدكم؟! ». قالوا: يا رسول الله لا تلمه فإنه رجل غيور والله ما تزوج امرأة فاجترأ رجل منا أن يتزوجها من شدة غيبرته، فقال سعد: والله يا رسول الله إني لأعلم أنها حق وأنها من الله ولكني تعجبت أني لو وجدت لكاع قد تفخذها رجل لم يكن لي أن أنحيه ولا أحركه حتى آتي بأربعة شهداء فوالله لا آتي بهن حتى يقضي حاجته، قال: فما لبثوا إلا يسيرا حتى جاء هلال بن أمية وهو أحد الثلاثة الذين تيب عليهم، فجاء من أرضه عشاء فوجد عند أهله رجلاً فرأى بعينه وسمع بأذنه فلم يهجه حتى أصبح فغدا إلى رسول الله ﷺ وقال له: إني جئت أهلي عشاء فوجدت عندها رجلاً فرأيت بعيني وسمعت بأذني، فكره رسول الله ﷺ ما جاء به واشتد عليه، واجتمعت الأنصار فقالوا: قد ابتلينا بما قال سعد بن عباد الآن يضرب رسول الله ﷺ هلال بن أمية ويبطل شهادته في الناس، فقال: هلال والله إني لأرجو أن يجعل الله لي منها مخرجاً، فوالله إن رسول الله ﷺ يريد أن يأمر بضربه أنزل الله عليه الوحي فأمسكوا عنه حتى فرغ من الوحي فنزلت: (والذين يرمون أزواجهم) - الآية⁽¹⁷⁸⁸⁾».

757. وأخرج أبو يعلى مثله من حديث أنس⁽¹⁷⁸⁹⁾.

758. وأخرج الشيخان وغيرهما عن سهل بن سعد قال: « جاء عويمر إلى عاصم بن عدي فقال: أسألني رسول الله ﷺ رأيت رجلاً وجد مع امرأته رجلاً فقتله أيقتل به أم كيف يصنع؟ فسأل عاصم رسول الله ﷺ، فعاب رسول الله ﷺ المسائل، فلقيه عويمر فقال ما صنعت؟ قال ما صنعت إنك لم تأتني بخير سألت رسول الله ﷺ فعاب المسائل، فقال عويمر فوالله لا تين رسول الله ﷺ فلاسألته فسأله فقال: « إنه أنزل فيك وفي صاحبك ». الحديث⁽¹⁷⁹⁰⁾.

⁽¹⁷⁸⁶⁾ صفوة التفاسير - للصابوني (2/ 245)

⁽¹⁷⁸⁷⁾ صحيح البخاري 4/1772 ح (4470) سنن أبي داود 276 ج: 2 ح (2254) سنن الترمذي 5/331 ح (3179) سنن البيهقي الكبرى 7/393 ح (15068) سنن ابن ماجه 1/668 ح (2067)

⁽¹⁷⁸⁸⁾ مسند أحمد 1/238 ح (2131) مسند الطيالسي 1/347 ح (2667) مسند أبي يعلى 5/124 ح (2740) سنن البيهقي الكبرى 7/394 ح (15069) وفي إسناده عباد بن منصور صدوق مدلس لكنه صرح بالتحديث وتغير بأخره، وذكر له ابن عدي مناكير وقال: هو في جملة من يكتب حديثه، ولم أجد له متابعا في هذه الروايات ولكنها صالحة للشواهد

⁽¹⁷⁸⁹⁾ مسند أبي يعلى 5/207 ح (2824) شرح معاني الآثار 3/101 سنن النسائي 6/172 ح (3469) سنن البيهقي الكبرى 7/405 ح (15124) صحيح الإسناد قال الإمام أبو يعلى الموصلي حدثنا مسلم بن أبي مسلم الجرمي حدثنا مخلد بن الحسين حدثنا هشام بن سبيرين عن أنس بن مالك -

⁽¹⁷⁹⁰⁾ صحيح البخاري 4/1771 ح (4468) صحيح مسلم 2/1129 ح (1492) صحيح ابن حبان 114 ج: 10 ح (4283) سنن الدارمي 2/201 ح (2229) سنن البيهقي الكبرى 7/400 ح (15094) سنن الدارقطني 3/275 مسند الشافعي 256 ج: 1 ح (1249)

قال الحافظ ابن حجر: اختلف الأئمة في هذه المواضع فمنهم من رجح أنها نزلت في شأن عويمر، ومنهم من رجح أنها نزلت في شأن هلال، ومنهم من جمع بينهما بأن أول من وقع له ذلك هلال وصادف مجيء عويمر أيضاً فنزلت في شأنهما معاً، وإلى هذا جنح النووي وتبعه الخطيب فقال لعلهما اتفقا لهما ذلك في وقت واحد قال الحافظ ابن حجر: ويحتمل أن النزول سيق بسبب هلال فلما جاء عويمر ولم يكن له علم بما وقع لهلال أعلمه النبي ﷺ بالحكم ولهذا قال في قصة هلال فنزل جبريل وفي قصة عويمر قد أنزل الله فيك فيؤول قوله قد أنزل الله فيك أي فيمن وقع له مثل ما وقع لك، وبهذا أجاب ابن الصباغ في الشامل وجنح القرطبي إلى تجويز نزول الآية مرتين.

759. وأخرج البزار من طريق زيد بن مطيع عن حذيفة قال: «قال رسول الله ﷺ لأبي بكر: «لو رأيت مع أم رومان رجلاً ما كنت فاعلاً به؟». قال: كنت فاعلاً به شراً، قال: «وأنت يا عمر؟». قال: كنت أقول لعن الله الأعجز وإنه لخبيث، فنزلت (1791)». قال الحافظ ابن حجر: لا مانع من تعدد الأسباب.

[تعليق]

ذكر المؤلف رحمه الله عدة آثار في سبب نزول هذه الآية وهي كلها إما حسنة أو صحيحة. فالأول: أنها نزلت في هلال بن أمية عندما رأى رجلاً مع امرأته ولم يجد البيينة. والثاني: في عويمر بن عاصم وكان حاله كحال هلال. الثالث: في سؤال أبي بكر عن حكم من وجد مع امرأته رجلاً. فطريق الجمع الذي سلكه الإمام ابن حجر طريق سديد، فلما تكررت القصة من أكثر من صحابي واحتاج الصحابة حكمها أنزله الله تعالى بعد ما وقع لهلال بن أمية وعويمر وسؤال أبي بكر وغيره من الصحابة. والله تعالى أعلم.

[تفسير مختصر للآية]

(والذين يرمون أزواجهم) أي يقذفون زوجاتهم بالزنى. (ولم يكن لهم شهداء إلا أنفسهم) أي وليس لهم شهود يشهدون بما رموهن به من الزنى، سوى شهادة أنفسهم. (فشهادة أحدهم أربع شهادات بالله) أي فشهادة أحدهم التي تزيل عنه حد القذف، أربع شهادات بالله تقوم مقام الشهداء الأربعة. (إنه لمن الصادقين) أي إنه صادق فيما رمى به زوجته من الزنى. (والخامسة أن لعنة الله عليه) أي وعليه أيضاً إن يحلف في المرة الخامسة، بأن لعنة الله عليه (إن كان من الكاذبين) أي إن كان كاذباً في قذفه لها بالزنى. (ويدراً عنها العذاب) أي ويدفع عن الزوجة المقذوفة (حد الزنى) الذي ثبت بشهادة الزوج (أن تشهد أربع شهادات بالله إنه لمن الكاذبين) أي أن تحلف أربع مرات أنه لمن الكاذبين فيما رماها به من الزنى. (والخامسة أن غضب الله عليها إن كان من الصادقين) أي وتحلف في المرة الخامسة، بأن غضب الله وسخطه عليها إن كان زوجها صادقاً في اتهامه لها بالزنى. (ولولا فضل الله عليكم ورحمته) أي ولولا فضل الله عليكم ورحمته بكم بالستر في ذلك، وجواب [لولا] محذوف لتحويل الأمر، تقديره: لفضحك أو عاجلكم بالعقوبة، ورب مسكوت عنه أبلغ من المنطوق. (وأن الله تواب حكيم) أي وأنه تعالى مبالغ في قبول التوبة، حكيم في ما شرع من الأحكام (1792).

(إِنَّ الَّذِينَ جَاءُوا بِالْإِفْكِ عُصْبَةٌ مِّنْكُمْ لَا تَحْسَبُوهُ شَرًّا لَّكُم بَلْ هُوَ خَيْرٌ لَّكُمْ لِكُلِّ امْرِئٍ مِّنْهُمْ مَا أَكْتَسَبَ مِنَ الْإِثْمِ وَالَّذِي تَوَلَّى كِبْرَهُ مِنْهُمْ لَهُ عَذَابٌ عَظِيمٌ (١١))

قوله تعالى: (إن الذين جاءوا بالإفك) - الآيات.

760. أخرج الشيخان وغيرهما عن عائشة قالت: «كان رسول الله ﷺ إذا أراد سفراً أقرع بين نسائه فأيتهن خرج سهمها خرج بها معه، فأقرع بيننا في غزوة غزاها فخرج سهمي فخرجت وذلك بعدما أنزل الحجاب، فأنا أحمل في هودحي وأنزل فيه، فسرنا حتى إذا فرغ رسول الله ﷺ من غزوة وقفل ودنونا من المدينة آذن ليلة بالرحيل، فقامت فمشيت حتى جاوزت الجيش، فلما قضيت شأني أقبلت إلى الرجل فلمست صدري فإذا عقد من جزع ظفار قد انقطع فرجعت فالتمست عقدي فحبسني ابتغاؤه، وأقبل الرهط الذين كانوا يرحلون بي فحملوا هودجي على بعيري الذي كنت أركب وهم يحسبون أنني فيه قالت: وكانت

عدد الأجزاء: 1 سنن أبي داود 2/273 ح (2245) سنن النسائي 6/143 ح (3402) سنن ابن ماجه 1/667 ح (2066) موطأ مالك 2/566 ح (1177) شرح معاني الآثار 3/102 مسند أحمد 5/334 ح (22881) مسند الروياني 2/222 المعجم الكبير 6/118 ح (5688) مسند البزار 7/343 ح (2940) وإسناده حسن. قال أبو بكر البزار: حدثنا إسحاق بن الضيف قال أخبرنا النضر بن شميل قال أخبرنا يونس بن أبي إسحاق عن أبيه عن زيد بن يسع عن حذيفة - به. (1792) صفوة التفسير - للصابوني (246/2)

(311)

النساء إذ ذاك خفافا لم يهبلن ولم يغشهن اللحم إنما يأكلن العلقة من الطعام فلم يستنكر القوم ثقل اليهود حين رحلوه ورفعوه فبعثوا الجمل وساروا ووجدت عقدي عندما سار الجيش، فجنبت منازلهم وليس بها داع ولا مجيب، فتيمنت منزلي الذي كنت فيه فظننت أن القوم سيفقدوني فيرجعون إلي، فبينما أنا جالسة في منزلي غلبتني عيني فتمت، وكان صفوان بن المعطل قد عرس وراء الجيش فأدلى فاصبح عند منزلي فرأى سواد إنسان نائم فعرفني حين رأيته وكان يراني قبل أن يضرب علي الحجاب، فاستيقظت باسترجاعه حين عرفني فخرمت وجهي بجلبابي، فوالله ما كلمني كلمة ولا سمعت منه كلمة غير استرجاعه حين أناخ راحلته، فوطيء على يدها فركبتها فانطلق يقود بي الراحلة حتى أتينا الجيش بعد ما نزلوا موغرين في نحر الظهيرة فهلك من هلك في شأني وكان الذي تولى كبره عبد الله بن أبي بن سلول، فقدمت المدينة فاشتكت حين قدمنا شهرا والناس يفيضون في قول أهل الإفك ولا أشعر بشيء من ذلك، حتى خرجت بعد ما نفهت وخرجت مع أم مسطح قبل المناصع وهو متبرزنا، فعثرت أم مسطح في مرطها فقالت: تعس مسطح فقلت لها: بنس ما قلت تسبين رجلاً شهد بدرا، قالت: أي هنتاه ألم تسمعي ما قال؟ قلت: وماذا قال؟ فأخبرتني بقول أهل الإفك فازدبت مرضاً إلى مرضي، فلما دخل علي رسول الله ﷺ قلت: أتأذن لي أن أتى أبوي وأنا أريد أن أتيقن الخبر من قبلهما، فأذن لي فجنبت أبوي فقلت لأمي: يا أماه ما يتحدث الناس؟ قالت أي بنية هوني عليك فوالله لقلما كانت امرأة وضيئة عند رجل يحبها ولها ضرائر إلا أكثرن عليها، قلت: سبحان الله أوقد تحدثت الناس بهذا فبكيت تلك الليلة حتى أصبحت لا يرقأ لي دمع ولا اكتحل بنوم ثم أصبحت أبكي، ودعا رسول الله ﷺ علي بن أبي طالب وأسامة بن زيد حين استلبت الوحي يستشيرهما في فراق أهله، فأما أسامة أشار عليه بالذي يعلم من براءة أهله، فقال: يا رسول الله هم أهلك ولا نعلم إلا خيراً، وأما علي فقال: لن يضيق الله عليك والنساء سواها كثير وإن تسأل الجارية تصدقك، فدعا بريرة فقال: «أي بريرة هل رأيت من شيء يريبك من عائشة؟». قالت: والذي بعثك بالحق إن رأيت عليها أمراً قط أغمضه (1793) عليها أكثر من أنها جارية حديثة السن تنام عنعنين أهلها فتأتي الداجن فتأكله، فقام رسول الله ﷺ علي المنبر فاستعذر من عبد الله بن أبي، فقال: «يا معشر المسلمين من يعذرني من رجل قد بلغني أذاه في أهل بيتي؟ فوالله ما علمت على أهلي إلا خيراً». قالت وبكيت يومي ذلك لا يرقأ لي دمع ثم بكيت تلك الليلة لا يرقأ لي دمع ولا أكتحل بنوم وأبوي يظنان أن البكاء فالحق كبدني، فبينما هما جالسان عندي وأنا أبكي استأذنت علي امرأة من الأنصار فأذنت لها فجلست تبكي معي، ثم دخل رسول الله ﷺ فسلم ثم جلس وقد لبث شهراً لا يوحى إليه في شأني شيء، ففتشها ثم قال: «أما بعد يا عائشة فإنه قد بلغني عنك كذا وكذا، فإن كنت بريئة فسيرك الله، وإن كنت أئمت بذنب فاستغفري الله ثم توبي إليه فإن العبد إذا اعترف بذنب ثم تاب تاب الله عليه». فلما قضى مقالته قلت لأبي: أجب عني رسول الله ﷺ، فقال: والله ما أدري ما أقول، فقلت: وأنا جارية حديثة السن والله لقد عرفت أنكم قد سمعتم بهذا حتى استقر في أنفسكم وصدقتم به، ولئن قلت لكم إنني بريئة والله يعلم أنني بريئة لا تصدقوني - وفي رواية ولنن اعترفت لكم بأمر والله يعلم أنني بريئة لتصدقني - وإني والله لا أجد لي ولكم مثلاً إلا كما قال أبو يوسف: (فصبر جميل والله المستعان على ما تصفون) ثم تحولت فاضطجعت على فراشي، فوالله ما رام رسول الله ﷺ مجلسه ولا خرج من أهل البيت أحد حتى أنزل الله على نبيه فأخذه ما كان يأخذه من البرحاء (1794)، فلما سرى عنه كان أول كلمة تكلم بها أن قال: «أبشري يا عائشة، أما الله فقد برأك، فقالت لي أمي: قومي إليه فقلت: والله لا أقوم إليه ولا أحمد إلا الله هو الذي أنزل براءتي وأنزل الله: (إن الذين جاءوا بالإفك عصبة منكم) - عشر آيات فقال أبو بكر: وكان ينفق على مسطح لقربته منه وفقره: والله لا أنفق عليه شيئاً بعد الذي قال لعائشة، فأنزل الله: (ولا يأتل أولوا الفضل منكم والسعة) - إلى: (ألا تحبون أن يغفر الله لكم) قال أبو بكر: والله إنني لأحب أن يغفر الله لي، فرجع إلى مسطح ما كان ينفق عليه (1795)».

761. وفي الباب عن ابن عباس (1796).

762. وابن عمر (1797) عند الطبراني.

(1793) وقع في روايات البخاري ومسلم بالصاد (أغمضه) قال ابن قتيبة في الغريب: [غمضت عليه قوله] إذا عبته الغريب 141 ج:2

(1794) [البرحاء] أي شدة الكرب من ثقل الوحي النهائية في غريب الحديث/1 113

(1795) صحيح البخاري 2/942 ح (2518) صحيح مسلم 4/2129 ح (2770) مسند أحمد 6/194 ح (25664) صحيح ابن حبان 10/13 ح (4212) سنن النسائي الكبرى

5/295 ح (8931) سنن البيهقي الكبرى 7/74 ح (31210) مسند أبي يعلى 8/322 ح (4927) المعجم الكبير 23/50 ح (133) المنتقى 180 ح (723) شرح معاني الآثار

4/383

(1796) المعجم الكبير 23/123 ح (162) إسناده ضعيف، فيه إبراهيم بن إسماعيل بن يحيى بن سلمة بن كهيل ضعيف

(1797) المعجم الكبير 23/124 ح (163) إسناده واه فيه إسماعيل بن يحيى بن عبيد الله التيمي كذاب

763. وأبي هريرة (1798) عند البزار.
764. وأبي اليسر عند ابن مردويه.

[تعليق]

ذكر المؤلف رحمه الله عدة آثار في سبب نزول هذه الآية. وهذه الحادثة - حادثة الإفك - من الحوادث التي هزته الكيان الإسلامي حيث اتهم رسول الله ﷺ في أهله، وخاض في ذلك أهل النفاق والزيغ عبد الله بن أبي بن سلول وكذلك بعض المؤمنين. فنزلت الآية مبرأة أم المؤمنين عائشة مما نسب إليها، وقد أجمع أهل العلم من المفسرين على أن هذه الآية وما بعدها نزلت في أم المؤمنين عائشة رضي الله عنها. نقل ذلك الإمام ابن الجوزي رحمه الله وغيره (1799).

[تفسير مختصر للآية]

(إن الذين جاءوا بالإفك) أي جاءوا بأسوء الكذب، وأشنع صور البهتان، وهو قذف عائشة بالفاحشة، قال الإمام الفخر: الإفك أبلغ ما يكون من الكذب والإفتراف [عصبة منكم] أي جماعة منكم أيها المؤمنون وعلى رأسهم "ابن سلول" رأس النفاق (لا تحسبوه شرا لكم) أي لا تظنوا هذا القذف والاتهام شرا لكم يا آل أبي بكر (بل هو خير لكم) لما فيه من الشرف العظيم بنزول الوحي ببراءة أم المؤمنين، وكرامة الله لها بإنزال الوحي في شأنها، والأجر الجزيل لها في الفرية عليها، وموعظة المؤمنين، والإنقاذ من المفترين (لكل امرئ منهم ما اكتسب من الإثم) أي لكل فرد من العصبة الكاذبة، جزاء ما اجترح من الذنب على قدر خوضه فيه. (والذي تولى كبره منهم) أي والذي تولى معظمه وأشاع هذا البهتان، وهو (ابن سلول) رأس النفاق. (له عذاب عظيم) أي له في الآخرة عذاب شديد في نار جهنم (1800).

(وَلَا يَأْتَلِ أُولُو الْفَضْلِ مِنْكُمْ وَالسَّيِّئَةَ أَنْ يُؤْتُوا أُولِي الْقُرْبَىٰ وَالْمَسْكِينِ وَالْمُهَاجِرِينَ فِي سَبِيلِ اللَّهِ وَلِيَعْلَمَ اللَّهُ مَا يَتْلُونَ وَالَّذِينَ كَفَرُوا لَا يُصَفِّحُوا إِلَّا تَحِيبُونَ أَنْ يَعْفِرَ اللَّهُ لَكُمْ وَاللَّهُ غَفُورٌ رَحِيمٌ ٢٢)

قوله تعالى: (ولا يأتل أولوا الفضل منكم) - الآية.

765. [ك] وأخرج الطبراني عن خصيف: «قلت لسعيد بن جبيرة: أيما أشد الزنا أو القذف؟ قال: الزنا قلت: إن الله يقول: (إن الذين يرمون المحصنات الغافلات المؤمنات) قال: إنما أنزل هذا في شأن عائشة (1801) خاصة.» في إسناده يحيى الحماني ضعيف.

766. [ك] (د) وأخرج أيضاً عن الضحاك بن مزاحم قال: «نزلت هذه الآية في نساء النبي ﷺ خاصة: (إن الذين يرمون المحصنات الغافلات) - الآية (1802).»

767. [ك] (د) وأخرج ابن أبي حاتم من طريق سعيد بن جبيرة عن ابن عباس قال: «نزلت هذه الآية في عائشة خاصة (1803).»

768. [ك] (د) وأخرج ابن جرير من طرق عن أبي سلمة عن أبيه عن عائشة قالت: «رमित بما رميت به وأنا غافلة، فبلغني بعد ذلك، فبينما رسول الله ﷺ عندي إذ أوحى إليّ ثم استوى جالساً فمسح وجهه وقال: «يا عائشة أبشري». فقلت: بحمد الله لا بحمدك، فقرأ: (إن الذين يرمون المحصنات الغافلات المؤمنات) حتى بلغ: (أولئك مبرءون مما يقولون) (1804).»

[تعليق]

ذكر المؤلف رحمه الله أربعة آثار في سبب نزول هذه الآية، الظاهر أن الآية أنها متصلة بما قبلها، فتكون خاصة بأم المؤمنين عائشة. وحكمها عام في أم المؤمنين وغيرها.

وقد ذكر أن هذه الآية نزلت في أمهات المؤمنين وغيرهن، وقيل في نساء النبي خاصة وقيل أم المؤمنين عائشة خاصة. وروى الإمام الثعلبي: عن أبي حمزة الثمالي قال: «بلغنا أنها نزلت في مشركي أهل مكة إذ كان بينهم وبين رسول الله صلى الله عليه وسلم عهد، فكانت المرأة إذا خرجت إلى رسول الله صلى الله عليه وسلم إلى المدينة مهاجرة قذفها المشركون من أهل

(1798) المعجم الكبير 23/129 ح (165) مسند أبي يعلى 10/508 ح (6125) فيه عمرو بن خليفة ذكره ابن حبان في الثقات، وقال الحافظ ابن حجر في لسان الميزان: يقع في روايته بعض المناكير، وأيضاً فيه محمد بن عمرو من رجال الصحيح لكنه متكلم فيه (1799) زاد المسير (17/6)

(1800) صفوة التفسير - للصابوني (2/246)

(1801) تفسير الطبري 18/103/76 المعجم الكبير 23/151 ح (226) وفي إسناده بالإضافة إلى إرساله خصيف بن عبد الرحمن يحتاج إلى متابعة على روايته، بالإضافة إلى إرساله

(1802) المعجم الكبير 23/152 ح (228) إسناده صحيح لكنه مرسل.

(1803) تفسير ابن أبي حاتم 8/2557 مستدرک الحاكم 11:4 ح (6731) وقال: صحيح الإسناد ولم يخرجاه، قلت: إسناده صحيح، قال أحمد بن حنبل: العوام لم يلق ابن أبي أوفى، أكبر من لقبه سعيد بن جبيرة إن كان لقبه هو يروي عنه وعن طائفة. قلت الطبقة محتملة اللقاء ولم يشتهر العوام بالإرسال قال الحاكم خبرني أبو العباس محمد بن أحمد

المحبوبي ثنا سعيد بن مسعود ثنا يزيد بن هارون أنبا العوام بن حوشب عن سعيد بن جبيرة عن ابن عباس - به (1804) تفسير الطبري 18/103 إسناده صحيح

مكة وقالوا: إنما خرجت تفجر⁽¹⁸⁰⁵⁾». فالراجح: أنها نزلت في أم المؤمنين عائشة لاتصالها بما قبلها في السياق، ولكن الحكم كما ذكرت عام في كل من قذف محصنة عفيفة فحكمه أن عليه لعنة الله في الدنيا والآخرة ما لم يتب إلى الله والله تعالى أعلم.

[تفسير مختصر للآية]

(إن الذين يرمون المحصنات الغافلات) أي يقذفون بالزنى العفيفات، السليمات الصدور، النقيات القلوب من كل سوء وفاحشة. (المؤمنات) أي المتصفات بالإيمان مع طهارة القلب. (لعنوا في الدنيا والآخرة) أي طردوا وأبعدوا من رحمة الله في الدنيا والآخرة، قال ابن عباس: هذا اللعن فيمن قذف زوجات النبي □ إذ ليس له توبة، ومن قذف مؤمنة جعل الله له توبة وقال أبو حمزة: نزلت في مشركي مكة، كانت المرأة إذا خرجت إلى المدينة مهاجرة قذفوها وقالوا: خرجت لتفجر. (ولهم عذاب عظيم) أي ولهم مع اللعنة عذاب هائل لا يكاد يوصف، بسبب ما ارتكبوا من إثم وجريمة. (يوم تشهد عليهم ألسنتهم وأيديهم وأرجلهم بما كانوا يعملون) أي وذلك العذاب الشديد في ذلك اليوم الرهيب - يوم القيامة - حين تشهد على الإنسان جوارحه، فتتطق الألسنة والأيدي والأرجل بما اقترفت من سيئ الأعمال. (يومئذ يوفيه الله دينهم الحق) أي يوم القيامة ينالهم حسابهم وجزاءهم العادل من أحكام الحاكمين. (ويعلمون أن الله هو الحق المبين) أي ويعلمون حينئذ أن الله هو الإله العادل، الذي لا يظلم أحداً، الظاهر عدله في تشريعه وحكمه⁽¹⁸⁰⁶⁾.

(الْخَبِيثَاتُ لِلْخَبِيثِينَ وَالْخَبِيثُونَ لِلْخَبِيثَاتِ وَالطَّيِّبَاتُ لِلطَّيِّبِينَ وَالطَّيِّبُونَ لِلطَّيِّبَاتِ أُولَئِكَ مُبَرَّءُونَ مِمَّا يَقُولُونَ لَهُمْ مَغْفِرَةٌ وَرِزْقٌ كَرِيمٌ ٢٦)

قوله تعالى: (الخبيثات للخبِيثين) - الآية.

769. [ك] (ك) وأخرج الطبراني بسند رجاله ثقات عن عبد الرحمن بن زيد بن أسلم في قوله: (الخبيثات للخبِيثين) - الآية قال: «نزلت في عائشة حين رماها المنافق بالبهتان والفرية، فبرأها الله من ذلك⁽¹⁸⁰⁷⁾».

770. [ك] (ك) وأخرج الطبراني بسندين فيهما ضعف عن ابن عباس قال: «نزلت: (الخبيثات للخبِيثين) - الآية للذين قالوا في زوج النبي □ ما قالوا من البهتان⁽¹⁸⁰⁸⁾».

771. [ك] (ك) وأخرج الطبراني عن الحكم بن عتيبة قال: «لما خاض الناس في أمر عائشة، أرسل رسول الله □ إلى عائشة فقال: «يا عائشة ما يقول الناس؟ فقالت لا أعتذر بشيء حتى ينزل عذري من السماء، فأنزل الله فيها خمس عشرة آية من سورة النور، ثم قرأ حتى بلغ: (الخبيثات للخبِيثين)⁽¹⁸⁰⁹⁾» - الآية». مرسل صحيح الإسناد

[تعليق]

ذكر المؤلف رحمه الله عدة آثار في سبب نزول هذه الآية، وهذه الآية متصلة بما قبلها، وهذه الآثار يقوي بعضها بعضاً أن سبب نزول هذه الآية في أم المؤمنين عائشة، وقد اختلف أهل التفسير في معنى (الخبيثات للخبِيثين) على أربعة أقوال: أحدها: الكلمات الخبِيثات لا يتكلم بها إلا الخبيث من الرجال والنساء، والكلمات الطيبات لا يتكلم بها إلا الطيبون من الرجال والنساء. والثاني: الكلمات الخبِيثات إنما تلتصق بالخبِيثين من الرجال والنساء، فأما الطيبات والطيبون فلا يصلح أن يقال في حقهم إلا الطيبات.

والثالث: الخبِيثات من النساء للخبِيثين من الرجال والطيبات من النساء للطيبين من الرجال. والرابع: الخبِيثات من الأعمال للخبِيثين من الناس، والخبِيثون من الناس للخبِيثات من الأعمال⁽¹⁸¹⁰⁾. قلت: وكل هذه المعاني صحيحة، وكلها مندرج تحت عموم الآية والله تعالى أعلم.

[تفسير مختصر للآية]

(الخبِيثات للخبِيثين والخبِيثون للخبِيثات، والطيبات للطيبين والطيبون للطيبات) أي الخبِيثات من النساء للخبِيثين من الرجال، والخبِيثون من الرجال للخبِيثات من النساء، وكذلك الطيبات من النساء للطيبين من الرجال، والطيبون من الرجال للطيبات من النساء، وهذا كالدليل على براءة عائشة لأنها زوجة أشرف رسول وأكرم مخلوق على الله، وما كان الله ليجعلها زوجة لأحب عباده، لو لم تكن عفيفة طاهرة شريفة (أولئك مبرءون مما يقولون) أي أولئك الفضلاء منزهون مما تقوله أهل الإفك في حقهم من الكذب والبهتان

(1805) الكشف والبيان عن تفسير القرآن (82/7)

(1806) صفوة التفسير - للصابوني (250/2)

(1807) تفسير الطبري 18/108 المعجم الكبير 23/156 ح (240) مرسل.

(1808) المعجم الكبير 23/159 ح 250 ضعيف.

(1809) المعجم الكبير 23/160 ح (251) مرسل.

(1810) زاد المسير (26/6)

(لهم مغفرة ورزق كريم) اي لهم على ما نالهم من الأذى مغفرة لذنوبهم، ورزق كريم في جنات النعيم، قال ابن كثير: وفيه وعد بأن تكون زوجة رسول الله ﷺ في الجنة¹⁸¹¹.

(يَا أَيُّهَا الَّذِينَ ءَامَنُوا لَا تَدْخُلُوا بُيُوتًا غَيْرَ بُيُوتِكُمْ حَتَّى تَسْتَأْذِنُوا وَتُسَلِّمُوا عَلَىٰ أَهْلِهَا ذَلِكُمْ خَيْرٌ لَّكُمْ لَعَلَّكُمْ تَذَكَّرُونَ ٢٧)

قوله تعالى: (يا أيها الذين آمنوا لا تدخلوا بيوتا)- الآية.

772. أخرج الفريابي وابن جرير عن عدي بن ثابت : « جاءت امرأة من الأنصار فقالت: يا رسول الله إني أكون في بيتي على حال لا أحب أن يراني عليها أحد وإنه لا يزال يدخل علي رجل من أهلي وأنا على تلك الحال، فكيف أصنع؟ فنزلت: (يا أيها الذين آمنوا لا تدخلوا بيوتا غير بيوتكم حتى تستأذنوا)- الآية⁽¹⁸¹²⁾».

773. أخرج ابن أبي حاتم عن مقاتل بن حيان قال : « لما نزلت آية الاستئذان في البيوت قال أبو بكر: يا رسول الله فكيف بتجار قريش الذين يختلفون بين مكة والمدينة والشام ولهم بيوت معلومة على الطريق، فكيف يستأذنون يسلمون وليس فيها سكان؟ فنزلت: (ليس عليكم جناح أن تدخلوا بيوتا غير مسكونة⁽¹⁸¹³⁾)- الآية ».

[تعليق]

ذكر المؤلف رحمه الله أثراً في سبب نزول قوله تعالى (لا تدخلوا بيوتا) وآخر في سبب نزول قوله تعالى (ليس عليكم جناح أن تدخلوا بيوتا غير مسكونة). وكلا الأثرين مرسلين والآية دالة على حكم الاستئذان على العموم وإن كانت وردت على سبب فحكما عام.

[تفسير مختصر للآيتين]

(يا أيها الذين آمنوا لا تدخلوا بيوتا غير بيوتكم) لما حذر تعالى من قذف المحصنات، وشدد العقاب فيه، وكان طريق هذا الإتهام مخالطة الرجال للنساء، ودخولهم عليهن في أوقات الخلوات، أرشد تعالى إلى الآداب الشرعية في دخول البيوت، فأمر بالاستئذان قبل الدخول والتسليم بعده.

(حتى تستأذنوا وتسلموا على أهلها) أي لا تدخلوا بيوت الغير حتى تستأذنوا وتسلموا على أهل المنزل.

(ذلكم خير لكم) أي ذلك الاستئذان والتسليم خير لكم من الدخول بغتة.

(لعلكم تذكرون) أي لتتعضوا وتعملوا بموجب هذه الآداب الرشيدة¹⁸¹⁴.

(ليس عليكم جناح) أي ليس عليكم إثم وجرم.

(أن تدخلوا بيوتا غير مسكونة) أي أن تدخلوا بغير استئذان بيوتا لا تختص بسكنى أحد، كالرباطات والفنادق والخانات، قال مجاهد: هي الفنادق التي في طرق السابلة لا يسكنها أحد، بل هي موقوفة لياوي إليها كل ابن سبيل.

(فيها متاع لكم) أي فيها منفعة لكم أو حاجة من الحاجات، كالاستئذان من الحر، وإيواء الأمتعة والرحال.

(والله يعلم ما تبدون وما تكتمون) أي يعلم ما تظهرون وما تسرون في نفوسكم فيجازيكم عليه، قال ابو السعود: وهذا وعيد لمن يدخل مدخلا لفساد، أو إطلاع على عورات¹⁸¹⁵.

(وَقُلْ لِلْمُؤْمِنَاتِ يَعْضَضْنَ مِنْ أَبْصُرِهِنَّ وَيَحْفَظْنَ فُرُوجَهُنَّ وَلَا يُبْدِينَ زِينَتَهُنَّ إِلَّا مَا ظَهَرَ مِنْهَا وَلَا يَضْرِبْنَ بِخُمُرِهِنَّ عَلَىٰ جُيُوبِهِنَّ وَلَا يُبْدِينَ زِينَتَهُنَّ إِلَّا لِبُعُولَتِهِنَّ أَوْ آبَائِهِنَّ أَوْ آبَائِ بُعُولَتِهِنَّ أَوْ أَبْنَائِهِنَّ أَوْ أَبْنَاءِ بُعُولَتِهِنَّ أَوْ إِخْوَانِهِنَّ أَوْ بَنِي إِخْوَانِهِنَّ أَوْ بَنِي أَخْوَاتِهِنَّ أَوْ نِسَائِهِنَّ أَوْ مَا مَلَكَتْ أَيْمَانُهُنَّ أَوْ التَّبِيعِينَ غَيْرَ أُولِي الرَّبِّبَةِ مِنَ الرِّجَالِ أَوْ الْوَالِدِينَ لَمْ يَطْهَرُوا عَلَىٰ عَوْرَتِ النِّسَاءِ وَلَا يَضْرِبْنَ بِأَرْجُلِهِنَّ لِيُعْلَمَ مَا يُخْفِينَ مِنْ زِينَتِهِنَّ وَتُوبُوا إِلَى اللَّهِ جَمِيعًا أَيُّهُ الْمُؤْمِنُونَ لَعَلَّكُمْ تُفْلِحُونَ ٣١)

قوله تعالى: (وقل للمؤمنات)- الآية.

774. أخرج ابن أبي حاتم عن مقاتل قال : « بلغنا أن جابر بن عبد الله حدث أن أسماء بنت مرثد كانت في نخل لها، فجعل النساء يدخلن عليها غير متأذرات فيبدو ما في أرجلهن يعني الخلاخل وتبدو صدورهن

⁽¹⁸¹¹⁾صفحة التفسير - للصابوني (2/ 250)

⁽¹⁸¹²⁾تفسير الطبري 18/110 ضعيف الإسناد في إسناده أشعث بن سوار تقدم وسندي تقدم أيضا

⁽¹⁸¹³⁾تفسير ابن أبي حاتم 8/2570 مرسل وإسناده لين

⁽¹⁸¹⁴⁾صفحة التفسير - للصابوني (2/ 251)

⁽¹⁸¹⁵⁾صفحة التفسير - للصابوني (2/ 251)

وذوانبهن فقالت أسماء: ما أقبح هذا فأنزل الله في ذلك: (وقل للمؤمنات) - الآية (1816)». 775. وأخرج ابن جرير عن حزمي: «أن امرأة اتخذت صرتين من فضة واتخذت جزءا (1817)، فمرت على قوم فضربت برجلها فوق الخلال على الجزع فصوت، فأنزل الله: (ولا يضربن بأرجلهن) (1818)».

[تعليق]

ذكر المؤلف رحمه الله أثريين لسبب نزول هذه الآية، وهما مرسلان والظاهر أن الآية نزلت مبنية لحكم غض البصر للنساء بعد ما تقدم حكمه للرجال، وذكر النساء منفردات لأن الله تعالى خصهن بأحكام غير التي للرجال، فبين حكم إبداء الزينة للنساء وعلى من تجوز أن تظهر عليه إلى غير ذلك من الأحكام.

[تفسير مختصر للآية]

(وقل للمؤمنات يغضضن من أبصارهن ويحفظن فروجهن) أي وقل أيضا للمؤمنات يكففن أبصارهن عن النظر إلى ما لا يحل لهن النظر إليه، ويحفظن فروجهن عن الزنى، وعن كشف العورات، قال المفسرون: أكد تعالى الأمر للمؤمنات بغض البصر وحفظ الفروج، وزادهن في التكليف على الرجال، بالنهي عن إبداء الزينة إلا للمحارم والأقرباء، فقال: (ولا يبدين زينتهن إلا ما ظهر منها) أي ولا يكشفن زينتهن للأجانب إلا ما ظهر منها بدون قصد ولا نية سيئة، قال ابن كثير: أي لا يظهرن شيئا من الزينة للأجانب إلا ما لا يمكن إخفاؤه، كما قال ابن مسعود: الزينة زينتان: فزينة لا يراها إلا الزوج: الخاتم والسوار، وزينة يراها الأجانب وهي الظاهر من الثياب وقيل: المراد به الوجه والكفان فإنهما ليسا بعورة، قال البيضاوي: والأظهر أن هذا في الصلاة لا في النظر، فإن كل بدن حرة عورة، لا يحل لغير الزوج والمحرم النظر إلى شيء منها إلا لضرورة، كالمعالجة وتحمل الشهادة.

(وليضربن بخمرهن على جيوبهن) أي وليلقين الخمار وهو (غطاء الرأس) على صدورهن، لئلا يبدو شيء من النحر والصدر، وفي لفظ الضرب مبالغة في الصيانة والتستر، عن عائشة رضي الله عنها أنها قالت: (يرحم الله النساء المهاجرات الأول لما أنزل الله [وليضربن بخمرهن على جيوبهن] شققن مروطهن فاخترن بها) قال المفسرون: كانت المرأة في الجاهلية - كما هي اليوم في الجاهلية الحديثة - تمر بين الرجال مكشوفة الصدر، بأبدية النحر، حاسرة الذراعين، وربما أظهرت مفاصل جسمها وذوائب شعرها لتعري الرجال، وكان يسدلن الخمر من ورائهن، فتبقى صدورهن مكشوفة عارية، فأمرت المؤمنات بأن يلقينها من أمامهن حتى تستر، ويدفعن عنهن شر الأشرار.

(ولا يبدين زينتهن إلا لبعولتهن) أي ولا يظهرن زينتهن الخفية، التي حرم الله كشفها، إلا لأزواجهن. (أو آبائهن أو أبناء بعولتهن) أي أو لأبائهن أو أبناء أزواجهن، وهو العم أبو الزوج فإنهما من المحارم، فإن الأب يصون عرض ابنته، ووالد الزوج يحفظ على ابنه ما يسوءه، ثم عدد تعالى بقية المحارم فقال سبحانه: (أو آبائهن أو أبناء بعولتهن، أو إخوانهن أو بني إخوانهن أو بني أخواتهن) فذكر تعالى الأبناء، وأبناء الأزواج، والإخوة، وأبناء الإخوة، وأبناء الأخوات، وكلهم من المحارم الذين يحرم على المرأة الزواج بهم، لما جبل الله في الطباع من النفرة من مماسة القربيات ونكاحهن.

(أو نسائهن) أي المسلمات، وخرج بذلك النساء الكافرات، قال مجاهد: المراد نسأوهن المسلمات، ليس المشركات من نسائهن، وليس يحل للمرأة المسلمة أن تنكشف بين يدي مشركة، وقال ابن عباس: هن المسلمات، ولا تبدي زينتها أمام يهودية أو نصرانية (مختصر ابن كثير وهذا قول أكثر السلف أن المراد بالنساء المؤمنات، قال الفخر الرازي: وقيل المراد بالنساء، جميع النساء فإنهن سواء في حل نظر بعضهن إلى بعض، وقول السلف محمول على الاستحباب، أقوى: والقول الأول أظهر، والله اعلم. (أو ما ملكت أيمانهن) أي من الإماء المشركات، قال ابن جرير: يعني من نساء المشركين، فيجوز لها أن تظهر زينتها لها، وإن كانت مشركة لأنها أمتها.

(أو التابعين غير أولي الإربة من الرجال) أي الخدام غير أولي الميل والشهوة والحاجة إلى النساء، كالبله والحمقى، والمغفلين الذين لا يدركون من أمور النكاح شيئا، قال مجاهد: هو الأبله الذي يريد الطعام، ولا يريد النساء، ولا يهيمه إلا بطنه. (أو الطفل الذين لم يظهروا على عورات النساء) أي الأطفال الصغار الذين لم يبلغوا حد الشهوة، ولا يعرفون أمور الجماع لصغرهم، فلا حرج أن تظهر المرأة زينتها أمامهم. (ولا يضربن بأرجلهن ليعلم ما يخفين من زينتهن) أي ولا يضربن بأرجلهن الأرض، لئلا يسمع الرجال صوت الخلال، فيطمع الذي في قلبه مرض، قال ابن عباس: كانت المرأة تمر بالناس وتضرب برجلها ليعلم صوت خلخالها، فنهى الله تعالى عن ذلك لأنه من عمل الشيطان.

(وتوبوا إلى الله جميعا أيه المؤمنون لعلكم تفلحون) أي ارجعوا أيها المؤمنون إلى ربكم بامتثال الطاعات، والكف عن الشهوات، لتتألوا رضاهم وتفوزوا بسعادة الدارين (1819).

(وَلَيْسَتَّعْفِيفُ الَّذِينَ لَا يَجِدُونَ نِكَاحًا حَتَّىٰ يُغْنِيَهُمُ اللَّهُ مِنْ فَضْلِهِ وَالَّذِينَ يَبْتَغُونَ الْكِتَابَ مِمَّا مَلَكَتْ أَيْمَانُكُمْ فَكَاتِبُوهُمْ إِنْ عَلِمْتُمْ فِيهِمْ خَيْرًا وَءَاتُوهُمْ مِّنْ مَّالِ اللَّهِ الَّذِي ءَاتَاكُمْ وَلَا تُكْرَهُوا فَتَيْبِكُمْ عَلَى الْبِغَاءِ إِنْ أَرَدْنَ تَحَصُّنًا

(1816) تفسير ابن أبي حاتم 8/2573 منقطع الإسناد

(1817) [الجزع] الخرز اليماني: وهو الذي فيه بياض وسواد تشبه به العين مختار الصحاح/1/44

(1818) تفسير الطبري 18/124 في إسناده حزمي بن لاحق مجهول.

(1819) صفوة التفسير - للصابوني (253/2)

لَتَبْتَغُوا عَرَضَ الْحَيَاةِ الدُّنْيَا وَمَنْ يُكْرِهَنَّ فَإِنَّ اللَّهَ مِنْ بَعْدِ إِكْرَاهَيْهِمْ غَفُورٌ رَحِيمٌ (٣٣)

قوله تعالى: (والذين يبتغون الكتاب) - الآية.

776. أخرج ابن السكن في معرفة الصحابة عن عبد الله بن صبيح عن أبيه قال: «كنت مملوكاً لحويطب بن عبد العزى، فسألته الكتابة فأبى، فنزلت: (والذين يبتغون الكتاب) - الآية⁽¹⁸²⁰⁾».

قوله تعالى: (ولا تکرهوا فتیاتکم) - الآية.

777. أخرج مسلم من طريق أبي سفيان عن جابر بن عبد الله قال: «كان عبد الله بن أبي يقول لجارية له: اذهبي فأبعينا شيئاً، فأنزل الله: (ولا تکرهوا فتیاتکم علی البغاء) الآية⁽¹⁸²¹⁾».

778. وأخرج أيضاً من هذا الطريق: «أن جارية لعبد الله بن أبي يقال لها مسيكة وأخرى يقال لها أميمة، فكان يريد هما على الزنا، فشكيا ذلك إلى النبي ﷺ فأنزل الله: (ولا تکرهوا فتیاتکم) - الآية».

779. وأخرج الحاكم من طريق أبي الزبير عن جابر قال: «كانت مسيكة لبعض الأنصار، فقالت: أن سيدي يكرهني على البغاء، فنزلت: (ولا تکرهوا فتیاتکم علی البغاء) - الآية⁽¹⁸²²⁾».

780. وأخرج البزار والطبراني بسند صحيح عن ابن عباس قال: «كانت لعبد الله بن أبي جارية تزني في الجاهلية، فلما حرم الزنا قالت: لا والله لا أزني أبداً، فنزلت: (ولا تکرهوا فتیاتکم علی البغاء) - الآية⁽¹⁸²³⁾».

781. وأخرج البزار بسند ضعيف عن أنس⁽¹⁸²⁴⁾ نحوه. وسمى الجارية معاذة.

782. وأخرج سعيد بن منصور عن سفيان عن عمرو بن دينار عن عكرمة: «أن عبد الله بن أبي كانت له

أمتان مسيكة ومعاذة، فكان يكرههما على الزنا فقالت إحداهما: إن كان خيراً فقد استكثرت منه، وإن كان غير ذلك فإنه ينبغي أن أدعه، فأنزل الله: (ولا تکرهوا فتیاتکم علی البغاء) - الآية⁽¹⁸²⁵⁾».

[تعليق]

ذكر المؤلف رحمه الله أثراً واحداً في قوله تعالى (والذين يبتغون الكتاب) وفي إسناده ضعف. والآية فيها الأمر بالمكاتبة وهي عند العلماء للاستحباب لا للوجوب، والمكاتبة هي أن يطلب العبد من سيده العتق فيوافق على أن يدفع له قرراً من المال، فيوفيه إما منجماً يعني مقسطاً أو دفعة واحدة.

ثم ذكر رحمه الله عدة آثار في قوله تعالى (ولا تکرهوا فتیاتکم علی البغاء) وهي آثار صحيحة في أنها نزلت في عبد الله بن أبي المنافق وكان عنده جارية أو اثنتين يكرههما على البغاء يعني الزنا من أجل المال، على عادة أهل الجاهلية، فحرم الله تعالى ذلك في الإسلام، وجاء الأمر عاماً لجميع المسلمين، فلا يجوز للسيد أن يكره جاريته على البغاء من أجل المال والله تعالى أعلم.

[تفسير مختصر للآية]

(والذين يبتغون الكتاب مما ملكت أيمانكم) أي والذين يريدون أن يتحرروا من (رق العبودية) بمكاتبة أسيادهم من العبيد والأرقاء. (فكاتبوهم إن علمتم فيهم خيراً) أي فكاتبوهم على قدر من المال، إن عرفتم منهم الأمانة والديانة، ليصيروا أحراراً. (وأتوهم من مال الله الذي آتاكم) أي أعطوهم مما أعطاكم الله من الرزق ليكون لهم عوناً على فكك أنفسهم. (ولا تکرهوا فتیاتکم علی البغاء) أي لا تجبروا إماءكم على الزنى.

(إن أردن تحصناً) أي إن أردن التعفف عن مقارفة الفاحشة، وليس هذا للقيود أو الشرط، وإنما هو لبيان فطاعة الأمر وشناعته، فالأصل في المملوكة أن يحصنها سيدها، أما أن يأمرها بالزنى وتمتتع وتريد العفة، فذلك منتهى الخسة والدناءة منه. (لتبتغوا عرض الحياة الدنيا) أي لأجل أن تتلوا حطام هذه الحياة الزائل، وتحصلوا على المال بطريق الفاحشة والرذيلة.

(ومن يكرهه فإن الله من بعد إكراهه غفور رحيم) أي ومن يجبرهن على الزنى فإن الله غفور لهن، رحيم بهن، لا يؤاخذهن بالزنى، لأنهن أكرهن عليه، وسينتقم ممن أكرهه أشد انتقام⁽¹⁸²⁶⁾.

(وَإِذَا دُعُوا إِلَى اللَّهِ وَرَسُولِهِ لِيَحْكُمَ بَيْنَهُمْ إِذَا فَرِيقٌ مِّنْهُمْ مُّعْرِضُونَ ٤٨)

قوله تعالى: (وإذا دعوا) - الآية.

783. أخرج ابن أبي حاتم من مرسل الحسن قال: «كان الرجل إذا كان بينه وبين الرجل منازعة فدعي إلى النبي ﷺ وهو

محق أدعوا علم أن النبي ﷺ سيقضي له بالحق، وإذا أراد أن يظلم فدعي إلى النبي ﷺ أعرض فقال: انطلق إلى فلان فأنزل

⁽¹⁸²⁰⁾التاريخ الكبير للبخاري 4/318 لمؤلف: محمد بن إسماعيل البخاري المحقق: السيد هاشم الندوي

عدد الأجزاء: 9 وابن السكن من نفس الطريق ذكره صاحب الإصابة وفي إسناده محمد بن إسحاق مدلس وقد عنعن.

⁽¹⁸²¹⁾صحيح مسلم 4/2320 ح (2320) سنن البيهقي الكبرى 8/9 ح (15569) مسند أبي يعلى 4/199 ح (2304)

⁽¹⁸²²⁾سنن أبي داود 2/294 ح (2311) المستدرک 2/229 ح (2840) وقال: صحيح على شرط مسلم سنن النسائي الكبرى ص 6/419 ح (11365) إسناده صحيح. قال الإمام

النسائي أنا الحسن بن محمد نا حجاج عن بن جريج قال أخبرني أبو الزبير أنه سمع جابراً يقول - فذكره

⁽¹⁸²³⁾المعجم الكبير 11/284 ح (11747) سننه صحيح قال حدثنا إبراهيم بن نائلة الأصبهاني ويوسف القاضي قالنا ثنا محمد بن أبي بكر المقدمي ثنا سليمان بن داود ثنا سليمان

بن معاذ عن سماك بن حرب عن عكرمة عن بن عباس - به

⁽¹⁸²⁴⁾مسند البزار قال الهيثمي: في إسناده محمد بن الحجاج اللخمي كذاب وذكر إسناده الحافظ ابن كثير في تفسيره

⁽¹⁸²⁵⁾تفسير الطبري 18/133 منقطع

⁽¹⁸²⁶⁾صفوة التقاسير - للصابوني (253/2)

[تعليق]

ذكر المؤلف رحمه الله أثراً واحداً في سبب نزول هذه الآية. وقد جاء في بعض الروايات أن هذا الرجل من اليهود، وأن الذي أراد أن يتحاكم إليه هو كعب بن الأشرف، وذلك إذا كان عليه الحق لأنه يعلم علم اليقين أن النبي ﷺ سيقضي بالحق فلذلك أعرض إلى الباطل.

وهذا الآية تشمل من كان سبباً لنزولها وغيره فكل واحد يدعى إلى الله ورسوله للحكم فلا بد له من التسليم لقضاء الله ورسوله وبالله التوفيق.

[تفسير مختصر للآية]

(وإذا دعوا إلى الله ورسوله ليحكم بينهم) أي وإذا دعوا إلى حكم الله أو حكم رسوله. (إذا فريق منهم معرضون) أي استنكفوا وأعرضوا عن الحضور إلى مجلس الرسول. (وإن يكن لهم الحق يأتوا إليه مذعنين) أي وإن كان الحق بجانبهم جاءوا إلى رسول الله طائعين منقادين، لعلمهم أنه عليه السلام يحكم بالحق، نبيه تعالى على أنهم إنما يعرضون، متى عرفوا أن الحق لغيرهم؟ أما إذا عرفوه لأنفسهم، عدلوا عن الإعراض، وأدعوا ببذل الرضا والقبول.

(أفي قلوبهم مرض أم ارتابوا) أي هل في قلوبهم نفاق؟ أم شكوا في نبوته عليه السلام؟ (أم يخافون أن يحيف الله عليهم ورسوله) أي أم يخافون أن يظلمهم رسول الله في الحكم، والإستفهام للمبالغة في التوبيخ والذم، كقول الشاعر: ألسنت من القوم الذين تعاهدوا على اللؤم والفحشاء في سالف الدهر؟ (بل أولئك هم الظالمون) أي بل هم الكاملون في الظلم والعناد لإعراضهم عن حكم رسول الله (1828).

(وَعَدَّ اللَّهُ الَّذِينَ ءَامَنُوا مِنْكُمْ وَعَمِلُوا الصَّالِحَاتِ لَيَسْتَخْلِفَنَّهُمْ فِي الْأَرْضِ كَمَا اسْتَخْلَفَ الَّذِينَ مِنْ قَبْلِهِمْ وَلَيُمَكِّنَنَّ لَهُمْ دِينَهُمُ الَّذِي ارْتَضَى لَهُمْ وَلَيُبَدِّلَنَّهُمْ مِنْ بَعْدِ خَوْفِهِمْ أَمْنًا يَعْبُدُونَنِي لَا يُشْرِكُونَ بِي شَيْئًا وَمَنْ كَفَرَ بَعْدَ ذَلِكَ فَأُولَئِكَ هُمُ الْفَاسِقُونَ ٥٥)

قوله تعالى: (وعد الله الذين آمنوا) - الآية.

784. أخرج الحاكم وصححه والطبراني عن أبي بن كعب قال: «لما قدم رسول الله ﷺ وأصحابه المدينة وأوتهم الأنصار رمتهم العرب عن قوس واحدة، وكانوا لا يبيتون إلا بالسلاح ولا يصبحون إلا فيه، فقالوا: ترون أنا نعيش حتى نبني أمنين مطمئنين لا نخاف إلا الله، فنزلت: (وعد الله الذين آمنوا منكم) - الآية (1829)».

785. وأخرج ابن أبي حاتم عن البراء قال: «فيما نزلت هذه الآية ونحن في خوف شديد (1830)».

[تعليق]

ذكر المؤلف أثرين في سبب نزول هذه الآية، وهما يدلان على ما كان عليه صحابة النبي ﷺ من الخوف، فوعدهم الله تعالى بأن يبذل خوفهم أمناً، الوعد ليس خاصاً بهم بل هو عام في كل من آمن بالله تعالى، وذلك كما قال تعالى (الَّذِينَ آمَنُوا وَلَمْ يَلْبِسُوا إِيمَانَهُمْ بِظُلْمٍ أُولَئِكَ لَهُمُ الْأَمْنُ وَهُمْ مُهْتَدُونَ) [الأنعام (82)].

[تفسير مختصر للآية]

(وعد الله الذين آمنوا منكم وعملوا الصالحات) أي وعد الله المؤمنين المخلصين الذين جمعوا بين الإيمان والعمل الصالح. (ليستخلفنهم في الأرض كما استخلف الذين من قبلهم) أي وعدهم بميراث الأرض، وأن يجعلهم فيها خلفاء متصرفين فيها تصرف الملوك في ممالكهم، كما استخلف المؤمنين قبلهم فملكهم ديار الكفار، وهذا وعد ظهر صدقه بفتح مشارق الأرض ومغاربها لهذه الأمة، وفي الحديث بشارة كذلك فقد قال ﷺ: "إن الله زوى لي الأرض، فرأيت مشارقها ومغاربها، وإن ملك أمتي سبيل ما زوى لي منها". (وليمكنن لهم دينهم الذي ارتضى لهم) أي وليجعلن دينهم - الإسلام - الذي ارتضاه لهم عزيزاً مكيناً عالياً على كل الأديان (1831).

(وليبدينهم من بعد خوفهم أمناً) أي وليغيرن حالهم التي كانوا عليها من الخوف والفرع، إلى الأمن والإستقرار، كقوله سبحانه: [وأنهم من خوف]. (يعبدونني لا يشركون بي شيئاً) استئناف بطريق الثناء عليهم كالتعليل للإستخلاف في الأرض، أي يوحدونني ويخلصون لي العبادة، لا يعبدون إلهاً غيري.

(1827) تفسير ابن أبي حاتم 8/2622 مرسل.

(1828) صفوة التفسير - للصابوني (2/259).

(1829) المستدرک 2/435 ح (3512) وقال: صحيح الإسناد ولم يخرجاه قلت إسناد صحيح قال حدثني محمد بن صالح بن هانئ حدثنا أبو سعيد محمد بن شاذان حدثني أحمد بن

سعيد الدارمي حدثنا علي بن الحسين بن واقد حدثني أبي عن الربيع بن أنس عن أبي العالية عن أبي بن كعب - به.

(1830) تفسير ابن أبي حاتم 8/2628 وفي إسناده محمد بن أبي حماد وهو محمد بن حميد الرازي تقدم أنه ضعيف وانظر موضح أو هام الجمع والتقريب للخطيب 2/423

(1831) صفوة التفسير - للصابوني (2/260).

(لَيْسَ عَلَى الْأَعْمَى حَرْجٌ وَلَا عَلَى الْأَعْرَجِ حَرْجٌ وَلَا عَلَى الْمَرِيضِ حَرْجٌ وَلَا عَلَى أَنْفُسِكُمْ أَنْ تَأْكُلُوا مِنْ بُيُوتِكُمْ أَوْ بُيُوتِ آبَائِكُمْ أَوْ بُيُوتِ أُمَّهَاتِكُمْ أَوْ بُيُوتِ إِخْوَانِكُمْ أَوْ بُيُوتِ أَخَوَاتِكُمْ أَوْ بُيُوتِ أَعْمَامِكُمْ أَوْ بُيُوتِ عَمَّاتِكُمْ أَوْ بُيُوتِ أَخْوَالِكُمْ أَوْ بُيُوتِ خَالَاتِكُمْ أَوْ مَا مَلَكَتْمْ مَفَاتِحَهُ أَوْ صَدِيقِكُمْ لَيْسَ عَلَيْكُمْ جُنَاحٌ أَنْ تَأْكُلُوا جَمِيعًا أَوْ أَشْتَاتًا فَإِذَا دَخَلْتُمْ بُيُوتًا فَسَلِّمُوا عَلَى أَنْفُسِكُمْ تَحِيَّةً مِّنْ عِنْدِ اللَّهِ مُبْرَكَةٌ طَيِّبَةٌ كَذَلِكَ بَيِّنٌ لَّكُمْ الْآيَاتِ لَعَلَّكُمْ تَعْقِلُونَ (٦١)

قوله تعالى: (ليس على الأعمى)- الآية.

786. قال عبد الرزاق أخبرنا معمر عن ابن أبي نجيح عن مجاهد قال: « كان الرجل يذهب بالأعمى والأعرج والمريض إلى بيت أبيه أو بيت أخيه أو بيت أخته أو بيت عمته أو بيت خالته، فكانت الزمنى يتخرجون من ذلك يقولون: إنما يذهبون بنا إلى بيوت غيرهم، فنزلت هذه الآية رخصة لهم: (ليس على الأعمى حرج)- الآية(1832)».

787. وأخرج ابن جرير عن ابن عباس قال: « لما أنزل الله: (يا أيها الذين آمنوا لا تأكلوا أموالكم بينكم بالباطل) قال المسلمون: إن الله نهانا أن نأكل أموالنا بيننا بالباطل، والطعام من أفضل الأموال، فلا يحل لأحد منا أن يأكل عند أحد، فكف الناس عن ذلك فنزل: (ليس على الأعمى حرج) إلى قوله: (أو ما ملكتم مفاتحه)- الآية(1833)».

788. وأخرج عن الضحاك قال: « كان أهل المدينة قبل أن يبعث النبي ﷺ لا يخالطهم في طعامهم أعمى ولا مريض ولا أعرج، لأن الأعمى لا يبصر طيب الطعام والمريض لا يستوفي الطعام كما يستوفي الصحيح والأعرج لا يستطيع المزاحمة على الطعام، فنزلت رخصة في مواكلتهم (1834)».

789. وأخرج عن مقسم قال: « كانوا يتقون أن يأكلوا مع الأعمى والأعرج فنزلت (1835)».

790. وأخرج الثعلبي في تفسيره عن ابن عباس قال: « خرج الحارث غازياً مع رسول الله ﷺ، فخلف على أهله خالد بن زيد، فخرج أن يأكل من طعامه وكان مجهوداً، فنزلت (1836)».

قوله تعالى: (ليس عليكم جناح)- الآية.

791. أخرج البزار بسند صحيح عن عائشة قالت: « كان المسلمون يرغبون في النفر مع رسول الله ﷺ فيدفعون مفاتحهم إلى زمناهم (1837) ويقولون لهم: قد أحلنا لكم أن تأكلوا مما أحببتهم، وكانوا يقولون: أنه لا يحل لنا إنهم أذنوا عنغير طيب نفس، فأنزل الله: (ليس عليكم جناح)- إلى قوله: (أو ما ملكتم مفاتحه) (1838)».

792. وأخرج ابن جرير عن الزهري أنه سئل عن قوله: (ليس على الأعمى حرج) ما بال الأعمى والأعرج والمريض ذكروا هنا؟ فقال: « أخبرني عبد الله بن عبد الله قال: إن المسلمين كانوا إذا غزوا خلفوا زمناهم وكانوا يدفعون إليهم مفاتيح أبوابهم ويقولون قد أحلنا لكم أن تأكلوا مما في بيوتنا وكانوا يتخرجون من ذلك ويقولون: لا ندخلها وهم غيب فأنزلت هذه الآية رخصة لهم (1839)».

793. وأخرج عن قتادة قال: « نزلت (ليس عليكم جناح أن تأكلوا جميعاً أو أشتاتاً) في حي من العرب، كان الرجل منهم لا يأكل طعامه وحده وكان يحمله بعض يوم حتى يجد من يأكله معه (1840)».

794. وأخرج عن عكرمة وأبي صالح قالوا: « كانت الأنصار إذا نزل بهم الضيف لا يأكلون حتى يأكل الضيف معهم، فنزلت رخصة لهم (1841)».

[تعليق]

ذكر المؤلف رحمه الله تسعة آثار في سبب نزول هذه الآية، وهي تشتمل على عدة أسباب للنزول. فالأول: في تحرج الزمنى - يعنى المرضى مرض لا يرجى برؤه - أن يأكلوا مع الأصحاء، فنزلت الآية مبينة للجواز. الثاني: تحريم الصحابة على أنفسهم أن يأكلوا عند أحد ظناً أنه من أكل أموال الناس بالباطل، فنزلت الآية مبينة لهم أنه

(1832) تفسير الصنعاني 3/64 وفي إسناده ضعف مع إرساله

(1833) تفسير الطبري 18/168 بسند ضعيف.

(1834) المصدر السابق مرسل

(1835) تفسير الطبري 18/170 وإسناده صحيح لكنه مرسل

(1836) لم أجده في الكتب المسنده

(1837) [زمناهم] جمع زمن وهو المريض مرض لازم كالأعرج والأعمى ونحوهما

(1838) عزاه الهيثمي للبخاري وقال: رجاله جال الصحيح

(1839) تفسير الطبري 7/84 سنن البيهقي الكبرى 7/274 ح(14377) مرسل صحيح الإسناد، وعزاه البيهقي لأبي داود في المراسيل

(1840) تفسير الطبري 18/172 مرسل معل.

(1841) المصدر السابق وإسناده ثقافت غير أنه مرسل

ليس من أكل مال الناس بالباطل، بل هو حلال جائز أن تأكلوا في البيوت المذكورة في الآية.
الثالث: في امتناع بعض الصحابة من الأنصار من الأكل مع المرضى والعرج والعمي ظناً منهم أنهم بالطعام معهم سوف يظلمونهم لأن هؤلاء لا يستطيعون أن يأخذوا من الطعام كما يأخذ الصحيح، فنزلت الآية مبنية أن ذلك ليس من الظلم، وأن الله تعالى أباح لهم مخالطتهم.
الرابع: تخرج خالد بن زيد أن يأكل من طعام رفيقه الحارث وكان قد خرج إلى الجهاد فنزلت الآية مبيحة له أن يأكل من طعامه.

الخامس: أنها نزلت في المسلمين حين يذهبون إلى الغزو فيخلفون بعضهم ويعطونهم الإذن بدخول بيوتهم والأكل منها من غير إذن، فكره ذلك المخلفون وظنوا أنهم إنما أذنوا لهم من غير طيب نفس. فنزلت الآية مبيحة لهم من الطعام.
أما الأثران الأخيران فبسببهما: أن بعض الصحابة كان يكره أن يأكل وحده حتى يأكل معه غيره سواء كان ضعيفاً أو غيره. فنزلت الآية مبيحة لهم أن يأكلوا جميعاً أو أشتاتاً يعني متفرقين.
وهذه الآثار كلها ليس بينها خلاف. فهي وإن تعددت الأسباب فتأخر سبب النزول حتى وقوع عدة وقائع احتاج المسلمون إلى بيان حكماً فنزلت الآيات مبيحة الأكل في بيوت الأباء والأمهات إلى غير ذلك مما ذكر في الآية الكريمة والله تعالى أعلم.

[تفسير مختصر للآية]

(ليس على الأعمى حرج ولا على الأعرج حرج ولا على المريض حرج) أي ليس على أهل الأعذار (الأعمى، والأعرج، والمريض) حرج ولا إثم في القعود عن الغزو، لضعفهم وعجزهم.
(ولا على أنفسكم أن تأكلوا من بيوتكم) أي وليس عليكم أيها الناس إثم أن تأكلوا من بيوت أزواجكم وعيالكم، قال البيضاوي: فيدخل فيها بيوت الأولاد لأن بيت الولد كبيته لقوله عليه السلام: إن أطيب ما يأكل المرء من كسبه، وإن ولده من كسبه.
(أو بيوت آبائكم أو بيوت أمهاتكم أو بيوت إخوانكم أو بيوت أخواتكم أو بيوت أعمامكم أو بيوت عماتكم، أو بيوت أخوالكم أو بيوت خالاتكم) أي لا حرج في الأكل من بيوت هؤلاء الأقارب قال الرازي: والظاهر أن إباحة الأكل لا تتوقف على الإستئذان لأن العادة أن هؤلاء القوم تطيب أنفسهم بأكل الأقارب.
(أو ما ملكتم مفاتحه) أي البيوت التي تملكونها عليها وتملكون مفاتيحها في غياب أهلها، قالت عائشة: كان المسلمون يذهبون مع رسول الله في الغزو ويدفعون مفاتيحهم إلى ضمانهم ويقولون: قد أحلنا لكم الأكل منها، فكانوا يقولون: إنه لا يحل لنا أن نأكل، إنهم أذنوا لنا عن غير طيب أنفسهم، وإنما نحن أمناء أنزل الله [أو ما ملكتم مفاتحه].
(أو صديقكم) أي أو بيوت أصدقائكم وأصحابكم، قال قتادة: إذا دخلت بيت صديقك فلا بأس أن تأكل بغير إذنه.
(ليس عليكم جناح أن تأكلوا جميعاً أو أشتاتاً) أي ليس عليكم إثم أو حرج أن تأكلوا مجتمعين أو متفرقين⁽¹⁸⁴²⁾.

(إِنَّمَا الْمُؤْمِنُونَ الَّذِينَ ءَامَنُوا بِاللَّهِ وَرَسُولِهِ وَإِذَا كَانُوا مَعَهُ عَلَىٰ أَمْرٍ جَامِعٍ لَّمْ يَذْهَبُوا حَتَّىٰ يَسْتَأْذِنُوا ۚ إِنَّ الَّذِينَ يَسْتَأْذِنُونَكَ أُولَٰئِكَ الَّذِينَ يُؤْمِنُونَ بِاللَّهِ وَرَسُولِهِ فَاذَا سُئِلُوا فَاذَنَ لِمَنْ شِئْتُمْ مِنْهُمْ لِيُخْرَجُوا لَكُمْ وَأَسْتَغْفِرَ لَهُمْ فَاذَنَ لِمَنْ شِئْتُمْ مِنْهُمْ لِيُخْرَجُوا لَكُمْ)
اللَّهُ إِنَّ اللَّهَ عَفُورٌ رَّحِيمٌ (٦٢)

قوله تعالى: (إنما المؤمنون) - الآية.

795. أخرج ابن إسحاق والبيهقي في الدلائل عن عروة ومحمد بن كعب القرظي وغيرهما قالوا: «لما أقبلت قريش عام الأحزاب نزلوا بمجمع الأسيال من رومة بنر بالمدينة قائدها أبو سفيان، وأقبلت غطفان حتى نزلوا بنعمي إلى جانب أحد، وجاء رسول الله ﷺ الخبر، فضرب الخندق على المدينة وعمل فيه وعمل المسلمون فيه، وأبطأ رجال من المنافقين وجعلوا يأتون بالضعيف من العمل فيتسللون إلى أهلهم بغير علم من رسول الله ﷺ ولا إذن، وجعل الرجل من المسلمين إذا نابته النابذة من الحاجة التي لا بد منها يذكر ذلك لرسول الله ﷺ ويستأذنه في اللحوق لحاجته فيأذن له وإذا قضى حاجته رجع، فأنزل الله في أولئك المؤمنين: (إنما المؤمنون الذين آمنوا بالله ورسوله وإذا كانوا معه على أمر جامع) إلى قوله: (والله بكل شيء عليم⁽¹⁸⁴³⁾)».

[تعليق]

ذكر المؤلف أثراً واحداً في سبب نزول هذه الآية، وهو يدل على أنه لا يحل للمؤمنين إذا كانوا مع النبي ﷺ على أمر جامع - نحو الجهاد والخطب والعيدين والإستسقاء وغيرها من أمور المسلمين - أن يذهبوا بدون استئذان.
قال الإمام ابن الجوزي: قال المفسرون: «كان رسول الله ﷺ إذا صعد المنبر يوم الجمعة، وأراد الرجل أن يخرج من المسجد لحاجة أو عذر، لم يخرج حتى يقوم بحيال رسول الله ﷺ حيث يراه، فيعرف أنه إنما قام ليستأذن فيأذن لمن شاء منهم، فالأمر إليه في ذلك».

[تفسير مختصر للآية]

(1842)صفوة التفاسير - للصابوني (2/ 262)

(1843)دلائل النبوة للبيهقي 408 ج:3 في إسناده أحمد بن عبد الجبار ضعيف مع إرساله

(إنما المؤمنون الذين آمنوا بالله ورسوله) أي إنما المؤمنون الكاملون في الإيمان، الذين صدقوا الله ورسوله تصديقا جازما لا يخالجه شك. (وإذا كانوا معه على أمر جامع) أي وإذا كانوا مع الرسول في أمر هام، فيه مصلحة للمسلمين. (لم يذهبوا حتى يستأذنه) أي لم يتركوا مجلسه حتى يستأذنه فيأذن لهم، قال المفسرون: نزلت هذه الآية في وقت حفر الخندق، فإن بعض المؤمنين كانوا يستأذنون في الإنصراف لضرورة، وكان المنافقون يذهبون بغير استئذان، فنزلت تمدح المؤمنين الخالصين، وتعرض بدم المنافقين. (إن الذين يستأذنونك أولئك الذين يؤمنون بالله ورسوله) هذا تأكيد لما تقدم ذكره تفخيما وتعظيما لشأن الرسول، أي إن الذين يستأذنونك يا أيها الرسول أولئك هم المؤمنون حقا، قال البيضاوي: أعاده مؤكدا على أسلوب أبلغ، فإن جعل المستأذنين هم المؤمنون، عكس الأسلوب الأول، وفيه تأكيد للأول بذكر لفظ الله ورسوله، فيكون مصداقا ودليلا على صحة الإيمان. (فإذا استأذنتك لبعض شأنهم) أي فإذا استأذنتك هؤلاء المؤمنون لبعض شؤونهم ومهامهم (فأذن لمن شئت منهم) أي فأسمح لمن أحببت بالإنصراف إن كان فيه حكمة ومصلحة. (واستغفر لهم الله) أي وأدع الله لهم بالعفو والمغفرة، فإن الاستئذان ولو لعذر قصور، لأنه تقديم لأمر الدنيا على أمر الدين. (إن الله غفور رحيم) أي عظيم العفو واسع الرحمة¹⁸⁴⁴.

(لَا تَجْعَلُوا دُعَاءَ الرَّسُولِ بَيْنَكُمْ كَدُعَاءِ بَعْضِكُمْ بَعْضًا قَدْ يَعْلَمُ اللَّهُ الَّذِينَ يَسْتَلُونَ مِنْكُمْ لَوَادًّا فَلْيَحْذَرِ الَّذِينَ يُخَالِفُونَ عَنْ أَمْرِهِ أَنْ تُصِيبَهُمْ فِتْنَةٌ أَوْ يُصِيبَهُمْ عَذَابٌ أَلِيمٌ ٦٣)

قوله تعالى: (لا تجعلوا)- الآية.

796. أخرج أبو نعيم في الدلائل من طريق الضحاك عن ابن عباس قال: « كانوا يقولون: يا محمد يا أبا القاسم، فأنزل الله: (لا تجعلوا دعاء الرسول بينكم كدعاء بعضكم بعضاً) فقالوا: يا نبي الله يا رسول الله

«(1845)»

[تعليق]

ذكر المؤلف رحمه الله أثراً واحداً هنا، وهو يدل على النهي أن يجعل داء الرسول يعنى مخاطبته كمخاطبة بعضهم بعضاً، فلا بد لهم أن يخاطبوه بما يليق بمقامه الرفيع فيقولوا يا رسول الله يا نبي الله. وقال الإمام الفخر الرازي في قوله تعالى (قد يعلم الله الذين يستللون منكم لواداً) قال مقاتل: كان المنافقون تنقل عليهم خطبة النبي صلى الله عليه وسلم يوم الجمعة فيلوذون ببعض أصحابه ويخرجون من غير استئذان وثانيها¹⁸⁴⁶. قلت: ففي الآية وجوب سلوك الأدب مع رسول الله ﷺ سواء في القول أو الفعل، فقد كرمه الله تعالى ولم يخاطبه في القرآن باسمه مجرداً، وهذا تعظيم لقدره صلى الله عليه وسلم.

[تفسير مختصر للآية]

(لا تجعلوا دعاء الرسول بينكم كدعاء بعضكم بعضاً) أي لا تتادوا الرسول بإسمه كما ينادي بعضكم بعضاً بإسمه، بل قولوا: يا نبي الله، ويا رسول الله، تفخيماً لمقامه وتعظيماً لشأنه! قال أبو حيان: لما كان التداعي بالأسماء على عادة البداوة أمروا بتوقير رسول الله ﷺ ودعائه بأحسن ما يدعى به، نحو يا رسول الله، يا نبي الله، ألا ترى إلى بعض جفاة من أسلم كان يقول يا محمد فنهوا عن ذلك قال قتادة: أمرهم تعالى أن يفخموه ويشرفوه. (قد يعلم الله الذين يستللون منكم لواداً) أي قد علم الله الذين ينسلون قليلاً قليلاً، ويخرجون من الجماعة في خفية، يستتر بعضهم ببعض، قال الطبري: واللواذ هو أن يلوذ القوم بعضهم ببعض، يستتر هذا بهذا وهذا بهذا. (فليحذر الذين يخالفون عن أمره) أي فليخف الذين يخالفون أمر الرسول ويتركون سبيله ومنهجه وسنته. (أن تصيبهم فتنة أو يصيبهم عذاب أليم) أي تنزل بهم محنة عظيمة في الدنيا، أو ينالهم عذاب شديد في الآخرة¹⁸⁴⁷.

انتهت سورة النور

سُورَةُ الْفُرْقَانِ

(تَبَارَكَ الَّذِي إِنْ شَاءَ جَعَلَ لَكَ خَيْرًا مِّنْ ذَلِكَ جَنَّاتٍ تَجْرِي مِنْ تَحْتِهَا الْأَنْهَارُ وَيَجْعَلْ لَكَ فُصُورًا ١٠)

¹⁸⁴⁴صفوة التفسير - للصابوني (2/ 263)

¹⁸⁴⁵دلائل النبوة لأبي نعيم 43 ج:1 منقطع بين ابن جريج وابن عباس، والإسناد الثاني أيضا منقطع بين الضحاك وابن عباس

¹⁸⁴⁶مفاتيح الغيب (24/ 425)

¹⁸⁴⁷صفوة التفسير - للصابوني (2/ 263)

قوله تعالى: (تبارك الذي إن شاء جعل لك خيرا من ذلك) - الآية.
797. [ك] (ك) أخرج ابن أبي شيبة في المصنف وابن جرير وابن أبي حاتم عن خيثمة قال: «قيل للنبي
 □: إن شئت أعطيناك مفاتيح الأرض وخزائنها لا ينقصك ذلك عندنا شيئا في الآخرة، وإن شئت
 جمعتهما لك في الآخرة، قال: بل أجمعهما لي في الآخرة، فنزلت: (تبارك الذي شاء جعل لك خيرا من ذلك
 - الآية⁽¹⁸⁴⁸⁾».

[تعليق]

سورة الفرقان سورة مكية، وقد تحدثنا عن خصائص السور المكية بما أغنى عن إعادته.
 ذكر المؤلف رحمه الله أثراً واحداً في سبب نزول هذه الآية، وإسناده ليس بالقوي، وقد ورد تخيير الله تعالى لنبيه □.
 روى الإمام البيهقي في الشعب: عن أبي أمامة الباهلي، أن رسول الله □ قال: عرض علي ربي عز وجل أن يجعل لي
 بطحاء مكة ذهباً، فقلت لا يا رب، ولكن أجوع يوماً وأشبع يوماً، فإذا شبعت حمدتك وشكرتك، وإذا جعت تضرعت إليك
 ودعوتك. ⁽¹⁸⁴⁹⁾

وهذا من عظيم مكان النبي □ عند الله تعالى، وتواضعه □ لربه.
 وقد روى في سبب نزول هذه الآية ما أخرجه الإمام الواحدي وغيره. عن ابن عباس قال: «لما عير المشركون رسول
 الله □ بالفاقة قالوا: مال هذا الرسول يأكل الطعام ويمشي في الأسواق، حزن رسول الله □ فنزل جبريل عليه السلام من عند ربه
 معزيا له، فقال: السلام عليك يا رسول الله، رب العزة يقرئك السلام ويقول لك - (وما أرسلنا قبلك من المرسلين إلا أنهم ليأكلون
 الطعام ويمشون في الأسواق) - أي يبتغون المعاش في الدنيا قال: فبينما جبريل عليه السلام والنبي □ يتحدثان إذ ذاب جبريل عليه
 السلام حتى صار مثل الهدرة، قيل: يا رسول الله وما الهدرة؟ قال العدسة، فقال رسول الله □: مالك ذبت حتى صرت مثل الهدرة
 قال: يا محمد فتح باب من أبواب السماء ولم يكن فتح قبل ذلك اليوم، وإني أخاف أن يعذب قومك عند تعبيرهم إياك بالفاقة، وأقبل
 النبي وجبريل عليهما السلام بيكيان، إذ عاد جبريل عليه السلام إلى حاله، فقال أبشر يا محمد هذا رضوان خازن الجنة قد أتاك
 بالرضا من ربك، فأقبل رضوان حتى سلم ثم قال: يا محمد رب العزة يقرئك السلام، ومعه سقط من نور يتلألا ويقول لك ربك، هذه
 مفاتيح خزائن الدنيا مع ما لا ينتقص لك مما عنده في الآخرة مثل جناح بعوضة، فنظر النبي □ إلى جبريل عليه السلام كالمستشير
 به، فضرب جبريل بيده إلى الأرض فقال: تواضع لله، فقال: يا رضوان لا حاجة لي فيها، الفقر أحب إلي وأن أكون عبداً صابراً
 شكوراً، فقال رضوان عليه السلام: أصبت أصاب الله بك، وجاء نداء من السماء فرفع جبريل عليه السلام رأسه، فإذا السموات قد
 فتحت أبوابها إلى العرش، وأوحى الله تعالى إلى جنة عدن أن تدلي غصنا من أغصانها عليه عذق عليه غرقة من زبرجدة خضراء
 لها سبعون ألف باب من ياقوتة حمراء، فقال جبريل عليه السلام: يا محمد ارفع بصرك، فرفع فرأى منازل الانبياء وغرفهم، فإذا
 منازلهم فوق منازل الانبياء فضلاً له خاصة، ومناد ينادي: أرضيت يا محمد؟ فقال النبي □: رضيت، فاجعل ما أردت أن تعطيني
 في الدنيا ذخيرة عندك في الشفاعة يوم القيامة ويرون أن هذه الآية أنزلها رضوان - (تبارك الذي إن شاء جعل لك خيراً من ذلك
 جنات تجري من تحتها الأنهار ويجعل لك قصوراً)⁽¹⁸⁵⁰⁾».

قلت: دلت الآية مع أسباب نزولها على حقارة الدنيا عند الله تعالى وعند نبيه □، فلو شاء الله لنبيه ما لم يجعل لأحد من
 البشر، من الجنات والقصور ورجد العيش، وفيه كذلك زهادة النبي □ في الدنيا، فلو شاء لاختار قصورها ولكنه □ أثر لذة الآخرة
 على لذة الدنيا. نسأل الله تعالى أن يحشرنا معه.

[تفسير مختصر للآية]

(تبارك الذي إن شاء جعل لك خيراً من ذلك) أي تمجد وتعظم الله الكبير الجليل، الذي لو أراد لجعل لك خيراً من ذلك الذي ذكره
 من نعيم الدنيا.

(جنات تجري من تحتها الأنهار) أي لو شاء لأعطاك بساتين وحدائق، تسير فيها الأنهار، لا جنة واحدة.
 (ويجعل لك قصوراً) أي ويجعل لك مع الحدائق القصور الرفيعة المشيدة، كما هو حال الملوك⁽¹⁸⁵¹⁾.

(وَمَا أَرْسَلْنَا قَبْلَكَ مِنَ الْمُرْسَلِينَ إِلَّا إِنَّهُمْ لَيَأْكُلُونَ الطَّعَامَ وَيَمْشُونَ فِي الْأَسْوَاقِ وَجَعَلْنَا بَعْضَكُمْ لِبَعْضٍ فِتْنَةً
 أَنْتَصِرُونَ وَكَانَ رَبُّكَ بَصِيرًا ۝ ٢٠)

قوله تعالى: (وما أرسلنا قبلك من المرسلين) - الآية.

798. وأخرج الواحدي من طريق جويبر عن الضحاك عن ابن عباس قال: «لما عير المشركون رسول الله
 □ بالفاقة وقالوا: ما لهذا الرسول يأكل الطعام ويمشي في الأسواق، حزن رسول الله □ فنزل: (وما
 أرسلنا قبلك من المرسلين إلا أنهم ليأكلون الطعام ويمشون في الأسواق) - الآية⁽¹⁸⁵²⁾».

⁽¹⁸⁴⁸⁾ مصنف ابن أبي شيبة 6/327 ح (31800) تفسير الطبري 18/186 مرسل، وفي إسناده حبيب بن أبي ثابت مدلس وعنن في الرواية

⁽¹⁸⁴⁹⁾ شعب الإيمان (43 / 13)

⁽¹⁸⁵⁰⁾ أسباب النزول للواحدي (225)

⁽¹⁸⁵¹⁾ صفوة التفاسير - للصابوني (266 / 2)

⁽¹⁸⁵²⁾ أسباب النزول للواحدي 275 ضعيف منقطع.

[تعليق]

ذكر المؤلف رحمه الله أثراً وشاهداً له، وقد اختصره المؤلف وذكرته مطولاً في الآية التي قبلها. قال الإمام القرطبي نقلاً عن ابن إسحاق: أن سادتهم عتبة بن ربيعة وغيره اجتمعوا معه فقالوا: يا محمد! إن كنت تحب الرياسة وليناك علينا، وإن كنت تحب المال جمعنا لك من أموالنا؛ فلما أبى رسول الله ﷺ عن ذلك رجعوا في باب الاحتجاج معه فقالوا: ما بالك وأنت رسول الله تأكل الطعام، وتقف بالأسواق! فعيروه بأكل الطعام؛ لأنهم أرادوا أن يكون الرسول ملكاً، وعيروه بالمشي في الأسواق حين رأوا الأكاسرة والقيصرة والملوك الجبابرة يترفعون عن الأسواق، وكان عليه السلام يخالطهم في أسواقهم، ويأمرهم وينهاهم؛ فقالوا: هذا يطلب أن يتملك علينا، فماله يخالف سيرة الملوك؛ فأجابهم الله بقوله، وأنزل على نبيه: (وَمَا أَرْسَلْنَا قَبْلَكَ مِنَ الْمُرْسَلِينَ إِلَّا إِنَّهُمْ لِيَأْكُلُوا الطَّعَامَ وَيَمْشُوا فِي الْأَسْوَاقِ) (1854).

قلت: دلت الآية على أن سنة الله في عباده المرسلين أنهم ليأكلون الطعام ويمشون في الأسواق للبيع والشراء وغير ذلك من حوائج البشر، فهكذا طبيعة البشر، فما العجب من ذلك! فكل من أرسله الله من الأنبياء حالهم كحال النبي ﷺ، فما يعجب من هؤلاء الكفار. فأنبأهم الله تعالى بهذا لأن يتدبروا، ويقيسوا حال النبي صلى الله عليه وسلم بحال من كان قبله من الرسل.

[تفسير مختصر للآية]

(وما أرسلنا قبلك من المرسلين إلا إنهم ليأكلون الطعام ويمشون في الأسواق) أي وما أرسلنا قبلك يا محمد أحداً من الرسل، إلا وهم يأكلون ويشربون ويتجولون في الأسواق للتكسب والتجارة، فتلك هي سنة المرسلين من قبلك، فلم ينكرون ذلك عليك؟ وهو جواب عن قولهم [ما لهذا الرسول يأكل الطعام]؟.

(وجعلنا بعضكم لبعض فتنة أتصبرون) أي جعلنا بعض الناس بلاء لبعض ومحنة، ابتلى الله الغني بالفقير، والشريف بالوضع، والصحيح بالمرضى، ليختبر صديركم وإيمانكم، أتشكرون أم تكفرون؟ قال الحسن: يقول الأعمى: لو شاء الله لجعلني بصيراً مثل فلان، ويقول الفقير: لو شاء الله لجعلني غنياً مثل فلان، ويقول السقيم: لو شاء الله لجعلني صحيحاً مثل فلان (وكان ربك بصيراً) أي عالماً بمن يصبر أو يجزع، وبمن يشكر أو يكفر (1855).

(وَيَوْمَ يَعِضُ الظَّالِمُ عَلَى يَدَيْهِ يَقُولُ يَا لَيْتَنِي اتَّخَذْتُ مَعَ الرَّسُولِ سَبِيلاً (٢٧))

قوله تعالى (ويوم يعض الظالم على يديه) - الآية.

800. وأخرج ابن جرير عن ابن عباس قال: « كان أبي بن خلف يحضر النبي ﷺ، فيزجره عقبة بن أبي

معيط، فنزل: (ويوم يعض الظالم على يديه) - إلى قوله: (خذوا) (1856) ». .

801. وأخرج مثله عن الشعبي.

802. ومقسم (1857).

[تعليق]

ذكر المؤلف رحمه الله أثراً مع شواهد في سبب نزول هذه الآية فالمراد بالظالم هنا رجل بعينه وهو أبي بن خلف وقد جاء في بعض الروايات أنه أسلم ثم ارتد.

وأخرج الإمام الواحدي قال: إن أبي بن خلف وعقبة بن أبي معيط كانا متحالفين، وكان عقبة لا يقدم من سفر إلا صنع طعاماً فدعا إليه أشرف قومه، وكان يكثر مجالسة النبي ﷺ، فقدم من سفره ذات يوم فصنع طعاماً فدعا الناس، ودعا رسول الله ﷺ إلى طعامه، فلما قرب الطعام قال رسول الله ﷺ: ما أنا بأكل من طعامك حتى تشهد أن لا إله إلا الله وأني رسول الله، فقال عقبة: أشهد أن لا إله إلا الله وأن محمداً رسول الله، فأكل رسول الله ﷺ من طعامه، وكان أبي بن خلف غائباً، فلما أخبر بقصته قال: صبات يا عقبة، فقال: والله ماصبات ولكن دخل علي رجل فأبى أن يطعم من طعامي إلا أن أشهد له، فاستحيت أن يخرج من بيتي ولم يطعم، فشهدت فطعم، فقال أبي: ما أنا بالذي رضى منك أبداً إلا أن تأتيه فتبزق في وجهه وتطأ عنقه، ففعل ذلك عقبة، فأخذ رحم دابة فألقاها بين كتفيه، فقال رسول الله ﷺ: لا ألقاك خارجاً من مكة إلا علوت رأسك بالسيف، فقتل عقبة يوم بدر صبواً، وأما أبي بن خلف فقتله النبي ﷺ يوم أحد في المبارزة، فأنزل الله تعالى فيهما هذه الآية (1858).

وأما رواية الشعبي فهي عند الإمام الطبري رحمه الله قال: عن الشعبي في قوله: (لَيْتَنِي لَمْ أَتَّخِذْ فَلَانًا خَلِيلاً) قال: كان عقبة بن أبي معيط خليلاً لأمية بن خلف، فأسلم عقبة، فقال أمية: وجهي من وجهك حرام إن تابعت محمداً فكفر؛ وهو الذي قال: (لَيْتَنِي لَمْ أَتَّخِذْ فَلَانًا خَلِيلاً) (1859).

قلت: جعل الإمام ابن الجوزي هذه الآثار ثلاثة أسباب لنزول الآية، والذي يظهر لي أن هذه الآثار يشهد بعضها لبعض

(1853) تفسير الطبري 18/194 والرواية عن عكرمة أو عن سعيد بالشك وإسناده ضعيف

(1854) تفسير القرطبي - (5/13)

(1855) صفوة التقاسير - للصابوني (2/267)

(1856) تفسير الطبري 19/8 ضعيف الإسناد

(1857) المصدر السابق وفي أسانيدنا مقال مع إرسالها

(1858) أسباب النزول للواحدي (226)

(1859) جامع البيان (تفسير الطبري) (262/19)

(323)

في كونها نزلت في أبي بن خلف وعقبة بن أبي معيط وليس أسباب مختلفة فكل فمعناها متقارب فيكون النزول في أبي بن خلف وعقبة لكن معناها عام، فكل ظالم لم يتبع النبي □ سيأتي يوم القيامة نادماً متحسراً على ما فاتته من اتباع النبي □ والله أعلم.

[تفسير مختصر للآية]

(ويوم يعرض الظالم على يديه) أي واذكر يوم يندم ويتحسر الظالم على نفسه، لما فرط في جنب الله، وعض اليدين كناية عن الندم والحسرة، [يقول يا ليتني اتخذت مع الرسول سبيلاً] أي يقول الظالم: يا ليتني اتبعت الرسول، فاتخذت معه طريقاً إلى الهدى، ينجيني من العذاب !.

(يا ويلتا ليتني لم أتخذ فلاناً خليلاً) أي يا هلاكي وحسرتي، يا ليتني لم أصاحب فلاناً وأجعله صديقاً لي، ولفظ [فلان] كناية عن الشخص الذي أضله وهو (أبي بن خلف) قال القرطبي: وكفى عنه ولم يصرح باسمه، ليتناول جميع من فعل مثل فعله. (لقد أضلني عن الذكر بعد إذ جاءني) أي لقد أضلني عن الهدى والإيمان، بعد أن إهديت وأمنت لم قال تعالى. (وكان الشيطان للإنسان خذولاً) أي يضله ويغويه، لم يتبرأ منه وقت البلاء، فلا ينقذه ولا ينصره⁽¹⁸⁶⁰⁾.

(وَقَالَ الَّذِينَ كَفَرُوا لَوْلَا نُزِّلَ عَلَيْهِ الْقُرْآنُ جُمْلَةً وَاحِدَةً كَذَلِكَ لِنُثَبِّتَ بِهِ فُؤَادَكَ وَرَتَّلْنَاهُ تَرْتِيلاً ۝ ٣٢)

قوله تعالى: (وقال الذين كفروا لولا أنزل عليه القرآن جملة واحدة) - الآية.

803. [ك] (ك) وأخرج ابن أبي حاتم والحاكم وصححه والضياء في المختارة عن ابن عباس قال: « قال المشركون إن كان محمد كما يزعم نبياً فلم يعذبه ربه، ألا ينزل عليه القرآن جملة واحدة فينزل عليه الآية والآيتين، فأنزل الله وقال: (الذين كفروا لولا أنزل عليه القرآن جملة واحدة⁽¹⁸⁶¹⁾) ».

[تعليق]

ذكر المؤلف رحمه الله أثراً واحداً في سبب نزول هذه الآية، وهو يفيد تعجب المشركين من نزول القرآن على الحوادث، فاقتروا أن ينزل جملة واحدة كما أنزلت التوراة والإنجيل، فأجابهم الله تعالى بأن الغرض من إنزاله جملة واحدة هو تثبيت فؤاد النبي □، وبيان الأحكام على حسب الوقائع، فقد كان ينزل القرآن على حسب الحوادث. وقد روى الإمام العز بن عبد السلام أن قائل ذلك هم اليهود أو المشركون⁽¹⁸⁶²⁾. قلت: والآية مكية، ولكن يحتمل ذهاب قريش لليهود وذكرهم من أبناء النبي □، فقد ثبت أن قريشاً سألت اليهود عن النبي □ قبل هجرة النبي صلى الله عليه وسلم إلى المدينة. فعلى ذلك تكون اليهود قد تعجبت لنزول القرآن مفزلاً، فنزلت الآية، وعموم الآية يشمل هؤلاء وهؤلاء. والله تعالى أعلم.

[تفسير مختصر للآية]

(وقال الذين كفروا) أي وقال كفار مكة:

(لولا أنزل عليه القرآن جملة واحدة) أي هلا نزل هذا القرآن على محمد دفعة واحدة، كما نزلت التوراة والإنجيل؟ قال تعالى رداً على شبهتهم التافهة:

(كذلك لنثبت به فؤادك) أي كذلك أنزلناه مفزلاً لنقوي قلبك على تحمله، فتحفظه وتعمل بمقتضى ما فيه.

(ورتلناه ترتيلاً) أي فصلنا تفصيلاً بديعاً، قال قتادة: أي بيناه، وقال الرازي: الترتيل في الكلام أن يأتي بعضه على إثر بعض، على تودة وتمهل، وأصل الترتيل في الأسنان وهو تغلجها وقال الطبري: الترتيل في القراءة: الترسل والتثبت، يقول: علمناكه القرآن شيئاً بعد شيء حتى تحفظه⁽¹⁸⁶³⁾.

(وَالَّذِينَ لَا يَدْعُونَ مَعَ اللَّهِ إِلَهًا آخَرَ وَلَا يَقْتُلُونَ النَّفْسَ الَّتِي حَرَّمَ اللَّهُ إِلَّا بِالْحَقِّ وَلَا يَزْنُونَ وَمَنْ يَفْعَلْ ذَلِكَ يَلْقَ أَثَامًا ۝ ٦٨)

قوله تعالى: (والذين لا يدعون مع الله إلهاً آخر) - الآية.

804. وأخرج الشيخان عن ابن مسعود قال: « سألت رسول الله □ أي الذنب أعظم؟ قال: « أن تجعل لله ندا وهو خلقك ». قلت: ثم أي؟ قال: « أن تقتل ولدك مخافة أن يطعم معك ». قلت: ثم أي؟ قال: « أن تزاني حليلة جارك ». فأنزل الله تصديقها: (والذين لا يدعون مع الله إلهاً آخر ولا يقتلون النفس التي حرم الله إلا بالحق ولا يزنون⁽¹⁸⁶⁴⁾) -

(1860) صفوة التفسير - للصابوني (2/ 269)

(1861) مستدرک الحاكم 2/242 ح (2878) وقال: صحيح على شرطهما ولم يخرجاه.

(1862) تفسير العز بن عبد السلام (768)

(1863) صفوة التفسير - للصابوني (2/ 270)

(1864) صحيح البخاري 6/2517 ح (6468) صحيح مسلم 1/91 ح (86) صحيح ابن حبان 10/261 ح (4414) سنن البيهقي الكبرى 8/15 ح (15600) مسند أبي يعلى 9/32

ح (5098) سنن أبي داود 2/294 ح (2310) سنن الترمذي 5/336 ح (3182) سنن النسائي 7/89 ح (4013) مسند أحمد 1/380 ح (3612) مسند الطيالسي 35 ح (264) خلق

805. وأخرج الشيخان عن ابن عباس: « أن ناسا من أهل الشرك قتلوا فأكثرُوا وزنوا فأكثرُوا، ثم أتوا محمداً □ فقالوا: إن الذي تقول وتدعو إليه لحسن لو تخبرنا أن لما عملنا كفارة؟ فنزلت: (والذين لا يدعون مع الله إلهاً آخر) إلى قوله: (غفورا رحيمًا) ونزل: (قل يا عبادي الذين أسرفوا) - الآية (1865)».

[تعليق]

ذكر المؤلف رحمه الله أثرين في سبب نزول هذه الآية، وهما صحيحان، فالأول: أنها نزلت تصديقاً لقول من سأل عن أعظم الذنوب. والثاني: أنها نزلت في أناس قتلوا وزنوا في الجاهلية فسألوا النبي □ عن ذلك فأخبرهم الله تعالى أن من فعل ذلك ثم تاب تاب الله عليه.

وقد جاء سبب آخر غير ما ذكره المؤلف ذكره الإمام الواحدي رحمه الله. قال: عن ابن عباس قال: " أتى وحشى إلى النبي □ فقال: يا محمد أتيتك مستجييراً فأجرتني حتى أسمع كلام الله فقال رسول الله □: قد كنت أحب أن أراك على غير جوار، فأما إذ أتيتني مستجييراً فأنت في جوارى حتى تسمع كلام الله قال: فإني أشركت بالله وقتلت النفس التي حرم الله تعالى وزنيت، هل يقبل الله مني توبة؟ فصمت رسول الله □ حتى نزل - والذين لا يدعون مع الله إلهاً آخر، ولا يقتلون النفس التي حرم الله إلا بالحق، ولا يزنون - إلى آخر الآية، فتلاها عليه قال: أرى شرطاً فعلي لا أعمل صالحاً أنا في جوارك حتى أسمع كلام الله، فنزلت - إن الله لا يغفر أن يشرك به ويغفر ما دون ذلك لمن يشاء - فدعا به فتلاها عليه، فقال: ولعلي ممن لا يشاء أنا في جوارك حتى أسمع كلام الله فنزلت - قل يا عبادي الذين أسرفوا على أنفسهم لا تقنطوا من رحمة الله - فقال: نعم الآن لا أرى شرطاً فأسلم (1866)».

قلت: يحتمل تأخر نزول الآية حتى وقعت هذه الوقائع، أو أن تكون وقعت متقاربة، فنزلت الآية مبينة لحكم التوبة والله تعالى أعلم.

[تفسير مختصر للآية]

(والذين لا يدعون مع الله إلهاً آخر) أي لا يعبدون معه تعالى إلهاً آخر، بل يوحّدونه مخلصين له الدين. (ولا يقتلون النفس التي حرم الله إلا بالحق) أي لا يقتلون النفس التي حرم الله قتلها، إلا بما يحق أن تقتل به النفوس من كفر بعد إيمان، أو زنى بعد إحسان، أو القتل قصاصاً. (ولا يزنون) أي لا يرتكبون جريمة الزنى التي هي من أفحش الجرائم. (ومن يفعل ذلك يلق أثاماً) أي ومن يقترف تلك الموبقات العظيمة: من الشرك، والقتل، والزنى، يجد في الآخرة النكال والعقوبة، ثم فسرّها بقوله:

(يضاعف له العذاب يوم القيامة) أي يضاعف عقابه، ويغلظ بسبب الشرك وبسبب المعاصي. (ويخلد فيه مهاناً) أي يخلد في ذلك العذاب، حقيراً ذليلاً أبد الأبد. (إلا من تاب وأمن وعمل عملاً صالحاً) أي إلا من تاب في الدنيا التوبة النصوح، وأحسن عمله. (فأولئك يبدل الله سيئاتهم حسنات) أي يكرمهم الله في الآخرة فيجعل مكان السيئات حسنات، وفي الحديث: " إنني لأعلم آخر أهل الجنة دخولا الجنة، وآخر أهل النار خروجاً منها، رجل يؤتى به يوم القيامة فيقال: اعرضوا عليه صغار ذنوبه، وارفعوا عنه كبارها، فتعرض عليه صغار ذنوبه، فيقال: عملت يوم كذا وكذا، وعملت يوم كذا وكذا فيقول: نعم، لا يستطيع أن ينكر من ذلك شيئاً، وهو مشفق من كبار ذنوبه أن تعرض عليه فيقال له: فإن لك مكان كل سيئة حسنة فيقول يا رب: قد عملت أشياء لا أراها ههنا، قال: فضحك رسول الله □ حتى بدت نواجذه ". (وكان الله غفوراً رحيمًا) أي واسع المغفرة كثير الرحمة (1867).

(إِلَّا مَنْ تَابَ وَآمَنَ وَعَمِلَ عَمَلًا صَالِحًا فَأُولَئِكَ يُبَدِّلُ اللَّهُ سَيِّئَاتِهِمْ حَسَنَاتٍ وَكَانَ اللَّهُ غَفُورًا رَحِيمًا ٧٠)

قوله تعالى: (إلا من تاب وأمن وعمل عملاً صالحاً) - الآية.

806. وأخرج البخاري وغيره عن ابن عباس قال: « لما أنزلت في الفرقان: (والذين لا يدعون مع الله إلهاً آخر ولا يقتلون النفس التي) - الآية قال مشركو أهل مكة: قد قتلنا النفس بغير حق ودعونا مع الله إلهاً آخر وأتينا الفواحش، فنزلت: (إلا من تاب) - الآية (1868)».

[تعليق]

تقدم هذا الأثر في الذي قبله مع تفسير الآية.

انتهت سورة الفرقان

(1865) صحيح البخاري 4/1811 ح (4532) صحيح مسلم 1/113 ح (122) سنن أبي داود 4/105 مختصر سنن النسائي 7/86 ح (4003) المستدرک 2/438 ح (3522) سنن البيهقي الكبرى 9/98 ح (17968) (1866) أسباب النزول للواحدي (227) (1867) صفوة التفاسير - للصابوني (276/2) (1868) صحيح البخاري 3/1399 ح (3642) سنن البيهقي الكبرى 8/16 ح (15605) سنن النسائي الكبرى 2/287 ح (3465)

سُورَةُ الشُّعَرَاءِ

(أَفْرَأَيْتَ إِنْ مَتَّعْنَاهُمْ سِنِينَ ٢٠٥ ثُمَّ جَاءَهُمْ مَا كَانُوا يُوعَدُونَ ٢٠٦ مَا أَغْنَىٰ عَنْهُمْ مَا كَانُوا يُمَتَّعُونَ ٢٠٧)

قوله تعالى: (أفرايت إن متعنهم سنين) - الآية.

807. أخرج ابن أبي حاتم من طريق عمرو بن ثابت عن أبي جهضم قال: « روي النبي ﷺ كأنه متحير فسأله عن ذلك، فقال: « وَلِمَ وَأَرَيْتَ عَدُوِّي يَكُونُ مِنْ أُمَّتِي بَعْدِي ». فنزلت: (أفرايت إن متعنهم سنين ثم جاءهم ما كانوا يوعدون ما أغنى عنهم ما كانوا يمتعون) - فطابت نفسه⁽¹⁸⁶⁹⁾».

[تعليق]

سورة الشعراء سورة مكية وسميت الشعراء لذكر الشعراء فيها في قوله تعالى (والشعراء يتبعهم الغاؤون) وقد تحدثت عن قصص الأنبياء وعالجت أمور العقيدة، والمدافعة بين الخير والشر. وذكر المؤلف رحمه الله هذا الأثر الوحيد في سبب نزول هذه الآية، ولم أر أكثر أهل التفسير يذكره عند سبب نزول هذه الآية.

قال الإمام الطبري: قال ابن زيد، في قوله: (أَفْرَأَيْتَ إِنْ مَتَّعْنَاهُمْ سِنِينَ) إلى قوله (مَا أَغْنَىٰ عَنْهُمْ مَا كَانُوا يُمَتَّعُونَ) قال: هؤلاء أهل الكفر⁽¹⁸⁷⁰⁾.

فالأية تتحدث أن أقوام عجل الله لهم طبيبتهم في الدنيا، وتمعوا بها إلى أجل معلوم عند الله على كفر منهم ومحادثة الله، ثم يجيبهم أجلهم فما تنفعهم دنياهم ولا ما متعوا به.

روى الإمام أبو نعيم في الحلية عن علي بن الحسن الحلبي قال: حدثني عمرو ابن ميمون بن مهران قال: خرجت بأبي أقرده في بعض سكك البصرة، فمررت بجدول، فلم يستطع الشيخ يتخطاه، فاضطجعت له، فمر على ظهري، ثم قمت فأخذت بيده، ثم دفعتني إلى منزل الحسن، فطرقت الباب، فخرجت إلينا جارية سداسية، فقالت: من هذا؟ قلت: هذا ميمون بن مهران، اراد لقاء الحسن! فقالت: كاتب عمر بن عبدالعزيز؟ قلت لها: نعم! قالت: يا شقي ما بقاؤك إلى هذا الزمان السوء؟! قال: فبكي الشيخ، فسمع الحسن بكاءه، فخرج إليه، فاعتنقه، ثم دخلا فقال ميمون: يا أبا سعيد! قد أنست من قلبي غلظة، فاستلن لي منه! فقرأ الحسن: بسم الله الرحمن الرحيم: (أفرايت ان متعنهم سنين، ثم جاءهم ما كانوا يوعدون، ما أغنى عنهم ما كانوا يمتعون) قال: فسقط الشيخ، فرأيتة يفحص برجله كما تفحص الشاة المذبوحة، فأقام طويلاً، ثم أفاق، فجاءت الجارية فقالت: قد أتعبتم الشيخ، قوموا تفرقوا، فأخذت بيد أبي، فخرجت به، ثم قلت: يا أبتاه! هذا الحسن قد كنت أحسب أنه أكبر من هذا! قال: فوكزني في صدري وكزة، ثم قال: يا بني! لقد قرأ علينا آية، لو فهمتها بقلبك لا بقي لها فيك كلوم⁽¹⁸⁷¹⁾.

[تفسير مختصر للآية]

(أفرايت إن متعنهم سنين) أي أخبرني يا محمد إن متعنهم سنين طويلاً، مع وفور الصحة، ورغد العيش.

(ثم جاءهم ما كانوا يوعدون) أي ثم جاءهم العذاب الذي وعدوا به.

(ما أغنى عنهم ما كانوا يمتعون) أي ماذا ينفعهم حينئذ ما مضى من طول أعمارهم، وطيب معاشهم؟ هل ينفعهم ذلك النعيم في تخفيف الحزن، أو دفع العذاب؟⁽¹⁸⁷²⁾

(وَأَنْذِرْ عَشِيرَتَكَ الْأَقْرَبِينَ ٢١٤ وَأَخْفِضْ جَنَاحَكَ لِمَنِ اتَّبَعَكَ مِنَ الْمُؤْمِنِينَ ٢١٥)

قوله تعالى: (وأنذر عشيرتك الأقربين) - الآية.

808. وأخرج ابن جرير عن ابن جريج قال: « لما نزلت: (وأنذر عشيرتك الأقربين) بدأ بأهل بيته وفصيلته فشق ذلك على المسلمين، فأنزل الله: (وأخفض جناحك لمن اتبعك من المؤمنين⁽¹⁸⁷³⁾)».

[تعليق]

ذكر المؤلف رحمه الله أثراً واحداً في سبب نزول قوله تعالى (واخفض جناحك لمن اتبعك)، وهنا نزلت على إثر قوله تعالى (وأنذر عشيرتك الأقربين) وسبب النزول كما ترى مرسل الإسناد، فالأولى أن يقال بأن الله تعالى أمر نبيه ﷺ بأن يبدأ بالإنذار بعشيرته وأهل قرابته وأن يلين جانبه لمن اتبعه من المؤمنين سواء منهم أو من غيرهم، وقد فعلى النبي ﷺ ما أمر به. روى الإمام ابن إسحاق: عن علي بن أبي طالب، رضي الله عنه، قال: لما نزلت هذه الآية على رسول الله ﷺ: (وَأَنْذِرْ

⁽¹⁸⁶⁹⁾ تفسير ابن أبي حاتم 9/2823 وفي إسناده عمرو بن ثابت ضعيف.

⁽¹⁸⁷⁰⁾ جامع البيان (تفسير الطبري) (19/402)

⁽¹⁸⁷¹⁾ حلية الأولياء وطبقات الأصفياء (4/83)

⁽¹⁸⁷²⁾ صفوة التفاسير - للصابوني (2/292)

⁽¹⁸⁷³⁾ تفسير الطبري 19/123 مرسل ضعيف

عَشِيرَتِكَ الْأَقْرَبِينَ وَخَفِضْ جَنَاحَكَ لِمَنِ اتَّبَعَكَ مِنَ الْمُؤْمِنِينَ)، قال رسول الله ﷺ: "عرفت أني إن بادأتُ بها قومي، رأيت منهم ما أكره، فَصَمْتُ. فجاءني جبريل، عليه السلام، فقال: يا محمد، إن لم تفعل ما أمرك به ربك عذبتك ربك". قال علي، رضي الله عنه: فدعاني فقال: "يا علي، إن الله قد أمرني [أن] أنذر عشيرتي الأقربين، فعرفت أني إن بادأتهم بذلك رأيت منهم ما أكره، فَصَمْتُ عن ذلك، ثم جاءني جبريل فقال: يا محمد، إن لم تفعل ما أمرت به عذبتك ربك. فاصنع لنا يا علي شاة على صاع من طعام، وأعد لنا عَسْ لَبَن، ثم اجمع لي بني عبد المطلب". ففعلتُ فاجتمعوا له، وهم يومئذ أربعون رجلاً يزيدون رجلاً أو ينقصون رجلاً. فيهم أعمامه: أبو طالب، وحمزة، والعباس، وأبو لهب الكافر الخبيث. فقدمت إليهم تلك الجفنة، فأخذ رسول الله ﷺ منها جذية فشققها بأسنانه ثم رمى بها في نواحيها، وقال: "كلوا بسم الله". فأكل القوم حتى نهلوا عنه ما يرى إلا آثار أصابعهم، والله إن كان الرجل منهم ليأكل مثلها. ثم قال رسول الله ﷺ: "اسقهم يا علي" فجننت بذلك القعب فشربوا منه حتى نهلوا جميعاً، وإيم الله إن كان الرجل منهم ليشرب مثله. فلما أراد رسول الله ﷺ أن يكلمهم، بَدَرَهُ أبو لهب إلى الكلام فقال: لَهْدٌ ما سحركم صاحبكم. فتفرقوا ولم يكلمهم رسول الله ﷺ. فلما كان الغد قال رسول الله ﷺ: "يا علي، عُدْ لنا بمثل الذي كنت صنعت بالأمس من الطعام والشراب؛ فإن هذا الرجل قد بَدَرَنِي إلى ما سمعتُ قبل أن أكلم القوم". ففعلت، ثم جمعتهم له، فصنع رسول الله ﷺ كما صنع بالأمس، فأكلوا حتى نهلوا عنه، وإيم الله إن كان الرجل منهم ليأكل مثلها. ثم قال رسول الله ﷺ: "اسقهم يا علي". فجننت بذلك القعب فشربوا منه حتى نهلوا جميعاً. وإيم الله إن كان الرجل منهم ليشرب مثله. فلما أراد رسول الله ﷺ أن يكلمهم بَدَرَهُ أبو لهب بالكلام فقال: لَهْدٌ ما سحركم صاحبكم. فتفرقوا ولم يكلمهم رسول الله ﷺ. فلما كان الغد قال رسول الله ﷺ: "يا علي، عُدْ لنا بمثل الذي كنت صنعت لنا بالأمس من الطعام والشراب؛ فإن هذا الرجل قد بَدَرَنِي إلى ما سمعتُ قبل أن أكلم القوم". ففعلت، ثم جمعتهم له فصنع رسول الله ﷺ [كما صنع] بالأمس، فأكلوا حتى نهلوا عنه، ثم سقيتهم من ذلك القعب حتى نهلوا عنه، وإيم الله إن كان الرجل منهم ليأكل مثلها ويشرب مثلها، ثم قال رسول الله ﷺ: "يا بني عبد المطلب، إني -والله- ما أعلم شاباً من العرب جاء قومه بأفضل مما جئتمكم به، إني قد جئتمكم بأمر الدنيا والآخرة"⁽¹⁸⁷⁴⁾.

[تفسير مختصر للآية]

(وإنذر عشيرتك الأقربين) أي خوف يا أيها الرسول أقاربك، الأقرب منهم فالأقرب، خوفهم من عذاب الله إن لم يؤمنوا. (واخفض جناحك لمن اتبعك من المؤمنين) أي تواضع وألن جانبك لأتباعك المؤمنين⁽¹⁸⁷⁵⁾.

(وَالشُّعْرَاءُ يَتَّبِعُهُمُ الْغَاوُونَ (٢٢٤))

قوله تعالى: (والشعراء يتبعهم الغاؤون) - الآية.

809. وأخرج ابن جرير وابن أبي حاتم من طريق العوفي عن ابن عباس قال: «تهاجى رجلان على عهد رسول الله ﷺ أحدهما من الأنصار والآخر من قوم آخرين، وكان مع كل واحد منهما غواة من قومه وهم السفهاء، فأنزل الله: (والشعراء يتبعهم الغاؤون) - (الآيات 1876)».
810. وأخرج ابن أبي حاتم عن عكرمة نحوه⁽¹⁸⁷⁷⁾.
811. وأخرج عن عروة قال: «لما نزلت: (والشعراء) إلى قوله: (ما لا يفعلون) قال عبد الله بن رواحة: قد علم الله أني منهم، فأنزل الله: (إلا الذين آمنوا) إلى آخر السورة⁽¹⁸⁷⁸⁾».
812. وأخرج ابن جرير والحاكم عن أبي حسن البراد⁽¹⁸⁷⁹⁾ قال: «لما نزلت: (والشعراء) الآية، جاء عبد الله بن رواحة وكعب بن مالك وحسان بن ثابت فقالوا: يا رسول الله والله لقد أنزل الله هذه الآية وهو يعلم أنا شعراء هلكننا، فأنزل الله: (إلا الذين آمنوا) الآية. فدعاهم رسول الله ﷺ فتلاها عليهم⁽¹⁸⁸⁰⁾».

[تعليق]

ذكر المؤلف رحمه الله أربعة آثار في سبب نزول هذه الآيات، الأولان متعلقان بقوله تعالى (والشعراء يتبعهم الغاؤون) والمراد بالشعراء هنا كما قال ابن عباس شعراء المشركين.

قال الإمام ابن الجوزي: وفي رواية أخرى عن ابن عباس، قال: هم شعراء المشركين. قال مقاتل: منهم عبد الله بن الزبيري، وأبو سفيان بن حرب، وهبيرة ابن أبي وهب المخزومي في آخرين، قالوا: نحن نقول مثل قول محمد، وقالوا الشعر، فاجتمع إليهم غواة من قومهم يستمعون أشعارهم ويُرَوْن عنهم⁽¹⁸⁸¹⁾.

أما الأثران الآخران فهما متعلقان بقوله تعالى (إلا الذين آمنوا)، ومعنى الآية عام وفي الكلام عن الشعر وحله وحرمة

⁽¹⁸⁷⁴⁾ سيرة ابن إسحاق 151 (2/ 126) المؤلف: محمد بن إسحاق بن يسار [85هـ - 151هـ] المحقق: محمد حميد الله الناشر: معهد الدراسات والأبحاث للتعريف

⁽¹⁸⁷⁵⁾ صفة القفاير - للصابوني (2/ 293)

⁽¹⁸⁷⁶⁾ تفسير الطبري 19/127 ضعيف

⁽¹⁸⁷⁷⁾ تفسير ابن أبي حاتم 9/2832 مرسل صحيح الإسناد.

⁽¹⁸⁷⁸⁾ تفسير ابن أبي حاتم 9/2834 مرسل صحيح الإسناد.

⁽¹⁸⁷⁹⁾ قال ابن أبي حاتم في الجرح والتعديل: أبو الحسن البراد مولى تميم الداري مديني، روى عن سطر روى عنه يزيد بن عبد الله بن قسيط سمعت أبي يقول ذلك تأليف: الإمام الحافظ شيخ الإسلام أبي محمد عبد الرحمن بن أبي حاتم محمد بن إدريس بن المنذر التميمي الحنظلي الرازي (المتوفى 327 هـ) عن النسخة المحفوظة في كوبريلي [تحت رقم 278] وعن النسخة لمحفوفة في مكتبة مراد ملا [تحت رقم 1427] وعن النسخة المحفوظة في مكتبة دار الكتب المصرية [تحت رقم 892]

الطبعة: الأولى بمطبعة مجلس دائرة المعارف العثمانية - بحيدر آباد الدكن - الهند سنة 1271 هـ 1952 م

الناشر: دار إحياء التراث العربي بيروت

⁽¹⁸⁸⁰⁾ تفسير الطبري 19/129 المستدرک 3/556 مصنف ابن أبي شيبة 5/227 مرسل وفي إسناده محمد بن إسحاق رواه بالنعنة.

⁽¹⁸⁸¹⁾ زاد المسير (150/6) تفسير مقاتل بن سليمان (2/ 467)

كلام طويل اختصاره أنه يباح إذا كان في الخير ويحرم إذا كان في الشر والله تعالى أعلم.

[تفسير مختصر للآيات]

(والشعراء يتبعهم الغاوون) أي يتبعهم الضالون، لا أهل البصيرة والرشاد. (ألم تر أنهم في كل واد يهيمون) أي ألم تر أيها السامع العاقل أنهم يسلكون في المديح والهجاء كل طريق، يمدحون الشيء بعد أن ذموه، ويعظمون الشخص بعد أن احتقروه، قال الطبري: وهذا مثل ضربه الله لهم في إفتانهم في الوجوه التي يفتنون فيها بغير حق، فيمدحون بالباطل قوما ويهجون آخرين. (وأنهم يقولون ما لا يفعلون) أي يكذبون فينسبون لأنفسهم ما لم يعملوه، قال أبو حيان: أخبر تعالى عن الشعراء بالأحوال التي تخالف حال النبوة، إذ أمرهم كما ذكر من أتباع الغواة لهم، وسلوكهم أفانين الكلام، من مدح الشيء وذمه، ونسبة ما لا يقع منهم إليهم، وهذا مخالف لحال النبوة، فإنها طريقة واحدة لا يتبعها إلا الراشدون، ثم استثنى تعالى فقال: (إلا الذين آمنوا وعملوا الصالحات) أي صدقوا في إيمانهم، وأخلصوا في أعمالهم. (وذكروا الله كثيرا) أي لم يشغلهم الشعر عن ذكر الله، ولم يجعلوه همهم ودينهم. (وأنتصروا من بعد ما ظلموا) أي هجوا المشركين، دفاعا عن الحق ونصرة للإسلام. (وسيعلم الذين ظلموا) وعيد عام في كل ظالم، تنفتت له القلوب وتتصدع لهوله الأكباد، أي وسيعلم الظالمون المعادون لدعوة الله، ومعهم الشعراء الغاوون⁽¹⁸⁸²⁾.

انتهت سورة الشعراء

سُورَةُ الْقَصَصِ

(وَلَقَدْ وَصَّلْنَا لَهُمُ الْقَوْلَ لَعَلَّهُمْ يَتَذَكَّرُونَ ٥١ الَّذِينَ آتَيْنَاهُمُ الْكِتَابَ مِنْ قَبْلِهِ هُمْ بِهِ يُؤْمِنُونَ ٥٢)

قوله تعالى: (ولقد وصلنا لهم القول) – الآية.

813. أخرج ابن جرير والطبراني عن رفاعة القرظي⁽¹⁸⁸³⁾ قال: «نزلت: (ولقد وصلنا لهم القول) - في عشرة أنا أحدهم»⁽¹⁸⁸⁴⁾.

814. وأخرج ابن جرير عن علي بن رفاعة قال: «خرج عشرة رهط من أهل الكتاب منهم رفاعة يعني أباه إلى النبي ﷺ، فأمنوا فأوذوا فنزلت: (الذين آتيناهم الكتاب) - الآية⁽¹⁸⁸⁵⁾».

815. وأخرج عن قتادة قال: «كنا نحدث أنها نزلت في أناس من أهل الكتاب كانوا على الحق حتى بعث الله محمداً ﷺ، فأمنوا، منهم عثمان وعبد الله بن سلام⁽¹⁸⁸⁶⁾».

قوله تعالى: (الذين آتيناهم الكتاب) - الآية. سيأتي سبب نزولها في سورة الحديد

[تعليق]

سورة القصص سورة مكية وربما اشتملت على بعض الآيات المدنية، وهي سورة اهتمت بما اهتم به الآي المكي بالإضافة إلى القصص، وقد سميت بالقصص لذكر قصص الأنبياء عليهم من الله أفضل الصلاة والتسليم. وقد ذكر المؤلف رحمه الله ثلاثة آثار الأول والثاني أنها نزلت في رفاعة القرظي وفي رهطة بني قريظة وعليه يكون سبب النزول في اليهود، ولكن قال الأكثر: أن المراد بهم قريش وهذا هو الموافق لسياق الآيات فالآية مكية، لكن الآثار المذكورة هنا صحيحة بمجموعها فيحمل على أن الله أنزل الآية في المشركين وكذلك أهل الكتاب ويدل على ذلك الآية التي بعدها وهي (الذين آتيناهم الكتاب هم به يؤمنون) .

[تفسير مختصر للآية]

(ولقد وصلنا لهم القول لعلهم يتذكرون) أي ولقد تابعنا ووالينا لقريش القرآن، يتبع بعضه بعضاً، وعدا ووعيدا، وقصصا وعبرا ونصائح ومواظمة، ليتعظوا ولتذكروا بما فيه، قال ابن الجوزي: المعنى: أنزلنا القرآن يتبع بعضه بعضا ويخبر عن الأمم الخالية كيف عذبوا لعلهم يتعظون⁽¹⁸⁸⁷⁾.

⁽¹⁸⁸²⁾صفوة التفسير - للصابوني (2/ 294)

⁽¹⁸⁸³⁾ قال أبو القاسم: ولا أعلم لرفاعة غير هذا الحديث ولا أدري له صحبة أم لا. معجم الصحابة للبعوي (2/ 339) المؤلف: أبو القاسم عبد الله بن محمد بن عبد العزيز بن المَرْزُبَان بن سَابُور بن شاهنشاه البغوي (المتوفى: 317هـ) المحقق: محمد الأمين بن محمد الجكني الناشر: مكتبة دار البيان - الكويت الطبعة: الأولى، 1421 هـ 2000 م طبع على نفقة: سعد بن عبد العزيز بن عبد المحسن الراشد أبو باسل عدد الأجزاء: 5

⁽¹⁸⁸⁴⁾تفسير الطبري 20/88 المعجم الكبير 5/53ج(4563) إسناد صحيح. قال الحاكم: حدثنا عبد الله بن أحمد بن حنبل ثنا إبراهيم بن الحجاج السامي ثنا حماد بن سلمة عن عمرو بن دينار عن يحيى بن جعدة عن رفاعة القرظي—به.

⁽¹⁸⁸⁵⁾تفسير الطبري 20/89 التاريخ الكبير 6/ 274 ذكره ابن جرير معلقا عن ابن جريح، وإسناد التاريخ فيه محمد بن حميد، وغالب الظن أنه هو الساقط في إسناد ابن جريح

إن كانت النسخة التي بين يدي ليس فيها سقط كما هو الحال في غالب النسخ المحققة الآن وعلى كل فهو ضعيف

⁽¹⁸⁸⁶⁾تفسير الطبري 20/89 مرسل صحيح الإسناد.

⁽¹⁸⁸⁷⁾صفوة التفسير - للصابوني (2/ 322)

(إِنَّكَ لَا تَهْدِي مَنْ أَحْبَبْتَ وَلَكِنَّ اللَّهَ يَهْدِي مَنْ يَشَاءُ وَهُوَ أَعْلَمُ بِالْمُهْتَدِينَ ٥٦)

- قوله تعالى: (إنك لا تهدي من أحببت) - الآية.
816. أخرج مسلم وغيره عن أبي هريرة قال: « قال رسول الله ﷺ لعمه قل: لا إله إلا الله أشهد لك يوم القيامة ». قال: لولا أن تعيرني نساء قريش يقلن إنه حمله على ذلك الجزع لأقررت بها عينك، فأنزل الله: (إنك لا تهدي من أحببت ولكن الله يهدي من يشاء)⁽¹⁸⁸⁸⁾.
817. وأخرج النسائي وابن عساكر في تاريخ دمشق بسند جيد عن أبي سعيد بن رافع قال: « سألت ابن عمر عن هذه الآية: (إنك لا تهدي من أحببت) أفي أبي جهل وأبي طالب؟ قال: نعم⁽¹⁸⁸⁹⁾ ».

[تعليق]

ذكر المؤلف رحمه الله ثلاثة آثار في سبب نزول هذه الآية (إنك لا تهدي من أحببت) وإجماع أهل السنة على أن سبب نزول هذه الآية في عم النبي ﷺ أبي طالب.

قال الإمام ابن الجوزي: قال الزجاج: أجمع المفسرون أنها نزلت في أبي طالب⁽¹⁸⁹⁰⁾.

أما كونها نزلت في أبي جهل، فهو غير مشهور عند أهل التفسير، ولكن يدخل في عموم الآية، فقد كان النبي ﷺ حريصاً على هداية قومه كلهم. والله تعالى أعلم.

قال الإمام ابن أبي حاتم: عن قتادة (إنك لا تهدي من أحببت) يعني: أبا طالب ولكن الله يهدي من يشاء يعني: العباس⁽¹⁸⁹¹⁾.

[تنبيه]

جاء في بعض كتب الشيعة أن هذه الآية لم تنزل في أبي طالب بناء على مذهبهم في إيمان أبي طالب، وقالوا: بأن الآية مدنية. وهذا خطأ فالآية مكية بإجماع أهل السنة، وقد نزل في أبي طالب كذلك قوله تعالى (ما كان للنبي والذين آمنوا أن يستغفروا للمشركين) سورة التوبة وقد تقدم الحديث عنها.

[تفسير مختصر للآية]

(إنك لا تهدي من أحببت) أي إنك يا محمد لا تقدر على هداية أحد، مهما بذلت فيه من مجهود، وجاوزت في السعي كل حد معهود (ولكن الله يهدي من يشاء) أي ولكنه تعالى بقدرته، يهدي من قدر له الهداية، فسلم أمرك إليه، فإنه أعلم بأهل السعادة والشقاوة (وهو أعلم بالمهتدين) أي هو تعالى العالم بمن فيه استعداد للهداية والإيمان فيهديه⁽¹⁸⁹²⁾.

(وَقَالُوا إِنْ تَتَّبِعِ الْهَدَىٰ مَعَكَ نُتَخَطَّفُ مِنْ أَرْضِنَا أَوْ لَمْ نُمَكِّنْ لَهُمْ حَرَمًا ءَامِنًا يُجِبَىٰ إِلَيْهِ تَمْرُتُ كُلِّ شَيْءٍ رَزَقًا مِّنْ لَّدُنَّا وَلَكِنَّ أَكْثَرَهُمْ لَا يَعْلَمُونَ ٥٧)

- قوله تعالى: (وقالوا إن نتبع الهدى معك) - الآية.
818. أخرج ابن جرير من طريق العوفي عن ابن عباس: « أن أناسا من قريش قالوا للنبي ﷺ : إن نتبعك تخطفنا الناس، فنزلت⁽¹⁸⁹³⁾ ».
819. وأخرج النسائي عن ابن عباس: « أن الحارث بن عامر بن نوفل هو الذي قال ذلك⁽¹⁸⁹⁴⁾ ».

[تعليق]

ذكر المؤلف رحمه الله هذه الآثار في أن قريش كانت تخاف على أنفسها إن اتبعت النبي ﷺ أن ينقض عليها العرب، وهذا من قولهم ترويحاً لكفرهم بالنبي ﷺ وما جاء به، وإلا فقريش لو آمنت لاتبعتها العرب لأنهم كانوا هم خدام البيت ومكانتهم عند العرب محفوظة.

قال مقاتل: نزلت في الحارث بن نوفل بن عبد مناف القرشي، وذلك أنه قال للنبي ﷺ: إنا لنعلم أن الذي تقول حق، ولكننا بمنعنا أن نتبع الهدى معك مخافة أن يتخطفنا العرب من أرضنا، يعني مكة، فإنما نحن أكلة رأس العرب، ولا طاقة لنا بهم⁽¹⁸⁹⁵⁾.

⁽¹⁸⁸⁸⁾ تفسير الطبري 20/92 صحيح مسلم 1/55 ح (25) صحيح ابن حبان 14/167 ح (6270) مسند أحمد 434:2 ح (9608) سنن الترمذي 5/341 ح (3188) وغيرهم
⁽¹⁸⁸⁹⁾ تاريخ دمشق 31/399 سنن النسائي الكبرى 6/425 (11384) وإسناده كما قال المؤلف رحمه الله، لكن ليس في رواية النسائي ذكر أبي جهل في النسخة التي بين يدي
 إنما فيه أبو طالب فلعلها تصحيف وهو الراجح فإن أبا جهل لم يكن ممن يجب النبي ﷺ
⁽¹⁸⁹⁰⁾ زاد المسير (6/231)
⁽¹⁸⁹¹⁾ تفسير ابن أبي حاتم - (9/2994)
⁽¹⁸⁹²⁾ صفوة النقايس - للصابوني (2/323)
⁽¹⁸⁹³⁾ تفسير الطبري 20/94 ضعيف جدا.
⁽¹⁸⁹⁴⁾ سنن النسائي الكبرى 6/425 ح (11385) منقطع الإسناد
⁽¹⁸⁹⁵⁾ تفسير مقاتل بن سليمان (2/501)

(329)

ولا تعارض بين هذه الآثار فالحارث كان من قريش فمقالة رجل مقالة الجميع لأنهم مقرون بما قال وحماها على عمومها هو الأولى والله تعالى أعلم.

[تفسير مختصر للآية]

(وقالوا ان نتبع الهدى معك نتخطف من أرضنا) أي وقال كفار قريش: إن اتبعناك يا محمد على دينك، وتركنا ديننا نخاف أن نتخطفنا العرب، فيجتمعون على محاربتنا، ويخرجوننا من أرضنا، قال المبرد: والتخطف الانتزاع بسرعة⁽¹⁸⁹⁶⁾.

(أَفْمَنَ وَعَدَنَّهُ وَعَدًّا حَسَنًا فَهُوَ لِقِيهِ كَمَنْ مَتَّعَهُ مَتْعَ الْحَيَاةِ الدُّنْيَا ثُمَّ هُوَ يَوْمَ الْقِيَامَةِ مِنَ الْمُحْضَرِينَ (٦١))

قوله تعالى: (أفمن وعدناه)- الآية.

820. أخرج ابن جرير عن مجاهد في قوله: (أفمن وعدناه) الآية. قال: نزلت في النبي ﷺ وفي أبي جهل بن هشام⁽¹⁸⁹⁷⁾.

821. وأخرج من وجه آخر عنه: « أنها نزلت في حمزة وأبي جهل⁽¹⁸⁹⁸⁾ ».

[تعليق]

ذكر المؤلف أثرين مرسلين عن مجاهد في سبب نزول هذه الآية. فالأول: أنها نزلت في النبي ﷺ وأبي جهل. فمن وعده الله وعداً حسناً هو النبي ﷺ، ومن متعه الله متاع الحياة الدنيا هو أبو جهل. والثاني: أنها نزلت في حمزة وأبي جهل. عن مجاهد في هذه الآية قال: نزلت في علي وحمزة وأبي جهل⁽¹⁸⁹⁹⁾. وقد روى في سبب نزولها كذلك قال: وقال السدي: نزلت في عمار والوليد ابن المغيرة⁽¹⁹⁰⁰⁾. قلت: وهذا كله محتمل في سبب نزول الآية. فكل من ذكر وغيرهم من طائفة المؤمنين ممن وعده الله وعداً حسناً وهو الجنة، وفي الجانب الآخر كل من متعه الله في الدنيا بالمال والبنين وأصناف المتاع ثم يوم القيامة هو من أهل النار.

[تفسير مختصر للآية]

(أفمن وعدناه وعداً حسناً فهو لاقية) أي أفمن وعدناه وعداً قاطعاً بالجنة وما فيها من النعيم المقيم الخالد، فهو لا محالة مدركه، لأن وعد الله لا يتخلف (كمن متعناه متاع الحياة الدنيا) أي كمن متعناه بمتاع زائل، مشوب بالأكدار، مملوء بالمتاعب، مستتبع للحسرة على انقطاعه. (ثم هو يوم القيامة من المحضرين) أي ثم هو في الآخرة من المحضرين للعذاب، فهل يساوي العاقل بينهما؟ قال ابن جزي: والآية إيضاح لما قبلها من البون الشاسع بين الدنيا والآخرة⁽¹⁹⁰¹⁾.

(إِنَّ الَّذِي فَرَضَ عَلَيْكَ الْقُرْآنَ لَرَادُّكَ إِلَيَّ مَعَادٍ قُلْ رَبِّي أَعْلَمُ مَنْ جَاءَ بِالْهُدَىٰ وَمَنْ هُوَ فِي ضَلَالٍ مُّبِينٍ (٨٥))

قوله تعالى: (إن الذي فرض عليك القرآن)- الآية.

822. (ك) أخرج ابن أبي حاتم عن الضحاك قال: « لما خرج النبي ﷺ من مكة فبلغ الجحفة اشتاق إلى مكة، فأنزل الله: (إن الذي فرض عليك القرآن لرادك إلى معاد⁽¹⁹⁰²⁾) ».

[تعليق]

ذكر المؤلف رحمه الله أثراً في سبب نزول هذه الآية، وهي وعد من الله تعالى لنبيه بأن يرده إلى مكة مرة أخرى. وهذا قول بعض أهل التفسير. قال مقاتل: خرج رسول الله ﷺ من الغار ليلاً، فمضى من وجهه إلى المدينة فسار في غير الطريق مخافة الطلب؛ فلما أمّن رجع إلى الطريق فنزل الجحفة بين مكة والمدينة، فعرف الطريق إلى مكة، فاشتاق إليها، وذكر مولده، فأتاه جبريل فقال: أنتشتاق إلى بلدك ومولدك؟ قال: نعم؛ قال: فان الله تعالى يقول: (إِنَّ الَّذِي فَرَضَ عَلَيْكَ الْقُرْآنَ لَرَادُّكَ إِلَيَّ مَعَادٍ)، فنزلت هذه الآية بالجحفة⁽¹⁹⁰³⁾.

قلت: سبب النزول هذا أحد أربعة معاني في تفسير قوله تعالى (لرادك إلى معاد).

القول الثاني: معاد يعنى الموت.

القول الثالث: يعنى يوم القيامة.

(1896) صفوة التفسير - للصابوني (2/ 323)

(1897) تفسير الطبري 20/97 مرسل ضعيف الإسناد

(1898) المصدر السابق مرسل ضعيفاً

(1899) أسباب النزول للواحدى (229)

(1900) أسباب النزول للواحدى (229)

(1901) صفوة التفسير - للصابوني (2/ 324)

(1902) تفسير ابن أبي حاتم 9/3026 مرسل صحيح الإسناد.

(1903) تفسير مقاتل بن سليمان (2/ 508)

قلت: وكل هذا حاصل وواقع فالنبي □ رد إلى مكة بعدما خرج منها، ثم إلى الموت، ثم سيرد إلى يوم القيامة ثم إلى الجنة بإذن الله تعالى.

[تفسير مختصر للآية]

(إن الذي فرض عليك القرآن) أي إن الذي أنزل عليك يا محمد القرآن، وفرض عليك العمل به (لرادك إلى معاد) أي لرادك إلى مكة¹⁹⁰⁵.

انتهت سورة القصص

سُورَةُ الْعَنْكَبُوتِ

(الْم أَحْسِبَ النَّاسُ أَنْ يُتْرَكُوا أَنْ يَقُولُوا ءَامَنَّا وَهُمْ لَا يُفْتَنُونَ ۚ ۲)

قوله تعالى: (أحسب الناس أن يتركوا) - الآية.

823. أخرج ابن أبي حاتم عن الشعبي في قوله: (ألم أحسب الناس أن يتركوا) - الآية. قال: أنزلت في أناس كانوا بمكة قد أقروا بالإسلام، فكتب إليهم أصحاب رسول الله □ من المدينة أنه لا يقبل منكم حتى تهاجروا، فخرجوا عامدين إلى المدينة، فتبعهم المشركون فردوهم، فنزلت فيهم هذه الآية، فكتبوا إليهم أنه قد نزل فيكم كذا وكذا، فقالوا: نخرج فإن اتبعنا أحد قاتلناه، فخرجوا فاتبعهم المشركون فقاتلوهم، فمنهم من قتل ومنهم من نجا، فأنزل الله فيهم: (ثم إن ربك للذين هاجروا من بعد ما فتنوا) - الآية⁽¹⁹⁰⁶⁾.
824. [ك] وأخرج عن قتادة قال: «أنزلت: (ألم أحسب الناس) في أناس من أهل مكة خرجوا يريدون النبي □، فعرض لهم المشركون فرجعوا فكتب إليهم إخوانهم بما نزل فيهم، فخرجوا فقتلوا من قتل وخلص من خلس، فنزل القرآن: (والذين جاهدوا فينا لنهدينهم سبلنا) - الآية⁽¹⁹⁰⁷⁾.
825. وأخرج ابن سعد عن عبد الله بن عبيد بن عمير قال: «نزلت في عمار بن ياسر إذ كان يعذب في الله: (أحسب الناس) - الآية⁽¹⁹⁰⁸⁾.

[تعليق]

سورة العنكبوت اختلف أهل التفسير هل هي مكية أو مدنية. قال الإمام القرطبي مكية كلها في قول الحسن وعكرمة وعطاء وجابر ومدنية كلها في أحد قولي بن عباس وقتادة وفي القول الآخر لهما وهو قول يحيى بن سلام أنها مكية إلا عشر آيات من أولها فإنها نزلت بالمدينة في شأن من كان من المسلمين بمكة وقال علي بن أبي طالب رضي الله عنه: نزلت بين مكة والمدينة¹⁹⁰⁹.

وقد سميت بالعنكبوت لذكر العنكبوت في قوله تعالى (كمثل العنكبوت اتخذت بيتاً).

وقد تعرضت لأمر العقيدة بالإضافة إلى ذكر ما يلاقيه المؤمنون من البلاء في ذات الله تعالى، وبعض الأمثال.

وقد ذكر المؤلف رحمه الله ثلاثة آثار في سبب نزول مطلع هذه السورة. فالأول والثاني: أنها في أناس أرادوا الهجرة إلى النبي □، فصددهم المشركون، وهما يدلان على أن هذه الآيات نزلت في نهاية العهد المكي.

وأما الأثر الثالث: في كون نزولها في عمار بن ياسر وكان من المستضعفين من المؤمنين، فنزلت الآية مبينة أن سنة الله تعالى في عباده المؤمنين الابتلاء، فلا يحسب المؤمن أنه لا يمتحن ويبتلى بإيمانه، بل يمتحن ويبتلى ليربط الله على قلبه ويثبت إيمانه.

وهذه الآثار المتقدمة تدل على أن الآية مكية لكن جاء سبب ثالث يدل على أن الآية مدنية وهو ما رواه مقاتل: أنها نزلت في مهجع مولى عمر بن الخطاب حين قُتل بدير، فجزع عليه أبواه وامرأته، فأنزل الله تعالى في أبويه وامرأته هذه الآية⁽¹⁹¹⁰⁾.

قلت: يجتمل على فرض صحة الآثار أنها نزلت مرتين مرة بمكة ومرة بالمدينة، وقد تقدم نحو ذلك. وإلا كونها نزلت في مكة هو الأقوي من حيث شواهد الله وأعلم.

(1904) زاد المسير (6/ 249)

(1905) صفوة التفسير - للصابوني (2/ 329)

(1906) تفسير ابن أبي حاتم 9/3031 تفسير الطبري 20/129 إسناده صحيح مرسل

(1907) تفسير ابن أبي حاتم 9/3031 مرسل.

(1908) تفسير الطبري 20/129 ضعيف مرسل

(1909) تفسير القرطبي - (13/ 323)

(1910) تفسير مقاتل بن سليمان (2/ 510)

[تفسير مختصر للآية]

(أحسب الناس أن يتركوا أن يقولوا آمنا وهم لا يفتنون) الهمة للإستفهام الإنكاري، أي أظن الناس أن يتركوا من غير افتتان، لمجرد قولهم آمنا باللسان؟ لا، ليس الأمر كما ظنوا، بل لا بد من امتحانهم، ليتميز الصادق من المنافق. (ولقد فتنا الذين من قبلهم) أي ولقد اخترنا وامتحننا من سبقهم، بأنواع من التكليف والمصائب والمحن، قال البيضاوي: إن ذلك سنة قديمة، جارية في الأمم كلها، فلا ينبغي أن يتوقع خلافه.

(فليعلمن الله الذين صدقوا وليعلمن الكاذبين) أي فليميزن الله بين الصادقين في دعوى الإيمان، وبين الكاذبين فيه، وعبر عن الصادقين بلفظ الفعل [الذين صدقوا] وعن الكاذبين باسم الفاعل [الكاذبين] للإشارة إلى أن الكاذبين وصفهم مستمر، وأن الكذب راسخ فيهم، بخلاف الصادقين فإن الفعل يفيد التجدد، قال الإمام الفخر: إن اسم الفاعل يدل في كثير من المواضع، على ثبوت المصدر ورسوخه فيه، والفعل الماضي لا يدل عليه، كما يقال: فلان شرب الخمر، وفلان شارب الخمر، فإنه لا يفهم من صيغة الفعل الثبوت والرسوخ⁽¹⁹¹¹⁾.

(وَوَصَّيْنَا الْإِنْسَانَ بِوَالِدَيْهِ حُسْنًا وَإِنْ جَاهَدَاكَ لِتُشْرِكَ بِي مَا لَيْسَ لَكَ بِهِ عِلْمٌ فَلَا تُطِعْهُمَا إِلَيَّ مَرْجِعُكُمْ فَأُنَبِّئُكُمْ بِمَا كُنْتُمْ تَعْمَلُونَ ٨)

قوله تعالى: (وإن جاهداك) - الآية.

826. أخرج مسلم والترمذي وغيرهما عن سعد بن أبي وقاص قال: « قالت أم سعد أليس قد أمر الله بالبر؟ والله لا أطمع طعاماً ولا أشرب شراباً حتى أموت أو تكفر، فنزلت: (ووصينا الإنسان بوالديه حسناً وإن جاهداك لتشرك بي) - الآية⁽¹⁹¹²⁾ ».

[تعليق]

ذكر المؤلف هذا الأثر في سبب نزول هذه الآية، وهو أثر صحيح ويدل على أن الآية نزلت في سعد بن أبي وقاص وكان برأ بأمه، فلما أرادت أن تصده عن دينه حاولت أن تستغل بره لها فامتنعت عن الطعام ظناً منها أن ذلك يصده عن دينه. عن مصعب بن سعد: عن أبيه أنه نزلت في آيات من القرآن قال: حلفت أم سعد لا تكلمه أبداً حتى يكفر بدينه ولا تأكل ولا تشرب قالت: زعمت أن الله أوصاك بوالديك وأنا أمك وأنا أمرك بهذا قال: مكثت ثلاثاً حتى غشي عليها من الجهد فقام ابن لها يقال له عمارة فسقاها فجعلت تدعو على سعد فأنزل الله هذه الآية: (ووصينا الإنسان بوالديه حسناً وإن جاهداك لتشرك بي ما ليس لك به علم فلا تطعهما إلي مرجعكم فأنبئكم بما كنتم تعملون).

وقد جاء أن هذه الآية نزلت في عياش بن أبي ربيعة.

قال الإمام الزمخشري: وروى أنها نزلت في عياش بن أبي ربيعة المخزومي، وذلك أنه هاجر مع عمر بن الخطاب رضى الله عنهما مترافقين حتى نزلا المدينة، فخرج أبو جهل بن هشام والحريث بن هشام - أخواه لأمه أسماء بنت مخزومة: امرأة من بنى تميم من بنى حنظلة - فنزلا بعياش وقال له: إن من دين محمد صلة الأرحام وبر الوالدين، وقد تركت أمك لا تطعم ولا تشرب ولا تأوى بيتاً حتى تراك، وهي أشد حبا لك منا فاخرج معنا، وقتلا منه في الذروة والغارب فاستشار عمر رضى الله عنه فقال: هما يخذعانك، ولك على أن أقسم مالى بيني وبينك، فما زال به حتى أطاعهما وعصى عمر، فقال له عمر: أما إذ عصيتني فخذ ناقتي، فليس في الدنيا يعير يلحقها، فإن رابك منهما ريب فارجع، فلما انتهوا إلى البيداء قال أبو جهل: إن ناقتي قد كلت فاحملني معك. قال: نعم، فنزل ليوطى لنفسه وله، فأخذاه وشدها وثاقاً، وجلده كل واحد منهما مائة جلدة، وذهبا به إلى أمه فقالت: لا تزال في عذاب حتى ترجع عن دين محمد، فنزلت⁽¹⁹¹³⁾.

قلت: الأثر الأول أصح إسناداً وإن صحت قصت عياش فهو داخل في عموم الآية، فالأمر بالإحسان للولدين جاء عاماً. والله تعالى أعلم.

[تفسير مختصر للآية]

(ووصينا الإنسان بوالديه حسناً) أي أمرناه أمراً مؤكداً، بالإحسان إلى والديه غاية الإحسان، لأنهما سبب وجوده ولهما عليه غاية الفضل والإحسان، الوالد بالإنفاق، والوالدة بالاشفاق، قال الصاوي: وإنما أمر الله الأولاد ببر الوالدين دون العكس، لأن الأولاد جبلوا على القسوة، وعدم طاعة الوالدين، فكلفهم الله بما يخالف طبيعتهم، والأباء محبوبون على الرحمة والشفقة بالأولاد، فوكلهم لما جبلوا عليه⁽¹⁹¹⁴⁾.

(1911) صفوة التفسير - للصابوني (332/2)

(1912) صحيح مسلم 1877/4 ح (1748) سنن الترمذي 5/341 ح (3189) وقال حسن صحيح سنن البيهقي الكبرى 9/26 ح (17611) مسند أبي يعلى 2/116 ح (782) الأدب المفرد 22 ح (24) تفسير الطبري 21/70 مسند أحمد 1/181 ح (1567) مسند عبد بن حميد 74 ح 1 (132) (1913) تفسير الكشاف مع الحواشي (443/3) المؤلف: العلامة جار الله أبو القاسم محمود بن عمر الزمخشري (467 - 538 هـ) القرن: السادس الناشر: دار الكتاب العربي - بيروت سنة الطبع: 1407 هـ عدد الأجزاء: 4 كذلك رواه صاحب الهداية إلى بلوغ النهاية (5602/9) المؤلف: أبو محمد مكي بن أبي طالب خموش بن محمد بن مختار القيسي القيرواني ثم الأندلسي القرطبي المالكي (المتوفى: 437 هـ) المحقق: مجموعة رسائل جامعية بكلية الدراسات العليا والبحث العلمي جامعة الشارقة، بإشراف أ. د. الشاهد البوشيخي الناشر: مجموعة بحوث الكتاب والسنة كلية الشريعة والدراسات الإسلامية جامعة الشارقة الطبعة: الأولى، 1429 هـ 2008 م عدد الأجزاء: 13 (12)،

ومجلد للفهارس

(1914) صفوة التفسير - للصابوني (333/2)

(وَمِنَ النَّاسِ مَن يَقُولُ ءَامَنَّا بِاللَّهِ فَإِذَا أُوذِيَ فِي اللَّهِ جَعَلَ فِتْنَةَ النَّاسِ كَعَذَابِ اللَّهِ وَلَئِن جَاءَ نَصْرٌ مِّن رَّبِّكَ
لَيَقُولُنَّ إِنَّا كُنَّا مَعَكُمْ أَوْ لَيْسَ اللَّهُ بِأَعْلَمَ بِمَا فِي صُدُورِ الْعَالَمِينَ (١٠)

قوله تعالى: (ومن الناس من يقول آمنا بالله) - الآية. تقدم سبب نزولها في سورة النساء.

[تعليق]

تقدم سبب نزول هذه الآية في سورة النساء في قوله تعالى (إِنَّ الَّذِينَ تَوَفَّاهُمُ الْمَلَائِكَةُ ظَالِمِي أَنفُسِهِمْ قَالُوا فِيمَ كُنْتُمْ قَالُوا
كُنَّا مُسْتَضْعَفِينَ فِي الْأَرْضِ قَالُوا أَلَمْ تَكُنْ أَرْضَ اللَّهِ وَاسِعَةً فَتُهَاجِرُوا فِيهَا فَأُولَئِكَ مَأْوَاهُمْ جَهَنَّمُ وَسَاءَتْ مَصِيرًا) [النساء آية 97]
وأذكره هنا تماماً للفائدة مع باقي أسباب نزول الآية.

عن ابن عباس قال: « كان قوم من أهل مكة قد أسلموا، وكانوا يخفون الإسلام، فأخرجهم المشركون معهم يوم بدر، فأصيب بعضهم فقال المسلمون: هؤلاء كانوا مسلمين فأكرهوا فاستغفروا لهم، فنزلت: (إن الذين توفاهم الملائكة) الآية. فكتبوا بها إلى من بقي بمكة منهم وأنه لا عذر لهم، فخرجوا فلحق بهم المشركون ففتنواهم فرجعوا، فنزلت: (ومن الناس من يقول آمنا بالله فإذا أُوذِيَ في الله جعل فتنة الناس كعذاب الله) فكتب إليهم المسلمون بذلك فتحزنوا فنزلت: (ثم إن ربك للذين هاجروا من بعد ما فتنوا) الآية. فكتبوا إليهم بذلك فخرجوا فلحقوهم فنجا من نجا وقتل من قتل (1915)».

وقد روى في سبب نزولها كذلك ثلاثة أسباب للنزول.
فالثاني: ما رواه الإمام الواحدي قال وقال الضحاك: نزلت في أناس من المنافقين بمكة كانوا يؤمنون، فإذا أُوذوا رجعوا إلى الشرك (1916).

والثالث: ما أخرجه الإمام ابن جرير عن مجاهد، قوله: (فَإِذَا أُوذِيَ فِي اللَّهِ جَعَلَ فِتْنَةَ النَّاسِ كَعَذَابِ اللَّهِ...) إلى قوله: (وَلَيَعْلَمَنَّ الْمُنَافِقِينَ) قال: أناس يؤمنون بألسنتهم، فإذا أصابهم بلاء من الله أو مصيبة في أنفسهم افتتنوا، فجعلوا ذلك في الدنيا كعذاب الله في الآخرة (1917).

والرابع ما ذكره الإمام ابن الجوزي قال: أنها نزلت في عيَّاش بن أبي ربيعة، كان أسلم، فخاف على نفسه من أهله وقومه، فخرج من مكة هارباً إلى المدينة، وذلك قبل قدوم رسول الله ﷺ إلى المدينة، فجزعت أمه فقالت لأخويه أبي جهل والحارث ابني هشام وهما أخواه لأمه: والله لا أوي بيتاً ولا أكل طعاماً ولا أشرب شرباً حتى تأتيني به، فخرجا في طلبه فظفرا به، فلم يزا إلا به حتى تابعهما وجاء به إليها، فقيدته، وقالت: والله لا أحكك من وثاقك حتى تكفر بمحمد، ثم أقبلت تحلده بالسياط وتعذبه حتى كفر بمحمد عليه السلام جزعاً من الضرب، فنزلت [فيه] هذه الآية، ثم هاجر بعد وحسن إسلامه، هذا قول ابن السائب، ومقاتل. وفي رواية عن مقاتل أنهما جلداه في الطريق مانتني جلدة، فتبرأ من دين محمد، فنزلت هذه الآية (1918).
قلت: لم يقوى عندي شيء من هذه الأسباب فتحمل الآية على عمومها. فقوله تعالى (ومن الناس) عام يشمل ما ذكر وغيره. والله تعالى أعلم.

[تفسير مختصر للآية]

(ومن الناس من يقول آمنا بالله فإن أُوذِيَ في الله جعل فتنة الناس كعذاب الله) أي ومن الناس فريق يقولون بألسنتهم آمنا بالله، فإذا أُوذِيَ أحدهم بسبب إيمانه، ارتد عن الدين، وجعل ما يصيبه من أذى الناس، سبباً صارفاً له عن الإيمان، وكعذاب الله الشديد الذي يصرف الإنسان عن الكفر، قال المفسرون: والتشبيه [كعذاب الله] من حيث إن عذاب الله مانع للمؤمنين من الكفر، فكذلك المنافقون جعلوا أذاهم مانعاً لهم من الإيمان، وكان مقتضى إيمانها أن يصيروا ويتشجعوا، ويروا في العذاب عذوبة، وفي المحنة منحة، فإن العاقبة للمتقين، قال الإمام الفخر: أقسام المكلفين ثلاثة: مؤمن ظاهر بحسن اعتقاده، وكافر مجاهر بكفره وعناده، ومذبذب بينهما يظهر الإيمان بلسانه، وبضمير الكفر في فؤاده، فلما ذكر تعالى القسمين بقوله

(فليعلمن الله الذين صدقوا وليعلمن الكاذبين) ذكر القسم الثالث هنا [ومن الناس من يقول آمنا بالله] واللطيفة في الآية: أن الله أراد بيان شرف المؤمن الصابر، وخسة المنافق الكافر، فقال هناك: أُوذِيَ المؤمن في سبيل الله، ليترك دينه فلم يتركه، وأُوذِيَ المنافق ببعض الأذى، فترك الله بنفسه، وكان يمكنه أن يظهر موافقتهم، ويكون قلبه مطمئناً بالإيمان، ومع هذا لم يفعله بل ترك الله بالكليّة (1919).

(ولئن جاء نصر من ربك ليقولن إنا كنا معكم) أي ولئن جاء نصر قريب للمؤمنين، وفتح ومغانم لهم، قال أولئك المنافقون: إنا كنا معكم ننصركم على أعدائكم، ففاسمونا فيما حصل لكم من الغنائم، قال تعالى ردا عليهم.

(أوليس الله بأعلم بما في صدور العالمين)؟ استقهاهم تقريري، أي أوليس الله هو العالم بما انطوت عليه الضمائر، من خير وشر؟ وبما في قلوب الناس من إيمان ونفاق؟ بلى إنه بكل شيء عليم.

(١٢) وَلَيَحْمِلُنَّ أَثْقَالَهُمْ وَأَثْقَالًا مَّعَ أَثْقَالِهِمْ وَلَيَسْلُنَّ يَوْمَ الْقِيَامَةِ عَمَّا كَانُوا يَفْتَرُونَ (١٣)

(1915) أخرجه الطبري في تفسيره في عدة مواضع منها 5/234 وفي إسناده أحمد بن منصور الرمادي وثقه أبو حاتم قال الإمام الطبري: حدثنا أحمد بن منصور الرمادي قال ثنا أبو أحمد الزبير قال ثنا محمد بن شريك عن عمرو بن دينار عن عكرمة عن ابن عباس به

(1916) الواحدي أسباب النزول للواحدي (231)

(1917) جامع البيان (تفسير الطبري) (20/ 13)

(1918) زاد المسير (6/ 259)

(1919) صفوة التفسير - للصابوني (2/ 333)

قوله تعالى: (وليحملن أثقالهم) - الآية.

827. أخرج ابن أبي شيبة في المصنف عن ابن الحنفية قال: « كان أبو جهل وصناديد قريش يتلقون الناس إذا جاؤا إلى النبي ﷺ يسلمون فيقولون: إنه يحرم الخمر ويحرم الزنا ويحرم ما كانت تصنع العرب، فارجعوا فنحن نحمل أوزاركم، فنزلت هذه الآية: (وليحملن أثقالهم) (1920) ». ».

[تعليق]

ذكر المؤلف رحمه الله أثراً واحداً في سبب نزول هذه الآية، وهو يدل على ما كان عليه أهل صنديد أهل الكفر من صد الناس عن سبيل الله ووعدهم بأنهم يحملون عنهم ذنوبهم يوم القيامة، فأجابهم الله بأنهم سيحملون أثقالهم وأثقالاً مع أثقالهم. وهذا بالإضافة لعذاب كفرهم فكذلك عذاب ذنوبهم.

[تفسير مختصر للآية]

(وقال الذين كفروا للذين آمنوا اتبعوا سبيلنا ولنحمل خطاياكم) أي قال الكفار للمؤمنين: اكفروا كما كفرنا، واتبعوا ديننا، ونحن نحمل عنكم الإثم والعقاب، إن كان هناك عقاب قال ابن كثير: كما يقول القائل: افعِلْ هذا وخطيئتك في عنقي فإن قيل [ولنحمل] صيغة أمر، فكيف يصح أمر النفس من الشخص؟ فنقول: الصيغة أمر، والمعنى شرط وجزاء، أي إن اتبعتمونا حملنا خطاياكم. (وما هم بحاملين من خطاياهم من شيء) أي وما هم حاملين شيئاً من خطاياهم، لأنه لا يحمل أحد وزر أحد. (إنهم لكاذبون) أي وإنهم لكاذبون في ذلك، ثم قال تعالى: (وليحملن أثقالهم وأثقالاً مع أثقالهم) أي وليحملن أوزارهم، وذنوب من أضلوهم، دون أن ينقص من ذنوب أولئك شيء، كما في الحديث (ومن دعا إلى ضلالة كان عليه من الإثم مثل آثام من اتبعه، من غير أن ينقص من آثامهم شيء). (وليسألن يوم القيامة) أي وليسألن سؤال توبيخ وتقريع. (عما كانوا يفترون) أي عما كانوا يختلقونه من الكذب على الله عز وجل (1921).

(أَوْ لَمْ يَكْفِهِمْ أَنَّا أَنْزَلْنَا عَلَيْكَ الْكِتَابَ يُتْلَىٰ عَلَيْهِمْ إِنَّ فِي ذَٰلِكَ لَرَحْمَةً وَذِكْرَىٰ لِقَوْمٍ يُؤْمِنُونَ ٥١)

قوله تعالى: (أولم يكفهم) - الآية.

828. أخرج ابن جرير وابن أبي حاتم والدارمي في مسنده من طريق عمرو بن دينار عن يحيى بن جعدة قال: « جاء أناس من المسلمين بكتب قد كتبوا فيها بعض ما سمعوه من اليهود، فقال النبي ﷺ: « كفى بقوم ضلالة أن يرغبوا عما جاء به نبيهم إليهم إلى ما جاء به غيره إلى غيرهم ». فنزلت: (أولم يكفهم أن أنزلنا عليك الكتاب يتلى عليهم) (1922) ». ».

[تعليق]

ذكر المؤلف رحمه الله أثراً واحداً في سبب نزول هذه الآية، وقد جاءت عدة أحاديث فيها التحذير عن الأخذ عن أهل الكتاب، وذلك لأنهم غيروا وبدلوا كتبهم، على عكس القرآن الكريم فإن الله تعالى تكفل بحفظه. وقد روى الإمام البخاري عن ابن عباس أنه قال: " كيف تسألون أهل الكتاب عن شيء وكتابكم الذي أنزل الله على نبيه ﷺ أحدث الأخبار تقرأه محضاً لم يشب ألم يخبركم الله في كتابه أنهم حرفوا كتاب الله وبدلوا وكتبوا كتاباً بأيديهم فقالوا: هذا من عند الله ليشتروا به ثمناً قليلاً لا نهاكم العلم الذي جاءكم عن مسألتهم والله ما رأينا رجلاً منهم قط يسألكم عما أنزل الله إليكم " (1923).

وفي مسألة التحديث عن أهل الكتاب كلام أطول من ذلك ليس هذه محله نسأل الله التوفيق

[تفسير مختصر للآية]

(أولم يكفهم أن أنزلنا عليك الكتاب يتلى عليهم) الاستفهام للتوبيخ، أي أولم يكف المشركين عن آيات هذا الكتاب المعجز، الذي لا يزال يقرع أسماعهم؟ وكيف يطلبون آية والقرآن أعظم الآيات، وأوضحها دلالة على صحة نبوتك؟ قال ابن كثير: بين تعالى كثرة جهلهم، وسخافة عقولهم، حيث طلبوا آيات تدل على صدق محمد ﷺ وقد جاءهم بالكتاب العزيز، الذي لا يأتيه الباطل من بين يديه ولا من خلفه، الذي هو أعظم من كل معجزة، إذ عجزت الفصحاء والبلغاء عن معارضته، بل عن معارضة صورة منه، أولم يكفهم أن أنزلنا عليك يا محمد هذا الكتاب العظيم، وأنت رجل أمي لا تقرأ ولا تكتب، وجنتهم بأخبار ما في الصحف الأولى؟ ولهذا قال بعده (إن في ذلك لرحمة وذكرى لقوم يؤمنون) أي إن في إنزال هذا القرآن، لنعمة عظيمة على العباد، بإنقاذهم من الضلالة، وتذكيرهم بليغة لقوم عقلاء غرضهم الإيمان، لا التعنت والطغيان (1924).

(1920) مصنف ابن أبي شيبة 7/333 ح (36567) وفي إسناده حجاج بن أرطاة ضعيف.

(1921) صفوة التقاسير - للصابوني (2/334)

(1922) تفسير الطبري 21/7 ووصلة أبو بكر الإسماعيلي في معجمه عن أبي هريرة وفي إسناده إبراهيم بن يزيد الخوزي ضعيف.

(1923) صحيح البخاري (3/237)

(1924) صفوة التقاسير - للصابوني (2/342)

(وَكَأَيِّن مِّن دَابَّةٍ لَا تَحْمِلُ رِزْقَهَا اللَّهُ يَرْزُقُهَا وَإِيَّاكُمْ وَهُوَ السَّمِيعُ الْعَلِيمُ ٦٠)

قوله تعالى: (وكأين من دابة) - الآية.

829. أخرج عبد بن حميد وابن أبي حاتم والبيهقي وابن عساكر بسند ضعيف عن ابن عمر قال: «خرجت مع رسول الله ﷺ حتى دخل بعض حيطان المدينة، فجعل يلتقط من التمر ويأكل، فقال لي: «يا ابن عمر ما لك لا تأكل؟». قلت: لا أشتهيه، قال: «لكني أشتهيه وهذه صبح رابعة منذ لم أذق طعاماً ولم أجد له ولو شئت لدعوت ربي فأعطاني مثل ملك كسرى وقيصر، فكيف بك يا ابن عمر إذا لقيت قوماً يخبئون رزق سنتهم ويضعف اليقين». قال فوالله ما برحنا ولا برحنا حتى نزلت: (وكأين من دابة لا تحمل رزقها الله يرزقها وإياكم وهو السميع العليم) فقال: رسول الله ﷺ: «إن الله لم يأمرني بكنز الدنيا ولا باتباع الشهوات، ألا وإني لا أكنز ديناراً ولا درهماً ولا أخبأ رزقاً لغد»⁽¹⁹²⁵⁾.

[تعليق]

ذكر المؤلف رحمه الله هذا الأثر الضعيف في سبب نزول هذه الآية، وكان كان النبي ﷺ يدخر قوت عام لأهله وهو مخالف لمعنى الأثر فقد روى الإمام البخاري وغيره عن عمر رضي الله عنه أن النبي صلى الله عليه وسلم كان يبيع نخل بني النضير ويحبس لأهله قوت سنتهم⁽¹⁹²⁶⁾.

فمعنى الآية إذا الإخبار أن الله سبحانه وتعالى يرزق جميع الخلق من يحمل منهم رزقه ومن لا يحمل وقد ذكر بأن النملة تدخر قوتها كما يدخر الإنسان والله تعالى أعلم.

وقد جاء في سبب نزول هذه الآية ما أخرجه الإمام الثعلبي: إن رسول الله (عليه السلام) قال للمؤمنين الذين كانوا بمكة وقد آذاهم المشركون: «أخرجوا إلى المدينة وهاجروا ولا تجاوروا الظلمة فيها. فقالوا: يا رسول الله كيف نخرج إلى المدينة ليس لنا بها دار ولا عقار ولا مال، فمن يطعمنا بها ويسقينا؟ فأنزل الله سبحانه: (وَكَأَيِّن مِّن دَابَّةٍ) ذات حاجة إلى غذاء لا تحمل رزقاً فيرفعه لغذائها يعني الطير والبهائم⁽¹⁹²⁷⁾. قلت: الآية عامة وسبب النزول ليس بقوي.

[تفسير مختصر للآية]

(وكأين من دابة لا تحمل رزقها) أي كم من دابة ضعيفة، لا تقدر على كسب رزقها، ولكن الله يرزقها مع ضعفها. (الله يرزقها وإياكم) أي الله تعالى يرزقها كما يرزقكم، وقد تكفل برزق جميع الخلق، فلا تخافوا الفقر إن هاجرتكم، فالرازق هو الله، قال في التسهيل: والقصد بالآية التقوية لقلوب المؤمنين، إذا خافوا الفقر والجوع في الهجرة من أوطانهم، فكما يرزق الله الحيوانات الضعيفة كذلك يرزقكم إذا هاجرتكم من بلدكم. (وهو السميع العليم) أي هو السميع لأقوالكم، العليم بأحوالكم⁽¹⁹²⁸⁾.

(أَوْ لَمْ يَرَوْا أَنَّا جَعَلْنَا حَرَمًا ءَامِنًا وَيَتَخَطَّفُ النَّاسُ مِنْ حَوْلِهِمْ أَفِيَالِبِطِلٍ يُؤْمِنُونَ وَيَنْعَمَ اللَّهُ يَكْفُرُونَ ٦٧)

قوله تعالى: (أو لم يروا) - الآية.

830. أخرج جويبير⁽¹⁹²⁹⁾ عن الضحاك عن ابن عباس: «أنهم قالوا: يا محمد ما يمنعنا أن ندخل في دينك إلا مخافة أن يتخطفنا الناس لقلتنا والأعراب أكثر منا، فمتى ما يبلغهم أننا قد دخلنا في دينك اختطفنا فكنا أكلة رأس، فأنزل الله: (أولم يروا أننا جعلنا حرماً آمناً)»⁽¹⁹³⁰⁾.

[تعليق]

ذكر المؤلف رحمه الله أثراً واحداً في سبب نزول هذه الآية، وهو يدل على ما كان عليه الكفار من المشاقة لله ورسوله والتكبر عن اتباع الحق.

وقولهم [كنا أكلة رأس] قال في تاج العروس: أَكَلَهُ رَأْسٌ، مَحْرَكَةٌ أَي قَلِيلٌ، يُشْبِعُهُمْ رَأْسٌ وَاحِدٌ⁽¹⁹³¹⁾.

فأجابهم الله تعالى بأنه جعل لهم الحرم آمناً وأماناً لمن دخله فلا عذر لهم ولا حجة لهم في عدم قبول الحق غير المكابرة والعناد

[تفسير مختصر للآية]

⁽¹⁹²⁵⁾مسند عبد بن حميد 1/259 ح (816) تاريخ دمشق 4/127 وفيه رواه منهم

⁽¹⁹²⁶⁾صحيح البخاري (81/7)

⁽¹⁹²⁷⁾الكشف والبيان عن تفسير القرآن (288/7)

⁽¹⁹²⁸⁾صفوة التفاسير - للصابوني (343/2)

⁽¹⁹²⁹⁾[جويبير] هو بن سعيد ضعيف جدا وهو راوي التفسير، وكل ما يذكره المؤلف من طريقه سوف أحكم عليه بالضعف وهو لا شك ضعيف وأيضاً منقطع وليس روايته في

التفسير من المصادر المتوفرة

⁽¹⁹³⁰⁾ضعيف

⁽¹⁹³¹⁾تاج العروس من جواهر القاموس (14/28) المؤلف: محمد بن محمد بن عبد الرزاق الحسيني، أبو الفيض، الملقب بمرتضى، الزبيدي تحقيق: مجموعة من المحققين

الناشر: دار الهداية عدد الأجزاء: 40

(أولم يروا أننا جعلنا حرماً آمناً ويتخطف الناس من حولهم) أي أولم ير هؤلاء الكفار، رؤية تفكر واعتبار، أننا جعلنا بلدكم (مكة) حرماً مصوناً عن السلب والنهب، آمناً أهله من القتل والسبي، والناس حولهم يسيرون ويقتلون. ويتخطف الناس من حولهم) أي يقتل بعضهم بعضاً، ويسبي بعضهم بعضاً. (أفبالباطل يؤمنون وبنعمة الله يكفرون) أي أفبعد هذه النعمة الجليلة، يؤمنون بالأوثان ويكفرون بالرحمن⁽¹⁹³²⁾.
انتهت سورة العنكبوت

سُورَةُ الرُّومِ

(أَلَمْ ۙ غَلِبْتَ الرُّومَ ۚ فِي أَدْنَى الْأَرْضِ وَهُمْ مِّنْ بَعْدِ غَلِبِهِمْ سَيَغْلِبُونَ ۚ ۓ فِي بَضْعِ سِنِينَ ۗ إِنَّهُم بِالْأَمْرِ مِنْ قَبْلُ وَمِنْ بَعْدِ ۚ وَيَوْمَئِذٍ يَفِرُّ الْمُؤْمِنُونَ ۚ إِلَى اللَّهِ يَتَّقِرُونَ ۚ فَكَيْفَ يُغْلِبُ اللَّهُ الَّذِينَ كَفَرُوا ۗ أَلَمْ يَكُنْ لَهُ الْخَلْقُ وَسْطَ لَيْلِ لَيْسَةٍ مِّنْ لَّيَالِي ۚ نَسْفَةً يَسُفُّهَا السَّمَاءُ ۚ وَلَهُ يُعْرَفُ السُّعُودُ ۚ ۓ)

قوله تعالى: (ألم غلبت الروم) - الآيات.

831. أخرج الترمذي عن أبي سعيد قال: «لما كان يوم بدر ظهرت الروم على فارس، فأعجب ذلك المؤمنون، فنزلت: (ألم غلبت الروم) إلى قوله: (بنصر الله⁽¹⁹³³⁾)». يعني بفتح الغين.

832. وأخرج ابن جرير عن ابن مسعود نحوه⁽¹⁹³⁴⁾.

833. وأخرج ابن أبي حاتم عن ابن شهاب قال: «بلغنا أن المشركين كانوا يجادلون المسلمين وهم بمكة قبل أن يخرج رسول الله ﷺ فيقولون: الروم يشهدون أنهم أهل كتاب وقد غلبتهم المجوس وأنتم تزعمون أنكم ستغلبوننا بالكتاب الذي أنزل على نبيكم، فكيف غلب المجوس الروم وهم أهل كتاب؟ فسئلبكم كما غلب فارس الروم، فأنزل الله: (ألم غلبت الروم⁽¹⁹³⁵⁾)».

834. وأخرج ابن جرير نحوه عن عكرمة⁽¹⁹³⁶⁾.

835. ويحيى بن يعمر⁽¹⁹³⁷⁾.

836. وقتادة⁽¹⁹³⁸⁾.

فالرواية الأولى: على قراءة غلبت بالفتح لأنها نزلت يوم غلبتهم يوم بدر، والثانية على قراءة الضم فيكون معناه وهم من بعد غلبتهم فارس سيغلبهم المسلمون حتى يصح معنى الكلام وإلا لم يكن له كبير معنى.

[تعليق]

سورة الروم مكية كلها من غير خلاف وأهدافها نفس أهداف السور المكية بالإضافة إلى ما ذكر الله سبحانه وتعالى من غلبة الروم للفرس بعد هزيمتهم.

وقد ذكر المؤلف عدة آثار وهل تشتمل على سببين للنزول.

فالأول: أنها نزلت في غزوة بدر لما غلب الروم الفرس وهذه الآثار مرسله والآية مكية.

الثاني: أنها نزلت في مكة عندما غلبت الفرس الروم، ثم بعد ذلك نصر الله الروم على الفرس، وكانت الروم أهل كتاب والفرس عبدة أصنام وينكرون البعث، وكان المؤمنون يحبون أن ينتصر أهل الكتاب على عبدة الأصنام. وقد اختصر المؤلف الأثر الوارد في ذلك.

وقد ذكره الإمام الطبري وغيره بسياق أطول من هذا فقال: عن عكرمة قال: كانت في فارس امرأة لا تلد إلا الملوك الأبطال، فدعاها كسرى، فقال: إني أريد أن أبعث إلى الروم جيشاً وأستعمل عليهم رجلاً من بنيك، فأشير عليهم أستعمل، فقالت: هذا فلان، وهو أروغ من ثعلب، وأحذر من صرد، وهذا فرخان، وهو أنفذ من سنان، وهذا شهربراز، وهو أحلم من كذا، فاستعمل أيهم شئت، قال: إني قد استعملت الحلیم، فاستعمل شهربراز، فسار إلى الروم بأهل فارس، وظهر عليهم، فقتلهم، وخرّب مدائنهم، وقطع زيتونهم. قال أبو بكر: فحدثت بهذا الحديث عطاء الخراساني فقال: أما رأيت بلاد الشام؟ قلت: لا قال: أما إنك لو

⁽¹⁹³²⁾صفوة التفسير - للصابوني (2/ 344)

⁽¹⁹³³⁾تفسير الطبري 21/21 سن الترمذي 5/189 وقال حسن غريب قلت في إسناده عطية العوفي ضعيف

⁽¹⁹³⁴⁾تفسير الطبري 21/20 وإسناده فيه ضعف وليس فيه تصريح بسبب النزول، وبنحوه عن ابن عباس أخرج الحاكم والترمذي وأحمد، قال الترمذي: حسن صحيح غريب وصححه الحاكم على شرطهما، ولفظه عنده عن ابن عباس رضي الله عنهما قال: «كان المسلمون يحبون أن تظهر الروم على فارس لأنهم أهل الكتاب، وكان المشركون يحبون أن تظهر فارس على الروم لأنهم أهل أوثان، فذكر ذلك المسلمون لأبي بكر رضي الله تعالى عنه، فذكر ذلك أبو بكر للنبي ﷺ، فقال له النبي ﷺ: «أما أنهم سيهزمون» فذكر أبو بكر لهم ذلك فقالوا: اجعل بيننا وبينك أجلاً فإن ظهوروا كان لك كذا وكذا، وإن ظهرنا كان لنا كذا وكذا، فجعل بينهم أجل خمس سنين فلم يظهروا، فذكر ذلك أبو بكر للنبي ﷺ، فقال: «ألا جعلته أراه قال دون العشرة» قال: فظهرت الروم بعد ذلك، فذلك قوله تعالى: (ألم غلبت الروم في أدنى الأرض وهم من بعد غلبهم سيغلبون) قال: فغلبت الروم ثم غلبت بعد: (الله الأمر من قبل ومن بعد ويومئذ يفرح المؤمنون بنصر الله) .

⁽¹⁹³⁵⁾تفسير ابن أبي حاتم 9/3087 مرسل

⁽¹⁹³⁶⁾تفسير الطبري 21/17 مرسل ضعيف

⁽¹⁹³⁷⁾تفسير الطبري 21/18 مرسل ضعيف

⁽¹⁹³⁸⁾تفسير الطبري 21/19 مرسل وألفاظهم مختلفة

رأيتها لرأيت المدائن التي خرّبت، والزيتون الذي قُطع، فأُتيت الشام بعد ذلك فرأيتَه.
قال عطاء الخراساني: ثني يحيى بن يعمر، أن قيصر بعث رجلا يُدعى قطمة بجيش من الروم، وبعث كسرى شهربراز، فالتقيا بأذرع وبصرى، وهي أدنى الشام إليكم، فلقبت فارس الروم، فغلبتهم فارس، وفرح بذلك كفار قريش، وكرهه المسلمون، فأُنزل الله (الم غلبت الروم في أدنى الأرض...) الآيات، ثم ذكر مثل حديث عكرمة، وزاد: فلم يزل شهربراز يطوهم، ويخرب مدائنهم حتى بلغ الخليج، ثم مات كسرى، فبلغهم موته، فانهزم شهربراز وأصحابه، وأوعبت عليهم الروم عند ذلك، فأتبعوهم يقتلونهم قال: وقال عكرمة في حديثه: لما ظهرت فارس على الروم جلس فرخان يشرب، فقال لأصحابه: لقد رأيت كأني جالس على سرير كسرى، فبلغت كسرى، فكتب إلى شهربراز: إذا أتاك كتابي فابعث إليّ برأس فرخان. فكتب إليه: أيها الملك، إنك لن تجد مثل فرخان، إن له نكاية وضربا في العدو، فلا تفعل. فكتب إليه: إن في رجال فارس خلفا منه، فعجل إليّ برأسه، فراجعه، فغضب كسرى، فلم يجبه، وبعث بريدا إلى أهل فارس، إنني قد نزعت عنكم شهربراز، واستعملت عليكم فرخان، ثم دفع إلى البريد صحيفة صغيرة: إذا ولي فرخان الملك، وانقاد له أخوه، فأعطه هذه؛ فلما قرأ شهربراز الكتاب قال: سمعا وطاعة، ونزل عن سريره وجلس فرخان، ودفع الصحيفة إليه، قال: انتوني بشهربراز، فقدّمه ليضرب عنقه، قال: لا تعجل حتى أكتب وصيتي، قال: نعم، فدعا بالسفط، فأعطاه ثلاث صحائف، وقال: كل هذا راجعت فيك كسرى، وأنت أردت أن تقتلني بكتاب واحد، فردّ الملك، وكتب شهربراز إلى قيصر ملك الروم: إن لي إليك حاجة لا يحملها البريد، ولا تبلغها الصحف، فالتقي، ولا تلقني إلا في خمسين روميا، فإني ألك في خمسين فارسيا، فأقبل قيصر في خمس مئة ألف رومي، وجعل يضع العيون بين يديه في الطريق، وخاف أن يكون قد مكر به، حتى أتته عيونه أن ليس معه إلا خمسون رجلا ثم بسط لهما والتقيا في قبة ديباج ضربت لهما، مع كل واحد منهما سكين، فدعيا ترجمانا بينهما، فقال شهربراز: إن الذين خرّبو مدائنك أنا وأخي بكيدنا وشجاعتنا، وإن كسرى حسدنا، فأراد أن أقتل أخي، فأبيت، ثم أمر أخي أن يقتلني، فقد خلعناه جميعا، فنحن نقاتله معك. فقال: قد أصبتما، ثم أشار أحدهما إلى صاحبه أن السرّ بين اثنين، فإذا جاوز اثنين قشا. قال: أجل، فقتلا الترجمان جميعا بسكينيهما، فأهلك الله كسرى، وجاء الخبر إلى رسول الله ﷺ يوم الحديبية، وفرح ومن معه،⁽¹⁹³⁹⁾

وفي سنن الإمام الترمذي نفس هذه القصة وقال حسن صحيح لكن فيه أن رهان أبي بكر لكفار قريش كان بعد نزول الآية ليس قبلها قال: لما نزلت (الم) (غلبت الروم) (في أدنى الأرض وهم من بعد غلبهم سيغلبون) (في بضع سنين) فكانت فارس يوم نزلت هذه الآية قاهرين للروم وكان المسلمون يحبون ظهور الروم عليهم لأنهم وإياهم أهل كتاب وفي ذلك قول الله تعالى (ويومئذ يفرح المؤمنون) (بنصر الله ينصر من يشاء وهو العزيز الرحيم) فكانت قريش تحب ظهور فارس لأنهم وإياهم ليسوا بأهل كتاب ولا إيمان بيعت فلما أنزل الله تعالى هذه الآية خرج أبو بكر الصديق رضي الله عنه يصيح في نواحي مكة (الم) (غلبت الروم) (في أدنى الأرض وهم من بعد غلبهم سيغلبون) (في بضع سنين) قال ناس من قريش لأبي بكر فذلك بيننا وبينكم زعم صاحبكم أن الروم ستغلب فارسا في بضع سنين أفلا نراهنك على ذلك؟ قال بلى وذلك قبل تحريم الرهان فارتهن أبو بكر والمشركون وتواضعوا الرهان وقالوا لأبي بكر كم تجعل؟ البضع ثلاث سنين إلى تسع سنين فسم بيننا وبينك وسطا تنتهي إليه قال فسموا بينهم ست سنين قال فمضت الست سنين قبل أن يظهروا فأخذ المشركون رهن أبي بكر فلما دخلت السنة السابعة ظهرت الروم على فارس فعاب المسلمون على أبي بكر تسمية ست سنين لأن الله تعالى قال في بضع سنين قال وأسلم عند ذلك ناس كثير⁽¹⁹⁴⁰⁾

قلت: الآية إخبار من الله تعالى عن حادثة انتصار أهل الكتاب على أهل الأوثان من بعد غلبهم. والسبب الثاني أقوى من الأول ويؤيده سياق الآيات والله تعالى أعلم.

[تفسير مختصر للآية]

(غلبت الروم في أدنى الأرض) أي هزم جيش الروم، في أقرب أرضهم إلى فارس (وهم من بعد غلبهم سيغلبون) أي وهم من بعد انهزامهم، وغلبة فارس لهم سيغلبون الفرس، وينتصرون عليهم. (في بضع سنين) أي في فترة لا تتجاوز بضعة أعوام، والبضع: ما بين الثلاث إلى التسع، قال أبو السعود: وهذه الآيات من البيّنات الباهرة، والشاهدة بصحة النبوة، وكون القرآن من عند الله عز وجل، حيث أخبر عن الغيب الذي لا يعلمه إلا العليم الخبير، ووقع كما أخبر، وقال البيضاوي: والآية من دلائل النبوة لأنها إخبار عن الغيب. (لله الأمر من قبل ومن بعد) أي لله عز وجل الأمر أولا وأخرا، من قبل الغلبة، ومن بعد ما يغلبون أعداءهم الفرس، فكل ذلك بأمر الله وإرادته، ليس شيء منهما إلا بقضائه، قال ابن الجوزي: المعنى إن غلبة الغالب، وخذلان المغلوب، بأمر الله وقضائه. (ويومئذ يفرح المؤمنون بنصر الله) أي ويوم يهزم الروم الفرس، ويتغلبون عليهم، ويحل ما وعده الله من غلبتهم، يفرح المؤمنون بنصر الله لأهل الكتاب، على المجوس، لأن أهل الكتاب أقرب إلى المؤمنين من المجوس، وقد صادف ذلك اليوم يوم (غزوة بدر) قال ابن عباس: كان يوم بدر هزيمة عبدة الأوثان، وعبدة النيران. (ينصر من يشاء وهو العزيز الرحيم) أي ينصر الله من يشاء من عباده، وهو العزيز بانتقامه من أعدائه، الرحيم بأوليائه وأحبابه⁽¹⁹⁴¹⁾

(وَهُوَ الَّذِي يَبْدُؤُا الْخَلْقَ ثُمَّ يُعِيدُهُ وَهُوَ أَهْوَنُ عَلَيْهِ وَلَهُ الْمَثَلُ الْأَعْلَىٰ فِي السَّمَوَاتِ وَالْأَرْضِ وَهُوَ الْعَزِيزُ الْحَكِيمُ (٢٧))

(1939) جامع البيان (تفسير الطبري) (71 / 20)

(1940) سنن الترمذي (344 / 5)

(1941) صفة التفسير - للصابوني (4 / 3)

قوله تعالى: (وهو الذي يبدؤا الخلق ثم يعيده) - الآية.

837. [ك] وأخرج ابن أبي حاتم عن عكرمة قال: « تعجب الكفار من إحياء الله الموتى، فنزلت (وهو الذي يبدأ الخلق ثم يعيده وهو أهون عليه) (1942) ».

[تعليق]

ذكر المؤلف رحمه الله أثراً واحداً في سبب نزول هذه الآية، وهو تعجب المشركين وقولهم كيف يحيى الله الموتى، فقد كانوا منكرين للبعث، فذكرهم الله سبحانه بأنه كما بدأ الخلق فإنه يعيده والإعاد أسهل من الابتداء والله سبحانه لا يصعب عليه شيء. وسوف يأتي مزيد لهذا في سورة يس بإذن الله تعالى.

[تفسير مختصر للآية]

(وهو الذي يبدأ الخلق ثم يعيده) أي وهو تعالى ينشئ الخلق من العدم، ثم يعيدهم بعد موتهم للحساب والجزاء. (وهو أهون عليه) أي إعادة الخلق أهون عليه من بدئه، قال ابن عباس: يعني أيسر عليه، وقال مجاهد: الإعادة أهون عليه من البداءة، والبداءة عليه هينة قال المفسرون: خاطب تعالى العباد بما يعقلون، فإذا كانت الإعادة أسهل من الابتداء، في تقديركم وحكمكم، فإن من قدر على الإنشاء، كان البعث أهون عليه، حسب منطقكم وأصولكم (هذا قول ذهب إليه فريق، فيكون أفعال التفضيل (أهون) بالنسبة لمفاهيم البشر، وذهب بعض المفسرين إلى أن أفعال التفضيل ليس على بابها فيكون معنى (أهون) أي وهو هين عليه. (وله المثل الأعلى) أي له الوصف الأعلى الذي ليس لغيره ما يدانيه فيه، من الجلال والكمال، والعظمة والسلطان. (في السموات والأرض) أي يصفه به من فيهما، وهو أنه تعالى ليس كمثل شيء (وهو العزيز الحكيم) أي القاهر لكل شيء، الحكيم الذي كل أفعاله على مقتضى الحكمة والمصلحة (1943).

(ضَرَبَ لَكُمْ مَثَلًا مِّنْ أَنفُسِكُمْ هَلْ لَّكُمْ مِّنْ مَّا مَلَكَتْ أَيْمَانُكُمْ مِّنْ شُرَكَاءَ فِي مِمَّا رَزَقْنَاكُمْ فَأَنتُمْ فِيهِ سَوَاءٌ تَخَافُونَهُمْ كَخِيفَتِكُمْ أَنفُسَكُمْ كَذَلِكَ نُفَصِّلُ الْآيَاتِ لِقَوْمٍ يَعْقِلُونَ (٢٨))

قوله تعالى: (ضرب لكم مثلاً من أنفسكم) - الآية.

838. [ك] وأخرج الطبراني عن ابن عباس قال: « كان يلبي أهل الشرك لبيك اللهم لبيك لا شريك لك إلا شريكا هو لك تملكه وما ملك، فأنزل الله: (هل لكم مما ملكت أيمانكم من شركاء فيما رزقناكم) - الآية (1944) ».

839. وأخرج جويبر مثله عن داود بن أبي هند عن أبي جعفر محمد بن علي عن أبيه (1945).

[تعليق]

ذكر المؤلف رحمه الله أثراً واحداً هنا، وهو يدل على ما كان عليه المشركون من تأديتهم المناسك في الحج فكانوا يحجون لله ويشركون معه غيره في تلبيتهم، فيقولون لبيك لا شريك لك إلا شريكا هو لك. وهذا من شركهم بالله تعالى، فأنزل الله تعالى هذا المثل لهم بأنهم لا يشركون معهم ما عبيدهم فيما رزقهم الله فكيف يجعلون لله تعالى شريكا وهو الذي يملك كل شيء؟!.

[تفسير مختصر للآية]

(ضرب لكم مثلاً من أنفسكم) أي ضرب لكم أيها القوم ربكم، مثلاً واقعياً من أنفسكم (هل لكم مما ملكت أيمانكم من شركاء فيما رزقناكم) أي هل يرضى أحدكم، أن يكون عبده ومملوكه شريكاً له في ماله، الذي رزقه الله تعالى؟ فإذا لم يرض أحدكم لنفسه ذلك، فكيف ترضون الله شريكاً له؟ وهو في الأصل مخلوق وعبد لله؟ (فأنتم فيه سواء تخافونهم كخيفتكم أنفسكم) هذا من تنمة المثل، أي أنتم لا ترضون أن يشارككم عبيدكم ومماليكم، فيما بأيديكم من الأموال، وهم أمثالكم في البشرية؟ فكيف تشركون به سبحانه مخلوقاته؟ حيث تصنعونها بأيديكم ثم تعبدونها؟ هل هذا منطق سليم، ورأي قويم؟ فكيف رضيتم الله شريكاً في خلقه وملكه؟ (كذلك نفصل الآيات لقوم يعقلون) أي مثل ذلك البيان الواضح، نبين الآيات لقوم يستعملون عقولهم في تدبر الأمثال (1946).

انتهت سورة الروم

سُورَةُ لُقْمَانَ

(1942) تفسير ابن أبي حاتم 9/3090 تفسير الطبري 21/36 مرسل صحيح الإسناد

(1943) صفوة التقاسير - للصابوني (7/3)

(1944) المعجم الكبير 12/20 ح (12348) وفي إسناده حماد بن شعيب ضعيف

(1945) ضعيف

(1946) صفوة التقاسير - للصابوني (8/3)

(وَمِنَ النَّاسِ مَن يَشْتَرِي لَهْوَ الْحَدِيثِ لِيُضِلَّ عَن سَبِيلِ اللَّهِ بِغَيْرِ عِلْمٍ وَيَتَّخِذَهَا هُزُوًا أُولَٰئِكَ لَهُمْ عَذَابٌ مُّهِينٌ ٦)

قوله تعالى: (ومن الناس من يشتري لهو الحديث) - الآية.

840. أخرج ابن جرير من طريق العوفي عن ابن عباس في قوله: (ومن الناس من يشتري لهو الحديث) قال: نزلت في رجل من قريش اشترى جارية مغنية⁽¹⁹⁴⁷⁾.

841. وأخرج جويبر عن ابن عباس قال: « نزلت في النضر بن الحارث اشترى قينة، وكان لا يسمع بأحد يريد الإسلام إلا انطلق به إلى قينته فيقول، أطمعني واسقيني وغنيه هذا خير مما يدعوك إليه محمد من الصلاة والصيام وأن تقاتل بين يديه فنزلت⁽¹⁹⁴⁸⁾. »

[تعليق]

سورة لقمان سورة مكية وقد تحدثت -بالإضافة إلى أمور العقيدة - عن النصحية الغالية التي أهداها لقمان الحكيم لولده. وقد ذكر المؤلف أثرين في سبب نزول هذه الآية وهما غير متعارضان فيحمل المبهم في الرواية الأولى على المبين في الرواية الثانية، فالرجل في الرواية الأولى هو النضر بن الحارث في الرواية الثانية. فبين الله تعالى أن بعض الناس يشتري لهو الحديث وهو الغناء أو الباطل أو ما ألهي عن ذكر الله أو الشرك فهذه أربعة معاني ذكرت في لهو الحديث⁽¹⁹⁴⁹⁾.

وقد قال أهل التفسير يشتري إما بماله أو يختار ويفضل لهو الحديث عن ذكر الله تعالى. وعموم الآية يدخل فيه كل ما كان هذا حاله من تقضيل الباطل على ذكر الله.

[تفسير مختصر للآية]

(ومن الناس من يشتري لهو الحديث) أي ومن الناس من يشتري ما يلهي عن طاعة الله، ويصد عن سبيله، مما لا خير ولا فائدة فيه، قال الزمخشري: واللغو كل باطل ألهي عن الخير، نحو السمر بالأساطير، والتحدث بالخرافات المضحكة، وفضول الكلام، وما لا ينبغي، وروى ابن جرير عن (عبد الله بن مسعود) رضي الله عنه أنه سئل عن الآية فقال: والله الذي لا إله إلا هو - يكررها ثلاثاً - إنما هو الغناء، وقال الحسن البصري: نزلت هذه الآية في الغناء والمزامير. (ليضل عن سبيل الله بغير علم) أي ليضل الناس عن طريق الهدى، ويبتعدون عن دينه القويم، بغير حجة ولا برهان. (ويتخذها هزواً) أي ويتخذ آيات الكتاب المجيد، سخرية واستهزاء، وهذا أدخل في القبح، وأغرق في الضلال. (أولئك لهم عذاب مهين) أي لهم عذاب شديد مع الذلة والهوان⁽¹⁹⁵⁰⁾.

(وَلَوْ أَنَّمَا فِي الْأَرْضِ مِنْ شَجَرَةٍ أَقْلَمٌ وَالْبَحْرُ يَمُدُّهُ مِنْ بَعْدِهِ سَبْعَةُ أَبْحُرٍ مَا نَفِدَتْ كَلِمَاتُ اللَّهِ إِنَّ اللَّهَ عَزِيزٌ حَكِيمٌ)

(٢٧)

قوله تعالى: (ولو أنما في الأرض من شجرة أقلام) - الآية.

842. وأخرج ابن جرير عن عكرمة قال: « سأل أهل الكتاب رسول الله ﷺ عن الروح فأنزل الله: (ويسألونك عن الروح قل الروح من أمر ربي وما أوتيتم من العلم إلا قليلاً) فقالوا: تزعم أنا لم نوت من العلم إلا قليلاً وقد أوتينا التوراة وهي الحكمة ومن يوت الحكمة فقد أوتي خيراً كثيراً، فنزلت: (ولو أن ما في الأرض من شجرة أقلام والبحر يمده) - الآية⁽¹⁹⁵¹⁾. »

843. وأخرج ابن إسحاق عن عطاء بن يسار قال: « نزلت بمكة: (وما أوتيتم من العلم إلا قليلاً) فلما هاجر إلى المدينة أتاه أحبار يهود فقالوا: ألم يبلغنا عنك أنك تقول: (وما أوتيتم من العلم إلا قليلاً) إيانا تريد أم قومك؟ فقال: « كلاً عنيت » قالوا فإنك تتلوا إنا قد أوتينا التوراة وفيها تبيان كل شيء فقال رسول الله ﷺ: « هي في علم الله قليل ». فأنزل الله: (ولو أن ما في الأرض من شجرة أقلام)⁽¹⁹⁵²⁾.

844. وأخرجه بهذا اللفظ ابن أبي حاتم من طريق سعيد أو عكرمة عن ابن عباس⁽¹⁹⁵³⁾.

845. وأخرج أبو الشيخ في كتاب العظمة وابن جرير عن قتادة قال: « قال المشركون: إنما هذا كلام

⁽¹⁹⁴⁷⁾ تفسير الطبري 21/63 ضعيف

⁽¹⁹⁴⁸⁾ ضعيف

⁽¹⁹⁴⁹⁾ انظر هذا المعاني في زاد المسير (6/315)

⁽¹⁹⁵⁰⁾ صفوة التفاسير - للصابوني (3/15)

⁽¹⁹⁵¹⁾ تفسير الطبري 21/81 مرسل صحيح الإسناد.

⁽¹⁹⁵²⁾ تفسير الطبري 21/82 منقطع ضعيف

⁽¹⁹⁵³⁾ تفسير ابن أبي حاتم 9/3100 تفسير الطبري 21/81 ضعيف

[تعليق]

ذكر المؤلف رحمه الله أربعة آثار وهي تشمل سببين للنزول.
الأول: في أهل الكتاب عندما ادعو أنهم أوتوا من العلم الكثير، فنزلت الآية ترد عليهم.
الثاني: أنها نزلت في مشركي مكة عندما ادعوا أن كلام الله يوشك أن ينفذ.
وقد ذكر الإمام القرطبي أن هذه الآية مدنية وهو يقوي السبب الأول لأن اليهود لم يكونوا بمكة.
ولا مانع أن يراد الرد على اليهود والمشركين سواء كانت الآية مكية أو مدنية، فإن الغرض من الآية هو البرهنة على أن كلام الله تعالى لا نفاذ له سواء فمينا ادعوا العلم كاليهود أو ادعوا أن كلام الله نافذ. والله تعالى أعلم.

[تفسير مختصر للآية]

(ولو أن ما في الأرض من شجرة أقلام) أي ولو أن جميع أشجار الأرض جعلت أقلاماً.
(والبحر يمدد من بعده سبعة أبحر) أي وجعل البحر بسعته، حبراً ومداداً، وأمده سبعة أبحر معه، فكتبت بها كلمات الله، الدالة على عظمته وصفاته وجلاله.

(ما نفذت كلمات الله) أي لانتهت وقيت تلك الأقلام والبحار، وما انتهت كلمات الله، لأن الأشجار والبحار متناهية، وكلمات الله غير متناهية، قال القرطبي: لما ذكر تعالى أنه سخر لهم ما في السموات وما في الأرض، وأنه أسبغ النعم، نبه على أن الأشجار لو كانت أقلاماً، والبحار لو كانت مداداً، فكتب بها عجائب صنع الله، الدالة على قدرته ووحديته، لم تنفذ تلك العجائب وقال ابن الجوزي: وفي الكلام محذوف تقديره: فكتب بهذه الأقلام وهذه البحور كلمات الله، لتكسرت الأقلام، ونفذت البحور، ولم تنفذ كلمات الله أي لم تنقطع. (إن الله عزيز حكيم) أي غالب لا يعجزه شيء، حكيم لا يخرج عن علمه وحكمته⁽¹⁹⁵⁵⁾.

(إِنَّ اللَّهَ عِنْدَهُ عِلْمُ السَّاعَةِ وَيُنزِلُ الْغَيْثَ وَيَعْلَمُ مَا فِي الْأَرْحَامِ وَمَا تَدْرِي نَفْسٌ مَّاذَا تَكْسِبُ غَدًا وَمَا تَدْرِي نَفْسٌ بِأَيِّ أَرْضٍ تَمُوتُ إِنَّ اللَّهَ عَلِيمٌ خَبِيرٌ ۝ ٣٤)

قوله تعالى: (إن الله عنده علم الساعة) - الآية.

846. وأخرج ابن جرير وابن أبي حاتم عن مجاهد قال: «جاء رجل من أهل البادية فقال: يا محمد إن امرأتي حبلى، فأخبرني بما تلد؟ وبلادنا مجدبة فأخبرني متى ينزل الغيث؟ وقد علمت متى ولدت، فأخبرني متى أموت؟ فأنزل الله: (إن الله عنده علم الساعة)⁽¹⁹⁵⁶⁾».

[تعليق]

ذكر المؤلف رحمه الله أثراً واحداً في سبب نزول هذه الآية، وهو يدل على تعنت المشركين مع النبي ﷺ في أسئلتهم التي الغرض منها في ظنهم السوء تعجيز النبي ﷺ، فأخبرهم الله تعالى بأنه لا يعده الساعة إلا هو، وقد جاء ذلك في عدة مواضع من القرآن.

وفي صحيح البخاري وغيره عن سالم بن عبد الله عن أبيه: أن رسول الله صلى الله عليه وسلم قال «مفتاح الغيب خمس إن الله عنده علم الساعة وينزل الغيث ويعلم ما في الأرحام وما تدري نفس ماذا تكسب غداً وما تدري نفس بأي أرض تموت إن الله عليم خبير»⁽¹⁹⁵⁷⁾.

[تفسير مختصر للآية]

(إن الله عنده علم الساعة) هذه هي (مفتاح الغيب) التي اختص الله بعلمها وهي خمس كما جاء في الحديث الصحيح: "مفتاح الغيب خمس لا يعلمهن إلا الله وتلا الآية" أي عنده تعالى معرفة وقت قيام الساعة التي تقوم فيها القيامة (وينزل الغيث) أي وعنده معرفة وقت نزول المطر، ومحل نزوله.

(ويعلم ما في الأرحام) أي من ذكر أو أنثى، شقي أو سعيد.

(وما تدري نفس ماذا تكسب غداً) أي ما يدري أحد، ماذا يحدث له في غداً؟ وماذا يفعل من خير أو شر؟.

(وما تدري نفس بأي أرض تموت) أي كما لا يدري أحد أين يموت؟ ولا في أي مكان يقبر

(إن الله عليم خبير) أي مبالغ في العلم، يعلم كل الأمور، خبير بظواهر الأشياء وبواطنها، فاتقوا ربكم، وأطيعوا أمره⁽¹⁹⁵⁸⁾.

انتهت سورة لقمان

(1954) تفسير الطبري 21/81 مرسل صحيح الإسناد

(1955) صفوة التفسير - للصابوني (21/3)

(1956) تفسير الطبري 21/87 مرسل وفيه انقطاع

(1957) صحيح البخاري (71/6)

(1958) صفوة التفسير - للصابوني (23/3)

سُورَةُ السَّجْدَةِ

(تَتَجَافَى جُنُوبُهُمْ عَنِ الْمَضَاجِعِ يَدْعُونَ رَبَّهُمْ خَوْفًا وَطَمَعًا وَمِمَّا رَزَقْنَاهُمْ يُنفِقُونَ ١٦)

- قوله تعالى: (تتجافى جنوبهم عن المضاجع) - الآية.
847. [ك] أخرج البزار عن بلال قال: «كنا نجلس في المسجد وناس من أصحاب رسول الله ﷺ يصلون بعد المغرب إلى العشاء فنزلت هذه الآية: (تتجافى جنوبهم عن المضاجع)⁽¹⁹⁵⁹⁾». وفي إسناده عبد الله بن شبيب ضعيف.
848. وأخرج الترمذي وصححه عن أنس أن هذه الآية: (تتجافى جنوبهم عن المضاجع) نزلت في انتظار الصلاة التي تدعى العتمة⁽¹⁹⁶⁰⁾».

[تعليق]

سورة السجدة من السور المكية التي اهتمت بأمور البعث وذكر ما أعده الله للمؤمنين وما أعده الله لأصحاب النار. وهي من السور التي كان النبي ﷺ يحافظ على قراءتها في صلاة الصبح من يوم الجمعة. قد ذكر المؤلف رحمه الله أثرين في سبب نزول هذه الآية وقد عدده بعض أهل التفسير سببين. والظاهر أنه سبب واحد فالأول ينشغلون بالصلاة بعد المغرب إلى العشاء انتظاراً لصلاة العشاء ثم بعد ذلك يذهبون إلى رحالهم. ويشهد لذلك ما ذكره الإمام الثعلبي عن أبان قال: جاءت امرأة إلى أنس بن مالك، فقالت: إني أنام قبل العشاء. فقال: لا تنامي. فإن هذه الآية نزلت في الذين لا ينامون قبل العشاء الآخرة (تتجافى جنوبهم عن المضاجع)⁽¹⁹⁶¹⁾. وقد ذكر بعض أهل التفسير أن المراد به هو صلاة الليل. قال الإمام الثعلبي: عن معاذ، عن النبي صلى الله عليه وسلم: (تتجافى جنوبهم عن المضاجع يدعون ربهم خوفاً وطمعاً) قال: قيام العبد في الليل. وعن معاذ قال: كنت مع رسول الله صلى الله عليه وسلم في سفر فأصبحت قريباً منه ونحن نسير، فقلت: يا نبي الله ألا تخبرني بعمل يدخلني الجنة، ويباعدني من النار؟ قال: يا معاذ، لقد سألت عن عظيم، وإنه ليسير على من يسره الله عليه، تعبد الله لا تشرك به شيئاً، وتقيم الصلاة، وتؤتي الزكاة، وتصوم رمضان، وتحج البيت. ثم قال: ألا أدلك على أبواب الخير. الصوم جنة من النار والصدقة تطفئ غضب الرب «4» وصلاة الرجل في جوف الليل ثم قرأ (تتجافى جنوبهم عن المضاجع)⁽¹⁹⁶²⁾. قلت: لا مانع من أن يكون كل ما ذكر مراد من الآية فالآية مدح لقوم تتجافى جنوبهم عن المضاجع أي: تتباعد وتتحنى عندما يغلب النوم على الناس فيقومون طلباً لرضي الله تعالى.

[تفسير مختصر للآية]

(تتجافى جنوبهم عن المضاجع) أي تتحنى وتتباعد أطرافهم عن الفرش ومواقع النوم، والغرض أن نومهم بالليل قليل، لانقطاعهم للعبادة.

(يدعون ربهم خوفاً وطمعاً) أي يدعون ربهم خوفاً من عذابه، وطمعاً في رحمته وثوابه. (ومما رزقناهم ينفقون) أي ومما أعطيناهم من الرزق، ينفقون في وجوه البر والحسانات⁽¹⁹⁶³⁾.

(أَفَمَنْ كَانَ مُؤْمِنًا كَمَنْ كَانَ فَاسِقًا لَا يَسْتَوُونَ ١٨)

- قوله تعالى: (أفمن كان مؤمناً كمن كان فاسقاً) - الآية.
849. وأخرج الواحدي وابن عساكر من طريق سعيد بن جبير عن ابن عباس قال: «قال الوليد بن عقبة بن أبي معيط لعلي بن أبي طالب: أنا أحد منك سناناً وأبسط منك لساناً وأملاً للكتيبة منك، فقال له علي: اسكت فإنما أنت فاسق فنزلت: (أفمن كان مؤمناً كمن كان فاسقاً لا يستون)⁽¹⁹⁶⁴⁾».

⁽¹⁹⁵⁹⁾مسند البزار 4/202 في إسناده عبد الحميد بن سليمان ضعيف
⁽¹⁹⁶⁰⁾تفسير الطبري 21/202 سنن الترمذي 5/346 ح(3196) وقال: حسن صحيح غريب من هذا الوجه قلت: رجاله رجال الصحيحقال الإمام الترمذي: حدثنا عبد الله بن أبي زياد حدثنا عبد العزيز بن عبد الله الأويسى عن سليمان بن بلال عن يحيى بن سعيد عن أنس بن مالك -به.
⁽¹⁹⁶¹⁾الكشف والبيان عن تفسير القرآن (7/ 331)
⁽¹⁹⁶²⁾الكشف والبيان عن تفسير القرآن (7/ 331)
⁽¹⁹⁶³⁾صفوة التفاسير - للصابوني (3/ 27)
⁽¹⁹⁶⁴⁾أسباب النزول للواحدي 291 تاريخ دمشق 63/235 وفي إسناده محمد بن عبد الرحمن بن أبي ليلى ضعيف

850. وأخرج ابن جرير عن عطاء بن يسار مثله⁽¹⁹⁶⁵⁾.
 851. وأخرج ابن عدي والخطيب في تاريخه من طريق الكلبي عن أبي صالح عن ابن عباس مثله⁽¹⁹⁶⁶⁾.
 852. وأخرج الخطيب وابن عساكر من طريق ابن لهيعة عن عمر و بن دينار عن ابن عباس: «أنها نزلت في علي بن أبي طالب وعقبة بن أبي معيط وذلك في سبب كان بينهما⁽¹⁹⁶⁷⁾». كذا في هذه الرواية أنها نزلت في عقبة بن الوليد لا الوليد.

[تعليق]

ذكر المؤلف رحمه الله عدة آثار للنزول وهي تشتمل على سببين.
 الأول: في علي بن أبي طالب والوليد بن عقبة بن أبي معيط، وهي هذا تكون الآية مدنية.
 والثاني: أنها في علي بن أبي طالب مع عقبة بن أبي معيط. ويلزم من ذلك أن تكون الآية مكية لأن قبة لم يكن بالمدينة⁽¹⁹⁶⁸⁾.
 وفي نزولها سبب آخر أنها نزلت في عمر بن الخطاب وأبي جهل بن هشام⁽¹⁹⁶⁹⁾.
 وكان النبي ﷺ دعا أن يؤيد الإسلام بأحد العمرين.
 فاختر عمر بن الخطاب للإيمان وأبي جهل عمر بن هشام للفسق.
 قلت: والآية تمييز بين كل مؤمن وكل فاسق فلا يستون عند الله تعالى.

[تفسير مختصر للآية]

(أفمن كان مؤمناً كمن كان فاسقاً) أي أفمن كان في الحياة الدنيا، مؤمناً متقياً لله، كمن كان فاسقاً، خارجاً عن طاعة الله؟
 (لا يستون) أي لا يستون في الآخرة بالثواب والكرامة، كما لم يستون في الدنيا بالطاعة والعبادة، وهذه الآية كقوله تعالى: [أفجعل المسلمين كالمجرمين]؟ قال ابن كثير: يخبر تعالى عن عدله وكرمه، أنه لا يساوي في حكمه يوم القيامة، من كان مؤمناً بآياته، متبعاً لرسله، بمن كان فاسقاً أي خارجاً عن طاعة ربه، مكذباً رسل الله.. ثم فضل تعالى جزاء الفريقين⁽¹⁹⁷⁰⁾.

(وَيَقُولُونَ مَتَىٰ هَذَا الْفَتْحُ إِنْ كُنْتُمْ صَادِقِينَ ۚ)

- قوله تعالى: (ويقولون متى هذا الفتح) - الآية.
 853. وأخرج ابن جرير عن قتادة قال الصحابة: «إن لنا يوماً يوشك أن نستريح فيه وننعم، فقال المشركون: متى هذا الفتح إن كنتم صادقين فنزلت⁽¹⁹⁷¹⁾».

[تعليق]

ذكر المؤلف رحمه الله أثراً واحداً مرسلأ في سبب نزول هذه الآية، والمراد بالفتح في هذه الآية اختلف أهل التفسير فيه فقيل القضاء، وقيل فتح البلد⁽¹⁹⁷²⁾.
 وكذلك اختلفوا في قوله تعالى (قل يوم الفتح) أي يوم هذا؟
 فقيل يوم القيامة، وقيل اليوم الذي يأتيهم فيه العذاب، وقيل يوم بدر، وقيل فتح مكة⁽¹⁹⁷³⁾.
 قلت: الآية مثلها كمثل كثير من الآيات المكية التي فيها الرد على إنكار الكفار للبعث وما ذكره النبي ﷺ من أنه سوف ينتصر عليهم والله تعالى أعلم.

[تفسير مختصر للآية]

(ويقولون متى هذا الفتح إن كنتم صادقين) أي يقول كفار مكة للمسلمين، على سبيل السخرية والتهكم: متى ستنتصرون علينا ويكون لكم الغلبة والفتح علينا؟ إن كنتم صادقين في دعواكم
 (قل يوم الفتح لا يفتح الذين كفروا إيمانهم) أي قل لهم يا محمد توبيخاً وتبكيماً: إن يوم القيامة هو يوم النصر الحقيقي، الذي يفصل تعالى فيه بيننا وبينكم، ولا يفتح فيه الإيمان ولا الاعتذار، فلماذا تستعجلون؟
 (ولا هم ينظرون) أي ولا هم يؤخرون ويمهلون للتوبة، قال البيضاوي: ويوم الفتح هو يوم القيامة، فإنه يوم نصر المؤمنين على الكافرين والفصل بينهم، وقيل هو يوم بدر.
 (فأعرض عنهم) أي فأعرض يا محمد عن هؤلاء الكفار، ولا تبال بهم.

⁽¹⁹⁶⁵⁾ تفسير الطبري 21/107 منقطع مرسل

⁽¹⁹⁶⁶⁾ الكامل لابن عدي 6/118 تاريخ بغداد 13/321 المؤلف: أحمد بن علي أبو بكر الخطيب البغدادي الوفاة 463هـ.

الناشر: دار الكتب العلمية - بيروت عدد الأجزاء: 14 وإسناده تالف.

⁽¹⁹⁶⁷⁾ تاريخ دمشق 63/235 وفي إسناده عبد الله بن صالح كاتب الليث متكلم فيه، وابن لهيعة ضعفه جماعة بسبب احتراق كتبه فاختلف حديثه.

⁽¹⁹⁶⁸⁾ تفسير القرطبي - (14/104)

⁽¹⁹⁶⁹⁾ زاد المسير (6/340)

⁽¹⁹⁷⁰⁾ صفوة التفاسير - للصابوني (3/27)

⁽¹⁹⁷¹⁾ تفسير الطبري 21/116 صحيح الإسناد مرسل

⁽¹⁹⁷²⁾ زاد المسير (6/345)

⁽¹⁹⁷³⁾ زاد المسير (6/344)

(وانتظر إنهم منتظرون) أي وانتظر ما يحل بهم من عذاب الله، إنهم منتظرون كذلك ما يحل بكم ! قال القرطبي: أي ينتظرون بكم حوادث⁽¹⁹⁷⁴⁾.

انتهت سورة السجدة

سُورَةُ الْأَحْزَابِ

(يَا أَيُّهَا النَّبِيُّ اتَّقِ اللَّهَ وَلَا تُطِعِ الْكَافِرِينَ وَالْمُنَافِقِينَ إِنَّ اللَّهَ كَانَ عَلِيمًا حَكِيمًا (١)

قوله تعالى: (يا أيها النبي اتق الله ولا تطع) - الآية.

854. أخرج جويبر عن الضحاك عن ابن عباس قال: « إن أهل مكة منهم الوليد بن المغيرة وشيبة بن ربيعة دعوا النبي ﷺ أن يرجع عن قوله على أن يعطوه شطر أموالهم، وخوفه المنافقون واليهود بالمدينة إن لم يرجع قتلوه، فأنزل الله يا أيها النبي: (اتق الله ولا تطع الكافرين والمنافقين⁽¹⁹⁷⁵⁾) ».

[تعليق]

سورة الأحزاب مدنية في قول جميع المفسرين، وقد اهتمت هذه السورة بذكر أحوال المنافقين مع النبي ﷺ وأحكامهم وتحذيرهم من التمادي في النفاق. كما ذكرت ما من الله تعالى على المؤمنين من النصر على الأحزاب في الغزوة المعروفة بغزوة الأحزاب أو الخندق. وقد ذكر المؤلف هذا الأثر في سبب نزول الآية، وهو أمر للنبي ﷺ بأن لا يطع الكافرين وإن أغروه بالمال، أو المنافقين الذين يريدون قتله.

وفي سبب نزولها كذلك ما أخرجه الإمام الواحدي قال: «نزلت في أبي سفيان وعكرمة بن أبي جهل وأبي الاعور السلمي قدموا المدينة بعد قتال أحد، فنزلوا على عبد الله بن أبي، وقد أعطاهم النبي (نبي) الله ﷻ الأمان على أن يكلموه، فقام معهم عبد الله بن سعد بن أبي سرح وطعمة ابن أبيرق، فقالوا للنبي ﷺ وعنده عمر بن الخطاب: ارفض ذكر آلهتنا اللات والعزى ومناة، وقل إن لها شفاععة ومنفعة لمن عيدها وندعك وربك، فشق على النبي ﷺ قولهم، فقال عمر بن الخطاب رضى الله عنه ائذن لنا يا رسول الله في قتلهم، فقال: إني قد أعطيتهم الأمان، فقال عمر: اخرجوا في لعنة الله وغضبه، فأمر رسول الله ﷺ أن يخرجهم من المدينة، فأنزل الله عز وجل هذه الآية⁽¹⁹⁷⁶⁾».

قلت: إن صح سبب النزول، فالآية أمر عام للنبي ﷺ بأن لا يطع الكافرين والمنافقين فيما يحاولون به الصد عن سبيل الله والله تعالى أعلم.

[تفسير مختصر للآية]

(يا أيها النبي اتق الله) النداء هنا جاء على سبيل التشريف والتكرمة لأن لفظ " النبوة " مشعر بالتعظيم والتكريم، أي اثبت يا أيها النبي على تقوى الله ودم عليها، قال أبو السعود: وفي ندائه ﷺ بعنوان النبوة تنوية شأنه، وتنبيه على سمو مكانه، والمراد بالتقوى المأمور به: الثبات عليه والازدياد منه، فإن له بابا واسعا، ومكانا عريضا لا ينال مدها. (ولا تطع الكافرين والمنافقين) أي ولا تطع، أهل الكفر والنفاق، فيما يدعونك إليه، من اللين والتساهل، وعدم التعرض لألهتهم بسوء، ولا تقبل أقوالهم، وإن أظهروا أنها نصيحة !. (أن الله كان عليما حكيما) أي إنه تعالى عالم بأعمال العباد، وما يضمرونه في نفوسهم، حكيم في تدبير شئونهم⁽¹⁹⁷⁷⁾.

(مَا جَعَلَ اللَّهُ لِرَجُلٍ مِّن قَلْبَيْنِ فِي جَوْفَةٍ وَمَا جَعَلَ أَرْوَجَكُمْ أَلْيَ تَظْهَرُونَ مِنْهُنَّ أُمَّهَاتِكُمْ وَمَا جَعَلَ أَدْعِيَاءَكُمْ أَبْنَاءَكُمْ ذَلِكَ قَوْلُكُمْ بِأَفْوَاهِكُمْ وَاللَّهُ يَقُولُ الْحَقَّ وَهُوَ يَهْدِي السَّبِيلَ (٤)

قوله تعالى: (ما جعل الله لرجل) - الآية.

855. أخرج الترمذي وحسنه عن ابن عباس قال: « قام النبي ﷺ يوماً يصلي فخطر خطرة، فقال المنافقون: الذين يصلون معه ألا ترى أن له قلبين قلباً معكم وقلباً معه، فأنزل الله: (ما جعل الله لرجل من قلبين في جوفه⁽¹⁹⁷⁸⁾) ».

⁽¹⁹⁷⁴⁾صفوة التفسير - للصابوني (29/3)

⁽¹⁹⁷⁵⁾ضعيف.

⁽¹⁹⁷⁶⁾أسباب النزول للواحدي (236)

⁽¹⁹⁷⁷⁾صفوة التفسير - للصابوني (31/3)

⁽¹⁹⁷⁸⁾ تفسير الطبري 21/118 المستدرک 2/450 سنن الترمذي 5/348 ح(3199) مسند أحمد 1/267 ح(2410) المعجم الكبير 12/106 ح(12610) صحيح ابن

(343)

856. [ك] وأخرج ابن أبي حاتم من طريق خصيف عن سعيد بن جبير ومجاهد وعكرمة (1979) قالوا: «كان رجل يدعى ذا القلبين، فنزلت (1980)».
857. [ك] وأخرج ابن جرير من طريق قتادة عن الحسن مثله وزاد: «وكان يقول لي نفس تأمرني ونفس تنهاني (1981)».
858. وأخرج من طريق ابن أبي نجيح عن مجاهد قال: «نزلت في رجل من بني فهم قال: إن في جوفي لقلبين أعقل بكل واحد منهما أفضل من عقل محمد (1982)».
859. وأخرج ابن أبي حاتم عن السدي: «أنها نزلت في رجل من قريش من بني جمح يقال له جميل بن معمر (1983)».

[تعليق]

ذكر المؤلف رحمه الله عدة آثار في سبب نزول هذه الآية، وهي تشتمل على سببين للنزول. الأول: في قولهم بأن محمد □ له قلبان. والثاني: في رجل كان يدعى أن له قلبين. وقد روى في ذلك سبب آخر. فروى الإمام عبد الرزاق في تفسيره قال: قال الزهري: «بلغنا أن ذلك في زيد ابن حارثة ضرب له مثل يقول: ليس ابن رجل آخر». قلت: وهذا أليق بسياق الآيات. فكان الله تعالى يقول: كما لا يكون لرجل من قلبين في جوفه، فكذلك لا يكون دعي الرجل ابنه. وقد كانوا يدعون زيد بن حارثة بزيد بن محمد فنفي الله تعالى أن يكون النبي □ أباً لرجل دعي، وكما لا تكون المرأة أمّاً بالظهار فكذلك ليس لرجل أن يكون له قلبان في جوفه. لكن الأول وهو كونها نزلت في جميل بن معمر عليه جماعة من أهل التفسير فلعل الآية. نزلت في الأمرين معاً. والله تعالى أعلم.

[تفسير مختصر للآية]

(ما جعل الله لرجل من قلبين في جوفه) أي ما خلق الله لأحد! من الناس أياً كان قلبين في صدره. (وما جعل أزواجكم اللائي تظاهرون منهن أمهاتكم) أي وما جعل زوجاتكم اللواتي تظاهرون منهن أمهاتكم، قال ابن الجوزي: أعلم تعالى أن الزوجة لا تكون أمّاً، وكانت الجاهلية تطلق بهذا الكلام، وهو أن يقول لها: أنت على كظهر أمي. (وما جعلاً أديعاًكم أبناءكم) أي وما جعل الأبناء من التبني، الذين هم ليسوا من أصلابكم، أبناء لكم حقيقة. (ذلكم قولكم بأفواهكم) أي دعائهم أبناء مجرد قول بالفم، لا حقيقة له من الواقع. (والله يقول الحق) أي والله تعالى يقول الحق الموافق للواقع، والمطابق له من كل الوجوه. (وهو يهدي السبيل) أي يرشد إلى الصراط المستقيم، والغرض من الآية التنبيه على بطلان مزاعم الجاهلية، فكما لا يكون للشخص الواحد قلبان في جوفه، فكذلك لا يمكن أن تصبح الزوجة المظاهر منها أمّاً، ولا الولد المتبني ابناً، لأن الأم الحقيقية هي التي ولدتها، والابن الحقيقي هو الذي ولد من صلب الرجل، فكيف يجعلون الزوجات المظاهر منهن أمهات؟ وكيف يجعلون أبناء الآخرين أبناء لهم؟ مع إنهم ليسوا من أصلابهم (1984).

(أَدْعُوهُمْ لِأَبَائِهِمْ هُوَ أَقْسَطُ عِنْدَ اللَّهِ فَإِنْ لَمْ تَعْلَمُوا آبَاءَهُمْ فَاِخْوَانُكُمْ فِي الدِّينِ وَمَوْلَاكُمْ وَلَيْسَ عَلَيْكُمْ جُنَاحٌ فِيمَا أَخْطَأْتُمْ بِهِ وَلَكِنْ مَا تَعَمَّدَتْ قُلُوبُكُمْ وَكَانَ اللَّهُ غَفُورًا رَحِيمًا (٥))

قوله تعالى: (ادعوهم لأبائهم) - الآية.

860. أخرج البخاري عن ابن عمر قال: « ما كنا ندعو زيد بن حارثة إلا زيد بن محمد، حتى نزل في القرآن: (ادعوهم لأبائهم هو أقسط عند الله) (1985)».

[تعليق]

ذكر المؤلف رحمه الله أثراً واحداً في سبب نزول هذه الآية. وهو قول جماهير المفسرين. أنه نزلت في شأن زيد بن حارثة. وكان يدعي بزيد بن محمد. فنزلت الآية أمرة بأن يدعي لوالده الذي من صلبه ونزل فيها تحريم التبني.

خزيمة 2/39 ح (865) قلت: انفرد به قابوس بن أبي ظبيان ولا يحتتمل التفرد عند حسن الظن به وإلا فهو ضعيف (1979) تفسير الطبري 21/118 مرسل في إسناده ضعيف (1980) تفسير ابن أبي حاتم 9/3112 مرسلة. (1981) تفسير الطبري 21/118 مرسل صحيح الإسناد، وأخرج ابن جرير عن ابن عباس بسند ضعيف نحوه (1982) تفسير الطبري 21/118 مرسل منقطع (1983) تفسير ابن أبي حاتم 9/3112 مرسل. (1984) صفوة التفاسير - للصابوني (31/3) (1985) صحيح البخاري 4/1795 ح 4504 صحيح مسلم 4/1884 ح (2425) سنن الترمذي 5/353 ح (3209) مسند أحمد 2/77 ح (5479) صحيح ابن حبان 15/516 ح (7042) سنن النسائي الكبرى 6/429 ح (11396) سنن البيهقي الكبرى 7/161 ح (13692) المعجم الكبير 12/298 ح (13170) الأحاد والمثاني 1/197 ح (253) وغيرهم.

وقد روى الإمام الحاكم قصة تبني زيد مطوله فقال: الحسن بن أسامة بن زيد عن أبيه: قال: «كان حارثة بن شراحيل تزوج امرأة في طي من نبهان فأولدها جبلة و أسماء و زيدا فتوفيت و أخلفت أولادها في حجر جدهم لأبيهم و أراد حارثة حملهم فأتى جدهم فقال: ما عندنا فهو خير لهم فتراصوا إلى أن حمل جبلة و أسماء و خلف زيدا و جاءت خيل من تهامة من بني فزارة فأغارت على طي فسبت زيدا فصبروه إلى سوق عكاظ فرأه النبي صلى الله عليه و سلم من قبل أن يبعث فقال لخديجة رضي الله عنها: يا خديجة رأيت في السوق غلاما من صفته كيت و كيت يصف عقلا و ادبا و جمالا لو أن لي مالا لا اشتريته فأمرت ورقة بن نوفل فاشتراه من مالها فقال: يا خديجة هبي لي هذا الغلام بطيب من نفسك فقالت: يا محمد أرى غلاما و ضيئا و أخاف أن تبيعه أو تهيه فقال النبي صلى الله عليه و سلم يا موفقة ما أردت إلا لأتبناه فقالت: نعم يا محمد فرباه و تبناه فكان يقال له زيد بن محمد فجاء رجل من الحي فنظر إلى زيد فعرفه فقال: أنت زيد بن حارثة قال: لا أنا زيد بن محمد قال: لا بل أنت زيد بن حارثة من صفة أبيك وعمومتك و أخوالك كيت وكيت قد أتبعوا الأبدان و أنفقوا الأموال في سبيلك فقال زيد:

أحن إلى قومي وإن كنت نائيا * * * فإني قطين البيت عند المشاعر
و كفوا من الوجه الذي قد شجاكم * * * و لا تعملوا في الأرض فعل الأبايع
فإني بحمد الله في خير أسرة * * * خيار معد كابر بعد كابر

فقال حارثة لما وصل إليه:

بكيت على زيد ولم أدر ما فعل * * * أحي فيرجى أم أتى دونه الأجل
فو الله ما أدري واني لسائل * * * أغالك سهل الأرض أم غالك الجبل
فيا ليت شعري هل لك الدهر رجعة * * * فحسبي من الدنيا رجوعك لي بجل
تذكرنيه الشمس عند طلوعها * * * و يعرض لي ذكراه إذ عسعس الطفل
و أذهبت الأرواح هيحن ذكره * * * فيا طول أجزاني عليه و يا وجل
سأعمل نص العيش في الأرض جاها * * * و لا أسأم التطواف أو تسأم الإبل
فيأتي أو تأتي علي منيتي * * * و كل امرئ فان وإن غره الأمل

فقدم حارثة بن شراحيل إلى مكة في إخوته و أهل بيته فأتى النبي صلى الله عليه و سلم في فناء الكعبة في نفر من أصحابه فيهم زيد بن حارثة فلما نظروا إلى زيد عرفوه و لم يبق إليهم إلا رسول الله صلى الله عليه و سلم فقالوا له: يا زيد فلم يجبه فقال له النبي صلى الله عليه و سلم: من هؤلاء يا زيد؟ قال: يا رسول الله هذا أبي و هذا عمي و هذا أخي و هؤلاء عشرتي قال له النبي صلى الله عليه و سلم قم فسلم عليهم يا زيد فقام فسلم عليهم و سلموا عليه ثم قالوا: امض معنا يا زيد فقال: ما أريد برسول الله صلى الله عليه و سلم بدلا و لا غيره أحدا فقالوا: يا محمد إنا معطوك بهذا الغلام ديات فسم ما شئت فإنا حاملوه إليك فقال: أسألكم أن تشهدوا أن لا إله إلا الله و أني خاتم أنبيائه و رسله و أرسله معكم فتأبوا و تلتكوا و تلججوا فقالوا: تقبل منا ما عرضنا عليك من الدنانير فقال لهم: ها هنا خصلة غير هذه قد جعلت الأمر إليه فإن شاء فليقم و إن شاء فليدخل قالوا ما بقي شيء قالوا: يا زيد قد أذن لك الآن محمد فانطلق معنا قال: هيهات هيهات ما أريد برسول الله صلى الله عليه و سلم بدلا و لا أوثر عليه والدا و لا ولدا فأداروه و الأصوه و استعطفوه و أخبروه من ورائه من وجدته فأبى و حلف أن لا يلحقهم قال حارثة: أما أنا فأواسيك بنفسي أنا أشهد أن لا إله إلا الله و أن محمدا⁽¹⁹⁸⁶⁾.

قلت: سبب النزول هذا فيه أحكام منها حرمة التبني، ومنها وجوب أن يدعي الرجل إلى أبيه لا غيره. وفي صحيح البخاري وغيره. عن أبي عثمان النهدي قال: سمعت سعداً يقول: سمعت أذناي ووعى قلبي من محمد صلى الله عليه و سلم: «أنه من ادعى إلى غير أبيه وهو يعلم انه غير أبيه فالجنة عليه حرام»⁽¹⁹⁸⁷⁾.

[تفسير مختصر للآية]

(ادعوهم لأبائهم هو أقسط عند الله) أي انسبوا هؤلاء الذين جعلتموهم لكم أبناء لأبائهم الأصلاء [هو أقسط عند الله] أي هو أعدل وأقسط في حكم الله وشرعه.

(فإن لم تعلموا آباءهم فأخوانكم في الدين) أي فإن لم تعرفوا آباءهم الأصلاء فتنسبواهم إليهم، فهم إخوانكم في الإسلام. (ومواليكم) أي أولياؤكم في الدين، فليقل أحدكم: يا أخي ولى مولاي، يقصد إخوة الدين وولايته، قال ابن كثير: أمر تعالى برد أنساب الأديع إلى آبائهم إن عرفوا، فإن لم يعرفوا فهم إخوانهم في الدين ومواليهم، عوضا عما فاتهم من النسب، ولهذا قال رسول الله ﷺ لزيد بن حارثة: " أنت أخونا ومولانا "

(وليس عليكم جناح فيما أخطأتم به) أي وليس عليكم أيها المؤمنون ذنب أو إثم، فيمن نسبتوهم إلى غير آبائهم خطأ. (ولكن ما تعمدت قلوبكم) أي ولكن الإثم فيما تعمدتم وتعمدتم نسبته إلى غير أبيه.

(وكان الله غفورا رحيما) أي واسع المغفرة، عظيم الرحمة، يعفو عن المخطيء، ويرحم المؤمن التائب⁽¹⁹⁸⁸⁾.

(يَا أَيُّهَا الَّذِينَ ءَامَنُوا اذْكُرُوا نِعْمَةَ اللَّهِ عَلَيْكُمْ إِذْ جَاءَكُمْ جُنُودٌ فَأَرْسَلْنَا عَلَيْهِمْ رِيحًا وَجُنُودًا لَمْ تَرَوْهَا وَكَانَ اللَّهُ بِمَا تَعْمَلُونَ بَصِيرًا ۙ)

قوله تعالى: (يا أيها الذين آمنوا اذكروا نعمة الله عليكم) - الآية.

861. أخرج البيهقي في الدلائل عن حذيفة قال: « لقد رأيتنا ليلة الأحزاب ونحن صافون قعوداً وأبو سفيان

(1986)المستدرك على الصحيحين للحاكم مع تعليقات الذهبي في التلخيص (3/ 235)

(1987)صحيح البخاري (5/ 199)

(1988)صفوة التقاسير - للصابوني (3/ 32)

ومن معه من الأحزاب فوقنا وقريظة أسفل منا نخافهم على ذرارينا، وما أتت قط علينا ليلة أشد ظلمة ولا أشد ريحا منها، فجعل المنافقون يستأذنون النبي ﷺ يقولون: إن بيوتنا عورة وما هي بعورة، فما يستأذن أحد منهم إلا أذن له فيتسللون إذا استقبلنا النبي ﷺ رجلاً رجلاً حتى أتى علي فقال: «انتني بخبر القوم». فجنت فإذا الريح في عسكرهم ما تجاوز عسكرهم شبراً، فوالله إني لأسمع صوت الحجارة في رحالهم وفرشهم الريح تضربهم بها وهم يقولون: الرحيل الرحيل، فجئت فأخبرته خبر القوم وأنزل الله: (يا أيها الذين آمنوا اذكروا نعمة الله عليكم إذ جاءكم جنود - الآية (1989)).

[تعليق]

ذكر المؤلف رحمه الله هذا الأثر في سبب نزول هذه الآية، وقد نصر الله تعالى المؤمنين في غزوة الأحزاب بالريح، (وما يعلم جنود ربك إلا هو).

قال الإمام ابن الجوزي: «ذكر أهل العلم بالسيرة أن رسول الله ﷺ لما أجلي بني النضير، ساروا إلى خيبر، فخرج نفر من أشرفهم إلى مكة فآلبوا قريشاً ودعواهم إلى الخروج لقتاله، ثم خرجوا من عندهم فأتوا غطفان وسُلَيْم، ففارقوهم على مثل ذلك. وتجهزت قريشٌ ومن تبعهم من العرب، فكانوا أربعة آلاف، وخرجوا يقودهم أبو سفيان، ووافقتهم بنو سُليم ب «مرّ الظهران» وخرجت بنو أسد، وفزارة، وأشجع، وبنو مرة، فكان جميع من وافى الخندق من القبائل عشرة آلاف، وهم الأحزاب؛ فلما بلغ رسول الله ﷺ خروجهم من مكة، أخبر الناس خيرهم، وشاورهم، فأشار سلمان بالخندق، فأعجب ذلك المسلمين، وعسكر بهم رسول الله ﷺ إلى سفح «سَلْع»، وجعل سَلْعاً خلف ظهره؛ ودسَّ أبو سفيان بن حرب حَيَّيَّ بن أخطب إلى بني قريظة يسألهم أن ينقضوا العهد الذي بينهم وبين رسول الله ﷺ ويكونوا معهم عليه، فأجابوا، واشتد الخوف، وعظم البلاء، ثم جرت بينهم مناوشة وقتال، وحُصِر رسول الله ﷺ وأصحابه بضع عشرة ليلة حتى خلص إليهم الكُرب، وكان نُعَيْم بن مسعود الأشجعي قد أسلم، فمشى بين قريش وقريظة وغطفان فخذل بينهم، فاستوحش كل منهم من صاحبه، واعتلت قريظة بالسبت فقالوا: لا نقاتل فيه، وهبت ليلة السبت ريح شديدة، فقال أبو سفيان: يا معشر قريش، إنكم والله لستم بدار مُقام، لقد هلك الخُفُّ والحافر، وأجذب الجَنَاب، وأخلفتنا قريظة، ولقينا من الريح ما ترون، فارتجوا فاني مرتجل؛ فأصبحت العساكر قد أفتشتت كلها. قال مجاهد: والريح التي أرسلت عليهم هي الصَّبا، حتى أكفأت قدورهم، ونزعت فساطيطهم. والجنود: الملائكة، ولم تقاتل يوماً. وقيل: إن الملائكة جعلت تغلغ أوتادهم وتطفئ نيرانهم وتكبر في جوانب عسكرهم، فانهزموا من غير قتال (1990)». «

قلت: الآية أمر من الله تعالى لعباده وتذكير منه لهم بنعمته عليهم لما اجتمع أحزاب الكفر على المؤمنين فأنزل الله سبحانه جنداً من عنده لنصر المؤمنين، فهذا امتنان من الله تعالى على عباده فلا بد من شكر النعمة وذكر المنة والله تعالى الموفق.

[تفسير مختصر للآية]

(يا أيها الذين آمنوا اذكروا نعمة الله عليكم) أي اذكروا فضله وإنعامه عليكم. (إذ جاءكم جنود) أي وقت مجيء جنود الأحزاب وتآلبهم عليكم. (فأرسلنا عليهم ريحا وجنودا لم تروها) أي فأرسلنا على الأحزاب ريحا شديدة وجنودا من الملائكة لم تروهم، وكانوا قرابة ألف، قال المفسرون: بعث الله عليهم ريحا عاصفا، وهي ريح الصبا في ليلة شديدة البرد والظلمة، فقلعت بيوتهم، وكفأت قدورهم، وصارت تلقي الرجل على الأرض، وأرسل الله الملائكة فزلزلتهم - ولم تقاتل - بل ألق في قلوبهم الرعب. (وكان الله بما تعملون بصيرا) أي وهو تعالى مطلع على ما تعملون من حفر الخندق، والثبات على معاونة النبي ﷺ في ذلك الوقت (1991).

(وَإِذْ يَقُولُ الْمُنْفِقُونَ وَالَّذِينَ فِي قُلُوبِهِمْ مَّرَضٌ مَّا وَعَدَنَا اللَّهُ وَرَسُولُهُ إِلَّا غُرُورًا ۝ ١٢)

قوله تعالى: (وَإِذْ يَقُولُ الْمُنْفِقُونَ وَالَّذِينَ فِي قُلُوبِهِمْ مَرَضٌ) - الآية.

862. وأخرج ابن أبي حاتم والبيهقي في الدلائل من طريق كثير بن عبد الله بن عمرو المزني عن أبيه عن جده قال: «خط رسول الله ﷺ الخندق عام الأحزاب، فأخرج الله من بطن الخندق صخرة بيضاء مدورة، فأخذ رسول الله ﷺ المعول فضربها ضربة صدعها وبرق منها برق أضاء ما بين لأبتي المدينة، فكبر وكبر المسلمون، ثم ضرب الثانية فصدعها وبرق منها برق أضاء ما بين لأبتيها، فكبر وكبر المسلمون، ثم ضربها الثالثة فكسرهما وبرق منها برق أضاء ما بين لأبتيها فكبر وكبر المسلمون، فسئل عن ذلك فقال: «ضربت الأولى فأضاعت لي قصور الحيرة ومدائن كسرى، وأخبرني جبريل إن أمتي ظاهرة عليها، ثم ضربت الثانية فأضاعت لي قصور الحمر من أرض الروم، وأخبرني جبريل إن أمتي ظاهرة عليها، ثم ضربت الثالثة فأضاعت لي قصور صنعاء، وأخبرني جبريل إن أمتي

(1989) مسند أبي عوانة 4/320 ح (6842) وعزاه ابن كثير للحاكم، ولم أجده في الكتب المسنده عنده بهذا السياق وليس فيه سبب النزول وهو أيضا عند مسلم وابن حبان وغيرهما وليس فيه سبب النزول وإسناده عند أبي عوانة ضعيف والبيهقي فيه أبو حذيفة موسى بن مسعود قال الحافظ صدوق سبي الحفظ، ومحمد بن عبيد الحنفي وقيل محمد بن عبد الله الدولي ذكره ابن حبان في الثقات على عادته في توثيق المجاهيل قال الحافظ في التهذيب قال الذهبي ما أعلم أحدا روى عنه غير عكرمة بن عمار، وعبد العزيز أخي حذيفة فيه نفس المقال.

(1990) زاد المسير (356/6)

(1991) صفوة التقاسير - للصابوني (33/3)

ظاهرة عليها». فقال المنافقون: ألا تعجبون يحدثكم ويمنيكم ويعدكم الباطل ويخبركم أنه يبصر من يثرب قصور الحيرة ومدائن كسرى وأنها تفتح لكم وأنتم إنما تحفرون الخندق من الفرق لا تستطيعون أن تبرزوا، فنزل القرآن: (وإذ يقول المنافقون والذين في قلوبهم مرض وما وعدنا الله ورسوله إلا غرورا (1992)».

863. وأخرج جويبر عن ابن عباس قال: «نزلت هذه الآية في معتب بن قشير الأنصاري، وهو صاحب هذه المقالة» (1993).

864. وأخرج ابن إسحاق والبيهقي أيضاً عن عروة بن الزبير ومحمد بن كعب القرظي وغيرهما قال: «قال معتب بن قشير: كان محمد يرى أن يأكل من كنوز كسرى وقيصر وأحدنا لا يأمن أن يذهب إلى الغائط، وقال أوس بن قبيط في ملاء من قومه: إن بيوتنا عورة وهي خارجة من المدينة ائذن لنا فنرجع إلى نساننا وأبناننا، فأنزل الله على رسوله حين فزع عنهم ما كانوا فيه من البلاء يذكرهم نعمته عليهم وكفايته إياهم بعد سوء الظن منهم ومقالة من قال من أهل النفاق: (يا أيها الذين آمنوا اذكروا نعمة الله عليكم إذ جاءكم جنود) - الآية (1994)».

[تعليق]

ذكر المؤلف رحمه الله عدة آثار في سبب نزول هذه الآية، وقد نزلت في قول المنافقين وبالأخص معتب بن قشير، عندما وعدهم النبي ﷺ أن يفتحوا المدائن، فقال المنافقون (ما وعدنا الله ورسوله إلا غروراً) أما المؤمنون فيعلمون أن وعد الله حق. وقد فتحت هذه المدن في عهد الصحابة رضوان الله عليهم.

[تفسير مختصر للآية]

(وإذ يقول المنافقون والذين في قلوبهم مرض) أي واذكر حين يقول المنافقون، والذين في قلوبهم مرض النفاق، لأن الإيمان لم يخالط قلوبهم. (ما وعدنا الله ورسوله إلا غروراً) أي ما وعدنا الله ورسوله إلا باطلاً وخداعاً، قال الصاوي: والقائل هو " معتب بن قشير " الذي قال: يعدنا محمد بفتح فارس والروم، وأحدنا لا يقدر أن يتبرز فرقا، ما هذا إلا وعد غرور، يغرنا به محمد (1995).

(مِّنَ الْمُؤْمِنِينَ رِجَالٌ صَدَقُوا مَا عَاهَدُوا اللَّهَ عَلَيْهِ فَمِنْهُمْ مَّنْ قَضَىٰ نَحْبَهُ وَمِنْهُمْ مَّنْ يَنْتَظِرُ وَمَا بَدَّلُوا تَبْدِيلًا ٢٣)

قوله تعالى: (من المؤمنين رجال) - الآية.

865. أخرج مسلم والترمذي وغيرهما عن أنس قال: « غاب عمي أنس بن النضر عن بدر فكبر عليه فقال: أول مشهد قد شهده رسول الله ﷺ غبت عنه لنن أراني الله مشهداً مع رسول الله ﷺ ليرين الله ما أصنع، فشهد يوم أحد فقاتل حتى قتل فوجد في جسده بضع وثمانون من بين ضربة وطعنة ورمية، ونزلت هذه الآية: (رجال صدقوا ما عاهدوا الله عليه) إلى آخرها (1996)».

[تعليق]

ذكر المؤلف رحمه الله أثراً واحداً في سبب نزول هذه الآية، وهو أثر صحيح، وهو مدح لأنس بن النضر، لأنه صدق عهده مع الله تعالى، فقاتل يوم أحد قتالاً شديداً حتى نال الشهادة في سبيل الله. وقد روى أنها نزلت في طلحة بن عبيد الله. فروى الإمام الواحدي عن عائشة أم المؤمنين: «نزلت في طلحة بن عبيد الله ثبت مع رسول الله ﷺ يوم أحد حتى أصيبت يده، فقال رسول الله ﷺ: اللهم أوجب لطلحة الجنة» (1997)». قلت: هذه الآية وإن نزلت في أنس أو طلحة، فيدخل فيها كل من كان حاله كحالهم من صدق العهد مع الله تعالى.

[تفسير مختصر للآية]

(من المؤمنين رجال صدقوا ما عاهدوا الله عليه) أي ولقد كان من أولئك المؤمنين رجال صادقون، نذروا أنهم إذا أدركوا حرباً مع رسول الله ﷺ ثبتوا وقاتلوا حتى يستشهدوا (فمنهم من قضى نحبه) أي فمنهم من وقى بنذره وعهده، حتى استشهد في سبيل الله كأنس بن النضر، وحمزة

(1992) تفسير ابن أبي حاتم 9/3117 تفسير الطبري 21/133 وكثير بن عبد الله ضعيف

(1993) ضعيف

(1994) دلائل النبوة للبيهقي 3/435 تفسير الطبري 21/129 مرسل ضعيف الإسناد.

(1995) صفوة التفاسير - للصابوني (3/34)

(1996) صحيح البخاري 3/1032 ح (2651) صحيح مسلم 15/12 ح (4772) سنن الترمذي 5/348 ح (3200) سنن النسائي الكبرى

5/79 ح (8291) مسند أحمد 3/194 ح (13038) الجهاد لابن المبارك 1/67 ح (76) سنن البيهقي الكبرى 9/43 ح (17696) المعجم الكبير 1/264 ح (769) مسند الطيالسي

272 ح (2044) المنتخب 410 ح (1396)

(1997) أسباب النزول للواحدي (238)

(ومنهم من ينتظر) أي ومنهم من ينتظر الشهادة في سبيل الله (وما بدلوا تبديلاً) أي وما غيروا عهدهم الذي عاهدوا عليه ربهم أبداً (1998).

(يَا أَيُّهَا النَّبِيُّ قُلْ لَأَزُوجِكُمْ إِن كُنْتُمْ تُرِيدُونَ الْحَيَاةَ الدُّنْيَا وَزِينَتَهَا فَتَعَالَيْنَ أُمَتَّعْكُنَّ وَأُسَرِّحْكُنَّ سَرَاحًا جَمِيلًا ٢٨)

قوله تعالى: (يا أيها النبي قل لأزواجك) - الآية.

866. أخرج مسلم وأحمد والنسائي من طريق أبي الزبير عن جابر قال: «أقبل أبو بكر يستأذن على رسول الله ﷺ فلم يؤذن له، ثم أقبل عمر فاستأذن فلم يؤذن له، ثم أذن لهما فدخلوا والنبي ﷺ جالس وحوله نساؤه وهو ساكت، فقال عمر: لأكلمن النبي ﷺ لعله يضحك، فقال عمر: يا رسول الله لو رأيت ابنة زيد امرأة عمر سألتني النفقة أنفا فوجأت عنقها، فضحك النبي ﷺ حتى بدا ناجذه وقال: «هن حولي يسألنني النفقة». فقام أبو بكر إلى عائشة ليضربها، وقام عمر إلى حفصة كلاهما يقولان: تسألان النبي ﷺ ما ليس عنده، وأنزل الله الخيار، فبدأ بعائشة فقال: «إني ذاكرك أمرا ما أحب أن تعجلي فيه حتى تستأمري أبويك». قالت ما هو فتلا عليها: (يا أيها النبي قل لأزواجك) - الآية. قالت عائشة: أفيك أستأمر أبوي؟! بل أختار الله ورسوله (1999)».

[تعليق]

ذكر المؤلف رحمه الله هذا الأثر في سبب نزول هذه الآية، وقد كان أزواج النبي ﷺ سألته النفقة وغير ذلك، فنزلت هذه الآية. وهي المشهورة بأية التخيير، يعنى خير الله نساء النبي ﷺ بين زينة الدنيا وبين الله ورسوله فاخترن الله ورسوله، وقد أجمع أهل التفسير على أن هذا السبب هو سبب نزول الآية.

[تفسير مختصر للآية]

(يا أيها النبي قل لأزواجك) أي قل لزوجاتك اللاتي تأذيت منهن بسبب سؤالهن إياك الزيادة في النفقة. (إن كنتن تردن الحياة الدنيا وزينتها) أي إن رغبتن في سعة الدنيا ونعيمها، وبهرجها الزائل (فتعالين أمتعن) أي فتعالين حتى أدفع لكن متعة الطلاق. (وأسرحكن سراحا جميلا) لآي ولأطلقكن طلاقا من غير ضرار.

(وإن كنتن تردن الله ورسوله والدار الآخرة) أي وإن كنتن ترغبن في رضوان الله ورسوله، والفوز بالنعيم الوافر في الدار الآخرة. (فإن الله أعد للمحسنات منكم أجرا عظيما) جواب الشرط أي فإن الله تعالى قد هيا للمحسنات منكم بمقابلة إحسانهن، ثوابا كبيرا لا يوصف، وهو الجنة التي فيها ما لا عين رأت، ولا أذن سمعت، ولا خطر على قلب بشر، قال في البحر: لما نصر الله نبيه، وفرق عنه الأحزاب، وفتح عليه قرينة والنضير، ظن أزواجه أنه اختص بنفائس اليهود وذخائرهم، ففعدن حوله وقلن يا رسول الله: بنات كسرى وقصر في الحلي والحلل، ونحن على ما تراه من الفاقة والضيق! وألمن قلبه بمطالبتهن له بتوسعة الحال، وأن يعاملهن بما يعامل به الملوك والأكابر أزواجهم، فأمره الله أن يتلو عليهن ما نزل في أمرهن، وأزواجه إذ ذاك تسع زوجات (2000).

(إِنَّ الْمُسْلِمِينَ وَالْمُسْلِمَاتِ وَالْمُؤْمِنِينَ وَالْمُؤْمِنَاتِ وَالْقَنَاتِ وَالْقَنَاتِ وَالصَّادِقِينَ وَالصَّادِقَاتِ وَالصَّابِرِينَ وَالصَّابِرَاتِ وَالْخَشِيعِينَ وَالْخَشِيعَاتِ وَالْمُتَّصِدِّقِينَ وَالْمُتَّصِدِّقَاتِ وَالصَّائِمِينَ وَالصَّائِمَاتِ وَالْحَفِظِينَ وَالْحَفِظَاتِ وَالذَّكِرِينَ اللَّهُ كَثِيرًا وَالذَّكِرَاتِ أَعَدَّ اللَّهُ لَهُمْ مَغْفِرَةً وَأَجْرًا عَظِيمًا ٣٥)

قوله تعالى: (إن المسلمين) - الآية.

867. [ك] وأخرج الترمذي وحسنه من طريق عكرمة عن أم عمارة الأنصارية: «أنها أتت النبي ﷺ فقالت: ما أرى كل شيء إلا للرجال، وما أرى النساء يذكرن بشيء، فنزلت: (إن المسلمين والمسلمات) - الآية (2001)».

868. [ك] وأخرج الطبراني بسند لا بأس به عن ابن عباس قال: «قالت النساء يا رسول الله: ما باله يذكر المؤمنين ولا يذكر المؤمنات، فنزلت: (إن المسلمين والمسلمات) - الآية (2002)».

869. وتقدم حديث أم سلمة في آخر سورة آل عمران.

(1998) صفوة التفاسير - للصابوني (38/3)

(1999) صحيح مسلم 2/1104 ح (1478) مسند أبي عوانة 3/175 سنن البيهقي الكبرى 7/38 ح (13047) مسند أبي يعلى 4/174 ح (2253) سنن النسائي الكبرى 5/383

ح (9208) مسند أحمد 3/328 ح (14555)

(2000) صفوة التفاسير - للصابوني (39/3)

(2001) سنن الترمذي 5/354 ح (3211) وقال حسن غريب الأحاد والمثاني 6/172 المعجم الكبير 25/31 ح (51) قلت: إسناده حسنقال الإمام الترمذي: حدثنا عبد بن حميد

حدثنا محمد بن كثير حدثنا سليمان بن كثير عن حسين عن عكرمة عن أم عمارة الأنصارية - به

(2002) المعجم الكبير 12/108 في سننه قابوس تقدم

870. وأخرج ابن سعد عن قتادة قال: «لما ذكر أزواج النبي ﷺ قالت النساء: لو كان فينا خير لذكرنا، فأنزل الله: (إن المسلمين والمسلمات)» - الآية (2003).

[تعليق]

ذكر المؤلف رحمه الله عدة آثار في سبب نزول هذه الآية. ومجموعها يدل على أن الله لما أكثر من ذكر الرجال ولم يكثر من ذكر النساء، ظن النساء أنه بذلك فضل الرجال على النساء في الأجر، فأنزل الله تعالى الآية دالة الرجال والنساء في الأجر سواء، وأن الله تعالى أعطى كلاً من الرجال والنساء ما هو من خصائصه. بل كل الأحكام التي ذكرت للرجال فقد دخل فيها النساء تبعاً، ولكن ذكرهم الله تعالى تليفاً. فالنساء في التكليف الشرعية مثل الرجال تماماً فكل آية في القرآن فيها أمر من أوامر الله موجه للرجال فقد دخل فيه النساء إلا ما خص بالدليل والله تعالى موفق.

وقد ذكر في سبب نزول هذه الآية كذلك ما رواه الإمام الواحدي: قال مقاتل بن حيان: «بلغني أن أسماء بنت عميس لما رجعت من الحبشة معها زوجها جعفر بن أبي طالب دخلت على نساء النبي ﷺ فقالت: هل نزل فينا شيء من القرآن؟ قلن لا، فأتت النبي ﷺ فقالت: يارسول الله إن النساء لفي خيبة وخسار، قال: ومم ذلك، قالت: لأنهن لا يذكرن في الخير كما يذكر الرجال، فأنزل الله تعالى - (إن المسلمين والمسلمات) - إلى آخرها (2004).

قلت: وليس هناك اختلاف بين هذه الأسباب، فقد نزلت فيهن جميعاً لما أكثرن السؤال واحدة تلو الأخرى. فنزلت الآية لهن ولغيرهن. والله تعالى أعلم.

[تفسير مختصر للآية]

(إن المسلمين والمسلمات) هم المتمسكون بأوامر الإسلام، المتخفون بأخلاقه رجالاً ونساء. (والمؤمنين والمؤمنات) أي المصدقين بالله وآياته، وما أنزل على رسله وأنبيائه. (والقانتين والقانتات) أي العابدين الطائعين، المداومين على الطاعة. (والصادقين والصادقات) أي الصادقين في إيمانهم، ونياتهم، وأقوالهم، وأعمالهم. (والصابرين والصابرات) أي الصابرين على الطاعات، وعن الشهوات، في المكروه والمنشط. (والخاشعين والخاشعات) أي الخاضعين الخائفين من الله جل وعلا، المتواضعين له بقلوبهم وجوارحهم. (والمصدقين والمصدقات) أي المتصدقين بأموالهم على الفقراء، بالإحسان وأداء الزكوات. (والصائمين والصائمات) أي الصائمين لوجه الله شهر رمضان وغيره من الأيام، فالصوم زكاة البدن، يزيهه ويطهره. (والحافظين فروعهم والحافظات) أي عن المحارم والآثام، وعملاً لا يحل من الزنى وكشف العورات. (والذاكرين الله كثيراً والذاكرات) أي المديمين ذكر الله بألسنتهم وقلوبهم، في كل الأوقات والأمكنة. (أعد الله لهم مغفرة وأجراً عظيماً) أي أعد الله وهنا لهؤلاء المتقين الأبرار، المتصفين بالصفات الجليلة، أعظم الأجر والثواب وهو الجنة، مع تكفير الذنوب عنهم، بسبب ما فعلوه من الأعمال الحسنة (2005).

(وَمَا كَانَ لِمُؤْمِنٍ وَلَا مُؤْمِنَةٍ إِذَا قَضَى اللَّهُ وَرَسُولُهُ أَمْرًا أَنْ يَكُونَ لَهُمُ الْخِيَرَةُ مِنْ أَمْرِهِمْ وَمَنْ يَعْصِ اللَّهَ وَرَسُولَهُ فَقَدْ فَزَّحَ ضَلًّا مُّبِينًا ٣٦)

قوله تعالى: (وما كان لمؤمن) - الآيات.

871. أخرج الطبراني بسند صحيح عن قتادة قال: «خطب النبي ﷺ زينب وهو يريد لها لزيد، فظنت أنه يريد لها لنفسه، فلما علمت أنه يريد لها لزيد أبت، فأنزل الله: (وما كان لمؤمن ولا مؤمنة)» - الآية فرضيت وسلمت (2006).

872. وأخرج ابن جرير من طريق عكرمة عن ابن عباس: «خطب رسول الله ﷺ زينب بنت جحش لزيد بن حارثة، فاستنكفت منه وقالت: أنا خير منه حسباً، فأنزل الله: (وما كان لمؤمن)» - الآية كلها (2007).

873. وأخرج ابن جرير من طريق العوفي عن ابن عباس مثله (2008).

874. وأخرج ابن أبي حاتم عن ابن زيد قال: «نزلت في أم كلثوم بنت عقبة بن أبي معيط، وكانت أول امرأة هاجرت من النساء، فوهبت نفسها للنبي ﷺ، فزوجها زيد بن حارثة، فسخطت هي وأخوها قالاً: إنما أردنا رسول الله ﷺ فزوجنا عبده، فنزلت (2009).

[تعليق]

(2003) الطبقات الكبرى 8/200 مرسل.

(2004) أسباب النزول للواحد (240)

(2005) صفوة التفاسير - للصابوني (41/3)

(2006) المعجم الكبير 24/45 ح (123) مرسل وأيضاً هو من رواية معمر عن قتادة ورواية معمر عن العراقيين فيها نظر

(2007) تفسير الطبري 22/11 في إسناده ابن لهيعة

(2008) المصدر السابق ضعيف الإسناد

(2009) تفسير ابن أبي حاتم 9/3134 تفسير الطبري 22/12 مرسل ضعيف الإسناد

ذكر المؤلف رحمه الله عدة آثار في سبب نزول هذه الآية، فالثلاثة الأول في خطبة النبي ﷺ زيد بن حارثة لزئيب بن جحش. وهذا هو الذي عليه جمهور المفسرين على ما ذكره الإمام ابن الجوزي⁽²⁰¹⁰⁾. والثاني: في أم كلثوم بنت عقبة وخطبة النبي ﷺ زيد بن حارثة لها. والأول هو الأصح. فنزلت الآية بأنه لا ينبغي لمؤمن أو مؤمنة أن يعترض على قضاء الله ورسوله بل يجب التسلم والإنقياد لما أمر الله ورسوله.

[تفسير مختصر للآية]

(وما كان لمؤمن ولا مؤمنة) أي لا ينبغي ولا يصح ولا يليق بأي واحد من المؤمنين والمؤمنات. (إذا قضى الله ورسوله أمراً) أي إذا أمر الله عز وجل وأمر رسوله بشيء من الأشياء، قال الصاوي: ذكر اسم الله للتعظيم، وللإشارة إلى أن قضاء رسول الله هو قضاء الله، لكونه لا ينطق عن الهوى. (أن يكون لهم الخيرة من أمرهم) أي أن يكون لهم رأي أو اختيار، بل عليهم الانقياد والتسليم، قال ابن كثير: وهذه الآية عامة في جميع الأمور، وذلك أنه إذا حكم الله ورسوله بشيء، فليس لأحد مخالفته، ولا اختيار لأحد ولا رأي ولا قول، ولهذا شدد النكير فقال: (ومن يعص الله ورسوله فقد ضللاً مبيهاً) أي ومن يخالف أمر الله وأمر رسوله فقد حاد عن الطريق السوي، وأخطأ طريق الصواب، وضل ضلالاً بيناً واضحاً⁽²⁰¹¹⁾.

(وَإِذْ تَقُولُ لِلَّذِي أَنْعَمَ اللَّهُ عَلَيْهِ وَأَنْعَمْتَ عَلَيْهِ أَمْسِكْ عَلَيْكَ زَوْجَكَ وَاتَّقِ اللَّهَ وَتُخْفِي فِي نَفْسِكَ مَا اللَّهُ مُبْدِيهِ وَتُخْفِي النَّاسَ وَاللَّهُ أَعْلَمُ أَحْقُّ أَنْ تَخْسِئَهُ فَلَمَّا قَضَى زَيْدٌ مِّنْهَا وَطَرًا زَوَّجْنَاكَ لَهَا لِأَنَّكَ كُنْتَ تَكْتُمُهَا فِي نَفْسِكَ وَاللَّهُ يَخْفَىٰ عَنِ الْعَالَمِينَ) (سورة النور: 31)

قوله تعالى: (وإذ تقول) - الآيات.

875. أخرج البخاري عن أنس أن هذه الآية: (وتخفي في نفسك ما الله مبديه) : «نزلت في شأن زينب بنت جحش وزيد بن حارثة»⁽²⁰¹²⁾.

876. وأخرج الحاكم عن أنس قال: «جاء زيد بن حارثة يشكو إلى رسول ﷺ من زينب بنت جحش، فقال النبي ﷺ: «أمسك عليك أهلك». فنزلت: (وتخفي في نفسك ما الله مبديه)⁽²⁰¹³⁾».

877. وأخرج مسلم وأحمد والنسائي⁽²⁰¹⁴⁾ قال: «لما انقضت عدة زينب قال: رسول الله ﷺ لزيد: «أذهب فاذكرها علي». فانطلق فأخبرها فقالت: ما أنا بصانعة شيئاً حتى أوامر ربي، فقامت إلى مسجدها ونزل القرآن، وجاء رسول الله ﷺ فدخل عليها بغير إذن، ولقد رأيتنا حين دخلت على رسول الله ﷺ أطعمنا عليها الخبز واللحم، فخرج الناس وبقي رجال يتحدثون في البيت بعد الطعام، فخرج رسول الله ﷺ واتبعته، فجعل يتبع حجر نسانه، ثم أخبر أن القوم قد خرجوا فانطلق حتى دخل البيت، فذهبت أدخل معه، فألقى الستر بيني وبينه ونزل الحجاب ووعظ القوم بما وعظوا به: (ولا تدخلوا بيوت النبي إلا أن يؤذن لكم) - الآية⁽²⁰¹⁵⁾».

[تعليق]

ذكر المؤلف رحمه الله عدة آثار في سبب نزول هذه الآية، وفي هذه الآية تكريم لزيد بن حارثة حيث ذكره الله تعالى باسمه. وهذا ما لم يذكر لأي صحابي آخر، فقد ذكر أبو بكر رضي الله عنه إشارة في قوله (إذ يقول لصحابه) سورة التوبة، أما زيد فقد ذكر باسمه، وقد جاءت عدة أحاديث في فضل زيد بن حارثة.

فروى الإمام مسلم عن ابن عمر يقول: «بعث رسول الله صلى الله عليه وسلم بعثاً وأمر عليهم أسامة بن زيد فطعن الناس في إمرته فقام رسول الله صلى الله عليه وسلم فقال: إن تطعنوا في إمرته فقد كنتم تطعنون في إمره أبيه من قبل وأيم الله إن كان لخليقاً للإمره، وإن كان لمن أحب الناس إلي وإن هذا لمن أحب الناس إلي بعده»⁽²⁰¹⁶⁾.

تنبيه

وجد بعض المنطليين من أهل هذه الملة وممن يدرس الإسلام من أهل الاستشراق مجالاً للطعن في رسول الله ﷺ من خلال هذه الآية، جهلاً بسبب نزولها، واعتماداً على ما جاء من واهي الأسانيد، وزيفاً في قلوبهم.

(2010) زاد المسير (6/ 385)

(2011) صفوة التفسير - للصابوني (3/ 42)

(2012) صحيح البخاري 4/1797 ح (4509) سنن الترمذي 5/354 ح (3212) المعجم الكبير 24/43 ح (116) المنتخب 363 ح (1207) سنن البيهقي الكبرى 161 ج: 7

ح (13693)

(2013) مستدرک الحاكم 2/452 ح (3563) سنن النسائي الكبرى 6/432 ح (11407) سنن البيهقي الكبرى 7/57 ح (13139) صحيح ابن حبان 15/519 ح (7045) إسناده

صحيح قال الإمام النسائي: أنا محمد بن سليمان عن حماد بن زيد عن ثابت عن أنس - به

(2014) هكذا في المخطوط بدون عزو إلى الصحابي والذي في الرواية عند مسلم وغيره أنس بن مالك فلعلها ساقطة والله أعلم

(2015) صحيح مسلم 2/1048 ح (1428) سنن النسائي / ح (3251) مستخرج أبي نعيم 4/95 مسند أبي عوانة 3/54 مسند أحمد 3/195 ح (13048) مسند أبي يعلى 6/78

ح (3332) مسند عبد بن حميد 1/362 المعجم الكبير 40 ج: 24 ح (110)

(2016) صحيح مسلم - (7/ 131)

وهنا وجب علينا أن نبين ما هو الذي أخفاه النبي □، ومن أي شيء خشي الناس؟
فإن الذي أخفاه النبي □ هو أنه سيتزوج زينب بن جحش بأمر من الله تعالى ولذلك كانت تفتخر زينب على باقي نساء النبي □: زوجكن أهلكن وزوجني الله من فوق سبع سموات⁽²⁰¹⁷⁾.

فزواج النبي □ لزينب كان بأمر من الله وليس كما روي في بعض الروايات الضعيفة أنها دخلت عليه فوقع في قلبه. فروى الإمام الحاكم في مستدركه عن محمد بن يحيى بن حيان قال: «جاء رسول الله صلى الله عليه وسلم بيت زيد بن حارثة يطلبه وكان زيد إنما يقال له: زيد بن محمد فربما فقد رسول الله صلى الله عليه وسلم الساعة فيقول: أين زيد؟ فجاء منزله يطلبه فلم يجده فتقوم إليه زينب فتقول له: هنا يا رسول الله فولي فيولي بهمهم بشيء لا يكاد يفهم عنه إلا سبحان الله العظيم سبحان الله مصرف القلوب فجاء زيد إلى منزله فأخبرته امرأته أن رسول الله صلى الله عليه وسلم أتى منزله فقال زيد: ألا قلت له يدخل قالت: قد عرضت ذلك عليه و أبي قال: فسمعتة يقول شيئاً قالت: سمعته حين ولى تكلم بكلام لا أفهمه و سمعته يقول: سبحان الله العظيم سبحان الله مصرف القلوب قال: فخرج زيد حتى أتى رسول الله صلى الله عليه وسلم فقال: يا رسول الله بلغني أنك جئت منزلي فهلا دخلت بأبي أنت و أمي يا رسول الله لعل زينب أعجبتك فأفارقها فيقول رسول الله صلى الله عليه وسلم: أمسك عليك زوجك فما استطاع زيد إليها سبيلاً بعد ذلك و يأتي رسول الله صلى الله عليه وسلم فيخبره فيقول: أمسك عليك زوجك فيقول: يا رسول الله إذا أفارقها فيقول رسول الله صلى الله عليه وسلم: أمسك عليك زوجك فأفارقها زيد و اعتزلها و حلت قال: فبينما رسول الله صلى الله عليه وسلم جالس يتحدث مع عائشة رضي الله عنها إذ أخذت رسول الله صلى الله عليه وسلم غيمة ثم سري عنه و هو يتبسم و هو يقول: من يذهب إلى زينب يبشرها أن الله عز و جل زوجنيها من السماء و تلا رسول الله صلى الله عليه وسلم: (و إذ تقول للذي أنعم الله عليه) القصة كلها قالت عائشة رضي الله عنها: فأخذني ما قرب و ما بعد لما كان بلغني من جمالها و أخرى هي أعظم الأمور و أشرفها ما صنع الله لها زوجها الله عز و جل من السماء و قالت عائشة: هي تفخر علينا بهذا قالت عائشة: فخرجت سلمى خادم رسول الله صلى الله عليه وسلم تشدد فحدثتها بذلك فأعطتها أوضاعاً لها⁽²⁰¹⁸⁾».

فقد ضعف هذه القصة الشيخ الألباني في السلسلة الضعيفة⁽²⁰¹⁹⁾. فإسنادها مرسل بالإضافة إلى جهالة بعض رواها.

قلت: كل ما ورد نحو هذه الرواية فإسنادها غير صحيح.

أما الذي كان يخشاه النبي □ فقد قال الإمام ابن الجوزي: فيها قولان أحدهما: أنه خشي اليهود أن يقولوا: تزوج محمد امرأة ابنه، رواه عطاء عن ابن عباس.

والثاني: أنه خشي لوم الناس أن يقولوا أمر رجلاً بطلاق امرأته، ثم نكحها⁽²⁰²⁰⁾.

[تفسير مختصر للآية]

(و إذ تقول للذي أنعم الله عليه) أي أذكر أيها الرسول، وقت قولك للذي أنعم الله عليه بالهداية للإسلام.
(وأنعمت عليه) بالتحريم من العبودية والإعتاق، قال المفسرون: هو (زيد بن حارثة) كان من سبي الجاهلية اشترته " خديجة " و وهبته لرسول الله □ فكان مملوكاً عنده ثم أعتقه وتبناه، وزوجه ابنة عمته (زينب بنت جحش) رضي الله عنها.
(أمسك عليك زوجك و اتق الله) أي أمسك زوجك زينب في عصمتك ولا تطلقها، واتق الله في أمرها.
(وتخفي في نفسك ما الله مبديه) أي وتضمري يا محمد في نفسك ما سيظهره الله.
(وتخشى الناس والله أحق أن تخشاه) أي تهاب أن يقول الناس تزوج محمد حليلاً ابنه، والله أحق أن تخشاه وحده، وأن تجهر بما أوحاه إليك، من أنك ستزوج بها بعد أن يطلقها زيد، قال ابن عباس: خشي أن يقول المنافقون: تزوج محمد امرأة ابنه (فلما قضى زيد منها وطراً زوجناكها) أي فلما قضى زيد حاجته من نكاحها وطلقها، زوجناك إياها يا محمد.
(لكيلا يكون على المؤمنين حرج في أزواج أدعيائهم إذا قضوا منهن وطراً) أي لنلا يكون في تشريع الله على المؤمنين، ضيق ومشقة وتأم في حق تزوج المطلقات الأبناء من التبن، إذا لم يبق لأزواجهن حاجة.
(وكان أمر الله مفعولاً) أي وكان أمر الله لك، ووحيه إليك بتزوج زينب، مقدرًا محتماً، كأننا لا محالة، ولما نفى الحرج عن المؤمنين⁽²⁰²¹⁾.

(مَا كَانَ مُحَمَّدٌ أَبَا أَحَدٍ مِّن رِّجَالِكُمْ وَلَكِن رَّسُولَ اللَّهِ وَخَاتَمَ النَّبِيِّينَ وَكَانَ اللَّهُ بِكُلِّ شَيْءٍ عَلِيمًا ۝٤٠)

قوله تعالى: (ما كان محمد أباً أحد من رجالكم) - الآية.

878. وأخرج الترمذي عن عائشة قالت: « لما تزوج النبي □ زينب، قالوا تزوج حليلاً ابنه، فأنزل الله: (

ما كان محمد أباً أحد من رجالكم) - الآية⁽²⁰²²⁾».

[تعليق]

ذكر المؤلف رحمه الله أثراً واحداً في سبب نزول هذه الآية، وهو ادعاء المشركين أن النبي □ نكح طليقة ابنه، فنفى الله

(2017) سنن الترمذي (354/5)

(2018) المستدرک علی الصحیحین للحاکم مع تعلیقات الذہبی فی التلخیص (25/4)

(2019) سلسلة الأحاديث الضعيفة والموضوعة وأثرها السيئ في الأمة (402/7) المؤلف: محمد ناصر الدين بن الحاج نوح الألباني شهرته: الألباني دار النشر: دار المعارف

البلد: الرياض المملكة العربية السعودية الطبعة: الأولى سنة الطبع: 1412 هـ/ 1992 م عدد الأجزاء: 14

(2020) زاد المسير (387/6)

(2021) صفوة التفاسير - للصابوني (44/3)

(2022) سنن الترمذي 5/352 ح (3207) وقال: غريب قلت: الشعبي لم يسمع من عائشة فهو مرسل وله عدة شواهد من المراسيل

(351)

تعالى عنه أن يكون له ابن من التبني، فيحرم عليه نكاح طليقته، وهذا كذلك من أذي المنافقين والمشركين الذين كانوا ينتهزون أي فرصة للطعن على رسول الله أو على كتاب الله.

[تفسير مختصر للآية]

(ما كان محمد أباً أحد من رجالكم) قال الزمخشري: أي لم يكن أباً رجل منكم على الحقيقة، حتى يثبت بينه وبينه، ما يثبت بين الأب وولده، من حرمة الصهر والنكاح. (ولكن رسول الله وخاتم النبيين) أي ولكنه عليه السلام أخرج الأنبياء والمرسلين، ختم الله به الرسالات السماوية، فلا نبي بعده، قال ابن عباس: يريد: لو لم أختم به النبيين، لجعلت له ولداً يكون بعده نبياً. (وكان الله بكل شيء عليماً) أي هو العالم بأقوالكم وأفعالكم، لا تخفى عليه خافية من أحوالكم⁽²⁰²³⁾.

(هُوَ الَّذِي يُصَلِّي عَلَيْكُمْ وَمَلَائِكَتُهُ لِيُخْرِجَكُم مِّنَ الظُّلُمَاتِ إِلَى النُّورِ وَكَانَ بِالْمُؤْمِنِينَ رَحِيمًا ٤٣)

قوله تعالى: (هو الذي يصلي عليكم) - الآية.

879. أخرج عبد بن حميد عن مجاهد قال: « لما نزلت: (إن الله وملائكته يصلون على النبي) قال أبو بكر: يا رسول الله ما أنزل الله عليك خيراً إلا أشركنا فيه، فنزلت: (هو الذي يصلي عليكم وملائكته)⁽²⁰²⁴⁾ ».

[تعليق]

ذكر المؤلف رحمه الله أثراً واحداً هنا، وهو مرسل الإسناد، وفيه فضيلة عظيمة لهذه الأمة حيث نالت صلاة الله والملائكة عليها.

وصلاة الله على عباده له عدة معان وكذلك صلاة الملائكة له معنيان.

قال الإمام ابن الجوزي: في صلاة الله علينا خمسة أقوال.

أحدها: أنها رحمته، قاله الحسن.

والثاني: مغفرته، قاله سعيد بن جبير.

والثالث: ثناؤه، قاله أبو العالية.

والرابع: كرامته، قاله سفيان.

والخامس: بركته، قاله أبو عبيدة.

وفي صلاة الملائكة قولان.

أحدهما: أنها دعاؤهم، قاله أبو العالية.

والثاني: استغفارهم، قاله مقاتل⁽²⁰²⁵⁾.

قلت: ولا تنافي أبداً بين هذه المعاني فهو من خلاف التنوع لا التضاد. فصلاة الله رحمة ومغفرة وثناء وكرامة

وبركة، وصلاة الملائمة دعاء واستغفار.

[تفسير مختصر للآية]

(هو الذي يصلي عليكم) أي هو جل وعلا يرحمكم على الدوام، ويعتني بأمركم، وبكل ما فيه ملاحكم وفلاحكم.

(وملائكته) أي وملائكته يصلون عليكم أيضاً بالدعاء، والاستغفار، وطلب الرحمة، قال ابن كثير: والصلاة من الله سبحانه لقاءه على العبد عند الملائكة، وقيل: الصلاة من الله الرحمة، ومن الملائكة: الدعاء والاستغفار.

(ليخرجكم من الظلمات إلى النور) أي لينقذكم من الضلالة إلى الهدى، ومن ظلمات العصيان إلى نور الطاعة والإيمان.

(وكان بالمؤمنين رحيماً) أي واسع الرحمة بالمؤمنين، حيث يقبل القليل من أعمالهم، ويعفو عن الكثير من ذنوبهم، لإخلاصهم في إيمانهم⁽²⁰²⁶⁾.

(وَبَشِّرِ الْمُؤْمِنِينَ بِأَنَّ لَهُم مِّنَ اللَّهِ فَضْلًا كَبِيرًا ٤٧)

قوله تعالى: (وبشر المؤمنين) - الآية.

880. أخرج ابن جرير عن عكرمة والحسن البصري قالوا: « لما نزلت: (ليغفر لك الله ما تقدم من ذنبك وما

تأخر) قال رجال من المؤمنين: هنيئا لك يا رسول الله قد علمنا ما يفعل بك، فماذا يفعل بنا؟ فأنزل الله: (

ليدخل المؤمنين والمؤمنات جنات) - الآية وأنزل في سورة الأحزاب: (وبشر المؤمنين بأن لهم من الله

⁽²⁰²³⁾صفوة التفسير - للصابوني (44 / 3)

⁽²⁰²⁴⁾مرسل.

⁽²⁰²⁵⁾زاد المسير (398 / 6)

⁽²⁰²⁶⁾صفوة التفسير - للصابوني (44 / 3)

فضلا كبيرا (2027)».

881. وأخرج البيهقي في دلائل النبوة عن الربيع بن أنس قال: «لما نزلت: (وما أدري ما يفعل بي ولا بكم) نزل بعدها: (ليغفر لك الله ما تقدم من ذنبك وما تأخر) فقالوا: يا رسول الله قد علمنا ما يفعل بك، فما يفعل بنا؟ فنزل: (وبشر المؤمنين بأن لهم من الله فضلا كبيرا) - قال: الفضل الكبير الجنة (2028)».

[تعليق]

ذكر المؤلف رحمه الله تعالى أثرين في سبب نزول هذه الآية، وفيهما: لما أنزل الله تعالى مغفرته لرسول، سألوا النبي □ فكيف بنا، فأنزل الله هذه البشرى لهم في الدنيا والآخرة. وقد قال أهل التفسير البشري في الدنيا الرؤيا الصالحة يراها المؤمن أو ترى له، والبشري في الآخرة بالجنة (2029).

[تفسير مختصر للآية]

(وبشر المؤمنين بأن لهم من الله فضلا كبيرا) أي وبشر يا محمد المؤمنين خاصة، بأن لهم من الله العطاء الواسع الكبير في جنات النعيم (2030).

(يَا أَيُّهَا النَّبِيُّ إِنَّا أَحْلَلْنَا لَكَ أَزْوَاجَ النَّبِيِّاتِ اللَّاتِيَّاتِ أُولَئِكَ مِمَّا أَفَاءَ اللَّهُ عَلَيْكَ وَبَنَاتَ عَمَّكَ وَبَنَاتَ عَمَّتِكَ وَبَنَاتَ خَالَكَ وَبَنَاتَ خَالَتِكَ اللَّاتِيَّاتِ هَاجِرَاتٍ مَعَكَ وَأَمْرَأَةً مُؤْمِنَةً إِنْ وَهَبْتَ نَفْسَهَا لِلنَّبِيِّ إِنْ أَرَادَ النَّبِيُّ أَنْ يَسْتَنْكِحَهَا خَالِصَةً لَكَ مِنْ دُونِ الْمُؤْمِنِينَ قَدْ عَلِمْنَا مَا فَرَضْنَا عَلَيْهِمْ فِي أَزْوَاجِهِمْ وَمَا مَلَكَتْ أَيْمَانُهُمْ لِكَيْلَا يُكَفِّرَ عَلَيْكَ حَرَجٌ وَكَانَ اللَّهُ غَفُورًا رَحِيمًا ٥٠)

قوله تعالى: (يا أيها النبي إنا أحللنا لك) - الآية.

882. أخرج الترمذي وحسنه والحاكم وصححه من طريق السدي عن أبي صالح عن ابن عباس عن أم هانئ بنت أبي طالب قالت: «خطبني رسول الله □، فاعتذرت إليه فعذرني فأنزل الله: (إنا أحللنا لك) إلى قوله: (اللاتي هاجرن معك) فلم أكن أحل له لأنني لم أهاجر (2031)».

883. وأخرج ابن أبي حاتم من طريق إسماعيل بن أبي خالد عن أبي صالح عن أم هانئ بنت أم هانئ قالت: «نزلت في هذه الآية: (وبنات عمك وبنات عماتك وبنات خالك وبنات خالاتك اللاتي هاجرن معك) أراد النبي □ أن يتزوجني، فنهى عني إذ لم أهاجر (2032)».

884. أخرج ابن سعد عن عكرمة في قوله: (وامرأة مؤمنة) - الآية قال: «نزلت في أم شريك الدوسية (2033)».

885. وأخرج ابن سعد عن منير بن عبد الله الدولي: «أن أم شريك غزية بنت جابر بن حكيم الدوسية عرضت نفسها على النبي □ وكانت جميلة، فقبلها فقالت عائشة: ما في امرأة حيث تهب نفسها لرجل خير، قالت أم شريك: فأنا تلك، فسماها الله مؤمنة، فقال: (وامرأة مؤمنة إن وهبت نفسها للنبي) فلما نزلت الآية قالت عائشة: إن الله يسرع لك في هواك (2034)».

[تعليق]

ذكر المؤلف رحمه الله أربعة آثار في سبب نزول هذه الآية. وهي تنقسم إلى قسمين فذكر في قوله تعالى (إنا أحللنا لك أزواجك) - إلى قوله تعالى - وبنات عمك وبنات عماتك - أنها نزلت في أم هانئ بنت أبي طالب، وكانت ابنة عم النبي □ فأراد أن يتزوجها فمنعه الله من ذلك لأنها لم تهجر معه، وهذان الأثران ليسا بصحيحين.

قال القاضي ابن العربي وهو ضعيف جداً، ولم يأت هذا الحديث من طريق صحيح يحتج في مواضعه بها (2035).

وقد اختلف أهل التفسير في قوله تعالى (أحللنا لك أزواج - الآية)

(2027) تفسير الطبري 26/7 مرسل وفي إسناده محمد بن حميد ضعيف

(2028) دلائل النبوة للبيهقي 4/159 في إسناده أحمد بن عبد الجبار ضعيف

(2029) الهداية إلى بلوغ النهاية (3292/5) المؤلف: أبو محمد مكي بن أبي طالب حمّوش بن محمد بن مختار القيسي القيرواني ثم الأندلسي القرطبي المالكي (المتوفى:

437هـ) المحقق: مجموعة رسائل جامعية بكلية الدراسات العليا والبحث العلمي جامعة الشارقة، بإشراف أ. د: الشاهد البوشيخي الناشر: مجموعة بحوث الكتاب والسنة كلية الشريعة والدراسات الإسلامية جامعة الشارقة الطبعة: الأولى، 1429 هـ 2008 م عدد الأجزاء: 13 (12)، ومجلد للفهارس (2030)

صفحة التفاسير - للصابوني (45/3)

(2031) تفسير الطبري 22/21 المستدرک 2/202 ح(2754) سنن الترمذي 5/355 ح(3214) سنن البيهقي الكبرى ص 54:7 ح(13128) المعجم الكبير 24/413 ح(1005) إسناده صحيح قال الإمام الترمذي: حدثنا عبد بن حميد حدثنا عبيد الله بن موسى عن إسرائيل عن السدي عن أبي صالح عن أم هانئ بنت أبي طالب - به

(2032) الكامل لابن عدي 70:2 المؤلف: أبو أحمد عبد الله بن عدي الجرجاني (المتوفى: 365هـ) تاريخ جرجان 64:ج1 وفي إسناده بإذام ضعيف

(2033) الطبقات الكبرى 8/155 بأكثر من إسناده وكلها مراسيل.

(2034) المصدر السابق مطولا وفي إسناده منير بن عبد الله مجهول، وأيضا الواقدي متروك

(2035) أحكام القرآن لابن العربي (588/3)

(353)

قال الإمام القرطبي: فقيل: المراد بها أن الله تعالى أحل له أن يتزوج كل امرأة يؤتيها مهرها قاله بن زيد والضحاك فعلى هذا تكون الآية مبيحة لجميع النساء حاشا ذوات المحارم وقيل: المراد أحلنا لك أزواجك أي الكائنات عندك لأنهن قد اخترنك على الدنيا والآخرة قاله الجمهور من العلماء وهو الظاهر لأن قوله: أتيت أجورهن ماض ولا يكون الفعل الماضي بمعنى الإستقبال إلا بشروط ويجيء الأمر على هذا التأويل ضيقاً على النبي □ (2036).

قال أم المؤمنين عائشة: ما مات رسول الله □ حتى أحل له النساء فعلى ذلك تكون هذه الآية منسوخة ولكن أكثر أهل التفسير على أنها محكمة وأن النبي □ لم يكن له الزواج بغير من تزوج وذلك تكريماً لهن عندما نزلت آية التخيير فاخترن الله ورسوله. والله أعلم.

أما الأثران الآخران في قوله تعالى (وامرأة مؤمنة إن وهبت نفسها للنبي) فنزلت هذه الآية في إباحة الواهبة نفسها للنبي □ وكانت هذه من خصوصيتها □ لقوله تعالى (خالصة لك من دون المؤمنين)، فلا يحل لامرأة أن تهب نفسها لرجل غير النبي □، وقد جاءت تسمية هذه المرأة بأمر شريك.

قلت: لم يصح سبب النزول فعليه تكون الآية نزلت بياناً لحكم زواج النبي □ وهي متعلقة بما قبلها فلما ذكر الله تعالى عدة أحكام مثل التنبئ وغير ذلك فذكر الله تعالى من هي المرأة التي يحل للنبي □ نكاحها بياناً حتى لا يماري أحد فيما أباح الله لرسوله وفيما ضيق عليه فيه. والله تعالى أعلم.

[تفسير مختصر للآية]

(يا أيها النبي إنا أحلنا لك أزواجك اللاتي آتيت أجورهن) أي إنا قد أبحنا لك يا محمد أنواعاً من النساء، توسعة عليك، وتيسيراً لك في تبليغ الدعوة، فمن ذلك إنا أبحنا لك زوجاتك اللاتي تزوجتهن بصدقات مسمى، وهن في عصمتك هذا أحد قولين للمفسرين، والآخر أن المراد جميع النساء فقد أباح الله لرسوله □ أن يتزوج كل امرأة يعطيها مهرها.

(وما ملكت يمينك مما أفاء الله عليك) أي وأبحنا لك أيضاً النساء اللاتي تملكهن في الحرب بطريق الانتصار على الكفار، وإنما قيدهن بطريق الغنائم، لأنهن أفضل من اللاتي يملكن بالشراء، فقد بذل في إحرارهن جهد ومشقة، لم يكن في الصنف الثاني. (وبنات عمك وبنات عماتك وبنات خالك وبنات خالاتك اللاتي هاجرن معك) أي وأبحنا لك قريباتك من (بنات الأعمام) و(العمات) و(الأخوال) و(الخالات)، بشرط الهجرة معك.

(وامرأة مؤمنة إن وهبت نفسها للنبي) أي وأحلنا لك النساء المؤمنات الصالحات اللواتي وهبن أنفسهن لك، حبا في الله ورسوله وتقرباً لك.

(إن أراد النبي أن يستنكحها) أي إن أردت يا محمد أن تتزوج من شئت منهن بدون مهر (خالصة لك من دون المؤمنين) أي خاصة لك يا محمد دون سائر المؤمنين، فإنه لا يحل لهم التزوج بدون مهر، ولا تصح الهبة، بل يجب مهر المثل.

(قد علمنا ما فرضنا عليهم في أزواجهم وما ملكت أيانهم) أي قد علمنا ما أوجبنا على المؤمنين من نفقتن، ومهر، وشهود في العقد، وعدم تجاوز أربع من النساء، وما أبحنا لهم من ملك اليمين، عدا الحرائر، أما أنت فقد خصصناك بخصائص تيسيراً لك.

(لكيلا يكون عليك حرج) أي لئلا يكون عليك مشقة أو ضيق. (وكان الله غفوراً رحيماً) أي عظيم المغفرة واسع الرحمة (2037).

(تَرْجِي مَنْ تَشَاءُ مِنْهُنَّ وَتُؤَيِّ إِلَيْكَ مَنْ تَشَاءُ وَمَنْ أَبْغَيْتَ مِمَّنْ عَزَلْتَ فَلَا جُنَاحَ عَلَيْكَ ذَلِكَ أَدْنَىٰ أَنْ تَقَرَّ أَعْيُنُهُنَّ وَلَا يَحْزَنَ وَيَرْضَيْنَ بِمَا آتَيْنَهُنَّ كُلَّهُنَّ وَاللَّهُ يَعْلَمُ مَا فِي قُلُوبِكُمْ وَكَانَ اللَّهُ عَلِيمًا حَلِيمًا ٥١)

قوله تعالى: (ترجي من تشاء) - الآية.

886. أخرج الشيخان عن عائشة أنها كانت تقول: «أما تستحي المرأة أن تهب نفسها، فأنزل الله: (ترجي من تشاء) - الآية فقالت عائشة: أرى ربك يسارع لك في هواك (2038)».

887. وأخرج ابن سعد عن أبي رزين قال: «هم رسول الله □ أن يطلق من نسائه، فلما رأين ذلك جعلنه في حل من أنفسهن يؤثر من يشاء على من يشاء، فأنزل الله: (إنا أحلنا لك أزواجك) ((إلى قوله: (ترجي من تشاء منهن) - الآية (2039)».

[تعليق]

ذكر المؤلف رحمه الله أثرين في سبب نزول هذه الآية وهما يشتملان على سببين للنزول.

الأول: أن الله تعالى أباح لنبيه أن يتزوج من يشاء ممن تقدم ذكرهن أو يترك من يشاء.

الثاني: أن الله تعالى أباح لنبيه □ أن يترك القسمة لمن يشاء من نسائه ويقسم لمن يشاء منهن.

قال صاحب الهداية: وقال أبو رزين: لما أسفق النبي □ أن يطلقهن، قلن يا رسول الله: اجعل لنا في مالك ونفسك ما

شئت فكان ممن أرجأ منهم سودة بنت زمعة وجويرية وصفية وأم حبيبة وميمونة، وكان ممن أوى عائشة وأم سلمة وحفصة

(2036) تفسير القرطبي - (14/ 205)

(2037) صفوة التقاسير - للصابوني (3/ 46)

(2038) صحيح البخاري 1966/ 5 ح (4823) صحيح مسلم 2/1085 ح (1464) سنن ابن ماجة ص 644/ 1 ح (2000) مصنف ابن أبي شيبة 4/16 ح (17327) صحيح ابن

حبان 14/282 ح 6367 سنن البيهقي الكبرى 7/55 ح (13132) سنن النسائي الكبرى 3/259 ح (5306) مسند أحمد 6/134 ح (25070)

(2039) الطبقات الكبرى 8/169 ضعيف الإسناد

قلت: والآية تشمل كلا المعنيين. فقد ثبت فله □ أن يختار من يشاء ممن أحل الله إليه فيؤوبها إليه ولها أن يؤخرها، وله كذلك أن يؤخر من يشاء من أزواجه فيترك القسمة، وله أن يقسم. وقد ثبت في الصحيح أن النبي □ لما أراد أن يطلق سودة، قالت لا تطلقني ونوبتي لعائشة فتركت نوبتها لعائشة رضي الله عنهن أجمعين.

[تفسير مختصر للآية]

(ترجي من تشاء منهن وتؤوي إليك من تشاء) أي ولك - أيها النبي - الخيار في أن تطلق من تشاء من زوجاتك، وتمسك من تشاء منهن (هذا قول ابن عباس، وقال مجاهد والضحاك تقسم لمن شئت وتؤخر عنك من شئت، وتقل لمن شئت وتكثر لمن شئت، لا حرج عليك في ذلك)

(ومن ابتغيت ممن عزلت فلا جناح عليك) أي وإذا أحببت أن تؤوي إليك امرأة ممن عزلت من القسمة، فلا إثم عليك ولا عتب. (ذلك أدنى أن تقر أعينهن ولا يحزن ويرضين بما آتيتهن كلهن) أي ذلك التخيير الذي خيرناك من أمرهن، أقرب أن ترتاح قلوبهن فلا يحزن، ويرضين بصنيعك، لأنهن إذا علمن أن هذا أمر من الله، كان أطيّب لأنفسهن فلا يشعرن بالحزن والألم. (والله يعلم ما في قلوبكم) خطاب للنبي على جهة التعظيم، أي يعلم ما في قلبك يا محمد وما في قلب كل إنسان، من عدل أو ميل، ومن حب أو كراهية، وإنما خيرناك فيهن تيسيراً عليك فيما أردت. (وكان الله عليماً حليماً) أي واسع العلم يعلم جميع ما تظهرون وما تخفون، حليماً يضع الأمور في نصابها ولا يعاجل بالعقوبة، بل يؤخر ويمهل، لكنه لا يهمل⁽²⁰⁴¹⁾.

(لَا يَحِلُّ لَكَ النِّسَاءُ مِنْ بَعْدٍ وَلَا أَنْ تَبَدَّلَ بِهِنَّ مِنْ أَزْوَاجٍ وَلَوْ أَعْجَبَكَ حُسْنُهُنَّ إِلَّا مَا مَلَكَتْ يَمِينُكَ وَكَانَ اللَّهُ عَلِيًّا)
كُلُّ شَيْءٍ رَقِيبًا ٥٢

قوله تعالى: (لا يحل لك النساء من بعد) - الآية.

888. أخرج ابن سعد عن عكرمة قال: «خير رسول الله □ أزواجه، فاخترن الله ورسوله، فأنزل الله: (لا يحل لك النساء من بعد ولا أن تبدل بهن من أزواج)⁽²⁰⁴²⁾».

[تعليق]

ذكر المؤلف رحمه الله تعالى أثراً واحداً في سبب نزول هذه الآية، وهو يحرم على النبي □ أن يتزوج بغير من تزوج من نسائه والأثر يدل على أن ذلك كان مكافئة لهن على أنهن اخترن الله ورسوله، وهذا على قول جمهور أهل التفسير، والقول الثاني تقدم عن أم المؤمنين عائشة: أن الله تعالى أحل له الزواج من كل النساء. لكن النبي □ لم يتزوج بعد نزول هذه الآية بأحد من النساء فكان ذلك ترجيحاً للقول الأول. والله تعالى أعلم.

[تفسير مختصر للآية]

(لا يحل لك النساء من بعد) أي لا يحل لك أيها النبي النساء، من بعد هؤلاء التسع اللاتي في عصمتك. (ولا أن تبدل بهن من أزواج) أي ولا يحل لك أن تطلق واحدة منهن، وتتكح مكانها أخرى (ولو أعجبت حسنهن) أي ولو أعجبتك جمال غيرهن من النساء. (إلا ما ملكت يمينك) أي إلا ما كان من الجوارح والإماء فلا بأس في ذلك، لأنهن لسن زوجات. (وكان الله على كل شيء رقيباً) أي مطلعاً على أعمالكم شاهداً عليها، وفيه تحذير من مجاوزة حدوده، وتخطي حلاله وحرامه⁽²⁰⁴³⁾.

(يَا أَيُّهَا الَّذِينَ آمَنُوا لَا تَدْخُلُوا بُيُوتَ النَّبِيِّ إِلَّا أَنْ يُؤْذَنَ لَكُمْ إِلَى طَعَامٍ غَيْرٍ نُظْرِينَ إِنَّهُ وَلَكِنْ إِذَا دُعِيتُمْ فَادْخُلُوا فَإِذَا طَعِمْتُمْ فَانْتَشِرُوا وَلَا مُسْتَسِينِينَ لِحَدِيثِ إِنْ دَلِكُمْ كَانَ يُؤْذِي النَّبِيَّ فَيَسْتَحْيِي مِنْكُمْ وَاللَّهُ لَا يَسْتَحْيِي مِنْ لَحَقٍّ وَإِذَا سَأَلْتُمُوهُنَّ مَتْعًا فَسْأَلُوهُنَّ مِنْ وَرَاءِ حِجَابٍ ذَلِكُمْ أَطْهَرُ لِقُلُوبِكُمْ وَقُلُوبِهِنَّ وَمَا كَانَ لَكُمْ أَنْ تُؤْذُوا رَسُولَ اللَّهِ وَلَا أَنْ تُنْكِحُوا زُجُوجَهُ مِنْ بَعْدِهِ أَبَدًا إِنَّ ذَلِكُمْ كَانَ عِنْدَ اللَّهِ عَظِيمًا ٥٣)

قوله تعالى: (يا أيها الذين آمنوا لا تدخلوا) - الآية. تقدم حديث عمر في سورة البقرة.

889. وأخرج الشيخان عن أنس قال: «لما تزوج النبي □ زينب بنت جحش دعا القوم فطعموا ثم جلسوا يتحدثون، فأخذ كأنه يتهيأ للقيام فلم يقوموا، فلما رأى ذلك قام وقام من القوم من قام وقعد ثلاثة ثم انطلقوا، فجنبت فأخبرت النبي □ أنهم انطلقوا، فجاء حتى دخل وذهبت أدخل فألقى الحجاب بيني

(2040) الهداية إلى بلوغ النهاية (9/ 5857)

(2041) صفوة التفاسير - للصابوني (3/ 46)

(2042) مرسل.

(2043) صفوة التفاسير - للصابوني (3/ 46)

وبينه، وأنزل الله: (يا أيها الذين آمنوا لا تدخلوا بيوت النبي) إلى قوله: (إن ذلكم كان عند الله عظيماً⁽²⁰⁴⁴⁾)».

890. وأخرج الترمذي وحسنه عن أنس قال: «كنت مع رسول الله ﷺ، فأتى باب امرأة عرس بها، فإذا عندها قوم فانطلق ثم رجع وقد خرجوا، فدخل فأرخی بيني وبينه سترًا، فذكرته لأبي طلحة فقال: لنن كان كما تقول لينزلن في هذا شيء، فنزلت آية الحجاب⁽²⁰⁴⁵⁾».

891. وأخرج الطبراني بسند صحيح عن عائشة قالت: «كنت أكل مع النبي ﷺ في قعب⁽²⁰⁴⁶⁾، فمر عمر فدعاه فأكل، فأصابت أصبعه أصبعي، فقال أوه⁽²⁰⁴⁷⁾ لو أطاع، فيكن ما رأيتك عين، فنزلت آية الحجاب⁽²⁰⁴⁸⁾».

892. [ك] وأخرج ابن مردويه عن ابن عباس قال: «دخل رجل على النبي ﷺ فأطال الجلوس، فخرج النبي ﷺ ثلاث مرات ليخرج فلم يفعل، فدخل عمر فرأى الكراهية في وجهه فقال: للرجل لعلك أدبت النبي ﷺ، فقال النبي ﷺ: لقد قمت ثلاثا لكي يتبعني فلم يفعل»⁽²⁰⁴⁹⁾. فقال له عمر: يا رسول الله لو اتخذت حجاباً فإن نساءك لسن كسائر النساء وذلك أظهر لقلوبهن، فنزلت آية الحجاب⁽²⁰⁴⁹⁾».

قال الحافظ ابن حجر: يمكن الجمع بأن ذلك وقع قبل قصة زينب، فلقربه منها أطلق نزول آية الحجاب بهذا السبب، ولا مانع من تعدد الأسباب.

893. وأخرج ابن سعد عن محمد بن كعب قال: «كان رسول الله ﷺ إذا نهض إلى بيته بادروه فأخذوا المجالس فلا يعرف ذلك في وجه رسول الله ﷺ ولا يبسط يده إلى الطعام استحياء منهم، ففعلوا في ذلك فأنزل الله: (يا أيها الذين آمنوا لا تدخلوا بيوت النبي) - الآية⁽²⁰⁵⁰⁾».

قوله تعالى: (وما كان لكم) - الآية.

894. [ك] أخرج ابن أبي حاتم عن ابن زيد قال: «بلغ النبي ﷺ أن رجلاً يقول: لو قد توفي النبي ﷺ تزوجت فلانة من بعده، فنزلت: (وما كان لكم أن تؤذوا رسول الله) - الآية⁽²⁰⁵¹⁾».

895. وأخرج عن ابن عباس قال: «نزلت في رجل هم أن يتزوج بعض نساء النبي ﷺ بعده». قال سفيان: ذكروا أنها عائشة⁽²⁰⁵²⁾».

896. [ك] وأخرج عن السدي قال: «بلغنا أن طلحة بن عبيد الله قال: أيجبنا محمد عنبات عمنا ويتزوج نساءنا، لنن حدث به حدثاً لنتزوجن نساءه من بعده، فأنزلت هذه الآية⁽²⁰⁵³⁾».

897. [ك] وأخرج ابن سعد عن أبي بكر بن محمد بن عمرو بن حزم قال: «نزلت في طلحة بن عبيد الله لأنه قال: إذا توفي رسول الله ﷺ تزوجت عائشة⁽²⁰⁵⁴⁾».

898. وأخرج ابن جرير عن ابن عباس: «أن رجلاً أتى بعض أزواج النبي ﷺ فكلمها وهو ابن عمها فقال النبي ﷺ: «لا تقومون هذا المقام بعد يومك هذا». فقال: يا رسول الله إنها ابنة عمي والله ما قلت لها منكراً ولا قالت لي، قال النبي ﷺ: «قد عرفت ذلك إنه ليس أحد أغير من الله وإنه ليس أحد أغير مني». فمضى ثم قال: يمنعني من كلام ابنة عمي لأتزوجنها من بعده، فأنزل الله هذه الآية قال ابن عباس: فأعتق ذلك الرجل رقبة وحمل على عشرة أبعرة في سبيل الله وحج ماشياً توبة من كلمته⁽²⁰⁵⁵⁾».

[تعليق]

ذكر المؤلف رحمه الله تعالى عدة آثار في سبب نزول هذه الآية. ولكنه لم يرتبها ترتيباً حسناً، فبدأ بقصة الحجاب قبل

(2044) صحيح البخاري 4/1799 ح (4513) صحيح مسلم 2/1050 ح (1428) صحيح ابن حبان 12/391 ح (5578) سنن البيهقي الكبرى 7/87 سنن النسائي الكبرى 6/435 ح (11417) المعجم الأوسط 8/243 سنن الترمذي 5/357 ح (3217) مسند أحمد 3/105 ح (12042) شرح معاني الآثار 4/333

(2045) سنن الترمذي 5/356 ح (3217) وقال: غريب من هذا الوجه، قلت في سننه أشبهل بن حاتم فيه ضعف

(2046) [الغُعب]: الفُدْح الضَّخْمُ، الغَلِيظُ الجافي، وقيل: فُدْح من خَسَبٍ مَفْعَرٍ؛ وقيل: هو فُدْح إلى الصَّغَرِ، يُشَبَّه به الحافِرُ، وهو يُزَوِّي الرجل. لسان العرب 1/683

(2047) أَوْه كلمة يقولها الرجل عند الشكايَةِ والتَّوجع وهي ساكنة الواو مكسورة الهاء. وربما قلبوا الواو ألفاً فقالوا: أوه من كذا وربما شددوا الواو وكسروها وسكَّتوا الهاء فقالوا

: أَوْه وربما حذفوا الهاء فقالوا أَوْ. وبعضهم بفتح الواو مع التشديد فيقول أَوْه النهاية في غريب الأثر (1/195)

(2048) سنن النسائي الكبرى 6/435 ح (11419) المعجم الصغير 1/149 ح (227) الأدب المفرد 362 ح (1053) وإسناده صحيح ومجاهد صحيح السماع من عائشة كما رجه

الشيخان خلافاً ليجي بن سعيد وابن معين وأبي حاتم الرازي، وروايته عنها في الصحيحين مصرحاً بالسماع قال الإمام البخاري: حدثنا الحميدي قال حدثنا سفيان عن مسعر

عن موسى بن أبي كثير عن مجاهد عن عائشة به.

(2049) الأحاديث المختارة 10/160 ح (160) المعجم الكبير 11/438 ح (12244) وإسناده جيد قال الإمام الطبراني: حدثنا عبد الله بن أحمد بن حنبل حدثني أبو عبيدة بن

فضيل بن عياض ح وحدثنا الحسين بن إسحاق التستري ثنا إسماعيل بن عبد الله بن زرارة الرقي قالنا ثنا بشر بن السري ثنا رباح بن معروف المكي عن سالم بن عجلان

الأفطس عن سعيد بن جبير عن ابن عباس به

(2050) الطبقات الكبرى لابن سعد 8/174 وفي إسناده موسى بن عبيدة ضعيف

(2051) تفسير ابن أبي حاتم 10/3150 تفسير الطبري 22/40 مرسل وابن زيد ضعيف وهو عبد الرحمن بن زيد بن أسلم

(2052) تفسير ابن أبي حاتم 10/3150 وفي إسناده محمد بن حميد الرازي.

(2053) المصدر السابق مرسل.

(2054) الطبقات الكبرى لابن سعد 8/201 ضعيف مرسل

(2055) ضعيف.

قصة الطعام وسوف أحاول ترتيب هذه الآثار على حسب مقاطع الآية.
فالمقطع الأول وهو قوله تعالى: (يَا أَيُّهَا الَّذِينَ آمَنُوا لَا تَدْخُلُوا بُيُوتَ النَّبِيِّ إِلَّا أَنْ يُؤْذَنَ لَكُمْ إِلَى طَعَامٍ غَيْرٍ نَاطِرِينَ إِنَاءً
وَلَكِنْ إِذَا دُعِيتُمْ فَادْخُلُوا فَإِذَا طَعِمْتُمْ فَانْتَشِرُوا وَلَا مُسْتَأْنِسِينَ لِحَدِيثٍ إِنَّ ذَلِكَ كَانَ يُؤْذِي النَّبِيَّ فَيَسْتَحْيِي مِنْكُمْ وَاللَّهُ لَا يَسْتَحْيِي مِنَ
الْحَقِّ)

فهذا المقطع فيه الأمر بأن لا يدخلوا بيوت النبي □ بغير إذن إلى طعام غير ناظرين إناه: يعنى غير منتظرين
نضجه. وقد كانوا يدخلون بيت النبي □ ويجلسون حتى يعرف يغضب النبي □. ويدل على ذلك الأثر الأول وكذلك أثر محمد بن
كعب: «كان رسول الله □ إذا نهض إلى بيته بادره فأخذوا المجالس فلا يعرف ذلك في وجه رسول الله □ ولا يبسط يده إلى
الطعام استحياء منهم، فعوتبوا في ذلك فأنزل الله: (يا أيها الذين آمنوا لا تدخلوا بيوت النبي). فنزلت الآية نهياً لهم عن فعل
ذلك.

المقطع الثاني قوله تعالى (وإذا سألتموهن متاعاً فاسألوهنَّ من وراء حجابٍ ذلكم أطهر لقلوبكم وقلوبهنَّ)

وهي الآية هي آية الحجاب: وقد اختلف في سبب نزولها على أقوال:

الأول: أن النبي □ لما تزوج بزَيْنَب بن جحش دخل عليه طائفة من أصحابه، ولم يخرجوا حتى خرج النبي □ ودخل
عدة مرات رجاء أن يذهبوا، فلما لم يذهبوا، فنزلت آية الحجاب.

الثاني: أنها نزلت بسبب عمر بن الخطاب لما طعم عند النبي □ فلمست يده يدا عائشة فغضب عمر لذلك فتمنى أن
ينزل الحجاب فنزل.

وهذا الأثر غير صحيح ولم يذكر في شيء من صحيح الآثار. ولكن الذي ذلك ما سيأتي بعد ذلك وهو السبب.

الثالث: وقد رواه الإمام البخاري بلفظ عن أنس قال: قال عمر رضي الله عنه: وافقت ربي في ثلاث قلت يا (رسول الله
لو) اتخذنا (من مقام إبراهيم صلى) فنزلت (واتخذوا من مقام إبراهيم صلى). وقلت يا رسول الله إن نساءك يدخل عليهن البر
والفاجر فلو أمرتهن أن يحتجبن فنزلت آية الحجاب. واجتمع على رسول الله صلى الله عليه وسلم نساؤه في الغيرة فقلت لهن (عسى
ربه إن يطفن أن يبده أزواجاً خيراً ممنكن) قال فنزلت كذلك⁽²⁰⁵⁶⁾.

وقد روى الإمام الطبري وغيره عن أبي وائل عن عبد الله، قال: أمر عمر نساء النبي صَلَّى اللهُ عَلَيْهِ وَسَلَّمَ بالحجاب،
فقلت زينب: يا بن الخطاب إنك لتغار علينا والوحي ينزل في بيوتنا، فأنزل الله (وَإِذَا سَأَلْتُمُوهُنَّ مَتَاعًا فَاسْأَلُوهُنَّ مِنْ وَرَاءِ
حِجَابٍ)⁽²⁰⁵⁷⁾.

وروي البخاري رحمه الله: أن عمر كان يقول لرسول الله □ : احجب نساءك، فلا يفعل، فخرجت سوذة ليلة، فقال عمر: قد
عرفناك يا سوذة - حرصاً على أن ينزل الحجاب - فنزل الحجاب⁽²⁰⁵⁸⁾.

قلت: يحمل على تعدد أسباب النزول كما قال الإمام ابن حجر والله أعلم.

المقطع الثالث: هو قوله تعالى (وما كان لكم أن تأذوا رسول الله ولا أن تتكفروا بأزواجه من بعده أبداً) .

وقد ذكر في سبب نزولها أنها نزلت في عدة أسباب.

الأول: في رجل أراد أن يتزوج إحدى أمهات المؤمنين بعد وفاة النبي □ .

الثاني: أن طلحة هو الذي فعل ذلك، وربما يحمل المبهم في الرواية الأولى على المبين في الرواية الثانية. غير أن مقام طلحة أرفع
من أن يتمنى هذا وهو من المبشرين والأولين على أن إسناد القصة لا يصح.

الثالث: أنها نزلت في ابن عم لإحدى أمهات المؤمنين أراد أن يتزوجها من بعد النبي □ .

قلت: وعلى كل حال، فالآية نزلت مبينة أنها لا يحل ولا يصح نكاح أمهات المؤمنين بعد رسول الله □ ، فإنهن أزواجه
في الآخرة كما جاء في بعض الروايات. والله تعالى أعلم.

[تفسير مختصر للآية]

(يا أيها الذين آمنوا لا تدخلوا بيوت النبي إلا أن يؤذن لكم) الإضافة للتشريف والتكريم، والآية توجيه للمؤمنين لهذا الأدب السامي
العظيم والمعنى: لا تدخلوا بيوت النبي في حال من الأحوال، إلا في حال الإذن لكم منه عليه السلام، مراعاة لحقوق نسائه، وحرصاً
على عدم إيذائه، والإتقال عليه.

(إلى طعام غير ناظرين إناه) أي إلا حين يدعوكم إلى طعام غير منتظرين نضجه.

(ولكن إذا دعيتم فادخلوا) أي ولكن إذا دعيتم وأذن لكم في الدخول فادخلوا.

(فإذا طعمتم فانتشروا) أي فإذا انتهيتم من الطعام، فتفرقوا إلى دوركم ولا تمكثوا.

(ولا مستأنسين لحديث) معطوف على (غير ناظرين) أي لا تدخلوا بيوته منتظرين للطعام، ولا مستأنسين لحديث بعضكم
بعضاً، قال أبو حيان: نهوا أن يطيلوا الجلوس، يستأنس بعضهم ببعض لحديث يحدثه به.

(إن ذلكم كان يؤذي النبي) أي إن صنيعكم هذا يؤذي الرسول، ويضايقه ويثقل عليه، ويمنعه من قضاء كثير من مصالحه وأموره.

(فيستحيي منكم) أي فيستحيي من إخراجكم، ويمنعه حياؤه أن يأمركم بالانصراف، لخلق الرفيع، وقلبه الرحيم.

(والله لا يستحيي من الحق) أي والله جل وعلا لا يترك بيان الحق، ولا يمنعه مانع من إظهار الحق وتبينانه لكم، قال القرطبي: هذا
أدب أدب الله به الثقلاء، وفي كتاب الثعلبي: حسبك من الثقلاء أن الشرع لم يحتملهم.

(وإذا سألتموهن متاعاً فاسألوهن من وراء حجاب) أي وإذا أردتم حاجة من أزواجه الطاهرات، فأطلبوه من وراء حاجز وحجاب.

(ذلكم أطهر لقلوبكم وقلوبهن) أي سؤالكم إياهن المتاع من وراء حجاب أذكى وأطهر لقلوبكم وقلوبهن، وأنفى للريبة وسوء الظن.

(وما كان لكم أن تؤذوا رسول الله) أي وما ينبغي لكم ولا يليق بكم، أن تؤذوا رسولكم الذي هداكم الله به.

(2056) صحيح البخاري (1/ 111)

(2057) جامع البيان (تفسير الطبري) (20/ 312)

(2058) صحيح البخاري (1/ 49)

(357)

(ولا أن تتكحوا أزواجه من بعده أبداً) أي ولا أن تتزوجوا زوجاته من بعد وفاته أبداً، لأنهن كالأمهات لكم، وهو كالوالد فهل يليق بكم أن تؤذوه في نفسه أو أهله؟
(إن ذلكم كان عند الله عظيماً) أي إن إيذاءه، ونكاح أزواجه من بعده أمر عظيم، وذنب كبير لا يغفره الله لكم، قال أبو السعود: وفيه من تعظيمه تعالى لشأن رسوله □ وإيجاب حرمة حيا وميتا ما لا يخفى⁽²⁰⁵⁹⁾.

(إِنَّ الَّذِينَ يُؤْذُونَ اللَّهَ وَرَسُولَهُ لَعَنَهُمُ اللَّهُ فِي الدُّنْيَا وَالْآخِرَةِ وَأَعَدَّ لَهُمْ عَذَابًا مُهِينًا ٥٧)

قوله تعالى: (إن الذين يؤذون الله ورسوله) - الآية.

899. أخرج ابن أبي حاتم من طريق العوفي عن ابن عباس في قوله: (إن الذين يؤذون الله ورسوله) - الآية قال: «نزلت في الذين طعنوا على النبي □ حين اتخذ صفية بنت حيي⁽²⁰⁶⁰⁾». □
900. وقال جويبير عن الضحاك عن ابن عباس: «أنزلت في عبد الله بن أبي وناس معه قذفوا عائشة، فخطب النبي □ وقال: «من يعذرنى من رجل يؤذيني ويجمع في بيته من يؤذيني؟ فنزلت⁽²⁰⁶¹⁾».

[تعليق]

ذكر المؤلف رحمه الله أثرين في سبب نزول هذه الآية، وفيهما سببان للنزول.
الأول: أنها نزلت في الذين طعنوا في زواج النبي □ من صفية بن حيي، وكان النبي □ تزوجها بعدما انتصر على اليهود في خيبر، وكانت بنت حيي بن أخطب رأس اليهود، فلما تزوجها النبي □ طعن في ذلك بعض أهل النفاق فنزلت الآية.
الثاني: أنها نزلت في عبد الله بن أبي وغيره من أهل النفاق عندما قذفوا أم المؤمنين عائشة وقد تقدم ذلك في سورة النور فنزل هذا الآية في تلك القصة بعيد، وإن كان دخلاً في عمومها لكن لا يساعده إسناد القصة هنا فإسنادها ضعيف.
وقد جاء في سبب نزولها أيضاً: ما أورده الإمام الثعلبي قال: وقال ابن عباس: هم اليهود والنصارى والمشركون، فأما اليهود فقالوا: يَدُ اللَّهِ مَغْلُوبَةٌ وقالوا: إِنَّ اللَّهَ فَاقِرٌ. وقالت النصارى: الْمَسِيحُ ابْنُ اللَّهِ وَتَالِثُ ثَلَاثَةٍ. وقال المشركون: الملائكة بنات الله، والأصنام شركاؤه⁽²⁰⁶²⁾.
وكذلك ما أخرجه عن عكرمة قال: هم أصحاب التصاوير الذين يرومون تكوين خلق مثل خلق الله عز وجل، وفي بعض الأخبار يقول الله جل جلاله: ومن أظلم ممن أراد أن يخلق مثل خلقي فليخلق حبة أو ذرة، وقال عليه السلام: «لعن الله المصورين⁽²⁰⁶³⁾».

قلت: والذي يظهر عموم الآية في كل من آذى الله ورسوله بنوع من الإيذاء، فهي مرتبطة بما قبلها في المعنى ويدخل فيها كل ما ذكر والله تعالى أعلم.

[تفسير مختصر للآية]

(إن الذين يؤذون الله ورسوله) أي يؤذون الله بالكفر، ونسبة الصحابة والولد له، ووصفه بما لا يليق به جل وعلا، كقول اليهود: (يد الله مغلوبة) وقول النصارى (المسيح ابن الله) ويؤذون الرسول بالتكذيب برسالاته، والطعن في شريعته، والاستهزاء بدعوته، قال ابن عباس: نزلت في الذين طعنوا على الرسول □ حين اتخذ صفية بنت حيي.
(لعنهم الله في الدنيا والآخرة) أي طردهم من رحمته، وأحل عليهم سخطه وغضبه، في الدنيا بالهوان والصغار، وفي الآخرة بالخلود في عذاب النار.
(وأعد لهم عذاباً مهيناً) أي وهباً لهم عذاباً شديداً، بالغ الغاية في الإهانة والتحقير⁽²⁰⁶⁴⁾.

(يَا أَيُّهَا النَّبِيُّ قُلْ لَأَزْوَاجِكُمْ وَبَنَاتِكُمْ وَنِسَاءَ الْمُؤْمِنِينَ يُدْنِينَ عَلَيْهِنَّ مِنْ جَلِيبِهِنَّ ذَلِكَ أَذْنَىٰ أَنْ يُعْرَفْنَ فَلَا يُؤْذِينَ ٥٩)
وَكَانَ اللَّهُ غَفُورًا رَحِيمًا ٥٩

قوله تعالى: (يا أيها النبي قل لأزواجك وبناتك) - الآية.

901. [ك] وأخرج البخاري عن عائشة قالت: «خرجت سودة بعدما ضرب الحجاب لحاجتها - وكانت امرأة جسيمة لا تخفى على من يعرفها - فراها عمر فقال: يا سودة أما والله ما تخفين علينا فانظري كيف تخرجين، قالت: فانكفات راجعة ورسول الله □ في بيتي وإنه ليتعشى وفي يده عرق، فدخلت فقلت: يا رسول الله إنني خرجت لبعض حاجتي، فقال لي عمر: كذا وكذا، قالت: فأوحى الله إليه ثم رفع عنه وإن العرق في يده ما وضعه، فقال: «إنه قد أذن لكن أن تخرجن لحاجتكن⁽²⁰⁶⁵⁾».

(2059) صفوة التفسير - للصابوني (48/3)

(2060) تفسير ابن أبي حاتم 10/3152 تفسير الطبري 22/45 ضعيف الإسناد (2061) ضعيف

(2062) الكشف والبيان عن تفسير القرآن (63/8)

(2063) الكشف والبيان عن تفسير القرآن (63/8)

(2064) صفوة التفسير - للصابوني (49/3)

(2065) صحيح البخاري 4/1800 ح (4517) صحيح مسلم 4/1709 ح (2170) مسند أحمد 6/56 ح (24335) سنن البيهقي الكبرى ص 88:7 ح (13283) مسند إسحاق

902. وأخرج ابن سعد في الطبقات عن أبي مالك قال: «كان نساء النبي ﷺ يخرجن بالليل لحاجتهن، وكان ناس من المنافقين يتعرضون لهن فيؤذنين، فشكوا ذلك، فقيل ذلك للمنافقين فقالوا: إنما نفعله بالإماء فنزلت هذه الآية: (يا أيها النبي قل لأزواجك وبناتك ونساء المؤمنين يدنين عليهن من جلابيبهن ذلك أدنى أن يعرفن فلا يؤذنين) (2066)».
903. ثم أخرج نحوه عن الحسن.
904. ومحمد بن كعب القرظي (2067).

[تعليق]

أورد المؤلف عدة آثار في سبب نزول هذه الآية. أما أثر عمر الأول، فقد ذكرناه قريباً عند ذكر آية الحجاب وليس فيه تصريح بسبب النزول ولذلك لم يذكره أهل التفسير عند هذه الآية.

أما الأثر الثاني: ففيه أنها نزلت بسبب إيذاء بعض المنافقين للنساء الأحرار إذ خرجن إلى حاجتهن في الليل، فنزلت الآية حتى تميز بين الحرة والأمة، فالحرة يجب عليها أن تغطي وجهها أما الأمة فلا فيعرف أن هذه حرة وأن تلك أمة والله تعالى الموفق.

[تفسير مختصر للآية]

(يا أيها النبي قل لأزواجك وبناتك ونساء المؤمنين يدنين عليهن من جلابيبهن) أي قل يا أيها الرسول لزوجاتك الطاهرات - أمهات المؤمنين - وبناتك الفضليات الكريمات، وسائر نساء المؤمنين، قل لهن يلبسن الجلابيب الواسع، الذي يستتر محاسنهن وزينتهن، ويدفع عنهن ألسنة السوء، ويميزهن عن صفات نساء الجاهلية، روى الطبري: عن ابن عباس انه قال في هذه الآية: أمر الله نساء المؤمنين إذا خرجن من بيوتهن في حاجة أن يغطين وجوههن من فوق رؤوسهن بالجلابيب ويبدين عينا واحدة (هذا النص عن ابن عباس صريح في وجوب ستر الوجه، وكذا رواية ابن كثير عن محمد بن سيرين، وغيرهما من الروايات الصحيحة والصريحة بوجوب ستر المرأة للوجه، فأين أقوال السلف الصالح وأئمة علماء التفسير الأجلء، من أقوال أدعياء العلم في هذا العصر والزمان، الذي يبيحون للمرأة أن تكشف وجهها أمام الأجانب!، وروى ابن كثير عن محمد بن سيرين قال: سألت عبيدة السلماني عن قول الله عز وجل [يدنين عليهن من جلابيبهن] فغطى وجهه ورأسه، وأبرز عينه اليسرى. (ذلك أدنى أن يعرفن فلا يؤذنين) أي ذلك التستر أقرب بأن يعرفن بالعفة والتستر والصيانة، فلا يطمع فيهن أهل السوء والفساد، وقيل: أقرب بأن يعرفن أنهم حرائر، ويتميزن عن الإمام. (وكان الله غفورا رحيمًا) أي إنه تعالى غفور لما سلف منهن من تقريظ، رحيم بالعباد حيث راعى مصالحهم وشئونهم في تلك الجزئيات (2068).

انتهت سورة الأحزاب

سُورَةُ سَبَاٍ

(لَقَدْ كَانَ لِسَبَإٍ فِي مَسْكَنِهِمْ آيَةٌ جَنَّتَانِ عَن يَمِينٍ وَشِمَالٍ كُلُوا مِن رِّزْقِ رَبِّكُمْ وَأَشْكُرُوا لَهَا بَلَدَةً طَيِّبَةً وَرَبُّ
عَفُورٌ رَّحِيمٌ (١٥))

قوله تعالى: (لقد كان لسبأ) - الآية.

905. أخرج ابن أبي حاتم عن علي بن رباح قال: حدثني فلان: «أن فروة بن مسيك الغطفاني قدم على رسول الله ﷺ، فقال: يا نبي الله إن سبأ قوم كان لهم في الجاهلية عز وإني أخشى أن يرتدوا عن الإسلام أفأقاتلهم؟ فقال: «ما أمرت فيهم بشيء بعد». فانزلت هذه الآية: (لقد كان لسبأ في مسكنهم) - الآيات (2069)».

[تعليق]

سورة سبأ من السور المكية التي عاجلت ما عاجته السور المكية من الموضوعات العقائدية، بالإضافة إلى ذكر قصة قوم سبأ وما أنعم الله به عليهم وما فعل بهم عندما كفروا نعمة الله. وقد اختلف في قوله تعالى (ويرى الذين أوتوا العلم الذي أنزل إليك من ربك هو الحق ويهدي إلى صراط العزيز الحميد) أم مكية أم مدنية.

(359)

قال الإمام القرطبي: بأن السورة مكية في قول الجميع، إلا آية واحدة اختلف فيها، وهي قوله تعالى: (وَيَرَى الَّذِينَ أُوتُوا الْعِلْمَ) الآية. فقالت فرقة: هي مكية، والمراد المؤمنون أصحاب النبي ﷺ؛ قاله ابن عباس. وقالت فرقة: هي مدنية، والمراد بالمؤمنين من أسلم بالمدينة؛ كعبدالله بن سلام وغيره؛ قال مقاتل. وقال قتادة: هم أمة محمد⁽²⁰⁷⁰⁾. وقد ذكر المؤلف رحمه الله أثراً واحداً في سبب نزول هذه الآية. ولم أجد أحداً ذكره غير أبي حاتم بإسناد ضعيف. فالآية نزلت تنبيهاً لكفار قريش على ما أنعم الله به على قوم سبأ من النعم فكفروها فحولها الله عنهم، فكذلك حالكم إن فعلتم كفعالهم.

[تفسير مختصر للآية]

(لقد كان لسبأ في مسكنهم آية) اللام موطنة للقسم أي والله لقد كان لقوم سبأ في موضع سكنهم باليمن، آية عظيمة دالة على الله جل وعلا وعلى قدرته على مجازاة المحسن بإحسانه، والمسيء بإساءته، فإن قوم سبأ لما كفروا بنعمة الله، خرب الله ملكهم، وشتت شملهم، ومزقهم شر ممزق، وجعلهم عبرة لمن يعتبر! ثم بين تعالى وجه تلك النعمة فقال: (جنتان عن يمين وشمال) أي حديقتان عظيمتان فيهما من كل أنواع الفواكه والثمار، عن يمين الوادي بساتين ناضرة، وعن شماله كذلك، قال قتادة: كانت بساتين ذات أشجار وثمار، تظل الناس بظلالها، وكانت المرأة تمشي تحت الأشجار وعلى رأسها مكتل أو زنبيل، فيتساقط من الأشجار ما يملؤه، من غير كلفة ولا قطاف لكثرة ونضجه وقال البيضاوي: ولم يرد بساتين اثنتين فحسب، بل أراد جماعة من البساتين، جماعة عن يمين بلدهم، وجماعة عن شماله، سميت كل جماعة منها جنة، لكونها في تقاربها وتضامها كأنها جنة واحدة. (كلوا من رزق ربكم واشكروا له) أي وقلنا لهم على لسان الرسل: كلوا من فضل الله وإنعامه، واشكروا ربكم على هذه النعم. (بلدة طيبة ورب غفور) أي هذه بلدتكم التي تسكنونها بلدة طيبة، كريمة التربة، حسنة الهواء، كثيرة الخيرات، وربكم الذي رزقكم وأمركم بشكره، رب غفور لمن شكره⁽²⁰⁷¹⁾.

(وَمَا أَرْسَلْنَا فِي قَرْيَةٍ مِّنْ نَّذِيرٍ إِلَّا قَالَ مُتْرَفُوهَا إِنَّا بِمَا أُرْسِلْتُمْ بِهِ كَافِرُونَ ۚ (٣٤)

قوله تعالى: (وما أرسلنا في قرية من نذير) - الآية.

906. وأخرج ابن المنذر وابن أبي حاتم من طريق سفيان عن عاصم عن ابن رزين: «كان رجلان شريكان، خرج أحدهما إلى الشام وبقي الآخر، فلما بعث النبي ﷺ كتب إلى صاحبه يسأله ما عمل، فكتب إليه أنه لم يتبعه أحد من قريش إلا رداله الناس ومساكينهم، فترك تجارته ثم أتى صاحبه فقال: دلني عليه - وكان يقرأ بعض الكتب - فأتى النبي صلى الله عليه وسلم فقال: إلام تدعو؟ فقال: «إلى كذا وكذا». فقال: أشهد أنك رسول الله فقال: «وما علمك بذلك؟» قال: إنه لم يبعث نبي إلا اتبعه ردالة الناس ومساكينهم، فنزلت هذه الآية: (وما أرسلنا في قرية من نذير إلا قال مترفوها إنا بما أرسلتم به كافرون) - فأرسل إليه النبي ﷺ: «إن الله قد أنزل تصديق ما قلت⁽²⁰⁷²⁾».

[تعليق]

ذكر المؤلف رحمه الله هذا الأثر الوحيد في سبب نزول هذه الآية. وعلى الرغم أن إسناده قابل للتحسين لكن لم أجد أحداً ذكر هذا الأثر غير من عزا إليه المؤلف، فيكون معنى الآية إخبار عن أن الله تعالى ما أرسل في قرية من نذير إلا فعلوا كفعال قريش مع النبي ﷺ، والمعنى بهذا هم المترفون الأغنياء، فاتباع الرسل أكثرهم من الفقراء، كما في حديث أبي سفيان مع هرقل ملك الروم عندما سأله فقال: فأشرف الناس اتبعوه أم ضغافؤهم؟ قلت بل ضغافؤهم. قال فكذلك أتباع الرسل⁽²⁰⁷³⁾. والله تعالى أعلم.

[تفسير مختصر للآية]

(وما أرسلنا في قرية من نذير) أي لم نبعث في أهل قرية رسولا من الرسل ينذرهم عذابنا. (إلا قال مترفوها) أي إلا قال أهل الغنى والالتعم في الدنيا. (إنا بما أرسلتم به كافرون) أي لا تؤمن برسالتكم ولا نصدقكم بما جئتم به، قال قتادة: المترفون هم جبابرتهم وقادتهم ورؤسائهم في الشر، وهم الذين يبادرون إلى تكذيب الأنبياء، والقصد من الآية؟ تسلية النبي ﷺ على تكذيب قريش له⁽²⁰⁷⁴⁾. انتهت سورة سبأ

سُورَةُ فَاطِرٍ

(2070) تفسير القرطبي - (14/ 258)

(2071) صفوة التفسير - للصابوني (3/ 58)

(2072) إسناده جيد وعاصم هو بن بهدلة حديثه من قبيل الحسن ذكر إسناده ابن كثير في التفسير 3/541

(2073) صحيح البخاري (1/ 5)

(2074) صفوة التفسير - للصابوني (3/ 63)

(أَمَّن زَيْنٌ لَهُ سُوءٌ عَمَلَةٌ فَرَّاهُ حَسَنًا فَإِنَّ اللَّهَ يُضِلُّ مَنْ يَشَاءُ وَيَهْدِي مَنْ يَشَاءُ فَلَا تَذْهَبْ نَفْسُكَ عَلَيْهِمْ حَسْرَتٍ إِنَّ اللَّهَ عَلِيمٌ بِمَا يَصْنَعُونَ ٨)

قوله تعالى: (أفمن زين له سوء عمله فرأه حسناً) - الآية.

907. أخرج جويبير عن الضحاك عن ابن عباس قال: « أنزلت هذه الآية: (أفمن زين له سوء عمله) - الآية، حيث قال النبي ﷺ: « اللهم أعز دينك بعمر بن الخطاب أو بأبي جهل بن هشام ». فهدى الله عمر وأضل أبا جهل، ففيهما أنزلت (2075) ».

[تعليق]

سورة فاطر سورة مكية، وهي من السور التي ابتدأ فيها بحمد الله تعالى. وكذلك سورة سبأ المتقدمة، وهي في الجملة تدور حور أمور العقيدة وتذكير الناس بنعم الله تعالى، وما أعده الله لأولياته وما أعد له لأعدائه. وذكر المؤلف هذا الأثر الوحيد هنا، وهو أنها نزلت في أبي جهل، فهو ممن زين له سوء عمله فرأه حسناً، وقد ذكر أنها نزلت كذلك في العاص بن وائل، وقيل نزلت في اليهود والنصارى وقيل أصحاب الأهواء مثل الخوارج وقيل المجوس (2076). وكل هؤلاء داخلون تحت عموم الآية، فالكفار والمجوس واليهود والنصارى وأصحاب الأهواء، ممن زين له سوء عمله فقلب الحق باطلاً والباطل حقاً واستحسن القبيح واستفبح الحسن، فكلهم يشملهم عموم الآية. والله تعالى أعلم.

[تفسير مختصر للآية]

(أفمن زين له سوء عمله فرأه حسناً) الاستفهام للإنكار وجوابه محذوف والتقدير: أفمن زين له الشيطان عمله السيئ حتى رأه حسناً، واستحسن ما هو عليه من الكفر والضلال، كمن استقبحه واجتبه، واختار طريق الإيمان؟ ودل على هذا الحذف قوله تعالى: (فإن الله يضل من يشاء ويهدي من يشاء) أي الكل بمشيئة الله، فهو تعالى الذي يصرف من يشاء عن طريق الهدى، ويهدي من يشاء بتوفيقه للعمل الصالح والإيمان. (فلا تذهب نفسك عليهم حسرات) أي فلا تغتم يا محمد ولا تهلك نفسك حسرة على تركهم الإيمان. (إن الله عليم بما يصنعون) أي هو جل وعلا العالم بما يصنع هؤلاء من القبايح ومجازيهم عليها، وفيه وعيد لهم بالعقاب على سوء صنيعهم (2077).

(إِنَّ الَّذِينَ يَتْلُونَ كِتَابَ اللَّهِ وَأَقَامُوا الصَّلَاةَ وَأَنفَقُوا مِمَّا رَزَقْنَاهُمْ سِرًّا وَعَلَانِيَةً يَرْجُونَ تِجَارَةً لَّن تَبُورَ ٢٩)

قوله تعالى: (إن الذين يتلون كتاب الله) - الآية.

908. وأخرج عبد الغني بن سعيد الثقفى في تفسيره عن ابن عباس: « أن حصين بن الحارث بن عبد المطلب بن عبد مناف القرشي نزل فيه: (إن الذين يتلون كتاب الله وأقاموا الصلاة) - الآية (2078) ».

(تعليق)

ذكر المؤلف رحمه الله هذا الأثر في سبب نزول الآية، وهو أثر غير معروف إلا من طريق عبد الغني بن سعيد وهو أثر ضعيف الإسناد. فالآية ثناء من الله تعالى على المذكورين في هذه الآية من الذين يتلون كتاب الله ويطعمون الصلاة وينفقون مما رزقهم الله، فمدحهم الله بكونهم يرجون تجارة لا تبور. فالآية حث من الله لعباده المؤمنين بأن يفعلوا كفعال هؤلاء والله تعالى أعلم.

[تفسير مختصر للآية]

(إن الذين يتلون كتاب الله) أي يداومون على تلاوة القرآن، أثناء الليل وأطراف النهار (وأقاموا الصلاة) أي أدوها على الوجه الأكمل، في أوقاتها، بخشوعها وأدائها، وشروطها وأركانها. (وأنفقوا مما رزقناهم سراً وعلانية) أي وأنفقوا بعض أموالهم في سبيل الله وإبتغاء رضوانه في السر والعلن. (يرجون تجارة لن تبور) أي يرجون بعملهم هذا تجارة رابحة، لن تكسد ولن تهلك بالخسران أبداً (2079).

(الَّذِي أَحَلَّنَا دَارَ الْمُقَامَةِ مِن فَضْلِهِ لَا يَمَسُّنَا فِيهَا نَصَبٌ وَلَا يَمَسُّنَا فِيهَا لُغُوبٌ ٣٥)

(2075) ضعيف

(2076) تفسير العز بن عبد السلام (940)

(2077) صفوة التفسير - للصابوني (71 / 3)

(2078) عبد الغني بن سعيد ضعيف ابن يونس ووثقه ابن حبان قال الحافظ في لسان الميزان: ابن يونس أعم به فالأثر من طريقه ضعيف. والظاهر أن تفسيره مفقود والله أعلم.

(2079) صفوة التفسير - للصابوني (76 / 3)

قوله تعالى: (الذي أحلنا دار المقامة) - الآية.

909. وأخرج البيهقي في البعث وابن أبي حاتم من طريق نفيح بن الحارث عن عبد الله بن أبي أوفى قال: «قال رجل للنبي ﷺ: يا رسول الله إن النوم مما يقر الله به أعيننا في الدنيا، فهل في الجنة من نوم؟ قال: «لا إن النوم شريك الموت، وليس في الجنة موت». قال فما راحتهم؟ فأعظم ذلك رسول الله ﷺ وقال: «ليس فيها لغوب كل أمرهم راحة». فنزلت: (لا يمسنها فيها نصيب ولا يمسنها فيها لغوب) (2080)».

[تعليق]

أورد المؤلف أثراً واحداً هنا، وهو أثر ضعيف الإسناد، والآية فيها بيان لحال أهل الجنة بعد ما يدخلونها، فإنهم يحمدون الله تعالى على ما أنعم به عليهم من دخولهم الجنة وتلذذهم بنعيمها، ومن نعيم الجنة أنهم لا يمسه فيها التعب ولا المشقة نسأل الله أن يجعلنا من أهلها.

[تفسير مختصر للآية]

(الذي أحلنا دار المقامة من فضله) أي أنزلنا الجنة وأسكننا فيها، وجعلها مقراً لنا وسكناً، لا نتحول عنها أبداً، وكل ذلك من إنعامه وتفضله علينا (لا يمسنها فيها نصب) أي لا يصيبنا فيها تعب ولا مشقة (ولا يمسنها فيها لغوب) أي ولا يصيبنا فيها إعياء ولا فتور، قال ابن جزي: وإنما سميت الجنة (دار المقامة) لأنهم يقومون فيها ويمكثون ولا يخرجون منها، والنصب تعب البدن، واللغوب تعب النفس الناشيء عن تعب البدن (2081).

(وَأَقْسَمُوا بِاللَّهِ جَهْدَ أَيْمَانِهِمْ لَئِن جَاءَهُمْ نَذِيرٌ لَّيَكُونُنَّ أَهْدَىٰ مِنْ إِحْدَى الْأُمَمِ فَلَمَّا جَاءَهُمْ نَذِيرٌ مَّا زَادَهُمْ إِلَّا نُفُورًا) (٤٢)

قوله تعالى: (وأقسموا بالله جهد أيمانهم لئن جاءهم نذير) - الآية.

910. وأخرج ابن أبي حاتم عن ابن أبي هلال أنه بلغه: «أن قريشاً كانت تقول: لو أن الله بعث منا نبياً ما كانت أمة من الأمم أطوع لخالقها ولا أسمع ولا أشد تمسكا بكتابتها منا، فأنزل الله: (وإن كانوا ليقولون لو أن عندنا ذكراً من الأولين) (ولو أنا أنزل علينا الكتاب لكنا أهدى منهم) (وأقسموا بالله جهد أيمانهم لئن جاءهم نذير ليكونن أهدى من إحدى الأمم) وكانت اليهود تستفتح به على النصارى فيقولون: إنا نجد نبياً يخرج (2082)».

[تعليق]

ذكر المؤلف رحمه الله أثراً واحداً في سبب نزول هذه الآية، وهو وإن كان ضعيف الإسناد غير أن الآية واضحة المعنى في أنها نزلت في كفار قريش، حيث أقسموا بالله تعالى لئن جاءهم نذير فسوف يكونوا أهدى الأمم فلما أرسل الله تعالى محمد، هادياً مبشراً ونذيراً استكبروا في الأرض وأبوا إلا أن يصروا على كفرهم والعياذ بالله.

[تفسير مختصر للآية]

(وأقسموا بالله جهد أيمانهم) أي حلف المشركون بالله أشد الأيمان وأبلغها، قال الصاوي: كانوا يحلفون بأبائهم وأصنامهم، فإذا أرادوا التأكيد والتشديد حلفوا بالله. (لئن جاءهم نذير) أي لئن جاءهم رسول منذر. (ليكونن أهدى من إحدى الأمم) أي ليكونن أهدى من جميع الأمم، الذين أرسل الله إليهم الرسل من أهل الكتاب، قال أبو السعود: بلغ قريشاً قبل مبعث رسول الله ﷺ أن أهل الكتاب كذبوا رسلهم فقالوا: لعن الله اليهود والنصارى، أنتهم الرسل فكذبوهم، فوالله لئن أتانا رسول لنكونن أهدى من اليهود والنصارى وغيرهم. (فلما جاءهم نذير) أي فلما جاءهم محمد ﷺ أشرف المرسلين. (ما زادهم إلا نفوراً) أي ما زادهم مجيئه، إلا تباعداً عن الهدى والحق وهرباً منه (2083).

انتهت سورة فاطر

(2080) تفسير ابن أبي حاتم 10/3184 نفيح بن الحارث ضعيف

(2081) صفوة التفسير - للصابوني (78/3)

(2082) تفسير ابن أبي حاتم 10/3187 مرسل.

(2083) صفوة التفسير - للصابوني (80/3)

سُورَةُ يَسٍ

(يس ١ وَالْقُرْآنَ الْحَكِيمَ ٢ إِنَّكَ لَمِنَ الْمُرْسَلِينَ ٣ عَلَى صِرَاطٍ مُسْتَقِيمٍ ٤ تَنْزِيلَ الْعَزِيزِ الرَّحِيمِ ٥ لِنُنذِرَ قَوْمًا مَّا أَنْذَرْنَا عَنْ آبَائِهِمْ فَهُمْ غَافِلُونَ ٦ لَقَدْ حَقَّ الْقَوْلُ عَلَى أَكْثَرِهِمْ فَهُمْ لَا يُؤْمِنُونَ ٧ إِنَّا جَعَلْنَا فِيهِ أَعْنَاقَهُمْ أَغْلًا فِيهِ إِلَى الْأَذْقَانِ فَهُمْ مُقْمَحُونَ ٨ وَجَعَلْنَا مِنْ بَيْنِ أَيْدِيهِمْ سَدًّا وَمِنْ خَلْفِهِمْ سَدًّا فَأَغْشَيْنَاهُمْ فَهُمْ لَا يُبْصِرُونَ ٩ وَسَوَاءٌ عَلَيْهِمْ أُنذِرْتَهُمْ أَمْ لَمْ تُنذِرْهُمْ لَا يُؤْمِنُونَ ١٠)

قوله تعالى: (يس والقرآن الحكيم) - الآيات.

911. [ك] أخرج أبو نعيم في الدلائل عن ابن عباس قال: « كان رسول الله ﷺ يقرأ في المسجد فيجهر بالقراءة، حتى تاذى به ناس من قريش، حتى قاموا ليأخذوه وإذا أيديهم مجموعة إلى أعناقهم، وإذا بهم عمي لا يبصرون، فجاءوا إلى النبي ﷺ فقالوا: ننشدك الله والرحم يا محمد، فدعا حتى ذهب ذلك عنهم، فنزلت: (يس والقرآن الحكيم) إلى قوله: (أم لم تنذرهم لا يؤمنون) قال: فلم يؤمن من ذلك النفر أحد (2084)».

[تعليق]

سورة (يس) من السور المكية بالإجماع، وقد عرفنا من قبل ما هو موضوع السورة المكية، وقد ورد في فضائل هذه السورة عدة أحاديث، منها ما أخرجه الإمام أبو داود وغيره عن معقل بن يسار، عن النبي ﷺ قال: اقرؤا يس على موتاكم (2085). وهي من السورة ذات الشأن عند عامة الناس، وقد ورد في فضلها عدة أحاديث غير ما ذكرنا. وقد أورد المؤلف رحمه الله أثراً في سبب نزول مطلع هذه السورة، وهو أثر ضعيف الإسناد، وهو يدل على أن الكافر لا تنفعه النذارة، وقد كان النبي ﷺ يقرأ هذه الآية عندما خرج من بين أيدي كفار قريش، وهو لا يشعرون في قصة الهجرة المشهورة. واختصار هذه القصة أن كفار قريش اجتمعوا على قتل النبي ﷺ، بعد المشاورة والمحاورة بين صناديد أهل الكفر في كيفية التخلص منه، فأجمعوا بمشورة رئيسهم إبليس عليه لعنة الله على قتله بطريقة لا يرجع إليهم فيها تبعه الثأر من بنى هاشم وعبد المطلب، فأجمعوا أن يأخذوا من كل قبيلة فتاً جذاً ويعطوا كل واحد منهم سيفاً صلتاً ويضربوا محمداً ﷺ إذا هو خرج من بيته ضربة رجل واحد فيتفرق دمه في القبائل، فترضي عائلة النبي ﷺ بالدية، فاجتمع أولئك النفر يتطعلون من صير الباب، ويرصدونه يريدون بيّاتة، ويأتمرون أيهم يكون أشقاها؟ فخرج رسول الله ﷺ - فأخذ حَفَنَةً من البطحاء فذرّها على رؤوسهم، وهو يتلو: (وَجَعَلْنَا مِنْ بَيْنِ أَيْدِيهِمْ سَدًّا وَمِنْ خَلْفِهِمْ سَدًّا فَأَغْشَيْنَاهُمْ فَهُمْ لَا يُبْصِرُونَ) وقد ورد سبب آخر في نزول هذه الآية وهو ما أورده الإمام القرطبي قال: قال ابن عباس: قالت كفار قريش لست مرسلًا وما أرسلك الله إلينا؛ فأقسم الله بالقرآن المحكم أن محمداً من المرسلين (2086). قلت: ومعنى الآية واضح وإن لم يثبت سبب النزول، فالآية حكاية عن تكذيب الكفار للنبي ﷺ ورعاية الله تعالى لنبيه من بطشهم وتهكمهم والله تعالى أعلم.

[تفسير مختصر للآية]

(والقرآن الحكيم) قسم من الله تعالى بالقرآن، و(الحكيم) معناه المحكم، الذي لا يلحقه تغيير ولا تبديل. (إنك لمن المرسلين) جواب القسم أي إنك يا محمد لمن المرسلين، من رب العالمين لهداية الخلق. (على صراط مستقيم) أي على طريق ونهج مستقيم، لا إنحراف فيه ولا إغواج، هو الإسلام دين الرسل قبلك، الذين جاءوا بالإيمان والتوحيد قال الطبري: أي على طريق لا إغواج فيه من الهدى وهو الإسلام كما قال قتادة، والتكثير للتخيم والتعظيم. (تنزيل العزيز الرحيم) أي هذا القرآن الهادي المنير، تنزّل من رب العزة جل وعلا، العزيز في ملكه، الرحيم بخلقه. (لتنذر قوما ما أنذر آبائهم) أي لتنذر يا محمد بهذا القرآن العرب، الذين ما جاءهم رسول ولا كتاب، لتطاول زمن الفترة عليهم، والمراد بالإنذار تخويفهم من عذاب الله. (فهم غافلون) أي فهم بسبب ذلك غافلون عن الهدى والإيمان، يتخبطون في ظلمات الشرك وعبادة الأوثان.. ثم بين تعالى استحقاقهم للعذاب بإصرارهم على الكفر والتكذيب، فقال سبحانه. (لقد حق القول على أكثرهم فهم لا يؤمنون) اللام موطئة للقسم، أي والله لقد وجب عذاب النار على أكثر هؤلاء المشركين، بسبب إصرارهم على الكفر والإنكار، وعدم تأثرهم بالتكثير والإنذار، فهم لذلك لا يؤمنون بما جنتهم به يا محمد.. ثم بين تعالى سبب تركهم الإيمان فقال (إننا جعلنا في أعناقهم أغلًا فهي إلى الأذقان فهم مقمحون) تمثيل وتصوير لحال المشركين في ضلالهم، بحال الذي جعل في يده غل وجمعت يده إلى عنقه، فبقي رافعا رأسه لا يخفضه قال في الجلالين: وهذا تمثيل والمراد أنهم لا يدعون للإيمان، ولا يخفضون

(2084) دلائل النبوة الفصل الثالث عشر عصمة النبي ﷺ ص 199

(2085) سنن أبي داود (160/3)

(2086) تفسير القرطبي - (5/15)

(363)

رءوسهم لة قال ابن كثير: ومعنى الآية: إنا جعلنا هؤلاء المحتوم عليهم بالشقاء، كمن جعل في عنقه غل، وجمعت يده مع عنقه تحت ذقنه، فارتفع رأسه فصار مقمحا، والمقمح هو الرافع رأسه، وإكتفى بذكر الغل في العنق عن ذكر اليدين، لأن الغل إنما يعرف فيما جمع اليدين مع العنق وقال ابو السعود: مثل حالهم بحال الذين غلت أعناقهم (فهي إلى الإذقان) أي فالأغلال منتهية إلى أذقانهم، فلا تدعهم يلتفتون إلى الحق، ولا يعطفون أعناقهم نحوه، ولا يطاطئون رءوسهم، غاضون أبصارهم، بحيث لا يكادون يرون الحق، أو ينظرون إلى جهته.

(وجعلنا من بين أيديهم سدا ومن خلفهم سدا) هذا تنمة للتمثيل وتكميل له، أي وجعلنا من أمامهم سدا عظيما، ومن ورائهم سدا كذلك. (فأغشيناهم فهم لا يبصرون) أي فغطينا بهما أبصارهم، فهم بسبب ذلك لا يبصرون شيئا أصلا، لأنهم أصبحوا محصورين بين سدين هائلين، وهذا بيان لكمال فظاعة حالهم، وكونهم محبوسين في مطمورة الغى والجهالات، محرومين عن النظر في الأدلة والآيات، قال المفسرون: وهذا كله تمثيل لسد طرق الإيمان عليهم، بمن سدت عليه الطرق فهو لا يهتدي لمقصوده.

(وسواء عليهم أنذرتهم أم لم تنذرتهم) أي يستوي عندهم إنذارك لهم يا محمد، وتخويفك لهم وعدمه، لأن من خيم على عقله ظلام الضلال، وعشعت في قلبه شهوات الطغيان، لا تنفعه القوارع والزواجر.

(لا يؤمنون) أي فهم بسبب ذلك لا يؤمنون، لأن الإنذار لا يخلق القلوب الميتة، إنما يوقظ القلب الحى المستعد لتلقي الإيمان، وهذا تسليية له صلى الله عليه سلم وكشف لحقيقة ما إنطوت عليه قلوبهم من الطغيان.

(إنما تنذر من إتبع الذكر) أي إنما ينفع إنذارك يا أيها الرسول، من آمن بالقرآن وعمل بما فيه (وخشي الرحمن بالغيب) أي وخاف الله دون أن يراه.

(فبشره بمغفرة وأجر كريم) لما انتفع بالإنذار كان جديرا بالبشارة، أي فبشره يا محمد بمغفرة عظيمة من الله لذنوبه، وأجر كريم في الآخرة في جنات النعيم⁽²⁰⁸⁷⁾.

قوله تعالى (إنا جعلنا في أعناقهم أغلالاً) - الآية.

912. [ك] وأخرج ابن جرير عن عكرمة قال: « قال أبو جهل: لنن رأيت محمداً لأفعلن ولأفعلن، فأنزل الله: (إنا جعلنا في أعناقهم أغلالاً) إلى قوله: (لا يبصرون) فكانوا يقولون: هذا محمد، فيقول أين هو أين هو؟! ولا يبصر⁽²⁰⁸⁸⁾ »

[تعليق]

ذكر المؤلف رحمه الله هذا الأثر في سبب نزول هذه الآية، وقد أخرجه مقاتل من سياق آخر فقال: مقاتل بن سليمان: حلف أبو جهل لنن رأى النبي □ يصلي ليذمغته، فجاءه وهو يصلي، فرفع حجراً فنبست يده والتصق الحجر بيده، فرجع إلى أصحابه فأخبرهم الخبر، فقام رجل منهم فأخذ الحجر، فلمّا دنا من رسول الله □ طمس الله على بصره فلم يره، فرجع إلى أصحابه فلم يبصرهم حتى نادوه، فنزل في أبي جهل: (إنا جعلنا في أعناقهم أغلالاً...) الآية. ونزل في الآخر: (وجعلنا من بين أيديهم سداً)⁽²⁰⁸⁹⁾. قلت: وهذه الآثار لا تقاوم عموم الآية على إرسالها، فالأرجح أن يقال بأن الآية نزلت عامة مخبرة عما فعله الله تعالى بأعدائه عندما أرادوا أن يحاربوه ويحاربوا نبيه □ .

[تفسير مختصر للآية]

تقدم في الآية التي قبلها.

(إِنَّا نَحْنُ نُحْيِي الْمَوْتَىٰ وَنَكْتُبُ مَا قَدَّمُوا وَءَاثِرَهُمْ وَكُلَّ شَيْءٍ أَحْصَيْنَاهُ فِي إِمَامٍ مُّبِينٍ ١٢)

قوله تعالى: (إنا نحن نحي الموتى) - الآية.

913. وأخرج الترمذي وحسنه والحاكم وصححه عن أبي سعيد الخدري قال: « كانت بنو سلمة في ناحية المدينة، فأرادوا النقلة إلى قرب المسجد، فنزلت هذه الآية: (إنا نحن نحي الموتى ونكتب ما قدموا وآثارهم) فقال النبي □: « إن آثارك تكتب فلا تنتقلوا⁽²⁰⁹⁰⁾ »

914. وأخرج الطبراني عن ابن عباس مثله⁽²⁰⁹¹⁾.

[تعليق]

(2087) صفوة التفسير - للصابوني (85/3)

(2088) تفسير الطبري 22/152 صحيح الإسناد مرسل.

(2089) تفسير مقاتل بن سليمان (82/3)

(2090) سنن الترمذي 363/5 ح (3226) المستدرک للحاكم 2/465 ح (3604) قال: صحيح عجيب من حديث الثوري، قلت إسناده صحيح قال الإمام الترمذي حدثنا محمد بن وزير الواسطي حدثنا إسحاق بن يوسف الأزرق عن سفيان الثوري عن أبي نضرة عن أبي سعيد الخدري -

قلت: هذا الأثر واهي الإسناد فيه النضر بن عبد الرحمن أبو عمرو الخرز متروك الحديث تقريبات التهذيب (2/562) المؤلف: ابن حجر العسقلاني اعتمدنا على نسخة: محمد عوامة طبعة دار الرشيد بحلب الطبعة الأولى 1406 هـ.

(2091) سنن ابن ماجه 1/258 ح (785) المعجم الكبير 12/8 ح (12310) إسناده صحيح قال الإمام ابن ماجه حدثنا علي بن محمد ثنا وكيع ثنا إسرائيل عن سماك عن عكرمة عن ابن عباس -

ذكر المؤلف رحمه الله أثرين في سبب نزول هذه الآية وهما صحيحا الإسناد، ويشكل على ذلك بأن الآية مكية، وسؤال بني سلمة كان في المدينة.

قال في التحرير والتنوير: وليس الأمر كذلك وإنما نزلت الآية بمكة ولكنها احتج بها عليهم في المدينة" اهـ (2092).

كذلك استعرب الإمام ابن كثير سبب النزول هذا فقال: وفيه غرابة من حيث ذكر نزول هذه الآية، والسورة بكما لها مكية، فإله أعلم (2093).

قلت: ومع القطع بصحة إسناد هذا السبب يتوجه أن نقول بأن الآية مدنية في سورة مكية، أو أنها نزلت مرتين، مرة بمكة ومرة بالمدينة والله تعالى أعلم.

وقد روى كذلك في سبب نزول هذه الآية ما قاله الإمام الثعلبي: وقال المغيرة بن شعبه والضحاك: نزلت في بني عذرة، وكانت منازلهم بعيدة عن المسجد فشق عليهم حضور الصلوات، فأنزل الله عز وجل: (وَنَكْتُبُ مَا قَدَّمُوا وَآثَارَهُمْ) يعني خطاهم إلى المسجد (2094).

وقيل بأن هذه الآية نزلت في المشي إلى صلاة الجمعة. قال الإمام الثعلبي رحمه الله: عن أنس في قوله سبحانه: (وَنَكْتُبُ مَا قَدَّمُوا وَآثَارَهُمْ) قال: الخطى يوم الجمعة (2095).

وقد رجح غير واحد أن معنى الآية ما أتروا من سنة حسنة أو سيئة يُعمل بها بعدهم، قاله ابن عباس، وسعيد بن جبيرة، واختاره الفراء، وابن قتيبة، والزجاج (2096).

قلت: وهذا الأخير أليق بعموم الآية والله أعلم.

[تفسير مختصر للآية]

(إنا نحن نحي الموتى) أي نبعثهم من قبورهم بعد موتهم، للحساب والجزاء.

(ونكتب ما قدموا وآثارهم) قال الطبري: أي ونكتب ما قدموا في الدنيا من خير وشر، ومن صالح الأعمال وسيئها (وآثارهم) أي وآثار خطاهم بأرجلهم إلى المساجد.

(وكل شيء أحصيناه في إمام مبین) أي وكل شيء من الأشياء، أو أمر من الأمور، جمعناه وضبطناه في كتاب مسطور هو صحائف الأعمال قال أبو حيان: أي ونحصى فعبّر عن إحاطة علمه جل وعلا بأعمالهم، بالكتابة التي تضبط بها الأشياء (2097).

(أَوْ لَمْ يَرَ الْإِنْسَانَ أَنَّا خَلَقْتَهُ مِنْ نُطْفَةٍ فَإِذَا هُوَ خَصِيمٌ مُبِينٌ ۙ)

قوله تعالى: (أولم ير الإنسان أنا خلقناه من نطفة) - الآية.

915. وأخرج الحاكم وصححه عن ابن عباس قال: « جاء العاصي بن وائل إلى رسول الله صلى الله عليه وسلم بعظم حائل ففته فقال: يا محمد أيبعث هذا بعد ما أرم؟ قال: « نعم يبعث الله هذا ثم يميئك ثم يحييك ثم يدخلك نار جهنم ». فنزلت الآيات: (أولم ير الإنسان أنا خلقناه من نطفة) إلى آخر السورة (2098) ». .

916. وأخرج ابن أبي حاتم من طرق عن مجاهد وعكرمة وعروة بن الزبير والسدي نحوه وسموا الإنسان أبي بن خلف (2099) .

[تعليق]

أخرج المؤلف رحمه الله أثراً في سبب نزول هذه الآية. وهما مختلفان في تسمية هذا الإنسان الذي نزلت فيه الآية. فالأول أنه العاص بن وائل والأخر أنه أبي بن خلف.

وروى عن ابن عباس أنه عبد الله بن أبي، وقال الحسن أمية بن خلف (2100).

وقيل في أبي جهل بن هشام وقد رويت نحو قصة العاص بن وائل فيه (2101).

قلت: أصح الأقوال الأول ويبعد أن تكون نزلت في عبد الله بن أبي بن سلول لأنه لم يكن معروفاً بمكة.

على أن معنى الآية تذكير لجنس الإنسان بنعمة الله عليه حيث خلقه من نطفة، ثم بعد ذلك ينكر وجود ربه وينكر البعث والنشور، فهي إقامة للحجة على جميع الخلق والله تعالى أعلم.

[تفسير مختصر للآية]

(2092) التحرير والتنوير (191 / 22)

(2093) تفسير ابن كثير (567 / 6)

(2094) الكشف والبيان عن تفسير القرآن (122 / 8)

(2095) الكشف والبيان عن تفسير القرآن (123 / 8)

(2096) زاد المسير (9 / 7)

(2097) صفوة التفاسير - للصابوني (85 / 3)

(2098) المستدرک للحاکم 2/466 ح (3606) وقال: صحيح على شرط الشيخين، قلت إسناده صحيح غير شيخ الحاكم، قال: الحافظ في اللسان من شيوخ الحاكم وقال الحاكم: ارتبت في لقيه بعض الشيوخ

(2099) تفسير ابن أبي حاتم 10/3202 وأخرج الحارث بن أبي أسامة في مسنده عن أبي مالك نحوه، وابن جرير عن الزهري وقتادة نحوه

(2100) الكشف والبيان عن تفسير القرآن (137 / 8)

(2101) زاد المسير (40 / 7)

(365)

(أولم ير الإنسان أنا خلقناه من نطفة) إستفهام إنكاري للتوبيخ والتقريع، أي أولم ينظر هذا الإنسان الكافر نظر إعتبار؟ ويتفكر في قدرة الله، فيعلم إنا خلقناه من شيء مهين حقير؟ هو النطفة " المنى " الخارج من مخرج النجاسة؟
(فإذا هو خصيم مبين) أي فإذا هو شديد الخصومة والجدال بالباطل، يخاصم ربه وينكر قدرته، ويكذب بالبعث والنشور، أفليس الإله الذي قدر على خلق الإنسان من نطفة؟ قادر على أن يخلقه مرة أخرى عند البعث⁽²¹⁰²⁾..
انتهت سورة يس

سُورَةُ الصَّافَّاتِ

(إِنَّهَا شَجَرَةٌ تَخْرُجُ فِي أَصْلِ الْجَحِيمِ ٦٤)

قوله تعالى: (أنها شجرة تخرج في أصل الجحيم) - الآية.
917. [ك] أخرج ابن جرير عن قتادة قال: « قال أبو جهل زعم صاحبكم هذا أن في النار شجرة، والنار تأكل الشجر، وأنا والله ما نعلم الزقوم إلا التمر والزبد، فأنزل الله حين عجبوا أن يكون في النار شجرة: (إنها شجرة تخرج في أصل الجحيم) - الآية⁽²¹⁰³⁾..»
918. وأخرج نحوه عن السدي⁽²¹⁰⁴⁾.

[تعليق]

سورة الصفات من السورة المكية، وقد تكلمنا عن موضوع السور المكية في غير موضع.
وذكر المؤلف رحمه الله أثرين مرسلين في سبب نزول هذا الآية، وهما يدلان على ما كان عليه المشركون من التكذيب بوعيد الله تعالى، فأخبر الله تعالى أن شجرة الزقوم تخرج في أصل الجحيم، وهي الشجرة الملعونة في القرآن⁽²¹⁰⁵⁾.
وأخرج الإمام الترمذي عن ابن عباس: أن رسول الله صلى الله عليه وسلم قرأ هذه الآية (اتقوا الله حق تقاته ولا تموتن إلا وأنتم مسلمون) قال رسول الله صلى الله عليه وسلم لو أن قطرة من الزقوم قطرت في دار الدنيا لأفسدت على أهل الدنيا معاشهم فكيف يمكن يكون طعامه⁽²¹⁰⁶⁾.

وفي رواية الإمام الثعلبي لهذا الأثر وذلك أنهم قالوا: كيف يكون في النار شجرة والنار تحرق الشجر؟! وقال ابن الزبير لصناديد قريش: إن محمدا يخوفنا بالزقوم وإن الزقوم بلسان بربر وأفريقية الزبد والتمر، فأدخلهم أبو جهل بيته وقال: يا جارية زقميننا. فأتتهم بالزبد والتمر، فقال: تزقمو فهذا ما يوعدكم به محمد، فقال الله سبحانه: (إِنَّهَا شَجَرَةٌ تَخْرُجُ فِي أَصْلِ الْجَحِيمِ): قعر النار⁽²¹⁰⁷⁾.

فالآية إخبار من الله تعالى عن ما أعده الله تعالى لأهل الجحيم من أنواع العذاب عافانا الله منها. وقد ورد في عدة مواضع استهزاء الكفار بما جاء في القرآن الكريم فليس غريباً عنهم أن ينكروا كون شجرة تخرج في الجحيم.

[تفسير مختصر للآية]

(أذلك خير نزلًا أم شجرة الزقوم) أي أنعيم الجنة خير ضيافة وعتاء، أم شجرة الزقوم التي في جهنم؟ أيهما خير وأفضل؟ فالفواكه والثمار طعام أهل الجنة، وشجرة الزقوم طعام أهل النار! والغرض منه توبيخ الكفار.
(إنا جعلناها فتنة للظالمين) أي إنا جعلنا شجرة الزقوم فتنة وإبتلاء لأهل الضلالة قال المفسرون: لما سمع الكفار ذكر (شجرة الزقوم) قالوا: كيف يكون في النار شجرة، والنار تحرق الشجر؟ وكان أبو جهل يقول لأصحابه: أتدرون ما الزقوم؟ إنه الزبد والتمر! ثم يأتيهم به ويقول: تزقمو، هذا الذي يخوفنا به محمد.
(إنها شجرة تخرج في أصل الجحيم) أي تثبت في قعر جهنم ثم هي متفرعة فيها
(طلوعها كأنه رعوس الشياطين) أي ثمرها وحملها كأنه رعوس الشياطين، في تناهي القبح البشاعة قال ابن كثير: وإنما شبهها برعوس الشياطين، وإن لم تكن معروفة عند المخاطبين، لأنه قد استقر في النفوس أن الشياطين قبيحة المنظر.
(فإنهم لآكلون منها فمالئون منها البطون) أي فإن هؤلاء الكفار لشدة جوعهم، مضطرون إلي الأكل منها، حتى تمتلئ منها بطونهم، فهي طعامهم وفاكهتهم، بدل رزق أهل الجنة⁽²¹⁰⁸⁾.

(وَجَعَلُوا بَيْنَهُ وَبَيْنَ الْجَنَّةِ نَسَبًا وَلَقَدْ عَلِمَتِ الْجِنَّةُ إِنَّهُمْ لَمُحْضَرُونَ ١٥٨)

(2102) صفوة التفسير - للصابوني (97/3)

(2103) تفسير الطبري 32/63 مرسل صحيح الإسناد

(2104) المصدر السابق بسند مرسل ضعيف

(2105) صحيح البخاري (69/5)

(2106) سنن الترمذي (706/4)

(2107) الكشاف والبيان عن تفسير القرآن (145/8)

(2108) صفوة التفسير - للصابوني (105/3)

- قوله تعالى: (وجعلوا بينه وبين الجنة نسبا) - الآية.
919. وأخرج جويبير عن الضحاك عن ابن عباس قال: « أنزلت هذه الآية في ثلاثة أحياء من قريش سليم وخزاعة وجهينة: (وجعلوا بينه وبين الجنة نسباً) - الآية (2109) ».
920. أخرج البيهقي في شعب الإيمان عن مجاهد قال: « قال كفار قريش الملائكة بنات الله، فقال لهم: أبو بكر الصديق فمن أمهاتهم؟ قالوا بنات سراة الجن، فأنزل الله: (ولقد علمت الجنة إنهم لمحضرون (2110)) ».

[تعليق]

ذكر المؤلف رحمه الله أثريين في سبب نزول هذه الآية وهما يدلان على أن الكفار كانوا يجعلون بين الله وبين الملائكة نسباً فيقولون الملائكة بنات الله، والملائكة يطلق عليه جنة لاخفتانهم فكل ما هو مختف فهو جن، ومنه يقال للجنين جنين لأنه مختف، والجنة جنة لأنه تخفي ما تحتها.

وزعموا أن أمهاتهم هو بناء سراة الجن. قال الإمام ابن حجر: سرات الجن أي ساداتهم ومنه قوله وقتلت سراتهم أي ساداتهم وأحدها سري مشتق من السرو قوله نكحت رجلاً سرياً أي جمع المروعة والسخاء معاً (2111).

وفي سبب نزول الآية غير ما تقدم، ما رواه الإمام الطبري عن ابن عباس، قوله (وَجَعَلُوا بَيْنَهُ وَبَيْنَ الْجَنَّةِ نَسَبًا) قال: زعم أعداء الله أنه تبارك وتعالى وإبليس أخوان (2112).

وهذا القول موافق لقول الملاحدة القائلين بأن للخير والشر إلهين فإله هو إله الخير وإبليس هو إله الشر. تعالى الله عما يقول الظالمون علواً كبيراً.

القول الثالث: أنها نزلت في اليهود. قال الإمام الطبري: عن قتادة، في قوله (وَجَعَلُوا بَيْنَهُ وَبَيْنَ الْجَنَّةِ نَسَبًا) قالت اليهود: إن الله تبارك وتعالى تزوج إلى الجن، فخرج منهما الملائكة، قال: سبحانه سبج نفسه (2113).

قلت: الآية رد على كل من نسب الله تعالى إلى الملائكة أو إلى الجن أو إلى أي صنف من مخلوقاته، فإله سبحانه وتعالى خالق كل شيء وتعالى على أن يتخذ من خلقه نسباً سبحانه.

[تفسير مختصر للآية]

(وجعلوا بينه وبين الجنة نسبا) أي جعل المشركون بين الله وبين الجن قرابة ونسباً، حيث قالوا أنه نكح من الجن فولدت له الملائكة، سبحانه وتعالى عما يقول الظالمون علواً كبيراً، ثم زعموا أن الملائكة إناث، وأنهن بنات الله.

(ولقد علمت الجنة أنهم لمحضرون) أي لقد علمت الشياطين أنهم محضرون في العذاب قال الصاوي: وهذا زيادة في تبيكيتهم وتكذيبهم كأنه قيل: هؤلاء الذين عظمتهم وجعلتموهم بنات الله، أعلم بحالكم وما يتوكل عليه أمركم.

(سبحانه الله عما يصفون) أي تنزهه وتقدس الله عما يصفه به هؤلاء الظالمون (2114).

(وَإِنَّا لَنَحْنُ الصَّافُونَ ۝ ١٦٥)

قوله تعالى: (وإنا نحن الصافون)

921. وأخرج ابن أبي حاتم عن يزيد بن أبي مالك قال: « كان الناس يصلون متبددين، فأنزل الله: (وإنا نحن الصافون) - الآية فأمرهم أن يصفوا (2115) ».
922. وأخرج ابن المنذر عن ابن جريج قال: حدثت فذكره نحوه (2116).

[تعليق]

ذكر المؤلف رحمه الله أثريين في سبب نزول هذه الآية وهما يدلان على أن الملائكة تصف عند الله كما يصف أهل الصلاة في صلاتهم، وفي صحيح الإمام مسلم: عن جابر بن سمرة قال: خرج إلينا رسول الله ﷺ فقال: " ألا تصفون كما تصف الملائكة عند ربهم " قالوا: وكيف تصف الملائكة عند ربهم؟ قال: " يتمون الصف الأول ثم يتراصون في الصف " (2117).

وفي الآية الخبر عن حال الملائمة والثناء على التصفاء في الصلاة والله تعالى أعلم.

[تفسير مختصر للآية]

(وإنا نحن الصافون) أي الواقفون في العبادة صفوفاً (2118).

(2109) ضعيف.
 (2110) شعب الإيمان 1/166 ح (141) مرسل منقطع.
 (2111) فتح الباري ابن حجر (1/131).
 (2112) جامع البيان (تفسير الطبري) (21/121).
 (2113) جامع البيان (تفسير الطبري) (21/121).
 (2114) صفوة التفسير - للصابوني (3/111).
 (2115) تفسير ابن أبي حاتم 10/3232 مرسل.
 (2116) مرسل.
 (2117) صحيح مسلم - (2/29).
 (2118) صفوة التفسير - للصابوني (3/112).

(أَفِعِدَابِنَا يَسْتَعْجِلُونَ ۱۷۶)

قوله تعالى: (أفبعذابنا يستعجلون).

923. وأخرج جوير عن ابن عباس قال: « قالوا يا محمد أرنا العذاب الذي تخوفنا به عجله لنا، فنزلت: (أفبعذابنا يستعجلون) - الآية(2119)». صحيح على شرط الشيخين.

[تعليق]

ذكر المؤلف رحمه الله أثراً واحداً هنا وهو يدل على استخفاف الكفار بالعذاب واستعجالهم له ليس على معنى إرادة التعجيل، إنما هو على معنى: أرنا يا محمد هذا العذاب الذي تعدنا به.

[تفسير مختصر للآية]

(أفبعذابنا يستعجلون) إنكار وتوبيخ أي كيف يستعجل العذاب هؤلاء المشركون؟ ويقولون: (أنتنا بعذاب أليم) وحالهم عند نزول العذاب أنهم يطلبون الإمهال والنظرة؟(2120).

انتهت سورة الصافات

سُورَةٌ ص

(أَجَعَلَ الْآلِهَةَ إِلَهًا وَجِدًّا إِنْ هَذَا لَشَيْءٌ عُجَابٌ ٥)

قوله تعالى: (أجعل الآلهة إلهاً واحداً) - الآية.

924. أخرج أحمد والترمذي والنسائي والحاكم وصححه عن ابن عباس قال: «مرض أبو طالب فجاءته قريش، وجاءه النبي ﷺ فشكوه إلى أبي طالب، فقال يا ابن أخي ما تريد من قومك؟ قال: «أريد منهم كلمة تدين لهم بها العرب وتؤدي إليهم العجم الجزية كلمة واحدة». قال: ما هي قال: «لا إله إلا الله». فقالوا: إلهاً واحداً إن هذا لشيء عجاب، فنزل فيهم: (ص والقرآن) إلى قوله: (بل لما يذوقوا عذاب) - الآية(2121)». «.

[تعليق]

سورة ص مكية إجمالاً وهي تتحدث عن موضوع البعث بعد النشور وقصص الأنبياء شأنهما كشأن باقي السور المكية. وقد ذكر المؤلف هذا الأثر هنا وهو يدل على تكذيب الكفار للنبي ﷺ في قوله بأن الله تعالى إله واحد، فقالوا كيف يجعل الآلهة التي نعبد إلهاً وحداً وتعجبوا من ذلك فأنزل الله تعالى حكاية تكذيبهم في مطلع هذه السورة وقد ذكر الإمام الواحدي هذا الأثر بسياق أوضح من هذا فقال: «لما أسلم عمر بن الخطاب شق ذلك على قريش وفرح المؤمنون، قال الوليد بن المغيرة لهلاص قريش هم الصناديد والإشراف: امشوا إلى أبي طالب، فأتوه فقالوا له: أنت شيخنا وكبيرنا قد علمت ما فعل هؤلاء السفهاء، وإنا أتيناك لتقضي بيننا وبين ابن أخيك، فأرسل أبو طالب إلى النبي ﷺ فدعاه فقال: يا ابن أخي هؤلاء قومك يسألونك ذا السؤال فلا تمل كل الميل على قومك، قال: وماذا يسألوني؟ قالوا: ارفضنا وارفض ذكر الهتنا وندعك وإلهك، فقال النبي ﷺ: أتعطوني كلمة واحدة تملكون بها العرب وتدين لكم بها العجم؟ فقال أبو جهل: لله أبو ك لنعطيتكها وعشر أمثالها، فقال النبي ﷺ: قولوا لا إله إلا الله، ففروا من ذلك، فقاموا فقالوا: أجعل الآلهة إلهاً واحداً، كيف يسع الخلق كلهم إله واحد فأنزل الله تعالى فيهم هذه الآيات(2122)». «.

(تفسير مختصر للآيات)

(أجعل الآلهة إلهاً واحداً) أي أزعم أن الرب المعبود واحد لا إله إلا هو؟.

(إن هذا لشيء عجاب) أي إن هذا الذي يقوله محمد - أن الإله واحد - شيء بليغ في العجب قال ابن كثير: أنكر المشركون ذلك - قبحهم الله - وتعجبوا من ترك الشرك بالله، فإنهم كانوا قد تلقوا عن آبائهم عبادة الأوثان، وأشربته قلوبهم، فلما دعاهم رسول الله ﷺ، إلى خلع الأوثان وإفراد الإله بالوحدانية، أعظموا ذلك وتعجبوا وقالوا: (أجعل الآلهة إلهاً واحداً إن هذا لشيء عجاب) (2123).

انتهت سورة ص

(2119) ضعيف.

(2120) صفوة التفاسير - للصابوني (2/ 292)

(2121) تفسير الطبري 125/ 23 صحيح ابن حبان 15/79 ح(6686) المختارة 10/391 سنن النسائي الكبرى 6/442 ح(11436) مصنف ابن أبي شيبة 7/332 مسند أحمد 1/227 ح(2008) مسند أبي يعلى 4/456 ح(2583) سنن الترمذي 5/365 ح(3232) وقال: حسن، سنن البيهقي الكبرى 9/188 ح(18428) المستدرک للحاكم 2/469 ح(3617) وقال: صحيح الإسناد ولم يخرجاه قلت في سننه يحيى بن عماره الكوفي قال الحافظ مقبول ولم أجد له متابعا قال الإمام أحمد: ثنا يحيى عن سفيان حدثني سليمان يعني الأعمش عن يحيى بن عماره عن سعيد بن جبير عن ابن عباس - به.

(2122) أسباب النزول للواحدي (247)

(2123) صفوة التفاسير - للصابوني (3/ 115)

سُورَةُ الزُّمَرِ

(أَلَا لِلَّهِ الدِّينُ الْخَالِصُ وَالَّذِينَ اتَّخَذُوا مِنْ دُونِهِ أَوْلِيَاءَ مَا نَعْبُدُهُمْ إِلَّا لِيُقَرِّبُونَا إِلَى اللَّهِ زُلْفَىٰ إِنَّ اللَّهَ يَحْكُمُ بَيْنَهُمْ فِي مَا هُمْ فِيهِ يَخْتَلِفُونَ إِنَّ اللَّهَ لَا يَهْدِي مَنْ هُوَ كَاذِبٌ كَفَّارٌ ۝۳)

قوله تعالى: (والذين اتخذوا) - الآية.

925. أخرج جويبر عن ابن عباس في هذه الآية قال: «أنزلت في ثلاثة أحياء عامر وكنانة وبنو سلمة، كانوا يعبدون الأوثان ويقولون: الملائكة بناته فقالوا: ما نعبدهم إلا ليقربونا إلى الله زلفى» (2124).

[تعليق]

سورة الزمر من السور المكية والتي فيها بعض الآيات المدنية، قال الإمام القرطبي وهي مكية في قول الحسن وعكرمة وعطاء وجابر بن زيد. وقال ابن عباس: إلا آيتين نزلتا بالمدينة إحداهما (اللَّهُ نَزَّلَ أَحْسَنَ الْحَدِيثِ) والأخرى (قُلْ يَا عِبَادِيَ الَّذِينَ أَسْرَفُوا عَلَىٰ أَنفُسِهِمْ) الآية. وقال آخرون: إلا سبع آيات من قوله تعالى: (قُلْ يَا عِبَادِيَ الَّذِينَ أَسْرَفُوا عَلَىٰ أَنفُسِهِمْ) إلى آخر سبع آيات نزلت في وحشي وأصحابه (2125).

وسميت بالزمر لذكر الزمر في قوله تعالى (وسيق الذين كفروا إلى جهنم زمرا) (وسيق الذين اتقوا ربهم إلى الجنة زمراً) أي أفواجاً.

وقد ذكر المؤلف رحمه الله هذا الأثر الوحيد في سبب نزول هذه الآية. وهي حكاية قول المشركين ما نعبد هذه المعبودات إلى لتقربنا إلى الله، فأجابهم الله تعالى بأن العبادة إنما تكون له وحده لا لمخلوقاته فهذه الآلهة التي تعبدونها من دون الله إنما هي مخلوقة لله فانه تعالى سوف يحكم بينكم يوم القيامة، فيدخل أهل التوحيد الجنة ويدخلكم جهنم. ولم أجد في سبب نزول هذه الآية غير ما ذكره المؤلف رحمه الله.

[تفسير مختصر للآية]

(ألا لله الدين الخالص) أي ألا فانتبهوا أيها الناس: إن الله تعالى لا يقبل إلا ما كان خالصاً لوجهه الكريم، لأنه المتفرد بصفات الألوهية، المطلع على السرائر والضمائر، ومعنى الخالص: الصافي من شوائب الشرك والرياء (والذين اتخذوا من دونه أولياء) أي وهؤلاء المشركون الذين عبدوا من دونه الأوثان يقولون: (ما نعبدهم إلا ليقربونا إلى الله زلفى) أي ما نعبد هذه الآلهة والأصنام، إلا ليقربونا إلى الله قربي ويشفعوا لنا عنده، قال الصاوي: كان المشركون إذا قيل لهم: من خلقكم؟ ومن خلق السموات والأرض؟ ومن ربكم ورب آبائكم الأولين؟ فيقولون: الله، فيقال لهم: فما معنى عبادتكم الأصنام؟ فيقولون: لتقربنا إلى الله زلفى، وتشفع لنا عنده. (إن الله يحكم بينهم فيما هم فيه يختلفون) أي يحكم بين الخلائق يوم القيامة فيما اختلفوا فيه من أمر الدين، فيدخل المؤمنين الجنة، والكافرين النار. (إن الله لا يهدي من هو كاذب كفار) أي لا يوفق للهدى، ولا يرشد للدين الحق، من كان كاذباً على ربه، مبالغاً في كفره (2126).

(أَمَّنْ هُوَ قَانِتٌ آنَاءَ اللَّيْلِ سَاجِدًا وَقَائِمًا يَحْذَرُ الْآخِرَةَ وَيَرْجُوا رَحْمَةَ رَبِّهِ قُلْ هَلْ يَسْتَوِي الَّذِينَ يَعْلَمُونَ وَالَّذِينَ لَا يَعْلَمُونَ إِنَّمَا يَتَذَكَّرُ أُولُو الْأَلْبَابِ ۝۹)

قوله تعالى: (أمن هو قانت آناء الليل) - الآية.

926. أخرج ابن أبي حاتم عن ابن عمر في قوله تعالى: (أمن هو قانت) - الآية. قال: «نزلت في عثمان بن عفان» (2127).

927. وأخرج ابن سعد من طريق الكلبي عن أبي صالح عن ابن عباس قال: «نزلت في عمار بن ياسر» (2128).

928. وأخرج جويبر عن ابن عباس قال: «نزلت في ابن مسعود وعمار بن ياسر وسالم مولى أبي حذيفة» (2129).

(2124) ضعيفي إسناده جويبر وقد تكلمنا عنه قبل ذلك

(2125) تفسير القرطبي - (15/ 232)

(2126) صفوة التفاسير - للصابوني (3/ 129)

(2127) تفسير ابن أبي حاتم 10/3248 في إسناده عبد الله بن عيسى الخزاز أبو خلف ضعيف

(2128) الطبقات الكبرى لابن سعد 3/250 إسناده واهي

(2129) ضعيف

[تعليق]

ذكر المؤلف رحمه الله عدة آثار في سبب نزول هذه الآية، وهي ثناء من الله تعالى على من حاله حال القنوت أي طول القيام أثناء الليل، وقد روى أنها كذلك نزلت في أبي بكر، وقيل في النبي ﷺ (2131). وكل هذا الأقوال متوافقه تماماً، فقد نزلت الآية في كل المذكورين وهي ثناء من الله تعالى على من كان حاله كحالهم. والله تعالى أعلم.

[تفسير مختصر للآية]

(أومن هو قانت أثناء الليل ساجدا وقائما) استفهام حذف جوابه لدلالة الكلام عليه، أي هل من هو مطيع عابد في ساعات الليل، يتعبد ربه في صلاته ساجدا وقائما؟ كمن أشرك بالله وجعل له أندادا؟ قال القرطبي: بين تعالى أن المؤمن ليس كالكافر الذي مضى ذكره (يحذر الآخرة ويرجو رحمة ربه) أي حال كونه خائفاً من عذاب الآخرة، راجياً رحمة ربه وهي الجنة، هل يستوي هذا المؤمن التقي، مع ذلك الكافر الفاجر؟ لا يستون عند الله (2132).

(وَالَّذِينَ اجْتَنَبُوا الطُّغُوتَ أَنْ يَعْبُدُوهَا وَأَنَابُوا إِلَى اللَّهِ لَهُمُ الْبُشْرَى فَبَشِّرْ عِبَادَ ۗ ۱۷ الَّذِينَ يَسْتَمِعُونَ الْقَوْلَ فَيَتَّبِعُونَ أَحْسَنَهُ أُولَئِكَ الَّذِينَ هَدَاهُ اللَّهُ وَأُولَئِكَ هُمْ أُولُوا الْأَلْبَابِ ۗ ۱۸)

قوله تعالى: (فبشر عبادي) - الآية.

930. أخرج جويبير بسنده عن جابر بن عبد الله قال: « لما نزلت: (لها سبعة أبواب) - الآية، أتى رجل من الأنصار النبي ﷺ فقال: يا رسول الله إن لي سبعة ممالك، وإني قد عتقت لكل باب منها مملوكاً، فنزلت فيه هذه الآية: (فبشر عبادي الذين يستمعون القول فيتبعون أحسنه (2133)) قوله تعالى: (والذين اجتنبوا الطاغوت) - الآية.

931. أخرج ابن أبي حاتم عن زيد بن أسلم: « أن هذه الآية نزلت في ثلاثة نفر كانوا في الجاهلية يقولون: لا إله إلا الله، زيد بن عمرو بن نفيل وأبي ذر الغفاري وسلمان الفارسي » (2134).

[تعليق]

ذكر المؤلف رحمه الله تعالى أثرين في سبب نزول هاتين الآيتين، فالأول متعلق بقوله تعالى (الذين يستمعون القول --) وكان ينبغي على المؤلف أن يجعل هذا الأثر الثاني لا الأول. وفيه ثناء من استمع القول فاتبع أحسنه، وقد اختلف العلماء في معنى " القول " فقيل هو القرآن قلت وكل القرآن حسنة فيكون المراد يستمعون القرآن فيتبعونه. وقيل: هو كل كلام غير القرآن مثل كلام الناس وفيه معنيان. قال الإمام ابن الجوزي: أحدهما: أنه الرَّجُلُ يَجْلِسُ مع القوم فيسمع كلامهم، فيعمل بالمحاسن ويحدث بها، ويكف عن المساوىء ولا يظهرها، قاله ابن السائب. والثاني: أنه لما ادعى مسيلمة أنه قد أتى بقرآن، وأتت الكهنة بالكلام المزخرف في الأباطيل، فرّق المؤمنون بين ذلك وبين كلام الله، فأتبعوا كلام الله، ورفضوا أباطيل أولئك. قاله أبو سليمان الدمشقي (2135). قلت: القول نكرة وهي تفيد العموم فيدخل فيه القرآن فيستمعون القرآن ويتبعونه ويدخل فيه الكلام غير القرآن على ما ذكره الإمام ابن الجوزي.

أما قوله تعالى (والذين اجتنبوا الطاغوت أن يعبدوها) فنذكر أنه نزلت في سلمان و عمرو بن زيد بن نفيل وأبي ذر. قال أبو حيان: وقال ابن إسحاق: الإشارة بها إلى عبد الرحمن بن عوف، وسعد بن أبي وقاص، وسعيد بن زيد، والزيبير، وذلك أنه لما أسلم أبو بكر، سمعوا ذلك فجأؤوه وقالوا: أسلمت؟ قال: نعم، وذكرهم بالله، فأمنوا بأجمعهم، فنزلت فيهم، وهي محكمة في الناس إلى يوم القيامة (2136). قلت: وهنا كذلك دخل في عموم الآية كل من ترك عبادة الطواغيت إلى عبادة رب العالمين، والآية ثناء على هؤلاء ومن كان مثل حالهم إلى يوم القيامة كما ذكره الإمام أبو حيان.

[تفسير مختصر للآية]

(2130) مرسل ضعيف
(2131) زاد المسير (7/ 166)
(2132) صفوة التفسير - للصابوني (3/ 131)
(2133) ضعيف.
(2134) تفسير ابن أبي حاتم 10/3249 مرسل.
(2135) زاد المسير (7/ 170)
(2136) تفسير البحر المحيط - (0/)

(والذين اجتنبوا الطاغوت أن يعبدوها) لما ذكر وعيد عبدة الأوثان، ذكر وعد أهل الفضل والإحسان، ممن احترز عن الشرك والعصيان، ليكون الوعد مقرونا بالوعيد، فيحصل كمال الترغيب والترهيب، والمعنى: والذين انتهوا عن عبادة الأوثان وطاعة الشيطان، وتباعدوا عنها كل البعد، قال أبو السعود: (الطاغوت) البالغ أقصى غاية الطغيان، كالرحموت والعظموت، والمراد به الشيطان وصف به للمبالغة (وأنا بوا إلى الله) أي رجعوا إلى طاعة الله وعبادته.

(لهم البشرى) أي لهم البشرى السارة من الله تعالى، بالفوز العظيم بجنات النعيم. (فيبشر عباد الذين يستمعون القول فيتبعون أحسنه) أي فيبشر عبادي المتقين، الذين يستمعون الحديث والكلام، فيتبعون أحسن ما فيه، قال ابن عباس: هو الرجل يسمع الحسن والقيح، فيتحدث بالحسن وينكف عن القبيح فلا يتحدث به.. وهذا ثناء من الله تعالى عليهم بنفوذ بصائرهم، وتمييزهم الأحسن من الكلام، فإذا سمعوا قولاً تبصروه، وعملوا بما فيه، وأحسن الكلام كلام الله، وخير الهدى هدى محمد، وإنما وضع الظاهر (فيبشر عباد) بدل الضمير " فيبشرهم " تشريفاً لهم، وتكريماً بالإضافة إليه سبحانه (أولئك الذين هداهم الله) أي أولئك المتصفون بتلك الصفات الجليلة، هم الذين هداهم الله لما يرضاه، ووفقههم لنيل رضاه (وأولئك هم أولوا الألباب) أي وأولئك هم أصحاب العقول السليمة، والفطر المستقيمة⁽²¹³⁷⁾.

(اللَّهُ نَزَّلَ أَحْسَنَ الْحَدِيثِ كِتَابًا مُتَشَابِهًا مَثَانِي تَقْشِرُ مِنْهُ جُلُودَ الَّذِينَ يَخْسُونَ رَبَّهُمْ ثُمَّ تَلِينُ جُلُودُهُمْ وَقُلُوبُهُمْ إِلَىٰ ذِكْرِ اللَّهِ ذَلِكَ هُدَىٰ اللَّهِ يَهْدِي بِهِ مَن يَشَاءُ وَمَن يُضَلِلِ اللَّهُ فَمَا لَهُ مِن هَادٍ ۚ (٢٣)

قوله تعالى: (الله نزل) - الآية بتقدم سببها في سورة يوسف.

[تعليق]

قد ذكر المؤلف رحمه الله سبب نزول هذه الآية في سورة يوسف وهو: روى الحاكم وغيره عن سعد بن أبي وقاص قال: إنزل على النبي صلى الله عليه وسلم القرآن فتلاه عليهم زمانا فقال يا رسول الله لو حدثتنا فنزل (الله نزل أحسن الحديث) الآية زاد ابن أبي حاتم: فقالوا: يا رسول الله: لو ذكرتنا فأنزل الله (ألم يأن للذين آمنوا أن تخشع قلوبهم) الآية.

[تفسير مختصر للآية]

(الله نزل أحسن الحديث) أي الله نزل القرآن العظيم أحسن الكلام، قال أبو حيان: والابتداء باسم " الله " وإسناد " نزل " لضميره، فيه تفخيم للمنزل، ورفع من قدره كما تقول: الملك أكرم فلانا، فإنه أفخم من أكرم الملك فلانا، وحكمة ذلك البداء. (كتابا متشابها) أي قرأنا متشابها يشبه بعضه بعضا في الفصاحة، والبلاغة، والتناسب، بدون تعارض ولا تناقض. (مثنائي) أي تتثنى وتكرر فيه المواظ والأحكام، والحلال والحرام، وتردد فيه القصص والأخبار، دون سأم أو ملل، قال الطبري: تتثنى - أي تكرر - فيه الأنباء والأخبار والقضاء والأحكام والحجج. (تقشع منه جلود الذين يخشون ربهم) أي تعثرى هؤلاء المؤمنين خشية، وتأخذهم قشعريرة عند تلاوة آيات القرآن، هيبة من الرحمن، إجلالا لكلامه. (ثم تلين جلودهم وقلوبهم إلى ذكر الله) أي تطمئن وتسكن قلوبهم وجلودهم إلى ذكر الله، قال المفسرون: إنهم عند سماع آيات الرحمة والإحسان، تلين جلودهم وقلوبهم، فإذا نظروا إلى عالم الجلال طاشوا، وإن لاح لهم أثر من عالم الجمال عاشوا. قال ابن كثير: هذه صفة الأبرار عند سماع كلام الجبار، إذا قرءوا آيات الوعد والوعيد، والتخويف والتهديد، تقشع جلودهم من الخشية والخوف، وإذا قرءوا آيات الرحمة لانت جلودهم وقلوبهم، لما يرجون ويؤملون من رحمته ولطفه. (ذلك هدى الله يهدي به من يشاء) أي ذلك القرآن الذي تلك صفته، هو هدى الله يهدي به من شاء من خلقه. (ومن يضل الله فما له من هاد) أي ومن يخذله الله فيجعل قلبه قاسيا مظلما، فليس له مرشد ولا هاد بعد الله⁽²¹³⁸⁾.

(أَلَيْسَ اللَّهُ بِكَافٍ عَبْدَهُ وَيُخَوِّفُونَكَ بِالَّذِينَ مِنْ دُونِهِ وَمَنْ يُضَلِلِ اللَّهُ فَمَا لَهُ مِنْ هَادٍ ۚ (٣٦)

قوله تعالى: (ويخوفونك) - الآية.

932. أخرج عبد الرزاق عن معمر: « قال لي رجل: قالوا للنبي □: لتكفن عن شتم آلهتنا أو لنامرنها فلتخبثك، فنزلت: (ويخوفونك بالذين من دونه) - الآية⁽²¹³⁹⁾».

[تعليق]

ذكر المؤلف رحمه الله أثراً واحداً مرسلًا في سبب نزول هذه الآية، وهو تهديد من المشركين للنبي □ بأن يكف عن سب وعيب آلهتهم وإلا فسوف تسلط عليه بالأذى والمكروه، فأنزل الله تعالى الآية تنبيهاً للنبي □، وهذا كما قال الله تعالى لموسى وهارون (لا تخافا إنني معكما أسمع وأرى) سورة طه. فلا يضركما كيد فرعون وسحرته.

[تفسير مختصر للآية]

(2137) صفوة التفسير - للصابوني (3/ 132)

(2138) صفوة التفسير - للصابوني (3/ 134)

(2139) تفسير الصنعاني 3/173 معضل

(ويخوفونك بالذين من دونه) أي ويخوفونك يا محمد بهذه الأوثان، التي لا تضر ولا تنفع. (ومن يضل الله فما له من هاد) أي ومن أشقاه الله وأضله فلن يهديه أحد كأننا من كان. (ومن يهد الله فما له من مضل) أي ومن أراد الله سعادته فهداه إلى الحق، ووقفه لسلك طريق المهتدين، فلن يقدر أحد على إضلاله. (أليس الله بعزيز ذي إنتقام) أي هو تعالى منيع الجناب، لا يضام من لجأ إلى بابه، وهو القادر على أن ينتقم من أعدائه لأوليائه، لأنه غالب لا يغلب، ذو إنتقام من أعدائه، وفي الآية وعيد للمشركين، ووعد للمؤمنين⁽²¹⁴⁰⁾..

(وَإِذَا ذُكِرَ اللَّهُ وَحْدَهُ اشْمَأَزَّتْ قُلُوبُ الَّذِينَ لَا يُؤْمِنُونَ بِالْآخِرَةِ وَإِذَا ذُكِرَ الَّذِينَ مِنْ دُونِهِ إِذَا هُمْ يَسْتَبْشِرُونَ ٤٥)

قوله تعالى: (وَإِذَا ذُكِرَ اللَّهُ) - الآية.

933. أخرج ابن المنذر عن مجاهد: « أنها نزلت في قراءة النبي □ النجم عند الكعبة وفرحهم عند ذكر الآلهة⁽²¹⁴¹⁾ ».

[تعليق]

ذكر المؤلف أثراً واحداً في سبب نزول هذا الآية، وهو في ذكر حال الكفار عندما يستبشرون بذكر معبوداتهم الباطلة ويشمنزون عند ذكر الله تعالى. وقد ذكر الأمام السيوطي سبباً آخر في كتابه الدر المنثور فقال: وأخرج ابن مردويه عن ابن عباس رضي الله عنهما (وإذا ذكر الله وحده اشمازت قلوب الذين لا يؤمنون بالآخرة) قال: قست ونفرت قلوب هؤلاء الأربعة الذين لا يؤمنون بالآخرة: أبو جهل بن هشام والوليد بن عتبة وصفوان وأبي بن خلف (وإذا ذكر الذين من دونه) اللات والعزى (إذا هم يستبشرون)⁽²¹⁴²⁾. قلت: الأثر الأول مرسل والثاني لم أجد له إسناداً، فالآية اخبار عن حال المشركين عموماً عند ذكر الله وذكر معبوداتهم، وهي علامة من علامات الإيمان والكفر، فالذي يستبشر عن ذكر الله تعالى وآياته فهو بحمد الله مؤمن، والذي يسبشر عن ذلك هؤلاء الطواغيت والمعبودات والهوي من دون الله فهو الكافر.

[تفسير مختصر للآية]

(وإذا ذكر الله وحده) أي وإذا أفرده بالذكر، ولم يذكر معه آلهتهم، وقيل أمام المشركين: لا إله إلا الله. (إشمأزت قلوب الذين لا يؤمنون بالآخرة) أي نفرت وإنقبضت، من شدة الكراهة لقلوب هؤلاء المشركين. (وإذا ذكر الذين من دونه إذا هم يستبشرون) أي وإذا ذكرت الأوثان والأصنام، إذا هم يفرحون ويسرون⁽²¹⁴³⁾..

(قُلْ يُعْبَادِي الَّذِينَ أَسْرَفُوا عَلَىٰ أَنفُسِهِمْ لَا تَقْنَطُوا مِن رَّحْمَةِ اللَّهِ إِنَّ اللَّهَ يَغْفِرُ الذُّنُوبَ جَمِيعًا إِنَّهُ هُوَ الْعَفُورُ الرَّحِيمُ ٥٣)

قوله تعالى: (قل يا عبادي الذين أسرفوا) - الآية. تقدم حديث الشيخين في سورة الفرقان.

934. وأخرج ابن أبي حاتم بسند صحيح عن ابن عباس قال: « أنزلت هذه الآية في مشركي أهل مكة⁽²¹⁴⁴⁾ ».

935. وأخرج الحاكم والطبراني عن ابن عمر قال: « كنا نقول ما لمفتتن توبة إذا ترك دينه بعد إسلامه ومعرفته، فلما قدم رسول الله □ المدينة أنزل فيهم: (قل يا عبادي الذين أسرفوا) - الآية⁽²¹⁴⁵⁾ ».

936. وأخرج الطبراني بسند فيه ضعف عن ابن عباس قال: « بعث رسول الله □ إلى وحشي قاتل حمزة يدعوه إلى الإسلام، فأرسل إليه كيف تدعوني وأنت تزعم أن من قتل أو زنى أو أشرك يلقى أثاماً يضاعف له العذاب يوم القيامة ويخلد فيها مهاناً، وأنا صنعت ذلك، فهل تجد لي من رخصة؟ فأنزل الله: (إلا من تاب وآمن وعمل عملاً صالحاً) - الآية، فقال وحشي: هذا شرط شديد (إلا من تاب وآمن وعمل عملاً صالحاً) فلعلي لا أقدر على هذا، فأنزل الله: (إن الله لا يغفر أن يشرك به ويغفر ما دون ذلك لمن يشاء) فقال وحشي: هذا أرى بعده مشيئة، فلا أدري أيغفر لي أم لا فهل غير هذا؟ فأنزل الله: (يا عبادي الذين أسرفوا على أنفسهم لا تقنطوا من رحمة الله) الآية، قال وحشي: هذا نعم فأسلم⁽²¹⁴⁶⁾ ».

⁽²¹⁴⁰⁾صفوة التفسير - للصابوني (3/ 136)

⁽²¹⁴¹⁾مرسل

⁽²¹⁴²⁾الدر المنثور في التفسير بالمأثور للسيوطي (12/ 669)

⁽²¹⁴³⁾صفوة التفسير - للصابوني (3/ 138)

⁽²¹⁴⁴⁾تفسير ابن أبي حاتم 10/3253 صحيح الإسناد.

⁽²¹⁴⁵⁾المستدرک للحاکم 2/268 3/2472 ح(3628) وقال: صحيح على شرط مسلم المختارة 1/318 سنن البيهقي الكبرى 9/13 المعجم الكبير 22/177 ح(462) شعب الإيمان 5/423 ح(7138) قلت: صحيح الإسناد وابن إسحاق مصرح بالتحديث. قال أبو عبد الله الحاكم حدثني أبو إسحاق إبراهيم بن إسماعيل القاري حدثنا عثمان بن سعيد الدارمي حدثنا الحسن بن الربيع حدثنا عبد الله بن إدريس حدثني محمد بن إسحاق قال وأخبرني نافع عن عبد الله بن عمر عن عمر - به.

⁽²¹⁴⁶⁾المعجم الكبير 11/197 ح(11480) في إسناده أبي بن سفيان ضعيف، وله إسناد آخر عند البيهقي في شعب الإيمان 5/424 ح(7139) وفي إسناده ابن جريج مدلس قد عنعن

[تعليق]

ذكر المؤلف رحمه الله عدة آثار في سبب نزول هذه الآية.
 أما حديث الشيخين فقد تقدم في سورة الفرقان عند قوله تعالى (والذين لا يدعون مع الله إلهاً آخر ولا يقتلون النفس) - إلى قوله (إلا من تاب وأمن) - الآية.

وهو عن ابن عباس: أن قوما كانوا قتلوا فأكثروا وزنوا فأكثروا وانتهكوا فأتوا النبي صلى الله عليه وسلم قالوا يا محمد إن الذي تقول وتدعو إليه لحسن لو تخبرنا أن لما عملنا كفارة فأنزل الله عز وجل (والذين لا يدعون مع الله إلهاً آخر) إلى (فأولئك يبدل الله سيئاتهم حسنات) قال يبدل الله شركهم إيماناً وزيادتهم إحصاناً ونزلت (قل يا عبادي الذين أسرفوا على أنفسهم) الآية⁽²¹⁴⁷⁾.
 وهذا الحديث مع الذي بعده يدل على أن الآية مكية، وهي فتح باب التوبة لمشركي مكة.
 وأما الأثر الثالث: فقد رواه الإمام الطبري وغيره عن ابن عباس: (قُلْ يَا عِبَادِيَ الَّذِينَ أَسْرَفُوا عَلَىٰ أَنفُسِهِمْ لَا تَقْنَطُوا مِن رَّحْمَةِ اللَّهِ) وذلك أن أهل مكة قالوا: يزعم محمد أنه من عبد الأوثان، ودعا مع الله إلهاً آخر، وقتل النفس التي حرم الله لم يغفر له، فكيف نهاجر ونسلم، وقد عبدنا الألهة، وقتلنا النفس التي حرم الله ونحن أهل الشرك؟ فأنزل الله: (يَا عِبَادِيَ الَّذِينَ أَسْرَفُوا عَلَىٰ أَنفُسِهِمْ لَا تَقْنَطُوا مِن رَّحْمَةِ اللَّهِ)⁽²¹⁴⁸⁾.

وأما الرابع فهو أثر وحشي وقد تقدم الكلام عليه في سورة الفرقان وهو مع الذي قبله يدلان على أن الآية مدنية وقد ذكرنا أثر وحشي في أسباب نزول سورة الفرقان.

وروى الإمام الطبري: عن ابن عمر، قال: إنما أنزلت هذه الآيات في عياش بن أبي ربيعة، والوليد بن الوليد، ونفر من المسلمين، كانوا أسلموا ثم فتنوا وعذبوا، فافتنوا، كنا نقول: لا يقبل الله من هؤلاء صرفاً ولا عدلاً أبداً، قوم أسلموا ثم تركوا دينهم بعذاب عذوبه، فنزلت هؤلاء الآيات، وكان عمر بن الخطاب كاتباً، قال: فكتبها بيده ثم بعث بها إلى عياش بن أبي ربيعة، والوليد بن الوليد، إلى أولئك نفر، فأسلموا وهاجروا⁽²¹⁴⁹⁾.

وهذا يدل على أن الآية كذلك مدنية.

قلت: وكون الآية مكية هو الأقرب لسباق الآيات فالآيات نزلت فتحاً لباب التوبة للمشرك والعاصي والله تعالى أعلم.

[تفسير مختصر للآية]

(قل يا عبادي الذين أسرفوا على أنفسهم) بشر يا أيها الرسول عبادي المؤمنين، الذين أفرطوا في الجناية على أنفسهم بالمعاصي والآثام، وقل لهم:

(لا تقنطوا من رحمة الله) أي لا تيأسوا من مغفرة الله ورحمته.

(إن الله يغفر الذنوب جميعاً) أي إنه تعالى يعفو عن جميع الذنوب لمن شاء، وإن كانت مثل زبد البحر.

(إنه هو الغفور الرحيم) أي عظيم المغفرة، واسع الرحمة، وظاهر الآية أنها دعوة للمؤمنين إلى عدم اليأس من رحمة الله لقوله: (قل يا عبادي) وقال ابن كثير: هي دعوة لجميع العصاة من الكفرة وغيرهم إلى التوبة والإنابة، وإخبار بأن الله يغفر الذنوب جميعاً، لمن تاب منها ورجع عنها مهما كثرت⁽²¹⁵⁰⁾.

(قُلْ أَغْفِرِ اللَّهُ تَأْمُرُونِي أَعْبُدُ أَيُّهَا الْجَاهِلُونَ ٦٤)

قوله تعالى: (قل أغفر الله تأمروني أعبد) - الآية. سيأتي سبب نزولها في سورة الكافرون.

937. [ك] وأخرج البيهقي في الدلائل عن الحسن البصري قال: «قال المشركون للنبي □ : أتضلل آباءك

وأجدادك يا محمد؟ فأنزل الله: (قل أغفر الله تأمروني أعبد) - إلى قوله: (من الشاكرين)⁽²¹⁵¹⁾».

[تعليق]

ذكر المؤلف رحمه الله اثنين في سبب نزول هذه الآية، فأما الأول فهو ما أخرجه ابن مردويه عن ابن عباس رضي الله عنهما، أن قريشاً دعت رسول الله □ أن يعطوه مالا فيكون أغنى رجل بمكة ويزوجوه ما أراد من النساء ويطأون عقبه، فقالوا له: هذا لك عندنا يا محمد وتكف عن شتم آلهتنا ولا تذكرها بسوء، فإن لم تفعل فإننا نعرض عليك خصلة واحدة هي لنا ولك فدلوه قال: حتى أنظر ما يأتيني من ربي فجاء الوحي (قل يا أيها الكافرون) (الكافرون الآية 1) إلى آخر السورة وأنزل الله عليه (قل أغفر الله تأمروني أعبد أيها الجاهلون) (ولقد أوحى إليك وإلى الذين من قبلك لئن أشركت ليحبطن عملك ولتكونن من الخاسرين)⁽²¹⁵²⁾.

وأما الثاني فقد أخرجه الإمام البيهقي في الدلائل عن الحسن قال خرج رسول الله إلى بعض شعاب مكة وقد دخله من الغم ما شاء الله من تكذيب قومه إياه فقال رب أرني ما أطمئن إليه ويذهب عني هذا الغم فأوحى الله إليه إدع أي أغصان هذه الشجرة شئت فدعا غصنا فانتزع من مكانه ثم خد في الأرض حتى جاء رسول الله فقال له رسول الله ارجع إلى مكانك فرجع الغصن فخد في الأرض حتى استوى كما كان فحمد رسول الله وطابت نفسه ورجع وقد كان قال المشركون أفضلت أباك وأجدادك

(2147) انظر تخريجه عند آية سورة الفرقان

(2148) جامع البيان (تفسير الطبري) (21/306)

(2149) جامع البيان (تفسير الطبري) (21/309)

(2150) صفوة التفاسير - للصابوني (3/140)

(2151) دلائل النبوة - للبيهقي (6/14 والأثر مرسل).

(2152) الدر المنثور في التفسير بالمتأثر للسيوطي (12/690)

يا محمد فأنزل الله عز وجل (أفغير الله تأمروني أعبد أيها الجاهلون) إلى قوله (وكن مع الشاكرين).
فالآية نزلت أمراً من الله تعالى لنبيه بأن يجيب على الكفار الذي أرادوا إغراءه بالمال تارة، وبعبه بأنه ترك دين آبائه تارة أخرى، فأمر الله تعالى نبيه □ بأن يقل لهم (أفغير الله تأمروني أعبد أيها الجاهلون) الجاحدون لتوحيد الله. فنزلت الآية في الأمرين جميعاً والله أعلم.

[تفسير مختصر للآية]

(قل أفغير الله تأمروني أعبد أيها الجاهلون) أي قل يا محمد أتأمروني أن أعبد غير الله؟ بعد سطوع الآيات والدلائل على وحدانيته؟ يا أيها الجاهلون⁽²¹⁵³⁾.

(وَمَا قَدَرُوا اللَّهَ حَقَّ قَدْرِهِ وَالْأَرْضُ جَمِيعًا قَبْضَتُهُ يَوْمَ الْقِيَمَةِ وَالسَّمَوَاتُ مَطْوِيَّاتٌ بِيَمِينِهِ سُبْحَانَ اللَّهِ عَمَّا يُشْرِكُونَ ٦٧)

قوله تعالى: (وما قدروا الله حق قدره والأرض جميعاً قبضته) - الآية.

938. وأخرج الترمذي وصححه عن ابن عباس قال: « مر يهودي بالنبي □ فقال: كيف تقول يا أبا القاسم إذا وضع الله السموات على ذه والأرضين على ذه والماء على ذه والجبال على ذه؟ فأنزل الله: (وما قدروا الله حق قدره) - الآية⁽²¹⁵⁴⁾. والحديث في الصحيح بلفظ فتلا دون فأنزل⁽²¹⁵⁵⁾. »
939. [ك] وأخرج ابن أبي حاتم عن الحسن قال: « غدت اليهود فنظروا في خلق السموات والأرض والملائكة، فلما فرغوا أخذوا يقدرونه، فأنزل الله: (وما قدروا الله حق قدره⁽²¹⁵⁶⁾) ». »
940. [ك] وأخرج عن سعيد بن جبير قال: « تكلمت اليهود في صفة الرب فقالوا بما لم يعلموا ولم يروا، فأنزل الله هذه الآية⁽²¹⁵⁷⁾ ». »
941. [ك] وأخرج ابن المنذر عن الربيع بن أنس قال: « لما نزلت: (وسع كرسيه السموات والأرض) قالوا: يا رسول الله هذا الكرسي هكذا، فكيف العرش؟ فأنزل الله: (وما قدروا الله) - الآية⁽²¹⁵⁸⁾ ». »

[تعليق]

ذكر المؤلف رحمه الله أربعة آثار في سبب نزول هذه الآية، فأما الأول فهو مصدق لقول اليهود فذلك نزل القرآن مصدقاً لما قالوا، وفي رواية الصحيح من حديث ابن مسعود: قال: جاء حبر إلى رسول الله صلى الله عليه وسلم فقال يا محمد أو يا رسول الله ان الله عز وجل يوم القيامة يحمل السموات على إصبع والأرضين على إصبع والجبال على إصبع والشجر على إصبع والماء والثرى على إصبع وسائر الخلق على إصبع يهزه فيقول أنا الملك قال فضحك رسول الله صلى الله عليه وسلم حتى بدت نواجذه تصديقا لقول الحبر ثم قرأ (وما قدروا الله حق قدره والأرض جميعاً قبضته يوم القيامة) إلى آخر الآية⁽²¹⁵⁹⁾. فهذه تدل على أن الآية نزلت قبل هذه الحادثة، ويحتمل أن تكون هذه قصة أخرى غير قصة سبب النزول والله تعالى أعلم.

وأما الأثر الثاني والثالث، فهو تكذيب لهم حيث أنهم قدروا الله بما لا يليق بقدره فنزلت الآية مكذبة لهم (وما قدروا الله حق قدره).
وأما الأثر الأخير فهو بسبب قول الصحابة تعجباً من الكرسي، فنزلت الآية تعظيماً لشأن رب العزة جلا جلاله فإذا كانت هذه مخلوقاته فقدره لا يستطيع تقديره أحد من الخلق.
وهذه الآثار تدل على أن الآية مدنية، والله تعالى أعلم.

[تفسير مختصر للآية]

(وما قدروا الله حق قدره) أي وما عرفوا الله حق معرفته، ولا عظموه حق تعظيمه، قال أبو حيان: أي ما عظموه حق تعظيمه، وما قدروه في أنفسهم حق تقديره، إذ أشركوا معه غيره، وساواوا بينه وبين الحجر والوثن في العبادة ! ثم نبههم على عظمتهم وجلالة شأنه فقال:
(والأرض جميعاً قبضته يوم القيامة) والمعنى: ما عظموه حق تعظيمه، والحال أنه موصوف بهذه القدرة الباهرة، التي هي غاية العظمة والجلال فالأرض مع سعتها وبسطتها، في قبضة الرحمن يوم القيامة.
(والسموات مطويات بيمينه) والسموات مضمومات ومجموعات على سعتها وعظمتها مطويات بيمينه، قال الزمخشري: والغرض

(2153) صفوة التفسير - للصابوني (141 / 3)

(2154) تفسير الطبري 24/26 سنن الترمذي 5/371 ح(3240) وقال حسن صحيح، السنة لعبد الله بن أحمد 1/266 ح(494) في إسناده عطاء بن السائب مختلط وأبو كدينه الراوي عنه ليس فيمن روى عنه قبل الاختلاط والله أعلم

(2155) قلت: إن صحت رواية ابن عباس فلا منافاة بينهما حيث يكون المعنى أنزل عليه فتلاها، فعبر الراوي باللازم من الآية والله أعلم

(2156) تفسير ابن أبي حاتم 10/3255 مرسل.

(2157) المصدر السابق مرسل.

(2158) مرسل.

(2159) صحيح البخاري (157 / 6)

من هذا الكلام تصوير عظمتة والتوقيف علي كنه جلاله لا غير، من غير ذهاب بالقبضة واليمين إلي جهة وقد وردت أحاديث متعلقة بهذه الآية، والطريق فيها وفي أمثالها مذهب السلف، وهو إمرارها كما جاءت من غير تكبير ولا تحريف، وفي الحديث «يقبض الله تعالى الأرض، ويطوي السماء بيمينه، ثم يقول: أنا الملك، أين ملوك الأرض». (سبحانه وتعالى عما يشركون) أي تنزهه الله وتقدس عما يصفه به المشركون، من صفات العجز والنقص⁽²¹⁶⁰⁾.

انتهت سورة الزمر

سُورَةُ غَافِرٍ

(مَا يُجَادِلُ فِي آيَاتِ اللَّهِ إِلَّا الَّذِينَ كَفَرُوا فَلَا يَغْرُرُكَ تَقَلُّبُهُمْ فِي الْبِلَادِ ۚ)

قوله تعالى: (ما يجادل في آيات الله إلا الذين كفروا) - الآية. 942. أخرج ابن أبي حاتم عن السدي عن أبي مالك في قوله: (ما يجادل في آيات الله إلا الذين كفروا) قال: « نزلت في الحارث بن قيس السهمي⁽²¹⁶¹⁾ ».

[تعليق]

سورة غافر، وتسمي سورة الطول. وهي سورة المؤمن، وهي مكية في قول الحسن وعكرمة وجابر. وعن الحسن إلا قوله: (وَسَبِّحْ بِحَمْدِ رَبِّكَ) لأن الصلوات نزلت بالمدينة. وقال ابن عباس وقتادة: إلا آيتين منها نزلنا بالمدينة وهما (إِنَّ الَّذِينَ يُجَادِلُونَ فِي آيَاتِ اللَّهِ) والتي بعدها⁽²¹⁶²⁾. وقد ذكر المؤلف رحمه الله أن هذه الآية نزلت في الحارث بن قيس السهمي، وهو أحد المستهزئين، المجادلين في آيات الله بغير بينه، أما ما يحدث بين أهل العلم من الجدل في آيات الله فهو ليس من هذا القبيل لأن ذلك مصدره الهوي والاستهزاء، وإما ما يقع لأهل العلم فإنما هو لاستيضاح معانيها، واستنباط الأحكام والعقائد منها، ومقارعة أهل البدع بها، فذلك فيه الثواب الجزيل⁽²¹⁶³⁾.

والآية تخبر عن أقوام من المشركين الذين يجادلون في آيات الله بغير علم ولا هدى ولا كتاب منير، فكل من كان حاله كحالهم فهو داخل تحت حكم الآية. والله تعالى أعلم.

[تفسير مختصر للآية]

(ما يجادل في آيات الله إلا الذين كفروا) أي ما يدفع الحق ويجادل في هذا القرآن - بعد وضوح آياته وظهور إعجازه - إلا الجاحدون لآيات الله، المعاندون لرسوله. (فلا يغرك تقلبهم في البلاد) أي فلا تغتر أيها العاقل بتصرفهم وتقلبهم في هذه الدنيا، بالمساكن والمزارع، والممالك والتجارات، فإنهم أشقى الناس، وما هم عليه من النعيم متاع قليل، وظل زائل، فإني وإن أهملتهم لا أهملهم، بل أخذهم بعد ذلك النعيم أخذ عزيز مقتدر⁽²¹⁶⁴⁾.

(إِنَّ الَّذِينَ يُجَادِلُونَ فِي آيَاتِ اللَّهِ بِغَيْرِ سُلْطَانٍ أَتَتْهُمْ إِنْ فِي صُدُورِهِمْ إِلَّا كِبْرٌ مَّا هُمْ بِلِغْيَةٍ فَاسْتَعَدُّ بِاللَّهِ إِنَّهُ هُوَ السَّمِيعُ الْبَصِيرُ ۝٥٦)

قوله تعالى: (إن الذين يجادلون في آيات الله) - الآية.

943. وأخرج عن أبي العالية قال: « جاءت اليهود إلى رسول الله ﷺ، فذكروا الدجال فقالوا: يكون منا في آخر الزمان، فعضموا أمره وقالوا: يصنع كذا، فأنزل الله: (إن الذين يجادلون في آيات الله بغير سلطان أتاهم إن في صدورهم إلا كبر ما هم ببالغيه فاستعد بالله) فأمر نبيه أن يتعوذ من فتنة الدجال: (لخلق السموات والأرض أكبر من خلق الناس) قال: من خلق الدجال⁽²¹⁶⁵⁾ ».

944. وأخرج عن كعب الأحبار في قوله: (الذين يجادلون في آيات الله بغير سلطان) قال: هم اليهود نزلت

(2160) صفوة التفسير - للصابوني (141/3)

(2161) تفسير ابن أبي حاتم 10/3264 مرسل.

(2162) تفسير القرطبي - (15/288)

(2163) البحر المحيط (9/235)

(2164) صفوة التفسير - للصابوني (146/3)

(2165) تفسير ابن أبي حاتم 10/3268 مرسل.

[تعليق]

ذكر المؤلف رحمه الله ثلاثة آثار في سبب نزول هذه الآية، وأنها في اليهود المنتظرين للدجال، وقد رد هذا القول الإمام ابن كثير رحمه الله فقال: وهذا قول غريب، وفيه تعسف بعيد، وإن كان قد رواه ابن أبي حاتم في كتابه، والله أعلم⁽²¹⁶⁷⁾. قلت: ويرد سبب النزول هذا أن الآية مكية ولقاء اليهود كان بالمدينة. وقد أورد الإمام ابن الجوزي في تفسيره أن هذه الآية نزلت في قريش⁽²¹⁶⁸⁾. قلت: كلا المعنيين محتمل من الآية فكونها نزلت في اليهود يؤديه السياق، لأن الله تعالى ذكر قبلها قصة موسى مع فرعون، لكن لا يعنى هذا أنها مدنية فإن اليهود كذلك معنيين في بعض السور المكية. وكونها في قريش هو المناسب للجو العام للسورة، فلا مانع أن يقال بأنها نزلت في كلا الطائفتين والله تعالى أعلم.

[تفسير مختصر للآية]

(إن الذين يجادلون في آيات الله) أي يخاصمون في الآيات المنزلة. (بغير سلطان أتهم) أي بلا برهان ولا حجة من الله. (إن في صدورهم إلا كبر) أي ما في قلوبهم إلا تكبر وتعظم، يمنعهم من اتباعك والانقياد إليك. (ما هم ببالغيه) أي ما هم بواصلين إذ مرادهم من إطفاء نور الله، ولا بمؤملين مقصودهم بالعلو عليك. (فاستعذ بالله إنه هو السميع البصير) أي فالتجىء وتحصن بالله من كيدهم، فإن الله يدفع عنك شرهم، لأنه هو السميع لأقوالهم، العليم بأحوالهم⁽²¹⁶⁹⁾.

(قُلْ إِنِّي نُهَيْتُ أَنْ أَعْبُدَ الَّذِينَ تَدْعُونَ مِنْ دُونِ اللَّهِ لَمَّا جَاءَنِيَ الْبَيِّنَاتُ مِنْ رَبِّي وَأُمِرْتُ أَنْ أُسَلِّمَ لِرَبِّ الْعَالَمِينَ ٦٦)

قوله تعالى: (قل إنني نهيت أن أعبد الذين تدعون من دون الله) - الآية.

945. وأخرج جوير عن ابن عباس: « أن الوليد بن المغيرة وشيبة بن ربيعة قالوا: يا محمد ارجع عما تقول وعليك بدين آبائك وأجدادك، فأنزل الله: (قل إنني نهيت أن أعبد الذين تدعون من دون الله) - الآية⁽²¹⁷⁰⁾».

[تعليق]

أورد المؤلف أثراً واحداً في سبب نزول هذه السورة، وفيه أن الله تعالى أمر نبيه ﷺ أن يجيب على أبي جهل وغيره ممن حاول إثناء النبي ﷺ عن عبادة ربه بعد أن جاءه الحق الواضح من الله تعالى. وهذا الأثر وإن كان ضعيف الإسناد فهو أمر من الله نبيه بأن يعلنها عامة لكل الكفار بما فيهم المذكورين في الأثر والله تعالى أعلم.

[تفسير مختصر للآية]

(قل إنني نهيت أن أعبد الذين تدعون من دون الله) أي قل يا محمد إن ربي العظيم الجليل، نهاني أن أعبد هذه الآلهة التي تعبدونها من الأوثان والأصنام، قال الصاوي: أمر تعالى نبيه أن يخاطب قومه بذلك، زجراً لهم، حيث استمروا على عبادة غير الله، بعد ظهور الأدلة العقلية والنقلية. (لما جاءني البينات من ربي) أي حين جاءتني الآيات الواضحات من عنده، الدالة على وحدانيته قال الرازي: والبيانات هي أن إله العالم قد ثبت كونه موصوفاً بصفات الجلال والعظمة، وصريح العقل يشهد بأن العبادة لا تليق إلا به، وأن جعل الحجارة المنحوتة والأخشاب المصورة، شركاء له في المعبودية، مستنكر في بديهته العقل (وأمرت أن أسلم لرب العالمين) أي وأمرت أن أذل وأخضع لله وحده، وأن أخلص له ديني، وأظهر نفسي من عبادة غيره⁽²¹⁷¹⁾. انتهت سورة غافر

سُورَةُ فَصَّلَتْ

⁽²¹⁶⁶⁾ تفسير ابن أبي حاتم 10/3268 مرسل.
⁽²¹⁶⁷⁾ تفسير ابن كثير (7/ 152)
⁽²¹⁶⁸⁾ زاد المسير (7/ 233)
⁽²¹⁶⁹⁾ صفوة التفاسير - للصابوني (3/ 155)
⁽²¹⁷⁰⁾ ضعيف
⁽²¹⁷¹⁾ صفوة التفاسير - للصابوني (3/ 156)

(وَمَا كُنْتُمْ تَسْتَتِرُونَ أَنْ يَشْهَدَ عَلَيْكُمْ سَمْعُكُمْ وَلَا أَبْصَارُكُمْ وَلَا جُلُودُكُمْ وَلَكِنْ ظَنَنْتُمْ أَنَّ اللَّهَ لَا يَعْلَمُ كَثِيرًا مِمَّا تَعْمَلُونَ ۚ) (٢٢)

قوله تعالى: (وما كنتم تستترون أن يشهد) – الآية.

946. أخرج الشيخان والترمذي وأحمد وغيرهم عن ابن مسعود قال « اختصم عند البيت ثلاثة نفر قرشيان وثقفي أو ثقفيان وقرشي، فقال: أحدهم أترون الله يسمع ما نقول؟ فقال: الآخر يسمع إن جهرنا ولا يسمع إن أخفينا، وقال الآخر: إن كان يسمع إذا جهرنا فهو يسمع إذا أخفينا، فأنزل الله: (وما كنتم تستترون) - الآية⁽²¹⁷²⁾».

[تعليق]

هذه السورة الكريمة مكية في قول جميع أهل التفسير⁽²¹⁷³⁾، وهي تتناول جوانب العقيدة الإسلامية: الوحدانية، الرسالة، البعث والجزاء. وهي الأهداف الأساسية لسائر السور المكية التي تهتم بأركان الإيمان. وقد ذكر المؤلف رحمه الله الأثر الذي أورده أصحاب الصحيح وهو أثر مقطوع بصحته وقد ذكره كل أهل التفسير عند تفسير هذه الآية. وفيه أن هؤلاء كانوا يقولون ذلك على سبيل الاستهزاء لا على سبيل الجهل والله تعالى أعلم.

[تفسير مختصر للآية]

(وما كنتم تستترون أن يشهد عليكم سمعكم ولا أبصاركم ولا جلودكم) أي وما كنتم تستخفون من هؤلاء الشهود في الدنيا، حين مباشرتكم الفواحش، لأنكم لم تظنوا أنها تشهد عليكم قال البيضاوي: أي كنتم تستترون عن الناس، عند ارتكاب الفواحش مخافة الفضيحة، وما ظننتم أن أعضاءكم تشهد عليكم؟ فما استخفيتم منها! وفيه تنبيه على أن المؤمن ينبغي ألا يمر عليه حال إلا وعليه رقيب. (ولكن ظننتم أن الله لا يعلم كثيرا مما تعملون) أي ولكن ظننتم أن الله تعالى لا يعلم كثيرا من القبائح المخفية، ولذلك اجتزأتم على المعاصي والآثام⁽²¹⁷⁴⁾.

(إِنَّ الَّذِينَ يُلْحِدُونَ فِي آيَاتِنَا لَا يَخْفَوْنَ عَلَيْنَا أَفَمَنْ يُلْقَى فِي النَّارِ خَيْرًا أَمْ مَنْ يَأْتِي آئِمْنَا يَوْمَ الْقِيَامَةِ أَعْمَلُوا مَا كُنْتُمْ إِذْ تَقُولُونَ) (٤٠)

قوله تعالى: (إن الذين يلحدون في آياتنا) – الآية.

947. وأخرج ابن المنذر عن بشير بن فتح قال: « نزلت هذه الآية في أبي جهل وعمار بن ياسر: (أفمن يلقي في النار خير أم من يأتي آئمتنا يوم القيامة)⁽²¹⁷⁵⁾».

[تعليق]

ذكر المؤلف رحمه الله أثراً واحداً في سبب نزول هذه الآية، والأثر يدل على طائفتين فطائفة الحق أهل الجنة فهو عمار بن ياسر الذي آمن بالله عز وجل مع أصحابه، وطائفة الباطل أهل النار أبو جهل وأصحابه.

[تفسير مختصر للآية]

(إن الذين يلحدون في آياتنا لا يخفون علينا) أي إن الذين يطعنون في آياتنا، بالتحريف والتكذيب والإنكار لها، لا يغيب أمرهم عنا فنحن لهم بالمرصاد، وفيه وعيد وتهديد قال قتادة: الإلحاد الكفر والعناد قال ابن عباس: هو تبديل الكلام ووضع في غير موضعه. (أفمن يلقي في النار خير أم من يأتي آئمتنا يوم القيامة) أي أفمن يطرح في جهنم مع الخوف، أفضل أم من يكون في الجنة آئمتنا من عذاب الله يوم القيامة؟ قال الرازي: والغرض التنبيه على أن الملحدين في آيات الله يلقون في النار، وإن المؤمنين بآيات الله يكونون آمنين يوم القيامة، وشتان ما بينهما⁽²¹⁷⁶⁾.

(وَلَوْ جَعَلْنَاهُ قُرْآنًا أَعْجَمِيًّا لَقَالُوا لَوْلَا فُصِّلَتْ آيَاتُهُ أَأَعْجَمِيٌّ وَعَرَبِيٌّ قُلْ هُوَ لِلَّذِينَ آمَنُوا هُدًى وَشِفَاءً وَالَّذِينَ لَا يُؤْمِنُونَ فِي آذَانِهِمْ وَقْرٌ وَهُوَ عَلَيْهِمْ عَمًى أُولَٰئِكَ يُنَادُونَ مِنْ مَّكَانٍ بَعِيدٍ) (٤٤)

(2172) تفسير الطبري 24/109 صحيح البخاري 4/1818 ح(4538) صحيح مسلم 4/2141 ح(2775) صحيح ابن حبان 2/116 ح(390) سنن الترمذي 5/375 ح(3248) مسند الزوار 5/199 مسند أحمد 1/381 ح(3614) مسند الحميدي 1/47 ح(87) مسند الطيالسي 1/48 ح(363) مسند أبي يعلى 9/160 ح(5245) المعجم الكبير 10/112 ح(101325) السنة لابن أبي عاصم 1/279 خلق أفعال العباد 1/64 (2173) تفسير القرطبي - (337/15) (2174) صفوة التفاسير - للصابوني (164/3) (2175) مرسل. (2176) صفوة التفاسير - للصابوني (167/3)

قوله تعالى: (ولو جعلناه قرآنا أعجمياً) - الآية.

948. وأخرج ابن جرير عن سعيد بن جبير قال: « قالت قريش لولا أنزل هذا القرآن أعجمياً وعربياً، فأنزل الله: لقالوا لولا فصلت آياته) - الآية وأنزل الله بعد هذه الآية فيه بكل لسان (2177) ». قال ابن جرير: والقراءة على هذا أعجمي بلا استفهام.

[تعليق]

ذكر المؤلف رحمه الله أثراً واحداً في سبب نزول هذه الآية، وهو سؤال الكفار النبي □ بأن يكون القرآن منه عربي ومنه أعجمي.

وقد أخرج الإمام الثعلبي سبباً آخر لهذه الآية فقال: وذلك إن رسول الله صلى الله عليه وسلم، كان يدخل على يسار غلام ابن الحضرمي وكان يهودياً أعجمياً ويكنى [أبا فكيهة]، فقال المشركون: إنما يعلمه يسار، فأخذه سيده عامر بن الحضرمي، وضربه، وقال: إنك تعلم محمداً. فقال يسار: هو يعلمني. فأنزل الله تعالى هذه الآية (2178). وهذا السبب قريب مما تقدم في سورة النحل في قوله تعالى (ولقد نعلم أنهم يقولون إنما يعلمه بشر، لسان الذين يلحدون إليه أعجمي وهذا لسان عربي مبين) [النحل 103] والله تعالى أعلم.

[تفسير مختصر للآية]

(ولو جعلناه قرآنا أعجمياً) أي لو أنزلنا هذا القرآن بلغة العجم. لقالوا لولا فصلت آياته (أي لقال المشركون: هلا بينت آياته بلسان نفهمه، وهلا نزل بلغتنا؟. (أعجمي وعربي) استفهام إنكاري أي قرآن أعجمي ونبي عربي؟. (قل هو للذين آمنوا هدى وشفاء) أي قل لهم يا محمد: إن هذا القرآن هدى للمؤمنين من الضلالة، وشفاء لهم من الجهل والشك والريب.

(والذين لا يؤمنون في آذانهم وقر) أي والذين لا يصدقون بهذا القرآن، في آذانهم صمم عن سماعه، ولذلك تواصلوا باللغو فيه. (وهو عليهم عمى) أي وكما أن هذا القرآن رحمة للمؤمنين، هو شقاء وتعاسة على الكافرين، كقوله تعالى (ونزل من القرآن ما هو شفاء ورحمة للمؤمنين، ولا يزيد الظالمين إلا خساراً) قال في حاشية البيضاوي: إن القرآن لوضوح آياته، وسطوح براهينه، هاد إلى الحق، ومزيل لريب الشك، وشفاء من داء الجهل، والكفر والإرتياب، ومن إرتاب فيه ولم يؤمن به، فإرتيابه إنما نشأ عن توغله في إتباع الشهوات، وتقاؤه عن تفقد ما يسعده وينجي.

(أولئك ينادون من مكان بعيد) أي أولئك الكافرون بالقرآن، كمن ينادى من مكان بعيد، فإنه لا يسمع ولا يفهم ما ينادى به، وهذا على سبيل التمثيل قال ابن عباس: يريد مثل البهيمة التي لا تفهم إلا دعاء ونداء (2179).

انتهت سورة فصلت

سُورَةُ الشُّورَى

(وَالَّذِينَ يُحَاجُّونَ فِي اللَّهِ مِنْ بَعْدِ مَا اسْتَجِيبَ لَهُ حُجَّتُهُمْ دَاحِضَةً عِنْدَ رَبِّهِمْ وَعَلَيْهِمْ عَذَابٌ شَدِيدٌ ۙ ١٦)

قوله تعالى: (والذين يحاجون في الله من بعد ما استجيب له) - الآية.

949. أخرج ابن المنذر عن عكرمة قال: « لما نزلت: (إذا جاء نصر الله والفتح) قال المشركون بمكة لمن بين أظهرهم من المؤمنين: قد دخل الناس في دين الله أفواجا، فأخرجوا من بين أظهرنا فعلام تقيمون بين أظهرنا؟ فنزلت: (والذين يحاجون في الله من بعد ما استجيب له) - الآية (2180) ».

950. [ك] وأخرج عبد الرزاق عن قتادة في قوله: (والذين يحاجون) - الآية. قال: «هم اليهود والنصارى قالوا: كتابنا قبل كتابكم ونبينا قبل نبيكم ونحن خير منكم (2181) ».

[تعليق]

سورة الشورى من السورة المكية والتي تهتم بترسيخ العقائد وإقامة الحجج على واحدانية الله، لكن قد جاء فيها بعض الآيات المدنية.

قال الإمام القرطبي: مكية في قول الحسن وعكرمة وعطاء وجابر. وقال ابن عباس وقتادة: إلا أربع آيات منها أنزلت بالمدينة: (قُلْ لَا أَسْأَلُكُمْ عَلَيْهِ أَجْرًا إِلَّا الْمَوَدَّةَ فِي الْقُرْبَى) إلى آخرها. وهي ثلاث وخمسون آية (2182). وسميت الشورى لقول الله تعالى (وأمرهم شورى بينهم).

(2177) تفسير الطبري 24/127 مرسل ضعيف

(2178) الكشف والبيان عن تفسير القرآن (8/ 298)

(2179) صفوة التفسير - للصابوني (3/ 168)

(2180) مرسل.

(2181) تفسير الصنعاني 3/190 مرسل في إسناده ضعف

(2182) تفسير القرطبي - (1/ 16)

وقد ذكر المؤلف رحمه الله أكثرين بسببين مختلفين للنزول.
الأول في قریش وذلك بسبب قولهم للأصحاب النبي □ بعد نزول سورة النصر: لماذا تقيمون بيننا، وهذا السبب يدل على أن الآية مدنية.
والثاني: في اليهود وادعائهم أن نبيهم أفضل من نبي الإسلام وكتابه خير من كتاب الإسلام وقد جاء عن النبي □ النهي عن التخيير بين الأنبياء.
قلت: كلا الأثرين مرسل فيبقى معنى الآية ذماً لأقوام يحاجون ويجادلون في الله عز وجل يعنى في توحيده فتشمل كل من ذكر والله تعالى أعلم.

[تفسير مختصر للآية]

(والذين يحاجون في الله) أي يخاصمون في دينه لصد الناس عن الإيمان.
(من بعد ما استجيب له) أي من بعد ما استجاب الناس له، ودخلوا في دينه..
(حجتهم داحضة عند ربهم) أي حجتهم باطلة لا ثبوت لها عند الله، قال ابن عباس: نزلت في طائفة من " بني إسرائيل " همت ببرد الناس عن الإسلام وإضلالهم، ومحاجتهم بالباطل
(وعليهم غضب ولهم عذاب شديد) أي وعليهم غضب عظيم في الدنيا، وعذاب شديد في الآخرة⁽²¹⁸³⁾.

(ذَلِكَ الَّذِي يُبَشِّرُ اللَّهُ عِبَادَهُ الَّذِينَ ءَامَنُوا وَعَمِلُوا الصَّالِحَاتِ قُلْ لَا أَسْأَلُكُمْ عَلَيْهِ أَجْرًا إِلَّا الْمَوَدَّةَ فِي الْقُرْبَىٰ وَمَن يَقْتَرِفْ حَسَنَةً نَّزِدْ لَهُ فِيهَا حُسْنًا إِنَّ اللَّهَ غَفُورٌ شَكُورٌ ٢٣)

قوله تعالى: (ذلك الذي يبشر الله عباده) – الآية.

951. وأخرج الطبراني بسند ضعيف عن ابن عباس قال: « قالت الأنصار: لو جمعنا لرسول الله □ مالا، فأنزل الله: (قل لا أسألكم عليه أجرا إلا المودة في القربى) فقال بعضهم: إنما قال هذا ليقاتل عن أهل بيته وينصرهم، فأنزل الله: (أم يقولون افتري على الله كذبا) إلى قوله: (وهو الذي يقبل التوبة عن عباده) فعرض لهم التوبة إلى قوله: (ويزيدهم من فضله)⁽²¹⁸⁴⁾ .»

[تعليق]

ذكر المؤلف رحمه الله أثراً واحداً وهو يدل على كون الآية مدنية، فكون لأن الأنصار كانوا في المدينة لكن الأثر قد حكم عليه المؤلف رحمه الله بالضعف، وهو كما قال. وقد جاء في سبب نزولها سببان آخران غير ما ذكره المؤلف.
فأخرج الإمام الواحدي عن قتادة: اجتمع المشركون في مجمع لهم، فقال بعضهم لبعض: أترون محمدا □ يسأل على ما يتعاطاه أجراً، فأنزل الله تعالى هذه الآية⁽²¹⁸⁵⁾.
وقدر رحج بعض أهل التفسير هذا السبب، وهو الأليق بسباق الآيات وكونها مكية والله أعلم.
وأخرج ابن أبي حاتم: عن ابن عباس رضي الله عنهما قال: «نزلت هذه الآية بمكة، وكان المشركون يؤذون رسول الله □ فأنزل الله تعالى: قل لهم يا محمد لا أسألكم عليه يعني على ما ادعوكم إليه اجرا عوضاً من الدنيا إلا المودة في القربى إلا الحفظ لي في قرابتي فيكم، قال: المودة إنما هي لرسول الله □ في قرابته فلما هاجر إلى المدينة أحب أن يلحقه باخوته من الأنبياء عليهم السلام فقال: لا أسألكم عليه أجراً فهو لكم أن اجري إلا على الله يعني ثوابه وكرامته في الآخرة، كما قال: نوح عليه السلام وما أسألكم عليه من أجر أن اجري إلا على رب العالمين وكما قال هود وصالح وشعيب لم يستثنوا أجراً كما استثنى النبي □ فرده عليهم وهي منسوخة⁽²¹⁸⁶⁾ .»

قلت: وهذا الأثر ليس مخالفاً للذي قبله فإن الذي قبله نوع إيذاء للنبي □ فقول المشركين أترون أن محمدا يأخذ أجراً على ما يتعاطاه، إيذاء له □، غير أن الآخر أعم من هذا.
وأخرج الإمام الثعلبي عن ابن عباس، قال: لم يكن بطن من بطون قریش إلا وبين رسول الله وبينهم قرابة، فلما كذبوه وأبوا أن يبايعوه، أنزل الله تعالى، (قُلْ لَا أَسْأَلُكُمْ عَلَيْهِ أَجْرًا إِلَّا الْمَوَدَّةَ فِي الْقُرْبَىٰ) يعني أن تحفظوني وتودوني وتصلوا رحمي، فقال رسول الله: «إذا أبيتم أن تبايعوني، فاحفظوا قرابتي فيكم ولا تؤذوني، فإنكم قومي وأحق من أطاعني وأجابني⁽²¹⁸⁷⁾ .»
قلت: وهذه الآية فيها فضيلة لقربي النبي □، واختلف أهل التفسير في قوله إلا المودة في القربى على خمسة أقوال.
أحدها: أن معنى الكلام: إلا أن تؤذوني لقربتي منكم، قاله ابن عباس، وعكرمة، ومجاهد في الأكثرين. قال ابن عباس: ولم يكن بطن من بطون قریش إلا ولرسول الله □ فيهم قرابة.

والثاني: إلا (أن) تؤذوا قرابتي، قاله علي بن الحسين، وسعيد بن جبير، والسدي. ثم في المراد بقربته قولان: أحدهما: علي وفاطمة وولدها، وقد رووه مرفوعاً إلى رسول الله □. والثاني: أنهم الذين تحرم عليهم الصدقة ويُقسَم فيهم الحُسن، وهم بنو هاشم وبنو المطلب.

(2183) صفوة التفسير - للصابوني (3/ 175)

(2184) المعجم الكبير 12/33 ح (12384) المعجم الأوسط 6/49 ح (5758) وفي إسناده أبو اليقظان ضعيف.

(2185) أسباب النزول للواحدي (251)

(2186) تفسير ابن أبي حاتم - (10 / 3275)

(2187) الكشف والبيان عن تفسير القرآن (8 / 310)

والثالث: أن المعنى إلا أن تَوَدُّوا إلى الله تعالى فيما يقرّبكم إليه من العمل الصالح، قاله الحسن وقتادة.
والرابع: إلا أن تَوَدُّوني، كما تَوَدُّون قرابتكم، قاله ابن زيد.

والخامس: إلا أن تَوَدُّوا قرابتكم وتصلوا أرحامكم، حكاه الماوردي. والأول: أصح. قاله الإمام ابن الجوزي⁽²¹⁸⁸⁾.

قلت: والذي يترجح من هذه الأقوال أن النبي ﷺ لما دعا قريشاً للإسلام آذوه وعصوه وادعوا أنه يريد أن يأخذ أجراً على ما يدعو إليه من الإيمان، فنزلت الآية مبينة أن النبي ﷺ حاله كحال من سبقه من الأنبياء لا يأخذون أجراً على دعوتهم إلى الله تعالى، ولما كانت لم يكن مبطن من بطون قريش إلا وله فيهم قرابة فنزلت الآية حاثّة على مودة قرابته من بطون قريش والله تعالى أعلم.

[تفسير مختصر للآية]

(قل لا أسألكم عليه أجراً إلا المودة في القربى) أي قل لهم يا محمد: أنا لا أسألكم على تبليغ الرسالة شيئاً من الأجر والمال، إلا أن تحفظوا حق القربى ولا تؤذوني، حتى أبلغ رسالة ربي قال ابن كثير: أي لا أسألكم على هذا البلاغ والنصح مالا، وإنما أطلب أن تذرني حتى أبلغ رسالات ربي، فلا تؤذوني بما بيني وبينكم من القرابة قال ابن عباس: يقول إلا أن تصلوا ما بيني وبينكم من القرابة، وتؤذوني في نفسي لقرابتي منكم.

(ومن يقترف حسنة نزد له فيها حسناً) أي ومن يكتسب ويفعل طاعة من الطاعات نضاعف له ثوابها.

(إن الله غفور شكور) أي غفور للذنوب شاكر الإحسان المحسن، لا يضيع عنده عمل العامل، ولهذا ينفر الكثير من السيئات، ويكثر القليل من الحسنات⁽²¹⁸⁹⁾.

(وَلَوْ بَسَطَ اللَّهُ الرِّزْقَ لِعِبَادِهِ لَبَغَوْا فِي الْأَرْضِ وَلَكِنْ يُنَزِّلُ بِقَدَرٍ مَّا يَشَاءُ إِنَّهُ بِعِبَادِهِ خَبِيرٌ بَصِيرٌ ۚ (٢٧)

قوله تعالى: (ولو بسط الله الرزق لعباده) - الآية.

952. وأخرج الحاكم وصححه عن علي قال: « نزلت هذه الآية في أصحاب الصفة: (ولو بسط الله الرزق لعباده لبغوا في الأرض) وذلك أنهم قالوا: لو أن لنا فتمنوا الدنيا⁽²¹⁹⁰⁾...».

953. وأخرج الطبراني عن عمر و بن حريث مثله⁽²¹⁹¹⁾...».

[تعليق]

ذكر المؤلف رحمه الله أثراً وشاهداً له في سبب نزول هذا الآية وهو أثر صحيح الإسناد وهو يدل على أن الآية مدنية.
قال الإمام الثعلبي: قال خباب بن الأرت: فينا نزلت هذه الآية وذلك إننا نظرنا إلى بني قريظة والنضير وبني القينقاع، فتمنيناها فأنزل الله تعالى وَلَوْ بَسَطَ اللَّهُ أَي وَسِعَ الرِّزْقَ لِعِبَادِهِ⁽²¹⁹²⁾.

قلت: الآية إخبار تحذير لأصحابه النبي ﷺ من تمنى الدنيا وزينتها، فكم موسع عليه في الدنيا مضيق عليه في الآخرة، فاليهود ونحوهم وإن كانوا أعطوا في الدنيا سعة الرزق فإنما هو لابتلائهم بها وتبجيل حسناتهم فيها، فلا ينبغي لعاقل أن يتمنى الفاني على الباقي.

وقد قال النبي ﷺ: " فوالله ما الفقر أخشى عليكم، ولكني أخشى عليكم كما تبسط الدنيا عليكم كما بسطت على من كان قبلكم، فتنافسوها كما تنافسوها، وتهلككم كما أهلكتهم"⁽²¹⁹³⁾.

والآية وإن كان هذا هو سبب نزولها ولكنها تشملهم وتشمل غيرهم والله تعالى أعلم.

[تفسير مختصر للآية]

(ولو بسط الله الرزق لعباده لبغوا في الأرض) أي ولو وسع الله الرزق على عباده، لبطغوا وبغوا وأفسدوا في الأرض، بالمعاصي والآثام، لأن الغنى يوجب الطغيان، قال ابن كثير: أي لو أعطاهم فوق حاجتهم من الرزق لحملهم ذلك على البغي والطغيان من بعضهم على بعض، أشرا وبطرا، وقال قتادة: خير العيش ما لا يلهيك ولا يطغيك.

(ولكن ينزل بقدر ما يشاء) أي ولكنه تعالى ينزل أرزاق العباد، بما تقتضيه الحكمة والمصلحة، كما جاء في الحديث القدسي « إن من عبادي من لا يصلحه إلا الغنى ولو أفقرته لأفسدت عليه دينه، وإن من عبادي من لا يصلحه إلا الفقر، ولو أغنيته لأفسدت عليه دينه »

(إنه بعباده خبير بصير) أي عالم بأحوالهم وما يصلحهم، فيعطي ويمنع، ويبسط ويقبض، حسبما تقتضيه الحكمة الربانية⁽²¹⁹⁴⁾.

انتهت سورة الشورى

(2188) زاد المسير (7/ 283)

(2189) صفوة التفسير - للصابوني (3/ 177)

(2190) المستدرک للحاكم 2/483 ح (3663) شعب الإيمان 7/286 ح (10331) إسناده صحيح قال الحاكم: حدثني عبد الله بن سعد الحافظ حدثنا إبراهيم بن أبي طالب حدثنا أبو كريب حدثنا أبو معاوية عن الأعمش عن مجاهد عن عبد الله بن سخريرة عن علي - به.

(2191) كما عزاه الهيثمي في مجمع الزوائد له، وقال: رواه الطبراني وإسناده ثقات ولم أجده في الكتب المسنده في معجم الطبراني الثلاث ووجدته عند البيهقي في شعب الإيمان 7/286 ح (10332) من طريق حيوة بن شريح وفيه كلام، وله شاهد من رواية عمرو بن حريث في تفسير الطبري 25/30 الزهد وصفة الزاهدين 66 ح (121) لزهد لابن المبارك 1/194 ح (554) حلية الأولياء 1/338

(2192) الكشف والبيان عن تفسير القرآن (8/ 317)

(2193) صحيح البخاري (5/ 108)

(2194) صفوة التفسير - للصابوني (3/ 177)

سُورَةُ الرَّحْرِفِ

(وَجَعَلُوا الْمَلَائِكَةَ الَّذِينَ هُمْ عِبَادُ الرَّحْمَنِ إِنَّا أَشْهَدُوا خَلَقَهُمْ سَنُكْتَبُ
شَهَادَتَهُمْ وَيُسْأَلُونَ ۙ) (١٩)

قوله تعالى: (وجعلوا الملائكة الذين هم عباد الرحمن) - الآية
954. [ك] أخرج ابن المنذر عن قتادة قال: « قال ناس من المنافقين: إن الله صاهر الجن فخرجت من
بينهم الملائكة، فنزل فيهم: (وجعلوا الملائكة الذين هم عباد الرحمن إناثاً)⁽²¹⁹⁵⁾».

[تعليق]

سورة الزخرف مكية بالإجماع على ما نقله الإمام القرطبي وخالف مقاتل في آية واحدة فقال هي مدنية وهي قوله تعالى
(وَاسْأَلْ مَنْ أَرْسَلْنَا مِنْ قَبْلِكَ مِنْ رُسُلِنَا) ⁽²¹⁹⁶⁾.
قلت: وليس هناك وجه من حيث السياق يؤيد ما قال والله تعالى أعلم.
وقد تحدثت الآية عن نفس الموضوع الذي تحدثت عنه السورة المكية.
وقد ذكر المؤلف رحمه الله أثراً واحداً عند سبب نزول هذه الآية وقد تقدم نحوه عند سبب نزول قوله تعالى (وجعلوا بينه
وبين الجنة نسباً) سورة الصافات
قلت وذكر المنافقين في الأثر يدل على أن الآية مدنية وليس كذلك فالآية مكية بإجماع.
قال مقاتل: لما قال الله عز وجل (أَشْهَدُوا خَلَقَهُمْ)؟، سُئِلُوا عَنْ ذَلِكَ فَقَالُوا: (لا) فقال النبي ﷺ : « فما يُدريكم أنها إناث
؟ » فقالوا: سمعنا من أبائنا ونحن نشهد أنهم لم يكذبوا، فقال الله: (سَنُكْتَبُ شَهَادَتَهُمْ وَيُسْأَلُونَ) عنها في الآخرة⁽²¹⁹⁷⁾.
قلت: وهذا أرجح مما ذكره المؤلف فإن الآية مكية، فالله سبحانه يتهكم على أهل الكفر أن جعلوا ملائكة إناثاً، وذلك موافق
لعقائد الملل الكافرة والله تعالى أعلم.

[تفسير مختصر للآية]

(وجعلوا الملائكة الذين هم عباد الرحمن إناثاً) كفر آخر تضمنه قولهم الشنيع، أى وأعتقد كفار العرب بأن الملائكة - الذين هم
أكمل العباد وأكرمهم على الله - أنهم إناث وحكموا عليهم بذلك.
(اشهدوا خلقهم) أى أحضروا وقت خلق الله لهم حتى عرفوا أنهم إناث؟ وهذا تجهيل وتهكم بهم.
(سنكتب شهادتهم ويسألون) أى سنأمر الملائكة بكتابة شهادتهم الكاذبة، في ديوان أعمالهم، ويسألون عنها يوم القيامة، وهو وعيد
شديد مع التهديد قال المفسرون: حكى تعالى عن كفار العرب ثلاثة أقوال شنيعة: الأول: أنهم نسبوا إلى الله الولد، الثاني: أنهم نسبوا
إليه البنات دون البنين، الثالث: أنهم حكموا على الملائكة المكرمين بالأنوثة بلا دليل ولا برهان، فكذبهم القرآن الكريم في تلك
الأقوال، ثم زادوا ضللاً وبهتاناً فزعموا أن ذلك برضى الله⁽²¹⁹⁸⁾.

(وَقَالُوا لَوْلَا نُزِّلَ هَذَا الْقُرْآنُ عَلَى رَجُلٍ مِّنَ الْقُرَيْبِينَ عَظِيمٍ (٣١)

وتقدم في سورة يونس سبب قوله: (وقالوا لولا نزل (- الآيتين).
955. [ك] وأخرج ابن المنذر عن قتادة قال: « قال الوليد بن المغيرة: لو كان ما يقول محمد حقاً أنزل علي هذا
القرآن أو على ابن مسعود الثقفي، فنزلت⁽²¹⁹⁹⁾».

[تعليق]

ذكر المؤلف رحمه الله في سورة يونس عن ابن عباس قال: « لما بعث الله محمداً رسولاً أنكرت العرب ذلك أو من
أنكر ذلك منهم، فقالوا: الله أعظم من أن يكون رسوله بشراً، فأنزل الله: (أكان للناس عجباً) - الآية وأنزل: (وما أرسلنا من قبلك إلا
رجالاً) - الآية، فلما كرر الله عليهم الحجج قالوا: وإذا كان بشراً فغير محمد كان أحق بالرسالة، لولا أنزل هذا القرآن على رجل من
القريتين عظيم، يقولون: أشرف من محمد يعنون الوليد بن المغيرة من مكة ومسعود بن عمرو الثقفي من الطائف، فأنزل رداً عليهم: (أهم
أهم يقسمون رحمة ربك) - الآية⁽²²⁰⁰⁾.

(2195) مرسل.

(2196) تفسير القرطبي - (61 / 16)

(2197) تفسير مقاتل بن سليمان (3 / 187)

(2198) صفوة التفاسير - للصابوني (3 / 186)

(2199) مرسل.

(2200) تفسير الطبري 25/66 وإسناده منقطع وفي إسناده بشر بن عمارة ضعيف

قلت: ذكر الإمام ابن الجوزي أن المراد بالقريتين مكة والطائف. قاله ابن عباس، والجماعة. وقد اختلف في عظيم هاتين القريتين من هو، وأما عظيم مكة، ففيه قولان: أحدهما: الوليد بن المغيرة القرشي، رواه العوفي وغيره عن ابن عباس، وبه قال قتادة، والسدي. والثاني: عتبة بن ربيعة، قاله مجاهد. وفي عظيم الطائف خمسة أقوال. أحدها: حبيب بن عمرو بن عمير الثقفي، رواه العوفي عن ابن عباس. والثاني: مسعود بن عمرو بن عبيد الله، رواه الضحاك عن ابن عباس. والثالث: أنه أبو مسعود عروة بن مسعود الثقفي، رواه ليث عن مجاهد وبه قال قتادة. والرابع: أنه ابن عبد ياليل، رواه ابن أبي نجيح عن مجاهد. والخامس: كنانة بن عبد بن عمرو بن عمير الطائفي، قاله السدي⁽²²⁰¹⁾. قلت: وهذا من باب التهكم والازدراء لشخص النبي ﷺ الذي هو أعظم العرب بل أعظم ولد آدم، لكن الكفار قالوا ذلك على سبيل السخرية والله تعالى أعلم.

[تفسير مختصر للآية]

(وقالوا لولا نزل هذا القرآن على رجل من الفريقين عظيم) أى وقال المشركون: هلا أنزل هذا القرآن، على رجل عظيم كبير⁽²²⁰²⁾.

(وَمَنْ يَعِشْ عَنْ ذِكْرِ الرَّحْمَنِ نُقِضَ لَهُ شَيْطَانًا فَهُوَ لَهُ قَرِينٌ ۖ) (٣٦)

قوله تعالى: (ومن يعش عن ذكر الرحمن نقض له شيطانا) - الآية.

956. [ك] وأخرج ابن أبي حاتم عن محمد بن عثمان المخزومي: « أن قريشاً قالت: قيصوا لكل رجل من أصحاب محمد رجلاً يأخذه، فقيصوا لأبي بكر طلحة، فأتاه وهو في القوم، فقال أبو بكر: إلام تدعونني؟ قال: أدعوك إلى عبادة اللات والعزى، قال أبو بكر: وما اللات؟ قال: ربنا قال: وما العزى؟ قال: بنات الله، قال أبو بكر: فمن أهم؟ فسكت طلحة فلم يجبه، فقال طلحة لأصحابه: أجيئوا الرجل، فسكت القوم، فقال طلحة: قم يا أبا بكر أشهد أن لا إله إلا الله وأن محمداً رسول الله، فأنزل الله: (ومن يعش عن ذكر الرحمن نقض له شيطانا) - الآية⁽²²⁰³⁾. »

[تعليق]

قلت ذكر المؤلف رحمه الله أثراً واحداً في سبب نزول هذا الآية. وهو أثر مرسل، والآية إخبار أن من يعمى أو يتعمى عن ذكر الله، فإن الله تعالى يسلط عليه بعمله شيطانا يصحبه حيثما حل.

[تفسير مختصر للآية]

(ومن يعش عن ذكر الرحمن) أى ومن يعرض عن القرآن وعبادة الرحمن. (نقض له شيطانا) أى نهى ونيسر له شيطانا، لا ينفك عن الوسوسة له والإغواء، كقوله تعالى (ألم تر أننا أرسلنا الشياطين على الكافرين تؤزهم أزا). (فهو له قرين) أى فهو ملازم ومصاحب له لا يفارقه⁽²²⁰⁴⁾.

(وَلَمَّا ضُرِبَ ابْنُ مَرْيَمَ مَثَلًا إِذَا قَوْمُكَ مِنْهُ يَصِدُون ۗ) (٥٧)

قوله تعالى: (ولما ضرب ابن مريم مثلاً) - الآية.

957. وأخرج أحمد بسند صحيح والطبراني عن ابن عباس: « أن رسول الله ﷺ قال لقريش: « إنه ليس أحد يعبد من دون الله فيه خير ». فقالوا: ألسنت تزعم أن عيسى كان نبياً وعبداً صالحاً وقد عبد من دون الله فأنزل الله: (ولما ضرب ابن مريم مثلاً) - الآية⁽²²⁰⁵⁾. »

[تعليق]

ذكر المؤلف هذا الأثر الوحيد في سبب نزول هذه الآية وهو أثر صحيح الإسناد وهو قول أكثر أهل التفسير أن هذه

(2201) زاد المسير (311 / 7)

(2202) صفوة التفاسير - للصابوني (188 / 3)

(2203) تفسير ابن أبي حاتم 10/3282 مرسل.

(2204) صفوة التفاسير - للصابوني (189 / 3)

(2205) مسند أحمد 1/317 ح (2921) مسند الحارث 2/728 ح (727) في إسناده عاصم بن بهدلة وباقي إسناده ثقات، وأبو يحيى مولى ابن عقيل الراوي عن ابن عباس اسمه زياد وثقة

الآية نزلت في ابن الزعبري وهو المجادل للنبي □ في شأن عيسى على نبينا وعليه الصلاة والسلام⁽²²⁰⁶⁾. وأخرج الإمام الطبري عن السدي، في قوله: (وقالوا أَلِهْتَنَا خَيْرٌ أَمْ هُوَ مَا ضَرَبُوهُ لَكَ إِلَّا جَدَلًا بَلْ هُمْ قَوْمٌ خَصِمُونَ) قال: خاصموه، فقالوا: يزعم أن كل من عبد من دون الله في النار، فنحن نرضى أن تكون آلهتنا مع عيسى وعزير والملائكة هؤلاء قد عبدوا من دون الله، قال: فأنزل الله براءة عيسى⁽²²⁰⁷⁾.

فأراد المشركون أن يحاجوا النبي □ بأن عيسى وعزير ومن عبد من دون الله فإنه مع آلهتم في النار، فبرأ الله تعالى هؤلاء مما نسب إليهم لأنهم ما رضوا بعبادتهم، ولذلك فإن الله تعالى يسأل المعبودات من دون الله عن عبادة هؤلاء إياهم فينبرون منهم ويقولون (إن كنا عن عبادتهم لغافلين) ويقول عيسى عليه السلام (ما قلت لهم إلا ما أمرتني به أن اعبدوا الله ربي وربكم) وإضافة القوم هنا من حيث أنهم رضوا بما يقول الواحد منهم والله تعالى أعلم.

[تفسير مختصر للآية]

(ولما ضرب ابن مريم مثلاً إذا قومك منه يصدون) أى ولما ذكر عيسى ابن مريم في القرآن، وضرب المثل بالآلهة التي عبدت من دون الله، إذا مشركو قريش يضحون وترتفع أصواتهم بالصباح.

(وقالوا أَلِهْتَنَا خَيْرٌ أَمْ هُوَ) أى أَلِهْتَنَا خَيْرٌ أَمْ عيسى؟ فإن كان عيسى في النار، فلتكن آلهتنا معه. (ما ضربوه لك إلا جدلاً) أى ما قالوا هذا القول لك إلا على وجه الجدال والمكابرة، لا لطلب الحق. (بل هم قوم خصون) أى بل هم قوم شديد الخصومة، واللجاج بالباطل قال في التسهيل: أى ما ضربوا لك هذا المثال، إلا على وجه الجدال، وهو أن يقصد الإنسان أن يغلب من يناظره، سواء غلبه بحق أو بباطل⁽²²⁰⁸⁾.

(أَمْ يَحْسِبُونَ أَنَّا لَا نَسْمَعُ سِرَّهُمْ وَنَجْوَاهُمْ بَلَىٰ وَرُسُلْنَا لَدَيْهِمْ يَكْتُبُونَ ۝ ٨٠)

قوله تعالى: (أم يحسبون أنا لا نسمع سرهم ونجواهم) - الآية

958. [ك] وأخرج ابن جرير عن محمد بن كعب القرظي قال: « بينا ثلاثة بين الكعبة وأستارها قرشيان وثقفي أو ثقفيان وقرشي، فقال واحد منهم: ترون الله يسمع كلامنا؟ فقال آخر: إذا جهرتهم سمع وإذا أسررتهم لم يسمع، فأنزلت: (أم يحسبون أنا لا نسمع سرهم ونجواهم) - الآية⁽²²⁰⁹⁾ ».

[تعليق]

ذكر المؤلف رحمه الله أثراً واحداً في سبب نزول هذه الآية، وقد صح هذا الأثر لكن ليس عند سبب نزول هذه الآية، إنما صح عند سبب نزول قوله تعالى (وما كنتم تستترون أن يشهد عليكم سمعكم ولا أبصاركم ولا جلودكم) سورة فصلت. وقد تقدم القول في ذلك والآية نزلت مخبرة لكفار قريش بأن الله تعالى يسمع سرهم ونجواهم فلا تخفى عليه منهم خافية، فليحذروا وليرجعوا إلى الله تعالى.

[تفسير مختصر للآية]

(أم يحسبون أنا لا نسمع سرهم ونجواهم) أى أم يظنون أنا لا نسمع ما حدثوا به أنفسهم، وما تكلموا به فيما بينهم بطريق التنجس قال في التسهيل: السر ما يحدث به الإنسان نفسه أو غيره في خفية، والنجوى ما تكلموا به بينهم. (بلى ورسلنا لديهم يكتبون) أى بلى إنا نسمع سرهم وعلانيتهم، وملائكتنا الحفظة يكتبون عليهم أعمالهم، روي إنها نزلت في " الأحنس بن شريق " و " الأسود بن عبد يغوث " اجتماعاً فقال الأحنس: أترى الله يسمع سرنا فقال الآخر: يسمع نجوانا ولا يسمع سرنا⁽²²¹⁰⁾.

انتهت سورة الزخرف

سُورَةُ الدُّخَانِ

(فَأَرْتَقِبْ يَوْمَ تَأْتِي السَّمَاءُ بِدُخَانٍ مُّبِينٍ ۝ ١٠)

قوله تعالى: (فارتقب يوم تأتي السماء بدخان مبين)

959. [ك] أخرج البخاري عن ابن مسعود قال: «إن قريشاً لما استعصوا على النبي □ دعا عليهم بسنين كسني يوسف، فأصابهم قحط حتى أكلوا العظام، فجعل الرجل ينظر إلى السماء فيرى ما بينه وبينها كهيئة الدخان من الجهد، فأنزل الله: (فارتقب يوم تأتي السماء بدخان مبين) فأتى رسول الله □ فقيل: يا رسول الله استسق الله لمضر فإنها قد هلكت، فاستسقى فسقوا فنزلت: (إنكم عاندون) فلما أصابتهم الرفاهية عادوا إلى حالهم، فأنزل الله: (يوم نبطش البطشة الكبرى إنا منتقمون) يعني يوم بدر⁽²²¹¹⁾.

(2206) زاد المسير (7/ 323)

(2207) جامع البيان (تفسير الطبري) (21/ 628)

(2208) صفوة التفاسير - للصابوني (3/ 192)

(2209) تفسير الطبري 25/100 مرسل وفي إسناده عاصم العمري ضعيف.

(2210) صفوة التفاسير - للصابوني (3/ 195)

(2211) صحيح البخاري 1/341 ح (962) صحيح مسلم 4/2155 ح (2798) سنن الترمذي 379 ج: 5 ح (3254) صحيح ابن حبان 14/548 ح (6585) سنن النسائي الكبرى 6/455 ح (11481) مصنف ابن أبي شيبة 7/355 مسند البزار 342 ح (3613) مسند ابن الجعد 1/318 المعجم الكبير 9/212 ح (9046) السنن

[تعليق]

سورة الدخان مكية باتفاق، إلا قوله تعالى: (إِنَّا كَاتِبُو الْعَذَابِ قَلِيلًا) (2212). وهي كذلك في موضوعها ومضمونها نفس موضوع ومضمون السور المكية، وفيها من الوعد والوعيد وذكر ما أعده الله تعالى للمتقين وما أعده للكافرين.

وقد ذكر المؤلف أثراً مخرج في الصحيح وهو يدل على أن المراد بالدخان ما حدث لقريش عندما أصابها الجوع والعطش لما دعا عليهم النبي ﷺ، فكانوا يرون الدخان في السماء من شدة الجهد والعطش.

لكن فسر بعض أهل التفسير هذا الدخان بتفسيرين آخرين.

فالأول منهما: مروى عن ابن عباس وغيره من الصحابة أنه دخان يكون قبل يوم القيامة، فيأخذ بأنفاس الكفار، ويأخذ المؤمنين منه كهيئة الزكام (2213). فعلى ذلك يكون الآية أمر للنبي ﷺ يحذر قومه مما يكون قبل يوم القيامة من العلامات.

لكن عبد الله بن مسعود رد هذا القول. فروى الإمام ابن جرير وهو عند الإمام البخاري ببعضه: عن مسروق، قال: كنا عند عبد الله بن مسعود جلوساً وهو مضطجع بيننا، فأناه رجل فقال: يا أبا عبد الرحمن: إن قاصا عند أبواب كندة يقص ويزعم أن آية الدخان تجيء فتأخذ بأنفاس الكفار، ويأخذ المؤمنين منه كهيئة الزكام، فقام عبد الله وجلس وهو غضبان، فقال: يا أيها الناس اتقوا الله، فمن علم شيئاً فليقل بما يعلم، ومن لا يعلم فليقل: الله أعلم.

وقال عمرو: فإنه أعلم لأحدكم أن يقول لما لا يعلم الله أعلم، وما على أحدكم أن يقول لما لا يعلم: لا أعلم، فإن الله عز وجل يقول لنبيه محمد ﷺ (قُلْ مَا أَسْأَلُكُمْ عَلَيْهِ مِنْ أَجْرٍ وَمَا أَنَا مِنَ الْمُتَكَلِّفِينَ) (إن النبي ﷺ لما رأى من الناس إديباراً، قال: "اللهم سبعا كسبوع يوسف"، فأخذتهم سنة حصت كل شيء، حتى أكلوا الجلود والميتة والجيف، ينظر أحدهم إلى السماء فيرى دخاناً من الجوع، فأناه أبو سفيان بن حرب فقال: يا محمد إنك جئت تأمر بالطاعة وبصلة الرحم، وإن قومك قد هلكوا، فادع الله لهم، قال الله عز وجل (فَارْتَقِبْ يَوْمَ تَأْتِي السَّمَاءُ بِدُخَانٍ مُبِينٍ)... إلى قوله (إِنَّكُمْ عَائِدُونَ) قال: فكشف عنهم (يَوْمَ نَبْطِشُ الْبَطْشَةَ الْكُبْرَى إِنَّا مُنْتَقِمُونَ) فالبطشة يوم بدر، وقد مضت آية الروم وآية الدخان، والبطشة والالزام (2214).

فرد عبد الله بن مسعود قول ابن عباس، ولا شك بأن ابن مسعود أعلم بالقرآن وينزوله من ابن عباس رضي الله عن الجميع فقد شهد ابن مسعود العهد المكي بينما ابن عباس كان في المهدي، لكن بنحو الذي قاله ابن عباس روى كذلك عن أبي هريرة وابن عمر وعلى والحسن (2215).

والقول الثالث في الدخان: بأن المراد به يوم فتح مكة لما حجبت السماء بالغيرة بحاه الماوردي (2216). قلت: والقول الأول هو الأصح وهو المروي في الصحيح ويدل عليه سياق الآيات والله تعالى أعلم.

[تفسير مختصر للآيات]

(فارتقب يوم تأتي السماء بدخان مبين) أي فانتظر يا محمد عذابهم يوم تأتي السماء بدخان كثيف، وبين واضح. (يغشى الناس هذا عذاب أليم) أي يشمل كفار قریش ويعمهم من كل جانب ويقولون حين يصيبهم الدخان: هذا عذاب أليم (2217).

(إِنَّ شَجَرَتَ الزَّقُّومِ ۖ ۴۳ طَعَامٌ لِلْإِثْمِ ۖ ۴۴)

قوله تعالى: (إن شجرة الزقوم طعام الإثيم)

960. [ك] وأخرج سعيد بن منصور عن أبي مالك قال: « إن أبا جهل كان يأتي بالتمر والزبد فيقول: تزقموا فهذا الزقوم الذي يعدكم به محمد، فنزلت: (إن شجرة الزقوم طعام الإثيم) (2218) ». «.

[تعليق]

ذكر المؤلف رحمه الله هذا الأثر في سبب نزول هذه الآية، وهو مرسل صحيح الإسناد، وقد تقدم القول في سورة الصافات عند ذكر قوله تعالى (أذلك خير نزل أم شجرة الزقوم).

فالآية نزلت وعيد لأبي جهل وأمثاله من مكذبي النبي ﷺ والمستهزئين بآيات القرآن.

[تفسير مختصر للآية]

(إن شجرت الزقوم طعام الإثيم) أي إن هذه الشجرة الخبيثة - شجرة الزقوم - التي تنبت في أصل الجحيم، طعام كل فاجر، ليس له طعام غيرها قال أبو حيان: الأليم صفة مبالغة وهو الكثير الأثام، وفسر بالمشرك.

(كالهمل يغلي في البطون) أي هي في شناعتها وفضاعتها إذا أكلها الإنسان، كالنحاس المذاب الذي تنهى حره، فهو يجرجر في

الواردة في الفتن 5 / 1008
 (2212) تفسير القرطبي - (125 / 16)
 (2213) زاد المسير (7 / 339)
 (2214) جامع البيان (تفسير الطبري) (15 / 22)
 (2215) زاد المسير (7 / 339)
 (2216) زاد المسير (7 / 341)
 (2217) صفة التفاسير - للصابوني (199 / 3)
 (2218) سنن سعيد بن منصور (130 / 6) مرسل

(كغلي الحميم) أي كغليان الماء الشديد الحرارة قال القرطبي: وشجرة الزقوم هي الشجرة التي خلقها الله في جهنم، وسماها الشجرة الملعونة، فإذا جاع أهل النار ألقوا إليها فأكلوا منها، فغلقت في بطونهم كما يغلي الماء الحار، وشبه تعالى ما يصير منها إلى بطونهم بالمهل وهو النحاس المذاب، والمراد بالأثيم: الفاجر ذو الإثم وهو " أبو جهل "، وذلك أنه كان يقول: بعدنا محمد أن في جهنم الزقوم، وإنما هو الثريد بالزبد والتمر، ثم يأتي بالزبد والتمر يقول لأصحابه: تزقمو، سخريه واستهزاء بكلام الله⁽²²¹⁹⁾.

(ذُقْ إِنَّكَ أَنْتَ الْعَزِيزُ الْكَرِيمُ ٤٩)

قوله تعالى: (ذق إنك أنت العزيز الكريم)

961. وأخرج الأموي في مغازيه عن عكرمة قال: « لقي رسول الله ﷺ أبا جهل فقال: « إن الله أمرني أن أقول لك أولى لك فأولى ثم أولى لك فأولى » قال فنزع ثوبه من يده فقال: ما تستطيع لي أنت ولا صاحبك من شيء، لقد علمت أني أمتع أهل بطحاء وأنا العزيز الكريم، فقتله الله يوم بدر وأذله وعيره بكلمته، ونزل فيه: (ذق إنك أنت العزيز الكريم)⁽²²²⁰⁾ .
962. وأخرج ابن جرير عن قتادة نحوه⁽²²²¹⁾.

[تعليق]

ذكر المؤلف أثراً واحداً في كون هذه الآية نزلت في أبي جهل، جزاءً وافاقاً لاستهزاءه بالقرآن وبمن أنزل عليه فيقال له: على سبيل السخرية والتهكم (ذق إنك أنت العزيز الكريم) وهذا كتحقيق قول قوم شعيب له (إنك لأنت الحليم الرشيد) وهم لا يقصدون إلا التهكم والسخرية، فيقال لأبي جهل ومن كان على شاكلته زيادة على عذابهم الحسي فهذا عذاب معنوي نسأل الله العاقبه.

[تفسير مختصر للآية]

(ذق إنك أنت العزيز الكريم) أي يقال له على سبيل الاستهزاء والإهانة: ذق هذا العذاب فإنك أنت المعزز المكرم⁽²²²²⁾.
انتهت سورة الدخان

سُورَةُ الْجَاثِيَةِ

(أَفَرَأَيْتَ مَنْ اتَّخَذَ إِلَهَهُ هَوَاهُ وَأَضَلَّهُ اللَّهُ عَلَىٰ عِلْمٍ وَخَتَمَ عَلَىٰ سَمْعِهِ وَقَلْبَهُ وَجَعَلَ عَلَىٰ بَصَرِهِ غِشَاوَةً فَمَنْ يَهْدِيهِ مِنْ بَعْدِ اللَّهِ أَفَلَا تَذَكَّرُونَ ٢٣)

قوله تعالى: (أفريت من اتخذ إلهه هواه) - الآية.

963. [ك] أخرج ابن المنذر وابن جرير عن سعيد بن جبير قال: « كانت قريش تعبد الحجر حيناً من الدهر، فإذا وجدوا ما هو أحسن منه طرحوا الأول وعبدوا الآخر، فأنزل الله: (أفريت من اتخذ إلهه هواه)⁽²²²³⁾ .»

[تعليق]

سورة الجاثية من السور المكية، وسميت بالجاثية لقوله تعالى (وترى كل أمة جاثية) وذلك أن الأمم تجثو يوم القيامة على ركبها من أهول وفرع يوم القيامة منتظرين الفصل من الله تعالى.
وقد اختلف في آية واحدة منها فقبل نزلت في المدينة بسبب عمر بن الخطاب رضي الله عنه.
قال الإمام القرطبي قوله تعالى (قُلْ لِلَّذِينَ آمَنُوا يَغْفِرُوا لِلَّذِينَ لَا يَرْجُونَ أَيَّامَ اللَّهِ) (الجاثية: 14) نزلت بالمدينة في عمر بن الخطاب رضي الله عنه ؛ ذكره الماوردي. وقال المهدي والنحاس عن ابن عباس: إنها نزلت في عمر رضي الله عنه، شتمه رجل من المشركين بمكة قبل الهجرة. فأراد أن يبطش به، فأنزل الله عز وجل: (قُلْ لِلَّذِينَ آمَنُوا يَغْفِرُوا لِلَّذِينَ لَا يَرْجُونَ أَيَّامَ اللَّهِ) (الجاثية: 14) ثم نسخت بقوله: (فاقْتُلُوا الْمُشْرِكِينَ حَيْثُ وَجَدْتُمُوهُمْ) [التوبة: 5]. فالسورة كلها مكية على هذا من غير خلاف. وهي سبع وثلاثون آية⁽²²²⁴⁾.

(2219) صفوة التفاسير - للصابوني (202 /3)

(2220) مرسل.

(2221) تفسير الطبري 25/134 مرسل صحيح الإسناد

(2222) صفوة التفاسير - للصابوني (203 /3)

(2223) تفسير الطبري 25/150 مرسل وفي إسناده ابن حميد وأخرج الضياء في المختارة موصلًا عن ابن عباس الأحاديث المختارة 10/120 ح (120) وإسناده جيد وشيخ

(2224) تفسير القرطبي - (156 /16)

وقد ذكر المؤلف هذا الأثر الوحيد في سبب نزول هذا الآية، فتكون الآية نزلت في عبادة قريش والعرب للأوثان بالهوى والتشهي ليس بالهدي والعلم.

قال الإمام ابن الجوزي: وقال مقاتل: نزلت هذه الآية في الحارث بن قيس السهمي⁽²²²⁵⁾. قلت: الذي في تفسير مقاتل ورد في الآية التي في سورة الفرقان. والأولى حمل الآية على عمومها فكل من عبد من دون الله غيره فقد اتخذ إلهه هواه.

[تفسير مختصر للآية]

(أفرأيت من اتخذ إلهه هواه) أي أخبرني يا محمد عن حال من ترك عبادة الله وعبد هواه ! قال في البحر: أي هو مطواع لهوى نفسه، يتبع ما تدعوه إليه، فكأنه يعبد كما يعبد الرجل إلهه قال ابن عباس: ذلك الكافر اتخذ دينه ما يهواه، فلا يهوى شيئاً إلا ركبه. (وأضله الله على علم) أي وأضل الله ذلك الشقي، في حال كونه عالماً بالحق غير جاهل به، فهو أشد قبحا وشناعة ممن يضل عن جهل، لأنه تعرض عن الحق والهدى عنادا، كقوله تعالى (وجحدوا بها واستيقنتها أنفسهم ظلماً وعلواً). (وختم على سمعه وقلبه) أي وطبع على سمعه وقلبه، بحيث لا يتأثر بالمواعظ، ولا يتفكر في الآيات والنذر (وجعل على بصره غشاوة) أي وجعل على بصره غطاء حتى لا يبصر الرشد، ولا يرى حجة يستضيء بها. (فمن يهديه من بعد الله) أي فمن الذي يستطيع أن يهديه بعد أن أضله الله؟ لا أحد يقدر على ذلك إلا الله. (أفلا تذكرون) أي أفلا تعتبرون أيها الناس وتتعتظون⁽²²²⁶⁾.

(وَقَالُوا مَا هِيَ إِلَّا حَيَاتُنَا الدُّنْيَا نَمُوتُ وَنَحْيَا وَمَا يُهْلِكُنَا إِلَّا الدَّهْرُ وَمَا لَهُم بِذَلِكَ مِنْ عِلْمٍ إِنْ هُمْ إِلَّا يَظُنُّونَ ٢٤)

قوله تعالى: (وقالوا ما هي إلا حياتنا الدنيا) - الآية.

964. [ك] وأخرج⁽²²²⁷⁾ عن أبي هريرة قال: « كان أهل الجاهلية يقولون إنما يهلكنا الليل والنهار، فأنزل الله: (وقالوا ما هي إلا حياتنا الدنيا نموت ونحيا وما يهلكنا إلا الدهر⁽²²²⁸⁾) ».

[تعليق]

ذكر المؤلف رحمه الله أثراً واحداً في سبب نزول هذه الآية، وهو أثر صحيح في قول المشركين إنما يحيينا ويميتنا الدهر يعنى الزمان، فنولد ثم نموت ويولد أبناؤنا ثم يموتون وهكذا وكل هذا بسبب الدهر لا بسبب الله تعالى. وقد جاء في صحيح البخاري وغيره عن أبي هريرة: قال رسول الله: قال الله - عز وجل -: يسب بنو آدم الدهر، وأنا الدهر بيدي الليل والنهار⁽²²²⁹⁾. فتفسير هذا الحديث أن بنو آدم إذا سبوا الدهر فكأنهم سبوا رب الدهر لأن الله تعالى هو الذي يقلب الدهر وما الدهر إلى الزمان من ليل ونهار وأيام وسنين فمقلب الدهر هو الله سبحانه وتعالى وليس الدهر إسم من أسماء الله. فالآية نزلت رداً على الكفار في اعتقادهم أن الدهر هو الذي يميتهم ويحييهم، فأنكروا تدوير الله تعالى للأمر على عادتهم من إنكار الوجدانية.

[تفسير مختصر للآية]

(وقالوا ما هي إلا حياتنا الدنيا نموت ونحيا) أي وقال المشركون: لا حياة إلا هذه الحياة الدنيا، يموت بعضها ويحيا بعضها، ولا أخرة، ولا بعث، ولا نشور قال ابن كثير: هذا قول الدهرية من الكفار ومن وافقهم من مشركي العرب في إنكار المعاد، ومرادهم ما ثم إلا هذه الدار، يموت قوم ويعيش آخرون، وليس هناك معاد ولا قيامة، وهذا قول الفلاسفة الدهريين، المنكرين للصانع، المعتقدين أن كل ستة وثلاثين ألف سنة يعود كل شيء إلى ما كان عليه. (وما يهلكنا إلا الدهر) أي وما يهلكنا إلا مرور الزمان، وتعاقب الأيام قال الرازي: يريدون أن الموجب للحياة والموت تأثيرات الطبايع وحركات الأفلاك، ولا حاجة إلى إثبات الخالق المختار، فهذه الطائفة جمعوا بين إنكار الإله، وبين إنكار البعث والقيامة، قال تعالى رداً عليهم. (وما لهم بذلك من علم) أي وليس لهم مستند من عقل أو نقل، ولذلك أنكروا وجود الله من غير حجة ولا بينة. (إن هم إلا يظنون) أي ما هم إلا قوم يتوهمون ويتخيلون، يتكلمون بالظن من غير يقين⁽²²³⁰⁾.

انتهت سورة الجاثية

سُورَةُ الْأَحْقَافِ

(2225) الجوزي زاد المسير (7/ 362)

(2226) صفوة التفسير - للصابوني (3/ 209)

(2227) يعنى أخرج ابن جرير

(2228) تفسير الطبري 25/152 إسناده صحيح

(2229) صحيح البخاري (8/ 51)

(2230) صفوة التفسير - للصابوني (3/ 210)

(قُلْ أَرَأَيْتُمْ إِنْ كَانَ مِنْ عِنْدِ اللَّهِ وَكَفَرْتُمْ بِهِ وَشَهِدَ شَاهِدٌ مِنْ بَنِي إِسْرَائِيلَ عَلَىٰ مِثْلِهِ فَأَمَّا وَاسْتَكْبَرْتُمْ إِنَّ اللَّهَ لَا يَهْدِي الْقَوْمَ الظَّالِمِينَ ١٠)

قوله تعالى: (قل أرايتم إن كان من عن الله وكفرتم به) - الآية.

965. [ك] أخرج الطبراني بسند صحيح عن عوف بن مالك الأشجعي قال: «انطلق النبي ﷺ وأنا معه حتى دخلنا كنيسة اليهود يوم عيدهم، ففكرهاوا دخولنا عليهم، فقال لهم رسول الله ﷺ: «يا معشر اليهود أروني اثني عشر رجلاً منكم يشهدون أن لا إله إلا الله وأن محمداً رسول الله يحط الله عن كل يهودي تحت أديم السماء الغضب الذي عليه». فسكتوا فما أجابه منهم أحد، ثم انصرف فإذا رجل من خلفه، فقال كما أنت يا محمد، فأقبل فقال: أي رجل تعلموني منكم يا معشر اليهود؟ فقالوا: والله ما نعلم فينا رجلاً كان أعلم بكتاب الله ولا أفقه منك ولا من أبوك قبلك ولا من جدك قل أبوك، قال: فإني أشهد أنه النبي الذين تجدون في التوراة، قالوا: كذبت ثم ردوا عليه وقالوا فيه شراً، فأنزل الله: (قل أرايتم إن كان من عند الله وكفرتم به - الآية (2231) ».

966. [ك] وأخرج الشيخان عن سعد بن أبي وقاص قال: «في عبد الله بن سلام نزلت: (وشهد شاهد من بني إسرائيل على مثله (2232))».

967. وأخرج ابن جرير عن عبد الله بن سلام قال: « في نزلت (2233) ».

[تعليق]

سورة الأحقاف سورة مكية لكن فيها بعض الآيات المدنية. قال ابن عاشور: وهي مكية قال القرطبي: باتفاق جميعهم، وفي إطلاق كثير من المفسرين. وبعض المفسرين نسبوا استثناء آيات منها إلى بعض القائلين، فحكى ابن عطية استثناء آيتين هما قوله تعالى (قُلْ أَرَأَيْتُمْ إِنْ كَانَ مِنْ عِنْدِ اللَّهِ وَكَفَرْتُمْ بِهِ) إلى (الظالمين) فإنها أشارت إلى إسلام عبد الله بن سلام وهو إنما أسلم بعد الهجرة، وقوله (فاصْبِرْ كَمَا صَبَرَ أُولُو الْعَزْمِ مِنَ الرُّسُلِ) [الأحقاف: 35]. وفي الإتيان ثلاثة أقوال باستثناء آيات ثلاث منها الاثنان اللتان ذكرهما ابن عطية والثالثة (وَصَبَّأْنَا الْإِنْسَانَ بِوَالِدَيْهِ) إلى قوله (خاسرين) (2234). وهذا الأثر الذي ذكره المؤلف هنا يدل كذلك على أن الآية مدنية فقد نزلت في عبد الله بن سلام وهو الشاهد من بني إسرائيل الذي شهد على نبوة النبي ﷺ . وفي صحيح الإمام البخاري: عن أبي هريرة عن النبي صلى الله عليه وسلم قال: " لو آمن بي عشرة من اليهود لآمن بي اليهود (2235) ".

لكنه لم يؤمن بالنبي ﷺ إلا قليل من اليهود منهم عبد الله بن سلام وقد ورد في آيات وأحاديث فمنها هذه الآية. وأخرج البخاري عن عبد الله بن سلام قال: رأيت كأني في روضة، وسط الروضة عمود، في أعلى العمود عروة فقيل لي: ارقه. قلت: لا أستطيع. فأتاني وصيف فرفع ثيابي فرقيت فاستمسكت بالعروة، فانتبهت وأنا مستمسك بها، فقصصتها على النبي ﷺ فقال: تلك الروضة روضة الإسلام، وذلك العمود عمود الإسلام، وتلك العروة عروة الوثقى، لا تزال مستمسكا بالإسلام حتى تموت (2236).

[تفسير مختصر للآية]

(قُلْ أَرَأَيْتُمْ إِنْ كَانَ مِنْ عِنْدِ اللَّهِ وَكَفَرْتُمْ بِهِ) أي قل يا محمد: أخبروني يا معشر المشركين إن كان هذا القرآن كلام الله حقاً، وقد كذبتم به وجحدتموه! وجوابه محذوف تقديره: كيف يكون حالكم؟ (وشهد شاهد من بني إسرائيل على مثله فأمن واستكبرتم) أي وقد شهد رجل من علماء بني إسرائيل على صدق القرآن، فأمن به واستكبرتم أنتم عن الإيمان، كيف يكون حالكم، أستم أضل الناس؟ قال الزمخشري: وجواب الشرط محذوف تقديره: إن كان القرآن من عند الله وكفرتم به أستم ظالمين؟ ودل على هذا المحذوف قوله تعالى. (إن الله لا يهدي القوم الظالمين) أي لا يوفق للخير والإيمان من كان فاجراً ظالماً (2237).

(وَقَالَ الَّذِينَ كَفَرُوا لَلَّذِينَ ءَامَنُوا لَوْ كَانَ خَيْرًا مَّا سَبَقُونَا إِلَيْهِ وَإِذْ لَمْ يَهْتَدُوا بِهِ فَيَقُولُونَ هَذَا إِفْكٌ قَدِيمٌ (١١)

(2231) مسند أحمد 6/25 ح (24030) صحيح ابن حبان 16/118 ح (7162) المستدرک للحاکم 3/469 ح (5756) وقال صحيح على شرط الشيخين ولم يخرجاه المعجم الكبير 18/46 ح (83) إسناده صحيح قال الإمام أحمد: حدثنا أبو المغيرة قال ثنا صفوان قال ثنا عبد الرحمن بن جبير بن نفير عن أبيه عن عوف بن مالك - (2232) تفسير الطبري 26/10 ح (3601) صحيح البخاري 3/1387 ح (4713) صحيح مسلم 4/1930 ح (2483) سنن النسائي الكبرى 5/70 ح (8252) مسند أبي يعلى 2/114 ح (767) مسند أحمد 169 ج: 1 ح (1453) صحيح ابن حبان 120 ج: 16 ح (7163) (2233) تفسير الطبري 26/10 وفي إسناده محمد بن يوسف بن عبد الله بن سلام صالح للشواهد لكنه أرسله عن عبد الله بن سلام. (2234) التحرير والتنوير (5/26) (2235) صحيح البخاري (89/5) (2236) صحيح البخاري (47/5) (2237) صفوة التقاسير - للصابوني (215/3)

قوله تعالى: (وقال الذين كفروا للذين آمنوا لو كان خيراً) - الآية.

968. وأخرج أيضاً عن قتادة قال: «قال ناس من المشركين: نحن أعز ونحن ونحن، فلو كان خيراً ما سبقنا إليه فلان وفلان فنزل: (وقال الذين كفروا (2238))».
969. [ك] وأخرج ابن المنذر عن عنعون بن أبي شداد قال: «: كانت لعمر بن الخطاب أمة أسلمت قبله يقال لها زين، فكان عمر يضربها على إسلامها حتى يفتر، وكان كفار قريش يقولون: لو كان خيراً ما سبقتنا إليه زين فأنزل الله في شأنها: (وقال الذين كفروا للذين آمنوا لو كان خيراً) - الآية (2239)».
970. وأخرج ابن سعد نحوه عن الضحاك والحسن.

[تعليق]

ذكر المؤلف رحمه الله آثاراً في سبب نزول هذه الآية وهي تشتمل على سببين للنزول. الأول: أنها نزلت في الكفار لما قالوا لبعض الفقراء من المسلمين لو كان دينهم حق ما سبقونا إليه وإنما نحن الأعزة وأصحاب المال والثروة، فكيف يسبقونا إليه هؤلاء. وهذا من باب الكبر. والثاني: أنها نزلت في عمر بن الخطاب مع أمة له إسمها زين وفي الدر المنثور للمؤلف أن اسمها زينة وهذا هو الأصح.

وقد جاء في سبب نزولها كذلك عدة أسباب.

فالثالث: إن الكفار قالوا لو كان خيراً ما سبقتنا إليه اليهود، فنزلت هذه الآية (2240).

والرابع: أن امرأة ضعيفة البصر أسلمت، وكان الأشراف من قريش يهزؤون بها ويقولون: والله لو كان ما جاء به محمد خيراً ما سبقتنا هذه إليه، فنزلت هذه الآية، قاله أبو الزناد (2241).

الخامس: أن أبا ذر الغفاري أسلم واستجاب به قومه إلى الإسلام، فقالت قريش: لو كان خيراً ما سبقونا إليه، فنزلت هذه الآية، قاله أبو المتوكل (2242).

السادس: وقال الكلبي: (وقال الَّذِينَ كَفَرُوا) يعني أسداً وغطفان (لِلَّذِينَ آمَنُوا) يعني جهينة ومزينة. لو كان ما جاء به محمد خيراً ما سبقنا إليه رعاء البهم ورجال الناس (2243).

السابع: قاله الإمام الثعلبي: (وقال الَّذِينَ كَفَرُوا من اليهود. لِلَّذِينَ آمَنُوا لو كان دين محمد خيراً ما سبقونا إليه) يعني عبد الله بن سلام وأصحابه، قاله أكثر المفسرين (2244).

قلت: هذه الأقوال كلها في سبب نزول هذه الآية بعضها يدل على أن الآية مكية وبعضها يدل على أنها مكية. فسواء نزلت في عمر مع أمته أو مع أسد وغطفان مع مزينة وجهينة أو الكفار عموماً مع من أسلم من المشركين أو في المرأة ضعيفة البصر التي أسلمت فليس هناك ثمة تعارض فكل هؤلاء داخلون في عموم الآية. أما القول بأنها نزلت في كفار اليهود لما قالوا ذلك لمن آمن من اليهود فهو مخالف للأول.

فإذا نظرنا إلى أجواء السورة وكونها مكية فنرجح القول الأول وهو الأظهر والله تعالى أعلم.

وأما بالنظر إلى أن هذه الآية نزلت بعد قوله تعالى (وشهد شاهد) وهي مدنية فقد يقول قائل بأنها أرجح وهذا ما قاله الإمام الثعلبي ونقله عن الأكثر.

أما إذا قلنا بأن كل ما ورد في هذه الآية من أسباب النزول مراسيل حكمنا عليها بالعموم فيدخل فيها كل ما ذكر والله تعالى أعلم.

[تفسير مختصر للآية]

(وقال الذين كفروا للذين آمنوا لو كان خيراً ما سبقونا إليه) أي وقال كفار مكة في حق المؤمنين: لو كان هذا القرآن والدين خيراً، ما سبقنا إليه هؤلاء الفقراء الضعفاء! قال ابن كثير: يعنون " بلالا " و " عمارا " و " صهيبا، و " خباباً " وأشباههم من المستضعفين والعبيد والإماء من أسلم وأمن بالنبي (2245).

(وَالَّذِي قَالَ لَوْلِدِي أَفٍ لَّكُمَا أَتَعِدَانِي أَنْ أُخْرَجَ وَقَدْ خَلَّتِ الْقُرُونُ مِنْ قَبْلِي وَهُمَا يَسْتَعْجِلَانِ اللَّهَ وَيَلُكُ عَامِنٌ إِنَّ وَعَدَ اللَّهُ حَقًّا فَيَقُولُ مَا هَذَا إِلَّا أَسْطِيرُ الْأَوَّلِينَ (١٧))

(2238) تفسير الطبري 23/13 مرسل وإسناده ليس بذلك

(2239) الدر المنثور في التفسير بالمأثور للسيوطي (13/321) مرسل.

(2240) تفسير القرطبي - (16/190)

(2241) زاد المسير (7/375)

(2242) زاد المسير (7/375)

(2243) الكشف والبيان عن تفسير القرآن (9/10)

(2244) الكشف والبيان عن تفسير القرآن (9/10)

(2245) صفة التفسير - للصابوني (3/215)

قوله تعالى: (والذي قال لوالديه أف لكما) - الآية.

971. [ك] وأخرج ابن أبي حاتم عن السدي قال: « نزلت هذه الآية: (والذي قال لوالديه أف لكما) في عبد الرحمن بن أبي بكر قال لأبويه: - وكانا قد أسلما وأبى هو أن يسلم - فكانا يأمرانه بالإسلام فيرد عليهما ويكذبهما ويقول: فأين فلان وأين فلان؟ يعني مشايخ قريش ممن قد مات، ثم أسلم بعد فحسن إسلامه، فنزلت توبته في هذه الآية: (ولكل درجات مما عملوا) - الآية (2246) ».

972. وأخرج ابن جرير من طريق العوفي عن ابن عباس مثله (2247).

973. [ك] لكن أخرج البخاري من طريق يوسف بن ماهان قال: « قال مروان في عبد الرحمن بن أبي بكر: إن هذا الذي أنزل الله فيه: (والذي قال لوالديه أف لكما) - فقالت عائشة من وراء الحجاب: ما أنزل الله فينا شيئاً من القرآن إلا أن الله أنزل عذري (2248) ».

974. وأخرج عبد الرزاق من طريق مكى (2249): « أنه سمع عائشة تنكر أن تكون الآية نزلت في عبد الرحمن بن أبي بكر، وقالت: إنما نزلت في فلان سمت رجلاً (2250) » قال الحافظ ابن حجر: ونفي عائشة أصح إسناداً وأولى بالقبول.

[تعليق]

ذكر المؤلف رحمه الله أربعة آثار في سبب نزول هذه الآية، فأما الأول والثاني فهما يدلان على أنها نزلت في عبد الرحمن بن أبي بكر قبل إسلامه وقد نفت عائشة رضي الله عنها هذا القول بأن الآية نزلت في أخيها، وعبد الرحمن أسلم وحسن إسلامه فترجيح كون الآية نزلت في غيره هو الأصح. وذكر العز بن عبد السلام في تفسيره أنها نزلت في جماعة من الكفار قالوا ذلك لأبائهم (2251)، وهو الأرجح والله أعلم

[تفسير مختصر للآية]

(والذي قال لوالديه أف لكما) أي وأما الولد الفاجر الذي يقول لوالديه إذا دعوا إلى الإيمان: أف لكما أي قبحا لكما على هذه الدعوة. (أتعدانني أن أخرج وقد خلت القرون من قبلي) أي أتعدانني أن أبعث بعد الموت، وقد مضت قرون من الناس قبلي، ولم يبعث منهم أحد؟ (وهما يستغيثان الله ويلك آمن) أي وأبواه يسألان الله أن يغيثه ويهديه للإسلام، قائلين له: ويلك آمن بالله وصدق بالبعث والنشور، وإلا هلكت. (إن وعد الله حق) أي وعد الله صدق لا خلف فيه. (فيقول ما هذا إلا أساطير الأولين) أي فيقول ذلك الشقي: ما هذا الذي تقولان من أمر البعث، إلا خرافات وأباطيل السابقين، سطرها الأولون في الكتب مما لا أصل له (2252)

(وَإِذْ صَرَفْنَا إِلَيْكَ نَفَرًا مِّنَ الْجِنِّ يَسْتَمِعُونَ الْقُرْآنَ فَلَمَّا حَضَرُوهُ قَالُوا أَنصِتُوا فَلَمَّا قُضِيَ وَلَّوْا إِلَىٰ قَوْمِهِمْ مُّنْذِرِينَ ٢٩)

قوله تعالى: (وإذ صرفنا إليك نفراً من الجن) - الآية.

975. وأخرج ابن أبي شيبة عن ابن مسعود قال: « إن الجن هبطوا على النبي ﷺ وهو يقرأ القرآن ببطن نخلة، فلما سمعوه قالوا: أنصتوا وكانوا تسعة أحدهم زوبعة، فأنزل الله: (وإذ صرفنا إليك نفراً من الجن) إلى قوله (ضلال مبين) (2253) ».

[تعليق]

ذكر المؤلف رحمه الله أثراً واحداً في سبب نزول هذه الآية وهو أثر صحيح ويبدل على أن الجن منهم من آمن بالله تعالى لما سمعوا القرآن ثم رجعوا يدعون أقوامهم إلى الإسلام، وسوف يأتي لذلك مزيد في سورة الجن إن شاء الله.

[تفسير مختصر للآية]

(وإذ صرفنا إليك نفراً من الجن يستمعون القرآن) أي واذكر يا أيها الرسول حين وجهنا إليك وبعثنا جماعة من الجن ليستمعوا القرآن قال البيضاوي: والنفر دون العشرة، روي أنهم وافوا رسول الله ﷺ بوادي النخلة عند منصرفه من الطائف يقرأ في تهجده

(2246) تفسير ابن أبي حاتم 10/2295 مرسل.

(2247) تفسير الطبري 19/26 ضعيف

(2248) صحيح البخاري 4/1827 ح (4550)

(2249) في المخطوط [معيناً] وفي تفسير عبد الرزاق [ميناً] وهو الصواب

(2250) تفسير عبد الرزاق 3/219 في إسناده ميناء بن أبي ميناء مولى عبد الرحمن بن عوف متروك

(2251) تفسير العز بن عبد السلام (1094)

(2252) صفوة التفاسير - للصابوني (216 /3)

(2253) المستدرک للحاکم 2/495 ح (3701) من طريق ابن أبي شيبة وإسناده حسن وعزاه الهيثمي للبخاري 26/31 عن زر بن حبیش مرسل قال الإمام الحاکم حدثنا أبو الحافظ أنبا عبدان الأهوازي حدثنا أبو بكر بن أبي شيبة حدثنا أحمد الزبيري حدثنا سفيان عن عاصم عن زر عن عبد الله بن

(فلما حضروه قالوا أنصتوا) أي فلما حضروا القرآن عند تلاوته، قال بعضهم لبعض: اسكتوا لإستماع القرآن قال القرطبي: هذا توبيخ لمشركي قريش، أي إن الجن سمعوا القرآن فآمنوا به، وعلموا أنه من عند الله، وأنتم معرضون مصرون على الكفر. (فلما قضي ولوا إلى قومهم منذرين) أي فلما فرغ من قراءة القرآن، رجعوا إلى قومهم مخوفين لهم من عذاب الله، إن لم يؤمنوا قال الرازي: وذلك لا يكون إلا بعد إيمانهم، لأنهم لا يدعون غيرهم إلى استماع القرآن والتصديق به إلا وقد آمنوا⁽²²⁵⁴⁾.
انتهت سورة الأحقاف

سُورَةُ مُحَمَّدٍ

(الَّذِينَ كَفَرُوا وَصَدُّوا عَنْ سَبِيلِ اللَّهِ أَضَلَّ أَعْمَلُهُمْ ١ وَالَّذِينَ ءَامَنُوا وَعَمِلُوا الصَّالِحَاتِ وَءَامَنُوا بِمَا نُزِّلَ عَلَيَّ مُحَمَّدًا وَهُوَ الْحَقُّ مِنْ رَبِّهِمْ كَفَّرَ عَنْهُمْ سَيِّئَاتِهِمْ وَأَصْلَحَ بَالَهُمْ ٢)

قوله تعالى: (الذين كفروا وصدوا عن سبيل الله أضل أعمالهم) - الآية.
976. [ك] أخرج ابن أبي حاتم عن ابن عباس في قوله: (الذين كفروا وصدوا عن سبيل الله أضل أعمالهم) قال: هم أهل مكة نزلت فيهم: (والذين آمنوا وعملوا الصالحات) قال: هم الأنصار⁽²²⁵⁵⁾.

[تعليق]

سورة محمد من السور المدنية التي اهتمت بالحديث عن أمور القتال والأسرى والحرب وبعض الأحكام الشرعية كما هو طبيعة السورة المدنية.
وذكر المؤلف رحمه الله أثراً واحداً في سبب نزول هذه الآية، وهو أثر يؤديه السياق، لكن قوله في الذين آمنوا، هم الأنصار لا ينفى دخول غيرهم فإن الآية معناها العموم والله تعالى أعلم.

[تفسير مختصر للآية]

(الذين كفروا وصدوا عن سبيل الله) هذا إعلان حرب من الله تعالى على أعداء دينه، والمعنى: الذين جحدوا بآيات الله، وأعرضوا عن الإسلام، ومنعوا الناس عن الدخول فيه.
(أضل أعمالهم) أي أبطلها وأحبطها وجعلها ضائعة لا ثواب لها، لأنها لم تكن لله فيبطلت، والمراد أعمالهم الصالحة، كإطعام الطعام، وصلة الأرحام، وقرئ الضيف قال الزمخشري: وحقيقة إضلال الأعمال: جعلها ضالة ضائعة، ليس لها من يتقبلها ويثيب عليها، كالضالة من الإبل، التي لا رب لها يحفظها ويعتني بأمرها، والمراد أعمالهم التي عملوها في كفرهم، بما كانوا يسمونه " مكارم الأخلاق "، من صلة الأرحام، وفك الأسارى، وقرئ الأضياف، وحفظ الجوار.
(والذين آمنوا وعملوا الصالحات) أي جمعوا بين الإيمان الصادق، والعمل الصالح
(وآمنوا بما نزل على محمد) أي صدقوا بما أنزل الله على رسوله محمد صلى تصديقاً جازماً لا يخالجه شك ولا ارتياب، وهو عطف خاص على عام، والآية فيها تعظيم أمره والاعتناء بشأنه، إشارة إلى أن الإيمان لا يتم بدونها، ولذا أكده بقوله:
(وهو الحق من ربهم) أي وهو الثابت المؤكد المقطوع بأنه كلام الله ووحيه المنزل من عند الله، والجملة اعتراضية لتأكيد السابق.
(كفر عنها سيئاتهم) أي أزال ومحا عنهم ما مضى من الذنوب والأوزار.
(وأصلح بالهم) أي أصلح شأنهم وحالهم، في دينهم ودنياهم.. ثم بين تعالى سبب ضلال الكفار، واهتداء المؤمنين⁽²²⁵⁶⁾.

(فَإِذَا لَقِيتُمُ الَّذِينَ كَفَرُوا فَضَرْبَ الرِّقَابِ حَتَّىٰ إِذَا أَثَخِنْتُمُوهُمْ فَسُدُّوا أَلْوَتَاقَ فَإِمَّا مَنًّا بَعْدَ وَإِمَّا فِدَاءً حَتَّىٰ تَضَعَ الْحَرْبُ أَوْزَارَهَا ذَلِكَ وَلَوْ يَشَاءُ اللَّهُ لَانْتَصَرَ مِنْهُمْ وَلَكِن لِّيَبْلُوَ بَعْضُكُم بِبَعْضٍ وَالَّذِينَ قُتِلُوا فِي سَبِيلِ اللَّهِ فَلَن يُضِلَّ أَعْمَلُهُمْ ٤)

قوله تعالى: (فإذا لقيتم الذي كفروا فضرب الرقاب) - الآية.
977. وأخرج عن قتادة في قوله: (والذين قتلوا في سبيل الله) قال: ذكر لنا أن هذه الآية نزلت يوم أحد ورسول الله ﷺ في الشعب وقد نشبت فيهم الجراحات والقتل، وقد نادى المشركون يومئذ أعل هبل، ونادى المسلمون الله أعلى وأجل، فقال المشركون: إن لنا العزى ولا عزى لكم فقال رسول الله ﷺ

(2254) صفوة التفسير - للصابوني (3/ 220)

(2255) أخرجه الحاكم في المستدرک على الصحيحين للحاكم مع تعليقات الذهبي في التلخيص (2/ 496) ولم أجده في الكتب المسندة في تفسير ابن أبي حاتم

(2256) صفوة التفسير - للصابوني (3/ 222)

« قولوا الله مولانا ولا مولى لكم ⁽²²⁵⁷⁾ ».

[تعليق]

ذكر المؤلف رحمه الله هذا الأثر المرسل عن قتادة، وهو يدل على أن الآية نزلت في غزوة أحد، ولم أجد أحداً من أهل التفسير ذكر ذلك غير ما روى عن قتادة، قال الإمام ابن جرير: «الذين قاتلوا منكم أيها المؤمنون أعداء الله من الكفار في دين الله، وفي نصرة ما بعث به رسوله محمداً صَلَّى اللهُ عَلَيْهِ وَسَلَّمَ من الهدى، فجاهدوهم في ذلك (فَلَنْ يُضِلَّ أَعْمَالَهُمْ) فلن يجعل الله أعمالهم التي عملوها في الدنيا ضلالاً عليهم كما أضلَّ أعمال الكافرين⁽²²⁵⁸⁾». فإله سبحانه يخبر عن أحوال المجاهدين في سبيله وما أعد لهم من الأجر العظيم على قتلهم في سبيله. فالآية متضمنة لبعض أحكام الجهاد وحث للمؤمنين على قتال الكافرين وأن في قتلهم الأجر العظيم من الله تعالى.

[تفسير مختصر للآية]

(والذين قتلوا في سبيل الله فلن يضل أعمالهم) أي والذين استشهدوا في سبيل الله، فلن يبطل الله عملهم، بل يكثره ويضاعفه وينقيه. (سيديهم) أي سيديهم إلى ما ينفعهم في الدنيا والآخرة، بتوفيقهم إلى العمل الصالح، وارشادهم إلى الجنة دار الأبرار. (ويصلح بالهم) أي ويصلح حالهم وشأنهم. (ويدخلهم الجنة عرفها لهم) أي ويدخلهم الجنة دار النعيم بينها لهم، بحيث يعلم كل واحد منزله ويهتدي إليه قال مجاهد: يهتدي أهلها إلى بيولهم ومسكنهم، لا يخطئون كأنهم ساكنوها منذ خلقوا وفي الحديث الشريف (والذي نفسي بيده إن أحدهم بمنزله في الجنة، أهدى منه بمنزله الذي كان في الدنيا)⁽²²⁵⁹⁾.

(وَكَأَيِّن مِّن قَرْيَةٍ هِيَ أَشَدُّ قُوَّةً مِّن قَرْيَتِكَ الَّتِي أَخْرَجْنَاكَ أَهْلَكُنَّهُمْ فَلَا نَاصِرَ لَهُمْ ۖ (١٣)

قوله تعالى: (وكأين من قرين هي أشد قوة) - الآية.

978. وأخرج أبو يعلى عن ابن عباس قال: «لما خرج رسول الله ﷺ تلقاء الغار نظر إلى مكة فقال: «أنت أحب بلاد الله إلي، ولولا أن أهلك أخرجوني منك لم أخرج عنك». فأنزل الله: (وكأين من قرية هي أشد قوة من قريتك التي أخرجتك) - الآية⁽²²⁶⁰⁾».

[تعليق]

ساق المؤلف رحمه الله هذا الأثر عن ابن عباس في سبب نزول هذه الآية، وهو أثر ضعيف الإسناد، وقد قيل بأن هذه السورة مدنية لكن هذه الآية نزلت بعد فتح مكة، والآية إخبار من الله تعالى أنه أهلك قريي هي أشد قوة من قريش التي أخرجت النبي ﷺ، فالآية مواساة للنبي ﷺ ووعده بالنصر على أعداءه.

[تفسير مختصر للآية]

(وكأين من قرية هي أشد قوة من قريتك التي أخرجتك) أي وكم من أهل قرية عاتية ظالمة (الكلام على حذف مضاف أي من أهل قرية وهو مجاز مشهور) كانوا أقوى من أهل مكة الذين أخرجوك منها. (أهلكناهم فلا ناصر لهم) أي أهلكناهم بأنواع العذاب فلم ينصرهم أحد، فكذلك نفعل بهؤلاء⁽²²⁶¹⁾.

(وَمِنْهُمْ مَّن يَسْتَمِعُ إِلَيْكَ حَتَّىٰ إِذَا خَرَجُوا مِنْ عِنْدِكَ قَالُوا لِلَّذِينَ أُوتُوا الْعِلْمَ مَاذَا قَالَ آنِفًا أُولَٰئِكَ الَّذِينَ طَبَعَ اللَّهُ عَلَىٰ قُلُوبِهِمْ وَاتَّبَعُوا أَهْوَاءَهُمْ ۖ (١٦)

قوله تعالى: (ومنهم من يستمع إليك حتى إذا خرجوا) - الآية.

979. وأخرج ابن المنذر عن ابن جريج قال: «كان المؤمنون والمنافقون يجتمعون إلى النبي ﷺ، فيسمع المؤمنون منهم ما يقول ويعونه، ويسمعه المنافقون فلا يعونه، فإذا خرجوا سألوا المؤمنين: ماذا قال آنفاً؟ فنزلت: (ومنهم من يستمع إليك) - الآية⁽²²⁶²⁾».

[تعليق]

ذكر المؤلف رحمه الله أثراً واحداً في سبب نزول هذه الآية، وهو يدل على ما كان عليه أهل النفاق من عدم الفهم لما

⁽²²⁵⁷⁾ لم أجده في تفسير ابن أبي حاتم وأخرجه الطبري جامع البيان (تفسير الطبري) (159/22).

⁽²²⁵⁸⁾ جامع البيان (تفسير الطبري) (159/22)

⁽²²⁵⁹⁾ صفوة التفاسير - للصابوني (224/3)

⁽²²⁶⁰⁾ تفسير الطبري 26/48 وفي إسناده حبيب بن أبي ثابت مدلس قد عنعن، وأخرجه أبو يعلى وغيره ولكن ليس فيه ذكر الآية.

⁽²²⁶¹⁾ صفوة التفاسير - للصابوني (225/3)

⁽²²⁶²⁾ مرسل.

(391)

يقال في مجلس النبي □، حتى سألوا الصحابة عن ما قال، وذلك لأن قلوبهم لاهية غافلة عن ما يقول النبي □ بسبب نفاقهم. وفي الآية تناء على أصحاب النبي □ بكونهم هم الذين أوتوا العلم. وأخرج ابن أبي حاتم عن عكرمة رضي الله عنه قال: كانوا يدخلون على رسول الله □، فإذا خرجوا من عنده قالوا لابن عباس رضي الله عنهما، ماذا قال أنفا؟ فيقول: كذا وكذا، وكان ابن عباس رضي الله عنهما من الذين أوتوا العلم⁽²²⁶³⁾.

[تفسير مختصر للآية]

(ومنهم من يستمع إليك) أي ومن هؤلاء المنافقين جماعة يستمعون إلى حديثك يا محمد. (حتى إذا خرجوا من عندك) أي حتى إذا خرجوا من مجلس. (قالوا للذين أوتوا العلم ماذا قال أنفا) أي قالوا لعلماء الصحابة - كأبن عباس وابن مسعود - ماذا قال محمد قريبا في تلك الساعة؟ قال ابن كثير: أخبر تعالى عن المنافقين في بلادتهم وقلة فهمهم، حيث كانوا يجلسون إلى رسول الله □ ويستمعون كلامه، فلا يفهمون منه شيئا، فإذا خرجوا من عنده، قالوا لأهل العلم من الصحابة: ماذا قال محمد (أنفا) أي الساعة، لا يعقلون ما قال، ولا يكثرثون به⁽²²⁶⁴⁾.

(يَا أَيُّهَا الَّذِينَ ءَامَنُوا أَطِيعُوا اللَّهَ وَأَطِيعُوا الرَّسُولَ وَلَا تُبْطِلُوا أَعْمَالَكُمْ (٣٣))

قوله تعالى: (يا أيها الذين آمنوا أطيعوا الله وأطيعوا الرسول ولا تبطلوا) - الآية. **980.** وأخرج ابن أبي حاتم ومحمد بن نصر المروزي في كتاب الصلاة عن أبي العالية قال: « كان أصحاب رسول الله □ يرون أنه لا يضر مع لا إله إلا الله ذنب كما لا ينفع مع الشرك عمل، فنزل: (أطيعوا الله وأطيعوا الرسول ولا تبطلوا أعمالكم) فخافوا أن يبطل الذنب العمل⁽²²⁶⁵⁾ ». »

[تعليق]

ذكر المؤلف رحمه الله أثراً واحداً في سبب نزول هذه الآية، وهو أثر مرسل الإسناد، ويدل على أن الذنب يضر بالمؤمن، فلذلك الله حثنا أن لا نبطل أعمالنا بالذنوب، وفي الآية أحكام متعلقة بقوله تعالى (ولا تبطلوا أعمالكم)، ذكر منها العلماء بأنه من شرع في عبادة وجب عليه إتمامها، وتام الكلام في هذا الموضوع في كتب أحكام القرآن وبالله التوفيق. وفي الآية سبب آخر للنزول ذكره الإمام ابن الجوزي رحمه الله. قال: وذلك أن قوماً من الأعراب قدموا على رسول الله □ فقالوا: أتيناك طائعين، فلنا عليك حق، فنزلت هذه الآية⁽²²⁶⁶⁾. قلت: الآية أمر من الله تعالى للمؤمنين عموماً بأن لا يبطلوا أعمالهم. وذكر الإمام ابن الجوزي أربعاً من مبطلات الأعمال. أحدها: المعاصي والكبائر، قاله الحسن. والثاني: الشك والنفاق، قاله عطاء. والثالث: الرياء والسُّمعة، قاله ابن السائب. والرابع: بالَمَنَ⁽²²⁶⁷⁾.

وكل هذا الذي ذكر له شواهد من التشريع فنسأل الله أن لا يحبط عملنا بأي من هذه المبطلات.

[تفسير مختصر للآية]

(يا أيها الذين آمنوا أطيعوا الله وأطيعوا الرسول) أي امتثلوا أوامر الله وأوامر رسوله. (ولا تبطلوا أعمالكم) أي ولا تبطلوا أعمالكم بما أبطل به هؤلاء أعمالهم من الكفر والنفاق، والعجب والرياء⁽²²⁶⁸⁾. انتهت سورة محمد

سُورَةُ الْفَتْحِ

(إِنَّا فَتَحْنَا لَكَ فَتْحًا مُّبِينًا (١))

(2263) تفسير ابن أبي حاتم - (10 / 3298)

(2264) صفوة التفسير - للصابوني (3 / 226)

(2265) تفسير ابن أبي حاتم 10/3299 تعظيم قدر الصلاة 2/645 ح(698) مرسل وفي إسناده أبو جعفر الرازي صدوق سيء الحفظ

(2266) زاد المسير (7 / 413)

(2267) زاد المسير (7 / 413)

(2268) صفوة التفسير - للصابوني (3 / 228)

981. أخرج الحاكم وغيره عن المسورين مخرمة ومروان بن الحكم قالا: «نزلت سورة الفتح بين مكة والمدينة في شأن الحديبية من أولها إلى آخرها»⁽²²⁶⁹⁾.

[تعليق]

سورة الفتح سورة مدنية بالإجماع وهذا ما نقله الإمام القرطبي وقد صح أنها نزلت في شأن الحديبية وما يتعلق به من الصلح. وروى البخاري وغيره عن البراء رضي الله عنه قال: تعدون أنتم الفتح فتح مكة، وقد كان فتح مكة فتحاً ونحن نعد الفتح بيعة الرضوان يوم الحديبية. فكانت بيعة الرضوان يوم الحديبية حيث بايعوا النبي ﷺ على الموت في سبيل الله، ثم كان الصلح مع المشركين يوم الحديبية فتحاً عظيماً. وقد جاء حديث صلى الحديبية بطوله في الصحيح. وذكر المؤلف رحمه الله هذا الأثر الصحيح في كون الآية نزلت بين مكة والمدينة زمن الحديبية.

[تفسير مختصر للآية]

(إنا فتحنا لك فتحا مبينا) أي قد فتحنا لك يا محمد [مكة] فتحا مبينا ظاهرا، وحكمنا لك بالفتح المبين على أعدائك، والمراد بالفتح [فتح مكة] وعده الله به قبل أن يكون، وذكره بلفظ الماضي لتحقيقه، وكانت بشارة عظيمة من الله تعالى لرسوله وللمؤمنين قال الزمخشري: هو فتح مكة، وقد نزلت مرجع رسول الله ﷺ عن مكة عام الحديبية، وهو وعد له بالفتح، وجيء به بلفظ الماضي على عادة رب العزة سبحانه في أخباره، لأنها في تحققها وتيقنها بمنزلة الكائنة الموجودة، وفي ذلك من الفخامة والدلالة على علو شأن الفتح ما لا يخفى (وذهب بعض المفسرين إلى أن المراد بالفتح " صلح الحديبية " لما ترتب عليه من الآثار العظيمة، من بيعة الرضوان، ومن الصلح الذي عقده رسول الله ﷺ مع قريش، ومن دخول كثير في الإسلام، إلى غير ما هنالك، وإلى هذا ذهب الحافظ ابن كثير⁽²²⁷⁰⁾).

(وَمَا تَأَخَّرَ وَيُتِمَّ نِعْمَتَهُ عَلَيْكَ وَيَهْدِيكَ صِرَاطًا مُسْتَقِيمًا ۚ وَيَنْصُرَكَ اللَّهُ نَصْرًا عَزِيمًا ۝ ٣)

قوله تعالى: (ليغفر الله لك ما تقدم من ذنبك) - الآيات.

982. وأخرج الشيخان والترمذي والحاكم عن أنس قال: «أنزلت على النبي ﷺ: (ليغفر لك الله ما تقدم من ذنبك وما تأخر مرجعه من الحديبية، فقال النبي ﷺ: «لقد نزلت علي آية أحب إلي مما على الأرض». ثم قرأها عليهم، فقالوا: هنيئاً مريئاً لك يا رسول الله قد بين الله لك ماذا يفعل بك فماذا يفعل بنا؟ فنزلت: (ليدخل المؤمنين والمؤمنات) - حتى: (بلغ فوزاً عظيماً⁽²²⁷¹⁾)».

[تعليق]

ذكر المؤلف رحمه الله أثراً واحداً في سبب نزول هذه الآية وهو أثر صحيح، ولكن متعلق بقوله تعالى (ليدخل المؤمنين والمؤمنات جنات تجري من تحتها الأنهار ---) الآية. أما هذه الآية فقد ورد في سبب نزولها ما ذكره مقاتل بن سليمان رحمه الله عن ابن عباس: إن اليهود شتموا بالنبي ﷺ والمسلمين لما نزل قوله - وما أدري ما يفعل بي ولا بكم - وقالوا: كيف نتبع رجلاً لا يدري ما يفعل به، فاشتد ذلك على النبي ﷺ، فأنزل الله تعالى - إنا فتحنا لك فتحا مبينا ليغفر لك الله ما تقدم من ذنبك وما تأخر -⁽²²⁷²⁾. قلت: نزلت الآية مخبرة بفضل الله تعالى على نبيه ﷺ بأن غفر له ما تقدم من ذنبه وما تأخر، وعلى المؤمنين بأن وعدهم جنات تجري من تحتها الأنهار نسأل الله أن يجعلنا منهم ومعهم.

[تفسير مختصر للآية]

(ليغفر لك الله ما تقدم من ذنبك وما تأخر) أي ليغفر لك ربك يا محمد جميع ما فرط منك من ترك الأولى قال أبو السعود: وتسميته ذنباً بالنظر إلى منصبه الجليل. (ويتم نعمته عليك) أي ويكمل نعمته عليك بإعلاء الدين ورفع مناره. (ويهديك صراطاً مستقيماً) أي ويرشدك إلى الطريق القويم، الموصول إلى جنات النعيم بما يشرع لك من الدين العظيم.

⁽²²⁶⁹⁾ المستدرک للحاکم 2/498 ح (3710) وقال صحيح على شرط مسلم سنن البيهقي الكبرى 9/223 وفيه تصريح ابن إسحاق بالسماع. قال أبو عبد الله الحاكم أخبرني أحمد بن جعفر القطيبي حدثنا عبد الله بن أحمد بن حنبل حدثني أبي حدثنا محمد بن سلمة عن محمد بن إسحاق عن الزهري عن عروة عن المسور بن مخرمة ومروان بن الحكم - به⁽²²⁷⁰⁾ صفوة التفسير - للصابوني (3/ 231)
⁽²²⁷¹⁾ صحيح البخاري 4/1830 ح (4554) صحيح مسلم 3/1413 ح (1786) صحيح ابن حبان 14/320 ح (6410) سنن الترمذي 5/ 385 ح (3263) سنن البيهقي الكبرى 9/222 ح (18594) سنن النسائي الكبرى 6/461 ح (11498)
⁽²²⁷²⁾ تفسير مقاتل بن سليمان (3/ 244)

(لَقَدْ رَضِيَ اللَّهُ عَنِ الْمُؤْمِنِينَ إِذْ يُبَايِعُونَكَ تَحْتَ الشَّجَرَةِ فَعَلِمَ مَا فِي قُلُوبِهِمْ فَأَنْزَلَ السَّكِينَةَ عَلَيْهِمْ وَأَنْتَبَهُمْ فَتَحًا قَرِيبًا ۝ ١٨)

قوله تعالى: (لقد رضي الله عن المؤمنين) - الآية.

983. [ك] وأخرج ابن أبي حاتم عن سلمة بن الأكوع قال: «بينما نحن قائلون إذا نادى منادي رسول الله ﷺ: أيها الناس البيعة البيعة، نزل روح القدس، فسرنا إلى رسول الله ﷺ وهو تحت الشجرة فبايعناه، فأنزل الله: (لقد رضي الله عن المؤمنين) - الآية⁽²²⁷⁴⁾».

984. وأخرج مسلم والترمذي والنسائي عن أنس قال: «لما كان يوم الحديبية هبط على رسول الله ﷺ وأصحابه ثمانون رجلاً في السلاح من جبل التنعيم يريدون غرة رسول الله ﷺ، فأخذوا فاعتقهم، فأنزل الله: (وهو الذي كف أيديهم عنكم وأيديكم عنهم) - الآية⁽²²⁷⁵⁾».

985. [ك] وأخرج مسلم نحوه من حديث سلمة بن الأكوع⁽²²⁷⁶⁾.

986. [ك] وأحمد والنسائي نحوه من حديث عبد الله بن مغفل المزني⁽²²⁷⁷⁾.

987. [ك] وابن إسحاق نحوه من حديث ابن عباس.

[تعليق]

ذكر المؤلف رحمه الله آثار هنا وهي شواهد بعضها لبعض، وقد نزلت السورة كاملة في أمور الحديبية وبيعة الرضوان، فالأثر الأول أخبار من الله تعالى عن رضاه عن المؤمنين في بيعة الرضوان. ويليق بنا هنا أن نذكر الحديث كاملاً حتى يتضح للقارئ أحداث ما جرى في هذه الواقعة بين النبي ﷺ والمشركون وباللغة التوفيق.

وهو عند الإمام مسلم وغيره، عن سلمة بن الأكوع - رضي الله عنه - قال: قدمنا الحديبية مع رسول الله صلى الله عليه وسلم ونحن أربع عشرة مائة، وعليها خمسون شاة لا ترويهما. قال: فقعد رسول الله صلى الله عليه وسلم على جبا الركية، فأبأ دعا وإمأ بسق فيها. قال: فجاشت. فسقينا واستقينا. قال: ثم إن رسول الله صلى الله عليه وسلم دعانا للبيعة في أصل الشجرة، قال: فبايعته أول الناس. ثم بايع وباع. حتى إذا كان في وسط من الناس قال: «بايع. يا سلمة». قال قلت: قد بايعتك يا رسول الله في أول الناس. قال: «وأيضاً». قال: ورأيت رسول الله صلى الله عليه وسلم عزلاً [يعني ليس معه سلاح]. قال: فأعطاني رسول الله صلى الله عليه وسلم حجة أو درقة، ثم بايع. حتى إذا كان في آخر الناس قال: «ألا تبايعني يا سلمة؟». قال قلت: قد بايعتك يا رسول الله في أول الناس، وفي أوسط الناس. قال: «وأيضاً». قال: فبايعته الثالثة. ثم قال لي: «يا سلمة أين حجفتك أو درقتك التي أعطيتك؟». قال قلت: يا رسول الله لقيني عمي عامر عزلاً. فأعطيته إياها. قال: فضحك رسول الله صلى الله عليه وسلم وقال: «إنك كالأول: اللهم أبغني حبيباً، هو أحب إلي من نفسي». ثم إن المشركين راسلونا الصلح. حتى مشى بعضنا في بعض. واصطلحنا. قال: وكنت تبعاً لطلحة بن عبيد الله، أسقي فرسه، وأحسه، وأخدمه. وأكل من طعامه. وترك أهلي ومالي، مهاجراً إلى الله ورسوله صلى الله عليه وسلم، قال: فلما اصطلحنا نحن وأهل مكة، واختلط بعضنا ببعض، أتيت شجرة فكسحت شوكة فاضطجعت في أصلها. قال: فأتاني أربعة من المشركين من أهل مكة. فجعلوا يقعون في رسول الله صلى الله عليه وسلم، فأبغضتهم، فنحوت إلى شجرة أخرى، وعلقوا سلاحهم. واضطجعوا. فبينما هم كذلك إذ نادى مناد من أسفل الوادي: يا للمهاجرين، قتل ابن زنيم. قال: فاخترطت سيفي ثم شددت على أولئك الأربعة وهم رقاد. فأخذت سلاحهم. فجعلته ضعفاً في يدي. قال: ثم قلت: والذي كرم وجه محمد لا يرفع أحد منكم رأسه إلا ضربت الذي فيه عيناه. قال: ثم جئت بهم أسوقهم إلى رسول الله صلى الله عليه وسلم. قال: وجاء عمي عامر برجل من العبلات يقال له مكرز. يقوده إلى رسول الله صلى الله عليه وسلم. على فرس مجفف. في سبعين من المشركين. فنظر إليهم رسول الله صلى الله عليه وسلم فقال: «دعوهم. يكن لهم بدء الفجور وثناه». فعفا عنهم رسول الله صلى الله عليه وسلم. وأنزل الله: (وَهُوَ الَّذِي كَفَّ أَيْدِيَهُمْ عَنْكُمْ وَأَيْدِيَكُمْ عَنْهُمْ بِبَطْنِ مَكَّةَ مِنْ بَعْدِ أَنْ أَظْفَرَكُمْ عَلَيْهِمْ) [الفتح/24] الآية كلها. قال: ثم خرجنا راجعين إلى المدينة فنزلنا منزلاً بيننا وبين بني لحيان جبل. وهم المشركون. فاستغفر رسول الله صلى الله عليه وسلم لمن رقي هذا الجبل الليلة. كأنه طليعة للنبي صلى الله عليه وسلم وأصحابه. قال سلمة: فرقيت تلك الليلة مرتين أو ثلاثاً. ثم قدمنا المدينة فبعث رسول الله صلى الله عليه وسلم بظهره مع رباح غلام رسول الله صلى الله عليه وسلم وأنا معه. وخرجت معه بفرس طلحة. أنذيه مع الظهر.

⁽²²⁷³⁾صفوة التقاسير - للصابوني (231/3)

⁽²²⁷⁴⁾تفسير ابن أبي حاتم 10/3300 ليس له إسناد في النسخة

⁽²²⁷⁵⁾صحيح مسلم 3/1442 ح (1808) سنن أبي داود 3/61 ح (2688) سنن الترمذي 5/386 ح (3264) مسند أحمد 3/122 ح (12249) سنن النسائي الكبرى 5/202

ح (8667) سنن البيهقي الكبرى 6/318 ح (12611) المنتخب 363 ح (1208) تفسير الطبري 26/94

⁽²²⁷⁶⁾صحيح مسلم 3/1433 ح (1807)

⁽²²⁷⁷⁾تفسير الطبري 26/93 مسند أحمد 4/86 المستدرک للحاكم 2/500 ح (3716) وقال: صحيح على شرط الشيخين إذ لا يبعد سماع ثابت من عبد الله بن مغفل وقد اتفقا على إخراج حديث معاوية بن قرة على حديث حميد بن هلال عنه، وثابت أسن منها جميعاً قلت: تصريحه بالسماع من ابن مغفل عند النسائي في الكبرى نفس الحديث 6/464 وفي إسناده على بن الحسين بن واقد وهو صدوق بهم

فلما أصبحنا إذا عبد الرحمن الفزاري قد أغار على ظهر رسول الله صلى الله عليه وسلم. فاستاقه أجمع. وقتل راعيه. قال: فقلت: يا رباح! خذ هذا الفرس فأبلغه طلحة بن عبيد الله. وأخبر رسول الله صلى الله عليه وسلم أن المشركين قد أغاروا على سرحه. قال: ثم قمت على أكمة فاستقبلت المدينة. فناديت ثلاثاً: يا صباحاه! ثم خرجت في آثار القوم أرميهم بالنبل. وأرتجز أقول: أنا ابن الأكوغ... واليوم يوم الرضع فألحق رجلاً منهم. فأصك سهماً في رحله. حتى خلص نصل السهم إلى كتفه. قال: قلت: خذها: وأنا ابن الأكوغ... واليوم يوم الرضع قال: فو الله ما زلت أرميهم وأعقر بهم. فإذا رجعت إلى فارس أتيت شجرة فجلست في أصلها. ثم رميته ففقرت به. حتى إذا تضايق الجبل فدخلوا في تضايقه، علوت الجبل. فجعلت أرميهم بالحجارة.

قال: فما زلت كذلك أتبعهم حتى ما خلق الله من يعير من ظهر رسول الله صلى الله عليه وسلم إلا خلفته وراء ظهري. وخلصوا بيني وبينه. ثم أتبعهم أرميهم. حتى ألقوا أكثر من ثلاثين بردة وثلاثين رمحاً يستخفون. ولا يطرحون شيئاً إلا جعلت عليه أراماً من الحجارة. يعرفها رسول الله صلى الله عليه وسلم وأصحابه. حتى أتوا متضايقاً من ثنية فإذا هم قد أتاهم فلان ابن بدر الفزاري. فجلسوا يتضحون [يعني يتغنون]. وجلست على رأس قرن. قال الفزاري: ما هذا الذي أرى؟ قالوا: لقينا من هذا، البرج. والله ما فارقتنا منذ غلس. يرمينا حتى انتزع كل شيء في أيدينا. قال: فليقم إليهم نفر منكم، أربعة. قال: فصعد إليهم أربعة في الجبل. قال: فلما أمكنوني من الكلام، قال: قلت: هل تعرفوني؟ قالوا: لا. ومن أنت؟ قال قلت: أنا سلمة بن الأكوغ. والذي كرم وجه محمد صلى الله عليه وسلم لا أطلب رجلاً منكم إلا أدركته. ولا يطلبني رجل منكم فيدركني. قال أحدهم: أنا أظن. قال: فرجعوا فما برحت مكاني حتى رأيت فوارس رسول الله صلى الله عليه وسلم يتخللون الشجر. قال: فإذا أولهم الأخرم الأسدي. على إثره أبو قتادة الأنصاري. وعلى إثره المقداد بن الأسود الكندي. قال: فأخذت بعنان الأخرم. قال: فولوا مدبرين. قلت: يا أخرم احذرهم. لا يقطعوك حتى يلحق رسول الله صلى الله عليه وسلم وأصحابه. قال: يا سلمة! إن كنت تؤمن بالله واليوم الآخر، وتعلم أن الجنة حق والنار حق، فلا تحل بيني وبين الشهادة. قال: فخليتي. فالتقي هو وعبد الرحمن. قال: فعقر عبد الرحمن فرسه. وطعنه عبد الرحمن فقتله. وتحول على فرسه. ولحق أبو قتادة، فارس رسول الله صلى الله عليه وسلم بعبد الرحمن. فطعنه فقتله. فو الذي كرم وجه محمد صلى الله عليه وسلم لتبعنهم أعدو على رجلي. حتى ما أرى ورائي، من أصحاب محمد صلى الله عليه وسلم ولا غبارهم شيئاً حتى يعدلوا قبل غروب الشمس إلى شعب فيه ماء. يقال له ذا قرد. ليشربوا منه، وهم عطاش. قال: فنظروا إليّ أعدو وراءهم. فخليتهم عنه» [يعني أجليتهم عنه] فما ذاقوا منه قطرة. قال: ويخرجون فيشتدون في ثنية. قال: فأعدو فألحق رجلاً منهم فأصك به سهم في غضض كتفه. قال قلت: خذها وأنا ابن الأكوغ... واليوم يوم الرضع

قال: يا تكلته أمه أكوغ بكرة. قال قلت: نعم. يا عدو نفسه أكوغ بكرة. قال: وأردوا فرسين على ثنية. قال: فجننت بهما أسوقهما إلى رسول الله صلى الله عليه وسلم. قال: ولحقتي عامر بسطيحة فيها مذقة من لبن وسطيحة فيها ماء. فتوضأت وشربت. ثم أتيت رسول الله صلى الله عليه وسلم وهو على الماء الذي حلأتهم عنه. فإذا رسول الله صلى الله عليه وسلم قد أخذ تلك الإبل. وكل شيء استنفذته من المشركين وكل رمح وبردة. وإذا بلال نحر ناقة من الإبل التي استنفذت من القوم. وإذا هو يشوي لرسول الله صلى الله عليه وسلم من كبدها وسنامها. قال قلت: يا رسول الله خلني فانتخب من القوم مائة رجل. فأتبع القوم فلا يبقى منهم مخبر إلا قتلته. قال: فضحك رسول الله صلى الله عليه وسلم حتى بدت نواجذه في ضوء النار. فقال: «يا سلمة أترأى كنت فاعلاً؟» قلت: نعم، والذي أكرمك. فقال: «إنهم الآن ليقرون في أرض غطفان». قال: فجاء رجل من غطفان، فقال: نحر لهم فلان جزوراً، فلما كشفوا جلدها رأوا غباراً. فقالوا: أتاكم القوم. فخرجوا هاربين. فلما أصبحنا قال رسول الله صلى الله عليه وسلم: «كان خير فرساننا اليوم أبو قتادة. وخير رجالنا سلمة». قال: ثم أعطاني رسول الله صلى الله عليه وسلم سهمين: سهم الفارس وسهم الرّاجل. فجمعهما لي جميعاً. ثم أردفني رسول الله صلى الله عليه وسلم وراءه على العضباء. راجعين إلى المدينة. قال: فبينما نحن نسير. قال: وكان رجل من الأنصار لا يسبق شداً قال: فجعل يقول: ألا مسابق إلى المدينة؟ هل من مسابق؟ فجعل يعيد ذلك. قال: فلما سمعت كلامه قلت: أما تكرم كريماً، ولا تهاب شريفاً؟ قال: لا. إلا أن يكون رسول الله صلى الله عليه وسلم قال: قلت: يا رسول الله بأبي وأمي ذرني فلاسابق الرجل. قال: «إن شئت». قال: قلت: اذهب إليك. وثبيت رجلي ففطرت فعدوت. قال: فربطت عليه شرفاً أو شرفين أستقي نفسي ثم عدوت في إثره. فربطت عليه شرفاً أو شرفين. ثم إنني رفعت حتى ألحقه. قال فأصك به بين كتفيه. قال قلت: قد سبقت والله! قال: أنا أظن قال: فسبقتني إلى المدينة قال: فو الله ما لبثنا إلا ثلاث ليال حتى خرجنا إلى خيبر مع رسول الله صلى الله عليه وسلم. قال: فجعل عمي عامر يرتجز بالقوم:

تا لله لولا الله ما اهتدينا... ولا تصدقنا ولا صلينا
ونحن عن فضلك ما استغنينا... فثبت الأقدام إن لاقينا
وأنزلن سكينه علينا

فقال رسول الله صلى الله عليه وسلم: «من هذا؟» قال: أنا عامر. قال: «غفر لك ربك». قال: وما استغفر رسول الله صلى الله عليه وسلم لإنسان يخصه إلا استشهد. قال: فنادى عمر بن الخطاب، وهو على جمل له: يا نبي الله لولا ما متعتنا بعامر. قال: فلما قدمنا خيبر قال: خرج ملكهم مرحب يخطر بسيفه ويقول:

قد علمت خيبر أنني مرحب... شاكي السلاح بطل مجرب
إذا الحروب أقبلت تلهب

قال: وبرز له عمي عامر، فقال:

قد علمت خيبر أنني عامر... شاكي السلاح بطل مغامر

قال: فاختلفا ضربتين: فوقع سيف مرحب في ترس عامر. وذهب عامر يسفل له. فرجع سيفه على نفسه. فقطع أكله. فكانت فيها نفسه. قال سلمة: فخرجت فإذا نفر من أصحاب النبي صلى الله عليه وسلم يقولون: بطل عمل عامر. قتل نفسه. قال: فأتيت النبي صلى الله عليه وسلم وأنا أبكي. فقلت: يا رسول الله! بطل عمل عامر؟ قال رسول الله صلى الله عليه وسلم: «من قال ذلك؟» قال قلت: ناس من أصحابك. قال: «كذب من قال ذلك. بل له أجره مرتين». ثم أرسلني إلى عليّ، وهو أرمد. فقال: «لأعطين الراية رجلاً يحب الله ورسوله، أو يحبه الله ورسوله». قال: فأتيت عليّاً فجننت به أقوده، وهو أرمد. حتى أتيت به رسول الله صلى الله عليه وسلم. فسبق في عينيه فبرأ. وأعطاه الراية. وخرج مرحب. فقال:

قد علمت خيبر أنني مرحب... شاكي السلاح بطل مجرب
إذا الحروب أقبلت تلهب

فقال عليّ:

أنا الذي سمّنتي أمي حيدره ... كليث غابات كرية المنظره
أوفيهم بالصّاع كيل السّندره

قال: فضرب رأس مرحب فقتله. ثم كان الفتح على يديه»⁽²²⁷⁸⁾.

إلى هنا انتهى حديث صلح الحديبية وفيه من الصور الرائعة للصحابة الكثير الذي يستحق أن يفرد في مؤلف وليس هذا موضع الحديث عنه وبالله التوفيق.

[تفسير مختصر للآية]

(لقد رضي الله عن المؤمنين إذ يبايعونك تحت الشجرة) اللام موطنه لقسم محذوف أي والله لقد رضي الله عن المؤمنين، حين يبايعوك يا محمد " بيعة الرضوان " تحت ظل الشجرة بالحديبية.

(فأَنْزَلَ السكينة عليهم) أي رزقهم الطمأنينة وسكون النفس عند البيعة.

(وأثابهم فتحاً قريباً) أي وجازاهم على بيعة الرضوان بفتح خبير، وما فيها من النصر والغنائم، زيادة على ثواب الآخرة.

(ومغانم كثيرة يأخذونها) أي وجعل لهم الغنائم الكثيرة التي غنموها من خبير، قال ابن كثير: هو ما أجرى الله عز وجل على أيديهم، من الصلح بينهم وبين أعدائهم، وما حصل بذلك من الخير العائم بفتح خبير، ثم فتح سائر البلاد والأقاليم، وما حصل لهم من العز والنصر، والرفعة في الدنيا والآخرة، ولهذا قال تعالى:

(وكان الله عزيزاً حكيماً) أي غالباً على أمره، حكيماً في تدبيره وصنعه، ولهذا نصركم عليهم وغممكم أرضهم وديارهم وأموالهم⁽²²⁷⁹⁾.

(وهو الذي كف أيديهم عنكم وأيديكم عنهم ببطن مكة) أي وهو تعالى بقدرته وتدبيره، صرف أيدي كفار مكة عنكم، كما صرت عنهم أيديكم بالحديبية، التي هي قريبة من البلد الحرام قال ابن كثير: هذا امتنان من الله تعالى على عباده المؤمنين، حين كف أيدي المشركين عنهم، فلم يصل إليهم منهم سوء، وكف أيدي المؤمنين عن المشركين، فلم يقاتلوه عند المسجد الحرام، بل صان كلا من الفريقين، وأوجد بينهم صلحاً، فيه خيرة للمؤمنين وعاقبة حسنة لهم في الدنيا والآخرة.

(من بعد أن أظفركم عليهم) أي من بعد ما أخذتموهم أسارى وتمكنتم منهم

(وكان الله بما تعملون بصيراً) أي هو تعالى بصير بأعمالكم وأحوالكم، يعلم ما فيه مصلحة لكم، ولذلك حزمكم عن الكافرين رحمة بكم، وحرمة لبيته العتيق، لئلا تسفك فيه الدماء⁽²²⁸⁰⁾.

(هُمُ الَّذِينَ كَفَرُوا وَصَدُّوكُمْ عَنِ الْمَسْجِدِ الْحَرَامِ وَالْهَدْيِ مَعْكُوفًا أَنْ يَبْلُغَ مَحِلَّهُ وَلَوْلَا رِجَالٌ مُّؤْمِنُونَ وَنِسَاءٌ مُّؤْمِنَاتٌ لَّمْ تَعْلَمُوهُمْ أَنْ تَطَّوَّهُمْ تَصْيِيحًا مِّنْهُمْ مَّعْرَةً بَعِيرٌ عَلَّمٌ لِّيَدْخُلَ اللَّهُ فِي رَحْمَتِهِ مَن يَشَاءُ لَوْ تَزَيَّلُوا لَعَذَّبْنَا الَّذِينَ كَفَرُوا مِنْهُمْ عَذَابًا أَلِيمًا ٢٥)

قوله تعالى: (هم الذين كفروا وصدوكم عن المسجد الحرام) - الآية.

988. [ك] وأخرج الطبراني وأبو يعلى عن أبي جمعة جنيد بن سبيع⁽²²⁸¹⁾ قال: «قاتلت النبي ﷺ أول النهار كافراً، وقاتلت معه آخر النهار مسلماً، وكنا ثلاثة رجال وسبع نسوة وفينا نزلت: (ولولا رجال مؤمنون ونساء مؤمنات⁽²²⁸²⁾)».

[تعليق]

ذكر المؤلف رحمه الله أثراً واحداً عند سبب نزول هذه الآية، والآية تدل على أنه كان بين أهل الكفر ناس من المؤمنين لا يعلمهم النبي ﷺ، فلذلك كف الله أيدي المؤمنين عنهم حتى لا يقتلوهم فتصيبهم المعرة والعيب من المشركين فيقولون قتلوا إخوانهم، وقد قدمنا أن السورة كلها قصة واحدة متعلق بعضها ببعض. وهذا الأثر الذي ذكره المؤلف حسن الإسناد ولا يمنع أن يكون هناك آخرون غير المذكورين في هذا الأثر لم يعلم أنهم من المؤمنين والله تعالى أعلم.

[تفسير مختصر للآية]

(هم الذين كفروا وصدوكم عن المسجد الحرام) أي هم كفار قريش المعتدون، الذين كفروا بالله والرسول، ومنعوا المؤمنين عن دخول المسجد الحرام، لأداء مناسك العمرة عام الحديبية.

(والهدى معكوفاً أن يبلغ محله) أي وصدوا الهدى أيضاً وهو ما يهدي لبيت الله لفقرء الحرم - معكوفاً أي محبوساً عن أن يبلغ مكانه الذي يذبح فيه وهو الحرم قال القرطبي: يعني قريشاً منعوا المسلمين من دخول المسجد الحرام عام الحديبية، حين أحرم

⁽²²⁷⁸⁾ صحيح مسلم (3/1440)

⁽²²⁷⁹⁾ صفوة التفسير - للصابوني (3/235)

⁽²²⁸⁰⁾ صفوة التفسير - للصابوني (3/236)

⁽²²⁸¹⁾ قال ابن حجر في التقریب: أبو جمعة الأنصاري أو الكناني اسمه حبيب بن سباع ويقال جنيد بضم الجيم والموحدة بينهما نون ساكنة بن سبيع صحابي سكن الشام ثم مصر ومات بعد السبعين.

⁽²²⁸²⁾ مسند أبي يعلى 3/129 ح (1560) المعجم الكبير 2/290 ح (2204) إسناده لا بأس بهقال الإمام أبو يعلى حدثنا محمد بن عباد المكي حدثنا أبو سعيد مولى بني هاشم عن أبي خلف عن عبد الله بن عوف قال سمعت أبا جمعة جنيد بن سبيع - به.

رسول الله مع أصحابه بالعمرة، ومنعوا الهدى وحبسوه عن أن يبلغ محله، وهذا كانوا لا يعتقدونه، ولكن حملتهم الأنفة ودعتهم الحمية الجاهلية، على أن يفعلوا ما لا يعتقدونه ديناً، فوبخهم الله على ذلك وتوعدهم عليه، وأدخل الأثر على رسول الله ببيانه ووعده.
(ولولا رجال مؤمنون ونساء مؤمنات) أي ولولا أن في مكة رجالاً ونساء من المؤمنين المستضعفين، الذين يخفون إيمانهم خوفاً من المشركين.

(لم تعلموهم) أي لا تعرفونهم بأعيانهم لاختلاطهم بالمشركين.
(أن تطئوهم فتصيبكم منهم معرفة بغير علم) أي كراهة أن توقعوا بهم وتقتلوا منهم، دون علم منكم بإيمانهم، فبئس لكم بقتلهم إثم وذنب، وجواب " لولا " محذوف تقديره: لأذن لكم في دخول مكة، ولسلطكم على المشركين، قال الصاوي: والجواب محذوف قدره الجلال بقوله: لأذن لكم في الفتح، ومعنى الآية: لولا كراهة أن تهلوكوا أناساً مؤمنين بين أظهر الكفار، حال كونكم جاهلين بهم فيصيبكم بإهلاكهم مكروه، لما كف أيديكم عنهم، ولأذن لكم في فتح مكة
(ليدخل الله في رحمته من يشاء) أي إنما فعل ذلك ليختص المؤمنين من بين أظهر المشركين، وليرجع كثير منهم إلى الإسلام، قال القرطبي: أي لم يأذن الله لكم في قتال المشركين، ليسلم بعد الصلح من قضى الله أن يسلم من أهل مكة، وكذلك كان، أسلم الكثير منهم وحسن إسلامه، ودخلوا في رحمته وجنته.
(لو تزيلوا لعذبنا الذين كفروا منهم عذاباً أليماً) أي لو تفرقوا وتميز بعضهم عن بعض، وانفصل المؤمنون عن الكفار، لعذبنا الكافرين منهم أشد العذاب، بالقتل والسبي، والتشريد من الأوطان⁽²²⁸³⁾.

(لَقَدْ صَدَقَ اللَّهُ رَسُولَهُ الرُّؤْيَا بِالْحَقِّ لَتَدْخُلَنَّ الْمَسْجِدَ الْحَرَامَ إِنْ شَاءَ اللَّهُ ءَامِنِينَ مُحَلِّقِينَ رُءُوسَكُمْ وَمُقَصِّرِينَ لَا تَخَافُونَ فَعَلِمَ مَا لَمْ تَعْلَمُوا فَجَعَلَ مِنْ دُونِ ذَلِكَ فَتْحًا قَرِيبًا ۝ ٢٧)

قوله تعالى: (لقد صدق الله رسول الرؤيا بالحق) - الآية.

989. [ك] وأخرج الفريابي وعبد بن حميد والبيهقي في الدلائل عن مجاهد قال: «أرى النبي □ وهو بالحديبية أنه يدخل مكة هو وأصحابه آمنين محلقين رؤوسهم ومقصرين، فلما نحر الهدى بالحديبية قال أصحابه: أين رؤياك يا رسول الله؟ فنزلت: (لقد صدق الله رسوله الرؤيا) - الآية⁽²²⁸⁴⁾».

[تعليق]

ذكر المؤلف رحمه الله هذا الأثر والوحيد في سبب نزول هذه الآية، وقد ذكر أنا القائلين هذا للنبي □ من المنافقين.
قال مقاتل: فقال المنافقون عبد الله بن أبي، وعبد الله بن رسل، ورفاعة بن التابوه: والله، ما حلقتنا ولا قصرنا، ولا رأينا المسجد الحرام، فأنزل الله تعالى: (لقد صدق الله رسوله الرؤيا بالحق)⁽²²⁸⁵⁾.
وقد تأخر تحقق رؤيا النبي □ عن عام الحديبية حتى كاد بعض الصحابة أن يرتاب، وفي صحيح الإمام ابن حبان. فقال عمر بن الخطاب: والله ما شككت منذ أسلمت إلا يومئذ فأنتيت النبي □ فقلت: ألسنت نبي الله قال: بلى، فقلت: ألسنا على الحق وعدونا على الباطل قال: بلى، قلت: فلم نعطي الدنيا في ديننا إذن قال: إني رسول الله ولست أعصيه وهو ناصري، قلت: أو ليس كنت تحدثنا أنا سنأتي البيت ونطوف به قال: بلى
أفأخبرتك أنك تأتيه العام قلت: لا، قال: فإنك آتية ومطوف به، فأنتيت أبا بكر فقلت يا أبا بكر: أليس هذا نبي الله حقا قال: بلى، قلت: ألسنا على الحق وعدونا على الباطل قال: بلى، قلت: فلم نعطي الدنيا في ديننا إذن قال: أيها الرجل إنه رسول الله وليس يعصي ربه وهو ناصره فاستمسك بغيره تفر حتى تموت فو الله إنه لعلى الحق، قلت: أوليس كان يحدثنا إنا سنأتي البيت ونطوف به قال: بلى أفأخبرك أنك تأتيه العام قلت: لا، قال: فإنك آتية ومطوف به، قال عمر: فعملت لذلك أعمالاً⁽²²⁸⁶⁾.
وقد تحققت رؤيا النبي □ في العام القابل، فجاء هو وأصحابه واعتمروا عمرة القضاء وحلقوا وقصروا كما وعدهم الله سبحانه.

[تفسير مختصر للآية]

(لقد صدق الله رسوله الرؤيا بالحق) اللام موطنة للقسم، و " قد " للتحقيق أي والله لقد جعل الله رؤيا رسوله صادقة محققة، لم يدخلها الشيطان لأنها رؤيا حق، قال المفسرون: كان رسول الله □ قد رأى في منامه، أنه دخل مكة هو وأصحابه وطافوا بالبيت، ثم حلق بعضهم وقصر بعضهم، فحدث بها أصحابه ففرحوا واستبشروا، فلما خرج إلى الحديبية مع الصحابة، وصدده المشركون عن دخول مكة، ووقع ما وقع من قضية الصلح، ارتاب المنافقون وقالوا: والله ما حلقتنا ولا قصرنا ولا رأينا البيت، فأين هي الرؤيا؟ ووقع في نفوس بعض المسلمين شيء فنزلت الآية (لقد صدق الله رسوله الرؤيا بالحق) فأعلم تعالى أن رؤيا رسوله حق، وأنه لم يكذب فيما رأى، ولكن ليس في الرؤيا أنه يدخلها عام ست من الهجرة، وإنما أراه مجرد صورة الدخول، وقد حقق الله له ذلك بعد عام، فذلك قوله تعالى:

(لتدخلن المسجد الحرام إن شاء الله) أي لتدخلن يا محمد أنت وأصحابك المسجد الحرام بمشيئة الله.
(آمنين محلقين رؤوسكم ومقصرين) أي تدخلونها آمنين من العدو، تؤدون مناسك العمرة ثم يحلق رؤسكم، ويقصر بعض.

(2283) صفوة التفسير - للصابوني (3/ 237)

(2284) ح للبيهقي 4/164 مرسل منقطع الإسناد.

(2285) تفسير مقاتل بن سليمان (3/ 253)

(2286) صحيح ابن حبان بترتيب ابن بلبان - مشكول (11/ 225) وأصله في الصحيح

(لا تخافون) أي غير خائفين، وليس فيه تكرار لأن المراد آمنين وقت دخولكم، وحال المكث، وحال الخروج. (فعلم ما لم تعلموا) أي فعلم تعالى ما في الصلح من الحكمة، والخير والمصلحة لكم، ما لم تعلموه أنتم، قال ابن جزري: يريد ما قدره تعالى من ظهور الإسلام في تلك المدة، فإنه لما انعقد الصلح وارتفعت الحرب، رغب الناس في الإسلام، فكان رسول الله ﷺ في غزوة الحديبية في ألف وأربعمائة، وغزا (غزوة الفتح) بعدها بعامين ومعه عشرة آلاف. (فجعل من دون ذلك فتحاً قريباً) أي فجعل قبل ذلك فتحاً عاجلاً لكم، وهو " صلح الحديبية" وسمي فتحاً لما ترتب عليه من الآثار الجليلية، والعواقب الحميدة، ولهذا روى البخاري عن البراء رضي الله عنه أنه قال: تعدون انتم الفتح " فتح مكة، وقد كان فتح مكة فتحاً، ونحن نعد الفتح " بيعة الرضوان " يوم الحديبية⁽²²⁸⁷⁾.

انتهت سورة الفتح

سُورَةُ الْحُجْرَاتِ

(يَا أَيُّهَا الَّذِينَ ءَامَنُوا لَا تَقْدُمُوا بَيْنَ يَدَيْ اللَّهِ وَرَسُولِهِ وَأَنْقُوا اللَّهَ إِنَّ اللَّهَ سَمِيعٌ عَلِيمٌ (١))

قوله تعالى: (يا أيها الذين آمنوا لا تقدموا) - الآيتين.

990. أخرج البخاري وغيره من طريق ابن جريج عن ابن أبي مليكة أن عبد الله بن الزبير أخبره: « أنه قدم ركب من بني تميم على رسول الله ﷺ، فقال أبو بكر: أمر القعقاع بن معبد، وقال عمر: بل أمر الأقرع بن حابس، فقال أبو بكر: ما أردت إلا خلافي، وقال عمر: ما أردت خلافاً، فتماريا حتى ارتفعت أصواتهما، فنزل في ذلك قوله تعالى: (يا أيها الذين آمنوا لا تقدموا بين يدي الله ورسوله) إلى قوله: (ولو أنهم صبروا)⁽²²⁸⁸⁾».

991. [ك] [ك] وأخرج ابن المنذر عن الحسن: « أن أناساً ذبحوا قبل رسول الله ﷺ يوم النحر، فأمرهم أن يعيدوا ذبْحاً، فأنزل الله: (يا أيها الذين آمنوا لا تقدموا بين يدي الله ورسوله)⁽²²⁸⁹⁾».

992. وأخرج ابن أبي الدنيا في كتاب الأضاحي بلفظ: « ذبح رجل قبل الصلاة فنزلت »⁽²²⁹⁰⁾».

993. أخرج الطبراني في الأوسط عن عائشة: « أن ناساً كانوا يتقدمون الشهر، فيصومون قبل النبي ﷺ فأنزل الله: (يا أيها الذين آمنوا لا تقدموا بين يدي الله ورسوله)⁽²²⁹¹⁾».

994. [ك] وأخرج ابن جرير عن قتادة قال: « ذكر لنا أن ناساً كانوا يقولون لو أنزل في كذا فأنزل الله: (لا تقدموا بين يدي الله ورسوله)⁽²²⁹²⁾».

[تعلیق]

سورة الحجرات من السور المدنية والتي عنيت بجوانب التربية والأدب، وقد سماها بعض العلماء سورة الأخلاق، وقد ورد فيها عدة أسباب نزول مخرجة في الصحيح.

وذكر المؤلف عند سبب نزول هذه الآية (لا تقدموا بين يدي الله ورسوله)، عدة آثارة مشتملة على عدة أسباب للنزول وكلها في الظاهر أسباب مختلفة.

فالأول: في مجادلة أبي بكر وعمر بين يدي النبي ﷺ، وارتفاع أصواتهما عند رسول الله ﷺ، فنزلت الآية أمره لهم بالأدب مع رسول الله ﷺ، وقد روى البخاري أن عمر بعد ما نزلت هذه الآية والتي بعدها لم يكن يحدث النبي ﷺ إلا خافضاً صوته حتى يستفهمه النبي ﷺ ماذا يقول.

قال الإمام البخاري: قال بن أبي مليكة: قال بن الزبير: " فكان عمر بعد ذلك - ولم يذكر ذلك عن أبيه يعني أبا بكر - إذا حدث النبي ﷺ بحديث حدثه كأخي السرار لم يسمعه حتى يستفهمه⁽²²⁹³⁾. ومعنى كأخي السرار يعني كالذي يسر إلى أخيه بسر لا يرفع صوته حتى لا يسمعه غيره.

والسبب الثاني: في إناس ذبحوا قبل النبي ﷺ، فأمرهم النبي ﷺ أن يعيدوا الذبح، وهو سبب غريب، وقد روى الإمام البخاري ومسلم وغيرهما عن جندب بن سفيان البجلي قال: قال رسول الله ﷺ " من ذبح قبل أن يصلي فيذبح مكانها أخرى، ومن لم يكن ذبح حتى صليها فيذبح باسم الله⁽²²⁹⁴⁾". وليس فيه تعرض لسبب النزول وإسناد هذا السبب مرسل.

(2287) صفوة التفاسير - للصابوني (238 /3)

(2288) تفسير الطبري 26/199 صحيح البخاري 4/1587 ح (4109) سنن الترمذي 5/387 ح (3266) شرح معاني الآثار 4/172 مسند البزار 6/145 مسند أبي يعلى

12/193 ح (6816) سنن النسائي 8/226 ح (5386) مسند أحمد 4/6 ح (16178)

(2289) تفسير الطبري 26/117 مرسل وإسناده ليس بالقائم

(2290) مرسل.

(2291) المعجم الأوسط 3/134 ح (2713) في إسناده حبان بن ربيعة أو ربيعة قال الهيثمي: مجهول

(2292) تفسير الطبري 26/117 مرسل ضعيف الإسناد.

(2293) صحيح البخاري (9/120)

(2294) صحيح البخاري (7/118)

السبب الثالث: أنها نزلت في أناس كانوا يصومون رمضان قبل النبي ﷺ، وليس له شواهد وفي الصحيح أن النبي ﷺ أمر أصحابه بأن يصوموا لرؤية الهلال وأن يفطروا لرؤيته ولم يذكر أحد من أصحاب الصحيح أو غيرهم هذا السبب. وقد روى الإمام الثعلبي رحمه الله عن مسروق أيضاً، قال: دخلت على عائشة في اليوم الذي جئت فيه، فقالت للجارية: اسقيه عسلاً، فقالت: إني صائم. فقالت: قد نهى الله تعالى عن صوم هذا اليوم، وفيه نزلت (يا أيها الذين آمنوا لا تقدموا بين يدي الله ورسوله) (2295).

وهذا السبب مخالف للذي قبله فالذي قبله في تقدم الصيام قبل الشهر وهذا في صيام يوم نهى عن الصيام فيه. السبب الرابع: أنها نزلت في قوم كانوا يفتاتون على الله ورسوله فيقولون لو أنه أنزلت في حادثة كذا وكذا فنزلت الآية مرشدة لهم بأن لا يفتاتون على الله ورسوله فإله أعلم بما ينزل. وقد جاء كذلك في أسباب نزولها.

السبب الخامس: ذكره الإمام ابن الجوزي أنها نزلت في عمرو بن أمية الضمري، وكان قد قتل رجلين من بني سليم قبل أن يستأذن رسول الله ﷺ، قاله ابن السائب (2296).

قال الإمام الثعلبي: وقيل في الثلاثة الذين نجوا الرجلين السلميين، اللذين اعتزما إلى بني عامر وأخذهم مالهما وكانا من أهل العهد، فلما أتوا رسول الله صلى الله عليه وسلم - وقد سبق الخبر إليه، فقال: «بئس ما صنعتم، هما من أهل ميثاقي وهذا الذي معكم من نسوتي، قالوا: يا رسول الله إنهما زعما أنهما من بني عامر، فقلنا: رجلان ممن قتل إخواننا، قلنا: هما لذلك. وأتاه السلميون، فقال رسول الله صلى الله عليه وسلم: «لا قود لهما لأنهما اعتزما إلي عدونا» ولكنه أيدهما، فوآدهما رسول الله صلى الله عليه وسلم وأنزل الله سبحانه في ذلك (يا أيها الذين آمنوا لا تقدموا بين يدي الله ورسوله) حين قتلوا الرجلين، وهذه رواية ماذان عن ابن عباس (2297).

قلت: بين هذا الرواية والتي ذكرها الإمام ابن الجوزي توافق، ولم يذكر فيها القاتل إنما ذكر في الرواية الأخرى وهو عمرو بن أمية والله أعلم.

السبب السادس: ذكره كذلك الإمام الثعلبي عن أبي الدرداء، قال: رأني النبي صلى الله عليه وسلم أمشي أمام أبي بكر، فقال: «تمشي أمام من هو خير منك في الدنيا والآخرة، ما طلعت الشمس، ولا غربت على أحد بعد النبي صلى الله عليه وسلم والمرسلين خيراً وأفضل من أبي بكر» (2298).

وفي إسناد هذه القصة رجل مجهول، وإن صحت فتوافقها مع قوله تعالى (لا تقدموا بين يدي الله ورسوله) من حيث أن الله تعالى جعل العلماء هم ورثة الأنبياء، وأفضل العلماء هم العلماء من الصحابة، وأفضلهم أبو بكر الصديق، فالمشي أمامه هو تقدم بين يدي الله تعالى ورسوله.

قال ابن زيد: لا تقطعوا أمراً دون رسول الله، وقيل: لا تمشوا بين يدي رسول الله، وكذلك بين أيدي العلماء فإنهم ورثة الأنبياء (2299).

السبب السابع: ذكره كذلك الإمام الثعلبي حيث قال: وقيل: إنها نزلت في قوم كانوا يحضرون مجلس رسول الله صلى الله عليه وسلم فإذا سئل الرسول عن شيء، خاضوا فيه، وتقدموا بالقول، والفتوى، فنهوا عن ذلك، وزجروا عن أن يقول أحد في شيء من دين الله سبحانه، قبل أن يقول فيه رسول الله صلى الله عليه وسلم (2300).

قال القاضي ابن العربي: هذه الأقوال كلها صحيح تدخل تحت العموم، فإله أعلم ما كان السبب المثير للآية منها، ولعلها نزلت دون سبب (2301).

قلت: وإن كان كل ما قيل داخل في عموم الآية، لكن الذي في الصحيح أولى بالترجيح فيكون سببها المجادلة التي جرت بين يدي رسول الله ﷺ من أبي بكر وعمر والله تعالى أعلم.

[تفسير مختصر للآية]

(يا أيها الذين آمنوا لا تقدموا بين يدي الله ورسوله) أي يا أيها المؤمنون، يا من اتصفتم بالإيمان، وصدقتم بكتاب الله، لا تقدموا أمراً أو فعلاً بين يدي الله ورسوله، وحذف المفعول للتعميم ليذهب ذهن السامع إلى كل ما يمكن تقديمه من قول أو فعل، أي لا تبرموا أمراً، ولا تبدوا رأياً، ولا تقضوا حكماً في حضرة النبي ﷺ مثله إذا عرضت مسألة في مجلسه ﷺ لا يسبقونه بالجواب، وإذا حضر الطعام لا يبتدئون بالأكل، وإذا ذهبوا معه إلى مكان، لا يمشون أمامه ونحو ذلك، قال ابن عباس: نهوا أن يتكلموا بين يدي كلامه ﷺ وقال الضحاك: لا تقضوا أمراً دون الله ورسوله من شرائع دينكم وقال البيضاوي: المعنى لا تقطعوا أمراً قبل أن يحكم الله ورسوله به، وقيل: المراد بين يدي رسول الله ﷺ وذكر اسم الله تعظيماً له وإشعاراً بأنه من الله بمكان يوجب إجلاله. (واتقوا الله إن الله سميع عليم) أي واتقوا الله فيما أمركم به، إن الله سميع لأقوالكم، عليم بنياتكم وأحوالكم، وإظهار الاسم الجليل، لتربية المهابة والروعة في النفس (2302).

(يَا أَيُّهَا الَّذِينَ آمَنُوا لَا تَرْفَعُوا أَصْوَاتَكُمْ فَوْقَ صَوْتِ النَّبِيِّ وَلَا تَجْهَرُوا لَهُ بِالْقَوْلِ كَجَهْرِ بَعْضِكُمْ لِبَعْضٍ أَنْ

(2295) الكشف والبيان عن تفسير القرآن (70 / 9)

(2296) زاد المسير (7 / 455)

(2297) الكشف والبيان عن تفسير القرآن (9 / 71)

(2298) الكشف والبيان عن تفسير القرآن (9 / 71)

(2299) الكشف والبيان عن تفسير القرآن (9 / 71)

(2300) الكشف والبيان عن تفسير القرآن (9 / 71)

(2301) صفوة التفاسير - للصابوني (3 / 242)

(2302) سنن الترمذي (5 / 387)

تَحَبُّطٌ أَعْمَلُكُمْ وَأَنْتُمْ لَا تَسْعُرُونَ ٢

قوله تعالى: (يا أيها الذين آمنوا لا ترفعوا أصواتكم) - الآية.

995. [ك] وأخرج عنه قال: «كانوا يجهرون له بالكلام ويرفعون أصواتهم، فأنزل الله: (لا ترفعوا أصواتكم) - الآية»⁽²³⁰³⁾.

[تعليق]

ذكر المؤلف رحمه أثراً واحداً في سبب نزول هذه الآية، وهو أثر عام وإسناده صحيح مرسل. وهو يدل على أن بعض الصحابة كانوا يرفعون أصواتهم فوق صوت النبي ﷺ، فأدبهم الله تعالى مع نبيه وأنزل الآية حتى يعلموا كيف يخاطبون النبي ﷺ بسلوك الأدب وخفض الصوت عنده.

وفي سبب نزولها كذلك غير ما ذكر المؤلف بعض الآثار وهي خاصة.

فالسبب الثاني: ما أخرج الإمام الترمذي وغيره وقد ذكرت بعضه في السبب المتقدم، عن عبد الله بن الزبير أن الأقرع بن حابس قدم على النبي صلى الله عليه وسلم فقال أبو بكر: يا رسول الله استعمله على قومه فقال عمر لا تستعمله يا رسول الله فتكلم عند النبي صلى الله عليه وسلم حتى ارتفعت أصواتهما فقال أبو بكر لعمر ما أردت إلا خلافي قال ما أردت خلافاً قال فنزلت هذه الآية (يا أيها الذين آمنوا لا ترفعوا أصواتكم فوق صوت النبي) فكان عمر بن الخطاب بعد ذلك إذا تكلم عند النبي صلى الله عليه وسلم لم يسمع كلامه حتى يستفهمه⁽²³⁰⁴⁾.

قلت: هو صحيح الإسناد فتكون هذه الآية والتي قبلها نزلت في قصة واحدة، وهذا ما يؤيده سياق الآيات.

السبب الثالث: أنها نزلت في ثابت بن قيس بن شماس وهو المعروف بخطيب رسول الله ﷺ، وكان جهوري الصوت.

فأخرج الإمام الواحدي وغيره في قصة وفد بني تميم لما جاءوا رسول الله ﷺ وطلبوا المفاخرة قام خطيبهم فافتخر، ثم قام ثابت بن قيس فخطب خطبة بليغة جزلة فغلبهم، وقام شاعرهم وهو الأقرع بن حابس فأنشد:

تيناك كيما يعرف الناس فضلنا... إذا خلفونا عند ذكر المكارم

وإننا رؤوس الناس من كل معشر... وأن ليس في أرض الحجاز كدارم

وإن لنا المربع في كل غارة... تكون بنجد أو بأرض التهائم

فقام حسان فقال:

بني دارم لا تفخروا إن فخركم... يعود وبالا عند ذكر المكارم

هبلتم علينا تفخرون وأنتم... لنا خول من بين ظئر وخادم

في أبيات لهما.

فقالوا: خطيبهم أخطب من خطيبنا، وشاعرهم أشعر من شاعرنا، فارتفعت أصواتهم فأنزل الله تعالى: (لا ترفعوا أصواتكم فوق صوت النبي ﷺ ولا تجهروا له بالقول)⁽²³⁰⁵⁾.

وقد أثرت هذا الآية في ثابت بن قيس تأثيراً شديداً فاعتزل في بيته خشية من أن يحبط عمله.

روى ابن قانع في معجم الصحابة عن محمد بن ثابت بن قيس بن شماس، عن ثابت بن قيس بن شماس: لما نزلت على النبي ﷺ (يا أيها الذين آمنوا لا ترفعوا أصواتكم فوق صوت النبي) فعدت في بيتي، فبلغ ذلك النبي ﷺ، فقال: تعيش حميداً وتقتل شهيداً، فقتل يوم اليمامة⁽²³⁰⁶⁾.

السبب الرابع: متعلق بقوله تعالى (ولا تجهروا له بالقول).

قال الإمام القرطبي رحمه الله: وقيل: كان المنافقون يرفعون أصواتهم عند النبي ﷺ، ليقنطروا بهم ضعفة المسلمين فنهى المسلمون عن ذلك. وقيل: (لا تجهروا له) أي لا تجهروا عليه⁽²³⁰⁷⁾.

قلت: ليس بين هذه الأسباب تعارض البتة فإن ما أبهم في الأثر الذي ذكره المؤلف بين في باقي الآثار، ويجوز أن تكون الآية نزلت في أكثر من شخص ثم نزلت تأديباً وتعليماً للجميع مكانة النبي ﷺ، وما يجب عليهم عند مخاطبته والله تعالى أعلم.

[تفسير مختصر للآية]

(يا أيها الذين آمنوا لا ترفعوا أصواتكم فوق صوت النبي) ﷺ أي إذا كلمتم رسول الله ﷺ فاحفظوا أصواتكم، ولا ترفعوها على صوت النبي.

(ولا تجهروا له بالقول كجهر بعضكم لبعض) أي ولا تبلغوا حد الجهر عند مخاطبته ﷺ، كما يجهر بعضكم في الحديث مع البعض، ولا تخاطبوه باسمه وكنيته كما يخاطب بعضكم بعضاً فتقولوا: يا محمد، ولكن قولوا يا نبي الله، يا رسول الله، تعظيماً لقدره، ومراعاة للأدب.

(أن تحبط أعمالكم وأنتم لا تشعرون) أي خشية أن تبطل أعمالكم من حيث لا تشعرون ولا تدرون! فإن رفع الصوت والجهر بالكلام في حضرته ﷺ استخفاف قد يؤدي إلى الكفر المحبط للعمل⁽²³⁰⁸⁾.

(2303) تفسير الطبري 26/118 مرسل صحيح الإسناد.

(2304) سنن الترمذي (5/387)

(2305) أسباب النزول للواحدي (261)

(2306) معجم الصحابة - مشكول (1/126) المؤلف: عبد الباقي بن قانع أبو الحسين [265 351] المحقق: صلاح بن سالم المصراي الناشر: مكتبة الغراء الأثرية المدينة المنورة الطبعة: الأولى، 1418

(2307) تفسير القرطبي - (16/306)

(2308) صفوة التفسير - للصابوني (3/242)

(إِنَّ الَّذِينَ يَغُضُّونَ أَصْوَاتَهُمْ عِنْدَ رَسُولِ اللَّهِ أُولَئِكَ الَّذِينَ امْتَحَنَ اللَّهُ قُلُوبَهُمْ لِلتَّقْوَى لَهُمْ مَغْفِرَةٌ وَأَجْرٌ عَظِيمٌ ۝ ٣)

قوله تعالى: (إن الذين يغضون أصواتهم عند رسول الله) - لآية

996. [ك] وأخرج أيضاً عن محمد بن ثابت بن قيس بن شماس قال: «لما نزلت هذه الآية: (لا ترفعوا أصواتكم فوق صوت النبي) قعد ثابت بن قيس في الطريق يبكي، فمر به عاصم بن عدي بن العجلان، فقال: ما يبكيك قال: هذه الآية أتخوف أن تكون نزلت في وأنا صيت رفيع الصوت، فرفع عاصم ذلك إلى رسول الله □ فدعا به فقال: «أما ترضى أن تعيش حميدا وتقتل شهيدا وتدخل الجنة». قال: رضيت ولا أرفع صوتي أبدا على صوت رسول الله □، فأنزل الله: (إن الذين يغضون أصواتهم) - الآية⁽²³⁰⁹⁾».

[تعليق]

ذكر المؤلف رحمه الله أثراً واحداً عند سبب نزول هذه الآية، وهو متصل بما قبله وقد ذكرنا قصة ثابت بن قيس بن شماس. فتكون الآية نزلت فيه، كما نزلت كذلك في أبي بكر وعمر وهو السبب الثاني: لما أخرجه الواحدي وغيره عن ابن عباس: لما نزل قوله تعالى - لا ترفعوا أصواتكم - تألى أبو بكر أن لا يكلم رسول الله □ إلا كأخي السرار، فأنزل الله تعالى في أبي بكر - إن الذين يغضون أصواتهم عند رسول الله⁽²³¹⁰⁾. وأخرج كذلك عن أبي بكر قال: لما نزلت على النبي □ - إن الذين يغضون أصواتهم عند رسول الله أولئك الذين امتحن الله قلوبهم للتقوى - قال أبو بكر: فأليت على نفسي أن لا أكلم رسول الله □ إلا كأخي السرار⁽²³¹¹⁾. قلت: والقول في سبب النزول هذا كالقول في الذين قبله فالآية نزلت فيهم جميعاً، وقد ذكرت عمر وإن لم يذكر في الأثر لأنه معلوم من رفيع مكانه أنه من الذين امتحن الله قلوبهم للتقوى، وقد تقدم أنه لم يكن يخاطب النبي □ حتى يستفهمه.

[تفسير مختصر للآية]

(إن الذين يغضون أصواتهم عند رسول الله أولئك الذين امتحن الله قلوبهم للتقوى) أي إن الذين يخفون أصواتهم في حضرة الرسول □، أولئك الذين أخلص الله قلوبهم للتقوى، ومرنها عليها وجعلها صفة راسخة فيها، قال ابن كثير: أي أخلصها للتقوى وجعلها أهلاً ومحلاً له. (لهم مغفرة وأجر عظيم) أي لهم في الآخرة صفح عن ذنوبهم، ثواب عظيم في جنات النعيم⁽²³¹²⁾.

(إِنَّ الَّذِينَ يُنَادُونَكَ مِنَ وَرَاءِ الْحُجُرَاتِ أَكْثَرُهُمْ لَا يَعْقِلُونَ ۝ ٤)

قوله تعالى: (إن الذين ينادونك) - الآيتين.

997. أخرج الطبراني وأبو يعلى بسند حسن عن زيد بن أرقم قال: «جاء ناس من العرب إلى حجر النبي □، فجعلوا ينادون يا محمد يا محمد فأنزل الله: (إن الذين ينادونك من وراء الحجرات) - الآية⁽²³¹³⁾».

998. [ك] [ك] وقال عبد الرزاق عن معمر بن قتادة: «أن رجلاً جاء إلى النبي □ فقال: يا محمد إن مدحي زين وإن شتمي شين، فقال النبي □: «ذاك هو الله». فنزلت: (إن الذين ينادونك) - الآية⁽²³¹⁴⁾».

مرسل له شواهد مرفوعة من حديث البراء وغيره عند الترمذي بدون نزول الآية.

999. [ك] وأخرج ابن جرير نحوه عن الحسن⁽²³¹⁵⁾.

1000. [ك] [ك] وأخرج أحمد بسند صحيح عن الأقرع بن حابس: «أنه نادى رسول الله □ من وراء الحجرات فلم يجبه، فقال: يا محمد إن حمدي لزين، وإن ذمي لشين، فقال ذلكم الله⁽²³¹⁶⁾».

1001. [ك] وأخرج ابن جرير وغيره عن الأقرع أيضاً: «أنه أتى النبي □ فقال: يا محمد أخرج إلينا، فنزلت⁽²³¹⁷⁾».

[تعليق]

(2309) تفسير الطبري 26/118 إسناده ضعيف، فيه إسماعيل بن محمد بن ثابت بن قيس، ترجمه الحافظ فقال: عبد الخير بن قيس بن ثابت مجهول الحال (2310) أسباب النزول للواحدي (258) (2311) أسباب النزول للواحدي (258) (2312) صفوة التفاسير - للصابوني (243 / 3) (2313) المعجم الكبير 5/210 ح (5123) تفسير الطبري 26/121 في إسناده داود الطفاوي قال الحافظ: لين الحديث، وفيه أبو مسلم البجلي لم يوثقه غير ابن حبان، فقول المؤلف سنده حسن فيه نظر والله أعلم (2314) تفسير الصنعاني 3/ 231 مرسل ضعيف، وشواهد التي ذكرها المؤلف لا تشهد لسبب النزول لأنها ليست مشتملة عليه، وتركت تخريجه لذلك (2315) تفسير الطبري 26/122 مرسل ضعيف (2316) تفسير الطبري المصدر السابق المختارة 4/322 ح (1502) مسند أحمد 3/488 ح (16034) المعجم الكبير 300 ج: 1 ح (878) وغيرهم ولم يذكر سبب النزول غير الطبري وإسناده صحيح. قال الإمام أحمد: حدثنا عفان ثنا وهيب قال حدثني موسى بن عتبة قال حدثني أبو سلمة بن عبد الرحمن عن الأقرع بن حابس - به (2317) تفسير الطبري المصدر السابق.

ذكر المؤلف رحمه الله عدة آثار في سبب نزول هذه الآية، وليس فيها تعارض، فإن ناساً من العرب في الرواية الأولى عامة فيدخل فيها بنو تميم، وهم من العرب ومعروفون بالجفاء، وكذلك عبر عن الكل وأريد البعض في كون المتكلم هو عيينة بن حصن، ويحتمل أن يكون وقع من الجميع سوء الأدب بخطابه □ من وراء الحجرات فنزلت الآية، وقد ذكر الإمام القرطبي أسماء هؤلاء الوفد من بني تميم فقال: قال مقاتل كانوا تسعة عشر: قيس بن عاصم، والزبير بن بدر، والأقرع بن حابس، وسويد بن هاشم، وخالد بن مالك، وعطاء بن حابس، والقعقاع بن معبد، ووكيع بن وكيع، وعيينة بن حصن⁽²³¹⁸⁾.

وقد ذكر الإمام الطبري الرواية الأولى بسياق أطول مما ذكره المؤلف فقال: عن زيد بن أرقم، قال: «جاء أناس من العرب إلى النبي صَلَّى اللهُ عَلَيْهِ وَسَلَّمَ، فقال بعضهم لبعض: انطلقوا بنا إلى هذا الرجل، فإن يكن نبيا فنحن أسعد الناس به، وإن يكن ملكا نعش في جناحه؛ قال: فأتيت النبي صَلَّى اللهُ عَلَيْهِ وَسَلَّمَ، فأخبرته بذلك، قال: ثم جاءوا إلى حجر النبي صَلَّى اللهُ عَلَيْهِ وَسَلَّمَ، فجعلوا ينادونه. يا محمد، فأنزل الله على نبيه صَلَّى اللهُ عَلَيْهِ وَسَلَّمَ (إِنَّ الَّذِينَ يُنَادُونَكَ مِنْ وَرَاءِ الْحُجُرَاتِ أَكْثَرُهُمْ لَا يَعْقِلُونَ) قال: فأخذ نبي الله بأذني فمدّها، فجعل يقول: " قَدْ صَدَّقَ اللهُ قَوْلَكَ يَا زَيْدُ، قَدْ صَدَّقَ اللهُ قَوْلَكَ يَا زَيْدُ »⁽²³¹⁹⁾.

وفي الآية سبب آخر. فأخرج الإمام الثعلبي: قال ابن عباس: «بعث رسول الله صَلَّى اللهُ عَلَيْهِ وَسَلَّمَ سرية إلى حي من بني العنبر وأمر عليهم عيينة بن حصين الفزاري، فلما علموا أنه توجه نحوهم، هربوا، وتركوا عيالهم، فسباهم عيينة، وقدم بهم على رسول الله صَلَّى اللهُ عَلَيْهِ وَسَلَّمَ، فجاء بعد ذلك رجالهم يفدون الذراري، فقدموا وقت الظهيرة، وواقفوا رسول الله في أهله قائلا، فلما رأتهم الذراري جهشوا إلى آبائهم يبكون، وكان لكل امرأة من نساء رسول الله صَلَّى اللهُ عَلَيْهِ وَسَلَّمَ بيت، وحجرة، فخرجوا إلى رسول الله صَلَّى اللهُ عَلَيْهِ وَسَلَّمَ وجعلوا ينادون: يا محمد اخرج إلينا حتى أيقظوه من نومهم، فخرج إليهم، فقالوا: يا محمد فادنا عيالنا فنزل جبريل، فقال: يا محمد إن الله يأمرك أن تجعل بينك وبينهم رجلا، فقال لهم رسول الله صَلَّى اللهُ عَلَيْهِ وَسَلَّمَ: «أترضون أن يكون بيني وبينكم سمرة بن عمرو، وهو على دينكم؟» فقالوا: نعم. قال سمرة: أنا لا أحكم بينهم وعمي شاهد، وهو الأعور بن شامة فرضوا به. فقال الأعور: أرى أن يفادي نصفهم، ويعتق نصفهم. فقال النبي صَلَّى اللهُ عَلَيْهِ وَسَلَّمَ «قد رضيت». ففادى نصفهم وأعتق نصفهم، فقال رسول الله صَلَّى اللهُ عَلَيْهِ وَسَلَّمَ: «من كان عليه محرر من ولد إسماعيل، فليعتق منهم». فأنزل الله سبحانه وتعالى: (إِنَّ الَّذِينَ يُنَادُونَكَ) ... الآية⁽²³²⁰⁾.

وهذا السبب كذلك غير مخالف لما تقدم، فالآية تتحدث عن أقوام من العرب سواء في ذلك بني تميم أو غيرهم وهو محتمل الوقوع من الجميع، لا سيما وقد عرف الأعراب بالجفاء والغلظة وقد قال الله تعالى فيهم (الأعراب أشد كفرا ونفاقا) سورة التوبة وقال تعالى (وممن حولكم من الأعراب منافقون) إذا فهو واقع من الجميع، فنزلت الآية مبينة ما يجب عليهم سلوكه مع النبي □، وقد قال أهل العلم أنه يجب التأدب مع رسول الله حياً فكذلك يجب التأدب معه ميتاً بأن لا يرفع الصوت عند قبره ولا يقدم على قوله قول ولا على أمره أمر نسأل الله تعالى أن يجعلنا من المتأدبين بأدب القرآن مع حبيب الرحمن محمد □ .

[تفسير مختصر للآية]

(إن الذين ينادونك من وراء الحجرات) أي يدعونك من وراء الحجرات، منازل أزواجك الطاهرات. (أكثرهم لا يعقلون) أي أكثر هؤلاء غير عقلاء، إذ العقل يقتضي حسن الأدب، ومراعاة العظماء عند خطابهم، سيما لمن كان بهذا المنصب.

(ولو أنهم صبروا حتى تخرج إليهم لكان خيرا لهم) أي ولو أن هؤلاء المنادين، لم يزعجوا الرسول □ بمناداتهم، وصبروا حتى يخرج إليهم لكان ذلك الصبر خيرا لهم وأفضل، عند الله وعند الناس، لما فيه من مراعاة الأدب في مقام النبوة. (والله غفور رحيم) أي الغفور لذنوب العباد، الرحيم بالمؤمنين حيث اقتصر على نصحهم وتقريرهم، ولم ينزل العقاب بهم.

(يَأْيُهَا الَّذِينَ ءَامَنُوا إِن جَاءَكُمْ فَاسِقٌ بِنَبَأٍ فَتَبَيَّنُوا أَن تُصِيبُوا قَوْمًا بِجَهْلَةٍ فَتُصْحَبُوا عَلَىٰ مَا فَعَلْتُمْ نَدِمِينَ ۖ ٦)

قوله تعالى: (يا أيها الذين آمنوا إن جاءكم فاسق) - الآية.

1002. أخرج أحمد وغيره بسند جيد عن الحارث بن ضرار الخزاعي قال: «قدمت على رسول الله □ فدعاني إلى الإسلام فأقررت به ودخلت فيه، ودعاني إلى الزكاة فأقررت بها وقلت: يا رسول الله أرجع إلى قومي فأدعهم إلى الإسلام وأداء الزكاة فمن استجاب لي جمعت زكاته فترسل إلي لإبّان⁽²³²¹⁾ كذا وكذا ليأتيك ما جمعت من الزكاة، فلما جمع الحارث الزكاة وبلغ الإبّان احتبس الرسول فلم يأتته فظن الحارث أنه قد حدث فيه سخطة فدعا سراوات قومه فقال: لهم إن رسول الله □ كان قد وقت وقتا يرسل إلي رسوله ليقبض ما عندي من الزكاة وليس من رسول الله □ الخلف ولا أدري حبس رسوله إلا من سخطة، فانطلقوا فنأتي رسول الله □، وبعث رسول الله □ الوليد بن عقبة ليقبض ما كان عنده، فلما أن سار الوليد فرق فرجع، فقال إن الحارث منعي الزكاة وأراد قتلي، فضرب رسول الله □ البعث إلى الحارث، فأقبل الحارث بأصحابه إذ استقبل البعث فقال لهم: إلى أين بعثتم؟ قالوا: إليك قال: لم قالوا: رسول الله □ بعث إليك الوليد بن عقبة، فزعم أنك منعه الزكاة وأردت قتله قال: لا والذي بعث محمداً بالحق نبياً ما رأيته ولا أتاني، فلما دخل

(2318) تفسير القرطبي - (309 / 16)

(2319) جامع البيان (تفسير الطبري) (284 / 22)

(2320) الكشف والبيان عن تفسير القرآن (76 / 9)

(2321) يعني: لوقت كذا وكذا وفي الوسيط إبان الشيء أوانه. المعجم الوسيط (3 / 1)

علي رسول الله ﷺ قال: « منعت الزكاة وأردت قتل رسولي ». قال: لا والذي بعثك بالحق، فنزلت: (يا أيها الذين آمنوا إن جاءكم فاسق بنبأ) إلى قوله: (والله عليم حكيم)⁽²³²²⁾ ». رجال إسناده ثقات، وروى الطبراني نحوه من حديث.

1003. جابر بن عبد الله⁽²³²³⁾.

1004. وعلقمة بن ناجية⁽²³²⁴⁾.

1005. وأم سلمة⁽²³²⁵⁾.

1006. وابن جرير نحوه من طريق العوفي عن ابن عباس⁽²³²⁶⁾.

ومن طرق أخرى مرسل⁽²³²⁷⁾.

[تعليق]

ذكر المؤلف رحمه عدة آثار في سبب نزول هذه الآية، وكلها يشهد بعضها لبعض في أن هذه الآية نزلت في الوليد بن عقبة، عندما ذهب إلى لبي المصطلق لجباية صدقات أموالهم، فلما كان في الطريق خاف على نفسه فرجع ولم يأت بشيء وادعى أن القوم أرادوا قتله ومنعوا الزكاة، فلما أراد النبي ﷺ عقابهم جاءوا بصدقاتهم، وأخبروا النبي ﷺ أنه لم يأتهم أحد من أصحابه، وقد ذكر هذا الأثر جل أهل التفسير ويكاد إجماع منهم على أن هذه الآية نزلت في شأن الوليد بن عقبة. لكن معنى الآية شامل، فهو أمر من الله تعالى لعباده المؤمنين أن يتوثقوا من الأخبار ولا يسارعوا إلى الأحكام من غير تثبت. وقد صحت في هذه الآية قراءتان الأولى (فتبينوا) وهو من طلب البيان والإيضاح. والأخرى (فتثبتوا) من طلب التثبت والتأكد.

قال في المبسوط قرأ حمزة والكسائي وخلف (فَتَّبِينُوا) (94) بالثاء من التثبت وكذلك الذي بعده، وفي الحجرات (آية 6) مثله. وقرأ الباقون (فَتَّبِينُوا) بالباء والنون في السورتين⁽²³²⁸⁾. وقد ذكرت القراءتين لما فيهما من المعاني التي تحويها كل قراءة وليست في الأخرى.

[تفسير مختصر للآية]

(يا أيها الذين آمنوا إن جاءكم فاسق بنبأ) أي إذا أتاكم رجل فاسق - غير موثوق بصدقه وعدالته - بخبر من الأخبار. (فتبينوا) أي فتثبتوا من صحة الخبر. (أن تصيبوا قوما بجهالة) أي لئلا تصيبوا قوما وأنتم جاهلون بحقيقة الأمر. (فتصحبوا على ما فعلتم نادمين) أي فتصيروا نادمين أشد الندم على صنيعكم⁽²³²⁹⁾.

(وَإِنْ طَائِفَتَانِ مِنَ الْمُؤْمِنِينَ اقْتَتَلُوا فَأَصْلِحُوا بَيْنَهُمَا فَإِنْ بَغَتْ إِحْدَاهُمَا عَلَى الْأُخْرَى فَقَاتِلُوا الَّتِي تَبْغِي حَتَّى تَفِيءَ إِلَى أَمْرِ اللَّهِ فَإِنَّ فَاءَ فَاصلِحُوا بَيْنَهُمَا بِالْعَدْلِ وَأَقْسِطُوا إِنَّ اللَّهَ يُحِبُّ الْمُقْسِطِينَ) (9)

قوله تعالى: (وإن طائفتان) - الآية.

1007. أخرج الشيخان عن أنس: « أن النبي ﷺ ركب حماراً وانطلق إلى عبد الله بن أبي، فقال: إليك عني فوالله لقد آذاني نتن حمارك، فقال رجل من الأنصار: والله لحماره أطيب ريحا منك، فغضب لعبد الله رجل من قومه وغضب لكل واحد منهما أصحابه، فكان بينهم ضرب بالجريد والأيدي والنعال، فنزلت فيهم: (وإن طائفتان من المؤمنين اقتتلوا فأصلحوا بينهما)⁽²³³⁰⁾ ».

1008. [ك] [د] وأخرج سعيد بن منصور وابن جرير عن أبي مالك قال: « تلاحي رجلان من المسلمين فغضب قوم هذا لهذا وقوم هذا لهذا، فاقتتلوا بالأيدي والنعال، وأنزل الله: (وإن طائفتان) - الآية⁽²³³¹⁾ ».

1009. [د] وأخرج ابن جرير وابن أبي حاتم عن السدي قال: « كان رجل من الأنصار يقال له عمران، تحبه

(2322) مسند أحمد 4/279 ح (18482) المعجم الكبير 3/274 ح (3395) الأحاد والمثاني 4/322 قال الهيثمي: رجال أحمد ثقات: في إسناده دينار والد عيسى بن دينار ترجمه ابن أبي حاتم ولم يذكره بجرح ولا تعديل وذكره ابن حبان في الثقات قال الحافظ: مقبول لكن للحديث شواهد ذكرها المؤلف فيحسن حديثه والله أعلم قال الإمام أحمد ثنا محمد بن سابق ثنا عيسى بن دينار ثنا أبي انه سمع الحرث بن ضرار الخزاعي - به

(2323) المعجم الأوسط 4/133 ح (3797) في إسناده عبد الله بن عبد القدوس التميمي ضعيف

(2324) الأحاد والمثاني 4/309 ح (2335) المعجم الكبير 18/6 ح (4) من طريقين الأول: فيه حميد بن يعقوب قال الهيثمي ضعفه الجمهور وثقه ابن حبان، والثاني: فيه يعقوب بن محمد الزهري صالح للمتابعة فيحسن الرواية التي قبله وبقيته رجالها ثقات.

(2325) المعجم الكبير 23/401 ح (960) تفسير الطبري 26/123 في إسناده موسى بن عبيدة ضعيف

(2326) سنن البيهقي الكبرى 9/54 تفسير الطبري 26/123 ضعيف الإسناد.

(2327) عن مجاهد وقتادة وابن أبي ليلي ويزيد بن رومان وفي أسانيد بعضها مقال مع إرسالها، المعول عليه الموصول وهو صحيح بمجموعة وبعض أفرادها.

(2328) المبسوط في القراءات العشر (180) المؤلف: أحمد بن الحسين بن مهران النيسابوري، أبو بكر (المتوفى: 381هـ) تحقيق: سبيع حمزة حاكمي الناشر: مجمع اللغة

العربية - دمشق عام النشر: 981 م عدد الأجزاء: 1

(2329) صفوة التفاسير - للصابوني (243/3)

(2330) صحيح البخاري 2/958 ح (2545) صحيح مسلم 1424 ج: 3 ح (1799) تفسير الطبري 26/128 مسند أبي عوانة 4/345 سنن البيهقي الكبرى 8/172 ح (16481)

المعجم الأوسط 5/63 ح (4672) مسند أحمد 3/157 ح (12628) مسند أبي يعلى 7/125 ح (4083)

(2331) تفسير الطبري 26/128 مرسل

(403)

امرأة يقال لها أم زيد، وإن المرأة أرادت أن تزور أهلها فحبسها زوجها فجعلها في علية له، وإن المرأة بعثت إلى أهلها فجاء قومها وأنزلوها لينطلقوا بها، وكان الرجل قد خرج فاستعان بأهله، فجاء بنو عمه ليحولوا بين المرأة وبين أهلها، فتدافعوا واجتلدوا بالنعال، فنزلت فيهم هذه الآية: (وإن طائفتان من المؤمنين اقتتلوا) فبعث إليهم رسول الله ﷺ فأصلح بينهم وفاءوا إلى أمر الله (2332)».

1010. [ك] [ك] وأخرج ابن جرير عن الحسن قال: « كانت تكون الخصومة بين الحيين، فيدعون إلى الحكم فيأبون أن يجيبوا، فأنزل الله: (وإن طائفتان من المؤمنين اقتتلوا) - الآية (2333)».

1011. [ك] [ك] وأخرج عن قتادة قال: «ذكر لنا أن هذه الآية نزلت في رجلين من الأنصار، كانت بينهما مداراة في حق بينهما، فقال أحدهما للآخر: لاخذنك عنوة لكثرة عشيرته، وإن الآخر دعاه ليحاكمه إلى النبي ﷺ فأبى، فلم يزل الأمر حتى تدافعوا وحتى تناول بعضهم بعضاً بالأيدي والنعال ولم يكن قتال بالسيوف (2334)».

[تعليق]

ذكر المؤلف رحمه الله عدة آثار في سبب نزول هذه الآية، وهو تشمل عدة أسباب للنزول. فالأول: لما أراد النبي ﷺ أن يأتي عبد الله بن أبي المنافق وذلك تأليفاً لقلبه، فقال كلمة أغاظت بعض الصحابه، فقال لما أصابه غبار حمار النبي ﷺ " إليك عنى فإنه قد آذني نتن حمارك" وهذه الكلمة قال ها غيظاً وحسداً، فقال له رجل من الأنصار، وهذا الرجل هو عبد الله بن راحة غضباً لرسول الله ﷺ " لحمار رسول الله ﷺ أطيب منك" فغضب عبد الله بن أبي وغضب له قومه، وغضب عبد الله بن راحة وغضب له قومه، فكاد أن يقع بينهم القتال فنزلت الآية أمرة بالمصالحة بين المؤمنين، فإن عبد الله بن أبي كان سيد الخزرج وعبد الله بن راحة كذلك من الخزرج، وكادت تقوم بينهما المقاتلة على عادات الجاهلية.

وقد روى هذا الأثر الذي ذكره المؤلف بسباق أطول من هذا، فليرجع إلى مظانه من كتب التفسير مثل تفسير الثعلبي وغيره.

السبب الثاني: والأثر الثاني والخامس في ذلك سواء ولو أن المؤلف جعلهما على الترتيب لكان أفضل: أنها نزلت في رجلين من الأنصار تشاجرا فغضب لكل واحد منهما قومه فوعدت بينهم المقاتلة بالجريد والنعال ولم يكن بالسيوف، فنزلت الآية. الثالث: في رجل من الأنصار يقال له عمران وكان أراد أن يمنع زوجه أم زيد من زيارة أهلها وأراد أهلها أن يأتوا بها، فاجتمع لكل واحد منهما قومه وكادت تكون بينهما المقاتلة، فنزلت الآية أمره بالصلح. والسبب الرابع: فيما يقع بين الأحياء من العرب من الخصومة فيصرون على بقاءهم عليها إذا دعوا إلى التحاكم فنزلت الآية.

وقد جاء في سبب نزولها ما ذكره الإمام الثعلبي عن الكلبى قال نزلت في حرب سمير وحاطب، وكان سمير قتل حاطباً، فجعل الأوس والخزرج يقتتلون إلى أن أتاهم النبي صلى الله عليه وسلم، فأنزل الله سبحانه هذه الآية، وأمر نبيّه، والمؤمنين أن يصلحوا بينهم (2335).

قلت: نزلت الآية أمره بالصلح بين المؤمنين وقد تقدم مرارا أنه يجوز تأخر نزول الآية حتى تقع عدة وقائع، ثم تنزل الآية فيها كلها، فالآية شاملة لكل ما ذكر فيها من أسباب النزول، وهي أمره بالصلح بين المؤمنين على مستوى الجماعات والقبائل والبلاد، فكل ما يقع بين الأقوام من المشاحنات فيجب على إمام المسلمين أو من يقوم مقامه أن يصلح بينهم وهذا هو حق المؤمنين بعضهم على بعض نسأل الله أن يؤلف بين قلوب المؤمنين.

(تفسير مختصر للآية)

(وإن طائفتان من المؤمنين اقتتلوا فأصلحوا بينهما) أي وإن حدث أن فئتين وجماعتين من إخوانكم المؤمنين جنحوا إلى القتال فأصلحوا بينهما، واسعوا جهدكم للإصلاح بينهما، والجمع (اقتتلوا) باعتبار المعنى، والتثنية (بينهما) باعتبار اللفظ لأن لفظ (طائفة) مفرد، وإن كان معناها العدد الوافر من الناس (2336).

(يَا أَيُّهَا الَّذِينَ ءَامَنُوا لَا يَسْخَرْ قَوْمٌ مِّن قَوْمٍ عَسَىٰ أَن يَكُونُوا خَيْرًا مِّنْهُمْ وَلَا نِسَاءٌ مِّن نِّسَاءٍ عَسَىٰ أَن يَكُنَّ خَيْرًا مِّنْهُنَّ وَلَا تَلْمِزُوا أَنفُسَكُمْ وَلَا تَنَابَزُوا بِاللِّقَابِ بَشَرًا أَلْسِنَةُ الْفُسُوقِ بَعْدَ الْإِيمَانِ وَمَن لَّمْ يَتُبْ فَأُولَٰئِكَ هُمُ الظَّالِمُونَ (١١)

قوله تعالى: (ولا تنابزوا باللقاب) - الآية.

1012. أخرج أصحاب السنن الأربعة عن أبي جبير بن الضحاك قال: « كان الرجل منا يكون له الاسمان

(2332) تفسير الطبري 26/128 مرسل وإسناده ليس بالقائم

(2333) تفسير الطبري المصدر السابق مرسل

(2334) تفسير الطبري 26/129 مرسل صحيح الإسناد

(2335) الكشف والبيان عن تفسير القرآن (9/79)

(2336) صفوة التفسير - للصابوني (3/244)

والثلاثة، فيدعى ببعضها فعسى أن يكرهه فنزلت: (ولا تتابزوا بالألقاب) ⁽²³³⁷⁾». قال الترمذي: حسن. ولفظ أحمد عنه قال: «فينا نزلت في بني سلمة: (ولا تتابزوا بالألقاب) قال: قدم رسول الله ﷺ المدينة وليس منا رجل إلا وله اسمان أو ثلاثة، فكان إذا دعى أحد منهم باسم من تلك الأسماء قالوا: يا رسول الله إنه يغضب من هذا، قال فنزلت: (ولا تتابزوا بالألقاب) ⁽²³³⁸⁾». وأخرج ابن أبي حاتم والحاكم وغيره من حديثه أيضاً قال: «كانت الألقاب في الجاهلية، فدعا النبي ﷺ رجلاً منهم بلقبه، فقيل له: يا رسول الله إنه يكرهه، فأنزل الله: (ولا تتابزوا بالألقاب) ⁽²³³⁹⁾».

[تعليق]

ذكر المؤلف رحمه الله أثرين في سبب نزول قول الله تعالى (ولا تتابزوا بالألقاب) وهما يشتملان على سببين للنزول. الأول: ما كان عليه أهل الجاهلية من إطلاق عدة ألقاب للرجل فربما يكون في هذه الألقاب ما يكرهه، فلما جاء النبي ﷺ المدينة، وأخبر بذلك أنزل الله تعالى أمره بأن لا يلقب أحد أحداً بلقب يكرهه. الثاني: أن النبي ﷺ دعا رجلاً بلقبه في الجاهلية - وكان يكره هذا اللقب - فأخبر النبي ﷺ، فنزلت الآية. وفي الآية سبب سببان آخران للنزول. الثالث: وهو ما حكاه الإمام ابن عبد البر، روي أن أبا ذر رضي الله عنه كان عند النبي ﷺ فنازعه رجل فقال له أبو ذر: يا ابن اليهودية فقال النبي ﷺ: «ما ترى ها هنا أحمر وأسود ما أنت بأفضل منه» يعني بالتقوى، ونزلت: (ولا تتابزوا بالألقاب) ⁽²³⁴⁰⁾.

والرابع: ما أخرجه مقاتل في تفسيره تفسير ذلك ان كعب بن مالك الأنصاري كان يكون على المقسم فكان بينه وبين عبد الله بن الحردد الأسلمي بعض الكلام، فقال له: يا أعرابي، فقال له عبد الله: يا يهودي، ثم انطلق عبد الله فأخبر النبي ﷺ فقال له النبي ﷺ: «لعلك قلت له: يا يهودي؟! قال: نعم قد قلت له ذلك إذ لقبني أعرابياً، وأنا مهاجر، فقال له النبي ﷺ: «لا تدخل على حتى ينزل الله توبتكم»، فأوثقا أنفسهما إلى سارية المسجد إلى جنب المنبر. فأنزل الله تعالى فيهما: (ولا تلمزوا أنفسكم ولا تتابزوا بالألقاب) قلت: وهذا الأسباب ليس بينها تعارض فيحتمل أن تكون نزلت فيها جميعاً والله تعالى أعلم.

هذا ولالألقاب والتلقب أحكام أذكر أهمها لشدة تعلقه بمعنى الآية. فمنها: أنه يستحب تغيير الأسم واللقب إذا كان معناه سيئاً، وقد غير النبي ﷺ صعب إلى سهل، وبره إلى زينب إلى غير ذلك. ومنها: أنه لا يجوز أن يلقب شخص بلقب يكرهه، ودليله الآية الكريمة التي بين أيدينا. ومنها: أنه يجوز أن يلقب الشخص بلقب إذا لم يعرف إلا به، وقد كان هناك من الأئمة الإمام الأعمش، والأحول، والأعرج.

تنبيه:

ترك المؤلف رحمه الله أسباباً متعلقه بهذا الآية، فقد ذكر فقط الأسباب المتعلقة بقوله تعالى (ولا تلمزوا أنفسكم ولا تتابزوا بالألقاب)، ولم يذكر الأسباب المتعلقة بقوله تعالى (لا يسخر قوم من قوم عسى أن يكونوا خيراً منهم ولا نساء من نساء عسى أن يكن خيراً منهن). فأما قوله تعالى (لا يسخر قوم من قوم) فقد ورد فيها سببين أسباب للنزول.

الأول: ذكره الإمام ابن الجوزي أنها نزلت في ثابت بن قيس وكان به وقر فكانوا يوسعون له في مجلس رسول الله ﷺ صلى الله عليه وسلم لسمع فأتى يوماً وهو يقول: تفسحوا حتى انتهى إلى رسول الله ﷺ عليه الصلاة والسلام فقال لرجل: تتح فلم يفعل فقال: من هذا؟ فقال الرجل: أنا فلان فقال: بل أنت ابن فلانة يريد أما كان يعير بها في الجاهلية فجل الرجل فنزلت فقال ثابت: لا أفرح على أحد في الحسب بعدها أبداً ⁽²³⁴¹⁾.

والثاني: ذكره الإمام الثعلبي قال: وقال الضحَّاك: نزلت في وفد تميم الذين ذكرناهم في صدر السورة، استهزءوا بفقر أصحاب رسول الله ﷺ صلى الله عليه وسلم مثل عمَّار، وخبَّاب، وبلال، وصهيب، وسلمان، وسالم مولى أبي حذيفة، لما رأوا من رثاثة حالهم، فأنزل الله سبحانه في الذين آمنوا منهم (يا أيُّهَا الَّذِينَ آمَنُوا لَا يَسْخَرُ قَوْمٌ مِنْ قَوْمٍ) ⁽²³⁴²⁾.

قلت: نزلت الآية ناهية عن أن يسخر مؤمن من مؤمن، حفاظاً على وحدة الكيان الإسلامي من وقوع العداوة بين المسلمين، فإن السخرية مدعاة للعداوة والتباغض ولم يصح سبب النزول الوارد في ذلك فنجري الآية على عمومها والله تعالى أعلم. وأما قوله تعالى (ولا نساء من نساء عسى أن يكن خيراً منهن) ففيها ثلاثة أسباب.

الأول: ذكره الإمام الواحدي: عن أنس: نزلت في نساء النبي ﷺ عيرن أم سلمة بالقصر ⁽²³⁴³⁾. وذكر أن التي فعلت ذلك عائشة والله تعالى أعلم.

⁽²³³⁷⁾ تفسير الطبري 26/132 المستدرک للحاکم 4/314 ح(7755) وقال: صحیح الإسناد ولم یخرجه المختارة 8/82 سنن الترمذی 5/388 ح(3268) صحیح ابن حبان (موارد الظمان) 1/436 سنن النسائي الكبرى 6/466 ح(11516) سنن ابن ماجه 2/1231 ح(3741) مسند أحمد 4/260/69 ح(16693) المعجم الأوسط 2/123 ح(1456) المعجم الكبير 22/389 ح(969) الأحاد والمثاني 4/149 ح(2132) قال الإمام الترمذی: حدثنا عبد الله بن إسحاق الجوهري البصري حدثنا أبو زيد عن شعبة عن داود بن أبي هند قال سمعت الشعبي يحدث عن أبي جبير بن الضحاك - به.

⁽²³³⁸⁾ صحیح ابن حبان 13/16 ح(5709) المستدرک للحاکم 2/503 ح(3724) الأحاديث المختارة 8/81 مسند أبي يعلى 12/252 ح(6853) شعب الإيمان 5/307 صحیح الإسناد والذي قبله ⁽²³³⁹⁾ مستدرک الحاکم 2/503 وقال: صحیح على شرط مسلم ⁽²³⁴⁰⁾ أحكام القرآن لابن العربي (156/4) ⁽²³⁴¹⁾ زاد المسیر (7/465) ⁽²³⁴²⁾ الكشوف والبيان عن تفسير القرآن (80/9) ⁽²³⁴³⁾ أسباب النزول الواحدي (264)

الثاني: ذكره كذلك الإمام الواحدي: عن ابن عباس إن صفة بنت حبي بن أخطب أتت رسول الله ﷺ فقالت: إن النساء يعيرنني ويقلن يا يهودية بنت يهوديين، فقال رسول الله ﷺ: هلا قلت: إن أبي هارون وإن عمي موسى وإن زوجي محمد، فأنزل الله تعالى هذه الآية⁽²³⁴⁴⁾.

الثالث: ذكره الإمام الثعلبي قال: نزلت في امرأتين من أزواج النبي صلى الله عليه وسلم سخرتا من أم سلمة، وذلك أنها ربطت خصرها بسببية - وهي ثوب أبيض ومثلها السب - وسدلت طرفيها خلفها. فكانت تجرها فقالت عائشة لحفصة: انظري ما تجر خلفها كأنه لسان كلب. فهذا كان سخريتهما⁽²³⁴⁵⁾.

قلت: هذه الآية من الآيات التي رسخت قواعد الألفة والمودة في المجتمع الإسلامي، فنهى الله تعالى عن أن يسخر الناس بعضهم من بعض وعن التنازب بالألقاب، لأن في ذلك زريعة إلى التباغض والعداوة بين المسلمين نسأل الله أن يولف بين قلوب المسلمين.

[تفسير مختصر للآية]

(يا أيها الذين آمنوا لا يسخر قوم من قوم عسى أن يكونوا خيرا منهم) أي يا معشر المؤمنين، يا من اتصفتم بالإيمان، ومدقتم بكتاب الله وبرسوله ﷺ لا يهزأ جماعة بجماعة، ولا يسخر أحد من أحد، فقد يكون المستهزىء منه، خيرا عند الله من الساخر [ورب أشعث أغبر ذو طمرين، لو أقسم على الله لأبره].

(ولا نساء من نساء عسى أن يكن خيرا منهن) أي ولا يسخر نساء من نساء، فعسى أن تكون المحققة منها، خيرا عند الله وأفضل من الساخرة.

(ولا تلمزوا أنفسكم ولا تنابزوا بالألقاب) أي ولا يعيب بعضكم بعضا، ولا يذكر أو ينادي بعضكم بعضا بلقب السوء، وإنما قال: (أنفسكم) لأن المسلمين كأنهم نفس واحدة

(بنس الاسم الفسوق بعد الإيمان) أي بنس أن يسمى الإنسان فاسقا بعد أن صار مؤمنا، قال البيضاوي: وفي الآية دلالة على أن التنازب فسق، والجمع بينه وبين الإيمان مستقبح.

(ومن لم يتب فأولئك هم الظالمون) أي ومن لم يتب عن اللمز والتنازب، فأولئك هم الظالمون بتعريض أنفسهم للعذاب⁽²³⁴⁶⁾.

(يَا أَيُّهَا الَّذِينَ ءَامَنُوا اجْتَنِبُوا كَثِيرًا مِّنَ الظَّنِّ إِنَّ بَعْضَ الظَّنِّ إِثْمٌ وَ لَا تَجَسَّسُوا وَلَا يَغْتَب بَّعْضُكُم بَعْضًا أَيُحِبُّ أَحَدُكُمْ أَن يَأْكُلَ لَحْمَ أَخِيهِ مَيْتًا فَكَرِهْتُمُوهُ وَ اتَّقُوا اللَّهَ إِنَّ اللَّهَ تَوَّابٌ رَّحِيمٌ (١٢)

قوله تعالى: (ولا يغتب بعضكم بعضا) - الآية.

1014. أخرج ابن المنذر عن ابن جريج قال: « زعموا أنها نزلت في سلمان الفارسي، أكل ثم رقد فنفخ، فذكر رجل أكله وراقده، فنزلت⁽²³⁴⁷⁾ ».

[تعليق]

ذكر المؤلف رحمه الله سبباً واحداً لنزول هذه الآية، وهو متعلق بقوله تعالى (ولا يغتب بعضكم بعضاً) وقد ذكره المؤلف في كتاب الدر المنثور بسباق أبيين من هذا وأطول. فقال: وأخرج ابن أبي حاتم عن السدي أن سلمان الفارسي كان مع رجلين في سفر يخدمهما وينال من طعامهما وأن سلمان نام يوماً فطلبه صاحبه فلم يجدها فغضب الخباء وقال: ما يريد سلمان شيئاً غير هذا أن يجيء إلى طعام معدود وخباء مضروب فلما جاء سلمان أرسلاه إلى رسول الله ﷺ يطلب لهما إداما فانطلق فاتاه فقال: يا رسول الله بعثني أصحابي لتؤدبهم إن كان عندك قال: ما يصنع أصحابك بالأدم قد انتدموا فرجع سلمان فخبيرهما فانطلقا فأتيا رسول الله ﷺ فقال: والذي بعثك بالحق ما أصبنا طعاماً منذ نزلنا، قال: إنكما قد انتدمتما سلمان بقولكما فنزلت⁽²³⁴⁸⁾.

قلت: وهذه الآية متصلة في المعنى بما قبلها وقد قدمنا أن هذه السورة تلقب بسورة الآداب، فنهى الله سبحانه عن الظن وقد أخرج البخاري وغيره عن أبي هريرة: أن رسول الله صلى الله عليه وسلم قال إياكم والظن فإن الظن أكذب الحديث⁽²³⁴⁹⁾.

كذلك نهى الله سبحانه عن التجسس والغيبة وقد أخرج الترمذي وأبو داود وغيرهما عن أبي هريرة قال: قال رسول الله - صلى الله عليه وسلم -: يا معشر من آمن بلسانه ولم يدخل الإيمان قلبه لا تغتابوا المسلمين ولا تتبعوا عوراتهم فإنه من تتبع عورات المسلمين تتبع الله عورته حتى يفضحه في بيته⁽²³⁵⁰⁾.

قلت: وهذه الآية إن صح أنها نزلت في سلمان النهي الذي فيها عام لكن المسلمين والله تعالى أعلم.

[تفسير مختصر للآية]

(يا أيها الذين آمنوا اجتنبوا كثيرا من الظن) أي ابتعدوا عن التهمة والتخون، وإساءة الظن بالأهل والناس، وعبر بالكثير ليحتاط الإنسان في كل ظن، ولا يسارع فيه بل يتأمل ويتحقق.

(2344) أسباب النزول للواحدي (264)

(2345) الكشف والبيان عن تفسير القرآن (81 / 9)

(2346) صفوة التفسير - للصابوني (244 / 3)

(2347) مرسل بل معضل

(2348) الدر المنثور في التفسير بالماثور للسيوطي (570 / 13)

(2349) صحيح البخاري (24 / 7)

(2350) سنن أبي داود (421 / 4)

(إن بعض الظن إثم) أي إن في بعض الظن إثم وذنوب، يستحق صاحبه العقوبة عليه، قال عمر رضي الله عنه: " لا تظنن بكلمة خرجت من أخيك المؤمن إلا خيراً، ولا تعتقدن بها شراً، وأنت تجد لها في الخير حملاً ".
(ولا تجسوسوا) أي لا تبحثوا عن عورات المسلمين، ولا تتبعوا معايبهم (وفي الحديث: " يا معشر من آمن بلسانه ولم يفيض الإيمان إلى قلبه، لا تغتابوا المسلمين ولا تتبعوا عوراتهم، فإنه من يتبع عورة أخيه يتبع الله عورته، ومن يتبع الله عورته يفضحه ولو في جوف بيته " أخرجه أبو داود وأحمد في المسند.

(ولا يغتب بعضكم بعضاً) أي لا يذكر بعضكم بعضاً بالسوء في غيبته بما يكرهه.
(أحب أحدكم أن يأكل لحم أخيه ميتاً) تمثيل لشناعة الغيبة وقبحها بما لا مزيد عليه من التقييح أي هل يحب الواحد منكم، أن يأكل لحم أخيه المسلم وهو ميت؟
(فكرهتموه) أي فكما تكرهون هذا طبعاً، فاكروهوا الغيبة شرعاً، فإن عقوبتها أشد من هذا.. شبهه تعالى الغيبة بأكل لحم الأخ حال كونه ميتاً، ثم إذا كان الإنسان يكره لحم الإنسان - فضلاً عن كونه أخاً، فضلاً عن كونه ميتاً - وجب عليه أن يكره الغيبة بمثل هذه الكراهة أو أشد.

(واتقوا الله) أي خافوا الله واحذروا عقابه، بامتثال أوامره واجتناب نواهيه.
(إن الله تواب رحيم) أي إنه تعالى كثير التوبة، عظيم الرحمة، لمن اتقى الله وتاب وأناب، وفي الآية حث على التوبة، وترغبي بالمسارعة إلى الندم، والاعتراف بالخطأ لئلا يقنط الإنسان من رحمة الله تعالى (2351).

(يَا أَيُّهَا النَّاسُ إِنَّا خَلَقْنَاكُمْ مِنْ ذَكَرٍ وَأُنْثَىٰ وَجَعَلْنَاكُمْ شُعُوبًا وَقَبَائِلَ لِتَعَارَفُوا إِنَّ أَكْرَمَكُمْ عِنْدَ اللَّهِ أَتَقْوَىٰ إِنَّ اللَّهَ عَلِيمٌ خَبِيرٌ (١٣)

قوله تعالى: (يا أيها الناس إنا خلقناكم من ذكر وأنثى) - الآية.

1015. أخرج ابن أبي حاتم عن ابن أبي مليكة قال: «لما كان يوم الفتح رقى بلال على ظهر الكعبة فأذن، فقال بعض الناس: أهدأ العبد الأسود يؤذن على ظهر الكعبة، فقال بعضهم: إن يسخط الله هذا يغيره، فأنزل الله: (يا أيها الناس إنا خلقناكم من ذكر وأنثى) - الآية (2352)».

1016. وقال ابن عساکر في مبهماتہ وجدت بخط ابن بشکوال أن أبا بكر بن أبي داود أخرج في تفسير له: «أنها نزلت في أبي هند، أمر رسول الله ﷺ بني بياضة أن يزوجه امرأة منهم، فقالوا: يا رسول الله نزوج بناتنا موالينا، فنزلت الآية (2353)».

[تعليق]

ذكر المؤلف رحمه أثنين بسببين للنزول في هذه الآية.
الأول: في سخريه بعض الناس من بلال لأنه أسود، وقوله في غزوة الفتح يشبه أن يكون القائل أما بعض المشركين أو بعض مسلمة الفتح والله أعلم.
الثاني: أنها نزلت في أبي هند وكان يخدم النبي ﷺ فسخروا منه لما أراد أن ينكح بعض بناتهم فنزلت الآية تدل على أن معيار التفاضل بين الناس إنما هو التقوى.
وفي الآية كذلك غير ما ذكر المؤلف.

الثالث: قال مقاتل: أنه لما كان يوم الفتح أمر رسول الله ﷺ بلالاً فصعد على ظهر الكعبة فأذن، وأراد أن يذلل المشركين بذلك، فلما أذن قال عتاب بن أسيد: الحمد لله الذي قبض أسيداً قبل اليوم، وقال الحارث بن هشام: أما وجد محمد غير هذا الغراب الأسود مؤذناً؟! وقال سهيل بن عمرو: إن يكره الله شيئاً يغيره. وقال أبو سفيان: أما أنا فلا أقول شيئاً، فأني إن قلت شيئاً لتشهدن علي السماء، ولتخبرن عني الأرض، فنزلت هذه الآية، (2354).

السبب الرابع: ذكره الإمام الألوسي قال: وعن يزيد بن شجرة مر رسول الله ﷺ صلى الله عليه وسلم في سوق المدينة فرأى غلاماً أسود يقول: من اشتراني فعلى شرط لا يمنعني عن الصلوات الخمس خلف رسول الله ﷺ عليه الصلاة والسلام فاشتراه رجل فكان رسول الله ﷺ صلى الله عليه وسلم يراه عند كل صلاة ففقده فسأل عنه صاحبه فقال: محموم فعاده ثم سأل عنه بعد أيام فقال: هو لما به فجاهه وهو في ذمائه فتولى غسله ودفنه فدخل على المهاجرين والأنصار أمر عظيم فنزلت (2355). قال وفي النفس من صحته شيء.
قلت: يخبر الحق تعالى عن أنه خلق الناس من ذكر وأنثى من أصل واحد وهو الطين، وأنه جعل الناس شعوباً وقبائل من أجل أن يتعارفوا، وجعل ميزان التفاضل هو التقوى كما قال النبي ﷺ في حديث رواه الإمام أحمد وغيره عن أبي نضرة، قال: حدثني من، شهد خطبة النبي ﷺ وسط أيام التشريق، أو في أيام التشريق، فقال: «يا أيها الناس، دينكم واحد، وأباكم واحد، وليس لعربي على عجمي فضل إلا بالتقوى، ألا هل بلغت؟» قالوا: نعم يا رسول الله، قال: «فليبلغ الشاهد الغائب» (2356).

[تفسير مختصر للآية]

(2351) صفة التفسير - للصابوني (3/ 245)

(2352) تفسير ابن أبي حاتم 10/3306 مرسل.

(2353) لم يذكر راوي الأثر وما أظنه يصح

(2354) تفسير مقاتل بن سليمان (3/ 263)

(2355) روح المعاني (13/ 314) المؤلف: شهاب الدين محمود ابن عبد الله الحسيني الألوسي الناشر: دار الكتب العلمية - بيروت سنة الطبع: 1415 هـ تحقيق: على عبد البارى

عطية عدد الأجزاء: 16 مع الفهارس

(2356) مسند أحمد (411/5)

(يا أيها الناس إنا خلقناكم من ذكر وأنثى) الخطاب لجميع البشر أي نحن بقدرتنا خلقناكم من أصل واحد، وأوجدناكم من أب وأم، فلا تفاخر بالأبَاء والأجداد، ولا اعتداد بالحسب والنسب، كلكم لآدم وأدم من تراب. (وجعلناكم شعوبا وقبائل لتعارفوا) أي وجعلناكم شعوبا شتى وقبائل متعددة، ليحصل بينكم التعارف والتآلف، لا التناحر والتخالف، قال مجاهد: ليعرف الإنسان نسبه فيقال فلان بن فلان من قبيلة كذا، وأصل تعارفوا تتعارفوا حذف إحدى التاءين تخفيفا، قال شيخ زاده: والمعنى إن الحكمة التي من أجلها جعلكم على شعوب وقبائل؟ هي أن يعرف بعضكم نسب بعض ولا ينسبه إلى غير آبائه، لا أن تتفاخر بالأبَاء والأجداد، والنسب وإن كان يعتبر عرفا وشرعا، حتى لا تزوج الشريفة بالنبطي، إلا إنه لا عبرة به عند ظهور ما هو أعظم قدرا منه وأعز، وهو (الإيمان والتقوى)، كما لا تظهر الكواكب عند طلوع الشمس. (إن أكرمكم عند الله أتقاكم) أي إنما يتفاضل الناس بالتقوى لا بالأحساب والأنساب، فمن أراد شرفا في الدنيا ومنزلة في الآخرة، فليتق الله تعالى كما قال □ : «من سره أن يكون أكرم الناس فليتق الله» وفي الحديث: " الناس رجلان: رجل بر تقى كريم على الله تعالى، ورجل فاجر شقي هين على الله تعالى. (إن الله عليم خبير) أي عليم بالعباد، مطلع على ظواهرهم وبواطنهم، يعلم التقى والشقي، والصالح والطالح (فلا تزكوا أنفسكم هو أعلم بمن اتقى) (2357).

(يَمُنُونَ عَلَيْكَ أَنْ أَسْلَمُوا قُلْ لَا تَمُنُوا عَلَيَّ إِسْلَامُكُمْ بَلِ اللَّهُ يَمُنُّ عَلَيْكُمْ أَنْ هَدَيْتُمُ لِلْإِيمَانِ إِنْ كُنْتُمْ صَادِقِينَ (١٧)

قوله تعالى: (يمنون عليك أن أسلموا) - الآية.

1017. أخرج الطبراني بسند حسن عن عبد الله بن أبي أوفى: « أن ناساً من العرب قالوا: يا رسول الله أسلمنا ولم نقاتك وقاتلك بنو فلان، فأنزل الله: (يمنون عليك أن أسلموا) - الآية (2358) ». □
1018. وأخرج البزار من طريق سعيد بن جبيرة عن ابن عباس مثله (2359).
1019. وأخرج ابن أبي حاتم مثله عن الحسن (2360): « وأن ذلك لما فتحت مكة ». □
1020. وأخرج ابن سعد عن محمد بن كعب القرظي قال: « قدم عشرة نفر من بني أسد على رسول الله □ سنة تسع وفيهم طليحة بن خويلد ورسول الله □ في المسجد مع أصحابه، فسلموا وقال متكلمهم: يا رسول الله إنا شهدنا أن لا إله إلا الله وحده لا شريك له وأنت عبده ورسوله، وجئناك يا رسول الله ولم تبعث إلينا، ونحن لمن وراعنا سلم فأنزل الله: (يمنون عليك أن أسلموا) - الآية (2361) ». □
1021. وأخرج سعيد بن منصور في سننه عن سعيد بن جبيرة قال: « أتى قوم من الأعراب من بني أسد النبي □، فقالوا: جئناك ولم نقاتك فأنزل الله: (يمنون عليك أن أسلموا) - الآية (2362) ». □

[تعليق]

ذكر المؤلف رحمه الله عدة آثار في سبب نزول هذه الآية، وكونها نزلت في بني أسد أو في غفار وجهينة وغيرهم من الأعراب فهو مما يحتمله معنى الآية الكريمة، فهو لاء لما من الله عليه بالإسلام جاءوا إلى النبي □ يمنون عليه بدخولهم في الإسلام، فأخبر الله تعالى عنهم وأن المنة والفضل إنما هو من الله تعالى، فهداهم وبين لهم طريق الإيمان ولولا ذلك لماتوا على شركهم وكانوا في النار مع من مات على الشرك.

[تفسير مختصر للآية]

(يمنون عليك أن أسلموا) أي يعدون إسلامهم عليك يا محمد منة، يستوجبون عليها الحمد والثناء. (قل لا تمنوا على إسلامكم) أي قل لهم: لا تمتنوا على إسلامكم، فإن نفع ذلك عائد عليكم (بل الله يمن عليكم أن هداكم للإيمان إن كنتم صادقين) أي بل الله المنة العظمى عليكم، بالهداية للإيمان والتنشيط عليه، إن كنتم صادقين في دعوى الإيمان (2363).

انتهت سورة الحجرات

سُورَةٌ ق

(2357) صفوة التفسير - للصابوني (246/3)

(2358) المعجم الأوسط 8/78 ح (8016) في إسناده إبراهيم بن عبد الرحمن السكسكي صدوق ضعيف الحفظ والحجاج بن أرطاة متكلم فيه.

(2359) المختارة 10/346 ح (374) المعجم الأوسط 7/196 ح (7256) إسناده ثقات. قال الضياء: وأخبرنا أبو جعفر محمد بن أحمد الصيلادني أن أبا علي الحسن بن أحمد الحداد أخبرهم قراءة عليه وهو حاضر ابنا أبو بكر محمد بن علي بن مصعب ابنا أبو بكر أحمد بن جعفر بن أحمد بن معبد ثنا أحمد بن عمرو هو ابن عبد الخالق ثنا سعيد بن يحيى بن سعيد ثنا أبي ح قال أحمد بن عمرو وحدثنا إبراهيم بن سعيد ثنا يحيى بن سعيد الأموي ثنا محمد بن قيس عن أبي عون الثقفي عن سعيد بن جبيرة عن ابن عباس - به.

(2360) تفسير ابن أبي حاتم 10/3306 مرسل

(2361) الطبقات الكبرى لابن سعد 1/292 مرسل ضعيف الإسناد

(2362) مرسل.

(2363) صفوة التفسير - للصابوني (247/3)

(وَلَقَدْ خَلَقْنَا السَّمَوَاتِ وَالْأَرْضَ وَمَا بَيْنَهُمَا فِي سِتَّةِ أَيَّامٍ وَمَا مَسَّنَا مِنْ لُغُوبٍ ۝ ٣٨)

قوله تعالى: (ولقد خلقنا السموات والأرض في ستة أيام وما مسنا)- الآية.
1022. أخرج الحاكم وصححه عن ابن عباس: « أن اليهود أتت رسول الله ﷺ الله عليه وسلم فسألته عن خلق السموات والأرض، فقال: « خلق الله الأرض يوم الأحد والاثنتين، وخلق الجبال يوم الثلاثاء وما فيهن من منافع، وخلق يوم الأربعاء الشجر والماء والمدائن والعمران والخراب، وخلق يوم الخميس السماء، وخلق يوم الجمعة النجوم والشمس والقمر والملائكة إلى ثلاث ساعات بقين منه فخلق في أول ساعة الآجال حتى يموت من مات، وفي الثانية ألقى الآفة على كل شيء مما ينتفع به الناس، وفي الثالثة خلق آدم وأسكنه الجنة وأمر إبليس بالسجود له وأخرجه منها في آخر ساعة». قالت اليهود: ثم ماذا يا محمد؟ قال: « ثم استوى على العرش». قالوا: قد أصبت لو أتممت قالوا: ثم استراح، فغضب النبي ﷺ غضبا شديدا، فنزلت: (ولقد خلقنا السموات والأرض وما بينهما في ستة أيام وما مسنا من لغوب فاصبر على ما يقولون⁽²³⁶⁴⁾)».

[تعليق]

سورة ق من السور المكية وقد عالجت موضوع البعث والقيامة والحساب وغير ذلك من الأمور التي عوجلت في السور المكية.
 قال الإمام القرطبي مكية كلها في قول الحسن وعطاء وعكرمة وجابر. قال ابن عباس وقتادة: إلا آية، وهي قوله تعالى: (وَلَقَدْ خَلَقْنَا السَّمَوَاتِ وَالْأَرْضَ وَمَا بَيْنَهُمَا فِي سِتَّةِ أَيَّامٍ وَمَا مَسَّنَا مِنْ لُغُوبٍ) [ق: 38]⁽²³⁶⁵⁾.
 وقد ذكر المؤلف هذا الأثر في سبب نزول هذه الآية وله شواهد وفيه قبح مقال اليهود أن الله تعالى لما خلق الخلق استراح، والله سبحانه لا يصيبه التعب ولا النصب، وقد جاء ذلك صريحا في العهد القديم، الإصحاح الثاني آية 2 «وَفَرَّغَ اللهُ فِي الْيَوْمِ السَّابِعِ مِنْ عَمَلِهِ الَّذِي عَمَلَ فِي الْيَوْمِ السَّابِعِ مِنْ جَمِيعِ السَّابِعِ فِي الْيَوْمِ السَّابِعِ مِنْ جَمِيعِ عَمَلِهِ الَّذِي عَمَلَ». فتعالى الله عما يقول الظالمون علواً كبيراً. وهذا الآية هي المدنية الوحيدة في هذه السورة سورة ق.

[تفسير مختصر للآية]

(ولقد خلقنا السموات والأرض وما بينهما في ستة أيام وما مسنا من لغوب) هذه الآية رد على اليهود اللعناء، حيث زعموا أن الله خلق السموات والأرض في ستة أيام، أولها يوم الأحد، وآخرها يوم الجمعة، وأنه تعب فاستراح يوم السبت، واستبقى على ظهره فوق العرش، فكذبهم الله تعالى، والمعنى: والله لقد خلقنا السموات السبع في ارتفاعها وعظمتها، والأرض في كثافتها وسعتها، وما بينهما من المخلوقات البديعة، في ستة أيام، وما مسنا من إعياء وتعب⁽²³⁶⁶⁾.

(نَحْنُ أَعْلَمُ بِمَا يَقُولُونَ وَمَا أَنْتَ عَلَيْهِمْ بِجَبَّارٍ فَذَكَرْ بِالْقُرْآنِ مَنْ يَخَافُ وَعِيدِ ٤٥)

قوله تعالى: (نحن أعلم بما يقولون)- الآية.

1023. [ك] [ك] وأخرج ابن جرير من طريق عمرو بن قيس الملائي عن ابن عباس قال: «قالوا: يا رسول الله لو خوفتنا، فنزلت: (فذكر بالقرآن من يخاف وعيد⁽²³⁶⁷⁾)».

1024. ثم أخرج عن عمر و مرسل مثله⁽²³⁶⁸⁾.

[تعليق]

ذكر المؤلف رحمه الله أثراً وشاهداً مرسلأ له، وهو يدل على أن الآية نزلت في طلب بعض الصحابة من النبي ﷺ أن يذكرهم بما فيه تخويف من الله تعالى، فنزلت الآية لتدل على أن القرآن فيه ذكري لمن يخاف وعيد الله تعالى وعذابه يوم القيامة، ولا ينتفع بالقرآن ويوعده ووعيده إلا من أعطاه الله قلباً حياً كما قال تعالى في نفس السورة (إن في ذلك لذكرى لمن كان له قلب أو ألقى السمع وهو شهيد). نسأل الله أن يجعلنا منهم.

[تفسير مختصر للآية]

(فذكر بالقرآن من يخاف وعيد) أي عظ بهذا القرآن من يخاف وعيدي.. ختم السورة الكريمة بالتنكير بالقرآن، كما افتتحها بالقسم

⁽²³⁶⁴⁾ المستدرک للحاکم 2/592 ح (3997) وقال صحیح الإسناد العظمة 4/1362 ح (8784) قلت: في إسناده أبو سعد البقال سعيد بن المرزبان ضعيف ومدلس.

⁽²³⁶⁵⁾ تفسير القرطبي - (1/17)

⁽²³⁶⁶⁾ صفوة التفاسير - للصابوني (253/3)

⁽²³⁶⁷⁾ تفسير الطبري 26/185 عمرو بن قيس الملائي لم يسمع من ابن عباس فأثره مرسل

⁽²³⁶⁸⁾ نفس المصدر عن عمرو بن قيس

بالقرآن، ليتناسق تلبده مع الختام، في أبداع صورة، وأروع كلام (2369).
انتهت سورة ق

سُورَةُ الذَّارِيَاتِ

(وَفِي أَمْوَالِهِمْ حَقٌّ لِّلسَّائِلِ وَالْمَحْرُومِ ١٩)

قوله تعالى: (وفي أموالهم حق للسائل والمحروم).
1025. أخرج ابن جرير وابن أبي حاتم عن الحسن بن محمد بن الحنفية: « أن رسول الله ﷺ بعث سرية فأصابوا وغنموا، فجاء قوم بعدما فرغوا فنزلت: (وفي أموالهم حق للسائل والمحروم) (2370)

[تعليق]

سورة الذريات مكية وموضوعها نفس موضوع الآيات المكية، وقد ذكر المؤلف رحمه الله أثراً واحداً في سبب نزول هذه الآية. وفيه حث على الصدقة، وقد اختلف العلماء ما المراد بهذا الحق وهو الزكاة المفروضة أم صدقة أخرى على قولين. أحدهما: أنه ما يصلون به رحماً أو يقرون به ضيفاً أو يحملون به كلاً أو يعينون به محروماً وليس بالزكاة قاله ابن عباس

والثاني: أنه الزكاة قاله قتادة وابن سيرين (2371). قلت: والأرجح أنها ليس الزكاة المفروضة لأن الزكاة المفروضة لا تسأل، وفي الآية (للسائل) يدل على أنها غير الزكاة المفروضة والله أعلم. والأثر الذي ذكره المؤلف مرسل ولم أجد له شاهداً فتبقي الآية على عمومها من المدح والثناء على أقوام موصوفون في هذه الآيات بعدة أوصاف منها أن في أموالهم حق معلوم لسائل والمحروم والله تعالى أعلم.

[تفسير مختصر للآية]

(وفي أموالهم حق للسائل والمحروم) أي وفي أموالهم نصيب معلوم، قد أوجبه على أنفسهم، بمقتضى الكرم، للسائل المحتاج، وللمتعفف الذي لا يسأل لتعففه (2372).

(فَتَوَلَّ عَنْهُمْ فَمَا أَنْتَ بِمَلُومٍ ٥٤ وَذَكَرْنَا لَكَ الْذِّكْرَىٰ تَنْفَعُ الْمُؤْمِنِينَ ٥٥)

قوله تعالى: (فتول عنهم فما أنت بملوم) - الآية.
1026. وأخرج أيضاً ابن منيع وابن راهويه والهيثم بن كليب في مسانيدهم من طريق مجاهد عن علي قال: « لما نزلت: (فتول عنهم فما أنت بملوم) لم يبق منا أحد إلا أيقن بالهلكة إذ أمر النبي ﷺ أن يتولى عنا، فنزلت: (وذكر فإن الذكرى تنفع المؤمنين) - فطابت أنفسنا (2373) ».
1027. وأخرج ابن جرير عن قتادة قال: « ذكر لنا انه لما نزلت: (فتول عنهم) - الآية اشتد على أصحاب رسول الله ﷺ، ورأوا أن الوحي قد انقطع، وأن العذاب قد حضر، فأنزل الله: (وذكر فإن الذكرى تنفع المؤمنين) (2374) ». »

[تعليق]

(2369) صفوة التفسير - للصابوني (254 / 3)

(2370) تفسير الطبري 26/202 صحيح الإسناد مرسل.

(2371) زاد المسير (32 / 8)

(2372) صفوة التفسير - للصابوني (256 / 3)

(2373) تفسير الطبري 27/11 المختارة 2/339 سنن البيهقي الكبرى 6/119 ح (11430) قال الإمام البيهقي وأخبرنا أبو الحسن علي بن محمد المقرئ أنبا الحسن بن محمد بن إسحاق ثنا يوسف بن يعقوب ثنا سليمان بن حرب ثنا حماد بن زيد عن أبيه عن مجاهد قال خرج علينا علي معتجراً ببرد مشتملاً في خميسة - فذكر الحديث وفيه طول، وفيه دليل على صحة سماح مجاهد من علي بن أبي طالب وقد نفاه أبو زرعة وابن معين وغيرهما ولكن مع صحة الإسناد يدل على صحة السماع والله أعلم (2374) تفسير الطبري المصدر السابق مرسل صحيح الإسناد.

ذكر المؤلف رحمه الله أثريين في سبب نزول هذه الآية وفيه أن المؤمنين لما نزلت قوله تعالى (فتول عنهم فما أنت فملوم) يعني أعرض عنهم فلن يلومك ربك، فأيقنوا بالهلاك فأنزل الله تعالى (وذكر فإن الذكرى تنفع المؤمنين) فهذه ناسخة للآية الأولى فطابت نفس المؤمنين، وقد قيل بأن هذه الآية كذلك منسوخة بآية السيف⁽²³⁷⁵⁾، والله تعالى أعلم.

[تفسير مختصر للآية]

(فتول عنهم) أي فأعرض يا محمد عنهم.
(فما أنت بملوم) أي فلا لوم عليك ولا عتاب، لأنك قد بلغت الرسالة، وأديت الأمانة، وبذلت الجهد في النصح والإرشاد.
(وذكر فإن الذكرى تنفع المؤمنين) أي لا تترك التذكير والموعظة، فإن القلوب المؤمنة، تنتفع وتتأثر بالموعظة الحسنة⁽²³⁷⁶⁾.
انتهت سورة الذاريات

سُورَةُ الطُّورِ

(أَمْ يَقُولُونَ شَاعِرٌ نَّتَرَبَّصُ بِهِ رَيْبَ الْمُنُونِ (٣٠))

قوله تعالى: (أم يقولون شاعر نتربص به) - الآية.

1028. أخرج ابن جرير عن ابن عباس: « أن قريشاً لما اجتمعوا في دار الندوة في أمر النبي □ قال قائل: منهم احبسوه في وثاق ثم تربصوا به المنون حتى يهلك كما هلك من قبله من الشعراء زهير والنابغة فإنما هو كأحدهم فأنزل الله في ذلك: (أم يقولون شاعر نتربص به ريب المنون⁽²³⁷⁷⁾) ».

[تعليق]

سورة الطور سورة مكية وسميت بالطور لأن الله تعالى أقسم في مطلعها بالطور، وهو جبل الطور بسيناء.
وقد ذكر المؤلف رحمه الله أثراً واحداً في سبب نزول هذه الآية وهو يدل على تمنى الكفار موت النبي □، وريب المنون: أي حادثة الموت، وهذه الجملة وقعت في أشعار الكفار وكانوا يستعملونها " ريب المنون"
قال الشاعر:
تربص بها ريب المنون لعلها... تطلق يوماً أو يموت حليلها
فتكلم القرآن بما هو وارد في لغة العرب.

[تفسير مختصر للآية]

(أم يقولون شاعر نتربص به ريب المنون) أي هل يقول المشركون هو شاعر، ننتظر به حوادث الدهر وصروفه، حتى يهلك فنستريح منه؟ قال الخازن: وريب المنون حوادث الدهر وصروفه، وغرضهم أنه يهلك ويموت، كما هلك من كان قبله من الشعراء، والمنون اسم للموت وللدهر، وأصله القطع، سمي بذلك لأنهما يقطعان الأجل.
(قل تربصوا فإنى معكم من المتربصين) أي قل لهم يا محمد: انتظروا بى الموت، فإنى منتظر هلاككم، كما تنتظرون هلاكى، وهو تهكم بهم مع التهديد والوعيد⁽²³⁷⁸⁾.

انتهت سورة الطور

سُورَةُ النَّجْمِ

(الَّذِينَ يَجْتَنِبُونَ كَبِيرَ الْإِثْمِ وَالْفَوْحِشَ إِلَّا اللَّمَمَ إِنَّ رَبَّكَ وَاسِعُ الْمَغْفِرَةِ هُوَ أَعْلَمُ بِكُمْ إِذْ أَنْشَأَكُمْ مِنَ الْأَرْضِ وَإِذْ أَنْتُمْ أَجِنَّةٌ فِي بُطُونِ أُمَّهَاتِكُمْ فَلَا تُزَكُّوا أَنْفُسَكُمْ هُوَ أَعْلَمُ بِمَنِ اتَّقَى (٣٢))

قوله تعالى: (الذين يجتنبون كباير الإثم) - الآية.

1029. أخرج الواحدي والطبراني وابن المنذر ابن وأبي حاتم عن ثابت بن الحارث الأنصاري قال: «كانت اليهود تقول إذا هلك لهم صبي صغير هو صديق، فبلغ ذلك النبي □ فقال: « كذبت اليهود ما من نسمة

⁽²³⁷⁵⁾ تفسير القرطبي - (54/17) قلت: آية السيف هي في الحقيقة الآيات المدنية التي أمر النبي □ فيها بالقتال بعد ما كان يؤمر بالصبر عليهم في مكة.

⁽²³⁷⁶⁾ صفوة التفسير - للصابوني (261/3)

⁽²³⁷⁷⁾ تفسير الطبري 27/31 مرسل وفي إسناده محمد بن إسحاق مدلس رواه بالنعنة.

⁽²³⁷⁸⁾ صفوة التفسير - للصابوني (267/3)

يخلقها الله في بطن أمه إلا ويعلم أنه شقي أو سعيد». فأنزل الله عند ذلك هذه الآية: (هو أعلم بكم إذ أنشأكم من الأرض) - الآية (2379) .

[تعليق]

سورة النجم سورة مكية قال الإمام القرطبي: وقال ابن عباس وقتادة: إلا آية منها وهي قوله تعالى: (الَّذِينَ يَجْتَنِبُونَ كَبَائِرَ الْإِثْمِ وَالْفَوَاحِشِ) [النجم: 32] الآية. وقيل: اثنتان وستون آية. وقيل: إن السورة كلها مدنية. والصحيح أنها مكية لما روى ابن مسعود أنه قال: هي أول سورة أعلنها رسول الله ﷺ بمكة. وفي "البخاري" عن ابن عباس: أن النبي ﷺ "سجد بالنجم، وسجد معه المسلمون والمشركون والجن والإنس" وعن عبدالله أن النبي ﷺ قرأ سورة النجم فسجد لها، فما بقي أحد من القوم إلا سجد؛ فأخذ رجل من القوم كفا من حصباء أو تراب فرفعه إلى وجهه وقال: يكفيني هذا. قال عبدالله: فقد رأيت بعد قتل كافراً، متفق عليه (2380).

وثابت بن الحارث الأنصاري راوي الحديث صحابي ليس له إلا حديث أو حديثين. وقد ذكر المؤلف أثراً واحداً في سبب نزول هذه الآية وهو رد على اليهود في دعواهم أن الصبي إذا مات صغيراً مات صديقاً وهو من أهل الجنة، فنزلت الآية ترد عليهم، وفي مسألة أبناء المشركين هل هم في الجنة أم في النار خلاف بين أهل العلم وراجح المسألة أنهم من أنهم يختبرون يوم القيامة فإن أطاعوا كانوا من أهل الجنة وإن عصوا كانوا من أهل النار، أما أبناء المسلمين الذين ماتوا صغاراً فهم من أهل الجنة. وقد ورد في ذلك عدة أحاديث منها ما رواه الإمام مسلم وغيره عن أبي حسان قال: قلت لأبي هريرة: إنه قد مات لي ابنان، فما أنت محدثي عن رسول الله ﷺ بحديث تطيب به أنفسنا عن موتانا؟ قال: نعم، صغارهم دعاميص الجنة، يتلقى أحدهم أباه - أو قال: أبويه - فيأخذ بثوبه - أو قال: بيده - كما أخذ أنا بصنفة ثوبك، فلا يتناهى - أو قال: فلا ينتهي - حتى يدخله الله وأبويه الجنة (2381).

وفي سبب نزول هذه الآية غير ما ذكره المؤلف ما أورده الإمام الثعلبي قال: وقال الكلبي ومقاتل: كان أناس يعملون أعمالاً خبيثة ثم يقولون: صلاتنا وصيامنا وحبنا فأنزل الله سبحانه هذه الآية (2382). قلت: المعنى العام للآية نهي يشمل المؤمنين وغيرهم عن تزكية النفس لأن الله تعالى هو الذي يعلم ما في داخل الإنسان من الخير والشر والله تعالى أعلم.

[تفسير مختصر للآية]

(هو أعلم بكم إذ أنشأكم من الأرض) أي هو جل وعلا أعلم بأحوالكم منكم، قبل أن يخلقكم، ومن حين أن خلق أبائكم آدم من التراب. (وإذ أنتم أجنة في بطون أمهاتكم) أي ومن حين أن كنتم مستترين في أرحام أمهاتكم، فهو تعالى يعلم التقى والشقي، والمؤمن والكافر، والبر والفاجر، علم ما تفعلون، وإلى ماذا تصيرون. (فلا تزكوا أنفسكم) أي لا تمدحوها على سبيل الإعجاب، ولا تشهدوا لها بالكمال والتقوى، فإن النفس خسيسة، إذا مدحت أغترت وتكثرت، قال أبو حيان: أي لا تنسبوا إلى الطهارة عن المعاصي، ولا تنتوا عليها، فقد علم الله منكم الزكى والتقوى، قبل إخراجكم من صلب آدم، وقيل إخراجكم من بطون أمهاتكم. (هو أعلم بمن اتقى) أي هو تعالى العالم بمن أخلص العمل، واتقى ربه في السر والعلن (2383).

(أَفَرَأَيْتَ الَّذِي تَوَلَّى ۚ ۓ وَأَعْطَى قَلِيلًا وَأَكْدَى ۚ ۓ أَعْنَدَهُ عِلْمُ الْغَيْبِ فَهُوَ يَرَى ۚ ۓ ۓ أَمْ لَمْ يُنَبِّأْ بِمَا فِي صُحُفِ مُوسَى ۚ ۓ وَإِبْرَاهِيمَ الَّذِي وَفَّى ۚ ۓ أَلَا تَنزُرُ وَازْرَةَ وَزَرَ ۚ ۓ أُخْرَى ۚ ۓ وَأَنْ لَيْسَ لِلْإِنْسَانِ إِلَّا مَا سَعَى ۚ ۓ وَأَنَّ سَعْيَهُ سَوْفَ يُرَى ۚ ۓ ۓ ثُمَّ يُجْزَاهُ الْجَزَاءَ الْأَوْفَى ۚ ۓ)

قوله تعالى: (أفرايت الذي تولى) - الآيات.

1030. وأخرج ابن أبي حاتم عن عكرمة: « أن النبي ﷺ خرج في غزوة، فجاء رجل يريد أن يحمل فلم يجد ما يخرج عليه، فلقي صديقاً له فقال: أعطني شيئاً فقال: أعطيك بكري هذا على أن تتحمل ذنوبي، فقال له: نعم فأنزل: (الله أفرايت الذي تولى - الآيات (2384) .

1031. وأخرج عن دراج أبي السمع قال: « خرجت سرية غازية، فسأل رجل رسول الله ﷺ أن يحمله، فقال: لا أجد ما أحملك عليه، فأنصرف حزينا، فمر برجل رحاله منيخة بين يديه فشكا إليه، فقال له الرجل: هل لك أن أحملك فتلحق الجيش بحسناتك؟ فقال: نعم فركب، فنزلت: (أفرايت الذي تولى) - إلى قوله: (ثم يجزه الجزاء الأوفى (2385) .

1032. وأخرج ابن جرير عن ابن زيد قال: « إن رجلاً أسلم، فلقيه بعض من يعيره فقال: أتزكت دين الأشياء وضللتهم وزعمت أنهم في النار، قال: إني خشيت عذاب الله، قال: أعطني شيئاً وأنا أحمل كل

(2379) المعجم الكبير 2/81 ح (1368) أسباب النزول للواحدى 335 وفي إسناده ابن لهيعة تقدم أنه ضعيف

(2380) تفسير القرطبي - (82 / 17)

(2381) صحيح مسلم - (40 / 8)

(2382) الكشاف والبيان عن تفسير القرآن (150 / 9)

(2383) صفوة التفاسير - للصابوني (274 / 3)

(2384) مرسل.

(2385) ضعيف الإسناد.

عذاب كان عليك، فأعطاه شيئاً فقال: زدني فتعاسرا حتى أعطاه شيئاً، وكتب كتاباً وأشهد له، ففيه نزلت هذه الآية: (أفرايت الذي تولى وأعطى قليلاً وأكدى) (2386)».

[تعليق]

ذكر المؤلف رحمه الله ثلاثة آثار في سبب نزول هذه الآية، ولم يذكر من هو المعطي ولا المعطي وقيل أن أذكر ذلك أبين معنى الآية حتى يتضح معناها مع سبب نزولها، والله سبحانه يعجب نبيه من رجل تولى عن دينه، ولم يعط للدين إلا القليل، ثم بعد ذلك ادعى أنه يتحمل عن المسلم ذنبه فنزلت الآية (ألا تزر وازرة وزر أخرى) فلا يتحمل أحد عن أحد شيئاً. وأما في هذا المعطي والمعطي فقد اختلف فيه على أقوال ولم يذكر المؤلف رحمه الله أحداً منهم. قال الإمام الواحدي: وقال مجاهد وابن زيد: نزلت في الوليد بن المغيرة، وكان قد اتبع رسول الله ﷺ على دينه فعيه بعض المشركين، وقال: لم تركت دين الأشياخ وضلتهم وزعمت أنهم في النار؟ قال: إني خشيت عذاب الله، فضمن له إن هو أعطاه شيئاً من ماله ورجع إلى شركه أن يتحمل عنه عذاب الله سبحانه وتعالى، فأعطى الذي عاتبه بعض ما كان ضمن له ثم بخل ومنعه فأنزل الله تعالى هذه الآية (2387).

وقال كذلك: قال ابن عباس والسدي والكلبي والمسيب بن شريك: نزلت في عثمان بن عفان كان يتصدق وينفق بالخير، فقال له أخوه من الرضاة عبد الله بن أبي سرح ما هذا الذي تصنع يوشك أن لا يبقى لك شيئاً، فقال عثمان إن لي ذنوباً وخطايا، وإني أطلب بما أصنع رضا الله سبحانه وتعالى وأرجو عفو، فقال له عبد الله: أعطني ناقتك برحطها وأنا أتحمّل عنك ذنوبك كلها، فأعطاه وأشهد عليه وأمسك عن بعض ما كان يصنع من الصدقة، فأنزل الله تبارك وتعالى - أفرايت الذي تولى وأعطى قليلاً وأكدى - فعاد عثمان إلى أحسن ذلك وأجمله (2388).

وقال الإمام الثعلبي: وروي عن السدي أيضاً قال: نزلت في العاص بن وائل السهمي، وذلك أنه كان ربما يوافق رسول الله ﷺ عليه وسلم في بعض الأمور (2389). وقال كذلك وقال محمد بن كعب القرظي: نزلت في أبي جهل بن هشام، قال: والله ما يأمر محمد إلا بمكارم الأخلاق؛ ذلك قوله تعالى: - (وَأَعْطَى قَلِيلًا وَأَكْدَى) (2390).

وروى العز بن عبد السلام: هو النضر بن الحرث أعطى خمس قلائص لفقير من المهاجرين حين ارتد عن دينه، وضمن له أن يتحمل عنه ارتداده (2391).

وقال الإمام الثعلبي: عن عطاء بن يسار قال: نزلت في رجل قال لأهله: جهّزوني انطلق إلى هذا الرجل - يعني النبي صلى الله عليه وسلم - فتجهّز وخرج، فلقبه رجل من الكفار فقال له: أين تريد؟ قال: محمداً، لعلي أصيب من خيره، فقال له الرجل: أعطني جهازك وأحمل عنك إثمك، فنزلت فيه هذه الآية (2392).

قلت: كل ما ورد في سبب نزول هذه الآية مرسل فانه تعالى يكتفى عن رجل أو رجال ذكر من حالهم ووصفهم، فجمع المذكورين لا شك داخلون في عموم الآية والله تعالى أعلم.

(تفسير مختصر للآية)

(أفرايت الذي تولى) أي أخبرني يا محمد عن هذا الفاجر الأثيم، الذي أعرض عن الإيمان واتباع الهدى؟ (وأعطى قليلاً وأكدى) أي وأعطى لصاحبه الذي عيره قليلاً من المال المشروط، ثم بخل بالباقي (2393).

(وَأَنْتُمْ سَمِدُونَ ٦١)

قوله تعالى: (وأنتم سامدون)

1033. وأخرج ابن أبي حاتم عن ابن عباس قال: «كانوا يمرون على رسول الله ﷺ وهو يصلي شامخين (2394)، فنزلت: (وأنتم سامدون) (2395)».

[تعليق]

ذكر المؤلف رحمه الله أثراً واحداً في سبب نزول هذه الآية، وقد اختلفت أقوال المفسرين في تفسير "سامدون" على أقوال فقيل لاهون، وقيل معرضون، وقيل هو الغناء، وقيل غافلون، وقيل أشرون بطرون متكبرون (2396). وهذه الأقوال كلها كانت في

(2386) تفسير الطبري 27/70 مرسل إسناداه ضعيف

(2387) أسباب النزول للواحدي (267)

(2388) أسباب النزول للواحدي (267)

(2389) الكشف والبيان عن تفسير القرآن (9/151)

(2390) تفسير القرظي - (17/112)

(2391) تفسير العز بن عبد السلام (1153)

(2392) الكشف والبيان عن تفسير القرآن (9/151)

(2393) صفوة التفسير - للصابوني (3/275)

(2394) شامخين: متكبرين انظر مختار الصحاح 1/145

(2395) أخرجه الطبري في جامع البيان (تفسير الطبري) (22/559) بنحوه

(2396) زاد المسير (8/85)

الكفار، فكانوا يسمعون القرآن بحالهم تلك من الغفلة والأشر واللهو وغير ذلك، فنزلت الآية حكاية لوصفهم.

[تفسير مختصر للآية]

(أفمن هذا الحديث تعجبون) استفهام للتوبيخ أي أفمن هذا القرآن تعجبون يا معشر المشركين، سخرية واستهزاء؟. (وتضحكون ولا تبكون) أي وتضحكون عند سماعه، ولا تبكون من زواجه وآياته؟ وقد كان حقكم أن تبكوا الدم بدل الدمع، حزنا على ما فرطتم (وأنتم سامدون) أي وأنتم لاهون غافلون؟ (فاسجدوا لله واعبدوا) أي فاسجدوا لله الذي خلقكم وأفرده بالعبادة، ولا تعبدوا اللات والعزى، ومناة والشعري، فهو الواحد الأحد الفرد الصمد، الذي لا يليق السجود والعبادة إلا له جل وعلا⁽²³⁹⁷⁾.

انتهت سورة النجم

سُورَةُ الْقَمَرِ

(أَقْتَرَبَتِ السَّاعَةُ وَانْشَقَّ الْقَمَرُ)

قوله تعالى: (اقتربت الساعة وانشق القمر).

1034. أخرج الشيخان والحاكم واللفظ له عن ابن مسعود قال: « رأيت القمر منشقا شقتين بمكة قبل مخرج النبي ﷺ، فقالوا: سحر القمر فنزل: (اقتربت الساعة وانشق القمر) ⁽²³⁹⁸⁾».

1035. وأخرج الترمذي عن أنس قال: « سأل أهل مكة النبي ﷺ آية فانشق القمر بمكة مرتين، فنزلت: (اقتربت الساعة وانشق القمر) - إلى قوله: (سحر مستمر) ⁽²³⁹⁹⁾».

[تعليق]

سورة القمر سورة مكية، وقد تحدثت في مطلعها عن حادثة انشقاق القمر لما طلب المشركون آية، قال الإمام القرطبي مكية كلها في قول الجمهور. وقال مقاتل: إلا ثلاث آيات: (أم يَقُولُونَ نَحْنُ جَمِيعٌ مُنْتَصِرٌ سَيُهْزَمُ الْجَمْعُ وَيُوَلُّونَ الدُّبُرَ بَلِ السَّاعَةُ مَوْعِدُهُمْ وَالسَّاعَةُ أَذَى وَأَمْرٌ) ولا يصح على ما يأتي⁽²⁴⁰⁰⁾. وذكر المؤلف رحمه الله أن القمر من غير سؤال من المشركين لآية فنزلت الآية، الثاني أن المشركين طلبوا آية فانشق القمر، ولا تعارض بين الأثرين، فأولاً طلبوا آية على سبيل التعجيز وظنوا أن الله تعالى غير قادر على أن يشق القمر، فلما انشق تعجبوا من ذلك عجباً شديداً فقالوا سحر القمر، فنزلت الآية. وروى الأمام البخاري وغيره من حديث ابن مسعود قال: " انشق القمر على عهد رسول الله ﷺ شفتين، فقال رسول الله ﷺ: «اشهدوا» ⁽²⁴⁰¹⁾».

[تفسير مختصر للآية]

(اقتربت الساعة وانشق القمر) أي دنّت القيامة وقد انشق القمر⁽²⁴⁰²⁾.

(سَيُهْزَمُ الْجَمْعُ وَيُوَلُّونَ الدُّبُرَ ٤٥)

قوله تعالى: (سيهزم الجمع ويولون الدبر).

1036. وأخرج ابن جرير عن ابن عباس قال: « قالوا يوم بدر نحن جميع منتصر فنزلت (سيهزم الجمع ويولون الدبر) ⁽²⁴⁰³⁾».

[تعليق]

ذكر المؤلف رحمه الله أثراً واحداً في سبب نزول هذه الآية وهو أثر منقطع الإسناد ويدل على أن الآية مدنية، لكن الآية مكية وهو وعد بهزيمة الكفار إشارة إلى ما سيحدث.

⁽²³⁹⁷⁾صفوة التفاسير - للصابوني (277 / 3)

⁽²³⁹⁸⁾المستدرک للحاکم 2/512 ح(3756)وقال: صحیح علی شرط الشیخین، قلت أخرجه الشيخان وغيرهما مختصراً، وليس فيه سبب النزول، وما أخرجه الحاكم فهو من رواية ابن أبي نجیح عن مجاهد وتقدم أنه لم يسمع منه التفسير.

⁽²³⁹⁹⁾سنن الترمذي 5/397 ح(3286)وقال: حسن، المنتخب 356 ح(1184) قلت: رويها من طريق معمر عن قتادة ورواية معمر عن العراقيين فيها ضعف ولكن يشهد

لحديث ابن مسعود ويشهد له حديث ابن مسعود والله أعلم

⁽²⁴⁰⁰⁾تفسير القرطبي - (125 / 17)

⁽²⁴⁰¹⁾صحيح البخاري (251 / 4)

⁽²⁴⁰²⁾صفوة التفاسير - للصابوني (278 / 3)

⁽²⁴⁰³⁾تفسير الطبري 27/109 منقطع الإسناد.

قال مقاتل: ضرب أبو جهل فرسه فتقدم يوم بدر في الصف وقال: نحن منتصر اليوم من محمد وأصحابه.
قال سعيد بن المسيب: سمعت عمر بن الخطاب لما نزلت (سَيُهْزَمُ الْجَمْعُ وَيُوَلُّونَ الدُّبُرَ): كنت لا أدري أي جمع نهزم، فلما كان يوم بدر رأيت النبي صلى الله عليه وسلم ثبت في درعه ويقول: (سَيُهْزَمُ الْجَمْعُ وَيُوَلُّونَ الدُّبُرَ) (2404).
قلت: الآية نزلت وعدا بهزيمة الكافرين ونصر المؤمنين وكان ذلك في أول غزوة غزاها رسول الله ﷺ على قلة في العدة والعتاد، ولكن وعد الله تعالى لا يتخلف ولا يتبدل فهزم الجمع جمع المشركين وولو الأديبار بعد ما رأوا المطايا تحمل المنايا فسبحان الذي صدق وعده ونصر عبده وهزم الأحزاب وحده.

[تفسير مختصر للآية]

(سيهزم الجمع ويولون الدبر) أي سيهزم جمع المشركين، ويولون الأديبار منهزمين (2405).

(إِنَّ الْمُجْرِمِينَ فِي ضَلَالٍ وَسُعُرٍ ٤٧)

قوله تعالى: (إن المجرمين في ضلال وسعر).

1037. وأخرج مسلم والترمذي عن أبي هريرة قال: (جاء مشركو قريش يخاصمون رسول الله ﷺ في القدر، فنزلت: (إن المجرمين في ضلال وسعر) إلى قوله (إنا كل شيء خلقناه بقدر) (2406)).

[تعليق]

ذكر المؤلف رحمه الله أثراً واحداً في سبب نزول هذه الآية وهو أثر صحيح أخرجه الإمام مسلم، وهو يدل على مخاصمة المشركين للنبي ﷺ في القدر، فإيمان أهل الحق أن كل شيء في الكون لا يحدث إلا بقدر الله تعالى، فما شاء كان ما لم يشأ لم يكن.

وقد روى في سبب نزولها كذلك ما أخرجه الإمام الواحدي بسند فيه راو مجهول عن عطاء قال: جاء أسقف نجران إلى رسول الله ﷺ فقال: يا محمد تزعم أن المعاصي بقدر، والبحار بقدر، والسماء بقدر، وهذه الأمور تجري بقدر، فأما المعاصي فلا، فقال رسول الله ﷺ: أنتما خصماء الله، فأنزل الله تعالى - إن المجرمين في ضلال وسعر - إلى قوله - خلقناه بقدر - (2407).
قلت: الأول أرجح عن أبي أمامة عن النبي ﷺ " أن هذه الآية نزلت في القدرية" (2408).
قلت: نزلت الآية أولاً في المشركين وقد دخل فيها تبعاً كل من لم يؤمن بالقدر والله تعالى أعلم.

[تفسير مختصر للآية]

(إن المجرمين في ضلال وسعر) أي إن المجرمين في حيرة وتخبط في الدنيا، وفي نيران مسعرة في الآخرة، قال ابن عباس: في خسران وجنون.

(يوم يسحبون في النار على وجوههم) أي يوم يجزون في النار على وجوههم، عقاباً وإذلالاً لهم.
(ذوقوا مس سقر) أي يقال لهم: ذوقوا أيها المكذبون عذاب جهنم، قال أبو السعود: وسقر علم لجهنم، ولذلك لم يصرف.
(إنا كل شيء خلقناه بقدر) أي إنا خلقنا كل شيء مقدرًا مكتوبًا في اللوح المحفوظ من الأزل (2409).
انتهت سورة القمر

سُورَةُ الرَّحْمَنِ

(وَلِمَنْ خَافَ مَقَامَ رَبِّهِ جَنَّاتٌ ٤٦)

قوله تعالى: (ولمن خاف مقام ربه جنتان).

1038. أخرج ابن أبي حاتم وأبو الشيخ في كتاب العظمة عن عطاء: « أن أبا بكر الصديق ذكر ذات يوم القيامة والموازين والجنة والنار، فقال: وددت أني كنت خضراء من هذه الخضرة تأتي عليَّ بهيمة تأكلني وأني لم أخلق، فنزلت: (ولمن خاف مقام ربه جنتان) (2410)». »

(2404) الكشف والبيان عن تفسير القرآن (9/ 170)

(2405) صفوة التفاسير - للصابوني (3/ 284)

(2406) صحيح مسلم 4/2046 ح (2656) سنن الترمذي 5/459 ح (2157) مسند أحمد 476 ح (10167): 2 سنن ابن ماجه 32/1 ح (83) صحيح ابن حبان

ج: 14 ح (6139)

(2407) أسباب النزول للواحدي (269)

(2408) زاد المسير (8/ 101)

(2409) صفوة التفاسير - للصابوني (3/ 284)

(2410) العظمة 1/307 ح (51) مرسل عطاء لم يلق أبا بكر

1039. وأخرج ابن أبي حاتم عن ابن شوذب قال: « نزلت هذه الآية في أبي بكر الصديق (2411) ».

[تعليق]

سورة الرحمن فيها خلاف هل هي مكية أم مدنية. قال الإمام القرطبي: مكية كلها في قول الحسن وعروة بن الزبير وعكرمة وعطاء وجابر. وقال ابن عباس: إلا آية منها هي قوله تعالى: (يَسْأَلُهُ مَنْ فِي السَّمَاوَاتِ وَالْأَرْضِ) الآية. وهي ست وسبعون آية. وقال ابن مسعود ومقاتل: هي مدنية كلها. والقول الأول أصح لما روى عروة بن الزبير قال: أول من جهر بالقرآن بمكة بعد النبي ﷺ ابن مسعود؛ وذلك أن الصحابة قالوا: ما سمعت قريش هذا القرآن يجهر به قط، فمن رجل يسمعه موه؟ فقال ابن مسعود: أنا، فقالوا: إنا نخشى عليك، وإنما نريد رجلاً له عشيرة يمنعه، فأبى ثم قام عند المقام فقال: بِسْمِ اللَّهِ الرَّحْمَنِ الرَّحِيمِ. (الرَّحْمَنُ. عَلَّمَ الْقُرْآنَ) ثم تلمذ رافعاً بها صوته وقريش في أندية، فتأملوا وقالوا: ما يقول ابن أم عبد؟ قالوا: هو يقول الذي يزعم محمد أنه أنزل عليه، ثم ضربه حتى أثروا في وجهه. وصح أن النبي ﷺ قام يصلي الصبح بنخلة، فقرأ سورة (الرَّحْمَنُ) ومر النفر من الجن فأمنوا به. وفي الترمذي عن جابر قال: خرج رسول الله ﷺ على أصحابه فقراً عليهم سورة (الرَّحْمَنُ) من أولها إلي آخرها فسكتوا، فقال: "لقد قرأتها على الجن ليلة الجن فكانوا أحسن مردوداً منكم كنت كلما أتيت على قوله: (فَبِأَيِّ آلَاءِ رَبِّكُمَا تُكَذِّبَانِ) [الرحمن: 13] قالوا لا بشيء من نعمك ربنا نكذب فلك الحمد" قال: هذا حديث غريب. وفي هذا دليل على أنها مكية والله أعلم (2412).

قلت: ورد في فضائل هذه السورة عدة أحاديث، وهي السورة التي تسمى عروس القرآن. ففيها من الوعد والوعيد وما أعده الله لأصحاب الجنة وأصحاب النار من روائع البيان من يعجز عن وصفه واصف، وقد ذكر المؤلف رحمه الله أثرين في سبب نزول قوله تعالى (ولمن خاف مقام ربه جنتان) وأنها نزلت في أبي بكر الصديق وقد ورد في ذلك عدة آثار وإن كان معنى الآية عام في كل من خاف مقام ربه، فقال بعض أهل العلم أن الآية نزلت فيمن هم بالمعصية ثم تركها خوفاً من الله (2413).

قال الإمام العز بن عبد السلام: أو نزلت في أبي بكر - رضي الله تعالى عنه - خاصة حين ذكرت الجنة والنار يوماً، أو شرب لبناً على ظمأ فأعجبه فسأل عنه فأخبر أنه من غير حل فاستقاه والرسول (ﷺ) ينظر إليه فقال: رحمك الله لقد أنزلت فيك آية وتلا هذه الآية (2414).

قلت: وقوله ﷻ " أنزلت فيك هذه الآية " معناه " أنك دخلت فيمن نزلت فيه هذه الآية " والله تعالى أعلم

[تفسير مختصر للآية]

(ولمن خاف مقام ربه جنتان) أي وللعبد الذي يخاف قيامه بين يدي ربه للحساب جنتان: جنة لسكنه، وجنة لأزواجه وخدمه، كما هي حال ملوك الدنيا، حيث يكون له قصر ولأزواجه قصر (قال الفخر الرازي: لما قال تعالى في حق المجرم إنه يطوف بين نار، وبين حميم أن، قال في حق المؤمن الخائف: (ولمن خاف مقام ربه جنتان) وقد ذكر تعالى الجنة، والجنات، والجنات فقال: (إن المتقين في جنات) وقال: (مثل الجنة التي وعد المتقون) فهي لإتصال أشجارها ومسكنها وعدم وقوع الفاصل بينها كمفازات وقفار صارت كجنة واحدة، ولسعتها وتنوع أشجارها وكثرة مسكنها كأنها جنات، وإلا لاشتمالها على ما تلتذ به الروح والجسم كأنها جنتان). قال القرطبي: وإنما كانتا اثنتين ليضاعف له السرور، بالتنقل من جهة إلى جهة، قال الزمخشري: جنة لفعل الطاعات، وجنة لترك المعاصي، وفي الحديث: (جنتان من فضة آتيتهما وما فيهما، وجنتان من ذهب آتيتهما وما فيهما، وما بين القوم وبين أن ينظروا إلى ربهم عز وجل، إلا رداء الكبرياء على وجهه في جنة عدن) (2415).

انتهت سورة الرحمن

سُورَةُ الْوَاقِعَةِ

(ثَلَاثَةٌ مِنَ الْأَوَّلِينَ ۚ ۱۳ وَقَلِيلٌ مِّنَ الْآخِرِينَ ۚ ۱۴)
(ثَلَاثَةٌ مِنَ الْأَوَّلِينَ ۚ ۳۹ وَثَلَاثَةٌ مِّنَ الْآخِرِينَ ۚ ۴۰)

قوله تعالى (ثلة من الأولين) - الآيات.

1040. [ك] [ك] أخرج أحمد وابن المنذر وابن أبي حاتم بسند فيه من لا يعرف عن أبي هريرة قال: « لما نزلت: (ثلة من الأولين وقليل من الآخرين) شق ذلك على المسلمين فنزلت: (ثلة من الأولين وثلة من الآخرين) (2416) ».

1041. [ك] وأخرج ابن عساكر في تاريخ دمشق بسند فيه نظر من طريق عروة بن رويم عن جابر بن عبد

(2411) مرسل.

(2412) تفسير القرطبي - (17/ 151)

(2413) تفسير العز بن عبد السلام (1169) بمعناه

(2414) تفسير العز بن عبد السلام (1169)

(2415) صفوة التفاسير - للصابوني (3/ 292)

(2416) تفسير ابن أبي حاتم 10/3330 مسند أحمد 2/391 ح (9069) في إسناده أحمد بياح الملاء عن أبيه، قال: الهيثمي لم أعرفهما

الله قال: « لما نزلت: (إذا وقعت الواقعة) وذكر فيها: (ثلة من الأولين وقليل من الآخرين) قال عمر: يا رسول الله ثلة من الأولين وقليل منا، فأمسك آخر السورة سنة، ثم نزلت: (ثلة من الأولين وثلة من الآخرين. فقال رسول الله ﷺ: « يا عمر تعال فاسمع ما قد أنزل الله: (ثلة من الأولين وثلة من الآخرين⁽²⁴¹⁷⁾) ».

1042. وأخرج ابن أبي حاتم عن عروة بن رويم مرسلًا⁽²⁴¹⁸⁾.

[تعليق]

سورة الواقعة سورة مكية، وقد حكي كذلك الإمام القرطبي الخلاف في بعض الآيات منها أن كونها مدنية فقال: مكية في قول الحسن وعكرمة وجابر وعطاء. وقال ابن قتاد: إلا آية منها نزلت بالمدينة وهي قوله تعالى: (وَتَجْعَلُونَ رِزْقَكُمْ أَنْكُمْ تُكذَّبُونَ) وقال الكلبي: مكية إلا أربع آيات، منها آيتان (أَفَبِهَذَا الْحَدِيثِ أَنْتُمْ مُدْهِنُونَ. وَتَجْعَلُونَ رِزْقَكُمْ أَنْكُمْ تُكذَّبُونَ) نزلتا في سفره إلى مكة، وقوله تعالى: (ثَلَّةٌ مِنَ الْأُولَى. وَثَلَّةٌ مِنَ الْآخِرِينَ) في سفره إلى المدينة⁽²⁴¹⁹⁾.

قلت: وفي السورة من نبا أهل الجنة وأهل النار وتصنيف أصحاب الجنة إلى أصناف والتنبيه على قدرة الله تعالى في الخلق والإحياء والإماتة، وغير ذلك من الأمور التي كثيراً ما تذكر في السور المكية.

وقوله تعالى (ثلة من الأولين) أي جماعة ومعنى الآية إخبار عن إدخال جماعة من الأولين وجماعة من الآخرين الجنة واقتد اختلاف في هؤلاء الجماعة على أقوال. فالأثر الذي ذكره المؤلف يدل على أن المراد بالجماعة الأولى من كان قبل هذه الأمة والجماعة الثانية هذه الأمة.

وقد ثبت أن هذه الأمة هي أكثر أهل الجنة لما جاء في صحيح الإمام البخاري وغيره. عن عبد الله بن مسعود قال: خطبنا رسول الله ﷺ فأسند ظهره إلى قبة من آدم ثم قال: "أما بعد أترضون أن تكونوا ربع أهل الجنة؟" قلنا: نعم يا رسول الله قال: "والذي نفسي بيده إنني لأرجو أن تكونوا نصف أهل الجنة وإنه لا يدخل الجنة إلا كل نفس مسلمة وإن مثل المسلمين يوم القيامة في الكفار في العدد كممثل الشعرة البيضاء في الثور الأسود أو الشعرة السوداء في الثور الأبيض⁽²⁴²⁰⁾." وقد ورد في هذا عدة أحاديث تدل على أن هذه الأمة هي أكثر أهل الجنة.

وقد ذكر في المراد بالأوليين والآخرين قولان آخران.

قال الإمام ابن الجوزي بعد ما ذكر أن القول الأول أن المراد بالأوليين من لدن آدم حتى هذه الأمة وبالأخرين هذه الأمة

قال:

والثاني: (أن الأولين): أصحاب رسول الله ﷺ، والآخرين: التابعون.

والثالث: أن الأولين (والآخرين: من) أصحاب نبيينا محمد ﷺ⁽²⁴²¹⁾.

قلت: والآثار التي ذكرها المؤلف تدل على أن الآية الثانية ناسخة للأولى ولكن أسانيد هذه الآثار لا تقوى على النسخ، والظاهر أن المراد بالأوليين الأمم قبل هذه الأمة وبالأخرين هذه الأمة إلى قيام الساعة وبهذا القول يدخل كل ما قيل في هذه الآية. والله تعالى أعلم.

[تفسير مختصر للآية]

(ثلة من الأولين) أي السابقون المقربون جماعة كثيرة من الأمم السالفة.

(وقليل من الآخرين) أي وهم قليل من هذه الأمة، قال القرطبي: وسما قليلا بالإضافة إلى من كان قبلهم، لأن الأنبياء المتقدمين كانوا كثيرين، فكثير السابقون إلى الإيمان منهم، فزادوا على عدد من سبق إلى التصديق من أمتنا، قال الحسن: سابقوا من مضى أكثر من سابقينا، ثم تلا الآية وقيل: إن المراد بقوله: (والسابقون السابقون) أول هذه الأمة، والآخرين المتأخرون من هذه الأمة، فيكون كلا الفريقين من أمة محمد ﷺ (القول الأول الذي أسلفناه هو اختيار جمهور المفسرين، كابن جرير، وأبي السعود، والقرطبي، والبيضاوي، والألوسي، واختار ابن كثير القول الثاني فقال: القول الذي اختاره ابن جرير فيه نظر بل ضعيف، لأن هذه الأمة هي خير الأمم بنص القرآن، فيبعد أن يكون المقربون في غيرها أكثر منها. الخ أقول: قد علمت أن الأنبياء كثرة كثيرة وكلهم من السابقين، فإذا انضم إليهم أتباعهم من الخواص كانوا أكثر من خواص هذه الأمة، وتبقى أمة محمد ﷺ أكثر الأمم دخولا الجنة وأفضل الأمم بمجموعها لا بخواصها، فيندفع بذلك الإشكال، والله أعلم⁽²⁴²²⁾.

(ثلة من الأولين وثلة من الآخرين) أي هم جماعة من الأولين من الأمم الماضية، وجماعة من المتأخرين من أمة محمد ﷺ، قال في البحر: ولا تنافي بين هذه الآية (وثلة من الآخرين) وبين الآية التي سبقتها وهي قوله: (وقليل من الآخرين) لأن الثانية في السابقين، فذلك قال: (وقليل من الآخرين) وهذه في أصحاب اليمين، ولذلك قال: (وثلة من الآخرين)⁽²⁴²³⁾.

(وَأَصْحَابُ الْيَمِينِ مَا أَصْحَابُ الْيَمِينِ ۚ)

⁽²⁴¹⁷⁾ تاريخ دمشق 40/229 رواية عروة بن رويم عن جابر مرسله وإسناده إلى ابن عساکر يحتاج إلى نظر.

⁽²⁴¹⁸⁾ مرسل.

⁽²⁴¹⁹⁾ تفسير القرطبي - (17/ 194)

⁽²⁴²⁰⁾ صحيح البخاري (8/ 137)

⁽²⁴²¹⁾ زاد المسير (8/ 134)

⁽²⁴²²⁾ صفوة التفاسير - للصابوني (3/ 298)

⁽²⁴²³⁾ صفوة التفاسير - للصابوني (3/ 300)

قوله تعالى: (وأصحاب اليمين ما أصحاب اليمين).

1043. وأخرج سعيد بن منصور في سننه والبيهقي في البعث عن عطاء ومجاهد قالا: « لما سأل أهل الطائف الوادي يحمي لهم وفيه غسل ففعل وهو وادي معجب، فسمعوا الناس يقولون: إن في الجنة كذا وكذا قالوا: يا ليت لنا في الجنة مثل هذا الوادي، فأُنزل الله: (وأصحاب اليمين ما أصحاب اليمين في سدر مخضود) - الآيات (2424) ».

1044. وأخرج البيهقي من وجه آخر عن مجاهد قال: « كانوا يعجبون بوجّ وظلاله وطلحه وسدره، فأنزل الله: (وأصحاب اليمين ما أصحاب اليمين في سدر مخضود وطلح منضود وظل ممدود (2425)) ».

[تعليق]

ذكر المؤلف رحمه الله أثنين في سبب نزول هذه الآية، وفيه تعجب الصحابة من ثمار الطائف، ووج مكان يقع بالطائف. فنزلت الآية تبين أن لأصحاب اليمين من النعمة والسرور والزرور والفواكه خير مما تمنوه بالطائف. وقد ذكر أمير المؤمنين علي بن أبي طالب أن المراد بأصحاب اليمين هم أطفال المؤمنين. قلت المراد بأصحاب اليمين هم أهل الجنة سواء من الأطفال أو الكبار والله تعالى أعلم.

[تفسير مختصر للآية]

(وأصحاب اليمين ما أصحاب اليمين) استفهام للتعظيم والتعجب من حالهم، أي ما أدراك من هم، وما هي حالهم؟ (2426).

(فَلَا أَقْسِمُ بِمَوَاقِعِ النُّجُومِ ٧٥ وَإِنَّهُ لَفَسَمٌ لَوْ تَعْلَمُونَ عَظِيمٌ ٧٦ إِنَّهُ لَقُرْءَانٌ كَرِيمٌ ٧٧ فِي كِتَابٍ مَّكْنُونٍ ٧٨ لَا يَمَسُّهُ إِلَّا الْمُطَهَّرُونَ ٧٩ تَنْزِيلٌ مِّن رَّبِّ الْعَالَمِينَ ٨٠ أَفَبِهَذَا الْحَدِيثِ أَنْتُمْ مُدْهِنُونَ ٨١ وَتَجْعَلُونَ رِزْقَكُمْ أَنَّكُمْ تُكَذِّبُونَ ٨٢)

قوله تعالى: (فلا أقسم بمواقع النجوم) - الآيات.

1045. وأخرج مسلم عن ابن عباس قال: « مطر الناس على عهد رسول الله ﷺ، فقال رسول الله ﷺ: « أصبح من الناس شاكر ومنهم كافر، قالوا: هذه رحمة وضعها الله، وقال: بعضهم لقد صدق نوع كذا ». فنزلت هذه الآيات: (فلا أقسم بمواقع النجوم) حتى بلغ: (وتجعلون رزقكم أنكم تكذبون (2427)) ».

1046. وأخرج ابن أبي حاتم عن أبي هريرة قال: « نزلت هذه الآيات في رجل من الأنصار في غزوة تبوك، نزلوا الحجر فأمرهم رسول الله ﷺ أن لا يحملوا من مائها شيئاً، ثم ارتحل ونزل منزلاً آخر وليس معهم ماء، فشكوا ذلك إلى النبي ﷺ، فقام فصلى ركعتين ثم دعا فأرسل الله سبحانه فأمرت عليهم حتى استقوا منها، فقال رجل: من الأنصار لآخر من قومه يتهم بالنفاق: ويحك متى ترى ما دعا النبي ﷺ فأمر الله علينا السماء، فقال: إنما مطرنا بنوء كذا وكذا (2428) ».

[تعليق]

ذكر المؤلف رحمه الله أثنين في سبب نزول هذه الآية وهما صحيحان، ويدلان على أن الآية نزلت رداً على من ظن أن نزول المطر بسبب الأنواء يعني الشهور، فإذا جاء شهر كذا كان المطر، وهذا صحيح من حيث أن الله تعالى جعل هذه الشهور علامة وعادة لنزول المطر لا من حيث أن الأنواء أنفسها والنجوم أسباب في نزول المطر. وفي البخاري وغيره عن زيد بن خالد الجهني قال: صلى لنا رسول الله ﷺ صلاة الصبح بالحديبية في أثر سماء كانت من الليل، فلما انصرف، أقبل على الناس، فقال: " هل تدرون ماذا قال ربكم؟ " قالوا: الله ورسوله اعلم قال: " قال: أصبح من عبادي مؤمن بي وكافر، فاما من قال: مطرنا بفضل الله ورحمته، فذلك مؤمن بي، كافر بالكوكب، واما من قال: مطرنا بنوء كذا وكذا، فذلك كافر بي، مؤمن بالكوكب (2429) ».

[تفسير مختصر للآية]

(فلا أقسم بمواقع النجوم) اللام لتأكيد الكلام وتقويته، وزيادة " لا " كثير في كلام العرب ومشهور، قال الشاعر: تذكرت ليلي فاعترنتي صباية وكاد نياط القلب لا يتقطع أي كاد يتقطع، قال القرطبي " لا " صلة في قول أكثر المفسرين، والمعنى " فأقسم "

(2424) البعث والنشور للبيهقي ص 187 المؤلف: أبو بكر أحمد بن الحسين البيهقي شهرته: البيهقي المحقق: محمد السعيد بسبوني زغول الإيباني شهرته: بسبوني زغول دار النشر: مؤسسة الكتب الثقافية البلد: بيروت الطبعة: الأولى سنة الطبع: 1408هـ، 1988م عدد الأجزاء: 1 مرسل وفي إسناده خصيف بن عبد الرحمن صدوق سيء الحفظ (2425) مرسل.

(2426) صفوة التفسير - للصابوني (3/ 299)

(2427) صحيح مسلم 1/84 ح (73) مسند أبي عوانة 1/36 ح (69/68) سنن البيهقي الكبرى 3/358 ح (6245) المعجم الكبير 12/198 ح (12882)

(2428) تفسير ابن أبي حاتم 10/3335 وأبو هريرة اسمه يعقوب بن مجاهد ثقة والأثر مرسل.

(2429) صحيح البخاري (41/ 2)

بدليل قوله بعده: (وإنه لقسم) أي فأقسم بمنازل النجوم وأماكن دورانها في أفلاكها وبروجها. (وإنه لقسم لو تعلمون عظيم) أي وإن هذا القسم العظيم جليل، لو عرفتم عظمته لأمنتم وانتفعتم به، لما في القسم به من الدلالة على عظيم القدرة، وكمال الحكمة، وفرط الرحمة، ومن مقتضيات رحمته تعالى أن لا يترك عباده سدى (لم يكن المخاطبون يعلمون عن مواقع النجوم إلا القليل، أما في هذا العصر فقد ظهرت معجزة القرآن، يقول الفلكيون: إن مجموعة واحدة من المجموعات التي لا تحصى في الفضاء الهائل، الذي لا نعرف له حدوداً، مجموعة واحدة هي " المجرة " التي تنتسب إليها أسرتنا الشمسية تبلغ ألف مليون نجم، وإن من هذه النجوم والكواكب التي تزيد على عدة " بلايين " نجم منها ما يمكن رؤيته بالعين المجردة، وما لا يرى إلا بالمجاهر والأجهزة، هذه كلها تسبح في الفلك الغامض، ولا يوجد أي احتمال أن يقترب نجم من مجال نجم آخر، أو يصطدم بكوكب آخر، إلا كما يحتمل تصادم مركب في البحر الأبيض بأخر في المحيط الهادي، يسيران باتجاه واحد وبسرعة واحدة وهو احتمال بعيد جداً إن لم يكن مستحيلاً⁽²⁴³⁰⁾.

(وتجعلون رزقكم أنكم تكذبون) أي وتجعلون شكر رزقكم، أنكم تكذبون برازقكم؟ وهو المنعم المتفضل عليكم⁽²⁴³¹⁾

انتهت سورة الواقعة

سُورَةُ الْحَدِيدِ

(أَلَمْ يَأْنِ لِلَّذِينَ ءَامَنُوا أَنْ تَخْشَعَ قُلُوبُهُمْ لِذِكْرِ اللَّهِ وَمَا نَزَلَ مِنَ الْحَقِّ وَلَا يَكُونُوا كَالَّذِينَ أُوتُوا الْكِتَابَ مِنْ قَبْلَ فَطَالَ عَلَيْهِمُ الْأَمَدُ فَقَسَتْ قُلُوبُهُمْ وَكَثِيرٌ مِّنْهُمْ فَسِقُونَ ٦)

قوله تعالى: (ألم يأن للذين آمنوا أن تخشعوا) - الآية

1047. أخرج ابن أبي شيبة في المصنف عن عبد العزيز بن أبي رواد: « أن أصحاب النبي □ ظهر فيهم المزاح والضحك، فنزلت: (ألم يأن للذين آمنوا أن تخشعوا قلوبهم) - الآية⁽²⁴³²⁾ ».

1048. وأخرج ابن أبي حاتم عن مقاتل بن حيان قال: « كان أصحاب النبي □ قد أخذوا في شيء من المزاح، فأنزل الله: (ألم يأن للذين آمنوا أن تخشعوا قلوبهم لذكر الله) - الآية⁽²⁴³³⁾ ».

1049. وأخرج عن السدي عن القاسم قال: « مل أصحاب رسول الله □ ملة: فقالوا: حدثنا يا رسول الله، فأنزل الله: (نحن نقص عليك أحسن القصص) ثم ملوا ملة فقالوا: حدثنا يا رسول الله، فأنزل الله: (ألم يأن للذين آمنوا أن تخشعوا قلوبهم لذكر الله) - الآية⁽²⁴³⁴⁾ ».

1050. وأخرج ابن المبارك في الزهد أنبأنا سفيان عن الأعمش قال: «لما قدم أصحاب رسول الله □ المدينة فأصابوا من العيش ما أصابوا بعدما كان بهم من الجهد، فكانهم فترتوا عن بعض ما كانوا عليه فنزلت: (ألم يأن للذين آمنوا أن تخشعوا قلوبهم) - الآية⁽²⁴³⁵⁾ ».

[تعليق]

هذه السورة الكريمة من السور المدنية، التي تعنى بالتشريع والتربية والتوجيه، وتبنى المجتمع الإسلامي على أساس العقيدة الصافية، والخلق الكريم، والتشريع الحكيم.

وسميت بالحديد لذكر الحديد فيها في قوله تعالى (وأنزلنا الحديد فيه بأس شديد ومنافع للناس)

وذكر المؤلف رحمه الله عدة آثار في سبب نزول هذه الآية، وكلها تدل على أن الآية نزلت في المؤمنين، واختلف في ذلك، فالأثر الأول والثاني أنها نزلت بسبب ما ظهر فيهم من المزاح فنزلت الآية مذكرة لهم بالآخرة، وللمزاح ضوابط فيجوز إذا كان قليلاً ولا يؤثر على القلب، وقد كان النبي □ يمازح، كما جاء في الصحيح، عن أنس، قال: إن كان رسول الله صَلَّى اللهُ عَلَيْهِ وَسَلَّمَ يخالطنا، أو ليلاطفنا حتى إن كان ليقول لأخ لي صغير: يا أبا عمير ما فعل النغير؟⁽²⁴³⁶⁾.

وروي أن النبي □ قال لعجوز: إن الجنة لا يدخلها عجوزٌ فولت تبكي، قال: أخبروها أنها لا تدخلها وهي عجوزٌ، إن الله سبحانه وتعالى يقول: (إِنَّا أَنشَأْنَاهُنَّ إِنشَاءً فَجَعَلْنَاهُنَّ أَبْكَاراً)⁽²⁴³⁷⁾.

هذا إذا كان في حد الاعتدال أما إذا أكثر منه بحيث يكون سبباً لقسوة القلب فهذا هو المحذور، وروى الإمام الطبراني. عن أبي هريرة، قال: قال رسول الله صَلَّى اللهُ عَلَيْهِ وَسَلَّمَ: "من كثر ضحكه استخف بحقه، وكثرت دعبته ذهب

(2430) صفوة التفاسير - للصابوني (3/ 304)

(2431) صفوة التفاسير - للصابوني (3/ 304)

(2432) مصنف ابن أبي شيبة 7/244 ح (35715) مرسل وعبد العزيز متكلم فيه

(2433) تفسير ابن أبي حاتم 10/3338 مرسل

(2434) تفسير ابن أبي حاتم 10/3338 وأخرج الطبري من حديث سعد بن أبي وقاص نحوه وسياقه أطول وإسناده حسن

(2435) الزهد لابن المبارك 1/89 ح (264) مرسل صحيح الإسناد

(2436) صحيح البخاري (8/ 37)

(2437) المعجم الأوسط (5/ 357)

جلالته، ومن كثير مزاحه ذهب وقاره " (2438).

وعن عُمَرُ بْنُ الْخَطَّابِ رَضِيَ اللَّهُ عَنْهُ نحوه " (2439).

وأما الأثران الآخران اللذان ذكرهما المؤلف فهما يدلان على أن سبب نزول الآية كان بسبب ما أصاب الصحابة من رغد العيش بعد ما قدموا المدينة، فكان ذلك سبب لمثلهم، وهذا باعتبار ما كانوا عليه في مكة أما في نفس الأمر فقد أصاب النبي □ وأصحابه من النصب ما يعرفه القارئ في سيرهم.

وروى ابن أبي حاتم تفسير عن ابن عباس قال: إن الله استببطا قلوب المهاجرين فعاتبهم على راس ثلاث عشرة سنة من نزول القرآن فقال: ألم يأن للذين آمنوا الآية (2440).

وقال الإمام الثعلبي: وقال ابن مسعود: ما كان بين إسلامنا وبين أن عوتبنا بهذه الآية إلا أربع سنين، فجعل المؤمنون يعاتب بعضهم بعضاً (2441).

قلت: وهذا بعيد فإن إسلام ابن مسعود متقدم والآية مدنية فإذا صح كانت الآية مكية.

وفي سبب نزولها غير ما ذكره المؤلف فقيل نزلت في المنافقين.

قال الإمام الواحدي: قال الكلبي ومقاتل: نزلت في المنافقين بعد الهجرة بسنة، وذلك أنهم سألوا سلمان الفارسي ذات يوم فقالوا: حدثنا عما في التوراة فإن فيها العجائب، فنزلت هذه الآية (2442).

قلت: وهذا مخالف لظاهر الآية فإن الآية خطاب للمؤمنين، ولا يصح ذلك إلا على تكلف التأويل بأن المراد بالذين آمنوا يعني آمنوا بألسنتهم ولم يؤمن قلوبهم. على ما ذكره الإمام القرطبي (2443).

وفيها سبب ثالث ذكره الإمام القرطبي قال: هذا الخطاب لمن آمن بموسى وعيسى دون محمد عليهم السلام لأنه قال عقيب هذا: (وَالَّذِينَ آمَنُوا بِاللَّهِ وَرُسُلِهِ) أي ألم يأن للذين آمنوا بالتوراة والإنجيل أن تلين قلوبهم للقرآن، وألا يكونوا كمتقدمي قوم موسى وعيسى، إذ طال عليهم الأمد بينهم وبين نبيهم فقت قلوبهم (2444).

قلت: الخطاب موجه للمؤمنين عموماً دون أهل الكتاب فإن من آمنوا بموسى وعيسى ولم يؤمن بالنبي □ لا يقال عليه مؤمن وهذا التأويل بعيد.

فأراح أن الآية نزلت خطاباً للمؤمنين من هذه الأمة بأن لا يكونوا كأهل الكتاب من قبلهم حيث أعطاهم الله الكتاب فطال عليهم الأمد ففسد قلوبهم. وهذا مثل قوله تعالى حكاية عن موسى وقومه (فَرَجَعَ مُوسَى إِلَى قَوْمِهِ غَضْبَانَ أَسِفًا قَالَ يَا قَوْمِ أَلَمْ يَعِدْكُمْ رَبُّكُمْ وَعَدًّا حَسَنًا أَفَطَالَ عَلَيْكُمُ الْعَهْدُ أَمْ أَرَدْتُمْ أَنْ يَجِلَّ عَلَيْكُمْ غَضَبٌ مِّنْ رَبِّكُمْ فَأَخْلَفْتُم مَّوعِدِي) طه (86). والله تعالى أعلم

[تفسير مختصر للآية]

(ألم يأن للذين آمنوا أن تخشع قلوبهم لذكر الله) أي أما حان للمؤمنين أن ترق قلوبهم، وتلين لمواعظ الله؟.

(وما نزل من الحق) أي وترق لما نزل من آيات القرآن المبين؟.

(ولا يكونوا كالذين أوتوا الكتاب من قبل) أي ولا يكونوا كاليهود والنصارى، الذين أعطاهم الله التوراة والإنجيل.

(فطال عليهم الأمد فقت قلوبهم) أي فطال عليهم الزمن الذي بينهم وبين أنبيائهم، حتى صلبت قلوبهم فهي كالحجارة أو أشد قسوة، قال ابن عباس: (قست قلوبهم) مالوا إلى الدنيا، وأعرضوا عن مواضع القرآن، وقال أبو حيان: أي صلبت بحيث لا تتفعل للخير والطاعة والغرض أن الله يحذر المؤمنين أن يكونوا مع القرآن كاليهود والنصارى، حين قست قلوبهم لما طال عليهم الزمان. (وكثير منهم فاسقون) أي وكثير من أهل الكتاب خارجون عن طاعة الله، راقضون لتعاليم دينهم، من فرط قسوة القلب (2445).

(يَا أَيُّهَا الَّذِينَ آمَنُوا اتَّقُوا اللَّهَ وَآمِنُوا بِرَسُولِهِ يُؤْتِكُمْ كِفْلَيْنِ مِن رَّحْمَتِهِ وَيَجْعَل لَّكُمْ نُورًا تَمْشُونَ بِهِ وَيَغْفِرْ لَكُمْ وَاللَّهُ غَفُورٌ رَّحِيمٌ (٢٨)

قوله تعالى: (يا أيها الذين آمنوا اتقوا الله وآمنوا برسوله) - الآية

1051. [د] وأخرج الطبراني في الأوسط بسند فيه من لا يعرف عن ابن عباس: « أن أربعين من أصحاب النجاشي قدموا على النبي □، فشهدوا وقعة أحد، فكانت فيهم جراحات ولم يقتل منهم أحد، فلما رأوا ما بالمؤمنين من الحاجة، قالوا: يا رسول الله إنا أهل ميسرة، فأذن لنا نجيء بأموالنا نواسي بها المسلمين، فأنزل الله فيهم: (الذين آتيناكم الكتاب من قبله هم به يؤمنون) - الآيات، فلما نزلت قالوا: يا معشر المسلمين أما من آمن منا بكتابكم فله أجران ومن لم يؤمن بكتابكم فله أجر كأجوركم، فأنزل الله: (يا أيها الذين آمنوا اتقوا الله وآمنوا برسوله يؤتكم كفلين من رحمته) - الآية (2446) ».

1052. وأخرج ابن أبي حاتم عن مقاتل: « لما نزلت: (أولئك يؤتون أجرهم مرتين بما صبروا) - الآية، فخر

(2438) المعجم الأوسط (6/334) وفي إسناده ضعف لتقر عبد الأول المعلم به وه

(2439) شعب الإيمان (7/59)

(2440) ابن أبي حاتم - (10/3338)

(2441) الكشف والبيان عن تفسير القرآن (9/240)

(2442) أسباب النزول للواحدي (272)

(2443) تفسير القرطبي - (17/249)

(2444) تفسير القرطبي - (17/249)

(2445) صفوة التفاسير - للصابوني (3/312)

(2446) المعجم الأوسط 7/336 ح (7662) ضعيف للجهاة

مؤمنو أهل الكتاب عن أصحاب النبي □ فقالوا: لنا أجران ولكم أجر، فاشتد ذلك على الصحابة، فأنزل الله: (يا أيها الذين آمنوا اتقوا الله وآمنوا برسوله يؤتكم كفلين من رحمته)- فجعل لهم أجرين مثل أجر مؤمني أهل الكتاب(2447)».

[تعليق]

ذكر المؤلف رحمه الله أثرين في سبب نزول هذه الآية وهما يدلان على أن الخطاب هنا للمؤمنين من هذه الأمة، فالله تعالى أمرهم بتقواه والإيمان برسوله، فإن فعلوا ذلك كان لهم أجرين مثل ما لأهل الكتاب الذين آمنوا بكتابتهم ثم آمنوا بالنبي □ فإن لهم أجرين.

وفي صحيح البخاري عن أبي موسى قال: قال رسول الله □ : « ثلاثة يؤتون أجرهم مرتين رجل كانت له أمة فأدبها فأحسن أدبها وعلّمها فأحسن تعليمها ثم أعتقها فتروجها، ورجل من أهل الكتاب آمن بنبيه ثم أدرك النبي □ فأمن به، وعبد أدى حق الله وحق مواليه (2448) »

قال الإمام ابن الجوزي: عامة المفسرين على أن هذا الخطاب لليهود والنصارى والمعنى: يا أيها الذين آمنوا بموسى وعيسى اتقوا الله، وآمنوا برسوله محمد □ (2449).

دليل هذا القول حديث أبي موسى المتقدم.

والذي تميل إليه النفس أن الخطاب للمؤمنين من هذه الأمة. ودليل ذلك الآية التي بعدها فإن الله تعالى قال: (لئلا يعلم أهل الكتاب ألا يقدرون على شيء من فضل الله وأن الفضل بيد الله يؤتيه من يشاء والله ذو الفضل العظيم) فإن أهل الكتاب لما تفاخروا على المؤمنين فأتى الله المؤمنين الأجرين، ثم خاطب أهل الكتاب بأنهم لا يقدرون على شيء من فضل الله، فإن الأجر إنما هو بيد الله والفضل بيد الله يؤتيه من يشاء والله ذو الفضل العظيم. وبالله التوفيق

[تفسير مختصر للآية]

(يا أيها الذين آمنوا اتقوا الله وآمنوا برسوله) أي يا من صدقتم بالله ورسوله، اتقوا ربكم، وخافوا عقابه، بامتنال أو امره واجتناب نواهيته، ودوموا واثبتوا على الإيمان.

(يؤتكم كفلين من رحمته) أي يعطكم ضعفين من رحمته.

(ويجعل لكم نورا تمشون به) أي ويجعل لكم في الآخرة نورا تمشون به على الصراط، كما يجعل لكم في الدنيا نورا، تفرقون به بين الحق والباطل، والهدى والضلال، وهو نور الإيمان، وفي الحديث «اتقوا فراسة المؤمن فإنه ينظر بنور الإيمان».

(ويغفر لكم) أي ويغفر لكم ما أسلفتم من المعاصي.

(والله غفور رحيم) أي عظيم المغفرة واسع الرحمة(2450).

(لئلا يعلم أهل الكتاب ألا يقدرون على شيء من فضل الله وأن الفضل بيد الله يؤتيه من يشاء والله ذو الفضل العظيم (٢٩))

قوله تعالى: (لنلا يعلم أهل الكتاب ألا يقدرون)- الآية.

1053. وأخرج ابن جرير عن قتادة قال: «بلغنا أنه لما نزلت: (يؤتكم كفلين من رحمته) حسد أهل الكتاب المسلمين عليها فأنزل الله: (لنلا يعلم أهل الكتاب)- الآية(2451)».

1054. [ك] [ك] وأخرج ابن المنذر عن مجاهد قال: « قالت اليهود: يوشك أن يخرج منا نبي فيقطع الأيدي والأرجل، فلما خرج من العرب كفروا، فأنزل الله: (لنلا يعلم أهل الكتاب)- الآية(2452)».

[تعليق]

ذكر المؤلف رحمه الله أثرين في سبب نزول هذه الآية، وأن هذه الآية الأخيرة نزلت في حسد أهل الكتاب للمؤمنين بأن بعث النبي الأمي منهم فحسدوا هذه الأمة، فنزلت الآية مبينة أن الله تعالى صاحب الفضل يؤتيه من يشاء.

والآية كذلك متعلقة فيما قبلها في المعنى فيحتمل أن تكون نزلت بسبب مؤمني أهل الكتاب مثل سلمان وصهيب لما تفاخروا على أصحاب النبي □ فنزلت الآية، وكذلك بسبب حسد أهل الكتاب ممن كان ينتظر نبي آخر الزمان أن يكون منهم، قال تعالى (ولما جاءهم كتاب من عند الله مصدق لما معهم وكانوا من قبل يستفتحون على الذين كفروا فلما جاءهم ما عرفوا كفروا به فآخزناهم الله على الكافرين) [البقرة: 89] والله تعالى أعلم.

[تفسير مختصر للآية]

(2447) تفسير ابن أبي حاتم 10/3341 مرسل.

(2448) صحيح البخاري (1/35)

(2449) زاد المسير (8/178)

(2450) صفوة التفاسير - للصابوني (3/317)

(2451) تفسير الطبري 27/246 مرسل ضعيف الإسناد.

(2452) مرسل.

(421)

(لئلا يعلم أهل الكتاب ألا يقدرّون على شيء من فضل الله) أي إنما بالغنا في هذا البيان، ليعلم أهل الكتاب أنهم لا يقدرّون على تخصيص فضل الله بهم، ولا يمكنهم حصر الرسالة والنبوة فيهم، فلا في قوله: (لئلا) زائدة، والمعنى: ليعلم، ومن أجل أن يعلم، قال المفسرون: إن أهل الكتاب كانوا يقولون: الوحي والرسالة فينا، والكتاب والشرع ليس إلا لنا، والله خضنا بهذه الفضيلة العظيمة من بين جميع العالمين، فرد الله عليهم بهذه الآية الكريمة (وأن الفضل بيد الله يؤتية من يشاء) أي وأن أمر النبوة والهداية والإيمان، بيد الرحمن، يعطيه لمن يشاء من خلقه. (والله ذو الفضل العظيم) أي والله واسع الفضل والإحسان (2453).

انتهت سورة الحديد

سُورَةُ الْمُجَادَلَةِ

(قَدْ سَمِعَ اللَّهُ قَوْلَ الَّتِي تُجَادِلُكَ فِي زَوْجِهَا وَتَشْتَكِي إِلَى اللَّهِ وَاللَّهُ يَسْمَعُ تَحَاوُرَكُمَا إِنَّ اللَّهَ سَمِيعٌ بَصِيرٌ (١))

قوله تعالى: (قد سمع الله قول التي تجادلك) - الآية.

1055. أخرج الحاكم وصححه عن عائشة قالت: « تبارك الذي وسع سمعه كل شيء، إني لأسمع كلام خولة بنت ثعلبة ويخفي علي بعضه، وهي تشتكي زوجها إلى رسول الله ﷺ وتقول: يا رسول الله أكل شبابي ونثرت له بطني حتى إذا كبر سني وانقطع ولدي ظاهر مني، اللهم إني أشكو إليك، فما برحت حتى نزل جبريل بهؤلاء الآيات: (قد سمع الله قول لتي تجادلك في زوجها) - وهو أوس بن الصامت (2454) ». «

[تعليق]

سورة المجادلة من السور المدنية التي تناولت أحكاماً عدة، منها حكم الظهار، وهو قول الرجل لزوجته: " أنت علي كظهر أمي " وهي صيغة خاصة لها حكم خاص من أحكام تحريم الزوجة، وقد غلط الله تعالى فيها الكفارة. وسميت هذه السورة بالمجادلة بالفتح أو المجادلة بالكسر لما جاء في سبب نزولها من قصة المرأة التي جادلة النبي ﷺ في أمر زوجها لما أطلق عليها كلمة الظهار.

وهذا الأثر الذي ذكره المؤلف في سبب نزول هذه الآية هو قول عامة أهل التفسير أنها نزلت في خولة بنت ثعلبة مع زوجها أوس بن الصامت، وقد بين الله تعالى في الآية حكم الظهار، وفي رواية الإمام أحمد لنفس الحديث تفصيل لم يذكره المؤلف. قال: عن يوسف بن عبد الله بن سلام، قال: حدثتني خولة بنت ثعلبة، وكانت عند أخي عبادة قالت: في والله وفي أوس بن الصامت أنزل الله عز وجل صدر سورة المجادلة، قالت: كنت عنده وكان شيخاً كبيراً قد ساء خلقه وضجر، قالت: فدخل علي يوماً فراجعته بشيء فغضب، فقال: أنت علي كظهر أمي، قالت: ثم خرج فجلس في نادي قومه ساعة، ثم دخل علي، فإذا هو يريدني عن نفسه، قالت: قلت: كلا والذي نفس خويلة بيده، لا تخلص إلي وقد قلت ما قلت حتى يحكم الله فينا ورسوله بحكمه، قالت: فوائتني وامتنعت منه، فغلبته بما تغلب به المرأة الشيخ الضعيف، فألقينته عني، قالت: ثم خرجت إلى بعض جاراتي، فاستعرت منها ثياباً، ثم خرجت حتى جئت رسول الله ﷺ فجلست بين يديه، فذكرت له ما لقيت منه، فجعلت أشكو إليه ﷺ ما ألقى من سوء خلقه، قالت: فجعل رسول الله ﷺ يقول: « يا خولة، ابن عمك شيخ كبير، فاتقي الله فيه » قالت: فوالله ما برحت حتى نزل في القرآن، فتغشى رسول الله ﷺ ما كان يتغشاها ثم سري عنه، فقال لي: « يا خويلة، قد أنزل الله فيك وفي صاحبك » ثم قرأ علي: قد سمع الله قول التي تجادلك في زوجها وتشتكي إلى الله، إلى قوله: وللكافرين عذاب أليم، قالت: فقال لي رسول الله ﷺ: « مريه فليعتق رقبة » قالت: قلت: يا رسول الله، والله ما عنده ما يعتق، قال: « فليصم شهرين متتابعين » قالت: قلت: يا رسول الله، والله إنه شيخ كبير ما به من صيام، قال: « فليطعم ستين مسكيناً وسقاً من تمر » قالت: قلت: يا رسول الله، والله ما ذاك عنده، قالت: فقال رسول الله ﷺ: « فإنا سنعيثه بعرق من تمر » قالت: قلت: يا رسول الله، وأنا سأعيثه بعرق آخر، فقال: « قد أصبت وأحسن، فإذهب فتصدقني به عنه، ثم استوص بابن عمك خيراً » قالت: ففعلت (2455).

[تفسير مختصر للآية]

(قد سمع الله قول التي تجادلك في زوجها) " قد " لا تدخل إلا على الأفعال، وإذا دخلت على الماضي أفادت التحقيق، وإذا دخلت على المضارع أفادت التقليل كقولك: قد يجود البخيل، وقد ينزل المطر، والمعنى: حقا لقد سمع الله قول المرأة، التي تراجعك وتحاورك في شأن زوجها، قال الزمخشري: ومعنى سماعه تعالى لقولها إجابة دعائها، لا مجرد علمه تعالى بذلك، وهو كقول

(2453) صفوة التفسير - للصابوني (317/3)

(2454) تفسير الطبري 28/5 المستدرک للحاكم 2/523 ح (3791) سنن النسائي / (3460) سنن البيهقي الكبرى 7/382 ح (15019) سنن ابن ماجه 1/666 ح (2063) مسند أحمد 46 ج: 6 ح (24241) معجم شيوخ أبي بكر الإسماعيلي 1/451 الكتاب: المعجم في أسامي شيوخ أبي بكر الإسماعيلي المؤلف: أحمد بن إبراهيم بن إسماعيل الإسماعيلي أبو بكر سنة الولادة 277/ سنة الوفاة 371 تحقيق: د. زياد محمد منصور الناشر: مكتبة العلوم والحكم مسند أبي يعلى 8/214 ح (4780) مسند عبد بن حميد 1/438 ح (1514) مسند إسحاق 222 ج: 2 ح (731) اعتقاد أهل السنة 3/407 السنة لابن أبي عاصم 1/278 صحيح الإسناد قال الإمام النسائي: أخبرنا إسحاق بن إبراهيم قال أنبأنا جرير عن الأعمش عن تميم بن سلمة عن عروة عن عائشة - به

المصلي: سمع الله لمن حمده.

(وتشتكي إلى الله) أي وتتضرع إلى الله تعالى في تفرج كربتها.

(والله يسمع تحاوركما) أي والله جل وعلا يسمع حديثكما، وماذا قالت لك، وماذا رددت عليها.

(إن الله سميع بصير) أي سميع لمن يناجيه ويتضرع إليه، بصير بأعمال العباد، وهو كالتعليل لما قبله، وكلاهما من صيغ المبالغة أي مبالغ في العلم بالمسموعات والمبصرات⁽²⁴⁵⁶⁾.

(أَلَمْ تَرَ إِلَى الَّذِينَ نُهُوا عَنِ النَّجْوَى ثُمَّ يَعُودُونَ لِمَا نُهُوا عَنْهُ وَيَتَنَجَّوْنَ بِالْآثِمِ وَالْعِدْوَانِ وَمَعْصِيَتِ الرَّسُولِ وَإِذَا جَاءَهُمْ حَيْوَتُكَ بِمَا لَمْ يُحْيِكَ بِهِ اللَّهُ وَيَقُولُونَ فِي أَنْفُسِهِمْ لَوْلَا يُعَذِّبُنَا اللَّهُ بِمَا نَقُولُ حَسْبُكُمْ جَهَنَّمُ يَصَلَوْنَهَا فَبِئْسَ الْمَصِيرُ ۝۸)

قوله تعالى: (ألم تر إلى الذين نهوا عن النجوى) - الآية.

1056. وأخرج ابن أبي حاتم عن مقاتل بن حيان قال: « كان بين النبي ﷺ وبين اليهود مودة، فكانوا إذا مر بهم رجل من أصحابه جلسوا يتناجون بينهم حتى يظن المؤمن أنهم يتناجون بقتله أو بما يكرهه، فنهاهم النبي ﷺ عن النجوى فلم ينتهوا، فأنزل الله: (ألم تر إلى الذين نهوا عن النجوى) - الآية⁽²⁴⁵⁷⁾ ».

1057. أخرج أحمد والبخاري والطبراني بسند جيد عن عبد الله بن عمرو: « أن اليهود كانوا يقولون لرسول الله ﷺ : سام عليكم ثم يقولون في أنفسهم لولا يعذبنا الله بما نقول فنزلت هذه الآية: (وإذا جاءوك حيوك بما لم يحيك به الله)⁽²⁴⁵⁸⁾ ».

1058. وفي الباب عن أنس وعائشة⁽²⁴⁵⁹⁾.

1059. وأخرج ابن جرير عن قتادة قال: « كان المنافقون يتناجون بينهم، وكان ذلك يغيظ المؤمنين ويكبر عليهم، فأنزل الله: (إنها النجوى من الشيطان) - الآية⁽²⁴⁶⁰⁾ ».

[تعليق]

ذكر المؤلف رحمه الله عدة آثار في سبب نزول هذه الآية، فالأثر الأول متعلق بمطلع الآية (ألم تر إلى الذين نهوا عن النجوى) وفي هذا الأثر دليل على أنها نزلت في فعل اليهود. والأثر الأخير متعلق كذلك بمطلع هذه الآية وهو يدل على أنها نزلت في المنافقين.

وقد ذكر بعض العلماء أنها نزلت في المنافقين واليهود معاً.

روى الإمام الواحدي قال: قال ابن عباس: نزلت في اليهود والمنافقين وذلك أنهم كانوا يتناجون فيما بينهم دون المؤمنين، وينظرون إلى المؤمنين ويتغامزون بأعينهم، فإذا رأى المؤمنون نجواهم قالوا: ما نراهم إلا وقد بلغهم عن أقربائنا وإخواننا الذين خرجوا في السرايا قتل أو موت أو مصيبة أو هزيمة، فيقع ذلك في قلوبهم ويحزنهم، فلا يزالون كذلك حتى يقدم أصحابهم وأقرباؤهم. فلما طال ذلك وكثر شكوا إلى رسول الله صلى الله عليه وسلم فأمرهم ألا يتناجوا دون المسلمين فلم ينتهوا عن ذلك، وعادوا إلى مناجاتهم، فأنزل الله سبحانه هذه الآية⁽²⁴⁶¹⁾.

قلت: لا مانع أن تكون الآية نزلت في الفريقين جميعاً والله تعالى أعلم.

وفي أحكام التناجي كلام أكثر من ذلك أذكر بعضاً مما يفي بغرض الكتاب دوت التطويل.

والنجوى في اللغة: التكتّم في الكلام سواء كان بين اثنين أو جماعة، والتي من الشيطان ما كان فيها تأمر على حق، أو إضرار بمسلم، أو إدخال للشك في نفسه، وقد وردت الأحاديث النبوية الكريمة بالنهي عن التناجي في الحالات التي توقع الريبة وتزعزع الثقة وتبعث التوجس: جاء في الصحيحين عن عبدالله بن مسعود رضي الله عنه قال: قال رسول الله - ﷺ -: « إذا كنتم ثلاثة فلا يتناجى اثنان دون صاحبهما فإن ذلك يحزنه ». وهو أدب رفيع، وتحفظ حكيم لإبعاد كل الريب والشكوك. فأما حيث تكون هناك مصلحة في كتمان سر، أو ستر عورة، في شأن عام أو خاص، فلا مانع من التشاور في سر وتكتّم.

ثانياً:

النهي الوارد في الحديث السابق ظاهره التحريم، فيحرم أن يتناجى اثنان دون الثالث، أو مجموعة من الناس دون واحد منهم.

⁽²⁴⁵⁶⁾ صفة التفاسير - للصابوني (3/ 319)

⁽²⁴⁵⁷⁾ تفسير ابن أبي حاتم 10/3343 مرسل

⁽²⁴⁵⁸⁾ مسند أحمد 2/170 ح(6589) إسناده صحيح قال الإمام أحمد: ثنا عبد الصمد ثنا حماد عن عطاء بن السائب عن أبيه عن عبد الله بن عمرو - به.

⁽²⁴⁵⁹⁾ حديث أنس ليس فيه التصريح بسبب النزول وهو حديث صحيح في البخاري ومسلم وغيرهما وأما حديث عائشة ففيه السبب قال الإمام مسلم حدثنا إسحاق بن إبراهيم أخبرنا يعلى بن عبيد حدثنا الأعمش بهذا الإسناد (أي الإسناد السابق وهو عن الأعمش عن مسلم عن مسروق عن عائشة) غير أنه قال ففطنت بهم عائشة فسبتهم فقال رسول الله ﷺ: يا عائشة فإن الله لا يحب الفحش والتفحش وزاد فأنزل الله عز وجل. وإذا جاءوك حيوك بما لم يحيك به الله إلى آخر الآية / ح(2165) 6/482 ح(11571) مسند إسحاق 815 ج:3 ح(1455) مسند أحمد 229 ج:6 ح(25966)

⁽²⁴⁶⁰⁾ تفسير الطبري 28/15 مرسل صحيح الإسناد

⁽²⁴⁶¹⁾ أسباب النزول للواحدي (75)

قال النووي رحمه الله: " وفي هذه الأحاديث النهي عن تناجي اثنين بحضرة ثالث، وكذلك ثلاثة وأكثر بحضرة واحد، وهو نهى تحريم فيحرم على الجماعة المناجاة دون واحد منهم إلا أن يأذن⁽²⁴⁶²⁾.
ثالثاً:

يستثنى من النهي الوارد في مسألة التناجي مسائل
المسألة الأولى: إذا تناجى الاثنان بإذن الثالث، فأذن لهم جاز؛ لما روى أحمد عن ابن عمر رضي الله عنهما قال: قال رسول الله ﷺ: " إِذَا كُنْتُمْ ثَلَاثَةً فَلَا يَتَنَاجَى اِثْنَانُ دُونَ الثَّالِثِ، إِلَّا بِإِذْنِهِ، فَإِنَّ ذَلِكَ يُحْرَنُهُ"⁽²⁴⁶³⁾ "

المسألة الثانية: إذا كان العدد أكثر من ثلاثة، فيجوز أن يتناجى اثنان دون البقية؛ لما روى أبو داود، وفيه: قال أبو صالح، فقلت لابن عمر: فأربعة؟ قال: لا يضررك. قال النووي رحمه الله في " شرح مسلم ": " أما إذا كانوا أربعة فتناجى اثنان دون اثنين فلا بأس بالإجماع " انتهى

المسألة الثالثة:

إذا كانت هناك حاجة أو مصلحة راجحة على مفسدة التناجي، فيجوز فيه تناجي اثنين دون الثالث.
(إِنَّمَا النَّجْوَى مِنَ الشَّيْطَانِ لِيَحْزُرَ الَّذِينَ آمَنُوا وَلَيْسَ بِضَارِّهِمْ شَيْئاً إِلَّا بِإِذْنِ اللَّهِ وَعَلَى اللَّهِ فَلْيَتَوَكَّلِ الْمُؤْمِنُونَ) آية 10
وأما الأثر الثاني الذي ذكره المؤلف فهو متعلق بقوله تعالى (وإذا جاؤك حيوك بما لم يحيك به الله ويقولون في أنفسهم لولا يعذبنا الله بما نقول).

وهي يدل على أنها نزلت في اليهود حيث كانوا يقولون للنبي ﷺ إذا جاؤه " السام عليكم " وهو دعا بمعنى الموت.
وفي صحيح الإمام مسلم عن ابن عمر عن النبي صلى الله عليه وسلم: إذا سلم عليك اليهودي فإنما يقول السام عليك فقل وعليك وقال مرة إذا سلم عليكم اليهود فقولوا وعليكم فإنهم يقولون السام عليكم⁽²⁴⁶⁴⁾.
وفي صحيح البخاري عن عائشة قالت: دخل رهط من اليهود على رسول الله ﷺ فقالوا: السام عليكم. فقالت عائشة: ففهمتها فقلت: وعليكم السام واللجنة. فقالت: فقال رسول الله ﷺ: " مهلا يا عائشة إن الله عز وجل يحب الرفق في الأمر كله ".
قالت: قلت يا رسول الله " ألم تسمع ما قالوا فقال رسول الله صلى الله عليه وسلم: " فقد قلت: وعليكم"⁽²⁴⁶⁵⁾.
والسبب الثاني في المنافقين على ما ذكره الإمام ابن الجوزي عن ابن عباس⁽²⁴⁶⁶⁾.
قلت: ولا مانع كذلك من دخول اليهود والمنافقين في الآية، فكلاهما معروف بعداوتهم للنبي ﷺ ويحتمل أن يكون المنافقون قد أخذوا من اليهود فأخذوا يلقونها على النبي ﷺ والله تعالى أعلم.

[تفسير مختصر للآية]

(ألم تر إلى الذين نهوا عن النجوى) قال القرطبي: نزلت في اليهود والمنافقين كانوا يتناجون فيما بينهم، وينظرون للمؤمنين ويتغامزون بأعينهم، فشكوا ذلك إلى رسول الله، فنهاهم عن النجوى فلم ينتهوا فنزلت.
(ثم يعودون لما نهوا عنه) أي ثم يرجعون إلى المناجاة التي نهوا عنها، قال أبو السعدي: والهمزة (ألم تر) للتعجب من حالهم، وصيغة المضارع (ثم يعودون) للدلالة على تكرر عودهم وتجدهم، واستحضار صورته العجيبة.
(ويتناجون بالإثم والعدوان ومعصية الرسول) أي ويتحدثون فيما بينهم بما هو إثم وعدوان، ومخالفة لأمر الرسول ﷺ، لأن حديثهم يدور حول المكر والكيد بالمسلمين، قال أبو حيان بدأ بالإثم لعمومه، ثم بالعدوان لعظمته في النفوس إذ هي ظلمات العباد، ثم ترقى إلى ما هو أعظم وهو معصية الرسول ﷺ، وفي هذا طعن على المنافقين إذ كان تناجيهم في ذلك.
(وإذا جاؤك حيوك بما لم يحيك به الله) أي وإذا حضروا عندك يا محمد، حيوك بتحية ظالمة لم يشرعها الله، ولم يأذن فيها، وهي قولهم " السام عليكم " أي الموت عليكم.
(ويقولون في أنفسهم لولا يعذبنا الله بما نقول) أي ويقولون فيما بينهم: هلا يعذبنا الله بهذا القول لو كان محمد نبيا؟ فلو كان نبيا حقا لعذبنا الله على هذا الكلام! قال تعالى ردا عليهم:
(حسبهم جهنم يصلونها) أي يكفيهم عذابا أن يدخلوا نار جهنم، ويصلوا حرها.
(فبئس المصير) أي بئس جهنم مرجعا ومستقرا لهم، قال ابن العربي: كانوا يقولون: لو كان محمد نبيا، لما أمهلنا الله بسببه والاستخفاف به! وجهلوا أن البارئ تعالى حلِيم، لا يعاجل العقوبة لمن سببه، فكيف من سب نبيه!! وقد ثبت في الصحيح (لا أحد أصبر على الأذى من الله، يدعون له الصاحبة والولد وهو يعاقبهم ويرزقهم)، فأُنزل الله تعالى هذا كشفا لسرائرهم، وفضحا لبواطنهم، وتكريما لرسوله ﷺ، وأما إمهالهم في الدنيا فمن كرامته ﷺ على ربه، لكونه بعث رحمة للعالمين.. ثم نهى تعالى المؤمنين عن التناجي بما هو إثم ومعصية، فقال سبحانه:
(يا أيها الذين آمنوا إذا تناجيتهم فلا تتناجوا بالإثم والعدوان ومعصية الرسول) أي إذا تحدثتم فيما بينكم سرا، فلا تتحدثوا بما فيه إثم، كالقبیح من القول، أو بما هو عدوان على الغير، أو مخالفة ومعصية لأمر الرسول ﷺ .
(وتناجوا بالبر والتقوى) أي وتحدثوا بما فيه خير وطاعة وإحسان، قال القرطبي: نهى تعالى المؤمنين أن يتناجوا فيما بينهم كفعل المنافقين واليهود، وأمرهم أن يتناجوا بالطاعة والتقوى، والعفاف عما نهى الله عنه.

⁽²⁴⁶²⁾ شرح النووي على مسلم (14 / 167) الكتاب: المنهاج شرح صحيح مسلم بن الحجاج

المؤلف: أبو زكريا يحيى بن شرف بن مري النووي الناشر: دار إحياء التراث العربي - بيروت الطبعة الثانية، 1392

⁽²⁴⁶³⁾ مسند أحمد بن حنبل (1 / 375)

⁽²⁴⁶⁴⁾ صحيح مسلم - (4 / 7)

⁽²⁴⁶⁵⁾ صحيح البخاري (8 / 14)

⁽²⁴⁶⁶⁾ زاد المسير (8 / 190)

هو زينة الإنسان.

(إذا قيل لكم تقسحوا في المجالس فافسحوا) أي إذا قال لكم أحد توسعوا في المجالس - سواء كان مجلس الرسول □ أو غيره من المجالس - فتوسعوا وافسحوا له.

(يفسح الله لكم) أي يوسع لكم ربكم في رحمته وجنته، وقوله: (يفسح الله لكم) مطلق في كل ما يطلب الناس الفسحة فيه في المكان، والرزق، والصدر، والقبر، والجنة، واعلم أن الآية دلت على أن كل من وسع على عباد الله، أبواب الخير والراحة، وسع الله عليه خيرات الدنيا والآخرة وفي الحديث: «لا يزال الله في عون العبد، ما زال العبد في عون أخيه».

(وإذا قيل انشروا فانشروا) أي وإذا قيل لكم أيها المؤمنون انهضوا من المجلس، وقوموا لتوسعوا لغيركم، فارتفعوا منه وقوموا. (يرفع الله الذين آمنوا منكم والذين أوتوا العلم درجات) أي يرفع الله المؤمنين بامتثال أوامره، وأوامر رسوله، والعالمين منهم خاصة أعلى المراتب، ويمنحهم أعلى الدرجات الرفيعة في الجنة، قال ابن مسعود: مدح الله العلماء في هذه الآية ثم قال: يا أيها الناس افهموا هذه الآية، ولترغبكم في العلم فإن الله يقول: يرفع المؤمن العالم فوق المؤمن الذي ليس بعالم درجات. (والله بما تعملون خبير) أي خبير بمن يستحق الفضل والثواب ممن لا يستحقه⁽²⁴⁷⁴⁾.

(ءَأَشْفَقْتُمْ أَنْ تُقَدِّمُوا بَيْنَ يَدَيْ نَجْوَاكُمْ صَدَقْتُمْ فَإِذَا لَمْ تَفْعَلُوا وَتَابَ اللَّهُ عَلَيْكُمْ فَأَقِيمُوا الصَّلَاةَ وَآتُوا الزَّكَاةَ وَأَطِيعُوا اللَّهَ وَرَسُولَهُ وَاللَّهُ خَبِيرٌ بِمَا تَعْمَلُونَ (١٣))

قوله تعالى (أشفقتم أن تقدموا بين يدي نجواكم صدقات) - الآية.

1062. وأخرج من طريق ابن أبي طلحة عن ابن عباس قال: « أن المسلمين أكثروا المسائل على رسول الله

□ حتى شقوا عليه، فأراد الله أن يخفف عنبيه، فأنزل: (إذا ناجيتم الرسول فقدموا بين يدي نجواكم) - الآية فلما نزلت صبر كثير من الناس وكفوا عن المسألة، فأنزل الله بعد ذلك: (أشفقتم) - الآية⁽²⁴⁷⁵⁾.

1063. وأخرج الترمذي وحسنه وغيره عن علي قال: « لما نزلت: (يا أيها الذين آمنوا إذا ناجيتم الرسول

فقدموا بين يدي نجواكم صدقة، قال لي النبي □ : « ما ترى دينار؟ » . قلت: لا يطيعونه، قال: « فنصف

دينار؟ » . قلت: لا يطيعونه، قال: « فكم؟ » . قلت: شعيرة قال: « إنك لزهيد » . فنزلت: (أشفقتم أن تقدموا

بين يدي نجواكم صدقات) - الآية، فبني خفف الله عن هذه الأمة⁽²⁴⁷⁶⁾. قال الترمذي حسن.

[تعليق]

ذكر المؤلف رحمه الله أثرين في سبب نزول هذه الآيتين (يا أيها الذين آمنوا إذا ناجيتم الرسول فقدموا بين يدي نجواكم صدقة) والآية التي بعدها.

وسبب نزول الأولى أنهم أكثروا على النبي □ المسائل، فقد كان يأتي الآتي فيسأل النبي □ حتى يضجره كما روى الإمام البخاري وغيره عن أنس رضي الله عنه: سألو رسول الله صلى الله عليه وسلم حتى أحفوه بالمسألة فغضب فصعد المنبر فقال: « لا تسألوني اليوم عن شيء إلا بينته لكم » . فجعلت أنظر يمينا وشمالا فإذا كل رجل لاف رأسه في ثوبه بيكي فإذا كان إذا لاحى الرجال يدعى لغير أبيه فقال يا رسول الله من أبي؟ قال: حذافة ثم أنشأ عمر فقال رضيينا بالله ربا وبالإسلام ديننا وبمحمد صلى الله عليه وسلم رسولا نعوذ بالله من الفتن⁽²⁴⁷⁷⁾.

وغير ذلك من السؤالات التي أضجرت النبي □ فأنزل الله الآية تخفيفاً عن نبيه □، ثم نسخت هذه الآية بقوله تعالى (فإن لم تفعلوا وتاب الله عليكم) .

وأخرج الحاكم في المستدرک عن مجاهد عن علي رضي الله عنه قال: آية في كتاب الله لم يعمل بها أحد قبلي، ولن يعمل بها أحد بعدي، آية النجوى. كان لي دينار، فبعته بعشرة دراهم، فكلما أردت أن أتاجي رسول الله □ قَدِّمْتُ درهماً، فنسختها الآية الأخرى (أشفقتم أن تقدموا...) الآية⁽²⁴⁷⁸⁾.

وروى في سبب نزولها أنها نزلت في الأغنياء من الصحابة.

وقال مقاتل بن حيان: نزلت في الأغنياء، وذلك أنهم كانوا يأتون النبي صلى الله عليه وسلم فيكثر من مناجاته ويغلبون الفقراء على [المجالس] حتى كرهه النبي صلى الله عليه وسلم طول جلوسهم ومناجاتهم فأمر الله تعالى بالصدقة عند المناجاة، فلما رأوا ذلك انتهوا عن المناجاة، فأما أهل العسرة فلم يجدوا شيئاً، وأما أهل الميسرة فبخلوا ومنعوا، فاشتد ذلك على أصحاب النبي صلى الله عليه وسلم فنزلت الرخصة⁽²⁴⁷⁹⁾.

قلت: في هذه الآية أدب من آداب مناجاة رسول الله □، وقد حدث الله تعالى في غير ما آية على الأدب مع رسول الله □، فلا يجوز رفع الصوت عليه ولا يجوز الجلوس في بيته حتى يمل، قال تعالى (يا أيها الذين آمنوا لا تدخلوا بيوت النبي إلا أن يؤذن

(2474) صفوة التقاسير - للصابوني (3/ 323)

(2475) تفسير ابن أبي حاتم 10/3344 ورواية علي بن أبي طلحة عن ابن عباس منقطعة.

(2476) تفسير الطبري 28/21 صحيح ابن حبان 15/390 ح (6942) سنن الترمذي 406 / 5 ح (3300) سنن النسائي الكبرى 152 ج: 5 ح (8537) مسند أبي يعلى 322 ج: 1 ح (400) مسند عبد بن حميد 59 ج: 1 ح (90) قلت: إسناده ضعيف، فيه علي بن علقمة الأنماري قال الحافظ: مقبول، وقال الترمذي عن الحديث: حسن غريب لا نعرفه إلا من هذا الوجه

(2477) صحيح البخاري (8/ 96)

(2478) المستدرک 405 (2/ 481)

(2479) تفسير مقاتل بن سليمان (3/ 334)

لكم إلى طعام غير ناظرين إناه ولكم إذا دعيتم فادخلوا فإذا طعمتم فانتشروا ولا مستأنسين لحديث إن ذلكم كان يؤذي النبي فيستحيى منكم) سورة الأحزاب. وقال تعالى (لا تجعلوا دعاء الرسول كدعاء بعضكم بعضاً) سورة النور. وقال تعالى (يا أيها الذين آمنوا لا تقدموا بين يدي الله ورسوله) سورة الحجرات. وقال تعالى (لا ترفعوا أصواتكم فوق صوت النبي ولا تجهروا له بالقول كجهر بعضكم لبعض) سورة الحجرات. إلى غير ذلك من الآيات التي فيها سلوك الأدب مع رسول الله ﷺ، ثم نسخ الله هذه الآية بالآية التي بعدها تخفيفاً عليهم، مع مراعاة حرمة ﷺ.

[تفسير مختصر للآية]

(يا أيها الذين آمنوا إذا ناجيتم الرسول) أي إذا أردتم مجادلته سرا .
 (فقدموا بين يدي نجواكم صدقة) أي فقدموا قبلها صدقة تصدقوا بها على الفقراء، قال الألوسي: وفي هذا الأمر تعظيم لمقام الرسول ﷺ، ونفع للفقراء، وتمييز بين المخلص والمنافق، وبين محب الدنيا ومحب الآخرة.
 (ذلكم خير لكم وأطهر) أي تقديم الصدقات قبل مناجاته، أفضل لكم عند الله لما فيه من امتثال أمر الله، وأطهر لذنوبكم.
 (فإن لم تجدوا فإن الله غفور رحيم) أي فإن لم تجدوا ما تتصدقون به، فإن الله يسامحكم ويعفو عنكم، لأنه لم يكلف بذلك إلا القادر منكم.
 (أشقتم أن تقدموا بين يدي نجواكم صدقات) عتاب للمؤمنين رقيق رقيق أي أخفتم أيها المؤمنون الفقر، إذا تصدقتم قبل مناجاتكم للرسول ﷺ؟ والغرض: لا تخافوا فإن الله يرزقكم، لأنه غني بيده خزائن السموات والأرض، وهو عتاب لطيف كما بينا، ثم نسخ تعالى الحكم تيسيراً على المؤمنين، فقال سبحانه:
 (فإذا لم تفعلوا وتاب الله عليكم) أي فإذا لم تفعلوا ما أمرتم به وشق ذلك عليكم، وعفا الله عنكم بأن رخص لكم مناجاته من غير تقديم صدقة.

(فأقيموا الصلاة وآتوا الزكاة) أي فاكتفوا بالمحافظة على الصلاة ودفع الزكاة المفروضة (وأطيعوا الله وأطيعوا الرسول) أي أطيعوا أمر الله وأمر رسوله في جميع أحوالكم.
 (والله خبير بما تعملون) أي محيط بأعمالكم ونياتكم، قال المفسرون: نسخ الله ذلك تخفيفاً على العباد، حتى قال ابن عباس: ما كان ذلك إلا ساعة من نهار لم نسخ قال القرطبي: نسخت فرضية الزكاة هذه الصدقة، وهذا يدل على جواز النسخ قبل الفعل⁽²⁴⁸⁰⁾.

(أَلَمْ تَرَ إِلَى الَّذِينَ تَوَلَّوْا قَوْمًا غَضِبَ اللَّهُ عَلَيْهِمْ مَّا هُمْ مِنْكُمْ وَلَا مِنْهُمْ وَيَحْلِفُونَ عَلَى الْكُذِبِ وَهُمْ يَعْلَمُونَ ۙ)

قوله تعالى: (ألم تر إلى الذين تولوا قوما غضب الله عليهم) - الآية.
1064. وأخرج ابن أبي حاتم عن السدي في قوله: (ألم تر إلى الذين تولوا قوماً) - الآية قال «: بلغنا نزلت أنها في عبد الله بن نبتل⁽²⁴⁸¹⁾».

[تعليق]

ذكر المؤلف رحمه الله أن هذه الآية نزلت في عبد الله بن نبتل وكان من المنافقين، وأما القوم المراد بقوله تعالى (غضب الله عليهم) هم اليهود وقد وصف اليهود في غير آية بأن الله تعالى غضب عليهم كما في قوله تعالى (غير المغضوب عليهم) علماء التفسير قاطبة على أنهم اليهود ومن دخل في مثل فعلهم.
 وروى الإمام الطبري عن سعيد بن جببر، قال: كان النبي صَلَّى اللهُ عَلَيْهِ وَسَلَّمَ في ظلِّ حجرة قد كاد يَقْلُصُ عنه الظلُّ، فقال: "إِنَّهُ سَيَأْتِيكُمْ رَجُلٌ، أَوْ يَطَّلُعُ رَجُلٌ بَعِيْنٌ شَيْطَانٍ فَلَا تُكَلِّمُوهُ" فلم يلبث أن جاء، فاطلع فإذا رجل أزرق، فقال له: "علام تَشْتُمُّنِي أَنْتَ وَفُلَانٌ وَفُلَانٌ؟" قال: فذهب فدعا أصحابه، فحلفوا ما فعلوا، فنزلت: (يَوْمَ يَبْعَثُهُمُ اللهُ جَمِيعًا فَيَحْلِفُونَ لَهُ كَمَا يَحْلِفُونَ لَكُمْ وَيَحْسَبُونَ أَنَّهُمْ عَلَىٰ شَيْءٍ أَلَّا إِنَّهُمْ هُمُ الْكَاذِبُونَ)⁽²⁴⁸²⁾.
 وأخرج ابن جرير كذلك عن غير واحد من التابعين منهم قتادة، قوله: (أَلَمْ تَرَ إِلَى الَّذِينَ تَوَلَّوْا قَوْمًا غَضِبَ اللَّهُ عَلَيْهِمْ) إلى آخر الآية، قال: هم المنافقون تولوا اليهود وناصحوهم⁽²⁴⁸³⁾.
 قلت: الآية نزلت في اليهود عموماً بما فيهم ابن نبتل وابن أبي وغيرهم من اليهود فإن الآية بصيغة العموم فخصوص السبب لا ينفي عمومها والله تعالى أعلم.

[تفسير مختصر للآية]

(ألم تر إلى الذين تولوا قوما غضب الله عليهم) تعجب للرسول صلى الله عليه وسلم من أمر المنافقين، الذين اتخذوا اليهود أصدقاء، أي ألا تعجب يا محمد من حال هؤلاء المنافقين، الذين يزعمون الإيمان، وقد اتخذوا اليهود المغضوب عليهم أولياء، يناصحونهم وينقلون إليهم أسرار المؤمنين! قال الإمام الفخر: كان المنافقون يتولون اليهود، وهم الذين غضب الله عليهم في قوله: (من لعنه الله وغضب عليه) وكانوا ينقلون إليهم أسرار المؤمنين.
 (ما هم منكم ولا منهم) أي ليس هؤلاء المنافقون من المسلمين ولا من اليهود، بل هم مذبذبون بين ذلك، كقوله تعالى: (مذبذبين بين

(2480)صفوة التفسير - للصابوني (3/ 325)

(2481) مرسل ساقط من النسخة

(2482) جامع البيان (تفسير الطبري) (23/ 255)

(2483) جامع البيان (تفسير الطبري) (23/ 252)

ذلك لا إلى هؤلاء ولا إلى هؤلاء (قال الصاوي: أي ليسوا من المؤمنين الخالص، ولا من الكافرين الخالص، لا ينتسبون إلى هؤلاء، ولا إلى هؤلاء.)
(ويحلفون على الكذب وهم يعلمون) أي ويحلفون بالله كاذبين، يقولون: والله إنا لمسلمون، وهم يعلمون أنهم كذبة فجرة⁽²⁴⁸⁴⁾.

(يَوْمَ يَبْعَثُهُمُ اللَّهُ جَمِيعاً فَيَحْلِفُونَ لَهُ كَمَا يَحْلِفُونَ لَكُمْ وَيَحْسَبُونَ أَنَّهُمْ عَلَىٰ شَيْءٍ أَلَّا إِنَّهُمْ هُمُ الْكَاذِبُونَ)

قوله تعالى: (يوم يبعثهم الله جميعاً) - الآية.

1065. وأخرج أحمد والحاكم وصححه عن ابن عباس قال: « كان رسول الله ﷺ في ظل حجرة وقد كاد الظل أن يتقلص فقال: « إنه سيأتىكم إنسان فينظر إليكم بعيني شيطان، فإذا جاءكم فلا تكلموه ». فلم يلبثوا أن طلع عليهم رجل أزرق أعور، فدعاه رسول الله ﷺ فقال له حين رآه: « علام تشتمني أنت وأصحابك؟ ». فقال: ذرني أتك بهم فانطلق، فدعاهم فحلفوا له ما قالوا وما فعلوا، فأنزل الله: (يوم يبعثهم الله جميعاً فيحلفون له كما يحلفون لكم) - الآية⁽²⁴⁸⁵⁾.

[تعليق]

ذكر المؤلف رحمه الله أثر ابن نبتل المنافق في سبب نزول هذه الآية، فقد كان يحلف أنه ما تولى اليهود. وقد ذكر الإمام القرطبي سبباً آخر قال: وقال مقاتل: قال المنافقون إن محمدا يزعم أنه ينصر يوم القيامة، لقد شقينا إذا فوالله لننصرن يوم القيامة بأنفسنا وأولادنا وأموالنا إن كانت قيامة. فنزلت: (يَوْمَ يَبْعَثُهُمُ اللَّهُ جَمِيعاً).
قلت: هذه الآثار تبين وتوضح ما عليه المنافقين في الدنيا من الحلف بالله تعالى في الظاهر ما لا يبطنون كما قال تعالى (إذا جاءك المنافقون قالوا نشهد إنك رسول الله) سورة المنافقون وقال تعالى (يحلفون بالله لكم ليرضوكم) وقال تعالى (يحلفون بالله ما قالوا) وقال تعالى (سيحلفون بالله لكم إذا إنقلبتم إليهم لتعرضوا عنهم) كل ذلك ذكر في سورة التوبة التي تسمى الفاضحة لأنها فضحة المنافقين. أما يوم القيامة فسيحلفون بالله لكن لا ينفعهم حلفهم يوم يعرض الناس على ربهم.

[تفسير مختصر للآية]

(يوم يبعثهم الله جميعاً) أي يحشرهم يوم القيامة جميعاً، للحساب والجزاء.
(فيحلفون له كما يحلفون لكم) أي فيحلفون لله تعالى كما يحلفون لكم اليوم في الدنيا كذبا أنهم مسلمون، قال ابن عباس: هو قولهم: (والله ربنا ما كنا مشركين).
(ويحسبون أنهم على شيء) أي يظنون أن حلفهم في الآخرة، ينفعهم وينجيهم من عذابها، كما نفعهم في الدنيا بدفع القتل عنهم، قال أبو حيان: والعجب منهم كيف يعتقدون أن كفرهم يخفى على علام الغيوب، ويجرونه مجرى المؤمنين، في عدم اطلاعهم على كفرهم ونفاقهم، والمقصود أنهم تعودوا الكذب حتى كان على ألسنتهم في الآخرة، كما كان في الدنيا.
(ألا إنهم هم الكاذبون) أي ألا فانتبهوا أيها الناس، إن هؤلاء هم البالغون في الكذب الغاية القصوى، حيث تجاسروا على الكذب في الموقف العصيب، بين يدي علام الغيوب⁽²⁴⁸⁶⁾.

(لَا تَجِدُ قَوْمًا يُؤْمِنُونَ بِاللَّهِ وَالْيَوْمِ الْآخِرِ يُوَادُّونَ مَنْ حَادَّ اللَّهَ وَرَسُولَهُ وَلَوْ كَانُوا آبَاءَهُمْ أَوْ أَبْنَاءَهُمْ أَوْ إِخْوَانَهُمْ أَوْ عَشِيرَتَهُمْ أُولَئِكَ كَتَبَ فِي قُلُوبِهِمُ الْإِيمَانَ وَأَيَّدَهُم بِرُوحٍ مِّنْهُ وَيُدْخِلُهُمْ جَنَّاتٍ تَجْرِي مِنْ تَحْتِهَا الْأَنْهَارُ خَالِدِينَ فِيهَا رَضِيَ اللَّهُ عَنْهُمْ وَرَضُوا عَنْهُ أُولَئِكَ حِزْبُ اللَّهِ أَلَا إِنَّ حِزْبَ اللَّهِ هُمُ الْمُفْلِحُونَ (٢٢))

قوله تعالى: (لا تجد قوما يؤمنون بالله واليوم الآخر يوادون من حاد) الآية.

1066. وأخرج ابن أبي حاتم عن ابن شوذب قال: « نزلت هذه الآية في أبي عبيدة بن الجراح حين قتل أباه يوم بدر: (لا تجد قوماً يؤمنون بالله واليوم الآخر يوادون من حاد الله) - الآية⁽²⁴⁸⁷⁾. »

1067. وأخرجه الطبراني والحاكم في المستدرک بلفظ: « جعل والد أبي عبيدة بن الجراح يتصدى لأبي عبيدة يوم بدر، وجعل أبو عبيدة يحيد عنه، فلما أكثر قصده أبو عبيدة فقتله، فنزلت. »

1068. وأخرج ابن المنذر عن ابن جريج قال حدثت: « أن أبا قحافة سب النبي ﷺ، فصكه أبو بكر صكة فسقط، فذكر ذلك للنبي ﷺ فقال: « أفعلت يا أبا بكر ». فقال: والله لو كان السيف قريباً مني لضربت به، فنزلت: (لا تجد قوما) - الآية⁽²⁴⁸⁸⁾. »

(2484) صفوة التفاسير - للصابوني (3/ 325)

(2485) مسند أحمد 1/167 ح(2408) المستدرک للحاكم 2/524 ح(3795) وقال صحيح على شرط مسلم المعجم الكبير 12/7 ح(12307) تفسير الطبري 28/23 إسناده

صحيحقال الإمام أحمد حدثنا مؤمل ثنا إسرائيل ثنا سماك عن سعيد بن جبير عن ابن عباس - به

(2486) صفوة التفاسير - للصابوني (3/ 325)

(2487) المستدرک للحاكم 3/296 ح(5152) سنن البيهقي الكبرى 9/27 ح(17613) المعجم الكبير 1/154 ح(360) صحيح منقطع الإسناد عبد الله بن شوذب لم يلق أبا عبيدة.

(2488) منقطع

[تعليق]

ذكر المؤلف رحمه الله أثريين في سبب نزول هذه الآية، فالأول في أبي عبيدة بن الجراح مع أبيه. والثاني في أبي بكر بن أبي قحافة مع أبيه، فكل منهما برأ من أبيه في ذات الله تعالى فنزلت الآية مبينة أنه لا مودة بين مسلم وكافر، إذا حاربوا وحادوا الله ورسوله، وفي أحكام المودة قول الله تعالى (لا ينهاكم الله عن الذين لم يقاتلوكم في الدين ولم يخرجوكم من دياركم أن تبروهم وتقسطوا إليهم) سورة الممتحنة. فالآية التي في المجادلة تتحدث عن الذين يحاربون في الدين أما هذه تتكلم عن الذين كفوا أيديهم وأذاهم عن المسلمين وقد كان النبي ﷺ يهدي لجار له يهودي، وفي صحيح البخاري. عبد الله بن عمر رضي الله عنهما قال: رأى عمر بن الخطاب حلة سبراء عند باب المسجد فقال يا رسول الله لو اشتريتها فلبستها يوم الجمعة وللوفد قال « إنما يلبسها من لا خلاق له في الآخرة ». ثم جاءت حلل فأعطى رسول الله صلى الله عليه وسلم عمر منها حلة وقال أكسوتنيها وقلت في حلة عطارد ما قلت؟ فقال « إني لم أكسكها لتلبسها ». فكساها عمر أخا له بمكة مشركاً (2489).
وفي سبب نزولها ثلاثة أسباب أخر.

فالثالث: قال الإمام الواحدي: عن ابن مسعود أنه قال: نزلت هذه الآية في أبي عبيدة بن الجراح قتل أباه عبد الله بن الجراح يوم أحد.

وفي أبي بكر دعا ابنه يوم بدر إلى البراز، فقال: يا رسول الله دعني أكن في الرعدة الأولى، فقال له رسول الله ﷺ: متعنا بنفسك يا أبا بكر، أما تعلم أنك عندي بمنزلة سمعي وبصري، وفي مصعب بن عمير قتل أخاه عبيد بن عمير يوم أحد.
وفي عمر قتل خاله العاص بن هشام بن المغيرة يوم بدر، وفي علي وحمة قتلوا عتبة وشيبة ابني ربيعة والوليد بن عتبة يوم بدر، وذلك قوله - ولو كانوا آباءهم أو أبناءهم أو إخوانهم أو عشيرتهم (2490).

الرابع: قال الإمام الثعلبي وقال السدي: نزلت في عبد الله بن عبد الله بن أبي، وذلك أنه كان جالساً إلى جنب رسول الله صلى الله عليه وسلم فشرب رسول الله صلى الله عليه وسلم الماء، فقال عبد الله: يا رسول الله، أبق فضلة من شراك. قال: «و ما تصنع بها؟» قال: أسقيها أبي لعل الله يطهر قلبه. ففعل فأتى بها أباه، فقال: ما هذا؟ قال من شراب رسول الله صلى الله عليه وسلم جنتك بها لتشربها لعل الله سبحانه وتعالى يطهر قلبك. فقال أبوه: هلا جنتني ببول أمك. فرجع إلى النبي (عليه السلام)، فقال: يا رسول الله، انذن لي في قتل أبي. فقال رسول الله صلى الله عليه وسلم: «بل ترفق به وتحسن إليه» (2491).
الخامس: ذكر الإمام مقاتل بن سليمان: نزلت في حاطب بن أبي بلتعة حين كتب إلى أهل مكة (2492).

قلت: كل هذه الأسباب ينتظمها سلك واحد وهو إخبار الله تعالى عن المؤمنين بأنهم لا ينبغي لهم أن يتولوا قوماً غضب الله عليهم من اليهود أو النصارى أو غيرهم ممن حاد الله ورسوله، فكل هذه الأسباب داخلة في الآية والله تعالى أعلم.

[تفسير مختصر للآية]

(لا تجد قوماً يؤمنون بالله واليوم الآخر يوادون من حاد الله ورسوله) أي لا يمكن أن ترى أيها السامع، جماعة يصدقون بالله وباليوم الآخر، يحبون ويوالون من عادى الله ورسوله، وخالف أمرهما، لأن من أحب الله عادى أعداءه، ولا يجتمع في قلب واحد، حب الله وحب أعدائه، كما لا يجتمع النور والظلام، قال المفسرون: غرض الآية النهي عن مصادقة ومحبة الكفرة والمجرمين، ولكنها جاءت بصورة إخبار، مبالغة في النهي والتحذير، قال الإمام الفخر: المعنى أنه لا يجتمع الإيمان مع حب أعداء الله، وذلك لأن من أحب أحداً امتنع أن يحب عدوه، لأنهما لا يجتمعان في القلب، فإذا حصل في القلب مودة أعداء الله، لم يحصل فيه الإيمان.
(ولو كانوا آباءهم أو أبناءهم أو إخوانهم أو عشيرتهم) أي ولو كان هؤلاء المحادون لله ورسوله، أقرب الناس إليهم، الآباء، والأبناء، والإخوان، والعشيرة، فإن قضية الإيمان بالله تقتضي معاداة أعداء الله، قال في البحر: بدأ بالأبء لأن طاعتهم واجبة على الأولاد، ثم بالأبناء لأنهم أعلق بالقلوب، ثم بالإخوان لأنهم بهم التعاضد، ثم بالعشيرة لأن بهم التناصر والمقاتلة والتغلب على الأعداء، كما قال القائل: لا يسألون أخاهم حين يندبهم في النائبات على ما قال برهانا.
(أولئك كتب في قلوبهم الإيمان) أي أثبت الإيمان، ومكنه في قلوبهم، فهي مؤمنة موقنة مخلصه.
(وأيدهم بروح منه) أي وقواهم بنصره وتأييده، قال ابن عباس: نصرهم على عدوهم، وسمى ذلك النصر (روحاً) لأن به يحيى أمرهم.

(ويدخلهم جنات تجري من تحتها الأنهار) أي ويدخلهم في الآخرة بساتين فسيحة، تجري من تحت قصورها أنهار الجنة. (خالدين فيها) أي ماكتن فيها أبد الأبد.

(رضي الله عنهم ورضوا عنه) أي قبل الله أعمالهم فرضي عنهم، ونالوا ثوابه فرضوا بما أعطاهم، وإنما ذكر رضوانه عليهم بعد دخولهم الجنة، لأنه أعظم النعم، وأجل المراتب، قال ابن كثير: وفي الآية سر بديع، وهو أنهم لما سخطوا على الأقارب والعشائر في الله تعالى، عوضهم الله بالرضا عنهم، وأرضاهم بما أعطاهم من النعيم المقيم، والفوز العظيم.
(أولئك حزب الله) أي أولئك هم أحباب الله، وخاصته وأوليائه.

(ألا إن حزب الله هم المفلحون) أي هم الفائزون بخيري الدنيا والآخرة، وهذا في مقابلة قوله تعالى عن أتباع الشيطان: (أولئك حزب الشيطان ألا إن حزب الشيطان هم الخاسرون) (2493).

انتهت سورة المجادلة

(2489) صحيح البخاري (2/5)

(2490) أسباب النزول للواحدي (278)

(2491) الكشف والبيان عن تفسير القرآن (9/264)

(2492) تفسير مقاتل بن سليمان (3/336)

(2493) صفة التقاسير - للصابوني (3/326)

سُورَةُ الْحَشْرِ

(سَبَّحَ لِلَّهِ مَا فِي السَّمَوَاتِ وَمَا فِي الْأَرْضِ وَهُوَ الْعَزِيزُ الْحَكِيمُ (١))

قوله تعالى: (سبح لله ما في السموات وما في الأرض) - الآية.

1069. أخرج البخاري عن ابن عباس قال: « سورة الأنفال نزلت في بدر وسورة الحشر نزلت في بني النضير ⁽²⁴⁹⁴⁾ ».

1070. وأخرج الحاكم وصححه عن عائشة قالت: « كانت غزوة بني النضير - وهم طائفة من اليهود - على رأس ستة أشهر من وقعة بدر، وكان منزلهم ونخلهم في ناحية المدينة، فحاصرهم الرسول ﷺ حتى نزلوا على الجلاء وعلى أن لهم ما أقلت الإبل من الأمتعة والأموال إلا الحلقة وهي السلاح، فأنزل الله فيهم: (سبح لله ما في السموات والأرض ⁽²⁴⁹⁵⁾) ».

[تعليق]

سورة الحشر أو سورة بني النضير ويهود بني النضير الذين نقضوا العهد مع رسول الله ﷺ وحاولوا قتله عندما ذهب إليهم لدفع دية القتيلين، فنزل جبريل وأعلم النبي ﷺ بمؤامرتهم، فذهب من وقته وغزاهم في السنة الرابعة من الهجرة فحاصرهم النبي ﷺ وأجلاهم من المدينة على أن لهم ما حملت الإبل غير السلاح، وفيهم أنزلت سورة الحشر. وذكر المؤلف رحمه الله أثرين يدلان على أنها نزلت في يهود بني النضير.

(مَا قَطَعْتُمْ مِّن لِّينَةٍ أَوْ تَرَكْتُمُوهَا قَائِمَةً عَلَىٰ أُصُولِهَا فَبِإِذْنِ اللَّهِ وَلِيُخْزِيَ الْفَاسِقِينَ ٥)

قوله تعالى: (ما قطعتم من لينة) - الآية.

1071. وأخرج البخاري وغيره عن ابن عمر: « أن رسول الله ﷺ حرق نخل النضير وقطع - وهي البويرة - فأنزل الله: (ما قطعتم من لينة أو تركتموها) - الآية ⁽²⁴⁹⁶⁾ ».

1072. وأخرج أبو يعلى بسند ضعيف عن جابر قال: «رخص لهم قطع النخل، ثم شدد عليهم فأتوا النبي ﷺ، فقالوا: يا رسول الله هل علينا إثم فيما قطعناه أو تركناه؟ فأنزل الله: (ما قطعتم من لينة أو تركتموها) - الآية ⁽²⁴⁹⁷⁾ ».

1073. [ك] وأخرج ابن إسحاق عني زيد بن رومان قال: « لما نزل رسول الله ﷺ ببني النضير، تحصنوا منه في الحصون، فأمر بقطع النخل والتحريق فيها، فنادوه: يا محمد قد كنت تنهي عن الفساد وتعيبه فما بال قطع النخل وتحريقها؟ فنزلت ⁽²⁴⁹⁸⁾ ».

1074. وأخرج ابن جرير عن قتادة.

1075. مجاهد مثله ⁽²⁴⁹⁹⁾.

[تعليق]

ذكر المؤلف رحمه الله عدة آثار تدل على أن هذه الآية نزلت لما قطع المسلمون نخل بني النضير، وفيه جواز حرق نخل وشجر العدو إذا كان فيه نكايه بهم، وهذا هو قول الجمهور وللحنابلة في ذلك تفصيل. قال ابن العربي: وقد علم رسول الله ﷺ أن نخل بني النضير له، ولكنه قطع وحرق ليكون نكايه لهم، ووهنا فيهم، حتى يخرجوا عنها، فإتلاف بعض المال لصالح باقية مصلحة جائزة شرعاً مقصودة عقلاً ⁽²⁵⁰⁰⁾. انتهى

⁽²⁴⁹⁴⁾ صحيح البخاري 4/1852 ح (4600) صحيح مسلم 4/2322 ح (3031)

⁽²⁴⁹⁵⁾ المستدرک للحاکم 2/525 ح (3797) وقال: علی شرط الشیخین صحیح الإسناد وكذلك روي عن رجل من أصحاب النبي بسند لا بأس به انظر، سنن البيهقي الكبرى ص 9/232 سنن أبي داود 3/156 ح (156) مصنف عبد الرزاق 5/358 ح (9733) قال: عن معمر عن الزهري قال وأخبرني عبد الله بن عبد الرحمن بن كعب بن مالك عن رجل من أصحاب النبي ع - به.

⁽²⁴⁹⁶⁾ صحيح البخاري 2/819 ح (2201) صحيح مسلم 3/1365 ح (1746) سنن الترمذي 4/122 ح (1552) سنن البيهقي الكبرى 9/83 ح (17889) سنن النسائي الكبرى

5/181 ح (8608) سنن أبي داود 3/38 ح (2615) سنن ابن ماجه 2/948 ح (2844) مسند أحمد 2/140 ح (6251) مسند أبي يعلى 207 ح 10 (5837)

⁽²⁴⁹⁷⁾ مسند أبي يعلى 4/135 ح (2189) في إسناده سفيان بن وكيع ضعيف وأبي الزبير رواه بالنعنة عن جابر وهو مدلس

⁽²⁴⁹⁸⁾ تفسير الطبري 28/34 مرسل

⁽²⁴⁹⁹⁾ نفس المصدر وإسناد قتادة صحيح مرسل وإسناد مجاهد من طريق ابن أبي نجیح عنه.

⁽²⁵⁰⁰⁾ أحكام القرآن لابن العربي (210/4)

وقد ذكر الإمام ابن قدامة تفصيلاً في هذه المسألة فقال: ولا يقطع شجرهم ولا يحرق زرعهم إلا أن يكونوا يفعلون ذلك في بلادنا فيفعل ذلك بهم لينتهوا

وجملته أن الشجر والزرع ينقسم ثلاثة أقسام: أحدها: ما تدعو الحاجة إلى إتلافه كالذي يقرب من حصونهم ويمنع من قتالهم أو يسترون به من المسلمين أو يحتاج إلى قطعه لتوسعة طريق أو تمكن من قتال أو سد بئق أو إصلاح طريق أو ستارة منجنيق أو غيره أو يكونون يفعلون ذلك بنا فيفعل بهم ذلك لينتهوا فهذا يجوز بغير خلاف نعلمه.

الثاني: ما يتضرر المسلمون بقطعه لكونهم ينتفعون ببقائه لعلو قوتهم أو يستظلون به أو يأكلون من ثمره أو تكون العادة لم تجر بذلك بيننا وبين عدونا فإذا فعلناه بهم فعلوه بنا فهذا يحرم لما فيه من الأضرار بالمسلمين.

الثالث: ما عدا هذين القسمين مما لا ضرر فيه بالمسلمين ولا نفع سوى غيظ الكفار والإضرار بهم ففيه روايتان: إحداهما: لا يجوز لحديث أبي بكر ووصيته وقد روي نحو ذلك مرفوعاً إلى النبي صلى الله عليه وسلم ولأن فيه اتلافاً محضاً فلم يجز كعقر الحيوان وبهذا قال الأوزاعي والليث وأبو ثور والرواية الثانية: يجوز وبهذا قال مالك والشافعي وإسحاق وابن المنذر قال إسحاق: التحريق سنة إذا كان انكى في العدو لقول الله تعالى: (ما قطعتم من لينة أو تركتموها قائمة على أصولها فبإذن الله وليخزي الفاسقين) وروى ابن عمر « أن رسول الله صلى الله عليه وسلم حرق نخل بني النضير وقطع - وهو البويرة - فانزل الله تعالى: (ما قطعتم من لينة) ولها يقول حسان:

وهان على سراة بني لؤي... حريق بالبويرة مستطير (2501).

قلت: وهو تفصيل حسن. فإراعي في مسألة التخريب والتحريق المصلحة العامة للمسلمين والله تعالى أعلم.

[تفسير مختصر للآية]

(ما قطعتم من لينة أو تركتموها قائمة على أصولها فبإذن الله) أي ما قطعتم أيها المؤمنون من شجرة نخيل، أو تركتموها كما كانت قائمة على سوقها، فبأمر الله وإرادته ورضاه.

(وليخزي الفاسقين) أي وليغيب اليهود ويذلهم، يقطع أشجارهم ونخيلهم، قال الرازي: المعنى إنما أذن تعالى في ذلك، حتى يزداد غيظ الكفار، وتتضاعف حسرتهم، بسبب نفاذ حكم أعدائهم أعز أموالهم (2502).

(وَالَّذِينَ تَبَوَّءُوا الدَّارَ وَالْإِيمَانَ مِنْ قَبْلِهِمْ يُحِبُّونَ مَنْ هَاجَرَ إِلَيْهِمْ وَلَا يَجِدُونَ فِي صُدُورِهِمْ حَاجَةً مِمَّا أُوتُوا وَيُؤْثِرُونَ عَلَىٰ أَنفُسِهِمْ وَلَوْ كَانَ بِهِمْ خَصَاصَةٌ وَمَنْ يُوقِ شُحَّ نَفْسِهِ فَأُولَٰئِكَ هُمُ الْمُفْلِحُونَ ٩)

قوله تعالى: (والذين تبوءوا الدار والإيمان) - الآية.

1076. وأخرج ابن المنذر عن يزيد الأصم: « أن الأنصار قالوا: يا رسول الله أقسم بيننا وبين إخواننا المهاجرين الأرض نصفين، قال: « لا ولكن تكفونهم المونة وتقاسمونهم الثمرة والأرض أرضكم ». قالوا: رضينا فأنزل الله: (والذين تبوءوا الدار) - الآية (2503) ».

1077. وأخرج البخاري عن أبي هريرة قال: « أتى رجل رسول الله ﷺ فقال: يا رسول الله أصابني الجهد، فأرسل إلى نسائه فلم يجد عندهن شيئاً، فقال: « ألا رجل يضيفه هذه الليلة يرحه الله ». فقام رجل من الأنصار فقال: أنا يا رسول الله، فذهب إلى أهله فقال لامرأته: ضيف رسول الله ﷺ لا تدخرينه شيئاً، قالت: والله ما عندي إلا قوت الصبية، قال: فإذا أراد الصبية العشاء فنومهم وتعالى فأطفني السراج ونطوي بطوننا الليلة، ففعلت، ثم غدا على رسول الله ﷺ فقال: « لقد عجب الله أضحك من فلان وفلانة ». فأنزل الله تعالى: (ويؤثرون على أنفسهم ولو كان بهم خصاصة) (2504) ».

1078. وأخرج مسدد في مسنده وابن المنذر عن أبي المتوكل الناجي: « أن رجلاً من المسلمين فذكر نحوه وفيه: « أن الرجل الذي أضاف ثابت بن قيس بن شماس، فنزلت فيه هذه الآية (2505) ».

1079. وأخرج الواحدي من طريق محارب بن دثار عن ابن عمر قال: « أهدي لرجل من أصحاب رسول الله ﷺ رأس شاة، فقال: إن أخي فلانا وعياله أحوج إلى هذا منا، فبعث به إليه فلم يزل يبعث به واحد إلى آخر حتى تداولها أهل سبعة أبيات حتى رجعت إلى أولئك، فنزلت: (ويؤثرون على أنفسهم ولو كان بهم خصاصة) - الآية (2506) ».

(2501) المغني في فقه الإمام أحمد بن حنبل الشيباني (10/ 501) الكتاب: المغني في فقه الإمام أحمد بن حنبل الشيباني المؤلف: عبد الله بن أحمد بن قدامة المقدسي أبو محمد (682 597 هـ = 1283 1200 م) الناشر: دار الفكر - بيروت الطبعة الأولى، 1405

(2502) صفوة التفاسير - للصابوني (330 /3)

(2503) مرسل.

(2504) صحيح البخاري 3/1382 ح (3587) صحيح مسلم 3/1624 ح (2054) صحيح ابن حبان 16/254 ح (7264) المستدرک للحاکم 4/145 ح (7176) سنن النسائي الكبرى

6/486 سنن البيهقي الكبرى 4/185 ح (7591) مسند أبي يعلى 11/42 ح (6182) الأدب المفرد 258 ح (740)

(2505) مرسل.

(2506) أسباب النزول للواحدي 353 وفي إسناده عبيد الله بن الوليد الوصافي ضعيف

[تعليق]

ذكر المؤلف رحمه الله ثلاثة آثار وفيهما سببان للنزول.

الأول: في ضيف جاء إلى رسول الله ﷺ وليس عنده ما يضيفه به، فاستضافه بعض أصحاب النبي ﷺ، فلم يجد عنده إلا قوت الصبية فآثر الضيف على نفسه وعلى أبناءه، وهنا تتجلى روائع الإيثار الذي كان في عهد الصحابة، وقد وقعت تسمية هذا الرجل بأنه ثابت بن قيس، وقد وقعت تسمية هذا الرجل بأنه أبو طلحة الأنصاري وزوجته أم سليم وهذا هو الأصح (2507). وقيل هو عبد الله بن رواحة وقيل غير ذلك (2508).

قلت: يحتمل أن تكون وقعت لأكثر من واحد من الصحابة.

أما الأثر الأخير الذي ذكره المؤلف في رجل أهدي إليه رأس شاة وهو شيء يسير لكنه آثر أخاه على نفسه وأرسل إليه لظنه أنه أحوج إليه منه، فلما وصلت إلى الآخر تفكر في أخيه وعلم أن حاجته إليها أكثر فأرسلها إليه، حتى تداولها سبعة أبيات من المسلمين وهذا من روائع الإيثار الذي كان عليه صحابه النبي ﷺ.

قلت: السبب الأول أصح وهذا السبب في إسناده ضعف والمخرج في الصحيح أولى أن يكون صحيحاً والله تعالى أعلم.

[تفسير مختصر للآية]

(والذين تبوءوا الدار والإيمان من قبلهم) أي والذين اتخذوا المدينة منزلاً وسكناً، وآمنوا قبل هجرة النبي ﷺ إلى المدينة، وهم الأنصار، قال القرطبي: أي تبوءوا الدار من قبل المهاجرين، واعتقدوا الإيمان وأخلصوه، والتبوء: التمكن والاستقرار، وليس يريد أن الأنصار آمنوا قبل المهاجرين، بل أراد آمنوا قبل هجرة النبي ﷺ إليهم.

(يحبون من هاجر إليهم) أي يحبون إخوانهم المهاجرين، ويواسونهم بأموالهم، حتى إن أحدهم كان يقسم ماله بينه وبين أخيه من المهاجرين نصفين، ويقول له: هذا نصف مالي لك!! قال الخازن: وذلك أنهم أنزلوا المهاجرين في منازلهم، وأشركوهم في أموالهم. (ولا يجدون في صدورهم حاجة مما أوتوا) أي ولا يجد الأنصار، حزازة وغيظاً وحسداً مما أعطي المهاجرون من الغنيمة دونهم، قال المفسرون: أن رسول الله ﷺ قسم أموال بني النضير بين المهاجرين ولم يعط الأنصار منها شيئاً إلا ثلاثة منهم، فطابت أنفس الأنصار بتلك القسمة.

(ويؤثرون على أنفسهم ولو كان بهم خصاصة) أي يفضلون غيرهم بالمال على أنفسهم، ولو كانوا في غاية الحاجة والفاقة إليه، فإيثارهم ليس عن غنى عن المال، ولكنه عن حاجة وفقير، وذلك غاية الإيثار.

(ومن يوق شح نفسه فأولئك هم المفلحون) أي ومن حماه الله وسلم من البخل، فقد أفلح ونجح، والشح هو البخل الشديد، مع الجشع والطمع، وهو غريزة في النفس ولذلك أضيف إليها، قال ابن عمر: ليس الشح أن يمنع الرجل ماله، إنما الشح أن تطمع عينه فيما ليس له وفي الحديث: "واتقوا الشح فإن الشح أهلك من كان قبلكم، حملهم على أن سفكوا دماءهم، واستحلوا محارمهم" (2509).

(ألم تر إلى الذين نافقوا يقولون لإخوانهم الذين كفروا من أهل الكُتُبِ لئن أخرجتم لنخرجن معكم ولا نطيع فيكم أحداً أبداً وإن قوتلتم لننصرنكم والله يتشهد إنهم لكذِبُونَ (١١)

قوله تعالى (ألم تر إلى الذين نافقوا) - الآية.

1080. [ك] وأخرج ابن أبي حاتم عن السدي قال: «أسلم ناس من أهل قريظة وكان فيهم منافقون وكانوا يقولون: لأهل النضير لئن أخرجتم لنخرجن معكم فنزلت هذه الآية فيهم: (ألم تر إلى الذين نافقوا يقولون لإخوانهم) (2510)».

[تعليق]

ذكر المؤلف رحمه الله أثراً واحداً في سبب نزول هذه الآية، وهو يدل على أن سبب النزول في منافقي اليهود، وهذا الأثر مرسل والأرجح من ذلك أن يقال بأنها نزلت في المنافقين عموماً.

قال الإمام ابن الجوزي يعني: عبد الله بن أبي وأصحابه (يقولون لإخوانهم) في الدين، لأنهم كفار مثلهم، وهم اليهود (2511).

[تفسير مختصر للآية]

(ألم تر إلى الذين نافقوا) تعجيب من الله تعالى لرسوله من حال المنافقين، أي ألا تعجب يا محمد من شأن هؤلاء المنافقين، الذين أظهروا خلاف ما أضمروا؟!

(يقولون لإخوانهم الذين كفروا من أهل الكتاب) أي يقولون لليهود بني قريظة والنضير، الذين كفروا برسالة محمد ﷺ. (لئن أخرجتم لنخرجن معكم) أي لئن أخرجتم من المدينة لنخرجن معكم منها، قال في التسهيل: نزلت في (عبد الله بن أبي ابن سلول) وقوم من المنافقين، بعثوا إلى بني النضير وقالوا لهم: اثبتوا في حصونكم، فإننا معكم كيف ما تقلبت حالكم، وإنما جعل المنافقين إخوانهم لأنهم كفار مثلهم.

(2507) انظر شرح القسطلاني = إرشاد الساري لشرح صحيح البخاري (7/378)

(2508) عمدة القاري شرح صحيح البخاري (16/264) المؤلف: أبو محمد محمود بن أحمد بن موسى بن أحمد بن حسين الغيتابي الحنفي بدر الدين العيني (المتوفى: 855هـ)

الناشر: دار إحياء التراث العربي - بيروت عدد الأجزاء: 25 × 12

(2509) صفة التفاسير - للصابوني (3/332)

(2510) تفسير ابن أبي حاتم 10/3347 مرسل

(2511) زاد المسير (8/217)

(ولا نطيع فيكم أحدا أبدا) أي ولا نطيع أمر محمد في قتالكم، ولا نسمع من أحد، إذا أمرنا بخذلانكم.
(وإن قوتلتم لننصرنكم) أي ولئن قاتلكم أحد لنعاوننكم على عدوكم، ونكون بجانبكم
(والله يشهد أنهم لكاذبون) أي والله يشهد إن المنافقين لكاذبون فيما قال وه ووعدهم به.. ثم أخبر الله عن حال المنافقين بالتفصيل، فقال سبحانه:

(لئن أخرجوا لا يخرجون معهم) أي لئن أخرج اليهود لا يخرج المنافقون معهم.
(ولئن قوتلوا لا ينصرونهم) أي ولئن قوتل اليهود لا ينصرهم المنافقون ولا يقاتلون معهم، قال القرطبي: وفي هذا دليل على صحة نبوة محمد صلى الله عليه وسلم من جهة أمر الغيب، لأنهم أخرجوا فلم يخرجوا معهم، وقوتلوا فلم ينصروهم كما أخبر عنه القرآن.
(ولئن نصرهم ليولن الأديار ثم لا ينصرون) أي ولئن جاءوا لنصرتهم وقاتلوا معهم - على سبيل الفرض والتقدير - فسوف يهزمون، ثم لا ينفهم نصرة المنافقين، قال الإمام الفخر: أخبر تعالى أن هؤلاء اليهود لئن أخرجوا فإن المنافقين لا يخرجون معهم - وقد كان الأمر كذلك، فإن بني النضير لما أخرجوا لم يخرج معهم المنافقون وقوتلوا كذلك فما نصرهم - وأما قوله تعالى: (ولئن نصرهم) فهذا على سبيل الفرض والتقدير، أي بتقدير أنهم أرادوا نصرتهم، لا بد وأن يتركوا تلك النصرة وينهزموا⁽²⁵¹²⁾.
انتهت سورة الحشر

سُورَةُ الْمَمْتَحِنَةِ

(يَا أَيُّهَا الَّذِينَ آمَنُوا لَا تَتَّخِذُوا عَدُوِّي وَعَدُوَّكُمْ أَوْلِيَاءَ تُلْقُونَ إِلَيْهِم بِالْمُودَّةِ وَقَدْ كَفَرُوا بِمَا جَاءَكُمْ مِنَ الْحَقِّ يُخْرِجُونَ الرَّسُولَ وَإِيَّاكُمْ أَنْ تُؤْمِنُوا بِاللَّهِ رَبِّكُمْ إِنْ كُنْتُمْ حَرَجْتُمْ جِهَادًا فِي سَبِيلِي وَابْتِغَاءَ مَرْضَاتِي تُسِرُّونَ إِلَيْهِم بِالْمُودَّةِ وَأَنَا أَعْلَمُ بِمَا أَخْفَيْتُمْ وَمَا أَعْلَنْتُمْ وَمَنْ يَفْعَلْهُ مِنْكُمْ فَقَدْ ضَلَّ سَوَاءَ السَّبِيلِ (1))

قوله تعالى: (يا أيها الذين آمنوا لا تتخذوا عدوي وعدوكم أولياء) - الآية.

1081. أخرج الشيخان عن علي قال: «بعثنا رسول الله ﷺ أنا والزبير والمقداد بن الأسود فقال: «انطلقوا حتى تاتوا روضة خاخ، فإن بها طعينة معها كتاب فخذوه منها فتأوني به». فخرجنا حتى أتينا الروضة، فإذا نحن بالطعينة، فقلنا: أخرجي الكتاب، قالت: ما معي من كتاب فقلنا: لتخرجن الكتاب أو لنلقين الثياب، فأخرجته من عقاصها فأتينا به رسول الله ﷺ، فإذا هو من حاطب بن أبي بلتعة إلى ناس من المشركين بمكة يخبرهم ببعض أمر النبي ﷺ فقال: «ما هذا يا حاطب؟ قال: لا تعجل علي يا رسول الله، إني كنت ملصقا في قريش ولم أكن من أنفسها، وكان من معك من المهاجرين لهم قرابات يحمون بها أهلهم وأموالهم بمكة، فأحببت إذ فاتني ذلك من نسب فيهم أن أتخذ يدا يحمون بها قرابتي، وما فعلت ذلك كفرا ولا ارتدادا عن ديني ولا رضا بالكفر فقال: «النبي ﷺ صدق». وفيه أنزلت هذه السورة (يا أيها الذين آمنوا لا تتخذوا عدوي وعدوكم أولياء تلقون إليهم بالمودة)⁽²⁵¹³⁾».

[تعليق]

سورة الممتحنة سورة مدنية وهي في موضوعها نفس موضوع السور المدنية من إرساء الأحكام الشرعية، وقد عالجت قضية الولاء والبراء، وسميت بالممتحنة لأن الله عز وجل أنزل فيها آية الامتحان، والاختبار وهي قوله تعالى (يَا أَيُّهَا النَّبِيُّ إِذَا جَاءَكَ الْمُؤْمِنَاتُ يَبِيغُكَ عَلَى أَنْ لَا يُسْرِكَنَّ بِاللَّهِ شَيْبًا وَلَا يَسْرِفَنَّ وَلَا يُزْنِينَ وَلَا يَقْتُلْنَ أَوْلَادَهُنَّ وَلَا يَأْتِينَ بِبُهْتَانٍ يَفْتَرِينَهُ بَيْنَ أَيْدِيهِمْ وَأَرْجُلِهِمْ وَلَا يَعْصِيَنَّكَ فِي مَعْرُوفٍ فَبَايِعَهُنَّ وَأَسْتَغْفِرْ لَهُنَّ إِنَّ اللَّهَ غَفُورٌ رَحِيمٌ).
وقد ذكر المؤلف رحمه الله سبب نزول مطلع هذه السورة، وأنها نزلت في حاطب بن أبي بلتعة وهو ممن شهد بدرًا والمشاهد مع رسول الله، وقد أرسل رسالة إلى أهل مكة - مع امرأة يقال لها سارة من موالي قريش-⁽²⁵¹⁴⁾ يخبرهم بما عليه النبي

(2512)صفحة التفاسير - للصابوني (333 /3)

(2513) تفسير الطبري 58 /28 صحيح البخاري 3/1095 ح(2845) صحيح مسلم 4/1941 ح(2494) صحيح ابن حبان 14/424 ح(6499) سنن الترمذي 5/409 ح(3305) سنن البيهقي الكبرى 9/18215 سنن أبي داود 3/47 ح(2650) سنن النسائي الكبرى 6/487 ح(11585) مسند أحمد 1/79 ح(600) مسند الحميدي 1/27 ح(49) مسند أبي يعلى 1/316 ح(394) الأدب المفرد 156 ج: 1 ح(438) مسند عبد بن حميد 56 ج: 1 ح(83)

(2514) تفسير القرطبي - (50 /18) وقد ذكر الإمام التعليبي هذه القصة بالتفصيل فقال أن سارة مولاة أبي عمرو بن صيفي بن هاشم بن عبد مناف أتت رسول الله صلى الله عليه وسلم من مكة إلى المدينة بعد بدر بستين ورسول الله صلى الله عليه وسلم تجهز لفتح مكة فقال لها رسول الله صلى الله عليه وسلم: «أ مسلمة جنت؟» قالت: لا، قال: «أ مهاجرة جنت؟» قالت: لا، قال: «فما جاء بك؟» قالت: كنتم الأصل والعشيرة والموالي وقد ذهبت موالي واحتجت حاجة شديدة فقدمت عليكم لتعطوني وتكسوني وتحملوني، فقال لها: «فأين أنت من شباب مكة؟» وكانت مغنية نائحة قالت: ما طلب مني شيء بعد وقعة بدر، فحث رسول الله صلى الله عليه وسلم عليها بني عبد المطلب وبني المطلب فكسوها وحملوها وأعطوها نفقة، فأتاها حاطب بن أبي بلتعة حليف بني أسد بن عبد العزى فكتب معها إلى أهل مكة وأعطاهم عشرة دنانير، هذه رواية باذان عن ابن عباس، وقال مقاتل بن حيان: أعطاهم عشرة دراهم، قالوا: وكساها بردا علم أن يوصل الكتاب إلى أهل مكة، وكتب في الكتاب: (من حاطب بن أبي بلتعة إلى أهل مكة، أن رسول الله صلى الله عليه وسلم يريدكم فخذوا حذرکم) فخرجت سارة ونزل جبرائيل فأخبر النبي صلى الله عليه وسلم بما فعل، فبعث رسول الله صلى الله عليه وسلم عليًا وعمر والزبير وطلحة والمقداد بن الأسود وأبا مريد وكانوا كلهم فرسانا، وقال لهم: «انطلقوا حتى تاتوا روضة خاخ فإن بها طعينة معها كتاب من حاطب إلى المشركين فخذوه منها وخذوا سبيلها، وإن لم تدفعه إليكم فاضربوا عنقها».

قال: فخرجوا حتى أدركوها في ذلك المكان الذي قال رسول الله صلى الله عليه وسلم، فقالوا لها: أين الكتاب؟ فحلفت بالله ما معها من كتاب، فحثوها وفتشوا متاعها فلم يجدوا معها كتابا فهموا بالرجوع فقال علي رضي الله عنه والله ما كذبنا ولا كذبنا وسل سيفه وقال: أخرجي الكتاب وإلا والله جردتك ولأضربن عنقك. فلما رأت الجد أخرجت من ذواتها قد خبأتها في شعرها، فخلوا سبيلها ولم يعترضوا لها ولا لمن معها ورجعوا بالكتاب إلى رسول الله صلى الله عليه وسلم، فأرسل رسول الله صلى الله عليه وسلم إلى

(433)

□ من إرادة غزوهم، فنزل الوحي على النبي □ يخبره خبر حاطب، وخبر الخطاب الذي أرسله إلى أهل مكة، وقد عذر حاطب في إرسال ذلك الخطاب أنه لم يكن من قريش، فخاف على أهل أن يصيبهم مكروه إذا ما انتصرت قريش على النبي □، ولم يكن ارتد عن الإسلام أو فعل ذلك كراهية للدين، فنزلت الآيات أمرة له ولغيره بأن لا يتخذوا عدو الله وعدوه أولياء. وهذا الأثر الذي ذكره المؤلف لم أجد أحداً من أهل التفسير ذكر غيره في سبب نزول هذه الآية، ومعنى الآية العموم وإن كان خاص السبب والله تعالى أعلم.

[تفسير مختصر للآية]

(يا أيها الذين آمنوا لا تتخذوا عدوي وعدوكم أولياء) أي يا معشر المؤمنين، يا من صدقتم بالله ورسوله، لا تتخذوا الكفار الذين هم أعدائي وأعداؤكم، أصدقاء وأحباء، فإن من علامة الإيمان، بغض أعداء الله لا مودتهم وصدافتهم، قال في التسهيل: نزلت عتاباً لحاطب وزجراً عن أن يفعل أحد مثل فعله، وفيها مع ذلك تعريف له، لأن الله شهد له بالإيمان في قوله: (يا أيها الذين آمنوا). (تلفون إليهم بالمودة) أي تحبونهم وتودونهم وتصادقونهم، مع أنهم أعداء ألداء لكم، قال القرطبي: أي تخبرونهم بسرائر المسلمين وتتصون لهم.

(وقد كفروا بما جاءكم من الحق) أي والحال أنهم كافرون بدينكم، وبقرآنكم الذي أنزله الله عليكم، بالحق الواضح، والبرهان الساطع. (يخرجون الرسول وإياكم) أي يخرجون محمداً من مكة ظلماً وعدواناً، كما يخرجون أيضاً منها المؤمنين، وقدم الرسول تشریفاً له ولأنه الأصل للمؤمنين، ومعنى إخراجهم أنهم ضيقوا عليهم وأذوهم، حتى خرجوا منها مهاجرين إلى المدينة (أن تؤمنوا بالله ربكم) أي من أجل أنكم آمنتم بالله الواحد الأحد، كقوله تعالى: (وما نقموا منهم إلا أن يؤمنوا بالله العزيز الحميد). (إن كنتم خرجتم جهاداً في سبيلي وابتغاء مرضاتي) شرط حذف جوابه أي إن كنتم خرجتم مجاهدين في سبيل الله، طلباً لرضوانه، فلا تتخذوا عدوي وعدوكم أولياء، قال الألوسي: وجواب الشرط محذوف رد عليه ما تقدم كأنه قيل: لا تتخذوا أعدائي إن كنتم أوليائي.

(تسرون إليهم بالمودة وأنا أعلم بما أخفيتم وما أعلنتم) أي تسرون إليهم بالنيحة وأنا العالم بسريرتكم وعلانيتكم، لا يخفى على شيء من أحوالكم؟ والغرض منه التوبيخ والعتاب. (ومن يفعله منكم فقد ضل سواء السبيل) أي ومن يصادق أعداء الله، ويفش أسرار الرسول، فقد حاد عن طريق الحق والصواب (2515).

(لَا يَنْهَاكُمْ اللَّهُ عَنِ الَّذِينَ لَمْ يُقْتَلُوا فِي الدِّينِ وَلَمْ يُخْرِجُوا مِّنْ دِينِكُمْ أَن تَبَرُّوهُمْ وَتُقْسِطُوا إِلَيْهِمْ إِنَّ اللَّهَ يُحِبُّ
الْمُقْسِطِينَ) (٨)

قوله تعالى: (لا ينهاكم الله عن الذين لم يقاتلوكم) - الآية.

1082. وأخرج البخاري عن أسماء بنت أبي بكر قالت: « أتتني أمي رغبة، فسألت النبي □ أصلها؟ قال: « نعم ». فأنزل الله فيها: (لا ينهاكم الله عن الذين لم يقاتلوكم في الدين) (2516).

1083. وأخرج أحمد والبخاري عن عبد الله بن الزبير قال: « قدمت فتيلة على ابنتها أسماء بنت أبي بكر، وكان أبو بكر طلقها في الجاهلية، فقدمت على ابنتها بهدايا، فأبى أسماء أن تقبلها منها أو تدخلها منزلها حتى أرسلت إلى عائشة أن سلمي عن هذا رسول الله □، فأخبرته فأمرها أن تقبل هداياها وتدخلها منزلها، فأنزل الله: (لا ينهاكم الله عن الذين لم يقاتلوكم في الدين) - الآية (2517).

[تعليق]

ذكر المؤلف رحمه الله أن هذه الآية نزلت في أم أسماء بنت أبي بكر عندما جاءت أمها وهي كافرة فسألت النبي □ عن حكم صلتها وهي على حالها من الكفر، فنزلت الآية مبينة أن البر والإحسان إلى الأقارب وغيرهم ليس من المولاة في الدين، فأباح الله لها أن تصل أمها وهي كافرة. وقد ورد في سبب نزول الآية غير ما ذكره المؤلف عدة أسباب.

فالسبب الثاني رواه الإمام الثعلبي: عن ابن عباس: نزلت في خزاعة منهم هلال بن عديم وخزيمة ومزلقة بن مالك بن جعشم وبنو مدلج وكانوا صالحوا النبي صلى الله عليه وسلم على أن لا يقاتلوه ولا يعينوا عليه أحد (2518).

حاطب فاتاه، فقال له: « هل تعرف الكتاب؟ » قال: نعم، قال: « فما حملك على ما صنعت؟ » =

-فقال: يا رسول الله والله ما كفرت منذ أسلمت ولا غشيتك منذ نصحتك ولا أحببتهم منذ فارقتهم، ولكن لم يكن أحد من المهاجرين إلا وله بمكة من يمنع عشيرته، وكنت عزيزاً فيهم، وكان أهلي بين ظهرانيهم، فخشيت على أهلي فأردت أن أتخذ عندهم يداً، وقد علمت أن الله ينزل بهم بأسه، وأن كتابي لا يغني عنهم شيئاً. فصَدَّقَهُ رسول الله صلى الله عليه وسلم وعذره، فقام عمر بن الخطاب رضي الله عنه فقال: يا رسول الله دعني أضرب عنق هذا المنافق فقال رسول الله صلى الله عليه وسلم: « و ما يدريك يا عمر لعل الله قد أطلع على أهل بدر فقال لهم أعملوا ما شئتم فقد غفرت لكم » الكشف والبيان عن تفسير القرآن (9/ 291) (2515) صفوة التفاسير - للصابوني (3/ 338)

(2516) صحيح البخاري 2/924 ح (2477) صحيح مسلم 2/696 ح (1003) صحيح ابن حبان 2/197 ح (452) سنن البيهقي الكبرى 4/191 ح (7632) مسند الشافعي 100 سنن أبي داود 2/127 ح (1668) مصنف عبد الرزاق 6/38 ح مسند أحمد 6/344 ح (26958) مسند الحميدي 1/152 ح (318) مسند إسحاق 2/ 297 ح (818) مسند الطيالسي 1/228 ح (1643) المعجم الكبير 24/78 ح (203) الأدب المفرد 1/23 ح (25) (2517) مسند أحمد 4/4 ح (16156) المستدرک للحاکم 2/527 ح (3804) مسند البزار 6/167 ح (2208) في إسناده مصعب بن ثابت ضعيف قال الحافظ: ابن الحديث (2518) الكشف والبيان عن تفسير القرآن (9/ 294)

والتالث: رواه كذلك قال: وقال مرة الهمداني وعطية العوفي: نزلت في قوم من بني هاشم منهم العباس⁽²⁵¹⁹⁾.
والرابع: ذكره الإمام ابن الجوزي: أنها عامة في جميع الكفار، وهي منسوخة بقوله تعالى (فاقتلوا المشركين حيث وجدتموهم) (التوبة: 5) قاله قتادة⁽²⁵²⁰⁾.
والخامس: أنها نزلت في النساء والصبيان⁽²⁵²¹⁾. قلت: وكونها نزلت في النساء والصبيان لأنهم ليس من أهل القتال فيجوز صلتهم وبرهم والله أعلم.
قلت: القول بأن الآية نزلت على سبب هو الأرجح وذلك لصحة الأثر الوارد في ذلك، ولكن المعنى عام فيجوز صلة ما كان حاله على ما ذكر في أسباب النزول والله تعالى أعلم.

[تفسير مختصر للآية]

(لا ينهاكم الله عن الذين لم يقاتلوكم في الدين ولم يخرجوكم من دياركم أن تبروهم) أي لا ينهاكم عن البر بهؤلاء، الذين لم يحاربوكم لأجل دينكم، ولم يخرجوكم من أوطانكم كالنساء والصبيان، ولقطة (أن تبروهم) في موضع جر بـ " عن " أي لا ينهاكم جل وعلا عن البر والإحسان لهؤلاء.
(وتقسطوا إليهم) أي تعدلوا معهم.
(إن الله يحب المقسطين) أي يحب العادلين في جميع أمورهم وأحكامهم⁽²⁵²²⁾.

(يَا أَيُّهَا الَّذِينَ ءَامَنُوا إِذَا جَاءَكُمْ الْمُؤْمِنَاتُ مُهَجَّرَاتٌ فَامْتَحِنُوهُنَّ اللَّهُ أَعْلَمُ بِإِيمَانِهِنَّ فَإِنْ عَلِمْتُمُوهُنَّ مُؤْمِنَاتٌ فَلَا تَرْجِعُوهُنَّ إِلَى الْكُفَّارِ لَا هُنَّ حَلٌّ لَهُمْ وَلَا هُمْ يَحِلُّونَ لَهُنَّ وَءَاثُوهُمْ مَّا أَنفَقُوا وَلَا جُنَاحَ عَلَيْكُمْ أَنْ تَنْكِحُوهُنَّ إِذَا ءَاتَيْتُمُوهُنَّ أَجُورَهُنَّ وَلَا تُمْسِكُوا بِعِصَمِ الْكُوفَرِ وَسَلُّوا مَّا أَنفَقْتُمْ وَلَيْسَلُّوا مَّا أَنفَقُوا ذَلِكَ حُكْمُ اللَّهِ يَحْكُمُ بَيْنَكُمْ وَاللَّهُ عَلِيمٌ حَكِيمٌ (١٠)

قوله تعالى: (يا أيها الذين آمنوا إذا جاءكم المؤمنات مهاجرات فامتحنوهن) - الآية.

1084. [ك] وأخرج الشيخان عن المسور ومروان بن الحكم: « أن رسول الله ﷺ لما عاهد كفار قريش يوم الحديبية جاءه نساء من المؤمنات، فأنزل الله: (يا أيها الذين آمنوا إذا جاءكم المؤمنات مهاجرات) - إلى قوله: (ولا تمسكوا بعصم الكوافر)⁽²⁵²³⁾ ».

1085. [ك] وأخرج الطبراني بسند صحيح عن عبد الله بن أبي أحمد قال: « هاجرت أم كلثوم بنت عقبة بن أبي معيط في الهدنة، فخرج أخوها عمارة والوليد ابنا عقبة حتى قدما على رسول الله ﷺ وكلماه في أم كلثوم أن يردها إليهم، فنقض الله العهد بينه وبين المشركين خاصة في النساء، ومنع أن يرددن إلى المشركين، فأنزل الله آية الامتحان⁽²⁵²⁴⁾ ».

1086. [ك] وأخرج ابن أبي حاتم عن يزيد بن أبي حبيب: « أنه بلغه أنها نزلت في أميمة بنت بشر امرأة أبي حسان الدحداحة⁽²⁵²⁵⁾ ».

1087. [ك] وأخرج عن مقاتل: « أن امرأة تسمى سعيدة كانت تحت صيفي بن الراهب وهو مشرك من أهل مكة جاءت زمن الهدنة، فقالوا: ردها علينا فنزلت⁽²⁵²⁶⁾ ».

1088. [ك] وأخرج ابن جرير عن الزهري: « أنها نزلت عليه وهو بأسفل الحديبية، وكان صالحهم أن من أتاه منهم رد إليهم، فلما جاءه النساء، نزلت هذه الآية⁽²⁵²⁷⁾ ».

1089. [ك] وأخرج ابن منيع من طريق الكلبي عن أبي صالح عن ابن عباس قال: « أسلم عمر بن

(2519) المصدر السابق

(2520) زاد المسير (8/ 237)

(2521) زاد المسير (8/ 237)

(2522) صفة التفسير - للصابوني (3/ 340)

(2523) أخرجه البخاري مطولا بلفظ: « لما كاتب سهيل بن عمرو يومئذ كان فيما اشترط سهيل بن عمرو على النبي ﷺ : أنه لا يأتيك منا أحد وإن كان على دينك إلا رددته إلينا وخليت بيننا وبينه، فكره المؤمنون ذلك وامتعضوا منه وأبى سهيل إلا ذلك، فكاتبه النبي ﷺ على ذلك، فرد يومئذ أبا جندل إلى أبيه سهيل بن عمرو، ولم يأت أحد من الرجال إلا رده في تلك المدة وإن كان مسلما، وجاء المؤمنات مهاجرات، وكانت أم كلثوم بنت عقبة بن أبي معيط ممن خرج إلى رسول الله ﷺ يومئذ وهي عاتق، فجاء أهلها يسألون النبي ﷺ أن يرجعها إليهم، فلم يرجعها إليهم لما أنزل الله فيهن: { إذا جاءكم المؤمنات مهاجرات فامتحنوهن الله أعلم بإيمانهن } إلى قوله { ولا هم يحلون لهن } قال عروة: فأخبرتني عائشة أن رسول الله ﷺ كان يمتحنهن بهذه الآية { يا أيها الذين آمنوا إذا جاءكم المؤمنات مهاجرات فامتحنوهن } إلى { غفور رحيم } قال عروة: قالت عائشة: فمن أقر بهذا الشرط منهن قال لها رسول الله ﷺ : « قد بايعتكم ». كلاما يكلمها به والله ما مست يده يد امرأة قط في المبايعه وما بايعهن إلا بقوله بقوله: « صحيح البخاري 1532/ 4 ح (3945) سنن أبي داود 3/ 85 ح (2765) سنن النسائي 5/ 169 ح (2771) مسند أحمد 4/ 328 ح (18948) صحيح ابن حبان 11/ 216 ح (4872) صحيح ابن خزيمة 290/ 4 ح (2907) سنن البيهقي الكبرى 9/ 218 ح (18587) مسند أبي يعلى 1/ 44 ح (42) المعجم الكبير 20/ 9 ح (13) المنتقى من السنن المسندة 133 ح (505) الأحاد والمثاني 1/ 395 ح (550) بعضهم مطولا وبعضهم مختصرا

(2524) الأحاد والمثاني 1/ 433 ح (609) الطبراني ولم أجده في الكتب المسنده عنده في المعجم، وفي إسناد عبد العزيز بن عمران ضعيف، وأخرجه المحاملي في أماليه 382

1/ وفي إسناد عبد الله بن شبيب، قال الحافظ في لسان الميزان واه، وأيضا فيه عبد الجبار بن سعيد له منكر

(2525) تفسير ابن أبي حاتم 10/ 3349 مرسل.

(2526) تفسير ابن أبي حاتم 10/ 3350 مرسل.

(2527) تفسير الطبري 28/ 70 مرسل صحيح الإسناد

الخطاب، فتأخرت امرأته في المشركين، فأنزل الله: (ولا تمسكوا بعصم الكوافر)⁽²⁵²⁸⁾ .».

[تعليق]

ذكر المؤلف رحمه عدة آثار في سبب نزول هذه الآية، وهذه الآية نزلت بعد صلح الحديبية وكان من شروط ذلك الصلح أن من جاء محمداً بعد هذه الصلح من المسلمين رده إليهم، فأقر الله الصلح لكنه استثنى من ذلك المؤمنات اللاتي يأتين النبي □ . وقد اختلفت أسباب النزول اختلاف تنزوع لا اختلاف تضاد. فالأثر الأول: جاء بصيغة العموم أن نساء أتين النبي □ . والثاني: جاءت تسمية امرأة وهي أم كلثوم بنت عقبة. والثالث: أميمة بنت بشر. والرابع: سعيده.

قلت: ولا خلاف البتة بين هذه الآثار فمن هاجر إلى النبي □ عدة نساء أبهم بعضهم وبين بعضهم. أما الأثر الأخير: فهو متعلق بقوله تعالى (ولا تمسكوا بعصم الكوافر) وفيه أنها نزلت في عمر بن الخطاب مع زوجته وكانت مشركة فأمر الله تعالى أن يفارق المرأة الكافرة. وقد استثنى الله تعالى من هذه الآية نساء أهل الكتاب فأباح الزواج بهن بشرط العفاف، وقد تكلمنا عن هذه المسألة في سورة المائدة.

[تفسير مختصر للآية]

(يا أيها الذين آمنوا إذا جاءكم المؤمنات مهاجرات فامتحنوهن) أي اختبروهن لتعلموا صدق إيمانهن قال ابن عباس: كانت المرأة تستحلف أنها ما هاجرت بغضا لزوجها، ولا طمعا في الدنيا، وأنها ما خرجت إلا حبا لله ورسوله، ورغبة في دين الإسلام. (الله أعلم بإيمانهن) أي الله أعلم بصدقهن في دعوى الإيمان، لأنه تعالى المطلع على قلوبهن، والجملة اعتراضية لبيان أن هذا الامتحان بالنسبة للمؤمنين، وإلا فالله عالم بالسرائر، لا تخفى عليه خافية. (فإن علمتموهن مؤمنات فلا ترجعوهن إلى الكفار) أي فإن تحققت إيمانهن بعد امتحانهن، فلا تردوهن إلى أزواجهن الكفار. (لا هن حل لهم ولا هم يحلون لهن) أي لا تحل المؤمنة للمشرك، ولا يحل للمؤمن نكاح المشركة، قال الألويسي: والتكرير للتأكيد والمبالغة في الحرمة، وقطع العلاقة بين المؤمنة والمشرك. (وآتوهن ما أنفقوا) أي أعطوا أزواجهن الكفار ما أنفقوا عليهم من المهور، قال في البحر: أمر أن يعطى الزوج الكافر، ما أنفق على زوجته إذا أسلمت، فلا يجمع عليه خسران الزوجة والمالية. (ولا جناح عليكم أن تنكحوهن إذا آتيتوهن أجورهن) أي ولا حرج ولا إثم عليكم أن تتزوجوا هؤلاء المهاجرات، إذا دفعتم لهن مهورهن، قال الخازن: أباح الله للمسلمين نكاح المهاجرات، من دار الحرب إلى دار الإسلام - وإن كان لهن أزواج كفار - لأن الإسلام فرق بينهن وبين أزواجهن الكفار، وتوقع الفرقة بانقضاء عدتها. (ولا تمسكوا بعصم الكوافر) أي ولا تتمسكوا بعقود زوجاتكم الكافرات، فليس بينكم وبينهن عصمة، ولا علاقة زوجية، قال القرطبي: المراد بالعصمة هنا النكاح، يقول: من كانت له امرأة كافرة بمكة، فلا يعتد بها فليست امرأته، فقد انقطعت عصمتها لإختلاف الدارين.

(وأسألوا ما أنفقتم وليسألوا ما أنفقوا) أي اطلبوا يا أيها المؤمنون ما أنفقتم من المهر، إذا لحقت أزواجكم بالكفار، وليطلبوا هم - أي المشركون " ما أنفقوا على أزواجهن المهاجرات، قال ابن العربي: كان من ذهب من المسلمات مرتدا في إلى الكفار، يقال للكفار: هاتوا مهرها، ولقال للمسلمين إذا جاءت إحدى الكافرات مسلمة مهاجرة: ردوا إلى الكفار مهرها، وكان ذلك نكاحا وعدلا بين الحالتين.

(ذلكم حكم الله يحكم بينكم) أي ذلكم هو شرع الله وحكمه العادل، بينكم وبين أعدائكم (والله عليكم حكيم) أي عليم بمصالح العباد، حكيم في تشريعه لهم، يشرع ما تقتضيه الحكمة البالغة⁽²⁵²⁹⁾.

(وَإِنْ فَاتَكُمْ شَيْءٌ مِنْ أَزْوَاجِكُمْ إِلَى الْكُفَّارِ فَعاقِبْتُمْ فَاتُوا الَّذِينَ دَهَبَتْ أَرْوَاجُهُمْ مِثْلَ مَا أَنْفَقُوا وَأَنْفُوا اللَّهُ الَّذِي أَنْتُمْ بِهٖ مُؤْمِنُونَ (١١)

قوله تعالى: (وإن فاتكم شيء من أزواجكم) - الآية.

1090. [ك] وأخرج ابن أبي حاتم عن الحسن في قوله: (وإن فاتكم شيء من أزواجكم) - الآية قال: « نزلت في أم الحكم بنت أبي سفيان ارتدت فتزوجها رجل ثقيفي ولم ترتد امرأة من قريش غيرها⁽²⁵³⁰⁾ .».

[تعليق]

ذكر المؤلف رحمه الله هذا الأثر في سبب نزول هذه الآية، وأنه نزلت في أم الحكم بن أبي سفيان - وهي ممن ارتد عن الإسلام - فأنزل الله الآية إخباراً للمؤمنين بأن من فاتهم من نساءهم ممن ارتد عن الإسلام فقد أمر الله بأن يعوض عن فوات زوجته

(2528) ضعيف جداً. وليس عندي مسند ابن منيع.

(2529) صفوة التفسير - للصابوني (3/341)

(2530) تفسير ابن أبي حاتم 10/3350 مرسل.

من الغنائم التي يغنمها المسلمون. واسم هذا الرجل المبهم في هذا الأثر عياض بن غنم⁽²⁵³¹⁾. وقد وجدت في سبب نزولها غير ما ذكره المؤلف ما ذكره الإمام القرطبي في تفسيره قوله تعالى: (وَإِنْ فَاتَكُمْ شَيْءٌ مِنْ أَرْوَاجِكُمْ) في الخبر: أن المسلمين قالوا: رضينا بما حكم الله؛ وكتبوا إلى المشركين فامتنعوا فنزلت: (وَإِنْ فَاتَكُمْ شَيْءٌ مِنْ أَرْوَاجِكُمْ إِلَى الْكُفَّارِ فَعاقِبْتُمْ فَاتُوا الَّذِينَ ذَهَبَتْ أَرْوَاجُهُمْ مِثْلَ مَا أَنْفَقُوا). وروى الزهري عن عروة عن عائشة رضي الله عنها قالت: حكم الله عز وجل بينكم فقال جل ثناؤه: (وَاسْأَلُوا مَا أَنْفَقْتُمْ وَلَيْسَ أَلْوَا مَا أَنْفَقُوا) فكتب إليهم المسلمون: قد حكم الله عز وجل بيننا بأنه إن جاءتكم امرأة منا أن توجهوا إلينا بصدقتها، وإن جاءتنا امرأة منكم وجهنا إليكم بصدقتها. فكتبوا إليهم: أما نحن فلا نعلم لكم عندنا شيئاً، فإن كان لنا عندكم شيء فوجهوا به، فأُنزل الله عز وجل: (وَإِنْ فَاتَكُمْ شَيْءٌ مِنْ أَرْوَاجِكُمْ إِلَى الْكُفَّارِ فَعاقِبْتُمْ فَاتُوا الَّذِينَ ذَهَبَتْ أَرْوَاجُهُمْ مِثْلَ مَا أَنْفَقُوا)⁽²⁵³²⁾.

قلت: الآية فيها بيان حكم من ارتد من المسلمات عن الإسلام وأنه يجب على إمام المسلمين أن يعرض زوجها ما فاته من فوات زوجه من غنائم المسلمين أو مما يفئ الله به على المسلمين والله تعالى أعلم.

[تفسير مختصر للآية]

(وإن فاتكم شيء من أرواجكم إلى الكفار) أي وإن فرت زوجة أحد من المسلمين ولحقت بالكفار (فعاقبتم) أي فغزوتهم وغنمتم وأصبتم من الكفار غنيمة. (فاتوا الذين ذهب أرواجهم مثل ما أنفقوا) أي فأعطوا لمن فرت زوجته، مثل ما أنفق عليها من المهر، من الغنيمة التي بأيديكم، قال ابن عباس: يعني إن لحقت امرأة رجل من المهاجرين بالكفار، أمر له رسول الله ﷺ أن يعطى مثل ما أنفق من الغنيمة. (واتقوا الله) أي وراقبوا الله في أقوالكم وأفعالكم، واحذروا عذابه وانتقامه إن خالفتم أوامره (الذي أنتم به مؤمنون) أي الذي أمنتم وصدقتم بوجوده، فإن من مستلزمات الإيمان تقوى الرحمن⁽²⁵³³⁾.

(يَا أَيُّهَا الَّذِينَ آمَنُوا لَا تَتُولُوا قَوْمًا غَضِبَ اللَّهُ عَلَيْهِمْ قَدْ يَئِسُوا مِنَ الْآخِرَةِ كَمَا يَئِسَ الْكُفَّارُ مِنْ أَصْحَابِ الْقُبُورِ)

قوله تعالى: (يا أيها الذين آمنوا لا تتولوا قوماً غضب الله عليهم) - الآية.

1091. [ك] وأخرج ابن المنذر من طريق ابن إسحاق عن محمد بن عكرمة وأبو سعيد عن ابن عباس قال: « كان عبد الله بن عمر بن زيد بن الحارث يوادان رجلاً من يهود، فأنزل الله: (يا أيها الذين آمنوا لا تتولوا قوماً غضب الله عليهم) - الآية⁽²⁵³⁴⁾». »

[تعليق]

ذكر المؤلف رحمه الله أثراً واحداً في سبب نزول هذه الآية، وهو ختام لهذه السورة بالنهاي عن موالات اليهود، فابتدأ السورة بالنهاي عن موالات أعداء الله من المشركين واختتمها بالنهاي عن موالات اليهود، حتى يشمل الحكم كل من عادي الله تعالى من المشركين واليهود والنصارى، وقد وصف الله تعالى اليهود بأنه مضغوب عليهم في غير آية وقد تحدثت عن ذلك مراراً.

[تفسير مختصر للآية]

(يا أيها الذين آمنوا لا تتولوا قوماً غضب الله عليهم) أي لا تصادقوا يا معشر المؤمنين الكفرة أعداء الدين، ولا تتخذوهم أصدقاء وأصدقاء تولونهم، وتأخذون بأرائهم، فإنهم قوم غضب الله عليهم ولعنهم، قال الحسن البصري: هم اليهود لقوله تعالى: (غير المغضوب عليهم) وقال ابن عباس: هم كفار قريش لأن كل كافر عليه غضب من الله، والظاهر أن الآية عامة كما قال ابن كثير: يعني اليهود والنصارى وسائر الكفار، ممن غضب الله عليه ولعنه. (قد يئسوا من الآخرة) أي أولئك الفجار الذين يئسوا من ثواب الآخرة ونعيمها. (كما يئس الكفار من أصحاب القبور) أي كما يئس الكفار المكذبون بالبعث والنشور، من أمواتهم أن يعودوا إلى الحياة مرة ثانية، بعد أن يموتوا، فقد كانوا يقولون إذا مات لهم قريب أو صديق: هذا آخر العهد به، ولن يبعث أبداً⁽²⁵³⁵⁾.

انتهت سورة الممتحنة

سُورَةُ الصَّفِّ

(سَبَّحَ لِلَّهِ مَا فِي السَّمَوَاتِ وَمَا فِي الْأَرْضِ وَهُوَ الْعَزِيزُ الْحَكِيمُ ۝ ١ يَا أَيُّهَا الَّذِينَ ءَامَنُوا لِمَ تَقُولُونَ مَا لَا تَفْعَلُونَ ۚ كَبُرَ مَقْتًا عِنْدَ اللَّهِ أَنْ تَقُولُوا مَا لَا تَفْعَلُونَ ۚ)

⁽²⁵³¹⁾ زاد المسير (8/ 243)

⁽²⁵³²⁾ تفسير القرطبي - (18/ 69)

⁽²⁵³³⁾ صفوة التفسير - للصابوني (3/ 341)

⁽²⁵³⁴⁾ ضعيف لجهالة محمد بن أبي محمد تقدم مرات

⁽²⁵³⁵⁾ صفوة التفسير - للصابوني (3/ 343)

قوله تعالى: (سبح لله ما في السموات وما في الأرض) - الآية.

1092. أخرج الترمذي والحاكم وصححه عن عبد الله بن سلام قال: « قعدنا نفرأ من أصحاب رسول الله □ فتذاكرنا، فقلنا: لو نعلم أي الأعمال أحب إلى الله لعلمناه، فأنزل الله: (سبح لله ما في السموات وما في الأرض وهو العزيز الحكيم يا أيها الذين آمنوا لم تقولون ما لا تفعلون) - فقرأها علينا رسول الله □ حتى ختمها (2536) ».

1093. [ك] وأخرج ابن جرير عن ابن عباس نحوه (2537).

[تعليق]

سورة الصف سورة مدنية في قول الجميع غير أن الإمام القرطبي ذكر خلافاً بأنها مكية وهو مخالف لما عليه جماهير أهل التفسير، وهي في موضوعها ومحورها تتحدث عن الجهاد وفضيلته وما عليه أهل الكفر والشرك من إرادة أطفاء نور الحق، لكن الله تعالى مظهر دينه وشرعه ولو كره الكافرون. وذكر المؤلف أثرين في أن سبب نزول هذه السورة في صحابة رسول الله حين تمنوا أن يعرفوا أحب الأعمال إلى الله تعالى فيعملوا بها.

وقد ظهر ذلك جلياً في غير ما حديث من أحاديث النبي □ .

وفي الصحيحين عن ابن مسعود، رضي الله عنه، قال: سألت رسول الله □: أي العمل أحب إلى الله؟ قال: " الصلاة على وقتها". قلت: ثم أي؟ قال: " بر الوالدين" قلت: ثم أي؟ قال: " الجهاد في سبيل الله" قال ابن مسعود: حدثني بهن رسول الله □ ولو استزددته لزادني (2538).

وفي صحيح الإمام مسلم عن عائشة، أن رسول الله □ سئل: أي العمل أحب إلى الله؟ قال: " أدومه وإن قل " (2539).

وفي سنن الإمام الترمذي عن ابن عباس قال: قال رجل: يا رسول الله أي العمل أحب إلى الله؟ قال: الحال المرتحل قال: وما الحال المرتحل؟ قال: الذي يضرب من أول القرآن إلى آخره كلما حل ارتحل (2540).

إلى غير ذلك من الأحاديث التي كان الصحابة يسألون فيها رسول الله □ عن أحب الأعمال إلى الله تعالى. لكن بالطبع الآية نزلت فيمن لا يوفي بما يقول ويسأل عنه منهم، وقد خاطبهم الله تعالى بلفظ الإيمان (يا أيها الذين آمنوا) حتى يعرف أنه باب من أبواب التقصير وليس الخروج من الإيمان والله تعالى أعلم.

وقد ورد في سبب نزول هذه الآية عدة أسباب غير ما ذكره المؤلف.

الثاني: ما أخرجه الإمام العز بن عبد السلام أن الرجل كان يجيء إلى النبي □، فيقول: فعلت كذا وكذا، وما فعل، فنزلت (لم تقولون ما لا تفعلون) رواه عكرمة عن ابن عباس، وكذلك قال الضحاك: كان الرجل يقول: قاتلت، ولم يقاتل، وطعنت، ولم يطعن، وصبرت، ولم يصبر، فنزلت هذه الآية (2541).

الثالث: ما أخرجه الإمام ابن جرير عن ابن عباس في قوله: (يَا أَيُّهَا الَّذِينَ آمَنُوا لِمَ تَقُولُونَ مَا لَا تَفْعَلُونَ) قال: كان ناس من المؤمنين قبل أن يفرض الجهاد يقولون: لَوَدِدْنَا أَنَّهُ - عز وجل- دلنا على أحب الأعمال إليه، فنعمل به. فأخبر الله نبيه أن أحب الأعمال إيمان به لا شك فيه، وجاهد أهل معصيته الذين خالفوا الإيمان ولم يقرؤا به. فلما نزل الجهاد كره ذلك أناس من المؤمنين، وشق عليهم أمره، فقال الله سبحانه: (يَا أَيُّهَا الَّذِينَ آمَنُوا لِمَ تَقُولُونَ مَا لَا تَفْعَلُونَ) (2542).

الرابع: ما أخرجه الإمام الثعلبي بسنده عن سعيد بن المسيب عن مهيب قال: كان رجل يوم بدر قد أذى المسلمين ونهاهم فقتله صهيب في القتال، فقال رجل: يا رسول الله قتلت فلانا ففرح بذلك رسول الله صلى الله عليه وسلم، فقال عمرو بن عبد الرحمن لصهيب: أخبر النبي صلى الله عليه وسلم أنك قتلته فأن فلانا ينتحله، فقال صهيب: إنما قتلته الله تعالى ولرسوله، فقال عمرو بن عبد الرحمن: يا رسول الله قتله صهيب، قال: كذلك يا أبا يحيى؟ قال: نعم يا رسول الله، فأنزل الله سبحانه (يَا أَيُّهَا الَّذِينَ آمَنُوا لِمَ تَقُولُونَ مَا لَا تَفْعَلُونَ) والآية الأخرى (2543).

الخامس: ما أخرجه الإمام الطبري: قال ابن زيد، في قول الله (كَبُرَ مَقْتًا عِنْدَ اللَّهِ أَنْ تَقُولُوا مَا لَا تَفْعَلُونَ) يقولون للنبي صلى الله عليه وسلم وأصحابه: لو خرجتم خرجنا معكم، وكنا في نصركم، وفي، وفي؛ فأخبرهم أنه (كَبُرَ مَقْتًا عِنْدَ اللَّهِ أَنْ تَقُولُوا مَا لَا تَفْعَلُونَ) (2544).

السادس: ذكره الإمام الثعلبي قال: وقال ميمون بن مهران: نزلت في الرجل يقرض نفسه بما لم يفعله نظيره ويحبون أن يحمدا عما لم يفعلوا (2545).

قلت: رجح الإمام ابن جرير القول الأول في سبب نزول هذه الآية وهو في قول الصحابة لم نعلم أي الأعمال أحب إلى الله عملنا به. وهذا القول هو أشمل الأقوال، فالأعمال يدخل فيها العبادات والمعاملات والجهاد وغير ذلك والله تعالى أعلم.

(2536) المستدرک للحاکم 2/79 ح (2387) وقال: صحیح علی شرط الشیخین سنن الترمذی 412 ح: 5 ح (3309) سنن الدارمی 2/263 ح (2390) صحیح ابن حبان 10/454 ح (4594) مسند أبي يعلى 487 ح: 13 ح (7499) إسناده صحيحقال الإمام الترمذي حدثنا عبد الله بن عبد الرحمن أخبرنا محمد بن كثير عن الأوزاعي عن يحيى بن أبي كثير عن أبي سلمة عن عبد الله بن سلام—به.

(2537) تفسير الطبري 28/84/83 بابنادين وكلاهما ضعيف

(2538) صحيح البخاري (1/140)

(2539) صحيح مسلم - (2/189)

(2540) سنن الترمذي (5/197)

(2541) تفسير العز بن عبد السلام (1212)

(2542) جامع البيان (تفسير الطبري) (23/354)

(2543) الكشف والبيان عن تفسير القرآن (9/302)

(2544) جامع البيان (تفسير الطبري) (23/355)

(2545) الكشف والبيان عن تفسير القرآن (9/303)

[تفسير مختصر للآية]

(يا أيها الذين آمنوا لم تقولون ما لا تفعلون) أي يا أيها الذين صدقوا الله ورسوله، لم تقولون بألسنتكم شيئا ولا تفعلونه؟ ولأي شيء تقولون نفل ما لا تفعلونه، من الخير والمعروف؟ وهو استفهام على جهة الإنكار والتوبيخ، قال ابن كثير: هذا إنكار على من يعد وعدا، أو يقول قولاً لا يفي به، وفي الصحيحين «آية المنافق ثلاث: إذا وعد أخلف، وإذا حدث كذب، وإذا اتهم خان» ثم أكد الإنكار عليهم بقوله:

(كبر مقتا عند الله) أي عظم فعلكم هذا بغضا عند ربكم.

(أن تقولوا ما لا تفعلون) أي أن تقولوا شيئا ثم لا تفعلونه، وأن تعدوا بشيء، ثم لا تقومون بالوفاء به⁽²⁵⁴⁶⁾.

(يَا أَيُّهَا الَّذِينَ آمَنُوا هَلْ أَدُلُّكُمْ عَلَىٰ تِجَارَةٍ تُنْجِيكُمْ مِّنْ عَذَابِ أَلِيمٍ ۚ ۱۰ تُوْمِنُونَ بِاللَّهِ وَرَسُولِهِ وَتُجَاهِدُونَ فِي سَبِيلِ اللَّهِ بِأَمْوَالِكُمْ وَأَنْفُسِكُمْ ذَلِكُمْ خَيْرٌ لَّكُمْ إِن كُنْتُمْ تَعْلَمُونَ ۚ ۱۱ يَغْفِرَ لَكُمْ ذُنُوبَكُمْ وَيُدْخِلَكُم جَنَّاتٍ تَجْرِي مِنْ تَحْتِهَا الْأَنْهَارُ وَمَسْكِنٍ طَيِّبَةٍ فِي جَنَّاتٍ عَدْنٍ ذَلِكَ الْفَوْزُ الْعَظِيمُ ۚ ۱۲)

قوله تعالى: (يا أيها الذين آمنوا هل أدلكم على تجارة) - الآية.

1094. [ك] وأخرج عن أبي صالح قال قالوا: «لو كنا نعلم أي الأعمال أحب إلى الله وأفضل، فنزلت: (يا أيها الذين آمنوا هل أدلكم على تجارة) - الآية فكرهوا الجهاد فنزلت: (يا أيها الذين آمنوا لم تقولون ما لا تفعلون)⁽²⁵⁴⁷⁾».

1095. [ك] وأخرج ابن أبي حاتم من طريق علي عن ابن عباس نحوه⁽²⁵⁴⁸⁾.

1096. [ك] وأخرج من طريق عكرمة عن ابن عباس وابن جرير عن الضحاك قال: «أنزلت: (لم تقولون ما لا تفعلون) في الرجل يقول في القتال ما لم يفعله من الضرب والطعن والقتل⁽²⁵⁴⁹⁾».

1097. [ك] وأخرج ابن أبي حاتم عن مقاتل: «أنها نزلت في توليهم يوم أحد⁽²⁵⁵⁰⁾».

1098. [ك] وأخرج عن سعيد بن جبيرة قال: «لما نزلت: (يا أيها الذين آمنوا هل أدلكم على تجارة تنجيكم من عذاب أليم) قال المسلمون: لو علمنا ما هذه التجارة لأعطينا فيها الأموال والأهلين، فنزلت: (تؤمنون بالله ورسوله)⁽²⁵⁵¹⁾».

[تعليق]

ذكر المؤلف رحمه الله عدة آثار بأسباب مختلفة للنزول، وهي متصلة بما قبلها، فبعد أن سأل المؤمنون النبي ﷺ عن أحب الأعمال دلهم الله تعالى على أحب الأعمال إليه وهو الإيمان بالله والجهاد في سبيله، وقد تقدم حديث ابن مسعود في ذلك. وفي الصحيح من حديث أبي هريرة: أن النبي ﷺ سئل: أي الأعمال أفضل؟ قال: "إيمان بالله ورسوله" قيل ثم ماذا؟ قال: "جهاد في سبيل الله" قيل: ثم ماذا؟ قال: "حج مبور"⁽²⁵⁵²⁾.

قلت: هذه الآيات نزلت إرشاداً من الله تعالى لعباده عن أفضل الأعمال التي تمنوا أن يعملوها، والقول بأنها نزلت في توليهم يوم أحد لم أجد ما يشهد له، فيحمل الآية عن تمنيه معرفة أفضل الأعمال عموماً والله تعالى أعلم.

[تفسير مختصر للآية]

(يا أيها الذين آمنوا هل أدلكم على تجارة) أي يا من صدقتم الله ورسوله، وأنتم بربكم حق الإيمان، هل أدلكم على تجارة رابحة جليلة الشأن؟ والاستفهام للتشويق.

(تنجيكم من عذاب أليم) أي تخلصكم وتنتقذك من عذاب شديد مؤلم.. ثم بين تلك التجارة ووضحها فقال:

(تؤمنون بالله ورسوله) أي تعتقدون بالله، وتؤمنون به إيماناً صادقاً، لا يثوبه شك ولا نفاق

(وتجاهدون في سبيل الله بأموالكم وأنفسكم) أي وتجاهدون أعداء الدين، والمال والنفس، لإعلاء كلمة الله، قال المفسرون: جعل الإيمان والجهاد في سبيله "تجارة" تشبيهاً لهما بالتجارة، فإنها عبارة عن مبادلة شيء بشيء، طمعا في الربح، ومن آمن وجاهد بماله ونفسه، فقد بذل ما عنده وما في وسعه، لنيل ما عند ربه من جزيل ثوابه، والنجاة من أليم عقابه، فشبه هذا الثواب والنجاة من العذاب بالتجارة، كقوله تعالى: (إن الله اشترى من المؤمنين أنفسهم وأموالهم بأن لهم الجنة) قال الإمام الفخر: والجهاد ثلاثة أنواع:

1- جهاد فيما بينه وبين نفسه، وهو قهر النفس ومنعها عن اللذات والشهوات.

2- جهاد فيما بينه وبين الخلق، وهو أن يدع الطمع منهم ويشفق عليهم ويرحمهم.

3- جهاد أعداء الله بالنفس والمال، نصرته لدين الله.

(2546) صفوة التفسير - للصابوني (3/ 345)

(2547) تفسير الطبري 28/84 مرسل ضعيف

(2548) تفسير ابن أبي حاتم 10/4454 منقطع الإسناد.

(2549) تفسير الطبري 28/84 مرسل

(2550) مرسل.

(2551) تفسير ابن أبي حاتم 10/3354 مرسل.

(2552) صحيح البخاري (1/ 13)

(439)

(ذلكم خير لكم إن كنتم تعلمون) أي ما أمرتكم به من الإيمان، والجهاد في سبيل الله، خير لكم من كل شيء في هذه الحياة، إن كان عندكم فهم وعلم.
(يغفر لكم ذنوبكم) هذا جواب الجملة الخبرية (تؤمنون بالله ورسوله) لأن معناها معنى الأمر أي آمنوا بالله وجاهدوا في سبيله، فإذا فعلتم ذلك (يغفر لكم ذنوبكم) أي يسترها عليكم، ويمحها بفضله عنكم.
(ويدخلكم جنات تجري من تحتها الأنهار) أي ويدخلكم حدائق وبساتين، تجري من تحت قصورها أنهار الجنة.
(ومساكن طيبة في جنات عدن) أي ويسكنكم في قصور رفيعة في جنات الإقامة
(ذلك الفوز العظيم) أي ذلك الجزاء المذكور هو الفوز العظيم، الذي لا فوز وراءه، والسعادة الدائمة الكبيرة، التي لا سعادة بعدها⁽²⁵⁵³⁾.

انتهت سورة الصف

سُورَةُ الْجُمُعَةِ

(وَإِذَا رَأَوْا تِجْرَةً أَوْ لَهْوًا أَنْفَضُوا إِلَيْهَا وَتَرَكَوْكَ قَائِمًا قُلْ مَا عِنْدَ اللَّهِ خَيْرٌ مِّنَ اللَّهِوِ وَمِنَ النَّجْرَةِ وَاللَّهُ خَيْرُ الرَّزُقِينَ (١١))

قوله تعالى: (وإذا رأوا تجارة أو لهواً) - الآية.

1099. أخرج الشيخان عن جابر قال: « كان النبي ﷺ يخطب يوم الجمعة، إذ أقبلت عير قد قدمت، فخرجوا إليها حتى لم يبق معه إلا اثنا عشر رجلاً، فأنزل الله: (وإذا رأوا تجارة أو لهواً انفضوا إليها وتركوك قائماً⁽²⁵⁵⁴⁾) ».

1100. [ك] وأخرج ابن جرير عن جابر أيضاً قال: « كان الجوارى إذا نكحوا كانوا يمرون بالكبير⁽²⁵⁵⁵⁾ والمزامير ويتركون النبي ﷺ قائماً على المنبر وينفضون إليها، فنزلت⁽²⁵⁵⁶⁾ ». وكانت نزلت في الأمرين معاً.

1101. [ك] ثم رأيت ابن المنذر أخرجه عن جابر لقصة النكاح وقدم العير معاً من طريق واحد وأنها نزلت في الأمرين⁽²⁵⁵⁷⁾ فله الحمد.

[تعليق]

سورة الجمعة مدنية بإجماع وقد تناولت أحكاماً عدة وتحدثت عن بعض أخلاق اليهود من تركهم كتابهم وراء ظهورهم وأنهم لن يتمنوا الموت أبداً بسبب ما قدمت أيديهم، بالإضافة إلى الحديث عن بعض أحكام الصلاة يوم الجمعة.
وقد ذكر المؤلف رحمه الله سببين لنزول هذه الآيات في الجمعة.
فالسبب الأول: في كونهم تركوا رسول الله ﷺ قائماً يوم الجمعة يخطب لما جاءت العير وكان الذي أتى بهذه العير دحية الكلبي على ما ذكره الإمام القرطبي.

قال الإمام الثعلبي: وقال الحسن وأبو مالك: أصاب أهل المدينة جوع وغلاء سعر، فقدم دحية بن خليفة بتجارة زيت من الشام والنبي صلى الله عليه وسلم يخطب يوم الجمعة، فلما رآه قاموا إليه بالقيح، خشوا أن يسبقوا إليه فلم يبق مع النبي صلى الله عليه وسلم إلا رهط منهم أبو بكر وعمر، فنزلت هذه الآية فقال رسول الله (عليه السلام): « هو الذي نفس محمد بيده لو تتابعتم حتى لا يبقى أحد منكم لسال بكم الوادي ناراً »

قال المقاتلان: بينا رسول الله صلى الله عليه وسلم يخطب يوم الجمعة إذ قدم دحية بن خليفة بن فروة الكلبي ثم أحد بني الخزرج ثم أحد بني زيد بن مائة بن عامر من الشام بتجارة، وكان إذا قدم لم يبق بالمدينة عاتق إلا أتاه وكان يقدم إذا قدم كل ما يحتاج إليه من دقيق أو بر أو غيره، فينزل عند أحجار الزيت، وهو مكان في سوق المدينة، ثم يضرب بالطبل ليؤذن الناس بقدمه فيخرج إليه الناس، فقدم ذات جمعة وكان ذلك قبل أن يسلم، ورسول الله صلى الله عليه وسلم قائماً على المنبر يخطب، فخرج الناس فلم يبق في المسجد إلا اثنا عشر رجلاً وامرأة فقال النبي صلى الله عليه وسلم: « لولا هؤلاء لسومت عليهم الحجارة من السماء » وأنزل الله سبحانه هذه الآية.

وقال ابن عباس في رواية الكلبي لم يبق في المسجد إلا ثمانية رهط، وقال ابن كيسان: خرجوا إلا أحد عشر رجلاً وامرأة⁽²⁵⁵⁸⁾.

(2553) صفوة التقاسير - للصابوني (3/ 347)

(2554) صحيح البخاري 1/316 ح (894) صحيح مسلم 2/590 ح (863) سنن الترمذي 5/414 ح (3311) مسند أحمد 3/370 ح (15020) صحيح ابن حبان 15/ 298 صحيح ابن خزيمة 3/161 ح (1832) سنن النسائي الكبرى 6/490 ح (11593) سنن البيهقي الكبرى 3/181 ح (5414) مسند أبي يعلى 3/405 ح (1888) المنتقى من السنن المسندة 82 ح 292 المنتخب 335 ح (1110) تفسير الطبري 28/105

(2555) [الكبرى]: يَفْتَحْنِ الطَّبْلُ ذُو الرِّاسَيْنِ وَقِيلَ الطَّبْلُ الَّذِي لَهُ وَجْهٌ وَاجِدٌ أَنْظِرِ النَّهْيَةَ فِي غَرِيبِ الْحَدِيثِ 4/ 143

(2556) تفسير الطبري 28/105 إسناده حسن

(2557) ليس عندي تفسير ابن المنذر.

(2558) الكشف والبيان عن تفسير القرآن (9/ 317)

السبب الثاني: أنها نزلت عند انصرافهم عن رسول الله ﷺ لما رأوا بعض اللهو في الأعراس ونحوها. وقال المؤلف فكانها نزلت في الأمرين معاً هو المتجه والأصح لأن الله تعالى ذكر اللهو والتجارة في الآية. والله تعالى أعلم.

[تفسير مختصر للآية]

(وإذا رأوا تجارة أو لهواً انفضوا إليها) هذا عتاب لبعض الصحابة الذين انصرفوا عن رسول الله ﷺ وتركوه قائماً يخطب يوم الجمعة، والمعنى: إذا سمعوا بتجارة رابحة، أو صفقة قادمة، أو شيء من لهو الدنيا وزينتها، تفرقوا عنك يا محمد وانصرفوا إليها، وأعاد الضمير إلى التجارة دون اللهو (انفضوا إليها) لأنها الأهم المقصود. (وتركوك قائماً) أي وتركوا الرسول قائماً على المنبر. (قل ما عند الله خير من اللهو ومن التجارة) أي قل لهم يا محمد: إن ما عند الله من الثواب والنعيم، خير مما أصبتموه من اللهو والتجارة. (والله خير الرازقين) أي خير من رزق وأعطى، فاطلبوا منه الرزق، وبه استعينوا لنيل فضله وإنعامه⁽²⁵⁵⁹⁾.

انتهت سورة الجمعة

سُورَةُ الْمُنَافِقُونَ

(وَإِذَا قِيلَ لَهُمْ تَعَالَوْا يَسْتَغْفِرْ لَكُمْ رَسُولُ اللَّهِ لَوَّوْا رُءُوسَهُمْ وَرَأَيْتَهُمْ يَصُدُّونَ وَهُمْ مُسْتَكْبِرُونَ ٥)

قوله تعالى: (وإذا قيل لهم تعالوا يستغفر لكم) - الآية.

1102. أخرج ابن جرير عن قتادة قال: «قيل لعبد الله بن أبي: لو أتيت النبي ﷺ فاستغفر لك، فجعل يلوي

رأسه فنزلت فيه: (وإذا قيل لهم تعالوا يستغفر لكم رسول الله) - الآية⁽²⁵⁶⁰⁾».

1103. وأخرج ابن المنذر عن عكرمة مثله.

[تعليق]

سورة المنافقون سورة مدنية في قول الجميع، وسميت بهذا الاسم لأن الله تعالى فضح فيها المنافقين وأفعالهم وأقوالهم الخبيثة. وقد أنزلت هذه الآيات في ذهاب النبي ﷺ لغزو بني المصطلق.

قال الإمام القرطبي وسبب نزول هذه الآيات أن النبي ﷺ غزا بني المصطلق على ماء يقال له "المريسيع" من ناحية "قديد" إلى الساحل⁽²⁵⁶¹⁾.

وذكر المؤلف رحمه الله أثراً وشاهداً له في كون قوله تعالى (وإذا قيل لهم) أي للمنافقين والمراد عبد الله بن أبي بن سلول وأشباهه (تعالوا يستغفر لكم رسول الله ﷺ لووا رؤوسهم ورأيتهم يصدون وهم مستكبرون).

وقد جاء نهي الله لنبيه ﷺ عن أن يستغفر للمنافقين والمشركين، وقد تقدم ذلك في سورة التوبة.

[تفسير مختصر للآية]

(وإذا قيل لهم تعالوا يستغفر لكم رسول الله) أي وإذا قيل لهؤلاء المنافقين: هلموا إلى رسول الله حتى يطلب لكم المغفرة من الله.

(لووا رؤوسهم) أي حركوها وهزوها استهزاء واستكباراً.

(ورأيتهم يصدون وهم مستكبرون) أي وتراهم يعرضون عما دعوا إليه، وهم متكبرون عن استغفار رسول الله ﷺ لهم، وحيء بصيغة المضارع (يصدون) ليدل على استمرارهم على الإعراض والعناد⁽²⁵⁶²⁾.

(سَوَاءٌ عَلَيْهِمْ أَسْتَغْفَرْتَ لَهُمْ أَمْ لَمْ تَسْتَغْفِرْ لَهُمْ لَنْ يَغْفِرَ اللَّهُ لَهُمْ إِنَّ اللَّهَ لَا يَهْدِي الْقَوْمَ الْفَاسِقِينَ ٦)

قوله تعالى: (سواء عليهم أستغفرت لهم أم لم تستغفر لهم) - الآية.

1104. [ك] وأخرج عن عروة قال: « لما نزلت: (استغفر لهم أو لا تستغفر لهم أن تستغفر لهم سبعين مرة

فلن يغفر الله لهم) قال النبي ﷺ: « لأزيدن على السبعين ». فأنزل الله: (سواء عليهم أستغفرت لهم أو

لم تستغفر لهم) - الآية⁽²⁵⁶³⁾».

1105. [ك] وأخرج عن مجاهد⁽²⁵⁶⁴⁾.

⁽²⁵⁵⁹⁾صفوة التفاسير - للصابوني (3/ 352)

⁽²⁵⁶⁰⁾تفسير الطبري 28/110 مرسل ضعيف

⁽²⁵⁶¹⁾تفسير القرطبي - (18/ 127)

⁽²⁵⁶²⁾صفوة التفاسير - للصابوني (3/ 356)

⁽²⁵⁶³⁾تفسير الطبري 10/199 مرسل ضعيف الإسناد

⁽²⁵⁶⁴⁾نفس المصدر مرسل منقطع

1107. [ك] وأخرج من طريق العوفي عن ابن عباس قال: « لما نزلت آية براءة قال النبي ﷺ وأنا أسمع : « أني قد رخص لي فيهم فوالله لأستغفرن أكثر من سبعين مرة لعل الله أن يغفر لهم » فنزلت⁽²⁵⁶⁶⁾ .

[تعليق]

ذكر المؤلف رحمه الله عدة آثار وكلها تدل على أن الآية نزلت في عبد الله بن أبي بن سلول والمنافقين، وهذه الآيات نزلت بعد سورة التوبة، وقد ذكرنا سبب نزول قول الله تعالى (إن تستغفر لهم سبعين مرة فلن يغفر الله لهم) وأن النبي ﷺ من حرصه على هداية هؤلاء زاد على السبعين.

وفي صحيح البخاري عن ابن عمر قال: لما توفي عبد الله - هو ابن أبي - جاء ابنه عبد الله بن عبد الله إلى رسول الله ﷺ، فسأله أن يعطيه قميصه يُكفن فيه أباه، فأعطاه، ثم سأله أن يصلي عليه، فقام رسول الله ﷺ ليصلي عليه، فقام عمر فأخذ بثوب رسول الله ﷺ فقال: يا رسول الله، تصلي عليه وقد نهاك ربك أن تصلي عليه؟! فقال رسول الله ﷺ: "إنما خيرني الله فقال: (اسْتَغْفِرْ لَهُمْ أَوْ لَا تَسْتَغْفِرْ لَهُمْ إِنْ تَسْتَغْفِرْ لَهُمْ سَبْعِينَ مَرَّةً فَلَنْ يَغْفِرَ اللَّهُ لَهُمْ) وسأزيده على السبعين". قال: إنه منافق! قال: فصلى عليه (رسول الله ﷺ) (فَأَنْزَلَ اللَّهُ، عز وجل، آية: (وَلَا تُصَلِّ عَلَى أَحَدٍ مِنْهُمْ مَاتَ أَبَدًا وَلَا تَقُمْ عَلَى قَبْرِهِ)⁽²⁵⁶⁷⁾ . فنزلت هذه الآيات في النهي عن الاستغفار لهم مطلقاً نعوذ بالله من النفاق.

[تفسير مختصر للآية]

(سواء عليهم أستغفرت لهم أم لم تستغفر لهم) أي يتساوى الأمر بالنسبة لهم، فإنه لا ينفع استغفارك لهم شيئاً، لفسقهم وخروجهم عن طاعة الله ورسوله، قال الصاوي: والآية للتوبيخ من إيمانهم أي إن استغفارك يا محمد وعدمه سواء، فهم لا يؤمنون لسبق الشقاوة لهم.

(لن يغفر الله لهم) أي لن يصفح الله عنهم لرسوخهم في الكفر، وإصرارهم على العصيان، ثم علله بقوله: (إن الله لا يهدي القوم الفاسقين) أي لا يوفق للإيمان، من كان فاسقاً خارجاً عن طاعة الرحمن⁽²⁵⁶⁸⁾.

(يَقُولُونَ لِنَنْ رَجَعْنَا إِلَى الْمَدِينَةِ لَيُخْرِجَنَّ الْأَعَزُّ مِنْهَا الْأَذَلَّ وَلِلَّهِ الْعِزَّةُ وَلِرَسُولِهِ وَلِلْمُؤْمِنِينَ وَلَكِنَّ الْمُنَافِقِينَ لَا يَعْلَمُونَ ۝ ۸)

قوله تعالى: (يقولون لنن رجنا إلى المدينة) - الآية.

1108. أخرج البخاري وغيره عن زيد بن أرقم قال: «سمعت عبد الله بن أبي يقول لأصحابه: لا تنفقوا على من عند رسول الله حتى ينفضوا فلنن رجنا إلى المدينة ليخرجن الأعز منها الأذل، فذكرت ذلك لعمي، فذكر ذلك عمي للنبي ﷺ، فدعاني النبي ﷺ، فحدثته، فأرسل رسول الله ﷺ إلى عبد الله بن أبي وأصحابه فحلفوا ما قالوا فكذبني وصدقه، فأصابني شيء لم يصبني قط مثله، فجلست في البيت فقال عمي: ما أردت إلا أن أكذبك رسول الله ﷺ ومقتك، فأنزل الله: (إذا جاءك المنافقون) فبعث إلي رسول الله ﷺ فقراً ثم قال: «: إن الله قد صدقك⁽²⁵⁶⁹⁾». له طرق كثيرة عن زيد وفي بعضها أن ذلك في غزوة تبوك وأن نزول السورة ليلاً.

[تعليق]

ذكر المؤلف رحمه الله هذا الأثر في سبب نزول هذه الآية، وهو كذلك يدل على أن الآية نزلت في ابن أبي المنافق وفي فظائع قوله وعمله ونفاقه.

وقد أخرج الإمام الثعلبي هذه القصة بسياق يحسن بنا أن نذكره للفائدة.

قال: ذكره أهل التفسير وأصحاب السير أن رسول الله صلى الله عليه وسلم بلغه أن بني المصطلق يجتمعون لحربه وقائدهم الحرث بن أبي ضراب أبو جويرية زوج رسول الله صلى الله عليه وسلم، فلما سمع بهم رسول الله صلى الله عليه وسلم خرج إليهم حتى لقيهم على ماء من مياههم يقال له: المريسيع من ناحية قدموا إلى الساحل، فنزاحف الناس واقتتلوا فهزم الله بني المصطلق وقتل من قتل منهم ونقل رسول الله صلى الله عليه وسلم أبناءهم ونساءهم وأموالهم فأفاءها عليه، وقد أصيب رجل من المسلمين من بني كليب بن عوف بن عامر يقال له: هشام بن صبابة، أصابه رجل من الأنصار من رهط عبادة بن الصامت وهو يرى أنه من العدو فقتله خطأ.

فبينما الناس على ذلك الماء إذ وردت واردة الناس ومع عمر بن الخطاب أجبر له من بني عمار يقال له: جهجاه بن سعيد

⁽²⁵⁶⁵⁾ تفسير الطبري 10/200 مرسل صحيح الإسناد

⁽²⁵⁶⁶⁾ نفس المصدر إسناده ضعيف

⁽²⁵⁶⁷⁾ صحيح البخاري (6/85)

⁽²⁵⁶⁸⁾ صفوة التفسير - للصابوني (3/356)

⁽²⁵⁶⁹⁾ صحيح البخاري 4/1859 ح (4617) صحيح مسلم 4/2140 ح (2772) سنن الترمذي 5/415 ح (3312) سنن البيهقي الكبرى 9/32 ح (17643) سنن النسائي الكبرى

6/491 ح (11597) مسند أحمد 4/373 ح (19352) مسند عبد بن حميد 1/113 ح (262) المعجم الكبير 5/199 ح (5082)

يقود له فرسه فازدحم جهجاه وسان الجهنى حليف بنى عوف بن الخزرج على الماء فاقتتلا فصرخ الجهنى: يا معشر الأنصار، وصرخ الغفاري: يا معشر المهاجرين، فأعان جهجاه الغفاري رجل من المهاجرين يقال له جعال وكان فقيراً، وقال عبد الله بن أبي الجعال: وإنك لهنالك؟ فقال: وما يمنعني أن أفعل ذلك؟ فاشتد لسان جعال على عبد الله، فقال عبد الله: والذي يحلف به لأذرتك وبهمك عن هذا، وغضب عبد الله بن أبي وعنده رهط من قومه فيهم زيد بن أرقم غلاماً حديث السن، وقال ابن أبي أفعالوا قد نافرنا وكاترونا في بلادنا، والله ما مثلنا ومثلهم إلا كما قال القائل: سَمَنَ كَلْبِكَ يَا كَلْبُكَ، أَمَا وَاللَّهِ لَئِنْ رَجَعْنَا إِلَى الْمَدِينَةِ لَيُخْرِجَنَّ الْأَعَزُّ مِنْهَا الْأَذَلَّ يعني بالأعز نفسه وبالأذل رسول الله صلى الله عليه وسلم.

ثم أقبل على من حضر من قومه فقال: هذا ما فعلتم بأنفسكم أحلتموهم بلادكم وقاسمتموهم أموالكم، أما والله لو أمسكتم عن جعال وذويه فضل الطعام لم يركبوا رقابكم، ولأوشكوا أن يتحولوا عن بلادكم فيلحقوا بعشائركم ومواليهم فلا تنفقوا عليهم حتى ينفصوا من حول محمد، فقال زيد بن أرقم: أنت والله الذليل المبعوض في قومك، ومحمد في عز من الرحمن ومودة من المسلمين، والله لا أحبك بعد كلامك هذا.

فقال عبد الله: اسكت فإنما كنت ألعب، فمشى زيد بن أرقم إلى رسول الله صلى الله عليه وسلم وذلك بعد فراغه من الغزوة فأخبره الخبر وعنده عمر بن الخطاب فقال: دعني أضرب عنقه يا رسول الله فقال: إذا توعد أن خل عنه يدخل. فقال: أما إذا جاء أمر النبي صلى الله عليه وسلم فعمر يرحل ولم يلبث إلا أياماً ولأنك حسبتي أشتكي ومات.

قالوا: فلما نزلت هذه الآية وبان كذب عبد الله بن أبي قيل له: يا أبا حباب إنّه قد نزلت أي شداد، فذهب إلى رسول الله يستغفر لك فلو رأه ثم قال: أمرتموني أن أؤمن فقد أمنت، وأمرتموني أن أعطي زكاة مالي فقد أعطيت، فما بقي إلا أن أسجد لمحمد، فأنزل الله سبحانه (وَإِذَا قِيلَ لَهُمْ تَعَالَوْا يَسْتَغْفِرْ لَكُمْ رَسُولُ اللَّهِ) إلى قوله (هُمُ الَّذِينَ يَقُولُونَ لَا تُنْفِقُوا عَلَيَّ مَنْ عِنْدَ رَسُولِ اللَّهِ حَتَّى يَنْفَضُوا) والله خزائن السموات والأرض فلا يعذر أحد أن يعطي هنا شيئاً إلا بأذنه، ولا أن يمنعه شيئاً إلا بمشيئته⁽²⁵⁷⁰⁾.

[تفسير مختصر للآية]

(يقولون لئن رجعنا إلى المدينة) أي يقولون لئن رجعنا من هذه الغزوة - غزوة بني المصطلق - وعدنا إلى بلدنا المدينة المنورة. (ليخرجن الأعز منها الأذل) أي لنخرجن منها محمداً وصحبه، والقائل هو "ابن سلول" رأس المنافقين، وعنى بالأعز نفسه وأتباعه، وبالأذل رسول الله.

(ولله العزة ولرسوله وللمؤمنين) أي لله جل وعلا القوة والغلبة، ولمن أعزه وأيده من رسوله والمؤمنين، لا لغيرهم، والصيغة تفيد الحصر، قال القرطبي: توهموا أن العزة بكثرة الأموال والأتباع، فبين الله أن العزة والمنعة لله ولرسوله وللمؤمنين. (ولكن المنافقين لا يعلمون) أي ولكن المنافقين لفرط جهلهم وغرورهم، لا يعلمون أن العزة والغلبة لأوليائه دون أعدائه⁽²⁵⁷¹⁾.

انتهت سورة المنافقون

سُورَةُ التَّغَابُنِ

(يَا أَيُّهَا الَّذِينَ آمَنُوا إِنَّ مِنْ أَزْوَاجِكُمْ وَأَوْلَادِكُمْ عَدُوًّا لَكُمْ فَاحْذَرُوهُمْ وَإِنْ تَعَفَّوْا وَتَصَفَّحُوا وَتَغَفَّرُوا فَإِنَّ اللَّهَ غَفُورٌ رَحِيمٌ ٤٤)

قوله تعالى: (يا أيها الذين آمنوا إن من أزواجكم وأولادكم عدوا لكم) - الآية.

1109. أخرج الترمذي والحاكم وصحاحه عن ابن عباس قال: «نزلت هذه الآية: (إن من أزواجكم وأولادكم عدوا لكم فاحذروهم) (في قوم من أهل مكة أسلموا فأبى أزواجهم وأولادهم أن يدعواهم يأتوا المدينة، فلما قدموا على رسول الله ﷺ رأوا الناس قد فقهوا، فهموا أن يعاقبواهم، فأنزل الله: (إن تعفوا وتصفحوا) - الآية⁽²⁵⁷²⁾».

1110. وأخرج ابن جرير عن عطاء بن يسار قال: «نزلت سورة التغابن كلها بمكة إلا هؤلاء الآيات: (يا أيها الذين آمنوا إن من أزواجكم) نزلت في عوف بن مالك الأشجعي، كان ذا أهل وولد، فكان إذا أراد الغزو بكوا إليه ووقفوه فقالوا: إلى من تدعنا فيرق ويقيم، فنزلت هذه الآية، وبقيت الآيات إلى آخر السورة بالمدينة⁽²⁵⁷³⁾».

[تعليق]

سورة التغابن مدنية في قول الأكثرين. وقال الضحاك: مكية. وقال الكلبي: هي مكية ومدنية. وهي ثماني عشرة

(2570) لكشف والبيان عن تفسير القرآن (9/ 321)

(2571) صفوة التفسير - للصابوني (3/ 357)

(2572) المستدرک للحاکم 2/532 ح (3814) وقال: صحيح الإسناد سنن الترمذي 5/419 ح (3317) وقال: حسن صحيح المعجم الكبير 11/275 ح (11720) تفسير الطبري

28/124 إسناد صحيح الإمام الترمذي: حدثنا محمد بن إسحاق حدثنا محمد بن يوسف حدثنا إسرائيل حدثنا سماك بن حرب عن عكرمة عن ابن عباس - به

(2573) تفسير الطبري 28/125 منقطع مرسل ضعيف.

وجو السورة هو من أجواء السور المكية، وفي الأثر الثاني الذي ذكره المؤلف دليل على أن السورة من السورة المختلطة الآيات، فمنها المكي ومنها المدني.

وذكر المؤلف رحمه الله أثنين وهما في معناهما إجمالاً يرشدان إلى أن الأزواج والأولاد عدو إذا كان حبيهم يقود المرئ للتخلي عن عقيدته وطاعته.

فكان الرجل إذا أراد الهجرة بكى أبناءه وأزواجه فبترك الهجرة من أجلهم.

والثاني يدل على أنها نزلت عندما يريد الغزو في سبيل الله فيبكي أبناءه فيبسطه ذلك عن الغزو.

وفي سبب نزولها سبب ثالث ذكره الإمام ابن الجوزي أنها في الرجل كان يريد أن يسلم فيمنعه أبناءه وأزواجه من الإسلام.

قال الإمام القرطبي: والآية عامة في كل معصية يرتكبها الإنسان بسبب الأهل والولد. وخصوص السبب لا يمنع عموم الحكم (2575).

قلت: والحق ما قال فإن معناها عام فلا ينبغي للإنسان أن يطيع رعونة أبناءه وأزواجه في معصية الله تعالى، فكم من طاعة تركت بسبب الأبناء والأزواج.

[تفسير مختصر للآية]

(يا أيها الذين آمنوا أن من أزواجكم وأولادكم عدوا لكم فاحذروهم) أي يا معشر المؤمنين إن بعض الزوجات والأولاد أعداء لكم، يصدونكم عن سبيل الله، ويثبطونكم عن طاعة الله، فاحذروا أن تستجيبوا لهم وتطيعوهم.

(وإن تعفوا وتصفحوا وتغفروا) أي وإن عفوتهم عنهم في تثبيطكم عن الخير، وصفحتم عما صدر منهم، وغفرت لهم زلاتهم.

(فإن الله غفور رحيم) أي فإن الله واسع غلمغفرة، عظيم الرحمة، يعاملكم بمثل ما عاملتم (2576).

(فَاتَّقُوا اللَّهَ مَا اسْتَطَعْتُمْ وَأَسْمِعُوا وَأَطِيعُوا وَأَنْفِقُوا خَيْرًا لِّأَنْفُسِكُمْ وَمَنْ يُوقِ شُحَّ نَفْسِهِ فَأُولَئِكَ هُمُ الْمُفْلِحُونَ (١٦)

قوله تعالى: (فاتقوا الله ما استطعتم) - الآية.

1111. وأخرج ابن أبي حاتم عن سعيد بن جبير قال: « لما نزلت: (اتقوا الله حق تقاته اشتد على القوم العمل فقاموا حتى ورمت عراقيبهم وتقرحت جباههم، فأنزل الله تخفيفاً على المسلمين:) فاتقوا الله ما استطعتم الآية (2577) ». »

[تعليق]

ذكر المؤلف رحمه الله هذا الأثر الوحيد في سبب نزول قوله تعالى (فاتقوا الله ما استطعتم) وهو يدل على أن هذه الآية ناسخة لقول الله عز وجل (فاتقوا الله حق تقاته) .

قلت: ذكر الإمام القرطبي الخلاف فذكر قول من قال أنها ناسخة، وقول من قال أن الآية محكمة وأنا أذكر ما قاله للفائدة.

قال رحمه الله: ذهب جماعة من أهل التأويل إلى أن هذه الآية ناسخة لقوله تعالى: (اتَّقُوا اللَّهَ حَقَّ تَقَاتِهِ) منهم قتادة والربيع بن أنس والسدي وابن زيد. ذكر الطبري: وحدثنني يونس بن عبد الأعلى قال أخبرنا ابن وهب قال: قال ابن زيد في قوله تعالى: (يَا أَيُّهَا الَّذِينَ آمَنُوا اتَّقُوا اللَّهَ حَقَّ تَقَاتِهِ) قال: جاء أمر شديد، قالوا: ومن يعرف قدر هذا أو يبلغه؟ فلما عرف الله أنه قد اشتد ذلك عليهم نسخها عنهم وجاء بهذه الآية الأخرى فقال: (فَاتَّقُوا اللَّهَ مَا اسْتَطَعْتُمْ) . وقيل: هي محكمة لا نسخ فيها. وقال ابن عباس: قوله تعالى: (اتَّقُوا اللَّهَ حَقَّ تَقَاتِهِ) إنها لم تنسخ، ولكن حق تقاته أن يجاهد الله حق جهاده، ولا يأخذه في الله لومة لائم، ويقوموا لله بالقسط ولو على أنفسهم وأبنائهم. وقد تقدم (2578).

قلت: علم من عموم شريعة الإسلام أنها جاءت للتخفيف فالقول بأن الآية منسوخة هو الأرجح نظراً لعمومات الشريعة.

قال الإمام ابن تيمية: في قوله تعالى (والله على الناس حج البيت من استطاع إليه سبيلاً [سورة آل عمران]. فأوجب الحج على المستطيع فلو لم يستطع إلا من حج لم يكن الحج قد وجب إلا على من حج ولم يعاقب أحد على ترك الحج وهذا خلاف المعلوم بالاضطرار من دين الإسلام وكذلك قال تعالى (فاتقوا الله ما استطعتم) [سورة التغابن]. فأوجب التقوى بحسب الاستطاعة فلو كان من لم يتق الله لم يستطع التقوى لم يكن قد أوجب التقوى إلا على من اتقى ولا يعاقب من لم يتق وهذا خلاف المعلوم بالاضطرار من دين الإسلام (2579).

[تفسير مختصر للآية]

(2574) تفسير القرطبي - (132 / 18)

(2575) تفسير القرطبي - (142 / 18)

(2576) صفوة التفسير - للصابوني (362 / 3)

(2577) تفسير ابن أبي حاتم 10/3358 في إسناده عطاء بن دينار روايته عن سعيد بن جبير صحيفة وهو صدوق وكذلك عبد الله بن لهيعة وهو مختلط.

(2578) تفسير القرطبي - (144 / 18)

(2579) منهاج السنة النبوية (3 / 23) المؤلف: شيخ الإسلام ابن تيمية (661-728 هـ، 1263-1328 م). المحقق: د. محمد رشاد سالم الناشر: مؤسسة قرطبة، الطبعة الأولى عد

(فاتقوا الله ما استطعتم) أي ابدلوا أيها المؤمنون في طاعة الله جهدكم وطاقتكم، ولا تكلفوا أنفسكم ما لا تطيقون، قال المفسرون: هذا في النوافل، والمأمورات وفضائل الأعمال، يأتي الإنسان منها بقدر طاقته، وأما في المحظورات فلا بد من اجتنابها بالكيفية، ويدل عليه ما روي عن النبي ﷺ، أنه قال: «إذا أمرتكم بأمر فأتوا منه ما استطعتم، وما نهيتكم عنه فاجتنبوه» (2580).
انتهت سورة التغابن

سُورَةُ الطَّلَاقِ

(يَا أَيُّهَا النَّبِيُّ إِذَا طَلَقْتُمُ النِّسَاءَ فَطَلِّقُوهُنَّ لِعَدَّتِهِنَّ وَأَحْصُوا الْعِدَّةَ وَاتَّقُوا اللَّهَ رَبَّكُمْ لَا تُخْرِجُوهُنَّ مِنْ بُيُوتِهِنَّ وَلَا يَخْرُجْنَ إِلَّا أَنْ يَأْتِيَنَّ بِفَحِشَةٍ مُبَيِّنَةٍ وَتِلْكَ حُدُودُ اللَّهِ وَمَنْ يَتَعَدَّ حُدُودَ اللَّهِ فَقَدْ ظَلَمَ نَفْسَهُ لَا تَدْرِي لَعَلَّ اللَّهَ يُحْدِثُ بَعْدَ ذَلِكَ أَمْرًا (١)

قوله تعالى: (يا أيها النبي إذا طلقتم النساء)- الآية.

1112. أخرج الحاكم عن ابن عباس قال: « طلق عبد يزيد أبو ركانة أم ركانة، ثم نكح امرأة من مزينة، فجاءت إلى رسول الله ﷺ فقالت: يا رسول الله ما يغني عني إلا كما تغني عني هذه الشعرة فنزلت: (يا أيها النبي إذا طلقتم النساء فطلقوهن لعدتهن) (2581)».

قال الذهبي: واه والخبر خطأ فإن عبد يزيد لم يدرك الإسلام.

1113. وأخرج ابن أبي حاتم من طريق قتادة عن أنس قال: « طلق رسول الله ﷺ حفصة، فأنت أهلها فأنزل الله: (يا أيها النبي إذا طلقتم النساء فطلقوهن لعدتهن) فقيل له راجعها فإنها صوامة قوامة (2582)».

1114. وأخرجه ابن جرير عن قتادة (2583) مرسل.

1115. وابن المنذر عن ابن سيرين مرسل (2584).

1116. وأخرج ابن أبي حاتم عن مقاتل في قوله: (يا أيها النبي إذا طلقتم النساء) الآية قال: بلغنا أنها نزلت في عبد الله بن عمرو بن العاص وطفيل بن الحارث وعمرو بن سعيد بن العاص (2585)».

[تعليق]

سورة الطلاق مدنية في قول الجميع وقد تحدثت عن أمور الطلاق والعدة وغير ذلك من الأحكام. ذكر المؤلف رحمه الله ثلاثة أسباب للنزول.

فأما الأول فقد ضعفه الإمام الذهبي وهو في كونه نزلت في أبي ركانة وعلل ذلك بأنه لم يدرك النبي ﷺ . قلت: ولذلك أعرض أكثر أهل التفسير عن ذكر هذا السبب في أسباب نزول الآية.

والسبب الثاني: أنها في النبي ﷺ عندما طلق حفصة فأمره الله تعالى أن يراجعها لأنها صوامة قوامة وقد ذكر له عدة شواهد.

وقد ذكر أهل العلم أن سبب طلاق النبي ﷺ لحفصة أنه غضب عليها عندما تأمرت مع عائشة.

قال الإمام القرطبي: وقال الكلبي: سبب نزول هذه الآية غضب رسول الله ﷺ على حفصة، لما أسر إليها حديثاً فأظهرته لعائشة فطلقها تطليقة، فنزلت الآية (2586).

قلت: ولا يظهر علاقة بين طلاق النبي ﷺ وحفصة، والأمر بالطلاق للعدة، إلا إنشاء التشريع فالآية نزلت لبيان الحكم عموماً ليس بالنظر لطلاق النبي ﷺ لحفصة، فقد بين الله تعالى حكم الطلاق وأنه ينبغي أن يكون للعدة التي أمر الله بها. فكان النبي ﷺ طلق حفصة، فأراد الله تعالى أن يبين لنا بعض أحكام الطلاق، فقال الله تعالى لنبيه ﷺ: يا محمد أنت طلقت حفصة فهذا حكم الطلاق إذا وقع منك أو من أحد من أمتك أن تتطلق النساء للعدة التي أمرت بها.

السبب الثالث: أنها نزلت في عبد الله بن عمرو وبعض الصحابة وذلك أنهم طلقوا النساء في الحيض.

فروى الإمام ابن جرير وغيره عن ابن عمر "أنه طلق امرأته حائضاً، فأتى عمر النبي صَلَّى اللهُ عَلَيْهِ وَسَلَّمَ فذكر ذلك له، فأمره أن يراجعها، ثم يتركها حتى إذا طهرت ثم حاضت فطلقها، قال النبي صَلَّى اللهُ عَلَيْهِ وَسَلَّمَ: "فهي العدة التي أمر الله أن

(2580)صفوة التفسير - للصابوني (3/ 362)

(2581) المستدرك للحاكم 2/533 ح (3717)سنن أبي داود 2/259 ح (2196)مصنف عبد الرزاق 6/390 ح (11334)سنن البيهقي الكبرى 7/339 ح (14763)إسناده منقطع، وابن جرير مدلس عن في رواية الحاكم، وأيضاً الراوي عنه محمد بن عبيد الله بن أبي رافع ضعيف، وأبهم عند غيره.

(2582) تفسير ابن أبي حاتم 10/3359 وإسناده جيد رواه ابن أبي حاتم من طريق محمد بن ثواب الهباري عن أسباط بن محمد عن سعيد عن قتادة عن أنس، وهو ليس في النسخة إنما نقلته من تفسير ابن كثير 378 ج:4.

(2583) تفسير الطبري 28/132 مرسل صحيح الإسناد

(2584) مرسل.

(2585) تفسير ابن أبي حاتم 10/3359 مرسل.

(2586)تفسير القرطبي - (18/ 149)

يُطَلَّقُ لَهَا النَّسَاءُ" ويقول: حين يطهرن⁽²⁵⁸⁷⁾.

قلت: ففعل بعض الصحابة مثل ما فعل ابن عمر فنزلت الآية أمره لهم بالطلاق للعدة التي أمر الله تعالى وهي أن تطلق المرأة في طهر لم يجامعها فيه.

وأخرج الإمام الثعلبي قال بلغ أبا موسى أن النبي صلى الله عليه وسلم وجد عليهم فأتاه فذكر ذلك له فقال له رسول الله صلى الله عليه وسلم: «يقول أحدكم: قد زوجت، قد طلقت، وليس كذلك عدة المسلمين، طلقوا المرأة في قبل عدتها⁽²⁵⁸⁸⁾».

قلت: ذهب بعض أهل العلم إلى ترجيح بعض هذه الأسباب والذي يظهر والله أعلم أن هذه الأسباب جميعاً داخلية في عموم الآية وأن الآية تأخرت حتى وقع ما وقع من هذه الحوادث ثم نزلت الآية مبينة حكم الطلاق للعدة والله تعالى أعلم.

[تفسير مختصر للآية]

(يا أيها النبي إذا طلقتم النساء) الخطاب للنبي □ والحكم عام له ولأمته، وخص هو بالنداء □ تعظيماً له، كما يقال لرئيس القوم وكبيرهم: يا فلان افعلوا أي افعل أنت وقومك، فهو نداء على سبيل التكريم والتعظيم، قال القرطبي: الخطاب للنبي □ خوطب بلفظ الجماعة (طلقتم) تعظيماً وتعظيماً، والمعنى: يا أيها النبي ويا أيها المؤمنون إذا أردتم تطليق النساء (فطلقوهن لعدتهن) أي فطلقوهن مستقبلاً لعدتهن، وذلك في الطهر، ولا تطلقوهن في الحيض، قال مجاهد: أي طاهراً من غير جماع لقوله □: «فليطلقها طاهراً قبل أن يمسه، فتلك العدة التي أمر الله تعالى أن يطلق لها النساء» قال المفسرون: وإنما نهي عن طلاق المرأة وقت الحيض لئلا تطول عليها العدة فتتضرر، ولأن حالة الحيض منفرة للزوج، تجعله يتسرع في طلاقها، بخلاف ما إذا كانت طاهراً، وكونه لم يجامعها في ذلك الطهر، لئلا يحصل من ذلك الوطء حمل، فتنتقل العدة من الحيض لوضع الحمل، وفي ذلك ضرر ظاهر.

(وأحصوا العدة) أي اضبطوها وأكملوها ثلاثة أقراء كاملة لئلا تختلط الأنساب.

(واتقوا الله ربكم) أي خافوا الله رب العالمين، بامتنال أو امره واجتناب نواهي.

(لا تخرجوهن من بيوتهن) أي لا تخرجوهن من مساكنهن، بعد فراقكم لهن، إلى أن تنقضي عدتهن.

(ولا يخرجن إلا أن يأتين بفاحشة مبينة) أي ولا يخرجن من البيوت حتى تنقضي عدتهن، إلا إذا قارفت المطلقة عملاً قبيحاً، كالزنى، فتخرج لإقامة الحد عليها (تفسير الفاحشة بالزنى هو قول ابن عباس وابن مسعود ومجاهد وعكرمة، وروى عن ابن عباس أيضاً أنه البذاء باللسان على الأحماء وهو قول أبي بن كعب وهو الأظهر) قال في التسهيل: نهى الله سبحانه وتعالى أن يخرج الرجل المرأة المطلقة من المسكن الذي طلقها فيه، ونهاها هي أن تخرج باختيارها، فلا يجوز لها المبيت خارجاً عن بيتها، ولا أن تغيب عنه نهاراً إلا لضرورة التصرف، وذلك لحفظ النسب وصيانة المرأة، واختلف في الفاحشة التي تبيح خروج المعتدة فقيل: إنها الزنى فتخرج لإقامة الحد عليها، وقيل: إنه سوء الكلام مع الأصهار وبذاءة اللسان فتخرج، ويسقط حقه من السكنى، ويؤيده قراءة "إلا أن يفحش عليكم"

(وتلك حدود الله) أي وهذه الأحكام هي شرائع الله ومحارمه.

(ومن يتعد حدود الله فقد ظلم نفسه) أي ومن يخرج عن هذه الأحكام، ويتجاوزها إلى غيرها، ولا يأتى بها، فقد ظلم نفسه بتعريضها للعقاب، وأضر بها حيث فوت على نفسه، إمكان إرجاع زوجته إليه قال الرازي: وهذا تشديد فيمن يتعدى طلاق السنة، ومن يطلق لغير العدة.

(لا تدري لعل الله يحدث بعد ذلك أمراً) أي لا تعرف أيها السامع، ماذا يحدث الله بعد ذلك الطلاق من الأمر؟ فلعل الله يقلب قلبه من بغضها إلى محبتها، ومن الرغبة عنها إلى الرغبة فيها، فيجعله راغباً في زوجته، بعدما كان كارهاً لها قال ابن عباس: يريد الندم على طلاقها، والمحبة لرجعتها في العدة⁽²⁵⁸⁹⁾.

(فَإِذَا بَلَغَ أَجْلُهُنَّ فَأَمْسِكُوهُنَّ بِمَعْرُوفٍ أَوْ فَارِقُوهُنَّ بِمَعْرُوفٍ وَأَشْهِدُوا ذَوِي عَدْلٍ مِّنْكُمْ وَأَقِيمُوا الشَّهَادَةَ لِلَّهِ ذَلِكَ يُؤَظِّبُ بَيْتًا مِّنْ كَانَ يُؤْمِنُ بِاللَّهِ وَالْيَوْمِ الْآخِرِ وَمَنْ يَتَّقِ اللَّهَ يَجْعَلْ لَهُ مَخْرَجًا ۚ)

قوله تعالى: (فإذا بلغن أجلهن فأمسكنهن بمعروف أو فارقوهن) - الآية.

1117. وأخرج الحاكم عن جابر قال: «نزلت هذه الآية: (ومن يتق الله يجعل له مخرجاً) - في رجل من

أشجع كان فقيراً خفيف ذات اليد كثير العيال، فأتى رسول الله □ فسأله، فقال: اتق الله واصبر، فلم يلبث

إلا يسيراً حتى جاء ابن له بغنم وكان العدو أصابوه، فأتى رسول الله □ فأخبره خبرها، فقال: «كلها».

فنزلت⁽²⁵⁹⁰⁾.

قال الذهبي: حديث منكر. قلت: له شاهد.

1118. [ك] وأخرج ابن جرير مثله عن سالم بن أبي الجعد⁽²⁵⁹¹⁾ والسدي⁽²⁵⁹²⁾ وسمي الرجل: «عوف الأشجعي

».

(2587) جامع البيان (تفسير الطبري) (435 / 23)

(2588) الكشاف والبيان عن تفسير القرآن (9 / 333)

(2589) صفوة التفسير - للصابوني (3 / 365)

(2590) المستدرک للحاکم 2/534 ح (3820) وقال: صحيح الإسناد قلت في إسناده عبيد بن كثير متروك الحديث.

(2591) تفسير الطبري 138 / 28 مرسل ضعيف الإسناد.

(2592) نفس المصدر مرسل وإسناده ليس بالقوي

1119. [ك] وأخرج الحاكم أيضاً من حديث ابن مسعود وسماه كذلك⁽²⁵⁹³⁾.
1120. وأخرج ابن مردويه من طريق الكلبي عن أبي صالح عن ابن عباس قال: « جاء عوف بن مالك الأشجعي فقال: يا رسول الله إن ابني أسره العدو وجزعت أمه فما تأمرني؟ فقال: «أمرك وإياها أن تستكثرا من قول لا حول ولا قوة إلا بالله». فقالت المرأة: نعم ما أمرك، فجعلنا يكثران منها، فتغفل عنه العدو فاستاق غنمهم فجاء بها إلى أبيه، فنزلت: (ومن يتق الله يجعل له مخرجا) - الآية⁽²⁵⁹⁴⁾».
1121. وأخرجه الخطيب في تاريخه من طريق جويبر عن الضحاك عن ابن عباس⁽²⁵⁹⁵⁾.
1122. (ك) وأخرجه الثعلبي من وجه آخر ضعيف⁽²⁵⁹⁶⁾.
1123. [ك] وابن أبي حاتم من وجه آخر مرسل⁽²⁵⁹⁷⁾.

[تعليق]

ذكر المؤلف رحمه الله عدة آثار وكلها يشهد بعضها لبعض في كون الآية نزلت في قصة عوف بن مالك مع ابنه عندما أسر العدو ابنه، فشكا للنبي ﷺ فنزلت الآية أمره له ولغيره بتقوي الله تعالى وأن من يتق الله تعالى يجعل له مخرجا من كل ضيق. وفي السنن عبد الله بن عباس قال: قال رسول الله صلى الله عليه وسلم: "من أكثر من الاستغفار جعل الله له من كل هم فرجا ومن كل ضيق مخرجا ورزقه من حيث لا يحتسب"⁽²⁵⁹⁸⁾. فالاستغفار والذكر عند نزول البلاء سبب في تفريج الكربات لذلك أمر النبي ﷺ عوف بن مالك أن يكثر من قول لا حول ولا قوة إلا بالله.

[تفسير مختصر للآية]

(ومن يتق الله يجعل له مخرجا ويرزقه من حيث لا يحتسب) أي ومن يراقب الله ويقف عند حدوده، يجعل له من كل هم فرجا ومن كل ضيق مخرجا، ويرزقه من وجه لا يخطر بباله ولا يعلمه⁽²⁵⁹⁹⁾.

(وَاللّٰى يَبۡسُنَّ مِنَ الْمَحِيضِ مَنۡ نَّسَاكُمۡ مِّنۡ اِرۡتَبۡتُمۡ اِنۡ اَرۡتَبۡتُمۡ فَعَدَّتْهُنَّ ثَلَاثَةُ اَشۡهُرٍ وَاللّٰى لَمۡ يَحۡضُنَّ وَاُولٰٓئِ الۡاَحۡمَالِ اَجۡلُهُنَّ اَنۡ يَّضَعُنَّ حَمَلَهُنَّ وَمَنۡ يَّتَّقِ اللّٰهُ يَجۡعَلۡ لَهٗ مِّنۡ اَمۡرٍ يُّسۡرًا ؕ)

قوله تعالى: (والاني ينسن من المحيض من نساكم) - الآية.

1124. وأخرج ابن جرير وإسحاق بن راهويه والحاكم وغيرهم عن أبي بن كعب قال: « لما نزلت الآية التي في سورة البقرة في عدد من عدد النساء قالوا: قد بقي عدد من عدد النساء لم يذكرن، الصغار والكبار وأولات الأحمال فأنزلت: (واللائي ينسن من المحيض) - الآية⁽²⁶⁰⁰⁾».

1125. وأخرج مقاتل في تفسيره: « أن خلاد بن عمرو بن الجموح سأل النبي ﷺ عن عدة التي لا تحيض فنزلت⁽²⁶⁰¹⁾».

[تعليق]

ذكر المؤلف رحمه الله سببين لنزول الآية وكلاهما يدلان على أن الآية نزلت بسبب سؤال الصحابة عن عدة الصغيرة والكبيرة وأولات الحمل، وذلك أنها لم تذكر في سورة البقرة، فنزلت الآية موضحة أن عدة تلك النساء المذكورات في الآية ثلاثة أشهر فلا تعدت المرأة اليائسة والصغيرة بالأقراء كما هو الحال في المرأة ذات الحيض، إنما تعدت بالأشهر، وأن عدة ذات الحمل أن تضع حملها. فقد نزلت الآية بسبب سؤال الصحابة فأنزل الله حكمها لمن نزل السؤال فيهم وفي غيرهم.

[تفسير مختصر للآية]

(واللائي ينسن من المحيض من نساكم إن ارتبتم) أي والنسوة اللواتي انقطع حيضهن، لكبر سنهن، إن شككنم وجهلتم كيف عدتهن؟ فهذا حكمهن. (فعدتهن ثلاثة أشهر) أي فعدة الواحدة منهن ثلاثة أشهر، كل شهر يقوم مقام حيضة.

⁽²⁵⁹³⁾ المستدرک للحاکم 1/727 ح (1993) وقال: صحیح الإسناد قلت هو كذلك ولكنه من رواية أبي عبيدة بن عبد الله بن مسعود وروايته عن أبيه مرسله.

⁽²⁵⁹⁴⁾ شديد الضعف.

⁽²⁵⁹⁵⁾ في إسناده جويبر ضعيف.

⁽²⁵⁹⁶⁾ ضعيف.

⁽²⁵⁹⁷⁾ تفسير ابن أبي حاتم 10/3359 مرسل.

⁽²⁵⁹⁸⁾ سنن أبي داود (1/560)

⁽²⁵⁹⁹⁾ صفوة التفسير - للصابوني (3/366)

⁽²⁶⁰⁰⁾ تفسير الطبري 28/141 المستدرک للحاکم 2/534 ح (3821) مصنف ابن أبي شيبة 3/554 قلت: عمرو بن سالم لم يدرك أبي بن كعب، وقد ذكر الحديث ابن أبي حاتم في العلل وأعله بذلك مرسل.⁽²⁶⁰¹⁾

(واللائي لم يحضن) أي وكذلك اللواتي لم يحضن لصغرهن، عدتهن ثلاثة أشهر. (وأولات الأحمال أجلهن أن يضعن حملهن) أي والمرأة الحامل تنتهي عدتها بوضع الحمل، سواء كانت مطلقة، أو متوفى عنها زوجها(2602).

انتهت سورة الطلاق

سُورَةُ التَّحْرِيمِ

(يَا أَيُّهَا النَّبِيُّ لِمَ تُحَرِّمُ مَا أَحَلَّ اللَّهُ لَكَ تَبْتَغِي مَرْضَاتَ أَزْوَاجِكَ وَاللَّهُ غَفُورٌ رَحِيمٌ (١))

قوله تعالى: (يا أيها النبي لم تحرم ما أحل الله لك).

1126. أخرج الحاكم والنسائي بسند صحيح عن أنس: « أن رسول الله ﷺ كانت له أمة يطؤها، فلم تزل به حفصة حتى جعلها على نفسه حراماً، فأنزل الله: (يا أيها النبي لم تحرم ما أحل الله لك) - الآية (2603) ». «

[تعليق]

سورة التحريم من السور المدنية التي تتناول الشؤون التشريعية، وهي هنا تعالج قضايا وأحكاماً تتعلق " ببيت النبوة " وبأمهات المؤمنين أزواج رسول الله ﷺ الطاهرات، وذلك في إطار تهيئة البيت المسلم، والنموذج الأكمل للأسرة السعيدة، المتمسكة بأداب الإسلام(2604).

وقد ذكر المؤلف رحمه الله أثراً واحداً في سبب نزول هذه الآية، وقد أن المؤلف اختصر الأثر وأنا سأذكره كاملاً للفائدة وهو يعبر عن مؤامرة زوجية بين بعض أزواج النبي ﷺ، ولم يخل بيت النبوة من ذلك مما يدل على أن هذه طبيعة بشرية في النساء وغيرتهن حتى وإن كن أزواج الأنبياء.

قال الإمام الثعلبي: قالوا: وكان رسول الله ﷺ صلى الله عليه وسلم قسّم الأيام بين نسائه فلما كان يوم حفصة قالت: يا رسول الله، إن لي إلى أبي حاجة نفقة لي عنده، فأذن لي أن أزوره وأتي، فأذن لها، فلما خرجت أرسل رسول الله ﷺ صلى الله عليه وسلم إلى جاريته مارية القبطية أم إبراهيم - وكان قد أهداها المقوقس - فأدخلها بيت حفصة فوقع عليها، فأنتت حفصة فوجدت الباب مغلقاً فحبست عند الباب، فخرج رسول الله ﷺ صلى الله عليه وسلم ووجهه يقطر عرقاً وحفصة تبكي، فقال: ما يبكيك؟ قالت: إنما أذنت لي من أجل هذا، أدخلت أمتك بيتي، ثم وقعت عليها في يومي وعلى فراشي، أما رأيت لي حرمة وحقا؟ ما كنت تصنع هذا بامرأة منهن؟ فقال رسول الله ﷺ صلى الله عليه وسلم: «أليس هي جاريتي قد أحلها الله لي؟ اسكتي فهي حرام عليّ ألتمس بذلك رضاك، فلا تخبري بهذا امرأة منهن هو عندك أمانة».

فلما خرج رسول الله ﷺ صلى الله عليه وسلم قرعت حفصة الجدار الذي بينها وبين عائشة فقالت: ألا أبشرك أن رسول الله ﷺ قد حرّم عليه أمته مارية، فقد أرحنا الله منها، فأخبرت عائشة بما رأت وكانتا متصافيتين، متظاهرتين على سائر أزواج النبي ﷺ صلى الله عليه وسلم، فغضبت عائشة فلم تزل بنبي الله ﷺ صلى الله عليه وسلم حتى حلف أن لا يقربها فأنزل الله (يا أيُّها النَّبِيُّ لِمَ تُحَرِّمُ مَا أَحَلَّ اللَّهُ لَكَ) يعني العسل ومارية.

وقال عكرمة: نزلت في المرأة التي وَهَبَتْ نَفْسَهَا لِلنَّبِيِّ ﷺ عليه والسلام، ويقال لها أم شريك فأبى النبي ﷺ صلى الله عليه وسلم أن يصلها لأجل امرأته (تَبْتَغِي مَرْضَاتَ أَزْوَاجِكَ وَاللَّهُ غَفُورٌ رَحِيمٌ) (2605).

وقد ذكر العلماء سبباً آخر وهو أن النبي ﷺ حرم على نفسه العسل وهذه هي قصة العسل.

قال الإمام الثعلبي: وذلك أن رسول الله ﷺ صلى الله عليه وسلم كان إذا صلى الغداة دخل على نسائه امرأة امرأة، وكان أهدبت لحفصة بنت عمر عكة عسل، فكان إذا دخل عليها رسول الله ﷺ صلى الله عليه وسلم مسلماً مسلماً حبسته وسفته منها، وإن عائشة أنكرت احتباسه عندها فقالت لجويرية عندها حبشية يقال لها: حصن: إذا دخل رسول الله ﷺ صلى الله عليه وسلم على حفصة فادخلي عليها وانظري ماذا يصنع، فأخبرتها الخبر وشأن العسل، فغارت عائشة وأرسلت إلى صواحبها فأخبرتهن وقالت: إذا دخل عليك رسول الله ﷺ صلى الله عليه وسلم فقلن: إنا نجد منك ريح مغافير، وهو صمغ العرفط، كريبه الرائحة، وكان رسول الله ﷺ صلى الله عليه وسلم يكرهه.

قال: فدخل رسول الله ﷺ صلى الله عليه وسلم على سودة، قالت: فما أردت أن أقول ذلك لرسول الله ﷺ صلى الله عليه وسلم ثم أتت فرقت من عائشة فقلت: يا رسول الله ما هذه الريح التي أجدها منك؟ أكلت المغافير؟

فقال: «لا، ولكن حفصة سقتني عسلاً». ثم دخل رسول على امرأة امرأة وهن يقولن له ذلك، ثم دخل على عائشة فأخذت بأنفها. فقال لها النبي ﷺ صلى الله عليه وسلم: «ما شأنك؟»

قالت: أجد ريح المغافير، أكلتها يا رسول الله؟ قال: «لا بل سقتني حفصة عسلاً».

قالت: حرست إذا نحلها العرفط، فقال لها صلى الله عليه وسلم: «و الله لا أطعمه أبداً» فحرّمه على نفسه.

(2602)صفوة التفاسير - للصابوني (366 /3)

(2603) سنن النسائي 7/17 ح(3959) المستدرک للحاکم 2/535 ح(3824) وقال: صحيح على شرط مسلم سنن البيهقي الكبرى 7/353 ح(14853) إسناده صحيح. قال الإمام النسائي: أخبرني إبراهيم بن يونس بن محمد حرمي هو لقبه قال حدثنا أبي قال حدثنا حماد بن سلمة عن ثابت عن أنس—به.

(2604)صفوة التفاسير - للصابوني (370 /3)

(2605)الكشف والبيان عن تفسير القرآن (344 /9)

وقال عطاء بن أبي مسلم: إن التي كانت تسقي رسول الله صلى الله عليه وسلم أم سلمة. وبإسناده عن عبيد بن عمير قال: سمعت عائشة زوج النبي صلى الله عليه وسلم ورضي عنها تخبر أن رسول الله كان يمكث عند زينب بنت جحش ويشرب عندها عسلاً، قالت: فتواطأت أنا وحفصة أيتنا دخل عليها النبي صلى الله عليه وسلم فنقل: إني أجد منك ريح مغاير، فدخل على إحداهما، فقالت له ذلك، فقال: «لا بل شربت عسلاً عند زينب بنت جحش، ولن أعود له». فنزلت (يا أيها النبي لم تحرم...) (الآيات²⁶⁰⁶).

وفيها سبب آخر. وقال عكرمة: نزلت في المرأة التي وهبت نفسها للنبي عليه والسلام، ويقال لها أم شريك فأبى النبي عليه السلام أن يصلها لأجل امرأته (تبتغي مرضات أزواجك والله غفور رحيم)⁽²⁶⁰⁷⁾. قلت: هذه الآية نزلت في تحريم النبي □ على نفسه الحلال، فعاتبه الله تبارك وتعالى بأفضل عتاب من محب لحبيبه وخاطبه بصيغة النبوة (يا أيها النبي) فسواء في ذلك حرم العسل أو مارية أو غير ذلك فهو عتاب من الله تعالى لنبيه □ على تحريمه الحلال على نفسه، على أن تحريم مارية والعسل قد صح في أسباب نزول هذه الآية فدل ذلك على ما ذكرناه والله تعالى أعلم.

[تفسير مختصر للآية]

(يا أيها النبي لم تحرم ما أحل الله لك) الخطاب بلفظ النبوة، شعر بالتوقير والتعظيم، والتنويه بمقامه الرفيع الشريف، فلم يخاطبه باسمه العلم، كما خاطب سائر الرسل، بقوله "يا إبراهيم، يا نوح، يا عيسى ابن مريم" وإنما خاطبه بلفظ النبوة أو الرسالة، وذلك أعظم دليل وبرهان على أنه - صلوات الله عليه - أفضل الأنبياء والمرسلين، ومعنى الآية: يا أيها الموحى إليه من السماء، المنبأ بواسطة الأمين جبريل عليه السلام، لماذا تمنع نفسك مما أحل الله لك من النساء؟ وفي افتتاح العتاب من حسن التلطف ما لا يخفى، فقد عاتبه على إعتاب نفسه، والتضييق عليها من أجل مرضاة أزواجه، كأنه يقول: لا تتعب نفسك في سبيل أزواجك، وأزواجك يسعين في مرضاتك، فأرح نفسك من هذا العناء.

(تبتغي مرضات أزواجك) أي تطلب رضا أزواجك بتحريم ما أحل الله لك؟ قال في التسهيل: يعنى تحريمه للجارية ابتغاء رضا حفصة، وهذا يدل على أنها نزلت في (تحريم الجارية)، وأما تحريم العسل فلم يقصد فيه رضا أزواجه، وإنما تركه لرائحته. (والله غفور رحيم) أي والله واسع المغفرة، عظيم الرحمة، حيث سامحك في امتناعك عن مارية، وإنما عاتبك رحمة بك، وفي هذا إشارة إلى أن عتابه في ذلك، إنما كان كرامة له، وإنما وقع العتاب لتضييقه عليه السلام على نفسه، وامتناعه مما كان له فيه أنس ومتعة⁽²⁶⁰⁸⁾.

(قَدْ فَرَضَ اللَّهُ لَكُمْ تَحِلَّةَ أَيْمَانِكُمْ وَاللَّهُ مَوْلَاكُمْ وَهُوَ الْعَلِيمُ الْحَكِيمُ ٢)

قوله تعالى: (قد فرض الله لكم تحلة أيمانكم) - الآية.

1127. وأخرج الضياء في المختارة من حديث ابن عمر عن عمر قال: «قال رسول الله □ لحفصة: «لا تخبري أحداً أن أم إبراهيم علي حرام». فلم يقربها حتى أخبرت عائشة، فأنزل الله: (قد فرض الله لكم تحلة أيمانكم)⁽²⁶⁰⁹⁾».

1128. [ك] وأخرج الطبراني بسند ضعيف من حديث أبي هريرة قال: «دخل رسول الله □ بمارية سريره بيت حفصة، فجاءت فوجدتها معه، فقالت: يا رسول الله في بيتي دون بيوت نساءك، قال: فإنها علي حرام أن أمسها يا حفصة واكتمي هذا علي، فخرجت حتى أتت عائشة فأخبرتها، فأنزل الله: (يا أيها النبي لم تحرم) - (الآيات⁽²⁶¹⁰⁾)».

1129. وأخرج البزار بسند صحيح عن ابن عباس قال: «نزلت: (يا أيها النبي لم تحرم) - (الآية في سيرته)⁽²⁶¹¹⁾».

1130. وأخرج الطبراني بسند صحيح عن ابن عباس قال: «كان رسول الله □ يشرب عند سودة العسل، فدخل على عائشة فقالت: إني أجد منك ريحاً، ثم دخل على حفصة فقالت مثل ذلك، فقال: «أراه من شراب شربته عند سودة، والله لا أشربه فنزلت: (يا أيها النبي لم تحرم ما أحل الله لك)⁽²⁶¹²⁾».

1131. وله شاهد في الصحيحين⁽²⁶¹³⁾

(2606) (الكشف والبيان عن تفسير القرآن (9/ 343)

(2607) (الكشف والبيان عن تفسير القرآن (9/ 344)

(2608) صفوة التفاسير - للصابوني (3/ 371)

(2609) الأحاديث المختارة 1/299 ح (189) وفي إسناده من لم أجد له ترجمة.

(2610) المعجم الأوسط 3/13 ح (2316) بسياق أطول مما ذكره المؤلف في إسناده موسى بن جعفر، ذكره الذهبي في ميزان الاعتدال وقال: لا يعرف وخبره ساقط ميزان الاعتدال 6/537

(2611) المعجم الكبير 11/86 ح (11130) سنن البيهقي الكبرى 7/352 ح (14851) في إسناده مسلم بن كيسان الأعور ضعيف، ولكن عزاه الهيثمي للبزار كما عزاه المؤلف، وقال: إسناده رجال الصحيح غير بشر بن آدم الأصغر وهو ثقة

(2612) المعجم الكبير 11/117 ح (11226) إسناده حسن، ولكنه مخالف لما في الصحيح من أن الذي شرب عندها العسل هي زينب بنت جحش، والخطأ من أبي عامر الخزاز فإنه كثير الخطأ كما وصفه الحافظ

(2613) يشير بذلك إلى قصة شربه العسل عند زينب صحيح البخاري 4/1865 ح (4628) صحيح مسلم 1/1100 ح (1474) صحيح ابن حبان 9/489 ح (4183) سنن أبي داود

- قال الحافظ ابن حجر: يحتمل أن تكون الآية نزلت في السببين معا⁽²⁶¹⁴⁾.
1132. وأخرج ابن سعد عن عبد الله بن رافع قال: «سألت أم سلمة عن هذه الآية: (يا أيها النبي لم تحرم ما أحل الله لك) قالت: كان عندي عكة من عسل أبيض، فكان النبي ﷺ يلحق منها وكان يحبه، فقالت له عائشة: نحلها يجرس عرفطاً، فحرمها، فنزلت هذه الآية⁽²⁶¹⁵⁾».
1133. [ك] وأخرج الحارث بن أسامة في مسنده عن عائشة قالت: «لما حلف أبو بكر أن لا ينفق على مسطح، أنزل الله: (قد فرض الله لكم تحلة أيمانكم) فأنفق عليه». غريب جداً في سبب نزولها⁽²⁶¹⁶⁾.
1134. وأخرج ابن أبي حاتم عن ابن عباس قال: «نزلت هذه الآية: (يا أيها النبي لم تحرم ما أحل الله لك) في المرأة التي وهبت نفسها للنبي ﷺ». غريب أيضاً وسنده ضعيف

[تعليق]

ذكر المؤلف رحمه الله تعالى عدة آثار في سبب نزول هذه الآية. وقد ذكرنا سبب نزول الآثار المتعلقة بقوله تعالى (يا أيها النبي لم تحرم ما أحل الله لك) فأكتفي بما ذكره المؤلف رحمه الله في قوله تعالى (قد فرض الله لكم تحلة أيمانكم). فقد ذكر فيها سببين في نزولها فالأول منهما هو أصحها أن النبي ﷺ عندما حرم الله على نفسه الحلال فنزلت الآية (قد فرض الله لكم تحلة أيمانكم) ففرض عليه الحنث في اليمين. وفي صحيح البخاري ومسلم وغيرهما عن أبي موسى الأشعري رضي الله عنه قال: قال رسول الله ﷺ: "إني والله -إن شاء الله - لا أحلف على يمين فأرى غيرها خيراً منها إلا أتيت الذي هو خير وتحللتها"⁽²⁶¹⁸⁾. ففرض الله تعالى على نبيه وعلى أمته الحنث في اليمين إذا كان غيرها خيراً منها، وفي هذه المسألة تفصيل محله كتب الفقه.

وأما السبب الثاني في نزول هذه الآية، أنها نزلت في أبي بكر الصديق عندما حلف لا ينفق على مسطح عندما خاض مع أهل الإفك، وقد تقدمت قصته في سورة النور. وهذا السبب استعربه المؤلف رحمه الله. قلت: وهو محتمل لا سيما وقد حلف أبو بكر أن لا ينفق على مسطح فنزلت فيه آية النور (ولا يأتل أولوا الفضل منكم والسعة أن يؤتوا أولي القربى) وآية التحريم قد فرض الله لكم تحلة أيمانكم. فيحتمل أن تكون نزلت في الأمرين والله تعالى أعلم. وقد ذكر المؤلف رحمه الله في كتابه في التفسير قال: وأخرج ابن المنذر عن الضحاك قال: كان قوم حلفوا على تحريم الحلال فقالوا: أما إذ حلفنا وحرمانا على أنفسنا فإنه ينبغي لنا أن نبر، فقال اله (أن تبروا وتتقوا وتصلحوا بين الناس) [البقرة الآية 224] ولم يجعل لها كفارة فأنزل الله (يا أيها النبي لم تحرم ما أحل الله لك، قد فرض الله لكم تحلة أيمانكم) [التحریم الأيتان 1 - 2] فأمر النبي عليه السلام بالكفارة لتحريم ما حرم على نفسه الجارية التي كان حرمها على نفسه أمره أن يكفر يمينه ويعاود جاريته ثم أنزل الله (لا يؤاخذكم الله باللغو في أيمانكم)⁽²⁶¹⁹⁾. قلت: أرجح ما قيل في سبب نزول هذه الآية أنها نزلت في تحريم النبي ﷺ على نفسه الجارية والعسل، دل على ذلك سياق الآيات والله تعالى أعلم.

[تفسير مختصر للآية]

(قد فرض الله لكم تحلة أيمانكم) أي قد شرع الله لكم يا معشر المؤمنين، ما تتحللون به من أيمانكم وذلك بالكفارة. (والله مولاكم) أي والله وليكم وناصركم. (وهو العليم الحكيم) أي وهو العليم بخلق، الحكيم في صنعه، فلا يأمر ولا ينهى، إلا بما تقتضيه الحكمة والمصلحة⁽²⁶²⁰⁾.

(عَسَىٰ رَبُّهُ إِنْ طَلَّقَنَّ أَنْ يُبَدِّلَهُ أَرْوَجًا خَيْرًا مِّنْكَ مُّسَلِّمَاتٍ مَّؤْمِنَاتٍ قَنِينَاتٍ تَنَبَّاتٍ عَدِدَاتٍ سَخِرَاتٍ تَنَبَّاتٍ وَأَبْكَارًا ۝٥)

قوله تعالى: (عسى ربه إن طلقن) - الآية. تقدم سبب نزولها وهو قول عمر في سورة البقرة.

[تعليق]

أثر عمر الذي ذكره المؤلف رحمه الله عن أنس عن عمر بن الخطاب قال: بلغني بعض ما آذى به رسول الله ﷺ نساؤه، فدخلت عليهن، فجعلت أستقرئهن واحدةً واحدةً، فقالت: والله لتنتهن، أو ليبدلن الله أزواجاً خيراً منكن، فنزلت هذه الآية.

335/3ح(3714) سنن النسائي الكبرى 3/130 ح(4737) سنن البيهقي الكبرى 7/353 ح(14857) مسند أحمد 6/221 ح(25894)⁽²⁶¹⁴⁾ هذا الاحتمال بعيد بل خطأ لأن سودة من اللاتي توطأت معهن عائشة في قولهن لرسول الله ﷺ: أكلت مغافير وما قلناه من أن ذكرها خطأ من الراوي هو أولي، وقد حكم عليه الحافظ نفسه بما تقدم والله أعلم.

⁽²⁶¹⁵⁾ الطبقات الكبرى لابن سعد 8/170 ضعيف الإسناد.

⁽²⁶¹⁶⁾ مسند الحارث (زوائد الهيثمي) 2/913 ح(998) في إسناده عبد العزيز بن أبان متروك.

⁽²⁶¹⁷⁾ تفسير ابن أبي حاتم 10/3362 في إسناده حفص بن عمر العدني الملقب بالفرخ ضعيف.

⁽²⁶¹⁸⁾ صحيح البخاري (9/197).

⁽²⁶¹⁹⁾ الدر المنثور في التفسير بالماثور للسيوطي (2/629).

⁽²⁶²⁰⁾ صفوة التفسير - للصابوني (3/371).

نزلت الآية تحذيراً لأهميات المؤمنين من التآمر على رسول الله، وأنهن إذا أعلن فسوف يبذل الله نبيه بخير منهن. وقد تقدم حديث تخيير النبي ﷺ لأزواجه والله تعالى الموفق.

[تفسير مختصر للآية]

(عسى ربه أن يطفئك) قال المفسرون: (عسى) من الله واجب أي حق واجب على الله إن يطفئك رسوله. (أن يبده أزواجاً خيراً ممنك) أي أن يعطيه عليه السلام بدلكن زوجات صالحات، خيراً وأفضل ممنك قال القرطبي: هذا وعد من الله تعالى لرسوله لو طلقهن في الدنيا أن يزوجه نساء خيراً منهن، والله عالم بأنه لا يطلقهن، ولكن أخبر عن قدرته، على أن رسوله لو طلقهن، لأبدله الله خيراً منهن، تخويفاً لهن. ثم وصف تعالى هؤلاء الزوجات اللواتي سيبدله بهن، فقال سبحانه: (مسلمات) أي خاضعات مستسلمات لأمر الله تعالى وأمر رسوله. (مؤمنات) أي مصدقات بالله وبرسوله. (قانتات) أي مطيعات لما يؤمرن به، مواظبات على الطاعة. (تائبات) أي تائبات من الذنوب، لا يصرن على معصية. (عابدات) أي متعبدات لله تعالى يكثرن العبادة، كأن العبادة امتزجت بقلوبهن حتى صارت سجية لهن. (سائحات) أي مسافرات مهاجرات إلى الله ورسوله (قال ابن عباس: (سائحات) أي صائمات واستدل بحديث: "سباحة هذه الأمة الصيام" وقال زيد بن أسلم: (سائحات) أي مهاجرات وتلا قوله تعالى: (التائبون العابدون السائحون) أي لمهاجرون، ولعل هذا الرأي أرجح لأنه يتفق مع المعنى اللغوي للسباحة وهي السفر في الأرض للاعتبار، وقد رجح ابن كثير الرأي الأول والله أعلم. (ثيبات وأبكارا) أي منهن ثيبات، ومنهن أبكارا قال ابن كثير: قسمهن إلى نوعين ليكون ذلك أشهى إلى النفس، فإن التنوع يبسط النفس، وإنما دخلت واو العطف هنا (ثيبات وأبكارا) للتنوع والتقسيم، ولو سقطت لأختل المعنى، لأن الثيبوة والبيكاراة لا يجتمعان، فتدبر سر القرآن (2621).

انتهت سورة التحريم

سُورَةُ الْقَلَمِ

(مَا أَنْتَ بِنِعْمَةِ رَبِّكَ بِمَجْنُونٍ ۚ)

قوله تعالى: (ما أنت بنعمة ربك بمجنون)

1135. أخرج ابن المنذر عن ابن جريج قال: « كانوا يقولون للنبي ﷺ أنه مجنون ثم شيطان، فنزلت: (ما أنت بنعمة ربك بمجنون)⁽²⁶²²⁾».

[تعليق]

سورة ن أو القلم من السور التي بدأت بالأحرف المقطعة وهي سورة مكية في قول الحسن وعكرمة وعطاء وجابر. وقال ابن عباس وقتادة: من أولها إلى قوله تعالى: (سَنَسِيْبُهُ عَلَى الْخُرْطُومِ) مكي. ومن بعد ذلك إلى قوله تعالى: (أَكْبَرُ لَوْ كَانُوا يَعْلَمُونَ) مدني. ومن بعد ذلك إلى قوله: (يَكْتُمُونَ) مكي. ومن بعد ذلك إلى قوله تعالى: (مِنَ الصَّالِحِينَ) مدني، وما بقي مكي؛ قاله الماوردي⁽²⁶²³⁾.

الجو العام للسورة جو السور المكية.

وقد ذكر المؤلف هذا الأثر المرسل عن ابن جريج، وهو وإن كان مرسلًا ولكن يشهد له الحال، وقد ثبت في القرآن في غير موضع اتهام الكفار للنبي ﷺ مرة بأنه شاعر ومرة بأنه مجنون ومرة بأنه ساحر، فالأثر لا شك أنه صحيح المعنى، وقد تقدم نظائر لهذه الآية.

[تفسير مختصر للآية]

(ما أنت بنعمة ربك بمجنون) أي لست يا محمد بفضل الله وإنعامه عليك بالنبوة بمجنون، كما يقول الجهلة المجرمون، فأنت بحمد الله عاقل، لا كما قالوا (يا أيها الذي نزل عليه الذكر إنك لمجنون) قال ابن عطية: هذا جواب القسم، وقوله (بنعمة ربك) اعتراض كما تقول للإنسان: أنت - بحمد الله - فاضل⁽²⁶²⁴⁾.

(وَإِنَّ لَكَ لَأَجْرًا غَيْرَ مَمْنُونٍ ۚ ۓ وَإِنَّكَ لَعَلَىٰ خُلُقٍ عَظِيمٍ ۚ)

(2621) صفوة التفاسير - للصابوني (3/ 373)

(2622) مرسل.

(2623) تفسير القرطبي - (18/ 223)

(2624) صفوة التفاسير - للصابوني (3/ 385)

قوله تعالى: (وإن لك لأجراً غير ممنون وإنك لعلى خلق عظيم) 1136. وأخرج أبو نعيم في الدلائل والواحد بسند وإه عن عائشة قالت: « ما كان أحد أحسن خلقاً من رسول الله ﷺ ، ما دعاه أحد من أصحابه ولا من أهل بيته إلا قال: " لبيك ". فذلك أنزل الله: (وإنك لعلى خلق عظيم)⁽²⁶²⁵⁾».

[تعليق]

ذكر المؤلف رحمه الله أثراً واحداً ضعيف الإسناد في سبب نزول هذه الآية، والآية ثناء من الله تعالى على خلق النبي ﷺ بأنه على خلق عظيم. وفي صحيح الإمام البخاري عن أنس بن مالك قال: " كان رسول الله ﷺ أحسن الناس خلقاً"⁽²⁶²⁶⁾.

[تفسير مختصر للآية]

(وإنك لعلى خلق عظيم) أي وإنك يا محمد، لعلى أدب رفيع جم، وخلق فاضل كريم، فقد جمع الله فيك الفضائل والكمالات.. يا له من شرف عظيم، لم يدرك شأنه بشر، فرب العزة جل وعلا يصف محمداً بهذا الوصف الجليل (وإنك لعلى خلق عظيم) وقد كان من خلقه ﷺ العلم والحلم، وشدّة الحياء، وكثرة العبادة والسخاء، والصبر والشكر، والتواضع والزهد، والرحمة والشفقة، وحسن المعاشرة والأدب، إلى غير ذلك من الخلال العلية، والأخلاق المرضية (أخرج الشيخان عن أنس رضي الله عنه قال: " خدمت رسول الله ﷺ عشر سنين فما قال لي: أف قط، ولا قال لي شيء فعلته؛ لم فعلته؟ ولا لشيء لم أفعله: ألا فعلته؟ وكان ﷺ أحسن الناس خلقاً، وما مسست خزا ولا حريراً ولا شيئاً كان ألين من كف رسول الله ﷺ ، ولا شممت مسكاً ولا عطراً كان أطيب من عرق رسول الله ﷺ " أخرجه البخاري ومسلم، وفي البخاري عن عائشة لما سئلت عن خلقه ﷺ قالت: (كان خلقه القرآن) تعني التأدب بأدابه، فهو نموذج تطبيقي للقرآن العظيم) ولقد أحسن القائل: إذا الله أتنى بالذي هو أهله عليك فما مقدار ما تمدح الوري؟⁽²⁶²⁷⁾.

(وَلَا تُطِغْ كُلَّ حَلَّافٍ مَّهِينٍ ۙ ۱۰ هَمَّازٍ مَشَاءٍ بِنَمِيمٍ ۙ ۱۱ مَنَّاعٍ لِّلْخَيْرِ مُعْتَدٍ أَثِيمٍ ۙ ۱۲ عُنُقٌ بَعْدَ ذَلِكَ زَنِيمٍ ۙ ۱۳)

قوله تعالى: (ولا تطع كل حلاف مهين) – الآيات. 1137. [ك] وأخرج ابن أبي حاتم عن السدي في قوله: « (ولا تطع كل حلاف مهين) قال: نزلت في الأحنس بن شريق⁽²⁶²⁸⁾».

1138. [ك] وأخرج ابن المنذر عن الكلبي مثله⁽²⁶²⁹⁾.

1139. [ك] وأخرج ابن أبي حاتم عن مجاهد قال: « نزلت في الأسود بن عبد يغوث⁽²⁶³⁰⁾».

1140. [ك] وأخرج ابن جرير عن ابن عباس قال: « نزلت على النبي ﷺ : (ولا تطع كل حلاف مهين همام شاء بنميم) فلم نعرفه حتى نزل عليه بعد ذلك: (زنيم) فعرفناه له زمة كزمنة الشاة⁽²⁶³¹⁾».

[تعليق]

ذكر المؤلف عدة آثار في سبب نزول هذه الآية، وفيها ثلاث أسباب للنزول. فالأول: أنها نزلت في الأحنس بن شريق. والثاني: أنها في الأسود بن عبد يغوث والثالث أنها في رجل مبهم من كفار قريش له زمة كزمنة الشاة. وقد اختلفت عبارات المفسرين في تفسير " زنيم " فقيل كزمنة الشاة أي: الهنّة المعلقة تحت حنكها⁽²⁶³²⁾. فهذا الرجل مبهم ولكنه معروف بهذه العلامة. وقد روى في سبب نزولها غير ما ذكره المؤلف أنه الوليد بن المغيرة وهو الرجل المبهم في الرواية الذي ذكره المؤلف⁽²⁶³³⁾. وهذا الذي عليه أكثر أهل التفسير. قال الإمام القرطبي: وكان الوليد دعياً في قريش ليس من سنخهم ؛ ادعاه أبوه بعد ثماني عشرة سنة من مولده. قال الشاعر:

زنيم ليس يعرف من أبوه... بغي الأم ذو حسب لئيم

وقال حسان:

(2625) أسباب النزول للواحد في إسناده الحسين بن علوان الكوفي ضعيف جدا

(2626) صحيح البخاري (8/ 55)

(2627) صفوة التقاسير - للصابوني (3/ 385)

(2628) تفسير ابن أبي حاتم 10/3364 مرسل.

(2629) واهي

(2630) تفسير ابن أبي حاتم 10/3364 مرسل.

(2631) تفسير الطبري 29/26 صحيح الإسناد

(2632) المخصص - لابن سيده (2/ 401) المؤلف: أبو الحسن علي بن إسماعيل النحوي اللغوي الأندلسي المعروف بابن سيده دار النشر ولادة ووفاة (398 458 هـ =

1066 1007 م): دار إحياء التراث العربي بيروت 1417 هـ 1996 م الطبعة: الأولى تحقيق: خليل إبراهيم جفال عدد الأجزاء/ 5

(2633) زاد المسير (8/ 331) الكشف والبيان عن تفسير القرآن (12/10)

وأنت زعيم نيط في آل هاشم... كما نيط خلف الراكب القدر (2634).

وقال فضيلة الشيخ محمد على الصابوني حفظه الله:

قال المفسرون: نزلت في " الوليد بن المغيرة " فقد كان دعيا في قريش وليس منهم، ادعاه أبوه بعد ثمان عشرة سنة - أي تبناه ونسبه لنفسه بعد أن كان لا يعرف له أب - قال ابن عباس: لا نعلم أحدا وصفه الله بهذه العيوب غير هذا، فالحق به عارا لا يفارقه أبدا، وإنما ذم بذلك لأن النطفة إذا خبثت خبث الولد، وروي أن الآية لما نزلت جاء الوليد إلى أمه فقال لها: إن محمدا وصفني بتسع صفات، كلها ظاهرة في، أعرفها غير التاسع منها ! يريد أنه (زعيم) فإن لم تصدقني ضربت عنقك بالسيف، فقالت له: إن أباك كان عنينا - أي لا يستطيع معاشرته النساء - فخفت على المال فمكنت راعيا من نفسي، فأنت ابن ذلك الراعي، فلم يعرف أنه ابن زنا حتى نزلت الآية.

قلت: فالآية ذم لرجل أو رجال من قريش وصف الله حالهم بأفحج الأوصاف، والتي كانوا يعرفون بها فأمر الله نبيه بأن لا يطبع هؤلاء الموصوفون بهذا الصفات ويحتمل أن تكون الآيات نزلت في عدة من الكفار اتفقوا في نفس الصفات التي ذكرها الله عنهم والله تعالى أعلم.

[تفسير مختصر للآية]

(ولا تطع كل حلاف) أي ولا تطع يا محمد كثير الحلف بالحق والباطل، الذي يكثر من الحلف مستهينا بعظمة الله.

(مهين) أي فاجر حقير.

(همار) أي مغتاب يأكل لحوم الناس بالطعن والعيب.

(مشاء بنميم) أي يمشي بالنميمة بين الناس، وينقل حديثهم ليقع بينهم وهو الفتان، وفي الحديث الصحيح. « لا يدخل الجنة نام ». «

(مناع للخير) أي بخيل ممسك عن الإنفاق في سبيل الله.

(معتد أثيم) أي ظالم متجاوز في الظلم والعدوان، كثير الآثام والإجرام، وجاءت الأوصاف [حلاف، همار، مشاء، مناع] بصيغة المبالغة للدلالة على الكثرة.

(عتل) أي جاف غليظ، قاسي القلب، عديم الفهم.

(بعد ذلك) أي بعد تلك الأوصاف الذميمة التي تقدمت.

(زعيم) أي ابن زنا، وهذه أشد معانيه وأقبحها، أنه لصيق دعي ليس له نسب صحيح

(أن كان ذا مال وبنين) أي لأن كان ذا مال وبنين، كفر بالله وقال في القرآن ما قال، وزعم أنه أساطير الأولين؟ وكان ينبغي أن

يقابل النعمة بالشكر، لا بالجود والتكذيب (اختار الطبري وابن كثير هذا المعنى أن الآية متعلقة بما بعدها أي لأنه ذو مال وبنين

يتكبر بماله وبنيه ويقول " إن القرآن خرافات وأباطيل"، واختار غيرهما أن الآية متعلقة بما سبق أي لا تطعه بسبب كثرة ماله

وولده.

(إذا تتلى عليه آياتنا قال أساطير الأولين) أي إذا قرئت آيات القرآن على ذلك الفاجر، قال مستهزئا ساخرا: إنها خرافات وأباطيل

المتقدمين، اختلقها محمد ونسبها إلى الله، قال تعالى ردا عليه متوعدا له بالعذاب (2635).

(إِنَّا بَلَوْنَهُمْ كَمَا بَلَوْنَا أَصْحَابَ الْجَنَّةِ إِذْ أَقْسَمُوا لَيَصْرُنَّهَا مُصْبِحِينَ ۝ ١٧)

قوله تعالى: (إنا بلوناكم كما بلونا أصحاب الجنة) - الآية.

1141. [ك] وأخرج ابن أبي حاتم عن ابن جريج: « أن أبا جهل قال يوم بدر: خذوهم أخذاً فاربطوهم في

الحبال ولا تقتلوا منهم أحداً، فنزلت: (إنا بلوناكم كما بلونا أصحاب الجنة) - يقول في قدرتهم عليهم كما

اقتدر أصحاب الجنة على الجنة (2636) ». «

[تعليق]

ذكر المؤلف رحمه الله أثراً واحداً في سبب نزول هذه الآية وهو أثر مرسل أو معضل، وأكثر أهل التفسير لا يذكرونه

في تفاسيرهم.

فإنه تعالى يخبر أنه ابتلي المشركين أي اختبرهم كما ابتلي أصحاب الجنة.

وأصحاب الجنة هؤلاء ذكر المفسرون قصتهم.

قال الإمام الثعلبي وغيره عن ابن عباس في قوله تعالى: (إِنَّا بَلَوْنَاكُمْ كَمَا بَلَوْنَا أَصْحَابَ الْجَنَّةِ) قال: بستان باليمن يقال

لها القيروان دون صنعاء بفرسخين، يطأه أهل الطريق، وكان غرسه قوم من أهل الصلاة، وكانت لرجل فمات فورثه بنين له، فكان

يكون للمساكين إذا صرموا نخلهم كل شيء تعداه المنجل فلم تجده، فإذا طرح من فوق المنجل أملى البساط، فكل شيء يسقط على

البساط فهو أيضا للمساكين، فإذا حصدوا زروعهم فكل شيء تعداه المنجل فهو للمساكين، وإذا داسوا كان لهم كل شيء ينثر، فلما

مات الأب ورثها هؤلاء الأخوة عن أبيهم، فقالوا: والله إن المال لقليل وإن العيال لكثير إنما كان يفعل هذا الأمر إذا كان كثيرا

والعيال قليلا، فأما إذا قلّ المال وكثر العيال فإننا لا نستطيع أن نفعل هذا، فتحالفوا بينهم يوما ليعدون عدوة قبل خروج الناس فليصر

من نخلهم ولم يستثنوا - لم يقولوا إن شاء الله - فغدا القوم بسدق من الليل إلى جنتهم ليصرموها فأروها مسودة، وقد طاف عليها من

(2634) تفسير القرطبي - (18 / 234)

(2635) صفة التفسير - للصابوني (3 / 386)

(2636) تفسير ابن أبي حاتم 10/3365 معضل.

الليل طائف من عذاب أصابها فأحرقها فأصْبَحَتْ كَالصَّرِيمِ فَذَلِكَ قَوْلُهُ تَعَالَى: (إِذْ أَسْمُوا حَلْفُوا، لِيَصْرُمُوهَا) لتجديها ولتقطيع ثمرها، مُصْبِحِينَ إِذْ أَصْبَحُوا قَبْلَ أَنْ يَعْلَمَ الْمَسَاكِينُ، (وَلَا يَسْتَنْتُونَ) لَا يَقُولُونَ إِنْ شَاءَ اللَّهُ، فَطَافَ عَلَيْهَا طَائِفٌ مِنْ رَبِّكَ وَلَا يَكُونُ الطَّائِفُ إِلَّا بِاللَّيْلِ، وَكَانَ ذَلِكَ الطَّائِفُ نَارًا أَنْزَلَتْ مِنَ السَّمَاءِ فَأَحْرَقَتْهَا. وَهُمْ نَائِمُونَ فَأَصْبَحَتْ كَالصَّرِيمِ كَاللَّيْلِ الْمُظْلَمِ الْأَسْوَدِ⁽²⁶³⁷⁾.

[تفسير مختصر للآية]

(إنا بلوناكم كما بلونا أصحاب الجنة) أي إنا اخترنا أهل مكة بالقحط والجوع، بدعوة رسول الله ﷺ كما اخترنا أصحاب البستان المشتمل على أنواع الثمار والفواكه، وكلفنا أهل مكة أن يشكروا ربهم على النعم، كما كلفنا أصحاب الجنة أن يشكروا ربهم ويعطوا الفقراء حقوقهم.

(إذ أقموا ليصر منها مصبحين) أي حين حلفوا ليقطعن ثمرها وقت الصباح، قبل أن يخرج إليهم المساكين.

(ولا يستنون) أي ولم يقولوا (إن شاء الله) حين حلفوا، كأنهم واثقون من الأمر.

(طاف عليها طائف من ربك وهم نائمون) أي فطرقها طارق من عذاب الله، وهم في غفلة عما حدث، لأنهم كانوا نياما، قال الكلبي: أرسل الله عليها نارا من السماء فاحترقت وهم نائمون.

(فأصبحت كالصريم) أي فأصبحت كالزرع المحصود إذا أصبح هشيما يابساً، قال ابن عباس: أصبحت كالرماد الأسود، قد حرموا خير جنتهم بذنبيهم.

(فتنادوا مصبحين) أي نادى بعضهم بعضاً حين أصبحوا، ليمضوا على الميعاد إلى بستانهم.

(أن اغدوا على حرثكم إن كنتم صارمين) أي اذهبوا مبكرين إلى ثماركم وزروعكم وأغابكم، إن كنتم حاصدين للثمار، تريدون قطعها.

(فانطلقوا وهم يتخافتون) أي فانطلقوا نحو البستان، وهم يخفون كلامهم خوفاً من أن يشعر بهم المساكين، قائلين:

(أن لا يدخلنا اليوم عليكم مسكين) أي لا تدخلوا في هذا اليوم أحداً من الفقراء إلى البستان، ولا تمكنوه من الدخول.

(وغدوا على حرد قادرين) أي ومضوا على قصد وقدرة في أنفسهم، يظنون أنهم تمكنوا من مرادهم، قال ابن عباس: (على حرد) على قدرة وقصد، وقال السدي: على حرق وغضب، وقال الحسن: على فاقة وحاجة، وقول ابن عباس أظهر (قال الطبري: وأولى الأقوال بالصواب قول من قال معناه: غدوا على أمر قد قصده واعتدوه واستسروه بينهم قادرين عليه، وهو ترجيح لقول ابن عباس وهو الذي اخترناه وهو الأظهر، والله أعلم.

(فلما رأوها قالوا إنا لضالون) أي فلما رأوا حديقتهن سوداء محترقة، قد استحالت من النضارة والبهجة، إلى السواد والظلمة، قالوا: لقد ضللنا الطريق إليها وليست هذه حديقتنا! قال أبو حيان: كان قولهم ذلك في أول وصولهم إليها، أنكروا أنها هي، واعتقدوا أنهم أخطأوا الطريق، ثم وضح لهم أنها هي، وأنه أصابها من عذاب الله ما أذهب خيرها فقالوا عند ذلك:

(بل نحن محرومون) أي لسنا مخطئين للطريق، بل نحن محرومون، حرماناً ثمرها وخيرها بجنايتنا على أنفسنا

(قال أوسطهم ألم أقل لكم لولا تسبحون) أي قال أعقلهم وأفضلهم رأياً: هلا تسبحون الله فتقولون " سبحان الله " أو " إن شاء الله " ! قال في البحر: نبههم ووبخهم على تركهم ما حضهم عليه من التسبيح، ولو ذكروا الله وإحسانه إليهم، لامتثلوا ما أمر به من مواساة المساكين، واقتنوا سنة أبيهم في ذلك، فلما غفلوا عن ذكر الله، وعزموا على منع المساكين ابتلاهم الله وقال الرازي: أن القوم حين عزموا على منع الزكاة، واغترتوا بمالهم وقوتهم، قال الأوسط لهم: توبوا عن هذه المعصية قبل نزول العذاب، فلما رأوا حالة البستان ذكرهم بالكلام الأول، فاشتغلوا بالتوبة ولكن بعد خراب البصرة.

(قالوا سبحان ربنا إنا كنا ظالمين) أي فقالوا حينئذ: تنزه الله ربنا عن الظلم فيما فعل، بل نحن كنا الظالمين لأنفسنا في منعنا حق المساكين.

(فأقبل بعضهم على بعض يتلاومون) أي يلوم بعضهم بعضاً، يقول هذا: أنت أشرت علينا بهذا الرأي، ويقول ذلك: بل أنت، ويقول آخر: أنت الذي خوفنا الفقر ورغبنا في جمع المال، فهذا هو التلاوم.

(قالوا يا ويلنا إنا كنا طاغين) أي قالوا: يا هلاكنا وتعاستنا إن لم يغفر لنا ربنا، فقد كنا عاصين وباغين في منعنا الفقراء، وعدم التوكل على الله، قال الرازي: والمراد أنهم استعظمو جرمهم.

(عسى ربنا أن يبدلنا خيراً منها) أي لعل الله يعطينا أفضل منها، بسبب توبتنا واعترافنا بخطيئتنا.

(إنا إلى ربنا راغبون) أي فنحن راغبون لعفوه، طالبون لإحسانه وفضله. ساق تعالى هذه القصة، ليعلمنا أن مصير البخيل ومانع الزكاة إلى التلف، وأنه يضمن ببعض ماله في سبيل الله، فيهلك كل ماله مصحوباً بغضب الله، ولذلك عقب تعالى بعد ذكر هذه القصة بقوله:

(كذلك العذاب ولعذاب الآخرة أكبر لو كانوا يعلمون) أي مثل هذا العذاب الذي نزل بأهل الجنة ينزل بقريش، ولعذاب الآخرة أعظم وأشد من عذاب الدنيا، لو كان عندهم فهم وعلم، قال ابن عباس: هذا مثل لأهل مكة حين خرجوا إلى بدر، وحلفوا ألا يرجعوا إلى مكة، حتى يقتلوا محمداً ﷺ وأصحابه، ويشربوا الخمر، وتضرب القينات - المغنيات - على رؤوسهم، فأخلف الله ظنهم، فقتلوا وأسروا وإنهزموا، كأهل هذه الجنة لما خرجوا عازمين على الصرام فخابوا⁽²⁶³⁸⁾.

انتهت سورة القلم

سُورَةُ الْحَاقَّةِ

(لِنَجْعَلَهَا لَكُمْ تَذْكِرَةً وَتَعِيَهَا أُنْذُنٌ وَعِيَةٌ ۚ)

قوله تعالى: (لنجعلها لكم تذكرة وتعيها) - الآية.

1142. أخرج ابن جرير وابن أبي حاتم والواحد عن بريده: « قال رسول الله ﷺ لعلي بن أبي طالب: «إني أمرت أن أذنبك ولا أقصيك وأن أعلمك وأن تعي وحق لك أن تعي». قال: فنزلت هذه الآية: (وتعيها أذن واعية⁽²⁶³⁹⁾) لا يصح .

[تعليق]

سورة الحاقة من السور المكية والتي اهتمت بذكر أمور الساعة، وما يكون بعد الموت للمؤمن والكافر، وما يعقب ذلك. وقد ذكر المؤلف أثر لا يصح في سبب نزول هذه الآية هكذا قال المؤلف وغير واحد من أهل التفسير. قال الإمام الثعلبي: عن عبد الله بن الحسن قال: حين نزلت هذه الآية (وَتَعِيَهَا أُنْذُنٌ وَعِيَةٌ) قال رسول الله صَلَّى اللهُ عَلَيْهِ وَسَلَّمَ: «سألت الله أن يجعلها أذنك يا علي» قال علي: فما نسيت شيئاً بعد وما كان لي أن أنساه⁽²⁶⁴⁰⁾. قلت: الآية عامة في علي وغيره ممن وعي عن رسول الله ﷺ ما أخبر به عن ربه، فهي مدي وتناء على كل من كانت هذه صفته. والله تعالى أعلم.

(تفسير مختصر للآية)

(وتعيها أذن واعية) أي وتحفظها وتذكرها أذن واعية للمواعظ، تنتفع بما تسمع، قال القرطبي: والمقصود من قصص هذه الأمم وذكر ما حل بهم من العذاب، زجر هذه الأمة عن الاقتداء بهم في معصية الرسول ﷺ، ولهذا ختم الآية بقوله (وتعيها أذن واعية) قال قتادة: الواعية هي التي عقلت عن الله، وانتفعت بما سمعت من كتاب الله عز وجل⁽²⁶⁴¹⁾. انتهت سورة الحاقة

سُورَةُ الْمَعَارِجِ

(سَأَلَ سَائِلٌ بِعَذَابٍ وَاقِعٍ)

قوله تعالى: (سأل سائل بعذاب واقع).

1143. أخرج النسائي وابن أبي حاتم عن ابن عباس في قوله: (سأل سائل) قال: هو النضير بن الحارث، قال: اللهم إن كان هذا هو الحق من عندك فأمطر علينا حجارة من السماء⁽²⁶⁴²⁾.
1144. وأخرج ابن أبي حاتم عن السدي في قوله (سأل سائل) قال: « نزلت بمكة في النضر بن الحارث، وقد قال: (اللهم إن كان هذا هو الحق من عندك) الآية، وكان عذابه يوم بدر⁽²⁶⁴³⁾ ».

[تعليق]

سورة المعارج سورة مكية باتفاق أهل التفسير، وهي كذلك تقص علينا أهوال يوم القيامة وما سيكون بعد البعث، والتناء على أهل الصلاة والزكاة والعفة، كذلك تحدثت عن القبر والخروج منه ليوم الحشر نسأل الله النجاة. ذكر المؤلف أثرين يدلان على أن الآية نزلت في النضر بن الحارث، وهذا هو الذي عليه الجمهور، وكان النضر هو القائل اللهم إن كان هذا هو الحق من عندك فأمطر علينا حجارة من السماء أو اتتنا بعذاب أليم، فقال ذلك تكبراً عن قبول الحق الذي جاء من عند الله تعالى. وفي سبب نزولها غير ما ذكر المؤلف. الثاني: ما أخرجه الإمام الثعلبي بسند منقطع قال: «لما كان رسول الله صَلَّى اللهُ عَلَيْهِ وَسَلَّمَ بغدير خم، نادى بالناس فاجتمعوا، فأخذ بيد علي رضي الله عنه فقال: «من كنت مولاه فعلي مولاه».

(2639) تفسير ابن أبي حاتم 10/3369 تفسير الطبري 29/56 أسباب النزول للواحد 373 وفي إسناده عبد الله بن الزبير الزبيري والد أبي أحمد الزبيري ضعيف

(2640) الكشف والبيان عن تفسير القرآن (10/28)

(2641) صفوة التفسير - للصابوني (3/393)

(2642) تفسير ابن أبي حاتم 10/3373 المستدرک للحاكم 2/545 ح(3854) عن سعيد ابن جبیر ولعه سقط من النسخة ابن عباس قال: صحيح على شرط الشيخين سنن النسائي

الكبرى 6/498 ح(11620) إسناده صحيح. قال الإمام النسائي: أنا بشر بن خالد نا أبو أسامة حدثنا سفيان عن الأعمش عن المنهال بن عمرو عن سعيد بن جبیر عن بن عباس - به

(2643) تفسير ابن أبي حاتم 10/3373 مرسل.

(455)

فشاع ذلك وطار في البلاد، فبلغ ذلك الحرث بن النعمان القهري فأتى رسول الله صَلَّى اللهُ عَلَيْهِ وَسَلَّمَ على ناقة له حتى أتى الأبطح، فنزل عن ناقته وأناخها وعقلها، ثم أتى النبي صَلَّى اللهُ عَلَيْهِ وَسَلَّمَ وهو في ملاء من أصحابه فقال: يا محمد أمرتنا عن الله أن نشهد أن لا إله إلا الله وأنت رسول الله فقبلناه منك، وأمرتنا أن نصلي خمسا فقبلناه منك، وأمرتنا بالزكاة فقبلنا، وأمرتنا بالحج فقبلنا، وأمرتنا أن نصوم شهرا فقبلنا، ثم لم ترض بهذا حتى رفعت بضبعي ابن عمك ففضلته علينا وقلت: من كنت مولاه فعلي مولاه، فهذا شيء منك أم من الله تعالى؟

فقال: «وَالَّذِي لَا إِلَهَ إِلَّا هُوَ هَذَا مِنْ اللَّهِ» فولى الحرث بن النعمان يريد راحلته وهو يقول: اللهم إن كان ما يقوله حقا فَأَمْطِرْ عَلَيْنَا جِجَارَةً مِنَ السَّمَاءِ، أَوْ انْتِنَا بِعَذَابٍ أَلِيمٍ، فما وصل إليها حتى رماه الله بحجر فسقط على هامته وخرج من دبره فقتله، وأنزل الله سبحانه: (سَأَلَ سَائِلٌ بِعَذَابٍ وَاقِعٍ لِلْكَافِرِينَ لَيْسَ لَهُ دَافِعٌ) (2644).

والتالث: أنها نزلت في أبي جهل بن هشام.

فذكر الإمام ابن الجوزي في تفسيره قال: وقال الربيع بن أنس هو أبو جهل.

قلت: الراجح أنها نزلت في النصر بن الحارث على ما رجحه الجمهور ونقلناه قبل ذلك والله أعلم.

[تفسير مختصر للآية]

(سأل سائل بعذاب واقع) أي دعا داع من كفار مكة لنفسه ولقومه، بنزول عذاب واقع لا محالة (2645).

(لِلْكَافِرِينَ لَيْسَ لَهُ دَافِعٌ ۚ)

قوله تعالى: (للكافرين ليس له دافع).

1145. [ك] وأخرج ابن المنذر عن الحسن قال: «نزلت: (سأل سائل بعذاب واقع فقال الناس: على من يقع العذاب؟ فأنزل الله: (للكافرين ليس له دافع)» (2646).

[تعليق]

ذكر المؤلف رحمه الله هذا الأثر المرسل عن الحسن وهو استنباط من معنى الآية. فالعذاب واقع على الكافرين ليس له دافع من الله تعالى.

[تفسير مختصر للآية]

(للكافرين) أي دعا بهذا العذاب على الكافرين

(ليس له دافع) أي لا راد له إذا أراد الله وقوعه، وهو نازل بهم لا محالة، سواء طلبوه أو لم يطلبوه، وإذا نزل العذاب، فلن يرفع أو يدفع (2647).

انتهت سورة المعارج

سُورَةُ الْجِنِّ

(قُلْ أُوحِيَ إِلَيَّ أَنَّهُ اسْتَمَعَ نَفَرٌ مِّنَ الْجِنِّ فَقَالُوا إِنَّا سَمِعْنَا قُرْآنًا عَجَبًا ۚ) (١)

قوله تعالى: (قل أوحى إلي أنه استمع نفر) – الآية

1146. [ك] أخرج البخاري والترمذي وغيرهما عن ابن عباس قال: «ما قرأ رسول الله ﷺ على الجن ولا رآهم، ولكنه انطلق في طائفة من أصحابه عامدين إلى سوق عكاظ - وقد حيل بين الشياطين وبين خير السماء وأرسلت عليهم الشهب - فرجعوا إلى قومهم فقالوا: ما هذا إلا لشيء قد حدث فاضربوا مشارق الأرض ومغاربها فانظروا هذا الذي حدث، فانطلقوا، فانصرف نفر الذين توجهوا نحو تهامة إلى رسول الله ﷺ وهو بنخلة وهو يصلي بأصحابه صلاة الفجر، فلما سمعوا القرآن استمعوا له فقالوا: هذا والله الذي حال بينكم وبين خير السماء، فهناك رجعوا إلى قومهم فقالوا: يا قومنا إنا سمعنا قرآنا عجا، فأنزل الله على نبيه: (قل أوحى إلي وإنما أوحى إليه قول الجن)» (2648).

(2644) الكشف والبيان عن تفسير القرآن (35 / 10)

(2645) صفوة التفاسير - للصابوني (399 / 3)

(2646) مرسل

(2647) صفوة التفاسير - للصابوني (399 / 3)

(2648) تفسير الطبري 29/103 صحيح البخاري 1/267 ح (739) صحيح مسلم 1/331 ح (449) صحيح ابن حبان 14/459 ح (6526) المستدرک للحاكم 2/546 ح (3857) سنن الترمذي 5/526 ح (3323) سنن البيهقي الكبرى 2/194 ح (2890) سنن النسائي الكبرى 6/499 ح (11624) مسند أحمد 252 ج: 1 ح (2271) مسند أبي يعلى

255 ج: 4 ح 2369 المعجم الكبير 52 ج: 12 ح (12449)

1147. وأخرج ابن الجوزي في كتاب صفوة الصفوة بسنده عن سهل بن عبد الله قال: «كنت في ناحية ديارعاد إذ رأيت مدينة من حجر منقور وسطها قصر من حجارة تأويه الجن، فدخلت فإذا شيخ عظيم الخلق يصلي نحو الكعبة وعليه جبة صوف فيها طراوة، فلم أتعجب من عظم خلخته كتعجبي من طراوة جيبته، فسلمت عليه فرد علي السلام وقال: يا سهل إن الأبدان لا تخلق الثياب وإنما تخلقها روائح الذنوب ومطاعم السحت، وإن هذه الجبة علي منذ سبعمائة سنة لقيت فيها عيسى ومحمداً عليهما الصلاة والسلام فأمنت بهما، فقلت له ومن أنت؟ قال: من الذين نزلت فيهم: (قل أوحى إلي أنه استمع نفر من الجن⁽²⁶⁴⁹⁾)».

[تعليق]

سورة الجن مكية وهي تعالج أصول العقيدة الإسلامية (الوحدانية، الرسالة، البعث والجزاء) ومحور السورة يدور حول الجن، وما يتعلق بهم من أمور خاصة، بدءاً من استماعهم للقرآن، إلى دخولهم في الإيمان، وقد تناولت السورة بعض الأنبياء العجيبية الخاصة بهم، كاستراقهم للسمع، ورميهم بالشهب المحرقة، وإطلاعهم على بعض الأسرار الغيبية، إلى غير ذلك من الأخبار المثيرة⁽²⁶⁵⁰⁾.

وقد ذكر المؤلف رحمه الله أثرين في سبب نزول هذه الآية وقد تقدم في سورة الأحقاف عند قوله تعالى (وإذ صرفنا إليك نفراً من الجن يستمعون القرآن) وقد ذكرنا هناك سبب ذلك فليرجع إليه.

[تفسير مختصر للآية]

(قل أوحى إلي أنه استمع نفر من الجن) أي قل يا محمد لقومك: إن ربي أوحى إلي أن جماعة من الجن استمعوا لتلاوة القرآن، فأمنوا به وصدقوه وأسلموا⁽²⁶⁵¹⁾.

(وَأَنَّهُ كَانَ رِجَالٌ مِّنَ الْإِنسِ يَعُوذُونَ بِرِجَالٍ مِّنَ الْجِنِّ فَزَادُوهُمْ رَهَقًا ۖ)

قوله تعالى: (وأنه كان رجال من الإنس) - الآية.

1148. وأخرج ابن المنذر وابن أبي حاتم وأبو الشيخ في العظمة عن كردم بن أبي السائب الأنصاري قال: «خرجت مع أبي إلى المدينة في حاجة وذلك أول ما ذكر رسول الله ﷺ، فأوانا المبيت إلى راعي غنم، فلما انتصف الليل جاء ذئب فأخذ حملاً من الغنم فوثب الراعي فقال: عامر الوادي جارك فنادى مناد: لا نراه يا سرحان فأتى الحمل يشتد حتى دخل في الغنم، وأنزل الله على رسوله بمكة: (وأنه كان رجال من الإنس يعوذون برجال من الجن) - الآية⁽²⁶⁵²⁾».

1149. وأخرج ابن سعد عن أبي رجاء العطاردي من بني تميم قال: «بعث رسول الله ﷺ وقد رعيت على أهلي وكفيت مهنتهم، فلما بعث النبي ﷺ خرجنا هراباً، فأتينا على فلاة من الأرض وكنا إذا أمسينا بمثلها قال: شيخنا إنا نعوذ بعزير هذا الوادي من الجن الليلة، فقلنا: ذاك فقيل لنا: إنما سبيل هذا الرجل شهادة أن لا إله إلا الله وأن محمداً رسول الله، من أقر بها أمن على دمه وماله، فرجعنا فدخلنا في الإسلام، قال أبو رجاء: إني لأرى هذه الآية نزلت في وفي أصحابي: (وأنه كان رجال من الإنس يعوذون برجال من الجن فزادوهم رهقا) - الآية⁽²⁶⁵³⁾».

1150. وأخرج الخرائطي في كتاب هواتف الجان حدثنا عبد الله بن محمد البلوي حدثنا عمارة بن زيد حدثني عبد الله بن العلاء حدثنا محمد بن عكبر عن سعيد بن جبير: «أن رجلاً من بني تميم يقال له رافع بن عمير، حدث عن بدء إسلامه قال: إني لأسير برمل عالج ذات ليلة إذ غلبني النوم، فنزلت عن راحلتي وأنختها ونمت، وقد تعوذت قبل نومي فقلت: أعوذ بعظيم هذا الوادي من الجن، فرأيت في منامي رجلاً بيده حربة يريد أن يضعها في نحر ناقتي، فانتبهت فزعا فنظرت يميناً وشمالاً فلم أر شيئاً، فقلت: هذا حلم ثم عدت فغفوت، فرأيت مثل ذلك، فانتبهت فرأيت ناقتي تضطرب والتفت وإذا برجل شاب كالذي رأيته في المنام بيده حربة ورجل شيخ ممسك بيده يدفعه عنه، فبينما هما يتنازعا إذ طلعت ثلاثة أثوار من الوحش، فقال الشيخ: للفتى: قم فخذ أيتها شنت فداء لناقة جاري الإنسي، فقام الفتى فأخذ منها ثوراً وانصرف ثم التفت إلى الشيخ وقال: يا هذا إذا نزلت وادياً من الأودية فخفت هولاً فقل: أعوذ برب محمد من هول هذا الوادي ولا تعذ بأحد من الجن فقد بطل أمرها، قال: فقلت له: ومن محمد هذا؟ قال:

(2649) صفة الصفوة 4/443 ليس له إسناد.

(2650) صفوة التقاسير - للصابوني (410/3)

(2651) صفوة التقاسير - للصابوني (410/3)

(2652) المعجم الكبير 19/191 ح 430 العظمة 5/1664 ح 110425 وفي إسناد عبد الرحمن بن إسحاق الواسطي الكوفي ضعيف.

(2653) الطبقات الكبرى لابن سعد 7/138 إسناد جيد وأبو رجاء تابعي مخضرم والقصة محتملة لأنه عاصر النبي ﷺ وكان يفرضه حتى عفا عن الناس يوم فتح مكة.

نبي عربي لا شرقي ولا عربي بعث يوم الاثنين، قلت فأين مسكنه؟ قال: يثرب ذات النخل، فركبت راحلتي حين ترقى لي الصبح ووجدت السير حتى تقحمت المدينة، فرآني رسول الله ﷺ فحدثني بحدثي قبل أن أذكر منه شيئاً ودعاني إلى الإسلام فأسلمت. قال سعيد بن جبيرة: وكنا نرى أنه هو الذي أنزل الله فيه: (وأنه كان رجال من الإنس يعوذون برجال من الجن فزادوهم رهقا) ⁽²⁶⁵⁴⁾».

[تعليق]

ذكر المؤلف رحمه الله عدة آثار في سبب نزول هذه الآية، وهي إخبار عن حال المشركين قبل الإسلام إذا نزلوا وادياً أو فلاة، فكانوا يعوذون برب بسيد هذا الوادي، فلما رأت الجن ضعف الإنس تسلطوا عليهم وزادوهم رهقاً كما أخبر الله سبحانه عنهم قال الإمام ابن أبي حاتم رحمه الله عن عكرمة قال: كان الجن يفرقون من الإنس كما يفرق الإنس منهم أو أشد، وكان الإنس إذا نزلوا وادياً هرب الجن، فيقول سيد القوم: نعوذ بسيد اهل هذا الوادي. فقال الجن: نراهم يفرقون منا كما نفرق منهم، فدنوا من الإنس فاصابوهم بالخبل والجنون، فذلك قول الله: (وأنه كان رجال من الإنس يعوذون برجال من الجن فزادوهم رهقا) ⁽²⁶⁵⁵⁾. وقال الإمام ابن كثير رحمه الله: وقوله: (وَأَنَّهُ كَانَ رِجَالٌ مِنَ الْإِنْسِ يَعُوذُونَ بِرِجَالٍ مِنَ الْجِنِّ فَزَادُوهُمْ رَهَقًا) أي: كنا نرى أن لنا فضلاً على الإنس؛ لأنهم كانوا يعوذون بنا، أي: إذا نزلوا وادياً أو مكاناً موحشاً من البراري وغيرها كما كان عادة العرب في جاهليتها. يعوذون بعظيم ذلك المكان من الجان، أن يصيبهم بشيء يسوؤهم كما كان أحدهم يدخل بلاد أعدائه في جوار رجل كبير وذمامه وخفارتها، فلما رأت الجن أن الإنس يعوذون بهم من خوفهم منهم، (فَزَادُوهُمْ رَهَقًا) أي: خوفاً وإرهاهاً وذعراً، حتى تبغوا أشد منهم مخافةً وأكثر تعوداً بهم، كما قال قتادة: (فَزَادُوهُمْ رَهَقًا) أي: إثمًا، وازدادت الجن عليهم بذلك جراءة ⁽²⁶⁵⁶⁾.

[تفسير مختصر للآية]

(وأنه كان رجال من الإنس يعوذون برجال من الجن) أي كان خلائق من الإنس يستجبرون برجال من الجن. (فزادوهم رهقا) أي فزاد الإنس الجن باستعاذتهم بهم، إثمًا وطغيانًا، وعتوا وضلالًا ⁽²⁶⁵⁷⁾.

(وَأَلَّوْا اسْتَقَمُوا عَلَى الطَّرِيقَةِ لِأَسْقِيَهُمْ مَاءً غَدَقًا ۖ)

قوله تعالى: (وأن لو استقاموا على الطريقة) – الآية.

1151. وأخرج عن مقاتل في قوله: (وأن لو استقاموا على الطريقة لأسقيناهم ماء غدقاً) قال: « نزلت في كفار قريش حين منع المطر سبع سنين ⁽²⁶⁵⁸⁾».

[تعليق]

ذكر المؤلف رحمه الله هذا الأثر المنقطع في سبب نزول هذه الآية، وكونها نزلت في كفار قريش لما منع الله عليهم المطر ليس له خير يعضه. فالأرجح أنها نزلت إخباراً عاماً من الله تعالى أن عباده لو استقاموا على الطريقة لسقاهم ماء غدقاً. وقد اختلف أهل التفسير في معنى الطريقة، فقال بعضهم لو استقاموا على طريقة الإيمان لوسع عليهم في الرزق، وشاهد ذلك من التنزيل قوله تعالى (ولو أنهم أقاموا التوراة والإنجيل وما أنزل إليهم من ربهم لأكلوا من فوقهم ومن تحت أرجلهم) سورة المائدة.

وقال بعض أهل التفسير المراد بذلك أنهم لو استقاموا على طريق الكفر لوسع الله عليهم في الدنيا ابتلاءً وامتحاناً، وشاهد ذلك من التنزيل (ولولا أن يكون الناس أمة واحدة لجعلنا لمن يكفر بالرحمن لبيوتهم سققاً من فضة ومعارج عليها يظهرون ولبيوتهم أبواباً وسرراً عليهما يتكئون وزخرفاً وإن كل ذلك لما متاع الحياة الدنيا والآخرة عند ربك للمتقين) سورة الزخرف ⁽²⁶⁵⁹⁾.

[تفسير مختصر للآية]

(وأن لو استقاموا على الطريقة) أي لو آمن هؤلاء الكفار، واستقاموا على شريعة الله.

(لأسقيناهم ماء غدقاً) أي لبسطنا لهم في الرزق، ووسعنا عليهم في الدنيا، زيادة على ما يحصل لهم في الآخرة في توسيع الرزق، والمراد بالطريقة: طريقة الإسلام وطاعة الله والمعنى: لو استقاموا على ذلك، لوسع الله أرزاقهم، فهو كقوله تعالى (ولو أن أهل القرى آمنوا واتقوا لفتحنا عليهم بركات من السماء والأرض)

(لنفتنهم فيه) أي لنختبرهم به أيشكرون أم يكفرون؟

(ومن يعرض عن ذكر ربه يسلكه عذاباً صعداً) أي ومن يعرض عن طاعة الله وعبادته، يدخله ربه عذاباً شديداً. شاقاً، لا راحة فيه، قال قتادة: (صعداً) عذاباً لا راحة فيه. وقال عكرمة: وهو صخرة ملساء في جهنم، يكلف صعودها، فإذا انتهى إلى أعلاها، حذر

(2654) هواتف الجان ص 38 المؤلف: عبد الله بن محمد بن عبيد بن سفيان أبو بكر الناشر: مؤسسة الكتب الثقافية - بيروت

الطبعة الأولى، 1413 تحقيق: مصطفى عبد القادر عطا عدد الأجزاء: 1

(2655) تفسير ابن أبي حاتم - (10/3377)

(2656) تفسير ابن كثير (8/239)

(2657) صفوة التفسير - للصابوني (3/411)

(2658) مرسل.

(2659) انظر الكشف والبيان عن تفسير القرآن (10/53) بمعناه

(وَأَنَّ الْمَسْجِدَ لِلَّهِ فَلَا تَدْعُوا مَعَ اللَّهِ أَحَدًا ۱۸)

قوله تعالى: (وأن المساجد لله) - الآية.

1152. وأخرج ابن أبي حاتم من طريق أبي صالح عن ابن عباس قال: « قالت الجن يا رسول الله انذن لنا أن نشهد معك الصلوات في مسجدك، فأنزل الله: (وأن المساجد لله فلا تدعوا مع الله أحداً)⁽²⁶⁶¹⁾».

1153. وأخرج ابن جرير عن سعيد بن جبیر قال: « قالت الجن للنبي ﷺ كيف لنا أن ناتي المسجد ونحن ناعون عنك، أو كيف نشهد الصلاة ونحن ناعون عنك؟ فنزلت: (وأن المساجد لله) - الآية⁽²⁶⁶²⁾».

[تعليق]

ذكر المؤلف رحمه الله أثرين في كون هذه الآية نزلت بسبب سؤال الجن عن الصلاة مع النبي ﷺ في مسجده، فأخبرهم الله أن المساجد لله فلا تدعوا معه غيره فجعل الله تعالى لهذه الأمة كل الأرض مسجداً وطهوراً، وجعل له مساجد يعبد فيها وحده ولا يشرك به شيئاً.

وقد ذكر في سبب نزوله كذلك أنها نزلت في اليهود والنصارى.

فالثاني: ذكره الإمام عبد الرزاق الصنعاني وغيره عَنْ قَتَادَةَ فِي قَوْلِهِ تَعَالَى: (فَلَا تَدْعُوا مَعَ اللَّهِ أَحَدًا) قَالَ: « كَانَتْ الْيَهُودُ وَالنَّصَارَى إِذَا دَخَلُوا كَنَائِسَهُمْ وَيَبْعَهُمْ أَشْرَكُوا بِاللَّهِ فَأَمَرَ اللَّهُ تَعَالَى نَبِيَّهُ صَلَّى اللَّهُ عَلَيْهِ وَسَلَّمَ أَنْ يُخْلِصَ الدَّعْوَةَ لَهُ إِذَا دَخَلَ الْمَسْجِدَ⁽²⁶⁶³⁾».

والثالث: ذكره الإمام الثعلبي قال: وقال الحسن: أراد بها البقاع كلها وذلك، أن الأرض جعلت للنبي صلى الله عليه وسلم مسجداً، وكان المسلمون بعد نزول هذه الآية إذا دخل أحدهم المسجد قال: أشهد أن لا إله إلا الله والسلام على رسول الله⁽²⁶⁶⁴⁾.

وقد اختلف أهل التفسير في المراد بالمساجد على أقوال:

أحدها: أنها المساجد التي هي بيوت الصلوات، قاله ابن عباس. قال قتادة: كانت اليهود والنصارى إذا دخلوا كنائسهم ويبيعهم أشركوا، فأمر الله عز وجل المسلمين أن يخلصوا له إذا دخلوا مساجدهم.

والثاني: الأعضاء التي يسجد عليها العبد، قاله سعيد بن جبیر، وابن الأثير، وذكره الفراء. فيكون المعنى، لا تسجدوا عليها لغيره.

والثالث: أن المراد بالمساجد هاهنا: البقاع كلها، قاله الحسن. فيكون المعنى: أن الأرض كلها مواضع للسجود، فلا تسجدوا عليها لغير خالقها.

والرابع: أن المساجد: السجود، فإنه جمع مسجد. يقال: سجدت سجوداً، ومسجداً، كما يقال: ضربت في الأرض ضرباً، ومضرباً، ثم يجمع، فيقال: المساجد، والمضارب. قال ابن قتيبة: فعلى هذا يكون واحدها: مسجداً، بفتح الجيم. والمعنى: أخلصوا له، ولا تسجدوا لغيره⁽²⁶⁶⁵⁾.

قلت: أياً كان المراد من المساجد هنا فالأمر بأن لا يشرك بالله أحداً في بيوته التي جعلها للناس مساجد، أو في البقاع كلها أو في أعضاء السجود فكل ذلك مراد من عموم الآية. والله تعالى أعلم.

[تفسير مختصر للآية]

(وأن المساجد لله فلا تدعوا مع الله أحداً) هذا من جملة الموحى به للرسول أن المساجد لله فلا تشرکوا به أحداً.

(قُلْ إِنِّي لَنْ يُجِيرَنِي مِنَ اللَّهِ أَحَدٌ وَلَنْ أَجِدَ مِنْ دُونِهِ مُلْتَحِداً ۲۲)

قوله تعالى: (قل لن يجيرني من الله أحد) - الآية.

1154. وأخرج ابن جرير عن حزمي: « أنه ذكر له أن جنياً من الجن من أشرافهم ذا تبع قال: إنما يريد محمد أن يجيره الله وأنا أجيره، فأنزل الله: (قل لن يجيرني من الله أحد) الآية⁽²⁶⁶⁶⁾».

[تعليق]

ذكر المؤلف هذا الأثر المنقطع في ادعاء الجن أنهم يجيرون النبي ﷺ فنزلت الآية رداً عليهم أنه لا يجيره من الله أحداً، فالله تعالى يجير ولا يجار عليه.

(2660) صفوة التفسير - للصابوني (413 / 3)

(2661) تفسير ابن أبي حاتم 10/3378 إسناده منقطع ضعيف

(2662) تفسير الطبري 29/117 مرسل ضعيف الإسناد

(2663) تفسير عبد الرزاق الصنعاني (3 / 354)

(2664) الكشف والبيان عن تفسير القرآن (10 / 54)

(2665) زاد المسير (8 / 383)

(2666) تفسير الطبري 29/120 مرسل ضعيف

قلت: وهذا غريب ليس له شواهد.
وقد ذكر الإمام الثعلبي أثراً آخر في سبب نزول هذه الآية قال: قال كفار قريش للنبي صلى الله عليه وسلم: إنك أتيت بأمر عظيم لم يسمع بمثله، وقد عادت الناس كلهم فارجع عن هذا الأمر، فنحن نجبرك، فأنزل الله سبحانه هذه الآيات⁽²⁶⁶⁷⁾.
قلت: وهذا أقرب فقد عرف ذلك من عادة كفار قريش حيث عرضوا على النبي ﷺ المال والملك والجوار وغير ذلك والله تعالى أعلم.

[تفسير مختصر للآية]

(قل إني لن يجيرني من الله أحد ولن أجد من دونه ملتحداً) أي قل لهم أيضاً: إنه لن ينقذني من عذاب الله أحد إن عصيته، ولن أجد لي نصيراً ولا ملجأ منه، فكيف أجيبكم إلى ما طلبتم؟ قال قتادة: (ملتحداً) ملجأً ونصيراً⁽²⁶⁶⁸⁾.

انتهت سورة الجن سورة المزمل

(يَا أَيُّهَا الْمَزْمَلُ ١)

قوله تعالى: (يا أيها المزممل).

1155. أخرج البزار والطبراني بسند ضعيف عن جابر قال: « اجتمعت قريش في دار الندوة فقالت: سموا هذا الرجل اسماً يصدر عنه الناس، قالوا: كاهن قالوا: ليس بكاهن، قالوا: مجنون قالوا: ليس بمجنون قالوا: ساحر قالوا: ليس بساحر، فبلغ ذلك النبي ﷺ فتزمل في ثيابه فتدثر فيها فاتاه جبريل فقال: (يا أيها المزممل) (يا أيها المدثر⁽²⁶⁶⁹⁾) .»
1156. وأخرج ابن أبي حاتم عن إبراهيم النخعي في قوله: (يا أيها المزممل) - قال: نزلت وهو في قطيفة⁽²⁶⁷⁰⁾.

[تعليق]

سورة المزمل سورة مكية كلها في قول الحسن وعكرمة وطاء وجابر وقال ابن عباس وقتادة: إلا آيتين منها: (وَأَصْبِرْ عَلَىٰ مَا يَقُولُونَ) والتي تليها؛ ذكره الماوردي. وقال الثعلبي: قوله تعالى: (إِنَّ رَبَّكَ يَعْلَمُ أَنَّكَ تَقُومُ أَدْنَىٰ) إلى آخر السورة؛ فإنه نزل بالمدينة⁽²⁶⁷¹⁾.
ومحور السورة وموضوعها يدور حول النبي ﷺ وجانب من طاعته وقيامه الليل كما اهتمت بما اهتمت به السور المكية من معالجة موضوع التوحيد والرسالة.
ومعنى التزمّل: هو الالتفاف في الثياب، وقد حمل بعض أهل العلم التزمّل في الآية على حقيقته، ويدل عليه سبب النزول الذي أخرجه المؤلف، كما يدل على أن الآية مكية، غير أن أم المؤمنين عائشة رضي الله عنها روت أن النبي ﷺ تزمّل بمرط طوله أربعة عشر ذراعاً نصفه عليه ونصفه عليها، وقد عقب الإمام القرطبي واستدل على ذلك بأن السورة مدنية ومال إلى ترجيح هذا القول، وهذا مخالف لما عليه الأكثر⁽²⁶⁷²⁾. والأثر المذكور في ذلك لم أجد إسناده، إنما ذكره الإمام الثعلبي بغير إسناد قال: قال أبو عبد الله الجدلي: سألت عائشة عن قوله سبحانه: يا أَيُّهَا الْمَزْمَلُ ما كان تزميله ذلك؟ قالت: كان مرطاً طوله أربع عشر ذراعاً نصفه عليّ وأنا نائمة ونصفه على رسول الله صلى الله عليه وسلم، وهو يصلي.
قال أبو عبد الله: فسألتها ما كان؟ قالت: والله ما كان جزاً ولا قرّاً ولا مرعزي ولا إبريسم ولا صوفاً كان سداه شعراً ولحمته وبراً⁽²⁶⁷³⁾.

وقد حمل بعض أهل العلم التزمّل في الآية على المجاز.
قال الإمام القرطبي متزمل بالنبوة والمتزمل للرسالة. وقيل: يا أيها الذي زمّل هذا الأمر أي حمّله ثم فتر⁽²⁶⁷⁴⁾.
قلت: الحديث الذي رواه الإمام البخاري في بدأ الوحي يدل على أن التزمّل المراد منه الحقيقة، وإن كان وارداً في سبب نزول سورة المدثر، لكن التزمّل والتدثر يشتركان في معنى الالتفاف بالثياب أو غيرها قال الإمام البخاري. فرجع بها ترجف بوادره حتى دخل على خديجة فقال: "زملوني زملوني". فزملوه حتى ذهب عنه الرّوع. فقال: يا خديجة، ما لي: فأخبرها الخبر⁽²⁶⁷⁵⁾. فهذا الحديث يدل على ما ذكرناه والله أعلم.

وقد روى في سبب نزول هذه الآية عدة أسباب غير ما ذكره المؤلف
قال الإمام ابن الجوزي رحمه الله: قال المفسرون: وكان النبي ﷺ يتزمل في ثيابه في أول ما جاء جبريل فرقاً منه حتى أنس

(2667) الكشف والبيان عن تفسير القرآن (56 / 10)

(2668) صفوة التفسير - للصابوني (413 / 3)

(2669) المعجم الأوسط 2/319 ح (2096) وفي إسناده معلى بن عبد الرحمن الواسطي قال: الهيثمي كذاب.

(2670) تفسير ابن أبي حاتم 10/3380 تفسير الطبري 29 / 143 مرسل صحيح الإسناد

(2671) تفسير القرطبي - (31 / 19)

(2672) تفسير القرطبي - (32 / 19)

(2673) الكشف والبيان عن تفسير القرآن (58 / 10)

(2674) تفسير القرطبي - (32 / 19)

(2675) صحيح البخاري (3 / 1)

قلت: وهذا الأثر يدل على أن الآية مكية والله تعالى أعلم.
قلت: وهذا القول الأخير أرجح والأثر الذي ذكره المؤلف ضعيف، ومن المعلوم أن النبي ﷺ لم يصبه الخوف من الدعوة إلى الله ولم يفرق من كفار قريش ولو لحظة واحدة ويشهد لما قلنا حديث الإمام البخاري المخرج في الصحيح. والله تعالى أعلم.

[تفسير مختصر للآية]

(يا أيها المزمّل) أي يا أيها المتلف بثيابه، وأصله المتزمل وهو الذي تلف وتغطي، وخطابه، بهذا الوصف (يا أيها المزمّل) فيه تأنيس وملاطفة له عليه السلام، قال السهيلي: إن العرب إذا قصدت ملاطفة المخاطب وترك معاتبته، سموه باسم مشتق من حالته التي هو عليها كقول النبي ﷺ، لعلّي - حين غاضب فاطمة وقد نام ولصق بجانبه التراب - قم أبا تراب، إشعاراً بأنه ملاطف له، وغير عاتب عليه، والفائدة الثانية؟ التنبيه لكل متزمل راقد ليله، ليتنبه إلى قيام الليل، وذكر الله تعالى، لأن الاسم المشتق من الفعل، يشترك فيه المخاطب.

(قُمْ اللَّيْلَ إِلَّا قَلِيلًا ۖ)

قوله تعالى: (قم الليل إلا قليلاً)

1157. [ك] وأخرج الحاكم عن عائشة قالت: « لما نزلت: (يا أيها المزمّل قم الليل إلا قليلاً) قاموا سنة حتى رمت أقدامهم فأنزلت: (فاقروا ما تيسر منه)⁽²⁶⁷⁷⁾».

1158. وأخرج ابن جرير مثله عن ابن عباس وغيره⁽²⁶⁷⁸⁾.

[تعليق]

ذكر المؤلف رحمه الله اثنين في سبب نزول هذه الآية، وكان الله تعالى فرض عليهم قيام الليل ثم نسخ ذلك بقوله تعالى (علم أن لن تحصوه فتاب عليكم فاقروا ما تيسر من القرآن). وهذا الأثر يدل على أن الآية مدنية.
قال الإمام الثعلبي: فلما نزلت هذه الآية صلى النبي صلى الله عليه وسلم وأصحابه واشتد ذلك عليهم. وكان الرجل لا يدري متى ثلث الليل ومتى النصف ومتى الثلثان فكان يقوم حتى يصبح مخافة أن لا يحفظ حتى شق عليهم وانتفتحت أقدامهم وانتفتحت ألوانهم، فرحمهم الله سبحانه وخفف عنهم ونسخها بقوله: عَلِمَ أَنْ سَيَكُونُ مِنْكُمْ مَرْضَى الْآيَةِ. وكان بين أول السورة وآخرها سنة.

وقال سعيد بن جبيرة: لما نزل قوله: (يا أيها المزمّل) مكث النبي صلى الله عليه وسلم على هذه الحال عشر سنين يقوم الليل كما أمره الله تعالى، وكانت طائفة من أصحابه يقومون معه، فأنزل الله سبحانه بعد عشر سنين إِنَّ رَبَّكَ يَعْلَمُ أَنَّكَ تَقُومُ أَدْنَى الْآيَةِ. فخفف عنهم بعد عشر سنين.

وقال مقاتل وابن كيسان: كان هذا قبل أن يفرض الصلوات الخمس، ثم نسخ ذلك بالصلوات الخمس. وقال ابن عباس: لما نزل أول المزمّل كانوا يقومون نحو من قيامهم في شهر رمضان، وكان بين أولها وآخرها سنة.
وروى أبو سلمة بن عبد الرحمن عن عائشة، قالت: كنت أجعل لرسول الله صلى الله عليه وسلم حصيراً يصلي عليه من الليل، فتسامع الناس به، فاجتمعوا فلما تكثرت جماعتهم، كره ذلك وخشي أن يكتب عليهم قيام الليل، فدخل البيت كالمغضب، فجعلوا يتنحنحون ويشغلون حتى خرج إليهم، فقال: «يا أيها الناس اكلفوا من الأعمال ما تطيقون، فإن الله لا يملأ من الثواب حتى تملأوا من العمل وإن خير العمل أدمه وان قل» فنزلت عليه: (يا أيها المزمّل قُمْ اللَّيْلَ) فكتبت عليهم وأنزلت بمنزلة الفريضة حتى إن كان أحدهم ليربط الحبل فيتعلق به، فمكثوا ثمانية أشهر، فلما رأى الله ما يكلفون وبيتعون به وجه الله ورضاه رحمهم فوضع ذلك عنهم فقال: (إِنَّ رَبَّكَ يَعْلَمُ أَنَّكَ تَقُومُ أَدْنَى مِنْ ثُلُثِي اللَّيْلِ وَنِصْفَهُ وَثُلُثَهُ) الْآيَةِ. فردهم إلى الفريضة ووضع عنهم قيام الليل إلا ما تطوعوا به⁽²⁶⁷⁹⁾.

قلت: صح الأثر في سبب نزول هذه الآية، وهو يدل على أنها مدنية في سورة مكية وفيه ما كان عليه النبي ﷺ وأصحابه من الحرص على طاعة الله تعالى.

وقد اختلف أهل العلم في قيام الليل هل كان فرضاً أم سنة، وهل كان فرضاً على النبي ﷺ وأمته أم عليه خاصة.

الذي نجزم به أن قيام الليل مستحب في حق أمة النبي ﷺ، وقد كان مفروضاً ثم نسخ كما قال تعالى: (إِنَّ رَبَّكَ يَعْلَمُ أَنَّكَ تَقُومُ أَدْنَى مِنْ ثُلُثِي اللَّيْلِ وَنِصْفَهُ وَثُلُثَهُ وَطَائِفَةٌ مِنَ الَّذِينَ مَعَكَ وَاللَّهُ يُفَدِّرُ اللَّيْلَ وَالنَّهَارَ عَلِمَ أَنْ لَنْ تُحْصَوْهُ فَتَابَ عَلَيْكُمْ فَاقْرَأُوا مَا تَيَسَّرَ مِنَ الْقُرْآنِ عَلِمَ أَنْ سَيَكُونُ مِنْكُمْ مَرْضَى وَأَخْرُورٌ يُضْرَبُونَ فِي الْأَرْضِ يُبْتَغُونَ مِنْ فَضْلِ اللَّهِ وَأَخْرُورٌ يُقَاتِلُونَ فِي سَبِيلِ اللَّهِ فَاقْرَأُوا مَا تَيَسَّرَ مِنْهُ) [المزمّل: 20]، وظاهر الآية يدل على أنه منسوخ أيضاً في حق النبي ﷺ بقوله تعالى: (فَتَابَ عَلَيْكُمْ) والخطاب للنبي ﷺ وأمته.

وقد استدل بقوله تعالى: (وَمِنَ اللَّيْلِ فَتَهَجَّدْ بِهِ نَافِلَةً لَكَ) على أن القيام في حقها واجب، ولا يجب المصير إليه إلا إذا سلمنا

⁽²⁶⁷⁶⁾ زاد المسير (8/388)

⁽²⁶⁷⁷⁾ المستدرک للحاکم 2/548 ح (3861) وقال: صحیح الإسناد ولم یخرجاه إسناده صحیح حدثنا أبو العباس محمد بن یعقوب حدثنا محمد بن إسحاق الصغاني حدثنا الحسن بن بشر الهمداني حدثنا الحكم بن عبد الملك القرشي حدثنا قتادة عن بينها بن أوفى عن سعد بن هشام قال ثم قلت لعائشة رضي الله عنها أخبريني عن قراءة رسول الله ﷺ - فذكرنا الحديث

⁽²⁶⁷⁸⁾ تفسير الطبري 29/126 سننه صحيح وروي مرسل عن عدة من التابعين منهم الحسن و قتادة وأبي عبد الرحمن.

⁽²⁶⁷⁹⁾ الكشف والبيان عن تفسير القرآن (10/59)

(461)

أن هذه الآية ناسخة لأية المزمّل ولا يمكن معرفة ذلك إلا بمعرفة التاريخ، ولا معرفة للتاريخ هنا، فكلنا الآيتين مكتبتين والله أعلم، فالأصل أنه لا واجب إلا الصلوات الخمس، وبنحو ذلك ورد عن الإمام الشافعي في أحكام القرآن، قال: واحتمل قوله: (وَمِنَ اللَّيْلِ فَتَهَجَّدْ بِهِ نَافِلَةً لَكَ) أن يتهدج بغير الذي فرض عليه مما تيسر منه فكان الواجب طلب الاستدلال بالسنة على أحد المعنيين، فوجدنا سنة رسول الله تدل على أن لا واجب من الصلاة إلا الخمس، فصرنا إلى أن الواجب الخمس، وأن ما سواها من واجب من صلاة قبلها منسوخ بها، استدلالاً بقول الله عز وجل (وَمِنَ اللَّيْلِ فَتَهَجَّدْ بِهِ نَافِلَةً لَكَ) فإنها ناسخة لقيام الليل ونصفه وثلثه وما تيسر، ولسنا نحب لأحد ترك التهجد بما يسره الله عليه من كتابه مصلحاً به وكيفما أكثر فهو أحب إلينا. انتهى.

وفي المسألة نزاع وكلام أطول من ذلك، والراجح ما رجحه الدليل، والله تعالى أعلم.

[تفسير مختصر للآية]

(قم الليل إلا قليلاً) أي دع التزمّل والتلف، وأنشط لصلاة الليل، والقيام فيه ساعات، في عبادة ربك، لتستعد للأمر الجليل، والمهمة الشاقة، ألا وهي تبليغ دعوة ربك للناس، وتبصيرهم بالدين الجديد.. ثم وضح المقدر الذي ينبغي أن يصرفه الرسول في عبادة الله، فقال سبحانه.

(نصفه أو انقص منه قليلاً أو زد عليه) أي قم للصلاة والعبادة نصف الليل، أو أقل من النصف قليلاً، أو أكثر من النصف، والمراد أن تكون هذه الساعات طويلة، بحيث لا تقل عن ثلث الليل، ولا تزيد على الثلثين، وإنما كلف رسول الله ﷺ وأصحابه بقيام الليل، ليكون ذلك حافظاً لهم على الاستعداد الكامل لمجابهة خصوم الدعوة، وتربية أصحابه التربية الجسمية والروحية على أكمل الوجوه، حتى يصبروا على تحمل المشاق والمصاعب، وتجشم الأهوال والأخطار، ويستفيدوا من هذه التربية الكريمة ما يجعلهم يتغلبون على كل أمر عسير يعرض لهم، وقد كان من أثر هذه " التربية الروحية " أن ملك المسلمون مشارق الأرض ومغاربها بجهادهم وصبرهم وتحملهم للأذى في سبيل الله (وهذه هي السورة التي نسخ آخرها أولها، حيث رحم الله المؤمنين، فأنزل التخفيف عليهم بقوله (إن ربك يعلم أنك تقوم أدنى من ثلثي الليل ونصفه وثلثه وطائفة من الذين معك) ثم قال تعالى:

(ورتل القرآن ترتيلاً) أي أقرأ القرآن أثناء قيامك في الليل، قراءة تثبت وتؤدة وتمهل، ليكون عوناً لك على فهم القرآن وتدبره، قال الخازن: لما أمره تعالى بقيام الليل أتبعه بترتيل القرآن، حتى يتمكن المصلي من حضور القلب، والتفكير والتأمل في حقائق الآيات ومعانيها، فعند الوصول إلى ذكر الله، يستشعر بقلبه عظمة الله وجلاله، وعند ذكر الوعد والوعيد، يحصل له الرجاء والخوف، وعند ذكر القصص والامثال، يحصل له الاعتبار، فيستنير القلب بنور معرفة الله، والإسراع في القراءة يدل على عدم الوقوف على المعاني، فظهر بذلك أن المقصود من الترتيل، إنما هو حضور القلب عند القراءة، وقد كان رسول الله ﷺ يقطع القراءة حرفاً حرفاً - أي يقرأ القرآن بتهمل، ويخرج الحروف واضحة، لا يمر بأية رحمة إلا وقف وسأل، ولا يمر بأية عذاب إلا وقف وتعوذ.. ثم بعد أن أمره تعالى باطراح النوم، وقيام الليل، وتدبر القرآن وتفهمه (2680).

انتهت سورة المزمّل

سُورَةُ الْمُدَّثِّرِ

(يَا أَيُّهَا الْمُدَّثِّرُ ١ قُمْ فَأَنْذِرْ ٢ وَرَبَّكَ فَكَبِّرْ ٣ وَثِيَابَكَ فَطَهِّرْ ٤ وَالرُّجْزَ فَاهْجُرْ ٥ وَلَا تَمْنُنْ تَسْتَكْبِرُ ٦ وَلِرَبِّكَ فَاصْبِرْ ٧)

قوله تعالى: (يا أيها المدثر) - الآيات.

1159. أخرج الشيخان عن جابر قال: « قال رسول الله ﷺ : « جاورت بحراء شهراً، فلما قضيت جوارى نزلت، فاستبطنت الوادي فنوديت فلم أر أحداً، فرفعت رأسي فإذا الملك الذي جاءني بحراء، فرجعت فقلت: دثروني فأنزل: (الله يا أيها المدثر قم فأنذر) (2681) ».

1160. [ك] وأخرج الطبراني بسند ضعيف عن ابن عباس: « أن الوليد بن المغيرة صنع لقريش طعاماً، فلما أكلوا قال: ما تقولون في هذا الرجل؟ فقال بعضهم: ساحر وقال بعضهم: ليس بساحر وقال بعضهم: كاهن وقال بعضهم: ليس بكاهن وقال بعضهم: شاعر وقال بعضهم: ليس بشاعر وقال بعضهم: سحر يوتر، فبلغ ذلك النبي ﷺ فحزن ووقع رأسه وتدثر، فأنزل الله: (يا أيها المدثر قم فأنذر) إلى قوله تعالى: (ولربك فاصبر) (2682) ».

[تعليق]

سورة المدثر سورة مكية في قول الجميع، وموضوعها نفس موضوع السور المكية، بالإضافة إلى أمر النبي ﷺ بالدعوة

(2680) صفوة التفسير - للصابوني (3/ 417)

(2681) تفسير الطبري 143/ 29 صحيح البخاري 1874/ 4 ح (4638) صحيح مسلم 1/ 144 ح (161) سنن النسائي الكبرى 502/ 6 ح (11632) مسند أحمد 7/ 306

ح (14326) مسند الطيالسي 1/ 235 ح (1688) مسند أبي يعلى 3/ 453 ح (1949)

(2682) المعجم الكبير 11/ 125 ح (11250) وفي إسناده إبراهيم بن يزيد الخوزي متروك، وقد تقدم حديث جابر في الأوسط

إلى الله في مطلع هذه السورة. وسورة المدثر هي أول سورة جاءت بالأمر بالدعوة، وقد نزلت بعد سورة (اقرأ بسم ربك الذي خلق) بعد فترة من الوحي.

قال الإمام البخاري

جابر بن عبد الله: أنه سمع رسول الله ﷺ يحدث عن فترة الوحي: "فبينما أنا أمشي إذ سمعت صوتاً من السماء، فرفعت بصري قبل السماء، فإذا الملك الذي جاءني بحراء قاعد على كرسي بين السماء والأرض، فَجَنَّتُ منه حتى هَوَيْتُ إلى الأرض، فَجَنَّتُ إلى أهلي، فقلت: زملوني زملوني. فزملوني، فأنزل الله (يَا أَيُّهَا الْمُدَّثِّرُ قُمْ فَأَنْذِرْ) إِلَى: (فَاهْجُرْ) (2683). وهو نفس الحديث الذي ذكر المؤلف طرفاً منه.

أما الأثر الثاني الذي ذكره المؤلف في كون النبي ﷺ فعل ذلك فرقاً من كفار قريش فهو ضعيف الإسناد وقد تقدم في سورة المزمل نحوه.

[تفسير مختصر للآية]

(يا أيها المدثر قم فأنذر) أي يا أيها المتغطي بقطيفته يريد النوم والراحة، قم من مضجعك قيام عزم وتصميم، وحذر الناس من عذاب الله إن لم يؤمنوا، خوطب ﷺ بهذا اللفظ " المدثر " مؤانسة له، وتلطفاً، كما خوطب بلفظ (المزمل) في السورة السابقة (2684).

(ذَرْنِي وَمَنْ خَلَقْتُ وَحِيدًا (١١))

قوله تعالى: (ذرني ومن خلقت وحيداً)

1161. وأخرج الحاكم وصححه عن ابن عباس: « أن الوليد بن المغيرة جاء إلى النبي ﷺ فقرأ عليه القرآن، فكانه رق له، فبلغ ذلك أبا جهل فأتاه فقال: يا عم إن قومك يريدون أن يجمعوا لك مالاً ليعطوكه فإنك أتيت محمداً لتتعرض لما قبله، قال: لقد علمت قريش أنني من أكثرها مالاً، قال: فقل فيه قولاً يبلغ قومك أنك منكر له وأنت كاره له، فقال: وماذا أقول، فوالله ما فيكم رجل أعلم بالشعر مني ولا برجزه ولا بقصيده مني ولا بأشعار الجن، والله ما يشبه الذي يقول شيئاً من هذا، والله إن لقوله لحلاوة وإن عليه لطلاوة وإنه لمنير، أعلاه مغدق وأسفله مورق، وإنه ليعلوا وما يُعلي، وإنه ليحطم ما تحته، قال: لا يرضى عنك قومك حتى تقول فيه، قال فدعني حتى أفكر، فلما فكر قال: هذا سحر يوتر يأتريه عن غيره، فنزلت: (ذرني ومن خلقت وحيداً) (2685) ». إسناده صحيح على شرط البخاري

1162. وأخرج ابن جرير وابن أبي حاتم من طرق أخرى نحوه (2686).

[تعليق]

ذكر المؤلف أثرين في سبب نزول هذه الآية وهي نزلت في الوليد بن المغيرة في قول جميع أهل التفسير. قال الإمام القرطبي: والمفسرون على أنه الوليد بن المغيرة المخزومي، وإن كان الناس خلقوا مثل خلقه. وإنما خص بالذكر لاختصاصه بكفر النعمة وإيذاء الرسول عليه السلام، وكان يسمى الوحيد في قومه. قال ابن عباس: كان الوليد يقول: أنا الوحيد بن الوحيد، ليس لي في العرب نظير، ولا لأبي المغيرة نظير، وكان يسمى الوحيد؛ فقال الله تعالى: (ذَرْنِي وَمَنْ خَلَقْتُ) بزعمه " وحيداً " لا أن الله تعالى صدقه بأنه وحيد. وقال قوم: إن قوله تعالى: (وَحِيدًا) يرجع إلى الرب تعالى على معنيين: أحدهما: ذرني وحدي معه فأنا أجزيك في الانتقام منه عن كل منتقم (2687).

[تفسير مختصر للآية]

(ذرني ومن خلقت وحيداً) أي دعني يا محمد وهذا الشقى، الذي خلقته في بطن أمه، وحيداً فريداً، لا مال له ولا ولد، ولا حول له ولا مدد، ثم كفر بي وكذب بآياتي (2688).

(عَلَيْهَا تِسْعَةَ عَشَرَ ٣٠ وَمَا جَعَلْنَا أَصْحَابَ النَّارِ إِلَّا مَلَائِكَةً وَمَا جَعَلْنَا عِدَّتَهُمْ إِلَّا فِتْنَةً لِلَّذِينَ كَفَرُوا لِيَسْتَيَقِنَ الَّذِينَ أُوتُوا الْكِتَابَ وَيَزِدَّ الَّذِينَ ءَامَنُوا إِيمَانًا وَلَا يَرْتَابَ الَّذِينَ أُوتُوا الْكِتَابَ وَالْمُؤْمِنُونَ وَلِيَقُولَ الَّذِينَ فِي قُلُوبِهِم مَّرَضٌ وَالْكَافِرُونَ مَاذَا أَرَادَ اللَّهُ بِهَذَا مَثَلًا كَذَلِكَ يُضِلُّ اللَّهُ مَنِ يَشَاءُ وَيَهْدِي مَنِ يَشَاءُ وَمَا يَعْلَمُ جُنُودَ رَبِّكَ إِلَّا هُوَ وَمَا هِيَ إِلَّا ذِكْرٌ لِلْبَشَرِ (٣١))

(2683) صحيح البخاري (4 / 1)

(2684) صفوة التفسير - للصابوني (424 / 3)

(2685) المستدرک للحاکم 2/550 ح (3872) شعب الإيمان 1/157 الاعتقاد 1/268 خالف معمر فيه حماد بن زيد فرواه عن أيوب عن عكرمة مرسلًا، وهو الصحيح فإن رواية معمر عن العراقيين متكلم فيها وقد أخرج الشيخان رواية معمر عن أيوب ولكن حماد بن زيد لا شك أعلم فالمصير إلى روايته أولى عند اختلافهما.

(2686) تفسير الطبري 29/157 عن قتادة وسنده صحيح مرسل.

(2687) القرطبي تفسير القرطبي - (71 / 19)

(2688) صفوة التفسير - للصابوني (425 / 3)

قوله تعالى: (عليها تسعة عشر) - الآيات.

1163. [ك] وأخرج ابن أبي حاتم والبيهقي في البعث عن البراء: « أن رهطاً من اليهود سألوا رجلاً من أصحاب النبي ﷺ عن خزنة جهنم، فجاءه جبريل فأخبر النبي ﷺ، فنزل عليه ساعتئذ: (عليها تسعة عشر) - الآية (2689)».

1164. [ك] وأخرج عن ابن إسحاق قال: « قال أبو جهل يوماً: يا معشر قريش يزعم محمد أن جنود الله يعذبونكم في النار تسعة عشر، وأنتم أكثر الناس عدداً أفيعجز مائة رجل منكم عن رجل منهم، فأنزل الله: (وما جعلنا أصحاب النار إلا ملائكة) - الآية (2690)».

1165. وأخرج نحوه عن قتادة قال: ذكر لنا فذكره (2691).

1166. [ك] وأخرج عن السدي قال: « لما نزلت: (عليها تسعة عشر) قال رجل من قريش يدعى أبا الأشد: يا معشر قريش لا يهولنكم التسعة عشر، أنا أدفع عنكم بمنكبي الأيمن عشرة وبمنكبي الأيسر التسعة، فأنزل الله: (وما جعلنا أصحاب النار إلا ملائكة) - الآية (2692)».

[تعليق]

ذكر المؤلف رحمه الله أثراً واحداً في سبب نزول قول الله (عليها تسعة عشر) وأنها نزلت في سؤال اليهود لبعض الصحابة عن عدد خزنة جهنم، والأثر له شاهد عند الإمام الترمذي في السنن من حديث جابر بن عبد الله قال: قال ناس من اليهود لأناس من أصحاب النبي صلى الله عليه وسلم هل يعلم نبيكم عدد خزنة جهنم؟ قالوا لا ندري حتى نسأل نبينا فجاء رجل إلى النبي صلى الله عليه وسلم فقال يا محمد غلب أصحابك اليوم قال وبم غلبوا؟ قال سألهم يهود هل يعلم نبيكم عدد خزنة جهنم؟ قال فما قالوا؟ قال قالوا لا ندري حتى نسأل نبينا قال أيغلب قوم سنلوا عما لا يعلمون؟ فقالوا لا نعلم حتى نسأل نبينا لكنهم قد سألوا نبيهم فقالوا أرنا الله جهرة علي بأعداء الله إني سائلهم عن تربة الجنة وهي الدرمة فلما جاءوا قالوا يا أبا القاسم كم عدد خزنة جهنم؟ قال هكذا وهكذا في مرة عشرة وفي مرة تسع قالوا نعم قال لهم النبي صلى الله عليه وسلم ما تربة الجنة؟ قال فسكتوا هنيهة ثم قالوا أخبزة يا أبا القاسم فقال رسول الله صلى الله عليه وسلم الخبز من الدرمة (2693). واستغرب الترمذي هذا الحديث وضعفه غيره. قلت: وهذا الأثر مع الذي ذكره المؤلف يدل على أن الآية مدنية، وليس كذلك فإن الآية مكية ولم يقع سؤال اليهود عن خزنة جهنم في مكة.

وخزنة جهنم التسعة عشر لم يرد به حصر العدد في هؤلاء إنما هؤلاء هم نقباء خزنة جهنم وفي صحيح مسلم عن ابن مسعود قال النبي ﷺ: " يؤتى بجهنم تقاد يوم القيامة بسبعين ألف زمام، مع كل زمام سبعون ألف ملك [يجرونها] (2694) فهذا الحديث يدل على عدد لا يعلمه إلا الله فبان من ذلك أن المراد من التسعة عشر ملك المذكورين في الآية الكريمة أنهم نقباء ورؤساء خزنة جهنم، والله تعالى أعلم. أما باقي الآثار التي ذكرها المؤلف فهي متعلقة بقول الله (وما جعلنا أصحاب النار إلا ملائكة) الآية. وفيها سببان للنزول.

الأول: في قول أبي جهل.

والثاني: في قول أبي الأشد. وكلا الأثرين ضعيفا الإسناد والظاهر أن الآية نزلت مجرد إخبار من غير سبب والله تعالى أعلم.

[تفسير مختصر للآية]

(عليها تسعة عشر) أي خزنتها الموكلون عليها تسعة عشر " ملكا " من الزبانية الأشداء كقوله تعالى: (عليها ملائكة غلاظ شداد لا يعصون الله ما أمرهم ويفعلون ما يؤمرون) قال ابن عباس: " ما بين منكبي الواحد منهم مسيرة سنة، وقوة الواحد منهم أن يضرب بالمقمع، فيدفع بتلك الضربة سبعين ألف إنسان في قعر جهنم. (وما جعلنا أصحاب النار إلا ملائكة) أي وما جعلنا خزنة النار إلا من الملائكة الغلاظ الشداد، ولم نجعلهم من البشر حتى يصارعوهم ويغالبوهم.

(وما جعلنا عدتهم إلا فتنة للذين كفروا) أي لم نجعل ذلك العدد، إلا سببا لفتنة وضلال المشركين، حيث استقلوا بعددها، واستهزءوا، حتى قال أبو جهل: أفيعجز كل مائة منكم أن يبيتشوا بواحد! منهم، ثم تخرجون من النار؟ قال الطبري: وإنما جعل الله الخبر عن عدة خزنة جهنم فتنة للكافرين، لتكذيبهم بذلك، وقول بعضهم لأصحابه - على سبيل الإستهزاء - أنا أكفيكموهم. (ليستيقن الذين أتوا الكتاب) أي ليتيقن أهل الكتاب من صدق محمد، وأن هذا القرآن من عند الله، إذ يجدون هذا العدد في كتبهم المنزلة.

(ويزداد الذين آمنوا إيمانا) أي ويزداد المؤمنون تصديقا لله ورسوله، بما يشهدون من صدق أخبار نبيهم ﷺ، وتسليم أهل الكتاب لما جاء في القرآن، موافقا للتوراة والإنجيل. (ولا يرتاب الذين أتوا الكتاب والمؤمنون) أي ولا يشك أهل الكتاب والمؤمنون في عددهم، وهذا تأكيد لما قبله، لأنه لما ذكر اليقين

(2689) تفسير ابن أبي حاتم 10/3384 وفيه الحارث الأعور شديد الضعف.

(2690) تفسير الطبري 29/159 ضعيف الإسناد

(2691) تفسير الطبري 29/159 مرسل صحيح الإسناد

(2692) تفسير ابن أبي حاتم 10/3384 وأخرج ابن جرير معناه عن مجاهد منقطع مرسل تفسير الطبري 29/160

(2693) سنن الترمذي (5/429)

(2694) صحيح مسلم - (8/149)

نفى عنهم الشك، فكأن قوله: (ولا يرتاب) مبالغة وتأكيداً، وهو ما يسميه علماء البلاغة: الإطناب. (وليقول الذين في قلوبهم مرض والكافرون ماذا أراد الله بهذا مثلا) أي وليقول الذين في قلوبهم شك ونفاق، والكافرون من أهل مكة: في شيء أراد الله بهذا القول العجيب؟ الذي هو مثل في الغرابة والنكارة؟ ولماذا يخوفنا بواسطته من سقر وخزنتها التسعة عشر؟ قال الرازي: إثبات اليقين في بعض الأحوال لا ينافي حصول الارتباب بعد ذلك، فالمقصود من إعادة هذا الكلام، هو إنه حصل لهم يقين جازم، بحيث لا يحصل عقبه البتة شك ولا ريب، وقد كان □ يعلم من حال قريش إنه متى أخبرهم بهذا العدد العجيب، فإنهم يستهزئون به ويضحكون منه، ولذلك بين تعالى الغاية من ذكر هذا الخبر أوضح بيان. (كذلك يضل الله من يشاء ويهدي من يشاء) أي مثل ما أضل الله أبا جهل وأصحابه، يضل الله عن الهداية والإيمان من أراد إضلاله، ويهدي من أراد هدايته، وله الحكمة البالغة، والحجة الدامغة. (وما يعلم جنود ربك إلا هو) أي وما يعلم عدد الملائكة، وقوتهم وضخامة خلقهم، وكثرتهم إلا الله رب العالمين، وفي الآية رد على أبي جهل حين قال: أما لرب محمد أعوان إلا تسعة عشر؟. (وما هي إلا ذكري للبشر) أي وما هذه النار، التي وصفها لكم الجبار، إلا موعظة وتذكرة للخلق ليخافوا ويطيعوا⁽²⁶⁹⁵⁾.

(بَلْ يُرِيدُ كُلُّ امْرِئٍ مِّنْهُمْ أَنْ يُؤْتَىٰ صُحُفًا مُّنتَشَرَةً ۚ)

قوله تعالى: (بل يريد كل امرئ منهم).

1167. وأخرج ابن المنذر عن السدي قال: « قالوا لئن كان محمد صادقاً فليصبح تحت رأس كل رجل منا صحيفة فيها براءة وأمنة من النار، فنزلت: (بل يريد كل امرئ منهم أن يؤتى صحفاً منشرة⁽²⁶⁹⁶⁾) ».

[تعليق]

ذكر المؤلف رحمه الله أثراً واحداً في سبب نزول هذه الآية، وهو يدل على عناد كفار قريش، فهم لم يطلبوا الصحف براءة من النار خوفاً من عذاب الله إنما طلبوها على سبيل التعجيز كما تقدم من اقتراحهم الآيات على رسول الله □ . وفي سبب نزولها قولان آخران. قال الإمام ابن جرير عن قتادة، قوله: (بَلْ يُرِيدُ كُلُّ امْرِئٍ مِّنْهُمْ أَنْ يُؤْتَىٰ صُحُفًا مُّنتَشَرَةً) قال: قد قال قائلون من الناس: يا محمد إن سرّك أن نتبعك فأتنا بكتاب خاصة إلى فلان وفلان، نؤمر فيه باتباعك، قال قتادة: يريدون أن يؤتوا براءة بغير عمل⁽²⁶⁹⁷⁾. والثالث قاله الإمام الثعلبي وقال الكلبي: إن المشركين قالوا: يا محمد بلغنا أن الرجل من بني إسرائيل يصبح مكتوب عند رأسه ذنبه وكفارته فأتنا بمثل ذلك، فكرهه رسول الله صلى الله عليه وسلم، وأنزل الله سبحانه هذه الآية كلاً ليس كما تقولون وتريدون⁽²⁶⁹⁸⁾. قلت: وكل هذه الأقوال محتلمة وقد ذكر الإمام ابن الجوزي أن القول الثاني هو قول الجمهور فالله تعالى أعلم.

[تفسير مختصر للآية]

(بل يريد كل امرئ منهم أن يؤتى صحفاً منشرة) أي بل يطمع كل واحد من هؤلاء المجرمين، أن ينزل عليه كتاب من الله، كما أنزل على محمد صلى الله عليه؟ ويريد أن ينتزل عليه الوحي كما تنزل على الرسل والأنبياء؟ والغرض من الآية بيان إمعانهم في الضلالة، وكأنه يقول: دع عنك ذكر إعراضهم وغبواتهم، ونفارهم نفار العجماوات، مما فيه خيرهم وسعادتهم، واستمع لما هو أعجب وأغرب، وذلك طمع كل فرد منهم، أن يكون رسولا يوحى إليه، وهيئات أن يصل الأشقياء إلى مراتب الأنبياء⁽²⁶⁹⁹⁾. قلت: هذا الذي ذكره فضيلة الشيخ الصابوني لم أجده في أسباب النزول من أنهم تمنوا أن يؤتوا كتباً مثل الكتب المنزلة على الأنبياء والله تعالى أعلم.

انتهت سورة المدثر

سُورَةُ الْقِيَامَةِ

(لَا تُحَرِّكْ بِهِ لِسَانَكَ لِتَتَّعَلَ بِهٖ ۚ ١٦ إِنَّ عَلَيْنَا جَمْعَهُ وَقُرْءَانَهُ ۚ ١٧ فَإِذَا قَرَأَهُ فَاتَّبِعْ قُرْءَانَهُ ۚ ١٨ ثُمَّ إِنَّ عَلَيْنَا بَيِّنَاتَهُ)

(١٩)

قوله تعالى: (لا تحرك به لسانك) – الآيات.

1168. [ك] أخرج البخاري عن ابن عباس قال: « كان رسول الله □ إذا نزل عليه الوحي يحرك به لسانه

⁽²⁶⁹⁵⁾صفوة التفسير - للصابوني (428 /3)

⁽²⁶⁹⁶⁾مرسل.

⁽²⁶⁹⁷⁾جامع البيان (تفسير الطبري) (43 /24)

⁽²⁶⁹⁸⁾الكشف والبيان عن تفسير القرآن (79 /10)

⁽²⁶⁹⁹⁾صفوة التفسير - للصابوني (430 /3)

يريد أن يحفظه، فأنزل الله: (لا تحرك به لسانك لتعجل به) - الآية (2700)».

[تعليق]

سورة القيامة سورة مكية، وقد تحدثت عن موضوع البعث وخروج الروح وغير ذلك من أمور السور المكية. وأورد المؤلف هذا الأثر والوحيد الذي رواه الإمام البخاري، وقد أورده جلة أهل التفسير في سبب نزول هذه الآية، وهو يدل على حرص النبي ﷺ على حفظ القرآن وتلقيه من جبريل، فأمره الله تعالى بالإنصات إذا جاءه جبريل، وهذا الحديث الذي أورده المؤلف بطوله عند البخاري عن ابن عباس رضي الله عنه قال: كان النبي ﷺ يعالج من التنزيل شدة، كان يحرك شفثيه، فقال لي ابن عباس: أنا أحركهما كما كان رسول الله ﷺ يحركهما؛ فقال سعيد: أنا أحركهما كما كان ابن عباس يحركهما، فحرك شفثيه؛ فأنزل الله عز وجل: (لا تُحَرِّكْ بِهِ لِسَانَكَ لِتَعْجَلَ بِهِ. إِنَّ عَلَيْنَا جَمْعَهُ وَقُرْآنَهُ) قال جمعه في صدرك ثم تقرؤه: (فَإِذَا قَرَأْتَ فَاتَّبِعْ قُرْآنَهُ) قال فاستمع له وأنصت. ثم إن علينا أن نقرأه؛ قال: فكان رسول الله ﷺ بعد ذلك إذا أتاه جبريل عليهما السلام استمع، وإذا انطلق جبريل عليه السلام قرأه النبي ﷺ كما أقرأه⁽²⁷⁰¹⁾.

[تفسير مختصر للآية]

(لا تحرك به لسانك لتعجل به) أي لا تحرك بالقرآن لسانك عند إلقاء الوحي عليك بواسطة جبريل، لأجل أن تتعجل بحفظه، مخافة أن يتقلت منك.
(إن علينا جمعه وقرآنه) أي إن علينا أن نجمله في صدرك يا محمد، وأن تحفظه.
(فإذا قرأناه فاتبع قرآنه) أي فإذا قرأه عليك جبريل، فأنصت لاستماعه حتى يفرغ، ولا تحرك شفثيك أثناء قراءته.
(ثم إن علينا بيانه) أي ثم إن علينا بيان ما أشكل عليك فهمه من معانيه وأحكامه⁽²⁷⁰²⁾.

(أُولَىٰ لَكَ فَأُولَىٰ ۖ ۚ ثُمَّ أُولَىٰ لَكَ فَأُولَىٰ ۖ ۚ)

قوله تعالى: (أُولَىٰ لَكَ فَأُولَىٰ) - الآيات.

1169. وأخرج ابن جرير من طريق العوفي عن ابن عباس قال: « لما نزلت: (عليها تسعة عشر) قال أبو جهل لقريش: ثكلتكم أمهاتكم يخبركم ابن أبي كبشة أن خزنة جهنم تسعة عشر وأنتم الدهم، أفيعجز كل عشرة منكم أن يببطشوا برجل من خزنة جهنم، فأوحى الله إلى رسوله أن يأتي أبا جهل فيقول: (أُولَىٰ لَكَ فَأُولَىٰ ثُمَّ أُولَىٰ لَكَ فَأُولَىٰ)⁽²⁷⁰³⁾».

1170. [ك] وأخرج النسائي عن سعيد بن جبيرة أنه سأل ابن عباس عن قوله: (أُولَىٰ لَكَ فَأُولَىٰ) أشيء قاله رسول الله ﷺ من قبل نفسه أم أمره الله به؟ قال: بل قاله من قبل نفسه ثم أنزله الله⁽²⁷⁰⁴⁾».

[تعليق]

ذكر المؤلف رحمه الله أثرين في سبب نزول هذه الآية وكونها نزلت في أبي جهل وهو المعروف عند أهل التفسير، وقوله تعالى (أُولَىٰ لَكَ فَأُولَىٰ) تهديد ووعيد فكأن الله يقول لأبي جهل: الويل لك يوم تموت، والويل لك يوم تبعث، والويل لك يوم تدخل النار وتخلد فيها⁽²⁷⁰⁵⁾.

وقال قتادة: ذكر لنا أن النبي عليه السلام لما نزلت هذه الآية أخذ بمجامع ثوب أبي جهل بالبطحاء وقال له: (أُولَىٰ لَكَ فَأُولَىٰ ثُمَّ أُولَىٰ لَكَ فَأُولَىٰ) فقال أبو جهل: أتوعدني يا محمد والله ما تستطيع أنت ولا ربك أن تفعل بي شيئاً وأني لأعز من مشى بين جبلية، فلما كان يوم بدر أشرف عليهم وقال: لا نعبد الله بعد اليوم، فصرعه الله شرّ مصرع، وقتله أسوأ قتلة، أقعصه ابنا عفراء وأجهز عليه ابن مسعود، قال: وذكر لنا أن أبا جهل كان يقول: لو علمت أن محمداً رسول الله ما أتيت غلاماً من قريش قال: وذكر لنا أن نبي الله صلى الله عليه وسلم كان يقول: «إِنَّ لِكُلِّ أُمَّةٍ فِرْعَوْنَ وَأَنْ فِرْعَوْنَ هَذِهِ الْأُمَّةُ أَبُو جَهْلٍ»⁽²⁷⁰⁶⁾.

[تفسير مختصر للآية]

(أُولَىٰ لَكَ فَأُولَىٰ) أي ويل لك يا أيها الشقي ثم ويل لك، قال المفسرون: هذه العبارة في لغة العرب، ذهبت مذهب المثل في التخويف والتهديد، وأصلها أنها أفعل تفضيل من وليه الشيء إذا قاربه ودنا منه أي وليك الشر وأوشك أن يصيبك، فاحذر وانتبه لأمرك.
(ثم أُولَىٰ لَكَ فَأُولَىٰ) كرهه مبالغة في التهديد والوعيد، كأنه يقول: إنني أكرر عليك التحذير والتخويف، فاحذر وانتبه لنفسك، قبل

(2700) صحيح البخاري 6/2736 ح (4644) صحيح مسلم 1/330 ح (448) سنن الترمذي 5/430 ح (3329) سنن النسائي 2/149 ح (935) مسند أحمد 1/220 ح (1910) صحيح ابن حبان 226 ج: 1 ح (39) مسند الحميدي 1/242 ح (527) مسند الطيالسي 1/342 ح (2628) المعجم الكبير 11/458 ح (12297) وغيرهم.

(2701) صحيح البخاري (4/1)

(2702) صفوة التفسير - للصابوني (3/434)

(2703) تفسير الطبري 29/159 ضعيف الإسناد.

(2704) المستدرک للحاکم 2/554 ح (3881) سنن النسائي الكبرى 6/504 ح (11638) المعجم الكبير 11/458 ح (12298) صحيح الإسناد قال الإمام النسائي: حدثنا أبو يزيد القرايطسي ثنا حجاج بن إبراهيم الأزرق ثنا أبو عوانة عن موسى بن أبي عائشة عن سعيد بن جبيرة قال سألت بن عباس فذكره.

(2705) الكشف والبيان عن تفسير القرآن (10/92)

(2706) الكشف والبيان عن تفسير القرآن (10/92)

انتهت سورة القيامة

سُورَةُ الْإِنْسَانِ

(وَيُطْعَمُونَ أَلْطَعَامَ عَلَىٰ حُبِّهِ مِسْكِينًا وَيَتِيمًا وَأَسِيرًا ۝٨)

قوله تعالى: (ويطعمون الطعام)

1171. [ك] وأخرج ابن المنذر عن ابن جريج في قوله: (وأسيرا) قال: لم يكن النبي ﷺ يأسر أهل الإسلام، ولكنها نزلت في أسارى أهل الشرك وكانوا يأسرونهم في العذاب فنزلت فيهم، فكان النبي ﷺ يأمر بالإصلاح إليهم (2708).

[تعليق]

مكية في قول ابن عباس ومقاتل والكلبي. وقال الجمهور: مدنية. وقيل: فيها مكي، من قوله تعالى: (إِنَّا نَحْنُ نَزَّلْنَا عَلَيْكَ الْقُرْآنَ تَنْزِيلًا) إلى آخر السورة، وما تقدمه مدني (2709). وإن كانت مدنية لكن أجواء السورة أجواء السور المكية في ذكر البعث والنشور والحساب وغير ذلك من أمور السور المكية.

وقد نزلت هذه السورة بهذه الأجواء المكية من باب التذكير. والله تعالى أعلم. قال الإمام القرطبي: وذكر ابن وهب قال: وحدثنا ابن زيد قال: إن رسول الله ﷺ ليقرأ: (هَلْ أَتَى عَلَى الْإِنْسَانِ جِئًا مِّنَ الدَّهْرِ) وقد أنزلت عليه وعنده رجل أسود كان يسأل النبي ﷺ، فقال له عمر بن الخطاب: لا تتقل على النبي ﷺ، قال: "دعه يا ابن الخطاب" قال: فنزلت عليه هذه السورة وهو وعنده، فلما قرأها عليه وبلغ صفة الجنان زفر زفرة فخرجت نفسه. فقال رسول الله ﷺ: "أخرج نفس صاحبكم - أو أخيكم - الشوق إلى الجنة" وروي عن ابن عمر بخلاف هذا اللفظ، وسيأتي. وقال القشيري: إن هذه السورة نزلت في علي بن أبي طالب رضي الله عنه. والمقصود من السورة عام (2710). وقد ذكر المؤلف أثراً واحداً في كونها نزلت في الإحسان إلى أسارى أهل الكتاب وغيرهم، وقد أمر النبي ﷺ بالإحسان إلى الأسرى وحسن معاملتهم.

روى الواقدي في مغازيه في غزوة بني قريظة عن النبي ﷺ قال: "أحسنوا أسارهم، وقيلوهم واسقوهم، لا تجمعوا عليهم حر الشمس وحر السلاح". وكان يوماً صائفاً، فقيلوهم وسقوهم وأطعموهم، فلما أبردوا راح رسول الله صلى الله عليه وسلم فقتل من بقي منهم (2711).

وفي سبب نزولها سببان آخران.

فالثاني تقدم أنه نزلت في علي بن أبي طالب.

وقد أخرج الإمام الواحدي قصة علي فقال: قال عطاء عن ابن عباس: وذلك أن علي بن أبي طالب رضي الله عنه نوبة أجر نفسه يسقى نخلًا بشئ من شعير ليلة حتى أصبح وقبض الشعير وطحن ثلثه، فجعلوا منه شيئاً ليأكلوا يقال له الخزيرة، فلما تم إنضاجه، أتى مسكين فأخرجوا إليه الطعام، ثم عمل الثلث الثاني، فلما تم إنضاجه أتى يتيم فسأل فأطعموه ثم عمل الثلث الباقي، فلما تم إنضاجه أتى أسير من المشركين فأطعموه وطووا يومهم ذلك، فأنزلت فيه هذه الآية (2712).

والسبب الثالث: أخرجه الإمام مقاتل: أنها نزلت في أبي الدرداء الأنصاري صام يوماً، فلما أراد أن يفطر جاء مسكين، ويتيم، وأسير، فأطعمهم ثلاثة أرغفة، وبقي له ولأهله رغيغ واحد، فنزلت فيهم هذه الآية (2713). قلت: ليس عندنا إسناد يعتمد عليه في سبب نزول هذه الآية، والأرجح أنها نزلت ثناء على قوم هذا حالهم أنهم يطعمون الطعام مع حبهم له مسكيناً ويتيماً وأسيراً والله تعالى أعلم.

[تفسير مختصر للآية]

(ويطعمون الطعام على حبه) أي ويطعمون الطعام مع شهوتهم له، وحاجتهم إليه.

(مسكيناً ويتيماً وأسيراً) أي فقيراً لا يملك من حطام الدنيا شيئاً، ويتيماً مات أبوه وهو صغير، فعدم الناصر والكفيل، وأسيراً وهو من أسر في الحرب من المشركين، قال الحسن البصري: كان رسول الله ﷺ يؤتى بالأسير، فيدفعه إلى بعض المسلمين ويقول له: أحسن إليه فيكون عنده اليومين والثلاثة فيؤثره على نفسه. نبه تعالى إلى أن أولئك الأبرار مع حاجتهم إلى ذلك الطعام، في سد جوعتهم

(2707) صفوة التفاسير - للصابوني (436/3)

(2708) مرسل.

(2709) تفسير القرطبي - (118/19)

(2710) تفسير القرطبي - (118/19)

(2711) مغازي الواقدي (514/2) المؤلف: أبو عبد الله محمد بن عمر بن واقد الواقدي (المتوفى: 207هـ) المحقق: مارسدن جونس الناشر: بيروت-عالم الكتب

(2712) أسباب النزول للواحد (296)

(2713) تفسير مقاتل بن سليمان (428/3)

وجو عة عيالهم، يطيبون نفسا عنه للبؤساء، ويؤثرونهم به على أنفسهم كقوله تعالى: (ويؤثرون على أنفسهم ولو كان بهم خصاصة)⁽²⁷¹⁴⁾.

(وَإِذَا رَأَيْتَ ثَمَّ رَأَيْتَ نَعِيمًا وَمَلَكًا كَبِيرًا ۚ)

قوله تعالى: (وإذا رأيت ثم رأيت نعيماً وملكاً كبيراً).

1172. [ك] وأخرج ابن المنذر عن عكرمة قال: « دخل عمر بن الخطاب على النبي ﷺ وهو راقد على حصير من جريد وقد أثر في جنبه، فبكى عمر فقال له: « ما يبكيك ». قال: ذكرت كسرى وملكه وهرمز وملكه وصاحب الحبشة وملكه، وأنت رسول الله صلى الله عليك وسلم على حصير من جريد، فقال رسول الله ﷺ: « أما ترضى أن لهم الدنيا ولنا الآخرة ». فأنزل الله: (وإذا رأيت ثم رأيت نعيماً وملكاً كبيراً⁽²⁷¹⁵⁾) .».

[تعليق]

ذكر المؤلف رحمه الله أثراً واحداً في سبب نزول هذه الآية، وهو أثر مرسل وقد ذكرت هذه القصة في الصحيح من غير ذكر سبب النزول.

فروى الإمام البخاري في قصة اعتزال النبي ﷺ أزواجه قال: لما دخل عمر على النبي ﷺ قال: فوالله ما رأيت في البيت شيئاً يرد البصر إلا أهبةً ثلاثة فقلت: ادع الله يا رسول الله أن يوسع على أمتك، فقد وسع على فارس والروم، وهم لا يعبدون الله. فاستوى جالساً وقال: "أفي شك أنت يا بن الخطاب؟ أولئك قوم عجلت لهم طبيباتهم في الحياة الدنيا"⁽²⁷¹⁶⁾. والآية مع الأثر تدل على أن الملك الحقيقي إنما هو في الآخرة، فمهما أعطي المرء في دنياه من الملك والغنى فهو لا يساوي شيئاً من نعيم وملك الآخرة رزقنا الله الجنة وملكها ونعيمها.

[تفسير مختصر للآية]

(وإذا رأيت ثم رأيت نعيماً وملكاً كبيراً) أي وإذا رأيت هناك مما في الجنة من مظاهر الأنس والسرور، رأيت نعيماً لا يكاد يوصف، وملكاً واسعاً عظيماً لا غاية له، كما في الحديث القدسي: (أعددت لعبادي الصالحين، ما لا عين رأت، ولا أذن سمعت، ولا خطر على قلب بشر) قال ابن كثير: وثبت في الصحيح أن: (أقل أهل الجنة منزلة من له قدر الدنيا وعشرة أمثالها) فإذا كان هذا عطاؤه تعالى لأدنى من يكون في الجنة، فما ظنك بمن هو أعلى منزلة؟ وأحظى عنده تعالى⁽²⁷¹⁷⁾.

(فَاصْبِرْ لِحُكْمِ رَبِّكَ وَلَا تُطِعْ مِنْهُمْ آئِمًا أَوْ كَفُورًا ۚ)

قوله تعالى: (فاصبر لحكم ربك) – الآية.

1173. [ك] وأخرج عبد الرزاق وابن جرير وابن المنذر عن قتادة أنه بلغه: « أن أبا جهل قال: لنن رأيت محمد يصلي لأطان عنقه، فأنزل الله: (ولا تطع منهم آئماً أو كفوراً⁽²⁷¹⁸⁾) .».

[تعليق]

ذكر المؤلف رحمه الله أثراً واحداً في سبب نزول هذه الآية، وفيها أمر النبي ﷺ بالصبر على أذى المشركين، وعدم طاعتهم.

وكونها نزلت في أبي جهل قول بعض أهل التفسير، والقول الآخر أنها نزلت في عتبة ابن ربيعة. روى الإمام الثعلبي قال: وقال مقاتل: (وَلَا تُطِعْ مِنْهُمْ) يعني من مشركي مكة أنها تعني عتبة بن ربيعة قال للنبي صلى الله عليه وسلم: إن كنت صنعت ما صنعت من أجل النساء فقد علمت قريش أن بناتي من أجملها بنات فأنا أزوجك بنتي وأسوقها إليك بغير مهر وأرجع عن هذا الأمر⁽²⁷¹⁹⁾.

وقيل القائل ذلك هو الوليد بن المغيرة.

قلت: والآية عامة أمرة النبي ﷺ بالصبر وقوله تعالى (ولا تطع منهم آئماً ولا كفوراً) هو وصف لا ينفي ما عداه وكونه وصفهم بالآثم والكفور، مبالغة من كثرة الإثم وشدة الكفر.

[تفسير مختصر للآية]

⁽²⁷¹⁴⁾صفوة التفاسير - للصابوني (3/ 439)

⁽²⁷¹⁵⁾مرسل.

⁽²⁷¹⁶⁾صحيح البخاري (3/ 176)

⁽²⁷¹⁷⁾صفوة التفاسير - للصابوني (3/ 441)

⁽²⁷¹⁸⁾تفسير الطبري 29/224 تفسير الصنعاني 3/339 مرسل وإسناده معل.

⁽²⁷¹⁹⁾الكتف والبيان عن تفسير القرآن (10/ 106)

(فاصبر لحكم ربك) أي اصبر يا محمد وانتظر لحكم ربك وقضائه، فلا بد أن ينتقم منهم، ويقر عينك بإهلاكهم، إن عاجلاً أو آجلاً. (ولا تطع منهم أثماً) أي ولا تطع من هؤلاء الفجرة من كان (أثماً) منغمساً في الشهوات، غارقاً في الموبقات (أو كفوراً) أي ولا تطع من كان مبالغاً في الكفر والضلال، لا ينزجر ولا يرتعد، وصيغة (كفوراً) من صيغ المبالغة ومعناها المبالغ في الكفر والجحود⁽²⁷²⁰⁾.

انتهت سورة الإنسان

سُورَةُ الْمُرْسَلَاتِ

(وَإِذَا قِيلَ لَهُمُ ارْكَعُوا لَا يَرْكَعُونَ ٤٨)

قوله تعالى: (وإذا قيل لهم اركعوا لا يركعون)

1174. أخرج ابن المنذر عن مجاهد في قوله: (وإذا قيل لهم اركعوا لا يركعون) قال: « نزلت في ثقيف⁽²⁷²¹⁾ ».

[تعليق]

سورة المرسلات مكية في قول الحسن وعكرمة وعطاء وجابر. وقال ابن عباس وقتادة إلا آية منها، وهي قوله تعالى: (وَإِذَا قِيلَ لَهُمُ ارْكَعُوا لَا يَرْكَعُونَ) مدنية⁽²⁷²²⁾. وقال ابن مسعود: نزلت (وَالْمُرْسَلَاتِ عُرْفًا) على النبي ﷺ ليلة الجن ونحن معه نسير، حتى أومنا إلى غار بمنى فنزلت، فبينما نحن نتلقاها منه، وإن فاه لرطب بها إذ وثبت حية، فوثبنا عليها لنقتلها فذهبت؛ فقال النبي ﷺ: " وقَيْمَ شرها كما وقيت شركم"⁽²⁷²³⁾.

وقد ذكر المؤلف أن هذا الآية (وإذا قيل لهم اركعوا لا يركعون) نزلت في ثقيف أمرهم رسول الله صلى الله عليه وسلم بالصلاة فقالوا لا نحني فإنها مسببة علينا فقال رسول الله صلى الله عليه وسلم: « لا خير في دين ليس فيه ركوع ولا سجود »⁽²⁷²⁴⁾. قلت: الأثر مرسل ومعنى الآية عام وفيه إخبار من الله تعالى عن حال المشركين، وأنهم إذا أمروا بالركوع والمراد به الصلاة وعبر عنها بجزء منها وذلك لفضيلة الركوع والله تعالى أعلم.

[تفسير مختصر للآية]

(وإذا قيل لهم اركعوا لا يركعون) أي وإذا قيل لهؤلاء المشركين: صلوا لله، واخشعوا في صلاتكم لعظمته وجلاله، لا يخشعون ولا يصلون، بل يظنون على استكبارهم يصرون⁽²⁷²⁵⁾.

انتهت سورة المرسلات

سُورَةُ النَّبَأِ

(عَمَّ يَتَسَاءَلُونَ ١ عَنِ النَّبَأِ الْعَظِيمِ ٢)

قوله تعالى: (عم يتساءلون) - الآيات.

1175. أخرج ابن جرير وابن أبي حاتم عن الحسن قال: « لما بعث النبي ﷺ جعلوا يتساءلون بينهم فنزلت: (عم يتساءلون عن النبأ العظيم)⁽²⁷²⁶⁾ ».

[تعليق]

سورة النبأ مكية، وقد تحدثت عن أمور الآخرة وما أعده الله للمتقين وما أعده للفقار.

⁽²⁷²⁰⁾صفوة التفسير - للصابوني (442 /3)

⁽²⁷²¹⁾مرسل.

⁽²⁷²²⁾تفسير القرطبي - (153 /19)

⁽²⁷²³⁾صحيح البخاري (17 /3)

⁽²⁷²⁴⁾تفسير مقاتل بن سليمان (267 /2)

⁽²⁷²⁵⁾صفوة التفسير - للصابوني (448 /3)

⁽²⁷²⁶⁾تفسير الطبري 30/1 صحيح الإسناد مرسل

وهذا الأثر في كونها نزلت في المشركين، فلما بعث النبي ﷺ جعلوا يتساءلون فيما بينهم عن الذي جاء به، فمنهم مصدق ومنهم مكذب ومنهم متردد. فنزلت الآية مخبرة ومتوعة والله تعالى أعلم.

[تفسير مختصر للآية]

(عم يتساءلون) أي عن أي شيء يسأل هؤلاء الجاحدون بعضهم بعضاً؟ وأصل (عم) عن ماء، أدغمت الميم في النون وحذفت الف (ما) الاستفهامية، وليس المراد هنا مجرد الاستفهام وإنما المراد تفخيم الأمر وتعظيمه، وقد كان المشركون يتساءلون عن البعث فيما بينهم، ويخوضون فيه إنكاراً واستهزاء فجاء اللفظ بصيغة الاستفهام للتفخيم والتهويل وتعجيب السامعين من أمر المشركين، ثم ذكر تعالى ذلك الأمر الخطير فقال:

(عن النبا العظيم) أي يتساءلون عن الخبر العظيم الهام وهو أمر البعث (هذا هو الراجح أن المراد بالنبأ العظيم أمر البعث لأنه ذكر بعده دلائل القدرة على إمكان البعث من قوله: (ألم نجعل الأرض مهاداً ..) إلخ وذكر منها تسعة أمور، وقيل المراد بالنبأ القرآن أو النبوة وما ذكرناه هو الراجح وهو اختيار العلامة أبي السعود.)
(الذي هم فيه مختلفون) أي الذي اختلفوا فيه ما بين شاك في وقوعه، ومكذب منكر لحصوله.

انتهت سورة النبا

سُورَةُ النَّازِعَاتِ

(قَالُوا تِلْكَ إِذَا كَرَّةٌ خَاسِرَةٌ ۚ ۱۲)

قوله تعالى: (تلك إذا كرة خاسرة).

1176. أخرج سعيد بن منصور عن محمد بن كعب قال: « لما نزل قوله: (أننا لمردودون في الحافرة) قال كفار قريش: لنن حيننا بعد الموت لنخسرن، فنزلت: (قالوا تلك إذا كرة خاسرة (2727)) .»

[تعليق]

سورة النازعات سورة مكية بإجماع. وشأنها شأن باقي السور المكية وقد تحدثنا عن ذلك مراراً. وقد ذكر المؤلف أثراً في قول المشركين تلك إذا كرة خاسرة يعني لأن بعثنا بعد الموت تلك إذا رجعة خاسرة، وقالوا ذلك إنكاراً منهم للبعث واستهزاءً بالقرآن ومن جاء به، فنزلت الآية مخبرة عن قولهم.

[تفسير مختصر للآية]

(قالوا تلك إذا كرة خاسرة) أي إن كان البعث حقاً، وبعثنا بعد موتنا فسوف نكون من الخاسرين لأننا من أهل النار (2728).

(٤١ يَسْأَلُونَكَ عَنِ السَّاعَةِ أَيَّانَ مُرْسَلُهَا ۚ ٤٢ فِيمَ أَنْتَ مِنْ ذِكْرِهَا ۚ ٤٣ إِلَىٰ رَبِّكَ مُنْتَهَلُهَا ۚ ٤٤)

قوله تعالى: (يسألونك عن الساعة أيان مرساها) - الآيات.

1177. [ك] وأخرج الحاكم وابن جرير عن عائشة قالت: « كان رسول الله ﷺ يسأل عن الساعة حتى أنزل عليه: (يسألونك عن الساعة أيان مرساها فيم أنت من ذكراها إلى ربك منتهاها) فأنتهى (2729) .»

1178. وأخرج ابن أبي حاتم من طريق جويبر عن الضحاک عن ابن عباس: « أن مشركي أهل مكة سألوا النبي ﷺ فقالوا: متى تقوم الساعة؟ استهزاء منهم، فأنزل الله: (يسألونك عن الساعة أيان مرساها) - إلى آخر السورة (2730) .»

1179. [ك] وأخرج الطبراني وابن جرير عن طارق بن شهاب قال: « كان رسول الله ﷺ يكثر ذكر الساعة حتى نزلت (فيم أنت من ذكراها إلى ربك منتهاها) (2731) .»

(2727) مرسل ولم أجده في الكتب المسنده

(2728) صفوة التفسير - للصابوني (3/ 455)

(2729) أحكام القرآن للشافعي 2/177 المؤلف: محمد بن إدريس الشافعي أبو عبد الله الناشر: دار الكتب العلمية - بيروت، 1400 تحقيق: عبد الغني عبد الخالق عدد الأجزاء:

2 مسند الشافعي 1/241 عن عروة مرسل المستدرک للحاکم 2/558 ح (3895) موصولاً وقال: على شرط الشيخين فإن ابن عيينة كان يرسله بأخره تفسير الطبري 30/49 مسند

إسحاق 2/270 ح (777) ..

(2730) جويبر ضعيف.

(2731) تفسير الطبري 30/49 سنن النسائي الكبرى 6/506 ح (11645) الأحاديث المختارة 8/116 / 114 ح (132) المعجم الكبير 8/322 ح (8210) الكامل لابن عدي

5/205 قال الهيثمي في إسناده: من لم أعرفه مقلت: طارق بن شهاب مختلف في صحبته قال الحافظ في الإصابة: إذا ثبت أنه لقي النبي ﷺ فهو صحابي على الراجح، وإذا

ثبت أنه لم يسمع منه فروايته عنه مرسل صحابي، وهو مقبول على الراجح، وقد أخرج له النسائي عدة أحاديث وذلك مصير منه إلى إثبات صحبته، وأخرج له أبو داود حديثاً

وأحداً وقال: طارق رأى النبي ﷺ ولم يسمع منه شيئاً انتهى. قلت علة الحديث جهالة إسناده

[تعليق]

ذكر المؤلف رحمه الله عدة آثار في سبب نزول قوله تعالى (يسألونك عن الساعة أيان مرساها) وقد تقدم في سورة الأعراف نحو ذلك في قوله تعالى (يسألونك عن الساعة أيان مرساها قل إنما علمها عند ربي). وهذه الآثار التي ذكرها المؤلف تشمل سببين للنزول. فالأول: في سؤالهم النبي ﷺ عن وقت قيام القيامة، فأخبرهم الله أن علمها عند الله. والثاني: في كونها نزلت في النبي ﷺ وكان يكثر من ذكر القيامة. وكلا الأثرين داخلان في عموم الآية، فقد ثبت سؤال المشركين للنبي ﷺ عن الساعة على سبيل الاستهزاء. كما ثبت إكثار النبي ﷺ من ذكر الساعة، وقد جاء ذلك في غير ما آية من كتب الله تعالى.

[تفسير مختصر للآية]

(يسألونك عن الساعة أيان مرساها) أي يسألك يا محمد هؤلاء المشركون عن القيامة متى وقوعها وقيامها. (فيم أنت من ذكراها) أي ليس علمها إليك حتى تذكرها لهم، لأنها من الغيوب التي استأثر الله بعلمها، فلماذا يسألونك عنها ويلحون في السؤال؟. (إلى ربك منتهاها) أي مردها ومراجعها إلى الله عز وجل، فهو الذي يعلم وقتها على التعيين، لا يعلمه أحد سواه. (إنما أنت منذر من يخشاها) أي ما واجبك يا محمد إلا إنذار من يخاف القيامة، لا الإعلام بوقتها، وخص الإنذار بمن يخشى، لأنه هو الذي ينتفع بذلك الإنذار. (كأنهم يوم يرونها لم يلبثوا إلا عشية أو ضحاها) أي كأن هؤلاء الكفار يوم يشاهدون القيامة وما فيها من الأحوال، لم يلبثوا في الدنيا إلا ساعة من نهار، بمقدار عشية أو ضحاها⁽²⁷³³⁾.

انتهت سورة النازعات

سُورَةُ عَبَسَ

(عَبَسَ وَتَوَلَّى ۝ ١ أَنْ جَاءَهُ الْأَعْمَى ۝ ٢)

قوله تعالى: (عبس وتولى أن جاءه الأعمى).

1181. أخرج الترمذي والحاكم عن عائشة قالت: « أنزل: (عبس وتولى) في ابن أم مكتوم الأعمى، أتى رسول الله ﷺ فجعل يقول: يا رسول الله أرشدني، وعند رسول الله ﷺ رجل من عظماء المشركين، فجعل رسول الله ﷺ يعرض عنه ويقبل على الآخر فيقول: « له أترى بما أقول بأسا ». فيقول: لا فنزلت: (عبس وتولى أن جاءه الأعمى⁽²⁷³⁴⁾) ». 1182. وأخرج أبو يعلى مثله عن أنس⁽²⁷³⁵⁾.

[تعليق]

سورة عبس سورة مكية في قول الجميع، وقد افتتحت بعتاب من الله تعالى لنبيه ﷺ عندما عبس في وجه ابن أم مكتوم، وقد جاءه رجل عظيم من عظماء قريش وقيل جماعة منهم وهم عتبة بن ربيعة وأبا جهل بن هشام وأميمة وأبيا ابني خلف⁽²⁷³⁶⁾.

فأمر الله تعالى نبيه ﷺ بالتلطف مع المؤمنين لا سيما الضعفاء منهم. ونحو ذلك قوله تعالى (وَإِذَا جَاءَكَ الَّذِينَ يُؤْمِنُونَ بِآيَاتِنَا فَقُلْ سَلَامٌ عَلَيْكُمْ كَتَبَ رَبُّكُمْ عَلَى نَفْسِهِ الرَّحْمَةَ أَنَّهُ مَنْ عَمِلَ مِنكُمْ سُوءًا بِجَهَالَةٍ ثُمَّ تَابَ مِن بَعْدِهِ وَأَصْلَحَ فَأَنَّهُ غَفُورٌ رَّحِيمٌ) [الأنعام 54].

قال الإمام الثعلبي: فكان النبي ﷺ بعد ذلك إذا رأى ابن أم مكتوم يبسط له رداءه ويقول: "مرحبا بمن عاتبني فيه

(2732) مرسل.

(2733) صفوة التفسير - للصابوني (457/3)

(2734) تفسير الطبري 30/50 صحيح ابن حبان 2/293 ح(535) المستدرک للحاکم 2/558 ح(3896) وقال: صحيح على شرط الشيخين سنن الترمذي 5/432 ح(3331) وقال: غريب مسند أبي يعلى 8/261 ح(4848) قال الإمام الترمذي حدثنا سعيد بن يحيى بن سعيد الأموي حدثني أبي قال هذا ما عرضنا على هشام بن عروة عن أبيه عن عائشة - به. ورواه مالك في المطأ مرسلًا وغيره، وله شاهد عن عائشة عند الطبراني في الأوسط المعجم الأوسط/9 155 عن مسروق قال: « دخلت على عائشة وعندها رجل مكفوف تقطع له الأترج وتطعمه إياه بالعسل، فقلت من هذا يا أم المؤمنين قالت: هذا ابن أم مكتوم أقبل إلى رسول الله ﷺ وعنده عتبة وشيبة فأقبل عليهما فنزلت: (عبس وتولى أن جاءه الأعمى) قالت: ابن أم مكتوم. في إسناده أحمد بن بشير الهمداني، قال الحافظ في لسان الميزان: مجهول وقد تابعه مسعر عند البيهقي في شعب الإيمان 6/286 لكن قال عن الشعبي دخلنا على عائشة وهو وهم والصحيح عن مسروق، ويشهد له ما بعده وكذلك ما رواه الطبراني عن أبي أمامة وكذلك روي عن ابن عمر⁽²⁷³⁵⁾ مسند أبي يعلى 5/431 ح(3123) من رواية معمر عن قتادة وقد تقدم الكلام فيها⁽²⁷³⁶⁾ زاد المسير (26/9)

(471)

ربي "ويقول: "هل من حاجة"؟ واستخلفه على المدينة مرتين في غزوتين غزاها. قال أنس: فرأيته يوم القادسية راكبا وعليه درع ومعه راية سوداء⁽²⁷³⁷⁾.

[تفسير مختصر للآية]

(عبس وتولى أن جاءه الأعمى) أي كلع وجهه وقطبه وأعرض عنه كارها، لأن جاءه الأعمى يسأل عن أمور دينه قال الصاوي: إنما أتى بضمائر الغيبة (عبس وتولى) تطلقا به □ وإجلالا له، لما في المشافهة بقاء الخطاب ما لا يخفى من الشدة الصعوبة واسم الأعمى "عبد الله بن أم مكتوم".
(وما يدريك لعله يزكى) أي وما يعلمك ويخبرك يا محمد لعل هذا الأعمى الذي عبست في وجهه، يتطهر من ذنوبه بما يتلقاه عنك من العلم والمعرفة!
(أو يذكر فتنتعه الذكرى) أي أو يتعظ بما يسمع فتنتعه موعظتك⁽²⁷³⁸⁾.

(قَتَلَ الْإِنْسَانَ مَا أَكْفَرَهُ ۙ)

قوله تعالى: (قتل الإنسان ما أكفره).

1183. [ك] وأخرج ابن المنذر عن عكرمة في قوله: (قتل الإنسان ما أكفره) قال: « نزلت في عتبة بن أبي لهب حين قال: كفرت برب النجم⁽²⁷³⁹⁾ ».

[تعليق]

ذكر المؤلف رحمه الله أن هذه الآية (قتل الإنسان ما أكفره) نزلت في عتبة بن أبي لهب الهاشمي مات كافرا بدعوة النبي □ قبل الهجرة⁽²⁷⁴⁰⁾، وقيل نزلت في أمية بن خلف، وقيل إشارة إلى كل كافر، وهذا هو الراجح. ويؤيده عموم الآية. فالآية لعن فلإنسان الكافر وقوله تعالى (ما أكفره) يعني لا شيء أكفر منه.

[تفسير مختصر للآية]

(قتل الإنسان ما أكفره) أي لعن الكافر وطرد من رحمة الله، ما أشد كفره بالله مع كثرة إحسانه إليه وأياديه عنده؟ قال الشيخ الألويسي: والآية دعاء عليه بأشنع الدعوات وأفظعها، وتعجيب من إفراطه في الكفر والعصيان، وهذا في غاية الإيجاز والبيان⁽²⁷⁴¹⁾.
انتهت سورة عبس

سُورَةُ التَّكْوِينِ

(وَمَا تَشَاءُونَ إِلَّا أَنْ يَشَاءَ اللَّهُ رَبُّ الْعَالَمِينَ ۙ)

قوله تعالى: (وما تشاءون إلا أن يشاء الله رب العالمين).

1184. أخرج ابن جرير وابن أبي حاتم عن سليمان بن موسى قال: « لما نزلت: (لمن شاء منكم أن يستقيم) - قال أبو جهل ذاك إلينا إن شئنا استقمنا وإن شئنا لم نستقم؟ فأنزل الله: (وما تشاءون إلا أن يشاء الله رب العالمين⁽²⁷⁴²⁾ ».

1185. وأخرج ابن أبي حاتم عن عمرو بن محمد عن زيد بن أسلم عن أبي هريرة مثله⁽²⁷⁴³⁾.

1186. [ك] وأخرج ابن المنذر عن طريق سليمان بن القاسم بن مخيمرة مثله⁽²⁷⁴⁴⁾.

[تعليق]

سورة التكويد مكية بالإجماع، وفيها ذكر أهول يوم القيامة وإثبات النبوة وذكر الملائكة إلى غير ذلك من أحوال السور المكية.
وقد ذكر المؤلف رحمه الله عدة آثار وكلها يشهد بعضها لبعض في كونها نزلت في أبي جهل، جعل الله الاستقامة إلى مشيئتنا فإن شئنا استقمنا وإن شئنا اعوججنا، وهو بالطبع لم يقل ذلك إيمانا بالقرآن، وإنما قال ذلك استهزاء.

⁽²⁷³⁷⁾ تفسير القرطبي - (213 / 19)
⁽²⁷³⁸⁾ صفوة التفاسير - للصابوني (458 / 3)
⁽²⁷³⁹⁾ مرسل.
⁽²⁷⁴⁰⁾ الإصابة في تمييز الصحابة (632 / 3)
⁽²⁷⁴¹⁾ صفوة التفاسير - للصابوني (459 / 3)
⁽²⁷⁴²⁾ تفسير الطبري 30/84 مرسل
⁽²⁷⁴³⁾ ابن أبي حاتم وفي إسناده بقة بن الوليد مدلس قد عنعن
⁽²⁷⁴⁴⁾ مرسل.

فنزلت الآية مبينة أنه لا مشيئة إلا بعد مشيئة الله تعالى ونحو ذلك قول الحق (إنك لا تهدي من أحببت ولكن الله يهدي من يشاء) سورة القصص.

[تفسير مختصر للآية]

(وما تشأون إلا أن يشاء الله رب العالمين) أي وما تقدرون على شيء إلا بتوفيق الله ولطفه، فاطلبوا من الله التوفيق إلى أفضل طريق (2745).

انتهت سورة التكوير

سُورَةُ الْإِنْفِطَارِ

(يَا أَيُّهَا الْإِنْسَانُ مَا غَرَّكَ بِرَبِّكَ الْكَرِيمِ ٦)

قوله تعالى: (يا أيها الإنسان ما غرك بربك الكريم).

1187. أخرج ابن أبي حاتم عن عكرمة في قوله: (يا أيها الإنسان ما غرك) الآية، قال: أنزلت في أبي بن خلف (2746).

[تعليق]

سورة الإنفطار سورة مكية في قول الجميع، وهي شبيهة في محورها بسورة التكوير من ذكر أهوال القيامة. وقد ذكر المؤلف أن هذه الآية نزلت في أبي بن خلف، وهو أثر مرسل الإسناد.

وفي سبب نزولها أسباب أخر غير ما ذكر المؤلف.

فالثاني رواه مقاتل بن سليمان في تفسيره أنها نزلت في أبي الأشدنين، اسمه أسيد بن كلداء، وكان أعور شديد البطش، فقال: لئن أخذت بحلقة من باب الجنة ليدخلنها بشر كثير، ثم قتل يوم فتح مكة، يعني غره الشيطان (2747).

والثالث: ذكره الإمام ابن الجوزي أنها نزلت في الوليد بن المغيرة. والرابع: ذكره كذلك أنها عنى به كل كافر (2748).

قال الإمام الثعلبي قوله تعالى: (ما غَرَّكَ) قال الزجاج: أي: ما خَدَعَكَ وَسَوَّلَ لَكَ حتى أضعت ما وجب عليك؟ وقال غيره: المعنى: ما الذي أَمَنَّكَ من عقابه وهو كريم متجاوز إذ لم يعاقبك عاجلاً؟ وقيل للفضيل بن عياض: لو أقامك الله سبحانه يوم القيامة، وقال: ما غَرَّكَ بربك الكريم، ماذا كنت تقول؟ قال: أقول: غرني ستورك المرخاة. وقال يحيى بن معاذ: لو قال لي: ما غرك بي؟ قلت: برك سالفاً وأنفاً. قيل: لما ذكر الصفة التي هي الكرم هاهنا دون سائر صفاته، كان كأنه لَقِنَ عبده الجواب، ليقول: غَرَّني كرم الكريم (2749).

والترجيح بين هذه الأقوال أن يقال بأن الآية وإن نزلت على سبب فإن معناها عام فالله تعالى يذكر عباده بأنه هو الخالق الذي أحسن كل شيء خلقه، فما الداعي أن يغتر الإنسان بربه والله تعالى حذرنا في غير ما آية من خداع الشيطان لنا فقال (فلا تغرنكم الحياة الدنيا ولا يغرنكم بالله الغرور) [لقمان 33].

[تفسير مختصر للآية]

(يا أيها الإنسان ما غرك بربك الكريم) أي شيء خدعك بربك الحليم الكريم، حتى عصيته وتجرات على مخالفة أمره، مع إحسانه إليك وعطفه عليك؟ وهذا توبيخ وعتاب كأنه قال: كيف قابلت إحسان ربك بالعصيان، ورأفته بك بالتمرك والطغيان (هل جزاء الإحسان إلا الإحسان) [الرحمن: 60] هذه الآية واردة على سبيل التوبيخ والتعجيب من حال الإنسان الجاحد لنعم ربه، وليست واردة على سبيل تلقين الحجة كما قال البعض حتى قالوا: يلقنه أن يقول: غرني كرمك، ويؤيد ما ذكرناه قول عمر: غره حمقه وجهله (2750).

انتهت سورة الإنفطار

سُورَةُ الْمُطَفِّفِينَ

(2745) صفوة التفسير - للصابوني (3/ 463)

(2746) تفسير ابن أبي حاتم 10/3408 مرسل.

(2747) تفسير مقاتل بن سليمان (3/ 458)

(2748) زاد المسير (9/ 47)

(2749) الكشف والبيان عن تفسير القرآن (10/ 146)

(2750) صفوة التفسير - للصابوني (3/ 465)

(وَيْلٌ لِلْمُطَفِّينَ ١)

قوله تعالى: (ويل للمطففين).
1188. [ك] أخرج النسائي وابن ماجة بسند صحيح عن ابن عباس قال: « لما قدم النبي ﷺ المدينة كانوا أبخس الناس كيلاً، فأنزل الله: (ويل للمطففين) فأحسنوا الكيل بعد ذلك »⁽²⁷⁵¹⁾.

[تعليق]

سورة المطففين اختلف في كونها مكية أم مدنية فمطلع هذه السورة من حيث أن الله تعالى لعن المطففين في الكيل والميزان يدل على أنها مدنية وباقي أجواء السورة يدل على أنها مكية.
قال الإمام القرطبي: مكية في قول ابن مسعود والضحاك ومقاتل ومدنية في قول الحسن وعكرمة وهي ست وثلاثون آية
قال مقاتل: وهي أول سورة نزلت بالمدينة. وقال ابن عباس وقتادة: مدنية إلا ثماني آيات من قوله: "إن الذين أجرموا" إلى آخرها، مكي. وقال الكلبى وجابر بن زيد: نزلت بين مكة والمدينة⁽²⁷⁵²⁾.
وروى المؤلف رحمه الله هذا الأثر في حال أهل المدينة، ومن المعروف أن أهل المدينة كانوا أهل زراعة فكانوا يطففون الكيل، فنزلت الآية محذرة من هذا الفعل وأن فيه لعنة الله تعالى فانتهوا.
وأخرج الإمام الواحدي: وقال السدى: قدم رسول الله المدينة وبها رجل يقال له أبو جهينة ومعه صاعان يكيل بأحدهما ويكتال بالآخر، فأنزل الله تعالى هذه الآية⁽²⁷⁵³⁾.
وهذا الأثر لا يخالف الذي قبله فأبوا جهينة واحد من أهل المدينة وتسميته في الرواية لا يعنى أنه غيره لم يكونوا يفعلون ذلك، بل ذلك كانت عادتهم والله تعالى أعلم.

[تفسير مختصر للآية]

(ويل للمطففين) أي هلاك وعذاب ودمار، ولأولئك الفجار الذين ينقصون المكيال والميزان، ثم بين أوصافهم القبيحة بقوله:
(الذين إذا اكتالوا على الناس يستوفون) أي إذا أخذوا الكيل من الناس أخذوه وأفيا كاملاً لأنفسهم.
(وإذا كالوهم أو وزنوهم يخسرون) أي وإذا كالوا للناس أو وزنوا لهم، ينقصون الكيل والوزن⁽²⁷⁵⁴⁾.
انتهت سورة المطففين

سُورَةُ الطَّارِقِ

(وَالسَّمَاءِ وَالطَّارِقِ ١)

قوله تعالى: (والسماء والطارق).
1189. أخرج ابن أبي حاتم عن عكرمة في قوله: (فلينظر الإنسان مم خلق) قال: « نزلت في أبي الأشد، كان يقوم على الأديم، فيقول: يا معشر قريش من أزالني عنه فله كذا، ويقول إن محمداً يزعم أن خزنة جهنم تسعة عشر، فأنا أكفيكم وحدي عشرة، واكفوني أنتم تسعة »⁽²⁷⁵⁵⁾.

[تعليق]

هذه السورة الكريمة من السور المكية، وهي تعالج بعض الأمور المتعلقة بالعقيدة الإسلامية ومحور السورة يدور حول الإيمان بالبعث والنشور، وقد أقامت البرهان الساطع، والدليل القاطع على قدرة الله جل وعلا على إيمان البعث، فإن الذي خلق الإنسان من العدم، قادر على إعادته بعد موته.
ذكر المؤلف أثراً واحداً مرسل الإسناد في كون هذه الآية (فلينظر الإنسان مم خلق) نزلت في أبي الأشد⁽²⁷⁵⁶⁾، وقد تقدم هذا الأثر في قوله (عليها تسعة عشر . فنزلت الآية تبين له ولغيره أصل خلقته وأن الله تعالى خلق لنا البصر للنظر والاعتبار كما

⁽²⁷⁵¹⁾ تفسير الطبري 30/91 المستدرک للحاکم 2/38 ح(2240) وقال: صحیح الإسناد وله شاهد عن أبي هريرة صحیح ابن حبان 11/286 ح(4919) سنن ابن ماجة 2/748 ح(2223) سنن البيهقي الكبرى 6/32 ح(10948) المعجم الكبير 11/371 ح(12041) شعب الإيمان 4/372 قلت: صحیح وله شاهد عند الحاکم قال الحافظ ابن ماجة: دثنا عبد الرحمن بن بشر بن الحكم ومحمد بن عقيل بن خويلد قالوا ثنا علي بن الحسين بن واقد حدثني أبي حدثني يزيد النحوي أن عكرمة حدثه عن بن عباس—به.
⁽²⁷⁵²⁾ تفسير القرطبي - (19/250)
⁽²⁷⁵³⁾ أسباب النزول للواحدي (298)
⁽²⁷⁵⁴⁾ صفة التفاسير - للصابوني (3/467)
⁽²⁷⁵⁵⁾ مرسل.
⁽²⁷⁵⁶⁾ تقدمت ترجمته

قال تعالى (أَلَمْ نُخَلِّقْكُمْ مِّن مَّاءٍ مَّهِينٍ) [المرسلات 20].
وعوم الآية هو الراجح وسبب النزول مرسل كما تقدم.

[تفسير مختصر للآية]

(فلينظر الإنسان مم خلق) أي فلينظر الإنسان في أول نشأته نظرة تكفر واعتبار، من أي شيء خلقه الله؟
(خلق من ماء دافق) أي خلق من المني المتدفق، الذي ينصب بقوة وشدة، يتدفق من الرجل والمرأة فيتكون منه الولد بإذن الله.
(يخرج من بين الصلب والترائب) أي يخرج هذا الماء من بين الصلب وعظم الصدر، من الرجل والمرأة (الصلب: فقار الظهر ويسمى سلسلة الظهر، والترائب: عظام الصدر، وكنى بالصلب عن الرجل، وبالترائب عن المرأة، أي يخرج هذا الماء من صلب الرجل، وعظام صدر المرأة)⁽²⁷⁵⁷⁾.

انتهت سورة الطارق

سُورَةُ الْأَعْلَى

(سَنُقَرِّئُكَ فَلَا تَنْسَى ٦)

قوله تعالى: (سنقرئك فلا تنسى).

1190. [ك] أخرج الطبراني عن ابن عباس قال: « كان النبي ﷺ إذا أتاه جبريل بالوحي لم يفرغ جبريل من الوحي حتى يتكلم النبي ﷺ بأوله مخافة أن ينساه أنزل الله: (سنقرئك فلا تنسى)⁽²⁷⁵⁸⁾». في إسناده جويبر ضعيف جداً

[تعليق]

سورة الأعلى سورة مكية في قول الجمهور وقال الضحاك هي مدنية⁽²⁷⁵⁹⁾.
وقد ابتدئت هذه السورة بتسبيح المولى جل وعلا وقد أشارت إلى أمور التوحيد كما هو شأن باقي السور المكية.
وذكر المؤلف أثراً واحداً ضعيف الإسناد في سبب نزول هذه الآية. وقد تقدم نحو ذلك في قول الله تعالى (إن علينا جمعه وقرآنه) أثر ابن عباس المخرج في الصحيح.
وقد اختلف العلماء في الاستثناء في قوله تعالى (إلا ما شاء الله) هل استثناء حقيقي يعني بأن النبي ﷺ نسي أشياء بأمر الله تعالى. ويشهد له قوله تعالى (ما ننسخ من آية أو ننسها نأت بخير منها أو مثلها) فالنبي ﷺ إذا أنساه الله شيئاً من القرآن فهو نسيان كوني، فأنه تعالى يبده خيراً من هذه الآية أو مثلها.
وقيل بأن الاستثناء منقطع بمعنى أنا سنقرئك فلا تنسى شيئاً ويشهد له قول الله تعالى (إن علينا جمعه وقرآنه) وحديث ابن عباس الوارد عند هذه الآية.
وكذلك قول الحق تعالى (خالدین فیها ما دامت السموات والأرض إلا ما شاء ربك) فأهل الجنة خالدین فيها أبداً ولكن الاستثناء هنا منقطع والله تعالى أعلم.

[تفسير مختصر للآية]

(سنقرئك فلا تنسى) أي سنقرئك يا محمد هذا القرآن العظيم فتحفظه في صدرك ولا تنساه.
(إلا ما شاء الله) أي لكن ما أراد الله نسخه فإنك تنساه⁽²⁷⁶⁰⁾.

انتهت سورة الأعلى

سُورَةُ الْغَاشِيَةِ

(أَفَلَا يَنْظُرُونَ إِلَى الْآيَاتِ كَيْفَ خُلِقَتْ ١٧)

⁽²⁷⁵⁷⁾صفحة التقاسير - للصابوني (3/ 477)

⁽²⁷⁵⁸⁾المعجم الكبير 12/120 ح (12649) ضعيف

⁽²⁷⁵⁹⁾تفسير القرطبي - (20/ 13)

⁽²⁷⁶⁰⁾صفحة التقاسير - للصابوني (3/ 480)

قوله تعالى: (أفلا ينظرون إلى الإبل كيف خلقت).
1191. [ك] أخرج ابن جرير وابن أبي حاتم عن قتادة قال: « لما نعت الله ما في الجنة عجب من ذلك أهل الضلالة، فأنزل الله: (أفلا ينظرون إلى الإبل كيف خلقت⁽²⁷⁶¹⁾)».

[تعليق]

سورة الغاشية مكية في قول الجميع وفيها الحث على النظر في عجب صنع الله في خلق الإبل، بالإضافة إلى أمور العقيدة.

وهذا الأثر الذي ذكره المؤلف مرسل، وفيه الحث إلى النظر إلى خلق الله للإبل لما نعت الله تعالى ما في الجنة ونعيمها فتحججوا فأمرهم الله أن ينظروا إلى عظم خلق الأبل.
ويحسن بنا أن نتكلم في عجالة عن عظيم خلق الله في خلق الإبل استطراداً من حيث أن الآية مرشدة إلى النظر في خلق الإبل والسماوات والأرض، والأثر متعلق بخلق الإبل.

إنها دعوة من الخالق المصور سبحانه وتعالى للتأمل والتفكير في كيفية خلق الإبل وتصويرها بهذا الشكل المعجز بإعتبارها خلقاً دالاً على عظمة الخالق وكمال قدرته وحسن تدبيره، وقد أكرمها الله سبحانه وتعالى فجعلها آية من آياته وورد ذكرها قبل السماء والأرض والجبال.
جاء في تفسير ابن كثير: (فإن خلقها عجب وتركيبها غريب وهي في غاية القوة والشدة ومع ذلك تنقاد للضعيف وتوكل وينتفع بوبرها ويشرب لبنها)

وكان شريح القاضي يقول: اخرجوا بنا حتى ننظر الإبل كيف خلقت.

والإبل وهبها الله سبحانه وتعالى ميزات لا توجد في سواها من الكائنات الأخرى فبالإضافة لضخامة هيكلها منحها الله الصبر وقوة التحمل والقدرة على التكيف مع جميع الظروف البيئية القاسية كالجوع والظمأ والحر الشديد والبرد القارس والأمطار الرعدية والعواصف الرملية حيث وهبها سبحانه وتعالى عدة ظلال على أعينها وأنفها وأذنيها تتغلق في حالة العواصف الرملية والأترية المتطايرة فلا تتأثر بتلك الظروف وهذه الميزة لا مثيل لها في عالم الحيوان.

كما وهبها الله جلّت قدرته مخازن عملاقة تسمى (السنام) مليئة بالشحوم والدهون التي تتغذى عليها في حال نقص الطعام لأيام عديدة بالإضافة لوجود ثلاثة مخازن في وعاء البطن أحدهما للتعويض عن الماء وهو تجويف مليء بملايين الحبيبات الصغيرة كمخزون مائي في حال العطش الشديد وهو أيضاً غير موجود في أي حيوان آخر، والمخزن الثالث المعدة التي تقوم بخلط الطعام والماء

كذلك من عجائب قدرة الله في خلق الإبل أن جعل أقدامها مبطنه بجلد قوي ولين عريض يسمى (الخف) يمنحها السير على الرمال بسهولة ويسر دون أن تغوص أقدامها في تلك الرمال فسميت بذلك سفينة الصحراء.

غرائب الإبل

من غرائب الإبل أنها تتميز بذاكرة عجيبة فهي لا تنسى موطنها الأصلي الذي تربت فيه ولو بعد سنين طويلة حيث تستطيع العودة إليه بكل يسر وسهولة.

ومن غرائب الإبل أيضاً أن صغيرها يستطيع العودة إلى آخر مكان رضع فيه الحليب من أمه في حال ضياعه من القطيع أو آخر منزل (مراح) لصاحبه.

كما أن الإبل لديها قدرة عجيبة على معرفة عدود المياه وأماكن نزول الأمطار والأراضي المعشبة لما تتمتع به من حاسة شم قوية.

كذلك تستطيع الإبل التفريق بين الأصوات بدقة متناهية فهي تعرف صوت راعيها من غيره.

ومن غرائب الإبل أيضاً أنها عندما تسير تقوم برفع اليد اليمنى والرجل اليمنى مع بعض في خطوة واحدة واليد اليسرى مع الرجل اليسرى في الخطوة التالية وذلك لحفظ توازنها وهذه الميزة لا توجد في أي كائن آخر غير الإبل فسبحان الخالق المصور.

ويعتبر الجمل (الفحل) من أشد الكائنات غيرة خصوصاً في حالة الهيجان في وقت التزاوج فهو لا يسمح بوجود فحل آخر غيره في القطيع وفي حالة وجود أكثر من فحل يجب أن يتم التحكم برباطهما جيداً وإبعادهما عن بعض وإلا سوف يقتتلان قتالاً شديداً حتى يقتل أحدهما الآخر.

ومن غرائب الإبل أيضاً أن عملية (العقل) يجب أن تبدأ باليد اليسرى لجعلها تبرك أو تلازم مكانها.

كما أن عملية ربط الجمل (الفحل) أو الرحول المعدة للركوب تكون في اليد اليسرى فقط.

كذلك حلب الناقة يكون من الجهة اليسرى.

[تفسير مختصر للآية]

(أفلا ينظرون إلى الإبل كيف خلقت) أي أفلا ينظر هؤلاء الناس نظر تكفر واعتبار، إلى الإبل - الجمال - كيف خلقها الله خلقاً عجيباً يدعها على قدرة خالقها؟! قال في التسهيل: في الآية حض على النظر في خلقها، لما فيها من العجائب في قوتها، وانقيادها مع ذلك لضعيف، وصبرها على العطش، وكثرة المنافع التي فيها، من الركوب والحمل عليها، وأكل لحومها، وشرب ألبانها وغير ذلك

انتهت سورة الغاشية

سُورَةُ الْفَجْرِ

(يَا أَيَّتُهَا النَّفْسُ الْمُطْمَئِنَّةُ ۚ)

قوله تعالى: (يا أيتها النفس المطمئنة).

1192. [ك] أخرج ابن أبي حاتم عن بريدة في قوله: (يا أيتها النفس المطمئنة) قال: « نزلت في حمزة (2763) ».

1193. وأخرج من طريق جويبر عن الضحاك عن ابن عباس: « أن النبي ﷺ قال: « من يشتري بئر رومة يتقرب بها غفر الله له؟ » فاشتراها عثمان، فقال: « هل لك أن تجعلها سقاية للناس؟ ». قال: نعم فأنزل الله في عثمان: (يا أيتها النفس المطمئنة (2764)) ».

[تعليق]

سورة الفجر سورة مكية والآثار التي ذكرها المؤلف تدل على هذه الآية مدنية، فحمزة بن أبي طالب عم النبي ﷺ قتل يوم أحد، وقصة حفر بئر روما إنما وقعت في العهد المدني، لكن هذه الآثار المذكورة أولها مرسل وثانيها ضعيف الإسناد. وجاء في سبب نزولها ثلاثة أسباب أخر.

فالثالث: ذكر الإمام ابن الجوزي أنه نزلت في أبي بكر الصديق وليس بصحيح لما أخرجه ابن أبي حاتم عن ابن عباس في قوله: يا أيتها النفس المطمئنة ارجعي إلى ربك راضية مرضية قال: نزلت وأبو بكر جالس، فقال: يا رسول الله ما أحسن هذا فيقال لك هذا (2765). فهذا الأثر على ضعف إسناده يدل على أن الآية نزلت أولاً ثم قال النبي صلى الله عليه وسلم لأبي بكر إن الملك يقولها لك.

والرابع: أنها نزلت في خبيب بن عدي. قال الإمام القرطبي نزلت في خبيب بن عدي الذي صلبه أهل مكة، وجعلوا وجهه إلى المدينة؛ فحول الله وجهه نحو القبلة. والله أعلم (2766).

وكذلك هذا السبب لا يصح قصة خبيب وقعت في العهد المدني.

الخامس: أنها نزلت في جميع نفوس المؤمنين. قال الإمام ابن الجوزي قاله عكرمه (2767).

وهذا الأخير هو الراجح فإن الله تعالى يبشر المؤمن عند الموت وعند البعث. كما أن الكافر يبشر بجهنم عند الموت وعند البعث.

وفي حديث البراء بن عازب الطويل الذي أخرجه الإمام أحمد وغيره ما يشهد لذلك وفيه.

قال صلى الله عليه وسلم: «إن العبد المؤمن إذا كان في انقطاع من الدنيا، وإقبال إلى الآخرة نزل إليه ملائكة من السماء بيض الوجوه، كأن وجوههم الشمس، معهم كفن من أكفان الجنة، وحنوط من حنوط الجنة، حتى يجلسوا منه مدّ بصره. ثم يجيء ملك الموت، حتى يجلس عند رأسه فيقول: أيتها النفس الطيبة اخرجي إلى مغفرة من الله ورضوان».

قال: "فتخرج تسيل كما تسيل القطرة من في السقاء، فيأخذها فإذا أخذها لم يدعها في يده طرفة عين، حتى يأخذوها فيجعلوها في ذلك الكفن، وفي ذلك الحنوط. ويخرج منها كأطيب نعمة مسك وجدت على وجه الأرض. فيصعدون بها فلا يمرون - يعني بها على ملاء من الملائكة إلا قالوا: ما هذا الروح الطيب؟ فيقولون: فلان بن فلان، بأحسن أسمائه التي كانوا يسمونه بها في الدنيا، حتى ينتهوا به إلى السماء الدنيا، فيستفتحون له، ويفتح له، فيشيعه من كل سماء مقربوها إلى السماء التي تليها، حتى ينتهي بها إلى السماء السابعة، فيقول الله، عز وجل: اكتبوا كتاب عبدي في عِلِّيِّين، وأعيدوه إلى الأرض، فإني منها خلقتهم، وفيها أعيدهم ومنها أخرجهم تارة أخرى».

قال: "فتعاد روحه، فيأتيه ملكان فيجلسانه فيقولان له: من ربك؟ فيقول: ربي الله. فيقولان له ما دينك؟ فيقول: ديني الإسلام. فيقولان له: ما هذا الرجل الذي بعث فيكم؟ فيقول: هو رسول الله ﷺ. فيقولان له: وما علمك؟ فيقول: قرأت كتاب الله فأمنت به وصدقت. فينادي مناد من السماء: أن صدق عبدي، فأفرشوه من الجنة، وألبسوه من الجنة، وافتحوا له باباً إلى الجنة".

"فيأتيه من روحها وطيبها، ويفسح له في قبره مدّ بصره».

قال: "ويأتيه رجل حسن الوجه، حسن الثياب، طيب الريح، فيقول: أبشر بالذي يسرُّك، هذا يومك الذي كنت توعد. فيقول له: من أنت؟ فوجهك الوجه يجيء بالخير. فيقول: أنا عمك الصالح. فيقول: رب أقم الساعة، رب أقم الساعة، حتى أرجع إلى أهلي

(2762) صفوة التفسير - للصابوني (3/ 483)

(2763) تفسير ابن أبي حاتم 10/3430 منقطع.

(2764) تفسير ابن أبي حاتم 10/3430 ج: 10 ضعيف

(2765) تفسير ابن أبي حاتم - (10/ 3430) اسناده ضعيف

(2766) تفسير القرطبي - (20/ 58)

(2767) زاد المسير (9/ 123)

قال: "وإن العبد الكافر، إذا كان في انقطاع من الدنيا وإقبال من الآخرة نزل إليه من السماء ملائكة سود الوجوه معهم المسوح، فيجلسون منه مدّ البصر، ثم يجيء ملك الموت حتى يجلس عند رأسه، فيقول: أيتها النفس الخبيثة، اخرجي إلى سخط الله وغضب". قال: "فَتَفَرَّقَ فِي جَسَدِهِ، فَيَنْتَزِعُهَا كَمَا يَنْتَزِعُ السَّقُودَ مِنَ الصَّوْفِ الْمَبْلُورِ، فَيَأْخُذُهَا، فَإِذَا أَخَذَهَا لَمْ يَدْعُوهَا فِي يَدِهِ طَرْفَةً عَيْنٍ حَتَّى يَجْعَلُوهَا فِي تَلْكَ الْمَسْوُوحِ، وَيَخْرُجُ مِنْهَا كَأَنَّ رِيحَ جِيْفَةٍ وَجَدَتْ عَلَى وَجْهِ الْأَرْضِ. فَيَصْعَدُونَ بِهَا، فَلَا يَمْرُونَ بِهَا عَلَى مَلَأَ مِنَ الْمَلَائِكَةِ إِلَّا قَالُوا: مَا هَذَا الرُّوحُ الْخَبِيثُ؟ فَيَقُولُونَ: فَلَانِ ابْنِ فَلَانٍ، بِأَفْيَحِ أَسْمَانِهِ الَّتِي كَانَ يَسْمَى بِهَا فِي الدُّنْيَا، حَتَّى يَنْتَهِيَ بِهِ إِلَى السَّمَاءِ الدُّنْيَا، فَيَسْتَفْتَحُ لَهُ، فَلَا يَفْتَحُ ثُمَّ قَرَأَ رَسُولُ اللَّهِ ﷺ: (لَا تَفْتَحُ لَهُمْ أَبْوَابَ السَّمَاءِ وَلَا يَدْخُلُونَ الْجَنَّةَ حَتَّى يَلِجَ الْجَمَلُ فِي سَمِّ الْخِيَاطِ) فيقول الله، عز وجل: اكتبوا كتابه في سجين في الأرض السفلى. فطرح روحه طرحة». ثم قرأ: (وَمَنْ يُشْرِكْ بِاللَّهِ فَكَأَنَّمَا خَرَّ مِنَ السَّمَاءِ فَتَخَطَّفَهُ الطَّيْرُ أَوْ تَهْوَى بِهِ الرِّيحُ فِي مَكَانٍ سَحِيقٍ) [الحج: 31]

"فتعاد روحه في جسده. ويأتيه ملكان فيجلسانه فيقولان له: من ربك؟ فيقول: هاه هاه! لا أدري. فيقولان ما دينك؟ فيقول: هاه هاه! لا أدري فيقولان ما هذا الرجل الذي بعث فيكم؟ فيقول: هاه هاه! لا أدري. فينادي مناد من السماء: أن كذب، فأفرشوه من النار، واقتحوا له باباً إلى النار. فيأتيه من حرها وسمومها، ويضيق عليه قبره حتى تختلف فيه أضلعه، ويأتيه رجل قبيح الوجه، قبيح الثياب، منتن الريح، فيقول: أبشر بالذي يسوؤك؛ هذا يومك الذي كنت توعد فيقول: من أنت؟ فوجهك الوجه يجيء بالشر. فيقول: أنا عمك الخبيث. فيقول: رب لا تقم الساعة"⁽²⁷⁶⁸⁾.

قال الإمام الثعلبي: عن سعيد بن جبيرة قال: مات ابن عباس بالطائف فجاء طائر لم ير على خلفه، فدخل نعشه ثم لم ير خارجاً منه فلما دفن تلبت هذه الآية على شفير القبر لا يرى من تلاها: (يَا أَيُّهَا النَّفْسُ الْمُطْمَئِنَّةُ ارْجِعِي إِلَىٰ رَبِّكِ رَاضِيَةً مَرْضِيَّةً فَادْخُلِي فِي عِبَادِي وَادْخُلِي جَنَّاتِي) ⁽²⁷⁶⁹⁾.

[تفسير مختصر للآية]

(يا أيتها النفس المطمئنة) أي يا أيتها النفس الطاهرة الزكية، المطمئنة بوعد الله التي لا يلحقها اليوم خوف ولا فزع. (ارجعي إلى ربك راضية مرضية) أي ارجعي إلى رضوان ربك وحنته، راضية بما أعطاك الله من النعم، مرضية عنده بما قدمت من عمل قال المفسرون: هذا الخطاب والنداء يكون عند الموت، فيقال للمؤمن عند احتضاره تلك المقالة. (فادخلي في عبادي) أي فادخلي في زمرة عبادي الصالحين. (وادخلي جنتي) أي وادخلي جنتي دار الأبرار الصالحين ⁽²⁷⁷⁰⁾.

انتهت سورة الفجر

سورة الليل

(وَاللَّيْلِ إِذَا يَغْشَىٰ ۙ وَالنَّهَارِ إِذَا تَجَلَّىٰ ۙ وَمَا خَلَقَ الذَّكَرَ وَالْأُنثَىٰ ۚ ٣ إِنَّ سَعْيَكُمْ لَشَتَىٰ ۚ ٤ فَمَا مَنَّ أَعْطَىٰ وَآتَىٰ ۙ ٥ وَصَدَقَ بِالْحَسَنَىٰ ۖ فَسَنِيسِرُهُ لِّلْبَيْسِ ۙ ٧ وَأَمَّا مَن بَخِلَ وَاسْتَغْنَىٰ ۙ ٨ وَكَذَّبَ بِالْحَسَنَىٰ ۙ ٩ فَسَنِيسِرُهُ لِّلْعَسَىٰ ۙ ١٠ وَمَا يُغْنِي عَنْهُ مَالُهُ إِذَا تَرَدَّىٰ ۙ ١١ إِنَّ عَلَيْنَا لَلْهُدَىٰ ۙ ١٢ وَإِنَّ لَنَا لَلْآخِرَةَ وَالْأُولَىٰ ۙ ١٣ فَأَنْذَرْتُكُمْ نَارًا تَلَظَّىٰ ۙ ١٤ لَا يَصْلَاهَا إِلَّا الْأَشْقَىٰ ۙ ١٥ الَّذِي كَذَّبَ وَتَوَلَّىٰ ۙ ١٦ وَسَيُجَنَّبُهَا الْأَتْقَىٰ ۙ ١٧ الَّذِي يُؤْتِي مَالَهُ يَتَزَكَّىٰ ۙ ١٨ وَمَا لِأَحَدٍ عِنْدَهُ مِن نِّعْمَةٍ تُجْزَىٰ ۙ ١٩ إِلَّا ابْتِغَاءَ وَجْهِ رَبِّهِ الْأَعْلَىٰ ۙ ٢٠ وَلَسَوْفَ يَرْضَىٰ ۙ ٢١)

قوله تعالى: (والليل إذا يغشى) - الآيات.

1194. أخرج ابن أبي حاتم وغيره من طريق الحكم بن أبان عن عكرمة عن ابن عباس: «أن رجلاً كانت له نخلة فرعها في دار رجل فقير ذي عيال، فكان الرجل إذا جاء الدار فصعد إلى النخلة ليأخذ منها الثمرة فربما تقع ثمرة فيأخذها صبيان الفقير فينزل من نخلته فيأخذ الثمرة من أيديهم وإن وجدها في فم أحدهم أدخل أصبعه حتى يخرج الثمرة من فيه، فشكا ذلك الرجل إلى النبي ﷺ فقال: «أذهب». ولقي النبي ﷺ صاحب النخلة فقال: «له أعطني نخلتك التي فرعها في دار فلان ولك بها نخلة في الجنة». فقال الرجل: لقد أعطيت وإن لي نخلاً كثيراً وما فيه نخلة أعجب إلي ثمره منها، ثم ذهب الرجل ولقي رجلاً كان يسمع الكلام من رسول الله ﷺ ومن صاحب النخلة، فأتى رسول الله ﷺ فقال: أعطيني يا رسول الله ما أعطيت الرجل إن أنا أخذتها؟ فقال: «نعم». فذهب الرجل فلقي صاحب النخلة - ولكليهما نخل - فقال له صاحب النخلة: أشعرت أن محمداً ﷺ أعطاني بنخلتي المائلة في دار فلان نخلة في الجنة، فقلت له: لقد أعطيت ولكن يعجبني ثمرها ولي نخل كثير ما فيه نخلة أعجب إلي ثمره منها، فقال له الآخر: أتريد بيعها؟ فقال: لا، إلا أن أعطي بها ما أريد، ولا أظن أن أعطي، فقال فكم منها؟ قال: أربعون نخلة، قال: لقد جئت بأمر عظيم، ثم سكت عنه فقال له: أنا أعطيتك أربعين نخلة فأشهد لي إن كنت صادقاً، فدعا قومه

(2768) مسند أحمد (4/ 287)

(2769) للكشف والبيان عن تفسير القرآن (10/ 204)

(2770) صفوة التفسير - للصابوني (3/ 488)

فأشهد له، ثم ذهب إلى رسول الله ﷺ فقال له: يا رسول الله إن النخلة قد صارت لي وهي لك، فذهب رسول الله ﷺ إلى صاحب الدار فقال له: «النخلة لك ولعيالك». فأنزل: (والليل إذا يغشى) - إلى آخر السورة⁽²⁷⁷¹⁾».

قال ابن كثير: حديث غريب جداً.

1195. وأخرج الحاكم عن عامر بن عبد الله بن الزبير عن أبيه قال: «قال أبو قحافة لأبي بكر: أراك تعتق رقاباً ضعافاً، فلو أنك أعتقت رجالاً جلدأً يمنعونك ويقومون دونك يا بني، فقال: إني إنما أريد ما عند

الله، فنزلت هذه الآيات فيه: (فأما من أعطى واتقى) إلى آخر السورة⁽²⁷⁷²⁾.

1196. وأخرج ابن أبي حاتم عن عروة: «أن أبا بكر الصديق أعتق سبعة كلهم يعذب في الله، وفيه نزلت: (وسيجنبها الأتقى) - إلى آخر السورة⁽²⁷⁷³⁾».

1197. وأخرج البزار عن ابن الزبير قال: «نزلت هذه الآية: (وما لأحد عنده من نعمة تجزى) - إلى آخرها في أبي بكر الصديق⁽²⁷⁷⁴⁾».

[تعليق]

سورة الليل سورة مكية وقيل مدنية، وجوها جو السور المكية.

وقد ذكر المؤلف رحمه الله سببين لنزول هذه الآية.

فالأول: يدل على أن هذه القصة مدنية وصاحب القصة هو الصحابي المشهور أبو الدحداح واسمه ثابت بن الدحداح شهد أهداً وقتل يوبنذ⁽²⁷⁷⁵⁾. وهو الذي اشترى النخلة، وقصة أبي الدحداح مشهورة لكن ليس في سبب نزول هذه الآية.

فأخرج أحمد وغيره عن أنس: «أن رجلاً أتى النبي ﷺ، فقال: يا رسول الله، إن لفلان نخلة، وإنما أقيم حائطي بها، فمره أن يعطينيها، أراه قال: حتى أقيم بها حائطي، فقال له رسول الله ﷺ: أعطه إياها بنخلة في الجنة، فأبى، فأتاه أبو الدحداح، فقال: بعني نخلتك بحائطي، ففعل، فأتى أبو الدحداح النبي ﷺ، فقال: يا رسول الله، إني قد ابتعت النخلة بحائطي - أراه قال: فاجعلها له - فقال رسول الله ﷺ: كم من عذق رباح لأبي الدحداح في الجنة، فولى فأتى أبو الدحداح امرأته فقال: يا أم الدحداح، أخرجي من الحائط، فإني قد بعته بنخلة في الجنة، فقالت: ربح البيع، أو كلمة تشبهها⁽²⁷⁷⁶⁾».

السبب الثاني: أنها نزلت في أبي بكر وذكر له عدة شواهد وهذا ما تميل إليه النفس وإن كان معنى الآية العموم والله

تعالى أعلم.

(تفسير مختصر للآيات)

(فأما من أعطى واتقى) أي فأما من أعطى ماله وأنفق ابتغاء وجه الله، واتقى ربه فكف عن محارم الله، قال ابن كثير: أعطى ما أمر بإخراجه، واتقى اله في أموره.

(وصدق بالحسنى) أي وصدق بالجنة التي أعدها الله للأبرار.

(فسنيسره لليسرى) أي فسنيته لعمل الخير، ونسهل عليه الخصلة المؤدية لليسر، وهي فعل الطاعات، وترك المحرمات.

(وأما من بخل واستغنى) أي وأما من بخل بإنفاق المال، واستغنى عن عبادة ذي الجلال، قال ابن عباس: بخل بماله، واستغنى عن ربه عز وجل.

(وكذب بالحسنى) أي وكذب بالجنة ونعيمها.

(فسنيسره للعسرى) أي فسنيته للخصلة المؤدية للعسرى، وهي الحياة السيئة في الدنيا والآخرة، وهي طريق الشر، سمي تعالى

طريقة الخير [يسرى] لأن عاقبتها اليسر، وهي دخول الجنة دار النعيم، وسمى طريقة الشر [عسرى] لأن عاقبتها العسر، وهي

دخول الجحيم (روى البخاري عن علي رضي الله عنه قال: «كنا مع النبي ﷺ في بقيع الغرقد في جنازة، فقال: ما منكم من أحد إلا

وقد كتب مقعده من الجنة، ومقعده من النار، فقالوا يا رسول الله: ألا نتكل؟ فقال: اعملوا فكل ميسر لما خلق له، أما من كان من أهل

السعادة، فيصير لعمل أهل السعادة، وأما من كان من أهل الشقاوة، فيصير لعمل أهل الشقاوة، ثم قرأ (فأما من أعطى واتقى، وصدق

بالحسنى) الآيات إلى قوله (للعسرى)⁽²⁷⁷⁷⁾».

انتهت سورة الليل

(2771) تفسير ابن أبي حاتم 10/3439 في إسناده حفص بن عمر العدني ضعيف.

(2772) المستدرک للحاکم 2/572 (3942) وقال: صحيح على شرط مسلم، مكارم الأخلاق لأبي بكر القرشي المتوفى سنة ألفين وثمانمائة وواحد 1/125 المؤلف: عبد الله بن

محمد أبو بكر القرشي الناشر: مكتبة القرآن - القاهرة، 1411 - 1990

تحقيق: مجدي السيد إبراهيم عدد الأجزاء: I إسناده صحيحقال الحاكم حدثنا أحمد بن سهل الفقيه ببخارا حدثنا صالح بن محمد بن حبيب الحافظ حدثنا سعيد بن يحيى الأموي حدثني عمي عبد الله بن سعيد عن زيادة بن عبد الله البكائي عن محمد بن إسحاق قال حدثني محمد بن عبد الله بن أبي عتيق عن عامر بن عبد الله بن الزبير عن أبيه - بهوسياقأطول

(2773) تفسير ابن أبي حاتم 10/3441 مرسل.

(2774) تفسير الطبري 30/228 مسند البزار 6/168 ح(2209) في إسناده مصعب بن ثابت لين الحديث

(2775) صفة الصفوة (1/616) المؤلف: عبد الرحمن بن علي بن محمد أبو الفرج الناشر: دار المعرفة - بيروت الطبعة الثانية، 1399 1979

(2776) مسند أحمد (3/146)

(2777) صحيح البخاري (2/120) صفة التقاسير - للصاوي (3/496)

(وَالضُّحَىٰ ١ وَاللَّيْلِ إِذَا سَجَىٰ ٢ مَا وَدَّعَكَ رَبُّكَ وَمَا قَلَىٰ ٣)

قوله تعالى: (والضحى والليل إذا سجي) - الآيات.

1198. أخرج الشيخان وغيرهما عن جندب قال: « اشتكى النبي ﷺ فلم يقم ليلة أو ليلتين، فأنته امرأة فقالت: يا محمد ما أرى شيطانك إلا قد تركك، فأنزل الله: (والضحى والليل إذا سجي ما ودعك ربك وما قلى⁽²⁷⁷⁸⁾)».

1199. [ك] وأخرج سعيد بن منصور والفريايبي عن جندب قال: « أبطأ جبريل على النبي ﷺ فقال المشركون: قد ودع محمد فنزلت⁽²⁷⁷⁹⁾ ».

1200. [ك] وأخرج الحاكم عن زيد بن أرقم قال: « مكث رسول الله ﷺ أياماً لا ينزل عليه جبريل، فقالت أم جميل امرأة أبي لهب: ما أرى صاحبك إلا قد ودعك وقلاك، فأنزل الله: (والضحى) - الآيات⁽²⁷⁸⁰⁾ ».

1201. وأخرج الطبراني وابن أبي شيبه في مسنده والواحي وغيرهم بسند فيه من لا يعرف عن حفص بن ميسرة القرشي عن أمه عن أمها خولة وقد كانت خادم رسول الله ﷺ: « أن جرواً دخل بيت النبي ﷺ، فدخل تحت السرير، فمات، فمكث النبي ﷺ أربعة أيام لا ينزل عليه الوحي، فقال: « يا خولة ما حدث في بيت رسول الله؟ جبريل لا يأتيني ». فقلت في نفسي: لو هيأت البيت فكنته، فأهويت بالمكنسة تحت السرير، فأخرجت الجرو، فجاء النبي ﷺ ترعد لحيته، وكان إذا نزل عليه الوحي أخذته الرعدة فأنزل الله: (والضحى) - إلى قوله: (فترضى⁽²⁷⁸¹⁾)».

قال الحافظ ابن حجر: قصة إبطاء جبريل بسبب الجرو مشهورة، ولكن كونها سبب نزول الآية غريب بل شاذ مردود بما في الصحيح.

1202. [ك] وأخرج ابن جرير عن عبد الله بن شداد: « أن خديجة قالت للنبي ﷺ: ما أرى ربك إلا قد قلاك، فنزلت⁽²⁷⁸²⁾ ».

1203. وأخرج أيضاً عن عروة قال: « أبطأ جبريل على النبي ﷺ، فجزع جزعاً شديداً، فقالت خديجة: إنى أرى ربك قد قلاك مما يرى من جزعك، فنزلت⁽²⁷⁸³⁾ وكلاهما مرسل رواتهما ثقات قال الحافظ ابن حجر: فالذي يظهر أن كلاً من أم جميل وخديجة قالت ذلك، لكن أم جميل قالتها شماتة وخديجة قالتها توجعاً.

[تعليق]

سورة الضحى سورة مكية بالإجماع وموضوعها هو شخص النبي ﷺ وأن الله تعالى لم يتركه ولو للحظة واحدة، وامتنان الله على النبي ﷺ بكونه وجده يتيماً ضعيفاً فقيراً فأغناه وآواه وأقناه.

وذكر المؤلف رحمه الله عدة آثار وبعضها في الصحيح وهي تشتمل ثلاثة أسباب للنزول.

فالأول: في قول أم جميل للنبي ﷺ لما أبطأ عليه الوحي: لقد تركك ربك " فنزلت الآية رداً عليها وأم جميل هي امرأة أبي لهب حمالة الحطب وقد ذمها الله في كتابه. وأما الرواية التي فيها قال المشركون: فإن المراد بها أم جميل فعبر عن الواحد بالجماعة لكونها واحدة منهم.

والثاني: أنها نزلت في قصة الجرو لما مات فامتنع جبريل من النزول. وفي صحيح البخاري عن النبي ﷺ " لا تدخل الملائمة بيتاً فيه كلب ولا صورة "⁽²⁷⁸⁴⁾.

وقد ثبت أن النبي ﷺ أبطأ على النبي ﷺ ولم يدخل البيت بسبب صورة.

وفي سنن ابن ماجه عن عائشة قالت: « قالت واعد رسول الله صلى الله عليه وسلم جبريل عليه السلام في ساعة يأتيه فيها. فرأت عليه. فخرج النبي صلى الله عليه وسلم. فإذا هو بجبريل قائم على الباب

(2778) صحيح البخاري 4/1892 ح (4667) صحيح مسلم 3/1421 ح (1797) صحيح ابن حبان 14/524 ح (6566) سنن البيهقي الكبرى 3/14 ح (4496) مسند أحمد 312

4/ ح (18823) المعجم الكبير 2/173 ح (1709)

(2779) صحيح مسلم 3/1421 ح (1797) سنن الترمذي 5/442 ح (3345) مسند الحميدي 2/342 ح (777) المعجم الكبير 2/173 ح (1712) وغيرهم.

(2780) المستدرک للحاکم 2/573 ح (3945) وقال: صحيح الإسناد إلا أن له علة، ثم ذكره عن أبي إسحاق عن يزيد بن زيد مرسلًا، ويزيد بن زيد هذا قال الحافظ في اللسان: لا

نعرفه، وقال ابن المديني: مجهول، قلت: في إسناد الطريق الأولي إسحاق بن محمد الهاشمي اتهمه الحاكم وتعليقه للرواية يدل على عدم صحتها

(2781) المعجم الكبير 24/249 ح (636) أعله المؤلف بالجهالة وكذلك الهيثمي في زوائد قال: أم حفص لم أعرفها

(2782) تفسير الطبري 30/231 صحيح الإسناد مرسل

(2783) تفسير الطبري 30/232 مرسل صحيح الإسناد

(2784) صحيح البخاري (138/4)

: فقال « ما منعك أن تدخل؟ » قال إن في البيت كلباً. وإنا لاندخل بيتاً فيه كلب ولا صورة⁽²⁷⁸⁵⁾». وهذا الحديث شاهد لما روى من سبب نزول السورة فعمل هذا كان سبب امتناع جبريل عن النزول، فلما امتنع عن النزول قالت أم جميل قولتها فنزلت الآية، وهذا الوجه للجمع حسن. والسبب الثالث: أنها نزلت في قول أم المؤمنين خديجة رضي الله عنها لما أبطأ جبريل على النبي ﷺ وقد جمع الحافظ ابن حجر بينه وبين قول أم جميل بأن يحمل على أن كلتاها قالتا هذا القول. والذي يترجح أن قائل هذا القول أم جميل وحدها فإن حديثها مخرج في الصحيح. أما أثر أم المؤمنين خديجة فلا يقاوم ما جاء في الصحيح، وكذلك لا يقاوم مكانة أم المؤمنين من حرصها على تثبيت النبي ﷺ. فهي القائلة لما جاءه جبريل في بدء الوحي: " كلا أبشر، فوالله لا يخزيك الله أبداً، إنك لتصل الرحم، وتصدق الحديث، وتحمل الكل، وتقري الضيف، وتعين على نوائب الحق"⁽²⁷⁸⁶⁾. فلا يليق بمكانها أن تقول للنبي ﷺ لقد قال لك ربك يعني تركك والله تعالى موفق.

[تفسير مختصر للآية]

(والضحيّ واللّيل إذا سجي) أقسم تعالى بوقت الضحي وهو صدر النهار حين ترتفع الشمس، وأقسم بالليل إذا اشتد ظلامه، وغطى كل شيء في الوجود، قال ابن عباس: (سجي) أقبل بظلامه قال ابن كثير: هذا قسم منه تعالى بالضحي، وما جعل فيه من الضياء، وبالليل إذا سكن فأظلم وأدلم، وذلك دليل ظاهر على قدرته تعالى. (ما ودعك ربك وما قلى) أي ما تركك ربك يا محمد منذ اختارك، ولا أبغضك منذ أحبك، وهذا رد على المشركين حين قالوا: هجره ربه، وهو جواب القسم⁽²⁷⁸⁷⁾.

(وَلِالْآخِرَةِ خَيْرٌ لَّكَ مِنَ الْأُولَىٰ ۚ وَلَسَوْفَ يُعْطِيكَ رَبُّكَ فَتَرْضَىٰ أ)

قوله تعالى: (وللاخرة خير لك من الاولى) - الآيات.

1204. وأخرج الطبراني في الأوسط عن ابن عباس قال: « قال رسول الله ﷺ عرض علي ما هو مفتوح لأمتي بعدي، فسرني فأنزل الله: (وللاخرة خير لك من الاولى⁽²⁷⁸⁸⁾) ». إسناده حسن .

1205. وأخرج الحاكم والبيهقي في الدلائل والطبراني وغيرهم عن ابن عباس قال: « عرض على رسول الله ﷺ ما هو مفتوح على أمة كفرًا كفرًا - أي قرية قرية - فسر به فأنزل الله: (ولسوف يعطيك ربك فترضى⁽²⁷⁸⁹⁾) ».

[تعليق]

ذكر المؤلف رحمه الله أثريين في سبب نزول هذه الآية، وفيهما بشارة بما سيفتح الله تعالى على نبيه من الفتوح التي التي جاءت في عصر الصحابة، فيكون فيها رضي النبي ﷺ . وفي مسند الإمام أحمد وغيره، عن شداد بن أوس، أن النبي ﷺ قال: " إن الله عز و جل زوى لي الأرض حتى رأيت مشارقها ومغاربها، وإن ملك أمتي سبيل ما زوى لي منها وأني أعطيت الكنزين الأبيض والأحمر⁽²⁷⁹⁰⁾. وفي ذلك عدة أحاديث وقد تحقق ذلك في عهد الصحابة الكرام رضي الله عنهم.

[تفسير مختصر للآية]

(ولسوف يعطيك ربك فترضى) أي سوف يعطيك ربك في الآخرة من الثواب، والكرامة، والشفاعة، وغير ذلك إلى أن ترضى، قال ابن عباس: هي الشفاعة في أمة حتى يرضى، لما روي أن النبي، ذكر أمة فقال: اللهم أمتي أمتي وبكى، فقال الله: يا جبريل اذهب إلى محمد وإسأله ما يبكيك؟ - وهو أعلم - فأتى جبريل رسول الله ﷺ وسأله فأخبره رسول الله ﷺ بما قال، فقال الله يا جبريل: اذهب إلى محمد وقل له: إنا سنرضيك في أمتك ولا نسوءك. وفي الحديث «لكل نبي دعوة مستجابة، فتعجل كل نبي دعوته، وإنني اختبأت دعوتي شفاعة لأمتي يوم القيامة» الحديث، قال الخازن: والأولى حمل الآية على ظاهرها، ليشمل خيري الدنيا والآخرة معاً، فقد أعطاه الله تعالى في الدنيا: النصر، والظفر على الأعداء، وكثرة الأتباع والفتوح، وأعلى دينه، وجعل أمة خير الأمم، وأعطاه في الآخرة الشفاعة العامة، والمقام المحمود، وغير ذلك من خيري الدنيا والآخرة⁽²⁷⁹¹⁾.

انتهت سورة الضحي

(2785) سنن ابن ماجه (4/ 624)

(2786) صحيح البخاري (6/ 215)

(2787) صفوة التقاسير - للصابوني (3/ 498)

(2788) المعجم الأوسط 1/179 ح (572) في إسناده معاوية بن أبي العباس قال الهيثمي في الزوائد: لا أعرفه وعزاه له في الكبير وقال: إسناده حسن وما حسنه المؤلف رحمه

الله إسناده المعجم الأوسط وفيه ما تقدم

(2789) المعجم الكبير 10/277 ح (10650) المعجم الأوسط 3/297 ح (3209) تفسير الطبري 30/232 حلية الأولياء 3/212 عل ابن أبي حاتم 2/94 دلائل النبوة 1/225

أعله أبو حاتم بالإرسال فقال: الصحيح عن علي بن عبد الله بن عباس مرسلًا دون ذكر عبد الله بن عباس، وحمل الخطأ فيه على عمرو بن هاشم البيروتي وفيه كلام أطول

والحديث معلول بما ذكره ويشهد له ما قبله

(2790) مسند أحمد (4/ 122)

(2791) صفوة التقاسير - للصابوني (3/ 499)

وهذا الأثر فيه ضعف وقد قال بعض أهل التفسير بأن المراد بالإنسان الإنسان الكافر. ومعنى رددناه أسفل سافلين يعنى إلى النار⁽²⁷⁹⁸⁾.

وقال بعضهم: الإنسان عموماً رددناه بعض الصبا شيباً وبعض القوة ضعفاً والله تعالى أعلم.

[تفسير مختصر للآية]

(ثم رددناه أسفل سافلين) أي ثم أنزلنا درجته إلى أسفل سافلين، لعدم قيامه بموجب ما خلقناه عليه، حيث لم يشكر نعمة خلقنا له في أحسن صورة، ولم يستعمل ما خصصناه به من المزايا في طاعتنا، فلذلك سنده إلى أسفل سافلين وهي جهنم، قال مجاهد والحسن: (أسفل سافلين) أسفل دركات النار، وقال الضحلي: أي رددناه إلى أرذل العمر، وهو الهرم بعد الشباب، والضعف بعد القوة قال الألوسي: والمتبادر من السياق الإشارة إلى حالة الكافر يوم القيامة، وأنه يكون على أقبح صورة وأبشعها، بعد أن كان على أحسن صورة وأبدعها.

(إلا الذين آمنوا وعملوا الصالحات) أي إلا المؤمنين المتقين، الذين جمعوا بين الإيمان والعمل الصالح. (فلهم أجر غير ممنون) أي فلهم ثواب دائم، غير مقطوع عنهم، وهو الجنة دار المتقين⁽²⁷⁹⁹⁾.

انتهت سورة التين

سُورَةُ الْعَلَقِ

(كَلَّا إِنَّ الْإِنْسَانَ لِرَبِّهِ لَكَنَّاظِرٌ ﴿٦﴾ أَلَمْ يَرَأ أَن سَخَّيْنَا ﴿٧﴾)

قوله تعالى: (كلا إن الإنسان ليطغى) - الآيات.

1209. أخرج ابن المنذر عن أبي هريرة: «قال أبو جهل: هل يعفر محمد وجهه بين أظهركم؟ فقيل: نعم، فقال: واللات والعزى لئن رأيتَه يفعل لأطأن على رقبته ولأعفرن وجهه في التراب، فأنزل الله: (كلا إن الإنسان ليطغى) - الآيات⁽²⁸⁰⁰⁾».

[تعليق]

سورة العلق هي أول ما أنزل من القرآن على رسول الله ﷺ. روى الإمام البخاري رحمه الله: عن عائشة قالت: أول ما بدئ به رسول الله ﷺ من الوحي الرؤيا الصادقة في النوم، فكان لا يرى رؤيا إلا جاءت مثل فلق الصبح. ثم حُبيب إليه الخلاء، فكان يأتي حراء فيتحنث فيه - هو: التعبد الليلي نوات العدد، ويتزود لذلك ثم يرجع إلى خديجة فتزود لمثلها حتى فجأه الحق وهو في غار حراء، فجاءه الملك فيه فقال: اقرأ. قال رسول الله ﷺ: "فقلت: ما أنا بقارئ" قال: "فأخذني فغطني حتى بلغ مني الجهد ثم أرسلني، فقال: اقرأ. فقلت: ما أنا بقارئ. فغطني الثانية حتى بلغ مني الجهد، ثم أرسلني فقال: اقرأ. فقلت: ما أنا بقارئ. فغطني الثالثة حتى بلغ مني الجهد، ثم أرسلني فقال: (اقرأ باسم ربك الذي خلق) حتى بلغ: (ما لم يعلم) قال: فرجع بها ترجف بوادره حتى دخل على خديجة فقال: "زملوني زملوني" فزملوه حتى ذهب عنه الروع. فقال: يا خديجة، ما لي. فأخبرها الخبر وقال: "قد خشيت علي". فقالت له: كلا أبشر فوالله لا يخزيك الله أبداً؛ إنك لتصل الرحم، وتصدق الحديث، وتحمل الكل، وتقري الضيف، وتعين على نوائب الحق. ثم انطلقت به خديجة حتى أتت به ورقة بن نوفل بن أسد بن عبد العزى ابن قصي - هو ابن عم خديجة، أخي أبيها، وكان امرأ تنصر في الجاهلية، وكان يكتب الكتاب العربي، وكتب بالعربية من الإنجيل ما شاء الله أن يكتب، وكان شيخاً كبيراً قد عمي - فقالت خديجة: أي ابن عم، اسمع من ابن أخيك. فقال ورقة: ابن أخي، ما ترى؟ فأخبره رسول الله ﷺ ما رأى، فقال ورقة: هذا الناموس الذي أنزل على موسى لينتفي فيها جذعا أكون حيا حين يخرجك قومك. فقال رسول الله ﷺ: "أومخرجي هم؟" فقال ورقة: نعم، لم يأت رجل قط بما جئت به إلا عودي، وإن يدركني يومك أنصرك نصرًا مؤزرًا. ثم لم ينشب ورقة أن توفي، وفتر الوحي فترة حتى حزن رسول الله ﷺ - فيما بلغنا - حزناً غداً منه مرارا كي يتردى من رعوس شواحق الجبال، فكلما أوفى بذروة جبل لكي يلقي نفسه منه، تبدي له جبريل فقال: يا محمد، إنك رسول الله حقاً. فيسكن بذلك جأشه، وتقر نفسه فيرجع. فإذا طالت عليه فترة الوحي غدا لمثل ذلك، فإذا أوفى بذروة الجبل تبدي له جبريل، فقال له مثل ذلك⁽²⁸⁰¹⁾.

وهذا الحديث فيه فوائد عدة لا يتسع المقام لذكرها وقد أخرجه الإمام البخاري في كتاب بدء الوحي.

وذكر المؤلف أن قوله تعالى (كلا إن الإنسان ليطغى أن رآه استغنى) نزلت في أبي جهل. والأثر بطوله ذكره الإمام

الثعلبي بإسناده قال: عن أبي حازم عن أبي هريرة قال: قال أبو جهل: هل يعفر محمد وجهه بين أظهركم؟

قالوا: نعم، قال: فوالذي يحلف به لئن رأيتَه يفعل ذلك لأطأن رقبته.

قال فما (فجأهم) منه إلا يتقي بيديه وينكص على عقبيه، قال: فقالوا له: ما ذاك يا أبا الحكم؟ قال: إن بيني وبينه خندقاً من نار وهو لا وأجحة، فقال رسول الله صلى الله عليه وسلم: «لو دنا مني لاختطفته الملائكة عضوا عضوا⁽²⁸⁰²⁾».

⁽²⁷⁹⁸⁾ تفسير القرطبي - (115/20)

⁽²⁷⁹⁹⁾ صفوة التفسير - للصابوني (3/504)

⁽²⁸⁰⁰⁾ تفسير الطبري 30/256 صحيح مسلم 4/2154 ح (2797) وسياقه عند مسلم أطول مما ذكره المؤلف رحمه الله

⁽²⁸⁰¹⁾ صحيح البخاري (9/38)

⁽²⁸⁰²⁾ (الكشف والبيان عن تفسير القرآن (10/246) إسناده لا بأس به

(483)

وهذا الأثر يدل على أن المراد بالإنسان هو أبو جهل، فإنه طغى لما رأى نفسه من أكثر أهل مكة مالا وظن أنه استغنى بماله عن الله تعالى فتمادى في كفره. هذا وإن كان سبب النزول في أبي جهل بيد أن الآية مجراها مجري العموم كما تقدم.

[تفسير مختصر للآية]

(كلا إن الإنسان ليطغى) أي حقا إن الإنسان ليتجاوز الحد في الطغيان، وإتباع هوى النفس، ويستكبر على ربه عز وجل (أن رآه استغنى) أي من أجل أن رأى نفسه غنيا، وأصبح ذا ثروة ومال، أشر وبطر⁽²⁸⁰³⁾.

(أَرَأَيْتَ الَّذِي يَنْهَى ٩ عَبْدًا إِذَا صَلَّى ١٠)

قوله تعالى: (أرأيت الذي ينهى عبدا إذا صلى).

1210. [ك] وأخرج ابن جرير عن ابن عباس قال: «كان رسول الله ﷺ يصلي، فجاءه أبو جهل فنهاه فأنزل الله: (أرأيت الذي ينهى عبدا إذا صلى) - إلى قوله: (كاذبة خاطئة)⁽²⁸⁰⁴⁾».

[تعليق]

ذكر المؤلف أثراً واحداً في سبب نزول هذه الآية وهي بالإجماع نزلت في أبي جهل وكان ينهى رسول الله ﷺ عن الصلاة، فنزلت فيه هذه الآية.

[تفسير مختصر للآية]

(أرأيت الذي ينهى عبدا إذا صلى) تعجيب من حال ذلك الشقي الفاجر، أي أخبرني يا محمد عن حال ذلك المجرم الأثيم، الذي ينهى عبدا من عباد الله عن الصلاة، وما أسخف عقله، وما أشنع فعله قال أبو السعود: هذه الآية تقبيح وتشنيع لحال الطاعى، وتعجيب منها، وإيدان بأنها من الشناعة والغرابة بحيث يقضى منها العجب⁽²⁸⁰⁵⁾.

(فَلْيَدْعُ نَادِيَهُ ١٧ سَدَّعُ الزَّبَانِيَةَ ١٨)

قوله تعالى: (فليدع ناديه سندع الزبانية)

1211. وأخرج الترمذي وغيره عن ابن عباس قال: «كان النبي ﷺ يصلي، فجاء أبو جهل فقال: ألم أنهك عن هذا؟، فزجره النبي ﷺ، فقال أبو جهل: إنك لتعلم ما بها ناد أكثر مني، فأنزل الله فليدع ناديه: (سندع الزبانية)⁽²⁸⁰⁶⁾».

قال الترمذي حسن صحيح

[تعليق]

تتواصل الآثار في ذكر جرائم أبي جهل وسوء أدبه مع رسول الله ﷺ وفي هذا الأثر الوعيد الشديد لأبي جهل، قال عبد الله بن عباس قال ابن عباس: لو دعا ناديه، أخذته زبانية العذاب من ساعته⁽²⁸⁰⁷⁾.

[تفسير مختصر للآية]

(فليدع ناديه) أي فليدع أهل ناديه وليستنصر بهم (سندع الزبانية) أي سندعوا خزنة جهنم، الملائكة الغلاظ الشداد⁽²⁸⁰⁸⁾.

انتهت سورة العلق

سُورَةُ الْقَدْرِ

(إِنَّا أَنْزَلْنَاهُ فِي لَيْلَةِ الْقَدْرِ ١ وَمَا أَدْرَاكَ مَا لَيْلَةُ الْقَدْرِ ٢)

⁽²⁸⁰³⁾صفحة التفسير - للصابوني (507 / 3)

⁽²⁸⁰⁴⁾تفسير الطبري 3/256 إسناده صحيح

⁽²⁸⁰⁵⁾صفحة التفسير - للصابوني (507 / 3)

⁽²⁸⁰⁶⁾تفسير الطبري 3/256 سنن الترمذي 5/444 ح(3349)مسند أحمد 1/256 ح(2321)المستدرک للحاکم 2/530 ح(3809)وصححه،سنن النسائي الكبرى 6/518

ح(11684) وغيرهم سنده صحيح قال الإمام الترمذي حدثنا أبو سعيد الأشج حدثنا أبو خالد عن داود بن أبي هند عن عكرمة عن ابن عباس—به

⁽²⁸⁰⁷⁾جامع البيان (تفسير الطبري) (525 / 24)

⁽²⁸⁰⁸⁾صفحة التفسير - للصابوني (508 / 3)

لَيْلَةُ الْقَدْرِ خَيْرٌ مِّنْ أَلْفِ شَهْرٍ (٣)

قوله تعالى: (إنا أنزلناه في ليلة القدر) - الآيات.

1212. [ك] أخرج الترمذي والحاكم وابن جرير عن الحسن بن علي قال: « أن النبي ﷺ رأى بني أمية على منبره فسأه ذلك، فنزلت: (إنا أعطيناك الكوثر) - ونزلت: (إنا أنزلناه في ليلة القدر وما أدراك ما ليلة القدر ليلة القدر خير من ألف شهر) تملكها بعدك بنو أمية». قال القاسم الحارثي: فعددنا فإذا هي ألف شهر لا تزيد ولا تنقص⁽²⁸⁰⁹⁾. قال الترمذي غريب وقال: المزني وابن كثير منكر جدا.

1213. وأخرج ابن أبي حاتم والواحدي عن مجاهد: « أن رسول الله ﷺ ذكر رجلاً من بني إسرائيل ليس السلاح في سبيل الله ألف شهر، فعجب المسلمون من ذلك، فأنزل الله: (إنا أنزلناه في ليلة القدر وما أدراك ما ليلة القدر ليلة القدر خير من ألف شهر) - التي لبس ذلك الرجل السلاح فيها في سبيل الله⁽²⁸¹⁰⁾».

1214. [ك] وأخرج ابن جرير عن مجاهد قال: «كان في بني إسرائيل رجل يقوم الليل حتى يصبح، ثم يجاهد العدو بالناهار حتى يمسي، فعمل ذلك ألف شهر فأنزل الله: (ليلة القدر خير من ألف شهر) عملها ذلك الرجل⁽²⁸¹¹⁾».

[تعليق]

سورة القدر مدنية في قول لأكثر المفسرين؛ ذكره الثعلبي. وحكى الماوردي عكسه. وهي مدنية في قول الضحاك، وأحد قولي ابن عباس. وذكر الواقدى أنها أول سورة نزلت بالمدينة. وهي خمس آيات⁽²⁸¹²⁾.

وليلة القدر هي الليلة المذكورة في قوله تعالى (إنا أنزلناه في ليلة مباركة) سورة الدخان. وقد ورد في فضائلها عدة أحاديث ليس موضوع الكتاب إيرادها. وذكر المؤلف ثلاثة آثار الأول منها أنها نزلت في ملك بني أمية، والآثر الوارد في ذلك ضعيف جداً لا يعتمد عليه في سبب نزول الآية.

وأما الثالث والرابع فنزولها إخبار عن رجل من بني إسرائيل عابد مجاهد عبد الله وجاهد في سبيله ألف شهر، فأخبر الله أن قيام ليلة القدر واحداً خير من عبادته وجهاده ألف شهر، وليس هو في الحقيقة سبب للنزول. وأرجح الأقوال أن الله تعالى فضل ليلة القدر على غيرها من الليالي بما يعادل ألف شهر غير محدودة والله تعالى أعلى وأعلم.

(تفسير مختصر للسورة)

(إنا أنزلناه في ليلة القدر) أي نحن أنزلنا عليك يا محمد، هذا القرآن المعجز في ليلة القدر والشرف، قال المفسرون: سميت ليلة القدر لعظمتها وقدرها وشرفها، والمراد بإنزال القرآن: إنزاله من اللوح المحفوظ إلى السماء الدنيا، ثم نزل به جبريل إلى الأرض، في مدة ثلاث وعشرين سنة، قال ابن عباس: أنزل الله القرآن جملة واحدة من اللوح المحفوظ، إلى بيت العزة من السماء الدنيا، ثم نزل مفضلاً بحسب الوقائع في ثلاث وعشرين سنة على رسول الله ﷺ.

(وما أدراك ما ليلة القدر) تعظيم وتقدير لأمرها أي وما أعلمك يا محمد ما ليلة القدر والشرف؟ قال الخازن: وهذا على سبيل التعظيم لها، والتشويق لخبرها، كأنه قال: أفي شيء يبلغ علمك بقدرها ومبلغ فضلها؟ ثم فصل فضلها من ثلاثة أوجه: فقال سبحانه.

(ليلة القدر خير من ألف شهر) أي ليلة القدر في الشرف والفضل، خير من عبادة ألف شهر، لما إختصت به من شرف إنزال القرآن الكريم فيها، قال المفسرون: العمل الصالح في ليلة القدر، خير من العمل في ألف شهر، ليس فيها ليلة القدر، وقد روي أن رجلاً لبس السلاح، وجاهد في سبيل الله ألف شهر، فعجب رسول الله ﷺ والمسلمون من ذلك، وتمنى رسول الله ﷺ، لأمته فقال يا رب: جعلت أمتي أقصر الأمم أعماراً، وأقلها أعمالاً! فأعطاه الله ليلة القدر، وقال: ليلة القدر خير لك ولأمتك من ألف شهر، جاهد فيها ذلك الرجل قال مجاهد: عملها وصيامها وقيامها خير من ألف شهر، هذا هو الوجه الأول من فضلها، ثم قال تعالى:

(تنزل الملائكة والروح فيها بإذن ربهم من كل أمر) أي تنزل الملائكة وجبريل إلى الأرض في تلك الليلة، بأمر ربهم من أجل كل أمر قدره الله وقضاه لتلك السنة إلى السنة القابلة، وهذا هو الوجه الثاني من فضلها، والوجه الثالث قوله تعالى:

(سلام هي حتى مطلع الفجر) أي هي سلام من أول يومها إلى طلوع الفجر، تسلم فيها الملائكة على المؤمنين، ولا يقدر الله فيها إلا الخير والسلامة لبني الإنسان⁽²⁸¹³⁾.

انتهت سورة القدر

(2809) المستدرك للحاكم 3/186 ج (4796) قال: صحيح الإسناد سنن الترمذي 5/444 ح (3350) غريب لا نعرفه إلا من حديث القاسم بن الفضل قال: ويوسف بن سعد رجل مجهول، المعجم الكبير 3/89 ج (2754) شعب الإيمان 3/323 قلت: إسناده صحيح كما قال الحاكم، وقول الترمذي ويوسف بن سعد رجل مجهول خطأ بل هو ثقة مشهور وقيل هو يوسف بن مازن، وفرق بينهما البخاري وغيره ومما يدل على أنهما واحد رواية الطبراني والحاكم حيث قال يوسف بن مازن قال أبو حاتم: مشهور. قال الإمام الترمذي حدثنا محمود بن غيلان حدثنا أبو داود الطيالسي حدثنا القاسم بن الفضل الحداني عن يوسف بن سعد - به

(2810) تفسير ابن أبي حاتم 10/3402 أسباب النزول للواحدي 391 مرسل منقطع

(2811) تفسير الطبري 30/260 مرسل ضعيف

(2812) تفسير القرطبي - (129/20)

(2813) صفوة التفسير - للصابوني (509/3)

سُورَةُ الزَّلْزَلَةِ

(فَمَنْ يَعْمَلْ مِثْقَالَ ذَرَّةٍ خَيْرًا يَرَهُ ٧ وَمَنْ يَعْمَلْ مِثْقَالَ ذَرَّةٍ شَرًّا يَرَهُ ٨)

قوله تعالى: (فمن يعمل مثقال ذرة) - الآيات.

1215. أخرج ابن أبي حاتم عن سعيد بن جبيرة قال: «لما نزلت: (ويطعمون الطعام على حبه) الآية، كان المسلمون يرون أنهم لا يؤجرون على الشيء القليل إذا أعطوه، وكان آخرون يرون أنهم لا يلامون على الذنب اليسير الكذبة والنظرة والغيبة وأشباه ذلك ويقولون: إنما وعد الله النار على الكبائر، فأنزل الله: (فمن يعمل مثقال ذرة خيراً يره ومن يعمل مثقال ذرة شراً يره)»⁽²⁸¹⁴⁾.

[تعليق]

سورة الزلزلة مدنية، في قول ابن عباس وقتادة. ومكية؛ في قول ابن مسعود وعطاء وجابر. وهي تسع آيات⁽²⁸¹⁵⁾. قلت: جوها جو السور المكية من حيث التعرض لأمر الزلزلة والبعث والحشر والنشور وغير ذلك من أمور السور المكية.

وذكر المؤلف رحمه الله أثراً واحداً وهو يدل على أن الإنسان يجازي بكل أعماله من الخير والشر، غير أن الله تعالى يعفو ويغفر لمن يشاء. فأصل المسألة أن من يعمل خيراً يره ومن يعمل شراً يره لئلا يتكل الناس فيتركوا الأعمال، لكن الله يغفر لمن يشاء بفضلته ويعذب من يشاء بعدله. نسأل الله المغفرة.

[تفسير مختصر للآية]

(فمن يعمل مثقال ذرة خيراً يره) أي فمن يفعل من الخير وزن ذرة من التراب، يجده في صحيفته يوم القيامة، ويلق جزاءه عليه، قال الكلبي: الذرة أصغر النمل، وقال ابن عباس: إذا وضعت راحتك على الأرض ثم رفعتها، فكل واحد مما لصق به من التراب ذرة.

(ومن يعمل مثقال ذرة شراً يره) أي ومن يفعل من الشر، وزن ذرة من التراب، يجده كذلك، ويلق جزاءه عليه، قال القرطبي: وهذا مثل ضربه الله تعالى، في أنه لا يغفل من عمل ابن آدم صغيرة ولا كبيرة، وهو مثل قوله تعالى (إن الله لا يظلم مثقال ذرة)⁽²⁸¹⁶⁾.

انتهت سورة الزلزلة

سُورَةُ الْعَادِيَاتِ

(وَالْعَادِيَاتِ ضَبْحًا ١)

قوله تعالى: (والعاديات ضبحاً).

1216. أخرج البزار وابن أبي حاتم والحاكم عن ابن عباس قال: « بعث رسول الله ﷺ خيلاً ولبث شهراً لا يأتيه منها خبر، فنزلت: (والعاديات ضبحاً) »⁽²⁸¹⁷⁾.

[تعليق]

سورة العاديات وهي مكية؛ في قول ابن مسعود وجابر والحسن وعكرمة وعطاء. ومدنية في قول ابن عباس وأنس ومالك وقتادة⁽²⁸¹⁸⁾.

قلت: مطلع السورة يدل على أنها مدنية، فالله تعالى أقسم بالخيال التي يجاهد عليها والجهاد لم يشرع إلا في المدينة.

والأثر المذكور في سبب نزول هذه الآية يدل على أنها مدنية كذلك، ولكن الأثر ضعيف وقول الأكثر أنها مكية.

قال الشيخ ملا حويش: هذا وأن ما أخرجه البزار وغيره عن ابن عباس من أن رسول الله صلى الله عليه وسلم بعث خيلاً ولبث شهراً لا يأتيه خبر عنها فنزلت هذه السورة لا قيمة له إلا أن يقال تلاها حينذاك لأن هذه السورة مكية، وبعث السرايا لم يكن في المدينة بعد الهجرة فلا مجال للقول بصحته من جهة النزول أما التلاوة فنعم⁽²⁸¹⁹⁾.

(2814) تفسير ابن أبي حاتم 10/3456 في إسناده ابن لهيعة.

(2815) تفسير القرطبي - (146/20)

(2816) صفة التقاسير - للصابوني (514/3)

(2817) لم أجده في الكتب المسنده عند الحاكم وعزاه الهيثمي إلى البزار وقال: فيه حفص بن جميع ضعيف

(2818) تفسير القرطبي - (153/20)

(2819) بيان المعاني - (167/1) المؤلف: ملا حويش آل غازي عبد القادر الموضوع: على حسب ترتيب النزول الناشر: مطبعة الترقى مكان الطبع: دمشق سنة الطبع: 1382

فالراجح أن الله تعالى أقسم بالعاديات وهي الخيل التي يجاهد عليها، وهذا القسم لا يدل على كونها مكية أو مدنية فإن الله تعالى يعلم أنه سيفرض الجهاد في المدينة ويمكن أن يقسم بالخيال التي يجاهد عليها في مكة والله تعالى أعلم.

(تفسير مختصر للآيات)

(والعاديات ضبحا) أي أقسم بخيل المجاهدين المسرعات في الكر على العدو، يسمع لأنفاسها صوت جهير هو الضبح، قال ابن عباس: الخيل إذا عدت قالت: أخ، أخ، فذلك ضبحها، قال أبو السعود: أقسم سبحانه بخيل الغزاة التي تعدو نحو العدو وتصبح ضبحا وهو صوت أنفاسها عند عدوها.

(فالموريات فدحا) أي فالخيل التي تخرج شرر النار من الأرض بوقع حوافرها على الحجارة، من شدة الجري.

(فالمغيرات صبحا) أي فالخيل التي تغير على العدو وقت الصباح قبل طلوع الشمس، قال الألويسي: هذا هو المعتاد في الغارات، كانوا يعدون ليلا لئلا يشعر بهم العدو، ويهجمون صباحا ليروا ما يأتون وما يذرون.

(فأثرن به نغعا) أي فأنثرت الخيل الغبار الكثيف لشدة العدو، في الموضوع الذي أثرن به.

(فوسطن به جمعا) أي فتوسطن به جموع الأعداء، وأصبحن وسط المعركة.. أقسم سبحانه وتعالى بأقسام ثلاثة على أمور ثلاثة، تعظيما للمقسم به، وهو خيل المجاهدين، في سبيل الله، التي تسرع على أعداء الله، وتقذح النار بحوافرها، وتغير على الأعداء وقت الصباح، فتثير الغبار، وتتوسط العدو فتصيبه بالرعب والفرع (2820).

انتهت سورة العاديات

سُورَةُ النَّكَاتِ

(الْهَالِكُمُ النَّكَاتُ ١ حَتَّىٰ زُرْتُمُ الْمَقَابِرَ ٢ كَلَّا سَوْفَ تَعْلَمُونَ ٣ ثُمَّ كَلَّا سَوْفَ تَعْلَمُونَ ٤)

قوله تعالى: (الهاكم التكاثر) - الآيات.

1217. أخرج ابن أبي حاتم عن ابن بريده قال: «نزلت في قبيلتين من الأتصار في بني حارثة وبني الحارث، تفاخروا وتكاثروا، فقالت إحداهما: فيكم مثل فلان وفلان: وقال الآخرون مثل ذلك، تفاخروا بالأحياء ثم قالوا: انطلقوا بنا إلى القبور، فجعلت إحدى الطائفتين تقول: فيكم مثل فلان ومثل فلان يشيرون إلى القبر، وتقول الأخرى مثل ذلك، فأنزل الله: (إلهاكم التكاثر حتى زرتم المقابر (2821)).»

1218. [ك] وأخرج ابن جرير عن علي قال: «كنا نشك في عذاب القبر حتى نزلت: (إلهاكم التكاثر) إلى: (ثم كلا سوف تعلمون) في عذاب القبر (2822).»

[تعليق]

سورة التكاثر مكية في قول الجميع. وذكر الإمام القرطبي عن الإمام البخاري أنها مدنية، لكن أجواءها أجواء المكي والله تعالى أعلم.

وذكر المؤلف أثرين أحدهما أنها نزلت في قبيلتين تفاخرتا بالأحياء، ثم تفاخرتا بالأموات فنزلت الآية مبينة أن ما سيأتي من الأهوال أعظم من تفاخرهم بالأحياء والأموات. ومنه ما رواه البخاري عن أنس بن مالك قال: خطب النبي ﷺ خطبة ما سمعت مثلها قط، قال "لو تعلمون ما أعلم لضحكتم قليلا ولبكيتم كثيرا" قال: فغطى أصحاب رسول الله ﷺ وجوههم لهم حين (2823).

أما الأثر الثاني الذي ذكره المؤلف فهو يدل على أن الآيات نزلت في إثبات عذاب القبر وعذاب القبر ونعيمه ثابت بالكتاب والسنة، وأما الأثر فإسناده ضعيف.

وفي سبب نزولها ما رواه الإمام الواحدي أنها نزلت في قبيلتين من اليهود تفاخرتا كما تفاخر المشركون (2824)، وهذا بعيد لكون الآيات مكية والله تعالى أعلم.

(تفسير مختصر للآيات)

(إلهاكم التكاثر) أي شغلكم أيها الناس التفاخر بالأموال والأولاد والأحساب عن طاعة الله، وعن الاستعداد للآخرة.

(حتى زرتم المقابر) أي حتى أدرككم الموت، ودفنتم في المقابر، والجملة خبر يراد به الوعظ والتوبيخ، قال القرطبي: المعنى شغلكم المباهاة بكثرة المال والأولاد عن طاعة الله، حتى تمم ودفنتم في المقابر (وقال ابن كثير: يقول تعالى: شغلكم حب الدنيا ونعيمها وزهرتها، عن طلب الآخرة وابتغائها، وتمادى بكم ذلك حتى جاءكم الموت، وزرتم المقابر وصرتم من أهلها).

(كلا سوف تعلمون) زجز وتهديد أي ارتدعوا أيها الناس، وانزجروا عن الإشتغال بما لا ينفع ولا يفيد، فسوف تعلمون عاقبة جهلكم، وتفريطكم في جنب الله، وإشغالكم بالفاني عن الباقى؟.

(ثم كلا سوف تعلمون) وعيد إثر وعيد، وزيادة في الزجر والتهديد أي سوف تعلمون عاقبة تكاثركم وتفاخركم، إذا نزل بكم الموت، وعانيتم أهواله وشدائده، قال ابن عباس: (كلا سوف تعلمون) ما ينزل بكم من العذاب في القبر (ثم كلا سوف تعلمون) أي في الآخرة إذا حل بكم العذاب.

(كلا لو تعلمون علم اليقين) أي ارتدعوا وانزجروا فلو علمتم العلم الحقيقي، الذي لا شك فيه ولا امتراء، وجواب [لو] محذوف لقصد التهويل أي لو عرفتم ذلك، لما ألهاكم التكاثر بالدنيا عن طاعة اله، ولما خدعتم بنعيم الدنيا عن أهوال الآخرة وشدائدها؟ كما قال □ " لو تعلمون ما أعلم لضحكتم قليلا ولبكيتم كثيرا " الحديث، قال في التسهيل: وجواب [لو] محذوف تقديره: لو تعلمون لآزدرتم واستعدتكم للآخرة، وإنما حذف لقصد التهويل، فيقدر السامع أعظم ما يخطر بباله كقوله تعالى (ولو ترى إذ وقفوا على النار)

(لترون الجحيم) أي أقسم وأؤكد بأنكم ستشاهدون الجحيم، عيانا ويقينا، قال الأوسى: هذا جواب قسم مضمرة، أكد به الوعيد، وشدد به التهديد، وأوضح به ما أنذروه بعد إبهامه تفخيما أي والله لترون الجحيم.

(ثم لترونها عين اليقين) أي ثم لترونها رؤية حقيقة بالمشاهدة العينية، قال في البحر: زاد التوكيد بقوله (عين اليقين) نفيا لتوهم المجاز في الرؤية الأولى.

(ثم لتسألن يومئذ عن النعيم) أي ثم لتسألن في الآخرة عن نعيم الدنيا، من الأمن والصحة، وسائر ما يتلذذ به من مطعم، ومشرب، ومركب، ومفرش، اللهم أرزقنا شكر نعمك يا رب العالمين⁽²⁸²⁵⁾.

انتهت سورة التكاثر

سُورَةُ الْهُمَزَةِ

(وَيَلِّ لِكُلِّ هُمَزَةٍ لُّمَزَةٌ (١))

قوله تعالى: (ويل لكل همزة لمزة).

1219. [ك] أخرج ابن أبي حاتم عن عثمان وابن عمر قالا: « ما زلنا نسمع أن: (ويل لكل همزة) نزلت في أبي بن خلف⁽²⁸²⁶⁾ ».

1220. [ك] وأخرج عن السدي قال: « نزلت في الأحنس بن شريق⁽²⁸²⁷⁾ ».

1221. وأخرج ابن جرير عن رجل من أهل الرقة قال: « نزلت في جميل بن عامر الجمحي⁽²⁸²⁸⁾ ».

1222. وأخرج ابن المنذر عن ابن إسحاق قال: « كان أمية بن خلف إذا رأى رسول الله □ همزه ولمزه، فأنزل الله: (ويل لكل همزة لمزة) السورة كلها⁽²⁸²⁹⁾ ».

[تعليق]

سورة الهمزة مكية بإجماع، وقد تحدثت عن الذين يلمزون ويهمزون الناس وما أعد الله لهم من العذاب والويل.

وقد ذكر المؤلف رحمه الله عدة آثار تدل على أن الآيات نزلت في رجال بأعينهم.

فقبيل في أمية بن خلق، وقيل جميل بن عامر الجمحي، وقيل أبي بن خلف، وفي غير ما ذكر المؤلف الوليد بن المغيرة كان

يغتاب النبي □ ويطعن في وجهه وهو قول مقاتل، وقيل لم تنزل في واحد بعينه إنما نزلت فيمن هذه صفته هماز لمار وهو قول مجاهد⁽²⁸³⁰⁾.

والراجح أنها نزلت في أقوام هذه صفتهم فيدخل فيهم كل من ذكر والله أعلم.

(تفسير مختصر للآيات)

(ويل لكل همزة لمزة) أي عذاب شديد، وهلاكي ودمار، لكل من يعيب الناس ويطعن في أعراضهم، أو يلمزهم سرا بعينه أو حاجبه، قال المفسرون: نزلت السورة في " الأحنس بن شريق " لأنه كان كثير الوقعة في الناس، يلمزهم ويعيبهم، مقبلين ومدبرين، والحكم عام لأن العبرة بعموم اللفظ لا بخصوص السبب.

(الذي جمع مالا وعدده) أي الذي جمع مالا كثيرا وأحصاه، وحافظ على عدده، لئلا ينقص فمنعه من الخيرات، قال الطبري: أي أحصى عدده ولم ينفقه في سبيل الله، ولم يؤد حق الله فيه، ولكنه جمعه فأوعاه وحفظه

(2825) صفوة التفسير - للصابوني (519 /3)

(2826) تفسير ابن أبي حاتم 10/3463 مرسل وفي إسناده ضعف.

(2827) تفسير ابن أبي حاتم المصدر السابق مرسل.

(2828) تفسير الطبري 30/293 مرسل ضعيف

(2829) معضل.

(2830) الكشف والبيان عن تفسير القرآن (10 /286)

(يحسب أن ماله أخذه) أي يظن هذا الجاهل لفرط غفلته، أن ماله سبتركه مخلداً في الدنيا لا يموت. (كلا لينبذن في الحطمة) أي ليرتدع عن هذا الظن، فوالله ليطرحن في النار التي تحطم كل ما يلقي فيها وتلتهمه (وما أدراك ما الحطمة) تفخيم وتهويل لشأنها، أي وما الذي أعلمك ما حقيقة هذه النار العظيمة؟ إنها الحطمة التي تحطم العظام، وتاليل اللحوم، حتى تهجم على القلوب، ثم فسر لها بقوله: (نار الله الموقدة) أي هي نار الله المسعرة، بأمره تعالى وإرادته، ليست كسائر النيران، فإنها لا تخمد أبداً، وفي الحديث «أوقد على النار ألف سنة حتى إحمرت، ثم أوقد عليها ألف سنة حتى إبيضت، ثم أوقد عليها ألف سنة حتى إسودت، فهي سوداء مظلمة». (التي تطلع على الأفئدة) أي التي يبلغ ألمها ووجعها إلي القلوب فتحرقها، قال القرطبي: وخص الأفئدة بالذكر، لأن الألم إذا صار إلى الفؤاد مات صاحبه، فإنهم في حال من يموت وهم لا يموتون، كما قال تعالى (لا يموت فيها ولا يحيا) فهم إذا أحياء في معنى الأموات.

(إنها عليهم مؤصدة) أي إن جهنم مطبقة مغلقة عليهم، لا يدخل إليهم روح ولا ريحان. (في عمد ممددة) أي وهم موثوقون في سلاسل وأغلال، تشد بها أيديهم وأرجلهم، بعد إطباق أبواب جهنم عليهم، فقد ينسوا من الخروج، بإطباق الأبواب عليهم، وتمدد العمدة للأيدان بالخلود إلي غير نهاية⁽²⁸³¹⁾.

انتهت سورة الهمة

سُورَةُ قُرَيْشٍ

(لَا إِلَهَ إِلَّا اللَّهُ)

قوله تعالى: (لإيلاف قريش).
1223. أخرج الحاكم وغيره عن أم هانئ بنت أبي طالب قالت: «قال رسول الله ﷺ فضل الله قريشاً بسبع خصال». الحديث، وفيه: «نزلت فيهم سورة لم يذكر فيها أحد غيرهم (لإيلاف قريش)»⁽²⁸³²⁾.

[تعليق]

سورة قريش مكية؛ في قول الجمهور. ومدنية؛ في قول الضحاك والكلبى.
 قلت: وليس هناك يدل على كونها مدنية فإن سياقها سياق المكي، وقد نزلت في قريش مذكرة لهم بنعم الله عليهم، فيجب أن يشكروا نعمت الله بأن يعبدوه وحده ولا يشركوا به شيئاً.
 وذكر المؤلف هذا الأثر عن فضائل قريش واختصره.
 قال الإمام الواحدي: قال النبي ﷺ: «إن الله فضل قريشاً بسبع خصال لم يعطها قبلهم أحد ولا يعطها أحدا بعدهم، أن الخلافة فيهم والحجبة فيهم، وأن السقاية فيهم، وأن النبوة فيهم، ونصروا على الفيل، وعبدوا الله سبع سنين لم يعبدوا أحدا غيرهم، ونزلت فيهم سورة لم يذكر فيها أحد غيرهم (لإيلاف قريش)»⁽²⁸³³⁾.
 وسياق الآية لا شك في نزولها في قريش وقد عدد الله عليهم النعم لعلهم يرجعون إليه فيعبدوه ويتركوا عبادة الأوثان. فقد كانوا قائمين على سقاية وحجبة البيت ونصرهم الله على الحبشة في قصة الفيل، وجعل الخلافة والنبوة فيهم إلى غير ذلك من النعم.

(تفسير مختصر للآيات)

(لإيلاف قريش) هذه اللام متعلقة بالفعل الذي بعدها (فليعبدوا)
 (إيلافهم) معنى [الإيلاف] الإلف والإعتياد، يقال: ألفت الرجل الأمر ألفاً وإلفاً، وألفه غيره إيلافاً، والمعنى: من أجل تسهيل الله على قريش وتيسيره لهم ما كانوا يألفونه، من الرحلة في الشتاء إلى اليمن، وفي الصيف إلى الشام، كما قال تعالى.
 (رحلة الشتاء والصيف) أي في رحلتي الشتاء والصيف، حيث كانوا يسافرون للتجارة، ويأتون بالأطعمة والثياب، ويربحون في الذهاب والإياب، وهم آمنون مطمئنون، لا يتعرض لهم أحد بسوء، لأن الناس كانوا يقولون: هؤلاء جيران بيت الله، وسكان حرمة، وهم أهل الله لأنهم ولاة الكعبة، فلا تؤذوهم ولا تظلموهم، ولما أهلك الله أصحاب الفيل، ورد كيدهم في نحورهم، إزدادت مكانة أهل مكة في القلوب، وازداد تعظيم الأمراء والملوك لهم، فإزدادت تلك المنافع والمتاجر، فلذلك جاء الإمتنان على قريش، وتذكيرهم بنعم الله، ليوحدوه ويشكروه.

(فليعبدوا رب هذا البيت) أي فليعبدوا الله العظيم الجليل، رب هذا البيت العتيق، وليجعلوا عبادتهم شكراً لهذه النعمة الجليلة، التي خصهم بها، قال المفسرون: وإنما دخلت الفاء (فليعبدوا) لما في الكلام من معنى الشرط، كأنه قال: إن لم يعبدوه لسائر

⁽²⁸³¹⁾صفوة التفسير - للصابوني (526/3)

⁽²⁸³²⁾المستدرک للحاکم 4/60 ح(6877)المعجم الأوسط 9/76 ح(9173)المعجم الكبير 409 ج: 24 ح(994)إسناده في الأوسطروي عن الزبير بن العوام، ولا بأس به رجاله وتقدم ابن حبان قال الهيثمي: فيه ضعيف وإسناده الحاكم فيه عمرو بن جعدة لم أجد له ترجمة وبإفي إسناده حسن، لكن أخرجه البخاري في التاريخ الكبير 1/320 ثم قال: وقال لي الأويسي حدثني سليمان بن عثمان بن عبد الله بن أبي عتيق عن بن جعدة المخزومي عن بن شهاب عن النبي ﷺ نحوه قال أبو عبد الله: هذا بإرساله أشبه ⁽²⁸³³⁾أسباب النزول للواحدى (306)

(489)

نعمه، فليعبدوه من أجل إيلافهم الرحلتين، التي هي من أظهر نعمه عليهم، لأنهم في بلاد لا زرع فيها ولا ضرع، ولهذا قال بعده: (الذي أطعمهم من جوع وآمنهم من خوف) أي هذا الإله الذي أطعمهم بعد شدة جوع، وآمنهم بعد شدة خوف، فقد كانوا يسافرون آمنين، لا يتعرض لهم أحد، ولا يغير عليهم أحد، لا في سفرهم ولا في حضرهم، كما قال تعالى (أولم يروا أنا جعلنا حرماً آمناً ويتخطف الناس من حولهم) وذلك ببركة دعوة أبيهم الخليل [إبراهيم] عليه السلام حيث قال (رب اجعل هذا بلداً آمناً) وقوله (وأرزقهم من الثمرات) أفلا يجب على قريش أن يفرّدوا بالعبادة، هذا الإله الجليل؟ الذي أطعمهم من جوع، وآمنهم من خوف²⁸³⁴.

انتهت سورة قريش

سُورَةُ الْمَاعُونِ

(فَوَيْلٌ لِلْمُصَلِّينَ ٤ الَّذِينَ هُمْ عَنْ صَلَاتِهِمْ سَاهُونَ ٥ الَّذِينَ هُمْ يُرَاءُونَ ٦ وَيَمْنَعُونَ الْمَاعُونَ ٧)

قوله تعالى: (فويل للمصلين) - الآيات.

1224. [ك] أخرج ابن المنذر عن طريف بن أبي طلحة عن ابن عباس في قوله: (فويل للمصلين)- الآية قال: « نزلت في المنافقين، كانوا يراؤون المؤمنين بصلاتهم إذا حضروا ويتركونها إذا غابوا ويمنعونهم العارية⁽²⁸³⁵⁾».

[تعليق]

سورة الماعون وهي مكية ؛ في قول عطاء وجابر وأحد قولي ابن عباس. ومدنية ؛ في قول له آخر، وهو قول قتادة وغيره⁽²⁸³⁶⁾.

وسبب النزول يدل على أنها مدنية. فالنفاق لم يكن بمكة إنما كان بالمدينة، لكن سبب النزول في إسناده ضعف. فإله تعالى أعلم.

وذكر المؤلف هذا الأثر الوحيد في كونها نزلت في المنافقين، الذين يراءون المؤمنين بالصلاة وهو مع ذلك ساهون عنها. قال ابن عباس وابن مسعود كانوا يؤخرونها عن أوقاتها⁽²⁸³⁷⁾.

(تفسير مختصر للآيات)

(أرأيت الذي يكذب بالدين) استنهام للتعجب والتشويق أي هل عرفت الذي يكذب بالجزاء والحساب في الآخرة؟ هل عرفت من هو، وما هي أوصافه؟ إن أردت أن تعرفه.

(فذلك الذي يدع اليتيم) أي فذلك هو الذي يدفع اليتيم، دفعا عنيفا بجمفة وغلظة، ويقهره ويظلمه، ولا يعطيه حقه. (ولا يحض على طعام المسكين) أي ولا يحث على إطعام المسكين، قال أبو حيان: وفي قوله (ولا يحض) إشارة إلى أنه هو نفسه لا يطعم إذا قدر، وهذا من باب الأولى، لأنه إذا لم يحقق غيره بخلا، فلا ينترك هو ذلك فعلا أولى وأهدى، وقال الرازي: فإن قيل: لم قال: (ولا يحض على طعام المسكين) ولم يقل: ولا يطعم المسكين؟ فالجواب أنه إذا منع اليتيم حقه، فكيف يطعم المسكين من مال نفسه؟ بل هو بخيل من مال غيره، وهذا هو النهاية في الخسة، ويدل على نهاية بخله، وقسوة قلبه، وخساسة طبعه، والحاصل أنه لا يطعم المسكين، ولا يأمر بإطعامه، لأنه يكذب بالقيامه، ولو آمن بالجزاء وأيقن بالحساب، لما صدر عنه ذلك.

(فويل للمصلين) أي هلاك وعذاب ودمار، للمصلين المنافقين، المتصفين بهذه الأوصاف القبيحة.

(الذين هم عن صلاتهم ساهون) أي الذين هم غافلون عن صلاتهم، يؤخرونها عن أوقاتها تهاونا بها، قال ابن عباس: هو المصلي الذي إن صلى لم يرج لها ثوابا، وإن تركها لم يخش عليها عقابا، وقال أبو العالية: لا يصلونها لمواقبتها، ولا يتمون ركوعها ولا سجودها، وقد سئل رسول الله صلى الله عليه وسلم عن الآية فقال: " هم الذين يؤخرون الصلاة عن وقتها ". قال المفسرون: لما قال تعالى (عن صلاتهم ساهون) بلفظة (عن) علم أنها في المنافقين، ولهذا قال بعض السلف: الحمد لله الذي قال (عن صلاتهم) ولم يقل " في صلاتهم " لأنه لو قال " في صلاتهم " لكانت في المؤمنين، والمؤمن قد يسهو في صلاته، والفرق بين السهوين واضح، فإن سهو المنافق سهو ترك، وقلة إلتفات إليها، فهو لا يتذكرها ويكون مشغولا عنها، والمؤمن إذا سها في صلاته تداركه في الحال، وجبره بسجود السهو، فظهر الفارق بين السهوين ! ثم زاد تعالى في بيان أوصافهم الذميمة فقال:

(الذين هم يراءون) أي يصلون أمام الناس رياء ليقال: إنهم صلحاء، ويتخشعون ليقال: أنهم أتقياء، ويتصدقون ليقال إنهم كرماء، وهكذا سائر أعمالهم للشهرة والرياء.

(ويمنعون الماعون) أي ويمنعون الناس المنافع اليسيرة، من كل ما يستعان به، كالإبرة، والفأس، والقدر، والملح، والماء وغيرها.. وفي الآية زجر عن البخل، بهذه الأشياء القليلة الحقةرة، فإن البخل بها نهاية البخل، وهو محل بالمروءة⁽²⁸³⁸⁾.

انتهت سورة الماعون

(2834)صفحة التفسير - للصابوني (526 /3)

(2835) تفسير الطبري 30/312 ضعيف الإسناد.

(2836)تفسير القرطبي - (210 /20)

(2837) زاد المسير (244 /9)

(2838)صفحة التفسير - للصابوني (527 /3)

سُورَةُ الْكُوْثِرِ

(إِنَّا أَعْطَيْنَاكَ الْكُوْثَرَ ۙ فَصَلِّ لِرَبِّكَ وَانْحَرْ ۚ
 إِنَّ شَانِئَكَ هُوَ الْأَبْتَرُ ۝۳)

قوله تعالى: (إنا أعطيناك الكوثر) - الآية.

1225. [ك] أخرج البزار وغيره بسند صحيح عن ابن عباس قال: « قدم كعب بن الأشرف مكة، فقالت له قريش: أنت سيدهم ألا ترى إلى هذا المنصير المنبتر من قومه يزعم أنه خير منا ونحن أهل الحجيج وأهل السقاية وأهل السدانة، قال: أنتم خير منه، فنزلت: (إن شانئك هو الأبتر⁽²⁸³⁹⁾)».

1226. [ك] وأخرج ابن أبي شيبة في المصنف وابن المنذر عن عكرمة قال: « لما أوحى إلى النبي ﷺ قالت قريش: بتر محمد منا، فنزلت: (إن شانئك هو الأبتر⁽²⁸⁴⁰⁾)».

1227. وأخرج ابن أبي حاتم عن السدي قال: «كانت قريش تقول: إذا مات ذكور الرجل بتر فلان، فلما مات ولد النبي ﷺ قال العاصي بن وائل: بتر محمد، فنزلت⁽²⁸⁴¹⁾».

1228. وأخرج البيهقي في الدلائل مثله عن محمد بن علي: « وسمى الولد القاسم⁽²⁸⁴²⁾».

1229. وأخرج عن مجاهد قال: « نزلت في العاصي بن وائل، وذلك أنه قال: أنا شانيء محمد⁽²⁸⁴³⁾».

1230. [ك] وأخرج الطبراني بسند ضعيف عن أبي أيوب قال: « لما مات إبراهيم ابن رسول الله ﷺ، مشى المشركون بعضهم إلى بعض فقالوا: إن هذا الصابيء قد بتر الليلة، فأنزل الله: (إنا أعطيناك الكوثر) - إلى آخر السورة⁽²⁸⁴⁴⁾».

1231. وأخرج ابن جرير عن سعيد بن جبير في قوله: (فصل لربك وانحر) قال: « نزلت يوم الحديدية، أتاه جبريل فقال: انحر واركع، فقام فخطب خطبة الفطر والنحر ثم ركع ركعتين ثم انصرف إلى البدن فنحراها⁽²⁸⁴⁵⁾».

1232. [ك] وأخرج عن شمر بن عطية قال: « كان عقبة بن أبي معيط يقول: إنه لا يبقى للنبي ﷺ ولد وهو أبتر، فأنزل الله فيه: (إن شانئك هو الأبتر⁽²⁸⁴⁶⁾)».

1233. وأخرج ابن المنذر عن ابن جريج قال: « بلغني أن إبراهيم ولد النبي ﷺ لما مات قالت قريش: أصبح محمد أبتر فغاضه ذلك، فنزلت: (إنا أعطيناك الكوثر تعزية له⁽²⁸⁴⁷⁾)».

[تعليق]

سورة الكوثر وهي مكية؛ في قول ابن عباس والكلبي ومقاتل. ومدنية؛ في قول الحسن وعكرمة ومجاهد وقتادة⁽²⁸⁴⁸⁾. قلت الآثار الواردة بعضها يشعر بأنها مكية وبعضها بأنها مدنية، وقد قدمنا القول بأنه يحتمل في بعض الآيات أن تكون نزلت مرتين بمكة والمدنية، لكن القول بأنها مكية هو الأظهر والله تعالى أعلم. وقد ذكر المؤلف عدة آثار في سبب نزول هذه الآية، وهي مختلفة في تفسير معنى الأبتر. فالأثر الأول والثاني: يدل على أن مرادهم بالأبتر كون النبي ﷺ انقطع عنهم بالنبوة. وباقي الآثار تدل على أن مرادهم بالأبتر الذي لا يبقى له ذكر، وقد مات ولد النبي ﷺ فدعوه بالأبتر. وكذلك اختلف في قائل هذه المقولة. فقيل: كفار قريش كلهم. وقيل: العاص بن وائل.

(2839) تفسير الطبري 30/330 صحيح ابن حبان 14/534 ح (6572) سنن النسائي الكبرى 6/524 ح (11707) إسناده صحيح. قال الإمام النسائي أنا عمرو بن علي نا بن أبي عدي عن داود عن عكرمة عن بن عباس—به.

(2840) تفسير الطبري 30/330 مصنف ابن أبي شيبة 6/326 ح (31796) صحيح الإسناد مرسل

(2841) تفسير ابن أبي حاتم 10/3470 مرسل.

(2842) مرسل.

(2843) مرسل.

(2844) المعجم الكبير 4/179 ح (4071) في إسناده وأصل بن السائب متروك.

(2845) تفسير الطبري 30/327 مرسل

(2846) تفسير الطبري 30/329 مرسل ضعيف

(2847) مرسل

(2848) تفسير القرطبي - (216 /20)

وقيل: عقبة بن أبي معيط.
وفي غير كتاب المؤلف أبو جهل.
وقيل: أبو لهب⁽²⁸⁴⁹⁾.

والذي يترجح أنها نزلت في جماعة منهم ادعوا أن النبي □ أبت: يعنى منقطع سواء في ذلك من قال انقطع عنهم وفارقهم بالنبوة، ومن قال أنه أبت بمعنى لا يبقى له ولد والله تعالى أعلم.

(تفسير مختصر للآيات)

(إنا أعطيناك الكوثر) الخطاب للرسول، تكريماً لمقامه الرفيع أي نحن أعطيناك يا محمد الخير الكثير، الدائم في الدنيا والآخرة، ومن هذا الخير " نهر الكوثر " وهو كما ثبت في الصحيح «نهر في الجنة، حافتاه من ذهب، ومجره على الدر والياقوت، تربته أطيب من المسك، وماؤه أحلى من العسل، وأبيض من الثلج، من شرب منه شربة، لم يظم بعدها ابداً» وعن أنس قال: «بيننا رسول الله □، ذات يوم بين أظهرنا، إذ أغفى إغفاء، ثم رفع رأسه مبتسماً فقلنا: ما أضحكك يا رسول الله؟ قال: أنزلت على أنفا سورة، فقرأ بسم الله الرحمن الرحيم (إنا أعطيناك الكوثر) السورة، ثم قال: أتدرون ما الكوثر؟ قلنا: الله ورسوله أعلم قال: فإنه نهر وعدنيه ربي عز وجل، فيه خير كثير، هو حوض ترد عليه أمي يوم القيامة، أنيته عدد النجوم، فيختلج العبد - أي ينتزع ويقطع - منهم فأقول: إنه من أمي ! فيقال إنك لا تدري ما أحدث بعدك »

قال أبو حيان: وذكر في الكوثر ستة وعشرون قولاً، والصحيح هو ما فسره به رسول الله □ فقال: «هو نهر في الجنة تربته أطيب من المسك..» الحديث.. وعن ابن عباس: الكوثر: الخير الكثير (وما ذهب إليه ابن عباس من أنه الخير الكثير جامع لأقوال المفسرين، فقد أعطي الرسول □ الفضائل الكثيرة العميمة، أعطي النبوة، والكتاب، والحكمة، والعلم، والشفاعة، والحوض المورود، والمقام المحمود، وكثرة الأتباع، والنصر على الأعداء، وكثرة الفتوحات، إلى غير ما هنالك من الخيرات، صلوات الله وسلامه عليه.

(فصل لربك وإنحر) أي فصل لربك الذي أفاض عليك ما أفاض، من الخير خالصاً لوجهه الكريم، وإنحر الإبل التي هي خيار أموال العرب، شكراً له على ما أولاك ربك، من الخيرات والكرامات، قال في التسهيل: كان المشركون يصلون مكاءً وتصدياً، وينحرون للأصنام، فقال الله لنبيه □ صل لربك وحده، وإنحر لوجهه لا لغيره، فيكون ذلك أمراً بالتوحيد والإخلاص.
(إن شانئك هو الأبتر) أي إن مبغضك يا محمد هو المنقطع عن كل خير⁽²⁸⁵⁰⁾.

انتهت سورة الكوثر

سُورَةُ الْكَافِرُونَ

(قُلْ بَأَيِّهَا الْكٰفِرُونَ ۙ ۱ لَا اَعْبُدُ مَا تَعْبُدُونَ ۚ ۲
وَلَا اَنْتُمْ عٰبِدُونَ مَا اَعْبُدُ ۚ ۳ وَلَا اَنَا عٰبِدٌ مَّا عٰبَدْتُمْ ۚ ۴
وَلَا اَنْتُمْ عٰبِدُونَ مَا اَعْبُدُ ۚ ۵ لَكُمْ دِيْنُكُمْ وَلِيَ دِيْنِ ۙ ۶)

قوله تعالى: (قل يا أيها الكافرون) - الآيات.

1234. أخرج الطبراني وابن أبي حاتم عن ابن عباس: « أن قريشاً دعت رسول الله □ إلى أن يعطوه مالا فيكون أغنى رجل بمكة، ويزوجوه ما أراد من النساء، فقالوا: هذا لك يا محمد وتكف عن شتم آلهتنا ولا تذكرها بسوء، فإن لم تفعل فاعبد آلهتنا سنة قال: « حتى أنظر ما يأتيني من ربي». فأنزل الله: (قل يا أيها الكافرون) إلى آخر السورة، وأنزل قل: (أغير الله تأمروني أعبد أيها الجاهلون⁽²⁸⁵¹⁾)..»

1235. وأخرج عبد الرزاق عن وهب قال: « قالت كفار قريش للنبي □، إن سرك أن تتبعنا عاماً ونرجع إلى دينك عاماً، فأنزل الله: (قل يا أيها الكافرون) إلى آخر السورة⁽²⁸⁵²⁾..»

1236. [ك] وأخرج ابن المنذر نحوه عن ابن جريج⁽²⁸⁵³⁾.

1237. وأخرج ابن أبي حاتم عن سعيد بن ميناء قال: « لقي الوليد بن المغيرة والعاصي بن وائل والأسود بن المطلب وأمية بن خلف رسول الله □ فقالوا: يا محمد هلم فلتعبد ما نعبد ونعبد ما تعبد ولنشترك نحن وأنت في أمرنا كله، فأنزل الله: (قل يا أيها الكافرون) إلى آخر السورة⁽²⁸⁵⁴⁾..»

[تعليق]

(2849) زاد المسير (9/ 250)

(2850) صفوة التفسير - للصابوني (3/ 529)

(2851) تفسير ابن أبي حاتم 10/3471 تفسير الطبري 30/331 المعجم الصغير للطبراني 2/44 ح(751) في إسناد عبد الله بن عيسى الخزاز ضعيف

(2852) تفسير الصنعاني 3/403 مرسل

(2853) مرسل

(2854) تفسير ابن أبي حاتم 10/3471 مرسل.

سورة الكافرون وهي مكية ؛ في قول ابن عباس وعكرمة . ومدنية ؛ في أحد قولي ابن عباس وقتادة والضحاك⁽²⁸⁵⁵⁾ .
وسياقها لا شك سياق المكي، ففيها البراءة من الشرك وأهله وعبادة الأوثان كما هو موضوع السور المكية.
وقد ذكر المؤلف رحمه الله عدة آثار في سبب نزول هذه الآية، وكونها نزلت بسبب محاولة إغراء المشركين لرسول الله
□ بالمال والنساء على أن يعبد آلهتهم ويعبدون إلهه.

قال الإمام ابن الجوزي: أن رهطاً من قريش منهم الوليد بن المغيرة، والعاص بن وائل، والأسود بن عبد يغوث لقوا العباس
بن عبد المطلب، فقالوا: يا أبا الفضل: لو أن ابن أخيك أسلم بعض آلهتنا لصدقناه بما يقول ولأمننا بالآله، فأتاه العباس فأخبره، فنزلت
هذه السورة، رواه أبو صالح عن ابن عباس⁽²⁸⁵⁶⁾.

قلت: نزلت هذه الآيات لبيان الولاء والبراء وأنه لا مهادنة في العبادة، فالعبادة إنما تكون خالصة لله تعالى من
الشرك، وسورة الكافرون هي أحد السور التي شرع قراءتها في مواضع كثيرة مع سورة الإخلاص بياناً للولاء والبراء، فسورة
الكافرون تعدل " لا إله " وسورة الإخلاص تعدل " إلا الله " .

(تفسير مختصر للآيات)

(قل يا أيها الكافرون) أي قل يا محمد لهؤلاء الكفار الذين يدعونك إلى عبادة الأوثان والأحجار
(لا أعبد ما تعبدون) أي لا أعبد هذه الأصنام والأوثان التي تعبدونها، فأنا برىء من آلهتم ومعبوداتكم، التي لا تضر ولا تنفع، ولا
تغني عن عابدها شيئاً وفي قوله (قل) دليل على أنه مأمور بذلك من عند الله، وخطابه قال صلى الله عليه وسلم لهم بلفظ (يا أيها
الكافرون) ونسبتهم إلى الكفر - وهو يعلم أنهم يغضبون من أن ينسبوا إلى ذلك - دليل على أنه محروس من عند الله، فهو لا يبالي بهم
ولا بطواغيهم.

(ولا أنتم عابدون ما أعبد) أي ولا أنتم يا معشر المشركين، عابدون إلهي الحق الذي أعبد، وهو الله وحده، فأنا أعبد الإله
الحق، وأنتم تعبدون الأحجار والأوثان، فلا مساومة بيننا ولا وفاق.

(ولا أنا عابد ما عبدتم) تأكيد لما سبق من البراءة من عبادة الأصنام، وقطع لأطماع الكفار، كأنه قال: لا أعبد هذه الأوثان في الحال
ولا في المستقبل، فأنا لا أعبد ما تعبدونه أبداً ما عشت، لا أعبد أصنامكم الآن، ولا فيما يستقبل من الزمان.

(ولا أنتم عابدون ما أعبد) أي ولا أنتم في المستقبل، عابدون إلهي الحق الذي أعبد.
(لكم دينكم ولي دين) أي لكم شرككم، ولي توحيد، وهذا غاية في التبرء من عبادة الكفار، والتأكيد على عبادة الواحد القهار، معنى
الجملة الأولى: الاختلاف التام في المعبود، ومعنى الجملة الثانية: الاختلاف التام في العبادة، كأنه قال: لا معبودنا
واحد، ولا عبادتنا واحدة، فدينكم الكفر والإشراك، وديني التوحيد والإخلاص⁽²⁸⁵⁷⁾.

انتهت سورة الكافرون

سُورَةُ النَّصْرِ

(إِذَا جَاءَ نَصْرُ اللَّهِ وَالْفَتْحُ ۝ ۱ وَرَأَيْتَ النَّاسَ يَدْخُلُونَ فِي دِينِ اللَّهِ أَفْوَاجًا ۝ ۲ فَسَبِّحْ بِحَمْدِ رَبِّكَ وَاسْتَغْفِرْ لَهُ إِنَّهُ كَانَ
تَوَّابًا ۝ ۳)

قوله تعالى: (إذا جاء نصر الله والفتح).

1238. أخرج عبد الرزاق في مصنفه عن معمر عن الزهري قال: «لما دخل رسول الله □ مكة عام
الفتح، بعث خالد بن الوليد فقاتل بمن معه صفوف قريش بأسفل مكة حتى هزمهم الله، ثم أمر بالسلام
فرفع عنهم، فدخلوا في الدين، فأنزل الله: (إذا جاء نصر الله والفتح) حتى ختمها⁽²⁸⁵⁸⁾».

[تعليق]

سورة النصر سورة مدنية بالإجماع وهي آخر سورة كاملة نزلت من القرآن.

وفي الصحيح عن ابن عباس قال: كان عمر يُدخلني مع أشياخ بدر، فكان بعضهم وَجَدَ في نفسه، فقال: لم يدخل هذا معنا ولنا أبناء
مثله؟ فقال عمر: إنه ممن قد علمتم فدعاهم ذات يوم فأدخله معهم، فما رُؤِبْتُ أنه دعاني فيهم يومئذ إلا ليُرِيهم فقال: ما تقولون في
قول الله، عز وجل: (إِذَا جَاءَ نَصْرُ اللَّهِ وَالْفَتْحُ)؟ فقال بعضهم: أمرنا أن نحمد الله ونستغفره إذا نصرنا وفتح علينا. وسكت بعضهم
فلم يقل شيئاً، فقال لي: أأذلك تقول يا ابن عباس؟ فقلت: لا. فقال: ما تقول؟ فقلت: هو أجل رسول الله □ أعلمه له، قال: (إِذَا جَاءَ
نَصْرُ اللَّهِ وَالْفَتْحُ) فذلك علامة أجلك، (فَسَبِّحْ بِحَمْدِ رَبِّكَ وَاسْتَغْفِرْ لَهُ إِنَّهُ كَانَ تَوَّابًا) فقال عمر بن الخطاب: لا أعلم منها إلا ما
تقول⁽²⁸⁵⁹⁾.

⁽²⁸⁵⁵⁾ تفسير القرطبي - (20 / 224)

⁽²⁸⁵⁶⁾ زاد المسير (9 / 252)

⁽²⁸⁵⁷⁾ صفة التفسير - للصابوني (3 / 531)

⁽²⁸⁵⁸⁾ مصنف عبد الرزاق 5/378 مسند أبي عوانة 4/360 مرسل

⁽²⁸⁵⁹⁾ صحيح البخاري (6 / 221)

وقد ذكر المؤلف رحمه الله هذا الأثر المنقطع عن الزهري في سبب نزول هذه الآية، وكونها نزلت في أعقاب النصر على قريش وفتح مكة، وهذا واضح من سياق الآيات وعليه علماء التفسير قاطبة.

(تفسير مختصر للآيات)

(إذا جاء نصر الله والفتح) الخطاب لرسول الله ﷺ يذكره ربه بالنعمة والفضل عليه وعلى سائر المؤمنين، والمعنى: إذا نصرك الله يا محمد على أعدائك، وفتح عليك مكة - أم القرى - والإخبار بفتح مكة قبل وقوعه، إخبار بالغيب، فهو من أعلام النبوة (قال القرطبي: " إذا " بمعنى قد أي قد جاء نصر الله لأن نزولها بعد الفتح ».

(ورأيت الناس يدخلون في دين الله أفواجا) أي ورأيت العرب يدخلون في الإسلام، جماعات جماعات، من غير حرب ولا قتال، لأنه بعد فتح مكة صارت العرب تأتي من أقطار الأرض طائفة، قال ابن كثير: إن أحياء العرب كانت تنتظر فتح مكة، يقولون: إن ظهر على قومه فهو نبي، فلما فتح الله عليه مكة، دخلوا في دين الله أفواجا، فلم تمض سنتان حتى استوثقت جزيرة العرب إيماناً، ولم يبق في سائر قبائل العرب إلا مظهر للإسلام.

(فسيح بحمد ربك) أي فسيح ربك وعظمه بحمده على هذه النعم، وأشكره على ما أولاك من النصر على الأعداء، وفتح البلاد، وإسلام العباد.

(واستغفره) أي أطلب منه المغفرة لك ولأمك.

(إنه كان تواباً) أي إنه جل وعلا كثير التوبة، عظيم الرحمة بعباده المؤمنين (2860).

انتهت سورة النصر

سُورَةُ الْمَسِّدِ

(تَبَّتْ يَدَا أَبِي لَهَبٍ وَتَبَّ ١ مَا أَغْنَىٰ عَنْهُ مَالُهُ وَمَا كَسَبَ ٢ سَيَصْلَىٰ نَارًا ذَاتَ لَهَبٍ ٣ وَامْرَأَتُهُ حَمَّالَةَ الْحَطَبِ ٤ فِي جِيدِهَا حَبْلٌ مِّن مَّسَدٍ ٥)

قوله تعالى: (تبت يدا أبي لهب وتب) - الآيات.

1239. أخرج البخاري وغيره عن ابن عباس قال: « سعد رسول الله ﷺ ذات يوم على الصفا، فنادى يا صباحاه، فاجتمعت إليه قريش قال: « رأيتم لو أخبرتم أن العدو مصبحكم أو ممسيكم أكنتم تصدقوني؟ . « قالوا: بلى قال: « فإني نذير لكم بين يدي عذاب شديد. » فقال أبو لهب: تبا لك ألهذا جمعنا، فأنزل الله (تبت يدا أبي لهب وتب) إلى آخرها (2861).

1240. [ك] وأخرج ابن جرير من طريق إسرائيل عن أبي إسحاق عن رجل من همدان يقال له يزيد بن زيد: « أن امرأة أبي لهب كانت تلقي في طريق النبي ﷺ الشوك، فنزلت: (تبت يدا أبي لهب) إلى: (وامرأته حمالة الحطب) (2862) ».

1241. [ك] وأخرج ابن المنذر عن عكرمة مثله (2863).

[تعليق]

سورة المسد مكية بإجماع أهل التفسير وقد نزلت في أبي لهب وامرأته حمالة الحطب الذان كانا يجتهدان في إيذاء رسول الله ﷺ .

وأبو لهب: هو عبد العزى بن عبد المطلب المعروف بكنية أبو لهب هو عم الرسول محمد وكنيته أبو عتبة وهو الأخ غير الشقيق لعبد الله بن عبد المطلب والد النبي محمد . عرف عبد العزى بكنية أبو عتبة نسبة لابنه الأكبر عتبة بن عبد العزى بن عبد المطلب، ولكن الاسم المشهور له هو أبو لهب، لقبه إياه أبوه عبد المطلب لوسامته وإشراق وجهه. يوم ولادة محمد ﷺ جاءت جاريته ثويبة وبشّرته بميلاد ابن أخيه ففرح لذلك وحرّرها من الرق.

وزوجته: أم جميل، زوجة أبي لهب بن عبد المطلب، غضبت عندما نزلت سورة المسد وازداد كرهها لرسول الله رغم أن ولديها عتبة وعتيبة تزوجا بنتي الرسول وهما أم كلثوم ورقية اللتان تزوجهما عثمان بن عفان تباعا بعدهما.

وذكر المؤلف رحمه الله الأثر المخرج في الصحيح وقد أجمع أهل التفسير على كونه سبب نزول هذه الآية، لما كان النبي ﷺ يدعو قومه إلى عبادة الله والتوحيد اعترض له عمه أبو لهب فقال للنبي ﷺ " تبا لك سائر اليوم ألهذا جمعنا " فنزلت الآية فيها الخسران المبين لأبي لهب في الدنيا والآخرة.

(2860) صفة التفسير - للصابوني (3/ 532)

(2861) تفسير الطبري 30/337 صحيح البخاري 4/1902 ح (4687) صحيح مسلم 193 ج: 1 ح (208) صحيح ابن حبان 8/158 سنن الترمذي 5/451 ح (3363) سنن النسائي

الكبرى 6/244 ح (10818) مسند أحمد 1/281 ح (2544) وغيرهم.

(2862) تفسير الطبري 30/338 تقدم أن يزيد بن زيد مجهول

(2863) مرسل.

والأثر الثاني: في زوجته أم جميل حيث كانت تلقي الشوك في طريق النبي ﷺ، ولها عدة مواقف تدل على كراهتها وعداوتها للنبي ﷺ.

(تفسير مختصر للآيات)

(تبت يدا أبي لهب) أي هلكت يدا ذلك الشقي (أبي لهب) وخاب وخسر وضل عمله.
(وتب) أي وقد هلك وخسر، الأول دعاء والثاني إخبار، كما يقال: أهلكه الله وقد هلك، قال المفسرون: التباب هو الخسار المفضي إلى الهلاك، والمراد من اليد صاحبها، على عادة العرب في التعبير ببعض الشيء عن كله وجميعه، وأبو لهب هو "عبد العزى بن عبد المطلب" عم النبي ﷺ وإمرأته العوراء "أم جميل" أخت أبي سفيان، وقد كان كل منهما شديد العداوة للرسول ﷺ فلما سمعت إمرأته ما نزل في زوجها وفيها، أتت رسول الله، وهو جالس في المسجد عند الكعبة، ومعه أبو بكر رضي الله عنه، وفي يدها فهر - قطعة - من الحجارة، فلما دنت من الرسول ﷺ أخذ الله بصرها عنه، فلم تر إلا أبا بكر، فقالت يا أبا بكر: بلغني أن صاحبك يهجوني، فوالله لو وجدته لضربت بهذا الحجر وجهه، ثم أنشدت تقول: مذمما عصينا. وأمره أيبينا. ودينه قلينا "ثم إنصرفت فقال أبو بكر يا رسول الله: أما تراها رأتك؟ قال: ما رأتني لقد أخذ الله بصرها عني، وكانت قريش يسبون الرسول ﷺ يقولون: مذمما بدل محمد " وكان يقول صلوات الهن عليه: ألا تعجبون كيف صرف الله عني أذى قريش؟ يسبون ويهجون مذمما وأنا محمد؟! قال الخازن: فإن قلت: لم كناه وفي التكنية تشريف وتكرمة؟ فالجواب من وجوه: أحدها: أنه كان مشتهرا بالكنية دون الاسم، فلو ذكره بإسمه لم يعرف، الثاني: أنه كان إسمه "عبد العزى" فعدل عنه إلى الكنية لما فيه من الشرك - لأن العزى صنم فلم تضاف العبودية إلى صنم - الثالث: أنه لما كان من أهل النار، وماله إلى النار، والنار ذات لهب، وافقت حاله كنيته وكان جدير بأن يذكر بها.
(ما أغنى عنه ماله وما كسب) أي لم يفده ماله الذي جمعه، ولا جاهه وعزه الذي إكتسبه قال ابن عباس (وما كسب) من الأولاد، فإن ولد الرجل من كسبه.. روي أن الرسول ﷺ، لما دعا قومه إلى الإيمان، قال أبو لهب: إن كان ما يقول ابن أخي حقا، فإنني أفندي نفسي من العذاب بمالي وولدي فنزلت قال الألويسي: كان لأبي لهب ثثة أبناء "عتبة" و "منتب" و "عتيبة" وقد أسلم الأولان يوم الفتح، وشهدا حنيناً والطائف، وأما "عتيبة" فلم يسلم، وكانت "أم كلثوم" بنت رسول الله ﷺ عنده، وأختها "رقية" عند أخيه عتبة، فلما نزلت السورة قال أبو لهب لهما: رأسي ورأسكما حرام إن لم تطلقا إبنتي محمد، فطلقاهما ولما أراد "عتيبة" بالتصغير الخروج إلى الشام مع أبيه قال: لأتينا محمدا وأوذنيه، فأثاه فقال يا محمد: إني كافر بالنجم إذا هوى، وبالذي دنا فتدلى، ثم تفل أمام النبي ﷺ وطلق إبنته "أم كلثوم" فغضب ﷺ ودعا عليه فقال: "اللهم سلط عليه كلبا من كلابك" فافترسه الأسد، وهلك أبو لهب بعد وقعة بدر بسبع ليالي، بمرض معد! كالطاعون يسمى "العدسة" وبقي ثلاثة أيام حتى أُنتن، فلما خافوا العار، حفروا له حفرة ودفعوه إليها بعمود من خشب، حتى وقع فيها ثم قذفوه بالحجارة حتى واروه، فكان الأمر كما أخبر به القرآن.

(سبى ناراً ذات لهب) أي سيدخل ناراً حامية، ذات اشتعال وتوقد عظيم، هي نار جهنم.
(وإمرأته حمالة الحطب) أي وستدخل معه نار جهنم، وإمرأته العوراء "أم جميل" التي كانت تمشي بالنميمة بين الناس، وتوقد بينهم نار العداوة والبغضاء، قال أبو السعود: كانت تحمل حزمة من الشوك والحسك، فتنتثرها بالليل في طريق النبي صلى الله عليه وسلم لإيذائه، وقال ابن عباس: كانت تمشي بالنميمة بين الناس لتفسد بينهم.
(في جيدها حبل من مسد) أي في عنقها حبل من ليف، قد قتل قتلا شديداً، تعذب به يوم القيامة، قال مجاهد: هو طوق من حديد، وقال ابن المسيب: كانت لها قلادة فاحرة من جوهر، فقالت: واللوات والعزى لأنفقها في عداوة محمد، فأعقبها الله منها حبلاً في جيدها من مسد النار). (2864)».

انتهت سورة المسد

سورة الإخلاص

(قُلْ هُوَ اللَّهُ أَحَدٌ ۝ ۱ اللَّهُ الصَّمَدُ ۝ ۲ لَمْ يَلِدْ وَلَمْ يُولَدْ ۝ ۳ وَلَمْ يَكُنْ لَهُ كُفُوًا أَحَدٌ ۝ ۴)

قوله تعالى: (قل هو الله أحد) الآيات.

1242. أخرج الترمذي والحاكم وابن خزيمة من طريق أبي العالية عن أبي بن كعب: «أن المشركين قالوا لرسول الله ﷺ: انسب لنا ربك فأنزل الله: (قل هو الله أحد) إلى آخرها (2865)».
1243. وأخرج الطبراني وابن جرير مثله من حديث جابر بن عبد الله (2866). فاستدل بها على أن السورة مكية.
1244. وأخرج ابن أبي حاتم عن ابن عباس: «أن اليهود جاءت إلى النبي ﷺ منهم كعب بن الأشرف وحيي

(2864) صفوة التفسير - للصابوني (3/ 533)

(2865) تفسير الطبري 30/342 المستدرک للحاكم 2/589 ح(3987) وصححه سنن الترمذي 5/451 ح(3364) رواه مرسلًا ورجح المرسل المعجم الأوسط 6/25 ح(732) مسند أحمد 1/114 ح(21257) العظمة لأبي الشيخ 1/374 الاعتقاد 1/44 قلت: في إسناده أبو جعفر الزازي فيه ضعف، وله شاهد عند الطبراني في الأوسط تم العزو إليه وفي إسناده مجالد بن سعيد انفرد به عن الشعبي عن جابر ورواية الشعبي عن جابر.
(2866) تقدم مع الذي قبله

بن أخطب، فقالوا: يا محمد صف لنا ربك الذي بعثك، فأنزل الله: (قل هو الله أحد) - إلى آخرها (2867).

1245. وأخرج ابن جرير عن قتادة (2868).
1246. وابن المنذر عن سعيد بن جبير مثله (2869). فاستدل بهذا على أنها مدنية.
1247. [ك] وأخرج ابن جرير عن أبي العالية قال: «قال قادة الأحزاب: انصب لنا ربك، فأتاه جبريل بهذه السورة (2870)». وهذا المراد بالمشركين في حديث أبي فتكون السورة مدنية كما دل عليه حديث ابن عباس، وينتفي التعارض بين الحديثين.
1248. لكن أخرج أبو الشيخ في كتاب العظمة من طريق أبان عن أنس قال: «أتت يهود خيبر إلى النبي ﷺ، فقالوا: يا أبا القاسم خلق الله الملائكة من نور الحجاب وآدم من حمأ مسنون وإبليس من لهب النار والسماء من دخان والأرض من زبد الماء فأخبرنا عن ربك؟ فلم يجبهم، فأتاه جبريل بهذه السورة: (قل هو الله أحد (2871) إلى آخرها».

[تعليق]

سورة الإخلاص مكية؛ في قول ابن مسعود والحسن وعطاء وعكرمة وجابر. ومدنية؛ في أحد قولي ابن عباس وقتادة والضحاك والسدي (2872).

وقد ذكر المؤلف رحمه الله عدة آثار. فالأول والثاني يدلان على أنها مكية، وهذا الذي تميل إليه النفس وهما أصح من باقي الآثار، فمن المناسب تماماً أن تنزل سورة الإخلاص على رسول الله ﷺ في العهد المكي، حيث أنها معرفة لله سبحانه فلا يعقل أن يتأخر نزولها حتى تنزل بالمدينة، وقد استدل المؤلف على كونها مدنية بالآثر "قال قادة الأحزاب" وهو المشركون. لكن الإثر ضعيف الإسناد، وكذلك باقي الآثار التي فيها قال اليهود فإن أسانيدنا ضعيفة والله تعالى أعلم.

والآية فيها توحيد الله تعالى مبينة صفاته من الصمدية وكونه لم يلد ولم يولد ونفي المماثلة والمكافئة عن الله تعالى.

(تفسير مختصر للآيات)

(قل هو الله أحد) أي قل يا محمد لهؤلاء المشركين المستهزئين: إن ربي الذي أعبدته، والذي أدعوكم لعبادته، هو واحد أحد، لا شريك له، ولا شبيه له ولا نظير، لا في ذاته، ولا في صفاته، ولا في أفعاله، فهو جل وعلا إله واحد، ليس كما يزعم النصارى ويعتقدون بالتثليث "الأب، والابن، وروح القدس" ولا كما يعتقد المشركون بتعدد الآلهة، قال في التسهيل: واعلم أن وصف الله تعالى بالواحد، له ثلاثة معاني، كلها صحيحة في حقه تعالى: الأول: أنه واحد لا ثاني معه فهو نفي للعدد، والثاني: أنه واحد لا نظير ولا شريك له، كما تقول: فلان واحد في عصره أي لا نظير له، والثالث: أنه واحد لا ينقسم ولا يتبعض، والمراد بالسورة نفي الشريك، رداً على المشركين، وقد أقام الله في القرآن براهين قاطعة على وحدانيته تعالى، وذلك كثير جداً، وأوضحها أربعة براهين: الأول: قوله تعالى (أفمن يخلق كمن لا يخلق)؟ - وهذا دليل الخلق والإيجاد - فإذا ثبت أن الله تعالى خالق لجميع الموجودات، لم يصح أن يكون واحد منها شريكاً له والثاني: قوله تعالى (لو كان فيهما آلهة إلا الله لفسدتا) - وهو دليل الإحكام والإبداع - الثالث: قوله تعالى (لو كان معه آلهة كما يقولون إذا لا ابتغوا إلي ذي العرش سبيلاً) - وهو دليل القهر والغلبة - والرابع: قوله تعالى (ما اتخذ الله من ولد وما كان معه من إله، إذا لذهب كل إله بما خلق ولعلا بعضهم على بعض) - وهو دليل التنازع والإستعلاء ثم أكد تعالى وحدانيته وإستغناءه عن الخلق.

(الله الصمد) أي هو جل وعلا، المقصود في قضاء الحوائج على الدوام، يحتاج إليه البشر، وهو مستغن عن العالمين، قال الألوسي: الصمد السيد الذي ليس فوقه أحد، الذي يصمد إليه - أي يلجأ إليه - الناس في حوائجهم وأمورهم.

(لم يلد) أي لم يتخذ ولداً، وليس له أبناء وبنات، فكما هو متصف بالكمالات، فإنه منزّه عن النقائص، قال المفسرون: في الآية رد على كل من جعل لله ولداً، كاليهود في قولهم (عزيز ابن الله) والنصارى في قولهم (المسيح ابن الله) (يعتقد النصارى بأن الإله ثلاثة أقانيم "الأب، والابن، وروح القدس" وهي عقيدة التثليث التي أشار إليها القرآن الكريم بقوله: (لقد كفر الذين قالوا إن الله ثالث ثلاثة، وما من إله إلا إله واحد) الآية ويعتقدون بأن الثلاثة واحد، والواحد ثلاثة، والجنون فنون، ويزعمون أنهم موحدون، تعالى الله عما يقول الظالمون علواً كبيراً) ومشركي العرب في زعمهم الكاذب أن "الملائكة بنات الله" فرد الله تعالى على الجميع، في أنه ليس له ولد، لأن الولد لا بد أن يكون من جنس والده، والله تعالى أزلي قديم، لبي كمثلته شيء، فلا يمكن أن يكون له ولد، ولأن الولد لا يكون إلا لمن له زوجة، والله تعالى ليس له زوجة، وإليه الإشارة بقوله تعالى (بديع السموات والأرض أنى يكون لهولم تكن له صاحبة)؟.

(ولم يولد) أي ولم يولد من أب ولا أم، لأن كل مولود حادث، والله تعالى قديم أزلي، فلا يصح أن يكون مولوداً ولا أن يكون له والد، وقد نفت الآية عنه تعالى إحاطة النسب من جميع الجهات، فهو الأول الذي لا ابتداء لوجوده، القديم الذي كان ولم يكن معه شيء غيره.

(ولم يكن له كفواً أحد) أي وليس له جل وعلا مثيل، ولا نظير، ولا شبيهة، أحد من خلقه، لا في ذاته، ولا في صفاته، ولا في أفعاله)

(2867) تفسير ابن أبي حاتم 10/3474 لم أجد إسناده.

(2868) تفسير الطبري 30/342 مرسل ضعيف

(2869) مرسل.

(2870) تفسير الطبري 30/343 مرسل وفي إسناده ضعف

(2871) العظمة لأبي الشيخ 1/370 ح (86) في إسناده يحيى بن عبد الله الحراني ضعيف

(2872) تفسير القرطبي - (244/20)

ليس كمثلته شيء وهو السميع البصير) قال ابن كثير: هو مالك كل شيء وخالقه، فكيف يكون له من خلقه نظير يساميه، أو قريب يدانيه؟ تعالى وتقدس وتنزه، وفي الحديث القدسي (يقول الله عز وجل: كذبتني ابن آدم ولم يكن له ذلك، وشتمني ولم يكن له ذلك، فأما تكذيبه إياي فقولته: لن يعيدني كما بدأتي، وليس أول الخلق بأهون علي من إعادته، وأما شتمه إياي فقولته: إتخذ الله ولداً، وأنا الأحد الصمد، الذي لم يلد ولم يولد، ولم يكن له كفواً أحد) (2873)».

انتهت سورة الإخلاص

سُورَةُ الْفَلَقِ

(قُلْ أَعُوذُ بِرَبِّ الْفَلَقِ ١ مِنْ شَرِّ مَا خَلَقَ ٢ وَمِنْ شَرِّ غَاسِقٍ إِذَا وَقَبَ ٣ وَمِنْ شَرِّ النَّفَّاثَاتِ فِي الْعُقَدِ ٤ وَمِنْ شَرِّ حَاسِدٍ إِذَا حَسَدَ ٥)

سُورَةُ النَّاسِ

(قُلْ أَعُوذُ بِرَبِّ النَّاسِ ١ مَلِكِ النَّاسِ ٢ إِلَهِ النَّاسِ ٣ مِنْ شَرِّ الْوَسْوَاسِ الْخَنَّاسِ ٤ الَّذِي يُوَسْوِسُ فِي صُدُورِ النَّاسِ ٥ مِنَ الْجِنَّةِ وَالنَّاسِ ٦)

سورتا المعوذتين

1249. [ك] وأخرج البيهقي في دلائل النبوة من طريق الكلبي عن أبي صالح عن ابن عباس قال: « مرض رسول الله ﷺ مرضاً شديداً، فأتاه ملكان، فقعده أحدهما عند رأسه والآخر عند رجليه، فقال الذي عند رجليه للذي عند رأسه: ما ترى؟ قال: طب قال: وما طب؟ قال: سحر قال: ومن سحره؟ قال: لبيد بن الأعصم اليهودي، قال: أين هو؟ قال: في بئر آل فلان تحت صخرة في كرية (2874)، فأتوا الركية فانزحوا ماءها وارفعوا الصخرة، ثم خذوا الكرية وأحرقوها، فلما أصبح رسول الله ﷺ بعث عمار بن ياسر في نفر فأتوا الركية فإذا ماؤها مثل ماء الحناء، فنزحوا الماء ثم رفعوا الصخرة وأخرجوا الكرية وأحرقوها، فإذا فيها وتر فيه إحدى عشرة عقدة، وأنزلت عليه هاتان السورتان، فجعل كلما قرأ آية انحلت عقدة: (قل أعوذ برب الفلق) (وقل أعوذ برب الناس) (2875)».

لأصله شاهد في الصحيح بدون نزول السورتين، وله شاهد بنزولهما».

1250. وأخرج أبو نعيم في الدلائل من طريق أبي جعفر الرازي عن الربيع بن أنس عن أنس بن مالك قال: « صنعت اليهود لرسول الله ﷺ شيئاً، فأصابه من ذلك وجع شديد، فدخل عليه أصحابه فظنوا أنه لما به، فأتاه جبريل بالمعوذتين، فعوذه بهما، فخرج إلى أصحابه صحيحاً (2876)».

[تعليق]

المعوذتان وهما مكيتان ؛ في قول الحسن وعكرمة وعطاء وجابر . ومدنيتان ؛ في أحد قولي ابن عباس وقتادة . وهذه السورة وسورة "الناس" و"الإخلاص": تعوذ بهن رسول الله ﷺ حين سحرته اليهود ؛ على ما يأتي . وقيل: إن المعوذتين كان يقال لهما المقشقتان ؛ أي تبرئان من النفاق . وقد تقدم . وزعم ابن مسعود أنهما دعاء تعوذ به، وليستا من القرآن ؛ خالف به الإجماع من الصحابة وأهل البيت . قال ابن قتيبة: لم يكتب عبدالله بن مسعود في مصحفه المعوذتين ؛ لأنه كان يسمع رسول الله ﷺ يعوذ الحسن والحسين - رضي الله عنهما - بهما، فقدر أنهما بمنزلة: "أعيدكما بكلمات الله التامة، من كل شيطان وهامة، ومن كل عين لامة".

وفي الأثرين اللذين ذكرهما المؤلف دليل على أنهما مدنيتان، وقد تعوذ النبي ﷺ بهما لما سحره لبيد بن الأعصم . قال الإمام الثعلبي: قال ابن عباس وعائشة رضي الله عنهما - دخل حديث بعضهما في بعض: كان غلام اليهود يخدم رسول الله ﷺ عليه وسلم فدبت إليه اليهود فلم يزلوا به حتى أخذ مشاطة رأس النبي ﷺ صلى الله عليه وسلم وعدة أسنان من مشطه فأعطاهم اليهود، فسحروه فيها، وكان الذي تولى ذلك رجل منهم يقال له لبيد بن الأعصم ثم دسها في بئر لبني زريق يقال له ذروان، فمرض رسول الله ﷺ عليه وسلم وانتثر شعر رأسه، ولبثت ست أشهر يرى أنه يأتي النساء ولا يأتيهن، وجعل يذوب ولا يدري ما عراه، فبينما هو نائم إذ أتاه ملكان فقعده أحدهم عند رأسه والآخر عند رجليه، فقال الذي عند رجليه للذي عند رأسه: ما

(2873)صفوة التفسير - للصابوني (3/ 536)

(2874) [الكرية] الحفرة انظر النهاية في غريب الحديث 169 ج:4

(2875) إسناده واهي.

(2876) إسناده ضعيف.

بال الرجل؟ قال: طب قال: وما طب؟ قال: سحر، قال: ومن سحره؟ قال: لبيد ابن أعصم اليهودي، قال: وبم طَبَّه؟ قال: بمشط ومشاطة قال: وأين هو؟ قال في "جفّ طلعة ذكر" تحت راعوفة في بئر ذروان.
والجف: قشر الطلع، والراعوفة: حجر في أسفل البئر ناتئ يقوم عليه الماتح، فانتبه رسول الله صَلَّى اللهُ عَلَيْهِ وَسَلَّمَ مذعورا وقال: «يا عائشة أما شعرت أن الله سبحانه أخبرني بدائي» ثم بعث رسول الله صَلَّى اللهُ عَلَيْهِ وَسَلَّمَ عليا والزبير وعمار بن ياسر فنزحوا ماء تلك البئر كأنه نقاعة الحناء، ثم رفعوا الصخرة وأخرجوا الجف فإذا فيه مشاطة رأسه وأسنان من مشطية وإذا فيه وتر معقود فيه إتنا عشر عقدة مغروزة بالإبر فأنزل الله سبحانه هاتين السورتين فجعل كلما يقرأ آية أنحلت عقدة، ووجد رسول الله صَلَّى اللهُ عَلَيْهِ وَسَلَّمَ خفة حين أنحلت العقدة الأخيرة فقام كأنما أنشط من عقال، وجعل جبرائيل عليه السلام يقول: بسم الله أرقبك من كل شيء يؤذيك من حاسد وعين والله يشفيك، قال: فقالوا: يا رسول الله أفلا نأخذ الخبيث فنقلته، فقال صَلَّى اللهُ عَلَيْهِ وَسَلَّمَ: «أما أنا فقد شفاني الله وأكره أن أثير على الناس شرا»⁽²⁸⁷⁷⁾.

(تفسير مختصر للسورتين)

سورة الفلق

(قل أعوذ برب الفلق) أي قل يا محمد إلتجىء وأعتصم برب الصبح، الذي ينفلق عنه الليل، وينجلي عنه الظلام، قال ابن عباس: (الفلق) الصبح كقوله تعالى (فالحق الإصباح) وفي أمثال العرب: هو أبين من فلق الصبح، قال المفسرون: سبب تخصيص الصبح بالتعوذ، أن إنبثاق نور الصبح بعد شدة الظلمة، كالمثل لمجيء الفرج بعد الشدة، فكما أن الإنسان يكون منتظرا لطلوع الصبح، فكذلك الخائف يترقب مجيء النجاح.

(من شر ما خلق) أي من شر جميع المخلوقات، من الإنس، والجن، والدواب، والهوام، ومن شر كل مؤذ خلقه الله تعالى. (ومن شر غاسق إذا وقب) أي ومن شر الليل إذا أظلم، وإشدد ظلامه، فإن ظلمة الليل ينتشر عندها أهل الشر من الإنس والجن، ولهذا قالوا في المثل: "الليل أخفى للويل"، قال الرازي: وإنما أمر أن يتعوذ من شر الليل، لأن في الليل تخرج السباع من أجامها، والهوام من مكانها، ويهجم السارق والمكابر، ويقع الحريق، ويقبل فيه الغوث. (ومن شر النفاثات في العقد) أي ومن شر السواحر اللواتي يعقدن عقدا في خيوط، ويفتنن - أي ينفخن - فيها ليضروا عباد الله بسحرهن، ويفرقوا بين الرجل وزوجه (وما هم بضارين به من أحد إلا بإذن الله).

(ومن شر حاسد إذا حسد) أي ومن شر الحاسد الذي يتمنى زوال النعمة عن غيره، ولا يرضى بما قسمه الله تعالى له، وإنما اختصت هذه الأمور الأربعة بالإستعاذة، لأمر أهم الذنوب التي ينبغي التحذير منها، وهي المهلكة للإنسان، وهي من الكبائر «الإضرار بالخلق، والسعى بالإفساد في الأرض، والسحر، والحسد» وكفى بها جرائم، ينبغي أن يستعيذ منها المؤمن⁽²⁸⁷⁸⁾ !.

سورة الناس

(قل أعوذ) أي قل يا محمد إلتصم وإلتجىء وإستجبر.

(برب الناس) أي بخالق الناس، ومربيهم، ومدبر شؤونهم، الذي أحياهم وأوجدهم من العدم، وأنعم عليهم بأنواع النعم، قال المفسرون: إنما خص الناس بالذكر - وإن كان جلت عظمته رب جميع الخلائق تعريفا وتكريما لهم، من حيث إنه تعالى سخر لهم ما في الكون، وأمدهم بالعقل والعلم، وأسجد لهم ملائكة قدسه، فهم أفضل المخلوقات على الإطلاق.

(ملك الناس) أي مالك جميع الخلق، حاكمين ومحكومين، ملكا تاما شاملا كاملا، يحكمهم، ويضبط أعمالهم، ويدبر شؤونهم، فيعز ويذل، ويعني ويفقر.

(إله الناس) أي معبودهم الحق الذي لا رب لهم سواه، قال القرطبي: وإنما قال (ملك الناس إله الناس) لأن في الناس ملوكا فذكر أنه ملكهم، وفي الناس من يعبد غيره، فذكر إنه إلههم ومعبودهم، وأنه الذي يجب إن يستعاذ به ويلجأ إليه، دون الملوك والعظماء، وترتيب السورة بهذا الشكل في منتهى الإبداع، وذلك لأن الإنسان أولا يعرف أن له ربا، لما يشاهده من أنواع التربية (رب الناس) ثم إذا تأمل عرف أن هذا الرب متصرف في خلقه، غني عن خلقه فهو الملك لهم (ملك الناس) ثم إذا زاد تأمله عرف أنه يستحق أن يعبد، لأنه لا عبادة إلا للغني عن كل ما سواه، المقتدر إليه كل ما عده (إله الناس) وإنما كرر لفظ الناس ثلاثا ولم يكتف بالضمير، لإظهار شرفهم وتعظيمهم والإعتناء بشأنهم، كما حسن التكرار في قول الشاعر: لا أرى الموت يسبق الموت شيء نغص الموت ذا الغنى والفقير قال ابن كثير: هذه ثلاث صفات من صفات الرب عز وجل " الربوبية " و " الملك " و " الإلهية " فهو رب كل شيء ومليكه، وإلهه، وجميع الأشياء مخلوقة ومملوكة له، فأمر المستعيذ أن يتعوذ بالمتصف بهذه الصفات.

(من شر الوسواس) أي من شر الشيطان الذي يلقي حديث السوء في النفس، ويوسوس للإنسان ليغريه بالعصيان. (الخناس) الذي يخنس أي يختفي ويتأخر إذا ذكر العبد ربه، فإذا غفل عن الله، عاد فوسوس له، وفي الحديث «إن الشيطان واضع خطمه - أنفه - على قلب ابن آدم، فإذا ذكر الله خنس، وإذا نسي الله التقم قلبه فوسوس».

(الذي يوسوس في صدور الناس) أي الذي يلقي لشدة خبثه في قلوب البشر، صنوف الوسواس والأوهام، قال القرطبي: ووسوسته هو الدعاء لطاعته بكلام خفي، يصل مفهومه إلى القلب، من غير سماع صوت (من الجنة والناس).

(من الجنة والناس) بيانية أي هذا الذي يوسوس في صدور الناس، هو من شياطين الجن والإنس، كقوله تعالى (شياطين الإنس والجن يوحى بعضهم إلى بعض زخرف القول غرورا) فالآية إستعاذة من شر الإنس والجن جميعا، ولا شك أن شياطين الإنس، أشد فتكا وخطرا من شياطين الجن، فإن شيطان الجن يخنس بالإستعاذة، وشيطان الإنس يزين لصاحبه الفواحش، ويغريه بالمنكرات، ولا يثنيه عن عزمه شيء، والمعصوم من عصمه الله⁽²⁸⁷⁹⁾.

قال الإمام السيوطي: وهذا آخر الكتاب والحمد لله على التمام وصلى الله على سيدنا محمد رسول الله عليه التحية

(2877)الكشف والبيان عن تفسير القرآن (10/ 338)

(2878)صفوة التفاسير - للصابوني (3/ 538)

(2879)صفوة التفاسير - للصابوني (3/ 540)

الفصل العاشر: النتائج والمقترحات

أما عن نتائج هذا البحث ومقترحاته:

النتائج:

النتيجة الأولى: أن أسباب النزول للأمام السيوطي لم يشتمل على كل سور القرآن الكريم، ولا على كل آياته.
النتيجة الثانية: أن المؤلف رحمه الله لم يورد كل أسباب النزول الواردة في الآية، بل ترك الكثير مما أتاح لنا الفرصة بالاستدراك عليه الكثير من أسباب النزول.

النتيجة الثالثة: أن ليس كل ما أورده المؤلف رحمه الله في أسباب النزول، إنما أورد أثراً ليس من أسباب النزول، إما أنها وقعت بعد سبب النزول أو قبله.

المقترحات:

لا يزال الباب مفتوحاً لخدمة هذا العلم الجليل علم أسباب النزول، فكم ترك السابق لللاحق، فكما وضعت شرحاً موجزاً لهذا الكتاب الجليل، فطلاب العلم والباحثين في علوم القرآن أن يضعوا شروحاً موسعة تشمل شرح كل الغريب والترجمة لكل الأعلام

كذلك فإني لم أجد كتاب الإمام السيوطي ولا كتاب الإمام الواحدي قد جمع كل أسباب النزول الواردة في القرآن الكريم، فأقترح أن تتبع هذه الأسباب من كتب التفسير ككتاب الإمام القرطبي والثعلبي وابن كثير وغيرها من الكتب في التفسير حتى يكون هناك كتاب حافل وكامل في أسباب النزول.

هذا وما كان من توفيق فمن الله وحده، وما كان من زلل أو خلل أو نقصان فمني ومن الشيطان والله ورسوله منه براء.
والله وحده أسأل أن ينفع بهذا الكتاب كل قارئ وكل باحث وكل ناظر وأن يكتب لنا به مقعد صدق عند مليك مقتدر إنه ولي ذلك والقادر عليه، وصلى الله وسلم على نبينا محمد وعلى آله وصحبه وسلم.

كتبه

محمد حسن محمد

المراجع مرتبة على حروف المعجم حسب أسماء المؤلفين

إبراهيم مصطفى - أحمد الزيات - حامد عبد القادر - محمد النجار (معاصرون).

اسم الكتاب: (المعجم الوسيط). (تأليف مشترك).

الناشر: مؤسسة الشروق الدولية 1425 هـ - 2004م تحقيق مجمع اللغة العربية.

أحمد بن إبراهيم الإسماعيلي، وفاة 372 هـ

اسم الكتاب: (معجم شيوخ أبي بكر الإسماعيلي)

الناشر: مكتبة العلوم والحكم

أحمد بن الحسين بن علي البيهقي، وفاة 458 هـ.

أسماء الكتب:

(السنن الكبرى).

الناشر: مجلس دائرة المعارف النظامية الكائنة في الهند ببلدة حيدر آباد الطبعة: الأولى - 1344 هـ.

(دلائل النبوة).

الناشر: دار الكتب العلمية ودار الريان. 1408 هـ - 1988م.

(شعب الإيمان).

الناشر: مكتبة الرشد بالرياض - الدار السلفية ببومباي بالهند الطبعة: الأولى، 1423 هـ - .

- (البيعث والنشور).
 الناشر: مؤسسة الكتب الثقافية البلد: بيروت الطبعة: الأولى سنة الطبع: 1408هـ، 1988م
أحمد بن الحسين بن مهراّن النيسابوريّ، أبو بكر (المتوفى: 381هـ)
 اسم الكتاب: (المبسوط في القراءات العشر)
 الناشر: مجمع اللغة العربية - دمشق عام النشر: 981 م
- أحمد بن شعيب النسائي، وفاة 303هـ.**
 اسم الكتاب: (سنن النسائي الكبرى).
 الناشر: مؤسسة الرسالة 1421هـ - 2001م.
 اسم الكتاب: (سنن النسائي الصغرى المجتبى)
 الناشر: مكتب المطبوعات الإسلامية - حلب الطبعة: الثانية، 1406 - 1986
- أحمد بن عبد الله الخزرجي**
 اسم الكتاب: (خلاصة تهذيب الكمال)
 الناشر: دار البشائر سنة النشر: 1416 هـ مكان النشر: حلب
أحمد بن عبد الله الأصبهاني، وفاة 430.
 اسم الكتاب: (حلية الأولياء).
 الناشر: الكتب العلمية - بيروت الطبعة الرابعة 1409هـ - 1988م.
أحمد بن عبد الحليم بن تيمية الحراني (المتوفى: 728هـ)
 اسم الكتاب: (مجموع الفتاوي)
 الناشر: دار الوفاء الطبعة: الثالثة، 1426 هـ / 2005 م
 اسم الكتاب: (منهاج السنة النبوية)
 الناشر: مؤسسة قرطبة، الطبعة لأولى
أحمد بن علي بن المثنى الموصلي أبو يعلى، وفاة 307هـ.
 اسم الكتاب: (مسند أبي يعلى).
 الناشر: دار المأمون للتراث - دمشق الطبعة الأولى، 1404 - 1984
 اسم الكتاب: (معجم أبي يعلى)
 الناشر: إدارة العلوم الأثرية - فيصل آباد الطبعة: الأولى، 1407
أحمد بن علي بن ثابت الخطيب البغدادي، وفاة 463هـ.
 اسم الكتاب: (تاريخ بغداد).
 الناشر: دار الغرب الإسلامي. 1422هـ - 2001م.
أحمد بن علي بن حجر أبو الفضل العسقلاني الشافعي سنة، وفاة 852 هـ.
 أسماء الكتب:
 (فتح الباري)
 الناشر: دار المعرفة - بيروت، 1379هـ
 (لسان الميزان)
 الناشر: مكتبة المطبوعات الإسلامية 1423هـ - 2002م
 (تقريب التهذيب)
 الناشر: دار الرشيد سنة النشر 1406 هـ - 1986م تحقيق محمد عوامة
 (الإصابة في تمييز الصحابة)
 الناشر دار الجيل - بيروت الطبعة الأولى، 1412هـ
 (العجائب في بيان الأسباب)
 الناشر: دار ابن الجوزي، الدمام، الطبعة الأولى 1997م
أحمد بن عمرو بن الضحاك أبو بكر الشيباني، وفاة 287هـ - 287هـ
 اسم الكتاب: (الأحاد المثاني)
 الناشر: دار الراءية - الرياض الطبعة: الأولى، 1411 هـ - 1991م
أحمد بن عمرو بن عبد الخالق أبو بكر البزار، وفاة 292هـ
 اسم الكتاب: (مسند البزار)
 الناشر: مكتبة العلوم والحكم المدينة المنورة. 1409هـ - 1988م
أحمد بن عمرو بن أبي عاصم الضحاك، الوفاة 287هـ
 اسم الكتاب: (الجهاد)
 الناشر: مكتبة العلوم والحكم - المدينة المنورة الطبعة الأولى، 1409
أحمد بن محمد بن أبي بكر القسطلاني، الوفاة 923هـ
 اسم الكتاب: (إرشاد الساري شرح صحيح البخاري)
 الناشر: المطبعة الكبرى الأميرية، مصر الطبعة: السابعة، 1323 هـ
أحمد بن محمد بن حنبل، وفاة 241هـ
 أسماء الكتب:
 (مسند أحمد)
 الناشر: الرسالة - مؤسسة الرسالة الطبعة: الثانية 1420هـ - 1999م
 (الزهد)
 الناشر: دار الكتب العلمية، بيروت سنة 1403هـ - 1983م
 (فضائل الصحابة)
 الناشر: مؤسسة الرسالة - بيروت الطبعة: الأولى، 1403 - 1983
أحمد بن محمد بن سلامة الطحاوي (المتوفى: 321هـ)
 اسم الكتاب: (شرح معاني الآثار)
 الناشر: عالم الكتب الطبعة: الأولى - 1414 هـ، 1994 م
 اسم الكتاب: (أحكام القرآن)
 الناشر: مركز البحوث الإسلامية التابع لوقف الديانة التركي، استانبول الطبعة: الأولى
 إسحاق بن إبراهيم بن مخلد الحنظلي، وفاة 238

- اسم الكتاب: (مسند إسحاق بن راهويه)
 الناشر - مكتبة الإيمان - المدينة المنورة الطبعة الأولى، 1412 هـ - 1991م
إسماعيل بن عمر بن كثير القرشي الدمشقي، وفاة 774هـ
 أسماء الكتب:
 (تفسير ابن كثير)
 الناشر: دار طيبة للنشر والتوزيع المحقق: سامي بن محمد سلامة الطبعة: الثانية 1420هـ - 1999 م
 (السيرة النبوية)
 الناشر: دار المعرفة للطباعة والنشر والتوزيع - بيروت
إسماعيل بن محمد بن الفضل الأصبهاني، وفاة 535هـ
 اسم الكتاب: (دلائل النبوة)
 الناشر: دار طيبة، الرياض 1409هـ
تمام بن محمد الدمشقي، الوفاة 414هـ
 اسم الكتاب: (مسند المقلين)
 الناشر: دار الصحابة، طنطا الطبعة: الأولى، 1410هـ-1989م
جابر بن موسى بن عبد القادر بن جابر أبو بكر الجزائري معاصر
 اسم الكتاب (أيسر التفاسير)
 الناشر: مكتبة العلوم والحكم، المدينة المنورة، المملكة العربية السعودية الطبعة: الخامسة، 1424هـ/2003م
جواد علي، معاصر
 اسم الكتاب: (المفصل في تاريخ العرب قبل الإسلام)
 الناشر: دار الساقى الطبعة: الرابعة 1422هـ/ 2001م
الحسين بن أحمد بن خالويه، أبو عبد الله (المتوفى: 370هـ)
 اسم الكتاب: (الحجة في القراءات السبع)
 الناشر: دار الرسالة (الأولى، 1421هـ - 2000م)
الحسين بن مسعود البغوي الوفاة: 354هـ
 اسم الكتاب: (معالم التنزيل)
 الناشر: دار طيبة للنشر والتوزيع الطبعة: الرابعة، 1417هـ - 1997 م
خالد المزيني، معاصر
 اسم الكتاب: (المحرر في أسباب النزول)
 الناشر: دار ابن الجوزي الدمام الطبعة الأولى سنة 1427هـ - 2006م
خلف بن عبد الملك بن بشكوال، وفاة 578هـ
 اسم الكتاب: (غوامض الأسماء المبهمة)
 الناشر: عالم الكتب سنة النشر: 1407 مكان النشر: بيروت
خليل بن كيكلي بن عبد الله العلاني، وفاة 761هـ
 اسم الكتاب: (جامع التحصيل في أحكام المراسيل)
 الناشر - عالم الكتب - بيروت / مكتبة النهضة 1407هـ - 1986م.
زين الدين بن إبراهيم بن نجيم، المعروف بابن نجيم المصري (المتوفى: 970هـ)
 اسم الكتاب: (البحر الرائق شرح كنز الدقائق)
 الناشر: دار المعرفة - بيروت
سعيد بن منصور، الوفاة 227هـ
 أسماء الكتب:
 (سنن سعيد بن منصور)
 الناشر: دار الكتب العلمية - بيروت الطبعة: الأولى، 1985 م
 (تفسير سعيد بن منصور)
 الناشر: دار الصميعي - الرياض الطبعة: الأولى، 1993 م
سليمان بن أحمد الطبراني، وفاة 360هـ
 أسماء الكتب:
 (المعجم الأوسط)
 الناشر: دار الحرمين - القاهرة، 1415هـ.
 (المعجم الكبير)
 الناشر: مكتبة العلوم والحكم - الموصل الطبعة الثانية، 1404هـ - 1983م
 (المعجم الصغير)
 الناشر: دار عمار بيروت عمان الطبعة الأولى، 1405هـ - 1985م
 (مسند الشاميين)
 الناشر: مؤسسة الرسالة - بيروت الطبعة الأولى، 1405 - 1984
سليمان بن الأشعث السجستاني، وفاة 275هـ
 اسم الكتاب: (سنن أبي داود)
 الناشر: دار الفكر 1998م، تحقيق محمد محيي الدين عبد الحميد.
سليمان بن داود الطيالسي، وفاة سنة 204هـ
 اسم الكتاب: (مسند الطيالسي)
 الناشر - هجر للطباعة والنشر الطبعة الأولى. سنة 1419هـ - 1999م
سيد قطب، وفاة 1383هـ - 1966م
 اسم الكتاب: (في ظلال القرآن)
 الناشر: دار الشروق - القاهرة
صديق بن حسن القنوجي
 اسم الكتاب: (أبجد العلوم)
 الناشر: دار الكتب العلمية بيروت، 1978
عبد الباقي بن قانع، وفاة 352هـ

- اسم الكتاب: (معجم الصحابة)
الناشر: مكتبة الغرباء الأثرية المدينة المنورة الطبعة: الأولى، 1418هـ
عبد بن حميد بن نصر الكسبي الوفاة 249هـ
اسم الكتاب: (المنتخب من مسند عبد بن حميد)
الناشر: عالم الكتب (نسخة جامع السنة)
عبد الحي بن أحمد بن محمد العكري، وفاة 1089هـ
اسم الكتاب: (شذرات الذهب)
الناشر: دار بن كثير
- عبد الرحمن بن أبي بكر جلال الدين السيوطي، وفاة 911هـ**
اسم الكتاب: (الدر المنثور في التفسير بالمأثور)
الناشر: مركز هجر للبحوث، القاهرة. 1424هـ، 2003م
- عبد الرحمن بن سعدي، وفاة 1376هـ**
اسم الكتاب: (تيسير الكريم المنان)
الناشر: مؤسسة الرسالة الطبعة، الطبعة الأولى 1420هـ - 2000م
- عبد الرحمن بن علي بن محمد الجوزي الوفاة 597هـ**
أسماء الكتب:
(زاد المسير في علم التفسير)
الناشر: المكتب الإسلامي - بيروت الطبعة الثالثة، 1404
(صفة الصفوة)
الناشر: دار المعرفة - بيروت الطبعة الثانية، 1399 1979
- عبد الرحمن بن محمد بن مخلوف الثعالبي، الوفاة 875هـ**
اسم الكتاب: (تفسير الثعلبي)
الناشر: دار إحياء التراث العربي - بيروت الطبعة: الأولى - 1418 هـ
- عبد الرحمن بن محمد بن إدريس ابن أبي حاتم، وفاة 327هـ**
أسماء الكتب:
(الجرح والتعديل)
الناشر: دار الكتب العلمية، الطبعة الأولى 1372هـ - 1952م
(علل الحديث)
الناشر: فريق من المحققين بإشراف د/سعد بن عبد الحميد ود/خالد بن عبد الرحمن الجريسي
تفسير ابن أبي حاتم)
الناشر: مصطفى اليزاز، مكة، 1417هـ - 1997م
- عبد الرزاق بن همام الصنعائي، وفاة 211هـ**
أسماء الكتب:
(مصنف عبد الرزاق)
الناشر: المكتب الإسلامي - بيروت الطبعة الثانية، 1403هـ
(تفسير عبد الرزاق)
الناشر: مكتبة الرشد - الرياض الطبعة الأولى، 1410 هـ تحقيق: د. مصطفى مسلم محمد
- عبد الله بن أحمد بن محمد بن حنبل، وفاة 290هـ**
اسم الكتاب: (السنة)
الناشر: دار ابن القيم - الدمام الطبعة: الأولى، 1406 هـ - 1986 م
- عبد الله بن أحمد بن قدامة المقدسي أبو محمد الوفاة 620هـ**
اسم الكتاب: (المغني في فقه الإمام أحمد بن حنبل الشيباني)
الناشر: دار الفكر - بيروت الطبعة الأولى، 1405 عدد الأجزاء: 10
- عبد الله بن الزبير أبو بكر الحميدي الوفاة 219هـ**
اسم الكتاب: (مسند الحميدي)
الناشر: دار الكتب العلمية مكتبة المتنبي - بيروت
- عبد الله بن عبد الرحمن بن صالح بن حمد بن محمد بن حمد البسام (المتوفى: 1423هـ)**
اسم الكتاب: (تيسير العلام - شرح عمدة الأحكام)
الناشر: مكتبة الصحابة، الإمارات - مكتبة التابعين، القاهرة الطبعة: العاشرة، 1426 هـ - 2006 م
- عبد الله بن عدي الجرجاني، وفاة 365هـ**
اسم الكتاب: (الكامل في ضعفاء الرجال)
الناشر: دار الكتب العلمية الطبعة الأولى 1418 هـ - 1997 م
- عبد الله بن المبارك، وفاة 181هـ**
اسم الكتاب: (الجهاد)
الناشر: الدار التونسية - تونس عدد الأجزاء: 1
- عبد الله بن محمد ابن أبي شيبة، وفاة 235هـ**
اسم الكتاب: (مصنف ابن أبي شيبة)
الناشر: دار القبلة 1427هـ - 2006م.
- عبد الله بن محمد بن جعفر بن حبان الأصبهاني المعروف بأبي الشيخ، وفاة 369 هـ**
أسماء الكتب:
(العظمة)
الناشر: دار العاصمة - الرياض الطبعة الأولى، 1408هـ
- عبد الله بن محمد بن عبد العزيز البغوي، وفاة 317هـ**
اسم الكتاب: (معجم الصحابة)
الناشر: مكتبة دار البيان - الكويت الطبعة: الأولى، 1421 هـ 2000 م
- عبد الله بن محمد بن عبيد بن سفيان**
اسم الكتاب: (هواتف الجان)

الناشر: مؤسسة الكتب الثقافية - بيروت - الطبعة الأولى، 1413 هـ

عبد الله بن محمد أبو بكر القرشي، ابن أبي الدنيا، وفاة 281 هـ

اسم الكتاب: (مكارم الأخلاق)

الناشر: مكتبة القرآن - القاهرة، 1411 - 1990

عبد الكريم بن محمد بن عبد الكريم الرافي القزويني، وفاة 623 هـ

اسم الكتاب: (التدوين في أخبار قزوين)

الناشر: دار الكتب العلمية الطبعة: 1408 هـ - 1987

عز الدين بن عبد السلام، وفاة 660 هـ

اسم الكتاب: (تفسير العز بن عبد السلام)

الناشر: دار ابن حزم - بيروت الطبعة الأولى: 1416 هـ / 1996

علاء الدين علي بن محمد بن إبراهيم البغدادي الشهير بالخازن القرن: الثامن وفاة 741 هـ

اسم الكتاب: (تفسير الخازن)

الناشر: دار الكتب العلمية - بيروت سنة الطبع: 1415

علماء نجد من عصر الشيخ محمد بن عبد الوهاب إلى عصرنا

اسم الكتاب: الدرر السنوية في الكتب النجدية

دراسة وتحقيق: عبد الرحمن بن محمد بن قاسم، الطبعة السادسة 1417 هـ - 1996 م

علي بن أحمد بن محمد الواحدي

أسماء الكتب:

(الوجيز في التفسير)

الناشر: دار القلم، دمشق الطبعة الأولى 1415 هـ

(أسباب النزول)

الناشر: مؤسسة الحلبي وشركاه للنشر والتوزيع

علي بن أبي بكر الهيثمي، وفاة 807 هـ

أسماء الكتب:

(موارد الظمان لزوائد ابن حبان)

الناشر: دار الثقافة العربية 1411 هـ - 1990 م

(مجمع الزوائد)

الناشر: دار الفكر، بيروت 1412 هـ

علي بن إسماعيل النحوي المعروف بابن سيده، وفاة 458 هـ

اسم الكتاب: (المخصص)

الناشر: دار إحياء التراث العربي بيروت 1417 هـ - 1996 م الطبعة: الأولى

علي بن الحسن بن هبة الله، أبو القاسم، ثقة الدين ابن عساكر الدمشقي، وفاة 571 هـ.

اسم الكتاب: (تاريخ دمشق)

الناشر: دار الفكر، لبنان، بيروت سنة النشر 1415 هـ - 1995 م

علي بن أحمد النيسابوري الواحدي، وفاة 468 هـ

اسم الكتاب: (أسباب النزول)

الناشر: مؤسسة الحلبي وشركاه للنشر والتوزيع

علي بن الجعد بن عبيد أبو الحسن الجوهري البغدادي، وفاة 230 هـ

اسم الكتاب: (مسند ابن الجعد)

الناشر: دار الكتب العلمية، الطبعة الثانية 1417 هـ - 1996 م

علي بن عمر أبو الحسن الدارقطني البغدادي، وفاة 385 هـ

أسماء الكتب:

(سنن الدارقطني)

الناشر: مؤسسة الرسالة، طبعة التركي الأولى (لا يوجد بيانات سنة النشر)

(علل الدارقطني)

الناشر: دار طبية الرياض الطبعة الأولى 1405 هـ - 1985 م

علي بن محمد بن عبد الكريم (ابن الأثير) وفاة 630 هـ

اسم الكتاب: (أسد الغابة)

الناشر: دار إحياء التراث العربي مدينة النشر: بيروت / لبنان سنة النشر: 1417 هـ - 1996

عمر بن شبة النميري البصري، وفاة 262 هـ

اسم الكتاب: (تاريخ المدينة)

الناشر: حبيب محمود أحمد، تحقيق فهم محمد شلتوت (لا يوجد بيانات سنة النشر)

علي بن محمد العراق الكناني

اسم الكتاب: (تنزيه الشريعة المرفوعة)

الناشر: دار الكتب العلمية، الطبعة الثانية 1981 م

قتادة بن دعامة السدوسي، وفاة 118 هـ

اسم الكتاب: (النسخ والمنسوخ)

الناشر: مؤسسة الرسالة الطبعة الثالثة: 1409 هـ - 1988 م

مالك بن أنس بن عامر الأصحبي، وفاة 179 هـ

اسم الكتاب: (موطأ مالك)

الناشر: مؤسسة زايد بن سلطان آل نهيان الطبعة: الأولى 1425 هـ - 2004 م

المبارك بن محمد ابن الأثير الجزري، وفاة 606 هـ

اسم الكتاب: (النهاية في غريب الأثر)

الناشر: المكتبة العلمية - بيروت، 1399 هـ - 1979 م تحقيق: طاهر أحمد الزاوي - محمود محمد الطناحي

مجلة البحوث الإسلامية

الناشر: مجلة دورية تصدر عن الرئاسة العامة لإدارات البحوث العلمية والإفتاء والدعوة والإرشاد معها ملحق بترجم الأعلام والأمكنة المؤلف: الرئاسة العامة لإدارات البحوث العلمية والإفتاء والدعوة والإرشاد

الموسوعة الفقهية الكويتية

- الناشر: صادر عن: وزارة الأوقاف والشؤون الإسلامية - الكويت
محمد بن إبراهيم بن المنذر النيسابوري، وفاة 319هـ
 اسم الكتاب: (تفسير ابن المنذر)
 الناشر: دار المآثر - المدينة النبوية الطبعة: الأولى 1423 هـ، 2002 م
محمد الأمين بن محمد المختار بن عبد القادر الجكني الشنقيطي (المتوفى: 1393هـ)
 اسم الكتاب: (أصواء البيان في إيضاح القرآن بالقرآن)
 الناشر: دار الفكر للطباعة و النشر و التوزيع بيروت - لبنان عام النشر: 1415 هـ - 1995 م
محمد بن أبي بكر بن عبد القادر الرازي، وفاة 666 هـ أو ما بعدها.
 اسم الكتاب: (مختار الصحاح)
 مكتبة لبنان ناشرون - بيروت الطبعة طبعة جديدة، 1415 هـ - 1995 م تحقيق: محمود خاطر
محمد بن أحمد الذهبي، وفاة 748هـ
 أسماء الكتب:
 (ميزان الاعتدال)
 الناشر دار الكتب العلمية 1995م
 (سير أعلام النبلاء)
 الناشر: مؤسسة الرسالة 1417هـ - 1996م
 (تاريخ الإسلام)
 الناشر: دار الغرب الإسلامي، الطبعة الأولى 2003م
 (ديوان الضعفاء)
 الناشر: مكتبة النهضة الحديثة - مكة الطبعة: الثانية، 1387 هـ - 1967 م
محمد بن أحمد بن أبي بكر القرطبي، وفاة 671هـ
 اسم الكتاب: (تفسير القرطبي)
 الناشر: دار عالم الكتب، الرياض، المملكة العربية السعودية الطبعة: 1423 هـ / 2003 م
محمد بن أحمد بن جزي، وفاة 741 هـ
 اسم الكتاب: (التسهيل لعلوم التنزيل)
 الناشر دار الكتب العلمية بيروت الطبعة الأولى سنة النشر 1415 هـ - 1995م
محمد بن إدريس الشافعي، وفاة 204هـ
 اسم الكتاب: (أحكام القرآن)
 الناشر: دار الكتب العلمية - بيروت، 1400
محمد بن إسحاق بن خزيمة أبو بكر السلمي النيسابوري، وفاة 311 هـ
 اسم الكتاب: (صحيح ابن خزيمة)
 الناشر: المكتب الإسلامي - بيروت، 1390 - 1970 تحقيق: د/ محمد مصطفى الأعظمي
 اسم الكتاب: (المنتقى من السنة المسنده)
 الناشر: المكتب الإسلامي - بيروت، 1390 - 1970
محمد بن إسحاق بن إبراهيم السراج، وفاة 313هـ
 اسم الكتاب: (مسند السراج)
 الناشر: إدارة العلوم الأثرية فيصل آباد / باكستان 1423 هـ - 2002م
محمد بن إسحاق بن يسار، وفاة 151هـ
 اسم الكتاب: (السيرة النبوية)
 الناشر: معهد الدراسات والأبحاث
محمد بن إسحاق بن يحيى بن منده، وفاة 395هـ
 اسم الكتاب: (الإيمان)
 الناشر: الناشر: مؤسسة الرسالة - بيروت الطبعة: الثانية، 1406
محمد بن أحمد المحلي (المتوفى: 864هـ)
وجلال الدين عبد الرحمن بن أبي بكر السيوطي (المتوفى: 911هـ)
 اسم الكتاب: (تفسير الجلالين)
 الناشر: دار الحديث - القاهرة الطبعة: الأولى
محمد بن إسحاق الفاكهي، وفاة 272هـ
 اسم الكتاب: (أحبار مكة)
 الناشر: دار خضر - بيروت الطبعة: الثانية، 1414
محمد بن إسماعيل البخاري، وفاة 256هـ.
 أسماء الكتب:
 (صحيح البخاري)
 الناشر: دار طوق النجاة الطبعة: الأولى 1422 هـ
 (التاريخ الكبير)
 الناشر: دار الكتب العلمية بيروت (لا يوجد بيانات سنة النشر)
 (خلق أفعال العباد)
 الناشر: دار المعارف السعودية
 (الأدب المفرد)
 الناشر: دار البشائر الإسلامية - بيروت الطبعة: الثالثة، 1409 - 1989 عدد الأجزاء: 1
محمد بن جرير الطبري، وفاة 310هـ.
 اسم الكتاب: (جامع البيان عن تفسير أي القرآن - المشهور بتفسير الطبري)
 الناشر مكتبة ابن تيمية، القاهرة، طبعة أحمد شاکر (لا يوجد بيانات سنة النشر)
محمد بن جعفر الكتاني، وفاة 1345هـ
 اسم الكتاب: (الرسالة المستطرفة)
 الناشر دار البشائر الإسلامية - بيروت الطبعة الرابعة، 1406 - 1986

- محمد بن حبان، أبو حاتم البستي، وفاة 354هـ**
اسم الكتاب: (صحيح ابن حبان)
الناشر: مؤسسة الرسالة - بيروت الطبعة الثانية 1414هـ - 1993م
- محمد بن سعد بن منيع أبو عبد الله البصري الزهري، وفاة 230 هـ**
اسم الكتاب: (الطبقات الكبرى)
الناشر: مكتبة الخانجي بالقاهرة، تحقيق الدكتور على محمد عمر (لا يوجد بيانات سنة النشر)
- محمد صديق خان القنوجي، الوفاة 1304هـ**
اسم الكتاب: (فتح البيان في مقاصد القرآن)
الناشر: المكتبة العصرية للطباعة والنشر، صيدا - بيروت عام النشر: 1412 هـ 1992 م
- محمد الطاهر بن عاشور وفاة 1393هـ**
اسم الكتاب: (التحرير والتنوير)
الناشر: مؤسسة التاريخ العربي، بيروت 1420هـ 2000م
- محمد بن عبد الرحمن بن عبد الرحيم المباركفوري، وفاة 1253هـ**
اسم الكتاب: (تحفة الأحوذى)
الناشر: دار الفكر. مراجعة وتصحيح عبد الرحمن محمد عثمان (لا يوجد بيانات سنة النشر)
- محمد بن عبد الله الحاكم النيسابوري، وفاة 405هـ**
اسم الكتاب: (المستدرک على الصحيحين)
الناشر: دار المعرفة - عناية د / يوسف بن عبد الرحمن المرعشلي (لا يوجد بيانات سنة النشر)
- محمد بن عبد الله أبو بكر بن العربي، الوفاة 543هـ**
اسم الكتاب: (أحكام القرآن)
الناشر: دار الكتب العلمية، بيروت - لبنان الطبعة: الثالثة، 1424 هـ 2003 م
- محمد بن عبد الهادي السندي المدني، وفاة 1138هـ**
اسم الكتاب: (الجهاد لابن أبي عاصم)
الناشر: دار الفكر (لا يوجد بيانات سنة النشر)
- محمد بن عبد الواحد المقدسي، وفاة 643هـ**
اسم الكتاب: (الأحاديث المختارة)
الناشر: دار خصر، لبنان، بيروت. 1421 هـ - 2001م
- محمد بن علي بن محمد الشوكاني، وفاة 1250هـ**
اسم الكتاب: (نيل الأوطار)
الناشر: إدارة الطباعة المنيرية (لا يوجد بيانات سنة النشر)
- محمد علي الصابوني**
اسماء الكتب:
(صفوة التفاسير)
الناشر: دار الصابوني
(روائع البيان في تفسير آيات الأحكام)
الناشر: مكتبة الغزالي - دمشق، مؤسسة مناهل العرفان - بيروت الطبعة: الثالثة، 1400 هـ - 1980 م
- محمد بن عمرو بن موسى بن حماد العقيلي، وفاة 322هـ**
اسم الكتاب: (الضعفاء الكبير)
الناشر: دار الصمعي، 1420هـ 2000م
- محمد بن عمر بن واقد الواقدي وفاة 207هـ**
اسم الكتاب: (مغازي الواقدي)
الناشر: عالم الكتب، بيروت
- محمد بن عيسى بن سورة الترمذي، وفاة 297هـ**
اسم الكتاب: (سنن الترمذي)
الناشر: دار إحياء التراث العربي - بيروت تحقيق: أحمد محمد شاكر وآخرون
- محمد بن محمد بن عبد الرزاق الحسيني (مرتضى الزبيدي)، وفاة 1205هـ**
اسم الكتاب: (تاج العروس في جواهر القاموس)
الناشر: دار الهداية (لا يوجد بيانات سنة النشر)
- محمد بن محمد الغزالي**
اسم الكتاب: (جواهر القرآن)
الناشر: دار إحياء العلوم بيروت الطبعة الأولى، 1985
- محمد بن محمد بن يوسف ابن الجزري، وفاة 833هـ**
اسم الكتاب: (غاية النهاية في طبقات القراء)
الناشر: الناشر: مكتبة ابن تيمية الطبعة: عني بنشره لأول مرة عام 1351هـ ج. برجستراسر
- محمد بن نصر بن الحجاج المروزي، الوفاة 294هـ**
اسم الكتاب: (السنة)
الناشر: مؤسسة الكتب الثقافية - بيروت الطبعة: الأولى، 1408
- محمد بن يزيد القزويني (ابن ماجة)، وفاة 275هـ**
اسم الكتاب: (سنن ابن ماجة)
الناشر: دار إحياء الكتب العربية تحقيق: محمد فؤاد عبد الباقي (لا يوجد بيانات سنة النشر)
- محمد بن يوسف الشهير بابي حيان الأندلسي، وفاة 745هـ**
اسم الكتاب: (تفسير البحر المحيطة)
دار النشر: دار الكتب العلمية - لبنان/ بيروت - 1413 هـ - 1993 م الطبعة الأولى
- محمد مكرم بن منظور، وفاة 711هـ**
اسم الكتاب: (لسان العرب)
الناشر: دار صادر، بيروت، الطبعة الأولى (لا يوجد بيانات سنة النشر)
- محمد ناصر الدين الألباني، وفاة 1420هـ**

- اسم الكتاب : (سلسلة الأحاديث الضعيفة والموضوعة)
 الناشر: دار المعارف - الرياض - المملكة العربية السعودية الطبعة: الأولى.
محمود بن أحمد بن موسى بدر الدين العيني، وفاة 855هـ
 اسم الكتاب: (عمدة القاري).
 الناشر: دار الكتب العلمية، الطبعة الأولى سنة 1421هـ - 2001م
محمود بن عبد الله الحسيني الألويسي، وفاة 1270هـ - 1854م
 اسم الكتاب: (روح المعاني)
 الناشر: دار الكتب العلمية - بيروت سنة الطبع: 1415 هـ
محمود بن عمر الزمخشري، وفاة 538هـ
 اسم الكتاب: (الكشاف)
 الناشر: دار الكتاب العربي - بيروت سنة الطبع: 1407
مسلم بن الحجاج بن مسلم القشيري النيسابوري، وفاة 261 هـ
 اسم الكتاب: (صحيح مسلم)
 الناشر: مكتبة دار الجليل بيروت + دار الأفاق الجديدة - بيروت، سنة 2006 م.
مصطفى بن عبد الله كاتب جلبي القسطنطيني المشهور باسم حاجي خليفة أو الحاج خليفة (المتوفى: 1067هـ)
 اسم الكتاب: (كشف الظنون)
 الناشر: مكتبة المثنى - بغداد (وصورتها عدة دور لبنانية، بنفس ترقيم صفحاتها، مثل: دار إحياء التراث العربي، ودار العلوم الحديثة، ودار الكتب العلمية) تاريخ النشر: 1941م
مقاتل بن سليمان بن بشير، الوفاة 150 هـ
 اسم الكتاب: (تفسير مقاتل بن سليمان)
 الناشر: دار الكتب العلمية - لبنان/ بيروت - 1424 هـ - 2003 م
مكي بن أبي طالب حمّوش القرطبي المالكي (المتوفى: 437هـ)
 اسم الكتاب: (الهداية في بلوغ النهاية)
 الناشر: مجموعة بحوث الكتاب والسنة كلية الشريعة والدراسات الإسلامية جامعة الشارقة الطبعة: الأولى، 1429 هـ - 2008 م
ملا حويش آل غازي عبد القادر
 اسم الكتاب: (بيان المعاني)
 الناشر: مطبعة الترقى مكان الطبع: دمشق سنة الطبع: 1382 هـ
نصر بن محمد بن إبراهيم السمرقندي الفقيه الحنفي، الوفاة 375هـ
 اسم الكتاب: (بحر العلوم)
 الناشر: دار الفكر - بيروت
نور الدين الهيثمي، الوفاة (807)
 اسم الكتاب: (مسند الحارث)
 الناشر: مركز خدمة السنة والسيرة النبوية - المدينة المنورة الطبعة: الأولى، 1413 - 1992
هبة الله بن سلامة بن نصر بن علي البغدادي المقرئ (المتوفى: 410هـ)
 اسم الكتاب: (الناسخ والمنسوخ)
 الناشر: المكتب الإسلامي - بيروت الطبعة: الأولى، 1404 هـ
وهبة بن مصطفى الزحيلي، معاصر
 اسم الكتاب: (التفسير المنير)
 الناشر: دار الفكر المعاصر - دمشق الطبعة: الثانية، 1418 هـ
ياقوت بن عبد الله الحموي، وفاة 626هـ
 اسم الكتاب: (معجم البلدان)
 الناشر: دار صادر 1397هـ - 1977م
يحيى بن شرف النووي، وفاة سنة 676هـ
 اسم الكتاب: (شرح صحيح مسلم - المسمى بالمنهاج)
 الناشر: دار إحياء التراث العربي - بيروت الطبعة الثانية (لا يوجد بيانات سنة النشر).
يعقوب بن إسحاق الإسفراييني أبو عوانة، وفاة 316هـ
 اسم الكتاب: (مسند أبي عوانة)
 الناشر: دار المعرفة مكان النشر: بيروت
يوسف بن عبد الله بن محمد بن عبد البر بن عاصم النمري القرطبي، وفاة 463هـ
 أسماء الكتب:
 (التمهيد لما في الموطأ من المعاني والأسانيد)
 الناشر: مؤسسة القرطبة المحقق: مصطفى بن أحمد العلوي ومحمد عبد الكبير البكري.
 (الاستيعاب في معرفة الأصحاب)
 الناشر: دار الأعلام 1423هـ - 2002م تصحيح عادل مرشد